هدية العدد
التقويم الهجري الجديد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية



العدد (١٢١) غرة المحرم ١٣٩٥ هـ — يناير ١٩٧٥ م

اقرأ في هذا العدد



صـــورة الغــلاف :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحــال إلا إلى ثلاثة مســاجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هـــذا ، والمسجد الأقصى » .
حديث صحيح

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافيــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 13

السنة الحادية عشرة

العـــــدد : ١٢١

غرة المحــرم ١٣٩٥ هـ ــ الموافق ينــاير ١٩٧٥م

هــدفها : المــزيد من الوعي ، وايقــاظ الروح ، بعيــدا عن الخــــلافات المذهبيــــة والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكــويت في غــرة كل شـــهر عــــربي

عنــوان المراســـلات :

مجــلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

طريق الهجرة

اية طريق تلك التى قطعها المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة !! لم تات هكذا ارتجالا دون وحى من الله سبحانه وتخطيط ، وبذل جهد من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حاشا أن يكون ذلك .

أن حادث الهجرة بداية مرحلة جديدة فى سبيل الدعوة الى الله ، بل ومرحلة اساسية . تلك : هى بناء المجتمع الاسلامى . وتاصيل قواعد بقائه وثباته . ونقطة بداية للانسياح والمد الاسلامى الى كل مختلف اطراف الدنيا .. حقا هذا ما تحقق وما كان .

ولكن ما المتاعب التى واجهت سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ؟

انها عملية ذات حساب كبير تتبدى لنا حالما نعلم رصد المشركين للرسول الكريم عليه السلام ، فى نقلته هذه .. حيث انها اشارة خطر لهم تدل على بناء مجتمع محكم مترابط متاخ يصادم مجتمعهم ذا الفوارق والنزعات .. الذى تحكمه القيم والمقاييس الجاهلية ..

لذلك كانت المتاعب الجسام . والتى ندركها بتتبع كتب السيرة فى هذا الموضوع حيث انه قد تم للرسول صلى الله عليه وسلم عزمه للهجرة بخروجه فى الهاجرة (وقت الظهر) لاعداد الزاد والراحلة واتخاذ الصاحب الامين ابى بكر الصديق رضى الله عنه . ومبيت على بن ابى طالب (كرم الله وجهه) مكانه . والاختباء بالغار . واتيان اسماء بنت ابى بكر الصديق (ذات النطاقين) بالطعام لأبيها وللرسول صلى الله عليه وسلم ، وابن ابى بكر الصديق ناقل الاخبار . وابن فهيرة الذى يعفى (يخفى) باغنامه آثار سير ابن ابى بكر ، وبهذا التخطيط العملى المحكم . والتنفيذ الدقيق المتقن. عمى المشركون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه الصديق رضى الله عنه مع عظيم ما اعدوا . ومع كبير ما ترصدوا . حتى ذلك الفارس سراقة قد انضم فى ركب الايمان . وانضافت معجزة كبرى بجانب معجزاته عليه الصلاة والسلام العظيمة تشير الى ان المسلم يسير بهدى ربه ، وهذا الرسول الامين صلى الله عليه وسلم يعلم الناس اليقين بصدقه ورسالته . فتراه فى ظرف قد يكون من احلك الظروف سوادا يبشر سراقة بسوارى كسرى حتى ليطير لب سراقة (ابن مالك الجعشمى) فيقول : سوارى كسرى بن هرمز ، فيجيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بنعم ..

تلك صورة الهجرة بخطوطها العريضة .

اما ما تفيده من عبر وعظات فهو شان المسلم فى كل ذكرى وحادثات الاسلام التى غدت ذكريات مجرد ذكريات ..

وانما نريد — وهذا شان المسلم الصادق — ان تكون سحبا ممطرة

مغيثة يحيى بها الله سبحانه نفوسا مواتا وتنبت منها الراحة والطمانينة والأمن وما أشد حاجة الناس لذلك فى وقتنا الحاضر .

ومن هنا تواتينا الهجرة بمعان ضخمة زاخرة هى الصبر والايثار . والارادة الصلبة القوية . والثبات على دين الله الذى ارتضـــاه للنـــاس كافة ، والتضحية حيث لا يساوى نعمة الايمان بالله تعالى واعلاء كلمته بذل النفس وهجرة الناس والمكان ، وترك المنصب والمتاع والرياش . انها اعلى من كل ذلك،ثم نواح أخر مهمة تميز الصف المسلم وهو ما أراده النبى صلى الله عليه وسلم بالبيان العملى من أن هناك ايمان وكفر وان هنـــاك جاهلية واسلام وانه كما قال سبحانه : (افنجعل المسلمين كالمجرمين) ؟ وطبعا لا ، وعليه : فلا بد من الهجرة ، لا بد من ترك مكان الباطل والظلم والطغيان ، لا الباطل والظلم والطغيان فقط . مهما كان المكان عزيزا وكانت به الدار والولد والاموال .. فانها هجرة الى الله ومن هاجر الى الله فهـــو فى سبيله ومن هاجر لدنيا او امراة فهجرته لحطام ليس له جذور .

وفى الهجرة ارجاع كل شىء الى الله واليقين به سبحانه والثقـــة بنصره ..

انظر اخى القارىء الى توجيه المصطفى صلى الله عليه وسلـــم لسيدنا ابى بكر حينما خشى رؤية القوم لهما قال صلى الله عليه وسلم : (يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما .. قال تعالى : (اذ يقول لصاحبـــه لا تحزن ان الله معنا) .

وفى الهجرة بداية التوسع الاسلامى فما أن استقر عليه الصـــلاة والسلام فى المدينة ونظم شئون المسلمين فيما بينهم وبين اليهود إلا وخرج غازيا فى سبيل الله .

اخى القارىء : ارايت حدثا عظيما غير مجريات التاريخ كهـــذا الحدث الجليل ؟

أرأيت دلالات كدلالات الهجرة ؟

انها معلم رئيسى لان يتخذ منها المسلمون طريقا صحيحا وجديا للعمل الاسلامى المثمر وذلك : لا يكون الا باقتفاء اثر المصطفى صلى الله عليـــه وسلم . فقد كانت الهجرة متنفسا سليما وانطلاقة رائدة ودافعا قويا الـــى البذل والعطاء . والتضحية والفداء .

ان الهجرة يجب ان تكون اعلاما لكل نفس . وجرسا فى كل اذن . ان طريقها يعطى المســـلم ميلادا جديدا ، والاحرى ان يكون المجتمع كذلـــك حتى ينفض ركام الجهل وما علق به من أدران المادية الطاغية الباغية ، ويهجرها الى صفاء الاسلام ونوره الوضاء متاملا معانى الهجرة . متذوقا حلاوة تلك الكلمة ..

هجرة الى الله .. هجرة الى الله .. هجرة الى الله ..

رئيس التحـــرير
بدر سليمان القصار

المهاجر المعصوم

للاستاذ احمد البسيونى

عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : « لما اقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وهو مردف ابا بكر ، وابو بكر شيخ يعرف ، ونبى الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف ، قال : فيلقى الرجل ابا بكر ، فيقول : يا ابا بكر ، من هذا الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل ، قال : فيحسب الحاسب انه إنما يعنى الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير ! فالتفت ابو بكر ، فاذا هو بفارس قد لحقهم ، فقال :يا رسول الله ، هذا فارس قد لحق بنا ! فالتفت نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم اصرعه ، فصرعه الفرس ، ثم قامت تحمحم ، فقال يا نبى الله ، مرنى بما شئت ، فقال : فقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا ، فكان أول النهار جاهدا على نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر النهار مسلحة له » .

« رواه البخارى »

الشرح والبيـــان :

لم تكن الهجرة من مكة الى المدينة مجرد رحلة ، انتقل بها النبى صلى الله عليه وسلم من بلد الى بلد ، ولكنها خطة وفكرة ، غيرت مجرى التاريخ ، ورسمت للحياة وجها جديدا ، وبها فرق الله بين الحق والباطل ، فكل خطوة من خطوات الهجرة ، تعتبر معلما واضحا على طريق النضال والجهـــاد فى سبيل المبادىء الانسانية ، والمثل العليا ... وأحداثها الجليلة ، منار هدى لعشاق الفضيلة ، والباحثين عن مكارم الأخلاق .

ولقد كانت وقائع الهجرة تجرى بعين الله ، وتتم خطواتها فى حراسة السماء .. وكان المهاجر العظيم صلوات الله وسلامه عليه محفوظا معصوما من كل سوء وردى ، أنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم ترها العيون . فقد أجمعت قريش أمرها على قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ! وفى الليلة التى اعتزموا فيها تنفيذ مؤامرتهم ، أتاه جبريل عليه السلام فقال له : لا تبت على فراشك الذى كنت تبيت عليه، فأسر النبى صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب ، أن يتسجى ببرده الحضرمى الأخضر ، وأن ينام على فراشه ، وكان صلى الله عليه وسلم ينام

من مفردات الحديث :

مردف = أردفه : أركبه خلفه ، والردف بكسر الراء المشددة ، الذى يركب خـــلف الراكب ، ولعل ذلك وقع أحيانا وهما فى طريق الهجرة ، فكان أبو بكر يركب خلـــف الرســـول على ناقة واحدة ، أو معناه أن راحلة أبى بكر ، كانت متاخرة عن راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان لكل منهما راحلة ، وقد أردف أبو بكر فى هذه الرحلة مولاه عامر بن فهيرة ، ليخدمهما فى الطريق .. وأبو بكر شيخ . قد ظهر الشيب فى لحيته ، بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فلم يظهر شيبه يومئذ ، فكأنه شاب بالنسبة لأبى بكر ، والا فهو أسن منه ..

صرعه = طرحه على الارض .. تحمحم = حمحم الفرس ، وتحمحم ، اذا صدر عنه صوت كأنه يريد العلف ..

المسلحة = بوزن المصلحة ، الجماعة المسلحون ، والمراد أنه خرج أول النهار مـــن الطالبين للنبى الباحثين عنه ، وكان آخر النهار من المدافعين عنه ، المخذلين الاعداء عن طلبه فسبحان مقلب القلوب . !!

فى برده ذلك إذا نام ، وقال له : « إنه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم » ثم خرج الرسول الكريم ، وأخذ الله على أبصار الأعداء فلم يروه ! ثم اتجه صلوات الله وسلامه عليه وصاحبه أبو بكر ، إلى غارثور ، وخرج القوم يبحثون عنهما فى كل اتجاه ، حتى وصلوا إلى الغار ، وأحاطوا به ولما شعر أبو بكر بدنو الباحثين ، ورأى أقدامهم تخفق على باب الغار ، قال للرسول هامسا : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ! فأجابه الرسول فى إيمان بالله وثقة بوعده : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ؟ ! وبهذه العناية ، عصم الله نبيه ، فمن الذى أخذ بأبصار المشركين فلم ينظروا تحت أرجلهم ، ولو فعلوا لرأوا طلبتهم المنشودة ؟ ومن الذى سمر أرجلهم فى الأرض ، فلم يتقدموا نحو فم الغار ؟ ومن الذى صرفهم عن الغار وقد هم بعضهم بدخوله ؟

أليست هى الوقاية من الله ، وهى لعمر الحق ركن شديد ؟ !

وقاية الله أغنت عن مضاعفة :. من الدروع وعن عال من الأطم !!

أليست هى العناية ، وهى لطف الله الدقيق الذى يحيل أسباب الهلاك الى فوز ونجاة ؟ !

واختفى منهم على قرب مرآ .: ه ومن شدة الظهور الخفاء !!

ومن المواقف الخالدة التى يزدحم بها طريق المهاجر العظيم ، أن التقى بهذا الموكب المهيب ، رجل من المشركين ، يعرف أبا بكر ، ولا يعرف الرسول وكان أبو بكر معروفا لأهل الجهات لتردده فى التجارة بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل لأبى بكر : من هذا الذى معك ؟ ولم يشأ أبو بكر أن يخبر بغير الصدق ، أو يسمى الرسول بغير اسمه ، وذلك ترفعا عن الكذب، وتنزها عن مخالطته أدنى مخالطة ، وتحاشيا عن الوقوع فيه ولو فى أبسط صورة ، قد تمليها المصلحة العامة ، فقال : هذا الرجل هاد يهدينى السبيل ! ومن هذا الجواب الذكى ، فهم السائل أن المصاحب لأبى بكر ، دليل ماهر ، يجيد التعرف على مسالك الصحراء ودروبها ، بينما يقصد أبو بكر أن الرسول يهديه سبيل الرشد والفلاح ، وتلك هى المعاريض التى أرشد إليها الاسلام ، ليتحصن بها المسلم من الوقوع فى الكذب ، وفى الحديث : « إن فى المعاريض ما يغنى عن الكذب » (١) .

وقد حدث مثل هذا فى غزوة بدر ، فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعه بعض أصحابه ، ليستطلع أمر الأعداء ، فوقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، ؟ وما بلغه عنهم ؟ فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟

فقال الرسول : « إذا أخبرتنا أخبرناك » ! قال : « أو ذاك بذاك » ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : فانه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان

الذى به رسول صلى الله عليه وسلم وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى اخبرنى قد صدقنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به قريش ، فلما فرغ الرجل من خبره ، قال للرسول وصاحبه : ممن أنتما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم « نحن من ماء ! » ــ يعنى صلوات الله وسلامه عليه الماء الذى خلق منه كل انسان ــ ثم انصرف الرسول عن الرجل وهو يقول لنفسه : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ أمن ماء كذا أو كذا ؟

ومنذ آوى النبى صلى الله عليه وسلم إلى غار « ثور » ومعه صاحبه ابو بكر رضى الله عنه استعدادا للهجرة ، ومشركــو مكة يبحثون فى كــل فج ، ويترصدون كل طريق ، ولما داخلهم اليأس من العثور عليهما ، قفلوا راجعين ، يتجرعون مرارة الخيبة وقسوة الحرمان ! روى الامام احمد : أن المشركين اقتفوا الأثر حتى اذا بلغوا الجبل ــ جبل ثور ــ اختلط عليهم الأثر ، فقصدوا الجبل ، فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبــوت فقالوا : لو دخل هنا أحد ، لم يكن نسج العنكبوت على بابه . .

فمكث الرسول فى الغار ثلاث ليال ، ثم استأنف المهاجران العظيمان رحلتهما الشاقة فى ارجاء الصحراء المترامية ، ولم يسلكا الطريق المألوف متجهين الى الشمال حيث المهجر ، بل سار الركب منحدرا الى الجنــوب اسفل مكة ، موليا شطر اليمن ، ثم هو يتجه إلى تهامة ، حتى يقترب من شاطىء البحر الأحمر ، ثم يتجه شمالا فى محاذاة الساحل ، ثم يوغل فى الصحراء صوب يثرب ، كل ذلك اخذا للحذر ، وصرفا للانظار ، وتعمية على الباحثين الطالبين . .

غير ان المشركين وقد شق على نفوسهم أن تبوء محاولاتهم بالفشل ، لجأوا الى المكافأة السخية ، يبذلونها لمن يقبض على المهاجرين الكريمين ، فأعلنوا أن من قتل أو اسر محمدا أو ابا بكر ، كان له مائة ناقة ، ومعناه ان من قتلهما أو أسرهما معا ، كان له مئتان من النوق ، وتلك مكافأة مغرية ، تتحلب لها اشداق الطامعين ، وتحملهم على اقتحام المخاطر للظفر بها !

وفى هذا ما فيه من استنهاض الهمم لتجد فى البحث والطلب ، وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه يعلم ان الأعداء سيتعقبونه فى كل مهرب ، فالتزم فى سيره ــ كما ذكرنا ــ جهة الساحل ، وسلك طريقا غير مألوف للقوافل ، ومر فى طريقه على حى « بنى مدلج » وهناك رآه رجــل منهم فمضى الى مكة يذيع الخبر . .

يقول سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى : بينما انا جالس فى مجالس قومى « بنى مدلج » بقديد ــ مكان قريب من « رابغ » اذ جاءتنا رسل قريش، يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما ــ وهى مائة ناقة ــ لمن قتله أو أسره ، ثم اقبل رجل من عشيرتى فقال : انى رايت اسودة ــ اى اشخاصا ــ بالسواحل ، اراهم محمدا واصحابه ،

فعرفت أنهم هم ، فأومأت إليه بعينى ان اسكت ، ثم قلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يطلبون ضالة لهم .. قال : لعله كما تقول ، ثم سكت .. فمكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت منزلى ، فأمرت جاريتى أن تخرج فرسى خفية إلى بطن الوادى وتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت ، وحاول سراقة فى مغامرته هذه أن يبالغ فى اخفاء أمره على الناس ، حتى لا ينكشف سره ، فيتبعه أحد ، فيشاركه فى قتلهما أو أسرهما ، فخرج من باب خلفى يأخذ طريقه نحو فرسه الذى كان قد أعد له فى مكان بعيد ، وحين أمسك برمحه ، لم يجعله قائما فى يده، لئلا يظهر بريقه لمن بعد عنه ، بل خفض عاليه وجعل يخط بزجه (٢) فى الأرض ومضى يجره وراءه ، حتى وصل إلى فرسه فركبها ، ثم انطلق بها وهى تنهب الأرض ، يدفعها غرور صاحبها ، الذى كانت تساوره الأحلام فى ادراك الغنيمة ، والظفر بالأجر ، وفجأة عثرت به فرسه فألقت به على الأرض ، فنهض كالمحموم وهو يقول : ما هذا ؟ ثم أخرج قداحة يستقسم بها ، ليستشف من أنبائها حجب الغيب ، فيرى ماذا يخبىء له المستقبل ؟ فخرج السهم الذى يكره ، فأبى الا أن يمضى فى طريقه ويعصى الأزلام ، ثم عاد الى فرسه فركبها ، وهو يحاول أن يجمع عزيمته المفلولة ! ثم مضى حتى اقترب من الرسول الكريم وصاحبه الصديق ، وكان الرسول مشغولا بقراءته ودعائه ، يسير الى الامام ولا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات حذرا من الطلب وخوفا على الرسول ، فقال : يا رسول الله ، هذا فارس قد لحقنا ! فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم اكفناه بما شئت .. اللهم اصرعه » فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين ... وتدحرج الفارس الجسور على الارض ، وفرسه بجانبه تحمحم ، يقول سراقة .. : « فركبت فى اثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم ، عثر بى فرسى فذهبت يداه فى الارض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار (٣) قال : فعرفت حين رأيت ذلك انه قد منع منى وانه ظاهر » !!

ولما وقع فى نفس سراقة أن الرسول حق ، اعتذر اليه ، وطلب الأمان منه ، وصاح قائلا : انا سراقة بن جعشم انظرونى اكلمكم ، فوالله لا يأتيكم منى شىء تكرهونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر : قل له : « وما تبتغى منا ؟ » .

قال سراقة :فقال لى ذلك ابو بكر فقلت له : تكتب لى كتاب أمان ، وذلك ليأمن على نفسه وماله لما راى من ظهور أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الزاد والمتاع ، فلم يقبلا شيئا منه وقالا : لا حاجة بنا إلى زادك وطعامك ، ولكن عم عنا الطلب ، فقال : قد كفيتم ! ثم قال الرسول لأبى بكر « اكتب له يا أبا بكر » فكتب له أبو بكر ، أو عامر بن فهيرة كتابا فى رقعة من أدم ـــ بفتح الدال : الجلد المدبوغ ـــ ثم القاه إليه ، فأخذه

فجعله فى كنانته ، ثم رجع فوجد الناس جادين فى البحث عن الرسول وصاحبه ، فجعل لا يلقى أحدا من الطلب الا رده وهو يقول : « كفيتم هــذا الوجه ، لقد اختبرت الطريق فلم أجد أحدا » . وقبل أن ينصرف سراقة قال له الرسول : « يا سراقة ، كيف بك إذا تسورت بسوارى كسرى » ؟! لم يصدق سراقة أذنيه ، وهو يتلقى هذا النبأ المذهل فقال : كسرى بن هرمز ؟ قال الرسول : « نعم » لقد أحس الرجل أن كيانه يوشك أن يذوب من هول ما يسمع ! وانه لأمر يدعو إلى العجب حقا .. سراقة بن جعشم ، العربى البدوى ، الذى لا يجول بخاطره أن تواتيه لحظة فى حياته ، يستطيع فيها أن يقترب من ايوان كسرى ، يبشر الآن بأنه سيلبس سوارى الملك العظيم !! ولكن لم العجب ؟ أليس الخبر خبر السماء ، وحديث الأنبياء ؟

ودارت الأيام وتحققت المعجزة ، يقول سراقة : لما كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة (٤) فدخلت فى كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : اليك .. اليك ، ماذا تريد ؟ فدنــوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لى ، انا سراقة بن جعشم ! فقــال الرسول : « يوم وفاء وبر .. ادنه » فدنوت منه وأسلمت ..

ولما فتحت بلاد فارس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجيىء له بأموالها ، وبسوارى كسرى وتاجه وبساطه . قال عمر : اين سراقة ؟ فلما وقف بين يديه قال له : ارفع يديك .. ثم ألبسه السوارين وقال له : قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول : انا رب الناس ، وألبسهما سراقة بن مالك ، وأخذ عمر يرفع صوته بهذا النداء ، تحقيقا لوعد الله ، ووفاء بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا .. ومع أن الهجرة قد تمت بعناية الله ورعايته ، الا أن الرسول الكريم ، قام فيها بدور كبير ، تجلت فيه سياسته وكياسته ، وحسن تدبيره للأمور ، فقد خطط للهجرة تخطيطا دقيقا ، وقدر لكل خطوة فيها أسباب نجاحها ، وما تفضى اليه من غاية ، ووضع كل جندى من جنود الهجرة ، فى مكانه المناسب ، وناط به العمل الذى يتفق وقدرته وخبرته ، وبذلك تلاقت الأسباب مع نتائجها ، فى اتقان واحكام ، وبذلك نجحت الهجرة ، ومنحها الله التوفيق (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم) .

---

(١) رواه البيهقى فى السنن .

(٢) الزج بضم الزاى والجيم المشددة : الحديد الذى فى أسفل الرمح .

(٣) الاعصار : ريح شديدة معها غبار .

(٤) الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين موضع بين الطائف ومكة ، وهو الى مكة أقــرب وقد نزلها الرسول مرجعه من حنين لما قسم غنائم هوازن .

دولة الإسلام في المدينة

للدكتور عماد الدين خليل

بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، منذ دخوله المدينة ، يسعى الى إنجاز المهام الملقاة على عاتقه فى مطلع المرحلة الجديدة من الدعوة والتى تستهدف انشاء (الدولة الاسلامية) على أسس راسخة وتهيئة كافة الشروط والمتطلبات لتحقيق هذا الهدف .. ولقد كان بناء المسجد الخطوة الأولى على هذا الطريق ، ثم أعقبه إصدار (الوثيقة) و (المؤاخاة) بين المهاجرين والأنصار وتشكيل (جيش) اسلامى مقاتل يمتلك القدرة على حماية الدولة الناشئة والمساعدة على تحقيق أهدافها فى الوقت نفسه .

اولا ــ المسجد :

دخل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ المدينة فى ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، بعد ثلاث عشرة سنة من مبعثه ، وكان راكبا ناقته (القصواء) ، وكلما مرّ بعشيرة من انصاره رجوه أن ينزل فيهم وقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة ، فيجيبهم : خلوا سبيلها ــ أى الناقة ــ فانها مأمورة . فجاوزت به بنى سالم بن عوف وبنى بياضة وبنى ساعدة وبنى الحارث بن خزرج وبنى عدىّ بن النجار . حتى اذا أتت دار مالك بن النجار بركت فى المكان الذى بنى فيه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مسجده . وكان يومئذ مربذا لغلامين يتيمين من بنى النجار يربيهما معاذ بن عفراء ، فنزل

عنها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحمل أبو أيوب خالد بن زيد رحلــه ووضعه فى بيته حيث نزل عليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضيفـا لحين اتمام بناء المسجد والحجرات التى أقام فيها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأهله بعد قليل . وعندما سأل عن المربذ : لمن هو ؟ اجابه معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو ، وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما عنه فاتخذه مسجدا .

أصدر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمره فى البدء ببناء المسجد ، وأسهم بنفسه فى العمل جنبا الى جنب مع المهاجرين والأنصار . وعندما رأى هؤلاء رسولهم الكريم يجهد كما يجهدون ، نشطوا فى أداء المهمة وراحــوا ينشدون :

لئن قعدنا والرسول يعمل ـــ لذاك منا العمــل المضــلل

(لا عيش الا عيش الآخرين .. اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة) .

فيجيبهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : .. اللهم ارحم المهاجرين والأنصار ..) .

وسرعان ما غدا (المسجد) رمزا لما يتسم به الاسلام من شمولية وتكامل ، فقد أصبح مركزا روحيا لممارسة الشعائر وأداء العبادات ، ودائرة سـياسية ــ عسكرية لتوجيه علاقات الدولة فى الداخل والخارج ، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع فى ساحتها أصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتدار فى باحاتها الندوات وتلقى على منبرها المتواضع التعاليم والكلمات ، ومؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة ، ويمارسون التوحيد والاخاء والانضباط ، ومما لا ريب فيه أن (نقص) أموال الدولة الاسلامية فى سنيها الأولــى ، وانشغالها الدائم فى الداخل والخارج ، لم يمكنها من بناء وانشاء مزيــد من المؤسسات المتخصصة لكى تمارس كل منها المهمة التى عهدت اليها ، الأمر الذى جعل المسجد يزدحم بالوظائف والمهام ويغدو ــ على بساطته ــ (مجمعا) تلتقى فيه وتصدر منه كافة فاعليات الحكومة وجزءا مهما من نشاطات الجماعة الاسلامية ، فى علاقاتها الداخلية والخارجية على السواء .

لقد كان بناء المسجد « هو الخلية الأولى للبناء الاجتماعى للأسرة والجماعة بوصفه أداة صهر المؤمنين بالاسلام فى وحدة فكرية واحدة ، من خلال حلقات العلم والقضاء والعبادة والبيع والشراء وإقامة المناسبات المختلفة .. فلم يكن المسجد معبدا أو مقرا للصلاة وحدها بل كان شأنه شأن الاسلام نفسه ، متكاملا فى مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع »

ثانيــا ــ الصحيفــة :

قررت الصحيفة أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس .. وبهذا التقرير الغى النبى الحدود القبلية ، وعلى الاقل لم يجعل لها وجودا رسميا بالنسبة للدولة أو بلفظ آخر ، ارتفع هو عن المستوى القبلى المحدود ، وبهذا أصبح الاسلام ملكا لمن دخل فيه ، فدخل بناء على هذه القاعدة شعوب كثيرة فى الاسلام دون أن يضع

الرسول أمامها عقبات تحول بينها وبين الاشتراك فى حياة العالم الاسلامى .

لقد أقرت الصحيفة مفهوم الحرية الدينية ــ وما يترتب عليه من حقوق المواطنة ــ بأوسع معانيه ، وضربت عرض الحائط مبدأ التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات . ولم تكن المسألة مسألة مناورة مرحلية ريثما يتسنى للرسول صلى الله عليه وسلم تصفية أعدائه فى الخارج لكى يبدأ تصفية أخرى ازاء أولئك الذين عاهدهم .. وحاشاه .. انما صدر هذا الموقف السمح المنفتح عن اعتقاد كامل بأن اليهود باعتبارهم أهل الكتاب ، سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة وينهضون لاسنادها فى لحظات الخطر والصراع ضد العدو الوثنى المشترك ــ كما أكدت بنود الصحيفة نفسها ــ أو أنهم ــ على أسوأ الاحتمالات ــ سيكفون أيديهم عن اثارة المشاكل والعقبات ووضع العراقيل فى طريق الدعوة وهى تبنى دولتها الجديدة وتصارع قوى الوثنية التى تتربص على الحدود .. لكن الذى حدث بعد قليل من أصدار الوثيقة ، وطيلة سني العصر المدنى ، غير مجرى العلاقات بين المسلمين واليهود وجمد البنود المتعلقة بهم ، لا لشىء الا لأنهم اختاروا (النقض) على الوفاء ، والخيانة على الالتزام ، والانغلاق على مصالحهم القومية على الانفتاح على الأهداف العامة الكبيرة للأديان السماوية جمعاء .

إن اصدار الوثيقة يمثل تطورا كبيرا فى مفاهيم الاجتماع والسياسة ، فهذه جماعة تقوم لأول مرة فى الجزيرة العربية ، على غير نظام القبيلة وعلى غير أساس رابطة الدم ، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج فى جماعة الأنصار ، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون فى جماعة المسلمين ، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة فى المدينة الى أمد ، ولأول مرة بحكم القانون حيث ترد الأمور الى الدولة .. ومن خلال تغيير شامل وتحول سريع طوى الدستور صفحة اجتماعية بطابعها القبلى وفتح صفحة جديدة أكثر ايجابية وأقرب الى الترابط والتكافل والوحدة الفكرية .

ثالثا ــ المؤاخاة :

وخطا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطوته الأخرى التي أراد أن يحل بها الأزمة المعاشية التى اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم مكة ، وينظم علاقاتهم الاجتماعية باخوانهم الأنصار ، ريثما يستعيد المهاجرون مقدرتهم المالية ويتمكنون من بلوغ مستوى الكفاية الاجتماعية . فاعتمد أسلوب المؤاخاة والمشاركة بين الطرفين وقال : (تآخوا فى الله أخوين أخوين) فكان ممن تآخوا على سبيل المثال ــ وأثبتت لنا المصادر أسماءهم : أبو بكر الصديق مع خارجة بن زهير وعمر بن الخطاب مع عتبة بن مالك ، أبو عبيدة بن الجراح مع سعد بن معاذ ، عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع ، الزبير بن العوام مع سلمة بن سلامة ، عثمان بن عفان مع أوس بن ثابت ، طلحة بن عبيد الله مع كعب بن مالك ، سعيد بن زيد مع أبى بن كعب ، مصعب ابن عمير مع أبى أيوب خالد بن زيد ، أبو حذيفة بن عتبة مع عباد بن بشر ، عمار ابن ياسر مع حذيفة بن اليمان ، أبو ذر الغفارى مع المنذر بن عمرو ، حاطب بن

أبى بلتعة مع عويم بن ساعدة ، سلمان الفارسى مع أبى الدرداء ، بلال مع أبى رويحة . .

لقد كان (الإخاء) تجربة رائدة فى تاريخ العدل الاجتماعى ، ضرب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيه مثلا على مرونة الاسلام وانفتاحه ، فى الظرف المناسب ، على أشد (أشكال) العلاقا تالاجتماعية مساواة وعدلا ، ورد فيه وفق المنطق الإلهى الذى لا يحابى ولا يداجى على كل القائلين بأن الاسلام جاء لكى يمثل (إصلاحاً) جزئيا للمسألة الاجتماعية ، لأن (العصر) الذى تصوغه (وسائل الانتاج) لم يتح له أن يتحرك لصياغة عالم جديد من العلاقات لم تسمح (المرحلة الانتاجية) بعد بصياغته ولم تأمر بها !! فهناك المزيد من التجارب الاجتماعية التى تصفع هذا التحليل الخارجى الصارم . تلك التجارب التى لا تقل فى خطورتها ودلالتها عن تجربة المؤاخاة . .

لقد نجحت التجربة لأن الأرضية التى اقيمت عليها ، والقيادة التى خططتها ونفذتها استكملتا كل شروط النجاح فى مجتمع شاب يحكمه مبدأ العطاء قبل الأخذ . وتشده أواصر العقيدة وحدها ويوجهه الايمان العميق فى كل حركاته واعماله وفاعلياته . . ويقوده الرسول الأسوة الذى ضرب ، بتجرده وايثاره وانسلاخه عن الأخذ وعطائه الدائم ، مثلا عاليا ومؤثرا يحرك حتى الحجارة الصم لكى تنبجس فيتدفق منها الماء . . وأنى لتجربة كهذه أن تفشل وتتعثر والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخوض مع أصحابه تجربة الفقر والجوع فى سنى الهجرة الأولى ويعانى كما يعانون . . دون أن يفكر يوما بأن يمتطى (منصبه الأعلى) ليسلك طريقا آخر غير الذى يسلكه اتباعه ، فيثرى ويفقرون ويشبع ويجوعون ، ويأخذ ويعطون . . أو لم يشك له أصحابه يوما الجوع ، ويكشفوا عن بطونهم التى شد كل منهم عليها حجرا ، لكى يؤكدوا له ما يعانونه . . فاذا به يبتسم ، وقبل أن يتكلم يكشف عن بطنه فاذا بقطعتين من الحجارة قد شدتا عليها ؟ !

إن تجربة المؤاخاة نجحت ، وكان لا بد لها أن تنجح ، ما دامت قد استكملت الشروط وتهيأت لها الاسباب فى القيادة والقاعدة على السواء ، وبغض النظر عن عدد الذين تآخوا عشرات كانوا أم مئات أم الوفا . .

وخلال ذلك أخذت الصلاة شكلها النهائى ، وفرضت زكاة الفطر ، وكتب الصيام ، ورسمت الحدود وفرض الحلال والحرام ، وحدد (الأذان) كنداء يدعى به المسلمون الى الصلوات الخمس ، وكانوا يجتمعون لمواقيتها ، دونما دعوة . أما القبلة فقد كانت لأول أمرها متجهة صوب بيت المقدس ثم حولت الى الكعبة بعد سنة ونصف من الهجرة .

رابعــا ــ الجيش :

هنالك أسباب عديدة ومتشعبة ، تفسر عدم السماح للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ باعلان الجهاد (المسلح) ضد الوثنية حتى أواخر العصر المكى ،

هَـدَف الهجـرَة

وعلى وجه التجديد : الأيام التى سبقت بيعة العقبة . وهذه الاسباب ترتبط ولا ريب بالاسلام كحركة وبالأرضية أو البيئة التى يتحرك عليها . اذ لم يكن الاذن بالقتال لأصحاب الرسول قبل أن يكتمل نموهم العقيدى ويصل مرحلة النضج ، وقبل أن يزداد (عددهم) بما يمكنهم من توجيه ضرباتهم المؤلمة وتحمل الضربات المضادة من جهة أخرى ، دون أن يتعرضوا للتشتت والفناء . وقبل أن يضـع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطواته الاولى صوب بناء (الدولة) التى ستحمل العقيدة الجديدة وتحميها ، منتقلا بذلك من مرحلة بناء الانسان المسلم والجماعة المسلمة والتى استغرقت العصر المكى كله .

وفى الجهة المقابلة كانت (البيئة) التى يتحرك فيها الاسلام بيئة قبليـة تعير اهتاما كبيرا لصلات النسب والقربى ، الأمر الذى مكن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أن يجد حماية (طبيعية) فى عشيرته بنى هاشم التى ذاقت معه ــ بسبب تقاليد مكة القبلية ــ اشد تجاربه الما والمتمثلة بسنى الحصار الصعب فى شعب ابى طالب . وكان رفع السلاح بوجه المشركين سيستفز عشيرة الرسول نفسه ويبعدها عن نصرته فتتركه واصحابه وحيدين ليس من يحميهم ، فتحصدهم سيوف قبائل قريش جميعا . أما وهو ينشر دعوته (سلما) ويتعرض واصحابه لذلك الاضطهادالذى لم يصل حد محاولة القتل الا فى اللحظات الأخيرة ، فان ذلك لم يؤد الى ابقاء بنى هاشم وأحلافهم الى جانب دعوته فحسب ، بل استفز نخـوة الكثيرين من رجالات وأبناء القبائل الأخرى للظلم الذى يلحـق بأبنائهم وأخوانهم ودفعهم الى مناصرة الدعوة الجديدة أو الانتماء اليها . وما يقـال عن التركيب القبلى للمجتمع المكى ، يقال عن جزيرة العرب كلها حيث كانت قبائلهـا ستقف مرتاحة لزعيمتها قريش وهى تحصد رؤوس مجموعة من بنيها القتلة الذين حملوا السلاح ضد آبائهم واخوانهم ، ومهتاجة مغضبة ازاء الظلم والقسوة والاضطهاد الذى ينصب على الدعاة الجدد دون أن يحملوا سلاحا أو يقتلوا أحدا .. هـذا فضلا عن الأمل العميق فى هداية قريش وانتمائها الى الدين الجديد ، واعتمادها ــ كأعرق قبيلة فى الجزيرة ــ منطلقا الى العرب جميعا .

الا أن مرحلة بناء الانسان والجماعة المسلمة ما كادت تشرف على نهايتها ، ويضع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطواته الأولى صوب بناء الدولة الاسلامية فى (يثرب) ، وتصعد قريش اضطهادها ومقاومتها لاتباع الدين الجديد، حتى نزل الأذن بالقتال المسلح ، قبيل بيعة العقبة الثانية التى انهت العصر المكى وفتحت الطريق الى العصر المدنى الجديد .

ورغم أن اتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان معظمهم قد مارسوا القتال فى جاهليتهم وعرفوا كيف يحملون السلاح ويستخدمونه فى ظروف لا (يبقى) فيها من لا يحمل سلاحا ، ورغم أن الأنصار الذين قامت دولة الاسلام فى المدينة على اكتافهم ، قد أعربوا للرسول يوم بيعتهم الأخيرة فى العقبة عن قدراتهم فى القتال وبأسهم فى الحرب ، وقالوا : « نحن أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر »

. . الآن الظروف الجديدة التى بدأ الاسلام يجتازها ، وتصاعد الموقف الحربى بينه وبين القوى الوثنية وبخاصة فى اعقاب الهجرة الى المدينة ، ونزول الآيات القرآنية **تؤذن** ببدء القتال المسلح ، حتم على الرسول ان ينمى هذه القدرات وان يدفع اتباعه الى مزيد من التدريب والمهارة العسكرية فى مواجهة الأعداء الـــذين يحيطون ــ بالدولة الجديدة احاطة السوار بالمعصم . وراح الرسول القائد ، طيلة العصر المدنى ، يعمل ــ دونما وهن ــ على تعليم اتباعه فنون القتال وتدريبهم على استعمال السلاح ، رافعـا شعارا واضحا لا غموض فيه (**. . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفّ اليكم وأنتم لا تظلمون »** (الانفال) ، معتمدا فى سعيه لتكوين (المقاتل المسلم) علـى اسلوبين متوازيين : التوجيه المعنوى والتدريب العملى .

فى **أولاهما** كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسعى الى رفع معنويات المقاتلين ، بمنحهم أملا يقينيا بالنصر أو الجنة . ومنذ تلك اللحظات ، وفيما بعد ، ظل هذا (**الأمل**) يحدو الجندى المسلم فى ساحات القتال ويدفعه الى بذل كل طاقاته وقدراته النفسية والجسدية والفنية من أجل كسب المعارك أو الموت تحت ظلال السيوف ، مجتازا باستشهاده الخاطف السريع ، الجسر الذى يصل أرض المعركة بالجنة ، حيث الخلود الدائم والنعيم المقيم ولذة القرب من الله سبحانه الذى قال مخاطبا المؤمنين : **(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله . .)** آل عمران . وهذا (البذل) الذى شهده تاريخ الاســلام منذ عهد الرسول صلى الله عليــه وسلم هو الذى كان يفجر طاقات المسلم القتالية ويميل كلا منهم الى عشر مقاتــلين !! وينادى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصحابه دوما ، فى لحظات المصير الحرجة بين النصر والهزيمة لكى يهرعوا الى احدى الحسنيين : النصر أو الجنة !!

أما الأسلوب الثانى الذى اعتمده الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو التدريب العملى ، فقد سعى من خلاله الى اعتماد كل طاقات الأمة القادرة على البذل والعطاء : رجالا ونساء ، صبيانا وشبابا وشيوخا ، والى التمرس على كل مهارة فى القتال : طعنا بالرمح وضربا بالسيف ورميا بالنبل ومناورة على ظهور الخيل ، كما أكد على ضرورة تعلم القتال فى كل ميدان برا وبحرا !! تنفيذا لشعار الله (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (الانفال) على اطلاق (القوة) !!

قال : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، الا إن القوة الرمى ، الا ان القوة الرمى) رواه مسلم وغيره والرمى يعنى إصابة الهدف . . وحتى العصر الحـديث والحروب (التقنية) ، تجنى الانتصارات ــ بالدرجة الاولى ــ بمقدار مقـدرة الجندى على اصابة هدفه بالرصاصة أو القنبلة أو الصاروخ . . وقال . . (الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة) (الاجر والمغنم) رواه البخارى دفعا لأصحابه الى التمرس على الفروسية وتعلم ركوب الخيل فى قتال يلعب فيــه الفرسان دورا كبيرا .

وقال (صلى الله عليه وسلم ــ وهو يمزج خطى التربية العسكرية المتوازيين : التوجيه والتدريب ، الأمل بالنصر أو الجنة ــ وتقديم الجهد فى ساحة القتال أو فى الخطوة الخلفية ، صنعا للسلاح أو إمدادا به (أن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبله) (رواه أحمد والثلاثة) وشاهد رجل فى أطراف المدينة ، عقبة بن عامر يحمل السلاح ويمارس التهدف ، راكضا من مكان الى مكان ، فسأله (تختلف بين هذين الموضعين وأنت شيخ كبير ؟) أجابه الشيخ (لأمر سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم ــ قال : وما ذاك ؟ أجاب الشيخ : (سمعته يقول : من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا) ! بهذه اللهجة الحاسمة (ليس منا) ذلك أن الذى لا يعرف السلاح ابتداء والذى يعرفه حينا من الوقت ثم ينساه ، سواء .. على العكس ان هؤلاء الذين يذهبون إلى سوح القتال وهم يحملون سلاحا لا يعرفون كيف يضربون به ، سرعان ما يتعرضون للارتباك والرعب فتحصد رؤوسهم ويكونون كارثة على رفاقهم الذين يشل الموقف قدراتهم على استخدام السلاح .

بهذه الاجراءات الاربع وضع القرآن الكريم والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ القواعد الأولى لدولة الاسلام فى المدينة ، وأخذت التشريعات المنبثقة عن هذين المصدرين ، تنمو وتتسع يوما بعد يوم ، لا بطرائق نظرية تجريدية منفصلة عن الحياة والواقع ، وانما وفق نفس الاسلوب الذى كانت الآيات المكية تتنزل فيه لكى تبنى العقيدة فى اذهان ونفوس الانسان والجماعة المسلمة وهو اسلوب يرتبط ارتباطا عضويا حيويا بالواقع الحركى والتجربة الحية المعاشة ، ومن ثم تجيىء معطياته أشد التصاقا بحركة المسلمين ونمو دولتهم ، وأكثر التحاما بتجربتهم المحسوسة ، وواقعهم المعاشى ، واعمق فهما وإدراكا لمتطلباتها وابعادها القانونية والسلوكية نظرا لمواكبتها لمشاكلهم وتجاربهم اليومية ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم .

لقد بدأت مرحلة بناء الدولة الاسلامية (العقائدية) فى أعقاب الهجرة حيث كانت المرحلة السابقة مرحلة بناء الانسان المسلم والجماعة المسلمة قد اكتسبت ملامحها الاساسية فى العصر المكى ، وغدا المسلمون ــ افرادا وجماعات ــ على استعداد نفسى وذهنى كاملين لتقبل ما سيجيىء من تشريعات وما سيفرض من تنظيمات ويوضع من حدود ويرسم من علاقات بعد أن هيأهم النضج العقيدى لتقبل كل ما يصدر عن الله ورسوله و (الاسلام) له و (الايمان) به و (التقوى) خلال ممارسته فى السر والعلن ، و (الاحسان) فى انجازه على احسن ما يكون الانجاز ، دون تردد أو سلبية أو خيانة أو غش أو تملص أو رفض أو تهرب .. انما هو الخضوع اليقينى المتبصر بأن هذا الذى يتنزل فى ميدان التشريع والتقنين انما هو الحق المطلق والخير الكامل والصواب الذى ليس بعده الا الضلال المبين .

وقد اتاح هذا التطور لسير الدعوة الاسلامية ان يتأصل البناء الجديد

على أسس متينة متوغلة فى أعماق النفس المسلمة على المستوى الفــــردى والجماعى على السواء ، فجاء متماسكا مترابطا ثابت الاركان ، فضلا عن ان الاحساس الجديد (بالزمن) و (بالمسؤولية) و (يقظة الضمير) التى غرستهـــا العقيدة الاسلامية فى النفوس ، دفعت المسلم ليس الى تقبل التشريعات والحدود والأوامر الجديدة وتنفيذها بدقة فحسب ، بل الى كسب الوقت و (المسارعة) فى تحويلها الى وقائع معاشة وتجارب حية وترجمات يومية وصيغ منقوشة على صفحة المكان والزمان دفعتهم الى السعى (للاحسان) فى الأداء والابـــداع فى التنفيذ من أجل بلوغ المرحلة القصوى من رضاء الله وطاعته .. وقد اتاح هذا كله اطرادا عجيبا فى نمو الاجهزة التشريعية للدولة الناشئة وسرعة مدهشة فى نزول متطلباتها الى الشارع والبيت والسوق والمسجد والميدان ، الأمر الذى يفسر لنا ، على المستوى الحضارى ، الاختزال الزمنى المدهش الذى مارســـه المسلمون وهم يبنون عالمهم الجديد وحضارتهم المتوازنة .

لقد كان من حسن حظ البشرية أن الاسلام تبرأ من أول يوم من حواجـــز الجنس والارض واللسان واستهدف قيام الأخوة العالمية بين المؤمنين .. ولما كانت دعوة الاسلام لم تأت من البداية الى بلد معينة فانها كانت خطوة تقدمية الى الأمام نحو تحقيق ما بذلت المحاولات لتحقيقه من بعد وهو تدويل المجتمـــع الانسانى .. وبجانب عالمية الدعوة فان الاسلام أقام نظام (الحج) ونظــــام (الخلافة) من أجل تحقيق هذا الهدف .

ان دولة الاسلام هى دولة (العقيدة) التى قامت على أن السلطـــة الحاكمة العليا هى الله .. القوة المحايدة التى تقرر المبادىء والموجهات العامة ، اذ هى لا تميل مع فرد أو جماعة ولا تنحاز لحاكم أو محكوم (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا**) .

لقد أعطى الاسلام بمجتمعه الاول ذلك النموذج الذى عاش مدى العصور فى نفوس المسلمين وعقولهم مثلا يحتذى وصورة شامخة من صور المثل الاعلى للمجتمع الانسانى السليم المتكامل الذى يقوم على الاخاء والحب والتســـامح والتكافل . وليس هذا المجتمع صورة مثالية غير واقعية ، ولكنه تطبيق أميـــن لمفهوم الاسلام ومضمونه وايديولوجيته . وما تزال صورة هذا المجتمع الاسلامى الاول باتساقها وصلابتها وسلامتها فى فهم مضمون الاسلام ومنهجه تعطى علامة القوة فى تطبيق الاسلام .. فمن هذه الجماعة الاسلامية انطلقت (الدعـــوة الاسلامية) إلى العالم كله .. وليس صحيحا ما يدعيه بعض المستشرقين ، ومن تابعهم ، من أن سياسة هذه الجماعة لا تلائم طبيعة العمران ، أو أنها توفقت الى رجال يندر اجتماعهم فى عصر .. ولم يكن مجتمع المدينة ، كما تحاول أن تصوره مختلف كتب السيرة ، مجتمع حرب وغزوات وقتال . فلو اننا احصينا عـــــدد الغزوات الكبرى فيه وأيامها لما تجاوز ذلك فى مجموعة بضعة شهور فى خـــلال عشر سنوات . ومن هنا فان المجتمع الاسلامى فى المدينة قد قام فعلا وبنى خلالها دعامتين واضحتين : نظام مجتمع ونظام دولة ، كما بنى تشريعا وقانونا .

الارتباط بين الخلق والدين

للدكتور وهبه الزحيلي

قامت المدنية الحاضرة على اسس من الفضائل ، ومجموعة من القيم الشخصية والاجتماعية والانسانية ، كانت منطلقا وفاتحة لكل تقدم ونهضة، وسبيلا راسخا لاتمام صرح وطيد الأركان شامخ البنيان ، ثم بدأت هذه المدنية تتعثر فى خطاها ، وتحفر بايديها قبرها المنتظر ، لأنها تخلت فى ابان مجدها وعنفوان شبابها عن القيم الانسانية ، والأخلاق السوية ، واتجهت فى منحى مادى بحت ، وبلغت حمى المادية الساخنة درجة الذروة فى دخيلة نفوس اغلب صانعيها ، والقائمين عليها ، فصارت الغاية تبرر الواسطة ، واصبح الشره او التطلع الى التخمة من متع الحياة الرخيصة هو المسيطر على الأفكار والمحرك للهمم ، والباعث على العمل الدائب الذى لا يعرف الراحة .

وكان تأثر المجتمعات المتخلفة ، والبلاد التى نكبت بالاستعمار الأثيم ، نتيجة هذا الانحراف فى مسيرة المدنية ، شديدا وخطيرا ، بل وانكى واضر ، مما اصيبت به مهاد المنشأ ، وبلاد التقدم والتصدير والتصنيع . فقد لاحظنا أن أثر الاستعمار فى اضعاف الخلق والدين كان

اشد الآثار ، وهذا أمر مقصود مخطط له ، فقد شاع فينا الفساد ، وعنينا بالقشور ، وتركنا الجوهر ، وضللنا الغاية والهدف الصحيح .

ومن المؤسف أن نجد أناسا يروجون للانحراف الخلقى ، ويحاولون وضع قيم للمجتمع على أســاس من الهوى والعقــل المحض الذى يزعم أصحابه أنهم دعاة تطور وتقدم وتمدن ، وان الجديد ينبغى ان يحل محــل القديم فى كل شىء ، حتى فى العادات والأعراف . والسبب الكامن وراء كل هذه الأهواء وتمييع مفهوم الاخلاق وتغيير المفاهيم هو بتر الصــلة بين الدين والأخلاق ، وبين الدين والحياة ، وقصر الفضــيلة على بعض المسالك الشخصية التى لا تضر ولا تنفع . لــكن اتباع الهوى على هذا النحو مضيعة للقيم ، مجبة للخراب والدمار ، لأنه قطع للصلة بين الأمة وبين نور الهداية الســماوى المتمثل حاليا فى القرآن الــكريم الذى هو بصــائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم . ومن مشكاة هذه الهداية أنه حذرنا عن اتبــاع الأهواء ، فقال تعــالى : ((**أفرايت من اتخذ الهه هواه واضــله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون**)) (الجاثية ٢٣) .

وتعاضد السنة النبوية كتاب السماء ، فيقول عليه الصلاة والسلام . « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجــاب المرء بنفســه » رواه الطبرانى .

ولقد أصبحت الثروة ، واقبال الدنيا على العرب ، وسعة المــال ووفرة الغنى من أهم الاسباب المبعدة عن هداية الله ، وتشويه الأخلاق ، واضعاف القيم والفضائل ، أو الابدال بها غيرها . ومن أعلام النبــوة المعجزة ما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن فقال : « ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها ، كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم » رواه البخارى ومسلم « ان مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » رواه البخارى ومسلم .

وكأنى بالنفط والثروة المعدنية فى جزيرة العرب وحوض الفــرات أراه منوها عنه فى أحاديث نبوية أخرى : « يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو » رواه مسلم . « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد احدا يقبلها ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا » رواه مسلم .

وهكذا أوجدت المدنية المعاصرة ، ومادية الحياة بين الناس فى دنيا العرب والاسلام مجموعة من التناقضات والتعقيدات والانعكاسات المؤثرة فى نفس المسلم ، وأدت الى شبه انفصال بين الدين والاخلاق السوية ، التى عهدها سلف المسلمين ، بل والى تحول وتغير فى مفهوم الأخلاق فى آفاق المجتمع ، وفى أواصر الأسرة ، وظلال البيوت .

فهل من ضرورة لارتباط الدين بالخلق فى واقع العصر ، وهل هناك تغاير أو تباعد فى المفهوم والغاية بين الدين والاخلاق ، وهل حل محل هداية السماء فتنة المدنية بقضها وقضيضها ، خيرها وشرها .. ؟! الحقيقة أن هناك تلازما دائما بين القيم الخلقية ، والشرائع السماوية ، فلا تباعد بينها ، ولا انفكاك فى مفاهيمها ، وتؤدى كل منها غاية واحدة اذا ظلت الأخلاق فى مسيرة هداية السماء .

قال سعد زغلول : « كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة » فالدين منبت الاخلاق ومصدر اشعاعها ونموها ، بل هو الرقيب عليها ، والمقوم لها اذا انحرفت أو تأثرت بالأهواء والمصالح المادية والشخصية . والاخلاق أيضا تساعد فى تقوية اليقين والاستمساك بالدين ، وتدفع الى ضرورة التزام أوامر الله وتجنب نواهيه .

ولقد حصر النبى صلى الله عليه وسلم مهمته بما اعلن : « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه ابن سعد والبخارى فى كتاب الأدب والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة . فاستحق الثناء عليه من الله تعالى بأسمى الصفات الانسانية اذ قال عنه : **« وانك لعلى خلق عظيم »** (القلم ٤) . وهو الخلق الذى أمره الله تعالى به وحدده له فى قوله سبحانه : **« خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »** (الاعراف ١٩٩) . وكانت بذلك أمة النبى خير أمة أخرجت للناس ؛ ما دامت كما وصفها الله به من أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ولقد فسر عبد الله بن المبارك حسن الخلق بقوله : هو طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى . ويمكن القول بأن خلق الاسلام هو العمل بأحكام القرآن المجيد ، فعن عائشة رضى الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن ، الست تقرأ القرآن : قد افلح المؤمنون .. أوائل سورة (المؤمنون) . وآية اخرى فى الدلالة على اصول الأخلاق هى قوله عز وجل : **« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين »** (آل عمران ١٣٤) .

ووردت فى السنة النبوية أحاديث صحاح تشيد بالخلق الحسن ، وانه كاد يسع خيرى الدنيا والآخرة ، منها : « البر حسن الخلق » رواه مسلم والترمذى « ان من اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم بأهله » رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح على شرطهما **« ان العبد** ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل ، وانه لضعيف العبادة ، وانه ليبلغ بسوء خلقه اسفل درجة فى جهنم » رواه الطبرانى ورواته ثقات سوى شيخه المقدام بن داود وقد وثق . **« ان احبكم الى احاسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وأن ابغضكم الى المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبرآء العيب »** رواه الطبرانى فى الصغير والاوسط .

فالشريعة السماوية التى جاءت واسطة لاسعاد الانسان ، ودفعة الى أوج المدنية والعمران ، واقامة المجتمع الفاضل وتنظيم وجوه النشاط

لمختلفة والعلاقات الاجتماعية ، تكمل رسالة الأخلاق . والأخلاق التى هى أصول الفضائل الانسانية تحتضن شريعة الله ، فترسم طريق المعاملة الالهية ، كما ترسم طريق المعاملة الانسانية ، فتبلغ بالنفس أعلى درجات الكمال .

وبذلك يظهر أن الدين والاخلاق من مشكاة واحدة ، وغايتهما ، ونهايتهما متحدة ، ومغزاهما موحد ، فهما من جانبين مختلفين يؤديان غاية واحدة ، كشجرتين متجاورتين تظلل احداهما الاخرى ..

فالوفاء وشكر النعمة ، والاخلاص والصدق ، والأمانة والاستقامة والعفة والنزاهة ، والعدل والسخاء والشجاعة ، والمروءة والشهامة ، والنجدة والاغاثة ، والتراحم والتعاون ، والمجاهدة والعزة ، ونحوها ، كما هى نواميس اخلاقية ، كذلك هى أصــــول الدين ومنهج الشرائع السماوية ، وغاية الاصلاح والدعوة الدينية .

ويتضح لنا صدق هذا التلاقى بين الدين والخـــلق ، أو بين الدين وتنظيم الحياة من عدة جوانب ، أهمها الجانب الالهى ، وجانب التعبد ، وناحية المعاملات والعلاقات الاجتماعية ..

ففى الجانب الالهى : أليس الاعتراف بوحدانية الاله الخـــــالق ، والايمان بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، طريق الســــمو والتكريم الانسانى وعزة النفس ، وعرفان الجميل وتقدير النعمة وشكر المنعم ؟

وفى جـــانب العبـــادات : أليس تطبيق انظمتها وقوانينهـــا بثقـــة وعقيدة وخشوع واطمئنان وســـيلة لتربية الضمير وتقوية الوجدان ، وشحن النفس بالعواطف الخيرة التى تسمو عن أوضار المادة الطاغية ، وتقوى الروح ، وتشحذ العزيمة ، وتربى الارادة الصلبة ، وتتغلب على كل عوامل الضعف السلبية .. ؟! فهل الصلاة المقرونة بحضور القلب ومراقبة الله وخشيته وتعظيم الحق واجلال الله ، سوى واسطة للنهى عن الفحشاء والمنكر ، والكف عن السوء والأذى ، والبعد عن مختلف أنواع الجرائم الشخصية والاجتماعية ، الأدبيـــة والمادية .. ؟! وهـــل الطهارة الا ملاذ الصحة ونقاء البشرة ونظافة الانسان ودفع الضرر عنه ؟!

وهل الصيام المروض للنفس والجوارح والاعضاء سوى أنه تدريب عملى فعال لاحتمال المكاره ، والصبر عند الشدائد ، وعن الشهوات ، وتقوية الارادة ، وتعلم فضيلة الصدق والامانة والوفاء ، وضبط النفس عند الأهواء ، والعفة والقناعة ، والاحساس بألم الجائعين ، وشـــدة المكروبين ، ورقة المشاعر ، وتنمية العواطف الانسانية الرحيمة .. ؟! :

« ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشــــــكرون » (البقرة ١٨٥) .

وهل الحج بقطع المسافات والأسفار سوى كونه نقلة مادية للتعرف على اخوة العقيدة ، وغرس الشعور العملى بالتواضع والمساواة بين الناس : « الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، ان اكرمكم عنـــــد الله أتقاكم » ؟! هذا فضلا عما فى الحج من فوائد اقتصـــــادية واجتماعية وسياسية ودينية أخرى بتقديم العمل الصالح لعالم الآخرة ليكون دليلا

على صلاح الانسان : ((**ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات**)) (البقرة ٢٠٣) ((**الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج**)) (البقرة ١٩٧) .

وهل الزكاة والصدقات والنذور والكفارات وبقية الواجبات المالية العامة الا أنها أسمى مظهر اجتماعى لتضامن الغنى والفقير والفرد والجماعة وتأمين المصالح العامة ، وغرس فضيلة السخاء فى النفس ، وتطهيرها من رذيلة الشح والبخل ، واستلال الضغينة والحقد من قلوب البائسين ، وحقدهم على الاغنياء ، وانهاء مشكلة الصراع الطبقى فى أوساط المجتمع المسلم ؟! : ((**خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم**)) (التوبة ١٠٣) .

وفى جانب العلاقات والمعاملات الاجتماعية اليست نظم الشريعة طريقا لاسعاد الفرد والجماعة ، واقامة معالم الفضيلة ، وتكوين المجتمع المثالى ؟! اليس توقيع العقاب على الجانى تأمينا وراحة للجماعة ، وصونا لحرمات الأموال والأعراض والنفوس والكرامة والحقوق الادبية والمادية وسلامة الجسد والعقل وحياة الناس جميعا حياة مطمئنة راغدة مستقرة : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ((**ولكم فى القصاص حياة يا اولى الألباب ، لعلكم تتقون**)) (البقرة ١٧٩) .

اليس تنظيم العقود والتصرفات المدنية واشتراط الشروط اقامة للعدل ، ومنع المنازعات ، وصيانة الحقوق المالية ، وتوفير الرضا ، والاستقرار ، والثقة فى التعامل بتحريم الغرر والمقامرة والجهالة والغبن والاستغلال والخديعة والتدليس والغش والتغرير والاحتيال ونحو ذلك ؟! وذلك من أجل عيش هانىء ، وحياة أطيب ، وسعادة أفضل ، وتكوين مجتمع قوى : ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون**)) (النحل ٩٧) .

الم يكن تنظيم شئون الأسرة واعتبار الزواج ميثاقا غليظا وتوزيع الارث حفاظا على الأعراض وتقديس روابط الأسرة وتقرير بقاء النوع الانسانى ودعم علاقات الأقارب على أساس متين من البر والرحمة والإحسان والتعاون وعدم انحلال الأسرة لتكون صرحا قويا فى بناء المجتمع .. ؟!

الم يعتبر تشريع الجهاد دفاعا عن النفس ودفع الظلم ورد العدوان وحماية كيان الأمة والبلاد والأوطان ، واعلاء كلمة الله والحق والعدل ، ونشر دعوة الاصلاح والخير فى بقاع الارض .. ؟!

الا يعتبر اباحة الطيبات تكريما للانسان وحبا لبقائه وتقديرا له ، وأن تحريم الخبائث والنجاسات والمضار حفاظا على صحته وجسده وعقله ليكون عضوا قويا فى بناء المجتمع ، وليتمكن من اداء رسالته فى هذه الحياة .. ؟!

هل نجد أفضل من تنظيم الارث فى القرآن والسنة لتوزيع المال بالعدل وتفتيت الثروة وعدم حصرها فى أيدى فئة قليلة ، وابعاد

مستحقيها عن الوقوع فى النزاع والحقد والشحناء والتباغض ؟! ويمكن أن يقال مثل ذلك فى توزيع الغنائم والزكوات ونحوها من حقوق المـــال الاجتماعية .

كل هذا دليل قاطع على أن الاسلام بالذات يستهدف من وراء كل تشريعاته اقامة مجتمع فاضل ، وتحقيق مغزى اجتماعى اصيل حتى فى العبادات كما بينا ، مما يدلنا على أن الدين أساس الأخلاق ، وأن الأخلاق الكاملة صورة صحيحة عن الدين ، فكل من لا خلاق له لا دين له ، وكـــل من يدعى خلقا من دون دين فهو ماكر مخادع وصــــياد للمنافع ، وبعيد النظر والفكر لاستغلال بعض جوانب الأخلاق لحماية وتأمين مصالحه ، فأخلاقه ناقصة ، وغير مقدسة وعرضـــــة للهزات والتميع والتبدل وفق المصلحة . .

وبرهان ذلك واقع اغلب الناس الآن ، فهم يعتبرون الخداع مهارة ، والكذب وسيلة ، والمواربة شطارة ، والنفاق كياســـة ولباقة ، والمـــكر سياسة ناجحة ، والغدر والخيانة مصلحة مطلوبة ، والغش والاحتيال مقدرة ، وخلف الوعد سائغ العذر . ويسوغون انقلاب هذه المفـــاهيم واختلال معايير الفضيلة ، وعدم القدرة على تطبيق قوانين الدين والاخلاق بأن الظلم فشا فى المجتمع ، فأصبح العدل ظلما ، والفضـيلة رذيلة ، والصراحة وقاحة ، والاخلاص زيفا ، والصدق كذبا ، والعفة والأمانة سذاجة وتزمتا ورجعية ، والتدين هزءا وسخرية .. الخ وقد صـــدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان يدعو ويتعوذ قائلا : « اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء » رواه الترمذى والطبرانى والحاكم .

ويبين خطورة التنكر للقيم والاسلام ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « لتنتقض عرى الاسلام عروة عروة ، فكلما انتفضت عروة تشبث الناس بالتى تليها ، وأولهن نقضا : الحكم ، وآخرهن الصلاة » رواه أحمد .

فالدين والأخلاق أمران متلازمان ضروريان لاقامة كل مدنية فاضلة دائمة خيرة فى مصلحة الانسان ، ولن تكون فى مصلحته إذا لم ترع قيم الدين الثابتة ، ونظم الاخلاق المتفق عليهـــا ، ولم تقتصر على النـــواحى المادية القاسية ، أو الاغراق فى اللهو والترف والانحلال ، كما هى عليه حال بلاد الغرب فى أوروبا وأمريكا ، وبلاد الشرق فى روسيا وتوابعها . وحينئذ فلا تخدعنا المظاهر المدنية العارية عن الأخلاق والآداب والقيـــم الانسانية العامة ، أو المعتبرة مجرد سمات كمالية محضة تأتى بعد ارواء المصالح ، أو للمتاجرة بها فى حقول الضعفاء والمساكين .

هذا ايماننا وعقيدتنا بضرورة تأسيس أى نهضة على أساس من الدين والخلق المتلازمين ، والا كانت هذه النهضة وقتية مهددة بالزوال والدمار ، لأن المدنية الحقة هى التى تجمع بين القوتين : المعنوية بتهذيب النفوس ، والمادية بدعم الاقتصاد والمال .

من دروس الهجرة

للشيخ عبد الله كنون

من أوضح الأدلة على ان الهجرة حدث عظيم فى حياة الاسلام أن الصحابة رضى الله عنهم جعلوها مبدأ التاريخ فلم يؤرخوا بمولده صلى الله عليه وسلم ولا بمبعثه ولا بغزوة بدر التى سجلت أول انتصار للاسلام على الشرك ولا بفتح مكة الذى طهر البيت الحرام من عبادة الأصنام ورفع راية التوحيد على جزيرة العرب فأصبحت منارا يهتدى به العالم فى ظلمات الجهل والالحاد .

ان كل هذه الاحداث تصلح لأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامى لولا ما يقترن بكل منها من معنى لا يتلاقى مع هدف الرسالة الخالدة أو يضؤل أمام ما أدت اليه الهجرة من نتائج لانتشار الدعوة لا تطال ..

فالميلاد وان كان هو مبدأ انبثاق النور المحمدى الا أنه ربما صرف الناس الى الاهتمام بذات الشخص ، والاسلام أتى حربا على هذا الاهتمام فانه قاد النصارى الى تأليه المسيح .

والبعثة هى فى الحقيقة أول مظهر تجلت فيه عناية الله بهداية الخلق من جديد ، بعد أن انحرفوا عن الصراط المستقيم وما أتتهم به الرسل السابقون من شرع ودين .. ولكن

اثرها لم يظهر ظهوراً بينا ولم يتحقق المراد منها الا بعد الهجرة ، وقد ذاق المسلمون فى أعقابها الأمرّين ، وهاجروا فرارا بدينهم الى الحبشة ، وكانت الأعوام التى تلتها ، فترة امتحان شديد لهم وللنبى نفسه عليه الصلاة والسلام ..

كذلك وقعة بدر وفتح مكة ، فانهما معركتان هامتان أدال الله بهما للمسلمين من عدوهم وأعقبهم نصرا وتمكينا ، إننااذا نظرنا الى الامر بعين الواقع ، نجد أنهما من ثمرة الهجرة وخيرها وبركتها .

فالهجرة اذن هى المنطلق العملى والموقف الحاسم فى تاريخ الاسلام وكل ما تحقق بعدها من منجزات وتتابع من نجاحات فهو محسوب عليها وراجع اليها ؛ ولذلك لما تداول عمر مع الصحابة فى أمر التاريخ **فقال بعضهم أرّخ لمبعث رسول الله** صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال هو لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان **مهاجره فرق بين الحق والباطل ، كما** جاء فى تاريخ الطبرى وغيره .

ولا شك أن الهجرة كانت تضحية كبيرة من المسلمين الأولين ، فقد فارقوا أرضهم وتركوا أموالهم وديارهم فى سبيل المحافظة على عقيدتهم والممارسة لدينهم وحريتهم ، ومنهم من فارق أهله وذويه وأحب **الناس اليه من أب وأم وزوجة وولد ،** صدعا بأمر ربهم وإيثارا لطاعته وطاعة رسوله على أهواء أنفسهم

كما قال تعالى فى حقهم :
« للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » .

وقد قوبلت هذه التضحية من مسلمى المدينة ، وهم الأنصار ، بما تقتضيه الاخوة فى الدين من تعاون وتضامن ، فخلطوهم بأنفسهم وتقاسموا معهم أموالهم وديارهم ، وآثروهم على الحاجة بما عندهم كما قال عز وجل فيهم : **« والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .**

وكانت أعظم نتائج هذه الحركة هى تجمع المسلمين فى موطن واحد يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم والدعوة الى دينهم والتجاهر بما لم يكونوا يستطيعون التجاهر به من العمل على ارساء قواعد المجتمع الاسلامى واقامة حكومة شرعية تناهض الفساد والظلم والاستبداد ، وهكذا ما كادت تمر سنة على حادث الهجرة حتى وجد المشركون انفسهم أمام قوة اسلامية تقاتلهم على كلمة الله ومقاومة التجبر والطاغوت وتنتصف منهم وهى قلة قليلة وينهزمون مثخنين وهم كثرة كاثرة .

انها قوة التجمع والتكتل تساندها العقيدة الصادقة والايمان الراسخ **فتفعل الاعاجيب وتصنع المعجزات** ولو بقى المسلمون متفرقين موزعين ما بين مكة والمدينة ، لما استطاعوا

من دروس

الهجرة

أن يفعلوا شيئا ، وان كان الله قادرا على نصرة نبيه واعلاء كلمته ، ولكنه عز وجل لم يشرع الشـرائع وينزل الأديان بما يخالف سننه فى الـكون وأحكامه فى الخلق من تعـاطى الاسباب واتخاذ الوسائل ، ولذلك قاتل النبى صلى الله عليه وسلم وأعد العدد وحفر الخندق وبعث السـرايا وخرج فى غزوات عديدة بنفسه يريد جهة ويورّى بغيرها لأن الحـرب خدعة ، واستطلع أخبار العدو وأقام الحراس وأخذ بالاحتياط فى شؤون التمـوين وغيره وعالج المرضى والمجروحين ولم يترك الأمر فوضى ويقل إن على الله أن يكفينا ويصلح أحوالنا بدون سعى ولا عمل .

واستفاد أصحابه من هذا الدرس فقال له المقداد يوم بدر : لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لنبيهم : **((فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون))** بل نقول : ((اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون)) ولـما قال أبو عبيدة لعمر وقد عدل عن دخول الشام حين علم أن الطاعون أصـابها : **((أفرارا من قدر الله يا عمر ؟ أجابه** عمر : نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ! لو غيرك قالها يا أبا عبيدة !)) يعنى لأدبته .

ان الحركية التى دبت فى المسلمين بسبب الهجرة والنتائج الملموسة التى ترتبت عليها ، هى التى دفعت بهم بعد ذلك الى فتح البلاد واخضـاعها لحكم الاسلام ، فلم تمر على قيـام الدعوة الاسلامية ثلاثة عقـود حتى دخلت فى طاعتها جميع الاقطار التى تكوّن امبراطوريتى فارس والروم ، ولم يكتمل القرن الأول حتى شـمل نفوذها ما بين الصين شرقا وأسبانيا غربا .

لقد كانت الهجرة هى المنطلق لهذا العمل الجبار ، وذلك لأن المهاجرين لم يكن وكدهم هو الايواء الى مكان أمين يطمئنون فيه على أنفسهم ودينهم ، كما يفهم الهجرة بعض الناس ، ولكنهم كانوا يطلبون الأمن والاطمئنـان ، للتخطيط لمستقبل الاسـلام ونشر الدعوة واعلاء كلمـة الحق ومنع الظلم والتحكم فى رقاب العباد لأنهم فهموا أن هذا هو مرمى الرسـالة المحمدية والغـاية من بعثة النبى العربى عليه السلام وانزال القرآن واعداد الأمة العربية للمهمة العظمى التى حملها اياها هذا الكتاب العزيز المنزل بلغتها الضادية المبينة ، فقاموا على قدم وسـاق وبذلوا النفس والنفيس لتحقيق هذا الهدف وكانوا خير أمة أخرجت للناس ..

بهذا كانت الهجرة أبرز حدث فى نظر عمر رضى الله عنه حين وضـع تاريخ الاسلام فأصبح يقـابل تاريخ الميلاد فى جميع تواريخ العالم ، وبهذا المفهوم تصورها سلفنا الصالح حتى كان التجار منهم اذا نزلوا بلدا نائيا لم يبلغه الاسلام ولم تصله دعوته ، نصبوا أنفسهم دعاة لله ومبشرين به فأسلم الطم والرم من سكان البـلاد الافريقية والآسيوية بدون أن يجلب عليهم أحد بخيل ولا ركاب .

ثم نشأ بعد ذلك جيل فهم الهجرة فهما محدودا ، فكان اذا رأى بدعة أو منكرا أو حدث تسلط من العـدو على بعض بلاد الاسلام شد الرحلة الى بلد يعتقد أنه بمأمن من سـيطرة العدو ، أو أن شعائر الاسلام فيه بمنجى من التحدى والتطاول ، وهو يرى أنه هاجر الى الله ورسـوله

اقتداء به صلى الله عليه وسلم وبصحابته الكرام .. وزاد فى الطين بلة ان كثيرا من الفقهاء صاروا يفتون بتحريم الاقامة فى أرض العدو أو أرض لا تقام فيها شعائر الاسلام ، ناسين أو متناسين هجرة الصحابة الاولى الى الحبشة ، وهى لم تكن أرض اسلام ، وما طوق الله به المسلمين من تبليغ الدعوة الى دينه لكل من لم تبلغه ، وان ذلك لا يتأتى وهم قابعون فى عقر دارهم ولا باهمال واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كلما ظهر موجبه ، والانتقال الى بلد يظن المنتقل اليه أنه قائم على أمر الله لا مخالفة فيه لأحكام الشريعة ويعد ذلك هجرة ، فان صاحب الشرع عليه السلام قابل الهجرة بما يعادلها من العمل لنصرة الاسلام حين قال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فيصدق ذلك بالقيام بواجب الأمر والنهى وواجب التبليغ — طبعا — فى دار الكفر والالحاد والوثنية . وهذا لا يتأتى الا بالسفر اليها والاقامة فيها .

وقد أخذ بهذا النظر مخالفونا فى العقيدة وبخاصة المسيحيون ، فكانوا منذ العصور الوسطى التى شاعت فيها تلك الفتوى بيننا ، يقصدون بلادنا للاقامة صناعا وتجارا ومتجولين ، ومنهم من كان يقوم بالدعوة الى دينه ، ومن يتجسس علينا لصالح أمته ، وعظمت هذه الحركة واتسعت حتى نشأت عنها مأمورية التبشير والمبشرين وحركة الاستشراق والمخابرات وكثرت الجاليات الاجنبية فى بلادنا واكتسبت حقوقا صارت تعرف بالامتيازات ، وربما عقدت بيننا وبين بعض دولهم معاهدات تعطينا نفس الحقوق فى بلادهم لكنا لا نستعملها ولا نستغلها ، ففيما نرى الكنائس والمحلات التجارية والمنشآت الاجتماعية التى تخصهم قائمة فى كل مكان من بلادنا ، لا نرى عددا من المساجد فى بلادهم ولا من الجاليات الاسلامية . يضاهى ذلك من قريب أو بعيد .

وبقدر ما استفادوا هم من الهجرة الى بلادنا خسرنا نحن أعظم الخسارة فلم نبشر بدين ولم ننشر دعوة ولا روجنا تجارة ولا مارسنا حقوقا اكتسبناها بالمقابل بل لم نفتح أعيننا على حضارة جدت وصناعة تطورت ، وعلم وفنون ومعرفة تقدمت وازدهرت وغاب عنا الكثير منها ..

وها نحن اليوم بعد أن اضطرتنا الظروف القاهرة الى كسر ذلك المفهوم الخاطىء عن الهجرة ، واقبلنا على البلاد الاجنبية زرافات ووحدانا ، طالبين للمعاش بصفة عمال أو تجار صغار أو ما الى ذلك ، ما هى أعمالنا بشأن رفع راية الاسلام والدفاع عن كرامة بلادنا والدعاية لقضايانا ولا سيما قضية فلسطين والعدوان الاسرائيلى على بلاد العرب .. ؟

أخشى أن أقول لا شىء . ولكنى اذا قارنتها بعمل اليهود فى تلك البلاد أقول جازما ، لا شىء وقد كانت الحفنة القليلة من المسلمين الأولين الذين هاجروا الى الحبشة ، اكثر نشاطا منا وايمانا برسالتهم ، فلم يفتأوا أن اثروا فى النجاشى نفسه وادخلوه فى دين الاسلام وصار هو أيضا من الدعاة الى الدين الحنيف .

هذا ومهاجرونا الى أوروبا وأميركا يعدون بمئات الآلاف ، فلنأخذ هذا الدرس من الهجرة ، ولنحتفل بها على هذا الاساس ، أساس التبليغ والدعوة الى الاسلام ..

أضواء على حركة المنافقين في عهد النبوة

للأستاذ عبد القادر طاش التركستاني

● اساليب المنافقين فى محاربة الدعوة :

سلك المنافقون لمحاربة الدعوة الاسلامية طرقا متعددة .. واستعانوا فى حربهم ضد الاسلام بأسلحة خبيثة نذكر منها :

١ — الخداع والتمويه :

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون »(١) « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم »(٢) . والخداع : هو عدم مطابقة الظاهر للباطن ومن مظاهر خداعهم انهم « ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون »(٣) وأيضا « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول . وكان الله بما يعملون محيطا »(٤) . وقد عمدوا الى الخداع ليحققوا ما يأتى :

أ) ان يكونوا محل احترام الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

ب) وأن يقوموا بأدوار التجسس ويتربصوا بالمؤمنين الدوائر ..

جـ) واتقاء القتل ان هم اظهروا الكفر .

د) والطمع فى الغنائم(٥) .

٢ — ومن اساليبهم « اضعاف شأن المسلمين فى الحروب » ويتضمن الوانا منها :

(١) التخلف عن الجهاد والقعود عن القتال فاذا رآهم من هو اقل منهم من العامة اقتدوا بهم وادركهم شيء من الفتور والتثاقل وكان بعضهم يخرج مع المسلمين ولكنهم يعودون من

الطريق ويقولون ما ندرى علام نقتل أنفسنا فاذا رجعوا كان لذلك أثر فى رجوع طائفة من ضعفاء الايمان وعامة المسلمين كما حصل يوم أحد (كما سيأتى) :

(٣) وفى أحيان كثيرة لا يكتفون بتخلف وقعود بل ويشيرون — بكل صفاته — على غيرهم بالقعود معهم ويزينون لهم التأخر .. فيقعد من يقعد ويخرج الى القتال من يخرج فاذا قتل هؤلاء قالوا (لو أطاعونا ما قتلوا) .

(٢) وفى أحيان كثيرة لا يكتفون مع الجيش المسلم ولم يرجعوا من الطريق لم يكن دأبهم الا السعى بالفتنة وبث روح التخاذل فى الجيش (٦) .. وصدق الله « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » .

٣ — ومن أساليبهم : الوقيعة بين المسلمين واثارة الفتن والاضطرابات فى المجتمع الاسلامى . وقد كانوا ينتهزون فرص الخلافات الفردية الطفيفة لتوسيع شقتها واذكاء نيران الخلاف والحمية الجاهلية بين المسلمين .. وفى غزوة بنى المصطلق تدافع غلامان على الماء أحدهما لرجل من المهاجرين والآخر لرجل من الانصار فصاح المهاجرى يا للمهاجرين وصاح الانصارى يا للأنصار .. وسمعهما عبد الله بن أبى بن سلول فلم يتركها تمر دون أن يستغلها فرصة للتفرقة بين المسلمين فقال قولة الجهل والحقد : قد ثاورونا فى بلادنا والله ما مثلنا وجلاليب قريش هذه الا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك .. ثم أقبل على من فى مجلسه فجعل يعاتبهم ويلومهم قائلا : ما فعلتم بأنفسكم .. احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم .. أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم الى غيرها .. والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . وأرادها الرجل فتنة بين المهاجرين والانصار .. ولكن الله أحبط كيده وحفظ جنده .. !

٤ — الغض من جلال الرسالة بالاستهزاء برجالها واختراع الأراجيف فى حقهم . فهم يسخرون من آيات الله ويستهزئون بها . « واذا ماانزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا » (٧) ويلمزون النبى صلى الله عليه وسلم فى توزيع الصدقات ويتهمون عدالته « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم »(٨) « وكانوا ينتقصون اتقياء المؤمنين فى سخرية وتهكم قال رجل منهم فى جماعة من صلحاء القراء : ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا السنة وأجبننا عند اللقاء » (٩) انه الحقد ولا شىء غيره .. !! والمنافقون هم الذين اخترعوا حديث الافك وتولوا كبره وكانوا يريدون بذلك ضرب الاسلام بتشكيك الناس فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته .. (وسيأتى حديث ذلك مفصلا) .. واغتنم المنافقون فرصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش فنشروا الدعايات المسمومة وعند تحويل القبلة ثارت أحقادهم وطفقوا يتساءلون بوحى من اليهود والمشركين أسئلة تنضح سخرية واستهزاء وتشكيكا ..

٥ — ومن أساليبهم تدبير الاتصالات السرية مع اليهود والمشركين والنصارى للايقاع بالمسلمين . وقد

تقدم آنفا ذكر شيء من علاقة المنافقين بالجالية اليهودية بالمدينة وعرفنـــا كيف أنه كانت بين اليهود والمنافقين معاهدات سرية .. ونذكر هنا أيضا أن رهطا من المنافقين بزعامـــة (أبى عامر الراهب) قد سافر الى ملك الروم النصارى يستنصره على النبى صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه . وأقام عنده . وقد كتب الى جماعته من أهل النفاق يعدهم ويمنيهم انه سيقدم عليهم بجيش رومى لقتـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه سيغلبه ويرده عما هو فيه .

٦ ــ ومن أسلحتهم الشماتة من المؤمنين . فلقد « منى المنافقـــون بالفشل فى كل تدبير فلم يكن لديهم الا ســــلاح العجز والذلة وهو : الشماتة .. ان كان ذلك مما يعد سلاحا فصاروا يفرحون بمصـــائب المؤمنين ويتربصون بهم الدوائر » .. وقد اضفت هذه الشماتة « على قلوبهم اوضارا من الخسة والدناءة والـــى انفسهم اقنعة يتسترون بها من مهانة العجز »(١٠) قال تعـــالى : « ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصـــبك سيئة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتـــولوا وهم فرحون »(١١) وقال تعالى : « ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بهـــا وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط »(١٢) .

وحدث اثناء بناء مسجد رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، أن مات اسعد بن زرارة رضى الله عنه فكان اليهود والمنافقون يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه .. !!

٧ ــ اسلوب التجويع ــ ان صح هذا التعبير ــ وقد اتبع المنافقون اسلوب التجويع ضد المســـــلمين وتشير الى ذلك الآية « يقـــولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا »(١٣) .

وهذا الاسلوب من وحى أوليـــاء الشيطان (اليهود) واتبعوا هــــذا الاسلوب حتى ينفض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه تحت وطأة الضيق والجوع .. وهى خطة ذليلة خسيسة اتبعتها قريش وهـــى تقاطع بنى هاشم فى الشعب ويتبعها الشيوعيون اليوم فى حرمان المتدينين فى بلادهم من بطاقات التموين ليموتوا جوعا أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة .. وهى خطة كل من يحـــاربون الدعوة الى الله « ذلك انهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هى كل شيء فى الحيـــاة كما هى فى حسهم . فيحاربون المؤمنين »(١٤) ، ولكن المنافقين ــ وكل أعداء الدعوة ــ ينسون حقيقة بسيطة يذكرهم بها القرآن الكريم فيقول « ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقـــين لا يفقهون »(١٥) .

دور المنافقين فى المعارك الاسلامية

فى معركة بدر :

للمنافقين دور خطير فى المعارك الاسلامية تتراوح بين التخلف عـــن الجهاد وتخذيل المسلمين عن الخروج وبث الفتنة بينهم ونشر الاراجيـــف الكاذبة والدعايات المســـــمومة والشماتة من النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه .

وقد بدأت أعمالهم التخريبية بعد (غزوة بدر الكبرى) حينما علموا بانتصار المســـــلمين فتحركت فى نفوسهم كوامن الحقد والحســــــد والبغضـــــاء ، واخذوا ينشرون الاراجيف قبل مقدم الجيش الاسلامى الى المدينة فقال أحدهم : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون معـــه أبدا . قد قتـــــل محمد وغالب أصحابه . وهذه ناقته عليها زيد بن حارثه لا يدرى ما يقول من الرعب .

وكان زيد بن حارثه قد أرسل من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم على ناقته ليبشر أهل المدينة بالنصر فلما سمع أسامة مقالة ذلك المنافق ذهب الى والده ليسأله .. فلما تبين له الحق جاء الى المنافق وفضح أمره وقال : أنت المرجف برسول الله . لنقدمنك الى رسول الله اذا قـــدم فليضربن عنقك . وهكذا انطلقوا فى معظم معارك الاسلام يثبطون الهمم وينشرون الاكاذيب ويسعون بالفتنة « الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين » وسنرى معا أمثلة لأدوار المنافقين فى كثير من المعارك .. بادئين بغزوة أحد .

فى احد :

كانت هذه الموقعة من أولى المواقع التى كشفت عن المنافقين وفضحت كثيرا من مكائدهم ونواياهم التآمرية . ولقد وضع المنافقون فى هذه الغزوة خطة غادرة لاحداث الفشل والارتباك فى صفوف المسلمين ويمكن تلخيص ذلك فيما يلى :

● أيد عبد الله بن أبى بن سلول الرأى القائل بأن يكون الدفاع عن المدينة من داخلها وأن يلتزم المسلمون دورهم ليحاربوا الاعداء المغيرين فى السكك ومن فوق البيوت والصياصى .. والظاهر أن المنافقين واليهود قد رأوا الفرصة سانحة للقضـــاء على المسلمين فرأوا أن يندسوا بينهـــم فيكونوا بمثابة (الطابور الخامس) للمشركين فيحدثوا البلبلة والفتنـــة والكيد الغادر فى صفوف المسلمين .

● وعندما فشل ابن أبى .. حيث صدرت أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة انتقل الى دور ثان من خطته فاذا بستمئة يهودى يجتمعون بسلاحهم تحت أمرته ومعهم ثلاثمئة من أتباعه وأرادوا الانضمــام الـــى المســـلمين ولكن الرسول رفض اشتراك اليهود فى الجيش ليأمن من اجتماع تيارات متناقضة فى الجيش الاســـــلامى وليحقق الوحــدة فى القيـــادة .. ويحتفظ بالروح المعنوية لدى المسلمين .. ولئلا يستعين بكفار لمحاربة كفار مثلهم .. وكان ذلك مفـــاجأة غير متوقعة لابن أبى .. ومع ذلك فقد خرج ابن أبى بكتيبة المنافقين فقط .. وادلجوا مع المسلمين الى (الشوط) قريبا من (أحد) حتى حانت صـــلاة الفجر .. وعند ذلك انخذل ابن أبى بتلك البقية .. وكر راجعـــا الى المدينة .. !!

● واثناء رجوع المنافقين من احد اراد ابن أبى أن يحدث فتنة فى الصف المسلم فقال ــ تخذيلا وتفريقا ــ : ما ندرى علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس .. ! وكادت الفتنة أن تشـــتعل فعلا وذلك ان طائفتين من

الانصار وهم (بنو حارثه من الأوس. وبنو سلمه من الخزرج) هموا بالانصراف وكانوا جناحى المعسكر ثم عصمهما الله وظلوا فى الجيش فذلك قوله تعالى : « اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا . والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(١٦) .

● وبقى بعض المنافقين فى الجيش واستمروا معه فى القتال وكان بعضهم يطلق سهام القيل والقال والارجاف بالمفتريات « وطائفة قد اهمتهم انفسهم . يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . يقولون هل لنا من الامر من شىء . قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك . يقولون : لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا .. » (١٧) .

وقد ارجف بعض المشركين بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فهب بعض المنافقين يقول : لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم. ولكن تلك الاراجيف والمفتريات لم تزد المسلمين الا صمودا وتصميما على القتال وقالوا " ما تصنعون بالحياة بعده .. (يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم) : قوموا فموتوا .. على ما مات عليه .

● وعندما رجع المسلمون من الغزوة شمت المنافقون واليهود ايما شماتة بما اصاب المسلمين لكثرة القتلى ولقتل حمزة بن عبد المطلب .. رضى الله عنه .. ثم شمتوا اكثر من ذلك لما اصاب الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه من الأذى والجراح .. وصاروا يقولون : ما محمد الا طالب ملك . ما أصيب هكذا قط .. وجعلوا يخذلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ويقولون : لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل !!

تلك هى الخطوط العريضة للدور الهدام والموقف التخريبى الذى وقفه المنافقون فى معركة أحد(١٨) .

فى غزوة بنى النضير :

كانت هذه الغزوة فى السنة الرابعة من الهجرة . وقد كان سببها غدر بنى النضير — وهم من اليهود — برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حينما دبروا أمرا لاغتياله صلى الله عليه وسلم ومن معه فى محلتهم وقد انتدبوا لهذه المهمة(عمرو ابن حجاش بن كعب) ولكن الله الهم رسوله ما يبيت يهود من غدر .. فقام كأنما يقضى أمرا ثم دخل المدينة وامر المسلمين بالتهيؤ للحرب لظهور الخيانة من بنى النضير وكان قد سبق هذا اقذاع كعب بن الاشرف — من النضير — فى هجاء رسول الله وتأليبه الاعداء عليه فاذن رسول الله لمحمد ابن مسلمة فى قتل ابن الاشرف فقتله .. وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم محلة بنى النضير وامهلهم ثلاثة أيام وقيل عشرة ، ليفارقوا جواره ويجلوا عن المحلة على أن يأخذوا اموالهم ويقيموا وكلاء عنهم على بساتينهم ومزارعهم ..

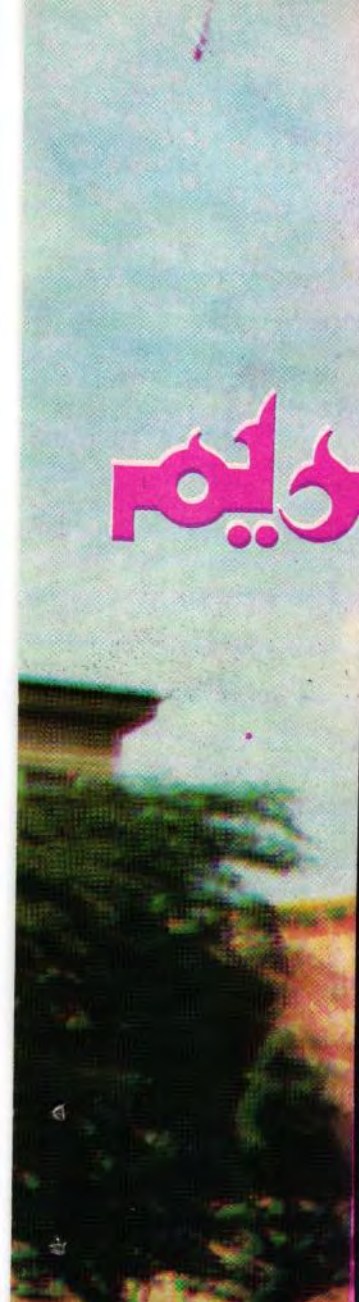
.. ولكن المنافقين ارسلوا رهطا منهم الى بنى النضير فقالوا لهم : اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ان

قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم .. وهكذا نرى المنافقين يخونون المسلمين وينضمون الى اعدائهم ولكن الله يبطل كيدهم ويفضح أمرهم اذ لما بلغ الحصار ستا وعشرين ليلة يئس اليهود من صدق وعد المنافقين لهم وعلموا انهم « لئن اخرجوا لا يخـــــرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم . ولئن نصروهم ليـولن الادبار ثم لا ينصرون » (١٩) وعنـد ذلك طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم كما سبق جلاء بنى قينقاع فأجابهـــم الرسول صلى الله عليه وســـلم فاحتملوا من أموالهم ما استطاعوا . وكان الرجل منهم يهدم بيته فيحمله على بعيره أو يخربه حتى لا يقـــع فى أيدى المسلمين . وكان المسلمون قد هدموا او خربوا بعض الجدران التى اتخذت حصونا فى أيام الحصار .. ويكشف القرآن الكريم عن طبيعة المنافقين فيقول « لأنتم اشد رهبة فى صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون . لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جـدر . بأسهم بينهم شديد .. »(٢٠) ويضرب الله للمنافقين الذين أغروا اخوانهم بالثبات ثم تخلوا عنهم مثلا بحـــال الشيطان مع الانسان يستجيب لاغرائه فينتهى واياه الى شر مصير فيقـول تعالى : « كمثل الشيطان اذ قـــال للانسان : اكفر — فلما كفر قال : انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين »(٢١)

— ● —

---

(١) البقرة ٩ .
(٢) النساء ١٤٢ .
(٣) النساء ٨١ .
(٤) النساء ١٠٧ .
(٥) النفاق والمنافقون ٣٩٩ و ٤٠٠ .
(٦) كانت للمنافقين ادوار خبيثة فى المعارك الاسلامية كما سياتى . وراجع تذكرة الدعاة ٢٦٧ و ٢٦٨ .
(٧) التوبة ١٢٤ .
(٨) التوبة ٦١ .
(٩) تذكرة الدعاة ٢٦٩ .
(١٠) النفاق والمنافقون ٣٠٦ و ٣٠٧ .
(١١) التوبة ٥٠ .
(١٢) آل عمران ١٢٠ .
(١٣) المنافقون ٧ .
(١٤) فى ظلال القرآن م ٨ ج ٢٨/١١٤ و ١١٥ .
(١٥) المنافقون ٧ .
(١٦) آل عمران ١٢٢ .
(١٧) آل عمران ١٥٤ .
(١٨) ملخص من كتاب النفاق والمنافقون ١٢٨ — ١٤٢ .
(١٩) الحشر ١٢ .
(٢٠) الحشر ١٣ .
(٢١) الحشر ١٦ و ١٧ .



دار القرآن الكريم

- أعداد تربو على الألف تنتظم في دار القرآن الكريم .
- مختلف الجنسيات تتوافد على الدار لحفظ كتاب الله .
- مستشارون وقضاة وضباط وجنود وعمال جنباً إلى جنب .

اعداد : عبد الستار محمد فيض

تصوير : مجلة الوعى الاسلامى

من المشروعات التى أنجزتها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت مشروع دار القرآن الكريم ونظرا لأهمية هذا المشروع الجليل والذى يعتبر فريدا فى نظامه ومنهجه رأينا أن نعطى للقارىء الكريم فكرة توضح مدى اهتمام الوزارة بتحفيظ القرآن الكريم وتمكين الدارسين من جودة ترتيله وفهم آياته بصورة تربط المسلم بخير كتاب وخير منهج .





مبنى دار القرآن الكريم .. ويقع في « المباركية » أكثر مناطق الكويت ازدحاما .



مـــدير الـــدار

وقد برزت فكرة هذه الدار الى الوجود منذ ثلاث سنوات .

وجولة قصيرة فى رحاب هـذه الدار التى تثير احساساتك بالرهبة والخشوع تنبئك بأنها أول دار من نوعها فى الخليـــج والجزيـرة العربية .

لهذا كان لقاؤنا هذا العدد فـى دار القرآن الكريم ، ومبناها يقع فى أول شارع فلسطين بمنطقـة سوق المباركية بالقرب مـن وزارة الدفاع .

مع مدير الدار :

والتقيت هناك بفضيلة الشيخ حسن مراد مناع المستشار الثقافى للوزارة والذى عهد اليه بأن يكون أيضا مديرا للدار ، وبعـد لقـائى به طلبت منه أن يعـرف القـارىء بالغرض من انشـاء دار القـرآن الكريم وما هى الدوافع التى جعلت الوزارة تولى هـــذا المشـروع الاهتمام البالغ ؟

وأجاب فضيلته قائلا :

مما لا شك فيه أن حفظ القـرآن الكريم أمنية تتردد أصداؤها فى كـل نفس مسلمة لتسعد به لسانها، وتمتع به قلبها ، وتقوى عقيدتها حين تقوم به انحراف أفكارها ، وتقيم به الحجة الساطعة والبرهان القوى .

وما دام القـرآن الكريم ــ وهو هدية الله الى خلقه ــ قد أنقذ البشرية من ضلال، وهداها من حيرة ، وتحول به الفرد المسلم من مخلوق لا وزن له الى انسان له رسالة وغاية ، وصار به المجتمع المسلم يحس بالرحمة بعـد القسوة ، وبالهـدى بعد الضلال ، وبالأمن بعد الخوف ، وبالعلم بعـد الجهل ، لأنه عاش فى ظلال منهج نظم له أفكاره ومفاهيمه ، ووضع له نظمه

وقوانينه وصدق الله تعالى اذ يقول **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الـى النور بإذنه ويهديهـــم الـى صراط مستقيم) .**

ما دامت هذه رسالة القرآن الكريم فالمسلمون أصبحوا فى أمس الحاجة اليه لمواجهة كل دعوة ضالة ومذهب غوى آثم ، والوقوف بكل قــوة امـــام موجات الاباحية والتحلل والالحـــاد ، ونظرا لعدم وجود مكاتب أو مراكـــز او مدارس متخصصة لتحفيظ القرآن الكريم رأى المســئولون فـــى وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية أن ينشئوا هذه الدار ليمكنوا جمهـــور المسلمين الراغب فى حفظ القــرآن ومعرفة ترتيله وفهم آياته .

وقد دفعهــم الى انشائها الشعور بالمسئولية تجاه كتاب الله الكريـــم



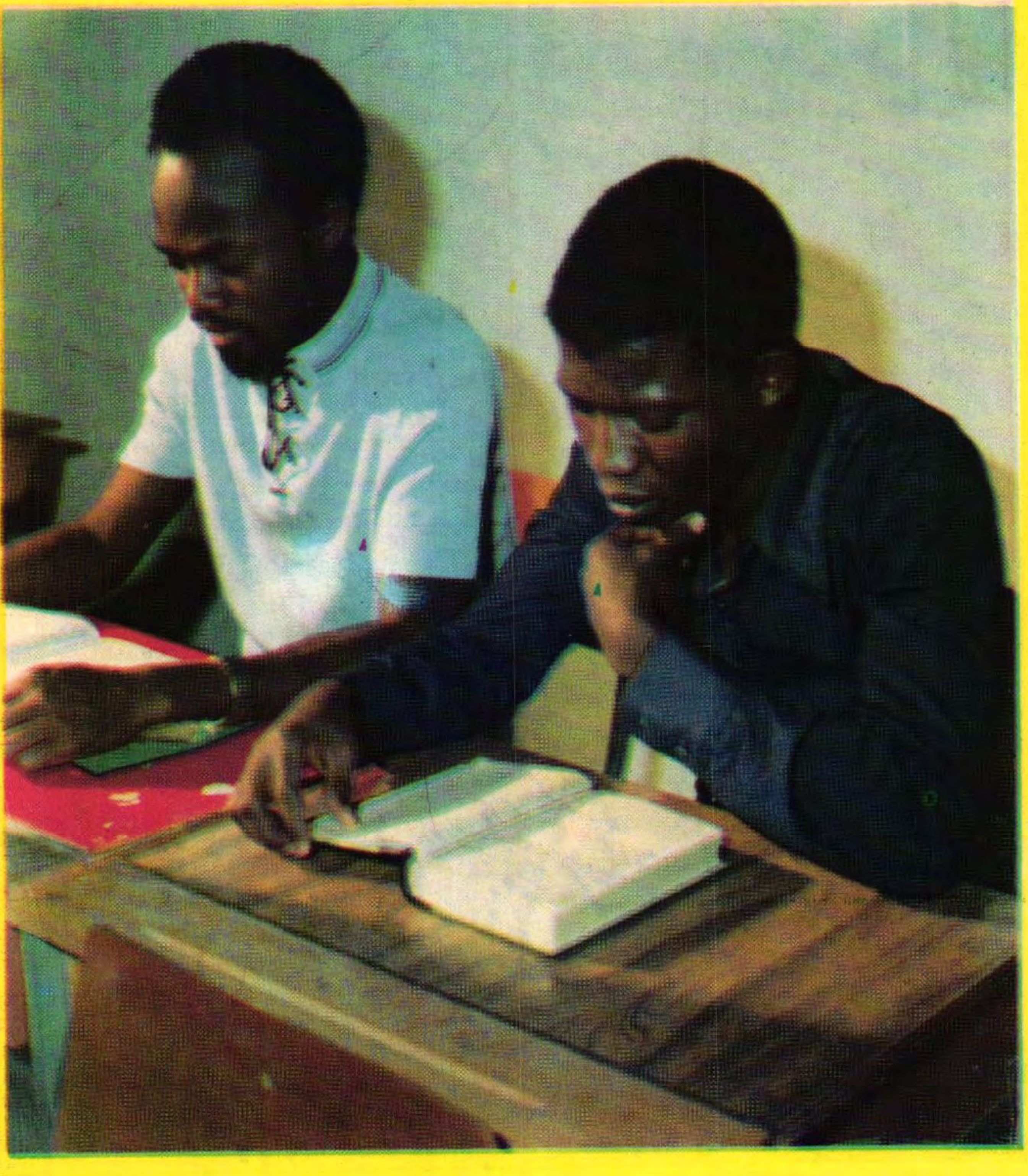
الأستاذ عبد الرحمن المجحم وكيــل الوزارة والأســتاذ عبد الرحمن الفارس الوكيل المســاعد فى جولة تفقدية لــدار القرآن الكريم حيث تحظى الدار دائما بالاشراف المباشر مــن قبل المسئولين بالوزارة .



من بادية
الكويت



من ماليزيا



ومن افريقيا

اكثر من جنسية مختلفة تجمعهم دار القرآن الكريم تحت سقف واحد
يرتلون آيات الله ويتعلمون احكام قرآنه ويتفهمون تفسيره ولغته ..

والمحافظة عليه وخاصة بعد أن استطاع الاستعمار بشتى الوسائل أن يباعد بين المسلمين وبين القرآن الكريم الى حد ما ، وليس تحفيظ القرآن مستحدثا فى الكويت بل كان التعليم فيه الى عهد قريب قاصرا على تحفيظ القرآن وتدريس علومه .

وحينما انصرف الكثير من الناس عن هذا النوع من التعليم مسايرة للدراسات المدنية قل حفاظ القرآن الكريم ، وأوشكت الدراسة القرآنية أن تختفى من حياة الأمة ، لهذا كله انشئت دار القرآن الكريم كما تراها الآن .

امام هذا الاقبال المتزايد على الدار نحب أن نعرف بعضا من أهدافها وتاريخ نشأتها .



درس فى التجويد

قال فضيلته :

صدر القرار بانشائها واعلن عنه فى الصحف والاذاعة والتلفاز فى يوم ذكرى المولد النبوى الشريف عام ١٣٩١ هـ وبدأت الدراسة فعلا يوم السبت الموافق ١٢ من شعبان فى نفس العام المذكور .

أما ما يهدف اليه هذا المشروع فيتلخص فى تمكين الجيل الذى حفظ القرآن الكريم من جودة الترتيل وتفهم الآيات باعطاء الحفظة قدرا من التفسير يستطيعون به تذوق المعنى ومعرفة الحكم بالاضافة الى منح الفرصة لكل راغب فى الحفظ أن يحقق غايته ، وبهذا ترتوى النفوس المتعطشة الى كتاب الله حين تنهل من فيضه ، وخاصة من فاتتهم فرصة الحفظ فى الصغر ، وبهذا أيضا يعيش الدارسون فى جو أقرانهم بلا فوارق من سن أو جنسية .

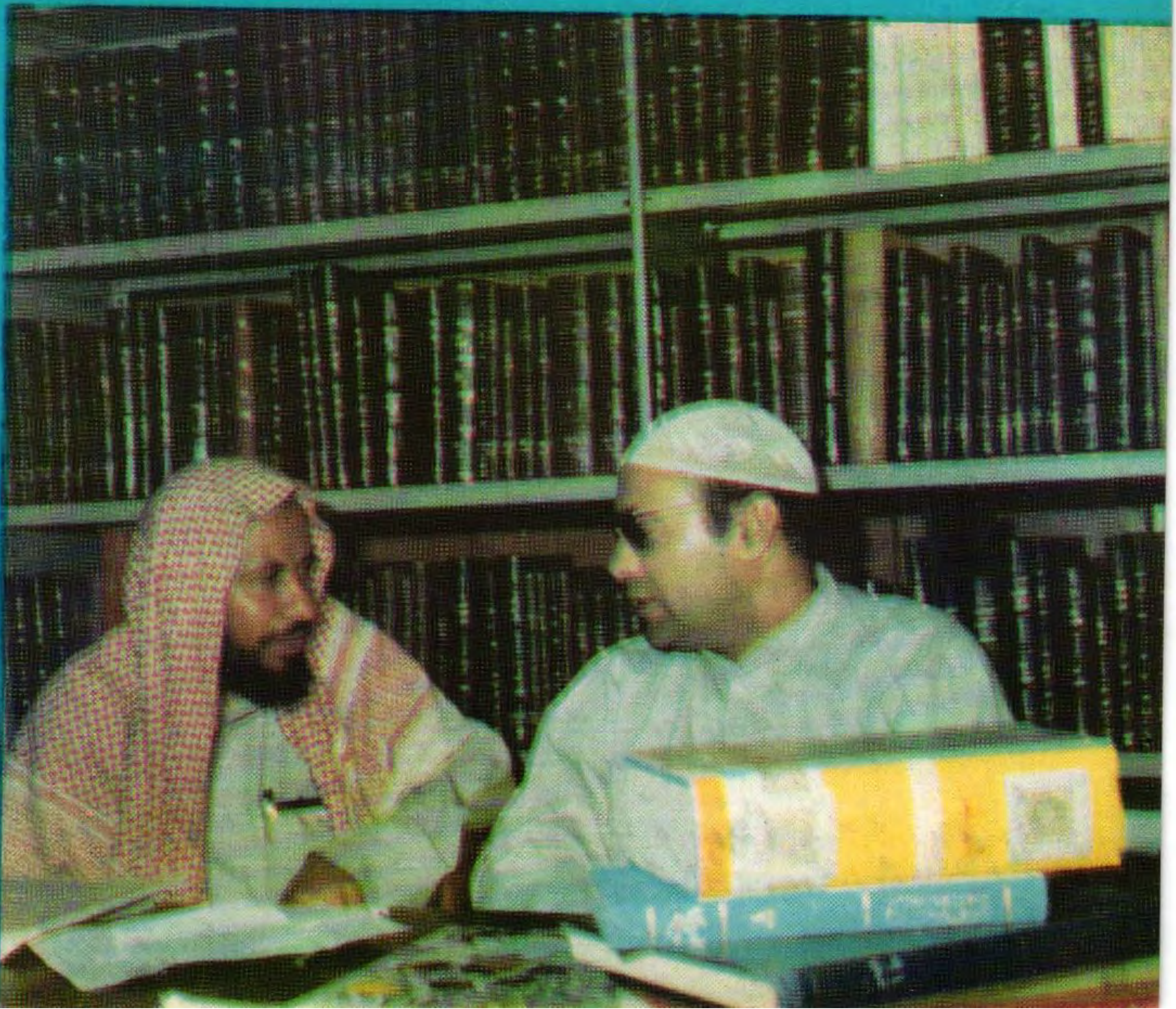
هل لنا أن ناخذ فكرة عن النظام الدراسى ونوعية الدارسين فى الدار ؟

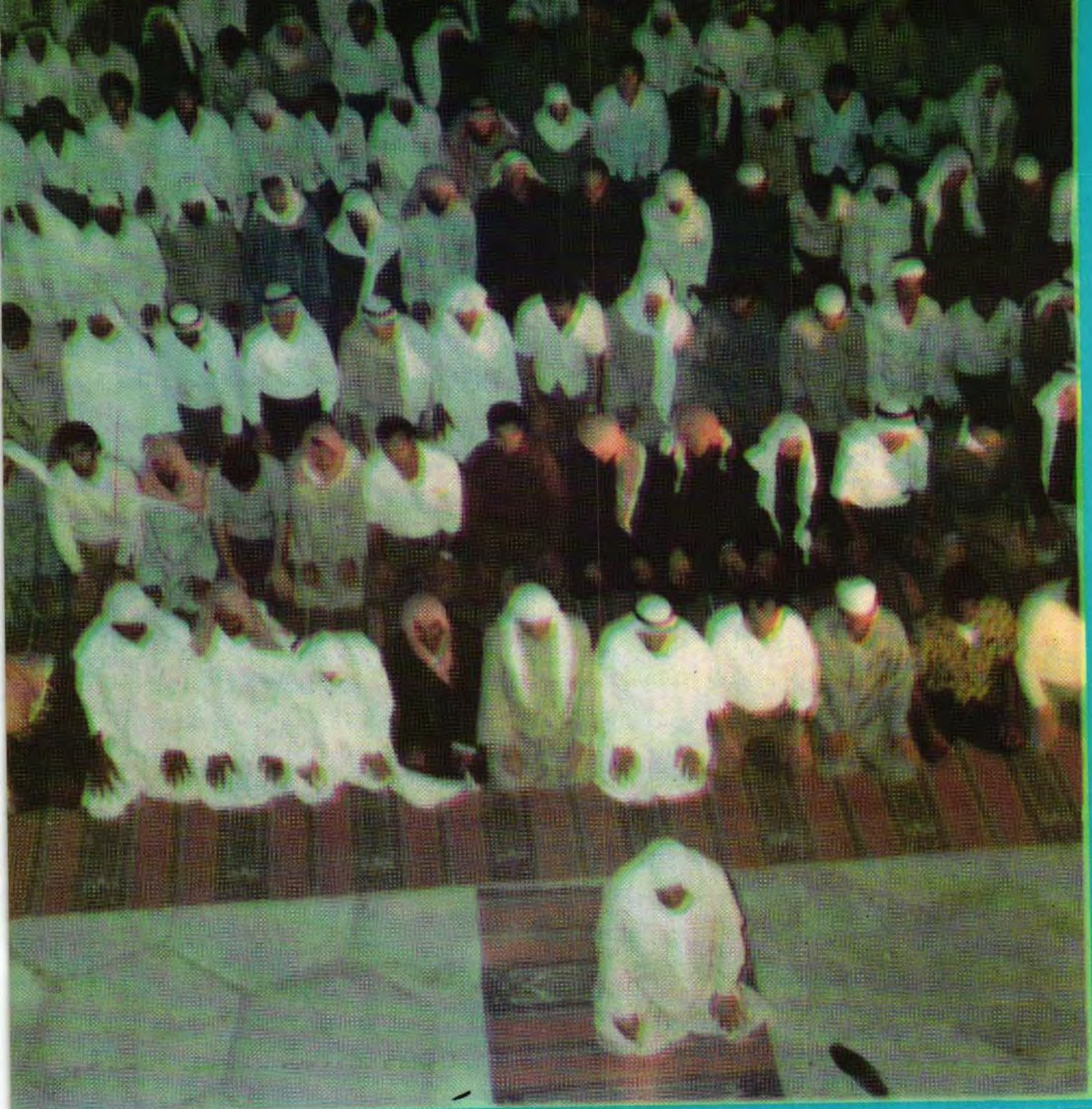
نعم . قبل بدء الدراسة أعددنا لهذا المشروع لائحة ووضعنا منهجا خاصا وخطة للدراسة . بحيث تنحصر مواد الدراسة فى كل ما يتصل بالقرآن الكريم حفظا وترتيلا وتفسيرا ، كما



ناظر دار القرآن الكريم وسط طلابه موجها ومرشدا







اعلى اليمين :

فصل من فصول دار القرآن الكريم

نسقت حصص دار القرآن الكريم بحيث لا تتعارض مع اوقات الصلاة وحين يحين وقت الصـــلاة فان اساتذة المعهد وطلابه يؤدونهـا جماعة .

هيات وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية مكتبة زاخرة لتكون مرجعا لأبناء الدار .

اشرنا الى ذلك من قبل ، وتبدأ مرحلة الدراسة بالصف الأول ، وتنتهى بالصف السادس ، وتقرر على كل صف حفظ خمسة أجزاء من القرآن مع تفسيرها ، وفى نهاية الصف السادس يكون الطالب قد حفظ القرآن الكريم كله وأتقن ترتيله ، واستوعب تفسير آياته ، ويعقد امتحان لكل صف آخر العام من دورين ، والدراسة تسير على فترتين يوميا : إحداهما صباحية وهى للأئمة والمؤذنين لأن ذلك وقت فراغهم ، والأخرى مسائية وهى لموظفى الدولة ، ولمن عندهم عمل صباحى لا يمكنهم من الالتحاق بالدار فى الفترة الصباحية ، ومما يذكر أن بعض القضاة والمستشارين وضباط الجيش وجنوده وكثيرا من مدرسى المدارس الثانوية والمتوسطة ينتظمون فى الدراسة المسائية بصورة مشجعة ومشرفة .

شروط الانتساب الى الدار .

والانتساب الى الدار لا يشترط فيه الا جودة القراءة والكتابة مع اعفاء المكفوفين من هذا الشرط طبعا ، ولا تشترط سن أو جنسية أو ثقافة معينة الأمر الذى أوجد المجال أمام الجميع فالتحق بالدار طلاب من جميع الدول العربية الشقيقة وكثير من المسلمين



احد اساتذة دار القرآن يتابع قراءات طلابه .



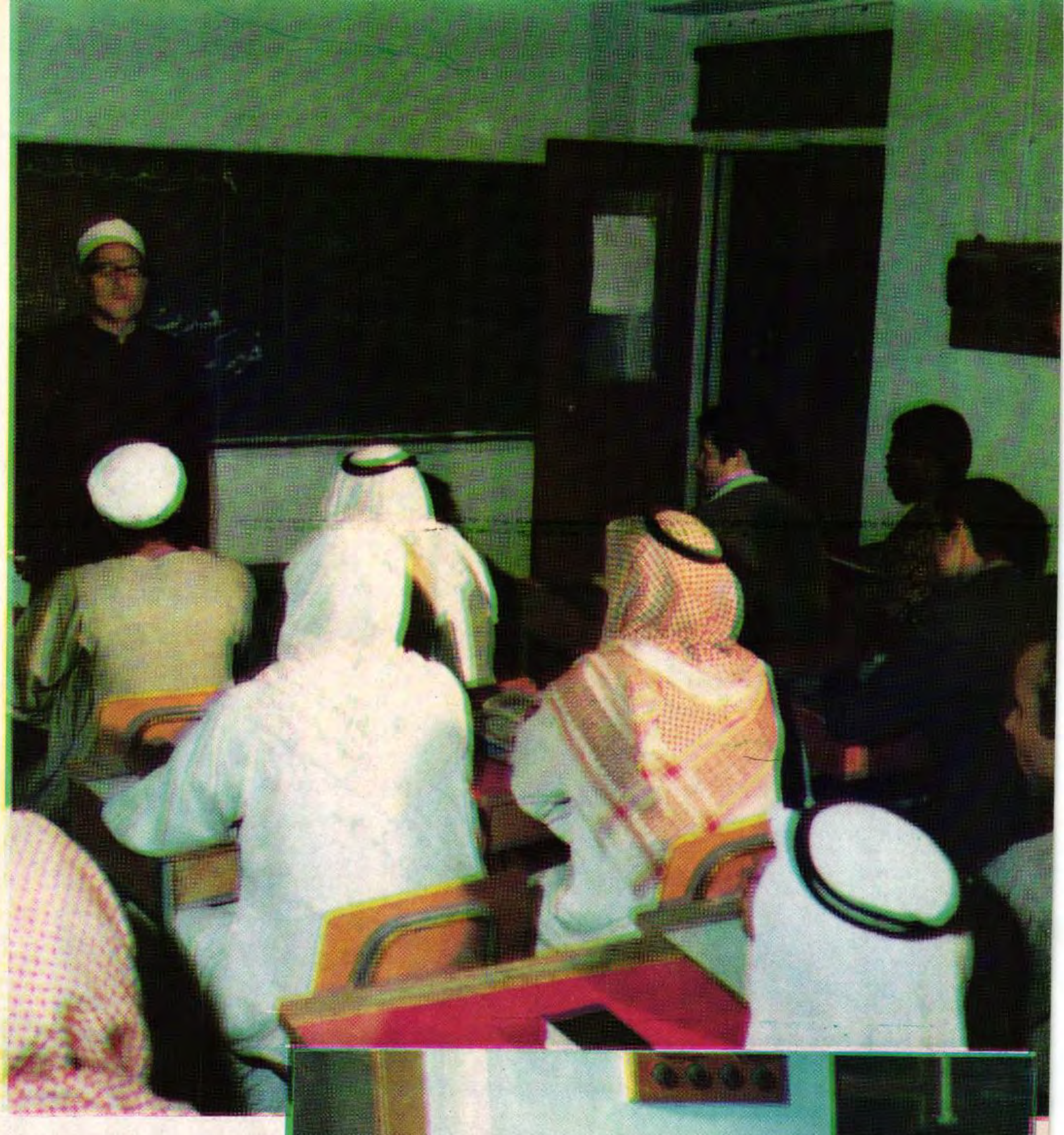
هيئة التدريس اثناء توجههم الى فصولهم .

من دول اخرى المقيمين فى الكـويت فلا يخلو صف أو فصل من أبنـاء الباكستان أو ماليزيا أو نيجيريـا أو الفلبين وأصبحت الدار تعج حجراتها بأكثر من الف طالب من كافة الاقطار العربية والاسلامية ، وتقوم بـدور تربوى إسلامى تفتقر اليه كثير مـن بلادنا العربية والاسلامية .

وعمر الدار أربع سنوات دراسية الآن .. ففى هذا العام افتتح الصف الرابع .. ونرجو للدار العمر المديد.

هيئة التدريس :

يقوم بالتدريس فى الفترتين أساتذة منتدبون من معهد القرأءات بالأزهـر الشريف يدرسون التجويد وأحكامـه



درس فى الحديث



اعجمى وعربى يرتلون قــــرآنا واحدا .. بلغة واحدة .. بينما ينصت لهم الأستاذ .

والفوا لكل صف كتابا مقررا فى مادة التجويد يسمى (الفريد فى فن التجويد) أما التفسير والنحو فيقوم بتدريسهما العلماء الوعاظ بالوزارة ، وكلهم من الأزهر ايضا واحد الزملاء وهو الشيخ مصطفى عيد هو ناظر الدار ، وهو منتدب من جهاز التفتيش بالأزهر وله بالشئون الادارية سابق عهد .

دور الوزارة :

هـذا وتقوم الوزارة بتوزيـع المصـاحف وكتب التفسير والنحـو والتجويد على الطلاب بالمجان كمـا تمنح الطلاب مكافأة مالية بمقدار أيام الحضور شهريا .

ونظرا لأن المكتبة العامة للوزارة فى مبنى ملاصق للدار فالطلاب يستغلون أوقات فراغهم فى المطالعـة تحت اشراف بعض الاسـاتذة وأمين المكتبة .

زوار الـدار :

ومما هو جدير بالذكر أن هـذا المشروع نال إعجاب كـل مـن زار الدار من كبار المسئولين الذين وفدوا الى الكويت .

كما تشرفت الدار بزيارة السـادة وزراء الأوقاف فى كل من جمهوريـة مصر العربية والملكـة العربيـة السعودية والجمهوريـة العربيـة السورية والسودان ، وبزيارة وفـود اسلامية من المغـرب والجـزائر والصومال وجزر القمر ونيجيريا .

وسجلوا إعجابهم بالنظام الدراسى أثناء زيارتهـم للفصـول ، وطلب الكثير منهم صورا من مشروع اللائحة المعمول بها .

فروع للدار :

ونظرا للاقبال المتزايد على الدار تفكر الوزارة فى انشاء فروع لها فى اطراف المدينة وجميع الضواحى تلبية للرغبات الملحة وحتى يعلو صـوت القرآن الكريم فى كل مكان .

دار خاصة للنساء :

هذا ويدور فى الوقت الحالى تفكير فى انشاء دار خاصة لتحفيظ الراغبات من النساء ، وبذلك تستعيد المـرأة سيرتها الأولى فتحفظ كتاب اللـه وتعيش فى جوه كما كان الأمر فـى صدر الاسلام ، والمجتمع المعاصر من غير شك فى حاجة الى نوعية هـذه المرأة التى تهتدى بهـدى القـرآن وتنشىء الأجيال على خلق القرآن .

وبعد فبحمد الله وتوفيقـه نجح المشروع نجاحا فاق التصور يوم بدىء فيه وذلك من فضل الله علينا وعـلى الناس .

مائدة القارئ

شكوى الى الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما لحقه من أذى أهل الطائف ، وقد جاء يدعوهم الى ماهو خير ، قال داعيا ربه :

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا ارحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أم الى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى اوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، او يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك) .

الركب المهاجر

كانوا اربعة خرجوا معا من مكة الى المدينة :

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر .

وعبد الله بن ارقط دليلهما .

مع الله

أوى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر الى غار ثور .. وهما فى طريقهما الى يثرب وكان المشركون فى أثرهما .. ووقفوا على الغار . فقال أبو بكر فى جزع شديد .. لو نظر احدهم تحت قدميه لرآنا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم قولته الخالدة : (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا) .

قال تعالى :

(الا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فـــى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة اللـــه هى العليـــا والله عزيز حكيـــم) ..

— قرآن كريم —

النشيد الخالد

عند ما أشرف الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة ، اخـــــذ اهلها ينشدون : —

طلع البـــــدر علينـــا ... من ثنيــــات الوداع
وجب الشـــكر علينـــا ... ما دعـــا لله داع
أيهـــا المبعوث فينـــا ... جئت بالأمر المطـــاع
جئت شرفت المدينـــة ... مرحبـــا يا خـــير داع

الدنيـــا

وقف الإمام على كرم الله وجهه فى محرابه خاشعا متضرعا وهـــو يقـــول :

(يا دنيا اليك عنى ، غرى غيرى ، الى تعرضت ، أم الى تشـــوقت ؟ هيهات ، قد باينتك ثلاثا لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخطـــرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق) .

شجاعة اسماء

كانت تاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدها ابا بكر بالطعام والماء وهما فى غار ثور .. وكانت تحتمل فى سبيل ذلك الشىء الكثير .. فقد أتاها مرة نفر من قريش فيهم ابو جهل بن هشام . فقالوا : اين ابوك يا بنت ابى بكر ؟ فقالت : لا ادرى والله اين أبى ؟
قالت : فرفع ابوجهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمـــة طرح منها قرطى .

الهجرة
بطولة وعزم وإيمان

للأستاذ / عبد الله الكبير

احتلك الظلام قبـــل بعثة النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — واصابت الكون موجة من الشر والفساد ، فطمست معالم الأديان ، ونبذت الشرائع ، وماتت الأخلاق الفاضلة ، وأصبـــح الناس فوضى تقودهم الشهوات ، وتسيطر عليهم غرائز الشر ، فقد كانت الدنيا تعنو لتاجيــــن ، وتخضع لدولتين ، همـــا دولة الفرس ودولـــة الروم ..

وقد بلغت هاتان الدولتـــان قمـــة عزهما وأمد مجدهما فى تلاوة مــن الدهر طويلة ، ثم امتد بهما الزمان ، ونشأت فيهما أجيال تنعم فى أكناف الرفاهية والنعيم ، رأوا الدنيا تحت أقدامهم ، وثمرات العالم تجنى إليهم فانصرفوا الى الراحة ، وناموا فى ظل ظليل من الامن والثقة ، وافتنوا فى صنوف اللهو الفاجـــر والعبــث الأثيم ، وقذفوا بكـــل ما بقى فـــى نفوسهم من شهامة ورجولة وخلــق رصين ، ليهيموا فى تيهاء الآثـــام والمجون الجنونى ، لا يردعهم عقل ، ولا يكفكف من عنانهم دين ، فاضطربت الموازين ، وانقلبـــت الاوضـــاع ، وأصبحت الرذيلة من دلائل النبـــل وكرم المنبت ، وامست الفضيلة عارا تنفر منه النفوس ، وسخرية تتنادر بها المحافل ..

هكذا كانت الدنيا قبل مبعث النبى الكريم ، عليه صلوات الله وسلامـــه ورضوانه . اما بلاد العرب فكانـــت وكرا للوثنية الجاهلية الغبية ، أرخى أهلها على عقولهم النافذة الوقـــادة غشاوة من التعصـــب والجمـــود ، فعكفوا على أوثان لهم صنعوهـــا بأيديهم ، ثم زعمـــوا أنها تنفعهـــم وتضرهم ، وان لها التصرف المطلق فى هذا الوجود .. ولقد كانت هـــذه الوثنية قبرا لعقولهم ، وقضاء علـــى مواهبهم ، وتقريبا لوحدتهم ، فكانوا جميعا وقلوبهم شتى : شقاق ونزاع بين القبائل ، وإدراك كـــاذب لمعنى الاباء والبطولة ، ونخوة فيها جموح وجهل ، وفهم سقيم لمعني الشـــرف ورعاية الذمام ، ووحشية يلتهم فيها القوى الضعيف ، وكبر وجبريـــة لايلينان لحق ، ولا يخضعان لحاكم ، وحرية مقيـــدة مغلولة لا تنـــال إلا بالاحتكام الى السيوف ، وتفاخر أجوف بالألقاب والأنساب .. جهل وظلـــم وظلام !

حقا لقد فسد الكون كله ، وضلت الإنسانية سبيلها ، وسقطت البشرية فى هوة عميقة الغور ، بعيدة المرتقى .. وتطلعت الأرض الى السمـــاء تلتمس منها الهداية والنور .. وإن الله لأرحم من أن يترك الناس هكذا همـــلا ، وأكرم من أن يـــدع العقل الإنسانى هكذا مرتكسا بين رذيلـــة موبقة وجهل محيق . فشاء ــ جلت حكمته ــ أن يبعث للناس كافة ــ فى وسط هذا الظلام الحالك ــ رسولا اجتباه من صفوة خلقه ، فبعث إليهم رسولا منهم ، قد اصطفاه لنفسه ، وكمله بأكرم الصفات ، وحلاه بمكارم الأخلاق ، هو محمد بن عبد اللـــه ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد اختار الله رسوله من جزيرة العرب ، لأنها مقر بيته العتيق ، ولأن العرب ــ على ما فيهم من جفـــوة وخشونة ــ كانوا أمة أبية ، موفورة الذكاء ، متأججة العاطفة ، سلمـــت بداوتها من مآثم المدنية ، فلم تضعف الشهوات رجولتها ، ولم تعبث رفاهية النعيم بغرائزها ، ولأنهم كانوا أمـــة إذا اقتنعت بحق ، أو اطمأنت نفوسها الى رأى ، قذفت بأرواحها رخيصـــة فى نصرته ، واستعذبت العذاب فى سبيله ..

بعث الله تعالى فى العرب محمدا الأمين ، فاستطاع ــ بهذه الأمـــة الصغيرة المفككة ، بعد أن وحد كلمتها الايمـــان النقـــى ــ أن يثـــل عرش القياصرة ، ويحطم تاج الاكاســـرة ، وينشر كلمة التوحيد فى العالم .

وأمة العرب لم تخضع فى حياتها لذل الاستعمار .. أحاطت بها مـــن جانبها امبراطورية الرومان ودولـــة الفرس ــ وهما أعظم دول العالـــم أيامئذ وأقواها ــ وبذلت كل دولـــة

منهما جهدا جاهدا ، لتبسط ظل سيطرتها على الجزيرة العربية ، لكن العرب كانوا أصلب عودا ، واشد مكسرا ، وأحمى أنوفا ، فلم ينهزموا أمام غاز فاتح ، ولم تلن قناتهم لطاغية جبار ، كيفما كان صوله وطوله .. فهذه الأمة العزيزة بأنفتها ، القوية بأخلاقها ، كانت أولى الأمم بأن يكون رسول الله منها ، وأن ينشأ عزيزا بين أعزاء ، حتى يستطيع أن يبعث من حرية الصحراء الى العالم كله حرية طليقة ، تضع عنه إصره والأغلال ..

نشأ محمد النبى الأمى الكريم — صلى الله عليه وسلم — فى أرفع بيت ، وأشرف قبيلة . وكان فى حداثته يمتاز بصدق التفكير وقوة الحجة ، وبلاغة البيان ، وسداد الرأى وطهارة النزعة .

وإن من يعده الله سبحانه لرسالته العظمى ، ودعوته الكبرى ، خليق بأن تظهر فيه مخايل النبوة ، وأن يمتاز عن الناس جميعا ، بما أودع الله فيه من قوى كامنة ، وبما أمده الله تعالى من سجايا وشيم . وقد رأت قريش فيه هذا كله ، وتكهن عقلاؤها بما سيكون له من شأن وخطر ، (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

كان بشرا منهم ، لكنه كان روحا قدسيا يمشى على الارض ، وسرا سماويا يخالط الناس كأنه مثلهم ..

وقد شاء الله عز شأنه أن ينشأ نبيه المرجى يتيما ، وأن تدفعه الحياة الى طلب الرزق ، وأن يلاقى من أحداث الأيام وعنتها ما يلاقى الناس من خير وشر ، فما كاد يبلغ العشرين حتى اتخذ التجارة سبيلا لكسب العيش ، فطلب الحياة من أسباب الحياة ، وفى هذا بلاغ للناس ، وحكمة بالغة لأولى الألباب ..

فليت شعرى ! هل علم قياصرة الروم ، وأكاسرة الفرس ، ومفكرو الأمم جميعا أن هناك فى زاوية محجوبة من جزيرة العرب سيفا بتارا يريد أن يستل من غمده ، ليهزم الشرك ويقضى على الطغيان ؟ وهل خطر لهم — وهم فى غمرات شهواتهم وآثامهم — أن كوكبا سماويا من الحق وصدق العزيمة سينقض من حيث لا يتوقعون ، فيبدد شملهم ، ويفرق سمارهم ؟ وهل كانوا يستطيعون اذا أنعموا أبصارهم أن يروا ذلك النور المنبثق الذى أشعلته يد القدرة الالهية ليملأ الارض نورا ، ويغمر النفوس هديا وإيمانا ؟

نشأ النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — نشأة روحية ، فيها زهد ، وفيها تبتل ، وفيها عزوف عن كل ما يشين . وكان — صلوات الله عليه — يقضى فى كل عام زمنا متحنثا فى غار حراء ، منصرفا إلى التوجه الى خالقه ، والتفكير فى دلائل قدرته . صمته عبادة ، ونطقه تقديس وتسبيح ، ونظراته ايمان واعتبار ..

وفى احدى هذه المرات التى كان يتحنث فيها بغار حراء هبط عليه جبريل — عليه السلام — بالوحى الكريم ، فأصابته رجفة ، وغشيه من هول الأمر ما غشيه ، وهاله ما هاله فما إن سمع صوت جبريل يهمس فى أذنه : « اقرأ » حتى صاح فى فزع : « ما أقرأ » ، فغطه جبريل وقال : « اقرأ » ، فقال ما أنا بقارىء . فغطه جبريل وقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم .

علم الانسان ما لم يعلم .) سورة العلق ، فكان هذا مبدأ رسالته ، وأول صوت انطلق فى بطحاء مكة ، فهز العالم هزا ، وأطلق العقول من عقالها .

ولما نزل قوله تعالى : (وانذر عشيرتك الأقربين) يأمره باعلان كلمة التوحيد ، أطاع الرسول أمر ربه ، فأرسل صوته قويا مجلجلا فى أنحاء مكة ، يدعو قومه الى الدين الحق ، ويبشر وينذر ، لا يهاب قوة ، ولا يخشى جبروتا ..

لقد كان العبء شاقا ، والجهاد مضنيا ، ولكن صبر الرسول لا يخور ، وعزم الرسالة لا يلين . فأخذيدعو القوم الى عبادة إله واحد ، لا إله إلا هو الحى القيوم ، والى نبذ آلهتهم وفيها مجدهم كما يزعمون .. لقد ظهر محمد يدعوهم الى دين جديد ، ويصرفهم عن عاداتهم التى امتدت فيهم جذورها ، ورسخت أصولها ، وجاء ينعى عليهم التفاخر بالانساب والألقاب ، وهى غذاء غرورهم ، وجاء يسوى بين الناس جميعهم ، وهم أحفل الناس بنظام الطبقات ثم جاء يشرع لحياتهم ومعاملاتهم بعد أن استمرءوا الفوضى واغتصاب الاموال .

لم يستجب لدعوة الرسول الكريم إلا فئة قليلة شرح الله صدورها للايمان ، ولكن الرسول أقام بمكة سنين مثابرا يصدع بأمر ربه ، ويعرض نفسه على القبائل ، حتى اشتد إيذاء المشركين ، وأذن الله لنبيه أن يهاجر الى المدينة ، فهاجر .

لقى الرسول — صلى الله عليه وسلم — كثيرا من إيذاء قريش ، وتعرض لكثير من أسباب الهلاك ، لكنه لم يهاجر الى المدينة لشىء من هذا ، فإن أولى العزم من الرسل لا يهابون الإيذاء ، ولا يرهبهم التهديد .

وإن من يظن أن النبى — صلوات الله عليه — قد هاجر بسبب إيذاء المشركين إياه إنما يقيس حياة الرسل الكرام بحياته ، ويحكم عليهم بهواجس نفسه . إن أولى العزم لا يخافون ، وإنهم لمعصومون من الناس ، ومن شر الناس ، وشر الوسواس الخناس . وإن الذى يقول لابنته فاطمة — رضى الله عنها — بعد أن غلبها البكاء لشدة ما يقاسى من قومه : « لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك » ، وإن من يقول لصاحبه إذ هما فى الغار : أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما .. إن الذى يقول هذا وهذا لا يأبه لإرجاف ، ولا يبالى بوعيد .. إنما هاجر الرسول — عليه أزكى السلام . من مكة ، لأنه رأى ما ظهر له من غلظة قلوب أهلها وجفوتهم ، وقد كانت فيهم الرياسة والزعامة .. رأى أن عقولهم لم تنضج بعد لتفهم الدين الجديد ، وأنه يجب أن يترك لهذه العقول الجامحة وقتا يراوحها فيه التفكير ويغاديها ، فلعل طول التأمل وتكرار النظرات يهدىء من شماسها ، ويفتح ما أغلق من أقفالها ..

هكذا رأى النبى الكريم أن يترك قريشا لأنفسها حينا من الدهر ، على أن يعاودها بالدعوة الى الإسلام بعد أن يكمل استعدادها ، ويتم نضجها ، وهكذا كان ، فان اعتزاز الدين الجديد إنما كان بفتح مكة حين جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وقد كان أهل المدينة الين جانبا ، وأشف نفوسا ، وأجدر بالاسراع الى الدعوة ، لدماثة فى خلقهم ، ولأن بعضهم وفد عليه بمكة فآمن به وبايعه .. لكل هذا هاجر

رسول الله الى المدينة . والهجرة من أولها الى آخرها عمل كله بطولة وإقدام واستهانة بالصعاب . انها كانت تضحية بكل ما يملكه المسلم فى سبيل الانتصار على لذات النفس وشهواتها ، وفى سبيل الجهر بالحق الذى عرفه وآمن به ، وأحس السعادة تغمره بهذه المعرفة وهذا الايمان .

ان الهجرة النبوية كانت الحجر الأساسى فى إرساء قواعد الاسلام ، وانتصار دعوته ، ولهذا كانت جديرة بأن يتأملها طويلا كل مسلم ، وأن يفكر فيها ، ويستمد منها العبر والدروس، فهى ثورة على الضعف والكبت ، وانتفاضة على تحكم الباطل فى رقاب الحق .

وقبل هجرة النبى كان المسلمون قد أخذوا يهاجرون الى يثرب متفرقين ومع هذا فطنت قريش للأمر، وجعلت ترد من تستطيع رده ، وتعذبه ، وتنكل به ، بل كانت تحول بين المرء وزوجه ، اذا كانت المرأة من قريش .. وتتابعت هجرة المسلمين الى المدينة ، والنبى مقيم بمكة ، لا يعرف أحد ما عزم عليه : أيبقى حيث هو ؟ أم يهاجر الى يثرب كما هاجر أصحابه ..

كانت قريش تحسب لهجرة الرسول الى يثرب أيما حساب ، فقد كثر المسلمون هناك كثرة ، وكادوا يكونون أصحاب اليد العليا فيها ، فاذا لحق بهم النبى — وهم على ما يعرفون من جلد وثبات ، وحسن رأى ، وبعد نظر — فقد يهجم المسلمون على مكة ، وقد يقطعون على قريش طريق تجارتهم الى الشام ، فيجوعون ، كما حاولوا هم من قبل أن يجيعوا النبى وأهله ، حين اكرهوهم على لزوم شعب ابى طالب ثلاثين شهرا . وحار المشركون فيما يفعلون .. اذا حبسوا النبى بمكة ، ومنعوه الخروج منها ، فقد يدهمهم اليثربيون دفاعا عن نبيهم ، صلوات الله عليه .. وإذا نفوه وأخرجوه من مكة لحق بالمدينة ، وأصابهم ما يخافون من هجوم المسلمين عليهم .. واذا قتلوه طالب بنو هاشم وبنو المطلب بدمه ، وأوشكت الحرب الأهلية أن تعم مكة وغيرها من البلاد .. وإذا .. وإذا ..

وانتهى راى المشركين الى أن يختاروا من كل قبيلة شبا جلدا ، ويعطوه سيفا صارما ، وأن يشترك شبان القبائل فى ضرب محمد ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه بين القبائل، ولا يقوى بنو هاشم على قتالهم جميعا فيرضون بالدية ، وتستريح قريش من هذا الذى سب آلهتهم ، وفرق شملهم ، وباتوا يحسبون — بعد تآمرهم هذا — أن أمر محمد قد انتهى وأن دعوته سيقضى عليها القضاء المبرم ، وأن المهاجرين سيعودون الى أهلهم ، والى دين آبائهم ، وأن قريشا ستعود اليها وحدتها التى تمزقت ، ولكن الله عز وجل ينزل على نبيه قوله تعالى : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال (٣٠) ويأذن الله لرسوله فى الهجرة ، فجعل — صلى الله عليه وسلم — يدبر لنفسه خطة الخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة . وحرص على كتمان أمره حتى لا يتسرب الى قريش ..

وكان ابو بكر الصديق قد استأذن النبى فى الهجرة ، فاستمهله وقال له : « لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبا » ، فأدرك أبو بكر أن

الرسول على نية الهجرة ، وانــه ينتظر الاذن له فيهـا ، فاشـترى راحلتين ، ودفعهما الى عبد الله بـن أريقط ، يعلفهما ويرعاهما . فلما اذن الله لرسوله فى الهجرة ذهب الـى ابى بكر ، وانبأه ان الله قد اذن لـه فى الهجرة ، واسر الى ابن عمه على ابن أبى طالب بعزمه ، وطلب منه ان يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى مـا عنده من الودائع الى اصحابهـا ، وطلب منه ايضا أن يبيت فى فراشه ، ويتغطى ببرده الأخضر .

وفى ليلة الهجرة بات فتيان قريش يرصدون دار النبى ، ليقتلوه عنـد خروجه . فلما كان الثلث الاخير مـن الليل خرج صلوات الله عليه ، واخذ حفنة من تراب ، ورماها فى وجوههم فلم يروه . فلمـا تنفس الصبـح ، وانكشف الظلام ، قام النائم عـن فراشه ، فاذا هو على بن ابى طالب !
.. جن جنون القوم ، وطار صوابهم ، واحاطوا بعلى ينهرونه ويتجاذبونـه ويسألونه عن محمد : اين ذهب ؟ واين اختفى ؟ فيجيبهم على فى هدوء : لا أدرى ! .. فتفرق المشركون يبحثون عن محمد فى كل جهة ، ويجرون فى كل طريق ، ويسألون كل من يلقون ، ويتبعون آثار الاقدام ، حتى يئسوا من العثور عليه ، فجعلوا لمن يرشدهـم اليه مائة ناقة ..

وفى أثناء ذلك كان الرسول الكريم قد غادر مكة .. خرج مع صاحبـه الصديق فى جراة وعزم ، واتجها الى غار فى جبل ثـور ، جنوبى مكـة ، ومكثا بالغار اياما ، وفتيـان قريش يقتفون أثرهما ، والسيوف تلمع فـى أيديهم ، والشر يصرح باسـمه فى وجوههم .. ووصـل بعضهم الـى الغار ، فرأوا ما عليه الغار فأيقنـوا أن أحدا لم يدخله منذ حين . وسمع أبو بكر صوت المشركين يتحدثـون ، فخاف على النبى ، فقـال له النبى : (لا تحزن إن الله معنا) ، ونجى الله رسالته ، وأعمى المشركين عن نبيه ، وحماه من صولتهم ، وأتم نوره .

وكان عبد الله بن أبى بكر يقضـى نهاره فى نوادى قريش يسمع مـا يأتمرون به ، وما يقولون فى شـأن الرسول وصاحبه ، ثم يأتيهمـا اذا امسى ، فيخبرهما بما سمع وما راى .. وكان يرعى بين رعيان أهل مكة . فـاذا أمسى أراح على المهـاجرين المظيمين غنم أبى بكر ، فيحتلبـان ويذبحان ، ثم يعود عامر بالاغنام ، فيعفى آثار عبد الله ..

ومضت ثلاثة ليال ، والمهاجـران مختبئان فى الغار ، ثم جاءهما عبـد الله بن أريقط ، ومعه البعيران اللذان اودعهما عنده ابو بكر ، وبعير ثالث له . وجاءت أسماء بنت أبى بـكر تحمل الطعام للمهاجرين ، فلما ركبا لم تجـد ما تعلـق به الطعام والماء فشقت نطاقهـا ، وعلقت الطعـام بنصفه ، وانتطقت بالنصف الآخر ، فسماها النبى صلى الله عليه وسلم « ذات النطاقين » ..

ثم سلك عبد الله بن أريقط بالنبى وصاحبه طريقا جنوبى مكة ، وكأنهم يقصدون اليمن ، ثم اتجه بهما الـى الغرب حتى اقترب من شاطىء البحر الأحمر ، ثم اتخذ بهما طريقا غيـر مطروق ، قل ان يسير فيه احد .. كان الطريق وعرا طويـلا ، والقيظ لافحا ، والسير مضنيا ، ولكـن كان يذلل مسالكهما إيمان لا يدع للكلال او الألم الى نفسيهما سبيلا . ورآهـم رجل ، فأسرع الى قريش يخبرهم انه رأى ثلاثة رجال مروا به فى موضع كذا ، يعتقد أنهـم محمـد وبعض صحابته ، وكان سراقـة بن مالـك حاضرا مجلس قريش حين تحـدث الرجل عن الثلاثة الذين رآهم ، فقال انما هم بنو فلان ، خرجوا تحت نظرنا ليضلل الرجل ، ويضلل قريشـا ،

وليفوز هو بمغنم النياق المائة التي رصدتها قريش مكافأة لمن يدلهم على محمد .

مكث سراقة مع القوم ساعة ، ثم غادر المجلس ، وعاد الى بيته ، نتسلح ، وأمر احدى جواريه أن تسوق فرسه الى بطن الوادى حتى لا يراه أحد ساعة خروجه ، وخرج متخفيا ، وركب فرسه ، وجرى به الى المكان الذى وصفه الرجل ، وقال انه رأى فيه ثلاثة يظنهم محمدا وبعض صحابته .

كان النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وصاحبه أبو بكر ، ودليلهما عبد الله بن أريقط قد جلسوا فى ظل شجرة يتناولون بعض الطعام، ويستريحون من الارهاق والتعب . ولما هم النبى وصاحباه بركوب جمالهم أبصروا فارسا مقبلا من بعيد . ولم يكن ذلك الفارس غير سراقة ابن مالك .

كان جواد سراقة قد كبا به مرتين لشدة ما أجهده . فلما رأى الثلاثة أيقن أنهم طلبته ، فصب على الجواد سوطه ، ليطير به ، لكن الجواد كبا كبوة عنيفة ، وغاصت أماميتاه فى الارض ، وألقى فارسه من فوق ظهره يتدحرج فى سلاحه .. تطير سراقة ، واعتقد أن النبى قد دعا عليه ، فنادى بالأمان ، فوقف النبى وصاحباه حتى وصل اليهم سراقة يلهث ، فقص عليهم أخبار قريش ، وما جعلت لمن يقبض على النبى . وطلب أن يكتب له النبى كتاب أمان يكون آية بينه وبينه ، فكتب أبو بكر كتابا بأمر النبى ، ودفعه الى سراقة ، وقال له : أخف عنا ..

عاد سراقة بالكتاب ، واخذ يضلل من يطاردون المهاجر العظيم ، بعد أن كان هو يطارده .. وكانت تلك معجزة ثانية بعد معجزة الغار !

انطلق الركب فى الصحراء المترامية ومروا فى طريقهم بأعرابية كريمة ، هى أم معبد الخزاعية كانت تجلس أمام خيمتها ، فسألوها تمرا أو لحما يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئا . ونظر النبى الى شاة عجفاء فى جانب الخيمة ، فقال ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة لم تستطع أن تخرج الى المرعى لشدة ضعفها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل بها لبن ؟ قالت : انها عجفاء كما ترى . قال اتأذنين لى أن احلبها ؟ قالت : نعم . دعا صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله ، وقال : اللهم بارك فى شاتها . ودعا باناء فحلب فيه لبنا غزيرا ، فسقى أم معبد حتى رويت ، وسقى صاحبيه حتى رويا ، وشرب عليه السلام ، وقال : ساقى القوم آخرهم ، ثم حلب مرة أخرى حتى امتلأ الاناء ، وتركه عند أم معبد وخرجوا .. وكانت تلك معجزة ثالثة .

سار النبى وصاحباه اياما وأياما حتى بلغوا المدينة ، فدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يمتطى ناقته القصواء ، وقد أرخى لها زمامها والمسلمون من أهل يثرب حوله يهللون ويكبرون حتى بلغت الناقة مربدا لغلامين يتيمين فى المدينة من بنى النجار ، فبركت ، فنزل الرسول الكريم وطلب أن تبنى له دار بهذا المكان ، وأن يقام به مسجد للمسليمن ..

هذه قصة الهجرة : أجل ما عرف التاريخ من جهاد فى سبيل الحق والعقيدة والايمان قوة وروعة . وهكذا رسخت صخرة الاسلام شامخة شماء ، وضرب النبى الكريم المثل الاعلى فى الصبر والثبات لكل مجاهد ، ثم نزلت الآية الكريمة تتوج هذه الهجرة المباركة : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول

لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) التوبة .

ومن أجل التضحيات التى صاحبت الهجرة ، ونتيجة لما حققه المسلمون بهجرتهم من انتصارات ، نرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يجد حادثا أعظم من الهجرة يتخذه مبدأ للتاريخ الاسلامى .

التاريخ الهجرى :

من مصادفات التاريخ العجيبة التى قلما تتكرر أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد ولد يوم الخميس **الثانى عشر من ربيع الاول** من عام الفيل ، الموافق ٢٣ من أبريل سنة ٥٧١ ميلادية ، وأنه — عليه الصلاة والسلام — قد هاجر من مكة الى المدينة فى شهر ربيع الاول أيضا ، وأنه وصل الى قباء — وهى ضاحية فى جنوبى المدينة ، على بعد ثلاثة أميال منها فى يوم الاثنين **الثانى عشر من ربيع الأول** عام ١٤ من البعثة ، الموافق ٢٤ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، فأقام فى قباء أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ، ثم خرج الى المدينة فى ضحى الجمعة السادس عشر من ربيع الأول ، وانه عليه صلوات الله وسلامه — قد انتقل الى الرفيق الأعلى يوم الاثنين **الثانى عشر من ربيع الاول** عام ١١ من الهجرة الموافق ٨ من يونيه سنة ٦٣٢ ميلادية .

فهو — عليه أفضل الصلاة وازكى السلام — قد ولد ، وهاجر ، وانتقل الى جوار ربه فى شهر ربيع الاول ، وأنه ولد وتوفى فى الثانى عشر منه ، ووصل فى هجرته الى قباء بقرب المدينة فى الثانى عشر منه أيضا . .

وفى السنة الثالثة من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جمع — رضى الله عنه — الصحابة السابقين الاولين ، وقال لهم ، ان الاموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت (أى غير محدد بتاريخ ينضبط به) ، فكيف التوصل الى ما يضبط ذلك ؟ . لقد رفع إلى صك موعده شعبان ، فلا ادرى أى شعبان هو ؟ آلذى مضى ؟ أم الذى نحن فيه ؟ أم الآتى ؟. ضعوا للناس شيئا يعرفون به . .

ناقش الصحابة الأمر ، فمن قائل: اكتبوا على تأريخ الروم ، وقائل : اكتبوا على تأريخ الفرس . فأبى عمر — رضى الله عنه — إلا أن يجعل تأريخ الإسلام إشارة الى حادث إسلامى كبير ، فأشار بعضهم بأن يجعلوه مولد الرسول ، وأشار بعضهم بأن يجعلوه وفاته ، وأشار على بن أبى طالب — رضى الله عنه — بجعله خروج النبى من أرض المشركين ، أى يوم هجرته من مكة الى المدينة ، فراقت الفكرة الخليفة عمر بن الخطا بوسائر الصحابة ، لما حققته الهجرة من انتصار الإسلام وانتشاره ، فاتفقوا على أن يكون مبتدأ التاريخ الاسلامى هو وقت الهجرة ، ولهذا سمى التاريخ الهجرى .

ولما كانت الهجرة قد حدثت فى ربيع الأول — كما سبق أن ذكرنا — فان آراء الصحابة قد تعددت ، بعد ان اتفقوا على أن تكون الهجرة مبتدأ التأريخ الإسلامى ، وانتهت آراؤهم الى الموافقة على رأى عرضه عثمان ابن عفان ، هو أن يكون المحرم مبدأ للتأريخ الاسلامى ، لأن المحرم هو أول السنة العربية فى الجاهلية .

وهكذا صار أول المحرم أول السنة الهجرية الاولى ، ويوافق ذلك ١٦ من يوليه سنة ٦٢٢ ميلادية . وهكذا ظل التأريخ الهجرى بشهوره القمرية قائما الى اليوم ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها .

الخمر في العلم والطب والدين

بقلم : دكتور أحمد شوقى الفنجرى

تعريف الخمر :

من ناحية مكوناتها (أو من الناحية الطبية) هى كل سائل يحتوى على نسبة معينة من الكحول وتتراوح المشروبات الروحية فى هذه النسبة . فهى فى البيرة لا تزيد عن ٣٪ ويزداد الكحول الى ٢٥٪ فى المشروبات الاقوى ويصل التركيز الى ٥٠٪ فى المشروبات الروحية المركزة .

ومن المعروف طبيا أن بعض الادوية والأملاح الضرورية لصحة الانسان كأدوية السعال تذاب فى مادة الكحول .. وكذلك بعض أنواع المياه الغازية مثل الكولا .. وتسمى المادة المذابة المستخلص الكحولى .

ولا تدخل هذه الأدوية والسوائل علميا ولا شرعيا فى باب الخمور لأن مادة الكحول فيها غير حرة . لا تؤدى الى السكر .

وتعريف الخمر فى الاسلام :

انها كل مادة مسكرة . ودلك لقول رسول الله « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » (١) وهذا يوسع

المعنى لكى يشمل اى مادة تؤدى الى السكر أو الإدمان ولو لم تكن خمرا .

كيف تؤثر الخمر فى الانسان ؟

يتوقف تأثير الخمر على عاملين :

العامل الأول : **كميـــة الكحول وتركيزه فى الدم .**

اذا شرب الانسان كأســـين من البيرة فان نسبة الكحول تصل فى دمه الى ٥ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم وهى نسبة كافية لاحداث التأثير المطلوب عند المبتدئين . ويزيد تأثير الكحول بالتدريج كلما زاد تركيزه فى الدم. فاذا وصل التركيز الى ٥٠ مجم كحل فى كل ١٠٠ سم دم فان الانسان يفقد قوة التركيز الذهنى .. ويفقد السيطرة على عواطفه أو التحـــكم فيها .. وقد ينخرط فى الضحك فى مواقف الجد والحزن .. وقد ينخرط فى البكاء دون مبرر .. ولكنه غالبا يستطيع السيطرة على عضـــلاته وأطرافه أثناء المشى فى هذه المرحلة .

فاذا زاد تركيز الكحول فى الدم الى ١٥٠ مجم فى كل ١٠٠ ســـم فان الانسان يتمايل فى الهواء من السكر ويفقد السيطرة على عضلاته وأطراف جسمه ، وبديهى أن كل مراكز الفكر العليـــا تتعطل فى هذه الدرجة عن العمل .

العامل الثانى : **هو اســـتجابة الجهاز العصبى للانسان ..**

فقد لوحظ أن الناس يتـــأثرون بالجرعة الاولى بدرجات متفاوتة .. فمنهم من يعتريه انفعال شديد وهياج ومنهم من يخلد الى السكون أو النوم من نفس الجرعة ..

ويرجع الخطر الاكبر من الخمر فى أن الجهاز العصـــــبى يتعود على الكحول بالتدريج .. بحيث أن الكمية التى تؤدى بالانسان فى المرات الاولى الى الشعور بالراحة بعد تعب .. أو باللذة أو نسيان الهموم ، فانه لا يكفيه فى المرات التالية أن يتناول ضعفها أو ثلاثة أضعافها ليحصـــل على نفس التأثير .. وهذا هو ما يؤدى به الى الادمان ..

ولذلك فان العلم الحديث يكذب كل من يدعى القدرة على الاعتـــدال فى الشرب بصفة دائمة ..

أثر الكحول على الجهاز العصـــبى للانسان :

يقرر العلم الحديث أن مخ الانسان يتكون من مراكز مختلفة ، فالوظائف الراقية توجد فى المراكز العليا من المخ .. والوظائف الأقل رقيا توجد فى المراكز الاسفل منها ..

وأعلى المراكز فى مخ الانسان هى التى تختص بالارادة وضبط النفـــس والســـلوك الاجتماعى .. ثم تأتى أسفل منها مراكز العقل والتفكير .. ثم مراكز الحكم على الاشياء ثم مراكز الذاكرة .. وأسفل من هـــذه تأتـــى المراكز المســـيطرة على العواطف والاحاسيس ..

ويسرى مفعول الخمر من أعلى الى أسفل ..

أى أنها تؤثر على الوظائف الارقى فى المخ أولا ..

ولذلك فان أول شىء يتـــأثر فى الانسان بالكميات القليـــلة جدا من الخمر هو الارادة وضـــبط النفس والســـلوك الاجتماعى فاذا زادت الكمية تأثرت مقدرته على التركيـــز الذهنى وهكذا ..

اثر الخمر على الشخصية :

لقد جاء فى تقرير المجلس الوطنى لمكافحة الخمور فى بريطانيا أن شرب الخمر مدة طويلة يؤدى الى تحلل الشخصية .. ويسبب ضعف الارادة وشرود الذهن. .ومدمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله ولا بوعوده ولو فى صحوته .. كما لا يمكن الاعتماد عليه فى المسائل المالية أو القيادية .

فهو سريع التأثر سريع الغضب ، كثير الهواجس والاوهام واغلب هؤلاء المدمنين يصبح فاشلا فى عمله مشاغبا وعنيفا فى بينه عديم الثقة فى زوجته وأولاده .. !!

أثر الخمر على أعضاء الجسم الاخرى :

لكى تعرف الضرر الصحى للخمر يمكنك احضار خلية حية نشيطة الحركة مثل الاميبا والنظر اليها تحت الميكروسكوب وهى تتحرك وتأكل فاذا وضع فى الماء كحول بنسبة ١٪ فان هذه الخلية يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام .. واذا زيدت الكمية فانها تصاب بالتسمم وتموت وهذا هو ما يحدث فى خلايا أجسامنا عند شرب الكحول ..

١ ــ تاثير الكحول على القلب والأوعية الدموية :

يتسبب الكحول بنسبة ١٪ فى زيادة عدد نبضات القلب ١٠ نبضات فى الدقيقة عن المعتاد مما يجهد القلب ، ومع تكرار الجرعة تؤدى الى تصلب الاوعية الدموية وخصوصا الاوعية التى تغذى القلب كالشريان التاجي مما يعرض الانسان للذبحات القلبية ..

ولذلك فان أهم نصيحة للمرضى المعرضين للذبحة القلبية هى الامتناع عن السجائر والخمر ..

٢ ــ تاثير الكحول على خلايا الدم :

للدم وظيفتان رئيسيتان : فبواسطة الكرات الحمراء يمتص الدم الاوكسجين من الرئة ويتخلص من ثانى أوكسيد الكربون .. وبواسطة الكرات البيضاء يقاوم الدم البكتريا والميكروبات التى تصل الى الجسم .

واذا وضعت قطرة كحول فى ماء بنسبة ١٪ على نقطة دم فان الكرات الحمراء تتحول الى صفراء ويقل نشاط الكرات البيضاء ، ومعنى ذلك فى جسم الانسان الحى أن يقل امتصاص الدم للاوكسجين فتصاب خلايا الجسم بما يشبه الاختناق وتتعب العضلات بسرعة كما تقل مقاومة الجسم لشتى أنواع الامراض والميكروبات ..

وقد أجرت احدى الهيئات الطبية فى بريطانيا بحثا على فريقين من عمال (السكة الحديد) احدهما : تناول قليلا من الكحول قبل العمل ، والآخر، لم يشرب الكحول فوجدت : أن الفريق الاول تعب بسرعة وكان انتاجه اقل .

٣ ــ تاثير الكحول على الكبد :

يتسبب الكحول فى المرض المعروف بـ (تليف الكبد الكحولى) وهو مرض منتشر فى أوروبا ونادر جدا فى

البلاد الاسلامية وفيه يموت عدد كبير من خلايا الكبد الحيـــة وتتحول الى نسيج ليفى ، واذا كانت نسبة التلف كبيرة أدى ذلك الى الوفاة المبكرة . وقد أجرى عالم نمساوى كبير بحثـــا على نسبة الوفيات فى أوروبا وأمريكا من حالات تليف الكبد ، فوجد أن هذه النسبة قد قلت الى النصف خـــلال سنوات الحرب العظمى الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا يحصـــــل الانسان عليها الا مع بطاقة التموين ، وكذلك كانت الحالة فى أمريكا عندما كانت الخمور ممنوعة .

٤ ــ الخمر ونقص الفيتامينات :

يصاحب شرب الخمر نقص شديد فى الفيتامينات فى الجسم وخصوصا فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (سى) ممـــا يــؤدى الى ظهـــور مـــرض (البـــــلاجرا) و (البرى برى) و (الاسقربوط) . وتظهر هذه الحالة بشكل رعشة فى اليدين وثقـــل فـــى اللسان وضعف فى العضـــــلات واضطراب فى حساسية الجلد وقد يؤدى الأمر الى شـــلل الاطراف .. وتضخم فى القلب ..

بعض المعتقدات الخاطئة عن الخمر :

يعتقد كثير من النـــاس أن القليل من الخمر يفيد ولا يضر .. فهنـــاك اعتقاد سائد بأنها تفتح الشـــــهية للطعام .. وأنها مدرة للبول وانهـــا تبعث الدفء فى الجسم عنـــد البـــرد الشديد .. وهناك من يعتقد أنهـــا تزيد النشاط الجنسى كما يدعى بعض الناس انها تخلق جوا اجتمـــــاعيا مرحا ..

وقد رأينا أن نبين هنا رأى البحث العلمى الغير متحيز فى كل واحدة من هذه المعتقدات :

١ ــ تاثير الخمور على شـــــهية الطعام :

هناك اعتقاد ســـائد بأن الخمور بكميات قليلة وخصوصا البيرة تفتح الشهية للأكل .. وقد وجد العـــلم أن هذا الشعور مرجعه الى التأثير النفسى فقط بســـــبب تخدير المراكز العليا فى المخ .. وبدراسة التأثير الفسيولوجى للكحول على المعدة : وجد أنه يزيد الحموضة .. ويسبب الخمول فى حركة الهضم والامتصاص كما يؤدى الى الالتهابات المزمنة فى غشاء المعدة وهذه بدورها قد تؤدى الى القرحة .. وكثير من النـــــاس يصابون بالقىء مهما قلت كمية الكحول التى يشربونها ..

ومن المعروف أن الشـــعوب التى تكثر من شرب البيرة تصاب بالامساك المزمن وتربى كروشا كبيرة بســـبب تمدد المعدة من الكميات الضخمة من السوائل التى يشربونها ..

٢ ــ تاثير الخمر على الكلى والجهاز البولى :

من المعتقدات الشـــائعة أيضا أن البيرة والخمور مدرة للبول وأنهـــــا تساعد على طرد الحصـــوة والرمل وغسيل مجرى البول .. وحقيقـــــة الامر أن البيرة يدخل فى تركيبهـــــا بعض الاملاح والاحماض الكاوية مثل حامض السليسيليك الذى يحفظهـــا من التعفن .. وبذلك تصبح عمليـــة ادرار البول نوعا من ارهاق الـــكلى

واتلاف نسيجها ، وكثير من مدمنى الخمر يصابون باحتباس البول أو بعدم السيطرة على التبول ..

٣ ــ الخمر والتاثير الجنسى :

هناك اعتقاد شائع بأن الخمور تنشط الغريزة الجنسية .. وحقيقة تأثير الخمر على الجنس ينقسم الى قسمين :

الاول : عن طريق التأثير على المراكز العليا فى الجهاز العصبى بتخديرها مما يزيل الشعور بالخجل أو الخوف والتردد مؤقتا (فى حالة وجود الخوف والتردد فقط) .

الثانى : عن طريق التأثير على المراكز السفلى فى المخ مما يضعف القدرة الجنسية ويؤدى الى الارتخاء والهبوط الجنسى .

وهذان التأثيران متعارضان بصورة خطيرة .. فالأول قد يزيد الرغبة الجنسية والثانى يضعف المقدرة وهذه الحالة تؤدى الى الكثير من العقد النفسية والجنسية عند شاربى الخمر وكثيرا ما تهدم الحياة الزوجية ..

ومن الملاحظ هنا أن الشخص العادى الذى لا يعانى من عقدة الخوف أو الخجل لن يستفيد من الشرب بل يضره ، وليس معنى هذا أن يقال إن عقدة الخوف والخجل سبب يدفع العقلاء لشرب الخمر فان هذه العقدة سريعا ما تزول على بساط الحياة الزوجية والفهم المتبادل لطبيعة الحياة الجنسية السليمة .

٤ ــ هل تزيل الخمر البرد وتبعث الدفء :

هذا الاعتقاد الشائع أيضا غير صحيح .. والذى يحدث أن الاوعية الدموية فى الجلد والوجه تتمدد عند تناول كمية قليلة من الخمر .. ويتدفق فيها الدم فيسبب احمرار الجلد والوجه مما يسبب (التوهم) بأن الجسم قد ارتفعت حرارته ولكن الواقع أن هذا التمدد فى الاوعية يؤدى الى خروج الحرارة الداخلية من الجسم وهبوط حرارته .. وفى القطب الشمالى يحظر على أعضاء بعثات الاستكشاف تناول الخمر لأنها قد تؤدى الى هبوط الحرارة الداخلية وتجمد الاعضاء والوفاة المفاجئة !!

٥ ــ الخمر والتاثير الاجتماعى :

يرى كثير من الناس أن تناول الخمر يجعل الانسان اجتماعيا يحب عشرة الناس والجلوس مع الاصدقاء وأنه يصبح أكثر مرحا وودا .. وربما كان فى ذلك بعض الحقيقة للوهلة الاولى .. ولكننا لو تعمقنا فى دراسة الاسباب لوجدنا أن الخمر تسبب بعض التخدير فى العقل الواعى مما يقلل شعور الانسان بواقعه ويقلل من تحفظه فى الكلام فينطلق لسانه بغزارة ويبدو اجتماعيا ودودا .. وهذا نوع من الحلول السلبية لمشاكل الحياة .. ومن أخطر مظاهره أن هذه الروح الاجتماعية المرحة لا يعقبها اى تصرف ايجابى لخدمة الغير أو المروءة والنجدة ..

واذا كان الهدف هو خلق روح اجتماعية وجعل الانسان ودودا يحب الناس فليكن ذلك بالاسلوب الايجابى (لا السلبى) وعن طريق الدين والعقيدة لا عن طريق تخدير الناس ونسيانهم لواقعهم ..

الخمر كمشكلة اجتماعية واقتصادية فى أوروبا :

لا تكاد الخمر أن تكون مشكلة ذات بال فى العالم الاسلامى .. وذلك بفضل الحسم القاطع الذى واجهها به الاسلام .. اما فى باقى العالم وخصوصا فى أوروبا وأمريكا فهى تشكل مشكلة اجتماعية واقتصادية خطيرة .. ففى كل بلد متطور نجد عشرات الهيئات المختصة فى الدعوة ضد المسكرات وفى علاج المدمنين كما نجد الكثير من المستشفيات ودور النقاهة المختصة بهذه المشكلة ..

وقد نشر المجلس الوطنى للمسكرات فى أمريكا سنة ١٩٦٦ احصائية يذكر فيها أن فى أمريكا وحدها ٦ ملايين رجل وامرأة يدمنون الخمر الى حد التسمم وأن الخمر تتسبب فى :

- ١٠٪ من حالات الجنون والاضطراب العقلى التى ادخلت المستشفيات .
- ٣٠٪ من حالات الطلاق وتشرد الاطفال .
- ٤٥٪ من حوادث السيارات .
- ٦٥٪ من أسباب البطالة أو التهرب من العمل .

وبلغت خسائر أمريكا فى هذه السنة بسبب الخمر وحدها ٢ر٥ بليون دولار ..

الاسلام والخمر :

يعتبر الاسلام الدين الوحيد الذى جاء بأمر قاطع فى النهى عن الخمر .. وقد اتبع الاسلام فى ذلك اسلوبا فريدا فى نوعه سبق به أحدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون .. ونلخص هذا الاسلوب فى أمرين :

أولا : التدرج فى المنع حتى لا يشق على الناس .

ثانيا : ربط الاوامر بالاحداث الواقعية مستفيدا من التأثير النفسى والسيكولوجى .. أول آية نزلت فى الخمر كانت عندما قال عمر « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزل قوله تعالى :

« يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير .. ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » سورة البقرة ، آية ٢١٩ .

وهنا قال بعض الناس حرمت الخمر وانتهوا عنها ..

وقال آخرون يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله عز وجل فسكت رسول الله عنهم .. وكان بعضهم يحضر الصلاة وهو سكران فلا يدرى ما يقول ، وعاد عمر يدعو ربه « اللهم اجعل لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثانية : **« يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »** النساء/٤٣ .

فقال بعضهم حرمت الخمر .

وقال بعضهم لا نشربها قرب الصلاة فسكت رسول الله عنهم ..

ثم دعا عمر ربه « اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثالثة الحاسمة :

« يا أيها الذين آمنوا .. انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله

وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »
سورة المائدة / الآيتين ٩٠ و ٩١ .
فلما نزلت هذه الآية جاء الناس الى الرسول فقال لهم « حرمت الخمر » .
ومن أحاديث الرسول فى الخمر قوله « اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر » الحاكم عن ابن عباس الترغيب حـ ٤ ص ٢٩٨ ..
« من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد الوثن » رواه ابن حبان عن ابن عباس – الترغيب حـ ٤ ص ٢٩٧ .
وقوله « من شرب الخمر أسقاه الله من حميم جهنم (٢) يوم القيامة » .
وعن عائشة « كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام » فقه السنة حـ ٩ ص ٥٢ ط أولى .

الخمر فى الحدود الشرعية :

لم ينزل فى القرآن حد على الخمر .. ذكر العينى فى شرح الكنز عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمر بالجريد والنعال .. نسبه الى الشافعى .. وروى عن الامام أحمد عن أبى سعيد قال : جلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر بنعلين ، فلما كان على عهد عمر جعل بدل كل نعل سوطا ، شرح العينى على الكنز حـ ١ ص ٢٣٠ .
وأول من حد على الخمر أبو بكر الصديق رضى الله عنه . فقد ضرب عليها أربعين ضربة بالجريدة وبأطراف النعال ..
وعندما فتح الله على المسلمين بلاد الشام ومصر وفارس كانت الخمر متوفرة فى تلك البلاد يشربها اهل الذمة ويبيعونها فى الاسواق والخمارات فلم يتعرض الخليفة لهم احتراما لشعائرهم ..
ولكن بعض الشباب والجنود المسلمين ابتدأوا على عهد عمر يشربون الخمر مستخفين بهذا الحد الهين .. وزاد الامر على عمر حين ابتدأ بعضهم بتأويل كتاب الله لتعليل فعلتهم ..
– فمنهم من قال ان الخمر لم تحرم علينا لأن الله قال فاجتنبوه ولم يقل حرم عليكم ..
– ومنهم من قال ان الله قد أنزل الحدود فى كل معصية الا الخمر ولو كانت حراما لأنزل الله فيها حدا معروفا .
– وقال آخرون ان الله قال « فهل أنتم منتهون » فلم يعزم علينا أى لم يأمرنا أمرا .
وقد كبر على عمر هذا التأويل لكتاب الله واعتبره معصية أكبر من شرب الخمر .. فجمع عمر الصحابة فرأوا :
– أن من يحاول تأويل كتاب الله فى الخمر حكمه كحكم المرتد عن الاسلام يحل دمه على المسلمين .
– وأما من اقر بأن الخمر حرام وشربها فحكمه كمن يقذف المحصنات لأن شارب الخمر لا يعى ما يقول وقد يسب ويقذف فحده ثمانون جلدة ..
وبذلك أنهى عمر فتنة كادت أن تطل على الاسلام فى أول عهده ..
وعندما تولى عثمان الحكم عاد الى حد أبى بكر .. فكان يضرب على الخمر أربعين اذا كان لأول مرة ومن عاد يضربه ثمانين ..

علاج مشكلة الخمر :

ان الطريق الصحيح لعلاج مشكلة الخمر هو الجمع بين :
ـ التربية البدنية .
ـ والتثقيف الصحى .

والطب وحده لا بد أن يفشل كعلاج كما أن الدين وحده لا يحقق النتائج المرجوة دون الاقناع العلمى والطبى .

وأول قاعدة فى هذا العلاج هى « **الوقاية خير من العلاج** » .

ومعنى ذلك منع الخمر منعـــا قاطعا فى المجتمع الاسلامى وذلـك يشمل منع بيعها والاتجار فيها ومنع صنعها أو استيرادها وما أصـدق قول رسول الله (١) : « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، ومبتاعها ، وبايعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمـــولة اليه وآكل ثمنها » رواه ابن ماجه عن ابن عمر ـ الترغيب حـ ٤ ص ٢٩٣ .

ان الانسان بطبيعتـــه يكون فى أحسن حالاته الصحية اذا عاش على الفطرة التى خلقنا الله عليهـــا .. وليس فى فطرة الله مخدر ولا منبه ولا خمر .. ولو نشأ الشباب والجيل الجديد فى مجتمع لا يرى فيه الخمر ولا يسمع عنها فانه لن يحس بفقدان شىء ، وسوف ينشأ حياة صـحية سليمة .

وقد أثبتت الابحـــاث العلمية أن مدمن الخمر يبدأ هذه العادة مجاراة لأهله أو أصدقائه .. وقد لا يكون بين هؤلاء سكير ولا مدمن للخمر ولـكن استجابة الناس لهذه المســكرات تختلف من جســـم الى آخر ومن شخصية الى أخرى . فمنهم من يكتفى بجرعات صغيرة وينوقف عند حد معين ومنهم من يصاب بالادمان بعـد أول تجربة .. وكثيرا جدا ما يتحـــول الشخص المعتدل الى مريض مدمن عندما تصادفه مشـــكلة كبيرة فى حياته أو صدمة نفسية .. وكل واحد من هؤلاء المدمنين يعتبر فى الطب مريضا بالجسم والعقل والروح فى وقت واحد .. ولذلك كان العـلاج الاول هو العلاج الجذرى اى منع الخمور من المجتمع منعا قاطعا ..

وقد لوحظ بالتقصى والبحث العلمى أن معظم حالات شرب الخمر ترجع الى أسباب ثلاثة :

السبب الأول : هو الاعتقـــاد السائد بين الناس بأن للخمر فوائد جنسية أو اجتماعية أو انها ضـد البرد .. وقد سبق تفنيد هـــذه المعتقدات فعـــلاجها يكون بالتثقيف الصحى والتوعية العلمية .

السبب الثانى : التخـــلص من مشاكل الحياة والهروب من الواقع .

السبب الثالث : الفراغ والملل .

وخير علاج لهذين العـــاملين الاخيرين هو بعث العقيدة الدينية فى نفوس الشباب ، فالدين يملأ علـى الانسان كل فراغ نفسى .. ويجعل للحياة هدفا وغاية ويبعث فى النفس الشجاعة لمواجهة الحيـــاة بدلا مـن الهروب من المشاكل بالمخـــدرات والمسكرات .

---

(١) رواه مسلم عن ابن عمر : ذكره العينى فى شرح الكنز هـ ٢ ص ٢١٨ .

(١) رواه البزار عن ابـن عمر ـ الترغيب هـ ٤ ص ٣٠١ . .

هجرة

الليل سهران الجفون بظلمة الكون اكتحل
ومعالم الصحراء قد مدت كأطراف الأزل
وكتائب الصمت الرهيب تدب فى سفح الجبل
والبيد فى فرح تهدهده تباريح الوجل
والبدر فى وجه السماء رأى المهاجر فاكتمل
وأنامل التاريخ أمسكت اليراع على عجل
لتخط أروع قصة فى خلدها أوفى مثل
والكون حين تحمل السر استعز بما حمل
ضمت جوانبه بآمال المنى أحلى أمل
والدهر يبسم والوجود عن الوجود قد انشغل
والوحى بين يديه ليثار تغنى وارتجل
وعلى أديم الأرض أقدام تسير على مهل
خطواتها فوق الرمال كأنها لمس القبل
ما ذلك السر الذى يمشى ومن هذا البطل
هذا رسول الله ! هاجر للمدينة وارتحل

* * *

وتسير قافلة النبى على هدى نور النبى
سارت بوحى الوحى للمختار من أمر العلى
هى حكمة اذن الرسول بها بمعناها الخفى
فمضى بسر يقينه يمضى فلا يثنيه شى
بل هاجر الرجل الأبى بدينه السمح الأبى
ببطولة كالخلد ، كالأقدار ، كالنور الجلى
تسرى معانيها إلى معنى الشجاعة فى على
فيبيت فى دار النبى يفديه بالعمر الفتى
ضحى لينعم بالمبيت بمضجع الطهر النقى
وينام ملء عيونه والموت حول الدار حى

المصطفى

للاستاذ المرحوم محمد محمود الماحى

وسرت بمعناها الوفى إلى أبى بكر الوفى
هذا الصديق الصادق الصديق ذو القلب الرضى
وسرت إلى أسماء وهى كبرعم الزهر الندى
فتحملت ما نالــه منها أبو « الجهل » العتى
كم راح يضربها فما لانت ولا باحت بشى
ـل صانت السر الرهيب بقوة الله القوى
لتسير قافلة النبى على هدى نور النبى

* * *

وتسير فى أثر الرسول قوافل متتابعة
رهط من الأعداء تحملهم خيول مسرعة
أصواتهم تحت الغبار كولولات الزوبعة
جنت عقائدهم فباتوا فى حياة ضائعة
وطواهم الحقد المرير على نوايا مفزعة
فتلمسوه ليقتلوه ، وإنما المولى معه
فمحمد فى الأرض تحرسه السماء السابعة
ومحمد فى الغار لا شىء هنالك روعه
لا شىء غير الوحى بالتأييد يطرق مسمعه
وكتائب الأعداء حيرى فى البقاع الواسعة
خدعوا بخيط العنكبوت وبالحمامة وادعة
فتفرقوا ومضى النبى إلى المدينة فى سعة
والغار يبكى حينما هم النبى فودعه
يا فرحة الأنصار والأنوار فيهم ساطعة
آخى رسول الله بينهم ، وضعوا موضعه
ما أروع التاريخ . . . حين نقصه ما أروعه !

سباق الخيل في الإسلام

للدكتور نجاشى على ابراهيم

المسابقة على الدواب مشروعة ، لأنها آلة من آلات الجهاد فى سبيل الله ، ومع ذلك فليست كل الدواب صالحة لهذه المسابقة المشروعة ، وإنما يختص هذا بنوع معين منها ، هو ذو الخف والحافر ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه وغيره : « لا سبق إلا فى خف أو حافر » وهذا يشمل : الخيل ، والابل ، والبغال ، والحمير ، والفيلة (١) .

وقد شرع الاسلام : المسابقة ، لأنها كانت تعتبر التدريب العملى ، والاستعداد الفعلى للجهاد ، ولقاء العدو ، ولذلك جاز أن تتم بعوض — وبغير عوض — لأن الهدف منها : اتقان فن السباق وممارسته ، ومعرفة قواعده ، كى يستفاد منه ، وينتفع به وقت استخدامه ، عند الحاجة إليه .

وإذا كان هــذا هو الغرض من المسابقة ، فان الاسلام قد نأى بها : عن جو المقامرة ، حتى يتحقق المقصود منها ، فلا تكون وسيلة للكسب الحرام ، ومن هنا جاز أن يقدم العوض — الذى يعتبر جائزة يستحقها الفائز فى السباق — أحد المتسابقين ، كما يجوز أن يقدم العوض غيرهما ، يقول العلامة الخطيب الشربينى : ويجوز شرط

العوض من غير المتسابقين ، سواء اكان من الإمام أم من غيـره ، كـأن يقول الامام : من سبق منكما فله فى بيت المال كذا ، ويكون ما يخرجـه من بيت المال — من سهم المصالح — كما قاله البلقينى ، أو يقول الأجنبى : من سبق منكما فله علىّ كذا ، لأنه بذل مال فى طاعة (٢) .

فاذا أخرج العوض من اخرجه ، فان السابق من الفارسين هو الذى يستحق العوض : جائزة له علـى سبقه ، وتقديرا له على فوزه ، لا يشاركه فيه أحد غيره .

وعلى هـذا فان التنافس بين المتسابقين ، إنما يكون على عوض واحد ، يحرزه الفائز فى السباق ، بينما يحرم المسبوق الذى لم يفز ، فلا يأخذ شيئا من هذا العوض .

وهذا التنافس إنما تبدو حقيقته ، وتبرز أهميته ، وتشتد ضراوته بين المتسابقين : إذا أخرج العـوض غيرهما ، ليكون جائزة للفائز منهما ، فكل واحد من المتسابقين — فى هذه الحالة — يبذل جهـده ، ليسبق صاحبه ، حتى يستأثر بالعـوض ، وينتزعه لنفسه ، ويفوز به وحده .

أما إذا أخرج العـوض : أحـد المتسابقين ، فان التنافس هنا يختلف إذ يأخذ له شكلا آخر ، فهو بالنسبة لمن أخرج العوض : يكون وسيلـة لاستبقاء العـوض واسترداده ، والمحافظة عليه ، حتى لا يفوز بـه منافسه ، بينمـا يكـون التنافس بالنسبة للمتسابق الآخر — الذى لم يخرج العوض — وسيلة للفـوز بالعوض الذى أخرجه صاحبه .

وهذا قد يدفع المتسابقين ، إلى ان يخرج كل واحد منهما عوضا — من جانبه — حتى لا يكون لأحدهما فضل على الآخر ، يمن به عليـه ، وبذلك تتحقق المساواة بينهمـا ، ويكون للتنافس أسبابه وبواعثه — التى تدفع إليه — حتى إذا قـدر لأحدهما أن يسبق صاحبه ، فانـه يأخذ العوضين معا ، نتيجة سبقه ، وتقديرا لفوزه الذى أحرزه وحققه .

وتلك مقامرة نهى الاسلام عنها ، ونفر منها ، لأنها تتعارض مع الفرض الذى من اجله شرعت المسابقـة ، ولأنها تؤدى — فى النهاية — إلـى الكسب الحرام الذى يمقته اللـه ورسوله .

ولما كان إخراج العـوض من المتسابقين : أمرا محرما ، يؤدى إلى المقامرة المذمومة شرعا ، احتـال الناس حتى يضفوا على المحـرم : صفة الحل ، ويخرجوه من دائـرة المنع ، إلى دائرة الجواز والمشروعية وذلك بادخال متسابق ثـالث ، لا يخرج عوضا من جانبه — اكتفاء بما أخرجه المتسابقان — وبذلك تـزول صفة المقامرة شرعا ، ويـذهب التحريم ، ويعود عنصر التحليل — الذى افتقده — ثم عاد مـع مجىء المتسابق الثالث .

وبانضمام المتسابق الجـديد ، يكون السباق قد اشتمل على ثلاثـة — من الفرسان — لكل واحد فرسه التى يركبها ، ثم يجرى التنافس بعد ذلك : على أخذ العوضين ، ليحصل عليهما من يسبق صاحبيه .

= فان كان السبق فى جـانب الفارس الجديد ، فانـه يأخـذ العوضين .

= فان تأخر ، وسبقه صاحباه ، فانه لن يغرم شيئا لهما : عن تأخيره، ويكون العوضان للسابق منهما .
= اما إن جاء المتسابقان معـا ، فكل واحد منهما : يأخذ عوضه الذى اخرجه ، ولا يغرم لصاحبه شيئا .
= فان جاء الثالث مع احـد المتسابقين ، فان هذا المتسابق يبقى له عوضه الذى أخرجه ، ثم يقتسم بعد ذلك عوض صاحبه الذى تأخر : مع الفارس الثالث ، وفى هـذا يقول الخطيب الشربينى : وإن جاء المحلل مع احد المتسابقين ، وتأخر الآخر : فمال هذا لنفسه ، لأنه لم يسبقه احد ، ومال المتأخر : للمحلل وللذى معه ، لأنهما سبقاه (٣) .
وبذلك يتحقق التنافس المشروع ، وتزول صفة القمار المحرمة التـى وجدت : نتيجة لاخـراج كـل من المتسابقين عوضا .

ولما كان ادخال الفرس الثالث — بين الفرسين — قد حلل المسابقـة واجازها : بعد تحريمها ، اشتهرت هـذه الصورة : بحيلـة الفرس المحلل .

وهذا الفرس المحلل : لا بـد أن يكون كفؤا للفرسين ، حتى يكـون الثلاثة فى مستوى واحد ، من القوة والنشاط ، فلا يصح أن يكون اقـل منهما ، لأنه لو كان ضعيفا ، فمن المؤكد أن لا يلحق بالفرسين ، ولـو كان كذلك : فان دخولـه لن يأتى بالغرض المشروع ، اذ تبقى صـورة القمار كما هى ، دون أن تتغيـر ، وهذا الفرس إنما سمى محـللا ، لأنه يحلل العقد ، ويخرجـه عـن صورة القمار المحرمة ، وهو ما يعنيه العلامة السندى بقوله : ان كـان مما يمكن أن يكون سابقا أو مسبوقا فجائز (٤) .

فالتكافؤ أمر ضرورى ، لا بد منه ، لأن إمكان السبق وعدمه : إنما يكون عند التساوى ، فان كان الفـرس المحلل ضعيفا — يقطع بتخلفه — أو فارها يقطع بتقدمه : فلا يجوز (٥) .

وهذا ما يشير إليـه الرسول — صلى الله عليه وسلم — بقـوله : « من أدخل فرسا بين فرسين ، وهو لا يؤمن أن يسبق : فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين ، وهو يؤمن أن يسبق : فهو قمار (٦) » .

وعلى هذا — فوجه الدلالة — من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : أن الله سبحانه حرم إخراج السبق (٧) من المتسابقين معا ، لأنه قمار ، إذ يكون كل منهما : بين أن يأخذ من الآخر ، أو يعطيه على السبق ، ولم يقصد المخرج أن يجعل للسابـق : جعلا على سبقه ، فيكون من جنس الجعالة ، فاذا أدخلا — ثالثا — كان لهما حال ثانية ، وهو أن يعطيـا جميعا : الثالث ، فيكون الثالث له جعل على سبقه ، فيكون من جنس الجعائل ، ولا يكون كذلـك : حتى يكون فرسا ، يحصل معه مقصـود انتفاء القمار (٨) .

فادخال الفرس الثالث : إنما كان لمنع القمار ، وتصحيح الوضـع ، وإعادة المسابقة إلى صورتهـا المشروعة ، ومنع القصد الخبيث : من أن تترتب عليه آثاره .

فالتحريم قائم : إذا كانت المسابقة تؤدى إلى القمـــــار ، وذلـــك فى حالتين :

= إذا أخرج السبق كـــــل من المتسابقين ، ولم يدخلا بينهما محللا .

= إذا أخرج السبق كـــل من المتسابقين كذلك ، وأدخلا بينهمـــــا محللا ، وهما متأكدان : من أنه لن يلحقهما ، لضعف فرسه .

أما إذا كان الفرس المحلل ، فـــى مستوى فرسيهما : فان صفة القمار تنتفى ، لأن المسابقة فى هذه الحالة: يتوافر فيها عنصر الكفاءة ، وبالتالى يتحقق مقصودها الشرعى : لامكان السبق وعدمه .

ومع كـــل هـــذا ، فليس هناك ما يمنع : من أن تكون المسابقـــة ، من غير جعـــل أصـــلا ، بمعنى أن السابق لا يأخذ شيئا .

والله الموفق والمعين ، والهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) أنظر سنن ابن ماجة جـ ٢ ص ٩٦٠ وسنن ابى داود جـ ٣ ص ٢٩ والنسائـــى جـ ٢ ص ١٢٢ والاقناع فى حل الفاظ ابى شجاع للخطيب جـ ٢ ص ٢٤٧ وحاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) الاقناع جـ ٢ ص ٢٤٩ وانظر التنبيه للشيرازى ص ٧٨ وقوانين الاحكام الشرعية لابـــن جزى ص ١٧٧ .

(٣) الاقناع جـ ٢ ص ٢٤٩ وانظر قوانين الاحكام الشرعية لابن جزى ص ١٧٧ .

(٤) حاشية السندى على سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٥) الاقناع جـ ٢ ص ٢٤٨ وانظر الام للامام الشافعى جـ ٤ ص ١٤٨ .

(٦) مسند الامام أحمد جـ ٢ ص ٥٠٥ وسنن أبى داود جـ ٣ ص ٣٠ وابن ماجه جـ ٢ ص ٩٦٠ وقوله « يؤمن ، ويسبق » مبنيان للمجهول .

(٧) السبق بفتح السين والباء : ما يجعل للسابق من المال على سبقه ، اما الســـبق بفتح السين وسكون الباء : فهو مصدر سبق بمعنى تقدم .

(٨) إقامة الدليل لابن تيمية ص ٢٣ .

الأسرة في المنهج الرباني

للشيخ سعد المرصفى

بين اللغة والدين :

الاسرة كما فى القاموس : الدرع الحصينة .

وذهب علماء الاجتماع المحدثون الى أن الاسرة لا تتوقف عند حد القرابة الدموية . اذ قد ينضم اليها ما ليس منها كالدعى المتبنى .. كما قد يخرج عنها من تربطه بها صلة الدم دون أن ينتفع بها . كالمغترب الذى يعيش بعيدا عن أسرته . ولا تربطه بها صلة . وكاولاد الصلة غير المشروعة .

وقد اشترط دوركايم لتكوين الاسرة أن يتوافر فيها شرط آخر هو أن تكون هناك حقوق وواجبات يقرها المجتمع . وتحدد التزامات كل عضو نحو الآخر .

والاسرة فى الدين محددة بمفاهيم تتفق والمنهج الربانى الذى أبطل التبنى وحرم العلاقة الآثمة .. فهى اذن : مجموعة تكونت عن طريق العلاقة الشرعية . وارتبطت بالعقيدة التى حددت الحقوق والواجبات بين أفرادها بخاصة . والمجتمع بعامة . وتمتد فتشمل بنى الانسان فى ضوء تلك المعالم .. وهى الامة الصغيرة التى تعلم الانسان منها أفضل أخلاقه الاجتماعية التى هى أجمل أخلاقه وأنفعها .. وهى – أيضا – التى تمسك اليوم ما بناه النوع الانسانى فى ماضيه . وتؤول به غدا الى أعقابه وذراريه . حقا : لا أمة حيث لا أسرة . ولا انسانية حيث لا أسرة . وواجب الانسان تجاه الانسانية هو واجب الاسرة الكبرى التى جمعت أخوة الشعوب والقبائل من أبناء آدم وحواء للتعارف والوئام لا التناحر والخصام .. ومتى علمنا هذا فقد علمنا شأن الاسرة فى الدين ..

إفراط وتفريط :

شغلت الأسرة خلقا كثيرا من أمم مختلفة . وطوائف متعددة . ممن اهتموا بالبحث فى شأنها . ذلك : أن بين الجنسين اختلافا فى صفات متنوعة . وجهات متعددة . فى الخلق والاستعداد . وفى مهمة كل منهما فى الاسرة والمجتمع .

ولنأخذ مثلا منشأ اختلاف وجهات النظر فى المرأة . فقد اختلفت تلك تبعا لاختلاف الثقافات والنحل والمدارك والملل . والأفكار التى تحكمت فى القديم والجديد . والأوضاع والتقاليد . ولقد بدأ هذا منذ فترة سحيقة حتى اليوم .. وكان اختلافا فيما لها من حقوق . وما عليها من واجبات . وما تختص به دون الرجل . وما ينفرد به الرجل عنها .. مما لا سبيل الى ادراكه . لا بطبع . ولا باحتمال . ولا بامكان . كما كان بعضه فى جانب انصافها وتقديرها بعض الشىء . وبعضه وهو الكثير جور عليها . وغمط لحقها بحرمانها بعض ما تستحق فى ميزان الانصاف والعدل . أو استعانة عليها لضعفها وقلة احتمالها .

ومن هؤلاء من نظر اليها نظرة

لا أمة حيث لا أسرة ولا إنسانية حيث لا أسرة

مجاملة ومحاباة افســـدت كثيرا من وضع الانسانية التى يرضى الحق جل شأنه أن تسعد وتنعم فى جو العدالة والاحسان فى رحاب الايمان ..

وخلاصة ما نحب أن نشـــير اليه هنا . هو ما وصـــلوا اليه نتيجة الافراط والتفريط .. من الحجر عليها الى حد الظلم . ومن اطلاق لها حتى تقدمت الصف وأصبحت الحاكم ..

لعن الله قوما ولوا أمرهم امرأة . ولعن الله قوما ظلموها وقتلوها .

هذا . ولم تكن تلك الاختـــلافات بدعا من الأمر . فان ذلك هو الشأن فى كل أمر حيوى ما دام الفـــكر الانسانى غير ملتزم بالمنهج الربانى . فالفكر دائما يذهب مذاهبه حين لا يجد ركنا ركينا يستند اليه . ومنهجا قويما يسير عليه .

عناية القرآن بالأسرة :

الاسرة هى الركن الذى اذا صلح صلح العالم بصلاحه ، واذا فسد فسد بفساده . واذا كان الناظر فى القرآن الكريم يجد أن كثيرا من العبادات قد أتى تفصيل الكثير من أمره والدقائق فى شأنه من سنة النبى صلى الله عليه وسلم . فانه يجد أن القرآن الكريم قد تولى تفصيل أهم شئون الاسرة وواجباتها . وسبل المعاملة فيها . تولى كل ذلك العليم الخبير بمقتضى علمه ألا يدل ذلك على خطورة شان الاسرة ومدى عناية القرآن الكريم بها .

والاهتمام بها يتضمن أمرين :

أولهما : ترتيب الاصلاح الانسانى على مدى اهتمام القرآن الكريم وعنايته بما يمكن أن يكون عماد رخاء الحياة وسعادتها .

ثانيهما : أن اتجاه الدين الى قضية من القضايا وعنايته بأمرها وترديده الكثير من احكامها ، والفصل فى مشاكلها دليل على ما لتلك القضية من كبير الخطر . وما لهـــا فى الحياة من عظيم الاثر .

وكلا الأمرين ينطبق على شئون الاسرة التى عنى بها الدين الحنيف وظهرت عنايته بها فى القرآن الكريم .

وعليه : فمن العبث التهاون فى أمرها . وعدم التدبر فى أحكام الله عز وجل بشأنها . وعدم الالتزام بتلك المعالم فى كل أشكالها و صورها .

نعم : ان هناك من التكاليف الشرعية ما هو فى نظر الاسلام كالاسرة ولا يقبل الله فى ساحته من قصر فى تنفيذه والاهتمام بامره ولـكن تلك التكاليف ســـهلة الحلول اذا ما اتجهت النفوس اليها بصدق واخلاص .

الفتاوى

اسعاف المسلم بدم الكتابى

السؤال :

هل يجوز أن يسعف المسلم المصاب بنزيف الدم من دم النصارى واليهود ؟

الجواب :

اسعاف المسلم المصاب بنزيف الدم من غير المسلم جائز شرعا ، فعليه تتوقف حياة المسلم وبه يتم انقاذه من خطر الموت الذى يتهدده وفيه ابعاد له عن التهلكة التى أمرنا الله بتوقيها حيث يقول فى سورة البقرة « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

واذا نظرت الى ابناء الكتابية التى تزوجت بمسلم تجد ان اصل تكوينهم قد اختلط بدم غير مسلم .

والاسعاف بدم غير المسلم جائز وضرورة يبيحها الاسلام .

اختلاف الضرائب عـــن الزكاة

السؤال :

اذا كانت الضرائب التى قررتها الدولة تنفق فى مصلحة المحتـــاجين فهل يجوز أن أحسب الضرائب التى ادفعها من الزكاة .. ؟

الجواب :

الضرائب وضعها مخالف لوضع الزكاة ، لأن الزكاة ركن من اركان الاسلام وهى حق قرره الله سبحانه وتعالى للفقراء فى مال الاغنياء .

أما الضرائب فهى من وضع الحاكم يقرر على الموسرين نســـبة معينة بما يحقق المصالح العامة للأمة .

والزكاة لها مقادير معينة بنص الشرع لا تزيد ولا تنقص عما حدده الشرع ومقدارها ٢١/٢ ٪ بالنسبة للنقد ، ١٠ ٪ أو ٥ ٪ بالنسبة للزروع والثمار مثـــــلا

بخلاف الضرائب ، فقد ترتفع وقد تنخفض وقد تلغى أصلا عند الاستغناء عنهـا فمن الواضح أن احداهما لا تغنى عن الاخرى لاختلافهما فى الغاية وفى الاستقرار والدوام وعلى هذا فالضرائب لا تغنى عن الزكاة التى هى حق الفقراء .

قال الله تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » فادفع الزكاة حقا للسائل والمحروم ، شكرا لله على نعمته .

الرضاع

السؤال :

أخي الاكبر رضع من زوجة خالى وعندها بنت أريد أن أتزوجها .. فهل يحرم عليّ الزواج منها .. ؟

الجواب :

رضاع أخيك الاكبر من زوجة خاله يجعله ابنا لها من الرضاعة فتحرم هى وبناتها عليه لأن الله تعالى يقول فى سورة النساء : « حرمت عليكم أمهاتكم » الى أن قال سبحانه : « وأمهاتكم اللاتى أرضعتكم وأخواتكم من الرضاعة » .

وأنت لا دخل لك بهذا التحريم لأنك لم ترضع من أم الفتاة والفتاة لم ترضع من أمك فلا تكون أنت أخاها من الرضاع فيحل لك الزواج من ابنة خالك المذكور اذا كان الأمر كما وصفت .

الرهن

السؤال :

أريد أن أقترض مبلغا من البنك لأفتح به دكانا وعندى قطعة ارض زراعية .. فهل يجوز شرعا رهنها للبنك ضمانا للقرض ..؟

الجواب :

الرهن أجازه القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فكل ما جاز بيعه جاز رهنـه قال الله تعالى : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضـة » . وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير لأهله وقد أجمع العلماء على جواز الرهن بشروط معينة توسعت فى ذكرها كتب الفقه الاسلامى .

وبهذا يجوز لك أن ترهن الارض الزراعية للبنك ولا يجوز للبنك أن يأخذ فائدة من وراء قرضه لك . فكل قرض جر نفعا فهو ربا كما لا يجوز للبنك أيضا أن يستغل الارض ويأخذ الناتج منها ، فالمنفعة تعود إليـك ولا حق للبنـك فى استغلالها ، وليس للبنك الا حبس العين حتى يسترد القرض منك .

من قضاة الإسلام

الماوردي

للدكتور فؤاد عبد المنعم

تمهيد :

ان قوام المجتمعات الصالحة قديما وحديثا ، أساسه العدل بين الأفراد ، وسبيله الحكم بين الناس ، وقد قيل العدل أساس الملك ، ويتحقق العدل بحسم الخصومات والمنازعات وايصال الحقوق الى أصحابها ، بمقتضى الأحكام الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة ، والتشريع الصادر من ولى الأمر فيما لا يخالفهما .

وقد اهتم العلماء المسلمون ببحث شروط القاضى وكيفية تعيينه ، وانفرد الماوردى بدراسة التنظيم القضائى وتأسيسه ، وفى دراسة ذلك التنظيم ما يصل بين حاضرنا وماضينا ، وبالمقارنة بينه وبين الأنظمة الحديثة ، يتضح لنا مدى أصالة شرعنا ، وعمق تفكير مفكرينا ، ومدى اسهامهم فى رقى الانسانية واسعادها .

وفى القاء أضواء سريعة على شخصية الماوردى ما يعين على الالمام بالتنظيم القضائى ، وما يجب أن يتصف به القاضى فى نظره ، وهو السياسى البارع ، والكاتب الأديب والفقيه المجتهد ، وعمدة القضاء فى عصره .

معالم حياته :

● هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى ، ولد بالبصرة عام ٣٦٤ هـ ــ ٩٧٤ م من أسرة تنتمى الى بيع ماء الورد .

والتنظيم القضائي في عصره

● وصل الى بغداد وتعلم بها ، وعلم فيها ، واشتغل بالقضاء فى البصرة ، وبغداد ، حتى وصل الى منصب اقضى القضاة فى سنة ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م ، وقد نتج عن اشتغاله بالقضاء انه درس واقع حيـــاة الناس ، ومشاكلهم ، والتعمق فى دراسة الأحكام الفقهية والافادة منها فى اصدار احكامه .

● كان قريبا من الخلفاء والوزراء ، وسفيرا بينهم ، وبين خصومهم السياسيين ، وقد ساعدته تلك القربى على ان يكتب فى السياسة كتابات كان لها اثر كبير فى الفكر السياسى الاسلامى من بعده . وكان اديبـــا لغويا كتب كتابات ممتعة(١) فى تاريخ الأدب العربى ، كما كتب فى الأخلاق والتربية ، كما كانت له بعض النظرات الصائبة فى بعض الأحاديث ، ووثقه فيهـــا بعض علماء الجرح والتعـــديل ، وكان فقيهـــا شافعيـــا مجتهدا ينهج نهجا علميا يكاد يكون حديثا فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة فى المسألة ويرجح بينها ، وينتهى لرأى يرى فيه وجه الحـــق والصواب ، حتى انتهت اليه زعامة الشافعية فى عصره .

● انفرد فى تفسيره ببعض الاتجاهات التى تدل على أصالة وعمـــق فى التفكير .

وتتميز جميع كتاباته بأسلوب واضح بليغ ينتقى الفاظه ومعانيه ، ويؤلف بينها كأنها شعر منثور .

● وكان أخلاقيا فى سيرته ومعاملاته بين الناس ، وعمر طويلا فعاش ستا وثمانين سنة ومات سنة ٤٥٠ — ١٠٥٨ م ودفن ببغـــداد بباب حرب .

الماوردى القاضى :

لم نجد فى كتب التراجم العامة أو الخاصة بالقضاة ما يفيد كثيرا عن الماوردى كقاض ، وليس امامنا الا ما كتبه الماوردى نفسه عن القاضى وما يشترط فيه ، ومن خلال ما كتب يمكن أن نستشف شخصية الماوردى كقاض وصل الى درجة قاضى القضاة ، يتولى تعيين وعزل القضاة ، ويتفقد أحوالهم ، ويراجع أحكامهم .

شرط القاضى فى نظر الماوردى :

يضع الماوردى مقاييس خاصة ، لا بد وأن تنطبق على كل من يتولى القضاء :

١ ــ يقصر تلك الوظيفة على الرجال دون النساء مستندا لقول الله تعالى فى سورة النساء آية ٣٤ « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** » ولقول النبى صلى الله عليه وسلم « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخارى والترمذى والنسائى : ص ٧ من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

٢ ــ أن يتوصل بذكائه الى ايضاح ما أشكل وفصل ما أعضل وأن يكون صحيح التمييز فطنا ذكيا بعيدا عن السهو والغفلة .

٣ ــ أن يكون حرا مسلما ويستدل بقول الله تعالى « **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** » (الآية ١٤١ من سورة النساء) .

٤ ــ أن يكون عدلا ، والعدالة معتبرة فى كل ولاية فيكون صادقا أمينا عفيفا عن المحارم .

٥ ــ السلامة فى السمع والبصر ليصح بهما اثبات الحقوق ، فان كان ضريرا فولايته القضاء باطلة .

٦ ــ أن يكون عالما بالأحكام الشرعية وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ويستدل بقول معاذ بن جبل حين أرسله النبى الى اليمن وسأله : « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله ، قال فان لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله . قال فان لم تجد ؟ قال اجتهد رأيى . فقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله » (رواه أبو داود وأحمد : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث حـ ٧ ص ٢٦٦) .

ويجوز للقاضى أن يأخذ بأى مذهب من المذاهب تأكيدا لمعنى الاجتهاد الذى يجب أن يكون للقاضى فى جميع أحكامه .

حكم تولى القضاء بالرشوة :

أبطل الماوردى تعيين أى قاض تقدم لهذه الولاية عن طريق الرشوة . لأن الباذل لها والقابل لها مجروحان ، وكانت الرشـــوة قد انتشرت فى الدولة العباسية ، ويستند لقول النبى عليه الصلاة والسلام (لعن الراشى والمرتشى والرائش) رواه ابن حبان والحاكم عن أبى هريرة ــ الترغيب والترهيب حـ ٤ ص ٢٣١ كتاب القضاء .

منع القاضى من قبول الهدية :

وليس لمن تقلد القضـــــــاء ان يقبل الهـــدية من خصم ولا من احد العاملين معه . ويرى الماوردى أن الهدية اذا اخذها القاضى فعليه أن يعجل بدفع قيمتها الحقيقية لصاحبها حتى تصبح ملكـــه . وان تعذر ردهـــا أورد قيمتها : ردت لبيت مال المسلمين .

المتخصص فى القضاء :

ومن تنظيمات الماوردى للقضاء ان تكون هناك محاكم خاصة لـــكل نوع من أنواع القضاء ــ وهو ما يطلق عليه حديثا الاختصاص النوعى ــ فيقول « كأن يرد الى احدهما نوع من الأحكام والى الآخر غيره ، كرد المداينات الى أحدهما والمناكح الى آخر فيجوز ذلك ، ويقتصر كل واحد منهما على الحكم الخاص عن البلد كله » .

ويوجه النظر أيضا الى تكوين محاكم تتمايز بشخصيتها ، اذا تميز من يقدم اليها بنزعاتهم الخاصة « يجوز أن يكون تقليد القاضى مقصورا على بعض الأهل دونهم جميعا اذا تميزوا عن غيرهم » كما فى المحاكم العسكرية ، كما جعل لكل جهة قاضيا خاصا بتلك الجهة ــ ويعرف حاليا بالاختصاص المكانى ــ حتى لا يتحمل المدعى والمدعى عليه مشقة الانتقال من مكان الى آخر .

سرعة الفصل فى القضايا :

ومما يلفت الانتباه اهتمام الماوردى بما نعانيه الآن فى محاكمنا ، وهو عدم البت بسرعة فى القضايا فيقول « ليس للقاضى تأخير الخصوم اذا تنازعوا اليه الا من عذر » .

استقلال القضاء :

وجعل الماوردى للقضاء جهازا مستقلا يسمى (ديوان قاضى القضاة) يختص بأمور القضاة والعاملين معهم فأصبح للقضاء استقلاله فى مواجهة الخليفة والأمراء والعاملين معهم . فليس لأحدهما حق عزل القاضى ، وانما العزل لأقضى القضاة عند ظهور الجرح أو الخيانة أو عدم ثبوت الكفاءة .

خاتمة :

ونختتم بحثنا بفتوى للماوردى تكشف عن قوة شخصيته ، وأثره فى العهد العباسى الذى عاش فيه . فقد أفتى القضاة بجواز تسمية الوزير جلال الدولة (شاهنشاه) أى ملك الملوك ، وكان من القضاة الذين جوزوا هذه التسمية : أبو الطيب الطبرى (٤٥٠ هـ) والقاضى البيضاوى (٤٥٠ هـ) وأبو القاسم الكوفى ، وغيرهم ، ولكن لم يوافق الماوردى على تلك التسمية . واستند الى حديث النبى صلى الله عليه وسلم « ان أخنع اسم عند الله . رجل تسمى ملك الأملاك ، لا ملك الأملاك الا الله » رواه الشيخان عن أبى هريرة ــ الترغيب والترهيب حـ ٤ ص ١٤٠ كتاب النكاح .

وكانت توجد علاقة طيبة بينه وبين جلال الدولة ، فهو من أخص الناس قربا منه ، وكان يتردد على داره ، فامتنع عن زيارته ولزم داره . فأرسل اليه جلال الدولة وقال له : قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا . وقد خالفتهم فيما خالف هواى ، ولم تفعل ذلك **الا لعدم المحاباة منك واتباع الحق** ، وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم ، وجعلت جزاء ذلك بأن أدخلتك الى وحدك ، وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودى الى ما تحب .

---

(١) كتابات ممتعة مفيدة .

طرق إنهاء الزوجية في الشرائع السماوية

للدكتور احمـــد الحجى الكردى

كان مما يأخذه على الاسلام بعض المفكرين الغربيين يلف يلفهـــم من مثقفى وشباب العالم المتمدين اباحته للطلاق الذى يعنى انهـــاء الحياة الزوجية الفاشلة بين الزوجين ليتمكن كل منهما من استئناف حيـاة زوجية جديدة قد تكون أكثر سعادة من الحيـاة الزوجية الاولـى التى ثبت فشـــلها .

ويشن هؤلاء الناس الحملة اثر الحملة على هذا المبدأ متهمين الاسلام بالتخلخل ، والدعوة الى فك عرى المجتمع الواحد ، وخلق روح التمرد بين الزوجين ، الى غير ذلك من التهم الباطلة .. وهم فى نفس الوقت يشيدون بالمسيحية التى تمنع حل الزواج بأيـد بشرية بعد أن عقـــده الله فـــى

السماء ـــ على حد زعمهم ـــ استنادا الى كرامة هذا العقد وخطورته ، وذلك إن دل على شيء فانما يدل على عدم وعى وعدم اتزان من قائليها ، والى تعصب أعمى منهم .

وايا ما كان الامر والحق فقد دارت دفة الزمن وبدأ هؤلاء الناقدون للاسلام يستشعرون الخطأ الفاحش الذى كانوا يقعون فيه . وذلــك بعد أن عمت الفوضى فى مجتمعاتهم وانتشر الزنا فى ربوعهم مما اضطر السلطات المحلية فى أكثر من بلد أوروبى الى الاعتــراف بالأولاد غيــر الشرعيين نزولا عند الامر الواقع ، وحتى أصبحت المخاللة أمرا مشروعا لديهم يحميه القانون والدولة . الى غير ذلك من الامور التى لا يمكن أن تقوم بها مدنية أو يرضى بها ذو عقل أو علم محترم لعقله وعلمه .

ولهذا فقد قام المصلحون والمفكرون فى أوربا المسيحية أخيرا ينادون بالأخذ بمبدأ اباحة الطلاق بين الزوجين ، فانه على مافيه من ضرر أقل خطرا وأدنى شرا ـــ على حد تعبيرهم ـــ من تلك المشاكل التى لا تنتهى والتى يسببها منع الطلاق .

وقد بدأت فى العصور المتأخرة بعض الحكومات الاوربية بل رجال الدين المسيحى أيضا يستجيبون لهذه النداءات استشعارا منهم بالمصلحة الغالية فى اباحة حل الزواج، وبذلك يكونون قد رجعوا الى الاتجاه الاسلامى فى اباحة حل الزوجية اذا ما تعذرت استدامتها ، وان هذا الانهاء على ما فيه من ضرر خير بكثير من استدامة حياة زوجية فاشلة بالنسبـــة للزوجين والمجتمع معا .

واننى فى هذا المقال سوف احاول بايجاز استعراض موقف الشرائع الثلاث الاسلامية والمسيحية واليهودية من مبدأ امكان انهاء الحيـــاة الزوجية بعد قيامها صحيحة ، وطرق هذا الانهاء ، ومنه سوف يتبين لنا بجلاء الحكمة الغالبة والعدالة التامة فى الاحكام التى أحاط ونظم بهـــا الاسلام هذا الانهاء ، متفوقا بذلك على كل شريعة مضت ، ولم لا ؟ فهو شريعة الله خالق البشر العالم بخفايا نفوسهم ، هذا مع الانتباه الى اننى أعنى بالشريعتين المسيحية واليهودية هنا ما يتعارفه ويتداوله الآن اليهـــود والنصارى من أحكام بقطع النظر عن صحة نسبة هذه الاحكام الـــــى اليهودية أو النصرانية اللتين انزلهما الله سبحانه على سيدنا موســى وسيدنا عيسى عليهما السلام .

١ ــ موقف الشريعة اليهودية من مبدأ امكان انهاء الحياة الزوجيــة وطرق هذا الانهاء :

تأخذ اليهودية بجميع فرقها بمبدأ امكان انهاء الحياة الزوجيــــة ، وتجعل ذلك مباحا لسبب أو غير سبب ، ذلك بأنها تبيح للزوج أن يطلق امراته لمجرد أنه أحب امرأة أخرى غيرها أو غير ذلك .

ولكن من صاحب الحق فى انهاء الزواج هنــا ؟ أهــو الزوجة ، أو الزوج ، أو القاضى ، أو رجل الدين أو غيرهم ، أو أن هذا الحق ملك لكل أولئك جميعا يستطيع كل منهم بمفرده أن يمارسه ؟ .

الذى بين أيدينا من أحكام اليهودية ونصوصهــا يدل علــى أن حق انهاء الحياة الزوجية ملك للزوج لا غير ، فلا يملك القاضى ولا الزوجة ولا أحد غيرهما طلاق الزوجة من زوجها لأى سبب كان .

وبذلك تكون اليهودية فى هذا قد اعتبرت الزوج وحده هو صاحب الامر والنهى فى الاسرة منسجمة فى ذلك مع أخذها بمبدأ احتقار المــرأة واعتبارها أداة ترفيه فقط للرجل ، وفى هذا من العسف والعنت ومجافاة العدالة ما فيه ، لان الزوج كثيرا ما يكون هو مصدر الأذى والبلاء علــى الحياة الزوجية ، وتكون الزوجة هى المتضررة مــن ذلك ، وقد يكـــون الأولاد هم المتضررون من استدامة الحياة الزوجيــة هذه ، أو المجتمـــع كله المتضرر من ذلك ، مما يستدعى تدخل القاضى الــذى يعتبر الحامــى لحقوق المجتمع عامة ، ومع هذا كله لم تبح اليهودية ذلك لغير الزوج .

٢ ــ أما المسيحية فانها فى عامة فرقها ومللها كانت ترفض التسليم بمبدأ اباحة انهاء الحياة الزوجية بأيد بشريــة ، وتعتبــر أن عقــد الزواج عقد دينى مقدس عقده الله فى السماء وما كان كذلك فلا يجـــوز لأيــد بشرية أن تحله على الأرض سواء أكانت تلك اليد هى الزوج أو الزوجة أو القاضى أو رجل الدين أو غير ذلك .

هذا حكم المسيحية قبل بضعة قرون ، ولكن الأمر تغير فى القرون الاخيرة بعض الشىء ، بتأثير الضرر الكبير الذى جره هذا المنع علــى العلائلات المسيحية ، وبسبب الصيحات المتعددة التى رفعها المفكرون

والباحثون والعلماء المسيحيون ينادون فيها بالأخذ بمبدأ اباحة الطــــلاق كما بينت فى مقدمة المقال .

ولهذا فقد اتجه المشرعون المسيحيون فى القرون الأخيرة نحــو **الأخذ بمبدأ إباحة الطلاق ولكن بشروط وقيود كادت تقضى على ما فيه من** مزايا كلية .

الا أن هذا الاتجاه على كل حال يختلف إغراقا وتحفظا من ملة الى اخرى من مللهم وطوائفهم ، فبينما يوغل البروتستانت على اختــــلاف طوائفهم فى الأخذ بهذا المبدأ يتوقف الأرثوذكسى فى اباحته عنــد حــدود اسباب قليلة تكاد لا تعدوا اصابع اليد الواحدة ، وأما الكاثوليك فانهــم يتأخرون عن غيرهم كثيرا ، وهم الى اليوم يعتبرون الطلاق محرما الا لسبب واحد تقريبا هو الزنا ، كما يشترطون لايقاعه شروطا قاسية جدا تكاد تغلق الباب أمام وقوعه مطلقا .

لكن كثيرا ممن الحكومات الاوربية والامريكية المسيحية لم تأبــه تشريعاتها المدنية لقيود رجال الدين وشروطهم على اباحة الطلاق ، ولذلك فقد اباحت الطلاق وفتحت أبوابه على مصراعيها دون قيد أو شرط الــى أن غدا الطلاق العوبة بأيدى الزوجين تجر على الأولاد والمجتمع أمــر انواع الأسى .

واذا تساءلنا هنا من صاحب السلطة فى ايقاع الطلاق عنــد المسيحيين ، أهو الزوج أو الزوجة أو القاضى أو غيرهم لكان الجواب بأن صاحب السلطة فى ذلك هو رجل الدين لا غير ، فانه ليس للزوج **والزوجة من الامر الا رفع الامر الى رجل الدين مــع بيان الأسبــاب** الدافعة الى الطلاق ، ثم بعد ذلك يكون الأمر لرجل الدين أن شــاء طلق وان شاء حكم بالأبقاء على الزوجية الفاشلة وعندها لا يكون للزوجين إلا الصبر على ذلك البلاء الذى لا يمكن أن يعود على الأســرة والمجتمع بالخير ابدا ، وطبيعى أن رجل الدين هذا لا يمكن أن يحكم بالطلاق بيــن الزوجين الا اذا ثبتت لديه الأسباب ، وذلك ما يدعو الزوجين الى كشف كثير من الأسرار التى لا يعود كشفها على المجتمع الا بأشد انواع الضرر ، فضلا عما يجره ذلك من دفع كل من الزوجين الى الافتراء على الآخر بما يضمن فصله عنه إن هو أراد ذلك وفى هذا من الشر ما فيه .

٣ ـــ أما الاسلام فانه سلك مسلكا وسطا بين الشريعتين السابقتين عليه ، حيث أخذ بمبدأ إمكان التفريق بين الزوجين وذلك عندما تصبح الحياة الزوجية متعذرة أو متعسرة غير منتجة لما كان مرجوا منها من سكن نفسى وود بين الزوجين ، سواء أكان المتسبب فى ذلك هو الزوج أو الزوجة ، أو كان سبب ذلك التعسير أمرا خارجا عن اختيارهما كما فى إعسار الزوج عن الانفاق على زوجه أو غيبته الطويلة أو فقده أو غير ذلك ، لأن الحيـــاة الزوجية التى لا تنتج المرجو منها يكون حلها ـــ دون شك ـــ افضل مـــن الابقاء عليها بالنسبة للزوجين والمجتمع على ما فى هذا الحل من ضـــرر كبير ، الا أنه أخف الضررين على كل حال .

والآن بيد من يكون حل الزواج فى الاسلام ؟ بيد الزوج أو بيد الزوجة أو القاضى أو غيرهم ؟ . .

والجواب أن الاسلام اعطى حق التفريق هنا لكل من الزوج والزوجة والقاضى كل فى حدود ما يصيبه من ضرر ، فان كان الضرر الناتج عـــن الحياة الزوجية واقعا على الزوج بسبب الزوجة أو غيرها كان حق حله للزوج بالطلاق ، وان كان الضرر واقعا على المرأة كان لها حق حله برفع الأمر للقاضى وطلب التفريق منه ، وان كان الضرر واقعا على الاولاد أو المجتمع ، كان أمر حل الزواج للقاضى الذى يعتبر المسؤول عن حمايـــة المجتمع ومصالحه ، فيحكم بالتفريق بين الزوجين دون طلب منهما رعاية لحق الاولاد والمجتمع كما فى التفريق لفساد العقد أو حلول الحرمة بيـــن الزوجين وغير ذلك .

وبذلك نرى أن الاسلام اتجه نحو الحل الصحيح فى هذه المشكلة ، وكان حله هذا وسطا بين اطلاق اليهود وتشدد المسيحيين ، كما انـــه كان الحل العادل حيث أعطى كل الاطراف المتضررة من استدامة الحيـــاة الزوجية الفاشلة حق حلها كل فى حدود ما تضرر منه ، على خـــــلاف اليهودية التى حصرت هذا الحق فى الزوج خاصة ، والمسيحية التـــى منعت منه أصحاب المصلحة الحقيقية واناطته برجل الدين لا غير تمشيا مع منطقها الخاص فى اخضاع الناس جميعا لسلطة الكنيسة ورجالها .

وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول : « **وكذلك جعلناكم امـــة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكـــم شهيدا** » .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

صفات الانبياء فطرية

هل يكتسب الأنبياء الصفات التى يبدون عليها عندما يوحى إليهم ام هى فطرية فيهم ؟

احمد محمد مصطفى ـ الاسكندرية

ليس من شك فى ان الله يهب بعض الناس مواهب خاصة ، فتجد العالم مثلا وقد انكب على قراءات ما يتصل بالعلوم ، والرسام وقد بهر منذ حداثة سنه بالالوان والرسم ، والشاعر وقد توقدت قريحته وبدت بشائر إنتاجه وحبه وانكبابه على الشعر عند بداية خطواته الاولى على سلم الحياة الفكرية ، وهكذا نجد ان الله هيأ لكل شيء أسبابه حتى يسعد الناس فى حياتهم .

والنبى الذى يبعث فى الناس حب الخير ويفتح أمامهم الطريق الى الله موهوب من الله الحكمة وفصل الخطاب مهيأ منذ نعومة اظفاره لحمل رسالته .

وسيرة الأنبياء تشهد على هذا فنجدهم وقد باعد الله بينهم وبين الرذائل فهم بطبيعتهم منكبون على العبادة يقول سبحانه لسيدنا موسى : **(واصطنعتك لنفسى)** والرسول صلى الله عليه وسلم نراه وقد لقب بالأمين ، واعتزل مجون قريش وسمرهم بعيدا فى الغار يتحنث ، وسيدنا عيسى وقد قال الله فيه حكاية عنه : **(قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أين ما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا)** وكان لم يزل فى المهد ، وسيدنا ابراهيم وقد نقى الله عقيدته من الزيف والضلال منذ نشأته . وهكذا كل الأنبياء صورة صافية نقية جبلهم الله عليها فلما أوتوا الرسالة جاءتهم وهم على أحسن ما يكونون خلقا واستعدادا وتقبلا **(الله اعلم حيث يجعل رسالته)** ولذلك فكل الأنبياء أهل للتكليف صنعهم الله على عينه ، واصطفاهم وطهرهم ونقى أصولهم ، والصفات التى يتحلون بها لا شك أنها فطرية فيهم اظهرتها وكشفت عن معدنها الأصيل فيهم الرسالة ، فما من نبى إلا وقد برزت فيه صفات الصدق ، والأمانة ، والحلم ، والفصاحة ، وبشكل غير عادى ، ومن هنا وجب على الناس طاعتهم فى كل ما يأمرون به أو ينهون عنه لأنهم لا ينطقون عن الهوى ، وعدم فهم الناس لما يدعون ، وعدم إيمانهم بما يقولون ليس ذلك لعيب فيهم عليهم الصلاة والسلام ، ولكن العيب والقصور فى فهم الناس .

والأنبياء بعد بلوغ سن معينة يكلفون بهداية الناس وينطقون بأشياء لا يمكن أن ينطقها بشر عادى غير سوى الخلقة والنشأة ، لهذا فالنبى إنسان اصطفاه الله ، وأعده لحمل رسالته بطريقة خاصة هى قمة الاكتمال البشرى ، فهم أولا وأخيرا بشر لكنهم الصفوة فيهم والخيرة منهم .

والإمام البوصيرى يقول فى الرسول صلى الله عليه وسلم :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر   وأنه خير خلق الله كلهم

وغاية الاعجاز فيهم أنهم من البشر لهم صفات متميزة عن سائر البشر : (انما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ انما إلهكم اله واحد) .

الهجـــرة والانتصـــار

لماذا تسمى الهجرة انتصارا ، هل يجو زنلك مع العلم أن الهجرة تمت سرا ولم يحـــدث فيها قتـــال ؟

محمد عاطف الكاظمى ــ العراق

حقيقة أن الهجرة تمت سرا ، والسرية فيها لم تكن هروبا من المشركين ، ولكن زيادة فى ضرب الغشاوة على أبصـــارهم (**فاغشيناهم فهم لا يبصرون**) وإثباتا لهم أن محمدا ما هو إلا رسول مكلف برسالة من عند الله ، ولكن الحقـــد طمس قلوبهم ، فلم يروا النور الذى عم الجزيرة ، ولو فكروا قليلا لعلموا حقيقة ما يجهلون .

إن جـــوانب العظمة فى الهجرة كثيرة أجـــل من أن تحصى أو تحصر ، ويجب أن نأخذ منها العبرة تلو العبرة .

إنها تعبير صادق عن الرفض للاستسلام والذل والمهانة ، ودرس رائد لكل الأجيال يدعوهم كل عام حتى لا تفتر الهمم الى البذل والعطاء بسخاء والتضحية من أجل العقيـــدة .

ولقد كانت الهجرة نصرا للحق ، واعلاء لكلمة الله دون قتال ، وكانت مثلا عاليا فى حرص القائد العظيم ، والرسول الكريم ، وشدة خوفه على الـــدعوة واستمساكا بأصحابه الذين مكث يدعـــوهم فى مكـــة ثـــلاث عشرة ســـــنة فهم لا شك خيرة القوم ، ولذلك بحث الرسول الكريم لهم عن موطن يأمنون فيه على أنفسهم وأهليهم ودينهم ، كى يمارسوا عبادتهم دون خوف ولا وجل فى جوار إخوان لهم أوفر منعة ، وفى مدينـــة أكثر أمنا من مدينتهم الحبيبة التى أخرجوا منها ، ولم يكن خروجهم ضعفا أو خوفا من الاضطهاد ، ولكنهم آثروا يثرب لكى يحققوا الهدف الأسمى من هجرتهـــم ، ويعيـــدوا الأرض الطيبـــة الى رحاب الإيمان التى قال فى شأنها الرسول صلى الله عليه وسلم : (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ما خرجت) هذا هو شعور كل المسلمين عند خروجهم من مكة ، والناظر المتأمل فى الهجرة يجد انها مكنت المسلمين من تجميع صفوفهم مع اخوان لهم آووهم ونصروهم بالمال والنفس ، وقد كانت الهجرة نصرا من الله للوجود الانسانى فى ظل الاسلام : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم**) لقد كانت الهجرة صورة حية من صور التصميم على المضى فى سبيل الله الى أبعد طريق ، وكانت الهجرة تعبيرا عن القوة الكامنة التى فجرها الإيمان ، وكانت آية على سمو روح المعتنقين للاسلام ، وكانت فتحا مؤزرا ، وخلاصة القول أن الهجرة كـــان لا بـــد منهـــا لقـــوم أرادوا التمســـك بدينهـــم ، ففتـــح اللـــه عليهـــم الأرض وأعـــز بهم كلمـــة الله ، ومكن لهم فى الأرض ، فكانوا مضرب الأمثال فى الدفاع عن العقيـــدة ومثلا يحتذى فى الذود عن دين الله الحق ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

كتاب الشهر

من المكتبة الاسلامية

اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم

للشيخ عبد الجليل عيسى
عرض : الأستاذ على على عياد

الإسلام عقيدة وشريعة .. والعقيدة هى : جناح الإسلام النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا ، إيمانا لا يرقى اليه الشك .

والشريعة هى : الجناح العملى الذى شرعه الله لعباده ، ليقيموا به العلاقة السليمة بينهم وبين خالقهم ، وبينهم وبين الكون بما فيه من كائنات .. وما يربطها من علاقات .

والعقيدة إيمان .. والشريعة عمل ، ولكل منهما اصول وفروع .. **ومن بين العقائد الأصلية** التى طلب الاسلام الإيمان بها : —

الإيمان بالله ووحدانيته ، وتفرده بالخلق والتصرف ، وتنزهه عن المشاركة فى العزة والسلطان ، والماثلة فى الذات والصفات ، وتفرده باستحقاق العبادة والتقديس ، والاتجاه اليه بالاستعانة والخضوع ، فلا خالق ولا مدبر غيره ، ولا يماثله مما سواه شىء ، ولا يشاركه فى سلطانه وعزته شىء ، ولا تخضع القلوب وتتجه الى شىء سواه (١) .

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد » (سورة الاخلاص) .

« قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين » آية ١٤ الأنعام .

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك

امرت وانا اول المسلمين . قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شيء » ١٦٢ ، ١٦٤ الأنعام .

ولعل أهم النتائج التي يريد أن يصل اليها فضيلة الشيخ **عبدالجليل عيسى** في كتابه « اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم » هو التأكيد على المعنى الذي قررناه سابقا .. وهو ما يتصل بعقيدة التوحيد .. وتفرد الله وحده بالكمال ، واستحقاقه دون غيره من الموجودات تقديس المخلوقين له ، وعبادتهم إياه والتفريق الواضح بين مقام الألوهية ... ومقام النبوة والعبودية وهو أيضا المعنى الذي ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهد في سبيله جل حياته .. حتى أرسى أصوله ، ودعم بناءه ، وأحاطه بسياج قوي من قوله وعمله .

وكانت الدعوة الى التوحيد — فيما يقول المؤلف — أمارة صدق الداعي اليها على أنه رسول الله ، ودليل صدق الدين المؤسس عليها على أنه دين الله .

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الداعي لذلك على هذا النحو ، لا يطلب لنفسه ميزة خاصة غير أنه رسول الله ، ولا يطلب لنفسه تقديسا من أتباع رسالته ، كما لا يطلب لقوله في غير حدود الدعوة التي أمر بتبليغها الى الخلق عصمة مطلقة ، ولتصرفاته في غير دائرة هذه الدعوة تنزيها عاما ، وتركزت عنايته عليه السلام — في تبليغ رسالة الله ، وحمل الناس على الاعتقاد بإله واحد .. له وحده حق العبادة والتقديس .. وهو بهذا المعنى يقدم التوجيه السديد للبشرية ، ويبتعد بها عن خرافات المصادفة وأساطير الزعماء الانسانيين ... كما أن ذلك يؤدي الى شعور الفرد بحريته الفردية وكرامته الانسانية في ظل وصايا الله من أوامر ونواه تنطوي بالتأكيد على خير البشر جميعا .

وهكذا حرص صلى الله عليه وسلم ، على تأكيد عقيدة التوحيد ، ولم يستهوه أن يرى من المؤمنين به وبدعوته نوعا من الاكبار لشخصه يبتعد به عن صفة الانسان ، وحذر بشدة من أن يجر تعظيمه الى الوقوع في الشرك ، لذلك نراه يرد على من قال أمامه : إذا شاء الله وشئت يا رسول الله . « **بقوله اتجعلني لله ندا ؟** » وفي مناسبة أخرى يقول لبعض أصحابه : « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما انا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله** » .

ولقد شاءت إرادة الله أن يكون في كل جيل انساني من يبين لخاصة المؤمنين قبل عامتهم أهداف الاسلام الأساسية وفي مقدمتها علاقة الرسول عليه السلام بالله جل جلاله .. وقد سعد جيلنا بقلم العالم المؤمن فضيلة الشيخ **عبد الجليل عيسى** الذي قدم للمكتبة الاسلامية خير ما يدل المؤمن على العقيدة الصحيحة البعيدة عن كل شبهة وزيف .. وفي كتابه الذي نعرض له تناول جانبا من جوانب علاقة الرسول بربه في ضوء ما جاء به القرآن ، وصح من سنته صلى الله عليه وسلم ، هذا الجانب هو : **قول الرسول عليه السلام ، وعمله خارج دائرة الرسالة الإلهية .**

والأستاذ المؤلف يبغي من وراء ذلك — كما قلنا — أن يؤكد ما أكده الاسلام من أن محمدا عبد الله ورسوله ، وأنه فيما وراء الرسالة كان إنسانا .. فله العصمة فيما أرسل به للناس من قبل الله ... من وحي متلو وغير متلو ، وله حكم الانسان المجتهد فيما أتى به من قول أو فعل بعد ذلك .

وكما يقول المؤلف — فان هذا الازدواج في النظرة الى رسول الله لا يغير

من تقديره واحترامه فى نفوس المؤمنين بدينه .. فالرسول صـــلى الله عليه وسلم إذا أضيف الى الخلق كان فى السماكين ، وكان الجميع يدب على سطح هذه الغبراء ، واذا أضيف الى ربه صاحب الفضل عليه كان بشرا ككل البشر ، خاضعا لله تعالى الذى اختص بالكمال وحده (٢) . والاجتهاد ـــ إذاً ـــ مظهر من مظاهر الانسانية فى الرسول ، فهو قبل الرسالة وبعدها يأكل كما يأكل الناس ، وينسل كما ينسلون ، ويدفع عن نفسه ضرر الجوع واعتداء المعتدى ، وقد مات كما يموت كل الناس ... وخاض الحياة فى جميــــع نواحيها وعالج كل صعابها ..

لكن ... ما رأى العلماء فى جواز اجتهاد الأنبياء ...؟

اختلف العلماء فى ذلك إيجابا وسلبا ، وقد عرض الأستاذ المؤلف لوجهة النظر التى تنكر الاجتهاد على الأنبيـــاء ، كما عرض لوجهة النظر المقـــابلة والتى ترى أن الاجتهاد ـــ كما قلنا ـــ مظهر من مظاهر الانسانية فى الأنبياء .

ويمثل المعارضة أبو على الجبائى وابنه هاشم ، ودليلهما قوله تعـــالى « وما ينطق عن الهوى » ويفند المؤلف هذا الدليل فيذكر أن الجبائى اقتطع هذه الآية عن سابقتها ولاحقتها وقذف بها فى آذان الناس فصـــارت تلوكها السنتهم بدون فكر وروية ... فسياق الآية يدل كما فهم كبار المحققين على أن الكلام فى القرآن ، وأن المراد ... ان هذا القرآن الذى يتلوه عليكم محمـــد ليس من عنده ، بل هو وحى يوحى اليـــه من الله ... ويستمر المؤلف فى المناقشة حتى يصل الى عدم حجية هذا الرأى .. ثم يقف بالقارىء على آراء المجوزين لذلك ويذكر منهم ... ابن حزم الأندلسى ، وابن تيمية ، والقاضى عياض ، وابن خلدون ، والكمال بن الهام ... وكلهم متفقون على الجـــواز وإن اختلف تناولهم للموضوع أسلوبا ومناقشة ... فالرسول صلى الله عليه وسلم ، قد يعتقد الشىء من أمور الدنيا على وجه ثم يظهر خلافه كما فى حديث « تأبير النخل » المروى عن مســـلم عن رافع بن خديج . فى باب : وجوب امتثال ما قاله صلى الله عليه وسلم شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأى .. قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : كنا نصنعه ، وفى رواية أخرى فقالوا : يلقحونه .. الى آخره .. « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا » فتركوه فنفضت ـــ أى رمت ما عليها من الثمر قبل نضجه ـــ قال : فذكروا ذلك له صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشىء من رأيى فانمـــا أنا بشر » . وفى رواية أخـــرى لمسلم : « .. ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخـــذوا به فانى لن أكذب على اللـــه عـــز وجل » .

وليس فى هذا نقيصه ـــ كما يقول القاضى عياض فى الشفاء (٣) ، إنما هى أمور اعتيادية يعرفها من جربها ، وشغل نفسه بها ، وهو صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية (٤) .

وننتقل مع المؤلف من الباب الأول الى الباب الثانى بفصوله الثلاثة حيث يتحدث فيه عن اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وموضوع هذا الاجتهـــاد وأوصافه فى صوره المختلفة ... الظن ، والقطع ، والتمنى ، والهم من دون الفعل ، والطلب ، والأذن ، والدعاء ، وتفضيل الترك على الفعـــل ، وفى النهى العام ، وفى الاستغفار لبعض المنافقين .

وأمام كل صورة من هذه الصور يقدم المؤلف الأمثلة عليها ، ويناقشها ، ويبين ما فيها من اجتهاد له صلى الله عليه وسلم ، ثم يتحدث بعد ذلك عما بدا من اجتهاده عليه السلام ، فى صورة العمل كأخذه الفداء من أسرى بدر .. الخ . ثم ما بدا من اجتهاده فى صورة الاقرار أو عدم الاقرار لآراء أصحابه رضوان الله عليهم ، كاجتهاده عليه الصلاة والسلام فيما يكون به الاعـــلام للصـــلاة ... الى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى تعقبها أستاذنا بالشرح والتحليل ، وقدم لها بما يمكن أن يكون نتيجة لبحثه فى الباب الثانى معلنا أن القارىء سيعلم من عرض هذه الصور النقاط التالية التى وضعها فى صورة استفهام أجاب عنه فى خاتمة الكتاب كما سيأتى :

أكان قد أذن له صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد ، أو كان لا يصدر عنه فعل ولا قول مثلا الا باذن خاص عن الله ، له أن يجتهد .. فهل كانت دائرة اجتهاده أمور الدنيا الصرفة ، أو معها أمور الدين كذلك ؟ وان كان له أن يجتهد فيهما ... فهل وقع منه عليه السلام اجتهاد فى أبواب العبادات كالصـــلاة والصوم والحج وما يتصل بذلك من دعاء واستغفار وغيرهما ؟

وهل وقع منه صلى الله عليه وسلم اجتهاد فى الأمور الغيبية أيضا ؟ .. أو كان اجتهاده قاصرا على غير الغيبيات ؟ وإن ثبت أنه عليه السلام كان يجتهد .. فهل كان يصيب دائما أو لا ؟ وان كان الثانى .. فهل كان يقع منه غير الصواب حتى فى الأمور الدينية ؟.. أو كان ذلك فى أمور الدنيا فقط ؟

وإن كان يقع منه غير الصواب فى الجميع ... فهل يجب أن يوحى اليه صلى الله عليه وسلم فورا فى كل انواع اجتهاده ؟.. أو يجوز أن يتراخى بيان الصـــواب ؟ وان كان الثانى ... فهل يكون ذلك عـــاما فى أمور الدين والدنيـــا .... أو فى أمور الدنيا فقط ؟ أمـــا فى أمور الدين فيجب بيـــان الصـــواب فورا ؟

وإذا علمنا أن رؤيا الأنبياء وحي .. فهل يتناول اجتهاده عليه السلام تعبيرها .. فيصيب تارة دون أخرى ؟ وهل تكون على ما وقع بحضرته صلى الله عليه وسلم يكون حجة على صحة ما وقع (٥) .

وبعد أن عالج المؤلف هذه الأسئلة وقدم الدليل عليها ، أجاب عنها فى نهاية المطاف حيث يقرر : أن الاجتهاد جاز على الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه وقع فعلا منه ... وموضوعه متنوع ، دينى أو دنيوى ، مغيب أو مشاهد، وليس بلازم أن يكون رأيه عن اجتهاد صوابا على الدوام ، وليس بلازم أيضا أن يقع من الله سبحانه التصحيح للعمل الخطأ فورا كما فى تمنيه صلى الله عليه وسلم ، استقبال الكعبة فتراخى الوحى سبعة عشر شهرا ... كما يجوز الا يرد له تصحيح ما على الاطلاق كما فى حديث تأبير النخل المقدم ... كمـــا يحتمل أن يكون سكوته صلى الله عليه وسلم على رأى بعض صحابته موافقة عليه أو انتظارا لما يأتى به الوحى (٦) كما فى حديث ابن العياد (٧) .

ونكرر ما رددناه كثيرا من أن هدف المؤلف فى كتابه هو :

المحافظة على مقام الألوهية من أن يقتحمه أو يدنو منه أحد من خلق الله مهما عظمت منزلته ، كما عمل لذلك خاتم الأنبياء وسيد الأبرار محمـــد صلى الله عليه وسلم مع العلم بأن اجتهاد الرسول عليه الصلاة والســـلام فى غير أمور الدنيا كان أحسن ما تصل اليه عقول البشر البريئة من الغلظة والقسوة وكانت مصدر رفق ورحمة وبذلك يبقى مقام النبوة فوق كل مقـــام « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

ونهتف بالناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المؤلف بقـــول الله تعـــالى :

« قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إلىّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » آية : ١١٠ الكهف .

بقى أن أشير الى أن كتاب ــ اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم يقع فى ٢٠٠ صفحة ، ويتألف من مقدمة وبابين ، وفى كل باب ثلاثة فصـــول .. وأخيرا ــ خاتمـــة ... وتولى طبعه ونشره دار البيان بالكويت . ولم تخل صفحات الكتاب من أخطاء مطبعية لا تخفى على القـــارىء ، ويمكن تداركها بسهولة وإن كنا نأمل أن تختفى فى طبعته القادمة باذن الله .

وقد بذل الأســـتاذ المؤلف جهدا مشكورا عـــودنا ببذله فى كل ما كتب ويكتب ... وهو فى كتابه هذا ومؤلفاته الأخرى .. فقيه ولغوى ممتاز ، يناقش موضوعاته لغة واصطلاحا ،وعالم سلفى موسوعى ، هضم تراث من سبقوه ... وهو فوق هذا وذاك ذو نظر ثاقب ، ومعرفة بكثير من فنـــون العلم ، وصنوف المعرفة .

وهو يجل العقل البشرى عن أن ينساق وراء الترهـــات والجهالات ، ويدعو قومه ــ ما فتىء ــ الى الاجتماع على كتاب الاسلام ، وسنة خـــاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

واسلوب فضيلته يشع جزالة ، وضياء باهرا ، ويغرى بالتأمل والاطلاع وقد سد بكتابه هذا فراغا فى المكتبة الاسلامية ... وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت فى رسم صورة تعبر عن فكر المؤلف كما أبانه فى صفحات كتابه ... والله المستعان .

---

(١) انظر الاسلام عقيدة وشريعة . الشيخ محمود شلتوت ص : ٢١ ، ٢٩ .

(٢) انظر اجتهـــاد الرسول ص : ٩ ، ٢٢ .

(٣) جـ ٤ من ص ٢٦٥ طبع المطبعـــة الأزهرية المصرية ١٣٢٧ هـ .

(٤) انظر اجتهاد الرسول ص ٢٥ ، ٦٨ .

(٥) انظر اجتهاد الرسول ص ٧١ ، ١٨٨ .

(٦) انظر اجتهاد الرسول ص ١٩١ ، ١٩٦ .

(٧) نص الحديث : روى البخارى ومسلم عن محمد بن المنكدر قال : رايت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصيـــاد هو الدجال . قلت : تحلف بالله ؟ قال : انى سمعت عمـــر ابن الخطاب يحلف على ذلك عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم » فتح البارى جـ ١٣ كتاب الاعتصام ... باب من رآى ترك المنكـــر « البخـــارى » وفـــى مســـلم فى كتـــاب الفتـــن جـــ ٨ متن . أبـــواب ابـــن الصياد والدجال . هذا وللحديث روايات اخرى غريبة بالفاظ وطرق متعددة واشدها غرابة ما فى مسلم فى باب الفتن .

التأمين التجاري وأصول الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

التامين والتعـاون :

١ ـ يسعى المؤمن الى جمع اكبر عدد من راغبى التأمين ضد خطر معين ، بحيث يدفع كل منهم قسطا ثابتا أو متغيرا فيجتمع من هذه الأقساط مبالغ ضخمة يمكن بها تغطية ما قد يقع لأحد المؤمن لهم من اضرار هذا الخطر ، فأقساط المؤمن لهم هى ذاتها التى تغطى كوارثهم ، والمؤمن ليس إلا وسيطا بينهم ينظم طريقة تبادلهم جبر اضرار الخطر المؤمن منه ، وكأن المؤمن لهم يتعاونون بذلك على توزيع آثار الكوارث عليهم عن طريق مساهمة كل منهم بقسط يغطى ما قد يلحق أحدهم منها ، فيوزع عبء الكارثة عليهم جميعا ، وبغير وجود مجموعة من المؤمن لهم ضد خطر معين يعجز المؤمن عن تغطية اضرار الكارثة ، وبالتالى لا بد فى التأمين من تبادل المخاطر وافتراض التعاون بين المؤمن لهم وهو ما يقتضى جمع أكبر عدد منهم حتى يتجمع أكبر قدر من المال الذى يخصص لتغطية المخاطر فيمكن بالتالى توزيع اضرار الكوارث عليهم جميعا .

٢ ـ ومن المعروف أن الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه العزيز : **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** وقال صلى الله عليه وسلم : (الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون

أخيه) وقال عليه الصلاة والسلام : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) وهناك آيات وأحاديث أخرى تحض على التعاون .

٣ ــ وقد ذهب بعض من أباح التأمين (٢) الى أن التأمين تعاون على البر ، على أساس أنه تعاون على دفع الضرر عند حلول الكوارث فى الأنفس أو فى الأموال ، وهو عقد بين جميع المؤمن لهم على التعاون على دفع الأخطار التى قد تلحق بعضهم ، وليس المؤمن الا وسيطا بينهم ووكيلا عنهم ينظم هذا التعاون، واذا صح أن تتعاون طائفة من الناس دون التزام سابق ، فمن الأولى أن يصح ذلك منها اذا التزمته بعقد عن رضا وما ذلك الا التأمين والتعاون الذى أدى الى استحداث أنظمة جديدة مفيدة للمجتمع ويقرها الشرع كنظام الأوقاف الخيرية والجمعيات التعاونية ، وليس التأمين إلا نظاما آخر جديدا للتعاون على دفع الضرر عند وقوع الأخطار المؤمن منها .

والحجة السابقة محل نظر للآتى :

أولا : أن التأمين لا تعاون فيه بين المؤمن لهم ، لأنه عقد على الأمان لا على التعاون ، ولأن كل مؤمن له يتعاقد على التأمين بدافع مصلحته الخاصة لا لصالح باقى المؤمن لهم ، فهو لا يفكر فى مصالح باقى المؤمن لهم وهو لا يطمئن اذا قلنا له أن مبلغ التأمين سيدفع له من تعاون باقى المؤمن لهم ، فالمؤمن له يتعاقد مع المؤمن فحسب تعاقدا فرديا ولا يتعاقد مع المؤمن لهم ، يؤكد ذلك أن التعاون يقتضى وجود رابطة بين المؤمن لهم اذا كانوا متعاونين ، ولا رابطة بينهم فعلية أو قانونية فكيف يكون هناك تعاون بينهم .

ان التأمين تعاقد فردى ، غير أنه اذا كثر طالبوه تكون منهم ما يمكن أن نسميه جماعة بالتتابع ولا وجود لأى اتفاق جماعى على التعاون أو غيره بين المؤمن لهم . والواقع أن خبراء التأمين وجدوا أن المؤمن لا ينجح إلا إذا كثر عدد المؤمن لهم فزعموا وجود اتفاق جماعى بين المؤمن لهم على التعاون على الكوارث وقيام المؤمن بتنظيم هذا التعاون . فالتعاون فى التأمين أمر مفترض ولا ظل له من الحقيقة ، تماما كفكرة العقد الاجتماعى التى زعم أنصارها أن الناس قديما كانوا يعيشون فى فوضى ثم تنازل كل منهم عن جزء من حرياته مقابل حفظ الجزء الباقى على أن يقوم أحدهم (وهو الحاكم) بمراقبة تنفيذ هذا الاتفاق الجماعى ، وهذا محض خيال واذا كان المؤمن يدفع مبالغ التأمين من الأقساط التى يجمعها من المؤمن لهم ، فالمصرف (البنك) يدفع القروض من ودائع العملاء ، فهل من يتعاقد مع مصرف يتعاقد على التعاون مع جميع عملاء المصرف أم يتعاقد تعاقدا فرديا ، فكذلك الحال فى التأمين .

ثانيا : اذا افترضنا التعاون بين المؤمن لهم ، فلا يجوز التأمين حتى يثبت أنه تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فالشارع يدعو الى التعاون على البر ، سواء كان هذا التعاون تلقائيا أم التزمته جماعة بعقد وقد أجاز الشارع الأوقاف الخيرية لأنها تعاون على البر ، ولا يجيز من الجمعيات التعاونية الا ما يتعاون منها على البر والتقوى ولا شك أن التعاون على دفع الضرر عند حلول الكوارث فى الأنفس والأموال مما يحض عليه الشارع لأنه تعاون على البر ، لكن هذه قد تكون غاية لشركات التأمين فهل تستخدم فى

تحقيقها وسائل مشروعة ؟ هذا هـو موضع النزاع فبعض ممن أجـاز التأمين وقف عند هذه الغاية ، بينما بعض ممن حرم التأمين ذكر وسائل غير مشروعة تستخدمها شركات التأمين للوصول الى أغراضها كالربا والغرر والشروط الفاسدة ، فمثلا يسقط حق المؤمن له فى مبلغ التأمين اذا دفع بعض الأقساط وعجز عن دفع باقيها فى بعض صور التأمين ، فهل هذا تعاون ؟ وفى التأمين على الحياة لحال الوفاة يستحق مبلغ التأمين عند الوفاة فى التأمين العمرى ، لكن فى التأمين المؤقت يستحق مبلغ التأمين اذا مات المؤمن على حياته خلال مدة معينة ، فاذا عاش حتى انقضت هذه المدة ضاعت عليه الأقساط ولم يقبض مبلغ التأمين ، فهل هذا تعاون ؟ وفى تأمين البقيا لا يستحق مبلغ التأمين اذا مات المستفيد قبل موت المؤمن على حياته ، فهل هذا تعاون ؟ كذلك هناك تأمين على سيقان الراقصات ، فما وجه التعاون فيه ؟ هل هذا تعاون أم تجارة تقوم على الاستغلال ؟! وقد أباح الفقهاء التأمين التعاونى لما فيه من التعاون على البر ، وحرم الكثير منهم التأمين التجاري لما فيه من الوسائل غير المشروعة على أن بعض من يرى جواز التأمين يذهب الى أن هذه الوسائل غير المشروعة بعيدة عن جوهر التأمين ، ويمكن الحكم عليها وحدها ، ولكن هل يمكن للتأمين التجارى أن يتجرد من هذه الوسائل ؟ لا أظن ذلك لأنها من خصائصه الفنية وهو كنظام قائم الآن لا يخلو من هذه الوسائل ، فلا ينبغى أن ينظر اليه مجردا عنها ، واذا نظر اليه مجردا عنها فقد بعض خصائصه الفنية ، وأصبح حكمنا واردا على تأمين لا وجود له فى الواقع . ويبدو أن جوهر التأمين عند الراى المعارض هو انه تعاون على دفع الضرر عند حلول الكوارث فى الأنفس والأموال ، وهذه غاية للتأمين ، ولا خلاف فى جوازها لكن هذه الغاية مفترضة فضلا عن أنها ليست جوهر التأمين التجارى لأن جوهره قبول التأمين ضد أخطار معينة بما يحقق الربح للمؤمن وكل ما يتعارض مع هذا الجوهر مرفوض من المؤمن بصرف النظر عن التعاون ، والوسائل غير المشروعة وسائل لا بد منها للمؤمن لتحديد الأخطار المقبولة او لتحقيق الأرباح المأمولة .

---

(١) الآيــة

(٢) سورة المائدة .

(٣) محمد البهى فى كتابه (نظام التأمين فى هدى أحكام الاسلام وضرورات المجتمع المعاصر) ص ٦٩ و ٧٠ وأحمد بهجت حلمى والطيب حسن النجار فى أسبوع الفقه الاسلامى ص ٤٨٥ و ٥٠٢ على التوالى .

(٤) عبد اللطيف السبكى فى فتواه لمجمع البحوث ص ٣ و ٤ و ٧ ومحمد ابو زهرة فى أسبوع الفقه الاسلامى ص ٥١٨ وأحمد النجدى فى رسالته ص ٣٣٧ و ٣٣٨ ..

عودة المهاجر

قصة إسلامية

للأستاذ : عبد اللطيف فايد

خلا النبى الى نفسه ساعة من ذات يوم وهو بمكة ، قبل ان يهاجر الى المدينة ، وقد أهمه كثيرا أمر قريش ، التى أمعنت فى ايذائه ، وايذاء من آمنوا بدعوته ، وتذكر أصحابه الذين هاجروا الى الحبشة ، فرارا بدينهم من الفتنة ، وساورت نفسه الخشية عليهم بعد أن جاءت اليه الأنباء تقول : ان « عبيد الله ابن جحش » أحد هؤلاء المهاجرين ترك دين الاسلام الى النصرانية .. لكن هذا النبأ يتبدد صداه ، لتأتى انباء أخرى تؤكد تحقق جانب هام من الأهداف الدينية والسياسية والانسانية التى من أجلها أمر محمد أصحابه بالهجرة الى الحبشة ..

لقد بعث اهل مكة وراء هذا الركب المهاجر من المؤمنين رسولين الى ملك الحبشة ، يستعدونه عليهم ، ويطلبون اليه تسليمهم واعادتهم ، حتى تفشل أهداف محمد ، التى قصد اليها حين أمرهم بالهجرة ..

لقد أحسنت مكة اختيار رسوليها الى النجاشى ، وزودتهما بالنصائح والاستمساك بوجهة النظر التى تسيطر على المجتمع المكى ، وأعطتهما حرية التصرف فى الوسيلة التى يصلان بها الى الهدف ، ومعهما من الهدايا نفائس ما حملته قوافل التجارة من فارس والشام ومصر وغيرها من البلاد التي تتعامل مع اسواق العرب ، لتكون هذه الهدايا عونا لهما على قلب ملك الحبشة ورأيه .

وانطلق « عمرو بن العاص » و « عبد الله بن ابى ربيعة » الى أرض الأحباش بما حملا من هدايا ومن وصايا ، وكانا لا يزالان على دين قومهما .

قطعا الطريق الطويل فى أحاديث متصلة .. كل منهما يقلب بين يدى زميله وجهة نظره لعرض الأمر على النجاشى .. كيف يدخل الى قلبه ، ويستولى على فؤاده ، ويقنعه برأى قومه .

« عمرو بن العاص » اشتهر بين العرب بسمة الحيلة والدهاء ، اذا دخل

فى مأزق احسن الخروج منه .. واذا رأى غيره فى موقف المتهم لا يعجزه أن يلفق له صورا للبراءة تفتح له طرق التحلل مما هو فيه .

و « عبد الله بن أبى ربيعة » له منطق الموهوب ، ونظرة الحكيم ، ورأى المجرب .. وهو فوق ذلك يذهب الى النجاشى مطالبا برد شقيقه « عياش » الذى هاجر الى بلاده مع المهاجرين .. وهو من هنا يتمتع بشرعية الطلب ، اذ انه يتحدث باسم أسرة لها حق القوامة على واحد منها ترك دينها وديارها وهاجر الى بعيد ، خارجا على طاعتها والامتثال لأمرها .. ولا يليق بملك الحبشة أن يشجع خارجا على ارادة أبيه وأمه واخوته الأقربين .. فاذا نجح فى اقناع النجاشى بذلك فان بقية المهمة تصبح هينة مضمونة النتيجة ..

استغرق « عمرو بن العاص » فى تفكيره مرحلة من الطريق ، ثم طلب من زميله الرأى فيما هداه التفكير اليه .. ولم يلبث « عبد الله بن أبى ربيعة » أن وافقه مادحا له حيلته ورأيه ..

كان رأى « عمرو » أن يصل الى قلب النجاشى عن طريق بطارقته ، فلكـل ملك حاشية وبطانة ، يعميه السلطان عما يدسون عليه من الرأى ، ويزين له نفاقهم أن ضلالهم حق ، وأن كذبهم صدق ، وأن الصواب فيما يرون ، ولو كانت نفسه تحدثه بأنه خطأ .

عند مشارف الطريق الى قصر النجاشى ، وقف رسولا اهل مكـة بامر الحراس الذين سدوا كل طريق الى مربض الملك ، حتى لا يتسلل اليه أحد دون اذن أو أمر ، وحتى لا يفاجأ رب القصر وسيد البلاد بشخص بين يديه لا يحب أن يرى وجهه أو يسمع منه ، لتصفو له مجالسه كما يريد .

واقتاد الحراس الرسولين الى البطارقة ، وهم حاشية الملك ، وجلساؤه ، والآذنون بالدخول عليه ، والمانعون من يشاءون عن المثول بين يديه ..

نثر الرسولان فى مجلس البطارقة اغلى ما حملا من هدايا مكة .. وأخذ عمـــرو يتكلم ..

فقد جاء من مكة يحمل التقدير والاجلال الى ملك الحبشة .. وهو يوقن من حسن رأيه وصواب نظره ، وانه من أهل الحق الذين يثوبون اليه إن خدعهم عنه عطف على قوم ظنوا بهم خيرا وهم يطوون قلوبهم على الشر .. وأن بطارقتـــه العظام يعينونه دائما على ما يليق به ، ويجنبونه ما يسىء الى بلاده والى علاقتها بغيرها من البلدان ، فهم وزراؤه ومستشاروه ، واعوانه على ما يصدر من الأمر ، وما يبدى من الرأى ..

اما هذه الهدايا التى حملها مع رفيقه الى البطارقة العظام فهى ليست كـل ما تريد أن تبعث به مكة الى حاشية عظيمة لملك عظيم ، فكثير من قوافل مكة ستتخذ وجهتها دائما الى هذه البلاد تحمل اليهم ما يشاءون من خيـــرات الاقطار الكثيرة التى تتبادل التجارة مع عرب مكة ..

ثم شرح ما جاء من أجله ..

وأسر اليهم حين يعرض الأمر على الملك أن يعاونوه ، فيزينوا للنجاشى وجاهة الطلب دون أن يستقدم احدا من المهاجرين يسمع رأيه ، أو يأمر بمثولهم جميعا بين يديه ، فتتكاثر حججهم ، ويقوى دفاعهم ، فتفشل المهمة .

كان أصحاب النبى حين نزلوا بأرض الحبشة وطلبوا جوار ملكها استقبلهم أهلها بنفس كريمة ، وبسط عليهم صاحب تاجها حمايته وجواره ، يعملـون ، ويعيشون ، ويتعبدون على دينهم الذى فروا به من الأذى والفتنة .

ودخل « عمرو » فى حديثه أمام النجاشى عن طريق يستثير به مشاعره الدينية ليأمر بتسليمه جماعة المسلمين المهاجرين الى بلاده ، دون أن يتعمق فى بحث الأمر ، أو يقلبه على شتى وجوهه ..

قال له : « أيها الملك : انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه » .

كانت هذه الخدعة قد جازت على البطارقة من قبل ، واقتنعوا بها ، فتوالت أحاديثهم الى مسامع المتربع على عرش الحبشة أن يدع لهم أخوانهم وبنى عمومتهم فيرجعوهم الى قومهم ، ولا يعنى دولة عاهل الأحباش ما سيكون من شأنهم معهم ..

وسمع الملك من البطارقة حتى انتهت أحاديثهم واحدا بعد الآخر .. وفى صوت جهورى آمر انطلقت كلماته تخترق آذانهم : بئس الرأى ما ترون .. هل نستمع الى طرف واحد فى القضية ! .. كلا .. فانه لا يليق بنا أن نخلع عنهم جوارنا حتى نرى رأيهم فيما يدعيه رسولا قومهم ، ولا يجدد بملك الحبشة أن يرجع عن رأى اطمأن اليه دون أن يكون نقيضه خيرا منه .. مروا بهذه الجماعة التى نزلت أرضى ، وبسطت عليها حمايتى أن تحضر لنناقش ما سمعنا من هذين الرسولين ، ونسألهم شيئا عن هذا الدين الجديد ، الذى آثروه مغتربين على المقام بدونه فى أمن بين أهليهم وذويهم ، وفوق أرض بلادهم ..

صدع البطارقة بالأمر ..

وفى عزة المؤمنين بدين الله كان لقاء المهاجرين بملك الحبشـة .. سألهم عن دينهم الذى تركوا به بلدهم ، وفارقوا أهلهم ، ولماذا لم يدخلوا فى دينه ؟ ! ..

وتولى الرد على سؤال الملك زعيم هذه الفئة المهاجرة وأميرها — بأمر النبى — فى رحلتها الى بلاده « جعفر بن أبى طالب » ابن عم النبى ، وأحد الـذين أسلموا فى فجر الدعوة ، وهى لا تزال سرا يتخفى من أن يكشفه المعانـدون المتكبرون .. وأخذ يشرح دعوة الدين الجديد للملك فى منطق سديد ، وحجة باهرة :

« كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ..

« فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ..

« فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ..

« وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء .

« ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات
« وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا .
« وأمرنا بالصلاة والزكاة ، والصيام .
« . . .   . . .
« فصدقنـــاه .
« وآمنـــا بـــه .
« واتبعناه على ما جاء به من الله .
« فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا .
« وحرمنا ما حرم علينا .
« وأحللنا ما أحل لنا ..
« فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .
« فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا الا نظـــلم عنـــدك » .

كان « جعفر بن أبى طالب » أمير المهاجرين يتلو هذا البيان الرائع باسم رفاقه الذين صحبوه الى الحبشة بأمر النبى ، والنجاشى مأخوذ بما فيه ، كأن عظمة الرسالة الجديدة قد انسابت الى قلبه فملكته .. لكنه أراد أن يستزيد من الحديث عن هذا الدين المستنير .

فقال لجعفر : هل معك مما جاء به النبى عن الله شىء تقرؤه على ؟ ..
قال جعفر : نعم ..
واخذ يتلو عليه من سورة مريم :

« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب انى وهن العظم منى . واشتعل الراس شيبا . ولم اكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا .. يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . » .

واستغرق قلب النجاشى وقلوب بطارقته مع الآيات البينات التى تحكى قصة نبى الله زكريا عليه السلام وولده يحيى المسمى عندهم « يوحنا المعمدان » الذى عمد المسيح عليه السلام بعد أن ولدته مريم البتول على كيفية أراد الله بها أن تكون آية للناس ورحمة منه ..

ويستمر جعفر بن أبى طالب فى تلاوته حتى يبلغ **قول الله تعالى :**
فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اين ما كنت واوصـــانى بالصـــلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا . » .

لم يقطع تلاوة جعفر سوى صوت من البطارقة يقول :
هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح

.. والدين الجديد مصدق لما فى الانجيل .
وقال النجاشى : ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ..
وتبين له وجه الحقيقة ، فأمر الرسولين بالانصراف والعودة الى بلدهما ..
أما المسلمون المهاجرون فلهم عنده الأمان والرعاية وحسن الجوار حتى يرغبوا فى الرجوع الى ديارهم بعد أن يظهر الله الدين الجديد وينصر نبيه .

كبرت على نفس « عمرو بن العاص » وعلى دهائه وحيلته أن يعود كما جاء ، وكان يظن أنه سيعود الى مكة يقود أمامه هذه الفئة اللاجئة الى الحبشة ، فلما كان الغد طلب المثول بين يدى النجاشى ليستدرك ما فاته بالأمس .. وما كان الا مدبرا خدعة جديدة ..

وحين اجابه النجاشى الى طلبه زعم أمامه أن نبى المسلمين يقول فى عيسى ابن مريم قولا عظيما .. ودعاه أن يسأل اتباعه الذين يستظلون بحمايته ليرى ما يقوله نبيهم ..

بعث النجاشى فى طلبهم ، فلما دخلوا عليه قال « جعفر بن أبى طالب : نبينا يقول فى عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول .. »

امتلأت نفس ملك الحبشة سرورا وغبطة بهذا القول ، فتناول عصاه وخط بها على الأرض قائلا : ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط ..

كانت هذه العبارة البليغة من النجاشى تعكس ايمانه بصدق الرسالة التى جاء بها محمد وتؤكد عزمه على حماية المؤمنين به مهما بعث أهل مكة من رسل يطلبونهم .

وعاد « عمرو بن العاص » و « عبد الله بن أبى ربيعة » الى مكة يقودهما الفشل فى المهمة التى بذلا فيها كل جهدهما .

وترامى الى سمع النبى من أحاديث قريش غيظهم بعد أن خاب أملهم فى استرداد المهاجرين اليهم ، يفتنونهم فى دينهم ، ويوقعون بهم ما يشاءون من نكال ومن تعذيب ، حتى يرتدوا عن الاسلام ، ويتبعهم بقية المؤمنين الذين لا يزالون فى قلة يحيطون بالنبى ، ويستميتون فى سبيل الدين الجديد ..

زالت عن النبى خشيته على هؤلاء المهاجرين وعلى أميرهم « جعفر بن أبى طالب » الذى أحسن التعبير عن صدق الرسالة وعظمتها مترجما عن ايمانه وايمان رفاقه العميق بها ، واطمأن الى أن ايمانهم لن ينال منه كيد أو دهاء أو خديعة ، كما اطمأن الى جوارهم من النجاشى .. وأيقن من توفيق الله له حين جعل « جعفر ابن أبى طالب » أميرا على هؤلاء المهاجرين ، وهو يعلم صدق ايمان جعفر وهمته فى حمل الأمانة التى وكلها اليه بقيادة هؤلاء المؤمنين ، والتعبير عما فى نفوسهم أن تعرضوا لحوار أو نقاش ، وكشف ما يدبر من خداع أو مؤامرات للايقاع بهم ، وايغار الصدور عليهم .. وأيقن كذلك من صدق نظرته حين قال لهم وهو يوجههم الى الحبشة : « ان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » .

وكشف الله عن النبى ما اهمه من أمر هذه الهجرة ومن أمر الذين هاجروا فيها ..
كان ذلك انتصارا سياسيا عظيما للمسلمين فى مواجهة قريش ، فالمسلمون يجدون العون والرعاية والتأييد من بلد غير مكة .. وهم بايمانهم ، واستمساكهم به ، ودفاعهم عنه بالنفس والمال والولد سينالون من الله النصر العزيز .

★ ★ ★ ★

ترى ماذا سيفعل النبى والمؤمنون معه لحماية الرسالة ، وحمايـــة النصر السياسى الذى ظفروا به فى مواجهة الشرك والظلم والمؤامرات .

دين الله لا بد أن ينتصر ..
وأصنام الشرك لا بد أن تتحطم ..
والايمان بالله الواحد الأحد لا بد أن يجد طريقه الى القلوب ..
مجتمع الظلمات لا بد أن يشرق عليه نور الهداية ..
وشريعة العدل لا بد أن تسود بين الناس ..
وحق الحياة لا بد أن يكون لكل فرد فيه نصيب عادل ..

ودنيا عباد الله لا بد أن تخلو من عصبية الجنس واللون والنسب والثراء ..
كل الناس أمام الله سواء .. لا يعلو أحدهم على غيره الا بالتقوى والعمل الصـــــالح ..

والذين هاجروا الى الحبشة فى سبيل هذه المبادىء ، ودافعوا عنها وهى لا تزال قليلة الاعوان لا بد لهم من حماية قوية ، ليس هناك فى الحبشة وحدها وفى جوار ملكها العادل وحـــده ، بل كذلك فى الأرض التى ظهرت الدعوة على صعيدها ، ونبتت فيها بذورها ، فاذا عادوا اليها ذات يوم أدركوا أنهم حينما هاجروا فى سبيل الدين وحققوا بجوارهم مع النجاشى نصرا سياسيا له ـــ انما تركوا خلفهم فى مكة جنودا أشداء للدعوة ، يحمون بايمانهم ظهورهم ، ويحققون لهم القوة والمنعة فى أرض هجرتهم على بعدها ، ويكسبون لدين الله فى كل يوم أنصارا يشاركونهم جهادهم المقدس ، فالانتصار الأكبر لهؤلاء المهاجرين انما هو الذى يتحقق على أرض المعركة ذاتها ، وضد الذين أشعلوها حربا لا رحمة فيها ولا منطق لها ..

(للقصة بقية ..)

قالت صحف العالم

الجهاد وحرية العقيدة لا يتعارضان

الاسلام جاء ليحرر الانسان من العادات والتقاليد التى قد يقع اسيرا لها ، حتى وان كانت عادات سيئة .. وتقاليد مشينة .

جاء الاسلام ليحرر الانسان فكرا وسلوكا .. لا سلطان لأحد عليه .. والناس سواسية ما التزموا طريق الجادة ..

كفل الاسلام للانسان حرية العقيدة وحرية الفكر .. ومع ذلك دعاه الى ما يصلحه ويعلى من شانه .. فاذا ما وقف فى طريق الاصلاح واقف شهر فى وجهه السيف ـ بعد ان يكون قد استنفد معه كل الطرق السلمية ـ دفاعا عن الحق .. وصونا للعدالة .. وتامينا لسبيل الدعوة ..

• • • • •

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة (الرسالة الاسلامية) تقول :

كان القتال وسيلة من وسائل الدعوة . ولكنه لم يكن الوسيلة الوحيدة ولا الوسيلة الأولى . بل كان الوسيلة الثالثة او الأخيرة . فلم يأمرنا الدين بالقتال الا بعد دعوة غير المسلمين الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فان استجابوا كفى الله المؤمنين القتال ، وان أبوا دعوا الى معاهدة سلمية تؤمنهم ، وتضمن الكف عن مناوأة الدعوة أو النيل من مسيرتها حقنا للدماء ، واحتراما لما يدعو اليه الدين من فضائل وحدود وأحكام ، وصونا للأعراض ، وإقامة للعدالة بين الناس .

فان أبوا فالجهاد الواجب لاعلاء الحق ، وادحاض الباطل ، لتكون كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا . وفى سبيل الاستشهاد متسع للمؤمنين الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله واستحقوا أحسن الجزاء : **(إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** .

واذا علمنا ان الداعى الى الاسلام لم يدع الى قتال المشركين بالسيف الا بعد أن دعاهم الى الاسلام فأبوا ، ثم دعاهم الى معاهدة سلمية تؤمنهم وتؤمن سبيل

الدعوة فأبوا ايضا .. إذا علمنا ذلك أدركنا انه لا اكراه فى الدين ، وأن الجهاد فى سبيل الله إنما شرع بعد تخيير غير المسلمين بين الاسلام ، أو تأمينهم بشرط اخلاء طريق الدعوة الى الاسلام . فان حاولوا إيقاف الدعوة أو الصد عن سبيلها كان القتال هو الفيصل على ما فيه من مشقة وبلاء : (**كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**) .

والمشركون كانوا فى حل من القتال إذا هم أسلموا او التزموا معاهدة تحول بينهم وبين الفوضى واهدار العدالة . فبالاسلام أو بالمعاهدة يحقنون دماءهم ، ويظفرون بالحياة الآمنة ، ويتقون إشعـــال نار الحرب . وهم إن مالوا الــى السلم وجدوا المسلمين مسالمين : (**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**) .

فالسلام لا يسود الا إذا سادت بين الناس العدالة ، والعدالة لا تسود الا إذا هم أسلموا ، واحترموا مبادىء الاسلام وتعاليمه ، وخضعوا لحدوده ، ولم يقفوا فى طريقه باثارة الفتن والخروج على مقتضيات العدالة .

ولقد كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بتوجيه من الله تعالى ، إيذانا بوجوب الجهاد لنشر الدعوة الاسلامية ، ومحاربة الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا . فما قامت دعوة الى الخير وثورة على الشر بلا جهاد ، وكم وقفت الأهواء فى سبيل الهداية ، وكم جحد الجاحـــدون وهم يعلمون الحق بدافع من الظلم والاستعلاء : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**) .

ولم تكن رحى الحرب تدور فى ظل الاسلام لفرض السلطان أو الاكراه على الايمان . فالدين يرفض الاكراه لأن الاسلام لا يكون الا اذعانا للهـــدى ، والايمان لا يكون الا اقتناعا بالحق . وانما شرع الجهاد للسير بالدعوة من غير توقف ، وشق كل طريق مسدود ، وفتح كل باب مغلق ، واستمرار الرسالة المنزلـــة : (**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**) .

طبيعـــة هـــذا الدين

ديننا الإسلامى دين ياخذ بيد الإنسانية الى طريق الخير والفلاح .. دين يختلف فى دعوته عن كل دعوة سبقته .. وهو الرسالة الخالدة التى تتضمن ما يصلح دنيا الناس وآخرتهم .. ولم يجعل الدنيا مبلغ همه ، ولا منتهى أمله .. بل هى مزرعة للآخرة .. وهى فانية ومحدودة .. أما الآخرة فباقية خالدة .. من هنا تختلف طبيعة ديننا الاسلامى عن طبيعة الدعوات الأخرى .

وحول هذا الموضوع كتبت مجلة (الرائد) تقول : ــ

إن طبيعـــة هذا الدين غير طبيعة الدعوات الأخرى ومنهجه غير منهجها وأسلوبه غير أسلوبها ولغته غير لغتها ، وسحنته غير سحنتها ، ونبرات صوته غير نبرات صوتها وأتقدم خطوة فأقول إن قسمات وجهه غير قسمات وجهها ، وكيف لا يكون ذلك فدعوة الدين هى الدعوة الى الآخرة ودعوة المذاهب الوضعية هى الدعوة الى الدنيا ، دعـــوة الدين الى تحسين الحيـــاة الطويلة الباقيـــة ،

« وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » ودعوة الحركات السياسية والمذاهب الاقتصادية والسياسية المعاصرة الى تحسين الحياة القصيرة الفانية « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » .

فينبغى أن يتجلى هذا الفارق الأساسي والخط الفاصل المميز بين الدعوتين فى سائر أجهزة الدين وفروعه وأجنحته ونشاطاته وتصرفاته وفى نظرته العامة الى الحياة والأحياء بل الى جميع الأشياء حال من جاءه برهان من ربه وذاق حلاوة الايمان وفتح الله عليه باب المعرفة والاحسان وأوتى نعمة الفرقان بين الحق والباطل فتكيف سلوكه وخلقه ونشاطه وجهاده بهذا الإيمان وظهر إيمانه بالغيب على إيمانه بالمشهود ، واقباله على الدار الآخرة على اقباله على الدنيا وطمعه فى النجاة من النار على طمعه فى الرقى والازدهار والفتح والانتصار اذا كان ذلك من غير قلب سليم ، ونية صالحة ، وعاطفة إيمانية ودعوة ربانية وروح نبوية وفى حدود معلومة واضحة نطق بها الكتاب والسنة ، وحددتها الشريعة السمحة الغراء ودرج عليها الصالحون وأجمع عليها العلماء الربانيون ولم تدنسها شوائب الحضارة المادية ، وسموم الثقافة الغربية والأفكار اللادينية .

إن القرآن حرص دائما على أن يبقى هذا الفرق واضحا لكل ذى عينين وحتى فى الأشياء التى تتعلق بالادارة والبناء والتصميم ، والحياة المنزلية والآداب اليومية والمعيشة العامة لتظل الأمة الاسلامية شامة بين الناس لا فى الشارة واللباس والاسم والعنوان ولغة الحديث والقرآن بل فى الذوق والوجدان ، فى العقل والقلب ، فى الضمير ومكنونات الصدر ، وفى سلوك الفرد وسلوك الجماعة ، وسلوك الدولة ، وسلوك الأمة ، فى سائر مجالات الحياة وفروعها .

ربح البيع

فى تفسير ابن كثير : أن صهيب خرج مهاجرا فأتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته . ثم قال : يا معشر قريش قد علمتم أنى من أرماكم رجلا ، وأنتم والله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم فى كنانتى ، ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء ، ثم افعلوا ما شئتم ، وان شئتم دللتكم على مالى وقنيتى بمكة ، وخليتم سبيلى .

قالوا : نعم .

فلما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ربح البيع).

ونزل قوله تعالى : —

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » .

بأقلام القراء

الهجـــرة والعـــام الجـــديد

الله سبحانه وتعالى هو المقدر والمدبر لجميع مخلوقاته حتى كانت هــذه التطورات والتقلبات الكونية من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل .. سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبـــديلا .

نعم ، هكذا كانت مشيئته تعالى منذ الازل فيتعاقب عهد بعد عهد ونظام تلو نظام فى هذه الحياة الدنيا الى يوم يبعثون .

واليوم .. وقد انتهت هذه السنة (١٣٩٤ هجرية) لتزيح امامها ســـتار الأبدية ولتخلفنا وراءها بما تخلفه لنا من شئون الحياة وشجونها ، ولتنطوى هى كما انطوت لداتها من السنين والأعوام الغابرة تحت طى الكتمان وبين ســـجف الماضى والنســـيان .

فلنعمل لأنفسنا تصفية حسابية ، اجمالا وتفصيلا ، كما يعمله أرباب التجارة والاقتصاد على رأس كل سنة لنعلم اكانت تجارتنا رابحة أم بائرة ، وحياتنا كاسبة أم خاسرة طوال العام المنصرم ، ثم لنكون على بينة من أمرنا حين نستقبل هـــذا العام الجديد . ونضع لأسلوب حياتنا المقبلة فردا وجماعيا ، منهجا نبنى عليه أمورنا ونتمشى على منواله بعد أن نؤيده بميزانيـــة تنظم مصادر دخلنا ومصاريف خرجنـــــا .

ونحن بصفتنا مسلمين اتباع النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما زلنا على الدوام نستشعر بالمسئولية العظمى التى تلقى على عواتقنا امام الله نحـــو انفسنا وأهلنا وأموالنا وما توليناه من مصالح ديننا ووطننا ومجتمعنا . فلننصف أنفسنا ولنرجع عن هفواتنا ، ولنتب الى الله سبحانه وتعالى من سيئات أعمالنا ومن شرور أنفسنا قال تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا)**.

وان لنا لركائز من قبس التنزيل وهدى السنة النبوية هى التى تنظم حياتنا ، وتبنى أمورنا على أساس متين فلا نتخبط خبط عشواء ، فقد قال الله تعـــالى : **(ونضع الموازين القسط ليوم القيـــامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين)** (الأنبياء ٤٧) . وقوله تعالى : **(ونضـــع الموازين القسط)** (العدل) توزن بها صحائف الأعمال وقيل (الميزان) تمثيـــل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل .

وأخرج احمد والترمذى وابن ماجه عن شداد بن أوس (الكيس من دان نفسه مطيعة ومنقادة لأوامر ربها ، اى : الكيس من ابصر العاقبـــة وحاسب نفسه ، والأحمق من عمى عنها وحجبته الشهوات والغفلات .

وما دمنا نتفيأ تحت ظلال التنزيل ، ونستضىء بهدى السنة النبوية ، فنحن ان شاء الله فى خير والى خير . .

***

وهذا أول يوم من محرم عام ١٣٩٥ هـ قد بزغت شمسه بضيائها اللامع يشع على هذه الحياة فتبعث النشاط فى النفوس لمواجهة هذا العام الجـــديد وتذكى الحرارة فى العزائم لتدارك ما فات وأخذ الدروس من الماضى .

وهو علاوة على ذلك يذكرنا بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو وصاحبه أبو بكر الصديق تاركين وراءهم وطنهم المحبوب مكة المكرمة لائذين بدينهم الى حيث ترفرف أعلامه ، وتشرق شموسه ، وتتوطـــد معالمه ، ويصبح هذا الدين الحنيف منارا يهتدى به فى ظلمات الحياة المدلهمة .

وعندما يتحدث المتحدث عن الهجرة وما أدراك ما الهجرة ، يجول بباله ذكر الوطن والحنين اليه ، والغربة وما فيها من كربة ، والسفر وما يعانيه المسافر من متاعب ، فتصور ما شئت أن تتصور كيف يكون حال الانسان عندما يترك وطنه الذى تغذى بثمراته وخيراته ، وتمتع بنسيمه وهوائه ، واقلته أرضه ، واظلته سماؤه ، وبه أهله ، وماله وقومه ، وعشيرته .

حقا ، ان الموقف رهيب ، ومغادرة الوطن تستوجب الحنين والنحيب .

نعم ، فقد هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكة وقلبه يحن إليها لأنه فيها نبت وعلى أرضها درج ، وفيها اختاره الله لهداية خلقه ، ولكنه تركها ارضاء لربه واعتزازا بيقينه ، وصونا لدينه ، فقصد المدينة وغايته النضال لاعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيل الله .

هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطنه المحبوب ومشى وصاحبه يقطع الفيافى والبرارى واختبأ بالغار فى ليله ولم يكن معه غير الصديق ، والله ثالثهما ، حتى نجاهما الله من مطاردة أعداء الله الذين يريدون قتلهما وافناءهما من الوجود ، فكان له عند المدينـــة الحفاوة البالغة واستقر بها قراره والعـــزة تاجه والكرامة تحيط به من كل جانب .

طـــلع البـــدر علينـــا ... من ثنيـــــات الـــوداع
وجب الشـــكر علينـــا ... مـــا دعـــا للـــه داع

سبحانك ربى من إله حكيم ، فقد اخرجت نبيك محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من بين (الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا

بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) فجعلته بين (قوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) وهم (أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضـــلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئـــك هم المفلحون) ، (رجال لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

فكان ما كان من توافق النفوس وتضافر القلوب ، وتســـاند الصـــفوف ، فصارت للجميع وجهة واحدة ، واخذ التشريع السماوى ينزل تباعا لمصلحة البشر وسعادة الانسان ، ولكن الله أراد أن يمتحن عباده فوقع ما لا بد أن يقع من الجلاد والنضال والقتال بين قوة الحـــق وثبات اليقين وبين الضـــلال وترهاته الباطلة حتى اعز الله الاسلام دينا فاتسعت رقعته وامتدت الفتوحات شرقا وغربا رغم أنوف الأعداء الذين (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

فصارت الهجرة بابا يلهجه كل من اعيته الحيل فى أن ينال عزة فى مكانه الذى هو فيه ، يلج ذلك الباب ليصل منه الى مكان آخر فيه رفعته وفيه سمو مكانتـــه .

الدكتور عبد الله بن عبد القادر
ــ اندونيســـيا ــ

دعاء :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ذات يوم فاذا هو برجل من الانصار يقال له أبو أمامه ، فقال يا أبا أمامه : مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة . قال : هموم لزمتنى ، وديون يا رسول الله ، قال : افلا أعلمك كلاما اذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك ، قلت : بلى يا رسول الله قال : قل اذا أصبحت واذا أمسيت : اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : ف. ع.

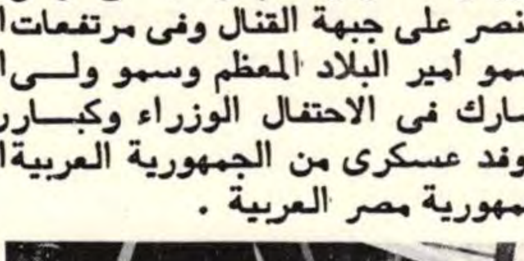
الكويت : ادى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم صلاة عيد الاضحى بمسجد السوق الكبير يرافقه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وكبار الشخصيات الكويتية .

● استقبل سمو أمير البلاد فى قصر السيف العامر جموع المهنئين بعيد الأضحى المبارك .

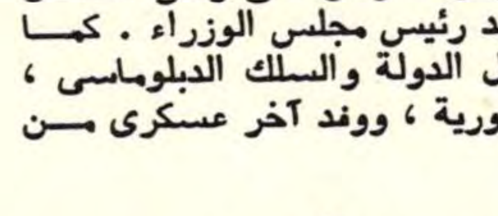


حضرة صاحب السمو الأمير المعظم يتوسط كبار رجالات البلاد واعيانها وهم يتابعون العرض العسكرى الذى أقيم احتفالا بالقوات الكويتية العائدة من الجبهة بعد أن شاركت فى الحرب العربية الاسرائيلية .

● اقامت الكويت عرضا عسكريا احتفالا بعودة القوات الكويتية (لواء اليرموك ، وقوة الجهراء) الى أرض الوطن بعد أن شاركت فى تحقيق النصر على جبهة القنال وفى مرتفعات الجولان . وكان على رأس الحفل سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء . كما شارك فى الاحتفال الوزراء وكبار رجال الدولة والسلك الدبلوماسى ، ووفد عسكرى من الجمهورية العربية السورية ، ووفد آخر عسكرى من جمهورية مصر العربية .



سمو الامير المعظم يقبل ابن احد الشهداء الذين استشهدوا فى الحرب العربية الاسرائيلية وذلك اثناء العرض العسكرى الذى اقيم احتفالا بالقوات الكويتية العائدة من الجبهة .



صاحب السمو الأمير المفدى يرافقه سعادة رئيس الأركان العامة للجيش يتفقدان القوات العائدة من جبهة القتال ، وذلك اثناء العرض العسكرى الذى جرى فى معسكر اللواء الخامس عشر .

● جريا على عـادة وزارة الأوقـاف والشئون الاسلامية احتفلت بذكـرى الهجرة النبوية على صاحبها أفضـل الصلاة والسلام ، وذلك فى مسجد السوق الكبير ، وقد نقل التلفزيـون والاذاعة وقائع الاحتفال فى حينه .

● وافق مجلس الوزراء الكويتى على المساهمة بمبلغ مليونى دولار لدعـم المعامل بالجامعات المصرية .

● توافدت على البلاد وفود الحجاج القادمة من الباكستان وافغانستـان والبلاد العربية وهى فى طريقها لاداء فريضة الحج .. وقد سهرت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية علـى راحة الحجاج وخدمتهم اثنـاء اقامتهم بمدينة الحجاج التى تشرف عليهـا الوزارة .

القاهرة : اشترك فضيلة شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمـود مـع العاملين فى بناء مسجد النور الـذى يقام بميدان العباسية .

● وجه نائب رئيس الوزراء وزيـر الأوقاف رسالة الى موظفات الوزارة يدعوهن فيها الى اختيار زى يتناسب مع قيمنا وتعاليمنا الاسلامية .

● صـدر قرار جمهـورى بانشـاء صندوق لعمارة المساجد الأهلية .. ويقوم الصندوق بحصر هذه المساجد فى كـل محافظة وتهيئتهـا لاداء رسالتها .

● أرسى الدكتور عبد العزيز كامـل وزير الأوقاف حجر الأساس لمسجـد جديد فى مصر الجديدة يحمل اسم أحد شهداء حرب رمضان ، وكان الشهيد قد أوصى والده بأن يساهم فى اقامة مسجد بقيمة التعويض الذى ستتسلمه الأسرة بعد استشهاده .

● تقرر ضم ١٩٥ مسجدا أهليـا موزعة على بعض المحافظـات الـى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

السعودية : قام جلالة الملك فيصـل بغسل الكعبة الشريفة .. وكان فى معيته بعض الأمراء ووجهاء البلاد .

● بلغ عدد الحجاج حوالى مليـون ونصف مليون حاج هذا العام . وقـد وفرت لهم المملكة كل سبل الراحـة والسلامة .

● لأول مرة تستخدم اللغات الأجنبية الى جانب اللغة العربية فى القـاء المواعظ والدروس الدينية فى المسجد الحرام عقب كل صلاة ، فقد خصص باب الملـك للغات الانجليزيـة والفرنسية والأفغانية والأوردية .

دمشق : ارسـى الرئيس السـورى حافظ الأسد والسيد ياسر عرفـات حجر الأساس للمدينة التعليمية لأبناء شهداء فلسطين ، ومهمة هذه المدينة رعاية ابناء أسر المجاهدين وشهـداء فلسطين وتأهيلهم علميا وقوميا حتى يمكنهم أداء واجبهم الوطنى ..

وقد ساهمت فى هـذا المشروع الكويت ، ودولة الامارات ، والبحرين وقطر ، والعـراق بالاضافـة الى سورية .

الأردن : رحبت الأردن بالمشروع الذى أعدته وزارة الأوقـاف والشـئون الاسلامية بالكويت والخاص بتوحيـد الاعياد والمناسبات الاسلامية .. جاء ذلك على لسان سـماحة الدكتـور عبد العزيز خياط وزيـر الأوقـاف وشئون المقدسات الاسلامية .

فلسطين : ردت المقاومة الفلسطينية بعنف على الاعتداءات الاسرائيليـة المتكررة على مخيمات اللاجئين فـى لبنان .. وكبدت العدو الخسائـر الفادحة .

بنات النبي ﷺ

السيدة زينب
رضي الله عنها

إعداد الأستاذ فهمى الإمام

اســـــمها : زينب كبرى بنات النبى صلى الله عليه وسلم .

امهــــــا : ام المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

زوجــــــها : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى .

زواجــــــها : تقدم لخطبتها من أبيها محمد صلى الله عليه وســـلم فوافق عليه زوجا لابنته بعد أن علم بقبولها له ، وتم زواجها فى مكة قبل البعثة النبوية .. وانتقلت من بيت أبيها الى بيت الزوجية ..

اســـــلامها : كانت تتردد على بيت والدها صلى الله عليه وسلم .. وعلمت باختلائه وعزلته فى غار حـــراء .. ثم علمت بالوحى الذى يهبط عليه .. فشهدت بأنه لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وحاولت جاهدة أن يعتنـــق زوجها الاسلام .. ولكنه ظل على كفره حتى هـــاجر الرسول الى المدينة .. وبقيت زينب وحيدة فى مكة .. ووالدها واخواتها والمسلمون فى المدينة .. ثم كانت معركة بدر .. وزوجها فى صفوف المشركين .. ووقع زوجها أسيرا فى أيدى المسلمين .

فداؤها لزوجها : تقدم (عمرو بن الربيع) فقـــال للنبى : بعثتنى (زينب بنت محمد) بهذا ــ واخرج صرة بها (قلادة) كانت قد أهدتها السيدة خديجة لزينب عند زواجها ــ فداء لزوجها أبى العاص ــ اخى ــ فلما رأى الرسول القلادة قال لأصحابه : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا .. فقالوا جميعا : نعم يا رسول الله .

هجــــــرتها : عاد الزوج الى مكة بعد أن أطلق سراحه من الأسر .. واشار على زينب باللحاق بوالدها صـــلى الله عليـــه وسلم .. لأنها لم تعد تحل له زوجا .. فقد فرق اختلاف الدين بينهما .. وكان قد وعد والدها بأن يســـمح لها بالهجرة ، فخرجت مهاجرة يحرسها (كنانة) ــ أخو أبى

العاص ــ ولكنها لم تسلم من أذى قريش .. فضـربوا بعيرها فسقطت من فوقه على صخرة .. فطـرحت جنينها وقد كانت حـاملا .. ثم عـادت الى مكة حتى استراحت قليلا .. ثم خرجت مهاجرة الى المدينة

ولادتهـــا : ولدت فى مكة لأبى العاص ابنتها (امامة) .. فنشأت فى مكة .. وصحبت امها مهاجرة .. وعاشت معهـا حتى انتقلت الى جوار ربها ، وظلت مع والدها حتى مات فى ذى الحجة من السنة الثانية عشرة من الهجرة فى عهد أبى بكر .. وقبل موته أوصى بأمامة الى الزبير ابن خاله ابن خويلد .. وقد زوجها الزبير من على بن أبى طالب بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء . ومن بعده تزوجت المغيرة بن نوفل واقامت معه حتى ماتت عن غير خلف ــ فى أصح الروايات ــ وبذلك انقطع عقب زينب . رضى الله عنها .

اسلام زوجها : كان أبو العاص فى تجارة لقريش .. أصابها المسلمون فأخذوها .. وفر منهم حتى لجأ الى بيت السيدة زينب رضى الله عنها .. فأجارته فلم يمسسه أحد بسـوء .. وعرض الرسول على أصحابه أن يردوا عليه أمواله اذا رأوا ذلك .. والا فهى فىء لهم فردوا عليه أمواله كاملة لم ينقص منها شىء .. ثم رحل أبو العاص بتجارته حتى أتى مكة .. فأدى الأمـانة .. ووزع الأمـوال على أصحابها .. ولما فرغ .. وقف بين أهل مكة قائلا : (فأنا أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعنى من الاسلام الا تخوف أن تظنوا أنى انما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت) .

هجرة زوجها : ومع هلال المحرم سنة سبع من الهجرة قدم الى المدينة مسلما .. ودخل على الرسول فى مسجده معلنا إسلامه .. وفرح بذلك المسلمون .. ورد الرسول عليه زوجته واجتمع شمل الأسرة فى المدينة المباركة بعد تفرق .

وفاتهـــا : فى مستهل السنة الثامنة ماتت السيدة زينب متأثرة بما أصابها وهى خارجة من مكة .

ولم يتزوج أبو العاص بعدها حتى مات فى خلافة أبى بكر وقد صلى عليها أبوها صلى الله عليه وسلم فى مسجده .. ودفنهـا فى ثرى المدينـة .. رضى الله عنهـا وارضاها .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	محرم ١٣٩٥	يناير ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	١٤	١٥٧	١٢ ٨	١ ٣١	٦ ٤٦	٩ ٤١	١ ٢٢	٥ ١٩	٦ ٤٣	١١٥٧	٢ ٥٢	٥ ١١	٦ ٣٣
الأربعاء	٢	١٥	١٥٨	٧	٣٠	٤٥	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٣	١٢	٣٤
الخميس	٣	١٦	١٥٩	٦	٢٩	٤٥	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٤	١٣	٣٥
الجمعة	٤	١٧	١٦٠	٥	٢٨	٤٤	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٥	١٤	٣٦
السبت	٥	١٨	١٦١	٤	٢٧	٤٤	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٦	١٥	٣٧
الأحد	٦	١٩	١٦٢	٣	٢٧	٤٣	٤١	٢١	١٩	٤٣	٥٩	٥٦	١٥	٣٧
الاثنين	٧	٢٠	١٦٣	٢	٢٥	٤٣	٤١	٢١	١٩	٤٣	٥٩	٥٧	١٦	٣٨
الثلاثاء	٨	٢١	١٦٤	١	٢٤	٤٢	٤١	٢١	١٩	٤٢	٥٩	٥٨	١٧	٣٩
الأربعاء	٩	٢٢	١٦٥	٠٠	٢٣	٤٢	٤١	٢١	١٨	٤٢	١٢٠٠	٥٩	١٨	٣٩
الخميس	١٠	٢٣	١٦٦	١١٥٩	٢٢	٤١	٤١	٢١	١٨	٤١	٠٠	٣ ٠٠	١٩	٤٠
الجمعة	١١	٢٤	١٦٧	٥٨	٢٠	٤٠	٤٠	٢١	١٨	٤١	٠٠	٠٠	٢٠	٤١
السبت	١٢	٢٥	١٦٨	٥٦	١٩	٤٠	٤٠	٢١	١٧	٤٠	٠٠	١	٢١	٤٢
الأحد	١٣	٢٦	١٦٩	٥٥	١٨	٣٩	٤٠	٢١	١٧	٤٠	١	٢	٢٢	٤٣
الاثنين	١٤	٢٧	١٧٠	٥٤	١٧	٣٩	٤٠	٢٠	١٧	٤٠	١	٢	٢٢	٤٤
الثلاثاء	١٥	٢٨	١٧١	٥٣	١٥	٣٨	٤٠	٢٠	١٦	٣٩	١	٣	٢٣	٤٤
الأربعاء	١٦	٢٩	١٧٢	٥٢	١٤	٣٧	٤٠	٢٠	١٦	٣٩	١	٤	٢٤	٤٥
الخميس	١٧	٣٠	١٧٣	٥٠	١٢	٣٦	٤٠	٢٠	١٥	٣٨	١	٤	٢٥	٤٥
الجمعة	١٨	٣١	١٧٤	٤٩	١١	٣٦	٣٩	٢٠	١٥	٣٨	١	٥	٢٦	٤٦
السبت	١٩	فبراير	١٧٥	٤٨	١٠	٣٥	٣٩	٢٠	١٥	٣٧	٢	٥	٢٦	٤٦
الأحد	٢٠	٢	١٧٦	٤٧	٨	٣٤	٣٩	٢٠	١٤	٣٦	٢	٦	٢٧	٤٧
الاثنين	٢١	٣	١٧٧	٤٦	٧	٣٤	٣٩	٢٠	١٤	٣٦	٢	٦	٢٨	٤٨
الثلاثاء	٢٢	٤	١٧٨	٤٥	٥	٣٣	٣٩	١٩	١٣	٣٥	٢	٧	٢٨	٤٨
الأربعاء	٢٣	٥	١٧٩	٤٤	٤	٣٢	٣٨	١٩	١٣	٣٥	٢	٧	٢٩	٤٩
الخميس	٢٤	٦	١٨٠	٤٣	٣	٣٢	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٨	٣٠	٤٩
الجمعة	٢٥	٧	١٨١	٤١	٢	٣١	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٩	٣١	٥٠
السبت	٢٦	٨	١٨٢	٤٠	١	٣١	٣٨	١٩	١١	٣٣	٢	٩	٣١	٥٠
الأحد	٢٧	٩	١٨٣	٣٩	١٢٥٩	٣٠	٣٨	١٩	١١	٣٣	٢	١٠	٣٢	٥١
الاثنين	٢٨	١٠	١٨٤	٣٧	٥٨	٢٩	٣٧	١٩	١٠	٣٢	٢	١٠	٣٣	٥٢
الثلاثاء	٢٩	١١	١٨٥	٣٥	٥٧	٢٩	٣٧	١٨	٩	٣١	٢	١١	٣٤	٥٢

« إلى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار ٧ شارع الصحافة .
السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .
المغرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية : جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .
البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .
قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبى : مكتبة دار الحكمة ص.ب : (٢٠٠٧) .
الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيا ١٠ قروش ● تونس ١٢٥ مليما ● الجزائر دينار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعدن ٧٥ فلسا
● لبنان وسوريا ٥٠ قرشا ● مصر والسودان ٤٠ مليما

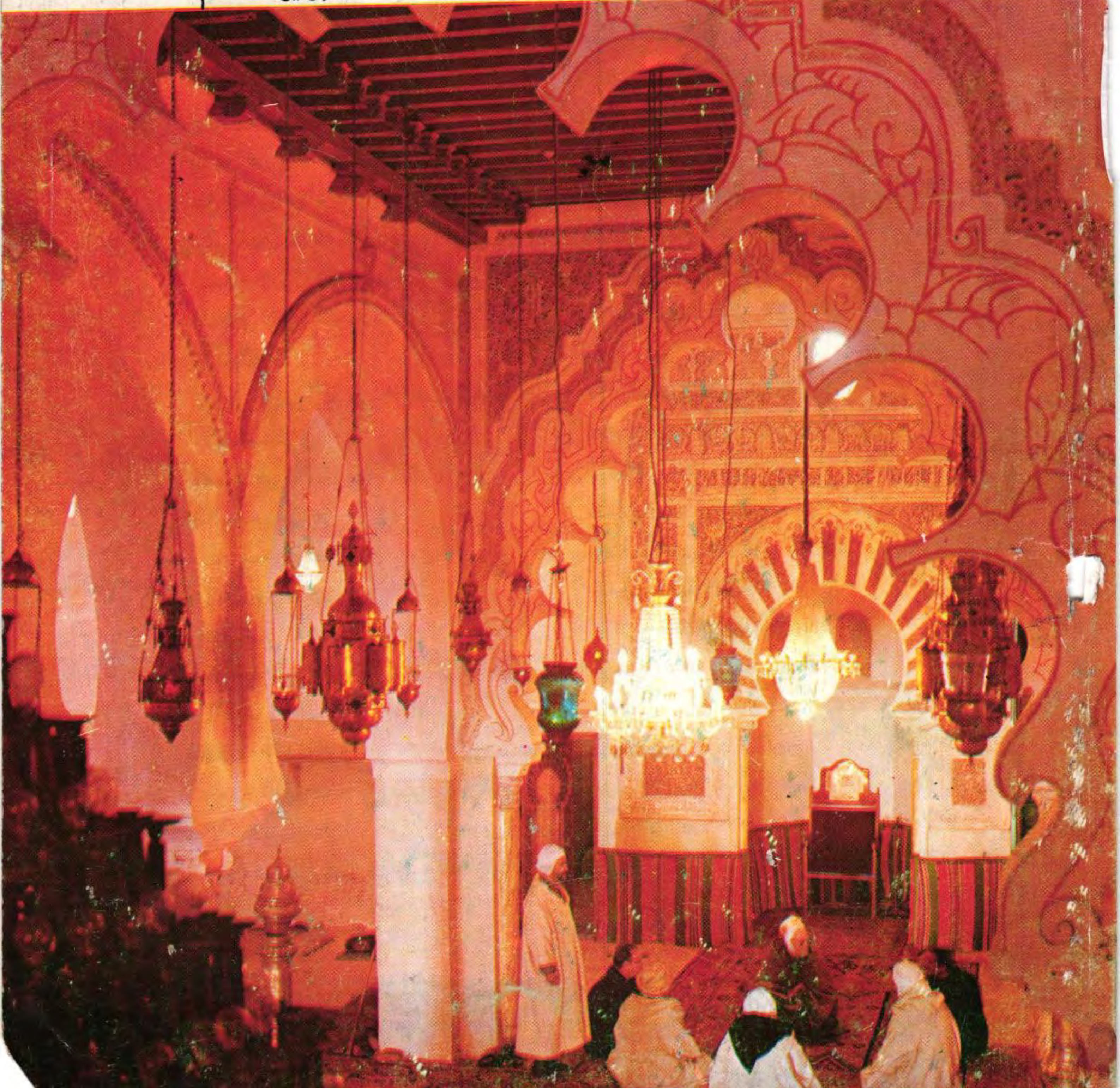
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٢) ــ السنة الحادية عشرة ــ غرة صفر ١٣٩٥ هـ ــ فبراير ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



صــــورة الغـــــلاف
روعـــــة الفـــن الاســـلامى
تبـــدوا واضحـــة فى أروقـــة
جامــــع تلمســـان بالجـــزائر

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافيـــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــــــدد : ١٢٢

غرة صفر ١٣٩٥ هـ ــ فبراير ١٩٧٥ م

هـــدفها : المـــزيد من الوعى ، وايقـــاظ الروح ، بعيــدا عن الخـــلافات المذهبيـــة والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
بالكــويت في غــرة كل شـــهر عـــربى

عنــوان المراســـلات :

مجــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

النصر المعقود في السماء

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بمطلع السنة الهجرية الجديدة ١٣٩٥ .. وذلك بمسجد السوق الكبير وقد تحدث فى الحفل العديد من العلماء والوعـاظ ونقلت الاذاعة والتلفزيون وقائع الاحتفال فى حينه ..

وفيما يلى حديث الاستاذ عبد الرحمن الفارس الوكيل المساعد فى وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية :

بسم الله الرحمن الرحيم .. أحمد الله وأصلى وأسلم على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعـــد ...

فالعالم الاسلامى يحتفل فى هذه الليلة المباركة بذكرى هجـرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينـة ، ومهما كان تصوير الناس لهذه الهجرة ، فقد صورها القرآن الكريم بصورة النصر المعقود فى السماء والمؤيد بجنود الله من أجل اعلاء كلمة الله ، وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول : « الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحـزن إن الله معنـا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وهكذا ، شاءت إرادة الله العلى القدير أن تكون هذه الليلة نقطة انطلاق نحو اعزاز الحق وازهاق الباطل وإيذانا باقامة دولة ، وسيادة أمة ، وبداية تاريخ .

حقـاً ، أيها الأخوة المؤمنون ، كانت الهجـرة نصراً من الله لرسوله على قوم يدعوهم الى النجاة فيدعونه الى النار ، يدعوهم لمـا يحييهم ، فيتآمرون على قتله ، ويريدون أن يتفرق دمه فى القبائل ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

فلولا الهجرة لظلت الدعوة حبيسة فى مكة ، وظل صاحب الدعوة يواجه عواصف الحقـد وأخطار التهديد والوعيد ، لولا الهجرة لعاش المسلمون أفرادا بلا أمة لا مجـد لها ولا تاريـخ .. فكانت الهجـرة الفجر الجديد الذى أطل على العالم يبدد ظلام الشرك وأوهام الباطل .

وكانت الهجـرة إعلانا بمولد عقيـدة تهدى الحيـارى وتحمى المستضعفين وتصون الحيـاة من السجود لغير الله وتقـدم للبشرية موازين الحق والعدل والمساواة والإخاء والسلام .

وإذا كان المهاجرون قد شرفوا وجه التاريخ وفازوا برضوان الله وجميل ثنائه لأنهم بذلوا فى سبيل الله كل شىء وهان عليهم كل شىء ، وتركوا أموالهم للسلب ، وديارهم للنهب ، وأولادهم للفتنـة ، فاليوم لم يعد مطلوبا منا أن نهاجر . ولكن مطلوب منا أن نجاهد . فقد قـال الرسول صلىالله عليهوسلم «لا هجرة بعدالفتح ، ولكن جهاد ونية » .

مطلوب منا أن نحافظ على مكاسب الهجرة وأن نسترد كل ذرة من أرضنا وأن نستعيد كل شبر ضاع منا .. مطلوب منا أن نضحى



بالكثير من أجل عزتنا وكرامتنا .. أن نضحى بالخلافات والمنازعات لنضع حدا للمؤامرات ضدنا .. أن نضحي بالراحة والترف لنسترد ماء الوجه والمقدسات .. لنثبت من جديد أننا خير أمة أخرجت للناس .. وأننا من سلالة أبطال لم يعرفوا الشعور بالقلق واليأس والهزيمة وإنما باعوا نفوسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .

أيها الأخوة المؤمنون .

إن المؤامرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبس أو النفي أو القتل تحولت بعد أن لحق بربه الى مؤامرة على الاسلام وأهله .. لها في كل يوم وجه .. ولكل وجه قناع .. وتتحول من كيد الى فتنة .. ومن فتنة الى حروب .. ومن مشكلة فلسطين الى مشكلة الشرق الأوسط .. ومن قتال فى أرتيريا الى مذابح فى الفلبين ومن قناة السويس الى آبار النفط .. وذلك ، بتخطيط حاقد من جانب الصليبية بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية . .وليس لنا من سبيل أمام كيد الشرق والغرب لأمتنا ، إلا الاعتصام بحبل الله والتمسك بدينه ، والاستبسال في سبيله ، وأملنا فى الله كبير أن يكتب النصر لنا وأن تكون بلادنا مقبرة للمعتدين .. فلنعتصم أولا وأخيرا بالله ولا نستعين إلا به فهو وحده مفرج الكرب .. وهو وحده كاشف الضر وهو وحده ناصر المؤمنين .

وأنتهز هذه الفرصة لأبعث من فوق هذا المنبر أطيب التهانى الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والى سمو ولى عهده الأمين والى شعبنا الأبى وحكومتنا الرشيدة والى الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها .. ضارعا الى الله سبحانه أن يوفق أمتنا الى وحدة الصف وجمع الكلمة والبذل والتضحية وأن يعيد هذه الذكرى المباركة وقد تحررت الأرض والمقدسات ورجع الغريب الى وطنه وعاد الحق الى أصحابه وتحققت بشارة القرآن الكريم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين .

اللهم أعنا على أعدائك وقتلة أنبيائك .. اللهم أنصر الإسلام والمسلمين وأيد بفضلك كلمة الحق والدين وأخرجنا من معارك الجهاد برؤوس مرفوعة ونصر مبين .

اللهم أرحم شهداءنا وأسكنهم فسيح جنتك .. يا أرحم الراحمين ، ووفقنا للعمل بالقرآن العظيم واتباع سنة خاتم النبيين .

وكل عام وأنتم بخير .. والسلام عليكم ورحمة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

فضل الله على الناس

فان من نعمة الله علينا نحن المسلمين وعلى الناس جميعا ان شرع لنا سبحانه الاسلام العظيم ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، فالاسلام هو استسلام لله جل وعلا واخلاص القلب والعمل له . فالاسلام حينما يكون بهذه الصورة وهو الاستسلام انما يقوم على دعائم تؤكد الطاعة والولاء لرب العالمين ، ذلك أن لهذا الدين كل الفضل فى جعل الناس فى استبانة ووضوح من أمرهم فى الحياة وبعد الممات ، فما من منهج أو مذهب من مذاهب الحياة الا وهو ناقص فى تعريف الانسان بنفسه ، ولكن الاسلام يوضح لهذا الانسان سبب خلقه فى الأرض ويعرفه بربه ويبين له موقفه فى هذه الحياة من الكون ومن الناس ثم مصيره بعد أن يموت ، وانه ليس هناك من مبدأ أو منهج يقوم على هذا الاحتضان التربوى لهذا المخلوق ، سوى الاسلام حيث يهتم بالفرد من قبل ان يولد الى بعد ان يموت ، وهذا فضل عظيم جدا من فضائل الاسلام على العالمين .

ومن فضل الاسلام على الناس انه ارشدهم الى كل خير ، قال صلى الله عليه وسلم: (تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ما من خير الا وأمرتكم به وما من شر الا ونهيتكم عنه لا يزيغ عنها الا هالك) وهى نعمة تستوجب الشكر والعرفان ، بفضل العلى الكبير سبحانه ، فلا يغيب عنا توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه فى كل شىء وهى ناحية اخرى من فضل الاسلام العظيم ، تلك هى اعتناؤه بجميع ما يخص ويتعلق بهذا الكائن البشرى سواء كان فى شئون العبادة ، فهناك المراعاة لشروط كل ركن او عمل شرعه لنا البارىء سبحانه او كان الشان من شؤون العادات كزيارة الأقارب ، او الاكل او الشرب ففى الزيارة الحث على صلة الارحام

مع مراعاة الا يثقل الشخص على الناس ، وفى الاكل عدم الاسراف والاكل باليد اليمنى والتسمية ، وهكذا فى كل شأن من شؤون الحياة ، لا بد من شكر الله والاستعانة به ان كان الأمر خيرا والتعوذ به سبحانه ان كان الأمر شرا وملاحظة التسمية فى كل عمل يقوم به المسلم .

ومن كبير فضل الاسلام اضافة الى حث الناس على المساواة فيما بينهم وأنهم عباد لرب العباد تبارك وتعالى ، اضافة الى ذلك بيان الاسلام طبيعة هذا المخلوق وأن الله خلقه وميزه على كثير ممن خلق ، والاكثر من ذلك أنه خصه بالتكريم ، وهو مقام كبير ومنزلة عظيمة كتبها البارىء سبحانه لهذا المخلوق الضعيف فقال جل وعلا : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

انظر فضل الله العظيم علينا فى هذه الآية وهو تيسير البر والبحر وتيسير الطيبات ، وهذا المعنى يدل على أن الله سبحانه سخر لنا كل شىء كما قال سبحانه : « وهو الذى سخر لكم ما فى الأرض جميعا) وهذا يتطلب منا الطاعة والانقياد ، فان ذلك هو الشكر والعمل الذى حثنا عليه سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم فى اقواله وأعماله ، فجدير بنا أن نكون كذلك .

ما ذكرناه بعضا من فضل الاسلام العظيم علينا ذلك انك لو بحثت كل ناحية من نواحيه ترجع بالاعجاب التام ، والايمان الصادق بان الاسلام هو الدين الحق ، الذى يجب أن يطاع .

ولا عجب ، فهو دين رب العالمين .

أخى المسلم لنعلم بان التزام الاسلام وتطبيقه استجابة لأمر الله وتحقيق لفضل الاسلام علينا حيث يقول سبحانه : (يايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

فالى طاعة فيها حياة .. الى طاعة فيها فلاح .

رئيس التحرير

بدر سليمان القصار

من أسرار لغة القرآن الكريم

٤

للدكتور علي محمد حسن

نقصد بالفاصلة التى نبحث عن سرها البلاغى تلك التى تكون تذييلا لمضمون آية كريمة ، وكان — فيما يقع فى وهم واهم — من الممكن أن تحل فاصلة أخرى محلها ، أما الفاصلة التى تكون جزءا من جملة الآية فلا بحث لنا عن سرها البلاغى اذ لا يمكن الاستغناء عنها فى تمام معنى ، وان أمكن البحث فيها من نواح أخرى .

فنحن — مثلا — نبحث عن الفواصل فى قوله تعالى — من سورة النحل — : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك الآية لقوم يذكرون » .

اذ يلفت نظرنا ، ونظر كل باحث فواصل هذه الآيات (يتفكرون — يعقلون — يذكرون) ، ونسأل لم ختمت كل آية بالفاصلة التى ختمت بها دون غيرها .. ؟ ومثل هذه الفواصل فى القرآن الكريم كثير .

ولكننا لا نبحث هذا البحث البلاغى عن الفاصلة الأولى فى هذه الآيات (فيه تسيمون) من حيث أنها فاصلة ، لأنها من صلب الجملة ، وكذلك — مثلا — لا نبحث هذا البحث عن فواصل سورة (الحجر) لأنها كلها أركان فى آياتها ؛ ومن ذلك قوله تعالى : « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون .

أسرار الفواصل

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .
ومثل هذه الفواصل فى القرآن الكريم كثير أيضا .

وبعبارة أخرى : من فواصل القرآن ما يمكن أن يسأل عنها : لماذا كانت هذه الفاصلة بالذات ؟ بل ربما سأل باحث : لم أوثرت هذه الفاصلة على غيرها ؟ بل ربما قال جاهل ضال : الم يكن غيرها أولى بها فى هذا المكان ؟ ولذلك نعنى ــ كما عنى من قبلنا ــ بالبحث عن الأسرار البلاغية التى أوجبت أن تكون هذه الفاصلة هى المتعينة فى هذا الموضع، ولا يمكن ــ بلاغة ــ أن تحل فاصلة أخرى محلها ومن فواصل القرآن ما لا يتجه فيه شىء من هذه الاسئلة، فليست من مجال بحثنا هذا .

وفى آيات سورة (الحجر) نجد مجالا آخر لبحث بعض الفواصل ، تلك التى وقعت أوصافا لموصوفات سبقتها : (شيطان رجيم ــ شهاب مبين ــ شىء موزون ــ بقدر معلوم ــ حمإ مسنون ــ جزء مقسوم ــ بغلام عليم ــ لبإمام مبين ــ الصفح الجميل ــ الخلاق العليم ــ القرآن العظيم ــ النذير المبين) .

فقد يعنى الباحث أن يقف عند كل وصف من هذه الاوصاف ليسأل : لم أوثر هذا الوصف دون غيره .. ؟ وسيجد ــ ولا شك ــ أجوبة مقنعة واضحة .

وكل من هذين النوعين يسمى فاصلة ، لأنها من التفصيل ، وبها يتم المعنى ، وان كان المعنى الاولى قد تم قبلها ، وسميت فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، وهى مأخوذة من قوله تعالى : **« كتاب فصلت آياته »** (فصلت آية ٢) . وقوله سبحانه : **« ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى »** (فصلت آية ٤٤) ، وقوله عز وجل : **« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »** (هود آية ١) .

وقبل أن آخذ فى بيان أسرار

بعض الفواصل القرآنية ، والتى ستكون فى هذا البحث من نوع خاص ، هو تلك الفواصل المتقاربة التى تتجاور فى آيات متتالية ، والتى يكون اقترانها مدعاة للتساؤل المتعطش الى المعرفة ليصل الى الجواب الذى يروى الغلة ويثلج الصدر ، كما هو الشأن فى آيات الأنعام التى ذكرت فى أول هذا الفصل .

أقول : قبل الأخذ فى بيان الأسرار البلاغية لمثل هذه الفواصل أحب أن أنبه الى أمور تبينتها بعد تأمل دام طويلا .

الأول : نبه العلماء الى أن سور القرآن الكريم تختم بمثل المعنى الذى تفتح به ، وقد كان ذلك واضحا فى كثير من السور ، وخفيا فى بعضها ، ومع خفائه حاولوا أن يلتمسوا صلة ما بين أول السورة وآخرها .

فمن أمثلة ذلك سورة (البقرة) فى أولها حديث عن القرآن وعن المتقين : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » ، وفى آخرها : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » .

وسورة النساء . جاء فى مفتتحها قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » وفى منتهاها : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » الى آخر الآية . « والله بكل شىء عليم » .

وفى أول سورة (يوسف) : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) ففى الآية قص القصص على الرسول ، بوحى القرآن اليه ، وفى آخرها نفس الأمرين : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » فعند بعض المفسرين ان المراد بقوله تعالى : « ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء » القرآن الكريم ، وأول سورة ابراهيم : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ، وفى آخرها : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب » . وفى سورة الواقعة ذكر لأصناف ثلاثة أصحاب الميمنة ، والسابقون ، وأصحاب المشئمة ، وفى آخرها ذكر للمقربين وأصحاب اليمين ، والمكذبين الضالين . وهذا كثير لمن تأمل . حتى السور التى ابتدئت بالقسم تكرر فى أولها وآخرها المقسم عليه ، فمثلا فى سورة القيامة : « لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة . أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على ان نسوى بنانه . بل يريد الانسان ليفجر أمامه . يسأل أيان يوم القيامه » فالمقسم عليه البعث ، وفيه ما يشير الى غفلة الانسان ، وقد أعيدت هذه المعانى على جهة التوكيد لما سبق : « أيحسب الانسان أن يترك سدى . الم يك نطفة

ما يريد » وآخرها: «لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير » . والذى هو على كل شىء قدير هو الذى يحكم ما يريد .

والفاصلة الأولى فى سورة (نوح) « عذاب اليم » والأخيرة : « ولا تزد الظالمين الا تبارا » والمناسبة واضحة بين الفاصلتين ، وفى أول سورة مريم « نداء خفيا » وفى آخرها : « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » .

وسورة « الانفال » بدئت بقوله تعالى : (يسألونك) وختمت بقوله سبحانه : (ان الله بكل شىء عليم) والصلة أقوى ما تكون بين السؤال والعلم .

وفى سورة (الدهر) ملاحظة أدق ذلك ان أولها : « هل اتى على الانسان حين من الدهر » فقد (اتفق المفسرون — كما يقول الرازى — على ان (هل) ههنا وفى قوله تعالى : « هل اتاك حديث الغاشية » (بمعنى قد) ولكن بعض المفسرين قدر قبلها الهمزة اى : « أهل اتى على الانسان » وجعل الاستفهام للتقرير ، فالكلام خبر على كل حال ، وقد جاء فى صورة الاستفهام ، فاذا كانت الفاصلة قبل الأخيرة فى السورة « ان الله كان عليما حكيما » جاز لنا أن نلتمس ربطا ما بين أول السورة وآخرها ، وجاز لنا أن نفرق بين ما جاء سؤالا صريحا — كما هو الحال فى سورة الانفال — وما جاء على صورة السؤال — كما هو الحال فى هذه السورة — ربما جاز لنا ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمقاصد كلامه .

وهكذا يمكن أن نتتبع القرآن سورة سورة لنتبين الصلة بين اول السورة وآخرها فيما يتعلق بالفاصلة الأخيرة .

وقد جهدت فى البحث عن احد من علمائنا السابقين يكون قد نبه على شىء من ذلك ، فلم أظفر بطلبتى هذه غير انى وجدت فخر الدين الرازى يشير الى ذلك فى ختام تفسيره لسورة النساء ، قال : « واعلم أن فى هذه السورة لطيفة عجيبة ، وهى أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى ، فانه قال : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » وهذا دال على سعة القدرة ، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم ، وهو قوله : « والله بكل شىء عليم » وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والالهية والجلالة والعزة وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر والنواهى منقادا لكل التكاليف » .

وقد يقول قائل : ما جدوى ان نتنبه وننبه الى الصلة بين الفاصلة الأخيرة وأول السورة ؟ ونجيبه بأننا نؤمن ايمانا جازما بأن كل كلمة فى القرآن جاءت لحكمة عالية ، وبأن كل ظاهرة فى القرآن كذلك ، فاذا جاء شىء ما مرة واحدة فربما لا يلفت النظر ، لكن اذا تكرر وجب أن يكون موضع نظر وتدبر ، وقد نقول إن هذه الظاهرة التى نحن بصددها تشير الى أن السورة كلها فى ارتباطها وتناسقها وتكاملها — مهما تعددت اغراضها — كآية واحدة ، وقد نتوقف ونقول اننا

من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

ومن النوع الثانى ، وان كان الخفاء ليس عميقا ما حاوله القاضى عبد الجبار من عقد اتفاق بين أول سورة ابراهيم وآخرها ، وقد ذكرنا هذه السورة فى النوع الأول على ان الاتفاق بين (كتاب انزلناه اليك) و (هذا بلاغ للناس) فان كلا من النصين يتحدث عن القرآن ، ولكن القاضى حاول أن يوفق بين : « لتخرج الناس من الظلمات الى النور » وبين « وليذكر أولو الألباب » قال القاضى ــ وقد نقل قوله الفخر الرازى فى تفسيره .. (أول هذه السورة وآخرها يدل على أن العبد مستقل بفعله ، ان شاء أطاع ، وان شاء عصى . أما أول هذه السورة فهو قوله تعالى : « لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ، فانا قد ذكرنا هناك ان هذا يدل على ان المقصود من انزال الكتاب ارشاد الخلق كلهم الى الدين والتقوى ، ومنعهم عن الكفر والمعصية واما آخر السورة فلأن قوله : « وليذكر أولو الألباب » يدل على انه تعالى انما أنزل هذه السورة وانما ذكر هذه النصائح والمواعظ لأجل ان ينتفع الخلق بها فيصيروا مؤمنين مطيعين ، ويتركوا الكفر والمعصية ، فظهر ان أول هذه السورة وآخرها متطابقان فى افادة هذا المعنى » .

والقاضى انما حاول هذه المحاولة لينصر مذهبه الاعتزالى ، وكأنه أحس بأن الآيتين تصلحان حجة لأهل السنة على مذهبهم فجعلهما حجة لمذهبه .

أقول : نبه العلماء الى هذه الظاهرة من ظواهر القرآن الكريم فحثنى هذا التنبيه ــ وأنا أدرس الفواصل ــ الى البحث والتأمل : هل هناك صلة بين فواصل أواخر السور وبين أوائلها ؟ وقد أهتديت فى ذلك الى أشياء ربما تكون ممهدة لبحث واسع شامل يكشف لنا الى أى مدى ، وعلى أى وضع يكون هذا الاتفاق .

لاحظت ان الفاصلة فى آخر السورة قد تتفق مع الفاصلة الأولى فى السورة ، وقد تتفق مع بدء السورة اتفاقا ما .

مثلا : الفاصلة الأولى فى سورة (الجاثية) : « العزيز الحكيم » والأخيرة : « وهو العزيز الحكيم » وفى سورة (الحشر) الفاصلتان الأولى والأخيرة : « وهو العزيز الحكيم » .

وفى أول سورة (الزمر) : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » وفى آخرها : (وقيل الحمد لله رب العالمين » . ورب العالمين هو الذى يكون عزيزا حكيما .

وفى أول سورة (فصلت) : « الرحمن الرحيم » وفى آخرها : « الا أنه بكل شىء محيط » وكلا الفاصلتين وصف لله تعالى ، الأولى بالرحمة الشاملة ، والاخرى بالاحاطة الكاملة .

وأول سورة (المائدة) : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم

نثبت الظاهرة التى وضحت لنا ، وننبه اليها فلعله يجىء من يكشف عن سر رائع بديع لها ، ولا بد من ذلك ما دمنا على يقين من أن هذا الصنع هو تقدير العليم الخبير ، وكلام الحكيم البصير .

الأمر الثانى : ولاحظت ان فواصل السورة الواحدة يمكن ان يربطها جميعا رباط واحد ، وهى دائما تتلاءم مع اهداف السورة ، وأحيانا ترتبط سائر الفواصل بالفاصلة الأولى فى السورة ، فاذا اخذنا ــ مثلا ــ الفاصلة الأولى فى سورة الانعام « يعدلون » من قوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » وجدنا أن بقية فواصل السورة تتفق معها اتفاقا ما فنجد ــ مثلا ــ هذه الفواصل : (ثم انتم تمترون ــ الا كانوا عنها معرضين ــ ما كانوا به يستهزئون ــ وللبسنا عليهم ما يلبسون ــ ما كنا مشركين ــ وما نحن بمبعوثين ــ فلا تكونن من الجاهلين ــ ثم هم يصدفون ــ بما كانوا يفسقون ــ والله أعلم بالظالمين ــ فأنى تؤفكون ــ ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ــ ولكن أكثرهم يجهلون ــ فذرهم وما يفترون ــ فلا تكونن من الممترين ــ سيجزون بما كانوا يقترفون ــ وان أطعتموهم إنكم لمشركون ــ بما كانوا يمكرون ــ ساء ما يحكمون ــ ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ــ وهم بربهم يعدلون) وبدهى أننا لم نستقص فواصل هذه السورة ، ولكن ذكرنا نماذج منها ، ويتبين جليا أن كل هذه الفواصل تشبه الفاصلة الأولى من ناحية المعنى بل من ناحية تركيبها اللفظى ايضا ، فهى كلها كلمات جزلة ، قوية الجرس ، شديدة الوقع ، فاذا تأملنا الفاصلة الأخيرة من هذه السورة وجدناها مناسبة كل المناسبة لكل فواصلها سواء منها ما اتفق مع الفاصلة الاولى أو ما جاء مضادا لها : « ان ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم » .

وقد نبهنى تقارب الفواصل هذا الى أن بعض المعانى يكثر فى بعض السور سواء كانت فى الفاصلة أو فى غيرها ، فمثلا يكثر معنى (العلم) فى سورة التوبة ، فقد تكرر فيها كثيرا فى الفواصل وفى غيرها .

ولعل مرجع ذلك الى انها كشفت عن أحوال المنافقين ، وكذلك نلحظ هذه المادة ، مادة (العلم) تكرر فى سورة يوسف ، وذلك ، فيما يبدو ــ لأن السورة جاءت بقصة ما كان يعلمها النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى مفتتح السورة تسجيل لذلك : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » . وفى السورة ذكر لاربع رؤى اعطى يوسف عليه السلام علم تعبيرها ، وفى أواخر السورة ما يشير الى ذلك على لسان يوسف عليه السلام : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » ثم يكون الخطاب للرسول : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون » .

الأمر الثالث : لاحظت أن ارتباط الفاصلة بالآية التى تليها ارتباط قوى

جدا ، بل أقول إنه ارتباط نفسى لــه سر عجيب ، علمه عند الله تعالى ، فالحافظ للقرآن الكريم ــ وقد جربت ذلك بنفسى كثيرا ــ اذا نسى وغيــر الفاصلة لم يتذكر الآية التى بعدها ، الا اذا كان له بها عهد خاص ، فـــاذا اهتدى الى الفاصلة التى نسيها مر سريعا فى التلاوة ، وكثيرا ما يكــون تغيير الفاصلة مدعاة الى أن يتــلو آية أخرى من هذه السورة أو مـــن غيرها يكون أولها تلوا لهذه الفاصلة المغيرة ، بل لاحظت أن الحافظ اذا كان له عهد خاص بآية من الآيـــات ، ووصل اليها فى تلاوتـــــه وقد نسى الفاصلة التى قبلها يجد فى نفسه شيئا من عدم الانسجام يدعوه الى أن يراجع المصحف ليعرف ما الفاصلـــة التـــى تسبق هذه الآية .

ولتوضيح ذلك ندعو من يرتاب فى هذا ان يستعيد ما يحفظه من بعـــض القصائد فسيجد أن تغيير قافية بيت لا ينسيه البيت الذى بعده . بل ربما يمر فى القصيدة الى آخرها يلقيهـــا من حفظها ، وقد غير أكثر من قافية فيها ، ولا يتنبه لذلك ، وليس كذلـــك حافظ القـــرآن الكريم ، فانه ــ كما قلت ــ يتوقف ، عند تغيير الفاصلة ، فاذا مر شعر بشىء غير عادى فـــى قراءته ، ولعل هذا بعض السر فـــى تيسير القرآن للذكر .

الأمر الرابع : البحث عن أسرار الفواصل ذو أهمية بالغة فى بيـــان بلاغة القرآن ، فهى محك القدرة ، كما أن القافية ــ ولله المثل الأعلى ــ محك قدرة الشاعر ، فأحيانا نجـــد بعض الشعراء يضطرون الى القافية اضطرارا ليجيئوا بها مكملـــة للبيت ، ولو ذهبنا نبحث عن معنى لها أحيانا ذلك ، وليس فى فواصل القـــرآن الكريم فاصلة واحدة جاءت لاكمـــال الآية اكمالا ما ، بل لكل فاصلة سرها البلاغى ، عرفنا ذلك أو جهلناه ، وقد سبق القول فى بعض هذه الفصول ان البليغ لو رفع كلمة من القرآن وأدار لسان العرب على أن يأتى بأخرى تسد مسدها لأعياه ذلك .

وقد أردت وأنا أكتب هذا البحث أن أقف على مذاهب العلماء قديمهـــا وحديثها فى النظر الى الفواصـــــل . فوجدت أن البحث عن السر البلاغى للفاصلة قديم .

فالزجاج المتوفى سنة ٣١٠ هـ يقول فى ختام قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » من ســـورة النساء ، وقد ختمت الآيـــة بقولـــه سبحانه : « ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » يقول الزجاج : وانما ذكر الاختيال هنا لأن المختال يأنف من أقاربه اذا كانوا فقراء ، ومن جيرانه اذا كانوا ضعفـــاء ، فـــلا يحسن عشرتهم .

ويكمل الرازى كلام الزجاج فيقول : وانما خص الله تعالى هذين الوصفين بالذم فى هذا الموضع ، لأن المختـــال هو المتكبر ، وكل من كان متكبرا فانه قلما يقوم برعاية الحقوق ، ثم أضاف اليه ذم الفخور لئلا يقدم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة ، بل لمحض أمر الله تعالى .

وقد أشار الزمخشرى الـــى شىء من ذلك . ولكن هذا المفسر الذى بنى

تفسيره على المعانى والبيان لم يبسط القول فى أسرار الفواصل . نعم نبه ولكن فى ايجاز يكاد يكون شديدا فى بعض الآى ، مع أنه لم يستقص ، حتى فى الفواصل المشكلة يمر سريعا دون ان يتوقف عندها ، فاذا وقف اشار اشارة لا تشفى الغلة .

اما أول من أطال فى ذلك ــ فيما اعلم ــ فهو فخر الدين الرازى ، وهو يشير الى أنه صاحب هذا الفن ، أو من المعنيين به ، فهو يحاول كثيرا ان يبين سر الفاصلة ، ونراه يقول بعد ان يطيل البيان عن الفواصل للآيات الاولى من سورة (الرعد) : (فهذه اللطائف نفيسة من أسرار علم القرآن ونسأل الله العظيم ان يجعل الوقوف عليها سببا للرحمة والغفران) .

وهناك آراء ينبغى ألا نلتفت اليها ، بل يجب أن ندين أصحابها ، من ذلك ما قاله القاضى ابن المنير صاحب (الانصاف على الكشاف) أن هذه الفواصل تكون أحيانا (من باب التفنن) اى انها لم تجىء لسر بلاغى وانما جاءت لمجرد التغيير ، والتفنن ، ومن ذلك ما حكاه صاحب البرهان عن بعضهم أنه قال : (ان اختلاف الفواصل قد يكون لاجتناب التكرار) .

فهذان الرأيان خطيران لأنهما يسلبان عن بعض الفواصل الأسرار البلاغية، ومع أن (الزركشى) صدر هذا الكلام الذى نقله بكلمة (قيل) مما يدل على انه لا يستحسنه ، مع ذلك نراه يقع فى نفس الخطأ حين يقول : (وتقع الفاصلة عند الاستراحة فى الخطاب لتحسين الكلام) ، فيظهر انه يريد بذلك التحسين اللفظى ، ولكن الرجل نقل عن الزمخشرى وهو العالم البلاغى ــ ما يؤكد أنه لا توجد فاصلة لتحسين الكلام وحده ، قال : (ذكر الزمخشرى فى كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعانى على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة فى السمع ، السلسة على اللسان الا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة ، فأما أن تهمل المعانى ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه الى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة فى فتيل أو نقير ، ومع ذلك يكون قوله تعالى « وبالآخرة هم يوقنون » وقوله: « ومما رزقناهم ينفقون » لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب فى العطف بين الجمل الفعلية إيثارا للفاصلة ، لأن ذلك أمر لفظى لا طائل تحته ، وانما عدل الى هذا القصد الاختصاصى » .

ولا شك أن العرب الذين سمعوا القرآن لأول مرة كانوا بفطرهم السليمة يدركون بلاغة الفاصلة فى موقعها ، ولم نسمع عن أحد ممن خاصموا القرآن ، أو خاصموا الاسلام أن فاصلة من الفواصل كان أولى بمكانها فاصلة أخرى ، وهذا يدلنا على أن الفطرة اللغوية السليمة أقرت كل فاصلة فى موقعها ، فالقول بأن الفواصل قد تجىء لمجرد التفنن ، أو لاجتناب التكرار ، أو لتحسين اللفظ قول لا حظ له من القبول ، وانما الحق الذى ينبغى أن يصار اليه أن لكل فاصلة سرا بلاغيا ، ولا يعكر على ذلك أن الباحث قد يجهد جهده ثم لا يصل الى هذا السر ، فقد يجىء من يهديه الله اليه .

آباء صدق

للشيخ احمد البسيونى

عن ابى عمار شداد انه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من بنى اسماعيل بنى كنانة . واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » .

[رواه مسلم فى صحيحه]

هذا الحديث الصحيح يبين لنا شرف نسبه صلى الله عليه وسلم ويعرض السلسلة الذهبية التى تتابعت حلقاتها ، متعانقة متصلة ، تحدث الدنيا عن أكرم معدن ، وأطيب منبت . يقول على كرم الله وجهه : قال صلى الله عليه وسلم : « أنا من انفسكم ، نسبا ، وحسبا ، وصهرا ، ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح ، كلها نكاح » .. وقال النسابة ابن الكلبى : تتبعت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحا ، ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية ، وهذه سنة الله فى أنبيائه، وهم صفوة الله من عباده ، أرسلهم الى خلقه ، واستخلصهم من أكرم العناصر ، حفظا لنسبهم من قدح ، ولمنصبهم من جرح ، ليكون الناس إلى اجابتهم أسرع ، والى أوامرهم أطوع .

والله تبارك وتعالى قد اصطفى ابراهيم عليه السلام ، والاصطفاء ، تناول الصفو من الشىء ، وهو الخالى من الشوائب والنقائص ، كما أن

الاختيار ، تناول خير الأشياء واعظمها قيمة .. وابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، هو شيخ الأنبياء ، ورافع لواء التوحيد فى دنيا زحف عليها ظلام الشرك ، وقد سجل له القرآن الكريم ، مكارم وفضائل . رفعت له ذكره ، وجعلت له لسان صدق فى الآخرين ، شهدت له الآيات البينات بأنه خليل الله ، وهو الحليم الأواة المنيب ، والنبى الصديق الذى وفى ، وهو المجتبى المهدى الى صراط مستقيم ، والحنيف المائل عن كل دين باطل ، منحه الله اجزل عطاء فآتاه فى الدنيا حسنة ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، وانه وهو فرد ، كان امة ، إذ كان عنده من الخير ما عند امة بأسرها ، وكان فى فترة من عمر الزمن منفردا وحده بالايمان ، والناس من حوله عبدة أوثان مشركون (إن ابراهيم كان امة ، قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ، وآتيناه فى الدنيا حسنة ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين) .

ومن ابراهيم الخليل ، جاء اسماعيل جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد اجمع النسابون على أن نسب النبى صلى الله عليه وسلم ينتهى على التحقيق إلى عدنان ، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد اسماعيل واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم .. وفى القرآن الكريم ادلة حاسمة تشير إلى أن الذبيح هو اسماعيل ، وليس اسحاق نكتفى بأن نسجل هنا بعضا منها :

١ – بشر الله تعالى ام اسحاق به وبابنه يعقوب (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) .
ومحال أن يبشرها بأن اسحاق سيكون له ولد ثم يأمر أباه ابراهيم بذبحه ؟ ! وهذا يعطى أن الذبيح اسماعيل ، لا اسحاق ..

٢ – ذكر الله تعالى قصة ابراهيم وابنه الذبيح فى سورة « الصافات » ثم ختمت الآيات بقول الحق سبحانه (كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) .

فهذه البشارة من الله ؛ شكر على صبر ابراهيم على أمر الله بذبح ابنه فمن يكون الذبيح ؟ أهو المبشر به ؟ أو المبشر له ؟ .

٣ – الولد البكر الذى يجىء وقد تطلعت نفس الأب اليه ، وتعلق قلبه بحبه ، هو الجدير بأن يمتحن به ايمان خليل الرحمن ، والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة ، والا يشاركه غيره فيها ، لذا أمر ابراهيم بذبح ابنه البكر الحبيب الى نفسه « اسماعيل » وبهذا يثبت – قطعا – أن الذبيح اسماعيل ، وليس اسحاق .. يقول ابن القيم فى كتابه [زاد المعاد] : وأما القول بأن اسحاق هو الذبيح ، فباطل بأكثر من عشرين وجها ! .. وسمعت شيخ الاسلام (ابن تيمية) – رحمه الله – يقول : « هذا القول أى ان اسحاق هو الذبيح ، إنما هو متلقى عن اهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ، فإن فيه أن الله أمر ابراهيم أن يذبح بكره – ولده البكر – وفى لفظ – وحيده – ولا يشك اهل الكتاب مع المسلمين أن اسماعيل هو بكر أولاده ، ومن العجيب أن التوراة التى بأيديهم تقول : اذبح ابنك اسحاق وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لانها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بنى اسماعيل على هذا الشرف ، واحبوا

أن يكون لهم دون العرب ولكن يأبى الله تعالى الا أن يجعل الفضل لأهله » .. وقد أثنى الله تعالى على اسماعيل جد النبى صلى الله عليه وسلم بأمهات المكارم ، ومجامع الفضل والنبل فقال سبحانه :(واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . وهو الغلام الحليم الصابر على قضاء الله .

وقد اصطفى الله تعالى من بنى اسماعيل « بنى كنانة » ، وكنانة من احفاد اسماعيل عليه السلام ومن اجداده صلى الله عليه وسلم يقول صاحب « السيرة الحلبية » : « قيل له (كنانة) لانه لم يزل فى كن من قومه ، وقيل لستره على قومه وحفظه لأسرارهم ، وكان شيخا حسنا عظيم القدر ، تحج اليه العرب لعلمه وفضله ، وكان سخيا كريما ، يأنف أن يأكل وحده ، ويروى عنه ابن دحية ، أنه كان اذا لم يجد احدا اكل لقمة ، ورحى لقمة الى صخرة ينصبها بين يديه ، أنفة أن يأكل وحده .. وقد تفرعت من كنانة قبائل كثيرة ، ومن اولاده « النضر بن كنانة » الذى يعتبر ابا لقريش ، فلا يقال لأحد من أولاد من فوقه « قرشى » ولقب بذلك لنضارته وجماله ، واسمه « قيس » وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم: من قريش ؟ فقال : « من ولد النضر » .

والله عز وجل اصطفى من بنى كنانة قريشا ، وانما سموا بذلك لتجمعهم الى الحرم ، فأصل القرش الجمع ، وتقرشوا اذا تجمعوا او لأنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها ، أو سميت بمصغر القرش لأنهم قد مهروا فى التجارة ، وكانوا أهل بيع وشراء ، فالقرش — بفتح القاف — الكسب والجمع وبابه « ضرب » .

واصطفى الله من قريش بنى هاشم وهاشم اسمه عمرو وهو جد ابيه صلى الله عليه وسلم وانما سمى بذلك لأنه أول من هشم الثريد وقدمه مع اللحم لقومه فى سنى الحدب ، وهو الذى نظم رحلة الشتاء والصيف التى سجلها الله تعالى فى القرآن الكريم فى سورة تحمل اسم هذه القبيلة العظيمة « قريش » .

عمرو الذى هشم الثريد لقومه
قوم بمكة سنتين عجاف
نسبت اليه الرحلتان كلاهما
سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وقد ولى هاشم بعد ابيه عبد مناف ما كان له من السقاية والرفادة ، ولم يزل هاشم قائما بأمر البيت حتى توفى ، فقام بالأمر بعده ابنه عبد المطلب ، وكنيته ابو الحارث ، وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما قال لأخيه المطلب بن عبد مناف وهو بمكة حين حضرته الوفاة : ادرك عبدك بيثرب ، وقد كان فيها وقت ذلك ، او أن عمه لما أخذه ودخل به مكة ، ورآه الناس مردفه ، وعليه ثوب غير جديد ، قالوا : هذا عبد المطلب ، أو أن العرب كانوا يطلقون على اليتيم الذى يربى فى حجر انسان ، عبد فلان وقد عمر عبد المطلب طويلا حتى قيل انه بلغ مائة واربعين عاما ، وهو الذى جدد حفر زمزم بعد أن كانت مطمورة من عهد جرهم ، وقد عثر تحت التراب على غزالتين من الذهب ، وأسياف لمضاض الجرهمى ، فضرب الأسياف بابا للكعبة ، وجعل فى الباب غزالتى الذهب حلية للبيت الحرام .

وكان لعبد المطلب من الولد لصلبه عشرة من الذكور ، وست من الاناث، وكان عبد الله أصغر اولاده واجمل شباب قريش ، وامثل فتيانها ، وهو

الذبيح الثانى الذى افتدى بمائة من الابل ، ويكفى انه ابو الرسول الأعظم خير خلق الله ، سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

ويؤخذ من مجموع الأحاديث التى تدمناها ان نسبه صلى الله عليه وسلم خير نسب اهل الارض ، وانه فى اعلى ذروة من الشرف ، والسؤدد ، والعفة ، والطهارة ، فأشرف القوم قومه ، وأسمى القبائل قبيلته ، وأزكى الآباء والأمهات نسبه ، والى شرف هذا النسب يشير صاحب الهمزية فى قوله :

وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء

نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء

حبذا عقد سؤدد وفخار
انت فيه اليتيمة العصماء

وكان لآل محمد صلى الله عليه وسلم الرياسة ومراكز الشرف فى قومهم ، وما انكر الناس عليهم ذلك قط ، وقد حدث قبيل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم أن جاء ابرهة الاشرم الحبشى بجيشه وأفياله يريد هدم الكعبة ، فلما بلغ ابواب مكة سأل : من رئيس القوم وصاحب أمرهم ؟ فقالوا جميعا هو « عبد المطلب بن هاشم — جد الرسول — فطلب لقاءه وكان بينهما الحوار الذى سجله التاريخ ، وقبل مبعث الرسول بنحو خمسة عشر عاما حدث أن ذهب عمه ابو طالب فى وفد من اهله يخطب إليه السيدة خديجة بنت خويلد ، فقال فى مجلس الخطبة الجامع : « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وأصل معد ، وعنصر مضرر ، وجعلنا حضنة البيت وشوكة حرمه ، وجعلنا الحكام على الناس .

الى آخر ما قال ، ولم نورد شهادة أبى طالب على أنها ظاهرة من ظواهر المفاخرة بالأصول والأنساب ، فى عصر كانت تسوده تلك النزعة ، ولكن اردنا بها الدليل على ان شرف النسب المحمدى ، كان أمرا مجمعا عليه ، تلقاه كل من سمع حديثه ، بالرضى والتصديق .

ولما جاوز عبد المطلب السبعين أو ناهزها ، وكان ابنه عبد الله فى الرابعة والعشرين من عمره ، زوجه آمنة بنت وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة ، سيد بنى زهرة اذ ذاك سنا وشرفا ، وفى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله بآمنة تزوج عبد المطلب من ابنة عمها هالة ، فأولدها حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم وضريبه فى سنه ، ولا خلاف فى أنه صلى الله عليه وسلم قد ولد بجوف مكة يوم الاثنين عام الفيل (٥٧١ ميلادية)

وقد اخرج مسلم فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزلت على فيه النبوة » .

والجمهور على انه ولد فى شهر ربيع الأول ، حتى لقد حكى بعضهم الاتفاق على هذا .. والخلاف انما هو فى تعيين ليلة الميلاد من هذا الشهر ، والذى رجحه ابن اسحاق انه ولد لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فقد روى ابن هشام فى سيرته قال : حدثنا زياد بن عبد الملك البكائى، عن محمد بن اسحاق المطلبى ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل ، ورواه ابن شيبة عن جابر وابن عباس . وحكوا شهرته عند الجمهور . وقد حقق صاحب كتاب « تقويم العرب قبل الاسلام » بالحساب الفلكى الدقيق أنه صلى الله عليه وسلم قد ولد فى يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الاول الموافق[٢٠ ابريل سنة (٥٧١)] ميلادية ، ولما وضعته امه آمنة بعثت الى جده عبد المطلب عند الكعبة تخبره انه ولد له غلام ، وسر به الشيخ حين بلغه الخبر ، وأسرع الى زوج ابنه وأخذ طفلها بين يديه ، وسار حتى دخل به الكعبة ، وسماه « محمدا »

وفى كتاب « عيون الاثر » ان عبد المطلب سماه « محمدا » لرؤيا رآها فى نومه فقد رأى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرف فى السماء وطرف فى الارض . وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة ، على كل ورقة منها نور ، واذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها . . فقال له اهل التعبير : إنه سيكون له مولود من صلبه ، يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والأرض ، فسماه عبد المطلب لذلك « محمدا » وقيل ان ام الرسول صلى الله عليه وسلم لما حملت به ، جاءها فى النوم من قال لها : سميه محمدا ! وهذا الاسم الجليل الكريم مشتق من مادة «الحمد» والحمد فى لغة العرب هو الثناء الكامل ، والمحمد هو الذى كثرت خصاله المحمودة ، ولذلك يقول الأعشى :

إليك أبيت اللعن كان كلالها
الى الماجد القرم الجواد المحمد

وبذلك سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وفى سابع يوم لمولده ، أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ، ودعا رجالا من قريش فحضروا وطعموا ، فلما علموا منه انه أسمى الطفل « محمدا » قالوا له : لم رغبت عن أسماء قومه وآبائه ؟ قال : أردت أن يكون محمودا فى السماء وفى الأرض . ولقد كان مولده خيرا وبركة ، أشرقت الارض بنوره ، وتعطرت أرجاء الدنيا بأنفاسه ومشت الانسانية على طريق هداه فعزت وسادت ، فأكرم بيوم مولده من يوم طلع على الدنيا كما يطلع الفجر الصادق فى اعقاب ليل حالك الظلمات .

يوم يتيه على الزمان صباحه
ومساؤه بمحمد وضاء

وكان مبعثه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ نقطة انطلاق للدعوة الخالدة ، زحفت معها كتائب الحق ، لتأخذ مواقعها فى ساحة الجهاد الطويل المرير ، اعلاء لكلمة الله ، وتمكينا لمبادىء العدل والحرية والمساواة . وان فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانسانية لعظيم ، فهو الذى سما بقدرها ، ومنحها حقها ، وطرق بابها كما يطرق الغنى باب قوم أضناهم الجوع ، ووفد عليها كما تفد العافية على جسم مزقته العلة ، ولا غنى للانسانية عن

هدى النبى العربى ، فهو لها كالنور للعين ، والهواء للرئتين ، والماء للزرع والروح للجسم . لقد وقف صلى الله عليه وسلم من الحياة موقف الكريم المتفضل ، اعطاها كل شيء ، ولم يأخذ منها شيئا ، لم يضع لبنة على لبنة ، ولكنه وهو الذى تجبى اليه خيرات الدنيا من أطراف الارض . كان يأوى الى حجرة متواضعة ، يسكنها راضيا قانعا ، ومن الثاوى فى تلك الحجرة ؟ انه خير خلق الله . الذى شيد للدنيا اعظم صروح الأمان والأمانة والسلام !!

لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم مجرد مولود وفد على الدنيا فى غمار الآلاف التى تقذف بهم أرحام أمهاتهم على هذه الارض كل صباح ومساء ! ولكنه كان قوة ، جاءت لتعيد تشكيل الحياة ، وتغير مجرى التاريخ ، وكان قدوة برزت الى الوجود لتعطيه المثل الأعلى فى كل شيء ، ولتصل الروح الانسانى بأصله العلوى ، ولتضع المعالم المضيئة ، على طريق البشرية ، حتى لا تزل او تضل ! ومن حق هذا النبى العظيم على امته ، أن تعرف له قدره ، وأن تجعل لنفسه فيه أسوة حسنة ، ان كانت ترجو الله واليوم الآخر ، وتريد أن تصل نفسها بالله شاكرة لانعمه ، ذاكرة له كثيرا (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا) .

لا نريد ان تكون حفاوة المسلمين بذكرى ميلاد رسولهم ، مجرد كلمات تكتب ثم تترك ، او مجرد خطب تلهب حماس الجماهير ، ولكن لا تحرك قلوبهم ! ومن الذى قال ان ذكرى هذا النبى المظيم ، ترتبط بيوم معين فى كل عام ، ثم تنقضى بانقضائه ؟!! انها ذكرى خالدة تالدة ، تتجدد مع كل حياة صالحة ، ومع كل خلق مستقيم ، وتضىء فى دنيا المسلمين ، ما استمسكوا بالذى أوحى الى نبيهم ، واعتصموا بسنته .

ومن الخير للمسلمين ان يدركوا انه لا يصلح آخر هذه الأمة ، الا بما صلح به اولها ، وسبيل ذلك ان تجعل الرسول الكريم يعيش فى ضميرها ، ويحيا فى وجدانها ، وأن يكون هواها تبعا لما جاء به . . ولن تستقيم حياة المسلمين على هذه الارض ، إلا حين تجعل زمامها فى يد قائدها وزعيمها محمد رسول الله ، يقود مسيرتها ، ويوجهها الوجهة الراشدة ، فى جميع مجالات حياتها ، يدخل مع كل مسلم بيته ، ويشاركه عمله وعلمه وحكمه ، داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . .

ومن هذا المنطلق تستطيع امتنا ان تنهض من كبوتها ، وتمضى الى غايتها لتتلاقى مع وعد الله الكريم : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

شهادة المرأة في القرآن الكريم

للأستاذ : محمد عزة دروزة

فى القرآن آيات عديدة ذكر فيها الشهادة والشهود ، بسبيل اثبات حادث ما رفع أو يمكن رفعه الى الحاكم وبسبيل اثبات حق صاحب الحق فيه .

والآية الوحيدة التى ذكرت فيها المرأة بصراحة هى آية الدين هذه فى سورة البقرة : « **يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون**

تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وأن تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم » الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

والمتمعن فى الآية يكشف عن أن الامر فيها هو بانتقاء واحضار شهود للشهادة على معاملة الدين بدليل جملة « **ممن ترضون من الشهداء »** حيث تأمر الطرفين المتعاملين أن يختارا ويحضرا شاهدين من الرجال المسلمين للشهادة فان لم يجدا رجلين فرجل وامرأتان . وبدليل جملة « **واشهدوا اذا تبايعتم »** .

وشهادة الامرأتين فى نص الآية تعدل شهادة رجل . وقد عللت الآية ذلك بما يفيد والله أعلم أن النساء عادة يكون لهن من مشاغلهن ما ينسيهن ما تشهدنه من معاملات الرجال فتكون احدى المرأتين الشاهدتين مذكرة للثانية اذا نسيت ما شهدته أو اشهدت عليه .

ومن واجب المسلم أن يلتزم بالنص القرآنى ومداه بطبيعة الحال فى موضوع شهادة التعامل بالدين .

ولكن هناك احتمالات أخرى . منها ان يموت الرجل . أو تموت احدى المرأتين . ومنها أن لا يحضر المتعاملان شهودا بالاختيار وذلك بكون امرأة وامرأتان فقط أو رجل واحد وامرأة واحدة حاضرى المعاملة صدفة دون احضار وانتقاء . فماذا يكون الموقف ؟

ان التصدى للاشهاد والشهادة هو اثبات حق صاحب حق بالبينة . وهذا حق وواجب دينى وشرعى عام . وفى آية البقرة توكيد لذلك فى جملة « **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا »** وفى جملة « **ولا يضار كاتب ولا شهيد »** ثم فى جملة فى الآية التى تأتى بعد هذه الآية : « **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه »** . ثم فى جملتين فى آية من سورة الطلاق وهى : « **واشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله »** .

وكل هذا يسوغ القول والله أعلم ان على الحاكم أن يأخذ بشهادة المتيسر من الشهود العدول ولو كانوا رجلا وامرأة . أو امرأتين أو امرأة واحدة . وسواء أكانوا ممن اختيروا واحضروا خصيصا للشهادة أو كانوا شهدوا المعاملة صدفة وتلقائيا . وان فى عدم الاخذ بذلك تضييعا للحق الذى لا يمكن أن يرضى الله عنه .

ولقد روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد . وليس فى الحديث ما يوضح هوية الشاهد . وقد تكون امرأة . وكل ما يجب على الحاكم أن يلتزم بالحديث النبوى الذى رواه أبو داود والترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « ان النبى صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمر على أخيه ورد شهادة القانع لأهل البيت وأجازها لغيرهم » . وفى رواية « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية » .

والخائن عرف عنه خيانة الأمانات والعهود . وذو الغمر هو ذو الحقد والعداوة . والقانع هو الخـــــادم التابع .

نأتى الآن الى الآيات الاخرى فى القرآن .

١ ــ ففى سورة النســــاء هذه الآية ١٥ « **واللاتى يأتين الفاحشــة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامســـكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الله أو يجعل الله لهم سبيلا** » .

وليس فى هذه الآية تخصـــيص لجنس الشهود الاربعة وكل ما فيها أنهم يجب أن يكونوا من المسلمين . وجمهور المفسرين والعلمـــاء متفقون على أن ما فيه خطـــاب للمؤمنين والمسلمين من آيات قرآنيـــة بدون تخصيص أو قرينة تخصيص : يكون شاملا للمؤمنات والمسلمات . وليس هناك فيما نعلم حديث نبوى يخصص الاربعة الواجب استشهادهم حسب نص الآية بالرجال دون النساء .

وهذا يسوغ القول والله أعلم ان الشـــــهود الاربعة يمكن ان يكونوا رجالا ويمكن أن يكونوا نساء ويمـــكن أن يكونوا مزيجا من رجال ونساء . بقطع النظر عن أن الظرف يجعـــل النساء هن الاكثر حضورا واحتمـــال حضور والاكثر امكانا للشهادة . وان مسألة تعديل شهادة الرجل بشهادة امراتين أو تعديل شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل ليست واردة . ويلفت النظر الى جملة (فاستشهدوا) فى الآية وهى مماثلة لما جاء فى آية البقرة وفى مداها : اى استحضروا أربعة شهود للشهادة على أن المشـــــهود عليها تأتى الفاحشة أو أتت الفاحشة وهذا أمر مهم فى صدد ما نحن فيه . وتكون شهادة المرأة شهادة تامة مثل شهادة الرجل(١) .

٢ ــ وفى سورة المائدة الآيات من ١٠٦ ــ ١٠٨ : « **يا أيهـــا الذين آمنوا شـــهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصـــية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان أنتـــم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصـــيبة الموت تحبسونهما من بعد الصـــلاة**

---

(١) نقول استطرادا ومن قبيل التفسير أو التاويل ان فى آية النساء الهاما آخر فى صدد مدى الشهادة حيث تلهم والله أعلم أنها شهادة علمية وخبرية وليست شـــــهادة عيانية فقط بل وتلهم والله أعلم ان المعنى الاول هو الاكثر ورودا . فكانما يأمر الله والله أعلم النبى والمسلمين وأولى الامر اذا سمعوا ان امرأة تأتى لفاحشـــــة أن يتحروا ذلك من المسلمين فاذا شهد أربعة منهم أنهم سمعوا ذلك وعلموه ثبت جرم الفاحشة على المرأة . وهذا لا يمنع احتمالا آخر للتـــــاويل وهو أن أولى الامر من المسلمين اذا سمعوا عن امرأة تأتى الفاحشة طلبوا من المسلمين أو من اربعة منهم رصدها فاذا شاهدوا ذلك عيانا وشهدوا به ثبت الجرم ..

فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذاً لمن الآثمين . فان عثر على انهما اســـتحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين اســتحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظــالمين . ذلك ادنى أن ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم واتقــوا الله واســـمعوا والله لا يهدى القــوم الفاسقين » .

وليس فى الآيات تخصيص بكون الشاهدين رجلين ولا قرينة . فيجوز أن يكونا امرأتين او رجلا وامرأة . وهذا الجواز وارد لأن الحادث يكون فى الاغلب مفاجئا وليس من ســبيل للانتقاء ولا يكون بد من الاكتفــاء بشهادة أو اشهاد الحــاضرين أو الميسور حضورهم حين الوصــية . واذا صح استنتاجا ونرجو أن يكون صحيحا فتكون مسألة تعديل شهادة المرأتين بشــهادة رجل غير واردة وتكون شهادة المرأة تامة كشــهادة الرجل ايضا .

٣ — وفى سورة النــــور ٤ ، ٥ تول الله تعالى : « **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم** » . وفيها كذلك هذه الآية : « **لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون** » .

وما قلناه فى صدد ومدى آيات سورتى النساء والمــــائدة يقال هنا بتمامه .

٤ — وفى سورة الطلاق الآية ٢ : « **فاذا بلغن اجلهن فامســـكوهن بمعــــروف أو فارقوهن بمعــروف واشهدوا ذوى عدل منكم وأقيمــوا الشهادة لله** » .

والقول السابق يقال بتمامه ايضا فى هذه الآية . والله تعالى اعلم .

النفــاق :

اظهر الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها .

الدواء :

عن ابى هريرة وعن عائشة رضى الله عنهما أن النبى صــلى الله عليه وسلم كان إذا أوى الى فراشه نفث فى كفيه بقــل هو الله احد والمعوذتين جميعا ، ثم مسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده ، فلما اشتكى كان يأمرنى أن افعل ذلك به .

من مفتريات اليهود

يستطيع أن يتبين من يقرأ فى أسفار التوراة التى بين ايدينا وايدى اليهود افتراء على الله سبحانه وتعـالى ، إذ تصفه وتصوره بمـا يجب تنزيهه عنه ، ويبرأ من نسبته إليه من يؤمنون بالله وبرسله .

كذلك يستطيع أن يجد أكاذيب شتى فى تصوير الأنبياء وفى وصفهم . ولم يكن عجبا ان سول الضلال لواضعى الأسفار تصوير أنبياء الله بمـا هم منه براء ، غير مراعين انه لا يليق بجلال النبوة ، ولا بالذين طهرهـم الله تعالى واجتباهم من خلقه لتبليغ رسالاته وهداية عباده .

فقد وصم اليهود انبياءهم بالفواحش التى يقترفونها هم ، وبالرذائل الفاشية فيهم ، من وثنيـة وزنا وسكر وسرقة وكذب وخداع ونفاق !! كأنهم يأبون أن يبرأ من موبقاتهم شخص واحد وإن كان من الأنبياء ، ولهذا حقت عليهم لعنة الله تعالى فى قوله : « **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بمـا عصوا وكانوا يعتـدون . كانوا لا يتنـاهون عـن منكـر فعـلوه لبئس مـا كانوا يفعـلون** » المائدة ٧٨ ــ ٧٩ .

وهذه لمحة الى بعض مفترياتهم على الأنبيـاء :

(١) الوثنيــــة

جاء فى سفر الخروج أن بنى إسرائيل استبطأوا عـودة موسى من الجبل ، فطلبوا من أخيـه هارون أن ينصب لهم إلهاً يعبدونه ، وقالوا له :

على الأنبياء ١

للدكتور احمد الحوفي

قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن موسى اخرجنا من مصر ، ولا نعلم ماذا أصابه .

فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب الذى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وآتونى بها . فنزعوها وأتوه بها ، فأخذها وصورها بالإزميل ، وصنع منها عجلاً مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .

فلما نظر هارون ذلك الإله بنى له مذبحا ، ونادى قائلا : غدا عيد الرب .

فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة ، وجلسوا ليأكلوا ويشربوا ، ثم قاموا ليلعبوا ــ سفر الخروج ٢٢/١ــ٦ .

أليست هذه فرية على هارون عليه السلام يدحضها القرآن الكريم ، ويبطلها العقل السليم ، فان هارون نبى معصوم شارك أخاه موسى عليه السلام فى الدعوة الى توحيد الله تعالى ، والنهى عن عبادة الأصنام وغيرها ، وقد استخلفه موسى على قومه فترة من الزمان ، فمن المستحيل أن يساعد على عبادة العجل .

والقرآن الكريم يذكر أن هارون نبى أوحى الله إليه ، قال تعالى : **« إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس**

وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا » ــ النساء ١٦٣ . وقال سبحانه وتعالى لموسى وهارون معا : « **فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين »** ــ الشعراء ١٦ .

أما العجل فان الذى صنعه السامرى لا هارون ، لأن اليهود ما لبثوا بعد اجتيازهم البحر وراء موسى أن تناسوا ما دعاهم اليه من التوحيد ، فطلبوا من موسى نفسه أن ينحت لهم تمثالا يعبدونه ، فاستنكر طلبهم وتوعدهم ، قال تعالى : « **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلهاً »** ــ الاعراف ١٣٨ ــ ١٤٠ .

لكن موسى غاب عنهم لميقات ربه ، فصنع لهم السامرى عجلا جسدا له خوار ، فعبدوه ، قال سبحانه : « **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين »** ــ الاعراف ١٤٨ .

ولقد ذكر سبحانه وتعالى أن السامرى هو الذى اضل قوم موسى فى غيبته ، فلما عاد اليهم موسى غضب وحزن ولامهم وهددهم بعقاب الله ، فاعتذروا بأن السامرى صنع لهم العجل من الذهب ، وفى الآيات نفسها تبرئة لهارون ، بأنه حاول أن يصدهم عن ضلالهم فعجز ، ولهذا لما استنكر موسى منه أنه لم يصرفهم عن عبادة العجل اعتذر له ، وبرأ نفسه ، وصرف الجريمة الى السامرى واليهم ، قال تعالى : « **وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال هم أولاء على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى . قال : فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى . فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفطال عليكم العهد ؟ أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى .؟ قالوا : ما أخلفنا موعدك بملكنا ، ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم ، فقذفناها ، فكذلك ألقى السامرى . فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فقالوا : هذا إلهكم وإله موسى . فنسى . أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا .؟ ولقد قال لهم هارون من قبل : يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .**

قال : يا هارون ما منعك إذ رايتم ضلوا . الا تتبعنى ؟ افعصيت امرى .؟

قال : يا بن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ، ولم ترقب قولى ــ طه ٨٣ ــ ٩٤ .

وتتضح براءة هارون في قوله تعالى : **« ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال : بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ؟ وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه ، قال : ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال : رب اغفر لى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين »** ـــ الاعراف ١٥٠ ـــ ١٥١ .

(٢) السرقـــــة

كذلك افترى اليهود أن موسى عليه السلام سرق بأمر من الله ، لأنه أوصاه وبنى إسرائيل أن يسرقوا ذهب المصريين وفضتهم ، وأن يفروا بما سرقوا ، ورسم لهم الوسيلة ، وهى أن تستعير كل امرأة إسرائيلية من جارتها المصرية حليا من ذهب وحليا من فضة وثيابا وتلبسها بنيها وبناتها ، ثم يمضى بنو إسرائيل من مصر وقد سلبوا أبناءها ما أمرهم الله بسلبه ـــ سفر الخروج ٣/٢١/٢٢ .

وقد فعل بنو إسرائيل ما أمرهم الله به فسلبوا المصريين ـــ سفر الخروج ١٢/٣٥ .

يا له من افتراء على الله وعلى رسوله موسى ؟

إن الله سبحانه وتعالى حرم السرقة فى جميع شرائعه ، لأنها خيانة وخسة وعدوان ، فكيف أمر بها بنى إسرائيل ؟

قال تعالى : **« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبهما نكالا من الله ، والله عزيز حكيم »** ـــ المائدة /٣٨ .

وقال تعالى : **« ان الله يامركم أن تؤدوا الآمانات الى اهلها »** ـــ النساء /٥٨ .

لكن سخائم اليهود تأبى إلا أن تتضح حتى فى التشريع الذى ينسبونه الى الله والى رسوله .

نحو اقتصاد إسلامي متحرر

للدكتور ابراهيم فؤاد احمد على

استعرضت فى مقالى السابق بعض أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة الشرعية التى هى من أهم موارد بيت المال فى الاسلام ، والتى يمكن لوزارات الخزانة أو المالية فى الدول الحديثة أن تستعين بها لتكون من مواردها المالية الرئيسية ، ولتكون بديلا عن بعض الضرائب الحديثة التى لا تتوافر فيها صفات الضرائب الجيدة والتى يكثر التهرب من أدائها ، وسأستعرض فى هذا المقال باقى أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

سادسا ـ زكاة الزروع والثمار :

هى فرض بالكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى « وآتوا حقه يوم حصاده » (سورة الأنعام ١٤١) والحق هو العشر أو نصف

العشر وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) سورة البقرة ٢٦٧ . وقال الرسول (فيما سقت السماء والأنهار والعيون العشر ، وفيما سقى بالساقية نصف العشر) والساقية هى الناضح من الابل والبقر يستقى عليه .

وسبب وجوبها هو الزرع الناتج من الأرض . فلو تمكن الزارع من الزرع ولم يزرع فلا زكاة عليه ، ولو أصاب الزرع آفة لا يلزمه شيء .

ويشترط لزكاة الزروع والثمار ، أن تكون الأرض عشرية كأرض الجزيرة العربية عند الأحناف فلا زكاة عندهم فى الزرع الناتج من الأرض الخراجية (أى الاراضى التى فتحها الاسلام كأراضى مصر) ؛ لأن وعاء الزكاة عندهم هو الأرض . ولكن الجمهور على وجوب الزكاة فى الأرض العشرية والأراضى الخراجية ، لأن وعاء الزكاة هو الزرع الخارج من الأرض ، ولأن وعاء الخراج هو الأرض أو بمعنى أصح هو حق الانتفاع بالارض ، وهما حقان مختلفان ، ويشترط أن يكون الخارج نصابا عند غير أبى حنيفة ، والنصاب خمسين كيلة بعد تصفية الحب من التراب والغلت . أما أبو حنيفة فيرى الزكاة فى كل ما يخرج من الأرض بدون اشتراط النصاب ، وذلك محافظة على حقوق الفقراء وأخذا بالآية الشريفة (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) . فهنا لم تشترط الآية توافر النصاب اما باقى الأئمة فيرون ضرورة توافر النصاب لحديث الرسول (ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر أو حب صدقة) .

والوسق هو وحدة وزن تساوى ثلاثمائة رطل تقريبا .

وقد اختلف العلماء فى الزروع والثمار الواجب فيها الزكاة ، فمنهم من رأى قصر وجوبها فى أربعة أصناف هى : القمح والشعير والتمر والزبيب ، وبعضهم توسع ورأى وجوبها فى كل ما يخرج من الأرض من زروع وثمار تزرع بقصد استغلال الأرض عادة (أبو حنيفة) ، والبعض الآخر اشترط وجوب الزكاة فى الزروع التى تبقى سنة بلا علاج كثير سواء أكانت مكيلة كالتمر والحبوب أم غير مكيلة كالقطن . وبعضهم ذهب الى قصر الزكاة على المقتات (المستخدم فى قوت الناس) والذى يدخر ويستنبته الآدميون الى غير ذلك من الآراء .

وسبب اختلاف الائمة فى تعلق الزكاة بتلك الأصناف هل هو لعينها أم لعلة فيها وهى الاقتيات ؟ فمن قال ان الزكاة تجب فيها لعينها قصر الوجوب على الأربعة أصناف ومن قال إن الزكاة تجب لعلة الاقتيات عدى الوجوب لجميع المقتات (١) . وعند قيام الدولة بجباية زكاة الزروع والثمار يمكن اختيار الرأى الذى يتناسب مع ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية .

واختلف العلماء فى وعاء الزكاة : هل هو اجمالى الايراد ام صافى الايراد بعد خصم جميع النفقات ؟ فمنهم من يقول بفرضها على إجمالى الايراد أى على اجمالى قيمة الزرع الناتج ، لأن النبى أوجب الحق على التفاوت بتفاوت المؤونة حيث أوجب الزكاة فى الذى يروى بالراحة بنسبة ١٠٪ وفى الذى يروى بالعمالة (أى بالآلات) بنسبة ٥٪ فكأنه أدخل معها باقى النفقات ، وذهب بعضهم الى وجوبها فى صافى الايراد بعد خصم ما ينفق على الأرض ثم يزكى الباقى بحسب حالة الرى .

والذى أراه صحيحا أن تفرض الزكاة على اجمالى الايراد بنسبة ١٠٪ إن كان الرى بالراحة ، وبنسبة ٥٪ إن كان الرى بالآلات لأن ذلك يتمشى مع حديث الرسول فأدخل النفقات فى نسبة الـ ٥٪ الفرق بين سعر الزكاة فى المروى بالراحة والمروى بالعمالة .

طريقة الخرص لتحديد وعاء الزكـاة :

الخرص لغة هو التقدير ، وكانت تستخدم هذه الطريقة منذ أيام الرسول لتقدير ما على النخل من الرطب تمرا ، وما على الكرم من العنب زبيبا ، وذلك اذا نضجت الثمار وقبل أن تؤكل الثمرة وتفرق وكلمة الخرص أن الفقراء يعتبرون شركاء أرباب الأموال فى الثمر فلو منع رب المال من الانتفاع به الى صلاحه لأضره ذلك ، ولو انبسطت يده فى الثمر لأخل ذلك بحق الفقراء ، ولما كانت الامانة غير متحققة عن كل واحد من أرباب الاموال ، فقد وضع الشارع هذا الضابط ليتأتى لرب المال الانتفاع به مع حفظ حق المساكين فيه ، هذا وقد أوصى الرسول الكريم بترك بعض الثمر للزراع رأفة بهم عند الخرص وقد ذهب بعض العلماء الى إمكان خرص باقى المحاصيل الزراعية كالثمار .

ويمكن الآن استخدام طريقة الخرص أو التقدير عند جباية زكاة الزروع والثمار بمعرفة الدولة ، فيقدر المحصول الناتج عن كل مزارع عند نضجه وقبل حصاده وتقوم شون بنك التسليف الزراعى باستلام حصيلة الزكاة .

سابعا ــ زكاة النعم :

النعم (بفتح النون المشددة وفتح العين) هى الابل والبقر والغنم . وتجب الزكاة فيها اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول وكانت سائمة وهى التى تكتفى بالرعى فى كلأ مباح فى اكثر السنة عند الاحناف وأحمد ، ولا عبرة بعلفها أقل الزمن لانه لا يمكن الاحتراز عنه .

والماشية المعلوفة والعاملة لا زكاة فيها ، ولكن الامام مالك اوجب الزكاة فى العاملة والمعلوفة متى بلغت نصابا للاطلاق فى عدة احاديث منها (ليس فيما دون خمس ذود صدقة (الذود هى الابل) والراجح مذهب الجمهور لحديث ابن عباس (ليس فى البقر العوامل صدقة) والحديث الشريف (وفى سائمة الغنم اذا كانت أربعين ففيها شاة الى عشرين ومائة) .

ونصاب الابل أو له خمس وفيها الى تسع ، شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز (الجذع من الضأن ماله ستة اشهر ، والثنى من المعز ما استكمل سنة) .

ومن ١٠ ابل الى ١٤ يجب فيها شاتان ، ومن ١٥ ــ ١٩ يجب فيها ٣ شياه ، ومن ٢٠ ــ ٢٤ يجب فيها ٤ شياه ومن ٢٥ فأكثر يجب فيها الابل بأعداد وأوصاف مختلفة لا محل للدخول فى تفصيلاتها .

نصاب البقر : (ويشمل الجاموس أيضا) وأوله ثلاثين وفيها تبيع ذكر (وهو ما استكمل ستة اشهر وقدر على اتباع أمه (فإن بلغت ٤٠ بقرة ففيها مسنة أنثى (وهى ما استكملت سنة من عمرها) واختلف العلماء فيما زاد على الأربعين من البقر ونصاب الغنم :

وهى الضأن والمعز) وأوله اربعون وفيها الى مائة وعشرين شـــاة واحدة ، ومن ٢٠١ ــ ٣٩٩ شاة فيها ٣ شياه واذا بلغت ٤٠٠ ففيها ٤ شياه ، وفى كل مائة استكملتها بعد الـــ ٤٠٠ شاة .

وهذا ويعفى من الزكاة : الخيل والبغال والحمير لأنها عاملة ، أما إن اتخذت للاتجار فيها ، ففيها زكاة التجارة . وذهب أبو حنيفة الى أن الزكاة تجب فى الخيل متى كانت سائمة متخذة للنسل عن كل فرس دينار أو ربع عشر قيمة الخيل إن بلغت قيمتها نصابا (أى نصـــــاب الذهب) .

وقد أوحت حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعـــــة الـــدول العربية بأنه قياسا على ما ارتآة ابو حنيفة من وجوب الزكاة فى الخيل متى اتخذت للنماء والاستيلاد أو بوجوب اخذ الزكاة فى كل الحيوانات التى تتخذ للنماء والاستيلاد ومنها الخيل اذا بلغت قيمتها نصـــاب الزكاة وبنسبة ٢٫٥٪ من قيمتها وهذا الرأى يمكن تطبيقـــه فى بلد مثل جمهورية مصر العربية ، لأن شروط افتراض الزكاة فى الغنم تسرى فى الاراضى التى بها مراع واسعة ، ولا يتحقق ذلك عندنا لعدم وجود المراعى بكثرة ولعدم وجود الاعداد الكبيرة من الماشية عند الافراد والتى تصل أول النصاب فيها .

ثامنا ــ الاموال المستحدثة :

ناقشت حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعـــة الـــدول العربية سنة ١٩٥٢ بدمشق موضوع الاموال التى استحدثت ولم تكن معروفة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وفى أيام الاستنباط الفقهى ، وافترضت وجوب الزكاة فيها بدعوى أن النصوص الواردة فى الزكاة من حيث أموالها معللة وليست تعبدية . والعلة فى فرض الزكاة فى الأموال المذكورة هو نماؤها بالفعل أو بالقوة فالزكاة تثبت فى الزروع والثمار لأنها نماء الارض فالأرض اذن مال نام يغل بالفعل والاستغلال ، والنقود لا تثمر بذاتها ولكنها تنمو باستخدامهـــا فى التجارة والصناعة فهى لا تشبع الحاجات بنفسها لكنها تشبعها بمـــا تتخذ وسيلة فى جلبه ، ولهذا عدت مالا ناميا بالقوة وقـــد أعفى الصحابة والتابعون والفقهاء الأموال التى تعد من الحاجات الاصلية

كأدوات الصناعة الأولية مثل آلة النجار الذى يعمل بيده ، وآلة الحداد ، والدور المخصصة للسكنى ، لأن هذه الاموال لا تعد نامية بذاتها ولا بالقوة .

ولكن قد استحدثت أموال ، فى العصور الحديثة لم يفرض فيها الفقهاء الأقدمون الزكاة ، كما أنه لم يرد عن النبى نصوص تمنع فرض الزكاة فيها كأدوات الصناعة فقد كانت فى الماضى تعد من الحاجات الاصلية ولم تكن مالا ناميا بل كان النماء لمهارة الصانع وليس فيها . ولكن الآن أصبحت الآلات الصناعية رؤوس أموال تستثمر فيها الاموال بكميات ضخمة وبذلك تكون مالا ناميا وكذلك الدور لم تكن فى الماضى الا مساكن لاصحابها ، والآن صارت مستغلا ورأس مال يأتى بالايرادات الكبيرة .

وقد قامت الحلقة بدراسة تلك الاموال المستحدثة ، وهناك بحوث أخرى قام بها علماؤنا المعاصرون وانتهت تلك الدراسات والبحوث الى وجوب الزكاة فى الأموال المستحدثة وهى :

١ الآلات الصناعية .
٢ الأوراق المالية كالاسهم والسندات .
٣ كسب العمل والمهن الحرة .
٤ الدور والأماكن المستغلة .

وليس هنا محل تفصيل توصيات الحلقة فى هذا الشأن ، بل يكفى الاشارة الى أن الزكاة تشمل أنواعا عديدة من الأموال النامية ، وبذلك تتسع قاعدتهاوتكون مصدر ايراد وفير يمكن الدولة من القيام بانفاقها فى مصارفها المخصصة لها .

واذا كنا قد ذكرنا أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة ، فانه من اللازم الاشارة الى من تجب الزكاة فى ماله ؟ وبمعنى أوضح تجب الزكاة فى أموال غير المكلفين بالعبادات مثل الصبيان والمجانين ، أم أنها لا تجب الا على المكلفين ؟ وقد ذهب اكثر التابعين الى وجوب الزكاة بأنواعها فى أموال غير المكلفين ، حتى أن بعض الحنابلة ذهب الى وجوبها فى مال الجنين اذا ولد حيا ، وتجب الزكاة فى هذه الحالة ليس من وقت ولادته ولكن حين وقت التأكد أنه كان فى بطن أمه .

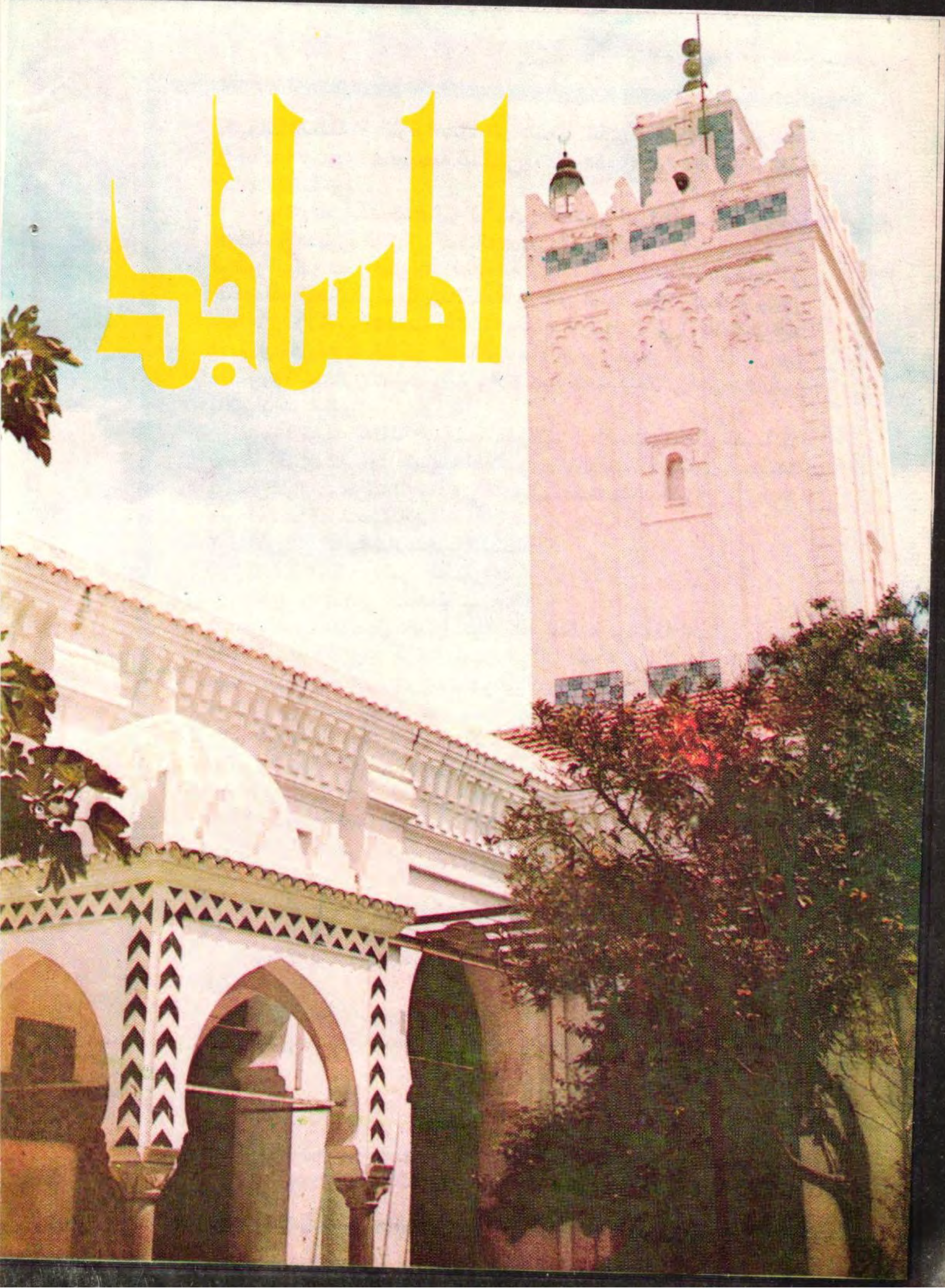
وبذلك نجد أن قاعدة المكلفين بالزكاة واسعة كقاعدة الأموال المزكاة .

وهذا مما يشجع الدولة على القيام بجبايتها وانفاقها ، تنفيذا لحكم الشريعة الاسلامية الغراء ، وتقوية وتدعيما لمالية الهيئات المحلية .

---

(١) ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ١ . ص ٢٤٢ وما بعدها .

المساجد



والآثار الاسلامية في الجزائر

محمد يوسف

اعداد عبد الستار محمد فيض

بدأ الفتح الاسلامى للجزائر بفتوحات عقبة بن نافع فى عهد الدولة الاموية ، وفى القرن الثامن الميلادى قام الأمويون بفتح اسبانيا ممهدين بذلك لخلق نواة للهندسة المعمارية الأندلسية .

وقد خضعت الجزائر منذ بداية الفتح الاسلامى للعديد من الحكام كالبربر والرستمانيين والصنهاجيين والمرابطين والموحدين والمرينيين . الذين كان لهم جميعا دور كبير فى نشر الاسلام وتدعيم قواعده لا على الساحل الافريقى الشمالى فقط انما على معظم القارة الافريقية . وقد خلف لنا هؤلاء الحكام أروع الآثار الاسلامية وأجمل المساجد التى بلغت من ثراء الهندسة المعمارية والفن الاسلامى حدا لا يوصف ، بجانب ما لها من أهمية تاريخية عريقة .

فى أوائل الفتح الاسلامى للجزائر شيد أول مسجد ببلدة تنس القديمة وقد أقيم على شكل مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة كما أنه كثير الشبه ايضا بمسجد القيروان بفضل أعمدته المتنوعة الأشكال والاحجام وله محراب مضلع ، والاضاءة المنبعثة من نوافذه العليا خافتة تبعث على من فيه الهدوء والاطمئنان .

وفى القرن الحادى عشر قام « الزيريون » بتشييد مسجد (سيدى ابو مروان) فى عنابة ولم يبق من هذا المسجد سوى مجموعة من الصومعات الاسلامية المتنوعة الزخرفة أشهرها الصومعة الزيرية .

وهذه الصومعة متوازية الاضلاع بداخلها مصلى ومحراب ومزدانة بزخرفة أصيلة ذات أشكال هندسية بديعة ، وهى قائمة على ثلاث قواعد عمودية وتعتبر أول صومعة من نوعها .

الآثار الاسلامية للمرابطين

بينما كان بنوحماد يفرضون أنفسهم فى القطاع الشرقى من الجزائر . قدم المرابطون القادمون من المغرب الأقصى للجزائر ثلاث آثار من أجمل الآثار الاسلامية وهى مساجد تلمسان والجزائر، وندرومه . وهذه المساجد مشيدة على أعمدة مختلفة التصاميم تعلوها تيجان شبيهة بتيجان مسجد قرطبة الحاملة للأقواس .

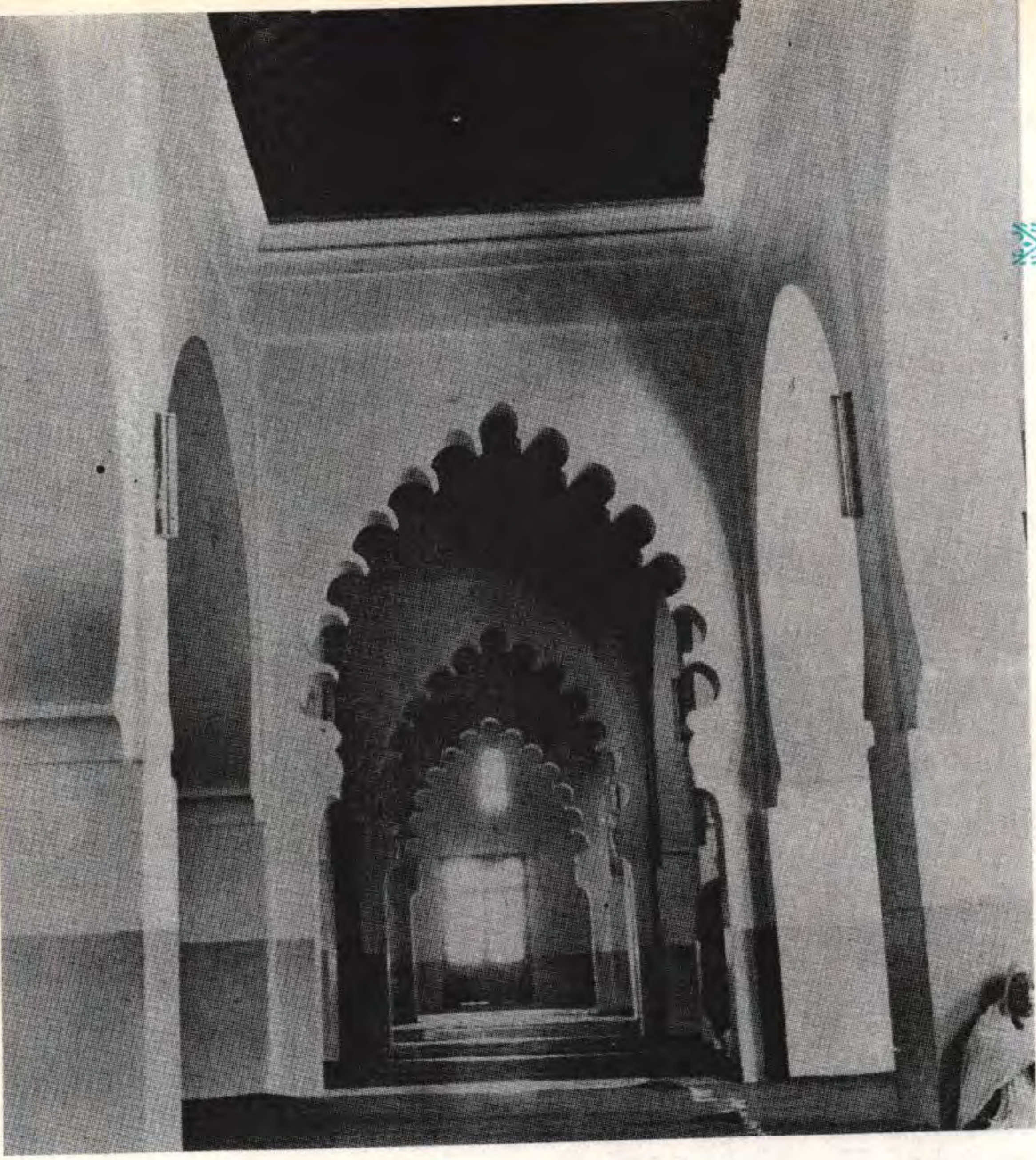
لكن المرابطين لم يقتصروا على تقليد التيجان بل قلدوا ايضا الأقواس الأندلسية ذات الخمسة فلقات وزادوا فى مساجدهم أقواسا ذات سبعة وتسعة واحدى عشرة فلقة .

وقد اظهر المرابطون براعة وابتكارا فى فنهم الاسلامى ، فهم أول من أعطى المحراب شكلا سداسيا ، كما زينوا المشكاة بقبة صغيرة ذات خطوط منقوشة تتوسطها زخارف زهرية تعتبر من أبدع تحف الفن الاسلامى وذلك الى جانب الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفى الذى يعتبر من أجمل الخطوط الزخرفية فى العالم .

والقبة الموجودة فى مقدمة المحراب هى الأخرى عنصرا من عناصر الشهرة التى يتمتع بها مسجد تلمسان الأعظم، وهى تعتبر أول قبة بنيت فى المغرب. وتعتبر رائعة من روائع الفن الاسلامى بزواياها المحلاة بالنقوش الزهرية والاخواص ..

والمرابطون هم أول من أدخل هذه الزخرفة على القباب ، والواجهات الخارجية لمسجد تلمسان لا تشتمل على أية زخرفة ، أما الصومعة التى تتوجه اليها الأنظار عند الأذان فهى محلاة بالآجر الأخضر والأحمر الخافت وبأقواس معتدلة ومقلوبة مزدانة بزخارف خزفية غنية بالألوان .

أما جامع العاصمة « الجزائر » الذى شيد فى أول رجب ٤٩٠هالموافق ١٤ يونيو ١٠٩٧م ، فيعتبر أيضا من المساجد القديمة التى ادخلت عليها تحسينات عديدة فصومعته وواجهته الشمالية أعيد بناؤها ، واضيفت للواجهة الشمالية أعمدة صغيرة فى العهد الحديث ، أما الصحنان المتواليان فقد أدخلت عليهما تحسينات فى العهد التركى .



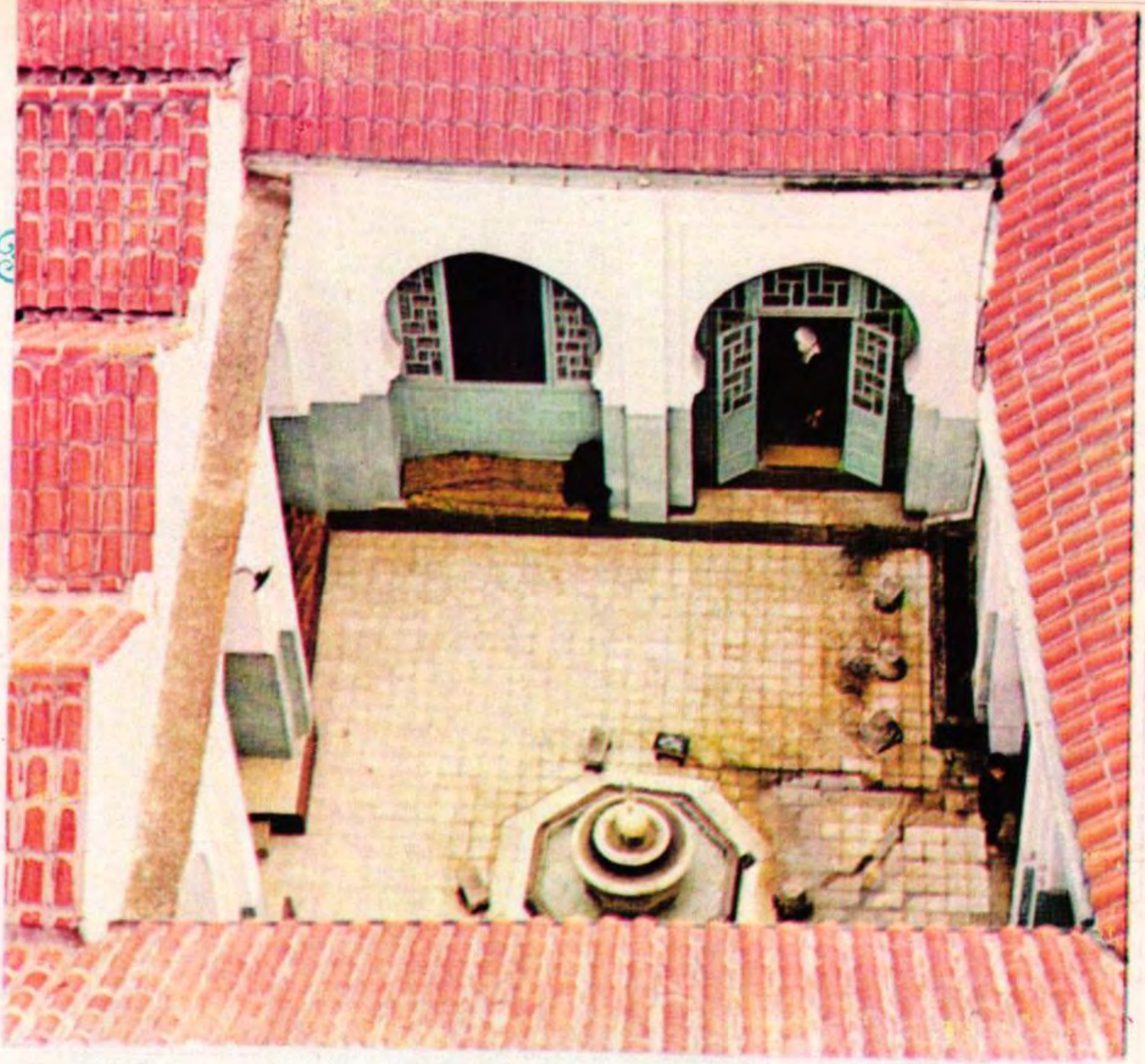
قاعة الصلاة بجامع العاصمة

وتتميز مدينة ندرومه بآثارهــــا الاسلامية فهى وان اقتربت من البحر فليست على شواطئه وانما تمتد المدينة على هضبة لطيفة الانحدار نحو الجنوب الغربي بين واديين عميقين ، وتحيــط بالمدينة هضاب تغمرها أشجار الزيتون والبرتقال والزهور ، وهو منظــر طبيعي مألوف ، فاذا كان جامع مدينة ندرومه أكثر بساطــة من جامعــى تلمسان والجزائر فربما يعود ذلك الى صفاء منظر هذا البلد الهادىء ، ولــم يحتفظ المسجد الآن بزخرفة المرابطين الا ببعض الاجزاء التى تحلى المنبــر وهــى محفوظة بمتحــف الآثـــار بالعاصمة .

عهد الموحدين

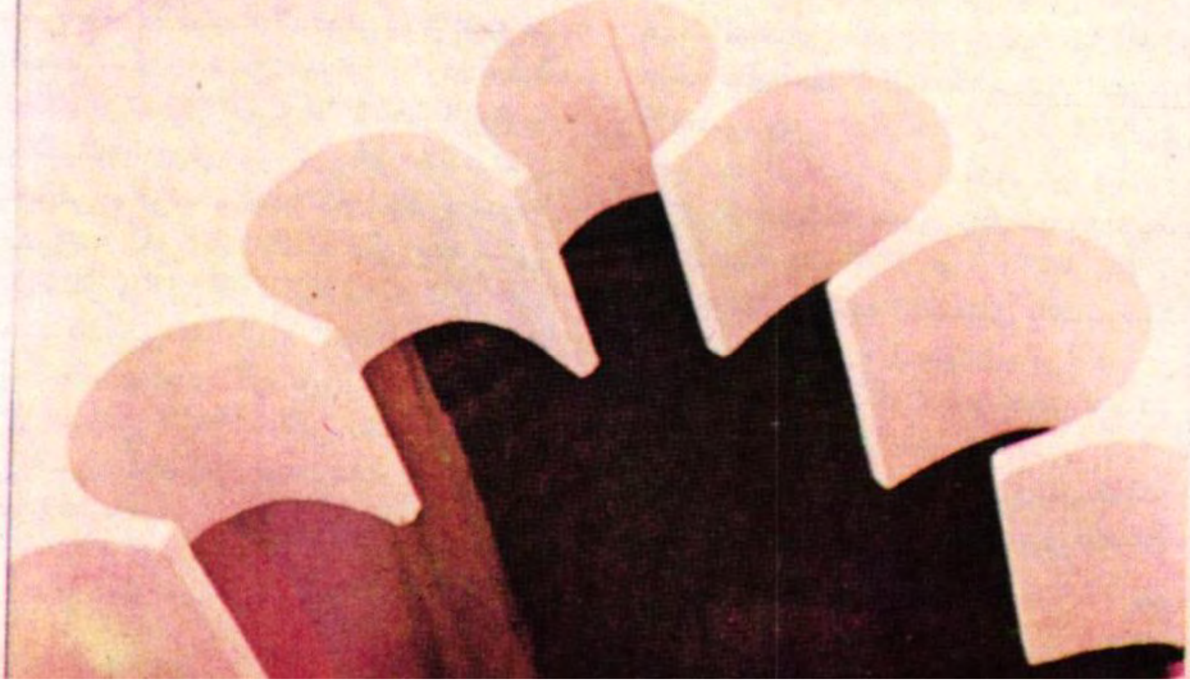
ويمضى عهـــد المرابطين ليجىء عهد الموحدين الذين لم يتركوا لنا آثارا دينية هامة نظرا لانشغالهم فى المغرب الاقصى وفى الاندلس غير أن اخلافهم بنى عبد الواد تركوا العديد من هــذه الآثار . فمملكة يغمور السند بن زياد المؤسسة عام ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) . خلفت لنا مساجد (سيدى بلحسن)، (أولاد الامام) ، (سيدى ابراهيم)، (المشور) كما خلفوا صومعات هــذه المساجد الأثرية الهامة .

فمسجد بلحسن يشتمل على ثلاثة صحون وحول المسجد افريــز نقشت



صحن جامع ندرومه وهو صغير نسبيا وأرضه مكسوة بالمرمر وفى وسطه حوض للوضوء .

يتميز جامع تلسان بانواع من الاقـــــواس الاندلسية أدخلها المـرابطون لاول مرة فى المساجد وهى أقواس مفلوقة اشتهرت بهـا مساجد الاندلس .





صومعة جامع ندرومه التى يبلغ طولها اربعة امثال عرضها ومغلفة من الخارج بزخرفة من الآجـــر .

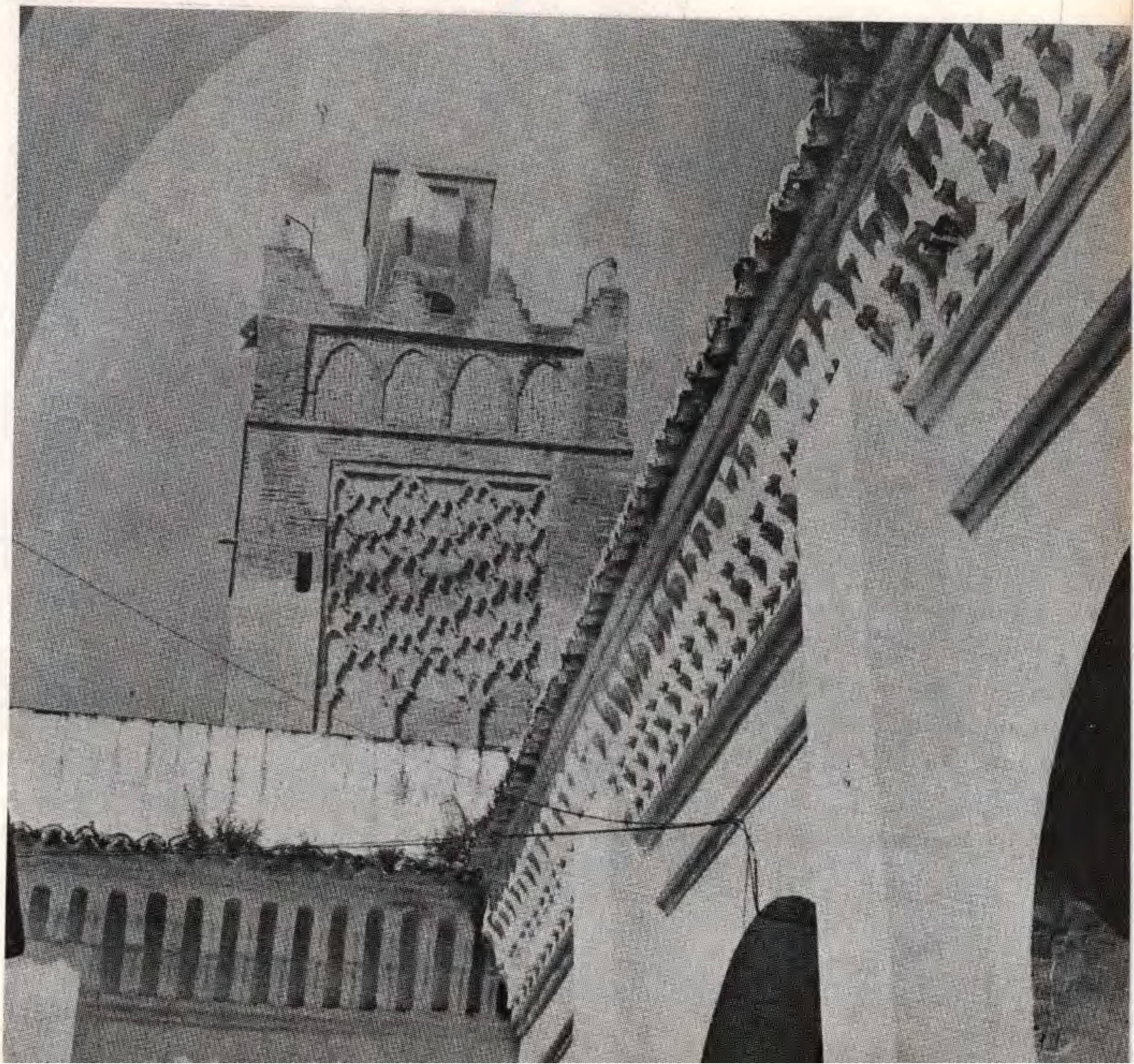
عليه الآية القرآنية **(وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات)** .

أما محرابه فهو عن حق من روائع الفن الاسلامي المغربي فمشكاته السداسية الأضلاع متوجة بقبة صغيرة نقش عليها قول الله تعالى : **(أن أكرمكم عند الله أتقاكم)** .. أما اطار المحراب فهو باجماع علماء الآثار روعة من روائع النقش على الجبس وقمة رقي الفن الاسلامي العربي بعقوده المزدانة تارة بالزخرفة الزهرية وأخرى بالكتابة المنقوشة .

ومسجد (أولاد الامام) لم يحتفظ بزخرفته ولا نستطيع أن نشاهد سوى القبة السداسية التي تتوج المحراب .

ويتميز مسجد سيدي ابراهيم بقبته الكبيرة التي احتفظت بالقسم الأكبر من نقوش جدرانها ، واركانها مزدانة بزخرفة نباتية . متدرجة من نجمة ذات ثمانية فروع محلاة بكتابات (العز لله) (الحمد لله على نعمته) .

صومعة جامع سيدي ابراهيم والساحة

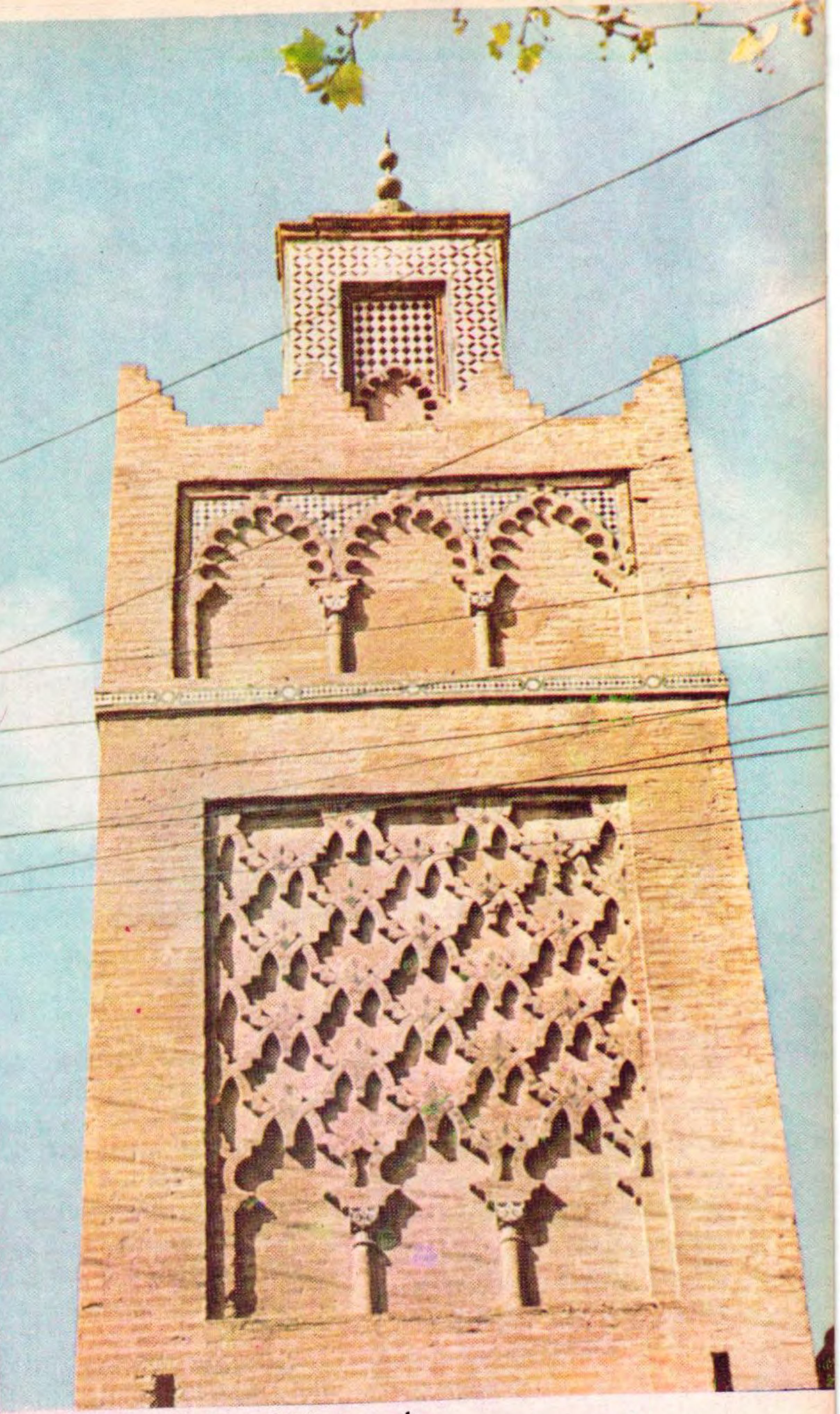




تيجان مسجد تلمسان

اما جدار القبة فمنقوش عليه قول الله تعالى **(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب)** وقال الله تعالى : **(ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد) .**

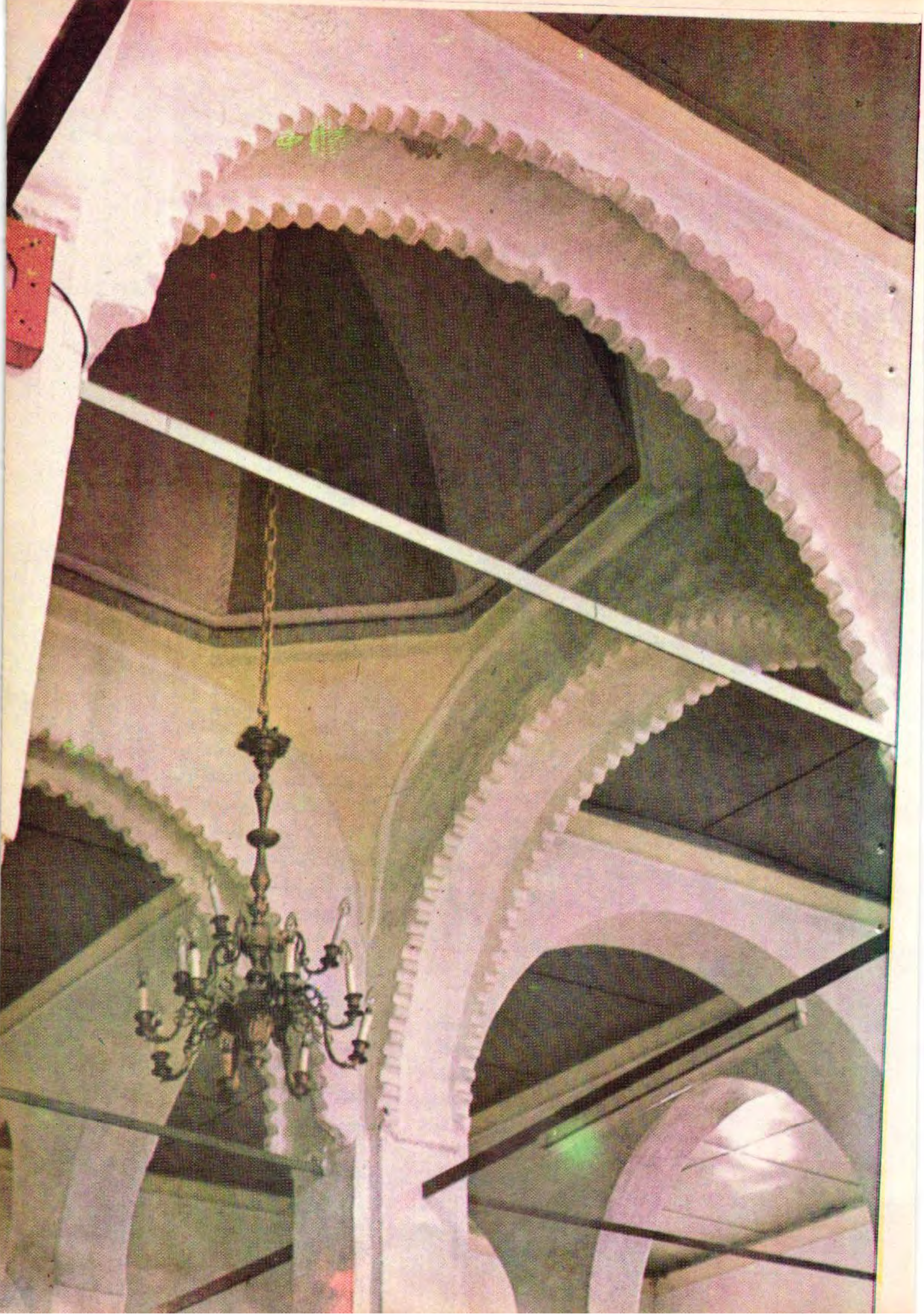
وعلاوة على هذه الآثار فان بنى زياد خلفوا لنا أيضا مجموعة غنية من الصومعات اشهرها صومعة (المشور) التى تمتاز بأقواس محبوكة تزخرف قسمها الأعلى ، أما القسم الأسفل فزين بمربعات من القيشانى منقوش عليها (توكلت على الله) (انت المعين) (انت المهيمن) (اجعل عملى مقرونا بالخير) وهذه النقوش الجميلة تبين لنا مدى التدين الحقيقى الذىكان يطبع ايمان هؤلاء البناة الذين أعطوا مبانيهم الدينية خير ما كانوا يملكون من فن واتقان .



صومعة مسجد سيدى بلحسن .



جامع سوق الغزال فى قسنطينية بنى عام ١١٤٣ هـ — ١٧٣٠ م وهو من اثار العهد التركى .



آثــار المرينيين

ويأتى القرن الرابــع عشر لينتصر ملــوك بنى مريــن على الموحــدين ويطردوهم من مراكش فى العاشر من محرم ٦٦٨ هـ (٨ سبتمبر ١٢٦٩ م) . بقيادة أميرهم أبى يوسف يعقــوب ، ومعلــوم ان القائــد فى ذلــك العهــد كان يتولى الأمور الدينية والعسكرية وشئون البناء فى آنواحد وبعد الاستيلاء على المغرب الأقصــى ولى بنو مرين شطر المغرب الأوســط (الجزائر اليوم) واستولوا عليها مــا عدا مدينة تلمسان التى كانت تمتــاز بموقع عسكرى منيع وحصيــن فحاصرها أبو يعقوب ثمــانى سنوات انتهت بالاستيلاء عليها . وخلال هــذا الحصار تم بناء مدينة المنصورة وهى عبارة عن قلعة محصنة تقع فى سفح تلمسان .

يقول ابن خلدون : (ان هذهالمدينة كانت تضم حمامات وفنادقومستشفى ومسجدا حيث كانت تقام صلاة الجمعة وهو مسجد كانت صومعته التى اقامها السلطان تبلغ ارتفاعا عجيبا) .

وليس من الصعب علــى المرء أن يصدق ما اورده ابن خلــدون لا سيما أن هذه الصومعة لا تزال موجودة الى اليوم ، ذهبية اللون ، عظيمة الحجم قائمة على انقــاض مسجد المنصورة الكبير الذى كانت تشكل رواقه .

ان مسجد المنصورة هو اكبــر مساجد الجزائر سعة اذ يبلغ عرضه (٦٠) مترا وطوله ٨٥ مترا .

وفى عام ٧٣٧ هـ (١٣٣٦م) أقــام السلطان المرينى أبو الحسن مسجدا وقبة ومدرسة سيدى بومدين .

ومسجد بومدين أغنى أثر عرفتــه



داخل مسجد سيدى بومدين .

الجزائر من الفن الاسبانى الاسلامى وخلافا لقواعد التقشف التى كانتحتى ذلك الحين تجعل الزخرفــة مقصورة على الخطوط الرئيسية للبناء فان بناة هذا المسجد لم يراعوا هذه القواعــد وراحوا يتفننون فى زخرفة رواقــه ومحرابه واقواسه وسقوفه وصومعته حتى أصبح قمة فى الفن .

أما ابن أبى الحسن وخليفته فقد ترك لنا مسجد سيدى العلوى الذى تــم بناؤه سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٤ م) وهو يشبه المسجــد السابق ويعتبــر المسجدان تحفتين رائعتين .

العصــر التركى

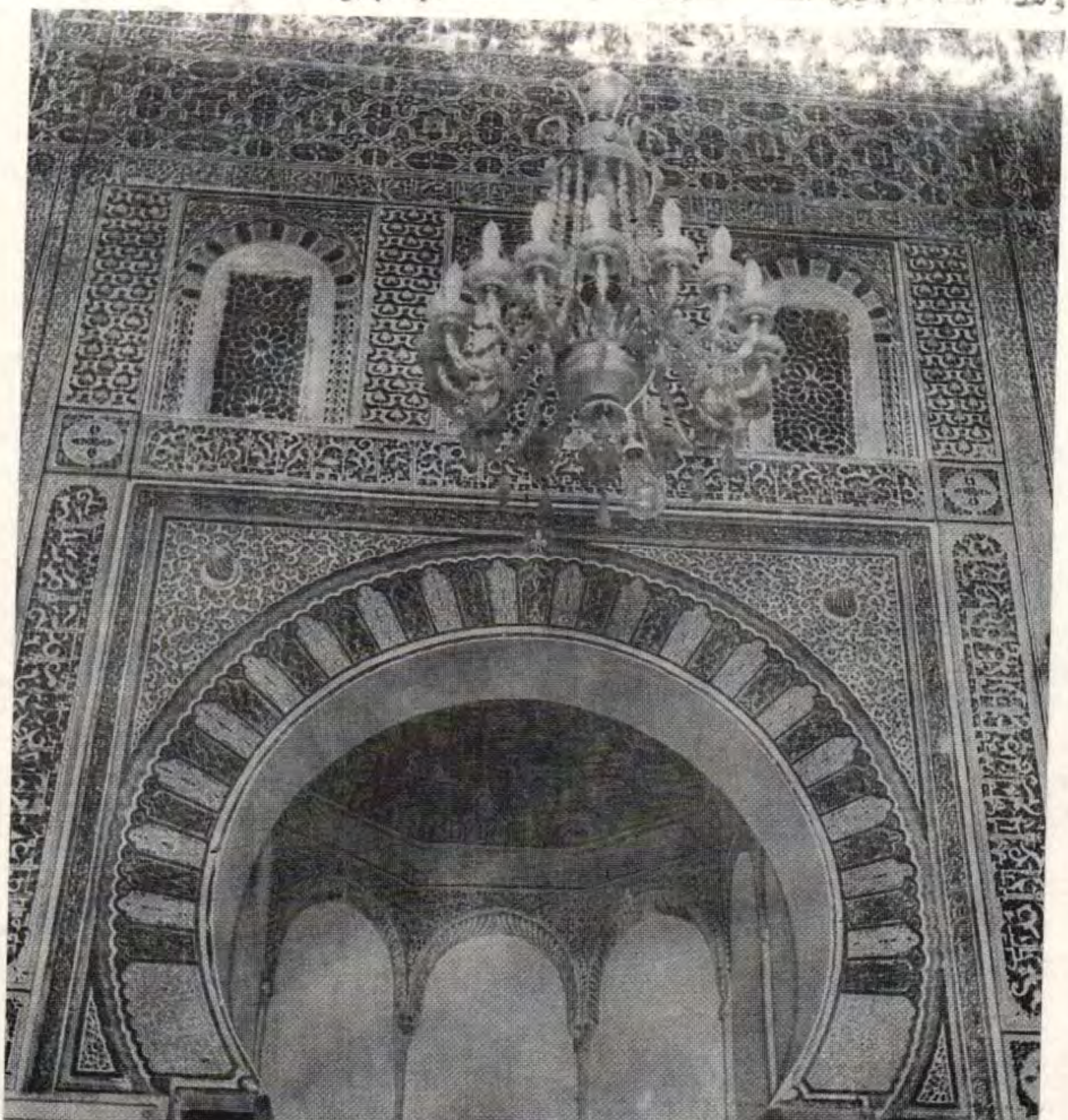
ومع نهاية القرن الخامس عشــر ظهر الاسلوب التركى على الهندســة المعمارية للمساجد وهــذا الأسلوب مستمد مباشــرة من الفــن البيزنطى بالقسطنطينية . والمساجد ابتداء من هذا العصر تمتاز بقبة ضخمة فــوق صحن واحد يشمل مساحة داخليــة واسعة دون أعمدة .

وجميع المساجد التى تمتاز بهـذه القباب ذات الصحن الواحد والتى نجدها فى الجزائر قد تأثرت بالأسلوب العثمانى مثل :

جامع علي بتشين الذى بناه القائد على بتشين المسيحى المعتنق لدين الاسلام وهذا [illegible]

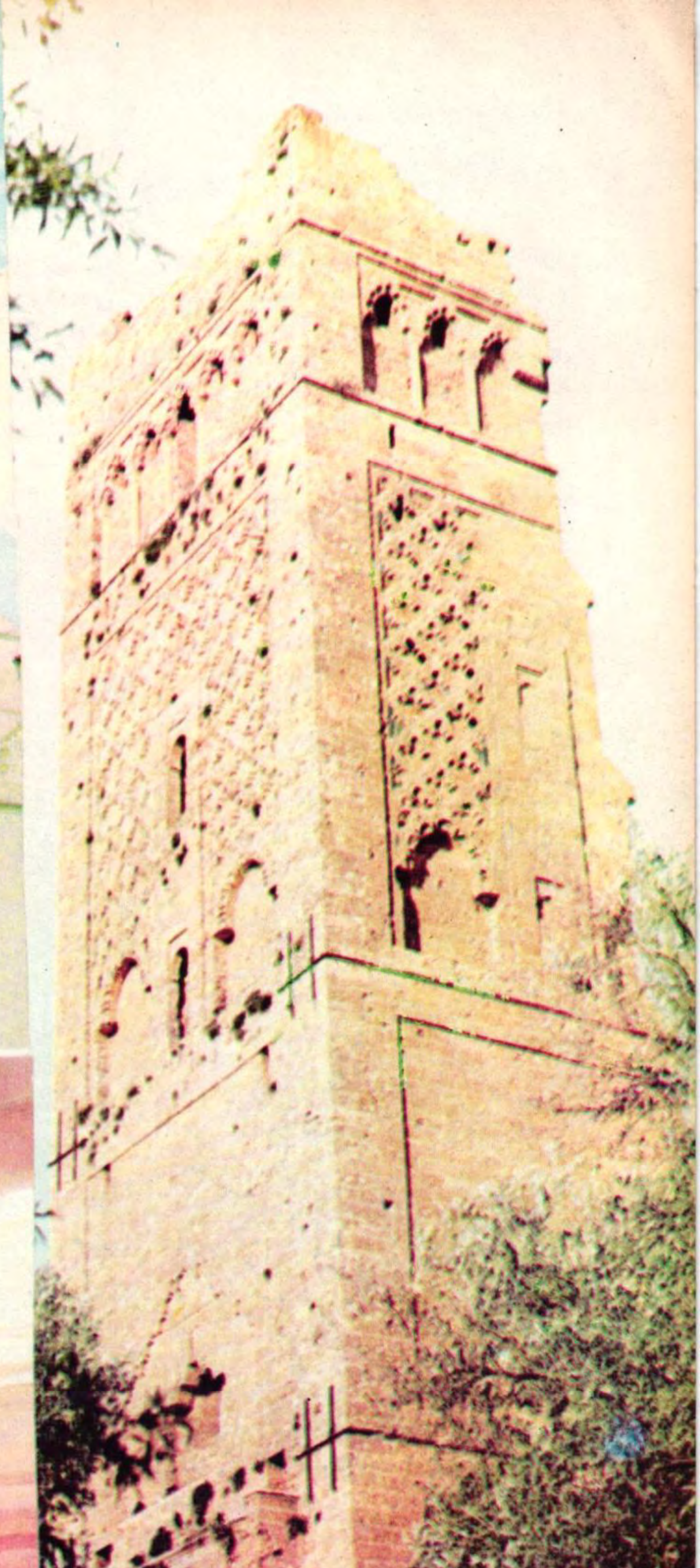
الفرنسى الى كنيسة نتردام دىفكتور ثم عاد مسجدا بعد استقلال الجزائر .

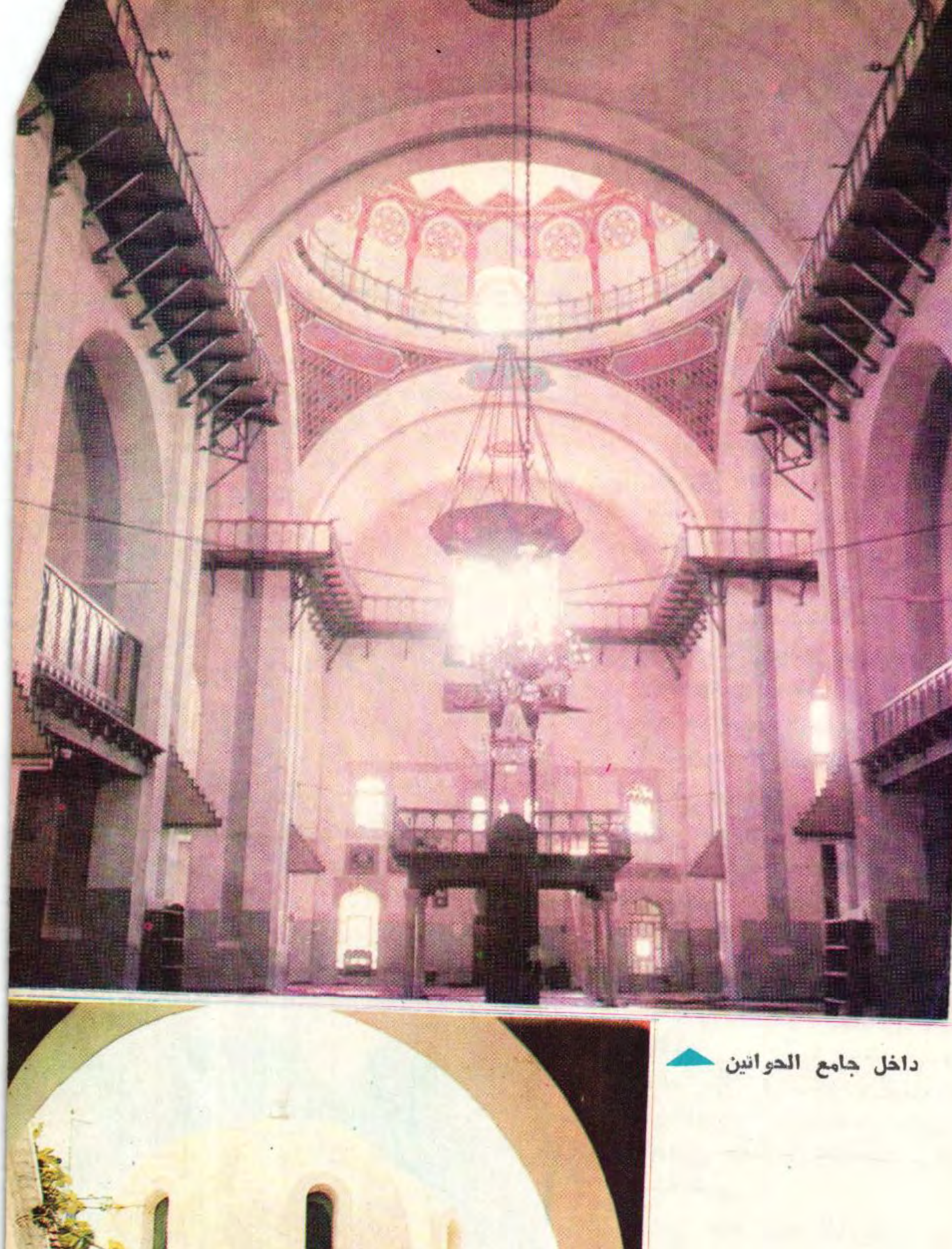
ومسجد كتشاوه وجامع سفير وجامع الحواتين ومسجد صلاح باى فى عنابة الذى بنى عام ١٢٠٦هـ ومسجد سوق الغزال ومسجد سيدى [illegible] المفتى [illegible] هـ وغيرها .



محراب جامع سيدى بومدين ويمتاز بمشكاة فىشكل هندسى سداسى ، واطار المحراب صنع بدقة متناهية تتجلى فيها نقوش دقيقةذات جمال وروعة .







جامع بوشقرون

جامع الحواتين

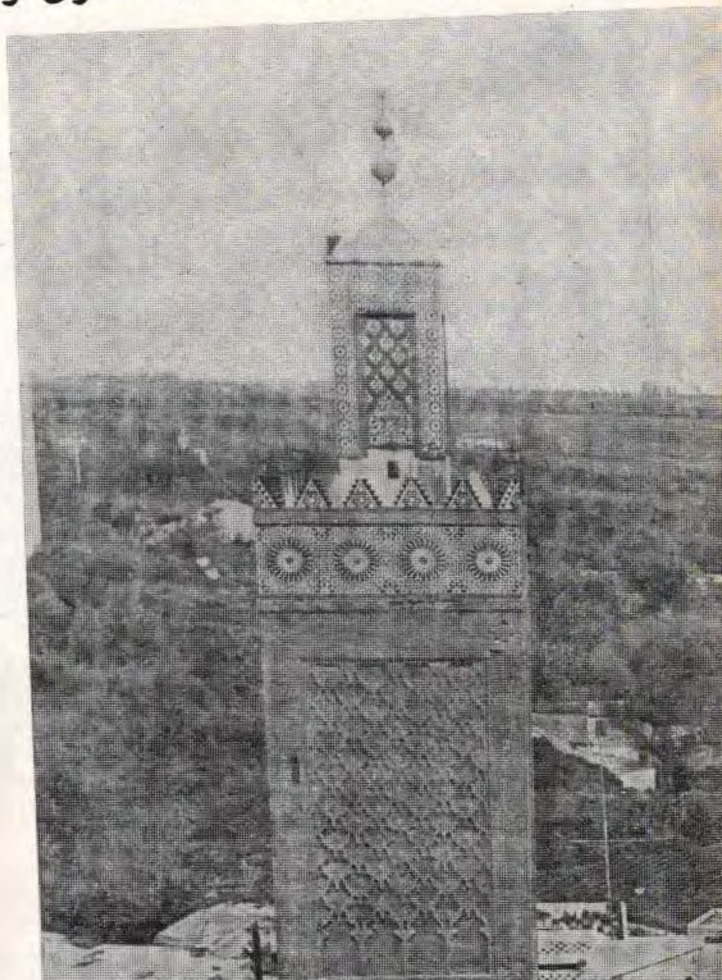
داخل جامع الحوانين

قبة من العهد التركى

جامع كتشاوه

أقصى اليمين :
صومعة المنصورة وهى برج ارتفاعه ٣٨ مترا وضلعه عشرة أمتار ، وتعتبر اعلا صومعة فى الجزائر .

ان عناصر الهندسة المعمارية فى الجزائر فى العصور الوسطى تناولت الزخرفة بصورة طبيعية تنقل الناظر من وحدة الى اخرى بلطف واستمتاع فالمحراب بالدرجة الاولى والاروقة والأقواس والمساند والتيجان تجعل النظر ينتقل من شكل دائرى أو



مسجد سيدى العلوى

اسطوانى كشكل العامود الى شكل مربع كقاعدة القوس ومن مساحة مصقولة أو عمودية الى مساحة مموجة أو محنية .

والصرامة الاسلامية التى رفضت تصوير الانسان ، قد ساعدت دون شك على خلق هذه المعجزة الصغيرة للعقل البناء الذى جعل من الزخرفة الاسلامية تحفة فنية رائعة .

وقد أدت هذه الصرامة نفسهافيما بعد بسكان الجزائر الذين يمتازون بالهدوء والصفاء الى ترك الزخرفة نفسها بصورة تدريجية من أجل ابراز الخطوط الرئيسية للبناء .

ان الفن الاسلامى المعاصر وخاصة الفن المغربى الجزائرى يكتفى دائما بزخرفة خفيفة جدا لابراز معالم الهندسة المعمارية وتقييمها .

والبحوث الراهنة الآن للهندسة المعمارية فى العالم بعد اختراع مواد البناء الحديثة تهدف دائما الى التخلص من انحرافات الهندسة المعمارية ، وقد عرف البناة المسلمون فى المغرب وخاصة فى الجزائر كيف يتجهون هذا الاتجاه الفكرى منذ ستة قرون .

ان جغرافية الجزائر الواسعة تقدم لنا فى كل بقعة منها مثلا حيا عن الفن الاسلامى المعمارى القديم ، وتمسك السكان جميعهم بالدين كان عاملا أساسيا من عوامل المحافظة على هذه الكنوز القديمة .

وهكذا تعكس الآثار الاسلامية فى مساجد الجزائر تلك الانجازات التى تمثل قمة الفن المعمارى الجزائرى التى تعتبر مصدرا من مصادر الدراسة الفنية الاسلامية .

الصبر في الإسلام

للأستاذ محمد كمال الدين

يعتبر الصبر فى الاسلام من المبادىء التى حث عليها ليقوى ايمان المؤمن ، ويزيد بر البار ، وهو قوة نفسية عظيمة تمد المرء بالرضا والاطمئنان ، وهو سمو على مواطن الضعف والاستخذاء ، واذعان لله على طريق الهدى والرشاد ، ويكفى الصبر مبدأ اسلاميا جليلا أنه يقترن باسم من أسماء الله الحسنى ، فهو (الصبور) ، وهو الذى يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ، وهو الذى يدخل الصابرين جنات عدن ، **« والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم »** (الآيتين ٢٣ ، ٢٤ من سورة الرعد) .. ولقد ذكر الصبر فى القرآن الكريم ما يقرب من سبعين مرة ، وهذا لما فيه من خير ، وما يعقبه من أجر ، ومن هذه الآيات الكريمة : **« وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وان اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »** (الآيات من ١٥٥ ــ ١٥٧ من البقرة) ومنها **« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »** (الآية ١٥٣ من سورة البقرة) ومنها **« لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور »** (الآية ١٨٦ من سورة آل عمران) ومنها **« يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »**

(الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران) ومنها قوله تعالى : **« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون »** (الآيتين ٥٨ ، ٥٩ سورة العنكبوت) ومنها أيضا **« والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ، جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »** (الآيات ٢٢، ٢٣ ، ٢٤ سورة الرعد) ومنها **« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »** (الآيات ١٢٦ — ١٢٨ سورة النحل) ومنها **« وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »** (الآية ٣٥ سورة فصلت) .

هكذا يمجد القرآن الكريم الصبر ، ويعتبره عبادة من اعظم العبادات ، ولذا ورد أنه نصف الايمان لعظمة قدره ، وجليل أثره ، وتبدو حكمته عند الازمات ، والشدائد ، حينئذ يصبح الصبر هو عاصم المرء من التخبط ، والنور الذى يبين للمرء الطريق المستقيم ، ويهديه سواء السبيل ، ويقوى صلته بربه ، بالتقرب اليه ، وطلب العون منه .

والصبر فى اللغة معناه حبس النفس عن الجزع ، وذلك على ما يقتضيه العقل والشرع ، وتختلف أسماؤه باختلاف مواقعه ، فحبس النفس عن المصيبة صبر ، وعند القتال شجاعة ، وعند المحافظة على الحقوق أمانة ، وعند الكف عن المحارم درع ، وعند العمل بأوامر الله طاعة وعبادة ، وهو فى كل الاحوال : الثبات والجلد ، واحتمال المكاره فى غير قلق أو ضعف .

ومن معانى الصبر القيام بما فرض الله تعالى من عبادات وطاعات ، كالصلاة والصيام والاحسان لذى القربى واليتامى والمساكين ، والحج ، وغير ذلك من عبادات ، فمن صبر فيها أداها على الوجه الاكمل ، ونال بها أحسن الثواب ، وعمل بما فيها من وجوب الاطمئنان والتمهل ، واستطاع بها أن يكبح هواه ، وأن يتغلب على المغريات .

ومن معانى الصبر أيضا حماية الدين والوطن ، ذودا عن

الارض والعرض ، ودفاعا فى سبيل الله عن الشرف والكرامة ، وحماية لكلمة الله وشرعه أن يمسهما السوء ، وما يتضمنه ذلك من احتمال الأذى فى سبيل الدعوة الى الحق والكشف عن الضلال وتبصرة الناس بالخير .

ومن معانى الصبر الكدح فى سبيل كسب الرزق ، والجد فى ميادين الانتاج ، اذ انه يشحذ العزم ، ويبعث الامل ، ويدعو الى السعى بلا كلل ولا عناء حتى يحصل المرء على مبتغاه ، وينجح فى مسعاه .

ومن معانى الصبر كذلك تقبل قضاء الله بتسليم واذعان ، ويتمثل ذلك فى فقد الأحباب أو نزول الامراض أو حدوث النكبات ، فاذا استسلم المرء لليأس والالم خسر دينه ودنياه ، اما اذا صبر وشكر ، وتماسك وتجلد وبعد عن الجزع : هان عليه الامر ، وتحمل البلاء برضا وايمان ، واستطاع التغلب على الازمة العارضة ، ليخرج منها أكثر ايمانا ، وأكثر قدرة على مواجهة الصعاب والشدائد .

وكما ورد الصبر فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع — كما ذكرنا — فقد ورد فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ومن ذلك قوله : « أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الأمثل فالامثل يبتلى الناس على حسب دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه خطيئة » رواه ابن حبان ، وعن صهيب الرومى — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان ذلك خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان ذلك خيرا له » رواه مسلم .

ويتجلى الصبر فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مواقف كثيرة ، نذكر منها لما مات عمه أبو طالب ، واشتدت قريش فى ايذائه ، فخرج الى قبيلة ثقيف بالطائف ليدعوهم الى الاسلام ، ويستنصر بهم على خصومه ، ولكنهم لم يعيروه انتباها ، بل اشتدوا فى ايذائه ، وأغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ، فاذا به يلجأ الى ظل كرمة فى بستان ، ويشكو الى ربه ما فعله به القوم ويقول « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ،

وأنت ربى .. » الخ . وهكذا كان صبره حتى كتب الله له النصر عليهم.
كذلك نذكر موقفه صلى الله عليه وسلم حين فقد ابنه ابراهيم .
وقد أنجبه بعد شوق طويل للذكور . حيث وضعه فى حجره الشريف ، والحزن يأخذ منه كل مأخذ . ولكن الايمان بقضاء الله . والاذعان لقراره جعل لسانه ينطق بالحق وان دمعت عيناه : « يا ابراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وان آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك أشد من هذا ، ان العين تدمع . والقلب يحزن . ولكنا لا نقول الا ما يرضى ربنا » .

ولقد كان موقف الرسول الكريم طوال دعوته التى استغرقت ثلاثا وعشرين سنة مثالا للصبر الشجاع ، صبر على بلاء الكفار . صبر فى جهاده فى سبيل الدعوة ، وقد قال يوما لابن عباس : « واعلم أن النصر مع الصبر . وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » جزء من حديث رواه أحمد .

« ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » (الآية ١٢٦ — الاعراف) ، **« ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين »** (الآية ٢٥٠ سورة البقرة) .. آمين .

كان موقف القرآن الكريم من الصبر هو موقف التشريع الحكيم : **« انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين »** (الآية ٩٠ — سورة يوسف) ، وكان موقفه مع الرسول الأمين أن يصبر فى دعوته ، حتى يصل غايته : **« واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »** (الآيتين ١٢٧ ، ١٢٨ سورة النحل) ، **« فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون »** (الآية ٦٠ سورة الروم) ، **« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون »** (الآية ٣٥ **سورة الاحقاف**) .

ولقد كان الرسل جميعا نماذج واضحة لمواقف الصبر البطولية ، وكان لهم بفضله النصر والغلبة ، ولدعوتهم النجاح والانتشار ، ولعلنا نذكر من هذه النماذج الرائعة : قصة نبى الله ابراهيم حين اشتد ايذاء الاعداء له ، وصبر عليهم فى كثير من المواقف حتى كان موقف الذروة حين كاد لآلهتهم وحطمها ، وادعى أن كبير أصنامهم هو الذى فعل هذا ، ولم يصدقوه : **« قالوا**

حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » (الآية ٦٨ سورة الانبياء) ونصبوا له نارا شديدة : **« قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين »** (الآيتين ٦٩ ، ٧٠ سورة الانبياء . كما نذكر من قصص الانبياء قصة ايوب عليه السلام : **« واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب . وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب »** (الآيات من ٤١ — ٤٤ سورة ص) . ومن المعروف أن أيوب عليه السلام كان فى نعمة واسعة ، ووفرة فى الرزق من المال الكثير والاولاد والصحة ، حتى جاءه الشيطان يوما فأنساه ذكر ربه ، فابتلأه الله بفقد المال والاولاد والصحة ، وتذكر أيوب ربه ، بعد أن مكث ستة عشر عاما فى البلاء ، وجعل يستغفر ربه ، حتى استجاب لدعائه ، وعند ذلك تفجرت له عين ماء اغتسل منها فذهب مرضه وعاد اليه ماله وولده .

ومن قصص الانبياء ايضا نذكر قصة سيدنا يعقوب وابنه يوسف الذى كاد له أخوته . حتى القوه فى غيابت الجب : **« وجاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون »** (الآيات من ١٦ : ١٨ سورة يوسف) .

وكانت نتيجة صبر يعقوب ان نجى الله يوسف ومكن له فى الارض ، وجعله على خزائن مصر ، ثم جمعه به وبأخوته ، وكان موقف الأب الحنون حين طلب منه اخوة يوسف أن يستغفر لهم ذنوبهم : **« قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم »** (الآية ٩٨ سورة يوسف) ولعل أبلغ آيات الصبر فى القرآن الكريم ما ورد فى قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام : **« قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا »** (الكهف — ٦٦ : ٦٩) وانطلقا معا ، وتبدى موقف الصبر فى احداث ثلاثة قابلت سيدنا موسى معه ، ومع انه اعلن قلقه فيها جميعا ، ولم يحتمل المواقف ، ولم يصبر حتى النهاية ، ولو أنه صبر لعلم ان لكل مشكلة حلا ، ولكل سبب مسببا : **« اما السفينة**

فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا » (الكهف ٧٩) . ولو صبر موسى لعلم الحكمة فى خرق سيدنا الخضر للسفينة : **« وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشيا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما »** (الكهف ٨٠ ، ٨١) . ولو أن موسى صبر الى النهاية لعرف لماذا قتل الخضر ذلك الغلام الطالح : **« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ، وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك »** (الكهف ٨٢) . وهذه الاحداث الثلاثة جعلها الله اختبارا للصبر ، ودليلا على فائدته : **« وما فعلته عن أمرى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا »** (الكهف ٨٢) .

وهناك — الى جانب قصص الانبياء الصابرين — قصص أخرى لأولياء الله الصالحين ، نذكر منها قصة عروة بن الزبير رضى الله عنه حين أصيب فى أحد أعضاء جسمه ، وكان قد أصيب فى رجله اصابة كان لا بد معها من بترها حتى ينجو الجسم بأعضائه الاخرى ، وجرت ارادة الله بقطع تلك الرجل ، وصبر على الألم وتحمله ، ولكنه بينما هو فى قمة الالم ، اذ دخل عليه أحد أصحابه وحوله جماعة من الناس ، وقال له صاحبه : « لقد جئت أعزيك » ، ورد عليه عروة : « فيمن تعزينى . انه عضو جرت عليه مشيئة الله ، وكل الى زواله » ، قال له صاحبه : « لا انى اعزيك فى أصغر أولادك ، لقد دخل يلعب فى حظيرة الخيل فرفسه حصان فمات لساعته ، وأنا أرجو ان يسبغ الله عليك الصبر ، ويضيء قلبك باليقين » وكان رد عروة : « الحمد لله الذى اخذ عضوا وأبقى أعضاء ، واخذ ولدا وأبقى أولادا ، انا لله وانا اليه راجعون » .

ومن قصص الصبر على البلاء ما حكاه عبد الله بن سليمان ابن وهب عن أبيه أنه قال : « أصبحت يوما وأنا فى حبس محمد ابن عبد الملك الزيات فى خلافة الواثق ، آيس ما كنت من الفرج ، واشد محنةوغما حتىوردت على رقعة أخىالحسنبن وهب وفيها :

محن أبا أيوب أنت محلها ... فاذا جزعت من الخطوبفمن لها

ان الذى عقد الذى انعقدت به ... عقد المكاره فيك يحسن حلها

فاصبر فان الله يعقب فرجة ... ولربما أن تنجلى ولعلها

قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسى فكتبت له :

صبرتنى ووعظتنى فأنا لهــــا ... وستنجلى بل لا اقول لعلهــا
ويحلها من كان صاحب عقدها ... ثقة به اذ كان يحسن حلهــا

قال فلم اصل العتمة ذلك اليوم حتى أطلقت فصليتها فى دارى.

وبعد ، فهذه مواقف ان دلت على شىء فعلى أن الصبر هو من صفات المؤمنين ، جهادا ، وعمــلا ، روى عن عبد الله بن مســعود رضى الله عنــه انه قال : الفرج والروح فى اليقين ، والرضا والهم والحزن فى الشك والغضب .

وقال ريان بن ثعلب ، سمعت اعرابيا يقول : من افضــل آداب الرجال انه اذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها ، والهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه بصبره يعاين الخــلاص والفناء توكلا على الله وحسن ظن به ، فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث ان يقضى الله حاجته ، ويزيل كربته ، وينجح طلبته ومعه دينه وعرضه ومروءته .

وكان يقال الصبور يدرك احمد الامور ، وروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه قال : « ما أبالى باليسر رميت أو بالعسر لأن حق الله عز وجل فى العسر الرضا والصبر ، وفى اليسر البر والشكر » .

وروى عن أبى سلمة الجهمى عن ابى القاسم عن عبد الرحمن عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن ، فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضــاؤك ، اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسه او انزلته فى كتابك أو علمته احدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى ، الا اذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرجا » .

فاللهم اجعلنا مع الصابرين « **الذين صــــبروا وعلى ربهم يتوكلون** » (النحل ٤٢) ، والهمنا الصبر فى جميع المواقف ، شدة ورخاء ، انك سميع مجيب .

مائدة القارئ

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

« قرآن كريم »

قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم :

« لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » .

« حديث شريف »

عمر بن الخطـاب

أول من سمى بأمير المؤمنين .

أول من أرخ من الهجرة .

أول من اتخذ الدرة .

أول من امر بصلاة التراويح .

أول من سن قيام شهر رمضان .

أول من ضرب فى الخمر ثمانين .

أول من جمع الناس فى صـلاة الجنائز على أربع تكبيرات .

أول من وضع الدواوين .

بل يصلحهم العـدل

كتب الجراح بن عبد الله الى عمر ابن عبد العزيز : إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم ، وانه لا يصلحهم الا السيف والسوط ، فان راى امير المؤمنين أن يأذن لى فى ذلك .

فكتب اليه عمر : أما بعد ، فقـد بلغنى كتابك تذكر ان أهل خراسان قد ساءت رعيتهم ، وأنه لا يصلحهم الا السيف والسوط ، فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم والسلام .

خير الأمور أوساطها

سئل الحسن بن الفضل : انــك تخرج أمثال العرب والعجــم من القرآن . فهل تجد فى كتاب الله : خير الأمور أوساطها ؟
قال : نعم ، فى أربعة مواضع :
قوله تعالى : (لا فارض ولا بكــر عوان بين ذلك) .
وقوله تعالى : (والذين إذا انفقــوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .
وقوله تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) .
وقوله تعالى : (ولا تجهر بصلاتــك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلـــك سبيلا) .

الفقيــــه

قال على كرم الله وجهه :

الفقيه ــ كل الفقيه ــ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره . لأنه لا خير فى عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فهم معه ، ولا قراءة لا تدبر فيها .

الولد وأبــــوه

قال عبد الرحمن بن أبى بكر لأبيه بعد أن أسلم ــ وكان يوم بدر مــع المشركين : ــ

لقد أهدفت لى يوم بدر . فانصرفت عنك ولم أقتلك .

فقال أبو بكر : لكنك لو اهدفت لى لم أنصرف عنك .

خير المكاسب :

● اخوان الصفاء خير مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، ومعونة على الأعداء .
● صديق المرء كمرآته يريه حسناته وسيئاته .
● الصديق من صدقك وده ، وبذل لك رفده .

العقل وميزانه في الإسلام

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

١ ــ لا يكون الإنسان إنساناً تصح نسبته الى الإنسانية إلا فى ضمان العقل الذى وهبه الله ابناءَ آدم ، واختصهم به ، وأقامهم به خلفاء على الأرض .. وانه لولا هذا العقل لما كان أبناء آدم إلا فصيلة من فصائل الحيوان ، أو جنسا من أجناس الأنعام ، تحكمهم الغريزة ، وتشدهم شدا اليها ، دون أن يكون لهم تصريف معها ، أو مراجعة لها ، أو تحوير وتبديل فى خط مسيرتها الذى تقيمهم عليه .. ومن هنا لَزِمتْ أصنافُ الحيوان وأجناسها الوضع الذى اقامتها الغريزة عليه من أول ظهورها فى الوجود الى اليوم ، وستظل ملتزمةً هذا الوضع الى آخر يومها فى الحياة ، فليس لها ــ والأمر كذلك ــ تاريخ تتعدد صفحاته ، وتختلف أبوابه وفصوله ، جيلا بعد جيل ، أو عصرا بعد عصر ، وانما هى صفحة واحدة ، تضم حياتها كلها ، لا يختلف فيها يومها عن غدها ، أو امسها .. فلا تتغير صورة الحياة للأبناء والأحفاد ، عن الصورة التى كان عليها الآباء والأجداد ، فى اى لون من الوان الحياة ، وفى اى متجه من اتجاهاتها .. فالفصيلة الحيوانيةُ التى كانت تعيش منذ آلاف السنين أو ملايينها ، هى الفصيلة نفسها التى تعيش اليوم ، فى أسلوب حياتها ، وفى خط مسيرتها فى هذه الحياة ..

وليس كذلك الشأن فى الإنسان ــ سواء فى افراده أو جماعاته ــ حيث ينزع به العقل الذى وهبه الله

تعالى إياه الى مواجهة الطبيعة ، والى التأثر بها والتأثير فيها ، فيُقلبُ وجوهها ، ويبدل صورها واشكالها ، ويلونها بألوان وأصباغ مختلفة حسب ما يمليه عليه العقل ، ويهديه اليه .. ومن هنا كان هذا التبديل والتحوير فى اشياء الطبيعة ، يحلها الانسان ويركبها ، ويخلق من هذا التحليل والتركيب صوراً واشكالا جديدة ، يتغير بها وجه الطبيعة يوما بعد يوم ، بما يضيف اليها العقل الانسانى ، وما يحذف من اشيائها التى بين يديه منها ..

ومن هنا كان هذا الذى لبسته الحياة من صنع الانسان ، من أثواب، كلما بلى منها ثوب ، خلع عليها الانسان ثوبا غيره ، يختلف كثيرا أو قليلا عن سابقه أو لاحقه .. فالانسان الأول الذى كان يسكن الأدغال والكهوف ، ويقتات من خشاش الارض ويشارك الحيوان فى طعامه ومنامه ، قد انتقل من خارج الأدغال والكهوف الى الأكواخ يصنعها بيده ، ويجلب اليها ما يقع له من اشياء يدخرها لغده ، ويعدها لحين الحاجة اليها .. ثم حين اكتشف الانسان النار ، اصطنعها لدفئه فى الليالى الباردة ، ثم لطهى طعامه ، بعد أن كان يأكله كما يجده .. وهكذا أخذ الانسان يخطو كل يوم خطوات جديدة نحو التحكم فى الطبيعة ، وفى تسخيرها لخدمته .. فأقام القصور ، وبنى الحصون ، واتخذ الحيوان مركبا ، ثم ركب البحر ، وامتطى متن الفضاء ، وامتد ببصره الى عالم الكواكب وأخذ يرودها بالمراكب الفضائية ، حتى أمكنه ذلك من أن يضع قدميه على القمر ، يريده عالما جديدا يسكنه ويعمره !

كل هذا ـ لا شك ـ هو من ثمرات العقل ، الذى تعلم به الانسان ما لم يكن يعلم ، وكشف به من أسرار الطبيعة ما كان مغلقا دونه ، متأبيا عليه .. فكان له بذلك هذا السلطان القائم على الارض ، يبسطها ويطويها، ويمسكها ويرسلها ، حسب ما يوحى به اليه عقله ، وتهديه اليه معارفه التى وصل اليها بهذا العقل ..

• ■ •

٢ ـ فالعقل هو الانسان مختصرًا والانسان هو العقل مفصلا فى هذه الصورة الآدمية ، المشكلة من أعضاء وجوارح ، فاذا لم يكن هذا العقل ساريا فى كيان الانسان ، حاكما ومتحكما فى حركاته وسكناته ، لم يكن هو هذا الانسان ، الذى يقول خالقه جل وعلا فيه : **« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم »** ـ التين ونزع عنه هذا الوصف الكريم ، وكان على هذا الوصف الذى دفعه الله تعالى به فى قوله سبحانه فى سورة التين : **« ثم رددناه أسفل سافلين ـ »** وما رد هذا الانسان الى هذا الدرك الذى تردى فيه الا لأنه غفل عن عقله الذى أودعه الله تعالى فيه ، وزهد فى هذا العقل ، وعطل وظيفته ، وأبى أن ينظر به فى هذا الوجود ، ويتهدى به إلى الخير، ويتوقى به المزالق والعثرات ، شأنه فى هذا شأن ذى العينين السليمتين

يضع عليهما عصابة سوداء ، تحجبهما عن النور ، فلا يعرف ليلا من نهار ، ولا عدوا من صديق ، ولا مهلكةً من منجيةً .. ولو أنه رفع العصابة عن عينيه ، لرأى الليل ليـلاً ، والنهار نهارا ، ولعرف العدو من الصديق ، ولاستبان له طريق الهلاك من طريق النجاة .. وكذلك هذا الانسان الذى امتهن عقله ، وزهد فيه ، فرد بذلك الىأسفل سافلين، وتردى فى مهاوى الضلال والهلاك — هذا الانسان اذا آب الى عقـله ، واعترف بمكـانه ومكانته من وجوده ، عـادت اليـه إنسانيته ، ورد اليه ما افتقـده من منزلته الكريمة بين مخلوقات الله ، وكان من الذين قال الله تعالى فيهم : **« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر »** النصر — ٣ .

وبهذا تصح إنسانيته ، ويصـح نسبه الى بنى آدم ، الذين كرمهم الله تعالى بهذه الهبة الربانيـة ، وهى العقل ، الذى فضلهم الله تعالى به ، وجعلهم به أهلا للخلافة على هـذا الكوكب الأرضى ، وسخر لهم كـل ما فيه ، وفى هذا يقول الله سبحانه: **« ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهـم على كثير ممن خلقنـا تفضيلا »** الاسراء ٧٠) .. ويقـول جل شـأنه : **« اللـه الذى خـلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء ، فاخـرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفـلك لتجرى فى البحر بامره وسخـر لكم الآنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سالتموه ، وان تعدوا نعمـة الله لا تحصوها ، إن الانسان لظلوم كفار »** (ابراهيم ٣٢ — ٣٤) .. وما كان الانسان ظلوما الا لأنه لم يرجع الى عقله ، ولم يرفع الغطاء عن هذا المصباح الذى يكشف له بنوره معالم الطريق الى الحق ، والخير ، وبهـذا الظلم لنفسـه قد حرمها من الدليل الهـادى لها ، والناصـح المرشـد لسلامتها وأمنها .. وأما أنه كفار ، فلأنه اذ عطل هذا العقل عن النظر فى نفسه ، وفى هذا الوجـود من حوله ، فانه من اجل هذا لم يتعرف الى خالقه جل وعلا ، ولم يشهد ماله — سبحانه — من كمال وجلال ، ومن علم ، وحكمة ، وقدرة ، وأنه — جل شأنه — خالق كل شىء ومالك كـل شـىء ، وانه واحـد أحـدٌ متفرد بوحدانيته ، ليس كمثله شىء.. ومن جهل هذا من نفسه ومن خالقه ، لم يقم وجهه لله ، ولم يؤد حق الشكر لله على جليل نعمه ، وعظيم آلائه ، وكان بهذا نغمة شاذة ، غير منتظم فى لحن الوجود المسبح بحمد الله ، وكتلة باردة من لحم ودم ، لا تنبض فيها مشاعر الولاء لله ، فى مقـام العبادة مع العابدين ، الذين استجابوا لقول الله تعالى : **« وما خلقت الجنّ والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القـوة المتين »** (الذاريات ٥٦ — ٥٨) .

• ▪ •

٣ — وليس يعنينا هنا ان نبحث عن ماهية هذا العقل الذى هو منحة الله تعالى للانسان ، ولا أن نقف عند مقولات الفلاسفة والحكماء عنـه ، وهل هو إفراز من إفرازات الجسـد وما ركب فيه من أعضاء ، أم هو شىء خارج على الجسد ، متنزل من قوة عليا ، على نحو مقولاتهم المختلفة عن الروح وعن النفس — ليس من همنا الوقوف عند هذه المقولات ، وانمـا الذى يعنينا هو ان كل إنسان سليم

الخلقة ، سوىّ التركيب ، يجد فى كيانه قدرة على الإدراك والفهم ، وعلى التمييز بين النافع والضار ، والخير والشر ، وانه بهذه القوة الكامنة فيه ، يتعامل مع هذا الوجود، ويتصرف فى شئون حياته مع المجتمع الذى يعيش فيه ، محسنا أو مسيئا ، مخطئا أو مصيبا ، مقبلا أو معرضا ، الى غير ذلك مما يمليه عليه عقله ـ أو ما نسميه عقلا ـ دون أن يكون هناك سلطانٌ عليه من خارج ذاته ، يحس به ، ويخضع لسلطانه عليه .. فاذا وقع على الانسان ضغط من خارج ذاته ، وتسلط عليه سلطانٌ يحد من سلطان عقله أو يعطله ، لم يكن ما يصدر عن هذا الانسان حينئذ محسوبا عليه ، أو منسوبا له ..

فاذا لم يملك الانسان حريته ، ولم يجد وجوده مطلقا من كل قيد ، لم يكن ما يصدر عنه موضع نظر فى اضافته اليه ، ومحاسبته عليه فى مقام الاحسان أو الإساءة ، وفى موضع الثواب أو العقاب .

فحرية الانسان ، وتحرره من كل قيد وارد على تلك الحرية من خارج ذاته ، هو شرط أول فى اقامة ميزان حسابه على ما يقول أو يفعل من اقوال وافعال .. وان أى قانون وضعى أو سماوى ، لا يكفل للانسان ، ولا يضمن له هذه الحرية ، هو غير طبيعى .. فاذا كان وضعيا عُدَّ ناقصا ، واذا كان سماويا كان متهما بأنه من عند غير الله ، أو انه مدخول عليه بالتحريف والتبديل ، لأن ما يصدر عن الله تعالى لا يكون الا على الكمال المطلق الذى لا يعتريه نقص ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهنا أمر ينبغى أن نقف عنده ، وننظر فيه ، وهو تلك القوانين الوضعية أو السماوية ، التى تضبط سلوك الانسان ، وتجدد أسلوب تصرفاته فى الحياة .. الا تعد هذه القوانين ـ وضعية كانت أو سماوية ـ ألا تعد سلطانا قائما على الانسان مقيدا لسلطان عقله ، ملزما له بالخضوع والولاء لسلطان غير سلطان عقله ، وما يميله عليه هذا العقل من آراء وتصرفات إزاء ما يعرض له من شئون وشئون ؟

ونقول ان هذا الاعتراض مردود عليه من وجهين :

فأولا : ان الانسان ، لا يعيش وحده فى عالمٍ مستقل به ، منقطع عن غيره فيه ، بل انه يعيش فى مجتمع إنسانى ابتداءً من مجتمع الأسرة الصغيرة ، وانتهاءً الى المجتمع الانسانى كله .. وهو لهذا مطالبٌ بأن تكون تصرفاته منسجمة مع هذا المجتمع ، متجاوبة معه ، بحيث لا يضار فرد من افراد المجتمع بتصرف من تصرفاته ..

وثانيا : أن الناس ليسوا على وزن واحد فى عقولهم ، ولا على حد سواءٍ فى تصرفاتهم ، وما تمليه عليهم نزعاتهم ، فهم لذلك مختلفون أشد الاختلاف فى متجهاتهم ، لتحقيق رغباتهم ، والاستجابة لنزعاتهم ، الأمر الذى لو تركوا فيه وشأنهم لحدث التصادم بينهم ، ولنتج عن هذا التصادم اضطراب الحياة ، وتعطيل مسيرتها ، ووقوع الخلل والفساد فى كل شأن من شئونها ..

فهذه القوانين ـ الوضعية والسماوية ـ إنما هى لتنظم حركة الحياة بين الناس ، ولتوقى التصادم الذى لا بد أن يقع بينهم لو تركوا هكذا من غير قانون ملزم لهم بأن

يرعوا مصلحة الجماعة ، فى الوقت الذى يسمح لهم برعاية مصالحهم ، وبهذا ينتظم خطوهم ، وينفسح المجال لهم .. وذلك أشبه باشارة المرور التى تنظم حركة السيارات المنطلقة فى كل اتجاه ، فى مدينة مزدحمة بها .. فلو تركت الطرقات من غير أن تحكمها هذه الاشارات ، لوقع التصادم ، ولتوقفت الحركة توقفا تاما ..

• ▪ •

وندع القوانين الوضعية التى تخضع لظروف المجتمعات ، كما تخضع للتبديل والتغيير ، نتيجة لما يظهر من نقص فيها عند تطبيقها ، لأنها من وضع بشر ، يجوز عليهم النقص فى تقديرهم ، والخطأ فى تدبيرهم وتفكيرهم ، وهذا ليس عيبا فى الانسان ، لأن النقص بعض من طبيعته ، وانما الكمال لله وحده .. فليس يعيب الناس أن يخطئوا بعد نظر وتفكير وتقدير ، وانما العيب فى أن يكون هذا الخطأ عن قصد وعمد ، اتباعا لهوى ، وإشباعا لرغبة تحكم وسلطان !

ومن هنا كان القانون السماوى ، المنزل من عند الله ، أمرا لا بد منه ، حتى يسد هذا النقص الوارد على الانسان من طبيعته ، سواءً اكان فردا ، أو فى جماعة ..

وإنه من الحق أن نقرر هنا أن الانسان — كل إنسان — يولد على فطرة سوية سليمة ، لو تركت وشأنها تنمو فى جو صالح ، بعيد عن المؤثرات الغريبة التى تدخل عليها من الخارج ، لكانت قوةً دافعة الى الحق والخير دائما ، آخذة بيد صاحبها الى كل ما هو حق وخير ..

ولكن هناك مسارب من الظلام ، والضلال ، تتسرب الى الانسان منذ أن يولد ، وتتداعى عليه من بيئته ، ومن الوسط الإجتماعى الذى يعيش فيه ، فتغير من هذه الفطرة ، وتشوه بعض معالمها ، وتلقى عليها ظلالاً معتمةً ، فتضل طريقها ، وتحتويها الحيرة والاضطراب ، فتتعثر حينا ، وتستقيم حينا ، وقد يكون تعثرها مزلقا إلى هاوية لا تخرج منها أبدا ..

ولهذا ، كان القانون السماوى ، الذى بعث به رسل الله ، وحملته كتب الله ، هو الضمان لتلك الفطرة أن يقيلها من عثراتها ، وهو النور الذى يبدد من حولها الظلام الذى أحاط بها ، اذا هى فاءت اليه ، واعتصمت به ..

يقول الامام الشاطبى :

« إنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية فى العالم ، من أول الدنيا الى اليوم ، أن العقول — وهى نتاج الفطرة وما تلبس بها من ظروف الحياة واحوالها — غير مستقلة بمصالحها ، استجلابا لها ، أو بمفاسدها ، استدفاعا لها .. لأنها — اى هذه المصالح — إما دنيوية ، أو أخروية .

« أما الدنيوية ، فلا يستقل باستدراكها على التفصيل البتة ، لا فى ابتداء وضعها أولا ، ولا فى استدراك ما عسى أن يعرض فى طريقها ، اما فى السوابق ، واما فى اللواحق ، لأن وضعها أولا لم يكن الا بتعليم من الله تعالى ، لأن آدم لما أنزل الى الارض علم من الله كيف يستجلب مصالح دنياه ، إذ لم يكن ذلك من معلومه أولا ، الا على قول من قال : ان ذلك داخل تحت قول الله تعالى : **« وعلم آدم الأسماء كلها »**

(البقرة ـ ٣١) . وعند ذلك يكون تعليما غير عقلى ، ثم توارثته كذلك ذريته جُملةً ، لكن فرعت العقول من أصولها تفريعا تتوهم أنها مستقلة به.

ثم يقول الامام الشاطبى :

« فلولا أن منّ الله على الخلق ببعثة الأنبياء ، لم تستقم لهم حياة ولا جرت أحوالهم على كمال مصالحهم .. فالعقل غير مستقل ألبتة ، ولا يبنى على غير أصل ، وانما يبنى على أصل مُسلم على الاطلاق ..

والذى يقرره الامام الشاطبى ، هو واقع مشاهد ، يكاد يكون فى حكم البدهيات .. فالانسان بعقله فى حاجة دائما الى حراسة أمينة تقوم عليه ، وتتعهده بالرعاية ، والتوجيه، كما يتعهد الأب صغاره ، وكما يتعهد الزارع زرعه ، وإلا عدت عليه الآفات وأتت عليه المهلكات ، فلم يطلع زهرا، ولم ينضج ثمرا ..

• ▪ •

٤ ـ هذا ، وليس قولنا بهذا الهدى الربانى المرسل من عند الله رحمة بعباده على أيدى رسله ، وما أنزل عليهم من كتبه ، تحمل الى الناس شرع الله تعالى ، وما رسم لهم من معالم ، وما حد لهم فيها من حدود ، إذا هم استقاموا عليها هدوا ورشدوا ، وسعدوا فى الدنيا والآخرة جميعا ، وان هم خرجوا عليها ، واخذوا طريقا غير طريقها ، ضلوا وغووا ، ولبستهم الشَّقْوة فى الدنيا والآخرة جميعا ـ ليس قولنا هذا ، بالذات يجور على مكانة العقل ، وعظيم شأنه وقدره فى بناء الحياة المادية والروحية للانسان ، وفى إسهامه بخطه الطيب من الحياة الدنيوية والأخروية ، إذا هو أخذ وضعه الصحيح فى الانسان ، وقام بأداء وظيفته على وجهها ..

فالعقل هو السبيل الى معرفة شرع الله تعالى ، وهو الوسيلة التى يتوسل بها الى ما يدعو الله تعالى اليه من معروف ، وما ينهاه عنه منكر وإنه لولا هذا العقل ما كان الانسان أهلا لخطاب الله تعالى ، ولا كان موضعا لحمل التكاليف الشرعية التى يكلف الانسان العاقل الرشيدُ بها من عند الله .. ولهذا لم يكن الصبىّ ، ولا المجنون ، ولا المعتوه ، ممن لم تنضج عقولهم ، أو غابت عنهم عقولهم ـ لم يكن أحدٌ من هؤلاء أهلا للتكليف ، ولا موضعا للحساب والجزاء ..

واذا كان هناك من ينكر على العقل وجوده ، مع شرع الله ، فلا يرى للعقل حقا فى أن ينظر فى هذا الشرع ، ولا أن يتعرف على بعض الحكمة فى إتيان ما أمره الله تعالى بإتيانه من طاعات ، وقربات ، واجتناب ما أمر الله باجتنابه من مآثم ومنكرات ..

واذا كان هناك أيضا من يجعل العقل سلطانا حاكما على الشرع ، يَرُد اليه كل مقررات الشرع وأحكامه فما قبله العقل من مقررات الشرع وأحكامه ، قبله ، واستقام عليه ، وما لم يقبله ، ولم يرضه ، تركه ، وأعرض عنه .

نقول : ان كلا الفريقين جائر عن الحق ، ضالٌ عن سواء السبيل ..

فالذين ينكرون على العقل مكانه من النظر فيما يأتيه من شرع الله ، هم يعطلون نعمةً من نعم الله ،

أرادهـا الله تعالى أن تكون عينـا مبصرة للانسان ، يرى بها جلال عظمة الله ، وكمال علمه ، وحكمته ، وقدرته سواءً أكان هناك رسول من عنـد الله ، أو كتاب منزل من عنده ، أو لم يكن هذا أو ذاك .. فالانسـان مطالب بأن يكون دائما ذاكرا ربه ، ناظـرا ومفكرا فى بديع صُنْعه ، وعظيم آياته ، فيما أبدع وصور ، فى ملكوت السموات والأرض ، يقـول الله تعالى : **((قل انظروا مـاذا فى السموات والأرض))** (يونس — ١٠١) ويقول جل شأنه : **((أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ، وما لها من فروج • والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب))** (ق — ٦ — ٨) .. ويقول جل شأنه فى مقام من مقامات ذكره من عباده المؤمنين : **((إن فى خـلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب • الذين يذكرون الله قيامـا وقعـودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سـبحانك فقنـا عـذاب النـار))** (آل عمران ١٩٠ — ١٩١) .

ولم يسأل هؤلاء الذين ينكرون على العقل وجوده فى أضواء شرع الله — كيف يكون ذكر الله ؟ ومن أين تفيض مشاعر الخشية والجلال لله ، وليس ثمة عقل يدرك ، ويعى ، ويتأثر ، وينفعل بما أدرك ووعى ؟ وما الفرق إذن بين من يعقل ومن لا يعقل ؟ ومن يعلم ومن لا يعلم ؟ والله سـبحانه وتعالى يقول : **((قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون))** (الزمر ٩) .. ويقول جل شأنه : **((وما يستوى الأعمى والبصير • ولا الظلمات ولا النور • ولا الظل ولا الحرور • وما يستوى الآحياء ولا الأموات))** (فاطر ١٩ — ٢٢) .. **فقد جعل الله تعالى** أصحاب العقول المبصرة الفاقهة هم الأحياء فى الناس ، على حين جعـل — جل شأنه — الذين لا يفكرون ، ولا يفقهون من عالم الأموات ، وان كانوا معدودين فى عالم الأحياء .. وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله : **((أمواتٌ غير أحياء))** (النحل — ٢١)

كذلك لم يسأل هؤلاء الذين أعطوا العقل سُلطانا فوق سلطانه ، وأقاموه فى هذه العزلة الباردة ، منقطعا عن أمداد الله ، مستغنيا عن هُـداه ، فحجبوه بذلك عن النور الذى يهديه ، وعن الزاد الذى يتزود به فى مسيرة حياته ، نحو مواقع الحق ، ومجـانى الخير !!

نقـول ولم يسـأل هـؤلاء الذين يضعون العقل بهذا الأفق العالى ، دون أن تكون له أجنحة يحلق بها — لم يسألوا أنفسهم : ماذا يضير العقل اذا هو اهتدى بهذا الهدى الربانى ، واتخذه رفيقا يؤنسه ، وهاديا يهديه ؟

الم يرد العقل موارد العلم ينهل من كل مورد منها ما قدر عليه ، وبلغه جهده ؟ وهل بلغ العقل الانسانى ما بلغ من علم ومعرفة الا بما تلقى من يد الحياة من زاد العلم والمعرفة ؟ وهل اختلف الناس ، إدراكا ، وفهما الا باختلاف حظوظهم من هذا الزاد الذى زودتهم الحياة به ، من تعاملهم معها ، وتقليب أنظارهم فى مختلف وجوهها ؟

فلم إذن يفرض هذا الحرمان على العقل أن يرد شريعة السماء ، وأن يستقى من ينابيعها الصافية العذبة ، وأن يقطف من ثمارها الطيبـة المباركة ؟ وهل من العدل ، ومن العقل

ان يُطلق العنان للعقل ، يهيم فى كل واد ، ويأخذ كل طيب وخبيث ، مما على الأرض من خير وشر ، ثم يُراد للعقل أن يبتعد عن المائدة السماوية الممدودة له من الله ، وأن يُطلب اليه ان يعافها ويزهد فيها ، مستغنيا بما يقضم من هذا المرعى الأرضى المشوب بتراب الأرض وطينها ؟ افهذا مما يقبله العقل نفسه ، إذا لم يركبه الغرور ، ويستبد به العناد ؟

إن كلا الفريقين ــ الفريق المستعلى بالعقل الى الحد الذى يجعل منه إلهاً قائما على الارض ــ والفريق الهابط بالعقل الى عالم البهائم ــ كلا الفريقين بعيد عن الحق ، ظالم للعقل .. فليس العقل إلهاً مع الله ، وليس العقل أداة معطلة ، وانما هو قوة منتجة فعالة ، ولكنها قوة تعتمد على جناحين ، جناح أرضى ، وآخر سماوى وان كلاً من الجناحين يُساند الآخر ، ويحفظ توازن الانسان فى صعوده أو هبوطه ، تماما كجناحى الطائر ، حين يحلق فى الجو ، أو يستوى على الأرض ..

هذا ، وقد غالى المعتزلة فى قدر العقل ، واعتبروه قادرا على امتلاك ناصية الانسان ، وإقداره على تحديد خط سيره ومصيره ، واتفقت فرقهم المختلفة على أن العبد قادرٌ خالق لأفعاله ، خيرها وشرها ، دون أن يكون خاضعا فى هذا لقوة عُليا مؤثرة فى خلق أفعاله ، واذ كان الانسان ــ بما فيه من عقل ــ يملك هذا الاستقلال والتفرد فى خلق افعاله ، فهو لهذا مستحق للثواب والعقاب ، فيثاب على الحسن من أفعاله ، ويُعاقب على السىء منها .. وقالوا لو أن الله تعالى كان مريدا لفعل الشر ممن يفعلونه ، ثم عاقبهم عليه لكان ظالما ، وهو سبحانه منزه عن الظلم . وإذن فالعبد هو الذى يخلق كل أفعاله ، حسنها وقبيحها .. هكذا يقولون فى جراة على الله ، وباحتكام مطلق الى العقل البشرى..

وكما غالى المعتزلة فى نظرتهم الى العقل وتقديرهم لمنزلته ، فكذلك جارت بعض فرق المتصوفة - على العقل - وكادت تلغى وجوده ، وتنكر مقامه فى كيان الانسان ، وأثره فى تصريف شئونه فى الحياة ، إذ يُحيلون كل أفعال الانسان الى القدر المحتوم - والحكم المحكوم ، وهذا معناه نفى المسئولية عن الانسان ، الأمر الذى لا يُفرق فيه بين حسن وقبيح ، وبين من يُحسن ومن يسىء .. وهذا من شأنه ان يفسد نظام الحياة الانسانية ويُحيل المجتمع الانسانى الى قطيع من الحيوان ، ليس بين أفراده فاضل أو مفضول !!

• ▪ •

٥ ــ وقد جاء الاسلام فوضع الانسان بمكانه الصحيح بين المخلوقات فهو ليس من عالم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وليس من عالم الشيطان الذى هو شر محض .. بل الانسان مزيج من الخير والشر ، يحسن ويسيىء ، ويعلو ويهبط .. وكذلك العقل الانسانى ، يجمع بين القوة والضعف ، ويُحلق فى السماء ويهبط الى الأرض ..

والانسان مطالب بأن يرعى هذا الغرس الطيب فيه ، وأن ينميه ، حتى لا تكثر فيه النباتات الطفيلية المتسلقة ، فيمتص ماء الحياة منه ، وتحيله هشيما تذروه الرياح .. وفى هذا يقول الله تعالى : ((**ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها .**

قد أفلــح من زكاها . وقد خاب من دسَّاها » (الشمس ٧ ــ ١٠) .

ان الاسلام يعترف بالعقل الانسانى ويجعــل له ســلطانا له شــأنه فى استقامة الانسان أو انحرافه ، وأن هذا العقل اذا اهتدى بنــور الله ، واستقام على طريق هــذا النور ، ضمن السلامة والسعادة فى الدنيــا والآخرة ، وانه اذا استبد به الغرور ، وركبه الجهل والعناد ، فلم يقبس من هذا النور الإلهى ضل وشقى ، وورد موارد التهلكة : **« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »** (النور ٤٠)

والانســان ــ فى الاســلام ــ مسئول ، ومحاسب على تقصيره فى حق عقله ، اذا هو لم ينتفع به فى الحياة ، ولم يحتكم اليه فى كل ما يعرض له من ماديات ومعنويات .. فاذا ما افتقد الانسان هــذا العقــل ــ خلقة أو عرضا ــ لم يكن موضعا للحساب والجزاء .

يقول الامام الغزالى ، فى مقــام الحديث عن العقل ، ومكانته فى هداية الانســان :

« اعلم ان شرف العقــل هو من حيث كونه مظنة العلم والحكمــة ، وآلة لهما .. ونفسُ الانسان هى معدن للعلم والحكمة ، ومنبع لهما ، وهما مركوزان فيها فى أول الفطرة ، بالقوة لا بالفعل ، كالنار فى الحجر ، والنخلة فى النواة ..

ولا بد من مسعى فى إبراز العــلم والحكمة بالفعل، كما لا بد من مسعى فى حفر الآبار لخروج الماء من الأرض وغرس النواة وسقيها لتخرج النخلة الكامنة فيها .

ثم يقول الغزالى :

« ولكون العلوم مركوزة فى النفس كما يقول الله تعالى : **« وإذ أخــذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى »** (الاعراف ١٧٢ .. فالمراد بهــذا إقــرار نفوســهم ، المعنى الذى أشرنا اليه ، من كون العــلوم مركوزة بالقوة وليست موجودة بالفعل ولو كانت موجودة بالفعــل لأقروا بألسنتهم دون نفوسهم .. والى ذلك يشير قوله تعالى أيضا :

« فِطرة الله التى فطر النــاس عليها » (الروم ٣٠) .. فكل إنسان فُطر على الايمان ، وما جاء الأنبياء الا بتوحيد الله .. ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة ، انقسم الناسُ الى من أعرض ونسى ، وهم الكفار ، والى من أجال خاطــره ، فتذكر ، وكان كمن حَمــل شــهادة فنسيها ثم تذكرها ، ولذلك قــــال الله تعــالى : **« لعلهم يتذكــرون »** (البقــرة ٢٢١) .. **« وليذكّر أولو الألبــاب »** (ابراهيــم ٥٢) .. **« واذكروا نعمة الله عليــكم وميثاقه الذى واثقكم به »** (المائدة ٧) .. **« ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر »** (القمر ١٧) ..

« والتذكر ضربان : أن يتذكر المرء صورة كانت مكتسبة فى قلبه بالعقل ثم غابت عنه .. وضرب آخر ، وهو أن يكون تذكره لصورة مضمنة بالفطرة فى الانسان ، ولذلك قال المحققون : التعلم ليس يجلب للانسان شيئا من خارج ، بل يكشف الغطاء عما حصل فى النفوس بالفطرة ، كحالَ مظهر الماء من الارض ، ومَظهر الصــور فى المرآة بالجلاء .

ويزيد الامام الغزالى الأمر وضوحا حين يتحدث عن العقل ، ومكانه من الشرع ، فيقول :

« اعلم ان العقل لن يهتدى الا بالشرع ، والشرع لن يتبين الا بالعقل والشرع كالبناء ، ولن يغنى اس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن اس . .

« فالعقل كالبشر ، والشرع كالشعاع ، ولن يغنى البصر ما لم يكن شعاع من خارج ، ولن يغنى الشعاع ما لم يكن بصر ، ولهذا قال الله تعالى : **« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سُبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه »** (المائدة ١٥ ، ١٦) . .

« العقل كالسراج ، والشرع كالزيت الذى يمده ، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج ، وما لم يكن سراج لم يُضىء الزيت ، وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله : **« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يُوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يُضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء »** (النور ٣٥) . . فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان ، بل متحدان ، ولكون الشرع عقلا من خارج ، سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر فى غير موضع من القرآن ، كقوله تعالى : **« صُمٌ بكم عمى فهم لا يعقلون »** (البقرة ١٧١) . . ولكون العقل شرعا من داخل فقد قال تعالى فى صفة العقل : **« فِطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم »** (الروم ٣٠) . . فسمى ــ سبحانه ــ العقل دينا ، ولكونهما متحدين ــ اى العقل والشرع ــ قال : **« نور على نور »** أى نور العقل ونور الشرع . . ثم قال : **« يهدى الله لنوره من يشاء »** فجعلهما نورا واحدا . . فالشرع اذا فقد العقل لم يظهر به شىء وصار ضائعا ــ كما يضيع الحق عند الجهلاء ــ ضياع الشعاع عند فقد نور البصر . . والعقل اذا فقد الشرع عجز عن اكثر الأمور عجز العين عند فقد النور » .

• ▪ •

٦ ــ لقد حرصنا على ان ننقل راى الامام الغزالى هنا ، وحكومته فى قضية العقل والشرع ، لأن الغزالى ، كان أول الأمرفيلسوفا ، أراد ان يصل بعقله ــ عن طريق الفلسفة ــ الى الحق الذى يطمئن اليه قلبُه . . ثم لما لم ينل طلبته عن هذا الطريق ، انتقل الى الطريق المضاد للعقل ، بعد أن ازدراه ــ وزهد فيه ، وبدا له ان العقل هو الآفة التى تحجب طريق الوصول الى عالم الحق ، والاتصال به ، فسلك بهذا طريق التصوف ، وكاد يغرق فى متاهات التواجد والشطحات ، لولا ان أدركه عقله الفلسفى ، الذى لزم صحبته ، وظل على قرب منه . . وهنا كان موقف الغزالى الذى اتخذه فى هذا الطور الأخير من حياته ، وهو موقف يجمع بين العقل والشرع حيث يأخذ كل منهما مكانه فى الانسان إذ لا حياة له بأى واحد منهما دون الآخر . .

وهذا الموقف الذى وقفه الغزالى من المؤاخاة بين العقل والشرع ، هو الموقف الذى يرتضيه الاسلام ، ويدعو

أتباعه اليه ، فالاسلام اذ يحمل الى الناس شرع الله تعالى اليهم ، لم يسلبهم حق عقولهم من النظر والتفكير فيما جاءهم من عند الله ، ولهذا كان من الأسس التى قام عليها الاسلام : أنه لا إكراه فى الدين ، كما يقول الله تعالى : **« لا إكراه فى الدين »** (البقرة ٢٥٦) وكما يقول سبحانه لنبيه الكريم : **« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »** (يونس ٩٩) .. وكما يقول جل شأنه : **« إنما أنت مذكر . لست عليه بمصيطر »** (الغاشية ٢١ ، ٢٢)وذلك أن أى رأى ، أو معتقد يفرض على الانسان فرضا من غير أن يكون له نظر فيه ، أو تقدير له ، لا يمكن أن يقوم فى كيان الانسان مقاما متمكنا مطمئنا ، ولا يمكن أن يتولد عنه عمل تغذيه رغبة ، أو تنعقد عليه نية ، أو تمضيه عزيمة ..

لهذا كان العقل فى الاسلام ركيزة قوية من ركائز هذا الدين ، وان ميزان العقل فى الاسلام ليرجح بمقدار ما فيه من علم ومعرفة ، فيعظم قدر العقل أو يصغر بما حصله من علم ، وبما وقع له من هذا العلم من حسن إدراك ، وسلامة فهم وفقه ، ولهذا كان مما امتن الله تعالى به على رسوله الكريم ذلك المعلم الإلهى الذى علمه إياه ، كما يقول سبحانه : **« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما »** (النساء ١١٣) .. ويقول سبحانه فيما أنعم به على العبد الصالح ــ صاحب موسى عليه السلام ــ والذى جاء اليه موسى ليتعلم منه ما علمه الله من علم : **« فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما »** (الكهف ٦٥) .

وابواب العلم كثيرة فسيحة ، لا حصر لعددها ، ولا حد لانفساحها .. وانه مهما انفق الانسان من جهد ، ومهما بلغ من علم ، فانه لا يزال على شاطىء هذا المحيط الذى لا نهاية له .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : **« وفوق كل ذى علم عليم »** (يوسف ٧٦) .. وقوله جل شأنه : **« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »** (الاسراء ٨٥) ..

ولما كان العقل ، وما يحصله من علم ، هو الطريق الى الله ، والدليل الى التعرف عليه ، والايمان به ، فان أقرب الناس الى الله هم العلماء الذين فتح لهم العلم بصائر تنظر بنور الله ، وتتهدى به الى مواقع الخير ، والحق ، والاحسان .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : **« إنما يخشى الله من عباده العلماء »** (فاطر ٢٨) .. وقول الرسول الكريم : « العلماء ورثة الأنبياء » . أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه . من حديث أبى الدرداء ..

وهذا ــ لا شك ــ هو بعض السر فيما جاء فى القرآن الكريم من ذكر كثير للعلم ، فى مقام التنويه به ، والحمد لأهله .. فقد ورد ذكر العلم ومشتقاته أكثر من خمس وسبعين وسبعمائة مرة .. الأمر الذى لم يكن لمعنى من المعانى غير هذا المعنى الكريم ، وذلك لما له من آثار جليلة ، وثمرات طيبة مباركة ، حيث كان ، وفى أى موقع وجد .

وانه ليكفى العلم شرفا ، وجلالا وعظمة أن كان الأكثر من صفة من صفات الكمال لله ، فهو ــ سبحانه ــ عالم ، وعليم ، وعلام .

فمن لم يكن من المسلمين على غير علم فى دينه ودنياه ، فان هيهات أن يسلَم له دين ، أو تطيب له حياة .. والعقــل هو وعاء العلم ، وخــزانة جواهره التى ينفق منها صاحبــه ، وينال بها رغائبه من كل خير فى دينه ودنياه جميعا .. ولم يحرم الله تعالى احدا من هذه النعمة الجليلة الكريمة ولكن المحــرومين منها هــم الذين اهملوها ، أو نسوها ، أو افسدوها ، فجنايتهم على أنفسهم ، وانه لا خلاص لهم مما فيه الا بايقاظ عقــولهم من رقدتها ، وتوجيهها الى مجالس العلم، حيث تغتذى عقولهــم ، وترشــــد مداركهم ، وتستضيىء بصــائرهم ، وتستبين لهم معالم الطريق الى الحق والخير ، فلا يضلون مع الضالين ، ولا يهلكــون مع الهالكين : « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ، أمَّن يمشى ســويا على صراط مستقيم » (الملك ٢٢) .

الحرفة :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « انى لأرى الرجل فيعجبنى ، فأسأل اله حرفة .. ؟ فان قيل : لا .. سقط من عينى » .

القيــام :

قال صلى الله عليه وسلم : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ، وأيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجههــا الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهــه الماء » .

أدب رفيع :

قال تعالى : « **يايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » .

أدب الاعتذار :

قال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين غضب عليه :
ــ يا امير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظــــة ، وأنت تجل عن العقــوبة ، ونحن مقرون بالذنب ، فان تعف عنى فأمل ذلك أنت ، وان تعاقبنى فأهل ذلك انا .

الفتاوى

التبنى ..

السؤال :

وجدت طفلا لقيطا وفرحت به زوجتى لأننا لا ننجب أطفالا فما حـــكم التبنى لهذا الطفل .. ؟

الجواب :

التبنى بمعنى جعل الطفل ابنا لمن يتبناه بحيث يترتب على هذا التبنى ان يأخذ الميراث وان يثبت له النسب وكل أحكام البنوة من اباحة اختلاط وحرمة زواج وغير ذلك . هذا التبنى باطل فى الاسلام سواء كان الطفل معروف النسب أم مجهول النسب لقوله تعالى : « **وما جعل ادعياءكم أبناءكم** » وقوله تعالى : « **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الــدين ومواليكم** » .

ولا خلاف بين الائمة فى هذا الحكم وبه بطل ما كان معروفا فى الجاهليـــة وصدر الاسلام من التبنى .

اما التبنى بمعنى كفالة الطفل وحفظه من الهلاك واعاشته وتربيته والقيام بشئونه دون الحاق النسب بمن يتولى أمره فهذا محمود فى الدين .

وبهذا يثبت لكما أجر تربية طفل تعرض للضياع وسواء كان الطفل من أبوين مسلمين أم غير مسلمين فهو مسلم لان كل مولود يولد على الفطرة ولان مجهول النسب مسلم حكما لوجوده فى دار الاسلام .

... ـــ ...

التداوى فى الاسلام

السؤال :

بعض المرضى تكتب له آيات من القرآن الكريم فى اناء ثم تمحى بالماء ثم يؤمر بشربها بقصد التداوى .. فهل هذا جائز شرعا .. ؟

الجواب :

ان القرآن الكريم لم ينزله الله دواء لامراض الابدان وانما انزلـــه الحق سبحانه دواء لأمراض القلوب وجعله شفاء لما فى الصدور قال تعالى : (**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**) .

وقال : « **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** » فلا ينبغى بعد هذا البيان القرآنى أن تكتب الآية القرآنية الحكيمة فى اناء ثم تمحى بالماء ثم يؤمر المريض بشربه أو

ان تكتب الآية فى ورق صغير ويحـــرق ويبخر بها المريض كما يفعل بعض العوام . لأن هذا انحراف بالقرآن الكريم عما انزل لأجله واستغلال لأصحاب العقــول الضعيفة وصرفها عن العلاج المطلوب ، ومعلوم ان الأمراض البدنية قد خلق الله لها عقاقير طبية وجعلها من اسباب الشفاء ، وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مريض يعوده فلما رآه طلب من اهله ان يرسلوا الى طبيب فقال قائل وانت تقول ذلك يا رسول الله .. ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم ان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له دواء .

وهذا ارشاد نبوى وتعليم للأمة ان التداوى من الأمراض البدنية انما يكون عن طريق الطب الــذى يتوصل الى معرفة الداء ثم يصف له الدواء ، هذا هو الواجب فى معالجة الأمراض البدنية ، اما أمراض القلوب ففى اشراقات القرآن شفاؤها ودواؤها اذا تدبرته وتفتحت له وكم عالج القرآن الكريم مرض الجهــل بالعلم ومرض الشبهة بالبرهان وصدق الله تعالى اذ يقول : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » .

... ـــ ...

حول تربية الـــكلاب

السؤال :

ما حكم اقتناء الكلاب وهل تبيح الشريعة الاسلامية اتخاذها للترف واللهو واصطحابها كما نرى ذلك عند بعض العائلات فى عصرنا الحاضر .

الجواب :

مما لا شك فيه ان الكلب المعلم يؤدى خدمات نافعة لاستخدامه فى حراسة الماشية وحراسة المزارع وفى مصالح أخرى مثل انقاذ الغرقى على الشواطىء واقتفاء آثار المجرمين ويستعمله الانسان فى صيد الحيوانات كما اشار الى ذلك القرآن الكريم يقول الله تعالى فى سورة المائدة : « **يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه** » .

فاتخاذ الكلاب للأمور النافعة بعد تعليمها وتدريبها على القيام بها جائز شرعا ويجب على من اقتنى كلبا من هذا النوع ان يتخذ الاحتياطات التى امر بها الشارع من ان الكلب اذا ولغ فى اناء فانه يغسل سبع مرات احداهن بالتراب وأنه لا يسمح للكلب بدخول المكان المخصص للنوم او الأكل او المعيشة .

أما انواع الكلاب التى لا تستخدم فى الامور النافعة فلا يجوز اقتناؤها وذلك مثل من يقتنيها للتدليل واللهو او يتخذ منها تابعا له يركبه معه فى السيارة أو يجعله فى البيت بلا حاجة اليه أو ليلعب به الأولاد ـــ وذلك لأن الكلب نجس وكل ما لمسه الكلب من الآنية والثياب نجس فى مذهب اكثر العلماء .

ومن المؤسف أن بعض العائلات تخصص مبلغا من ميزانية البيت لاطعام الكلب من لحم وغيـــره وقد يصل هذا المبلغ الى رقم يكفى عائلة من العائــلات الفقيرة وما ينبغى أن نحرم مجموعة من الأفراد الجائعة ونطعم كلبا ليس فى اقتنائه اية فائدة . كما ان الأبحاث الطبية اثبتت ان هذا النوع من الكلاب مع تطهيرها تحمل أنواعا عديدة من الطفيليات الخطيرة التى تصيب الانســـان والحيوان على السواء .

جهل وافتراء

ودفاع عن الشريعة الإسلامية

للأستاذ
سعد صادق محمد

عثرت ـ بطريق الصدفة ـ على مجلة اسبوعية ، بها مقال لأحد رجال القانون فى جامعة كبيرة ، بها هذه البهتة الجهلاء « ان الرجوع الى النظم الاسلامية بعد ان ادمجنا قوانينا فى مجموعة القوانين التى يسير عليها المجتمع الدولى ، ينطوى على معنى الرجعية المناهضة لسنن التطور » .

ذلك نص ما كتبه ذلك الأستاذ المربى الذى وكلت اليه الدولة مهمة تربية فريق من شبابنا ، وارشادهم الى الطريق الصحيح الذى يستطيعون به خدمة أمتهم ووطنهم ، ويسعون لتحقيق المثل العليا للقيم الدينية ، والخلقية ، والاجتماعية ، وتقويم ما يعرض عليهم من قضايا الحياة بالحق والعدل . . لكن الأستاذ المربى راى ان خير ما يلقنه للشباب هو : ان المجتمع الدولى أحكم وأعدل من الله ، وان شرعة الله لا تستطيع اقامة الحق ، ولا نشر الفضائل ، ولا أن تأتى بالخير والعدل وان الحكم بكتاب الله رجعية تناهض سنن التطور .

ولقد شخصت ببصرى طويلا الى اسم ذلك المربى الفاضل ، لعلى أقف منه على ما يدلنى على قومه ودينه ، غير انى مع شديد الأسف ـ ارجعت الطرف متألم الفكر ، حزين القلب ، اذ كنت أتوقع أن يكون القائل بهذه البهتة الرعناء غير مسلم ، فيمكن أن نلمس

له عذرا فيما يرمى به الاسلام ، لكن ظهر ان اسمه يدل على انه ينتسب باسمه ـ فى شهادة الميلاد ـ الى دين الاسلام الذى يرميه ـ هو وامثاله من اصحاب الثقافة الغربية بالرجعية والتخلف عن سنن التطور .

لقد كنت احسب أن يكون هذا القانونى من اصل انجليزى ، أويهودى أو شيوعى ، فيمكن القول : انها شنشنة صادرة من عدو حقود .

وعدت اقول : لعل الفرية التى ترمى الاسلام بالرجعية صادرة من رجل امى الفكر ، لا يميز بين الحق ، والباطل ، أو بين الايمان ، والكفر ، بل لعله لا يفرق بين فلق الصبح الوضاء وظلام الشتاء الدامس . لكن الصدمة كادت تصعقنى عندما علمت ان الفرية صادرة من استاذ كبير ، يدرس القانون فى جامعة كبيرة .. وخرجت صيحة حزينة من اعماق قلبى ـ أسفى عليه : يا لضيعة الشباب ، اذا كان الذى يشرف على تثقيفه مثل هذا الاستاذ . لقد دال الاستاذ حين بهت شريعة الله المحكمة المطهرة بالرجعية ـ على أن فريقا منا لا يزال يعيش تحت سيطرة الافكار الغربية الطاغية ، وما زال هذا الفريق يذل للمستعمر ، ويؤمن بما يضمره للاسلام واهله من شر وعداوة وبغى .

يريد منا الاستاذ « داعية الجاهلية الغربية » أن ننبذ شريعتنا المحكمة ونكفر بما تضمنتها من قواعد العدل ، والخير ، والكرامة ، لندين بشريعة الغرب الداعية الى الفساد ، والتحلل والبغى ، والذل .. يريد منا ذلك القانونى أن نلغى شريعة الاسلام التى حررت الانسان من ذل العبودية لغير الله تعالى ، وجعلت الفرد يعرف قدر نفسه ، ويتأكد من وجود شخصيته فى المجتمع .. يريد هذا الداعية الغربى ان يعمل العرب على تدمير عروبتهم ، وتحطيم اسلامهم ، حتى يفقدوا روحه ومقوماته ، وبذلك تذوب الشخصية الاسلامية العربية فى قوانين الغرب ، وشريعته ، وقوانينه وحياته ، ويصبح العرب والمسلمون تابعين للدم الأزرق الخبيث .

يريد منا هذا المبشر بأفكار الغرب الباغية ، أن ندين بما دان به ، وأن نعتقد بما اعتقده ، وأن نقيم على شريعة الغرب بناء حياتنا الفكرية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وأن ننشىء على ثقافتهم ، أولادنا والأجيال القادمة من المسلمين والعرب .

اننى اريد أن اقول لاستاذ قانون الغرب ـ لقد جاء لنا الاسلام ، بشريعة سامية تفيض على الانسان بالرخاء والحرية ، ويستشعر فى ظلها بالعدالة ، والمساواة ، ويتعامل على اساسها مع اعضاء مجتمعه فى ود ، وتكافل ، ورحمة ، وتعاون .

ان الشريعة الاسلامية التى يرميها الاستاذ القانونى ، وغيره من احلاس الغرب ، وعبيد شهواته ، هى التى صنعت من الصدر الأول رجالا وابطالا ابتدعوا نظما عسكرية ناجحة حققت لهم النصر على اعدائهم ، بل ونالت شهادة القواد الغربيين انفسهم ، حين طبقوا هذه النظم فى حروبهم ، وانتصروا .

والشريعة الاسلامية ، هى التى جعلت من قلوب كانت تذل للاصنام والطواغيت ، وتشركها مع الله فى الحب والتقديس ، قلوبا عامرة بالتوحيد الخالص ، والعبودية التامة ، ومن قلوب أشربت روح الغلظة والوحشية فى الجاهلية ، وتعلقت بعاداتها

وتقاليدها الموروثة ، قلوبا لينة رحيمة تؤمن بالحق ، والعدل ، والاخاء الانسانى .

والشريعة الاسلامية ، هى التى جعلت من الصدر الأول حكاما عادلين أظلوا العالم بنظم ادارية عادلة ونشروا فى الدنيا معالم تشريعات ، فاضت على الناس بالسكينة والامن والرخاء فاستحق هؤلاء أن يصفهم القرآن الكريم بقول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وانها لشهادة عظيمة ، من رب عظيم ، ما كان هؤلاء الرجال العادلون لينالوا شرفها لو لم يتمسكوا — عقيدة وقولا وعملا — بشريعة الاسلام التى يبهتها الاستاذ داعية شريعة الغرب بالتخلف ، ومناهضة سنن التطور .

والشريعة الاسلامية ، هى التى جعلت الصدر الأول ، يخرجون من مكة — وهم قلة قليلة وبعد فترة من الزمن ، يفتحوا بلادا ويمتلكوا امصارا ويذلوا جباها جبارة ، ويخضعوا رؤوسا متعالية ثم استطاعوا ان ينشئوا دولة اسلامية ، بلغت فى أيامهم اقصى ما تبلغه دولة طامحة من السيادة والسعة والازدهار ، اذ امتدت حدودها من الصين شرقا الى الاندلس غربا ، وملأت هذه الرقعة الكبيرة مجدا وعلما وحضارة ، كانت هى الاساس الذى بنى عليها العصر الحديث حضارته وتقدمه .

ولا نحسب ان الاستاذ القانونى يجهل التاريخ الذى سجل للاسلام ، ما شيده من حضارة ومجد وعظمة فى مضمار العلوم والمعرفة ، فان هذه الحقائق ثابتة وواضحة ، يعرفها من نال أقل قسط من التعليم ، ولا ينكرها فى رابعة النهار .

ثم ان الاسلام ، لم يترك جانبا واحدا من جوانب الحياة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية الا وتناولها بالتنظيم والتأسيس ، بصورة عادلة حكيمة لا خلل فيها ولا عوج ، بحيث لم تترك بابا لمرتاب ، أو شاك ينفذ منه ، لينتقد النظم الاسلامية ، ويطالب بنظم اخرى أفضل منها .

ولو أردنا ان نذكر هنا ما جاء به التشريع الاسلامى من مبادىء ، وأحكام ، ووصايا ، لتنظيم هذه الجوانب الحيوية ، لضاق المجال عن ذكره ، اذ لا تستوعبه الا مجلدات ضخمة .

ويطل علينا سؤال من خلال هذه القضية ، لنوجهه الى هذا الاستاذ : ادرست ما فى الكتاب والسنة من شريعة مطهرة ، قراءة انسان مؤمن بها ، مؤمن بربها ، مؤمن بمن ابلغها للناس صلى الله عليه وسلم ؟ أما أن تكون قد قرأتها ، ولكن لم تفقه شيئا مما قرأت ، لانك القيت أمامك ظلا كثيفا من ظلام قوانين الغرب ، والتعصب الأعمى له ، فحجب ذلك ، الرؤية عنك ، فلم تر شيئا من نور الشريعة الاسلامية . . . وأما انك لم تقرأ شيئا من الكتاب ، والسنة ، فلم تؤمن بشىء منهما ، فذهبت تحكم بهواك وضلالك على الشريعة الاسلامية ، بانها مناهضة لسنن التطور ، ومخالفة لقوانين التقدم المزعوم ، وبهذا اعلنت الباطل المظلوم على الحق المشرق ، ووضعت القيد فى يد المجنى عليه ، بدلا من وضعه فى يد الجانى اللئيم .

وربما يكون الاستاذ القانونى قد اراد بما رمى به الشريعة ، احكام الاسلام فى قطع يد السارق ، وجلد او رجم الزانى ، وغير ذلك من الأحكام التى وضعها الحكيم الخبير ، لحماية المجتمع الاسلامى من شهوة الفرد ، ومن بغيه وطغيانه ، فهو ينظر الى الاسلام من خلال هذين الحكمين « قطع يد السارق ، وجلد أو رجم الزانى » لكن ... هل الاسلام هو هذا فحسب ؟ ! أم هو مجموعة أحكام وتشريعات جاء بها الكتاب والسنة ومنها هذين الحكمين لاصلاح المجتمع الاسلامى وتقويمه ، وتهذيبه ، وتطهيره ، وتوجيه افراده الى حياة طيبة هانئة آمنة ؟ .

لقد سجل التاريخ ، أن الانسانية لم تسعد فى حياتها ، بمثل ما سعدت به فى حكم الصدر الاول الصالح . وفى ظل حكوماته الدينية الرشيدة العادلة .

كان الفرد فى تلك المجتمعات الصالحة ، يعمل بوحى من خشية الله وتقواه ، فلم يجد الحاكم سارقا يقطع يده ، ولا زانيا يرجمه او يجلده ، الا قلة قليلة معدودة من الناس كانت تعد على أصابع اليد الواحدة ، واذا سقطت تلك القلة فى جريمة استيقظ فيها الوجدان الدينى ، فجاءت معترفة(١) بما جنت ، ليقام عليها الحد ، وأملها ان تلقى الله نظيفة الايمان ، فأين هذا ، مما نسمع به اليوم فى الدول الغربية المتطورة ، وفى بلاد عربية مخدوعة جرت وراء شرائع الغرب من جرائم خلقية ، واجتماعية وغير ذلك من الجرائم التى تخزى لها الانسانية ، ويفزع التاريخ من هولها ، والتى تسبب عدم الاستقرار والمتاعب والشقاء للمجتمعات الغربية نفسها فضلا عن المجتمعات الآخذة بشرائع الغرب وقوانينه .. ؟!

واخيرا .. نقول لداعية القوانين الدولية ان المسألة ، ليست مسألة شريعة وقوانين فحسب ، وانما هى قبل ذلك ، مسألة ايمان ، فليختر كل انسان لنفسه منهما ما يشاء ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

---

(١) فليراجع القارىء الكريم قصة معاذ والغامدية ، حين زنيا ، فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم طالبين أن يطهرهما ، فاقام النبى الحد عليهما ، وقبل الله توبتهما .

الأسرة في المنهج الرباني

للشيخ سعد المرصفى

صرخة لكاتبة أمريكية :

تقول الكاتبة الامريكية « هللين ستانسيرى » إن المجتمع العربى كامل وسليم . ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتماسك بتقاليده التى تفيد الفتاة والشباب فى حدود المعقول . وإن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الاوروبى والامريكى . فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة . وتحث احترام الاب والام . بل وتحتم أكثر منذلك : عدم الاباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والاسرة فى أوربا وأمريكا . ولذلك : فان القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيرة . وأقصد ما تحت سن العشرين هذه القيود صالحة ونافعة . لهذا أنصح بان تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم . وامنعوا الاختلاط . وقيدوا حرية الفتاة بل : أرجعوا الى عصر الحجاب . فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا .

وأضافت : امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه فى أمريكا الكثير لقد أصبح المجتمع الأمريكى مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة . وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملؤون السجون والارصفة . والبارات . والبيوت السرية . إن الحرية التى أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار . قد جعلت منهم (جيمس دين) وعصابات للمخدرات والرقيق . إن الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الاوربى والامريكى هدد الاسرة . وزلزل القيم والاخلاق . فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين فى المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص التشاتشا . وتشرب الخمر والسجائر . بل وتتعاطى ذلك باسم المدنية . والحرية . والاباحية . والعجيب فى أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة . تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها . بل تتحدى والدها ومدرسها . والمشرفين عليها .. تتحداهم باسم الحرية والاختلاط . وتتحداهم باسم الاباحية والانطلاق تتزوج فى دقائق وتطلق بعد ساعات ، ولا يكلفها هذا أكثر من امضاء وبضع نقود . وعريس ليلة أو عدة ليال . وبعدها يتم الطلاق .. وربما الزواج . فالطلاق مرة أخرى ..

إن هذا دليل اتهام لدنيا التبرج والاختلاط . وطوفان الوقاحة وجموح الشهوات . جاء على لسان هذه الكاتبة الامريكية صرخة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وتعبيرا عما تلاقيه المرأة الغربية من الآلام الكثيرة . وتحملها للمشاق الجسام . حتى أصبحت حياتها جحيما لا يطاق .

ولم تنفرد هذه الكاتبة بتلك الصرخة المدوية . فقد وردت على لسان الكثيرات ممن عندهن سلامة فى الفكر وفى الادراك .

وواضح أن منشأ عدم الرضا هنا وهناك . هو القلق النفسى الذى تعيشه المرأة نتيجة سلبها مقومات الحياة الكريمة كما أراد الله . حتى وجدنا المرأة التى تحملت المشاق الجسام . والآلام العظام . نتيجة طغيان المادة التى أودت بها فى أتون الاختلاط والتفسخ والعرى ننصح المرأة هنا أن تعود الى الحجاب ومنع الاختلاط .

الاسرة دعامة .. وعماد الانسانية :

بين الحق جل شأنه . شئون الاسرة . وانه خلقها من ذكر وانثى . وامتن سبحانه بذلك فى آيات كثيرة يقول تعالى فى أول سورة الإنسان : **« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا »** ليسأل الإنسان نفسه : الا يعرف انه اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ رجاء أن يدرك تلك الحقيقة التى ينتهى منها القلب الى الشعور بالقصد والغاية والتقدير ، فى المنشأ وفى الحياة وفى المصير . كما بين جل شأنه . انه جعل هذا الخلق من ذكر وانثى نواة للاسرة الانسانية كلها . وسبيلا الى ان يدرك الانسان سر ذلك . وأنه ميزانه وميزته . وبه تتفاوت مكانته ومرتبته . فقال سبحانه : **(يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير)** .

ففى هـذا بيان أن الله أحسن إلى الناس فخلقهم من ذكر وأنثى . وجعلهم شعوبا وقبائل . لينتهى ذلك الى أن يتعارفوا فلايتناكروا . فلا يتقاطعوا .

وإن نظرة سريعة اول الآية تعطينا ان الله سبحانه خلق الناس من ذكر وانثى سبيلا إلى حسن المعاملة قال تعالى : **(يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** فالخطاب للناس جميعا باعتبار وحدة المبدأ . وان التكاثر ليس إلا تفرعا عن هذا الاصل الواحد وهذه الرحم الواحدة . ثم إن التأمل فى لفظ (الناس) كفيل بأن يمنح القلب زادا من الأنس . وزادا من المتاع .. كما تعطينا الآية أن الاسرة دعامة الامة . وعماد الانسانية .. وان الزواج به تنشأ وتتكون وفى رحابه تحبو وتتطور . ومن غذائه المادى والروحى تدرج فى المهد حينا براعم سلالة جديدة لتؤدى رسالتها ولتأخذ نوبتها ..

وبهذا كان للإنسان حقوق الاسرة . وعليه واجباتها . على اختلاف الالوان واللغات . وتباين الشعوب والقبائل فلا تظالم ولا تقاتل .ولا تشاحن ولا عدوان . ولا استغلال ولا طغيان . ولكن : اصل واحد . ورحم واحدة ومعروف وسلام . وأمن وأمان . وبر ومرحمة .

طب ودين

المخدرات في الطب والدين

(كل شيء أسكر فهو حرام)

حديث شريف

للدكتور : أحمد شوقى الفنجرى

مشكلة المخدرات هى احدى القضايا الهامة والخطيرة فى عالمنا العربى والاسلامى بحيث يجب أن يعلم المسلم كل شىء عن أخطارها ومساوئها وعواقبها كما يجب على كل داعية الى الاسلام ان يدرس كل شىء عنها ..

فيعرف أنواعها ومصادرها وتاريخها .. وتأثيرها على عقل الانسان وجسمه .. ويعرف أهم من ذلك طرق علاجها والوقاية منها .. فبغير هذه المعلومات الحيوية لن يكون للداعية الاسلامى تأثيره المقنع وحجته القوية حين يكتفى إن المخدرات حرام ..

ولن تكفى النصيحة والوعظ وحدهما لانقاذ المدمن الذى يطلب المعونة والتوبة من هذه الآفة طالما لم يصاحب ذلك فهم جيد بأسلوب العلاج ووسائل الوقاية ..

ومما يزيد المشكلة تعقيدا ان هذه المخدرات لم تكن معروفة على عهد الرسول وانها لم تصل الى المسلمين الا فى وقت لاحق .. ولذلك لم ينزل فيها تحريم قاطع يتناولها بالاسم كما هو الحال فى الخمر مما جعل بعض أعداء الاسلام ودعاة الفساد يذهبون الى إباحتها أو التشكيك فى تحريمها .. بل ان بعض الجهلة من العوام يستحرم شرب الخمر ويقبل على تعاطى المخدر فيهرب بذلك من شر الى أشر منه ومن حرام الى ما هو

احرم منه ..
وتكفى نظرة على تاريخ المخدرات ودخولها لأول مرة الى العالم الاسلامى لكى تدلك على أن من جاءوا بها الى بلادنا وديارنا كانوا يقصدون فعلا الى محاربة الاسلام وتحطيم الأمة المسلمة .

المخدرات فى تاريخ العرب والمسلمين :

لم يعرف العرب المخدرات فى الجاهلية .. ولم تدخل زراعتها الجزيرة العربية .. وكانت أول مرة تدخل فيها المخدرات الى العالم العربى على ايدى ملاحدة الفرس . فقد جاء فى كتاب (الخطط) للمؤرخ العربى « المقريزى » :

(وجاء الى القاهرة اشخاص من ملاحدة العجم صنعوا الحشيشة وخلطوها بالعسل وبعدة اجزاء مجففة كعرق اللقاح وسموها العقدة وباعوها خفية فشاع اكلها بين كثير من العوام . ثم زاد التجاهر بها فظهر أمرها واشتهر اكلها وارتفع الاحتشام عن الكلام بها حتى كادت تكون من تحف المترفين . ولهذا غلبت السفالة على الأخلاق وارتفع ستر الحياة والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة واتصفوا بكل ذميمة من الأخلاق ورذيلة) .

ويروى الطبيب العربى ابن البيطار فى كتابه (المفردات) :

(ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندى وهو يزرع بمصر ويقال له الحشيشة وهو يسكر جدا اذا تناول الانسان منه قدر درهم أو درهمين اخرجه الى حد الرعونة . وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلهم) .

ثم يقول : (ولم تكن الحشيشة معروفة فى الشام الى أن قدمها سلطان بغداد فارا من تيمورلنك فتظاهر اصحابه بأكلها فتعلم اهل دمشق من أصحابه التظاهر بها) .

وهكذا نجد أن اول من نشر المخدرات بين المسلمين هم الملاحدة العجم ثم سلطان فاشل مخلوع عاشر التتار .

وفى سنة ١٠٢٤م ظهرت طائفة الاسماعيلية التى كونها « حسن الصباح » وهو فارسي ملحد .. وكانوا يسمون (طائفة الحشاشين) لأنهم كانوا يؤمنون بأن اغتيال خصومهم واجب دينى . وكانوا يعطون اتباعهم الحشيش فى حفل دينى أشبه بطقوس المجوس ثم يطلقونهم فى حالة من فقدان الوعى والارادة لكى ينفذوا أوامر زعمائهم بالقتل والاغتيال .. وقد قتلوا الكثير من ائمة المسلمين وحاولوا قتل صلاح الدين أكثر من مرة ..

وبعد هؤلاء يأتى دور الاستعمار البريطانى فى نشر تجارة المخدرات فى العالم فعندما احتلت بريطانيا الهند ابتدأت (شركة الهند التجارية الشرقية) وهى أول شركة استعمرت الهند .. ابتدأت تزرع الشاى والأفيون فى مزارعها وتصدرها الى انحاء العالم وخصوصا الصين .. وعندما انتشر الأفيون فى الصين بفضل المهربين البريطانيين والبرتغاليين ونكب شعب تلك البلاد منه صحيا

وماليا وتسربت أمواله الى بنوك بريطانيا .. عند ذلك أصدر الامبراطور (لن تسى) ١٨٣٨ مرسوما بتحريم تجارة الأفيون أو دخوله الى البلاد فقامت بذلك حرب الأفيون بين بريطانيا والصين والتى استمرت عامين وانتهت بهزيمة الصين واضطرارها الى عقد معاهدة مع بريطانيا تسمح لتجار الأفيون الانجليز ببيعه فى بلادها ولا تتعرض لهم .

وكانت المخدرات قد اختفت من مصر والعالم العربى بعد أن حاربها صلاح الدين وغيره من السلاطين .. فقد جاء فى كتاب المقريزى :

(ثم جاء الأمير سودون الشيخوخى — رحمه الله — فتتبع الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة بباب اللوق وعسكر ببولاق فأتلف ما هناك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذائلهم وعاقب على فعلها بقلع الأضراس فقلع أضراس كثير من العامة) .

وهكذا تخلصت مصر قلب العالم الاسلامى النابض من شرور هذه المخدرات قرون طويلة الى أن جاء الاستعمار البريطانى ..

وكان من سياسة الاستعمار البريطانى المرسومة اضعاف الشعوب العربية والاسلامية وافقارها عن طريق نشر المخدرات ، فكانت بريطانيا تزرع الحشيش والأفيون فى فلسطين ، والهند ، وتصدره الى العالم العربى ومصر . ولم تستطع اى حكومة محلية عربية أن تمنع دخول المخدرات الى بلادها بطريقة حاسمة بسبب تدخل المندوب السامى البريطانى .. وعندما كونت مصر فرقة خاصة من حرس الحدود (الهجانة) لمكافحة المخدرات أصرت بريطانيا أن يكون رئيسها ضابط بريطانى فكان فى الواقع ينظم ويسهل وصول المخدرات الى طالبيها وتجارها تحت اسم مكافحة المخدرات ..

ثم جاءت حكومة الثورة فى مصر سنة ١٩٥٢ م فأصدرت أول قانون حاسم يقضى بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على من يتجر بالمخدرات .

وكان المأمول أن يقضى هذا القانون على تلك التجارة المخربة .. ولكن كانت اسرائيل قد حلت مكان بريطانيا فى فلسطين واخذت تتفنن وتتوسع فى زرع المخدرات وتصديرها الى البلاد العربية بشتى طرق التحايل سواء بالبر أم بالبحر أم بالجو .. وكان لها من ذلك ثلاثة أهداف :

١ — تحطيم الأمة العربية صحيا ومعنويا باغراق أسواقها بمخدرات رخيصة .

٢ — تحطيم الاقتصاد العربى اذ ذكرت بعض الاحصاءات الدولية أن دخل اسرائيل من تهريب المخدرات الى البلاد العربية يبلغ سنويا ٤٦ مليونا من الجنيهات .

٣ — تمويل عمليات التجسس داخل العالم العربى من دخل المخدرات فكانت تدفع لجواسيسها بدلا من المال شحنات من المخدرات ..

من كل هذا التاريخ الأسود للمخدارت نرى مدى خطرها على الاسلام والمسلمين واهمية مكافحتها عن طريق الدين والتوعية فى المساجد واقناع الناس بمدى ما فيها من إثم وحرمة .

المخدرات من الناحية العلمية :

اصطلحت الهيئات العلمية على اعتبار المخدر هو اى مادة تحتوى على عناصر تحدث تأثيرا فى عقل الانسان وعواطفه سواء كان هذا التأثير منبها أو مسكنا .

— فمن المخدرات المنبهة : الكوكايين والبنزورين .

— ومن المخدرات المسكنة :

أ : مشتقات الأفيون كالمورفين والهيرويين والكوادبين .

ب : مخدرات غير افيونية : مثل الحشيش والكحول .

وهناك تقسيم آخر للمخدرات الى :

أ — مخدرات طبيعية : وهى عبارة عن نباتات واعشاب مثل : القات — والأفيون — والحشيش .

ب — مخدرات كيماوية : وهى عبارة عنمستخلصات تحضر بطريقة كيماوية ومنها : الكحول — الكوكايين والمورفين والهيرويين الميرهبوانا .

وهكذا نجد أن التقسيم العلمى يجعل الخمر كواحد من المخدرات وتنطبق عليه جميع قوانين المواد المخدرة .. ولهذه الحقيقة العلمية اهمية كبيرة وحيوية عندما نتحدث عن رأى الدين فى المخدرات .

مواطن زراعة واستهلاك المخدرات فى العالم العربى والاسلامى :

يزرع الأفيون بكثرة فى ايران وتركيا .

ويزرع الحشيش فى فلسطين المحتلة ولبنان .

ويزرع القات فى اليمن .

واكثر مستهلك للمخدرات فى العالم العربى هو اليمن ويليه مصر وشمال افريقيا والسودان ثم العراق ثم سوريا ولبنان .. وقد جاء فى تقرير لهيئة الصحة العالمية أن ٩٠٪ من سكان احدى البلاد العربية يتعاطون المخدر رجالا ونساء وفى بلاد أخرى تبلغ النسبة ٢٥٪ بين الرجال وهذه الاحصائيات تبين لنا جسامة المشكلة واهمية دراستها وعلاجها ..

اسباب انتشار المخدر فى العالم العربى :

١ — الجنس : إذ يعتقد العوام انها مغبية ومقوية للجنس .
٢ — عادة ختان البنات : اذ انها تؤدى الى البرود الجنسى عند المرأة .
٣ — المشاكل العائلية والفقر والحزن .
٤ — الكبت الجنسى وعدم وجود الحياة الاجتماعية والتأخر فى الزواج .
٥ — عدم وجود المسليات البريئة كالنوادى الرياضية والاجتماعية .
٦ — ضعف الوازع الدينى والتربوى
٧ — تهاون الحكومات المحلية فى التوعية والعلاج والاكتفاء بالاجراءات البوليسية .
٨ — الاستعمار البريطانى ثم اسرائيل .

التاثير الأخلاقى والصحى للمخدرات :

المخدرات تؤدى إلى تحطيم شخصية المدمن وهو ما يسميه علماء

النفس بتفكك الشخصية . ومن مظاهر هذا التفكك الفشل فى العمل والحياة فتجد المدمن ينتقل من عمل الى آخر ومن وظيفة الى أخرى الى أن يخسر كل فرص العمل والرزق ويستسلم للبطالة ..

والمدمن متقلب العواطف .. يكره بسرعة ويحب بسرعة .. عديم التحكم فى غرائزه وعواطفه .. لا يحترم مشاعر غيره من الناس . سيىء المعاملة لأهله ووالديه وقد يضرب أمه واقرب الناس اليه .

واكثر المدمنين مصاب بمركب النقص أو مركب العظمة ..

وكثير منهم يميل الى الشذوذ الجنسي . فمنهم الماسوشى ، اى الذى يتلذذ بأن يضرب ويعذب ويهان .. وهذا النوع ينقلب عند الكبر الى السادية ، أى يتلذذ بتعذيب غيره واهانته .

وهذا النوع الأخير اذا اصبح رئيسا فى عمل أو مسئولا عن غيره من الناس يجد السعادة فى تنغيص حياتهم وجرح مشاعرهم وانزال أقصى العقاب عليهم ..

وقد يقول قائل ان هذه الصفات التى يطلق عليها تفكك الشخصية قد توجد بدرجات متفاوتة فى أناس عاديين لا يتعاطون المخدرات .. ولكن القاعدة العلمية أن كل شخص من هذا النوع يكون لديه استعداد طبيعى للادمان .. وأنه اسهل من صاحب الشخصية السليمة وقوعا فى اسر المخدرات فاذا أدمن برزت هذه الصفات جميعها بصورة ملحوظة وخطيرة .

وأخيرا .. فان مدمن المخدرات اذا اشتد به الادمان بدأ ينحرف فيكذب ويغش ثم يسرق ويقتل فى سبيل الوصول الى بغيته . والى جانب هذا من الملاحظ أن لكل نوع من المخدر تأثير مستقل على الأخلاق فتعاطى القات يؤدى الى فقدان الارادة والتفكيك بحيث يمكن الايحاء الى المدمن بعمل أى شىء ولو كان ضد رغبته فاذا رأى أحدا يبكى بكى معه واذا رأى أحدا يضرب نفسه ضرب نفسه مثله .

— ومن اهم آثار الحشيش انه يؤدى الى الجبن والى توهم أعداء لا وجود لهم .
— ومن أهم آثار الكوكايين اضطراب العقل وشعور المريض بالحشرات تزحف تحت جلده فتراه يخلع ملابسه فى الطريق العام لكى يبحث عن الحشرات فيها !!!

الأثر الطبى للمخدرات :

يختلف الأثر الأول للمخدر من نوع الى آخر . فالمخدرات المنبهة كالأفيون تحدث نشاطا فى الجسم وشعورا بزوال التعب . أما المخدرات المسكنة كالحشيش والخمر فانها تزيل الآلام والتعب عن طريق التسكين ليحل مكانه الانبساط والمرح وانطلاق اللسان ..

ولكن ما أن يتعود الجهاز العصبى للانسان على هذه الجرعة الصغيرة فانها لا تعود تحدث فيه هذا التأثير الأولي . فيضطر الشخص الى تناول جرعة اكبر كل مرة حتى يحصل على الأثر السابق .. فينتهى به الأمر الى الادمان مع جميع مضاعفاته .. وتؤثر المخدرات على الجهاز الهضمى فتفقد

الشهية للأكل فينحل الجسم وتقل مقاومته للأمراض وتظهر البقع والقروح على الجلد . وتحدث المخدرات ارتخاء عضلات الوجه والجفون فيبدو الانسان كالنائم أو التائه وتحمر العيون ويصبح التنفس صعبا وبطيئا ويقل الأوكسجين الواصل الى الدم وأخيرا ينتهى المطاف بالمدمنين الى الجنون أو الموت المبكر أو السجن المؤبد بسبب جريمة يرتكبها وهو فى غير وعيه ..

المخدرات والجنس :

من أهم دوافع الناس على تعاطى المخدرات الاعتقاد السائد انها تقوى الجنس ، وكما ذكرنا فى حديثنا عن الخمر أن هذه المخدرات قد تفعل ذلك فى أول أمرها فقط . والتعليل العلمى لذلك يرجع الى انها تخدر العقل الواعى فتزيل الخوف . ولكن مع تكرار استعمالهاتبدأ تؤثر على الجهاز العصبى فتسبب الفتور والضعف الجنسى المزمن واكثر المدمنين تنهار حياتهم الزوجية والعائلية لأنهم عندما يدخلون فى مرحلة الارتخاء والهبوط الجنسى يبدأون بالتنغيص على زوجاتهم والتشكيك فى سلوكهن لكى يغطوا على عجزهم ..

وأخيرا فانهم ينحرفون جنسيا .. واكثر هؤلاء المدمنين يتلذذ بتعذيب نفسه وبتعذيب زوجته واضطهادها وكثير جدا من حالات الطلاق فى المحاكم يرجع الى المخدرات سواء كانت الخمر أم الحشيش .

وقد قامت بعض الهيئات العلمية والطبية بأبحاث حول أسباب انتشار الحشيش فى بعض البلاد العربية فوجدت أن لهذا علاقة بعادة ختان البنات لأن هذه العادة تصيب البنت بالبرود الجنسى مما يضطر الزوج الى اللجوء الى المخدرات املا فى أن يساعده ذلك على الاطالة الجنسية .

الوقاية من المخدرات :

١ — خير علاج للمخدرات هو الوقاية اولا . فكما اسلفنا أن أخطر مرحلة فى المخدرات هو الخطوة الأولى التى يحاول الانسان فيها تجربة شىء جديد من باب التغيير أو الملل .. وغالبا يتصور أنه سيجرب مرة واحدة ثم يمتنع ولكنه بعد قليل يعود الى التجربة مرة ثانية وثالثة الى أن يصبح مدمنا .. وهنا تبرز اهمية التثقيف الصحى والتوعية الدينية مجتمعين .. ويأتى دور رجل الدين فى التوعية أعظم من دور الطبيب والمشرف الاجتماعى وكافة أجهزة الاعلام ، لأن الناس فى العالم الاسلامى يتأثرون بأوامر الدين ونواهيه أكثر من تأثرهم بغيره .. ولهذا نقول ان من واجب رجل الدين ان يعلم ويدرس كل شىء عن هذه المخدرات واضرارها وأن يكون ملما بطرق الوقاية وطرق علاج المدمن حتى يقدم المساعدة الفعالة الى من يلجأ اليه طالبا العون والنصيحة ..

٢ — ويجب الاكثار من مصحات

علاج المدمنين وعدم تركهم ينشرون هذه الرذيلة فى الخفاء كما يجب عدم اللجوء الى الطرق البوليسية الا بعد استنفاد كل وسائل الاقناع والعلاج الطبى والنفسى والتربوى والاجتماعى فهذه الوسائل البوليسية وحدها لا تزيد عن أن تنقل الادمان من العلن الى السر .

٣ ــ ويجب ابطال عادة ختان البنات الا فى حدود ما علمنا الاسلام كما أسلفنا وهى سنة من سنن الفطرة ويبقى الآن دور التوعية الدينية لافهام الناس ما فيها من خطأ .

٤ ــ نشر وسائل الترفيه وخصوصا فى الأرياف بتشجيع النوادى الرياضية والاجتماعية وحفلات السمر البرىء .. ونشر الهوايات بين الشباب .

علاج المدمن :

ان المدمن لا يستطيع التوقف عن المخدر من نفسه ودون علاج حاسم وصبر طويل لأنه اذا حرم من المخدر فجأة شعر بآلام نفسية وجسدية لا طاقة له بها .. وتبدأ هذه الأعراض بعد الحرمان باثنتى عشرة ساعة فقط .. وقد ينقلب بسبب هذه الآلام الى وحش كاسر أو قاتل أو سارق وبعضهم يضطر الى بيع دمه ليحصل بثمنه على المخدر . والعلاج الوحيد أن يدخل مصحا خاصا حيث يعطى جرعات من نفس المخدر تقل بالتدريج حتى يزول الادمان ويعطى فى نفس الوقت مواد مضادة لهذا المخدر الى جانب العناية بصحته العامة .. ويجب أن يلحق بكل من هذه المصحات رجل دين يكون دارسا لعلم النفس وعلم الاجتماع أيضا كما هو حادث فى المصحات الاوروبية .. فقد وجد أن من أهم الوسائل لانجاح العلاج رفع معنويات المريض وتقوية عزيمته على الاقلاع عن الادمان ..

رأى الدين فى المخدرات :

ذكرنا أن من أهم أسباب انتشار المخدرات فى العالم العربى اعتقاد العوام أن القرآن لم يحرمها كما حرم الخمر .. وهذا خطأ جسيم قد دفع المسلمون ثمنه غاليا .. فعندما نزل فى القرآن أمره القاطع بتحريم الخمر .. جاء الناس من انحاء الجزيرة العربية يسألون رسول الله عن المقصود بالخمر فمنهم من يسأل عن شىء يصنعونه من (الشعير) وكان رسول الله يسألهم (أمسكر هو ؟) . فيقولون : نعم . فيقول الرسول : (كل شىء أسكر فهو حرام) . رواه البخارى .

وكان يعرف الخمر بقوله : (الخمر ما خامر العقل) رواه الشيخان .. اى أن كل شىء يؤثر على العقل يدخل فى حكم الخمر .. وتنطبق عليه كل احكامها وعقوباتها ونواهيها ..

وقد سبق أن بينا فى التعريف العلمى للمخدرات أنها تشمل الخمور اى أن كل خمر مخدر وأن المخدرات تشمل الخمور وغيرها .

وهكذا نجد أن حكم الشرع ينطبق مع حكم العلم فى أن كل مخدر يدخل فى حكم الخمر وكل خمر تدخل فى حكم المخدر . ويلخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة بقوله : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) . رواه أحمد .

وفى هذا يقول الامام ابن تيمية عن المخدرات :

(وحدوثها بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة لا يمنع من دخولها فى عموم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسكر فقد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة) .

ويقول ابن تيمية ايضا فى كتابه : (السياسة الشرعية) :

(ان الحشيشة حرام . يحد متناولها كما يحد شارب الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج وانها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا ومعنى .

وفى مذهب الحنفية ، أن من قال بحل الحشيشة زنديق مبتدع) .

ويقول الامام الحافظ بن حجر :

(ان من قال : ان الحشيشة لا تسكر ــ وانما هى مخدر ــ مكابر فانها تحدث ما تحدثه الخمر) .

ويقول الامام ابن القيم :

(ان الخمر يدخل فيها كل مسكر : مائعا كان أو جامدا عصيرا أو مطبوخا . فتدخل فيها لقمة الفسق والفجور ــ أى الحشيشة ــ لأن هذا كله خمر بنص قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر) . رواه مسلم وغيره .

وقد استفتى الامام ابن تيمية فى المخدرات فقال :

(هذه الحشيشة هى وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة لعقوبة الله . ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر فهى بالتحريم أولى وقد اجمع المسلمون على أن السكر منها حرام. ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فانه يستتاب فان تاب والا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وان القليل منها حرام أيضا بالنصوص الدالة على تحريم الخمر) .

وما ينطبق على تحريم اكل الحشيشة والمخدرات ينطبق أيضا على تحريم الاتجار بها ونقلها وزرعها وتجارتها لقول الرسول : (ان الله حرم الخمر وثمنها) ... الحديث رواه أبو داوود .. وقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشترى له) . رواه ابن ماجه والترمذى .

أما عن القول بأن المخدرات اكثر تحريما من الخمور فذلك لأن الخمر تذهب العقل فقط ، أما المخدرات فانها تذهب العقل وتذهب المال وتذهب النفس ففيها ثلاثة آثام مجتمعة :

ــ أنها تذهب العقل لأنها لا تؤدى فقط الى السكر ولكن أيضا الى الجنون فهى حرام .

ــ وانها تذهب المال لأنها تؤدى الى البطالة أولا ولأنها أكثر كلفة من الخمر فهى لهذا حرام .

ــ وانها تذهب النفس لأنها تؤدى بالمدمن الى الوفاة مبكرا فى شبابه فهى لهذا أيضا حرام .

فهذه ثلاثة أسباب تجعل المخدرات اشد تحريما من الخمر .

والله الموفق .

بريد الوعي الإسلامي

للأستــــاذ : عبد الحميد رياض

حول الألفاظ الاعجمية فى القرآن الكريم

الله سبحانه وتعالى يقول عن القرآن الكريم (إنا انزلنــــاه قرآنا عربيا) فلمـــاذا جاءت فيه الفاظ غير عربيـــة ؟ وما تعليل ذلك ؟
وهل يقلل هـــذا من بلاغتــــه ، وما هى هذه الألفاظ ؟

عبد الخالق عبد المقصود ــ مؤسسة مهنا ــ الكويت

لا شك أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميـــد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو محفوظ تكفل الله بحفظه فقال تعالى : « **إنا نحـــن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » وهو سبحانه الذى اختاره ليكون على هــــذا النسق وبهذه القوة المعجزة للبشر تحداهم أن يأتوا بمثله أو بشىء منه ، وقد كانـــوا فى أعلى درجات الفصاحة فلم يستطيعوا له محاكاة فى أى جزء منه ولا حتى جزء من آيـــة .

وقد قالوا عنه تبريرا لعجزهم عن محاكاته إنه أساطير الأولين ، ولكن الدليل تلو الدليل يؤكـــد انه كلام الله البين الواضح وسيظل دستور الانسانية اذا ارادت لنفسها الهداية والرشاد مهما تقـــادم الزمن أو أرجف المرجفون فى حقه .

والحديث عن وجود الفاظ غير عربية فى القرآن الكريم ليس جديدا ، فقد تعرض له الأئمـــة العلماء فقال بعضهم بوقوع بعض الألفاظ غير العربية فيه ، وآخرون قالوا بعدم وقوع ذلك ، ومنهم الإمام الشافعى ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقاضى أبو بكر ، وغيرهم . واستدلوا بقول الله تعالى : (قرآنا عربيا) وقوله تعالى : « **ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقـــالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعـــربى** » .

وقال أبو عبيدة : (إنما انزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربيـــة فقد أعظم القـــول ، ومن زعم أن كذا من النبطيـــة فقـــد أكبر القـــول) .

وقال ابن جرير : (ما ورد عن ابن عباس وغيره رضى الله عنهم من تفسير الفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطيـــة أو غير ذلك ، إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد) .

وقيل كان العرب العاربة التى نزل القرآن بلغتهـــم بعض مخالطة لســـائر الألسنة فى أسفارهم فعلقت من لغاتهم الفاظـــا غيرت بعضـــها بالنقص من حروفها ، واستعملتها فى أشـــعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العـــربى الفصيح ، ونزل ببعضها القرآن .

وقال أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك : (إنما وجدت هذه الألفاظ فى لغـة العرب لأنها أوسع اللغـات وأكثرها ألفاظا ويجوز أن يكونوا سـبقوا الى هـذه الألفاظ) .

والذين رأوا غير العربى فى القرآن الكريم قالوا : (ان الكلمـات اليسيرة التى وردت بغير العربيـة فيه لا تخرجه عن كونه عربيا) .

وذلك ان هذه الأحرف أصولها أعجمية وقعت للعرب فعربتها بألسـنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن الكريم وقد اختلطت هذه الأحرف بكلام العرب .

ومن البين الواضح بعد هذا ان الكلمات التى جاءت فى القرآن الكريم دلت على مسمياتها ولا يوجـد ما يقوم مقامها ، وذلك ولا شـك أعلى مراتب الفصاحة ، وليس معنى هذا أن هناك قصورا فى اللغـة العربية ، ولكن لأن المسميات لا يصلح لها للدلالة عليها إلا هذه الأحرف المستعملة فعلا والتى يجب على كل فصيح أن يتكلم بها ، ولو أريد ترك هذه الكلمة الى غيرها لما تم المعنى المراد من اللفظ ، ولنأخذ لذلك مثلا كلمـة (استبرق) فانها تطلق على الثياب المتخـذة من الحرير . يقول الامام السيوطى صاحب الاتقان : (ان أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه اما لفظ واحـد أو ألفاظ متعددة ، ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه لأن الثياب من الحـرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع فى اللغة العربية للديباج الثخين اسم ، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم ، ونزرة تلفظهم به ، وإن ذكره بلفظين فأكثر فانـه يكون قد أخل بالبلاغة ، لأن ذكر لفظين لمعنـى يمكن ذكره بلفظ واحد تطـويل ، فعلم بهذا أن لفظ (استبرق) يجب على كل فصيح أن يتكلم به فى موضعه) .

هذا وقد تبين أن القرآن الكريم بعد هذا العرض للآراء جاء بلسان عربى مبين ، وأن الكلمات التى وردت فيه وقيل إنها غير عربية انما استعملت لوجودها عنـد العرب قبل نزول القرآن الكريم ، وهذه الكلمات تزيد على المائة كلمـة بقليل ، وإليك بعضا منها :

استبرق ، أباريق ، ابلعى ، الأرائك ، آزر ، أسفار ، إصرى ، أكواب ، الجبت ، حصب ، حطة ، الرقيم ، سرادق ، سندس ، سفرة ، الطاغوت ، قسورة ، مرقوم ، مشكاة ، اليهود ، زنجبيلا ، سجيل ...

ردود سريعـة :

ملحق للمجلة عن الصلاة والطهـارة

وصلتنا رسائل متعددة من السادة القراء حول إصدار رسائل عن بقيـة أركان الاسـلام يقولون فيها : إن الصلاة ركن يتكرر فى اليوم خمس مرات وان الله لم يامر بالصلاة فى آية من الآيات الا وقرنها بالزكاة فكان أولى أن تكون مع الزكاة فى رسالة واحدة كما صدرت رسالة الصيام والزكاة .

نقول لهم جميعا أن هذا الموضوع محل دراسة الوزارة منذ فترة والنية متجهة الآن لاخراج رسالة للصلاة والطهارة وأخرى للعقيدة تقدم للناس فى وضوح ويسر .

اعلام الطب في الاسلام

الى كل متشدق ، ومطلق لنفسه العنان ليتجنى على الاسلام ويدعى انه دين لا يحض على علم ، ولا يشجع على تقدم ، والى كل من ينادى بان الازهر لا يصح أن يخرج الطبيب والمهندس ، فلتكن علومه دينية بحتة ، ولا داعى لأن يقحم نفسه فيما لا يعنيه ، الى كل هؤلاء والى غيرهم اقدم لهم الشيخ الامام الفاضل : موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على بن أبى سعد ، والذى يعرف بابن اللباد ، والذى اعتنى بصناعة الطب كما كان متميزا فى النحو ، واللغة العربية ، عارفا بعلم الكلام ، عالما فى الفقه ، مقرئا للحديث .

مولده ونشأته :

ولد البغدادى فى دار لجده فى درب الفالوذج فى بغداد سنة ٥٥٧ هجرية ، وهو من اصل موصلى ، وكان ابوه يوسف بارعا فى علوم القرآن والقراءات ، مجيدا فى المذهب ، ومتضلعا فى كثير من العلوم ، فدفعه هذا الأب الفاضل الى جماعة من علماء عصره ، حفظ عنهم الحديث فى صباه ، أمثال ابى الفتح محمد بن عبد الباقى ، المعروف بابن البطى ، وابى زرعة بن محمد القدسى ، وابى القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم .

فى هذا البيت من بيوت العلم والمعرفة نشأ البغدادى ، وكان يقضى معظم وقته فى سماع الحديث ، وتعلم الخط ، وحفظ القرآن ، والمقامات ، وديوان المتنبى ، ولما وجد ابوه ان ابنه تواقا الى العلم والمعرفة ، وقد خطا خطوات راسخة فى هذا السبيل ، حمله الى الوجيه الواسطى ، تلميذ كمال الدين عبد الرحمن الانبارى ، وكان شيخا اعمى من اهل الثروة والمروءة ، ويمدحه البغدادى ويصفه بأنه بذل كل جهده فى تعليمه ، فكان يقرئه درسه ، ويخصه بشرحه ، ويذاكر له فى

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي

للدكتور محمد محمد أبو شوك

الطريق بعد خروجه من المسجد ، ثم اذا دخل بيته أخرج الكتب التى يشتغل بها فاحفظها له ، وكان البغدادى يذهب مع شيخه الواسطى الى الشيخ الأنبارى فيسمع لما يقول ، وبهذه الروح الوثابة ، والتفانى فى سبيل العلم والمعرفة ، قرأ البغدادى كثيرا من العلوم ، ثم حفظ أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكذلك حفظ (مشكل القرآن) و (غريب القران) فى مدة قصيرة ، وحفظ الايضاح لابن على الفارسى وواظب على المقتضب للمبرد . ويقول عن نفسه : ان كل هذا لم يلهه عن سماع الحديث والتفقه على شيخه ابن فضلان ؛ ثم انه اتى على اكثر تصانيف الشيخ كمال الدين الأنبارى ، وكان معظمها فى النحو والفقه والاصول ، والتصوف والزهد ، وحفظ عليه كتابه من كتاب سيبويه ، ثم رآه يتجه الى كتب العلوم .. فنهل منها الكثير ، فقرأ كتب جابر بن حيان ، وكتب ابن سينا ونهمنبار تلميذ ابن سينا ، وابن وحشيه وانكب على كتب الغزالى « المقاصد ، والمعيار والميزان ، ومحك النظر » .

وبحلول عام ٥٨٥ ، اى وهو فى الثامن والعشرين ، وجد نفسه وقد تشبع بأفكار وكتابات من حوله من العلماء ، واصبح يقارعهم الحجة بالحجة ، وكون لنفسه الشخصيه التى اصبحت تحكم على علم فى هذا وذاك ، فلم يعجبه ابن سينا فى صناعة الكيمياء ، وعبد الله بن نائلى فى العلوم التى تناولها ، فى هذا السن يقول : انه وجد نفسه فى بغداد وليس فيها من يأخذ بقلبه ويملأ عينيه ويحل ما يشكل عليه ، فهجرها بحثا عن الاستزادة من العلم ، ورحل الى الموصل ، وراق فى عينه الكمال بن يونس ، وكان فذا فى الرياضيات والفقه .

عرضت عليه فى الموصل مناصب عدة اختار منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار الحديث التى تحتها ، ويقول عن نفسه فى هذه السنة التى قضاها فى الموصل : « واقمت بالموصل سنة فى اشتغال

دائم متواصل ليلا ونهارا ، وزعم أهل الموصل انهم لم يروا من احد قبلى ماراوا منى من سعة المحفوظ ، ويسترسل فى ذلك معتدا بنفسه وأنه بعلمه قد فاق الشهاب السهروردى بل وهاجمه بقوله : وان له تعاليق كثيرة لا يرتضيها » . وارتحل عن الموصل قاصدا دمشق ، ووجد فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم احسان صلاح الدين الأيوبى ، وفى دمشق صنف البغدادى تصانيف كثيرة فى الحديث ، واللغة ، واصول الدين . وفيها وجد شيخه القديم عبد الله بن نائلى نازلا بالمئذنة الغربية بالجامع الأموى ، وكان يتكلم دائما فى الكيمياء والفلسفة فلم يرق مرة أخرى فى عين البغدادى ، وقال له يوما : « لو صرفت زمانك الذى ضيعته فى طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية أو العقلية كنت اليوم فريد عصرك ، مخدوما طول عمرك » .

ويترك البغدادى دمشق ويستهويه الترحال ، ويلقى عصا التسيار هذه المرة فى القدس ، ثم الى عسكر صلاح الدين بظاهر عكا حيث قابل ابن شداد ، والذى سمع الكثير عن البغدادى اثناء اقامته بالموصل ، فذهب معه الى عماد الدين الكاتب ، وتوجه الثلاثة الى القاضى الفاضل ، وسأله فى مسائل كثيرة نحوية فأعجب به ، وطلب منه أن يرجع الى دمشق ، وتجرى عليه الجرايات ، ولكنه اصر على الذهاب الى مصر ، فكتب القاضى الفاضل كتابا الى وكيله بمصر الشاعر المشهور ابن سناء الملك المتوفى ٦٠٩ هـ فقابله هذا بحفاوة بالغة ، وانزله دارا تليق بمقامه ، وعرفه الى أرباب الدولة فى مصر ، فدرت عليه الهدايا والصلات ، من كل جانب ، وفى مصر قابل الثلاثة الذين كان قصدهم — أولهم يس اليسيميائى فوجده كما يقول كذابا

ويقول عنه انه يعمل اعمالا عجيبة ، وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأى مقدار شاء وانه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه تحتها .

وأما الثانى الذى لقيه البغدادى فكان موسى بن ميمون — وقد قال عنه البغدادى إنه كان فاضلا الا انه قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة ارباب الدنيا ، وعمل كتابا فى الطب نقله عن جالينوس وعمل كتابا لليهود سماه (الدلالة) ، ولعن من يكتبه بغير القلم العبرانى وقد وصفه البغدادى بأنه كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن انه يصلحها .

وكان الشخص الثالث الذى قابله هو أبو القاسم الشاعر ، ويقول عنه البغدادى : ان سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكان أبو القاسم يكتب للقدماء وعلى رأسهم أبو نصر الفارابى الذى كان لا يعتقد فيه البغدادى لأنه كان يظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه ، ونجح أبو القاسم فى اجتذاب البغدادى حتى اقبل على كتبه .

ولما هادن صلاح الدين الفرنجة رحل البغدادى الى القدس ولقى صلاح الدين لأول مرة ، ونقف هنا

وقفة جميلة يصف فيها البغدادى صلاح الدين لنعرف كيف كان صلاح الدين واصحابه فى حربهم مع الصليبيين ، وكيف انتصروا عليهم فى نهاية الامر ، يقول البغدادى :

رأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة ، والقلوب محبة ، قريبا بعيدا سهلا مجيبا ، واصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى **« ونزعنا ما فى صدورهم من غل »** (الحجر ٤٧) . واول ليل حضرته وجدت مجلسا ، حفل بأهل العلم يتذاكرون أصناف العلوم، وهو يحسن الاستماع والمشاركة ، ويأتى بكل معنى بديع ، وكان مهتما ببناء سور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه ، وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضى الفاضل ، ويركب كذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ، ويأتى داره ويمد الطعام ثم يستريح ؛ ويركب العصر ويرجع فى المشاغل ، ويصرف أكثر الليل فى تدبير ما يعمل نهارا . .

ثم ان صلاح الدين كتب للبغدادى بثلاثين دينارا كل شهر على ديوان الجامع بدمشق ــ كذلك اطلق أولاده رواتبه له حتى تقرر له مائة دينار كل شهر . ورجع موفق الدين الى دمشق وأخذ يشتغل بالعلم ، ويقرىء الناس بالجامع الاموى ، وزهد فى كتب الكيمياء . ثم انه بعد أن استولى الملك العادل على دمشق ٥٩٢ هـ توجه الى القدس ومنها الى القاهرة ومرة اخرى اخذ يقرىء الناس بالجامع الازهر من اول النهار الى الساعة الرابعة . ووسط النهار يقرأ الطب وغيره وآخر النهار يرجع الى الازهر ليقرىء فوجا آخر . وفى الليل يجد ويشتغل مع نفسه وبقى بمصر الى أن توفى العزيز عثمان ، ثم رحل الى بيت المقدس حيث فرغ من تأليف كتابه (الافادة والاعتبار) ولم يمكث بها طويلا بل توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية ، وشرع فى التدريس والاشتغال ، وتميز فى هذه الفترة من حياته فى صناعة الطب ، وصنف فيها كتبا كثيرة ، وقبل ذلك كان منصبا على علم النحو ، ومن دمشق ذهب الى حلب ، وقضى فترة فى تدريس وتصنيف وممارسة الطب ، ولكنه لم ينس أن يترددعلى جامعها يسمع الحديث ويقرىء العربية ، وكعادته وحبه لكثرة التجوال لم يلبث أن ترك حلب وفى هذه المرة الى بلاد الروم ، وأقام بها سنين عديدة يتجول من بلد الى بلد ، وكانت خاتمة مطافه (ملطية) ، ثم عاد الى حلب وعاد الى التدريس والاشتغال بالطب والتأليف ، واتم كتابه « المدهش فى أخبار الحيوان » ثم خطر له أن يحج ويعرج فى طريقه على بغداد وأن يقدم للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفه ، ولما وصل بغداد مرض بها وتوفى سنة ٦٢٩ هـ (٨ نوفمبر ١٢٣١ م) وآن للجسم المرهق من كثرة الترحال أن يستريح الى الأبد ، ودفن بالدروية عند أبيه ، وذلك بعد أن ظل يرحل ويجوب بقاع الارض دون كلل ولا ملل فى سبيل العلم خمسة واربعين عاما . تعلم وعلم ولمع نجمه فى سماء العروبة لفترة طويلة مسجلا فى صفحات الخالدين من العرب صفحة لا تنسى .

مؤلفاته :

ونلقى نظرة على مؤلفات البغدادى لنأخذ العبرة ، ولنعرف كيف كان السلف الصالح يتفانون فى تحصيل العلم ، وكيف بنوا هذا الصرح الشامخ للدولة الاسلامية ، فكانوا اعلاما بحق . ولقد أورد ابن ابى اصيبعة أسماء مؤلفات موفق الدين عبد اللطيف البغدادى وقد تضمنت ١٧٣ عنوانا بين مقالة صغيرة ، وكتب كبيرة جدا وزعها الدكتور عبد الرحمن بدوى على الوجه التالى :

١ ــ اللغة (١٣)
٢ ــ الفقه (٢)
٣ ــ النقد الأدبى (٩)
٤ ــ الطب (٥٣)
٥ ــ الحيوان والنبات (١٠)
٦ ــ الفلسفة لكل فروعها (٤٨)
٧ ــ علم التوحيد (٣)
٨ ــ التاريخ (٣)
٩ ــ الحساب والعلوم (٣)
١٠ ــ التعليم (٤)
١١ ــ السحر والمعادن (٢)
ومنوعات (٢٣)

ومن هذه المؤلفات العديدة أعطى البغدادى ثلاثة وخمسين مؤلفا فى الطب وقد طبعها الأب جورج قنواتى فى سبعة وخمسين مؤلفا ، ويقول الاستاذ سارتون فى كتابه « المدخل الى تاريخ العلوم » عن البغدادى : انه كان على ما يظهر اكثر رجال عصره تثقيفا وختم بحثه بقوله : « اننا فى حاجة ماسة فى ميدان بحوثنا الى دراسة منهجية لمؤلفات عبد اللطيف » .

ولقد تشبع البغدادى من كتب ابن سينا فى الطب ــ وللأسف الشديد لقد ضاعت وتبعثرت معظم مؤلفات البغدادى ، ولكن توجد قائمة كتبه التى سردها ابن ابى اصيبعة فى كتابه ، ووضعها الأب جورج فى قوائم عدة :

١ ــ الاختصارات ٢٢
٢ ــ مقالات أو كتب فى الطب ١٨
٣ ــ الأدوية ٨
٤ ــ ردود ٣
٥ ــ متنوعات ٦

ونلقى نظرة الى ما كتب فى التشريح لنرى تلك الروح العلمية وطريقة تحقيقه فى المشاهدة مخالفا للآخرين فى نقلهم من التراث القديم دون ما دقة ولا بحث واقتناع ، وهذا ما اثار اعجاب المستشرقين بالبغدادى يقول : « ومن عجيب ما شاهدنا ان جماعةممن ينتسبون الى الطب وصلوا الى كتاب التشريح (لجالينوس) فكان يعسر إفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان . فأخذنا أن بالمقس تلا فيه رمم كثيرة فخرجنا اليه فرأيناه تلا من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه أقل من الموتى به .. فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما افادنا علما ، لا نستفيده من الكتب ، اما انها سكتت عنها ، أو لا يفى لفظها بالدلالة عليها أو يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها . والحس اقوى من السمع دلالة . فان جالينوس وان كان فى الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس أصدق منه ، ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرجا ان أمكن .. فمن ذلك عظم الفك الاسفل . فان الكل قد أطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عند الحنك وقولنا (الكل) انما نعنى

به جالينوس وحده فانه هو الذى باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عينيه وصنف فيه عدة كتب ، معظمها موجود لدينا والباقى لم يخرج الى لسان العرب .

والذى شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز أصلا ، واعتبرنا ما شاء الله من المرات فى اشخاص كثيرة تزيد على ألفى جمجمة .. » .

وأما العجز مع العجب ذكر جالينوس انه مؤلف من ستة أعظم ووجدته انا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ، ثم انى اعتبرته فى جثة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس .. وهو فى الجميع موثق المفاصل ولست واثقا بذلك كما أنا واثق باتحاد عظم الفك الاسفل .

من هذا يتضح قوة ملاحظة البغدادى وعدم اكتفائه بما قال الأولون ، بل يذهب وينقب بين الجماجم والجثث ليتحرى بنفسه .. وان دل هذا على شيء فانما يدل على استقلاله الفكرى وتحديه لجالينوس، وعدم الانقياد لآرائه بشجاعة نادرة ، مما أضفى على البغدادى شهرة نالها وبقيت ذكراه حية والا لأصبحت طى النسيان .

ونختم الحديث عن موفق الدين بباقة من نصائحه ومواعظه ، من كلامه المأثور : « ينبغى أن تكون سيرتك سيرة الصدر الاول فاقرا سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وتتبع امثاله واحواله ، واقتف آثاره ، وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك ، واذا وقفت على سيرته فى مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمريضه وتطببه ، وتمتعه وتطيبه ومعاملته مع ربه ومع ازواجه واصحابه وأعدائه ، وفعلت اليسير من ذلك فانت السعيد كل السعادة » .

وقوله : « لا تتالم اذا اعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل .. وأيضا فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة ، والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارب وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم .. اذا تمكن الرجل فى العلم وشهر به قطب من كل جهة .. وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون .. واعلم أن للعلم نورا وضياء يشرق على صاحبه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ، ولا تجهل بضاعته وكمن يمشى بمشعل فى ليل مدلهم » .

فهل بعد هذا تشجيع للعلم والعلماء ..

وقوله : « لا تترفع بحيث تستثقل ، ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر » .

ويقول .. واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات واذا احزنك أمر فاسترجع ، واذا اعترتك غفلة فاستغفر واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك الى الآخرة » .

ذلكم هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادى كان علما فى الدين كما كان علما من أعلام الطب فى الاسلام .

كتاب الشهر

منهج القرآن في تطوير المجتمع

للدكتور محمد البهى

عرض الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الجديد الذى يقع فى أكثر من مائتين وسبعين صفحة من القطع الكبير ، حلقة من حلقات التفسير الموضوعى ، لأستاذنا الدكتور محمد البهى ، ولا أظن القراء بحاجة الى التعريف به ، والحق أنه غنى عن التعريف باسمه وفكره وشجاعته ، ثم إنتاجه القيم الذى اثرت به المكتبة العربية والاسلامية .

الكتاب مقدمة وخمسة فصول ، تناولت على التوالى : تشريع العبادات ، تشريع الأسرة ، تشريع العلاقات بين الأفراد ، تشريع الأموال والمعاملات المالية والتجارية ، ثم تشريع العلاقات مع الأفراد .

فى المقدمة ، أشار المؤلف الى المجتمع المادى ، وهو ما كانت الروابط فيه بين فرد وآخر ، روابط مادية .. منفعية مصلحية ، أى تقوم على تبادل المنفعة والمصلحة المادية وحدها ، كما أشار الى المجتمع الانسانى ، وهو ما كانت العلاقات بين الأفراد علاقات إنسانية ، تقوم على الأخوة والمودة والتعاون ، وراء تبادل المصالح والمنافع ، ولكن فى الدرجة الأولى غير مادية ، أما المجتمع الاسلامى ، فهو مجتمع إنسانى ، يدعو الى الروابط الانسانية بين الأفراد فى الدرجة الأولى . كما

يدعو الى تبادل المصالح المادية ، ولكن فى محيط الانسانية .. ودعوة المجتمع الاسلامى هى دعوة لإلغاء ظواهر المجتمع الماضى فى حياة الأفراد ، وإحلال ظواهر اخرى محلها ومنهج القرآن — كما نزل تباعا فى الوحى المدنى — يبتدىء بالتنديد بظواهر المجتمع المادى ، وهو المجتمع الجاهلى ، تمهيدا لإلغاء اعتبارها فى نفوس المؤمنين ثم يتبع ذلك بالأمر او بطلب ظواهر اخرى بدلا منها لتحل محلها ، وتكون عنوانا على المجتمع الانسانى ، أو المجتمع الاسلامى الجديد ..

وبعد أن عرض المؤلف لمرحلة تطور المجتمع من الجاهلية الى الاسلام ، اشار الى أن دور الاسلام فى مرحلة التطوير ، هو دور نفسى واجتماعى ، يهيىء النفوس لقبول الوضع التالى لوضعها القائم ، وإذ يعتمد منهج القرآن على التطوير ، فانه ينفر من الإلزام الخارجى ، ويرى أن تلتزم النفوس من ذاتها بما تؤمر به ، أو تنهى عنه ، بعد أن تكون قد استعدت لقبول هذا أو ذاك ..

■ ■ ■

● فى الفصل الأول : فى تشريع العبادات « الصلاة والزكاة والصوم والحج » يلاحظ أن بناء المجتمع الاسلامى الى أن اكتمل تشريعه بسورة التوبة فى الوحى المدنى ، انتقل من وضع المجتمع الجاهلى — وهو المجتمع المادى الوثنى — الى وضع المجتمع صاحب الحضارة الانسانية ، الممثلة فى الإيمان بالقيم العليا التى تستشف من ذات المولى عز وجل ومن صفاته .. اى أن المجتمع الاسلامى لم يتكون فى تشريعه دفعة واحدة ، ولا انتقل فجأة من وضعه السابق الى الوضع المرغوب فيه ، وإنما الوقت الذى شغله نزول الوحى بالقرآن ، كان هو ذلك الوقت الذى تم فيه التحول .

واذا نحن تتبعنا كل عبادة على حدة — كما يذكر المؤلف — وجدنا أن منهج القرآن فى تطوير المجتمع — فيما يختص بالعبادات — اقتضى أن لا تفرض العبادات الواحدة دفعة واحدة ، وإنما كان قوامه التدرج ، ولذا : ما يأتى فى مرحلة بعد أخرى يختلف عن ذى قبل ، لا يعتبر إلغاء للسابق ، وانما يعتبر مكملا له ..

■ ■ ■

● وفى الفصل الثانى : فى تشريع الأسرة .. عرض المؤلف لعديد من المسائل التى تتصل بالأسرة ، عرض للعلاقة بين الزوجين ، والطلاق وما يترتب عليه ، ولعدة المطلقة ، ولعدم اساءة استعمال الطلاق ، ولعدة المتوفى عنها زوجها ، ولإرضاع المطلقة ولدها ، ولطلاق غير المدخول بها ، ولتيسير الأمر على المطلقة ، ولعلاج الخلاف بين الزوجين قبل الطلاق ، ويرى المؤلف من خلال هذا العرض لقضايا الأسرة ، ان القضية الرئيسية بين هذه القضايا هى قضية الطلاق ، وقد شغلت حيزا واسعا من آيات هذا التشريع ، ويليها القضية الثابتة ، وهى علاج الخلافات الزوجية والثالثة ، وهى إلغاء بعض العادات التى تسود المجتمع الجاهلى ، ويبدى المؤلف بعد ذلك بعض الملاحظات ذات

الدلالة المهمة ، فمثلا يلاحظ ، أن ما عنى به التشريع القرآنى هنا من قضايا يدل على أن هذا التشريع يهتم بمعالجة الأمور التى تثير المشاكل ، ويترك ما وراء ذلك للمعروف ، كما يلاحظ أن تركيز التشريع على شأن الطلاق يستهدف فى الدرجة الاولى وقاية المرأة من الاعتداء عليها ، كذلك يلاحظ جملة ، أن منهج القرآن فى تطوير المجتمع فى شأن الأسرة ، كانت عنايته فى الدرجة الاولى فى ابعاد مظاهر الجاهلية فى هذا الشأن فى تكوين المجتمع الاسلامى .

■ ■ ■

● وفى الفصل الثالث : فى تشريع العلاقات بين الأفراد .. عرض المؤلف لموضوعات اربعة هى : سياسة الأمة ، أخلاقيات الأفراد ، تكافؤ أداء العبادة والعمل من أجل الرزق ، ثم الوقاية من الجرائم الاجتماعية أو من الأمراض الاجتماعية ..

يقرر المؤلف أن التشريع المدنى للعلاقات بين الأفراد فى الأمة ، يقوم على أساس أن الروابط بين بعضهم بعضا هى روابط إنسانية ، أى يحكمها المستوى الانسانى بخصائصه المميزة : فوق الأسرة .. والقبيلة ، والشعب ، والعرق أو الأصل ، وأساس هذه الروابط الانسانية فى رسالة القرآن ، هو الإيمان بالله وحده ، لأن الايمان بالله وحده ينطوى على الايمان بالقيم العليا أو المثل الرفيعة ، التى تحدد صفات الله سبحانه ، والتى يسعى العابد الى الاقتراب منها بعبادته .

وإزاء تكافؤ أداء العبادة والعمل من أجل الرزق ، يشير المؤلف الى أن العبادات فى الاسلام ، لم تستهدف الحيلولة دون أن يباشر المؤمن سعيه وعمله من اجل الرزق ، بل يرى الاسلام أن سعى الانسان نحو أداء العبادة لا يقل فى القيمة والمنزلة عن سعيه فى سبيل الرزق والعيش ..

● وفى الفصل الرابع : تشريع الأموال ، والمعاملات المالية والتجارية .. عرض المؤلف لموضوعات خمسة ، هى الانطلاق فى الاستمتاع وتحصيل وسائل الترف لمن يملك المال ، الاحتياط من ضرر مترقب فى المعاملات المالية ، تخفيف حرمان المحرومين من أموال الأثرياء ، ثم من أموال الأعداء ، وأخيرا جرائم المال .

وفى بداية هذا الفصل الذى هومن الأهمية بمكان ، يؤكد المؤلف ، أن المجتمع الانسانى ، أو صاحب الروحية الانسانية ، وهو المجتمع المؤمن بالله وحده ، هذا المجتمع يتميز على المجتمع الجاهلى أو المادى الوثنى فبينما نرى مظاهر الأخير هى الحرص على المال فى الامساك والشح به ، وراء المصلحة الفردية ، وفى استغلاله استغلالا سيئا فى سبيل تنميته أو فى تحصيله . وهى تمثل ظاهرة ينتشر عنها فيه التعامل بالربا ، واكل أموال الناس بالباطل ، ورشوة الحاكم ، واستضعاف اليتامى واكل اموالهم ، واستضعاف النساء والاعتداء على أموالهن أو استغلالهن استغلالا سيئا فى سبيل المال ، والانطلاق فى المتعة وفى تحصيل وسائل الترف لمن يملك المال ، وزيادة الحرمان لكل صاحب حاجة ،

واستغلاله استغلالا بشريا فى أسوأ أوضاعه من أصحاب المال ، فبينما هذا كله واكثر منه فى المجتمع الجاهلى أو المادى الوثنى ، ترى المجتمع الانسانى أو صاحب الروحية الانسانية ، تختفى فيه أمارات ظاهرة الشح بالمال فى سبيل المصلحة العامة ، والاستغلال السىء للمال فى المعاملات المالية أو التجارية ، أى هو مجتمع على النقيض من المجتمع المادى .

■ ■ ■

● وفى الفصل الخامس والاخير : تشريع العلاقات مع الأعداء. .يعرض المؤلف لموضوعات ستة ، هى : صلة المؤمنين بأهل الكتاب ، ودعوة أهل الكتاب الى طرح المعارضة ، موقف الصفح والصبر ، الحذر والحيطة ، النهى عن الولاء لهم ، ثم موقف القتال .

فى بداية هذا الفصل المثير بحق ، يشير المؤلف الى أن سورة البقرة ، كانت أول سورة فى الوحى المدنى ، أى فى الوحى الخاص بالمجتمع ، وفى بداية السورة حددت : المؤمنين والكافرين والمنافقين ، حتى يكون المؤمنون على علم بأنفسهم ، وبأعدائهم فى الخارج ، والداخل على السواء . كما يشير المؤلف الى أن الدعوة الى أهل الكتاب من جانب المؤمنين كانت ، هى أن يطرحوا المعارضة ، وترتكز هذه الدعوة على أمرين : الأول ، تذكيرهم بنعم الله عليهم ، والثانى ، اعلان المساواة بينهم وبين المؤمنين فى الجزاء . ان سلكوا جميعا المسلك المشترك فى الايمان بالله ، وهذه مرحلة أولى من مراحل التشريع بالنسبة لموقف المؤمنين من أهل الكتاب ، يتلوها مرحلة الصبر والصفح ، ومعها أيضا الحذر والحيطة ، والنهى عن الولاء لهم ، ثم جاءت مرحلة أخيرة هى مرحلة القتال ان اضطرهم هؤلاء إليه . .

■ ■ ■

● وبعد . . .

فنحن أمام دراسة قيمة ممتعة ، ولم يكن هذا الا متوقعا من عالم كبير ومفكر عميق الفكر كأستاذنا الدكتور محمد البهى ، هذه الدراسة ــ كما قلت ــ حلقة من التفسير الموضوعى الذى اتجه إليه أخيرا فى مؤلفاته ، إن لدينا من تفاسير القرآن ما يزيد على الحصر ، ولكن هذه التفاسير أو جلها على الأقل لم تهتم بالمنهج القرآنى إزاء القضايا العقائدية أو السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، وغيرها من القضايا التى تعايشنا ، وبعضها كان ولا يزال مصدرا للهجرم والتهجم على الفكر الاسلامى ، سواء من أعداء الاسلام : مبشرين ومستشرقين ، وماديين ملحدين أو وثنيين ، أو ممن غرتهم ثقافتهم الغربية من المنتسبين الى الاسلام بحكم شهادات ميلادهم . .

هذا حق الدراسة علينا ، أما حق القارىء . . القارىء الذى يؤمن بقيمة الفكر الاسلامى الذى يحمله المؤلف ، فهو أن هذه الدراسة لم تكن فى جو من الإثارة المتوقعة من المؤلف ولا سيما بالنسبة للقضايا التى لا تزال مصدر إثارة للجدل ، ليس معنى هذا أن الدراسة خلت تماما من جو الإثارة ، فنحن مثلا نرى المؤلف عندما عرض . . لسياسة الأمة . . يثير قضية لها أهميتها ، عندما أشار الى أن تدخل المؤمنين بالاصلاح بين

ذات البين فى الأمة ، وبالعدل وإحقاق الحق فيما بين الأفراد جميعا ، كمبدأ أساسى بين المبادىء الرئيسية فى سياسة الأمة الاسلامية هو السبيل للبقاء على تضامن الأمة وتماسكها .. وهو السبيل كذلك للحيلولة دون ما يسمى انقلابا أو ثورة فى الحكم ، وهو السبيل لحل مشكلة ما يسمى فى الوقت الحاضر بالفوارق بين الطبقات ، ولتحقيق ما يسمى أيضا بالعدالة الاجتماعية .. كذلك كان الكاتب مثيرا فيما كتبه حول « الربا » حين أكد أن مجتمع الربا على الضد — فى وضوح — من مجتمع الصدقات ذلك مجتمع مستغل أسوأ استغلال ، وهذا مجتمع يعطى من إنسانيته ، ولا يأخذ مقابل ما يعطى ، وحين أشار الى أن الكوارث والحروب التى مرت بالمجتمعات الأوروبية الغربية ، منذ القرن التاسع عشر الى الآن ، والتى تمر اليوم بالعالم كله ، تعود فى وقوعها الى إباحة الكنيسة البروتستنتينية فى القرن السادس عشر للربا ، كوسيلة مشروعة لاستثمار المال ، فقد أدى التعامل بالربا

— والربا المركب — الى تكديس المال فى جانب قلة من الأثرياء ، وهذا التكديس أدى بدوره الى ظهور الراسمالية ..

وهناك بعض القضايا عرضها المؤلف أيضا ولكن فى هدوء ، فمثلا فى مجال الأسرة ، الطلاق وتعدد الزوجات وحقوق المراة ، بينما مثل هذه القضايا لها ما يبررها اليوم من الإثارة .

وقد أصبحت فى البلاد الاسلامية مجالا للتطاول على التشريع الاسلامى كذلك قضية الولاء لغير المسلمين صليبيين كانوا أم ماديين ملحدين ، أم وثنيين متربصين بالاسلام ، ومن المؤسف الممض أن الدول الاسلامية اليوم — وبدون استثناء — قد فقدت انظمتها الحاكمة أو المتحكمة إرادتها المستقلة ، وأصبحت تدور فى فلك أو اكثر من تلك الأفلاك ..

واذا نحن تجاوزنا دور الإثارة فى الدراسة ، والتى لم تكن متوافرة كما ينبغى ، ولا سيما أن المؤلف من المشهود لهم بالشجاعة فى الرأى ، من حقنا أن نقف وقفة سريعة ، أمام مسألة أخرى جديرة بالاهتمام ، فالمؤلف قد عرض لمسائل خلافية ، كانت فى حاجة الى مزيد من البسط ، ففى المقدمة يقرر المؤلف أنه لا ناسخ ولا منسوخ فى رسالة الاسلام ، وإنما يقع بين رسالة رسول ، ورسالة رسول آخر .. إذ الرسالة التالية قد تلغى بعض ما فى رسالة سبقتها ، لحكمة يريدها الله سبحانه ، ومع أن رأى المؤلف هو الرأى المستنير الذى نؤمن به ، الا أن المسألة ما دامت أخلاقية ، كانت فى حاجة الىشىء من التوضيح ..

● وبعد مرة أخرى ..

فهذه الملاحظات السريعة لا تقلل من شأن هذه الدراسة القيمة الممتعة انها دراسة — بلا أدنى مجاملة — تعتبر من الدراسات ذات المستويات العليا الرفيعة ، وكم نحن فى حاجة الى المزيد منها ، والفكر الاسلامى اليوم يواجه كثيرا من الأعاصير التى تهب عليه من الغرب الصليبى والشرق المادى الالحادى .. على السواء ..!

بأقلام القراء

الديـــن والصحـــة

قال الله عز وجل « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » — الاعراف — وقال تبارك وتعالى « **ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما** » — النساء — . . الى غير ذلك من الآيات التى تنادى بحفظ الصحة والاهتمام بشأنها فهى من نعم الله الكبرى التى من الله بها على عباده فعلى المتمتع بهـــا ان يحفظها وعلى المفتقر اليها أن يسعى للحصول عليها بكل الطرق الممكنة ، فالصحة كنز ثمين وثروة غالية لا تقدر بمال ولا يعرف قيمتها تماما الا القليل الذى اقعده المرض فأصبح يقاسى من الآلام والسقم ما لا صبر عليه . والعاقل من عرف داءه واهتدى لمصدره وقام على استئصاله بقدر ما يمكنه . ان فى كتاب الله الكريم آيات كثيرة تحض على العناية بالجسم من ناحية النظافة ، وحفظ الصحة ، وعدم ارهاقهـــا بالمشاق أو حرمانها من متاع الحياة الدنيا . قال سبحانه وتعالى : « **قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق** » — الاعراف — وليعلم كـــل انسان ان هذه عناية الاسلام بالناحية المادية من الحياة الانسانية .

أما السنة النبوية فهى حافلة فى هذه الناحية بالحكم الباهرة ففى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كـــان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » وليعلم كل انسان ان للجسم مطالب كثيرة وكلهـــا ضرورية للحياة ، على شريطة الاعتدال فيها ، فالغذاء وهو أول المقويات الجسمية قد ينقلب ضربة قاضية على الحياة اذا استعمل بافراط واكثار واذا لم تراع فيه القواعد الصحية كجمع المتعاكسات من المـــواد الغذائية ، ولهذا فقد أجمع أطباء العالم على ان ملاك الصحة الانسانية هو الاعتدال فى الشـــــهوات الجسمية ، بهذه القاعدة الرئيسية جاء الدين الاسلامى .

واذا تأمل المسلم اثر الصلاة والصيام والحج وهى من اركان الاسلام عـــرف انها تدعو بأعمالها الى الصحة والرياضة الى جانب دعوتها الى النظافة ، فحركات الصلاة قيام وركوع وسجود وجلوس . . وهى حركات نشيطة يصح بها البـــدن وتلين المفاصل وتنشط دورة الـــدم والتنفس وتهز الامعاء والمعدة ويقوى الهضم وتدفع الفضلات ، وهى تمارين بارعة اذا احسنت ، كما وصفتها السنة النبوية ، لا كما ينقرها اكثر المصلين كنقر الديك .

وفى الصيام منافع كثيرة طبية ووقائية وعلاجية ، ففيه يصح البدن وتقوى المعدة باعطائها فرصة للراحة شهرا فى العام مما يثقلها من أنواع الطعام والشراب .

وفى الحج رياضة مفيدة تتعود بها الاجسام والأرواح تحمل المشاق والصبر على المتاعب ففيه رحلة طويلة خلال المناسك من مكة الى منى فمزدلفة فعرفات ثم العودة خلالها والطواف بالكعبة المشرفة والسعى بين الصفا والمروة .

فلله الحمد على ما أراد لنا سبحانه وتعالى من طهارة ونظافة وصحة وعافية حتى كملت لنا بذلك النعمة والصحة والعافية بالتنظيف والتطهير والتنزه عن الأوساخ والأقذار التى هى مصدر كل مرض ووباء وبلاء . وعليه يمكن تحصيل فائدة كبيرة باتباع الوصايا الطبية الآتية :

١ ــ اجتنب السهر والكسل والتعب الكثير .

٢ ــ اعتدل فى المأكل والمشرب .

٣ ــ اجتنب المسكرات والمكيفات والدخان وقلل من شرب الشاى والقهوة .

٤ ــ نم مبكرا واستيقظ مبكرا تصبح معافا مسرورا .

٥ ــ متى استيقظت صباحا لا تتقلب فى الفراش متثاقلا فان ذلك يضعف الجسم .

٦ ــ لا تتنفس من فمك وتنفس من انفك ، فانه يقوى الرئتين .

٧ ــ لا تأكل حتى تجوع واذا اكلت فلا تشبع .

علم أن الصحة اثمن ما فى الوجود ، بل الصحة افضل من الثروة وكم ثرى مريض تمنى أن يفقد ثروته ليكسب الصحة والعافية وقد درج الناس فى تحياتهم على أن يسألوا : كيف الصحة .

وهكذا .. أجمع الكل على تقدير قيمة الصحة .

فان انتاج الأمة ورقيها يقاس بتقدم صحة افرادها ، فاذا هزلت الاجسام وضعفت قل انتاجهم وقل عدد البارزين النابهين فى الأمة فلا يرتفع لها شأن ولا يعلو لها ذكر ، فما أسعد أمة يرتفع فيها المستوى الصحى لابنائها ويبلغ ذروة الكمال وما أعظم ما يكون عليه انتاجها وقوتها فقوة الجندى والعامل الزراعى والعامل الصناعى والكاتب والمفكر وعلماء البحوث متوقفة على صحة الابدان وسلامة العقول والأذهان ، فالعقل السليم فى الجسم السليم .

لا تغتر بما تراه فى العالم الغربى من نظافة وصحة ، فان ذلك سرى اليهم أيام احتكاكهم بالمسلمين فى المشرق والمغرب أيام الحروب الصليبية وأيام تغلغل الفتح الاسلامى فى الأندلس وما جاورها .

فالحمد لله على دين الاسلام الذى فيه السعادة ــ سعادة الدنيا والآخرة ــ وصحة الأبدان والعقول والأرواح والهدى الى الصراط المستقيم .

عبد الله بن عبد الرحمن آل سند

قالت صحف العالم

التهجم على الافتـــاء

نشرت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) مقالا تحت هـذا العنـوان عـالج فيه كاتبه مشكلة خطيرة يعيشها مجتمعنا الاسلامى هذه الأيام .. فقد كثر عدد الذين يتكلمون فى الدين بغير علم وأخذوا يحملونّ النصوص القرآنية والاحاديث النبوية فوق ما تحتمل لكى يطوعوها لفكرة اعتنقوها سابقا ..

ومع اننا نعيش فى عصر يؤمن بالتخصص فى كل شىء .. الا أنهم لا يرون أن للدين علماء متخصصين هم القادرون على الافتاء .. لهؤلاء نقتطف بعض ما جاء فى المقال القيم :

لكل علم رجال متخصصون فى دراسته ، فالطب لا يخوض فى مسائله غير الطبيب ، والقانون لا يلج حديثه غير القانونى ، والهندسة لا يناقش أمورها غير المهندس ، فاذا الم غير متخصص ببعض ما لا يمت الى دراسته سأل فى تهيب وحذر ، وانتظر الجواب الصائب مذعنا لما يشير به أولو العلم دون معارضة أو لجاج ..

نجد ذلك فى كل علم من علوم الحياة الا الفقه الاسلامى ، فقد كان من مآسيه أن يخوض فى مسائله كل متكلم من غير المتخصصين فانت تجد كاتب المقالـــة الاجتماعية ، وصاحب التعليقات الاذاعية ، ومحـــرر اليوميات الصحفيــــة ، يحمل الدين . ما لا قبل له به من الآراء فيفسر الآية القرآنية على غير وجهها ، ويميل بالحديث النبوى منحرفا عن دلالته ، ويقتطع شذورا يقتطفها دون بصر من آيات الكتاب لتكون دعامة لزعمه ..

فاذا قلت لهؤلاء : يا قوم انكم تهرفون بما لا تعرفون ، وان للدين علماءه المتخصصين يصدرون عن أمره وينهلون من حوضه فى يقظة ووعى ، اذا قلت ذلك مخلصا لله ولكتابه المبين صاح بك الصائحون من هؤلاء : كلنا رجـــال الدين ، ليس فى الاسلام أناس يحتكرون الحديث عن الاسلام .. !

نحن نعرف انه ليس فى الاسلام رجال دين بالمعنى الذى كان ولا يـــزال مشتهر لدى الكنيسة المسيحية .

ولكن للاسلام علماء دين قد درسوا كتابه ، وفهموا أسراره ، وفقهوا احكامه وهم وحدهم مصدر الافتـــاء ، وليس لكاتب غير متخصص فى دراسة الشريعة

الاسلامية ان يكون أحد هؤلاء لانه اصبح بطريقة ما كاتبا فى مجلة اسبوعية او محررا فى صحيفة يومية أو معلقا فى اذاعة عامة فله ــ فى زعمه ــ ان يتحدث عما لا يعرف من قضايا التشريع ، مستندا الى قشوره السطحية ، ومحرفا الكلام عن وجهه فاذا تعرضت له بالنقد ، وحكمت عليه ان يترك مجالا لم يتهيأ له ، صاح بك فى تنمر مستكبر : ليس فى الاسلام رجل دين .. !

انك لتقرأ لهؤلاء وتسمع عنهم ما يغيظ ويحنق ، وانهم ليتطاولون الى القضايا الدقيقــة فيلوكون القول بألسنة مريبة ، وفيهم من يتجاوز الفروع الفقهية المحدودة الى القواعد الأصولية الكلية التى لا يقف على ابعادها غير الراسخين . فيتحدث عن المصالح المرسلة والاستحسان وسد الذرائــع والضرورات المبيحة للمحرمات، وهو ــ شهد الله ــ لا يدرى من ذلك غير الفاظ عائمة لا تستقر على مدلول دقيق . ويمضى الكاتب قائلا :

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم ومن تبعهم باحسان ، يتهيبون الافتاء مع رسوخ اقدامهم وسعة اذهانهم ، فيحيل بعضهم على بعض ، خشية الزلل ، حتى قال ابن ابى ليلى : قد ادركت فى هذا المسجد ــ مسجد رسول الله بالمدينة ــ مائة وعشرين من الانصار ما منهم احد يحدث الا ود ان اخـــاه قد كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا الا ود ان غيره قد كفاه ، وحتى روى عن الامام الشعبى انه كان اذا سئل عن مسئلة فقهية أحال على زميل يشاركه البصر ، فيحيل الآخر على غيره ، وتدور الاحالات حتى ترجع المسالة الى الشعبى بعد طول طواف فــلا يجد بدا من الافتاء ، وما ذلك كله الا خوف الخطأ فى الاجابة ، مع ان المجتهد الحقيقى فى الاسلام له اجر واحد اذا اخطأ واجران اثنان اذا أصاب .

ولعل ثقة الفقيه من هؤلاء الاجلاء بزملائه كانت مما يدفعه الى الاحالــة عليهم ، بمعنى ان إماما كالشعبى ما كان ليحيل على غيره اذا طلب انسان حــكم الله فيما لا يعرفه سواه ، وقد ولد هذا الحذر الشديد فى بعض النفوس المؤمنة خشية ورهبة كانتا موضع العجب ، حتى قال بعض كبار الائمة : (لولا الخــوف من الله ان يضيع العلم بالسكوت لما افتيت احدا فتوى يكون له منها الهناء ، وعلى وحدى شديد الوزر اذا اخطأت الرأى) .

واذا تركنا الشعبى وزملاءه الى من وليهم بعد ذلك من ائمة الاسلام ، فاننا نجد عالم المدينة مالك بن انس ، رضى الله عنه ، يهتف بكلمته المأثورة : (من قال لا أدرى فقد افتى) ، وهى كلمة تحملنا على ان نقف لديها متأملين ، لأن الامـــام مالكا كان حاضر البديهة واضح الحجة ، عظيم الدراية ، ومثله فى جلال علمــه وطول تجربته وكثرة معاناته لا يعوزه ان يجد الرد السريع على اكثر ما يوجه اليه من الاسئلة المتفرعة فى مسائل الفقه والتشريع ، ولكنه كان يمسك عن الاجابة فى بعض الاحايين ليضرب المثل الملموس على وجوب التثبت ودقة التحرك ، اذ وجد فى عصره اناسا يهجمون على الفتوى السريعة فى كل مسألة تعن ، ويرون فى سرعة الاجابة من التطاول والمباهاة ما لا يليق برجل العلم ، وقد يكون فيهم من تزل قدمه فيخطىء فى الرد حين يظن بنفسه السداد ، رأى الامام ذلك وآلمه فآثر ان يقول قولته : (من قال لا أدرى فقد افتى) ، لينهى هؤلاء المتسرعين عن الخبط الطائر دون تريث واطمئنان وليعظم لديهم مكانة العلم والدين ..

عودة المهاجر

قصة إسلامية

للاستـــاذ : عبد اللطيف فايد

مسيرة طويلة شاقة قطعها النبى وصحبه فى الجهاد لتصــبح كلمة الله هى العليا .. فى كل مرحلة من مراحلها معاناة وامتحان .. وتنتهى كل مرحلة بتحقيق كسب جديد لمعسكر الايمان ..

انتهت مرحلة الدعوة سرا للدين ، وأسفرت وجوه المســلمين جميعا تؤكــد الاصرار والعزم ..

وتمت بيعة العقبة الأولى .. ثم الثانية ــ وهى الكبرى ــ مع اهل يثرب على نصرة النبى اذا هاجر اليهم ..

وهاجر النبى وصحبه الى المدينة ، وتحقق بهجــرتهم نصر سياسى جـــديد ..

وقويت شوكة المسلمين فى المدينة بكثرة الأنصار ، وخاضوا مع المشركين حروبا كثيرة ، كانوا فيها قليل عددهم ، قليل سلاحهم ، لكن إيمانهم الكبير القوى جعل النصر يسعى اليهم :

فى وقعة بدر كانت الضربة الأولى لعصابات الشرك ..

وفى وقعة أحد ابتلى الله المسلمين ، ولقنهم درسا تعلموا منه جانبا هاما من فن الحرب وطاعة التخطيط المنظم للمعركة ..

وفى وقعة الخندق ــ حين اجتمعت أحزاب الكفر فى أكثر من خمسة آلاف مقاتل من حول المدينة ومعهم خيلهم وابلهم وعتادهم الحربى ، يريدون استئصال المسلمين عن آخرهم ــ رأى المسلمون كيف نصرهم الله بقوة إيمانهم ، وبالريح التى شردت أعداءهم ، وبالأمطار التى أطفأت نيرانهم فارتدوا خائبين ..

وفى الحديبية انتصر النبى والذين معه انتصارا سياسيا هاما حين عقدوا عهد وقف القتال بينهم وبين أهل مكة وفيه اعترفت قريش بالمسلمين شخصية مادية ومعنوية ، شأنهم شأن الدول ذات السيادة والسلطان .

وبين كل ذلك سرايا يرسلها النبى وغزوات أخرى يقودها فتمضى يوما أو أياما فى قتال العدو الذى يتربص بالدعوة ، ثم تعود الى المدينة بالنصر والغنيمة .

★ ★ ★

وتتوالى أنباء هذه الأيام العظيمة واحدا فى اثر الآخر الى أرض الحبشة حيث تقيم بعثة النبى هناك ، فتمتلىء قلوب المهاجرين غبطة وفرحا ، ويعود منهم من يعود ليشارك النبى والذين معه جهادهم .. والباقون يحرقهم الشوق الى اللحاق باخوانهم ليكون لهم شرف القتال والاستشهاد فى نصرة دين الله والدفاع عنه .. لكنهم رغبوا فى المقام حيث هم ، وان كانت قلوبهم تكاد تقفز من أقفاص الضلوع الى الأرض التى يتحقق لهم فيها كل يوم نصر جديد ، فالنبى هو الذى أمرهم بالهجرة ، وهو الذى اختار لهم مكانها ، ويجب عليهم الامتثال لأمر قائدهم الذى أصدره اليهم حتى يوجه اليهم أمرا جديدا ، لأنه يعلم من الله ما لا يعلمون .. « وجعفر بن أبى طالب » من أشدهم شوقا الى العودة ولكنه أمير للمهاجرين بأمر النبى ، وليس

له أن يعود تاركا وراءه أحدا ممن ولاه النبى أمرهم والتحدث باسمهم ، وان كان لا محالة عائدا فلا بد أن يكون آخر العائدين ..

★ ★ ★

أمر هام جدا صاحب الأحداث فى حياة الرسالة التى هاجر من اجلها جماعة من المؤمنين الى الحبشة :

فقد كان اليهود فى جزيرة العرب قوة قادرة ، يمـــلكون من أسباب الزراعة والصناعة والتجارة والمال مثل ما يملكون من وسائل الخداع والمكر والغدر .. ويسخرون كل ما يملكون لتدعيم سلطانهم وشوكتهم على قبائل العرب ، لتكون عونا لهم على ما يريدون .. وفى المدينة وحولها كانت مراكزهـــم الكبرى وحصونهم المنيعـــة ، يباشرون منها نشاطهم الآثم الخبيث ..

عندما هاجر النبى الى المدينة لم يقف اليهود بمعزل عن أهلها الذين احتفوا بمقدمه ، بل شاركوا فى هذه الحفاوة حتى ينجلى لهم الأمر ، فقد علموا أن قوة جديدة ترفع راية التوحيد توشك أن تنمو أعوادها على هذه الأرض .. ولم يكن النبى بما فطره الله عليه من ذكاء وفطنة غافلا عن طباع اليهود ، فبسط لهم يده ، وتألف قلوبهم عسى أن يكون منهم خير فى مستقبل الأيام ، وعقد لهم أول وثيقة سياســـية فى تاريخ الأديان الســـماوية ، أمنهـــم فيها على دينهم وأموالهم . واخذ عليهم ولهم المواثيق فى نصوصها .

ولم يكد « عبد الله بن سلام » أول يهودى بالمدينة يعلن اسلامه حتى ظهرت عليهم طباعهم الخسيسة .. وتطور ظهورها من جـــدل حول الدين الجديد الى محاولة الوقيعـــة بين المسلمين ، والى نقض المؤاخاة بينهم ، والى افساد حلف الألفة بين الأوس والخزرج ، لتحكم علاقاتهم من جديد حروب طاحنة .

ولما لم تفلح مكائدهم حاولوا اقناع النبى بمغادرة المدينة الى بيت المقدس حيث نزل كل الرسل من قبله .

ولكن الرد على هذه المكيدة جاء من السماء ليأمر النبى بتحويل قبلة صـــلاته من بيت المقدس الى المســـجد الحرام بيت ابراهيـــم واسماعيل ..

وما كان اليهود ليتركوا محمدا والمؤمنين معه يحاربون قريشا فى وقعة بدر بدون مكائد وغدر لو كانوا يعلمـــون أن فى قدرتهم

الانتصار الذى ايدهم اللـــه به .. واتجهت حيلهم ضد المســلمين وجهة جديدة فهم يغرون بهم المشركين وتسافر رسلهم بالأشعار فى التحريض عليهم ، والتشبيب بنسائهم .. وبذلك دفع بعض اليهود برءوسهم الى سيوف المسلمين .

ولم يكن أمام النبى بد من استخدام القوة ضدهم ، فهم يهددون الدولة الاسلامية ويؤلبون عليها أعداءها ، ويتآمرون ليحيلوا نهارها ظلاما وأمنها شقاء ونعماءها بؤسا وتشردا .

كان بنو قينقاع أكثر يهود المدينة اعلانا للعداوة ، فحاصرهم النبى حتى أجلاهم عن ديارهم جزاء ما نقضوا من عهد وما جاهروا به من عدوان ..

وظن اليهود من حول المدينة وفى داخلها أن انتصار المشركين فى يوم أحد لم يدع للمسلمين قوة يقومون بها أو يقدرون على قتال .. لكن انتصـــار المسلمين فى السرايا منذ صـــبيحة اليوم التالى مباشـــرة ليوم أحد ، وعـــودة الرهبة منهم الى نفوس المشـــركين واستعادتهم هيبتهم لدى أهل المدينة جعل يهود بنى النضير يتآمرون على حياة النبى فى أحد مجالسه معهم ، وأوشـــكت المؤامرة على التنفيذ ، ولولا وحى من الله الى رسوله بالانصراف من هذا المجلس لنجحت مؤامرة اليهود ، فحاصر المسلمون ديارهم حتى أجلوهم عنها بعد قتال دام عشرين يوما .

هل يقف تآمر اليهـــود من حول المدينة بعـــد ان رأوا مصير إخوانهم الذين امعنوا فى الكيـــد والخديعة ونقض العهود ؟.

ليس من طبع اليهود الاعتبار ، ولا الصدق ، ولا الأمانة ، ولا حسن الجوار ، ولا ترك الأمور تجرى من حولهم دون أن يعكروا عليهـــا .

ان همهم الأكبر عندئذ أن يقضوا على الدعوة الاسلامية وعلى صاحبها والمؤمنين معه ، فعادوا إلى التحريض من جديد عليهم .

وفى اليوم الثالث عقد النبى لواء قتاله « لعلى بن ابى طالب » وقال له : « خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك » ..

وقاتل على ومن معه قتالا باسلا حتى انتصروا ..

« القموص » .. ثالث الحصون التى دار فيهـــا القتـــال .. استسلم اليهود داخله بعد أن اشتدت عليهم هجمات المســـلمين ، وأيقنوا أنه لا مفر لهم من الهزيمة .

وبعد قتال عنيف بين الفريقين تداعت الحصـــون المنيعة واحدا

بعد الآخر ..
لم يبق الا حصـــنان وتنتهى خيبر كلهـــا ، هما « الوطيـــح والسلالم » ..
وقبل أن يوجه المسلمون اليهما ضربة واحـــدة ارتفعت منهما الأصوات تعلن التسليم بدون قتال ..
فتح الله خيبر على المسلمين .. وكان النبى رفيقا بأهلها اليهود حين حقن دماءهم وأبقاهم على أرضها التى آلت الى المسلمين يعملون فيها ولهم نصف انتاجها يعيشون منه ويرتزقون ..
وغنم النبى والمؤمنون المقاتلون معه ما كان فى الحصون المنيعة من مال ومتاع ..

★ ★ ★

فى الفصل الأخير من هذه الملحمة العسكرية الرائعة ، التى دك فيها المسلمون حصـــون اليهود ، وساعة تقســـيم الغنائم رأى المسلمون كوكبة من الرجال تثير من حولها الغبار تتراءى من بعيد .. واقترب الركب فاذا هم بقيـــة مهاجرى الحبشة عـــادوا بأمر النبى ..
كان النبى عندما ظهرت بشائر هـــذا النصر العظيم فى أول القتال قد بعث الى النجاشى يشكره على حسن جـــواره لأصحابه ويطلب اليه اعادتهم ، فلم تعـــد الآن بهم ولا بإخوانهـــم المؤمنين ولا بالدعوة نفسها حاجة الى البقاء فى الهجرة والاغتراب ..
امتلأ قلب النبى صلى الله عليه وسلم فرحا وبشرا لعـــودة المهاجرين .. وتقدم اليه زعيمهم « جعفر بن أبى طالب » يقص عليه قصة الأعوام التى قضوها فى الحبشة ، وحسن معاملة أهلها وملكها لهم ، وما حققوا خلالها من نصر سياسى لدعوة الاسلام ..
وعلى أرض النصر عانق النبى جعفرا وقبل ما بين عينيه كرمز للذين هاجروا جميعا ، وعبر عن هذه الفرحة الغامرة والاغتبـــاط العظيم بعودتهم حينما قال لهم جميعا فى شخص زعيمهم : « مـــا ادرى بأيهما أنا أفرح ، بقدوم جعفر أو بفتح خيبر .. »
وأخذ النبى يوزع على المقاتلين ما أفاء الله عليهم من أموال خيبر وخيراتها ، وجعل لكل واحد من المهاجرين العائدين نصيبا فى هذا الفىء كأنهم شاركوا فى القتال الذى حقق الانتصار ..

أخبار العالم الإسلامي

إعداد : ف. م

الكويت :

● جرت انتخابات مجلس الأمة الجديد يوم ٢٧ يناير ، وسيفتتح مجلس الأمة الجديد دورته الأولى يوم ١١ فبراير تحت رعاية سمو أمير البلاد المعظم وسيلقى سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء بيانا ببرنامج الوزارة الجديدة التى سيتم تشكيلها فى الأسبوع الأول من فبراير

● زار البلاد السيد تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا على رأس وفد ماليزى وقد استقبله سمو أمير البلاد المعظم وناقش مع سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء المسائل ذات الأهمية المشتركة بين البلدين .

● صرح السيد عبد الرحمن العتيقى وزير المالية والنفط بأن فى النية فرض السيطرة على صناعة البترول خلال الشهور القليلة ، وقال : انه ابلغ بالفعل بعض الشركات الاجنبية بهذا القرار .

● من أهم المشاريع التى ستنفذها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية خلال العام الحالى انشاء (٢١) مسجدا جديدا بالاضافة الى هدم واعادة بناء (٧) مساجد داخل المدينة .

● بلغ عدد الخريجين من جامعة الكويت هذا العام ٦١٢ خريجا .. منهم اثنان بدرجة الدكتوراه ، و ٢٧ ماجستير ، و ٨٣ دبلومات عليا ، وقد احتفل بتوزيع الشهادات عليهم .

مصـــر :

● افتتح شيخ الأزهر مسجد المزرعة الآلية بالتحرير حيث القى خطبة الجمعة ، وأم جماهير المصلين ، ثم حاضرهم عن (مسئولية العمل والانتاج فى الاسلام) .

● حضر فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر الدورة السابعة للمجلس الاعلى الاستشارى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .. وقد حضر الدورة مندوبون عن جميع الدول الاسلامية وناقشوا الاستعدادات لافتتاح الجامعة وبحث الوسائل التى تحقق أهدافها .

● تقيم الادارة التعليمية بوسط القاهرة مسابقة فى حفظ بعض سور القرآن الكريم وتفسيرها بين تلاميذ المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية وما فى مستواها .

● قدم المجلس الاعلى للشئون الاسلامية مكتبة اسلامية باللغات العربية والانجليزية والاوردية والسواحلية ومنح دراسية ومصاحف شريفة ومرتلة لكل من نيجيريا وباكستان .

● تقرر تخصيص مبلغ (١٠٠) الف جنيه لدعم مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى مختلف المحافظات .

السعودية :

● زار جلالة الملك فيصل كلا من سوريا والاردن ومصر واجتمع الى رؤسائها وتباحث معهم فى الوضع الراهن وتطوراته .. ودعم دول المواجهة بما يكفل رد المعتدين وتحقيق النصر على الصهاينة .

● سيقام احتفال يضم ممثلين عن جميع البلاد الاسلامية يحضره جلالة الملك فيصل لافتتاح المركز الاسلامى بلندن فى العام القادم ، وسيقام المركز على مساحة فدانين منحتهما الحكومة البريطانية ، وسيلحق بالمركز اكبر جامع مركزى فى العالم يتسع لستة آلاف شخص ، كما يلحق به مدرسة لتعليم أصول الدين ، ومكتبة تضم آلاف الكتب الدينية وقاعة للمحاضرات .

● تقرر أن يعقد مؤتمر (التضامن الاسلامى فى مجالات العلم والتكنولوجيا) فى الفترة الواقعة بين ١٧ و ٢٣ من ربيع الاول تحت اشراف جامعة الرياض ، وسيدعى لهذا المؤتمر نخبة من العلماء والمهندسين المسلمين .

● يزور السكرتير العام للامم المتحدة المملكة العربية السعودية يوم ١٢ فبراير لاجراء مباحثات مع جلالة الملك فيصل ودراسة الموقف فى المنطقة .

الأردن :

● صرح مسئول كبير بأن صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت سيزور الأردن قريبا خلال جولة سموه فى الدول العربية .

الجزائر :

● تم الغاء كافة الضرائب على الفلاحين الجزائريين وسيستفيد من القرار ٣ ملايين مواطن .

• • • • •

اخبار متفرقة

بنغلادش :

● وافقت حكومة بنغلادش على افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى داكا .

أوغندا :

● منحت العراق أوغندا ٢٨ منحة دراسية فى الجامعات العراقية للعام الدراسى القادم .

الفلبين :

● أهدى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة قسم الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الفلبين الحكومية بمانيلا (٢٠٠٠) كتاب اسلامى باللغة العربية والانجليزية .

السيدة رقية

رضي الله عنها

إعداد الأستاذ : فهمى الإمام

اســــــمها : رقية بنت محمد صلى الله عليه وسلم .

والدتهــــــا : أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

خطبتهــــــا : جاء وفد ابى طالب يخطبها زوجة لعتبة بن ابى لهب .. فوافق الرسول .. ورضيت ابنته (رقية) بما اراد والدها .

فى بيت ابى لهب : إذا صحت الرواية القائلة بان طلاقها من **(عتبة)** تم بعد انتقالها الى بيت ابى لهب فإنها تكون قد قاست من الآلام والعذاب الشيء الكثير .. فقد بدا والدها صلى الله عليه وسلم يدعو الى دينه الجديد .. ووقف منه ابو لهب وزوجه **(أم جميل بنت حرب)** موقف العداء والاضطهاد للرسول وصحبه .. بل ما رؤى احد اشد منهما عداوة لرسول الله .. وكانت ام جميل شرسة الطبع سليطة اللسان .. قاسية القلب .. وكان زوجها **(ابو لهب)** العدو الاول للمسلمين وإمعاناً فى حربهما للرسول اقسم ابو لهب على ولده : أن يطلق بنت محمد .. واقسمت أم جميل : الا يظلها وبنت محمد سقف .. فعادت (رقية) الى بيت والدها وفى جوار ابيها وامها واخواتها ..

زواجهــــــا : وما لبثت (رقية) حتى ابدلها الله خيرا من عتبة فجاء : **عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس ..** يخطبها من والدها صلى الله عليه وسلم .. فوافق عليه الرسول زوجا لابنته .. وقد كان عثمان فتى قريش الكريم .. فقد أعزه الله فى الجاهلية نسباً وحسبا ومالاً .. واعزه الله فى الإسلام فكان من المسلمين الاولين .. وكان ذا شأن ومكانة ، وله مواقف جليلة ..

هجرتها الى الحبشة : هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان الى الحبشة .. وكانا أول من هاجر اليها . فارقا الأوطان والأهل كارهين .. واجتمعا فى الطريق مع الوفد المهاجر

فرارا بدينه وعقيدته ..
وكان غنـاء الحادي :

الأهـل والأوطـان فراقهم صـعب

لكنـه الإيمـان فـداؤه القلب
والـروح والأبـدان فليقبـل الرب
فليقبـل الرب

ثم وصلا الحبشة .. وقد اثرت فى صحتها الأحداث فأسقطت جنينها الأول .. وخيف عليها من شـدة الإعيـاء والضعف . وقاست ما قاسـت فى بلاد الهجرة ..

العـودة الى مكة : انطلقت إشاعات فى الحبشة أن قريشا ثابت الى رشدها .. فآمنت طائفة منها بالدين عن اقتناع ويقين ، ورغبت اخرى فيه سعيا وراء الغنم والمجد حين راوا تزايد عدد المسلمين .. وحين احسوا بأنه سيكون لهم شأن . ولما وصل الركب العائد الى مشارف مكة راوا نفرا من إخـوانهم المسـلمين المستضعفين يذوقون سوء العذاب من زبانية قريش .. فدخلوا فى جوار بعض وجهاء مكة .. وآبت السيدة رقية الى بيت أبيها .. فهالها ان والدتها السيدة خديجـة قد انتقلت الى جـوار ربها .. واعتصرها الأسى والحزن .

الهجرة إلى يثرب : وما كاد يستقر بها المقام فى مكة حتى هاجر والدها صلى الله عليه وسلم الى يثرب .. وهاجرت هى ايضا مع زوجها عثمان رضى الله عنه ..
وقضت أيامها بجوار زوجها .. ومع والدها صلى الله عليه وسلم واخواتها ..

ولادتهـــا : فى دار الهجرة وضعت طفلها عبد الله بن عثمان .. وكانت به سعيدة فقد وجدت فيه العزاء لثكلها جنينها البكر ، ومصابها فى أمها ، وما ذاقته فى هجرتها .. ولكنه مات طفلا .. فحزنت عليه كثيرا .. وأصابتها الحمى .

وفاتهـــا : بقى عثمان الى جوارهايمرضها ويرعاها ، فتخلف بسبب ذلك عن شهود موقعة (بدر) .. ثم عاد المسلمون من الموقعة منتصرين .. وفى هذه الأثناء أسلمت السيدة رقية روحها الطاهرة الى بارئها .. وحزن الرسول على فقدها ، وصـلى عليها .. وشيعت يثرب بنت الرسول ذات الهجـرتين الى مثواها الأخير .
رضى الله عنها وأرضاها .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الأيام الاسبوع	صفر ١٣٩٥	فبراير ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
اربعاء	١	١٢	١٨٦	١١ ٣٤	١٢ ٥٥	٦ ٢٨	٩ ٣٧	١ ١٨	٥ ٨	٦ ٣٠	١٢ ٢	٣ ١٢	٥ ٣٥	٦ ٥٣
خميس	٢	١٣	١٨٧	٣٣	٥٣	٢٧	٣٧	١٨	٨	٢٩	٢	١٢	٣٥	٥٣
جمعة	٣	١٤	١٨٨	٣١	٥٢	٢٦	٣٧	١٨	٧	٢٩	٢	١٣	٣٦	٥٤
سبت	٤	١٥	١٨٩	٣٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٨	٧	٢٨	٢	١٣	٣٧	٥٥
احد	٥	١٦	١٩٠	٢٨	٤٨	٢٤	٣٦	١٨	٦	٢٧	٢	١٤	٣٨	٥٦
اثنين	٦	١٧	١٩١	٢٧	٤٦	٢٣	٣٦	١٨	٥	٢٦	٢	١٤	٣٩	٥٧
ثلاثاء	٧	١٨	١٩٢	٢٦	٤٥	٢٣	٣٦	١٨	٤	٢٥	٢	١٥	٣٩	٥٧
اربعاء	٨	١٩	١٩٣	٢٤	٤٣	٢٢	٣٥	١٨	٣	٢٤	٢	١٥	٤٠	٥٨
خميس	٩	٢٠	١٩٤	٢٢	٤٢	٢١	٣٥	١٨	٣	٢٣	٢	١٦	٤١	٥٩
جمعة	١٠	٢١	١٩٥	٢٠	٤٠	٢٠	٣٥	١٨	٢	٢٢	٢	١٦	٤٢	٥٩
سبت	١١	٢٢	١٩٦	١٨	٣٨	١٩	٣٤	١٨	١	٢١	٢	١٦	٤٣	٧ ٠٠
احد	١٢	٢٣	١٩٧	١٧	٣٧	١٩	٣٤	١٧	٠٠	٢٠	١	١٧	٤٣	٠٠
اثنين	١٣	٢٤	١٩٨	١٥	٣٥	١٨	٣٣	١٧	٤ ٥٩	١٩	١	١٧	٤٤	١
ثلاثاء	١٤	٢٥	١٩٩	١٤	٣٤	١٧	٣٣	١٧	٥٨	١٨	١	١٧	٤٤	١
اربعاء	١٥	٢٦	٢٠٠	١٢	٣٢	١٦	٣٣	١٧	٥٧	١٧	١	١٨	٤٥	٢
خميس	١٦	٢٧	٢٠١	١١	٣١	١٦	٣٢	١٧	٥٦	١٦	١	١٨	٤٥	٢
جمعة	١٧	٢٨	٢٠٢	٩	٢٩	١٥	٣٢	١٧	٥٥	١٥	١	١٨	٤٦	٣
سبت	١٨	مارس	٢٠٣	٧	٢٧	١٤	٣٢	١٧	٥٤	١٤	٠٠	١٨	٤٧	٤
احد	١٩	٢	٢٠٤	٦	٢٥	١٣	٣١	١٧	٥٣	١٣	٠٠	١٩	٤٧	٤
اثنين	٢٠	٣	٢٠٥	٤	٢٣	١٢	٣١	١٧	٥٢	١٢	٠٠	١٩	٤٨	٥
ثلاثاء	٢١	٤	٢٠٦	٢	٢١	١١	٣١	١٧	٥١	١١	٠٠	١٩	٤٩	٦
اربعاء	٢٢	٥	٢٠٧	١	٢٠	١٠	٣٠	١٧	٥٠	١٠	٠٠	١٩	٤٩	٦
خميس	٢٣	٦	٢٠٨	١٠ ٥٩	١٨	٩	٣٠	١٧	٤٩	٩	١١ ٥٩	٢٠	٥٠	٧
جمعة	٢٤	٧	٢٠٩	٥٧	١٦	٨	٣٠	١٧	٤٨	٨	٥٩	٢٠	٥١	٨
سبت	٢٥	٨	٢١٠	٥٦	١٥	٨	٢٩	١٧	٤٧	٧	٥٩	٢٠	٥١	٨
احد	٢٦	٩	٢١١	٥٤	١٣	٧	٢٩	١٧	٤٦	٦	٥٩	٢٠	٥٢	٩
اثنين	٢٧	١٠	٢١٢	٥٢	١١	٦	٢٨	١٧	٤٥	٥	٥٨	٢١	٥٣	١٠
ثلاثاء	٢٨	١١	٢١٣	٥١	١٠	٥	٢٨	١٧	٤٤	٤	٥٨	٢١	٥٣	١٠
اربعاء	٢٩	١١	٢١٤	٤٩	٨	٤	٢٧	١٧	٤٣	٣	٥٨	٢١	٥٤	١١
خميس	٣٠	١٣	٢١٥	٤٨	٧	٤	٢٧	١٧	٤٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١١

« إلى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهـد التوزيع عندهم ، وهـذا بيـان بالمتعهـدين :

مصــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبـار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخـرطوم : دار التـوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـا : طرابلس الغرب : دار الفرجاني ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبـة الخـراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـرب : الدار البيضاء ــ السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنسـا .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الريـاض : مكتبـة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ــ ص.ب : (٧٦) .
الطـائف : مكتبـة الثقـافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكـة المكرمـة : مكتبـة الثقـافة .
المدينـة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .

العـراق : بغـداد : وزارة الاعـلام ــ مكتب التوزيع والنشـر .

البحـرين : المكتبـة الوطنيـة : شـارع باب البحـرين .

قطـر : الدوحـة : مؤسسة العـروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـى : مكتبـة دار الحكمـة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكـويت : مكتبـة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلىأنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة منالمجلة

الثمـن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيـا ١٠ قروش ● تونـس ١٢٥ مليما ● الجـزائر دينـار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعـدن ٧٥ فلسـا
● لبنـان وسـوريا ٥٠ قرشـا ● مصـر والسـودان ٤٠ مليمـا

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد الله الصمد

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٣) السنة الحادية عشرة ـ غرة ربيع الأول ١٣٩٥ هـ ـ مارس ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



تعليق الغلاف

مكتبة مسجد عبد الله العثمان بالكويت وقد بدت عامرة بالكتب القيمة التى تفى بحاجة المصلى الباحث فى يسر وبساطة .

(انظر صفحة ٣٦)

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــدد : ١٢٣

غرة ربيع الأول ١٣٩٥ هـ ــ الموافق مارس ١٩٧٥ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربى

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



سيروا على بركة الله يداً واحدة وصفاً واحداً

كلمة سمو أمير البلاد المعظم فى حفل افتتاح مجلس الأمة الموقر فى دور الانعقاد العادى الاول من الفصل التشريعى الرابع ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعونه وتوفيقه نفتتح دور الانعقاد العادى الأول من الفصل التشريعى الرابع لمجلس الامة متوجهين اليه سبحانه وتعالى ان يوفقنا جميعا فى خدمة وطننا الحبيب وشعبنا الوفى ، ويطيب لى ان احييكم اجمل تحية وان اهنئكم بالثقة التى حصلتم عليها فى الانتخابات العامة الاخيرة التى جرت لتجديد هذا المجلس واصبحتم منذ اليوم تتحملون الأعباء والمسؤوليات النيابية التى تتطلب منكم البحث السليم والراى السديد للكثير من الأمور والأعمال التى ستجدونها امامكم خلال كل فصل تشريعى طوال السنوات الأربع القادمة ٠



ابنائى الأعزاء :

ان الفترة الحاسمة التى تجتازها امتنا العربية بالاضافة الى الظروف العالمية الدقيقة تحتم علينا ادراكا ووعيا حقيقيين لواجباتنا الوطنية وتزيدنا ايمانا وعزما بالتمسك بالروح الديمقراطية التى كانت عنصراً من عناصر حياة مجتمعنا منذ تكوينه وحفاظا على روح الأسرة الواحدة ورغبتنا المخلصة فى بذل كل ما نستطيع من اجل تحقيق آمالنا واماننا التى نصبوا اليها فى ظل مجتمع مترابط متعاون يسوده الاخاء والعدل والمساواة .

واننى لعلى يقين بان التعاون بينكم وبين السلطة التنفيذية سيكون على اكمل وجه لتمكينها من القيام بمسؤولياتها واعبائها خير قيام كما ان مجلسكم سيجد من قبل الحكومة كل تفهم واستجابة لتمكينه من القيام بواجباته على أتم صورة . وفى جميع الأحوال علينا ان نضع نصب اعيننا ان يكون رائدنا وهدفنا دائما وابدا مصلحة الكويت التى يجب ان نضعها فوق اى اعتبار آخر ، فلنسر على بركة الله يدا واحدة وصفا واحدا نعمل بكل ما فى قلوبنا من حب عميق لهذا الوطن وابنائه لنهيىء للأجيال القادمة مستقبلا زاهرا ونترك لها أثرا حميدا تفاخر به وتعتز والله يوفقنا ويرعانا ويسدد على درب العمل الجاد خطانا . والسلام عليكم ورحمة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

اليوم الوطني للكويت ..

احتفل الكويت يوم ٢٥ فبراير الماضي بيومه الوطني .. وهو يوم التحرر والاستقلال ..

فإن التركيز على معناه العميق وقيمته الجوهرية يجدد في المواطنين الاحساس القوى بمضمون الاستقلال .. حاضرا ومستقبلا ..

وتجديد الاحساس بمضمون الاستقلال ومعناه انما هو اصرار على ان يظل الكويت حرا مستقلا اصيلا في كيانه .. واتجاهه .. وولائه .. والمحافظة على المكسب لا تقل اهمية عن الحصول عليه ابتداء .. فماذا في الاستقلال من قيم ينبغي الحرص والاستمساك بها وتنميتها باستمرار ؟

اولى هذه القيم الولاء المتحرر الأصيل .. وأقوى الضمانات التي تجعل « الولاء » اصيلا متحررا هي ان يكون هذا « الولاء » لله وحده لا شريك له ، فإفراد الله بالوحدانية يخلص الولاء له سبحانه .. وحسن الصلة بالله في العبادة والتشريع يمنح الولاء المتحرر الأصيل معنى الاستقرار والرسوخ والاستمرار .

وثاني هذه الضمانات كذلك .. الاخلاص والجد في الانتاج الوطني وذلك أنه من مكايد الاستعمار وخططه الابقاء على أوطان معينة كاسواق لبضائعه ومنتوجاته ... من هنا فإن استكمال الاستقلال يقضي بان يتحول المجتمع الى كتلة او خلية انتاجية — في مختلف مجالات الانتاج تمد الوطن بحاجاته وتلبي طموحه ورغباته .. وفي نفس الوقت تصدر الفائض الى الخارج .. وهذا معنى من معاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

وثالث هذه الضمانات .. استقلال السلوك الاجتماعي عن تقاليد وعادات وأذواق المستعمرين .. فالتبعية السلوكية والأخلاقية .. تساوي التبعية السياسية في القدر وتتمشى معها في الاتجاه ..

وبهذا يسر مجلة الوعي الاسلامي أن تقدم هذه القيم وضماناتها مساهمة منها في مناسبة اليوم الوطني .. وعلى الله التوفيق .

المولد النبوي علامات هداية ..

لم يكن ميلاد سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم حدثا عاديا بسيطا ليس له أهمية ، وانما كان حدثا هائلا كبيرا يحمل اشارات نور ورحمة وهداية للناس ذلك لأنه ميلاد الرحمة المهداة وميلاد سيد العالمين .

ان ميلاد المصطفى يعد بداية الطريق لحياة الصلة بالله سبحانه فقد بقى عليه الصلاة والسلام تحت نظر البارى سبحانه فى رعاية الرحمة الآلهية الى أن جاءه الوحى حاملا رسالة النور .

ان احتفال المسلمين بهذا الحدث الكبير لا ياخذ صورته الصحيحة فى الأساس باهمية ما للمولد من تاثير وتعلق بالسيرة العطرة ما لم ترتسم أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياة المسلم فتغدو حية زاهرة متفتحة : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

أما الحادث اليوم فهو الاحتفال المؤقت ، والحق ان الاحتفال بحياة الرسول صلى الله عيه وسلم يجب أن يكون فى كل وقت فانت أيها المسلم تجد توجيه المصطفى عليه الصلاة والسلام فى جميع أعمالك وأقوالك فاحتفالك الحق هو مراعاة تلك الأقوال والأعمال حسب منهجه عليه الصلاة والسلام هذه ناحية، أما الأخرى فهى كثرة الصلاة عليه، والثالثة وهى عماد المسلم فى هذا الاحتفال هى الدعوة بدعوة المصطفى وأحياء منهجه فى حياة الناس فبذلك يتحقق الاحتفال الدائم وترتفع طبيعة الحفل المؤقت لئلا تهضم كثافة حدث كبير وأى حدث أعظم من ميلاد سيد البشر .

وختاما فما دامت تلك الصور التى وعيناها ذات هذا التاثير ، فان اسلامنا يطلب منا اجلال الرسول صلى الله عليه وسلم والانقياد لنهجه المستقيم لأنه صراط الله سبحانه ولأنه طريق الجنة ولأنه النجاة من النار .

هذه شذرات على هامش حديث المولد الكريم رجاء ان تعلق فى قلوبنا ونفوسنا لا أن تملأ مجرد الذهن مع خواء النفس ومرض القلب فالبلية اليوم ـ وكل يوم مثله يكون لأمة ما ـ الاهتمام بالفكر والعقل دون قواعد الايمان ورسوخها فى القلب فتصبغ بها الأعمال ، والرجاء أن ترسخ هذه المعانى فى النفوس فنحقق بعونه سبحانه احتفالنا الصحيح : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون .

رئيس التحرير

بدر سليمان القصار

آية من كتاب الله

للأستاذ : محمد سرور زين العابدين

من على وهدة فى الارض ينظر المسلمون الى القمة السامقة .

ويعيشون فى اتون من الضياع والحيرة .

كيف كانوا واين هم اليوم ؟

لماذا انحدروا الى هذا المستنقع الآسن بعد ان كانوا فى قمة شاهقة تنخلع الرقاب دون ذراها ؟

ويختلفون عند تشخيص الداء ووصف الدواء .

ــ فناس يرون بأن علينا ان نقلد الاوروبيين حذو القذة بالقذة ، وهؤلاء قسمان :

قسم ينادى بتقليد اوربا الراسمالية وآخرون ينادون بتقليد اوربا الشيوعية .

ــ وناس يرون بأن المسلمين وقعوا بما هم فيه لتقصيرهم فى أمر مندوب ويكرسون حياتهم فى الدعوة له والعمل من اجل عودة المسلمين الى التمسك به .

وفات هؤلاء واولئك ان الله سبحانه وتعالى فى آية واحدة من القرآن الكريم . يحدثنا عن ظاهرة الانحراف واسبابها ، وينذرنا من عاقبة المضى فيها ، ويدلنا على وسيلة النجاة ، وهذا كله جاء فى آية واحدة :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء : ١٦) .

الترف :

والترف لغة : كما جاء فى لسان العرب ــ التنعم . والمترف : الذى

١

قد ابطرته النعمة وسعة العيش . واترفته النعمة اى اطغته . والمترف كذلك : المتوسع فى ملاذ الدنيا وشهواتها .

وقد ذم الله الترف فى آيات كثيرة. وجعله من اسباب انهيار الأمم وهلاكها فى الدنيا . اما فى الآخرة فمعظم اهل النار من المترفين الفاسقين .

« وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون » (المؤمنون : ٣٣) .

« وما ارسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون » . (سبأ : ٣٤)

« واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين » (الواقعة : ٤١ — ٤٥)

« حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون . لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون » (المؤمنون : ٦٤ ، ٦٥)

والمترفون هم الذين انعم الله عليهم فما راعوا النعمة حق رعايتها . بل عاثوا فى الارض فسادا .. يبحثون عن إرضاء نزواتهم . ويزينون للناس كل ما حرمه الله عقائد كانت او خمورا وولوغا فى دماء الناس واعراضهم واموالهم .

« وسواء كان معنى (امرنا) اى جعلناه سلطانا واميرا كما فى رواية ابان عن عاصم ، او انه من الامر — اى امرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا — كما هو مذهب سعيد بن جبير .. سواء صح هذا او ذاك فالمترفون كما اشار اليهم القرآن الكريم فى عدد من الآيات ، هم الطبقة الحاكمة الآمرة التى واجهت انبياء الله بالعداوة والبغضاء ، وورد ذكرهم فى سياق الحديث عن الكافرين المتجبرين. والفسق فى الكفر : الخروج الى افحشه » .

والغنى غير الترف ، ولو كان اكثر المترفين اغنياء .

فالاغنياء الذين يستعملون اموالهم فى طاعة الله ومرضاته ، ويدفعون حق السائل والمحروم منها ، عباد مكرمون لهم اجرهم عند الله سبحانه وتعالى ، ومن هؤلاء كان عثمان بن

عفان رضى الله عنه الذى قام بتسليح جيش العسرة ، ووزع تجارته على فقراء المدينة ـ عام المجاعة ـ وآثر ما عند الله من أجر لعباده المنفقين على أضعاف ما دفعه تجار المدينة .

وفى عصرنا الحاضر نماذج طيبة من أغنياء المسلمين الذين ينفقون فى السراء والضراء ، ويعيشون حياة عادية ليس فيها أثر من ترف ، ولا شبهة من حرام .

التدمير والهلاك :

ان الله لا يأمر الا بالعدل والاحسان ، ولكن الذين يعبدون اهواءهم ، ويأبون الا شريعة الغاب . استخفوا بشعوبهم الضعيفة ، فنصبوا لها الاصنام والتماثيل ... ونكلوا بأنبياء الله ورسله .

وناس هذا وضعهم كثر فيهم المترفون وسادوا ، وقل فيهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر ، وجبن المؤمنون عن مواجهة المفسدين ... هؤلاء ليس لهم الا الدمار ويحق عليهم عذاب الله .

وللدمار انواع :

فهود عليه السلام عندما اعرضت عن دعوته (عاد) أرسل الله اليهم ريحا صرصرا عاتية : « **فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين (الأحقاف : ٢٤ ، ٢٥)** .

وثمود لما عقروا ناقة صالح عليه السلام :

« **فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين » (الأعراف ٧٨)**

والدمار احيانا يكون بصيحة واحدة دون أن يرسل الله لهم جندا أو طوفانا ، كما حدث لاصحاب القرية التى كذبوا المرسلين :

« **وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » (يس ٢٨ ، ٢٩)**

والأمثلة على تدمير الأمم بسبب الترف وافرة جدا فى التاريخ .

فالدولة العباسية عندما انصرف المسؤولون فيها عن الجهاد الى القينات والخصيان والجوارى ، وصارت قصورهم أوكارا للرذيلة ، ومرتعا للمترهلين .. عندئذ سلط الله عليهم المغول والصليبيين فأهلكوا الحرث والنسل ، وفتتوا وحدة الدول الاسلامية الى حين ، حتى نهض نور الدين زنكى وتلميذه صلاح الدين رضى الله عنهما .

فبالترف اندحر المسلمون وبالخلق والعقيدة عاد المسلمون يحمل لواءهم صلاح الدين .

ومن التاريخ القريب احتلال فرنسا خلال يوم واحد على يد الالمان فى الحرب العالمية الثانية ، وفرنسا آنذاك امبراطورية عظمى من اكبر

دول العالم ، لكن جيشها كان منحلا فاسدا لا تحركه عقيدة ولا يهزه بقايا من خلق ، وجاءت الهزيمة حصيلة تربية جيل كامل على البغاء والخمر .

تبعة الامة :

« واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . »

فالله سبحانه وتعالى دمر القرية بكل من فيها ، وفيها ناس طيبون ولكن الطيبين لم يأخذوا على أيدى الظالمين فوقعوا فى الاثم وشملهم الهلاك بعد أن غضب الله عليهم .

وفى العالم ــ اليوم ابتعاد عن منهج الله ، وموجات مسعورة من دعاة التغريب ــ الشرقى والغربى ــ وهؤلاء يريدون لنا انحرافا فى الفكر والسلوك والاقتصاد .

والمترفون يرعون هذا السعار المحموم ، يرعونه بأموالهم واعراضهم وسلوكهم ، وازاء ذلك فالله قد اوجب علينا إنكار المنكر لقوله صلى الله عليه وسلم :

(من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وهو اضعف الايمان . رواه مسلم .

واستحق بنو اسرائيل اللعنة على لسان أنبيائهم ما كانوا يتناهون عن المنكر :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (المائدة : ٧٨ ــ ٧٩) .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم اسفلها وكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) (رواه البخارى) .

والمطلوب منهم ان يأخذوا على ايدى العصاة المترفين فى هذا الحديث هم انفسهم المهددون بالهلاك ان تركوا المترفين يفسقون ويعبثون ، وحتى يؤدوا دورهم المنتظر عليهم أن يعملوا ويتعاونوا بشكل جماعى لا يقل عن تجمع اهل الفسق وقوتهم .

فالفرد وحده لا يستطيع ان يقابل اوضاعا فاسدة عاتية ، ولا يسلم من عقوبة الله واثمه ان اعتمد على نفسه وقصر عن مد يد المساعدة الى اخوانه الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر .

وواجب علينا فعل الأسباب ، وليس مجرد الكلام .

فهل يشعر المسلمون بفداحة الخطر ، وهول الكارثة ويتناسون ما بينهم من خلافات جانبية لا قيمة لها ويجتمعون على صعيد واحد ؟ !

الذكرى العملية

الأمم ــ كالأفراد ــ تعيش ، أو يجب أن تعيش على بارق متجدد من ذكرياتها السوالف .. يسطع أبدا فى جوانب حياتها ، مذكرا بالتجارب الغابرة ، وحاثا على تجديد أطايبها وأمجادها ، وزاجرا عن تكرير خبائثها وشرورها ، وباعثا فيها روح الأمل ، وحسن الثقة ، والرغبة فى مزيد من القوة والكمال .

والمسلمون ــ اليوم ــ يعيشون ذكرى ميلاد رسول الاسلام ، عليه أفضل الصلاة وازكى السلام .

لقد ولد البشير النذير ، والسراج المنير ، فى يوم من الايام الأوائل ، من شهر ربيع الأول ، على اختلاف الروايات بين التاسع والثانى عشر . ولد محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .. الذى جاء استجابة لدعوة ابيه ابراهيم ، وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى ، ومصداقا لرؤيا أمه آمنة التى رأت حين حملت به أن نورا خرج منها أضاءت له قصور الشام ..

وليس من شأنى ــ هنا فى هذه المقالة ــ ان اتناول بالحديث كيف ولد ؟ وما هى بشائر ميلاده ، ولا انه ابدىء واعيد الكلام فى شمائله الكريمة العظيمة صلوات الله وسلامه عليه .. فكل ذلك معروف ومذكور لدى الناس ، من أمة محمد

لميلاد الرسول

للأستاذ : احمد محمد جمال

ومن غير امته على سواء . والهيئات الدينية — فى العالم الاسلامى — والصحافات ، والاذاعات ، والتلفازات .. سوف تفيض بالاحاديث والمقالات والخطب الروائع والقصائد الحسان ، التى تمجد محمدا — وحق لها هذا التمجيد — وتروى سيرته العاطرة ، وتذكر رسالته العظمى ، واستاذيته الكبرى ، وفضله البالغ السابغ على الناس ، من غربيين وشرقيين ، مسلمين وغير مسلمين ممن تعلموا علم الاسلام ، وتخلقوا باخلاقه ، ولكنهم لم يعتقدوا عقيدته ، ولم يؤمنوا برسوله .

لقد ارسله الله عز وجل — وهو سبحانه صاحب الفضل الأول والأكبر .. بذلك العمل النبوى الفذ ، الذى أنجزه ، وأدى به الامانة ، ونصح الامة كرسول من رب العالمين، بعثه لأنقاذ البشرية مما ركبته من جهل ، ومما ركبها من ضلال .

فحق للمسلمين خاصة : ان يبتهجوا لذكرى ميلاد نبيهم الحبيب ، وأن ينشطوا قلوبا وعقولا وأجساما لاحياء هذه الذكرى المجيدة السعيدة ، وللتذكير بها . وحق (لمحمد) نفسه صلى الله عليه وسلم : أن يحظى بهذا الاهتمام .. من أمته التى جاء اليها حريصا على هداها ، رحيما فى سياستها ، حكيما فى قيادتها ،

عادلا فى قضاياها ، بانيا لأمجادها ، رافعا اياها فى معارج الخير والكمال والجلال .

★ ★ ★

ونحن هنا — فى مكة المكرمة . . مسقط رأس محمد صلى الله عليه وسلم ، ومهبط وحى الله عليه ، ومنزل رسالته عليه — احق الناس بذكره والتذكير به . .

أن محمدا بعث منا لنا وللناس كافة . وولد فى أرضنا ، ودرج عليها وسعى فى شعابها بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه ، وسراجا منيرا . . ثم اذاع صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتباعه من بعده : برسالته هدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

لقد أبدل (الاسلام) الذى جاء به محمد : بظلام الارض نورا ، وبجور الطغاة عدلا، وبباطل المشركين حقا ، ، وبشر الجاهلين خيرا . . حتى كانت الحضارة الاسلامية التىانشأها محمد وأصحابه واتباعه من بعده : أسلم الحضارات وأقومها وأحكمها وأثبتها : تشريعا وتعليما ، وتربية ، واجتماعا ، وسياسة وحربا .

وذلك شىء معروف ، وتاريخثابت وحقيقة لا تحتاج الى دليل ، الا اذا احتاج الى الدليل النهار .

★ ★ ★

ولكن لماذا يسعى المسلمون فى ذكرى الميلاد النبوى الى تجديدها او احيائها والتذكير بها ! مع انهم يذكرون محمدا — صلى الله عليه وسلم كل يوم فى صلواتهم الخمس ونوافلها ، ويذكرونه بعدها مع التسبيح بحمد الله وتكبيره ، ومع المؤذن حين يؤذن ، وحين تقام الصلاة وفريق كبير منا يذكره بأوراد مخصوصة معينة بأيام الاسبوع .

الجواب : اننا نذكر محمدا صلى الله عليه وسلم ، خلال هذه المناسبات المتعددة فى اليوم الواحد — نذكره ذكرا باردا ، ذكرا ميتا . . لا يتجاوز النطق باسمه الكريم ، متبوعا بالصلاة والتسليم عليه . ثم لا ذكرى لرسالته ولا اهتداء بسنته ، ولا اقتداء بخلقه العظيم ، وهو القائل : (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى) .

والقرآن — قبل قوله عليه الصلاة والسلام — يقول عنه :

— « وإنك لعلى خلق عظيم » (١)

— « وإنك لتهدى الى صراط مستقيم » (٢)

— « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (٣)

— « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . . » (٤)

ــ « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر .. » (٥)

ــ « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا .. » (٦)

بل حسبنا ايقانا واذعانا ، وحسبه هو صلى الله عليه وسلم ذكرا وفخرا ان نقرأ دون ذلك كله : **(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)** فقد كان صلوات الله وسلامه عليه « الرحمة المهداة » للكون وللحياة وللبشرية كلها .

★ ★ ★

هذا بعض من فيض .. مما يذكره القرآن عن (محمد) وعما جاء به من هدى ونور . ولو ذهبت أجمع ما يذكره عنه فى موضوع الحكم ، وموضوع المعاملة ، وموضوع الأخلاق وموضوع الأسرة ــ لأبصرنا عجبا ، ولانتشينا طربا من القرآن .. الذى هو خلق محمد ، أو من خلق محمد الذى هو القرآن . ولكن هذه المقالة الوجيزة ــ لو فعلت ــ تطول والمقام لا يتسع .

فحسبنا ــ اذن ــ أن نذكر أن محمدا بعث رحمة للعالمين ، وكان هو فى نفسه وأهله وأمته رحيما رؤوفا . يعفو ويستغفر ، يعفو عن الخاطئين ويستغفر لهم ، ولا يستبد دون أمته برأى منفرد ، الا اذا كان وحيا الهيا : **(فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) .. (٧)**

● وكان حريصا على أمته أن تهتدى وترشد ، عزيزا عليه أن تشق على نفسها بجهالة أو ضلالة .

● وكان سراجا منيرا .. بأخلاقه ومعاملاته ومحادثاته ، لا ظلم ولا ظلام فى فعله ولا فى قوله .

● وكانت أمته التى عايشته متراحمة فيما بينها ، اقتداء بقائدها الراشد ، ومعلمها الرحيم ، لما كانت شديدة على أعدائها الذين يدسون لدينها ويكيدون :**(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)** (٨) .

★ ★ ★

واذا كنا ملزمين أدبيا أن نصلى عليه ونسلم كلما ذكرناه ، أو كلما ذكر لنا ، والبخيل البخيل من لا يفعل ذلك والله فوق هذا أمرنا أن نصلى عليه **(إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٩) .**

فنحن ملزمون دينيا ان نذكره — **صلى الله عليه وسلم ذكرا عمليًا ، لا ذكرا باردا ، ولا ذكرا ميتا ، فحين** يرد اسمه الكريم فى اذان المؤذن ، **واقامة الصلاة . وفى تحياتنا ، وبعد** قضائها ، وعندما يذكره متحدث أو واعظ أو كاتب — يجب أن نصلى عليه **صلاة من قلوبنا ، لا بالسنتنا وحدها ، صلاة بعقولنا لا بوجداننا فحسب ، صلاة نتذكر بها رائدنا الصادق ، وقائدنا الرشيد ، ومعلمنا المشفق ، صلاة نتدبر بها ما نحن فيه خلافا لما يجب أن نكون عليه ، كأتباع لهذا النبى الذى نصلى عليه ونسلم ، بل هذا النبى الذى يصلى الله عليه وملائكته ويسلمون .**

★ ★ ★

ان المسلمين اليوم ، وهم يستقبلون ذكرى الميلاد النبوى الذى كان فاتحة خير ونور للانسانية كلها ، بعد فترة من ظلام وشقاء — يستقبلونها وهم يعانون من خطأ وخطل وخطر ..

اما (الخطأ) فلأنهم ضلوا عن سبيله ، وحادوا عن تنبيهه وتوجيهه.

واما (الخطل) فلانهم اتبعوا مغرورين مخدوعين ، سنن الأمم الأخرى .. فى حضارتها المزعومة ، وثقافتها المسمومة ، وترفها المنهوم .

واما (الخطر) فلأن هذه الامم الأخرى — من صليبية ويهودية وشيوعية — قد تداعت ، وما زالت تتداعى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما تتداعى الأكلة الى قصاعها وتساقطت عليها كما تساقط الطير على اللحم .. قد أغراها بذلك وهن المسلمين وانقسامهم على أنفسهم ، وتهافتهم على المصالح والمنافع الذاتية الخاصة ، وانصرافهم عن كتابهم الموجه ، ورسولهم المنبه .. الى لغو الحديث ، وباطل الفكر ، ولهو العمل

واذا كنا نردد دائما — فى اعتزاز واغترار — ان الله تبارك وتعالى يقول فى القرآن عن المسلمين: **(كنتم خير امة اخرجت للناس)** فاننا — مع الأسف والخجل ايضا — نجهل أو نغفل عن اسباب هذه (الخيرية) وأوصافها اللازمة لها ، وهى مثبتة فى الآية نفسها ، التى نقرأ اولها وننسى آخرها **(تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١٠) .**

فاذا شئنا ان نكون كأسلافنا الصالحين « خير امة » فلنستمع ولنتبع توجيه القرآن نفسه : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (١١)** ولنحترم ولنلتزم أسباب « الخيرية » وأوصافها : فنأمر

بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، ونؤمن بالله حق الايمان ، ونتعاون على البر والتقوى ، ونتواصى بالحق والمرحمة

اجل اذا ذكرنا ــ فى مناسبة الميلاد النبوى ــ هدى رســولنا واخلاقه ، ذكرا عمليا سلوكيا ، فان الاســلام سيقدم لنا مرة أخرى كما قدم لأسلافنا ــ ما نحن فى أشد الحاجة اليه اليوم .

● « طهورا » لعقيدتنا وأخلاقنا .

● « وقوة » لضعفنا وهواننا على الناس .

● « ونصرا » على أعدائنا الذين يكيدون لنــا ويكيــدون بنا ، ويتآمرون علينا .

فقد قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصدق فى تذكيــره وتحذيــره : **(تركت فيكم ما ان تمسكتم به لــن تضلوا من بعدى : كتاب الله وسنتى)** .

---

(١) سورة القلم / ٤
(٢) سورة الشورى / ٥٢
(٣) سورة التوبة / ١٢٨
(٤) سورة الفتح /٢٨
(٥) سورة الاحزاب / ٢١
(٦) سورة الاحزاب / ٤٥ ، ٤٦
(٧) سورة آل عمران / ١٥٩
(٨) سورة الفتح / ٢٩
(٩) سورة الاحزاب / ٥٦
(١٠) سورة آل عمران / ١١٠
(١١) سورة الحشر / ٧

جاء فى صفحة ٧ سطر ١٤ من العدد ١٢٢ خطأ فى نص الآية الكريمة وصحتها كما يلى :
« وسخر لكم ما فى السموات ومــا فى الأرض جميعــا منه » . (الجاثية ١٣) .

المعلم الأكبر ومدارس النبوة في الإسلام

للأستاذ : محمد نعيم

نزل الوحى على قلب محمد بن عبد الله ...

وجلس المعلم الأكبر صلوات الله وسلامه عليه يقرأ القرآن لأتباعه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم بمكة وعلى الصفا ويشرح للمسلمين نظم الدين الجديد وأفكاره ، وفيها أسلم جماعة من الصحابة بدعوته حتى تكاملوا اربعين رجلا ..

ولما بدأ الاسلام ينتشر فى المدينة قبل الهجرة ارسل الرسول إليها مصعب بن عمير ليقرىء المسلمين القرآن ويعلمهم الاسلام ويؤمهم فى الصلاة وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام فى كل مدن الجزيرة العربية عندما كان الاسلام ينتشر بها ..

وحين عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة بعد فتحها ترك فيها معاذ بن جبل ليعلم المسلمين قواعد الدين الحنيف ثم هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة فأقام اياما فى بنى عوف ثم بنى مسجده الذى قال عنه : « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا » ، واصبح المسجد النبوى الشريف بعد دار الأرقم مدرسة يتعلم فيها الصحابة ما يوحى اليه صلى الله عليه وسلم ، وفى عهده تعلم صحابته الابرار الكتاب والحكمة .

عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفسر آيات علمهن اياه جبريل حين كانوا يسئلونه عن دقائق الاحكام لمعرفة معانى كلام الله عز وجل من اوامره ونواهيه . وليس ادل على

اهمية المسجد النبوى من ان عـــدد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم قد بلغ اثنين واربعين كاتبـا يكتبون له فى جميع شئون الدين والدنيا فأيـن تعلم هؤلاء ؟ والبلاذرى يروى : انـه لم يكن فى قريش الا سبعة عشر رجلا يكتبون قبل الاسلام ..

يقول ابن خلدون : « ان الدعـوة الدينية تزيد الدولة فى اصلها قـوة وبفضل الاسلام العظيم دين العـلم والنور والتقدم كان علماء الاسـلام الاوائل المشعل الذى أنار الـدرب للمعرفة البشرية فى القرون الوسطى فاصبحت الثقافة الاسلامية سلمـا تدرجت عليه الحضارة الانسانية حتى وصلت الى ما هى عليه الآن .

فالقرآن الكريم ورد فيه ما يزيـد على الثمانمائة كلمة تدل على العـلم ومشتقاتها وثلاثمائة كلمة تدل علـى القراءة والكتابة ثم الأحاديث النبوية الشريفة وآثار حكماء الاسلام وغيرهم وبخطى واسعة تقدمت الحضـارة الاسلامية مهتدية بنور الاسلام وتطور المجتمع الاسلامى تطورا سـريعا يفوق سنة التطور والارتقـاء ونلمس نتائجه فى العصر العباسى بتأسيس الجامعات الاسلامية كالنظاميـات والمستنصرية وغيرها .

وانبرى الصحابة والتابعون الـى طلب العـلم .. هـا هو ذا ابن شـهاب الزهرى يحفظ الفين ومائتى حـديث نصـفها مسند ويطـوف بالحرم المكى الشـريف ومعه الالواح والصحف ويكتب كل ما يسـمع فكان أعلم بالحديث والتفسير .. وصاحب الجامع الصحيح البخـارى تلميـذ الامام أحمد بن حنبل الذى اجتمـع فى مجلسه عشرون الفا او اكثـر ببغداد بعد ان ارتشف من منهل العلم فى المسجد النبوى فقال : « لقـد صنفت كتابا عند قبر رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فى الليالـى المقمرة » ..

ولما اتسعت رقعة الاسلام انتقـل بعض صحابة الرسول وتلاميذه الـى الامصار الجديدة وتحلق حولهم الطلاب وكان عمر يرسل الفقهاء والقراء مـع الجيوش ليبقوا بالبلاد المفتوحـة بعد فتحها ، يدعون للإسلام ، وكان لهـم تلاميذ ينقلون عنهم .

من هذا وغيره نجد ان دار الأرقم فى الصفا ، والصفة فى مؤخر المسجد المدنى والمسجد النبوى الشريف هـى اولى مدارس الاسلام جرى فيهـا التعليم بأوسع مدلوله من مبادىء وقيم سلوكية ومعاملات . ففيها عقيـدة روحية سامية وتربية وجدانيـة وجسمية وعقلية .. قال : اعرابى : ما رايت محمدا يقول افعل والعقـل يقول لا تفعل .. وما رايت محمـدا يقول لا تفعل والعقل يقول افعل .. وفى البخارى كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجلس فى مسجده بالمدينة المنورة يعلم اصحابه دينهم ودنياهم وساهمت المراة فـى اكتساب التعليم فقالت النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك وان رسول الله عليه الصلاة والسـلام خرج ومعه بلال فظن انه لم يسمـع النساء فوعظهن ــ اى علمهن .

المسجد فى حياة المسلمين :

وارتبط تاريخ التربية الاسـلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا فكان مكانـا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء

وساحة تتجمع فيها الجيوش ، ونزلا لاستقبال السفراء والوفود .

وانتشرت بعد ذلك المساجد فى انحاء العالم الاسلامى وفى اكثرها كانت تعقد حلقات العلم وتلقى الدروس .. ففى مسجد المنصور ببغداد جلس خيرة العلماء يلقون دروسهم ومن هؤلاء الخطيب البغدادى والكسائى وأبو العتاهية وأبو عمر الزاهد .. وفى جامع دمشق كانت توجد مدرسة للشافعية ومقصورة للأحناف ، وعدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس بعيدا عن زحام المصلين ..

أما العلوم التى كانت تدرس فقد بدأت كما يقول ابن خلدون بالعلوم الشرعية وهى التى تسمى « العلوم النقلية » وهذه تشمل ما يتصل بالكتاب والسنة والاحكام الشرعية ، ثم اضيفت طائفة من العلوم تهيىء للافادة من العلوم الشرعية كعلوم اللسان العربى فلم يكن بد من النظر فى الكتاب ببيان الفاظه وهذا هو علم التفسير ، ثم باسناد نقله وروايته الى النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء فى قراءته وهذا هو علم القراءات ، ثم باسناد السنة الى صاحبها والكلام فى الرواة والناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم وهذه هى علوم الاحاديث . ثم علم اصول الفقه والعقائد وعلم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب .

عمرو بن العاص فى مصر .. والحركة العلمية فى مسجدى الجامع وابن طولون ..

وفتح عمرو بن العاص مصر وكان جيشه يحوى – ككل الجيوش الاسلامية – مجموعة من العلماء والفقهاء ، استوطنوها ولحقهم انواج أخرى من العلماء والدارسين ، وفى مقدمة هؤلاء الصحابيان عبد الله بن عمرو بن العاص وابو امية عبيد بن محمد المعافرى . ويعد عبد الله بن عمرو بن العاص مؤسس المدرسة المصرية ، وكان من اكثر الناس حديثا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان يدون ما يسمع منه حتى كانت عنده مجموعة من الاحاديث ليس بينه وبين الرسول فيها احد (١).

وكان المعافرى اول من قرأ القرآن بمصر ، وممن أشتهر فى مدرسة مصر بعد الصحابة يزيد بن ابى حبيب وجعفر بن ربيعة ، وعبد الله بن جعفر . ومن تلاميذ يزيد بن حبيب : عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد الذى يقول عنه الشافعى : « الليث افقه من مالك إلا ان اصحابه لم يقوموا به (٢) .

وقد اتخذت الحركة العلمية فى مصر المسجد الجامع ومسجد ابن طولون مركزين لنشاطها .. والمسجد الجامع ويسمى المسجد العتيق بناه عمرو بن العاص مع مدينة الفسطاط سنة ٢١ هجرية وسرعان ما جلس به المعلمون وحولهم الطلاب ، فكان منذ انشائه قلب الفسطاط الفكرى واهم مركز للدراسة ، وقد لبثت ساحاته مدى عصور ندوة فكرية ادبية جامعة ، وفيها كانت توجه حركة التفكير والآداب فى مصر الاسلامية (٣) . فى عهد مبكر جدا جلس فيه سليمان بن عتر التجيبى

ليعظ الناس عن طريق القصص ، وكان قد جمع له القضاء والقصص ، ثم عزل عن القضاء وانفرد بالقصص .. ومن اشهر الحلقات التى عقدت بالمسجد الجامع : حلقة الامام الشافعي التى كانت مدرسة تخرج فيها جلة الشيوخ والعلماء كالربيع بن سليمان والمازنى والبويطى والازدى .. ومن العلماء الذين علموا بالمسجد الجامع محمد بن جرير الطبرى ، الذى وفد الى مصر عدة مرات فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى (٤) .

أما جامع ابن طولون فقد فرغ من بنائه سنة ٢٥٦ هجرية وسرعان ما جلس به الربيع بن سليمان تلميذ الامام الشافعى ليملى الحديث ، وازدحمت بعد ذلك الحلقات وكثر به المعلمون وطلاب العلم وكانت تلقى به دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الاربعة وغيرها من الدروس (٥) .

وازدهرت بمصر دراسات واسعة فى القراءات وفى الحديث وفى الدراسات اللغوية والنحوية وكذلك فى السيرة والتاريخ ، وممن برعوا فى هذه العلوم أبو بكر بن عبد الله ابن مالك شيخ القراءات واحمد بن محمد بن اسماعيل الذى نبغ فى النحو واللغة وابن جنى الشهير .. ومن المؤرخين المصريين ابن عبد الحكم والكندى واصله من كندة ولكنه نشأ فى مصر وتوفى بها ..

ووجدت العلوم العقلية كثيراً من العناية فقد عنى المصريون بالفلسفة والطب عن طريق الكتب المنقولة ، ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بهذه العلوم : ذو النون الأخميمى وسعيد البطريق .

الفتح الفاطمى .. وتاسيس الأزهر :

وجاء الفاطميون الى مصر فى ١١ شعبان سنة ٣٥٨ هجرية وبنى جوهر الصقلي مدينة القاهرة لتكون عاصمة للخلافة الفاطمية كما انشأ الجامع الأزهر ، وقد بدىء فى بنائه سنة ٣٥٩ هجرية وتم بناؤه بعد عامين وثلاثة أشهر وافتتح للصلاة فى رمضان سنة ٣٦١ هجرية ، ولم تبدأ الدراسة به الا بعد ذلك باربع سنوات ..

وكان مطلع الدراسة بالأزهر فى اواخر عهد المعز لدين الله فقد جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هجرية بهذا الجامع ، وقرأ مختصر أبيه فى فقه آل البيت ، وهو المسمى بكتاب « الاختصار » فى جمع حافل واثبت اسماء الحاضرين فكانت هذه اول حلقة للدراسة بالأزهر ، وبدا الازهر بذلك صفحة جديدة فى نشر العلم والمعرفة والهدى ، وامتد تاريخه العريق الى الف وواحد وثلاثين عاما .. تاريخ ملىء بالدين والحياة .. حافل بالعلم والعلماء ..

---

(١) ــ طبقات ابن سعد
(٢) ــ احمد امين : فجر الاسلام
(٣) ــ عبد الله عنان : تاريخ الجامع الازهر
(٤) ــ ياقوت : معجم الادباء
(٥) ــ السيوطى حسن المحاضرة

النبيّ

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير زوج عرفته الدنيا فى معاملة زوجاته ، والعدل بينهن فى النفقة ، والكسوة ، والسكنى ، والبيتوتة ، مع انه صلى الله عليه كان مخيرا فى القسم بينهن فى البيتوتة قال تعالى : « ترجى من تشاء منهن وتؤدى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن ، ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم ، وكان الله عليما حليما » ومع هذا كان رسول الله يعدل بينهن فى كل شىء مما هو داخل فى الاختيار ، والامكان ، حتى فى الملاطفة والمؤانسة ، مما هو ليس بداخل فى القسم بينهن .

وقد خص الله عز شانه ، وعلت حكمته رسوله صلى الله عليه وسلم بأن اباح له من الازواج ما لم يبح لغيره ، فقد تزوج احدى عشرة زوجة دخل بهن ، منهن اثنتان ماتتا فى حياته صلى الله عليه وسلم ، وهما : السيدتان **خديجة وزينب** بنت عبد الله المعروفة بأم المساكين ــ رضى الله عنهما ــ وتوفى عن تسع ، وهن: عائشة بنت الصديق ، وسودة بنت زمعة ، وحفصة بنت عمر ، وأم سلمة بنت عبد الاسد ، وزينب بنت جحش ، وأم حبيبة بنت ابى سفيان ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية بنت حيى بن أخطب النضيرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكان له جاريتان تسراهما : مارية القبطية التى اهداها له

فى حياته الزوجية

للدكتور : محمد محمد ابو شهبة

المقوقس عظيم مصر ، وريحانة بنت زيد اليهودية ، وقد ماتت فى حياته ، رضى الله عنها .

وقد كان لهذا التعدد الذى اباحه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حكم عالية ، ومقاصد شريفة ، واسرار دقيقة ، ولم يكن الباعث عليه اشباع الرغبة الجنسية ، او الهوى كما يزعم بعض أعداء الاسلام ، ونبى الاسلام ، كالمبشرين والمستشرقين ، وابواقهم المرددين لكلامهم ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك ، وليس من قصدى الآن الافاضة فى ذلك فلذلك مقام آخر .

واذا كان الاسلام جعل للمراة حقوقا لم تكن تحلم بها ، ورفع من شانها فقد حظى بالنصيب الاوفى من ذلك نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما انكر الفاروق عمر على زوجته ان تراجعه فى أمر قالت له : عجبا لك يا ابن الخطاب !! اما تحب أن تراجع فى شىء ، وإن ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ، فذهب الى ابنته يسالها ، فاذا هى تؤكد له ذلك رواه البخارى ومسلم ، فهل هناك حق لهن افضل من هذا ؟

وكان كثيرا ما يوصى بالنساء خيرا ويقول : « خيركم خيركم لاهله ، وانا

خيركم لأهلى » رواه ابن ماجه ، وفى حجة الوداع أوصى المسلمين بهن خيرا ، وكان آخر ما أوصى به قبيل الوفاة ، الوصاة بالنساء ، وما ملكت الايمان ، وهم الأرقاء .

بطولة نبوية :

وان الإنسان ليعجب حقا كيف وفق النبى صلى الله عليه وسلم بين هؤلاء التسع ، وهن مختلفات فى السن ، والطبائع ، والاخلاق ، والمشارب ، والقبائل ؟! ولكن النبى صلى الله عليه وسلم بسعة عقله ، وقلبه ، ورحابة صدره ، وكرم اخلاقه أمكنه أن يحسن عشرتهن ، ويعدل بينهن وأن يوفق بين رغباتهن ، وان يعشن عيشة الاخوات المتحابات ، لا عيشة الضرائر المتشاحنات .

وانها لبطولة حقا ان يكون عنده هذا العدد من الزوجات ، ويقوم بأعباء الرسالة ، وتكوين خير أمة أخرجت للناس ، وأول دولة فى الاسلام على خير ما تكون الدولة ، إن الواحد منا تكون عنده الزوجة الواحدة والقلة من الاولاد ، ومع هذا يكون فى شغل شاغل ، وفى حيرة من التوفيق بين حقوق زوجته ، وأولاده وبين القيام بواجبات عمله على الوجه المطلوب!! ولكنه ــ كما قلت ــ النبى الذى وسع الناس جميعا بعقله ، وقلبه ، وصدره ، وعطفه ، وبره ، وهن ايضا خيار نساء هذه الأمة الحريصات على رضاء الله ورسوله ، ومع كونهن بهذه المنزلة فلم تخل معاشرتهن للنبى صلى الله عليه وسلم من بعض المضايقات ، والتحزبات والمؤامرات بسبب ما ركز فى فطرة المراة ــ مهما سمت ــ من الغيرة ، وحب الاستئثار بالزوج ، وعطفه ، وبره .

« طلبهن التوسعة فى النفقة »

فمن ذلك انهن اجتمعن على النبى صلى الله عليه وسلم،ورغبن اليه ان يوسع عليهن فى النفقة ، وأن يكون لهن ما لنساء الملوك والامراء ، وأصحاب الجاه والثراء ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اخذ نفسه ، واهله ، وولده بالتقشف ، والتقلل من طيبات الحياة الدنيا ، وزخارفها ، وفرض على نفسه وعليهن لونا من الوان المعيشة لا يتميز عن معيشة عامة الأمة إن لم يقل ، لأنه هو صلى الله عليه وسلم قدوة المسلمين جميعا أميرهم وسوقتهم ، وغنيهم وفقيرهم، فاذا أسرف ، وعاش عيشة البذخ والبطر ، فماذا يكون حال الخلفاء والامراء من بعده ؟! واذا أسرف وعاش عيشة الملوك افلا يكون فى هذا مبرر لمن يلى أمر المسلمين بعده ؟ لقد كان هذا المعنى يردده الفاروق الملهم عمر ــ رضى الله تعالى عنه ــ اذا ما ليم على ما أخذ به نفسه واهله من التقشف البالغ وهو خليفة

المسلمين وقد فتحت الفتوحات العظيمة حتى فاض المال ، وكثر الخير ، وكان يقول فى حق الرسول والصديق : « هما المرءان يقتــدى بهما » !!

واذا كان رسول الله هو محل القدوة والاسوة للامة فلتكن نساؤه كذلك هن محل القدوة لنساء هذه الامة !!

فلما اعتزل النبى نساءه شاع ذلك ، وعظم الامر على الصحابة ولا سيمــا وزيراه ابو بكر ، وعمر ــ رضى الله عنهما ــ فذهب الصديق ابو بكر الى المشربة التى اعتزل فيها رسول الله فاذا الناس جلوس محزونون !! فاستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن له ، ثم جاء الفاروق فاستاذن فاذن له ، فوجدا النبى واجما ساكتا وحوله نساؤه ، فقال ابو بكر : لاقولن شيئا اضحك به النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله لو رايت بنتا حارجة ــ يريد زوجه ــ سالتنى النفقة ، فقمت اليها فوجأت عنقها ! فضحك رسول الله ، وقال : (هن حولى يسالننى النفقة) !!

فقام ابو بكر ، وعمر الى ابنتيهما يزجرانهما ، ويقولان : لا تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن : والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده ، فلما مضت مدة الاعتزال انزل اللــه آيتى التخيير قال عز شانه : (يأيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميــلا . وان كنتن تردن اللــه ورسوله والدار الآخرة فان الله أعــد للمحسنات منكن اجرا عظيما) فبدأ رسول الله بعائشة وقال : (يا عائشة انى أريد أن أعرض عليك أمرا احب ان لا تعجلى فيه ، حتى تستشيرى ابويك) قالت : (وما هو يا رسول الله) ؟! فتلا عليها الآيتين فقالت (افيك استشير ابوى) ؟! بل اختار الله ورسوله ، والدار الآخرة ، واسألك ان لا تخبر امراة من نسائك بالذى قلت !! فابى الرؤوف الرحيم ، والمربى الحكيم ، وقال : (لا تسالنى امراة منهن الا اخبرتها ، ان الله لم يبعثنى متعنتا ، وانمــا بعثنى معلما ميسرا) !! ثم خيرهن جميعا فكلهن اخترن الله ورسوله ، رضى الله عنهن ، وهــذا هو الظن بهن ، فلسن كأحــد من النســاء ، وهن فى الذروة من النساء دينا ، وخلقا ، وورعا .

« حادثة اخرى » ومرة اخرى : ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى العصر دار على نسائه يلاطفهن ، ويؤانسهن بالمحادثة والمجالسة ، وربما يطيل المكث عند بعضهن ، فتاخذ الغيرة بنفوس البعض الآخر ، فدخل ذات يوم عند السيدة زينب بنت جحش ــ رضى الله عنها ــ فمكث عندها ، وشرب عسلا ، فتواطأت عائشة وحفصة ــ رضى الله عنهما ــ : ان ايتنا دخل عليهــا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتقل له : انى اجد منك ريح مغافير — جمع مغفور بضم الميم : وهو صمغ حلو له رائحة كريهة ، وينضحه شجر يسمى : العرفط بضم العين والفاء — وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره الرائحة الخبيثة ، فدخل على حفصة فقالت له ذلك ، فقال : (بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ، فلن أعود اليه ، وقد حلفت ، فلا تخبرى بذلك احدا ، رواه البخارى ومسلم ولكنها لم تف بما اوصاها به ، واخبرت بذلك عائشة رضى الله عنها .

وفى رواية عند الامام مسلم فى صحيحه ان التى شرب عندها العسل حفصة وان اللاتى تظاهرن عليه عائشة وسودة ، وصفية ، وانه صلى الله عليه وسلم لما اخبرهن بشرب العسل عند حفصة قالت كل واحدة منهن : جرست نحلة العرفط وانه لما عرضت عليه حفصة أن تسقيه عسلا مرة اخرى امتنع وقال : (لا حاجة لى به) والاول هو الاصح ، لانه الاليق بسياق آية التحريم ، ولما فى الصحيحين عن عمر أن المتظاهرتين هما عائشة ، وحفصة وقد كانت هذه المؤامرة سببا فى اعتزال النبى صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا أيضا ، وفى الصحيحين أن عمر لما اخبره جاره الانصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه قال : (رغم انف حفصة ، وعائشة) وذهب الى عائشة فذكرها وحذرها ، ثم ذهب الى ابنته فوبخها وعنفها ، وقال لها : (والله لقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ، ولولا انا لطلقك) فبكت أشد البكاء .

ثم قصد الى رسول الله فى مشربة له يرقى اليها بدرج ، وعلى الباب غلام اسمه : رباح ، فقال ، يا رباح استأذن لى على رسول الله ، فلم يأت رباح بجواب ، فرفع صوته ، وقال : استأذن لى على رسول الله ، فانى اظن أن رسول الله ظن انى جئت من أجل حفصة ، والله لو أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها ، لاضربن عنقها ! فأشار اليه الغلام : أن اذن لك ، فدخل على رسول الله ، وما زال يلاطفه حتى تبسم ، ثم نظر عمر ، فوجد رسول الله على حصير قد أثر فى جنبه ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، وفيها قرظ مجموع ، وأهب معلقة ، وفرق من شعير فبكى ، فقال رسول الله : (ما يبكيك يا عمر) ؟! فذكر كسرى وقيصر ، وما هما فيه ، وما رأى فى المشربة ، فقال له : : (يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ، ولنا الآخرة ؟! أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا) وهكذا تكون العظمة النفسية ، وهكذا يكون الزهد : زهد القادر ، لا زهد العاجز ، وقد عرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فأبى ، فلما انقضى الشهر نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله سبحانه — معاتبا نبيه عتابا رقيقا ، ومخوفا ، ومحذرا نساءه أن يعاودن مثل هذا — قوله : (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم . .) الى قوله : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا

منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابـدات سائحـات ثيبات وأبكـارا)
فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وتاب نساؤه الى الله ورسوله وكان عمر رضى الله عنه لما دخل على رسول الله فوجده مغضبا قال له : يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء ، فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته ، وجبريل ، وميكال ، وأنا ، وابو بكر ، والمؤمنون معك .. فنزلت الآية على هذا ، وعد هذا من موافقات سيدنا عمر رضى الله عنه وذكر النسائى ، وابن جرير ، وابن مردويه وغيرهم ان نزول صدر سورة التحريم كان بسبب تحريم السيدة مارية القبطية ذلك أن حفصة كانت استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فأذن لها ، فأرسل الى جاريته مارية ، وباشرها فى يوم حفصة ، وعـلى فراشها ، فلما عادت ، وعلمت بما كان صارت تبكى ، وتقول : اما رأيت لى حرمة ؟! ما كنت تصنع هذا بامرأة من نسائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أليست جاريتى أحلها الله لى) ؟! ثم ترضاها بأنها حرام عليه ، وبأن الصديق ، وأباها يتوليان الخلافة بعده ، وقال : (لا تخبرى بذلك أحدا) فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت حفصة لعائشة : (الا ابشرك أن رسول الله قد حرم أمته عليه ، وقد أراحنا الله منها ، واخبرتها بما سيكون من شأن الخلافة ، فلما علم رسول الله بما أفشته من سر غضب واعتزل نساءه شهرا ، ثم أنزل الله قوله : (يأيها النبى ..) الآيات .

والراجح ما فى الصحيح ، وان ذلك كان بسبب تحريم العسل ، وان كان سياق الآيات اليق بمسألة تحريم مارية ، ويمكن أن تكون الآيات قد نزلت بسبب تحريم العسل ، وتحريم مارية ، فقد يكون سبب النزول حادثتين أو أكثر كما هو مقرر فى علم أسباب النزول .

هذه هى اهم الاحداث التى عكرت صفو حياة النبى الزوجية ، وقد كانت أسبابا لتشريعات حكيمة فى قرآن يتلى الى يوم الدين ، وفيما عدا ذلك كن مؤمنات قانتات ، تائبات ، عابدات ، صوامات ، وكن خير معينات له على طاعة ربه ، وتأدية رسالته ، كما كن مصابيح اشعاع ، وهداية وعلم ، فى حياة النبى وبعـد وفاته ، رضى الله عنهن ، فهل سمعت بحياة زوجية تسامى هذه الحياة ؟(وبعد) .

فليكن لنا فى حياة الرسول الزوجية أسوة حسنة ، ولنغلب جانب العفو ، والتسامح ، والحب فى حياتنا الزوجية على جانب البغض ، والمشاحنـات والمخاصمات ، وليكن لكن ــ أيتها الزوجات ــ مثلا ــ يحتذى فى حياة زوجات النبى ، ومجاهدتهن لنفوسهن ، والنزول على ما يريد أزواجكن ما دام رائدهم الخير ، والحق ، والمصلحة ، والوفاق ، والوئام .

لكي نحيا

للأستاذ : زين العابدين الركابى

هذه زاوية نصطفى فيها — فى كل عدد بعون الله — معنى او معانى .. نحسبها نافعة .
ونختار فى زاوية هذا العدد معنى : فى الحياة الزوجية وهو :

كيف تدوم المحبة بين الزوجين ؟

أكثر من أربعة بلايين انسان يسكنون كوكبنا الارضى هذا .. ومن اجل تنظيم العلاقات بين هذه الجموع البشرية المختلفة الالسن والألوان . والمصالح والمذاهب والغايات . سنت قوانين محلية ودولية وانشئت منظمات اقليمية وعالمية .

وهذا خير من الفوضى على كل حال . بيد أن تنظيم علاقات الانسانية فى شمولها . لا يعوض عن تنظيمها فى أصلها البدئى .. ووحدتها الاساسية الأولية اى العلاقة بين الزوجين .. الرجل والمراة . فالذى يعنت الانسانية ليس زحف الوف الجياع من أرياف داهومى — مثلا — على عاصمتها .. عراة يرتعشون من صقيع الجوع . ولا الرعب النووى . ولا توتر العلاقات بين المحاور والكتل الدولية ليس هذا وحده هو الذى يعنت الانسانية . وينهك عافيتها . فهناك عنت يصيب الناس فى الركائز الاساسية لوجودهم وهو : توتر العلاقات بين الزوجين وما ينشأ عن هذا التوتر من مضاعفات تتراوح بين التعاسة المقيمة والانفصال الحزين ..

« أوَمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »

والاحساس بالمشكلة موجود . ولكن الحل غائب ففى أمريكا يحسون بالمشكلة . ويحسون فى ذات الوقت بالعجز عن حلها فقد حاولوا انهاء الحرب الأهلية بين الزوجين (بالبقاء المنفصل) . يبقون فى الشكل أزواجا وينفصلون فى الحقيقة والواقع . وحاولوا انهاء هذه الحرب برشاوى مادية تقدمها المرأة لزوجها . وحاولوا علاج هذه المشكلة بالاغراق فى الملهيات والمخدرات ابتغاء نسيان الواقع الزوجى المتوتر .

ورغم ذلك ما فتئت الحرب الأهلية مشتعلة فى البيوت . ونسبة الطلاق فى أمريكا من أعلى نسب الطلاق فى العالم .

وطبقات الفنانين حاولت – فى كل مجتمع – حسم الصراع بين الزوجين الفنانين بالافلات نهائيا من قيم الزواج الحقيقية . فأصبحت هذه الطبقات من أشد الناس خيبة وتعاسة فى الحياة الزوجية .

والسبب العميق وراء تآكل أصل العلاقات الانسانية هو : (فساد مقاييس الاختيار والاستمرار) للحياة الزوجية . فالذين يجمعهم الهوى يفرقهم الهوى . والذين يقربهم الطمع . يباعد بينهم الطمع كذلك . والذين يربط بينهم مجرد الاعجاب يمزقهم مجرد الامتعاض والذين لا يلتقون على غاية ثابتة تتشتت حياتهم بين الاعراض المتناقضة .

الأسرة المستقرة الهانئة الودود من اعظم واعذب نعم الحياة . فلا المال ينفع . ولا المنصب يفيد اذا تحول البيت الى دوامة من المشكلات أو الى طرفين متخاصمين يتحين أحدهما الفرص ليشن هجوما على الآخر فيرد الطرف الثانى الهجوم .. ويضيف عدوانا جديدا .

ومن المؤكد أن حياة الاصدقاء خارج البيت لا تغنى أبدا عن (ود) الحياة الزوجية . فود المرأة لزوجها لا بديل له . ومن لم يكن لطيفا مع امرأته لن يكون لطيفا مع الآخرين .. حتى وان تظاهر وزعم انه لطيف !

والهروب المستمر من البيت لا يعالج الموقف المتوتر . ولا يصلح العلاقة المتأزمة فبمجرد العودة تتجدد المشكلات . ويعود التوتر .

اذن ما هى الضمانات التى تهيئ مناخا طيبا مباركا فيه يحيا فيه الزوجان . حياة ملؤها الغبطة والمودة ؟

وكيف تدوم المحبة بين الزوجين – المحبة التى لا يزيدها مرور الأيام الا عمقا .. وثباتا . وعذوبة ؟

لكى تدوم المحبة بين الزوجين فلا سبيل الى ذلك الا (بالحب فى الله) تبارك وتعالى .

بالحب فى الله تصبح كل علاقة بين الزوجين ذات طعم خاص . ومعنى خاص . واحساس خاص .

شريعة الله هي العليا

١

للأستاذ : على محمد جريشة

تمهيد :

فى اوائل هذا القرن الميلادى شهد العالم حدثا جللا اهتزت له ارجاء الدنيا ولم يملك العالم الاسلامى — على سعته وكثرة عدده — غير أن يذرف عليه الدموع ... وكان ذلك الحادث هو سقوط الخلافة الاسلامية على يد مصطفى كمال أتاتورك .

ومن غريب ان يأتى ذلك فى اعقاب رفض السلطان عبد الحميد بيع فلسطين لليهود وتهديد الزعيم اليهودى قرصو (رئيس المحفل الماسونى فى سولانيك) له بقوله : « سترى كم يكلفك هذا الرفض » — كذلك من الغريب أن يأتى اسقاط الخلافة بعد وعد بلفور ببضع سنين وبانحسار الخلافة انحسرت الشريعة الاسلامية عن كثير من البلاد الاسلامية ، وفى كثير من مجالاتها .. وبقيت تقف على استحياء أو على وجل فى ركن صغير من اركان الحياة هو ما اسموه بالأحوال الشخصية ، ولم يكن الغاء الخلافة هو البداية .. بل كان قبل ذلك خطوات ، وكان من بعد ذلك خطوات لكن الغاء الخلافة كان أكبر طعنة وجهت الى قلب الاسلام والمسلمين .

بيد أن لكل فعل رد مساو له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه .

وكأن الطعنة ايقظت النوم وأفاقت الغافلين .. فعادت الحياة تدب فى جسد الأمة الاسلامية الهامد، وبدأت تستعيد نفسها .. لتستعيد من بعد أمجادها ... وبدأت تضع أقدامها على أول الطريق وتطالب بالعودة ..

الى .. شريعة الحق .. شريعة الله وسقط منها على الطريق شهداء وتحقق للامة الاسلامية بعض ما ارادت ..

فصدرت دساتير كثيرة منها فى منتصف هذا القرن وما يليه . تنص على اتخاذ الشريعة الاسلامية مصدرا اساسيا او رئيسيا للتشريع (١) .

ونود فى نظرة علمية هادئة ان نبحث عن قيمة هذه النصوص من الناحية الدستورية ، ثم قيمتها من وجهة النظر الاسلامية الصحيحة .

اولا : قيمة هذه النصوص من الناحية الدستورية

فى البلاد التى توجد فيها محاكم عليا دستورية لبحث مخالفة القوانين واللوائح لأحكام الدستور ، يمكن فى ظل النصوص السابقة الواردة فى دساتيرها الطعن فى كل قانون يخالف الشريعة الاسلامية بعدم الدستورية ، وعلى المحاكم العليا أن تقضى باعدامتلك القوانين المخالفة للشريعة باعتبارها قوانين غير دستورية لأنه فى ظل تلك النصوص يمكن القول بمشروعية اسلامية عليا على السلطات التشريعية وهى تضع القوانين أن تلتزم بها ، فان هى خالفت سقطت قوانينها الشرعية وكان جزاؤها الالغاء أو الامتناع عن تطبيق القانون .

يؤكد ذلك أن أكثر تلك البلاد تنص دساتيرها مع النص السابق على أن دين الدولة الاسلام ... ولا قيمة لهذا النص ولا فائدة الا أن يقال بوجود مشروعية اسلامية تعلو على الدساتير والقانون .

بيد أنه فى البلاد التى لا توجد فيها محاكم عليا تبحث « دستورية » القوانين فيمكن كذلك من الناحية الفقهية القانونية ـ الدفع بعدم شرعية النصوص المخالفة للشريعة وطلب امتناع القاضى عن تطبيقها باعتبار أن القاضى مكلف بتطبيق القانون وهو فى هذه الحالة ازاء قانونين متعارضين أحدهما اسمى والآخر أدنى ، ولا بد أن يطرح الادنى ليطبق الأعلى ، وبالتالى يجب على القاضى أن يمتنع عن تطبيق كل قانون مخالف للشريعة الاسلامية لعدم شرعيته .

وفى ظل النظريات القانونية الحديثة التى تقول بوجوب مشروعية عليا فوق القانون والدستور مستمدة من قيم البلاد ومثلها ـ يمكن القول بانه فى كل البلاد الاسلامية ـ بغير اشتثناء ـ سواء نص الدستور أم لم ينص . يمكن القول بوجود مشروعية اسلامية عليا ينبغى على كل السلطات احترامها والالتزام بها ، فان هى خالفت فاصدرت قوانين او لوائح أو قرارات تخالف شريعة الله فان من واجب القاضى الامتناع عن تطبيقها لعدم شرعيتها ..

ولقد اتيح لكاتب هذه السطور ابان عمله وكيلا للنائب العام ان يمتنع عن تطبيق بعض التشريعات لعدم شرعيتها ، واسس بعض الزملاء قرارات حفظ لقضايا استنادا للشريعة الاسلامية ، وذلك كله قبل النص فى دستور مصر على اعتبار « مبادىء الشريعة الاسلامية » مصدر رئيسى للتشريع ..

هذا كله صحيح من الناحية الفقهية وان وجد الراى الآخر الذى يقول بعكس ذلك ، لكن يبقى للرأى الاول رجحانه ، وامكان تطبيقه اذا سلمت المقاصد وصحت النوايا .

يبقى ان نبين قيمة هذه النصوص من وجهة النظر الاسلامية الصحيحه

ثانيا قيمة تلك النصوص من وجهة النظر الاسلامية

فرحت الأمة العطشى الى شريعة الله بهذه النصوص ..

ومن قبل فرحت بما هو اقل منها .

فرحت لما خرج القانون المدنى المصرى سنة ١٩٤٨ بجعل الشريعة الاسلامية مصدرا رسميا ثالثا بعد التشريع وبعد العرف .. وسجل الفقيه الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى فرحته فى مقدمة كتابه « الوسيط » وقال : وهى (اى الشريعة الاسلامية) اذ أتت بعد النصوص التشريعية والعرف ، فهى تسبق مبادىء القانون الطبيعى والعدالة (..) ولا شك ان ذلك يزيد كثيرا فى أهمية الشريعة الاسلامية ... لكنه سجل فى النهاية امنيته وامنية الملايين » أما جعل الشريعة الاسلامية هى الاساس الأول الذى ينى عليه تشريعنا (المدنى) فلا يزال أمنية من اعز الأمانى التى تختلج فى الصدور وتنطوى عليه الجوانح ..

وحسب هذه الأمة المسكينة ان تبقى أعز أمانيها تختلج فى الصدور وتنطوى عليها الجوانح .. وحتى نجد قيمة تلك النصوص من وجهة النظر الاسلامية فلا بد أن نجيب على اسئلة ثلاثة :

١ ــ لمن الشرع ابتداء ؟
٢ ــ لم كانت شريعة الله هى العليا ؟
٣ ــ هل تقبل شريعة الله التجزئة ؟

ونجيب فى مقال اليوم عن السؤال الأول .

لمن الشرع ابتداء

تعددت ــ فى فقه القانون النظريات التى تفسر اصل القانون ، واعطاء حق التشريع للبشر ، لكنها جميعا انتهت الى نقد رئيسى ومرير: كيف تملك ارادة البعض ان تقيد ارادات الآخرين وأن تسمو عليهم وان تعرض عليهم القواعد والنصوص .. (٢) وحتى قال قائلهم ان الأمر يتطلب آلهة تمنح البشر قوانينها (٣) .

وفى فقه الاسلام تعنى شهادة التوحيد (لا اله الا الله محمد رسول الله) فى بساطة : اثبات الألوهية لله ونفيها عن سواه ، واثبات الألوهية يقتضى الاعتراف لله بحق التشريع ابتداء كما نعترف له بالخلق والتدبير ، ونفيها عن سواه تقتضى انكار سلطة التشريع ابتداء على غير الله كما تنكر عليهم سلطة الخلق او سلطة التدبير .

ولقد كان للقرآن حديث عن « الأرباب » .. دل فيما دل عليه انه لا يلزم أن تكون هذه الأرباب من دون الله اصناما من الحجر ، انما يمكن ان تكون هذه الأرباب من دون الله اصناما من البشر .

ان الصورة الأولى صورة بدائية وساذجة ، لا نحسب البشرية بعد ما شبت عن طفولتها ترتد مرة أخرى ، انما الصورة الثانية ارتدت اليها البشرية ولا تزال الى اليوم تتردى .

تحدث القرآن عن قوم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وعجب عدى بن حاتم ، ان يكون البشر ربا دون أن يركع له ويسجد ، وعبر عن ذلك بقوله لرسول اللهصلى الله عليه وسلم ، ما عبدناهم ، فذكر له الرسول صلى الله عليه وسلم

جانبا آخر من العبادة يعطى الربوبية لغير الله ، ولكنهم احلوا لكم الحرام، وحرموا عليكم الحلال فأطعتموهم فتلك عبادتكم اياهم » . (٤) .

من أجل ذلك كانت شهادة التوحيد .. تنفى الألوهية اولا عن رسول الله ، ثم تثبتها لله رب العالمين لئلا يكون مع الله آلهة اخرى يحرمون ويحللون ما لم يأذن به الله ، وكان قول الله سبحانه لأهل الكتاب . **« قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله »** آل عمران ٦٤ .

وقد كانت تكفى **« الا نعبد الا الله»** ليفهم منها قصر العبادة على الله ، لكن التأكيد بعدها **« ولا نشرك به شيئا »** ثم التخصيص على لون من الشرك قد يخفى على الكثيرين . **« ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله »** .

ولقد صاغ القرآن مبدأ رد الشرع ابتداء الى الله فى قوله **« إن الحكم الا لله »** سورة يوسف ٦٧ وهو قول يردده منذ مكة ومن قبل أن تقوم دولة الاسلام فى المدينة ، ثم أعقب ذلك قوله (فى سورة الشورى) **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** الشورى ١٣ . ثم قوله تعالى **« ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »** ؟ ــ الشورى ٢١ هكذا فى استفهام استنكارى ؟ .

وفى سورة النساء ربط رد الشرع او الأمر الى الله بالايمان برباط وثيق **« فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر »** ، النساء ٥٩ ثم سمى التحاكم الى غير الله تحاكما الى الطاغوت **« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به »** : النساء ٦٠ ويقول الامام ابن القيم : فى اعلام الموقعين جـ ١ ص ٥٠ ، ٥١ ــ وطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله . وأخيرا ينفى الايمان عمن لا يتحاكم الى الله ورسوله باقامة كتابه وسنة نبيه **« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »** . النساء ٦٥ .

وفى سورة النور حديث عن الذين يتحاكمون يبدأ بنفى الايمان وينتهى بإثبات الظلم وبين هذا وذاك ربط الأمر بالقلب ، وتساؤل هل فيه مرض .. وتعداد لعديد من أمراض القلب : ريبة وشك وخوف أن يظلمهم الله ورسوله .. بل أولئك هم الظالمون **« ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين . واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين . افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون »** . سورة النور ٤٧ ــ ٥٠ .

واخيرا فى سورة المائدة حديث عمن يحكم بغير ما انزل الله ، يصفه بالكفر والظلم والفسق ، ومع هذه ينتفى الايمان أو يعتوره نقص كبير .

ويحلوا للبعض أن يقول ان الوصف عمن لم يحكم من أهل الكتاب

.. وكان اهل الكتاب اذا تركوا كتابهم كانوا كافرين وظالمين وفاسقين وكأننا اذا تركنا كتابنا كنا عدولا مؤمنين ، وكأن الله يحابى أمة على أمة .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وفى نهاية آيات المائدة حزم وحسم ووضع للأمور فى نصابها ، وتسمية الأسماء ومسمياتها ...

اما أن يقام حكم الله وينفذ شرعه ... والا كانت ... فتنة ، وجاهلية، وهوى . .. **« وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . افحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟ »** سورة المائدة ٤٩ ، ٥٠ .

... وهكذا يرتبط رد الأمر والشرع إلى الله برباط العقيدة والإيمان ، ويعتبر أمر إقامة شريعة الله ليست مسألة الأولى والأوفق .. إنها قبل ذلك أمر عقيدة وعبادة ... ليعلم أن لا اله الا الله .. يتلقى منه شرعه .

ويعلم أن لا إله إلا الله .. يعبده وفق ما شرعه .

قد كان يكفى أن تقول : لله الشرع ابتداء .. لنعلم أن شريعة الله هى العليا .. لا شريعة معها ولا شريعة فوقها .. لكن الله ابى إلا أن يبين لنا .. والا أن يتم نوره فكان قوله **« يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله »** (اول سورة الحجرات) اى لا يكن لكم راى فوق قول الله ورسوله ، ولا حكم فوق حكم الله ورسوله ، ولا شرع ولا نظام فوق شرع الله ورسوله .

وهذا ما فهمه الصحابة والتابعون من الآية الكريمة فى معظم التفاسير وكان قول الله كذلك **« يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون »** (الآية ٢ من سورة الحجرات) — وليس يعقل أن يحرم رفع الصوت فوق صوت النبى ، ويحل رفع شرع فوق شرعه أو قانون فوق قانونه .

وكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » « متفق عليه » وكلمة الله اسم جامع لكلماته وبكلماته نزلت شريعته . فكأن النص يمكن أن يقال « من قاتل لتكون شريعة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

وحين نصل بذلك الى أنه لا بد أن تكون شريعة الله هى العليا .. نصل معها إلى القول بأنها لا تكون عليا حتى تكون وحدها .. لا شريعة فى مستواها ولا فى مستوى أعلى منها .. إلا الله أن يكون مع الله آلهةآخرى ليشرعون أو أرباب متفرقون يحللون ويحرمون .

وليزداد الذين آمنوا ايمانا نجيب على تساؤل يرد على الخاطر .. **لم كانت شريعة الله هى العليا ..** بم استحقت ذلك ... ؟

واول الاسباب : أنها شريعة ربانية **« صبغة الله ومن احسن من الله صبغة »** ، البقرة ١٣٨ . **« صنع الله الذى أتقن كل شىء »** النمل ٨٨ **« ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون»**. سورة المائدة ٥٠ وهى بمصدرها الربانى منزهة عن القصور والجهل والهوى الذى تتسم به اية شريعة بشرية .. وهى

بصبغتها الربانية لها فى نفوس أبنائها ـ حكاما ومحكومين ـ قداسة واحترام ، تدفعهم إلى الحفاظ عليها والذود عنها .. فتكفل لها بذلك عدم التفلت وحسن التطبيق الأمر الذى تفتقده كل شريعة بشرية وتفتقر إليه ... ولننظر إلى الهوة السحيقة بين ما تقدره السلطات حصيلة للضرائب وما تجمعه فعلا .. رغم أجهزة الرقابة العديدة الثقيلة .. ثم لننظر الى ما حدث على عهد عمر بن عبد العزيز حين تقدم الناس بزكواتهم فأنفقت على الفقراء والمساكين فغطتهم جميعا ، فأنفق ما بقى على بقية الأبواب : العاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب حتى بلغت للغارمين ولأول مرة فى التاريخ ولآخر مرة حتى الآن تسدد الدولة عن المدينين ديونهم ـ أمر لم تقدر عليه ـ حتى الآن ـ أغنى الدول وأرقاها .

واذا كانت القداسة للشريعة الحاكمة ، فليست ثمة قداسة لأشخاص الحاكمين . فهم بشر كسائر البشر .. لا ميزة لهم إلا بأنهم أثقل حملا .. كما قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ـ وقالها من قبله رسول الله وهو فى موضع الحكم « إنما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون إلى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض ، فأقضى نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار » رواه مالك واحمد والبخارى ومسلم والاربعة ، ويعلمها الله لرسوله « **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى** » آخر سورة الكهف .

واذا انتفت القداسة عن اشخاص الحاكمين .. فقد ثبتت لهم حقوق فى مقابل واجبات .. فى مقدمتها حق الطاعة وحق النصرة .. لكن ذلك رهين بإقامتهم شريعة الله « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم » .

وثانى هذه الأسباب أنها شريعة جمعت بين الثبات والمرونة . وثباتها مستمد من ثبات مصدرها : الوحى ـ وقد جرى بذلك أمره الشرعى « **وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته** » سورة الانعام ١١٥ ـ « **لا تبديل لكلمات الله** » سورة يونس ٦٤ وجرى بذلك كذلك أمره القدرى « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » الحجر ٩ . « **وذلك امر الله** » الطلاق ٥ « **والله غالب على أمره** » . يوسف ٢١ .

---

(١) من ذلك : دستور سوريا الصادر سنة ١٩٥٠ حيث كان ينص فى مادته الثالثة « الفقه الاسلامى هو المصدر الرئيسى للتشريع » لكنه عدل بعد ذلك وجاء النص ، الفقه الاسلامى مصدر رئيسى للتشريع » ـ راجع كذلك نص المادة الثانية من دستور الكويت ونص المادة الثانية من دستور جمهورية مصر العربية الصادر سنة ١٩٧١ .

(٢) الفقيه الفرنسى ديجى فى مؤلفه السيادة والحرية ـ باريس سنة ١٩٢٢ ص ٨٩ .

(٣) جان جاك روسو رائد الثورة الفرنسية وصاحب « العقد الاجتماعى » .

(٤) حديث شريف رواه عن طريق احمد والترمذى وابن جرير وذكره القرطبى فى الجامع وقال فى معنى الارباب « انهم انزلوهم منزلة ربهم فى قبول تحريمهم وتحليلهم ما لم يحرمه الله لهم ولم يحلله الله » (الجامع لاحكام القرآن . طبع) .

جولة..

داخل مكتبة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

- إعـداد : عبد الستار محمد فيض
- تصـوير : مجلة الوعى الاسلامى



- حصيلة المكتبة الآن أربعة عشر ألف مجلد فى مختلف الفروع والفنون ..
- يمكنك التعامل داخل المكتبة،مع الكتاب مباشرة دون تدخل الموظفين ..
- مكتبات فرعية ملحقة بعدد من مساجد الكويت .
- مجموعة مكثفة فى التفسير والحديث والفقه الاسلامى لا توجد فى مكتبة أخرى بالبلاد .

تعتنى الأمم المتحضرة اليوم بالمكتبات العامة لتهيىء للنـاس الفرص الطيبة والاطلاع ، حيث وجدت انها اعظم سبيل لتثقيف الشعب وتهذيبه وتوسيع مداركه ، فهى جامعة تفتح ابوابها لكل طالب علم ، ولكل راغب فى المعرفة فى شتى انواع المعارف الانسانية .

وقبل ان نلتقى واياكم فـى قاعات مكتبـة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت ، نلقى نظرة تاريخية سريعة عن الكتاب والمكتبـة منذ العصور الاولى وحتى الآن .

لقد بدات الخطوات الأولى فى طريق المعرفة التى هى فى الواقـع قوام الحضارة ، وأساس المدنية بالأثر الطبيعى لغريزة الفضـول التى جبل عليها الانسان مع باقى طبائعه الأصلية، فكل واحد من بنى الانسان يحس فى اعماقه ميلا لا شعوريا على ما يختلج فى صدور الآخرين مـن آراء وافكار ، حتى تتم له القدرة على الموازنة بين افكاره وافكار الآخرين فكان الكتاب هو الوسيلة الأولى التى تذرع بها الانسان ليعبر بواسطته عن رايه ويستعرض راى غيره . . . ومن الكتاب تكونت المكتبات ونظمت منذ اقدم العصور .

ويقول المؤرخون : ان اول من انشا المكتبات فى العالم هم البابليون وذلك حوالى سنة (١٧٠٠) قبل الميلاد . فهناك (مدينة الكتب) التـى انشاها الملك (سرجون) احد ملوك بابـل ، وهى تعتبر أول مكتبة فـى التاريخ . كما ان مكتبة الملك (آشور بنيبال) بمدينة (نينوى) بالعراق تعتبر هى الأخرى من اقدم المكتبات .

وعرف قدماء المصريين المكتبات واختاروا لهـا اماكن ملحقة بالمراكز الدينية ، تدل على ذلك آثار مدينة (طيبة) .

اما ملوك الفرس فقد بلغ من عنايتهم بصيانة الكتب ان اختاروا لهـا الاماكن الجافة ، البعيدة عن الرطوبة والتعفن . وكذلك فعل اهل الهند والصين .

كما ان اليونان عنـوا ايضا بهذا النوع مـن المؤسسات الثقافية ، فانشات المكتبات لتكون منهلا عذبا يرتادها الناس للقراءة والمطالعـة ، من كل فئة او طبقة ، دون حجاب أو قيد . من ذلك المكتبة التى انشاها البطالسة بالاسكندرية وبلغت محتوياتها (٧٠٠) الف كتاب . ومكتبـة (برغاموس) فى مقدونيا التى احتوت (٢٠٠) الف مجلد .

وبعد اليونان ياتى الرومان . ويذكر لنـا التاريخ ان الملك قسطنطين الاكبر صرف كل اهتمامه الى شئون العلم والمعرفة ، واسس مكتبتـه الكبرى فى عاصمة الامبراطورية عام ٣٥٥ م .



أمـين المكتبـة

والكتاب العربى وجـد له كذلك مكانا كريما فى رحاب الحاكمين مـن العرب الذيـن أولوه اهتمامهـم ، وشجعوا العلمـاء والباحثين علـى التاليف والتدوين والترجمـة لمعارف الآخرين ، ليثبتوه فى متون الصحف ، ويتخذوا منه مرجعا أمينا فى معرفـة مصادر التاريخ ، وألـوان العلـوم المختلفة .

وقد جاء فى ابن النديم أن :

(عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله ابن صفوان الجمحى اتخذ بيتا وجعل فيه كتبا ، فيها من كل علم ، وجعله مفتوحالكل قاصد للقراءة والمطالعة ..

(وكان للعرب أيام مؤسس الدولة الأموية دار مسـتقلة ، فيها غرف متعـددة ، خصص بعضها للكتب ، وعلى الجدران مشاجب ، يعلق عليها ما يثقل كاهل الرواد ، من رداء أو قباء ، والذين يطلبون العلم من كل طبقة ، ومن كل لون ، يتوافدون عليها ، ويتداولون على رفوفها ، ليتناولوا الكتاب الذى يطلبونه ، من المكـان المخصص له . بحسب مادته ومؤلفه وموضعه ، حتى اذا استوفوا حاجتهم من القراءة ، ردوه حيث كان من قبل) .

صورة لم تختلف عن حاضرنا كما أعتقد ، الا فى بعض الفروق والتفاصيل التى فرضتها ظروف الحياة المتطورة .

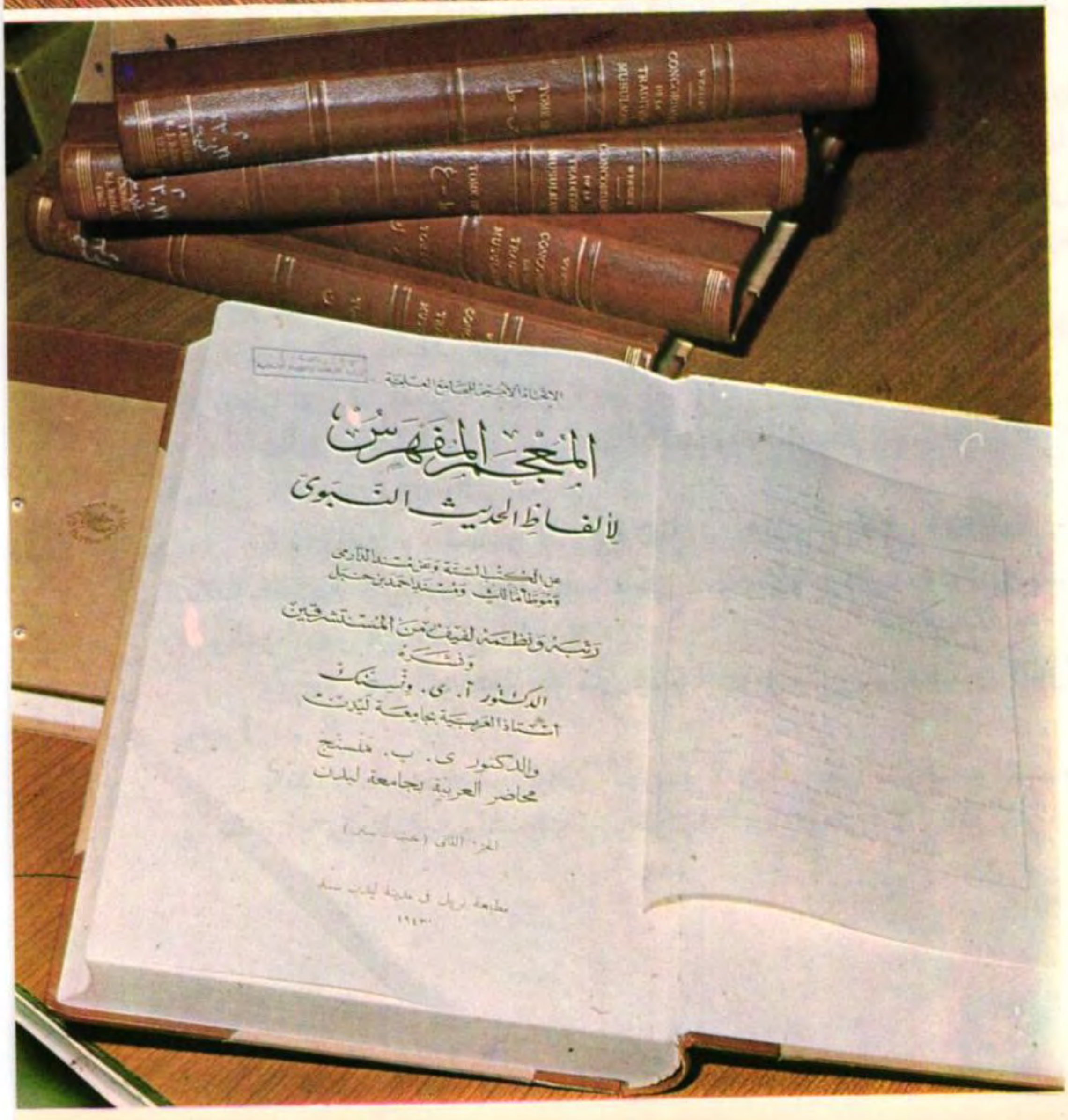
فالكتاب شىء عظيم ، فى حياة الأمم منذ القـدم ، ولم ينس أدباؤنا وشعراؤنا فضل الكتاب وفائدة القراءة .

« فالمتنبى .. شاعر العربية كان من المثابرين على المطالعة ، وكان عنـده مكتبة ضخمة ، يحملها معه أينما سار ، وحينما يرحل .. واليه ينسب قوله .. « وخير أنيس فى الانام كتاب » .

ويروى عن الجاحظ أنه كان ينام أياما وليالى فى دكاكين الوراقين يطـالع ويقرأ .. »

وقد كانت عواصم البلاد العربية قديما تزخر بالكتب والمكتبات مثل بغداد ودمشق ، وقرطبة ، وأشبيلية ، وغرناطة ، والقاهرة ، والقيروان ، وفاس .




المعجم المفهرس
لألفاظ الحديث النبوى
عن الكتب الستة وعن مسند الدارمى
وموطأ مالك ومسند احمد بن حنبل
رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين
ونشره
الدكتور أ. ى. ونسنك
استاذ العربية بجامعة ليدن
والدكتور ى. ب. منسنج
محاضر العربية بجامعة ليدن



فى قاعة المطالعــة غالبا ما نشاهد المحاورات المتبادلــة بين اثنين اختلفا فى أمر من الامــور فاحتكما الى الكتــاب .

زودت المكتبة باحدث المعاجم والفهــارس منها المعجــم المفهرس لالفاظ الحديث الــذى قل أن يوجد فى مكتبة أخرى .

تحتفظ مكتبة الوزارة بمجموعة نادرة من المخطوطـــات ويبدو هنا بعضها .

وتعنى الدول الحديثة الآن بتنمية الثقافة العامة لمواطنيها فتبذل الأموال الكثيرة لرفع مستواهم ثقافيـــا .

وفى الكويت تعتنى الدولة بالنواحى الثقافية عناية كبيرة ، ومن اجـــل ذلك تحرص دوما على إنشاء المكتبـــات العامة ، والمراكز الثقافيـــة ، وتزودها بكافة ما تحتاج اليه من الكتب والابحاث والمراجع .
وحديثنا فى هذا العدد من الوعى الاسلامى عن احدى المكتبات العامة داخل دولة الكويت . وهى مكتبة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

نشأة المكتبـــة :

ابتدأ العمل فى مكتبة هذه الوزارة حوالى عام ١٣٧٩ هـ ـــ ١٩٦٠ م . وكانت عبارة عن حجرة واحدة داخل مبنـــى وزارة الأوقاف فى شـــارع مبارك الكبير .

ثم نقلت عام ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م ــ الـــى المبنى الفرعى للوزارة فـــى المنطقة التجارية التاسعة بجوار قسم شئون المساجد ، وادارة الدعوة والارشاد ، والمجلة .. لكى تؤدى الخدمـــات المكتبية اللازمة للوعاظ ، والمرشدين ، والأئمة ، والخطباء . واحتلت المكتبة فى هذا المبنى الفرعى ثلاث حجرات تشمل قاعة المطالعة ، والمخازن ، ومكاتب الادارة .
ونظرا للتوسع المستمر للمكتبة ، وقيامهـــا بدور ثقافى هام فى شتى مجالات الحياة ، فقد رأت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية نقل المكتبة الى مبناها الحالى القائم فى أول شـــارع فلسطين والمجاور لمبنـــى دار القرآن الكريم التابعة أيضا للوزارة .. وقد تم النقل فعلا عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م .

وتتجه النية الآن الى أن يكون للمكتبة مبنى حديث ، قائم بذاته تراعى فيه الاصول المتبعة فى تصميم المكتبات ، ويكـــون على استعداد دائم لمتابعة أحدث ما يصـــل اليه فـــن المكتبات فى دول العالـــم ، ومسايرة الأساليب والطرق الحديثة التى توفر للمرء أعلى درجات الاستفادة مثل المكتبة السمعية ، والبصرية ، وطرق حفظ الاعداد الكاملة من الجرائـــد والمجلات على بطاقات (الميكروفيش) و (الميكروفيلم) .

ويضم مبنى المكتبة الحالى قاعتيـــن واسعتين بالاضافـــة الى غرف الادارة والمخازن ..

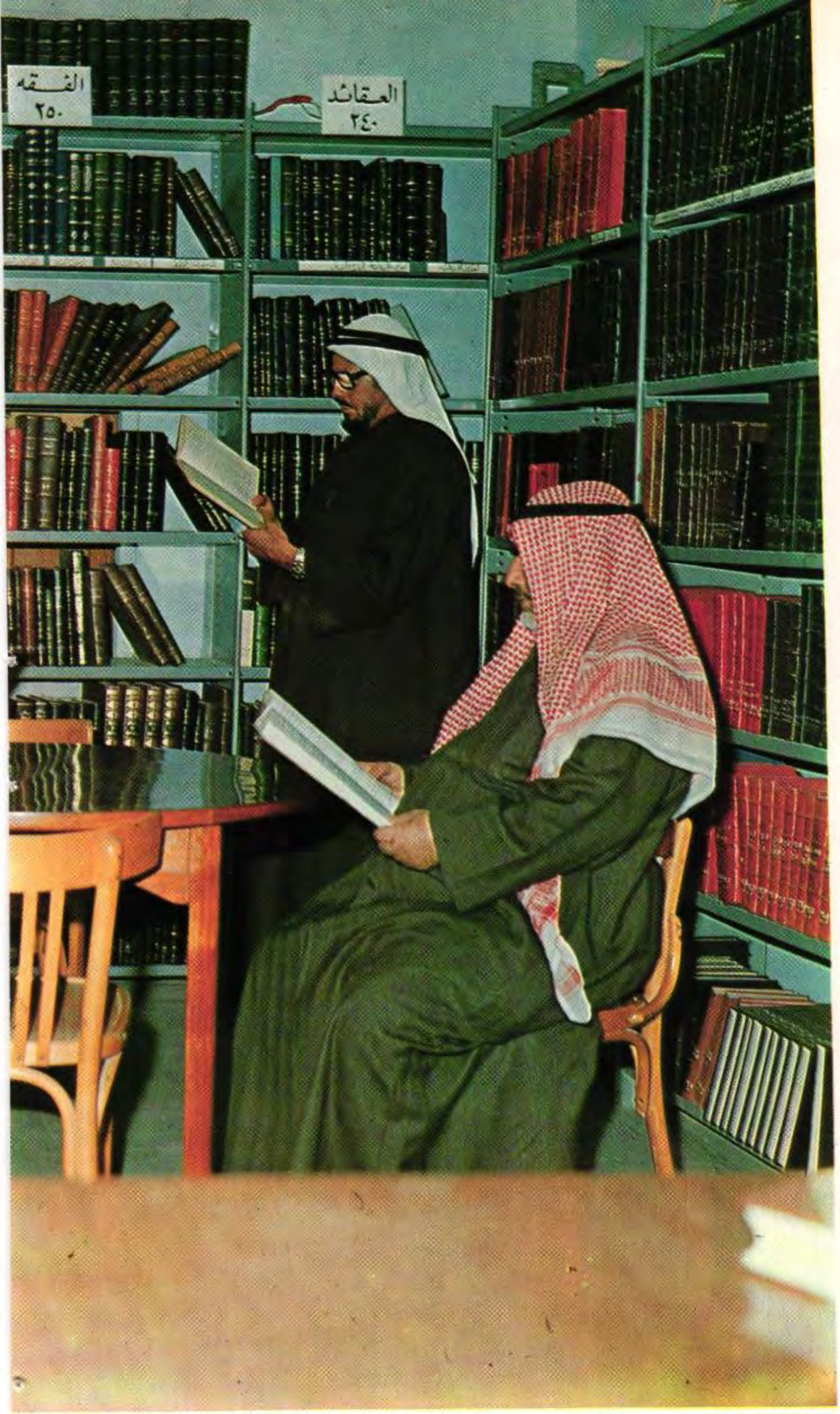


مكتبة مسجد عبد الله العثمان .

مع أمين المكتبة :

وفي ركن هادىء ، من أركان المكتبة ، كان لقاؤنا مع أمين المكتبة **الشيخ محمد سليمان الأشقر** الذى بدأ حديثه بقوله :

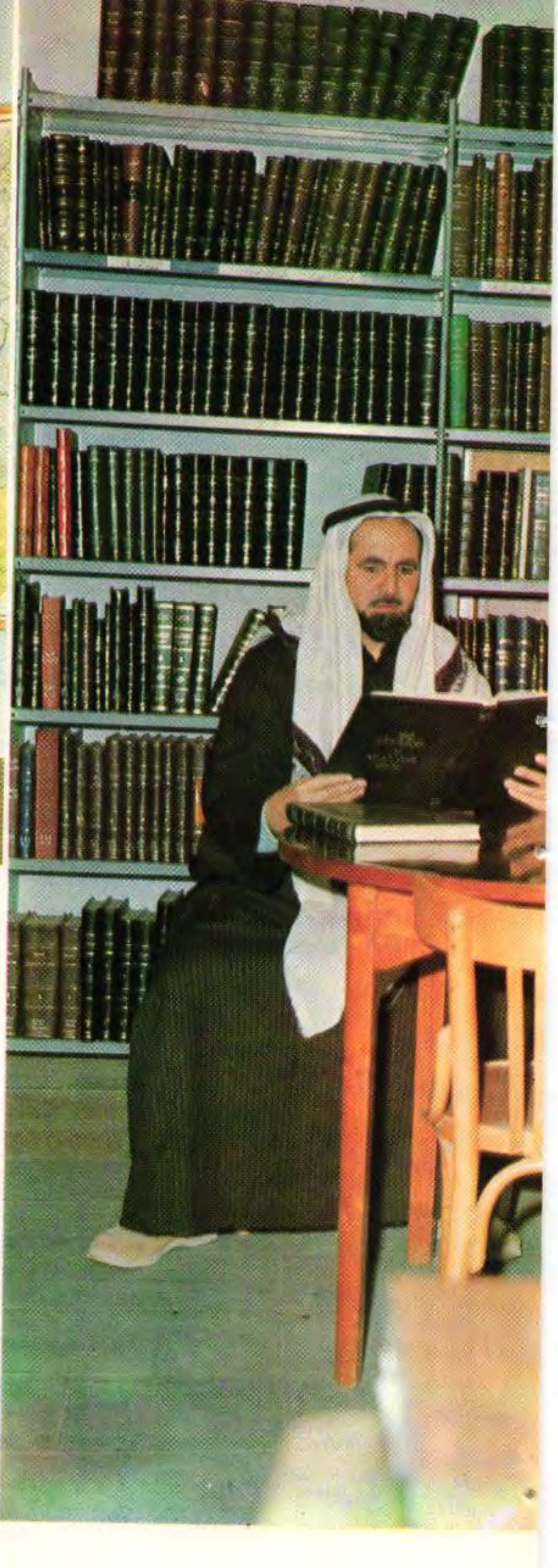
(ان مكتبة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ نظرا لتخصصها فى خدمة الثقافة الاسلامية ـ تحتوى على مجموعة مكثفة من كتب التفسير ، والحديث والفقه الاسلامى ، وأصوله قلما توجد فى أى مكتبة أخرى فى البلاد .. ومن أجل ذلك يؤمها كثير من الباحثين فى الموضوعات الاسلامية حيث يتيسر لهم الاطلاع على المجموعة المذكورة .



رواد قاعات المطالعة من مختلف المستويات .. طلبـة واساتذة وموظفين .



جــزء من مجموعة الخرائط الجغرافية .



جانب مــن المكتبــة
تبــدو فيــه كنــوز
العلــم ...



وترحب المكتبة بهم ، وتساعدهم فى تحصيل المعلومات التى يرجونها ..
وتحتوى المكتبة بالاضافة اليها تقدم على مواد فى مختلف الفنون تفــى بحاجات قرائها ، وتمدهم بما يتوافــر لديها من كتب ومراجع .
ففى المجال التعليمى تبذل المكتبة وسعها فى مساعدة وتوجيه طـــلاب العلم بتزويدهم بالمراجع والكتب التـــى تساعدهم فى دراستهم ، واعـــداد بحوثهم ، وفى المجال الدينى وهو اوسع مجالات المكتبة نظرا لوفرة المراجع الدينية ، ووجـــود المختصين بالبحث ، فان المكتبة تتلقـــى الاستفسارات المختلفة عن الاحكام الشرعية فـــى الفقه ، والفرائض ، والعقائد ، وتفسير القرآن العظيم ، والتاريخ الاسلامى ، وغيرها .
وكمثال على ذلك فـــى الحديث النبوى مثـــلا ، نتمكن من العثـــور على الأحاديث فى مراجعها الأولى بايسر مجهود بفضل التنظيمات الميسرة التـــى اجريناها على نسخنا مـــن كتب السنة . مع الاستعانـــة باحدث المعـــاجم والفهارس .. من اجل ذلك تتلقى المكتبة العديد من الاستفسارات يوميا ، ونقوم بتحقيقها اعانة للباحثين .

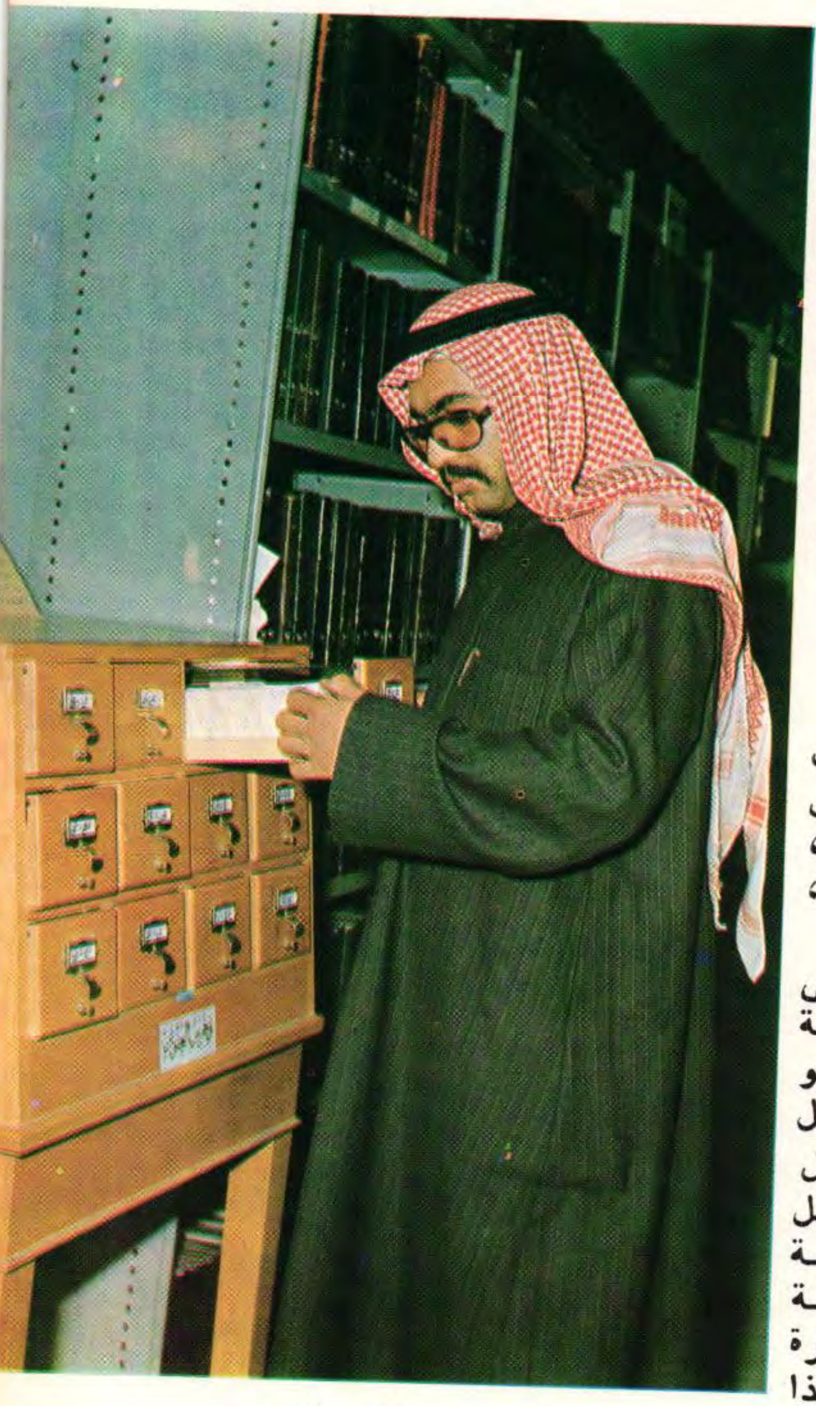
مجموعة كتب المكتبة :

ـــ هل لنا أن ناخذ صورة تقريبية عن عدد الكتب المقتنية فى المكتبة ؟

ـــ (تنمو مجموعة المكتبة باســـتمرار . ففى عام ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م كان بها اربعة آلاف واربعمائة وسبعون كتابا . وقد ضم اليها فيما بعد مجموعة من الكتب والمراجـــع التى كانت تســـــتخدمها ادارة مشروع الموسوعة الفقهية . وتبلغ الكتب التى تحتويها المكتبة الآن اربعة عشر الف مجلد ، واذا اضيف اليها مجموعات كتب مكتبات المساجد بلغـــت ثمانية عشر الفا وستمائة واربعة عشر كتابا ، كما انه لا يفوتنى ان اشير الى أن المكتبة مزودة بمجموعة كبيرة من الخرائط الجغرافية لكافة مناطق العالم الطبيعية والاقتصادية والسياسية . بجانب الدوريات من الصحف والمجلات الاسبوعية والشهرية التى تحفظ مجلدة عاما بعد عام) .

الفهرســـــة :

وفى تجولنا داخل قاعات المكتبة لفت نظرنا وجود أكثر من فهـــرس لتسهيل عمل الباحثين اذ أن المكتبة قد صنفت كتبها حسب النظام العشرى



الفهـــارس .

للتصنيف ، وهو أحدث نظم التصنيف واكثرها مرونة ، وتستخدم الترجمـــة والتعديل اللذين قامت بهمـــا ادارة المكتبات التابعة لوزارة التربية ، مـــع توسع خاص فى فروع الدين الاسلامى قام به موظفـــو مكتبة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

وقد هيأت المكتبة فهارس دقيقـــة لمجموعتها كما هو متبع ، الا انهـــا تميزت بفهرس موضوعى هجـــائى متقن .

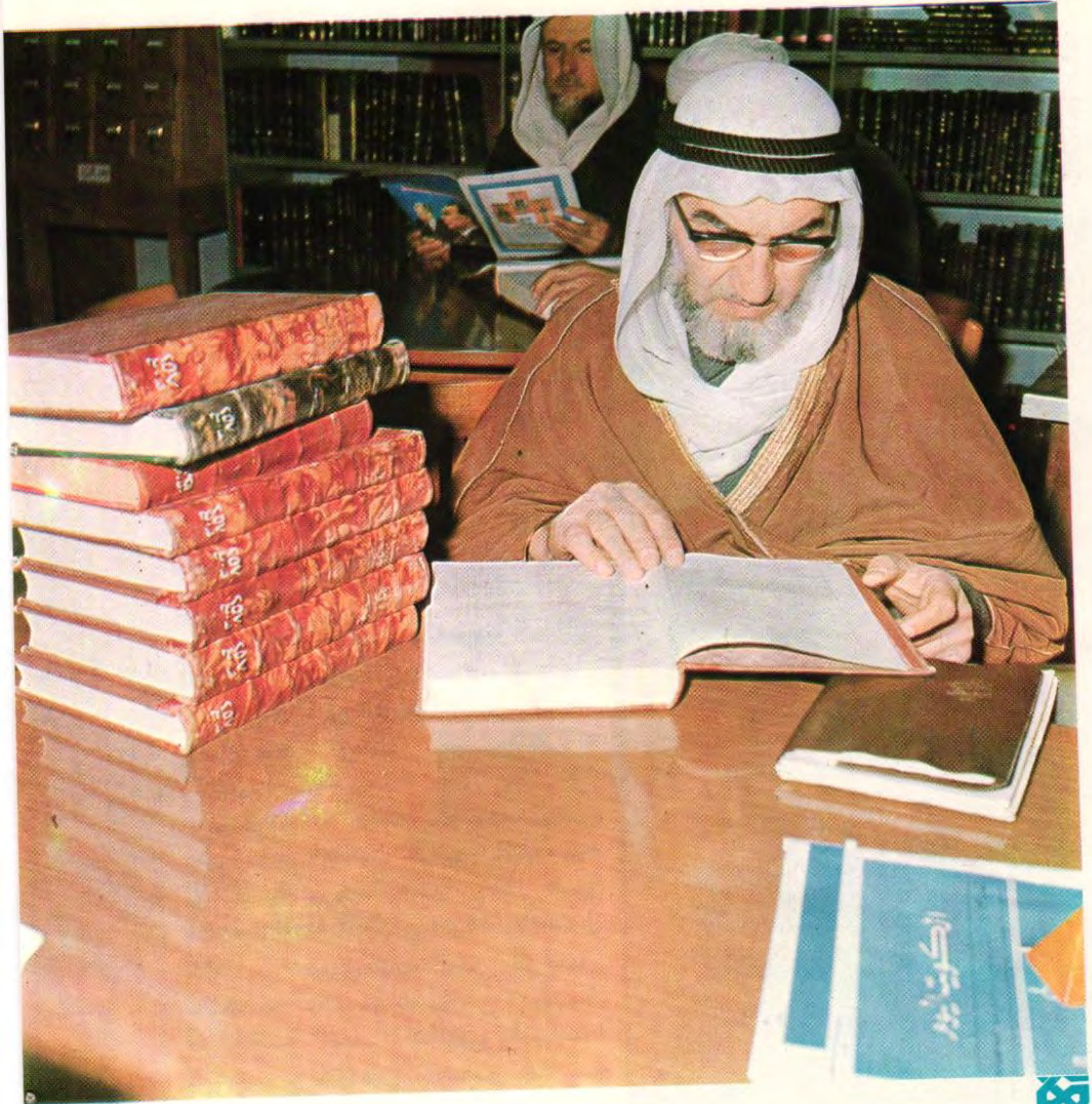
نشاطـــات المكتبـــة :

تفتح المكتبة ابوابها يوميا خـــلال الدوام الرسمى للدولة * ، لتستقبل اعدادا كبيرة من المراجعين من الائمة، والوعـــاظ ، وسائر المـــوظفين ، والطلبـــة .

وقد قامت المكتبة بمجهود عـــلمى دقيق حين اضافت الـــى المكتبـــة الاسلامية مرجعا علميا رائدا هـــو **(معجم الفقه الحنبلى)** وهذا العمـــل القيم فى تعجيم كتاب المغنى هو عمل قامت به المكتبـــة بغـــرض تسهيـــل مراجعـــة الفقـــه الحنبلى بالنسبـــة للباحثين والمتفقهين فهـــو بمثابـــة موسوعة صغرى ــ وطبعت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية هـــذا المعجم فى جزأين صدرا فى العامين الماضيين .

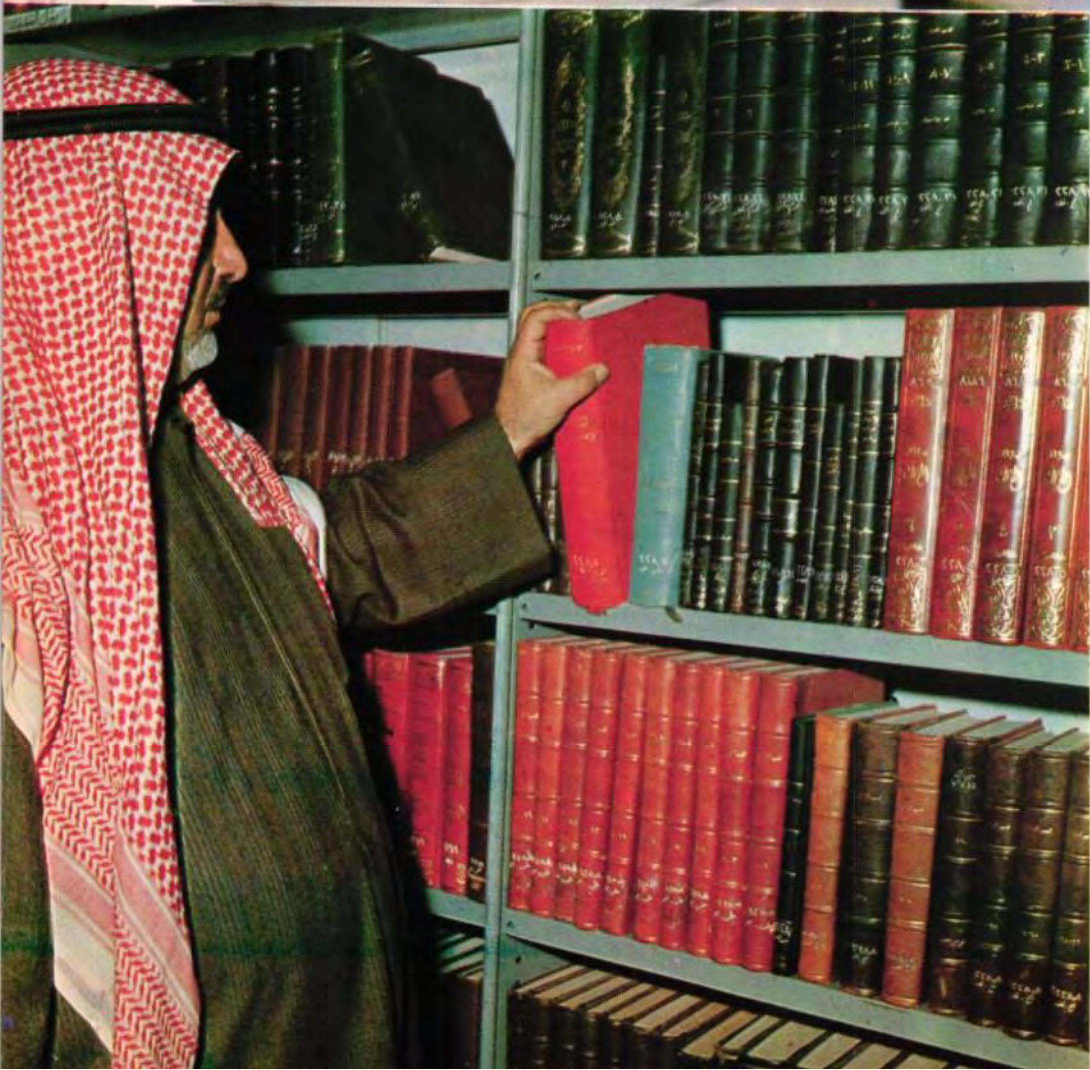
*** الامل كبير فى أن تفتح المكتبة ابوابها فى المساء حتى تتاح فرصة البحث والاطلاع لمن تشغلهم أعمالهم فترة دوامهم الرسمى عن التردد على المكتبة .**

(الوعى الاسلامى)



تحتوى المكتبة على مجموعة كبيرة من المراجع الضخمة تسهل للباحثين عملهم ، وتيسر لهم التدقيق الصحيح لبحوثهم ومؤلفاتهم .. وهذا أحد الباحثين وقد أتى على اخر صفحة من مرجع متعدد الاجزاء .





▲ لا تخلو المكتبة من الدوريات اليومية والأسبوعية والشهرية

المراجع يتعامل مع الكتاب مباشرة ..

◄

كما أصدرت المكتبة قوائم (ببليوجرافية) بالكتب المختصة بفرع واحد من فروع المعرفة ، وقامت بتوزيعها على المترددين لكى يتم التعارف على مجموعات الكتب المتوفرة لدى المكتبة . والهدف من ذلك سرعة وتيسير العمل أمام المهتمين ببحوث معينة .

نظام الاعارة :

أقرت الوزارة نظاما ميسرا للاعارة الداخلية ، والاعارة الخارجية ففى داخل المكتبة . يحق للمراجع أن يتعامل مع الكتاب مباشرة دون تدخل من الموظفين ، وأن ينتخب لقراءاته ما يرغب فيه . ويقوم موظفو المكتبة بتقديم العون اللازم لجميع المترددين .

أما الاعارة الخارجية ، فلموظفى الوزارة الحق فى الاستعارة دون تأمين . ولغيرهم بشرط تقديم تأمين نقدى ، يعاد عند إرجاع الكتاب المعار اذ أن الهدف الأساسي هو توصيل الرسالة الثقافية الى الجماهير وتشجيع التردد على المكتبة والاستفادة من الكنوز الثمينة التى تحتويها الكتب والمراجع .

المخطوطات :

لدى المكتبة مجموعة من المخطوطات القديمة فى العلوم الشرعية كثير منها أهداه اليها بعض رجالات البلاد لتمكين الباحثين من الاستفادة منها ولضمان حفظه بصورة سليمة ، وبعض منها اشترته الوزارة .

وقد سجلت المخطوطات ونظمت بحيث يمكن الرجوع اليها بسهولة والاستفادة منها .

مكتبات المساجد :

دعما لجهود وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى سبيل نشر الدين الاسلامى وتعاليمه الخالدة ، فقد بدأت منذ سنوات بتزويد مساجد الكويت بمكتبات صغيرة تحوى مجموعات من الكتب والمراجع فى التفسير واللغة .

وقد بدأ العمل بمشروع مكتبات المساجد عام ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م حيث أفتتحت عشر مكتبات .

ازدادت حتى بلغت الآن ثمان وعشرين مكتبة تغطى اكثر مناطق الكويت وتحتوى كل مكتبة ما لا يقل عن مائتى كتاب . ويقوم أئمة المساجد بالاشراف على هذه المكتبات ، وتوجيه الشباب الى الاستفادة منها . كما تتجه النية الى التوسع السريع فى نشر المكتبات المذكورة لتشمل جميع مساجد الكويت .

لجنـــة الفتـــوى :

خصصت الوزارة لجنة للفتاوى الشرعية والحقت بالمكتبة وتقوم اللجنـــة المذكورة بالرد على الاستفسارات والاستفتاءات المتعلقة بالأحكام الشرعية والأمور الدينية . وتجتمع اللجنة المذكورة أسبوعيا بعد عصر كل يوم أحد على مدار السنة . وقد عقد أول اجتماع لها فى رمضان ١٣٩١ هـ . والسبب فى الحاق اللجنة بالمكتبة هو تهيئة الجو المناسب لها بتوفير المراجع والبحوث التى يتطلبها هذا العمـــل الدقيق .

نظرة الى المستقبل :

وفى ختام جولتنا لمكتبة الوزارة اطلعنا على عدة مشاريع تأمل المكتبة فـــى تحقيقها مستقبلا لكى تساير أحدث المكتبات العالمية ومن هذه المشاريع .

- الانتقال الى مبنى حديث تراعى فيه الأصول المتبعـــة فى تصميم المكتبـــات .
- تنمية مجموعتها بحيث يكون لديهـــا نسخ من جميع المؤلفات فـــى التراث الاسلامى ، وأن تتابع الحصـــول على كل ما يصدر فـــى مجال اختصاصها .
- الحصول على المؤلفات فى الدراســـات الاسلامية وجمع رسائل (الماجستير) و (الدكتوراه) الصادرة فى الموضوعات الاسلامية ليجتمع لديها الحديث مـــع القديم فتشارك فى عرض الثقـــافة الاسلامية عرضا سليما .
- الحصول على صور للمخطوطـــات الاسلامية المنتشرة فى العالم ما كان منها ذا قيمة حقيقية ولم يطبع .
- اقرار مشروع للاشتراك فى جميع الدورياتالاسلامية التى تصدر فى العالم الاســـلامى ، وتنظيـــم ذلك كله ، ليكـــون تحت أيدى العاملين فى حقل الثقافة الاسلامية .
- تكوين جهاز لمتابعة نشاط المؤتمرات واللقـــاءات الاســـلاميـــة وتنسيقه وتوفيره للباحثين والقراء .

وبعد .. فهذا هـــو ختام جولتنا داخل مكتبـــة وزارة الأوقـــاف والشئون الاسلامية .. آملين أن نكون قد نقلنا لقراء (الوعى الاسلامى) صورة سريعـــة عنها . شاكرين للعاملين داخل المكتبة والقائمين فى وزارة الأوقاف والشئـــون الاسلامية هذا الجهد الرائع فى سبيل تيسير ونشر الحضارة والتراث الاسلامى .

الحكمة في تفاوت التشريع

للشيخ احمد العجوز

يقرر الاسلام الحق والعدالة فى كل الشؤون ، ولجميع الفئات . فلم يكن فى تشريعه ظلم لفرد ، أو هضم لحق .

يتجلى ذلك كله فى تفاوت التشريع بين الرجل والمراة . اذ راعى لكل منهما امكانيته فى الحياة ، وطبيعته الفطرية فى المستلزمات الدينية والمالية والاجتماعية فكان التفاوت بينهما فى التكليف على أربع حالات .

(١) المساواة بينهما .

(٢) التفاوت بينهما .

(٣) ما اختصت به المراة دون الرجل .

(٤) ما اختص به الرجل دون المراة .

المساواة بين الرجل والمراة :

شرع الاسلام المساواة بين الرجل والمراة فى الامور الآتية :

(١) فى العقائد : بوجوب الايمان بالله وحده لا شريك له ولا مثيل ولا ولد له ولا والد ، وبالانبياء عموما بلا تفريق بينهم ، وبالنبى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا ، وبالكتب السماوية ،

بين الرجل والمرأة

وما علم من الدين بالضرورة ، من البعث والجزاء والجنة والنار .

(٢) وفى العبادات : من صيام ، وزكاة ، وحج ، ونحو ذلك .

(٣) وفى الحقوق الكسبية : للدنيا، عن طريق العمل والكدح والهبـة ، والوقف والوصية والجعالة وغيرها وللآخرة ، من ثواب على الطاعـة ، وعمل الخير ونحو ذلك .

(٤) والحقوق القضائية : لهمـا أو عليهما ، من قصاص القتـل ، والجرح ، والبتر والسرقة ، وحـد المسكر ، والمخدر ، والتعـدى ، والظلم ، والبقاء وسائر المنهيات .

(٥) وفى الفضائل الخلقيـة : من الصدق ، والأمانة ، والوفاء بالوعد والعهد وصلة الأرحام ، ونحو ذلك .

(٦) وفى التفقه فى الـدين ، ومعرفة الأحكام الشرعية ، وطـلب العلم ، واكتساب آداب السلوك ، والتنشئة الدينية القويمة ، ونحـو ذلك .

(٧) وفى الرخص الشرعية : من قصر الصلاة الرباعية فى سفر القصر، والجمع بين الصلاتين ، والأفطار أيام

المرض ، وسفر القصر ، على أن يقضى الصيام من ايام اخر .

(٨) وفى صحة العقود المالية والتجاريه على الاطلاق .

التفاوت بينهما :

جعل الاسلام التفاوت بين الرجل والمراة حسب الحكمة الرشيدة فى الميراث والشهادة .

التفاوت فى الميراث :

جعل التفاوت بين نصيبيهما فى الميراث فى ثلاث حالات ، وهى :

(١) الأبناء مع البنات ، وأبناء الابن مع بنات الابن ، مهما نزلوا .

(٢) الأخوة الأشقاء مع الاخوات الشقيقات ، والأخوة لأب مع الاخوات لأب .

(٣) الزوجان إذا مات احدهما ، وورثه الآخر .

فالأنثى من البنات والأخوات لها نصف ما لأخيها من النصيب والزوجة لها من تركة زوجها المتوفى قبلها نصف نصيبه من تركتها فيما لو توفيت قبله .

حكمة هذا التفاوت :

بنى هذا التفاوت الحكيم على أساس التفاوت بينهما فى الواجبات المالية فان واجبات الرجل المالية مرهقة له ، وهى أوسع من واجبات المراة إن لزمتها فى بعض الأحيان ، وهى كما يلى :

(١) الرجل هو رب الأسرة ، وهو المكلف وحده بالانفاق على زوجته وأولاده إن كان متزوجا أو سيصبح كذلك بعد حين ، فعليه حينئذ نفقة المطعم ، والمشرب ، والملبس ، والمسكن والماء ، والضياء ، والمعالجه والدواء ، والمدرسه ، والانتقال ، وغير ذلك .

(٢) وهو الذى يقدم الصداق للزوجة .

(٣) وعليه نفقة الوالدين الفقيرين والأقارب الفقراء ، الاخوه والاخوات وغيرهم .

فكان من العدالة أن يكون نصيبه من الميراث أكبر من نصيبها منه ، لأجل أن يستعين به على القيام بهذه الواجبات التى تثقل كاهله ، وتحرجه .

حالة المراة :

المراة خالية من هذه التكاليف المالية بعيدة عن كل مسؤولية . فان كانت متزوجة ، فنفقتها على زوجها ، وان كانت غير متزوجة فنفقتها على نفسها فقط ان كانت قادرة على الانفاق ، وان لم تكن قادرة فعلى بيت مال المسلمين ، أو دائرة الأوقاف ، أو الأغنياء من اقاربها ، أو المسلمين .

فالرجل مطالب بكل شىء ، والمراة لا تطالب بشىء .

فالأسلام قد أعفاها من كل مسؤولية مالية ، ثم بالغ فى رعايتها والعطف عليها ، فأعطاها نصف ما يأخذه الرجل المرهق بتلك التكاليف ، فتكون فى الواقع أكثر منه حظا ، وأوفى نصيبا فى حيازة المال لنفسها .

وهذا هو الأساس فى أن لها نصف نصيبه من الميراث .

قال الله تعالى : (**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**) سورة النساء ١١ .

التفاوت بينهما في الشهادة :

جعل الاسلام التفاوت بينهما في الشهاده ، حسبما تقتضيه طبيعتهما الفطريه وتتطلبه المصلحه ، وصيانه الحقوق .

من المعلوم ان الشهادة حكاية المعلوم الحاصل عن مشاهده ، أو سماع ، أو كتابة لاثبات حق أو نفيه ، أو تقرير دين ، او امانة ، او نسب ، أو نفى تهمة باطلة ، أو غير ذلك من شتى الأحداث ، والوقائع التى تتعلق بها حقوق او تدفع بها تهم لا صحة لها .

فان طال الزمن ، وتقادم العهد فان العلم بالواقع يضعف ، أو ينسى لا سيما عند المرأة ، بالنظر الى ما كون الله بها من طبيعة الأنوثة ، وما يعرض لها من الحيض ، والحمل ، والوضع ، والنفاس ، والرضاعة .

وقد اثبت الطب الحديث أن خلايا الأنوثة اضعف من خلايا الذكورة فربما سبب ذلك لها النسيان ، فيضيع حق ثابت ، أو نسب قائم ، فاقتضى هذا الحال أن تعان على شهادتها بشهادة امراة اخرى ، تذكرها اذا نسيت ، وتقوى شهادتها ان ضعفت .
فجعل الله لذلك شهادة امراتين بشهادة رجل فقال :

(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى)
سورة البقرة ٢٨٢ .

بذلك تتجلى حكمة العليم الخبير فى هذا التفاوت فى الميراث والشهادة ثم ان المرأة قد تنفرد بالشهادة ، وتقبل شهادتها هذه ، وذلك فيما لا يطلع عليه الا النساء ، كالبكاره ، والثيوبه ، والحمل ، والولاده ، وعيوب النساء ، لا سيما القابله .

ما اختصت به المرأة دون الرجل :

قد راعى الاسلام فى تشريعه حاله المراة الطبيعية ، وشؤونها الخاصه فخفف عن كاهلها كثيراً من العبادات المفروضة ، وبعض الأمور المطلوبة بينما تطلب من الرجل كاملة ، من غير تخفيف .

وهى كما يلى :

(١) لا تصلى شيئا من الصلوات الخمس المفروضة ايام أعذارها ، من حيض وولادة ، ونفاس ، ولا تقضى ما فاتها منها .

(٢) لا تجب عليها صلاة الجمعة ، بل تصلى الظهر فى بيتها .

(٣) لها من زوجها الصداق ، والنفقة ، وليس عليها شىء له .

(٤) لا يجب عليها الجهاد فى سبيل الله ، بل على الرجل وحده الا اذا دهم العدو البلاد الاسلامية ، وحينئذ تقوم بتأمين السقى ، وتضميد الجراح وما الى ذلك .

(٥) ليس عليها شىء من دية القتيل اذا وجبت على العاقلة التى تحمى القاتل عادة ، الا اذا اشتركت فى القتل .

ما اختص به الرجل دون المراة :

اختص الشرع الاسلامى الرجل بأمرين اثنين لأهليته ، وكفاءته ، وهما :

(١) القوامة .

(٢) والطلاق .

القوامـــة :

القوامة هي الرئاسة على الاسره لحفظها بالرعاية ، وحمايتها من كـل سوء ، وامدادها بكل ما تحتـاج اليه في الحياة .

قال الله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم**) سورة النساء ٣٣ .

الفضل معناه الزيادة .

يعني جعل الله الرجال قوامين على النساء بالرعاية والولايـــة بما زاد بعضهم على بعض من قوة البـدن للحماية ، ولمباشرة الاعمال الشاقة في طلب الرزق ، والصبر عـــلى المكاره ، والجهاد لدفع العدو ، وبما انفقوا من أموالهم من تقديم الصداق ، ونحوه وهي لا تستطيع ذلك .

فالقوامة هي رعاية وولاية وحماية، وانفاق وتدبير واحسان لا سيطـرة واستعلاء ونفوذ ، ولا سلطـــة واستبداد وتحكم تظللها المحبـــة ، والمودة والاخلاص .

الطـــلاق :

الطلاق هو حل الرابطة الزوجيـــة عند استفحال النزاع ، واستحالـــة الاصلاح .

جعل الله الطلاق للرجل دون المراة لاسباب وجيهة ، وهي :

(١) **أن الرجل هو الذى يدفـــع للمراة الصداق ، ويقوم عليها بالانفاق فهو صاحب الخيـــر والفضل ، فمن حقه أن يكون الطلاق بيده دونها .**

(٢) الرجل هو الذى يقع عليـــه غرم مالي بسبب الطـــلاق ، وهو مؤخر الصداق ، ونفقة العدة .

فلا يحسن مع ذلك أن يكون الطلاق بيد المراة ، حتى لا توقعه لأقل سبب من تأثر أو غضب .

وقد يدفع الطمع ببعضهن لأيقاع الطلاق ، كي تحظى بمؤخر الصداق فمن الحكمة أن يكون الطلاق لذلـــك بيده .

(٣) الرجل أقوى من المراة على الصبر ، وتحمل المكروه ، فاذا كـــان الطلاق بيده فانه يمنعه صبره وجلده من هدم كيان بيته بايقاعه بل يحـــافظ على الرابطة الزوجيـــــة ، وسعادة الاسرة ماأمكنه ذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ابغـــض الحلال الى الله الطلاق) رواه أبو داود وابن ماجه .

ثم أن الطلاق لا يصار اليه بدارا ، بل بعد مراحل الاصلاح ، ومحاولـــة التصفية من الأحقاد ، واسباب النزاع من الزوجين ومن أهلهما ، فان عسر ذلك فباختيار حكمين من أهلهما ، فان استعصى الاصلاح واستحال ، فيكون الطلاق على مراحله الثلاثة وبين كل مرحلة واخرى عدة الطلاق وهي نحو ثلاثة اشهر ربما تصلح نفس المذنب منهما ، فيعودان بعد لوعة الفراق

فالتشريع حكيم ، والتفاوت فيـــه قويم .

التفكير الفلسفي في الشعر العربي

للدكتور محمد البهى

ان الشعر لون من الوان التعبير عن الحياة وعن تفاعل الانسان مع احداثها وعما يجرى فيها من تعبيرات ، من شأنها أن تحرك مشاعر الانسان او تلفت نظره اليها . ولكنه يتميز عن اى لون آخر من ألوان التعبير ــ وبالاخص عما يسمى بالنثر ــ بجمال الخيال فى التصوير وبموسيقى الوزن فى الصياغة . وهو لذلك ان كان يعبر عن واقع فى الحياة فهو ينقل هذا الواقع ــ بفعل الخيال والسحر ــ من مجال الحقيقة الى نطاق الذوق والاحساس الفنى ، وهو يجمع لهذا السبب بين الامتاع من جانب وتقرير الواقع من جانب آخر .

وربما لهذا الازدواج يتميز الشعر عن الفلسفة التى هى تعبير دقيق عن الواقع ، وتعبير خال من فضفاضية الخيال وسحره ومن موسيقى الوزن ونغمته . وهنا اذا اخذ الشعر بمنطق التفكير الفلسفى وباتجاهه فى التعبير اقترب من الفلسفة او اصبح فلسفة ولكن عندئذ روعى فى التعبير فيه مذهب الشعر فى الوزن ، دون أن يكون لخياله أو لنغم وزنه اية صلة به .

والتفكير الفلسفى هو العمل العقلى صاحب المنهج فى خطواته ، الشارح لحقائق الوجود العام والوجود الانسانى بمفهومه الخاص .

فهو كما يحاول ان يشرح علة الوجود يحاول أن يشرح طبيعة الانسان فى تكوينه ، وتفكيره ، وسلوكه ، وفى غايته فى الحيـــاة . واذن ليس التفكير الفلسفى قاصرا على بحث ما وراء الطبيعة ، او على بحث المقاييس الخلقية ، واسلوب التفكير لدى الانسان . بل كما يتناول هذه المجـــالات يتناول أيضا الطبيعة والطبائع الحية فى اجناسها العديدة .

واذا اخذنا الشعر بالمفهوم الذى ذكرناه أولا ، واخذنا التفكير الفلسفى بهذا التحديد الأخير ـــ فانا لا نستطيع ان نؤرخ للتفكير الفلسفى فى الشعر العربى الا منذ كان هناك تفكير فلسفى بالمعنى المصطلح عليه فـــى تاريخ الثقافة العربية ، الا منذ وقت دخول الفكر الاغريقى الجماعة الاسلامية واتصاله بالاتجاه الاسلامى الخالص وامتزاجه بمبادىء الاسلام .

أما الاسلام نفسه فلا نستطيع أن نسميه تفكيرا فلسفيا ، حين نتحدث عن التفكير الفلسفى فى الشعر العربى ، منذ أن قامت الدعوة الاسلامية وتأثر العرب بوصايا الاسلام وتعاليمه . لا نستطيع أن نسمى الاسلام تفكيرا فلسفيا لأنه ليس صنعة لانسان ، وانما هو دعوة الخالق لهداية البشر كافة الى الصراط المستقيم فى السلوك فى الحياة : فى تصرف الفرد مع نفسه وفى معـــاملته مع غيره . والخـــالق فوق الانسان ، ووحيه فوق صنعة الانسان كـــذلك .

واذا أردنا أن نعبر عن تأثر الشعر العربى بالدعوة الاسلاميـــــة وبمبادىء الاسلام فذلك موضوع آخر يختلف كل الاختلاف عن الموضـــوع الذى نتناوله الآن ، وهو : التفكير الفلسفى فى الشعر العربى . ويجب أن يكون عندئذ عنوان الموضوع : « الاسلام والشعر العربى » .

والوقت الذى اتصل فيه الفكر الاغريقى بالأدب العربى واصبح هذا الأدب فى نثره وشعره معبرا عن مشاكل هذا التفكير ، وعن حـــلول هذه المشاكل ، وعن الآراء المختلفة لهذه الحلول ـــ متأخر عن دخول الفكـــر الاغريقى نفسه الى الجماعة الاسلامية . اذ ان عملية الترجمة والنقل الى اللغة العربية لهذا الفكر من لغته الاولى ، وهى الاغريقية أو من لغته الثانية وهى السريانية استغرقت وقتا طويلا . وبالاخص بعدما احتاج الأمر الى اعادة النقل من جديد الى اللغة العربية على عهد الرشيد . هذا بالاضافة الى ما يتطلبه من زمن آخر للاطلاع على قضايا هذا الفكر ، وفهمـــه ، ومراجعته ، والتعليق عليه بتبنيه أو برفضه .

على أننا لا ننسى أن تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيـــل وتعبيرهم عما تأثروا به منه فى قصائدهم المختلفة ، لم يكن ليبدأ قبـــل أن تنتهى الخصومة الفكرية بين علماء العرب والمسلمين حول هذا الفكر الدخيل

فى مجال الاتجاهات العقيدية ، وقبل انتاج المفكرين العرب والمسلمين الانتاج الأصيل فى مجالات علمية أخرى كمجال الرياضة والطبيعة ، وان تأثروا فيها انتجوا فيها بهذا الفكر .

لم يكن ليبدأ تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيل قبل تلك الخصومة الفكرية فى مجال العقيدة وقبل الانتاج الأصيل فى هذه المجالات العلمية ، لأن الطابع الذى سيطر على التوجيه والتفكير العربى والاسلامى بعد دخول المنطق الأرسطى ، ودخول بقية جوانب التفكير الاغريقى الأخرى حمل المفكرين والموجهين العرب والمسلمين عامة على أن لا يتخذوا من الأدب المجال الذهنى ويجعلوه صاحب الحظوة الأولى ، وانه كل شىء فى حياتهم كما كان الحال قبل الدعوة الاسلامية ، وأبقى للمجالات التوجيهية والفكرية الأخرى غير الأدبية الأسبقية بين العلماء والموجهين العرب والمسلمين . وذلك أمر ضرورى ، لأن الدعوة الاسلامية ، منذ أن قامت شغلت قلوب العرب والمسلمين ، وشغلت تفكيرهم سواء فى نشر مبادىء الاسلام أو فى رد الهجوم عليها زمنا طويلا . ونشر العقيدة الاسلامية أو الدفاع عنها أصبح من أجل ذلك هدفا أوليا ، وأصبح ذا تقدير أولى يسبق أى موضوع آخر ، وان كان لهذا الموضوع الآخر شأن أى شأن سابق فى حياة العرب كالأدب مثلا ، وبالأخص الشعر منه .

ولم يكن من السهل على العرب والمسلمين بعد الدعوة الاسلامية ، وبعد أن قام مجتمعهم على أساس منها ، أن يعود تركيز التفكير الاسلامى ، وتوجيه الجماعة الاسلامية الى ما كان عليه الوضع أيام الجاهلية وهو الأدب والشعر بوجه خاص ، عندما يزحف الفكر الاغريقى بوثنيته ومنطقه الخادع المغرى . لأنه اذا كانت حرارة الايمان قد دفعت العرب وقت الدعوة الاسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى تركيز أمر حياتهم فى شأنها — فان الخطر الذى صاحب دخول الفكر الاغريقى وظهور الوثنية من جديد فى صورة فلسفية أيام العباسيين ، كان لا بد أن يحمل هؤلاء العرب الذين تبنوا الدعوة الاسلامية من قبل ، والمسلمين من غير العرب الذين شاركوهم هذا التبنى ، على الدفاع عنه ، وعلى تركيز التوجيه والتقدير معا على الجانب الاسلامى عقيدة ومنهجا فى الحياة ، وعلى أن يظل الأدب العربى وبالاخص الشعر فى التقدير الثانى أو المحل الآخر . حتى اذا تبلورت المذاهب العقيدية ، وتحددت المجالات العلمية الرياضية والطبيعية لعلماء العرب ومفكريهم — ابتدأ الأدباء يعرضون فى أدبهم هذا التفكير الفلسفى ويعرضونه فى أشعارهم بوجه خاص .

والقرن الثالث الهجرى يعتبر على وجه التقريب المسرح الزمنى لظهور التفكير الفلسفى فى مبادئه أو فى التأثر به فى الشعر العربى . ونجد فى شعر أبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى نماذج واضحة للتعبير عن هذا التفكير .

وتعبير هؤلاء الشعراء عن هذا التفكير الفلسفى يختلف فيما بينهم فى مدى التأثر به . ولهذا التعبير صور مختلفة :

أ) فمرة يأخذ هذا التعبير صورة مدح بالاطلاع عليه او صورة رغبة فى الانصراف عنه . فيقول المتنبى مشيدا باطلاعه على الفلسفة الاغريقية وأربابها :

من مبلغ الاعراب انى بعـــدها   جالست رسطاليس والاسكنـدرا
وسمعت بطليموس راوى كتبـــه   متملكـــا متبديـــا متحـضرا
ولقيت كـــل الفاضـــلين كانمـــا   رد الالــــه نفوسهـــم والاعصرا
نسقوا كمـــا نسق الحساب مقدما   واتى فذلـــــك اذ اتيت مؤخـــرا

بينما يعبر البحترى مثلا ــ وهو ممن عاش بين ابى تمام والمتنبى ــ عن عدم حاجته على الأقل الى الفكر الاغريقى فى أسلوب صياغته اذ يقول :

كلفتمونـــا حــــدود منطقـــكم   والشعر يغنى عن صدقـــه كذبـــه
ولم يـــكن ذو القـــروح بلهج بالمنـــــــطق ما نوعـــــه وما ســـــببه

ونحن اذا وقفنا عند قول البحترى هذا نجده يصيب فى أن دائرة الشعر هى دائرة الوجدان وليست دائرة العقل والمنطق ، وان اثر فضفاضية الخيال فيه على الوجدان وعلى قيادة النفوس عن طريق إثارة هذا الوجدان والهابه ــ اشد واقوى مما لو دخل الشاعر به مجال العقل والمنطق المجرد . وفى اعتقادنا أن البحترى لا يقصد بقوله : « والشعر يغنى عن صدقه كذبه » اطلاقا أن فى الكذب غناء . وانما يقصد ان الهدف من الشعر يتحقق وان كان التعبير فيه أوسع مدى من مدلوله ، وافسح رحابة من دائرة الواقع التى يريد ان يترجمها . وهذا الهدف هو اثارة الوجدان ، وقيادة الجماعات والراى العام عن طريقه .

ب) وقد يكون هذا التعبير تمجيدا للعقل واستهانة بما عداه . فنرى المتنبى يقـــول :

لولا العقول لكـــان ادنى ضيغم   ادنى الى شرف من الانســـــــان

ونرى ابا العلاء المعرى فى اشادته بالعقل يقصر المعرفة على دائرته وعلى حصيلة انتاجه فيقول :

سأتبع من يدعو الى العقـــل جاهدا   وارحل عنها ما امامى سوى عقلى

جـ) وقد يكون تضمنيا لفكرة فلسفية كما يعبر ابو العلاء عن العناصر فيما يقول :

نرد الى الأصول وكل حى له فى الأربع القدم انتساب كما يقـــول :

آليت لا ينفـــــك جسمى فى أذى   حتى يرد الـــى قـــديم العنصر

وكمـا يقول المتنبى :

تبخـل ايدينـا بأرواحنـا ... على زمـان هن من كسبه
فهـذه الأرواح مـن جـوه ... وهـذه الاجسـاد من تربه

وكما يعبر ابو العلاء نفسه فى صلة الجسم بالنفس عن تبعية الجسم لها فى مظاهره واعراضه فى قوله :

فاتاؤك الجسم الـذى هو صورة ... لك فى الحياة فحاذرى ان تخدعى
لا فضل للقـدح الذى استودعته ... ضربا ولـكن فضلـه للمـودع

وفى قوله ايضا :

ياروح كم تحملين الجسم لاهيـة ... ابليته فاطرحيـه طالمـا لبثـا

وعلى نحو ما يقول ابو تمام :

شاب راسى وما رايت مشيب الـراس الا من فضـل شـيب الفؤاد
وكذاك القـلوب فى كل بـؤس ... ونعيم طـلائع الاجسـاد

وفيما نراه فى تحديد الفضيلة لأبى تمام فى قوله :

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت لـه ... بزخرفهـا الدنيـا فليس بزاهـد

وكما فى قـول المتنبى :

كل حـلم اتى بغيـر اقتـدار ... حجـة لاجىء اليهـا اللئـام

وكما يشير ابو العلاء الى فكرة التناسخ التى جاءت الى المسلمين عن طريق الفكر الاغريقى والفكر الدينى الهندى معا . وان لم يظهر ايمانه بهـا على الاطلاق :

يقولون : ان الجسم ينقل روحـه ... الى غيره حتى يهذبـه النقـل
فلا تقبلن ما يخبرونـك ضلـة ... اذا لم يؤيد ما اتـوك بـه العقل

د) وقد يكون هذا التعبير عن التفكير الفلسفى فى الشعر العربى تاثرا بمنهجه واسترابة فى كل معرفة سابقة . وأبو العلاء المعرى يعتبـر مقدم الشعراء المتفلسفين فى هذا الجانب . ويذكر أولا أن الشك أمر طبيعى للنفوس فيما يقول :

ويعترى النفس انكـار ومعرفـة ... وكل معنى لـه نفى وايجـاب

ثم يأخذ فى الشك فى المعارف السابقة فيقول :

وما آدم فى مذهب العقل واحـد ... ولكنـه عنـد القيـاس اوادم

كما يقول ايضا :

دين وكفـر وانبـاء تقـص وتـوراة وانجيـل
فى كـل جيـل أباطيل ملفقـة ... فهـل تفـرد يوما بالهـدى جيل

وكما يقـول :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... ويهود حارت والمجـوس مضلله
اثنان اهـل الارض : ذو عقل بلا ... دين وآخر دين لا عقـل لـه

على انا قد نجد لأبى العلاء فى شعره تعبيرا يثبت به وجود الله ، سواء أكان ذلك من باب التقية أو من باب تردد النفس بين الاثبات والنفى ، فيقـول :

اثبت لـى خالقـا حـكيما ولسـت مـن معشر نفـاة

ويقـول :

انفـرد الالـه بسـلطانه فمـا لـه فى كـل حـال كفـاء
مـا خفيـت قدرتـه عنـكم وهـل لها عن ذى رشاد خفـاء

ويقـول أيضـا :

أما ترى الشهب فى أفلاكها انتقلت بقدرة من مليـك غيـر منتقـل

هـ) وقد يكون التأثر بالفـكر الفلسفى فى الشعر سيرا به فـى منطق استدلاله وتركيب قضاياه على نحو ما يقول أبو تمام :

فقسا ليزدجـروا ومن يك حازمـا فليقس أحيانـا عـلى من يـرحم
واخالـكم كى تغمـدوا اسيافـكم ان الـدم المعتد يحرسه الـدم

ويقـول أيضا :

لاتنكـرى عطـل الكريم من الغنى فالسيل حـرب للمكـان العـالى

ويقـول :

ليس الحجـاب بمقص عنك لى أملا ان السمـاء ترجى حيـن تحتجب

ويقـول :

لا تنكـروا ضربى لـه من دونـه مثلا شرودا فى النـدى والبـاس
فالله قد ضرب الأقـل لنـوره مثلا من المشكـاة والنبـراس

وعلى نحو ما نرى للمتنبى فى قوله :

من يهن يسهل الهـوان عليـه ما لجـرح بميت ايـلام

وفى قوله كذلك :

فان الجـرح ينفـر بعـد حيـن اذا كـان البنـاء عـلى فسـاد

وعلى نحو ما نرى لابن الرومى فى قوله :

اذا غمر المال البخيـل وجدتـه يزيـد به يبسـا وان ظن يرطب
وليس عجيبا ذاك منـه فانـه اذا غمـر المـاء الحجـارة تصلب

وفى قوله :

عـدوك من صديقـك مسـتفاد فلا تستكثرن من الصـحاب
فان الـداء اكثـر مـا تـراه يكون من الطعـام أو الشراب

والشعراء الثلاثة : أبو تمام والمتنبى وابو العلاء اكثر الشعـراء الفلسفيين تأثرا بقضايا الفكر الاغريقى وبمنهجه . أما البحتـرى فهو اقل الشعراء الحكميين نقلا عن الفكر الاغريقى أو سيرا فى منهجه ، وان لم يخل شعره من الصقل الذى هو احد مظاهر التفكير الفلسفى . فعندما يقول :

والعقـل من صبغـة وتجربـة شكـلان : مولودة ومكتسـبه

ويقـول كذلك :

وسألت من لا يستجيب وكنت فى استخباره كمجيب من لا يسأل

عندما يقول هذا أو ذاك يعطى القارىء له صورة من الشعر فى صياغة الفلسفة ودقة المنطق .

أما ابن الرومى فتأثره بالتفكير الفلسفى كان أكثر بالنزعة التى سادت التصوف الشرقى ، وهو التصوف الهندى من الميل الى العزلة والتنفير من الحياة القائمة . وصاحب مثل هذه النزعة يحاول من جانب آخر ، فى استمرار وفى تأكيد ، الاعتراف بالله والتدليل على وجوده . وهذه الظاهرة نجدها فى شعره عندما يقول :

واخلاصنا التوحيد لله وحده ... وتذبيبنا عن دينه فى المقاوم

بمعرفة لا يعرف الشك بابها ... ولا طعن ذى طعن عليها بهاجم

واعمالنا التفكير فى كل شبهة ... بها حجة تعيى دهاة التراجم

وعلى اية حال مهما كان للتفكير الفلسفى اثره الايجابى فى توسيع رقعة التفكير فى الشعر ، أو فى صقل التعبير فيه فان له أثرا آخر يبعد الشعر عن مجاله الأصيل وهو الوجدان . وبذلك يفقد شيئا قليلا أو كثيرا من خاصيته . فالخيال عنصر رئيسى فى اثارة الوجدان ، بينما المنطق هو الأساس الأول فى التفكير الفلسفى .

مجالان مختلفان : مجال العقل ومجال المنطق . وتعبيران متقابلان : تعبير الفكر الفلسفى وتعبير الشعر . وأولى ــ لكى يبقى للفكر الفلسفى منطقه وتأثيره على العقل ، ولكى يبقى للشعر خياله وتأثيره على الوجدان ــ الا يخضع الشعر للتفكير الفلسفى ومنهجه وطريقة تعميته ، كما لا يخضع التفكير الفلسفى فى أسلوبه وصياغته للعنصر الأساسى للشعر وهو الخيال .

وبذلك يبقى للانسان فى التأثير طريقان :

طريق العقل لمن يؤثرون متعة العقل .

وطريق الخيال لمن يتأثرون بالوجدان أكثر من تأثرهم بالعقل ومنطقه .

مائدة القارئ

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

— قرآن كريم —

سمع الله شكواها

خرج عمر بن الخطاب يوما ومعه الناس ، فمر بعجوز فاستوقفته فوقف فجعل يحدثها وتحدثه فقال له رجل : « يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز » فقال : « ويلك اتدرى من هى ؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت مالك بن ثعلبة التى أنزل الله فيها: « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير »

ابو حنيفة

سال الرشيد ابا يوسف أن يصف له اخلاق ابى حنيفة .. فقال : كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله ، مجانبا لأهل الدنيا ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ، ان سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب ، وما علمته الا صائنا لنفسه ودينه ، مشتغلا بنفسه عن الناس ، لا يذكر احدا الا بخير .

فقال الرشيد : هذه اخلاق الصالحين .

العدل

سال عمر بن عبد العزيز .. محمدبن كعب القرظى أن يصف له العدل . فقال كعب : كن لصغير الناس أبا ،ولكبيرهم ابنا ، وللمثل منهم اخا ، وللنساء كذلك .. وعاقب الناس بقدرقلوبهم على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين .

اعطيت خمســا

قال النبى صلى الله عليه وسلم :« اعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا ، واحلت لى الغنائم ، واعطيت الشفاعة وأرسل كل نبى إلى قومه خاصـــة وبعثت إلى الناس عامة » .
رواه البخارى

إخلاص .. واجابة

بعد ان اخذ عبد المطلب إبلـــه من ابرهة ، واحرزها فى جبال مكة ، لجا الى الكعبة واخذ بحلقة الباب وقال :

يا رب إن المــرء يمنــــع رحــــــله فامنع حــلالك
لا يغلبن صـــــــــليبهم ومحـــالهم أبدا محـــالك
إن كنت تاركهــــــم وكعــــ بتنـــا فأمر ما بدالـــــك
جروا جميـــع بلادهــــم والفيـــل كى يسـبوا عيالك
عمدوا حمـــاك بكيــــدهم جهــلا وما رقبوا جــلالك

فاستجاب الله له .. وحمى بيته .. وأهلك أصحاب الفيـــل .

الصـــــدق

خطب بلال لأخيه خالد بن ربـــاح امراة من قريش .. فقال بلال لمن يريد مصاهرتهم : نحن من عرفتم يا قوم .كنا عبدين فأعتقنا الله ، وكنا ضالين فهدانا الله ، وانا اخطب الى خالــدأخى فلانة منكم ، وهى ذات حســب ودين ومروءة ، فان تنكحوه فالحمد لله وان تردوه فالله أكبر .

فسمع القوم من بلال وقالوا :ليس مثله من يدفع ، وأجمعوا على قبـــول الخاطب .

وفى طريق رجوعهما قال خـــالد لأخيه بلال : يغفر الله لك يا بلال ، الا ذكــرت سوابقنا وشواهدنا مــــع رسول الله صلى الله عليه وسلـــم ؟ فصاح بلال : يا خالد ، صدقنا فنفعنا صدق الحديث .

من مفتريات اليهود

للدكتور احمد الحوفى

(٣) الزنا

سول لواضعى اسفار التوراة نغل قلوبهم ، وفساد طوياتهم ، وفحش سلوكهم أن يصموا بعض الانبياء بالزنا ..

١ — وان القلم ليرتجف وهو يسطر افتراءهم على لوط عليه السلام ، فهو لم يزن فحسب ، بل زنى بابنتيه ، فحملتا ، وولدتا له ولدين إنها لفرية بشعة تهبط بالنبى من علياه ، بل تسقط به من انسانيته الى البهيمية ، لأنها تناقض الفطرة البشرية السوية التى فطر الناس عليها منذ برأ آدم وحواء .

زعمت التوراة انه بعد أن دمر الله سدوم وعمورة عقابا لاهليهما على اتيان الذكور ، ونجاة لوط وابنتيه ، صعد لوط الجبل ، فاقام هو وبنتاه فى مغارة ، فقالت الكبرى للصغرى : قد شاخ ابونا ، وليس هنا رجل ليضاجعنا كعادة الناس ، وان بقينا على هذه الحال انقرض نسل ابينا بعد وفاته ، فهلم نسقى أبانا خمرا ، ليفقد وعيه ، ونضطجع معه ، فنجىء منه بنسل .

فى تلك الليلة سقت البنتان اباهما خمرا ، ودخلت الكبرى فضاجعته ، وهو لا يعلم بها ولا بما عملت .

وفى الغد قالت الكبرى : اضطجعت البارحة مع ابى ، فهلم نسقيه الليلة خمرا لتضاجعيه ، فيجىء منك بنسل ، فسقتا اباهما خمرا فى الليلة الثانية ، وقامت الصغرى فضاجعته وهو لا يعلم . وكانت ثمرة هـذا وذاك أن حملت البنتان من أبيهما ..

ثم ولدت الكبرى ابنا وسمته مؤاب ، وهو ابو المؤابين الى اليوم ،

على الأنبياء ٢

وولدت الصغرى ابنا وسمته عمون ، وهو ابو بنى عمون الى اليوم (سفر التكوين ٣٧/٣٠/١٩) .

فلنقرأ قصة لوط فى القرآن الكريم لنجد عصمة النبى التى يجب أن يدين بها كل ذى دين ..

يذكر القرآن الكريم أن الله تعالى نجى لوطا الى أرض بعيدة من الظالمين الذين آذوه هو وابراهيم عليهما السلام : « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين . ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » .

« ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين . وادخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين » (الانبياء : ٦٩ ــ ٧٥) .

فهو نبى معصوم ، وهو بنص القرآن الكريم حبيب الله داخل فى رحمته ، وذو صلاح وحكمة وعلم .

ومعاذ الله ان يتردى احد أنبيائه فى تلك الفحشاء التى وصم اليهود بها لوطا وابنتيه .

٢ ــ كذلك افترى اليهود على داود عليه السلام أنه اغتصب زوجة جندى من جنوده ، فزنى بها ، واستولدها ابنه سليمان . وكانما يأبى الافك اليهودى الا أن يكون مضاعفا ، فلوط زنى بابنتيه ، وداود زنى ، وكان ابنه من الزنا نبيا فيما بعد .

ذكروا ان داود ارسل قائده يؤاب فى جيش ، وكان من جنوده رجل اسمه أوريا ، واقام داود فى اورشليم ، وفى المساء مشى على سطح بيته ، فرأى امرأة تستحم من طمثها ، وكانت جميلة ، فارسل اليها وضاجعها .

ولما حان موعد طمثها لم تحض ، فادركت انها حملت من داود ، لأن زوجها فى المعركة بعيد عنها ، فارسلت الى داود وقالت اننى حبلى ، فبعث الى قائده يؤاب ليرسل اليه أوريا ، فارسله ، فسأله داود عن القائد وعن الحرب ، وأمره أن يذهب الى بيته ، فرفض ونام على باب داود مع عبيده ..

ويمضى الافتراء الى أن يقول : وفى الصباح بعث داود الى يؤاب رسالة مع أوريا يقول فيها : اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه ليقتل .

ففعل يؤاب ما أمره به داود ، فدفع جماعة فيهم أوريا الى سور المدينة ، وتقهقر عنهم يؤاب ومن معه ، فقتلوا جميعا ، فارسل يؤاب الى داود يخبره بما فعل .

فلما علمت زوجة أوريا أن بعلها مات ندبته ، وحينما انتهت المناحة ضمها داود الى بيته ، فصارت له زوجة ، وولدت له ابنا هو سليمان ، ولكن الرب أحبه (سفر صمويل الثانى ١١/٢ — ٢٦ ، ١٢/٢٤) .

وحسبنا من التعقيب على هذا الافتراء أنه يصور نبيا يزنى ، ويدبر قتل جندى برىء من جنوده ، وأن ابنه من الزنا يصير نبيا من بعده .

ومعاذ الله أن يصطفى أنبياءه على هذه الصورة .

فاذا ما رجعنا الى القرآن الكريم وجدناه يذكر داود بما يذكر أنبياء الله من اعزاز وتكريم وثناء ، قال تعالى : « **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** » (النمل : ١٥) .

وقال سبحانه : « **اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب . انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** » (ص : ١٧ — ٢٠) . وهذا هو التصوير اللائق بنبى كريم .

٣ — ويدعون أن روابين الابن البكر ليعقوب زنى بزوجة ابيه وأم أخويه المسماة بلهة ، وأن هذه الفعلة ذاعت حتى بلغت سمع يعقوب (سفر التكوين ٣٥/٣١) .

٤ — ويزعمون أن ابن داود زنى باخته فى قصة ملخصها أن آبشالوم ابن داود كانت له اخت جميلة اسمها ثامار ، فاحبها اخ لها من أبيها اسمه

امنون حتى اسقمه حبها ، وتعذر عليه ان يقربها لانهـــا عذراء ، وكان له صديق من ابناء عمه ذو حيلة ، فاشار عليه ان يتمارض ، فاذا جاء ابوه ليعوده قال له : اريد ان تاتى اختى ثامار لتطعمنى من طعام تطهوه بيديهـــا امامى . فامرها ابوها أن تصنع ما طلبه أمنون ، فابى أن ياكل ، وقال : اخرجوا كل من هنا ، ثم قهرها وضاجعها ، وبعد ذلك ابغضها بغضـــة شديدة وطردها ، فغاظها طرده اشد مما غاظتها فعلته . ولما سمع داود بما حدث اغتاظ جدا (سفر صمويل الثانى ١/١٣ ــ ٢٢) .

ويتضح من هذه الاكذوبة ان امنون بن داود زنى باخته ، وانها غضبت من طرده اياها أشد من غضبها مما ارتكب معها ، ثم ان اباهما داود اكتفى بغيظ حبسه فى نفسه .

(٤) الغواية

كذلك جرحوا عصمة الانبياء ، فزعموا ان سليمان عليه السلام أحب كثيرا من النساء مع بنت فرعون ، وهن جميعا من الشعوب التى نهى الرب بنى اسرائيل عن مخالطتها وعن مصاهرتها ، لئلا يجتذبوا بنى اسرائيـــل الى آلهتهم ..

لكن سليمان شغف بهن ، حتى كان له سبع مئة من الحرائر ، وثلاث مئة من السرارى ، فأملن قلبه الى آلهتهن ، وصار غير خالص للرب كما كان قلب أبيـــه داود خالصـــا ، فارتكب ســـليمان الشر ، وعصى ربه إله اسرائيل ، فغضب عليه (سفر الملوك ١/١١ ــ ١٠) . يا للعجب .. !

سليمان النبى عصى ربه ، فتزوج ممن نهاه عن الزواج بهن ، ثم تملكن قلبه فانصرف عن حب الله .

ثم اشرك مع ربه الذى اصطفاه وبعثه نبيـــا آلهة أخرى ، فغضب ربه عليه .

فكيف استساغت عقولهم هذا البهتان .. ؟

ان القرآن الكريم يثنى على سليمان فى قول الله تعالى : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد وانه أواب » (ص : ٣٠) وفى قوله ســـبحانه : « ولقد آتينا داود وســـليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضـــلنا على كثير من عباده المؤمنين » (النحل : ١٥) . وفى قوله تعالى فى شأنهما معا : « وكلا آتيناه حكما وعلما » (الانبياء : ٧٩) .

هكذا تزخر الاسفار بالاباطيل منسوبة الى الله تعالى والى رســـله وأنبيائه ، تعالى الله عما يفترون علوا كبيرا .

الرّق في الإسلام

للدكتور محمد سعيد رمضان

.. ولكن ما معنى كونه شريعة ، وما معنى أنها باقية .. ؟

تلك فقط هي المشكلة .. وهي — كما ترى — مشكلة تتعلق بفهم موقف الاسلام من الرق لا بموقف الاسلام نفسه ..

فلو فهم المستشكلون معنى الرق في بعض صوره مشروعا ، ومعنى كون هذه الشرعة باقية مستمرة — لما رأوا في هذه المأساة اى شبهة تحتاج الى نظر فيها أو كشف عنها ، ولما رأوا فيها اى ثلمة يمكن أن ينفذ منها اى سوء الى حقيقة الاسلام ونظامه ..

وكم من مشكلة يحسبها بعض الباحثين مشكلة في الاسلام وحكمه ، وهي ليست اكثر من مشكلة جهلهم بحقيقة الاسلام وحكمه .. وقد انتهى الأمر ببعض المسلمين في هذا العصر الى حد انه يريد أن يعلم كل شيء عن الاسلام ، وكل شيء عن نظامه وطبيعته ، دون أن يتحرك عن مجلسه الأرائكي الحالم ، ودون أن تكلفه لفهم كل ذلك الا بقراءة ما طاب له من الجرائد والمجلات وما لف لفها ، مما خف حمله في اليد وقلت مؤونته على الفكر .. ولكن الاسلام لم ينزل الى حضيض هؤلاء ابدا . وما يتخيلونه منه نازلا الى مستواهم لاحقا برغباتهم ، ليس في اكثر الأحيان الا زيفا وباطلا ، خيل اليهم جهلهم انه الاسلام وما هو بذلك . وما يضر الاسلام شيئا أن يكون في اهله من لا يعلم حقيقته ، ولكن ذلك انما يضر بهم انفسهم الضرر كله ..

شريعة باقية ولكن..

ومسالة الرق فى حكم الاسلام ،واحدة من المسائل الكثيرة التى يشتهى بعض الناس ان يقول فيها برايه ، يزعم بذلك أنه انما يدافع عن الاسلام ويكشف عن حقيقته ، ان كان مسلما او يخيل اليه بذلك أنه ينال من سلطانه ويضعف من قوته ، ان كان ملحدا ..

ذاك يقول : ان الاسلام قضى على الرق ، فلا رق فى شريعة الاسلام اصلا . وهذا يقول : ان الاسلام يتبنى الرق ويبيحه دون أن يحسب لحرية الانسان أى حساب ..

وكلا القولين خلط باطل ، لا علاقة له بشىء مما تقضى به شرعة الاسلام .

ودعنى أوجز لك خلاصة الحكم فى هذه المسالة ، وعليك أن تتوسع او تتعمق فى ذلك عن طريق الرجوع الى المراجع القديمة ، المختصة ، ان احببت أن تقف على مزيد من التفصيل فى الأمر :

عمد الاسلام الى ما كان معروفا فى العالم ، عند بعثه خاتم الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام ، من انواع الرق واسبابه ، فاقر منها ما كان مصدره الحرب والأسر ضمن قيود وشروط مخصوصة والغى سائرها مما كان مصدره القرصنة او المراباة أو نحو ذلك .

والدليل ، ما أقدم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضرب ارق على بعض أسرى الحرب وذراريهم في كثير من الغزوات ، مثل غزوة بنى قريظة ، وحنين ، وخيبر ، مع اقرار القرآن له على ذلك .

ومن بدهيات الاسلام ، انه لا ينبغى اهمال ما تقضى به السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحجة أن القرآن لم يصرح بما صرحت به السنة النبوية . اذ من المعلوم ضرورة أن السنة الصحيحة مصدر مستقل من مصادر الشريعة الاسلامية ..

على أن القرآن قد أوضح مشروعية الاسترقاق ، عندما أمر بإعتاق الرقاب تكفيرا للحنث فى اليمين أو الوقوع فى الظهار او نحو ذلك .. اذ لا شك ان الأمر بالاعتاق ، فى حالات مخصوصة فرع عن اقرار الرق قبل ذلك ، ولو كان أصل الاسترقاق فى كتاب الله تعالى غير مشروع لما كان الاعتاق كفارة بحال ، بل كان الاعتاق عندئذ ضرورة لا بد منها بالنسبة لكل من كان تحت يده رقيق ، سواء ارتكب شيئا من موجبات الكفارة او لم يرتكب .

ولكن ما معنى ان الاسلام قد شرع الاسترقاق من هذا الوجه .. ؟

هذا ما يجب فهمه بدقة ، وهذا هو الأمر الذى يغيب عن بال كثير من المتسائلين والباحثين ولولا ذلك ، لعلموا ان حكم الاسلام فى الرق من أهم البراهين على عظمة الاسلام وخلوده ، وعلى انه الشريعة الالهية الصالحة لكل زمان ومكان .

تنقسم جملة الامور المشروعة فى الاسلام الى قسمين :

قسم تقوم شرعته على أساس مطلق من حكم الاباحة أو الوجوب أو الندب ، يخاطب به الناس جميعا بوصف كونهم أفرادا وجماعات ، فهى مشروعات دورية متكررة فى كل زمان وعصر ، تتعلق بكل فرد من المسلمين على حدة ، ليس لنبى ولا لحاكم او سلطان أن يغير منها أو يقضى بها على بعض الناس دون بعض او فى بعض العصور دون الاخرى ، ويمثل لهذا القسم بالواجبات والمندوبات الدينية المختلفة ، وبالمباحات التى لا يعترضها او يشوبها شىء من المحرمات كالطعام والشراب ..

وقسم آخر تقوم شرعته على أساس من اعطاء الشارع جل جلاله الصلاحية للحاكم المسلم ان يقضى فيه بما يرى انه الخير والمصلحة للمسلمين

عامة ، ضمن دائرة محدودة لا يتجاوزها ، ويسمى هذا الحكم بحكم الامامة أو السياسة الشرعية ، والأمور التى شاءت حكمة البارى جل جلاله أن يتعلق بها هذا النوع من التشريع ، هى تلك التى يختلف اثرها فى المجتمع ما بين عصر وآخر أو بلدة واخرى ، ويتاثر وجه المصلحة فيها بطـــوارىء الظروف والاحوال . ويمثل لهذا القسم باعلان حالة الحرب والســـلم . واتلاف اشجار العدو ومختلف ممتلكاتهم أو تركها دون أن تمس بأذى ، كما يمثل له ايضا بالسياسة التى ينبغى أن تتبع بشـــأن الأسرى من قتل أو استرقاق أو مَنّ أو فداء ، كما يمثل لها بأمور كثيرة اخرى منها ما هو متفق عليه أنه من هذا النوع ، ومنها ما هو محل خلاف بين الأئمة . ولا مجال لسردها والحديث عنها فى هذا المقام .

فالمشروعية ، بالنسبة لهذا القسم الثانى لا تعنى الاباحة المطلقة أو الوجوب المطلق على نحو ما أوضحناه بالنســـبة للقسم الأول ، وانما هى تعنى نوعا من الصلاحية يخولها الشارع جل جلاله لمن كانت بيده الســلطة من رسول أو خليفة أو رئيس ، بالنسبة لأمور قد يختلف وجه المصلحة فى معالجتها مع اختلاف الظروف ، وتبعا لما قد يفاجأ به المســـلمون من طوارىء . وواجب صاحب السلطة حيال هذه الأمور تطبيق ما تقتضـــيه المصلحة حسب كل زمان ومكان ، فى حدود الدائرة التى حدها له الشارع .

ويقابل هذا القسم فى الشريعة الاســـلامية ، ما يسمى بقـــانون الطوارىء ، أو الأحكام العرفية . فيما يصطلح عليه علماء القانون ..

فالقانون الذى تنشر الدولة نصـــه فى المجتمع وبين يدى الأفراد ، ويعمل به فى الأحوال الطبيعية العامة ، ويتقاضى الناس بموجبه ، ويترافع المحامون والمدعون على أساسه — هذا القانون يطوى ويعلق عن التنفيذ ، عند طروء أى حادث غير طبيعى ، حيث يخول الدستور صاحب الســلطة العليا فى الحكم صلاحية مطلقة للحكم بما يشـــاء هو ضمن مجال غير محدود لا ترسمه الا كلمة المصلحة والضرورة ، وهى كلمة لا يضع مسماها أحد غيره ..

وربما قضى الحاكم الأعلى فى هذه الاحوال ، باقضية لو عرضت على القانون وظروفه الطبيعية لاعتبرت غاية فى الوحشية والهمجية والاجرام ، ولكنها بالنسبة لظروفها الخاصة وبالنسبة لما تستظل به من كلمة (الاحكام العرفية) تعتبر علاجا طبيعيا صحيحا لا يعقب عليه باى استنكار أو نقد .. وعندما أمرنا الحاكم الحقيقى جل جلاله بأن نتحول عن كل حكم وقانون

الى حكمه وقانونه وضعنا أمام شريعة رائعة عظمى صـــالحة لكل زمان ومكان . ومعنى ذلك أنها صالحة فى الظروف والاحوال العادية التى يعتمد فيها الناس على قانونهم العام ، وصالحة فى الاحوال والظروف الطارئة التى يهرع فيها الحكام الى قانون الطوارىء .

فكيف تكون شريعة الله جل جلاله صالحة لهاتين الحالتين .. ؟

أما الرسول عليه الصلاة والسلام ، فليس باقيا فى الناس ما تعاقبت القرون ، حتى يكون سبيل ذلك وحيا يتنزل عليه .

وأما الحكام والخلفاء من بعده ، فليس لأحد منهم سلطة أى تشريع ، لا التشريع العام ولا التشريع المتعلق بالطوارىء الاستثنائية .

اذا فما السبيل .. ؟ السبيل هو ان تحوى نصوص الشريعة نفســها احكاما تبليغية دائمة يمارسها الفرد والمجموع ، لا تتبدل ولا تنسخ الى يوم القيامة . ثم ان تحوى الى جانب ذلك نصـــوصا أخرى ، تحوى أحكاما يخاطب بها الأئمة والحكام ، يعطون بموجبها صلاحيات معينة ضمن موازين من المصـــلحة الشرعية الدقيقة ، وذلك كى يواجهوا بها طوارىء الاحوال وتقلبات الظروف ، فلا يجدوا معها ما يضطرهم الى التحول عن حكم الله الى أهواء الناس وآراء المغرضين .

وهكذا ، فالشريعة الاسلامية بقسميها اللذين شرحناهما حاوية لكل من القانون الدورى العام وقانون الطوارىء ، وهذا أروع مظهر من مظـــاهر مرونته وخلوده وصلاحيته لكل عصر وفى كل حال .

اذا علمت هذا ، نقول : ان مسالة الاســترقاق عن طريق الأسر ، مسالة يناط وجه المصلحة فيها بمقتضيات الحرب والسلم ، وسياسة الأمم المتعادية تجاه بعضها . أى لا يمكن لدولة ما أن تقطع فيهـا بأمر الا على ضوء ما ستلتزم به الدول الاخرى تجاهها .

وربما أمكن أن تجتمع جميع الدول فى عصر من العصور على ميثاق بين تتواضع عليه وتسير على نهجه كما هو الحال فى عصرنا هذا ، ولكن

ليس من المضمون الا ياتى الغد القريب او البعيد بظروف تلغى فيه جميع هذه المواثيق والاتفاقيات ، وتظهر على مسرح الدنيا دول وحكومات تستبيح لنفسها كل ما تصورها لها أخيلة الشر والاجرام ، ولا تقيم للكرامة والحرية الانسانية أى وزن .

وقد تبحث الأمر دول عاقلة اذ ذاك ، فترى أن التهديد بالمعاملة بالمثل ، هو وحده انجح الوسائل السياسية لكبح جماح البغاة والأشرار ، ولصدهم عن اقتحام أبواب الشر التى يتخيلون أنها قد لا يمكن أن تنفتح الا على خصومهم . ومعلوم أن هذه السياسة معتبرة اعتبارا تاما من خلال ما تجمع الدول جميعا عليه ، وهو مبدأ المعاملة بالمثل فيما يتعلق بأسرى الحرب .

اذا فمن المحتمل ان تجد الدولة نفسها ذات يوم من عمر الزمن — قل ذلك ام اكثر — أمام ضرورة استعمال هذا السلاح أو التلويح به أو اعتماده فى سياسة الحروب ردعا لمن قد يتصور انه وحده الذى يستطيع أن يهدد الآخرين بهذا السلاح ويستعلى عليهم بسلطانه .

وقد تكون احتمالات هذه الظروف قليلة ، وقد يكون تصور ذلك داخلا فى دائرة الحيطة المجردة ، والاسلام حريص على ذلك فى كل ما يشرعه ، ولكنه على كل احتمال قائم وامر ممكن التصور والوقوع ولا بد للشرائع العالمية التى يراد لها ان تعيش صالحة الى ابعد مدى ممكن من الزمن ، من تقدير هذا الاحتمال واقعا ووضع الحلول له سلفا .

فاما حل ذلك من وجهة نظر القوانين الوضعية ، فأمر ميسور لا يدعو الى اى تأمل او جهد اذ فى مبدأ حالة الطوارىء التى يعلنها الحاكم الأعلى عند مداهمة اى حالة استثنائية — ما يتسع لحل هذه المشكلة وكل ما يماثلها ، ان القانون العادل فى تلك الحال هو كل ما يرى ذلك الحاكم الفرد أنه المصلحة وانه الضمانة لتحقيق النظام والعدل . وقد يقدم (باسم هذه الظروف) شخص واحد على انواع من الاجرام والقتل وهتك الأعراض والحرمات بأبشع صورة واشنع مظهر — دون أن تجد قانونا داخليا أو دوليا او ميثاقا لهيئة امم أو مفكرا قانونيا حرا ، يتقدم لمعارضة ذلك التصرف الفردى أو نقده بالغا من الوحشية ما بلغ .. !

هذا هو الحل ، عن طريق النظم والقوانين الوضعية .

أما الحل الذى تقدمه الشريعة الاسلامية ، فهو انها — كما قلنا — تميز مثل هذه المسائل التى يختلف وجه المصلحة فيها بتأثير الطوارىء والظروف الاستثنائية عن سائر الأحكام الشرعية الثابتة وتشرع لها احكاما خاصة بها تسمى بأحكام الامامة أو السياسة الشرعية . ثم ان الشريعة تعطى الحاكم المسلم صلاحيات معينة في معالجتها ضمن شروط معروفة محددة ، وعلى اساس من ضوابط المصلحة الشرعية التى تراعى دائما كرامة الانســـان وحريته ومصالحه الدنيوية والأخروية . فهو مكلف فى مثل هذه الحـــالات الطارئة باتباع ما يراه المصلحة بحيث لو تحول عنها الى سبيل آخر كان آثما معرضا نفسه لعقوبة من الله صارمة .

وعلى هذا فما دام من الممــكن ان ياتى الزمن بحـــالة (ولو على وجه الندرة) يجد المسلمون فيها خصوما لهم يسترقون أسراهم عند الحروب ، وما دام من الممكن أن يجد المسلمون اذ ذاك أن لا سبيل تردع أولئك الخصوم على أساس من سياسة المعاملة بالمثل ، وما دام الاسلام دينا صـــالحا لكل زمان ومكان وحالة طارئة — اذا لا بد من أن يستجيب الاسلام لمقتضيات المصلحة فى هذه الحالة ، ويشرع أحكاما احتياطية لضمانها ، كما يستجيب لذلك سائر القوانين الوضعية عن طريق اعلان حالة الطوارىء وتحكيم رأى الفرد ..

ومن اعجب العجب ان تجد عاقلا يزعم ان له دراية بطبيعة الانظمة والقوانين ، ثم ينكر هذا الذى نقول ، او يجهل انه من ابسط مقومات المرونة والاستمرار لأى شرعة او قانون .

وأعجب من ذلك ، أن تجد عاقلا يسوغ كل ما يقدم عليه فرد من الناس من الوان الجرائم والجنايات المختلفة التى ينزلها ظلما وعدوانا بآلاف او ملايين البشر بحجة الطوارىء ثم لا يسوغ اقل من ذلك بكثير ضمن شروط وضوابط من المصلحة الخاصة والعامة تمليها الرقابة الالهية على الحـــاكم المسلم لنفس الطوارى وعين تلك الأسباب .. !

ودعنى أفرض لك هذه الحالة التالية ، ثم اسأل دعاة المثالية المصطنعة عن موقفهم تجاهها وعن مصير مثاليتهم أمامها :

افرض أن حربا قامت بيننا وبين دولة باغية شرسة وأتيح لها أن تضرب الأسر على طائفة من رعايانا ثم لم يطب لها الا أن تضرب الرق عليهم او على بعضهم (وهذا فرض لا ينبغى لأى قانون متكامل شامل أن يغفل عنـــه

فلا يضعه فى الحسبان) وكان لهم بالمقابل جماعات من الأسرى تحت ايدينا فما الذى سيفعله دعاة المثالية الزائفة اذ ذاك لو صح لهم ان يكونوا فى مركز السلطة والحكم واذا ما لاح لهم ان التلويح بالمعاملة بالمثل هو انجح وسيلة لشل حركة العدوان واخماد ضراوته فأين يضعون مثاليتهم من هذه الضرورة ومقتضياتها .. ؟

اننى على يقين بأن هجوم هؤلاء (المثاليين) على الاسلام يكون أقسى واشد فيما لو لم يحسب تشريعه العظيم لهذه الحالة اى حساب ، ولم يعط الحاكم اى مفتاح لمعالجة مثل هذه المشكلة . واننى لأستطيع ان اتخيل الصورة التى كان لا بد لها ان ترتسم اذ ذاك .

لا بد أن يقول (المثاليون) فى تلك الحالة ، وقد ارغت وازبدت الكلمات بين اشداقهم : او قد فعلها الأوغاد .. ؟ سنسترق نحن ايضا الرقاب ونهتك الأعراض ونفعل ونترك ..

فاذا قال قائل منهم — صبرا أيها الزملاء ، ليس لكم ان تتجاوزوا حدود الحرية الانسانية بحال ، ان الاسلام لا يجيز الاسترقاق لأى سبب — انقض المثاليون عليه فى غضبة صاعقة ما مثلها .. وراحوا ينثرون كلمات السخط على الاسلام بدون حساب ، واخذوا يتهمونه بعدم الصــــلاحية .. واخذ المفكرون والنقاد منهم يتخذون هذه الواقعة والحالة بعينها دليلاً علميا على عدم صلاحية الحكم الاسلامى لكل عصر ، وعدم قدرته على استيعاب حاجات الناس والاستجابة لمصالحهم اثناء الطوارىء .

ادخل اى صيدلية من صيدليات العالم تجد بين الزجاجات والعقــاقير المنثورة على الجدران جاما صغيرا قد صبغ باللون الأحمــر ونقشت فوقه كلمة (سموم) ومهما طفت فى الدنيا فلن تجد عاقلا يمسك بتلابيب الصيدلى يتهمه بالخيانة والاجرام لأنه قد هيأ للمرضى سموما قاتلة بدلاً من الأدوية الشافية .

ذلك لأن اى عاقل يعلم بأن المريض يؤدى به الأمر فى بعض الأحــوال الى ضرورة استعمال نوع من السموم على أساس من استشارة الطبيب بمقادير معينة وضمن ظروف محدودة .

ومهما كانت هذه الحالة نادرة ، فان الصيدلية لا تكون شاملة وافية مستجيبة لمختلف الظروف والاحوال الا اذا كان لهذه السموم ركن خاص متميز فيها .. ونقش عليه باللون الاحمر (سموم) .

صور من

للاستاذ احسان صدقي العمد

تضم كتب التراث الاسلامى بين ثناياها العديد من المواقف المشرفة التى وقفتها الآلاف المؤلفة من ابناء الأمة الاسلامية ، دفاعا عن حق هذه الأمة فى الوجود الكريم . ولم تتردد هذه الفئة لحظة واحدة فى تقديم ارواحها رخيصة فى سبيل الله ودحر اعداء الاسلام .

المجاهدون المجهولون :

وبالرغم من أن معظم هؤلاء الابطال ظلوا على طول التاريخ الاسلامى مجاهدين مجهولين ، أسهموا بالنصيب الأوفى فى النصر والذود عن حياض المسلمين ، الا أن بعض المصادر تذكر نفرا منهم على سبيل المثال لا الحصر ، لتقديم امثلة رائدة فى ميدان التضحية والجهاد والاستبسال التى اشتهر بها التاريخ الحقيقى لجماهير الجماعة الاسلامية .

وينفرد ابن اعثم الكوفى فى كتابه « الفتوح » بذكر نماذج عديدة من جهاد المتطوعين من المسلمين ، وضروب الشجاعة الخارقة التى ظهرت منهم فى ميادين القتال . ومن بين هؤلاء عشر فتية من أهل المدينة المنورة عرفوا باسم التوابين .

الفتية التوابون :

وتبدأ قصة هؤلاء الفتية عندما جهز الروم جيشا كبيرا لغزو المسلمين وأخذ الشام من ايديهم ، وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان الذى قرر التصدى لجيش الروم . وقد بعث من أجل ذلك باربعة كتب احدها الى ابان ابن عثمان بن عفان عامله على الحجاز ليوجه اليه برؤساء اهل الحجاز ، والآخر الى علقمة بن مرداس الخولانى عامله على اليمن ليوجه اليه بفرسان أهل اليمن ، والكتاب الثالث الى اخيه عبد العزيز بن مروان عامله على مصر ليشخص اليه بنفسه فى اجناد مصر ، والرابع الى الحجاج بن يوسف الثقفى ــ عامله على العراق ليوجه اليه باجناد العراق . كما استدعى اخاه محمد بن مروان وابنه مسلمة بن عبد الملك من أرمينية وأذربيجان بمن معهما من الاجناد . فلما اجتمعت اليه الجيوش أمر عليها ابنه مسلمة وأمره بالتوجه لغزو الروم . فسار جيش

البطولات الاسلامية

مسلمة حتى وصل الى مــرج دابق شمال مدينة حلب ، فمكث هنــاك فترة استجمع الجيش فيها قــواه وزادت قوته بمن انضم اليــه من الذيــن خرجــوا اليه يتلاحقــون به من كل موضع راغبين فى الجهاد .

ومن بين هؤلاء عشر فتية قدموا مــن المدينة المنورة ، وهم : سليمان بــن عمرو القرشى ، واخوه يحيى بن عمرو وهارون بن الحصين التميمى واخوه احمد بن الحصين ، ومحمد بن زرعة العبدى ، واحمد بن محمد اليشكرى ، وبشر بن مطر الأزدى ، وسعيد بن اسماعيل الطائى الأسدى ، وعبد الله ابن عمرو الطائى ، ويعقوب بن عبد الله الانصارى .

وكان هؤلاء الفتية مقيمين فى المدينة على اللهو والغناء والعبث ، الــى ان وقع اليهم الخبر بأن عبد الملك بن مروان قد وجه جيشا الى بلاد الروم ، بعث يطلب القوة والمدد ، فندموا على ما كان منهم ، ودعوا أنفسهم الــى التوبة والانابة ، وجهزوا أنفسهــم للجهاد ولحقوا بجيش مســلمة بن عبد الملك فى مرح دابق ، ثم ســاروا فى مقدمة الجيش الى بلاد الــروم

جهــاد واستشهاد :

ويسجل ابن اعثم فى صفحــات مشرقة من كتابه صورا رائعــة من جهاد الفتية العشرة واستبسالهم فى قتال الروم ، وانزال الخسائر الفادحة بهم ، حتى كتبت لهم الشــهادة ، واستشهدوا فى ميادين الجهاد عــن آخرهم .

ومن المؤسف ان تسقط من كتاب « الفتوح » لابن اعثم قصص استشهاد اربعة من هؤلاء الفتية . ومع ذلك ، فان الصورة المشرفة التى استشهــد بها الباقون تجعلنا نرجــح أنهــم استشهدوا فى ظروف مماثلة .

فاما احمد بن الحصين ، فقد حمل على علج من الروم ، فضربه علــى فخذه فقطعها وسقط العلج ميتــا .
واذا بعلج آخر يقال له بولص قد بدر الى احمد فتوجه نحوه وهو يقول : —

دونــك حــربا لا تقيــه ترسى
صبرا على المكــروه فى نفسى
كيما أنــال منزلا فى القــدس
فانمــا الدنيــا كيــوم أمس

وتبادل الفارســان الطعنــات ، فاصيب المجاهد احمد بن الحصين فى خاصرته واستشهد .

فخرج سعيد بن اسماعيل الأسدى نحو ذلك العلج وهو يرتجز : —

يا بولــص الروم اليــك نفسى
قد طــال فى ظل الخطايا حبسى
اليوم احمــى أخــوتى بالخمس
كيما يكــون بطن ســبع رمسى

فالتقيا بضربتين ، فأصابت ضربــة الأسدى الرومى مقتلا . وجاء بعده

علج آخر يدعى قسطنطين الاصغر ، فقصده الأسدي وهو يقول : —

يا أيها الداعي الى الجلاد
في حومة الأبطال والأنجاد
اتاك ليث سلس القياد
ذو صولة يكرهها الأعادي

ثم تطاعنا برمحيهما وتضاربا بسيفيهما ، والتحما معا في القتال حتى سقطا عن فرسيهما الى الأرض ، فشد العلج على الأسدى بخنجر كان معه ، فوجاه في نحره ، واستشهد رحمه الله .

فانبرى يعقوب بن عبد الكريم الانصارى وهو سادس الفتية الى الرومى يقول : —

لتذهبن اليوم نفسى اسفا
اذ كنت بعد خمسة مخلفا
قد نلت من لذة عيشى ما صفا
حسبى الذى عاينت حسبى وكفا

فحمل الانصارى على قسطنطين فقتله . ثم وقف في ميدان القتال ، ودعا الى المبارزة ، فلم يخرج اليه أحد من الروم . فأخذ مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين يتعجبون من اقدام هؤلاء الفتية على الموت ، وصبرهم على الحرب وكل واحد منهم يتلو صاحبه .

تشوق الفتية الباقين للاستشهاد :

والتفت بشر بن مطر الأزدى الى اخوته الذين بقوا معه وهم : يعقوب ابن عبد الكريم الانصارى ، واحمد بن محمد اليشكرى ، ومحمد بن زرعة العبدى ، فقال : —

« يا اخوتى : انه قد قتل منا خمسة ، ومضوا لسبيلهم ، ونحن ها هنا اربعة ونرجو أن نلحق بهم عن قريب ان شاء الله ، ولكن هل ترون ما أرى ؟ فقالوا : وما ترى يرحمك الله ؟ ! فأجابهم قائلا : ويحكم ، انى رفعت رأسى الى السماء انظر الى هذه الغمامة التى اظلت هذا العسكر ، فرأيت عجبا عجيبا ، وذلك انى رأيت رجالا لم أر مثلهم ولا مثل صورتهم ساعة قط ، ومعهم خيام بيض لم أر على حسنها شيئا ، ونظرت الى نسوة يطلعن علينا من هذه الغمامة ويضحكن الى اخواننا هؤلاء الذين قتلوا ، فهذا ما رأيت » !! .

ويمضى ابن أعثم في سرد وقائع هذه الملحمة فيقول : فاقشعرت جلود القوم عند ذلك ، ووقفت شعورهم ، واشتاقوا الى ما شوقهم اليه صاحبهم بشر بن مطر الازدى . ثم غلبتهم أعينهم بالبكاء والترحم على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لبعض : انه يجب علينا الآن ان لا نقصر في جهاد هؤلاء القوم الكفار ، فعسى الله أن يجمعنا مع اخواننا في مستقر رحمته .

فكان أول من تقدم منهم الى الحرب يومئذ بشر بن مطر الأزدى صاحب الرؤية ، فجعل يرتجز ويقول : —

من كان في شك وفي تعامى
فقد رأيت الحور في الغمام
صبرا لهذا يا بنى الكرام
حتى تحلو ساحة السلام

ثم تقدم محمد بن زرعة العبدى قائلا : —

ان كان لا بد مصيرى للفنا
فما مقامى بعد خمس ها هنا
ان نلت ما ابغى فقد نلت المنى
جنات عدن ليس فيها من عنا

الفتية يقتحمون حصن العدو :

ثم حمل هؤلاء الفتية على مقدمة جيش الروم الذى كان يدافع عن حصن طوانه ، وجعل يعقوب بن عبدالكريم الانصارى يتقدم نحو باب الحصن ، ولحق به أخوته الثلاثة حتى صاروا الى الباب ، حيث جعلوا يقاتلون أشد القتال ، فتكاثرت عليهم جموع الروم ، فصاح مسلمة بالمسلمين ، فحملوا وانكشفت الروم

من بين أيديهم كشفة قبيحة .

فأخذ قوم من المسلمين يقاتلون العدو ، وقوم ينقبون سور الحصن نقبا واسعا ، فبادر يعقوب بن عبدالكريم الانصارى فدخل الحصن من ذلك النقب ، وجعل يقاتل الروم فى الداخل وحده حتى قطعت احدى قدميه فوثب قائما يقاتل العدو على قدم واحدة وهو يقول : ــ

اضرب بالسيف على فرد قدم
والحر لا يجزع من وقع الالم
والموت بعد الالف اشفى للقدم
مع الذى ارجوه من بارى النعم
ارجو جنانا حققت كل النعم
مع فتية كانوا لعمرى كالبهم
فى مجمع الحرب اذا الحرب اضطرم
خوفا من الله العزيز ذى النقم

فلم يزل الانصارى يقاتل الروم وحده ويدفعهم عن ذلك النقب حتى دخل اليه أخوته الثلاثة ، فأعانوه ودفعوا الروم عن النقب ، ثم أنهم كبروا وصاحوا باصحاب مسلمة ، فدخل الناس من ذلك النقب ، وفتحوا باب الحصن ، والانصارى ينزف الدم من رجله حتى أسلم الروح واستشهد معه أيضا أخوته الثلاثة الباقون

ملحمة بطولية اخرى :

وتذكرنا هذه الملحمة البطولية بصور مماثلة رائعة من الشجاعة النادرة التى تجلت فى كل لقاء تم بين المسلمين واعدائهم ، كما حصل فى حروب الردة والفتوح .

وقد أورد الطبرى فى تاريخه العديد من هذه الصور ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، الملحمة الفدائية التى قام بها رجل واحد من المسلمين فى حروب الردة ، هو البراء بن مالك الذى اقتحم على مسيلمة الكذاب حصنه المعروف باسم « حديقة الموت » ، ومكن المسلمين من اجتياحه . ويروى الطبرى ان المسلمين حاصروا حديقه الموت التى تحصن بها المرتدون ، فصرخ البراء بن مالك وقال :

« يا معشر المسلمين ، احملونى على الجدار حتى تطرحونى عليه ، ففعلوا حتى اذا وضعوه على الجدار نظر وارعد . فنادى : انزلونى . ثم قال : احملونى ففعل ذلك مرارا ثم قال : اف لهذا خشعا ! ثم قال : احملونى ، فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم ، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من الخارج ، فدخلوا ، فاغلق الباب عليهم ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يروا مثله ، وأبيد من فى الحديقة منهم . وقد قتل الله مسيلمة » .

وان المرء ليأخذه العجب كل مأخذ من هذه الروح القتالية العالية التى تمثلت فى البراء بن مالك ، ومن اغلاقه باب الحصن بعد اقتحام المسلمين له حتى تحسم المعركة داخل الحصن ، ويستأصل المسلمون شأفة المرتدين قبل فرارهم .

وليست هذه سوى نماذج حية من صور البطولة الخارقة التى يذخر بها تراثنا الاسلامى الخالد ، والتى تجسد روح الفداء والاستشهاد التى أبداها المجاهدون المسلمون ، ويبدونها فى كل لقاء يتجدد مع اعدائهم فى كل مكان وزمان . وقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى عندما رأينا هذه البطولة تنبعث من جديد خلال حرب رمضان المجيدة ، فى ملحمة عبور قناة السويس واجتياح الجولان وجبل الشيخ واقتحام حصون العدو ومعاقله داخل الارض المحتلة .

وفى ذلك دليل واى دليل على استمرار روح الجهاد والاستشهاد فى أمة العرب والاسلام ، التى لا ينقطع منها الخير والرجاء الى يوم القيامة .

الفتاوى

الزكـــاة

الســـــؤال :

هل يجوز لمن يخرج الزكاة ان يعطيها لمستحقها دون ان يخبره انها زكاة ؟

الجـــــواب :

لا بأس باعطاء الزكاة لمن لا يعلم أنها زكاة فلا يلزم عند إخراج الزكاة ان تقول للآخذ المستحق هذه زكاة لأن إخبار آخذها جرح لشعوره وقد يسبب له ألما نفسيا وليس من حسن الخلق أن تمنّ بما أعطيت وتؤذى من أردت الاحسان إليه بما هو حق مقرر له .

يقول الله تعالى فى سورة البقرة (**يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**) ويقول أيضا (**وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهـو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم**) فالأفضل الا يخبر المزكى آخذ الزكاة بانها زكاة الا اذا كان فى اظهار ذلك مصلحة كأن يقتدى به الناس فى التصدق إذا أمن ان ذلك لا يحرج شعور الفقير ولا يؤلمـه .

الميـــراث

الســـؤال :

مات رجل عن زوجة وأم واخوين احدهما مفقود لا يعرف ما اذا كان حيا أو ميتا فكيف توزع التركة ؟.

الجـــواب :

للزوجة الربع ولا يضرها وجود المفقود او موته . وللأم السدس مؤقتا وللأخ نصف الباقى ويوقف النصف الآخر من البـاقى فان وجد المفـقود حيا فان الباقى الموقوف يكون نصيبه وان ثبت موته يؤخـذ من الباقى ما يكمل الثلث للأم وما بقى بعد ذلك فهو للأخ .

السـؤال :

هل يباح اكل اللحوم المستوردة كالدجاج ولحوم البقر والغنم المحفوظة ؟ .

الجـواب :

اللحوم المستوردة ان كانت من بلاد أهل الكتاب فهى حلال يجوز اكلها عملا بالآية الكريمة فى سورة المائدة :

(اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لكم)

الا اذا كان الطعام محرما لعينه كالدم المسفوح ولحم الخنزير والميتة فلا يجوز أكله بالاجماع . وان كانت اللحوم المستوردة من بلاد شيوعية أو وثنية فلا يجوز تناولها بالاجماع لأنهم يكفرون بالأديان ولا يؤمنون بكتاب ولا يعترفون بالله وكتبه ورسله .

الوساطة فى الاسلام

السـؤال :

مامعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم (اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما يشاء) وما حكم الوساطة فى الاسلام ؟.

الجـواب :

هذا الحديث النبوى رواه الشيخان واللفظ للبخارى فى كتاب الأدب فعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال (اشفعوا تؤجروا ــ الحديث) والشفاعة الحسنة التى قصدها الرسول الكريم ونوه بشأنها القرآن الكريم حين قال فى سورة النساء (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) هى التوسط ابتغاء وجه الله تعالى فى جلب نفع للناس أو دفع ضر عنهم فى غير معصية الله تعالى ولا حد من حدوده ومن غير ابطال لحق الغير . ومن الشفاعة الحسنة الحث على الصدقات للفقراء وتفريج الكربات عن المكروبين وقضاء الحاجات لأصحابها ولا سيما العاجزين عن الوصول الى حقوقهم ، ومن الشفاعة الحسنة التوسط فى تخفيف الدين عن المدين أو ابرائه منه أو تأديته عنه من غير حق ولا اذى ولكن من الذنوب الكبيرة أن تكون الوساطة فى نظير رشوة أو عرض من أعراض الدنيا .

ومعلوم أن الرشوة حرمها الاسلام وشدد على كل من اشترك فيها حيث قال صلى الله عليه وسلم (لعنة الله على الراشى والمرتشى فى الحكم) .

وعن ثوبان قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الراش والمرتشى والرائش) والرائش هو الوسيط بين الراشى والمرتشى .

بريد الوعي الإسلامي

إعداد : عبد الحميد رياض

ارتيريا ارض الهجـــرة الاولى

نسمع هذه الأيام عن وقوع اشتباكات بين ارتيريا والحبشة ويطـــالب سكان ارتيريا بالاستقلال .

فما هى الظروف التى صاحبت هذه القضية ؟

على جادو ــ ام درمـــان السودان

من المعلوم أن ارتيريا تمتد مسافة ٦٠٠ ميل . ويسكنها عدد كبير من الجنس العربى المسلم الذين وفدوا عليها من الجزيرة العربية وهى القسم الغربى من الساحلى المطل على البحر الأحمر المقابل لشبه الجزيرة العربية .

ولقد كانت وما زالت المنفذ الذى عبرت منه الأمم النازحة من البر الآسيوى الى البر الافريقى ولذلك فقد عاشت حضارة وحركة مستمرة وخلال هذه الفترة التى حدث فيها تجوال الجاليات المختلفة كانت المناطق الداخليـــة « أكســـــوم الحبشـــة الآن » تعيش عيشة بدائية بوثنية دينية وهمجية ضاربة فى التأخر ثــم اعتنقت المسيحية وتحولت هذه المنطقة من هذا التاريخ الى دولة مسيحية متعصبة وبمؤازرة الرومان ضمت أرتيريا بالقوة . وعند ظهور الاسلام وقيام المســلمين بالهجرة الى الحبشة كانت ارتيريا هى أرض الهجرة التى استقبلت المســلمين الفارين من البطش المكى بهم ولكنهم قوبلوا من سكان الحبشة بالسخط والعداء ، وكان هذا بداية لعهد طويل من الحقد والكراهية وخصوصا بعد أن استقر الاسلام فى هذه المنطقة ، وظل الصراع يقوى ويشتد . فقتلوا العلماء ومثلوا بهم ومع هذا انتشر الاسلام وسطع نوره فى هذه المنطقة والمناطق المجاورة ، ولقـــد كان وللقوافل التجارية التى كانت تتخذ من أرتيريا مكانا لها دور بارز فى تبيان هديه .

ثم قامت فى ارتيريا دولة اسلامية بعد أن شدوا عددا كبيرا من القبائل الوثنية بوضوح العقيدة ونقاء الإيمان ومن هذا التاريخ تحولت المنطقة الى الصراع بشكل عنيف وسيطرت عليها روح القتال الشريرة ، ولم يكن كل هذا من قبل جيرانهم فى الحبشة ذابال عندما كان المسلمون قوة ، بدينهم يعتصمون وبكتابه يحكمون لكن عندما انصرفوا عن مصدر عزتهم الى شرائع لا تمت الى طبيعتهم بصلة كانوا غثاء كغثاء السيل لم تغن عنهم كثرة ولا عدة وتخطفتهم الامم ومزقتهم ونال ارتيريا ما نال باقى العالم الاسلامى ووقع كل جزء منه تحت استعمار فى حقيقته استعمار صليبى. وكانت الحرب العالمية الثانية وخرجت ايطاليا من الحبشة وارتيريا ودخلها الاستعمار الانجليزى الذى طبق سياسته المعهودة والتى نقاسى من ويلاتها فى فلسطين فقد ساعد الاحباش على بسط سلطانهم من جديد على ارتيريا وصاحب ذلك القتل والتشريد لمئات الآلاف من المسلمين وترويعهم فى أعز ما يملكون ، وسط هذه الامواج العاتية التى كادت أن تعصف بكل شىء فى ارتيريا عرضت القضية على هيئة الأمم التى أقرت بعد حوار طويل استقلال ارتيريا ذاتيا سنة ١٩٥٠ ونص القرار على أن يكون هناك اتحاد فيدرالى بين الحبشة وأرتيريا مع وجود حكومة فى أرتيريا . ودستور، وتشكلت هيئة تشريعية اثر هذا القرار ولكن الحبشة وعلى مسمع من الدنيا التى لم تحرك ساكنا قامت بضم ارتيريا ووضعوا أيديهم على المناطق التى تركها الانجليز وتوالت بعد ذلك الاحداث الدامية التى راح ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين فقط ثم صادرت الممتلكات الحكومية والفردية وانشأت محاكم لتذيق عن طريقها الشعب صنوف العذاب وحلت جميع الاحزاب الوطنية وكممت الأفواه وحطمت الاقلام المنادية بالحرية وحرمت تعليم اللغة العربية واغلقت المدارس الاسلامية ، ثم وثقت علاقاتها باسرائيل ثم قامت باسكان عدد كبير من المسيحيين فى المناطق الاسلامية ومع كل عمليات التصفية لكل الوان الحياة فى ارتيريا لم يرض الاحباش بذلك . ففى عام ١٩٦٢ احتل الجيش الحبشى ارتيريا وضمها نهائيا رغم قرار هيئة الامم السابق مخالفة بذلك ما تدعو اليه الحبشة من المطالبة بتحرير أفريقيا وطرد المستعمرين منها .

والشعب الارتيرى يطالب اليوم بالاستقلال وهذا حقه بلا ريب .

ان أرض الهجرة الاولى تعيش اليوم صراعا مع القوة المعتدية .

ان افريقيا المسلمة تعايشها قلة غير مسلمة متحكمة مستبدة تستمد قوتها من خارج حدودها .

ان المسلمين هم المسلمون فى كل الدنيا يسامون العذاب ويلقون العسف بكل الوانه ويتعرضون للابادة سواء فى ارتيريا أو فلسطين أو الفلبين أو الصومال ، والاسلام قوة لو عاه أهله ورجعوا الى كتابه وارتضوا حكمه لو فعلوا ذلك لاعادوا للدنيا هدوءها واستقرارها ولأمن الناس على أنفسهم وما يملكون وليتهم يعودون .

التدخين

في التاريخ والعلم والطب والدين

لقد اصبحت السجائر والتدخين من العادات الملازمة لحياة الانسان فى عصرنا الحديث .. وقد اصبح الناس فى وقتنا هذا فى حيرة شديدة بين نوعين من الاعلان كل منهما ضد الآخر ويناقضه تمام المناقضة ..

فشركات التبغ والصحافة والسينما تقدم له اعلانات مغرية عن السجائر تقول له : (إنها لذيذة ومنعشة ومهدئة للأعصاب) الى غير ذلك من الاعلانات التجارية المنمقة ..

وفى نفس الوقت يجد الانسان اعلانات من الهيئات الصحية والأطباء والمجلات العلمية تقول فيه : (إن التدخين عادة قاتلة وضارة بالصحة وتجلب السرطان) .

وقد أصبح المواطن العادى فى حيرة من أمره بين هؤلاء وهؤلاء ..

فما هى القصة الحقيقية للتدخين فى العالم .. ما هو رأى الأطباء ؟ وعلماء الاجتماع وعلماء النفس فيه ؟ وما هو رأى الدين ؟

لمحة تاريخية :

١ ــ كان أول من اكتشف الدخان (كريستوفر كولمبوس) مع اكتشاف أمريكا . فقد وجد الهنود الحمر يزرعونه ويدخنونه بكثرة .

٢ ــ وأول مرة عرفت أوروبا التدخين فى سنة ١٥٥٩ عندما استورد البحارة الفرنسى (نيكوت) الدخان الى فرنسا وقد سمى النيكوتين على اسمه .

٣ ــ وهكذا لم يعرف العرب الدخان سواء فى الجاهلية أم فى الاسلام ولكنه انتقل اليهم فى العصور المتأخرة وان كانت عادة التدخين لم تنتشر فى البلاد العربية والاسلامية الا مع دخول الاستعمار فى أوائل القرن العشرين .

٤ ــ وفى كثير من بلاد العالم وخصوصا فى الشرق الأقصى والصين كان التدخين مرتبطا بالمخدرات كالأفيون .

٥ ــ وفى بداية ظهور الدخان فى أوروبا لم يستعمله اول الأمر إلا الرقعاء والنساء الساقطات اذ كان المعتقد ان له علاقة بالجنس .

٦ ــ ثم انتشرت العادة الى الطبقات الراقية من الرجال أولا ثم تلاهم النساء فى الاقبال على التدخين ، وأخيرا ابتدأ الأطفال والاولاد المراهقون فى أوروبا وأمريكا بالتدخين علنا حتى أصبحت العادة وباء منتشرا .

٧ — وفى سنة ١٩٤٨ اكتشفت الجمعية الطبية لمكافحة السرطان فى أمريكا علاقة سرطان الرئة بالتدخين . ولكنها لم تستطع نشر تقريرها إلا فى سنة ١٩٥٢ بسبب تدخل شركات الدخان وتهديدها .
٨ — ومنذ هذا الوقت ابتدأ الصراع العلنى بين الهيئات الصحية فى العالم كله وعلى رأسها جمعيات مكافحة السرطان وبين شركات التبغ الغنية القوية النفوذ .

وتبلغ حاصلات تلك الشركات فى أمريكا وحدها (٥) آلاف مليون دولار فى السنة الواحدة وهى ميزانية تكفى لتغذية القارة الافريقية كلها ..
كما أن الحكومات تحصل على ضريبة مجزية من انتاج التبغ واستيراده وقد انضم الى شركات التبغ ومحصلى الضرائب المستفيد الثالث وهم أصحاب الصحف فى أمريكا اذ يبلغ دخلهم من اعلانات السجائر سنويا ٧٠ مليون دولار .

السيجارة ذات الفلتر والمحسنة :

ومنذ نشر هذه التقارير الطبية نشطت شركات الدخان لمواجهة الحملة .. فأدخلت فى سنة ١٩٥٣ السيجارة الكبيرة ذات الفلتر ، كما توصلت الى معالجة بعض أنواع التبغ كيميائيا للاقلال من النيكوتين بحيث أصبح نصف الكمية العادية . وهنا عكفت معامل البحث الطبى على دراسة هذه التغييرات وفوائدها ثم خرجت بالتقرير التالى :

١ — ان مادة النيكوتين فى السيجارة هى التى تسبب المتعة و (الكيف) لدى المدخن .. وان السيجارة تفقد طعمها عند الاقلال من النيكوتين بالفلتر أو بالتفاعل الكيميائى وهذا بدوره يضطر المدخن الى الاكثار من السجائر حتى يأخذ نفس الكمية من النيكوتين .
٢ — ان شركات التدخين لكى تحتفظ بالنكهة والطعم اضطرت الى التعويض باستعمال التبغ الخشن والاقوى مما زاد كمية النيكوتين .
٣ — ان المصفاة أو الفلتر تستطيع تنقية أو حجز ذرات القطران والدخان الكبيرة فقط ، أما الصغيرة وهى الاكثر ضررا فانها تنفذ الى الرئة عن طريق الفلتر ..

وهكذا خرجت التقارير الطبية تكذب جميع ادعاءات شركات الدخان بأن التحسينات التى ادخلوها قد قللت اضرار السجائر .

المواد الضارة فى الدخان :

اثبتت معامل التحليل الطبى ان دخان السجائر يشتمل على اثنتى عشرة مادة ضارة بالصحة فمنها :
١) « أول اكسيد الكربون » : وهو غاز سام عديم الرائحة واللون
٢) «ثانى أوكسيد الكربون » .
وهذان الغازان يحرمان الرئة والدم من كمية الاوكسجين اللازمة ..
وقد اثبت العالم الامريكى (داوين ماك فام لاند) الاستاذ بجامعة واشنطن ان التدخين يقلل الاوكسجين الواصل الى المخ بنسبة ١٥٪ وان هذا يجعل المدخن ابطأ تفكيرا من غيره ..

٣) غاز (كبريتيد الهيدروجين) .. بكمية قليلة ..
٤) النشادر ..
٥) السيانيد وهو مادة سامة ..
٦) حامض الكربوليك ..
٧) بعض الحوامض الطيارة مثل الخليك والنمليك والنيترويك وهذه كلها يضيفها اصحاب المعامل للاحتفاظ بالدخان رطبا ..
٨) (بتروبيرين) وهى مادة مسببة للسرطان ..
٩) القطران وهو مسبب سرطان الرئة ويعطى دخان السيجارة لونه الاسمر الداكن ..
١٠) الزرنيخ من المبيدات الحشرية التى يرش بها التبغ ..
١١) رماد ورق السيجارة ..
١٢) مادة (النيكوتين) التى تؤثر على الدورة الدموية ..
وهكذا نجد أن أخطر هذه المواد جميعا هو : النيكوتين لتأثيره على القلب والقطران المسبب للسرطان .

النيكوتين :

ويرجع خطر النيكوتين الى وجوده بكمية كبيرة فى التبغ . وقد وجد الباحثون ان كل عشرين سيجارة يحتوى دخانها الداخل الى الرئة على ٦٠ مجم من النيكوتين . ومن المعروف طبيا ان هذه الكمية (٦٠ مجم) من النيكوتين اذا حقنت فى العضل مرة واحدة تكفي لقتل الانسان ..
والنوع الآخر يدخن السيجارة داخل الرئة فيمتص ٩٠ ٪ من مادة النيكوتين ..

آثار النيكوتين الطبية :

١) تؤثر مادة النيكوتين على الاعصاب المحركة للعضلات فتضعف مفعولها مما يضعف الاشارة العصبية وهذا يضعف حركة عضلات الصدر والحجاب الحاجز وعضلات الاطراف ولذلك فان معظم المدخنين يصابون باللهثة من اى مجهود جسمانى .
٢) تكبر فتحة العين مما يسبب الزغللة فى النظر وهو المرض المسمى زغللة التوباكو ..
٣) تنقص افرازات اللعاب مما يسبب جفاف الحلق والتهاباته وتقلل افرازات المعدة مما يسبب نقص الشهية وسوء الهضم كما تقلل حركة المعدة والامعاء مما يصيب اكثر المدخنين بالامساك المزمن .
٤) والنيكوتين يسبب سرعة نبضات القلب وزيادة الضغط ويمكن التأكد من ذلك بقياس نبض شخص حديث العهد بالتدخين فسوف يزيد نبضه بعد اول سيجارة ٢٠ نبضة فى الدقيقة .
٥) ويسبب التدخين انقباض الاوعية الدموية فى الجسم كله :
أ ــ فانقباض أوعية الجلد ينقص الحرارة فى الوجه والاطراف .
ب ــ وانقباض أوعية المخ يسبب الصداع وبطء التفكير .

ج ــ وانقباض أوعية القلب يعرض للذبحة القلبية .

د ــ وانقباض أوعية الاطراف يسبب الرعشة وعدم الدقة فى اصابة الهدف واذا اشتدت الحالة ادى الى مرض (برجر) الذى تظهر فيه قــرح على القدم ثم (غرغرينا) .

التدخين وامراض القلب :

١ ــ يسبب التدخين : تسرعا فى نبضات القلــب ــ ٢ ــ ويزيد احتمــال الاضطراب فى النبض ــ ٣ ــ ويؤدى الى انقباض الشريان التاجى ممــا يعرض للذبحة القلبية ــ ٤ ــ وقد أثبت الدكتور « داوين ماك فارلاند » ان للتدخين علاقة بزيادة نسبة (الكولسترول) فى الدم وهى مادة تترسب فى أوعية القلب وتزيد ضيقها . . وقد وجد الباحثون ان الوفيات بالقلب فى سن ٤٥ هى ١٥ وفاة لكل الف شخص غير مدخن و ٢٥ وفاة لــكل الف شخص مدخن . ولذلك فان أول نصيحة يوجهها الطبيب الى المريض بالذبحة القلبية هى الامتناع كليا عن التدخين والكحول . .

التدخين والسرطان :

اثبتت البحوث العلمية على ١٥٠٠ حالة مصابة بسرطان الرئــة ان جميعهم (ماعدا ثمانية) من المدخنين .

كما أن سرطان الرئة يكثر بين الرجال ويقل بين النســاء .

وقد أجرى احد الاطباء تجربة طريفة : فأخذ بعض الخلايا الحية من رئة سليمة ووضعت تحت الميكروسكوب . ثم راح يراقب أهداب الخلايا وهى تتحرك فى نشاط . ثم أخذ ينفث دخان السجائر على بعض هــذه الخلايا فقلت حركة الاهداب وماتت الخلايا بعد عشرين دقيقة . فى حيــن ان مثيلتها التى لم تتعرض للدخان ظلت اهدابها تتحرك بنشاط لمدة ساعة كاملة . .

ولا يقتصر سرطان الدخان على الرئة وحدها ولكنه قد يصيب الشفة واللسان والحنجرة والبلعوم .

ضرر التدخين بالمراة :

١ ــ يسبب التدخين فى البنات اضطرابات العادة الشهرية بحيث تتقدم او تتأخر عن موعدها وسبب ذلك تأثيره على الغدة الدرقية .

٢ ــ واثناء الحمل تصل كل منتجات الدخان من دم الأم الى دم الطفل ممــا يسبب له سرعة النبض واضطرابه .

٣ ــ واثناء الرضاعة تصل هذه المواد مع حليب الأم الى الطفل .

٥ ــ وقد اثبت البحث احتمال حدوث عاهات وتشوه فى الأجنة من التدخين

٤ ــ ويحدث التدخين ضعفا فى عضلات الأم مما يسبب عسر الولادة . والاكثار من الأدوية .

هل تريد برهانا اكثر من ذلك :

اذا أردت التأكد بنفسك من اضرار التدخين فهذه بعض التجارب العلمية التى تستطيع أن تجربها على نفسك .
١ ــ استنشق دخان سيجارة ودعه يدخل الرئة ثم اخرجه تجده يخرج رائقا غير ملون لأن القطران الذى يعطى الدخان لونه الأسمر يترسب فى الرئة ، والآن اعد التجربة مع حفظ الدخان فى الفم فقط ثم اخرجه ثانية تجده اسمر داكنا لأن القطران يخرج كما هو ..) .
٢ ــ التجربة الثانية ــ احضر حلقه متصلة بجرس كهربائى وفى الطرف الآخر سلك بحيث اذا لامس السلك الحلقة دق الجرس .. وابدأ التجربة بعد أن تدخن سيجارة واحدة وستجد ان عدد اخطائك قد تضاعف مما يؤكد أن التدخين يسبب رعشة فى اليد ويقلل القدرة على التحكم فى الأطراف .
٣ ــ اذا زرت متحفا طبيا ودققت النظر فى رئة رجل لا يدخن واخرى لرجل مدمن التدخين لوجدت أن رئة المدخن سوداء من الداخل وكأنها مدخنة للفحم فى حين ان الرئة الطبيعية السليمة تكون وردية اللون ..

هل للتدخين اضرار نفسية واخلاقية :

كثير من الناس يتصور ان التدخين يريح أعصابه وينسيه همومه ويساعده على التركيز الذهنى . ويرد علماء النفس على ذلك بأن الانسان عندما يشعل السيجارة ويراقب دخانها فى الهواء انما يتسلى بهذه العادة عن بعض مشاكله ومشاغله . فهو تأثير نفسى لا علاقة له بالتركيز الكيميائى للدخان ومن الممكن الاستعاضة عنه بأى عادة او هواية غير ضارة بالصحة مثل سماع الموسيقى او لعب الرياضة او لعب الشطرنج او حتى استعمال المسبحة .

والتدخين من العادات القوية جدا التى تصل فى اغلب الاحيان الى حد الادمان . وما لم يكن المدخن ذا ارادة صلبة وعزيمة قوية فانه يصعب عليه التوقف عن التدخين مهما اصابه من اضرار ..

وكثير من الناس يؤثر التدخين على اخلاقهم وتصرفاتهم ويغير مجرى حياتهم دون أن يشعروا بذلك ودون ان يعترفوا أو يقروا به . مثلهم فى ذلك كالسكران الذى يتمايل سكرا فى الهواء ثم يؤكد انه لم يشرب الا قليلا وانه مسيطر على نفسه ..

فالفتى المراهق عندما يبدا فى التدخين فى سن مبكرة يضطر ان يفعل ذلك خفية عن والديه ويضطر بالتالى الى الكذب اذا سئل فى ذلك وفى كثير من الأحيان يضطر الأولاد الى سرقة الدخان أو سرقة المال لشرائه .. فتفسد السجائر اخلاقهم بعد أن تفسد صحتهم ..

وتؤثر عادة التدخين على الكبار ايضا نفسيا واخلاقيا .. فكثير من الرجال يصبح قلقا عصبيا سريع الغضب اذا حرم من السجائر لاى سبب او اذا اضطر الى الامتناع عنها بسبب الصوم او بسبب أمر الطبيب .

ومن الناس من لا يستطيع التركيز لقراءة كتاب أو اى عمل ذهنى إلا والسيجارة فى يده ، ومنهم من لا يستطيع القيام من فراشه لعمل الصباح أو الذهاب الى النوم الا بعد تدخين سيجارة .

وقد برزت اخطار عادة التدخين ومدى سيطرتها على حياة الناس فى ظروف الحرب العالمية الاولى والثانية ، فعندما كانت السجائر تشح او توزع بالبطاقات كان المدخنون يصابون بحالات عصبية وكانت معنوياتهم بالتالى اقل من غيرهم واذا سمح لهم بالتجول بعد الغارات الجوية الطويلة فانهم يتهافتون او لأمرهم على محلات بيع السجائر ولا يهمهم بعد ذلك ان يحصلوا على طعامهم !!..

وقد قام احد علماء الاجتماع ببحث طريف فى معتقلات الاسرى فى الحرب وفى السجون فوجد ان بعض الضباط الاسرى كانت لا تكفيهم كمية السجائر التى توزع عليهم يوميا وكان بعضهم لا يتورع عن القيام بأى خدمات لزملائه الذين لا يدخنون لكي يحصل على نصيبهم ولو اضطر الى مسح احذيتهم او غسيل ملابسهم !!

ويروى طبيب أمريكى أن شخصا اصيب بمرض (برجر) وهو حالة تصيب القدم بقرح كبيرة قد تؤدى الى (الغرغرينا) ويرجع سببه الرئيسى الى تأثير مادة النيكوتين فى الدم . اخذ الطبيب يشرح لمريضه ان علاجه الوحيد يتوقف على اقلاعه عن التدخين . وذات يوم دخل الطبيب حجرة المريض فجأة فوجده يدخن فقا له غاضبا : (اما ان تقلع عن التدخين واما ان نضطر الى قطع رجلك فاختر بينهما) فأخذ المريض يفكر ثم قال : (اتقطعها فوق الركبة أو تحت الركبة) ؟؟ !!

ومن الطرائف التى تروى أيضا أن استاذا فى كلية الطب وقف يحاضر طلبته عن اضرار التدخين .. وعقب خروجه من المحاضرة اشعل سيجارة. فقال له أحد الطلبة : هل الامتناع عن التدخين صعب الى هذا الحد . فقال الاستاذ : كلا يا بنى .. انه أمر سهل جدا . والدليل على ذلك اننى قد امتنعت عنه أكثر من ألف مرة) .

التدخين فى الدين :

لم يكن التدخين معروفا على عهد الرسول . ولم يأت ذكره فى اى دين من الأديان . كما انه لم يأت ذكره فى القرآن أو أحاديث الرسول .. ولكن هناك قواعد عامة معروفة ومحددة .

القاعدة الاولى :

هى قول الرسول (الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفالكم) رواه الترمذى وابن ماجة . وقوله (ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسالوا عنها) ــ رواه أحمد وغيره ــ .

من هذه القاعدة نجد أن كلمة الحرام والحلال هى من حق الله وحده وهى كلمة خطيرة لا يمكن اطلاقها على اى شىء لمجرد الاجتهاد ، ومن الخطأ وضع السجائر فى باب الحرام او الحلال .

القاعدة الثانية :

ان الاشياء التى قد تضر بالصحة ولكنها ليست مغيبة للوعى أو مسكرة ولم يأت تحريمها فى الكتاب أو فى السنة تعتبر مكروهة فى الدين .. وقد كان فقهاء الاسلام اذا سئلوا فى أمر كهذا قالوا : (هذا مكروه أو هذا لا بأس به . أما أن نقول هذا حلال وهذا حرام فما اعظم هذا) .

وعلى ذلك فان التدخين مكروه شرعا لثلاثة أسباب :

- لضرره بالصحة .
- لاتلافه المال دون فائدة .
- لانه يربى الادمان مما قد يعيق عن الصوم والعبادات .

كيف تمتنع عن التدخين :

ــ ان الوسيلة الاولى لإبطال اى عادة سيئة هى المعرفة .. اى دراسة مدى اضرارها وخطرها على الصحة والاقتناع بعواقب الاستمرار فيها .. ومن الأشياء التى تزيد اقتناعك ان تزور احد المتاحف الطبية لترى اللون الفحمى الاسود لرئة المدخنين وترى بنفسك بعض أنواع سرطان الرئة والحلق واللسان .

ــ وبعد المعرفة فى التأثير تأتى العزيمة والارادة ..

ويرى علماء النفس ان مما يقوى عزيمة الانسان وارادته أن يعلن الى جميع اصدقائه واهله عن موعد محدد لترك التدخين أو ان يقسم قسما أمام الله . ويفضل الاطباء طريقة ترك التدخين فجـأة بعكس من يرون الامتناع التدريجى . ونحن نرى ان خير فرصة لإبطال عادة التدخين هى شهر رمضان المبارك . ففى اثناء الصيام تقل مادة النيكوتين فى الدم الى حد ادنى ويسهل على الصائم أن يتخلص من عادة الادمان التى تسببها هذه المادة . ومن المعروف ان الاسبوع الاول يكون دائما اصعب فترة على المدخن فاذا اجتاز هذه المرحلة سهل عليه الاستمرار والصمود .

ــ وهناك عدد من الادوية والعقاقير التى تساعد على الاقلاع عن التدخين تباع فى الصيدليات . منها اقراص سكرية تعوض عن السيجارة ومنها مضمضة أو غسول قابض للفم ومنها أقراص (لوبيلين) ويباع تحت اسم (لوبيدان) ويؤخذ منه قرص ثلاث مرات فى اليوم بعد كل وجبة لمدة اسبوع . وهو يجعل الانسان يكره رائحة الدخان « ولا يستعمل إلا تحت اشراف طبى » .

ــ ولا ريب ان المدخن عندما ينتصر على نفسه ويحس بالراحة وزوال السعال الذى كان يلازمه وانفتاح شهيته للأكل واقباله على الرياضة والحركة بنشاط الى جانب زوال الصداع والبلغم فسوف يكون ذلك خير مشجع على الصمود والاستمرار .

الأسرة في المنهج الرباني

للشيخ سعد المرصفى

يوصيكم الله فى أولادكم

تناقلت وكالات الأنباء خبر اعدام عدد من المسلمين فى الصومال بسبب معارضتهم لقانون ميراث جديد صدر فى البلاد يساوى المرأة بالرجل .

مع أن حكم الله **(للذكر مثل حظ الانثيين)** .

ومع أن الشأن فى المؤمن اذا قضى الله ورسوله امرا يلتزمه ولا يحيد عنه **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) . (٣٦ : الأحزاب)** .

ولقد نزلت آية المواريث بيانا لتقسيم المال وتوزيع الأنصباء بين الورثة . يروى الجماعة عن جابر بن عبد الله قال : عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى بنى سلمة ماشيين . فوجدنى النبى صلى الله عليه وسلم . لا أعقل شيئا . فدعا بماء فتوضأ منه . ثم رش علىّ فأفقت . فقلت : ما تأمرنى أن أصنع فى مالى يارسول الله ؟ فنزلت **(يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) . (١١ : النساء)** .

قال ابن كثير :

وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى **(يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين)** أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها . حيث أوصى الوالدين بأولادهم . فعلم أنه أرحم بهم منهم كما جاء فى الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبى فرق بينها وبين ولدها . فجعلت تدور على ولدها . فلما وجدته من السبى أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « اترون هذه طارحة ولدها فى النار وهى تقدر على ذلك » ؟ قالوا : لا يارسول الله قال « فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها » .

هذا هو حكم الله الرحمن الرحيم . نزل ليحكم بين الناس بالمنهج الربانى . **وليبين تقسيم** التركة كما أراد الله للمجتمع الاسلامى . وليزيل الظلم والزيف . ويمنع العدوان والحيف . حيث كانت المراة محرومة تماما من الميراث فى المجتمع الجاهلى . فأعطاها الله حقها فى الميراث . وجعله أساسا يقاس عليه نصيب الرجل (**للذكر مثل حظ الأنثيين**) .

وإن نظرة سريعة الى أول الآية تعطينا تقدير الحكم . وأن الله قد أوصى به وأن التعبير يفيد الأمر والمطالبة بالتنفيذ (**يوصيكم الله فى أولادكم**) فالله هو الذى قد حكم . والمؤمن يتلقى حكمه ويلتزمه . فى الوقت الذى يدرك فيه العاقل أن حكم الله قد جاء بالتوازن والعدل بين الذكر والأنثى فى التكوين الأسرى . وفى النظام الاسلامى الذى يكلف الرجل اعالة المراة وأبنائها منه . بقدرما يبدو التناسب والتناسق بين الغنم والغرم (**اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا**) (٦ ، ٧ : الطلاق) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**دينار انفقته فى سبيل الله ، ودينار انفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذى انفقته على اهلك**) . (رواه احمد وسلم) .

ويجىء ختام الآية (**فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما**) مقررا ومؤكدا أن الله قد أوصى وقد فرض . ليشعر القلوب بحقيقة وضرورة الالتزام . وضرورة الامتثال فى الوقت الذى يشعر بالمصلحة المبنية على العلم والحكمة .

ويجىء التعقيب فى الآية الثانية (**وصية من الله والله عليم حليم**) لزيادة التقرير .. ويجىء مفتتح الآية الثالثة : (**تلك حدود الله ..**) التى شرعها لتكون هى الحكم فى التوزيع والتقسيم .

والتى يترتب على طاعة الله ورسوله فيها السعادة فى الدنيا ، والرضوان فى الآخرة ، كما يترتب على تعديها الشقاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (**تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين**) (١٣ ، ١٤ : النساء) .

ويجىء ختام السورة (**يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم**) .

تلك هى حدود الله ((**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**)) ١ : الطلاق (**ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون**) (٢٢٩ : البقرة) .

وماذا نقول والمسلمون يعذبون ؟ ولشدة بشاعة تلك المجزرة قد احتجت لجنة حقوق الانسان الدولية قائلة (أن انهاء حياة الانسان عمل لا يبرره أبدا كلام الحكومة الصومالية) الصومال البلد المسلم الذى يدين بالاسلام !!

كتاب الشهر

الفاروق القائد

عمر بن الخطاب

الكاتب : اللــواء محمود شيت خطاب
عرض : الأستاذ ســعيد زايــد

صدرت أخيرا فى القــاهرة الطبعــة الثالثة من كتــاب الفاروق القائد عمر بن الخطاب ، وصدورها أكبر دليل على اقبال النــاس على التزود من حياته الخصبة ومحاولة معرفة الكثير عن جوانب عظمته ، ذلك أن طبعته الاولى كانت ســـنة ١٩٦٥ فى بغداد ، فيكون قد تم طبعه ثلاث مرات خلال خمس سنوات ، وهذا أكبر دليل على أن حياة العظماء تظل متجددة خلال أيام التاريخ .

والكتاب يقع فى ٢٨٦ صفحة من القطع الكبير ، وهو مذيل بفهارس للاعلام والاماكن والملل والنحــل ، ويبدأ المؤلف بالآية الكريمة ٥٥ النور **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون »** .

ثم يهديه الى روح والده الــذى كانت محبة عمر تتغلغل فى أعمــاق نفسه والذى كان لا يفتأ أن يتحدث بها أمام ولده حتى زرع فى قلبه تلــك المحبة .

ان عهد عمر بن الخطــاب رضى الله عنه كان بدون منازع العهــد الذهبى للفتح الاسلامى ، ففى أيامه فتح العرب المسلمون بلادا شاسعة وثلوا عرش ملك كسرى ، وزعزعوا عرش قيصر ، وبذا فانه يعد أعظم

الخلفاء والملوك الفاتحين على الاطلاق فى تاريخ الاسلام .

لقد كان الفاروق يتمتع بسجايا قيادية فذة لا تظهر الا نادرا على مر السنين ، ولقد صدق فيه ما قاله عبد الله بن مسعود : « كان اسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة » .

فحكم الفاروق لم يزد عن عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام ، ومع ذلك فقد فتح العراق وفارس وأكثر مناطق أرمينية وأرض الشام ومصر وليبيا والنوبة ، وخاضت جيوش المسلمين فى عهده ثلاث معارك حاسمة من معارك الفتح الاسلامى هى : معركة القادسية ومعركة بابليون ومعركة نهاوند ، كل ذلك بفضل قيادته الفذة التى امتازت بميزتين واضحتين :

أولاهما : مقدرته العظيمة على اختيار القادة العامين والقادة المرؤوسين .

وثانيهما : طبيعته الموهوبة والمكتسبة على القيادة العليا والقيادة التعبوية

فقد كان ابن الخطاب يرى انه يجب أن تتوفر فى القائد عدة صفات : **منها** (أن يكون القائد صحابيا) ، اذ أن الصحابى هو الذى يؤمر فى الفتح ، زد على ذلك أن للصحابى بصورة عامة تجارب طويلة مفيدة فى القتال ، فقد مارس القتال تحت لواء سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعرف منه أعلى وأسمى ضروب التضحية والفداء وانبل وأرفع آداب الحرب والسلام ، كل هذا بالاضافة الى بسالتهم فى خوض المعارك .

ومنها أن يكون صحابيا سابقا ، فالصحابى السابق مفضل على غيره ، اللهم الا اذا قصر به عمله فيفضل عليه من برز بأعماله .

ومنها أن لا يكون القائد متهورا ، بل يتحلى بالرزانة والكياسة ويعرف كيف ينتهز الفرص ويختار وقت الهجوم ووقت التراجع ، ويظهر هذا فى قول الفاروق لسليط « لولا عجلة فيك لوليتك ، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها الا المكيث » .

ومنها أن يكون القائد ذا شخصية قوية مسيطرة نافذة ، فان لم يكن كذلك ووجد ابن الخطاب من هو خيرا منه لم يتردد فى عزله وتعيين القوى بدلا منه .

ومنها أن يكون القائد شجاعا مجيدا للرماية . وقد كان الفاروق يؤمر أميرا من أهل العلم والفقه على جيش المسلمين ، ولا يؤمر أهل البادية على أهل المدن .

تلك هى مزايا القائد فى نظر عمر ، ماض ناصع مجيد فى الاسلام والجهاد فى سبيله ، وتجربة عملية فى الحروب ، وعدم تهور ، وتحين للفرص ، وادراك للوقت والمكان

المناسبين لنشوب القتال أو الكف عنه ، وقوة شخصية وشجاعة ومهارة فى الرماية ، وعلم وتفقه ، وهذه هى الصفات والمزايا التى يجب أن تتوفر فى قادة الحروب ، كما لاحظ علماء فن الحرب قديما وحديثا .

وقيادة الفاروق ، كانت أبرز سماتها الشورى ، فقد أقام رضى الله عنه نظام الشورى على أحسن وجه، فجمع عنده نخبة من الصحابة للمشاورة والاستفتاء ولم يعينهم عمالا فى أطراف الدولة ، كى ينتفع برأيهم، وكان يعتبر موسم الحج موسما للمحاسبة واستطلاع الآراء ، فكان يحاسب الولاة والعمال ويواجههم بأقوال الرقباء ، ويستمع لاصحاب المظالم والشكايات لانصافهم .

واذا كانت الشورى هى مبدأ أمير المؤمنين فى السلم ، فقد كانت مبداه فى الحرب أيضا ، فكم جمع حوله أصحاب الرسول وذوى الرأى وقادة الجيوش واستشارهم فيما هو قادم عليه من أمر وفيما اعتزمه من تخطيط ، وكثيرا ما رجع عن رأيه اذ رأى غيره أصوب ، يحكى أنه عندما حشد الفرس مائة وخمسين الفا من جندهم فى نهاوند بأمرة (الفيرزان) أخبر سعد بن أبى وقاص أمير المؤمنين عمر بهذا الحشد الفارسى فرأى — رضى الله عنه — أن يعالج الامر بنفسه ويسير الى هناك ، وكعادته استشار أصحاب الشورى وعلى رأسهم على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فنصحوه أن يبقى فى المدينة المنورة ويرسل قائدا يعتمد عليه ليقوم بمهمة تفريق شمل القوات الفارسية ولقد بلغ ايمان عمر بالشورى أنه كان يستشير العدو الذى لا يأمنه ، فقد سمع رأى (الهرمزان) فى أمر الحرب الفارسية واستشار الاحداث لأنه كان يرى فى عقولهم حدة ، لقد كان يقول رضى الله عنه .. الرأى الفرد كالخيط السحيل ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض » وهذه المشورة فى كل الامور جعلت قرارات أمير المؤمنين اقرب الى الكمال .

وككل قائد واع كان ابن الخطاب يحرص على جمع المعلومات ويتحرى الدقة من القادة والوافدين والأمراء ، وكان يحرص دائما على الاطلاع بالتفصيل على المعلومات التى تختص بالعدو وبالارض التى عليها ، وان كتابه الى سعد بن أبى وقاص قبيل معركة القادسية خير دليل على هذا ، فقد جاء فيه : « اكتب الى اين بلغك جمعهم ومن يلى مصادمتكم ، فانه قد منعنى من بعض ما أردت الكتابة به قلة علمى بما هجمتم عليه والذى استقر عليه أمر عدوكم ، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كانى انظر اليها ، واجعلنى من أمركم على الجلية » .

ويرد عليه ابن أبى وقاص ذاكرا التفاصيل الدقيقة عن طبيعة الارض، وعن جيوش العدو وقائدها ، فيكتب

اليه أمير المؤمنين قائلا : « جاءنى كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينغص الله لك عدوك ، واعلم أن لها ما بعدها فان منحك الله ادبارهم فلا تنزع حتى تقتحم عليهم المدائن ، فانه خرابها ان شاء الله » .

ويعلق المؤلف **اللواء الركن محمود شيت خطاب** على هذا بأن كل من يقرأ رسالة عمر ورسالة سعد من العسكريين المختصين لا يسعه الا أن يبدى اعجابه الشديد بالرسالتين ، فان اى قائد اعلى فى القرن العشرين ــ بعد ان اصبحت الدراسات العسكرية دراسات اكاديمية ــ لن يكون اكثر دقة من عمر فى رسالته هذه ، ولن يستطيع قائد عام من ضباط الركن اللامعين أن يكتب تفاصيل ادق وأوفى من رسالة سعد ابن أبى وقاص .

وقد كان حرص أمير المؤمنين على مصائر جيوشه يبلغ الذروة، فقد كان يخشى أن يسأله الله عن كل اهمال يؤدى الى ضياع الارواح ، وكانت نفسه الصافية وأخلاقه النبيلة وطباعه الخيرة نموذجا رفيعا فى الحرص على مصائر الناس ، فكان يحاسب عماله ويقتص منهم كلما رأى منهم تقصيرا فى مصالح الناس أو اعتداء على حقوقهم ، وكان يخلف الغزاة فى اهليهم فيرعى شئونهم ويقوم على أمرهم كله ، ويقدر المجاهدين حق قدرهم ، ويكبر المضحين منهم أعظم الاكبار ، حتى ليحكى أنه أمر باعطاء رجل أصابته ضربة فى وجهه فى احدى الغزوات أربعة آلاف درهم من مال الغنائم ، ولولا أن الرجل استحى من كثرة العطية وخرج لأعطاه كل ما بقى من دراهم نظير ما لحقه من أذى فى سبيل الله ، وبسبب الحرص الشديد على أرواح المسلمين لم يوافق الفاروق على الانسياح فى بلاد العجم الا فى الوقت المناسب وبعد التأكد من الضرورة الملحة للانسياح ، فقد كان رضى الله عنه يعيش فى قلق واضطراب نفسى شديدين حين يتوقع اصطدام جيوشه بالعدو وذلك من شدة حرصه على مصائر المسلمين .

وان الاصلاحات التى ادخلها مثل كتابة التاريخ الهجرى ، وانشاء بيت المال ، وتحريم المتعة ، والنهى عن بيع أمهات الاولاد ، واتخاذ الديوان ، ومسح السواد ، وتمصير الأمصار ، واشارته على الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بجمع القرآن ، كل هذا وغيره خير دليل على ما كان يتمتع به من فراسة وبعد نظر واستيحاء للغيب . ولقد كان اسلام عمر عزة للمسلمين فقد ظهر الاسلام ودعى اليه علانية ، واستطاع المسلمون أن يجلسوا حول البيت ويطوفوا به وينتصفوا ممن غلظ عليهم رادين عليه بعض ما يأتى به ، وكل هذا يرجع الى شجاعة الفاروق وقوة بأسه وصلابته فى الحق .

ولقد كان ابن الخطاب جنديا ممتازا من جميع النواحى ، كان بدنه قويا ، مفتول العضل ، قوى الشكيمة ، وكان فارسا ماهرا مدربا تدريبا ممتازا على حمل السلاح ، يكره البطنة حتى لا يصاب بالسمنة فيبعد عن فطرة الجندى السليم ، ويروى عنه انه رأى رجلا غليظ البطن فقال : ما هذا ؟ قيل (بركة من الله) . فقال : « بل عذاب .. ! » .

ولقد كان الفاروق من اكثر الصحابة تحملا للمسئولية الدينية ، فما أن اسلم حتى خرج المسلمون الى البيت ، كما سبق أن اشرنا ، وكان أسبق الناس الى تلبية دعوة ابى بكر الصديق رضى الله عنه الى الجهاد فى ساحات الشام ، ولقد ادرك رضى الله عنه مسئولية الحكم وتحملها كاملة ، فحاسب نفسه وعماله محاسبة عسيرة قبل أن يحاسبهم الناس ، وسهر على مصالح المسلمين ناسيا مصلحته الشخصية ومصالح أهله وذويه .

واذا كان ابن الخطاب رضى الله عنه قد تمرن على ساحات الوغى قبل اسلامه ، فان معلوماته فى هذا المجال قد صقلت وهذبت بعد دخوله الاسلام بالممارسة الفعلية وبالتوجيه النظرى والعلمى من سيد القادة عليه أفضل الصلاة والسلام ، فهو يعد من أوائل خريجى مدرسة الرسول القائد فى ممارسة فنون الحرب ، وقد شهد بدرا واحدا ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وخيبر ، والفتح ، وحنينا وغير ذلك من الغزوات ، وقد تولى من قبل النبى صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من المسلمين الى عجز هوزان ، فلما سمع هوزان بهذا هربوا ، وقد كان فى مسيره يكمن نهارا ويسير ليلا ، فقد كان يريد أن يباغت العدو ، والمباغتة من أهم مبادىء الحرب على الاطلاق ، وهذا يدل على أن عمر كان مؤهلا للقيادة ، ولولا ذلك لما ولاه النبى صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من سرايا المسلمين تتجه الى منطقة بالغة الخطورة والى قبيلة من أقوى القبائل العربية وأشدها شكيمة وهذه الكفاءة الحربية هى التى جعلت ابو بكر الصديق يجعله عضوا فى المجلس الاعلى للقيادة العامة فى عهده ويستشيره فى تسيير الجيوش الى الجهاد وفى اعداد الخطط السوقية « الاستراتيجية » .

ولما آلت الخلافة اليه واصبح القائد الأعلى لجيش المسلمين ، اظهر من العبقرية الحربية ما يدل على رسوخ قدمه فى فنون الحرب ، فلقد طبق مبدأين مهمين من مبادىء الحرب هما : مبدأ التحشد ، ومبدأ توخى الهدف طبق الأول حين حشد اكبر عدد من القوات فى ربوع العراق ، وطبق الثانى حين أصر على فتح العراق مهما كلفه ذلك من مصاعب ومهما كانت الظروف والأحوال ، والى جانب هذا فقد طبق الفاروق القائد مبدأ الأمن ، ومبدأ المرونة فى وصيته لسعد بن أبى وقاص بالقتال على حدود بلاد العرب ، اما ماجاء بتلك الوصية خاصا بتقوى الله

وطاعته ، والابتعاد عن المعاصي فيعتبر أسمى غاية لتطبيق مبدأ ادامة المعنويات .

ولقد أوصى عمر سعدا بالحذر واليقظة والترفق في المسير واراحة الجند في يوم الجمعة من كل اسبوع والمحافظة على أهل الذمة ، واتخاذ التدابير التعبوية للأمن ، والحصول على المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة ، والحذر من مباغتة العدو لجيش المسلمين ، والحزم ــ وهذا اكبر دليل على معرفته لتفاصيل ودقائق الأمور التعبئة الصغرى واهتمامه الشديد بتطبيق مبدأ الأمور الادارية ومبدأ الاقتصاد بالمجهود .

وقد كان رضي الله عنه يعرف رجاله فردا فردا ، فكان يضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، فلا يخطيء في اختيار الرجال لمعاونته في تحمل أعباء الحكم في الحرب وفي السلم .

ولقد برز الفاروق القائد في اعداد الخطط السوقية للحرب ، وهي الخطط التي يعدها عادة القائد الأعلى لادارة الحرب مثل خطط الناحية العسكرية واصدار الوصايا أو الأوامر وامداد الجيوش بالرجال والعتاد وتزويدها بالأمور الادارية ومراقبة ذلك والاهتمام برفع المعنويات واختيار القادة القادرين على تنفيذ تلك الوصايا أو الأوامر .

ولقد نجح عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الميدان أيما نجاح بعد أن اجتمعت له جميع صفات القائد الناجح ، فقد آمن بالشورى فقلت عنده فرص الخطأ والاهمال ، وحرص على جميع المعلومات من منابعها بشتى الطرق والأساليب مما جعله يعمل على هدى وبصيرة واتسم بالحرص الشديد على أرواح المسلمين فلم يزج بجيوشه في المهالك دون مسوغ ، وكان فطنا عالما بعيد النظر فأحكم خططه العسكرية مع ادخال أسوأ الاحتمالات في الحساب ، وكان شجاعا لا يتردد ولا يتراجع بعد أن يعد لكل أمر عدته ، وكان قوي البنية متين البناء مما اعانه على تحمل المشاق بصبر وجلد ، وكان مقدرا للمسئولية مدركا لعظمتها وضخامتها فتحملها غير هياب ولا وجل وفوق هذا وذلك كان ذا تجارب طويلة في الحرب جنديا وقائدا مرؤوسا ومستشارا لسيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام ولخليفته أبي بكر رضي الله عنه من بعده في الشئون الحربية .

وقائد هذه ميزاته ليس غريبا أن يكون عهده عهدا ذهبيا للفتوحات الاسلامية في مختلف الاقطار ، وليس غريبا أن تضحي ــ في ايامه ــ شبه الجزيرة العربية قاعدة الفتح الاسلامي ، فتنطلق منها جيوش المسلمين لفتح العراق وأرض الشام ومصر .

وبعد ، فقد أحسن اللواء محمود شيت خطاب اذ اخرج لقراء العربية كتابا كهذا في هذه الايام فما أحوجنا أن نتدبر في سير عظماء تاريخنا من أمثال ابن الخطاب فنقتدي مثاليته ونأخذ من حياته عبرة ومن موته ذكرى .

شرف الرجال

للأستاذ احمد العنانى

— ١ —

المكان خال على سعته الا من رجلين .

أما احدهما فهو يقلب النظر بحدة واهتمام فى أكوام من الاوراق والرقاع مكدسة أمامه فى اضابير ضخمة ينزع منها ورقة بعد ورقة ، ثم يرسل بصره فى وسط الورقة ويحدق فى نهايتها وما يلبث بعصبية ظاهرة أن يوقع عليها مضيفا كلمة أو كلمات مختصرة ، ثم ينزع ورقة أخرى قد يلقى بها جانبا من أول نظـــرة أو ينعم النظر فى أواخر ما فيها قبل التوقيع والتعليق ان لزم .

وأما الرجل الآخر فهو يجيل بصره فى الغرفة الواسعة .. احيانا ينظر فى نقش بديع الصنع على احدى الارائك ، وحينا يتلهى بملاحظة الاعمدة الضخمة التى ينهض عليها سقف الغرفة الواسعة وما يعلوها هى الأخرى من زخارف ونقوش . فاذا ضجر من ذلك كله نظر الى الرجل المهيب الذى عكف على الاوراق قراءة وتقليبا وتذييلا بكلمات وجيزة .

وحين تلتقى عيناه بعينى الوزير العاكف على القراءة على سبيل الصدفة تنفرج شفتا الوزير عن ابتسامة مشجعة ولكنها فاترة ومعنى يجول فى عينين كأنهما يقول له «أوشك ان اتوقف بعد قليل فانتظر وأتصبر فان فى حديثك مايؤنس ويســـــلى .. » .

— ٢ —

كان الوزير هو أبو غالب محمد بن خلف الذى عمل فى بغداد لبهاء الدولة ثم لابنه سلطان الدولة من بعده وكان رجلا فطنا اريبا جلدا لا يعرف التسويف فى عمل ، ولا يرحم نفسه بتأجيل أو تسل .. وكان مولعا بصداقة فقيه من الشافعية يدعى أبا حامد بن محمد الاسفراينى ، شغل عن حلاوة صحبته بعمل الوزارة التى استكرهه عليها البويهيون استكراها ، ونزعوه بسببها من بين أصدقائـــه وخلانه من طلبة العلم .. وكان أبو غالب دائم الحزن لما أصابه ، لكنه وقد رضى

العمل فقد راح يصرفه بكل أمانة العالم ونزاهته وتفانيه .. ومن هنا بعد عن ما كان يتمناه من اعفائه ذات يوم منه ، فقد كان البويهيون أشد ما يكونون حرصا واستمساكا بالموظف الجاد النزيه .

— ٣ —

وحيث افلتت من أبى غالب فرص البقاء بين رهط العلماء فقد اصطفى من بينهم أبا حامد الشافعى ، وكان رجلا يسرا سمحا ، ولم يكن فيه اثارة من فضول أو تطفل فهو يجالس الوزير وكأنه غائب عنه ، ويتمنى لو استطاع أن يلقى خليله القديم أبا غالب فى غير مكان عمله ولكن هيهات ، فان أبا غالب رجل حق ولا يكاد يفارق العمل أبدا ..

ويتململ أبو حامد كأنما يهم بالخروج فينظر اليه الوزير الصديق نظرات استرحام واستعطاف ، ويحمر وجه الفقيه ، ويندى جبينه لكنه يتصبر على مضض حتى إذا اعياه الصبر وحسب انه خارج لا محالة رضى الوزير أم غضب ترى الوزير ينهض باسما ليطيب خاطره ويؤكد له أن وقت الصبر لن يطول مشيرا الى أكداس الاضبارات التى تتضاءل حجما واهمية ويرضى الرجل السمح اليسر ولكنه فى قرارة نفسه يتمنى لو اتيح له أن ينهض ويخرج ويرفع رأسه ويتمتم بكلمات لعلها دعاء الى الله ان يفك عنه قيد الملالة ، ولا يمضى وقت طويل قبل ان ينقر الباب ويستأذن احد مساعدى الوزير ثم يمشى حتى يدرك أبا غالب حيث هو ما يزال جالسا يقرأ ، فيهمس فى أذنه بكلمات ؟ ما يلبث الوزير أن ينهض بعدها قائما على قدميه وهو يستفسر بلهفة .

« لعلكم لم تؤخروا الرجل أو تقصروا فى الحفاوة به ويجيب الرجل الآخر على الفور » معاذ الله ان نفعل ويضيف الوزير « لا بأس لا بأس أنا ذا خارج للترحيب به ثم يومىء هامسا لابى حامد وهو معجل » قد جاء يزورنا الشريف الرضى أبو الحسن .. ؟

قال الفقيه الشافعى معجلا هو الآخر باهتمام « لعلك تريد ان تنفرد به ؟ » .

قال الوزير (لا .. لا .. امكث مكانك فما يلبث الرجل ان يخرج وارتفع صوت الرجل خارج الباب مرحبا بابى الحسن أجمل ترحيب ومظهرا له غاية التوقير والتبجيل .. ثم يدخل أبو الحسن أولا ، وان فى وجهه لمهابة وان فى سمته لوقارا وكرامة ، ويسلم الفقية الشافعى على ضيف صديقه الوزير وماهى الا مجاملات لم تطل حتى يهمس الشريف بكلمات للوزير فيرد الاخير رد الموافق المتجاوب ثم يستأذن الشريف الرضى ويخرج والوزير من ورائه يشيعه بأحسن عبارات التوديع والتوقير ..

— ٤ —

وما تمضى غير لحظات ويعود كل شىء فى الحجرة الى سالف وضعه سوي كلمات يهمس بها الوزير قبل ان يستأنف العمل توكل على الله أبا حامد .. فقد أوشكت ان أبت فى كل الاوراق العاجلة ، وسافرغ لك كما تريد ..

يكاد ينتهى كل شى فلا تضجر ..

ويقول أبو حامد فى رجاء واستسلام هذا يكون اذا لم يزرك زائر يضطرك الى وقت أطول مما اضطرك اليه الشريف الرضى .

— كأنى بك استعجلت خروجه ؟ ان شأنه كذلك دائما تمنيت لو اتيح لنا ان نستمع لآخر قصائده ..

● هيهات .. هيهات .. اعشاش النسور أقرب منالا .

من قصائد الشريف الرضى ..

ثم يعود الوزير لاوراقه بحماسة بالغة فيما يقول الفقيه ضاحكا « ان شاء الله لا تنتهى من هذه الاوراق حتى يجيئك زائر يلهيك عن بقيتها .. أما والله لكأنما احس ان لى عندها ثارا .. ووددت لو عثرت فى طريقى اليك فما عدت الا محمولا الى أحد المشافى .. ولا أكون شهدت هذا المشهد المضجر .

ويبتسم الوزير الصديق .. لكن قلمه لا يكف عن التذييل والتعليق .

— ٥ —

وكانما استجيبت هذه الدعوة ايضا حين دخل المساعد على الوزير وعلى وجهه بعض اهتمام يتردد فى اظهاره ، وفى هذه المرة لم يهمس فى اذن ابى غالب وانما قال بصوت خفيض « الشريف أبو القاسم المرتضى يستأذن للدخول » .

ومن عجب ان ابا غالب لم يتعاظمه الأمر هذه المرة ولم يتزحزح من مكانه ولا قلمه توقف عن الحركة وهو يقول بفتور « أدخله » ..

ودخل الشريف المرتضى فنهض الفقيه يصافحه مهتما باشا ، فيما أوشك الوزير الا يتزحزح وهو يمد يده لشقيق الشريف الرضى أبى الحسن مرحبا بكلمات فاترة .. ويجلس المرتضى ويومىء له ابو غالب ان يتحدث فيما جاء له ويهز رأسه بينما عيناه تعودان الى الطروس والرقاع وقلمه يذيل فى اسفلها ويعلق واستمع الوزير الى حاجة المرتضى فأذن بها ، فشكره المرتضى شكر المتضرع اللهيف ثم استأذن وخرج .

واستبد العجب بالفقيه الشافعى فما كان المرتضى فى اعتباره بأقل من الرضى فى شىء تدركه الحواس ، أو ظاهر أمر لا يخفى على الناس وبغير تردد راح يتساءل .

« اصلح الله الوزير .. هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم وهو الامثل والافضل منهما وانما الرضى شاعر وقبل ان يحاول الوزير الكلام كان المساعد يستأذن لبعض الناس جاءوا لحاجات لهم وشغل الوزير عن سؤال صاحبه الفقيه او هكذا بدا على الاقل .. ولكنه حين خلا المجلس له ولصاحبه نهض من مكانه فأخذ بيده الى الحجرة التى تحفظ فيها أوراق الدولة ورقاعها ..

وحسب الفقيه ان صاحبه يوشك أن يعيته هناك بقدر ما أعاقه فى حجرته ، وتردد واحجم ولكن أبا غالب ساريه الى حافظ الاوراق وهتف به .

لعلك تذكر الرقعتين اللتين جىء بهما الينا أول أمس من الاخوين الرضى والمرتضى ؟

« انهما فى مكانهما يا مولاى .

« استخرجهما حالا واعطهما أبا حامد ليطلع عليهما ريثما أعود ، ومضى الوزير أبو غالب الى حجرة أخرى بينما راح أبو حامد يطالع الرقعتين والدهش باد على وجهه .

ياالله هذه الرقعة الاولى من الشريف الرضى إنه يطالب الوزير أن يرعى الله فى الفقراء فان بجانب الكرخ جماعة من فقراء المسلمين اقاموا لهم أكشاكا ونصبوا خياما على أرض لبعض سراة بغداد فجاء الشرطة يقوضونها ويطردون الناس منها ويعنفون بهم أشد العنف وحيث كانت للرضى قطعة من تلك الارض فهو يعيدها الى بيت المال ليقطعها لبعض أولئك الفقراء ويطالب بان تشترى الدولة بقية الارض وتهبها هؤلاء المساكين لكى يستقر بهم المقام حيث هم فى خيامهم واكشاكهم تلك كانت رقعة الرضى فماذا فى رقعة أخيه المرتضى ؟ إنه يرفق القول مستعطفا متوسلا أن يمنحه الوزير مثلما كان منح فلانا وفلانا وهو يقول ان به لرغبة بان يكون موضع العطف من الوزير اعزه الله ؟ فهو مهما قيل عنه وما يزعم عن غناه ما يزال كثير العيال تسعفه الزيادة ؟ وتؤمله فى خفض العيش فى ظل امير المؤمنين ؟ !

بدا التأثر شديدا على وجه الفقيه الشافعى وادرك أن شرف الرجال منسوج من عفة النفوس وعرف كما لم يعرف فى حياته كيف تحمى اليد العفيفة حقيقة العلم وتحول دون مهانته وأحس كأنما الغضاضة التى أصابت شرف المرتضى اصابته هو بالذات ، اليس كلاهما من أهل العلم وممن تجب عليهما المحافظة الدقيقة على كرامة الرسالة التى يبلغانها ؟

— ٦ —

وشعر الرجل برعدة تسرى فى أوصاله ، وتمنى لو انه ذلك اليوم بارح مجلس الوزير مع الشريف الرضى ولم ينتظر حتى وفد المرتضى .

وادرك الوزير الفطن ما يجول فى خاطر الفقيه الشافعى .. قال : يا أبا حامد ما كان ينبغى لى أن اثقل عليك ، واحبسك عندى كل هذه المدة .

ورفع أبو حامد رأسه بعد أن أطرق طويلا فاذا دموع تملأ صفحة وجهه وتبلل لحيتهفاستأنف الوزير كلامه « ما الذى يشجيك أبا حامد ؟ ووالله انك قد كنت الصديق الصدوق قبل أن ابتلى بمحنة الوزارة وبعد ذلك فما أذكر انك جئتنى فى حاجة لك ، ولا شفعت عندى الا شفاعة حسنة تقصد بها وجه الله تعالى ..

لكن أبا حامد ظل غارقا فى حديثه مع نفسه وسرعان ما استأذن خارجا .

وقيل إنه لم ير بعدها الا فى حلقة علم بمسجد أو بجواره أو فى بيته هو حتى توفاه الله .

بأقلام القراء

السنة الخلق أقــلام الحق

عرضت هذه المقالة على عقلى فرفضها .. كيف تكون السنة الخلق اقــلام الحق وفى هذه الألسنة العدو والصديق والحاقد والحاسد والصادق والكاذب والذاهل والغافل والناسي وناقل المفتريات ، ولذلك جعل الله القضاء فيصلا بين الحقيقة والخيال والجريمة والتهمة ، ولم يسلم أحد من القادح والمادح حتى رب العزة ، تعالى عما يقولون علوا كبيرا ، طالت عليه السنة خلقه فجحده فريق منهم ولم يعترف بالألوهية أصلا واعترف به آخرون ولكنهم زعموها شركة فى التكوين والتدبير والخلق واتهمه اليهود بالبخل كما جاء فى القرآن الكريم : « **وقــالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** » (المائدة ٦٤) . ولم يسلم رسول من هذه الالسنة : « **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** » . واتهم العرب محمدا صلى الله عليه وسلم بالسحر والكهانة والجنون والكذب على الله وقول الشعر حتى بعد ان انتقل الى الرفيق الأعلى وترك دار الفناء قام المبشرون والمستشرقون بهذه المهمة فافترى عليه كثير منهم التهم والاباطيل ومنها اتهامه بالشهوانية لانه اكثر من الزواج ونافح المخلصون المحامون عن الاسلام هذه الاقاويل والتهم فكانت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، وذكروا لهم الحقائق فقط ومنها ان الرسول صلى الله عليه وسلم قنع فى سن الخامسة والعشرين بزواج امرأة فى الأربعين وظل معها وحدها حتى ماتت فى الخامسة والستين من عمرها واوفى عمره على الخمسين حين اضطر الى الزواج بعد موتها .. ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد كتاب المرحوم عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام واباطيل خصومه .

وقذف المنافقون زوجته الاثيرة لديه المحظية عنده بنت الصاحب الأول والصديق المفضل ، بشر ماتقذف به امرأة ، وانزل الله براءتها من فوق سبع سموات ، وهى حادثة مشهورة فى جميع التفاسير لسورة النور وكتب الحديث .. وكتب السيرة عند عودة الرسول من غزوة بنى المصطلق الى المدينة ..

والتهم التى تجد رواجا وتصادف ذيوعا وتنتشر بين الناس انتشار النار فى الهشيم كثيرة والاحتجاج بهذه الجملة جعلنى اعنى نفسى بنسبتها عن أى شخص انتقلت الينا : هل هى حديث نبوى صادق أم جاءت الينا من متكلم آخر ثم تلقى على الناس فى كل مناسبة على انها حديث وكفانى الله ما اهمنى وغمنى من أمر هذه النسبة ، ووقع فى يدى كتاب تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على السنة الناس من الحديث تأليف عبد الرحمن الشيبانى المشهور بابن الديبع وهو عالم يمنى ولد عام ٨٦٦ هـ ١٤٦١ م وتوفى عام ٩٤٤ هـ ١٥٣٧ م وكتبه مذكورة فى دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٨١ المجلد الأول الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م وهو مختصر للمقاصد الحسنة فى كثير من الاحاديث المشهورة على الألسنة للسخاوى المتوفى ٩٠٢ م راجع ص ٤٩١ ، ٤٩٢ جـ ٢ كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون لملا كاتب جلبى المشهور بحاجى خليفة طبعة ١٣١٠ هـ .

وجدت ان هذه الجملة تكلم بها بعض الصوفية ص ٢٨ طبعة صبيح عام ١٣٥٣ هـ وليست من الحديث النبوى فى قليل ولا كثير ولا صحيح ولا ضعيف والبحث فى التمييز سهل لأن الاحاديث مرتبة على حروف المعجم ثم يذيلها بما يثبتها او ينفيها أو يضعفها ، وكثرة الكلام فى الاحاديث بغير علم ولا بينة لا من الذيـــن يذكرونها فى معرض الاستدلال ولا من الذين يعارضونها جعلنى أحاول البراءة من الكلام فى الموضوع بغير علم ولا بينة ، فلا بد من معرفة كل ما قاله الناس الانصار والخصوم القدماء والمحدثون فى الموضوع وادلى انا فى النهاية بدلوى مع الدلاء واطير مع الطيور والجو ملك لجميع الطيور لا يدعى هدهد أو عصفور أو غراب احتكار الفضاء وتحريم الطيران على بقية الطيور .

وانا اتعجب لهؤلاء الذين يستدلون بأحاديث كاذبة أو ضعيفة .. كيف يفعلون ذلك وأمامهم القرآن والاحاديث الصحيحة .. هل نفد هذا المعين حتى يلجأوا الى الآبار الآسنة والمياه الراكدة والانهار الملونة ..

ان من يفعل هذا كمن يستضىء فى رابعة النهار وضوء الشمس ساطـــع بنور شمعة عرضة للانطفاء بنفخة ريح أو هبة نسيم فـــلا يقبل ذلك منه أحـــد ، والغريب أن الاحاديث الضعيفة ربما يكون فى معناها المعروض على القارىء كثير من الاحاديث الصحيحة .. أو حتى آيات من القرآن الكريم .

وان الادلة لا تقدر بكثرتها ولكن تقدر بجودتها وقوتها وينطبق على الأدلة فى حرب الجدل ما ينطبق على الجيوش من قول الله عز وجل « **قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** » .

عبد الرحمن احمد شاوى

قالت صحف العالم

تصحيح المفاهيم وتقويم الموازين

من المسلم به أن واقع المسلمين اليوم مختلف كثيرا عما ينبغى أن يكون عليه ، واقع تسوده أوضاع هى على النقيض مما يدعو اليه الاسـلام .. والمفروض فى المسلم أن يكون ممتثلا لأوامر دينه .. وأن يكون واقعه دليلا على منهجه الاسلامى .. ولكن الحال يستدعى الاصلاح والتغيير . والعلاج الناجع هو ما يتناول أصل الداء .. ويقضى عليه ..

وحول هذا الموضوع نشرت مجلة (البعث) الاسلامى مقالا قيما .. عالج فيه الكاتب المفاهيم السائدة فى مجتمع اليوم وبين خطأها وارشد الى الصواب فقال ضاربا المثل بمفهوم الفوز والفلاح ..

مفهوم الفوز والفلاح عند عموم الناس لا يتجاوز الظفر بمتع الحيـاة وأعراض الدنيا وما يؤدى الى ذلك من وسائل وأسباب .. كالحصول علـى شهادة أو وظيفة ، أو منصب ، أو جاه ، أو سلطان ، أو ثناء أو مال .. وغير ذلك من أعراض الدنيا ومتاعها القليل .

وكان الفائز المفلح فى ميزان الناس من نال هذه الاشياء بقدر وافر كثير .

ولهذا المفهوم وما ترتب عليه من ميزان أثر خطير جدا فى واقع المسلمين ذلك أن المسلمين انطلقوا الى تحصيل هذه الأشياء وان أدى بهم الى التفريط بحقوق المسلمين وموالاة الأعداء وارتكاب الحرام ومخالفة أحكام الاسلام .

ومن الواضح أن المسلمين ، وهذا هو ميزانهم ، لم يقدموا شيئا يذكـر للاسلام ، لأن همهم صار مقصورا على ما عددنا من أغراض ، واذا ذكروا بحق الاسلام عليهم تهربوا من التذكير وربما تجرأ بعضهم فقال أن الاسلام لا يحقق لهم ما يريدون .

ان مفهوم الفوز والفلاح فى الاسلام غير هذا الذى يراه عموم النـاس ويتزاحمون عليه .. انه المفهوم الحق الذى يجب أن يسلم به كل مسلم يؤمن بالله واليوم الاخر .. انه النجاة من عذاب الله والظفر بالجنة حيث النعيم المقيم .. قال تعالى : **(كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار ، وادخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)** .

ويمضى الكاتب قائلا : واذا تبين أن الفلاح والفوز الحقيقى هو الفـلاح والفوز فى الاخرة ، وأن هذا الفوز جدير بحرص المسلم عليه ورفع بصره اليه وبذل جهده فى الوصول اليه ، فما سبيل هذا الوصول ، وما وسائل الظفر به ؟ ان الاسلام بين هذا السبيل وكشف عن هذه الوسائل قال تعالى :**(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)** .

إعداد : ف٠ م

الكويت :



● افتتح سمو أمير البلاد المعظم دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الرابع لمجلس الأمة الجديد ، وقد ألقى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الأميرى فى جلسة الافتتاح التى عقدت فى الحادى عشر من فبراير الماضى .

صدر المرسوم الأميرى بتشكيل الوزارة الجديدة على النحو التالى :



سمو الشيخ جابر الأحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .
الشيخ جابر العلى نائب رئيس الوزراء ووزير الاعلام .
الشيخ سعد العبد الله وزيرا للداخلية والدفاع .
الشيخ صباح الأحمد وزيرا للخارجية
الشيخ سالم صباح السالم وزيرا للشئون الاجتماعية والعمل
السيد عبد العزيز حسين وزيرا للدولة لشئون مجلس الوزراء .
السيد عبد الرحمن العتيقى وزيرا للمالية .
السيد عبد الله المفرج وزيرا للعدل والأوقاف والشئون الاسلامية .
السيد عبد المطلب الكاظمى وزيرا للنفط .
السيد جاسم المرزوق وزيرا للتربية . السيد عبد الوهاب النفيسى وزيرا للتجارة والصناعة .

الدكتور عبد الرحمن العوضى وزيرا للصحة .
السيد عبد الله الغانم وزيرا للكهرباء والماء .
السيد حمود النصف وزيرا للاشغال .
السيد سليمان حمود الخالد وزيــرا للمواصلات .
السيد حمد العيار وزيرا للاسكان .

● قررت الحكومة تقديم مساعدات مالية عاجلة تبلغ (٤١٥) مليون دولار أمريكي لدعم دول المواجهة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ولمســـاعدة الصومال وموريتانيا واليمن الشمالى والجنوبى وكذلك اتخذت الحكومـــة قرارا بتخصيص خمسة ملايين دولار لباكستان للمعاونة فى تخفيف آثـــار الزلازل التى تعرضت لها مؤخرا .

● تحتفل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبـــوى الشريف مساء الحادى عشر من ربيع الأول فى مسجد السوق الكبير .

● مثل الكويت فى مؤتمر علمـــاء المسلمين الذى عقد ببغداد فى الفترة الواقعة بين ١٣ و ١٨ فبراير الشيخ عبد الله النورى ، والســـيد يوسف سيد هاشم الرفاعى ، والاستاذ محمد خليفة التونسى .

● شــــارك وفد الكويت برئاسة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية فى اجتماعات الدورة الطارئة لمجلس الدفاع العربى .. والذى دعت اليه جامعة الدول العربية بالقاهرة بنـــاء على طلب لبنان لبحث الاعتـــداءات الاسرائيلية المتكررة على أراضيه .. واتخاذ موقف عربى موحد لمسانـــدة لبنان ورد الاعتداءات الاسرائيليـــة عليه ..

● صرح مندوب الكويت فى الأمم المتحدة بأنه اذا نشبت الحرب فـــى المنطقة فانه لا يستبعد فـــرض حظـــر عربى جديد على البترول .

● صرح أمين عام مجلس الوزراء بأنه جرى بحث توسعة مدينة الحجاج لأكثر من ضعفها الحالى، لتأمين راحة الحجاج الوافدين من الدول العربيـــة والاسلامية ، وتهيئـــة المكان المناسب لاقامتهم .

● أجرت وزارة التربية مسابقـــة فى تحفيظ القرآن الكريم لطـــلاب وطالبات المراحل المختلفة بالوزارة .. وقد بلغ عدد المتقدمين للمسابقة ٢٦٩ طالبا ، و ٢٢٤ طالبة ، وبلـــغ عـــدد الفائزين منهم ١٢٠ طالبا وطالبـــة منحوا جوائز مالية قدرهـــا ٣٠٠٠ دينار .

السعوديـــة :

اقامة مؤتمر عالمى للاقتصاد الاسلامى وتنظم المؤتمر كلية الاقتصاد والادارة بجامعة الملك عبد العزيز ، وهـــدف المؤتمر دراسة النظم الاقتصاديـــة الاسلامية ، واجراء البحوث اللازمـــة لتطبيقها وسيعقد المؤتمر فى مكـــة المكرمة يوم ٥ ابريل ويستمر أسبوعا.

● قررت المملكة العربية السعودية انشاء جامعة جـــديدة فى المنطقـــة الشرقية من المملكة .

● قررت المملكة انشاء عدد مـــن المشاريع لخدمة الحجـــاج والتيسير عليهم فى تنقلاتهـــم واقامتهم لأداء مناسك الحج ، وذلك بتوسعة الحرم النبوى الشريف ، وبناء مساكن خاصة لايواء الحجاج ، وانشاء خط حديدى بين المدينة المنورة ومكة المكرمـــة ، وانشاء بنك اســـلامى لاقـــراض المسلمين وحفظ ودائعهم بدون فوائد .

القاهـــرة :

● وافق وزير الاســـكان والتعمير على طلب مشيخة الأزهر اقامـــة ٩ معاهد دينية ومنشآت قرآنية بمنطقة القناة العام الحالى .

● طالب فضيلة شيخ الأزهر بزيادة حصص التعليم الديني حتى يشمل الاعدادى والثانوى والجامعة ، وقال فى مذكرته للمسئولين : انه لا علم بلا دين .

● قرر الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف تقديم التسهيلات الى الهند لتطوير نظم الأوقاف بها ، وذلك تلبية لطلب استاذ الفلسفة بجامعة حيدر آباد .

● اشهر (لى تشانج مو) القنصل العام لكوريا الجنوبية بالقاهرة اسلامه أمام الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وقد سمى نفسه (ياسين) .

العراق :

عقد فى العراق مؤتمر علماء المسلمين الأول .. وقد حضرته وفود يمثلون الدول العربية والاسلامية .

سوريا :

طالبت الحكومة السورية النظام الجديد فى أثيوبيا بضرورة احترام المقومات الأساسية للشعب الارتيرى والاعتراف الكامل بحقه فى الاستقلال .

لبنان :

بعث سماحة مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد برقية للرئيس الصومالى يندد فيها بالأحداث الدامية التى تعرض لها عدد من العلماء المسلمين .. وناشد فيها الرئيس الصومالى التوقف عن مثل هذه الأحداث المؤسفة .

الجزائر :

افتتح وزير التعليم الأصلى والشئون الدينية المعهد الاسلامى للفتيات بالقرب من مدينة بجاية ، وسيضم المعهد ٨٠٠ طالبة مسلمة .

ليبيا :

قررت ليبيا إنشاء مسجد للمسلمين فى فاليتا عاصمة مالطا وستتولى جمعية الدعوة الاسلامية فى ليبيا الاشراف على المسجد .

فلسطين :

اعترفت جمهورية فولتا العليا بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ووافقت على افتتاح مكتب للمنظمة .

اخبار متفرقة

ماليزيا : حصلت ماليزيا على مبلغ (٢٠٠) مليون دولار ماليزى كقرض من المملكة العربية السعودية .

بريطانيا : احتج المسلمون فى بريطانيا بشدة على عرض التلفزيون البريطانى مسرحية بعنوان (الأب براون) تهاجم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

الفلبين : ناشدت جمعية المهتدين الى الاسلام فى مانيلا العالم الاسلامى مساعدتها بالمال لشراء مطبعة جديدة لطباعة الكتب الاسلامية باللغة الفلبينية لنشر الاسلام فى الفلبين .

باكستان : قرر مجلس الأمة الباكستانى تخصيص مزيد من الوقت للدراسات الاسلامية فى برامج الاذاعة والتلفزيون .

الهند : عقد فى الهند مؤتمر اسلامى للتربية الاسلامية لعموم الهند ، وذلك فى منتصف شهر فبراير

اندونيسيا : سيكون من حق الرئيس الاندونيسى تغيير زعماء الاحزاب السياسية ، وستظل مبادىء الماركسية والشيوعية محظورة ، ولن يسمح للأحزاب السياسية بتلقى اية معونات خارجية .

السيدة أم كلثوم رضى الله عنها

إعداد الأستاذ : فهمى الامام

اسمها : أم كلثوم بنت محمد صلى الله عليه وسلم .
امها : السيدة خديجة ــ ام المؤمنين ــ بنت خويلد رضى الله عنها.
خطبتها : جاء وفد ابى طالب يخطبها من والدها الرسول عليه الصلاة والسلام لتكون زوجة لـ (عتبة بن ابى لهب) .. ووافق الرسول الكريم .. وما كان لأم كلثوم الا ان ترضى بما ارتضاه والدها صلى الله عليه وسلم .
فى بيت ابى لهب : لما صدع الرسول بما امر به .. واخذ يدعو عشيرته الاقربين الى الدين الجديد .. اتخذ منه ابو لهب وزوجه (ام جميل) حمالة الحطب موقفا عدائيا وكادا للاسلام ولرسوله وللمسلمين كيدا عظيما .. وكانت السيدة (ام كلثوم) واختها (رقية) تعيشان فى بيت واحد مع (أم جميل) .. وارادت قريش أن تشغل الرسول عن دعوته لدينه الجديد .. فقررت أن تعيد اليه بناته لينشغل بهن .. واقسم عدو الله ابو لهب واقسمت (ام جميل) حمالة الحطب ان تعود (رقية) و (أم كلثوم) الى بيت ابيهما .. وقد كان .. ونجاهما الله من نكد العيش مع من نزل فى شأنهما قوله تعالى :
(تبت يدا ابى لهب وتب • ما اغنى عنه ما له وما كسب • سيصلى نارا ذات لهب • وامراته حمالة الحطب • فى جيدها حبل من مسد) .
مع والدها : عادت الى بيت ابيها ووقفت الى جوار والدتها واختها فاطمة تخفف عن والدها عليه الصلاة والسلام ما يجد من اضطهاد مكة وظلمها .. وقاست مع والدها ووالدتها واختها فاطمة والمسلمين ما قاست فى (شعب ابى طالب) عندما وصل حقد قريش مداه فقاطعوا المسلمين .. لا يبيعونهم ولا يشترون منهم .. وفرضوا عليهم حصارا شديدا ، وقاسيا . ثم أذن الله لهذا الليل المظلم ان ينقشع .. فأكلت القرضة صحيفة المقاطعة التى كانت فى جوف الكعبة .. فلم يبق منها

الا (باسمك اللهم) وعاد المسلمون الى ديارهم .. وما كاد البيت النبوى يستقر حتى أسلمت خديجة روحها الطاهرة الى بارئها . وبقيت هى وأختها تخففان عن الرسول وتهونان عليه ما يحسه بعد فقده للسيدة خديجة رضى الله عنها .

هجرتها : هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم مع صاحبه ابى بكر .. وترك ابنتيه (أم كلثوم) و (فاطمة) وحيدتين فى البيت المهجور .. ثم جاءتهما البشرى أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — وصل سالما الى (يثرب) .. وجاء زيد بن حارثة ليصحبهما الى دار الهجرة . وقد خفف عنها الم الفراق انها ذاهبة الى والدها الرسول فى مقامه الكريم بين الأنصار .

فى المدينة : عاشت مع والدها الكريم وفى صحبة اختيها (رقية) و (فاطمة) .. ثم رحلت (رقية) الى جوار ربها .. وبقيت هى وفاطمة الى جوار والدهما عليه الصلاة والسلام ..

زواجها : دخلت عليها (ام عياش) خادم النبى تدعوها للقاء ابيها عليه الصلاة والسلام .. فعرض عليها الزواج من عثمان رضى الله عنه فوافقت وتم عقد زواجها على مثل صداق أختها رقية .. وخرجت الى بيت زوجها .. لتحل محل اختها .. وبعث رسول الله معها (ام عياش) كما بعثها مع السيدة (رقية) من قبل ..

فى بيت الزوجية : عاشت ست سنوات مع زوجها عثمان رضى الله عنه ، ولم يرزقها الله ولدا ، وظل طيف أختها الراحلة يلازمها فى كل مكان .. حتى قالت : لم يبق يارقية الا أن الحق بك حيث ترقدين فيجمعنا الموت كما جمعتنا الحياة منذ كنا .

وفاتها : وافاها الأجل المحتوم فى بيت عثمان — رضى الله عنه — فى شهر شعبان سنة تسع ، وصلى عليها والدها عليه أفضل الصلاة والسلام .. ثم وسدها ثرى (يثرب) الى جوار أختها .. فرحم الله (ام كلثوم) ورضى عنها وأرضاها .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	ربيع ١ ١٣٩٥	مارس ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
جمعة	١	١٤	٢١٦	١٠٤٦	١٢ ٥	٦ ٣	٩ ٢٦	١ ١٧	٤ ٤٠	٦ ٠٠	١١٥٧	٣ ٢١	٥ ٥٥	٧ ١٢
سبت	٢	١٥	٢١٧	٤٤	٣	٢	٢٦	١٧	٣٩	٥٩	٥٧	٢٢	٥٦	١٣
احد	٣	١٦	٢١٨	٤٢	١	١	٢٥	١٧	٣٨	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٣
اثنين	٤	١٧	٢١٩	٤٠	١١٥٩	٠٠	٢٥	١٧	٣٧	٥٧	٥٦	٢٢	٥٧	١٤
ثلاثاء	٥	١٨	٢٢٠	٣٨	٥٧	٥ ٥٩	٢٤	١٧	٣٦	٥٦	٥٦	٢٢	٥٨	١٤
اربعاء	٦	١٩	٢٢١	٣٦	٥٥	٥٨	٢٤	١٧	٣٤	٥٤	٥٦	٢٢	٥٨	١٥
خميس	٧	٢٠	٢٢٢	٣٤	٥٤	٥٧	٢٣	١٧	٣٣	٥٣	٥٦	٢٢	٥٩	١٦
جمعة	٨	٢١	٢٢٣	٣٢	٥٢	٥٦	٢٣	١٨	٣١	٥٢	٥٥	٢٣	٦ ٠٠	١٧
سبت	٩	٢٢	٢٢٤	٣٠	٥٠	٥٥	٢٢	١٨	٣٠	٥١	٥٥	٢٣	٠٠	١٨
احد	١٠	٢٣	٢٢٥	٢٨	٤٨	٥٤	٢٢	١٨	٢٨	٤٩	٥٥	٢٣	١	١٩
اثنين	١١	٢٤	٢٢٦	٢٦	٤٧	٥٤	٢١	١٨	٢٧	٤٨	٥٤	٢٣	١	١٩
ثلاثاء	١٢	٢٥	٢٢٧	٢٤	٤٥	٥٣	٢١	١٨	٢٦	٤٧	٥٤	٢٣	٢	٢٠
اربعاء	١٣	٢٦	٢٢٨	٢٢	٤٣	٥٢	٢٠	١٨	٢٥	٤٦	٥٤	٢٣	٣	٢١
خميس	١٤	٢٧	٢٢٩	٢٠	٤١	٥١	١٩	١٨	٢٣	٤٤	٥٣	٢٣	٣	٢١
جمعة	١٥	٢٨	٢٣٠	١٨	٣٩	٥٠	١٩	١٨	٢٢	٤٣	٥٣	٢٣	٤	٢٢
سبت	١٦	٢٩	٢٣١	١٦	٣٨	٤٩	١٨	١٨	٢١	٤٢	٥٣	٢٣	٤	٢٢
احد	١٧	٣٠	٢٣٢	١٤	٣٦	٤٨	١٨	١٨	٢٠	٤١	٥٣	٢٣	٥	٢٣
اثنين	١٨	٣١	٢٣٣	١٢	٣٤	٤٧	١٧	١٨	١٨	٤٠	٥٢	٢٣	٦	٢٤
ثلاثاء	١٩	ابريل	٢٣٤	١٠	٣٢	٤٦	١٧	١٨	١٦	٣٨	٥٢	٢٣	٦	٢٤
اربعاء	٢٠	٢	٢٣٥	٨	٣٠	٤٥	١٦	١٨	١٥	٣٧	٥٢	٢٣	٧	٢٥
خميس	٢١	٣	٢٣٦	٧	٢٨	٤٤	١٦	١٩	١٤	٣٦	٥١	٢٣	٧	٢٦
جمعة	٢٢	٤	٢٣٧	٥	٢٦	٤٣	١٥	١٩	١٣	٣٥	٥١	٢٣	٨	٢٧
سبت	٢٣	٥	٢٣٨	٤	٢٥	٤٣	١٤	١٩	١٢	٣٤	٥١	٢٢	٨	٢٧
احد	٢٤	٦	٢٣٩	٢	٢٤	٤٢	١٣	١٩	١١	٣٣	٥٠	٢٢	٩	٢٨
اثنين	٢٥	٧	٢٤٠	١	٢٢	٤١	١٢	١٩	١٠	٣٢	٥٠	٢٢	٩	٢٨
ثلاثاء	٢٦	٨	٢٤١	٩ ٥٨	٢١	٤١	١٢	١٩	٨	٣٠	٥٠	٢٢	١٠	٢٩
اربعاء	٢٧	٩	٢٤٢	٥٧	١٩	٤٠	١١	١٩	٧	٢٩	٥٠	٢٢	١٠	٢٩
خميس	٢٨	١٠	٢٤٣	٥٥	١٧	٣٩	١٠	١٩	٥	٢٨	٤٩	٢١	١١	٣٠
جمعة	٢٩	١١	٢٤٤	٥٣	١٥	٣٨	١٠	٢٠	٤	٢٧	٤٩	٢١	١١	٣١



« إلى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهـذا بيـان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبـار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخـرطوم : دار التـوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبـة الخـراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـرب : الدار البيضاء ــ السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنسـا .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الريـاض : مكتبـة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ــ ص.ب : (٧٦) .
الطـائف : مكتبـة الثقـافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكـة المكرمـة : مكتبـة الثقـافة .
المدينـة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .

العـراق : بغـداد : وزارة الاعـلام ــ مكتب التوزيع والنشـر .

البحـرين : المكتبـة الوطنيـة : شـارع باب البحـرين .

قطـر : الدوحـة : مؤسسة العـروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـى : مكتبـة دار الحكمـة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكـويت : مكتبـة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمـن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيـا ١٠ قروش ● تونـس ١٢٥ مليمـا ● الجـزائر دينـار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعـدن ٧٥ فلسـا
● لبنـان وسـوريا ٥٠ قرشـا ● مصـر والسـودان ٤٠ مليمـا


قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ
١٣٩٥
(حديث صحيح)

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٤) السنة الحادية عشرة — غرة ربيع الثانى ١٣٩٥ هـ — ابريل ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



تعليق الغــلاف

قاعة معرض الكتاب الاســلامى الاول فـــى الكـــــــــــويت

(أنظر صفحة ٣٦)

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافيــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــــدد : ١٢٤

غرة ربيــع الثانى ١٣٩٥ هـ ــ ابـــريل ١٩٧٥ م

تصدرها وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غـــرة كل شـــهر عـــربى

عنـــوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتــف : ٤٢٨٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من وحي النبوة

حياة مطمئنة

للشيخ احمد البسيونى

عن الحسن رضى الله عنه قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دع ما يريبــك الى ما لا يريبك ، فان الخير طمانينة ، وان الشر ريبة) .

رواه الترمذى وقال : حسن صحيح)

فى ظل الاسلام ، تجد الحياة امنها وسلامها ، كما تجد رشدها وصوابها ، ومنه تستمد وجودها وبقاءها ، فهو روحها السارى ، ونورها الهادى ، وميزانها القسط ، وفى تعاليم هذا الدين الخاتم ، سكينة تملأ النفس ، وطمأنينة تغمر القلب، ورضوان من الله أكبر .. انها تفتح الطريق أمام السالك الى الله ، فتصل الانسان بخالقه ، فاذا العيشة راضية ، واذا الحياة مطمئنة لا يخالطها شك ، ولا يساورها ريب « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب » (٢٨ : الرعد) .

والاسلام حين يطارد الشك والريبة فى حياة الناس ، انما يفعل ذلك لأنه يدرك أثرهما فى احباط مسعى الارادة الى الخير ، وتعويق الكمال الانسانى عن بلوغ غايته فى اسعاد الحياة .

وفى الحديث الشريف الذى توجنا به هذا المقال ، يامر الرسول الكريم كل مؤمن حريص على سلامة دينه ، أن يترك ما يريبه الى ما لا يريبه ، ومادة (الريب) فى اللغة تدل على الشك والخوف تقول : رابنى هذا الامر ، اذا أوقعك فى حيرة ، وادخل عليك شكا وخوفا .. وقد ذكرت مادة (الريب) فى القرآن الكريم ، ستا وثلاثين مرة ، كلها بمعنى الشك والظن والحيرة ، تنفيها نفيا قاطعا عن مجال الحق ، وتبعدها عن ساحة القرآن الذى نزله الله على

عبده ، وعن اليـــوم الموعود يوم القيامة ، وعن اجل الله الذى اذا جاء لا يؤخر .. أما مادة (الطمانينة) فانها تدل على الثبات والاستقرار ، وقد جاء فى (أســـاس البلاغة) اطمان اليه ، بمعنى ســـكن اليه ووثق به ، ووتد الله الارض بالجبال فاطمانت ، أى رست فلم تمـد ولم تضـــطرب ، وقد ذكرت مادة (الطمانينة) فى القرآن الـكريم ، ثلاث عشرة مرة ، كلّها بمعنى ذهاب الخوف ، واستقرار الحياة وثباتها ، والتزام الشىء والرضى به .

وفى هذا الامر الـــكريم ((دع ما يريبك الى ما لا يريبك)) حفـــز لهمم المسلمين الى البعد عن مواقف التهم ، ومواطن الشبهات ، وترك الامر المريب الى الحق الصريح ، وأن ياخذوا بالجلال الواضـــح ، الذى يطمئن اليه القلب ، ويستريح لـــه الوجدان والضمير ، ولا يحـــدث بسببه قلق أو اضطراب فى النفس .. وليس من العسير على المؤمن ان يترك الامور المريبة فان معـــالم الحلال والحرام واضحة فى حيـــاة كل مســـلم ، كما قال المعصـــوم صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخارى ومسلم : ((ان الحـــلال بيّن ، وان الحرام بين ، وبينهمـــا أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات ، وقع فى الحـــرام ، كالراعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا ان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه)) ومعناه : أن الحلال المحض ، بين لا اشتباه فيه ، وكذلك الحرام المحض ، ولـكن بين الامرين امور تشتبه معالمها على كثير من الناس ، هل هى من الحلال أم من الحرام ، فمن الورع والحفـــاظ على سلامة الدين ، ترك هذه الامور المشتبه فيها ، استبراء لدين المؤمن وعرضه .. وفى رواية لهذا الحديث فى الصـــــحيحين : ((فمن ترك ما يشتبه عليه من الاثم ، كان لمـــا استبان أترك)) أى من ترك الاثم مع اشتباهه عليه ، وعدم تحققه ، فهو أولى بتركه اذا اتضح واســـتبان له انه اثم .. وفى رواية ثالثة فـــى الصحيحين لهذا الحديث : ((ومن اجترأ على ما يشك فيه من الاثم ، أوشك أن يواقع ما استبان)) وفى رواية : ((من يخالط لريبة ، يوشك أن يجسر)) أى يكون جريئا علـــى اقتحام الحرام .. والجســـور : المقدام الذى لا يهاب شـــيئا ، ولا يراقب أحدا ! وفى هذا اشـــارة ، الى أنه ينبغى للمؤمن التباعد عـــن المحرمات ، وأن يجعل بينه وبينهـــا حاجزا ، ولا معنى للتقوى الا هذا ، فقد خرج الترمذى وابن ماجـــه من حديث عبـــد الله بن يزيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال ، خشية أن يكون حراما ، حجابا بينه وبين الحرام)) ، وقال الحسن : ((ما زالت التقـــوى بالمتقين ، حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام)) وقال الثـــورى : ((انما سموا المتقين ، لأنهم اتقوا ما لا يتقى !)) وذلك لأن المرء قـــد ياتى أمرا هو فى نفســـه حلال ، لا شبهة فيه ، ولا حرج عليـــه اذا فعله ، ولكن قد يكون مجالا لطـــعن الناس عليه ، ومثارا لشـــكوكهم وظنونهم ، وهنا يرى المؤمن أنه لا بد له من ترك هذا الامر ، ما دام فى ذلك سلامة دينه وعرضه .

فقد جاء فى السنة المطهرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم

وهو المعصوم الذى لا يرقى الى مقامه شك ، أو تحوم حوله ريبة ، وقف مرة على باب مسجده يكلم زوجه (صفية بنت حيي) وقد اختلط ضوء النهار بغبشة الظلام ، فمر به رجلان من الانصار ، فلما رأياه يكلم امرأة ، أسرعا فى مشيهما ، فناداهما : « على رسلكما ! انها صفية بنت حيي ! » فقالا : أوفيك يا رسول الله .. ؟! فقال : « مه .. ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وقد خشيت أن يقذف فى قلبيكما فتهلكا » ! .. وخرج أنس رضى الله عنه يوما الى صلاة الجمعة ، وقد خانه ضبط الوقت ، فرأى الناس قد فرغوا من الصلاة ، وازدحم بهم الطريق خارج المسجد .. فدخل موضعا توارى فيه عن عيون الناس ، نفيا للتهمة عن ساحته وقال : « من لا يستحى من الناس ، لا يستحى من الله » ..

وقد وضع الرسول الكريم دستور التعامل بين الناس ، ومخالطة شؤون الحياة فى قوله : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وفى هذا الهدى النبوى ، دعوة الى الوقوف عند الشبهات واتقائها ، فان الحلال المحض لا يحصل للمؤمن فى قلبه منه ريب ، ومعناه القلق والاضطراب الموجب للشك ، وقد سمع رجل قول الرسول الكريم : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » فقال : وكيف لى بالعلم بذلك .. ؟ فقال له بعض العارفين : « اذا أردت أمرا فاستفت قلبك ، فان القلب يضطرب للحرام ، ويسكن للحلال ، وان المسلم الورع ، يدع الصغيرة مخافة الكبيرة ، وترك الريبة أمر سهل ، متى صح العزم ، وصدقت النية ، فدائرة الحلال واسعة ، وفى هذا يقول ابن مسعود رضى الله عنه : « ما تريد الى ما يريبك وحولك أربعة آلاف لا تريبك » ؟!

ويقول الامام الفضيل : « يزعم الناس أن الورع شديد ، وما ورد على أمران الا أخذت بأشدهما .. فدع ما يريبك الى ما لا يريبك » وقال حسان بن أبى سنان : « ما شىء أهون من الورع ، اذا رابك شىء فدعه » وقد طبق هذا المبدأ على نفسه ، فقد قال ابن المبارك : كتب غلام لحسان بن أبى سنان اليه من الاهواز : ان قصب السكر أصابته آفة ، فاشتر السكر فيما قبلك ، فاشتراه من رجل ، فلم يات عليه الا القليل ، فاذا فيما اشتراه قد ربح ثلاثين ألفا .. قال : فاتى صاحب السكر فقال له : يا هذا ، ان غلامى كان قد كتب الى فلم أعلمك ، فاقلنى فيما اشتريت منك ، فقال له الاخر : قد أعلمتنى الآن وقد طيبته لك ، قال : فرجع فلم يحتمل قلبه ، فاتاه فقال : يا هذا انى لم آت هذا الامر من قبل وجهه ، فاحب أن تسترد هذا البيع ، وما زال به حتى رده عليه ! وثم أخ له فى الورع واتقاء الشبهات ، هو الحجاج بن دينار فقد روى التاريخ أنه بعث طعاما الى البصرة ليباع بسعر يومه ، ولكن الذى تولى بيع الطعام ، وجد سعره قليلا يوم مجيئه ، فأدخره حتى ارتفع السعر ، ثم باعه ، وأعلم الحجاج بذلك فغضب ، وكتب الى البائع يقول : « انك قد خنتنا ، وعملت بخلاف ما أمرناك به ، فاذا أتاك كتابى ، فتصدق بجميع ذلك الثمن على فقراء البصرة ، فليتنى أسلم اذا فعلت ذلك » .. !

وفى مجال العبادات ينص الفقهاء على مسألة (الخروج من الخلاف)

ويرون ذلك أفضل ، لانه أبعد عن الشبهة ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عن اكل الصيد للمحرم ، اذا لم يصبه ، فقالت : « انما هى أيام قلائل فما رابك فدعه » يعنى ما اشتبه عليك ، هل هو حرام أو حلال فاتركه ، فان الناس اختلفوا فى اباحة اكل الصيد للمحرم ، اذا لم يصد هو .. وأساس العبادات فى الاسلام ، الاخذ باليقين ، وطرح الشك ، لئلا يقع المتعبد فريسة لوساوس الشيطان ، كمن تيقن الطهارة وشك فى الحدث ، فانه صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا » !

هذا ، وتاريخ الاسلام ملىء بالصور الرائعة ، والمواقف الخالدة، للبعد عن الريبة ، وتحرى الحق والعدل وقداسة الاموال العامة — فهذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، يضىء سراجا يؤخذ زيته من بيت المال ، لينظر فى شئون الدولة على ضوئه ، فيدخل عليه خادمه فيحدثه فى شئون تتصل بمصالح بيته ، وهنا يطفىء عمر المصباح ، ويوقد مصباحه الخاص حتى ينتهى من ذلك الطارىء .. وقد ارسل خادمه يوما ، ليسخن له بعض الماء كى يتوضا به فى يوم شات زمهرير ، ويعود الخادم مسرعا بالماء الدافىء ، فيسأله الخليفة : أين دفاته بهذه السرعة ؟ فيجيب الخادم : فى مطابخ المسلمين ، وكان الخليفة قد أنشا مطابخ عامة للناس ينفق عليها من أموال الدولة فيرفض عمر أن يمس الماء جسده ، حتى يذهب الخادم الى القائم على هذه المطابخ ، بثمن تسخين هذا القدر الضحل جدا من الماء .. وقد يرى البعض فى هذا المسلك اغراقا فى التزمت ، أو اهتماما بامور شكلية ، وفاتهم المعنى الكبير ، الذى ينطوى عليه هذا التصرف الحكيم ، وهو رعاية (المبدأ) الذى يستوى مع قداسته ، أن يكون المال قطرات من زيت ، أو ملء غرفة ذهبا .. !!

وترك ما يريب ، درجة عالية من الورع ، يتصف بها المقربون ، فيرتفعون بها عند الله درجات ، أما من يلصقون هذه الصفة الجليلة بانفسهم زورا وخداعا ، فهم مصدر خطر داهم على الامة والمجتمع ، يعيش احدهم غارقا فى الحرام ، ملطخا بالمعاصى والمظالم ، ثم يتظاهر بالورع فى أمور تافهة دقيقة !

يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سمع رجلا ينادى فى موسم الحج : أيها الناس ، من وقعت منه زبيبة .. ؟! فعلاه عمر بالدرة وهو يقول : « كلها يا صاحب الورع الكاذب » !! وجاء بعض أهل العراق الى ابن عمر يسألونه عن دم البعوض ، فقال : « يسالوننى عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين » !!

وينبغى ألا يكون اتقاء الشبهات، سببا فى البطالة أو عدم السعى ، بحجة أن الانسان لا يسلم من التعرض لما فيه ريبة أو شبهة ! اذ لو فعل كل انسان ذلك لتوقف سير الحياة ، وان كسبا فيه بعض الريبة، خير من سؤال الناس .. كما يجب على الحاكم ألا ياخذ الناس بالريبة أو الظنة ، فانه ان فعل ، دفعهم ذلك الى ارتكاب ما ظن بهم ، فتكن فتنة فى الارض وفساد كبير يقول صلى الله عليه وسلم : « اذا ابتغى الامير الريبة فى الناس أفسدهم » .

وما ابلغ قول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « فان الخير

طمانينة ، وان الشر ريبة » ومعناه : أن الخير تسكن اليه النفـــوس ، وتهش له ، وتطمئن به القـلوب ، والشر ترتاب به ، ولا تطمئن اليه ، والخير ، كلمة جامعة تنتظم كل بر، وتشمل كل عمل صالح ، فكل سعى ينهض بالفرد ويرقى بالجماعة ، فهو خير .. والشر كلمة لها دلالتها على كل ما فيه اضرار بالناس ، واهدار لصالح الامة ، فطـاعة الله خير ، ومعصيته شر ، والصـــدق خير ، والكذب شر .. والخير طمـــانينة يرتاح له الضمير ، لأن الفطــــرة السليمة تنجذب نحوه وتشعر به ، وقلما تحتاج الى من يبصرها به أو يدلها عليه ، اذ الخير ، هو الكمال الذى تنشده وتسعد به ، ومن أجل هذا تاتى الدعوة الى الخير فـــى الكتاب والسنة عامة مطلقة، لا حدود لها توضح معالمها ، ولا تفاصـــيل تستقصى فروعها وأقسامها ، وكذلك ياتى النهى عن الشر ، مجمــلا ، ليندرج تحته كل افساد وتعويق من ذلك قوله تعالى : « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » (٧٧ : الحج) . وقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٧ ، ٨ : الزلزلة) . وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد رضى الله عنه : « إن هذا الخـير خـزائن ، ولهذه الخزائن مفاتيح ، فطـوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخـــير ، مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر ، مغلاقا للخير » .

وجاء فى رواية أخرى للحـديث الذى يأمر بترك الريبـــة : « ان الصدق طمانينة والكذب ريبة » وهذا يشير الى انه لا ينبغى الاعتماد على قول كل قائل ، وانما يعتمد على قول من يقول الصدق ، وعلامة الصدق ان تطمئن به القـــلوب ، وعلامة الكذب أن تحصل به الريبـــة فلا تسكن القلوب اليه بل تنفر منه فان الصدق يهدى الى البر ، والبر وحى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

كما جاء فى حديث وابصة رضى الله عنه فيما رواه الامام أحمـــد باسناد حسن يقول وابصة : « أتيت النبى صلى الله عليه وســـلم وأنا اريد ألا أدع شيئا من البر والاثم الا سالت عنه ، فقـــال لى : « ادن يا وابصة » فدنوت حتى مست ركبتى ركبته ، فقال : « يا وابصـــة ، أخبرك بما جئت تسال عنه » ؟ قلت يا رسول الله ، أخبرنى . قال : « جئت تســـال عن البر والاثم » ؟ قلت : نعم .. قال وابصة : فجمع أصابعه الثلاث ، فجعل ينكت بهـا فى صدرى ويقول : « يا وابصة ، استفت قلبك ، البر ما اطمانت اليه النفس ، واطمان اليه القلب ، والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر، وان أفتاك الناس وأفتوك » .

ومن هنا نرى أن الاسلام بمنهجه الكامل فى التربية ، يدعم الفطـرة الانسانية ، ويصقل الضمير حتـى يتالق شعاعه فى جوانب النفس ، فيمنحها هداها ، وياخذ بناصيتها الى الخير .. والاصلاح النفسى هـو الدعامة الـكبرى للحيـــاة الآمنة الوادعة ، فاذا اشرقت النفـــوس بنور ربها ، ازدهرت الحياة ، وغمرت السعادة حاضر الناس ومستقبلهم .. والله يقـــول الحق وهو يهـــدى السبيل .

نقد ابن كثير للاسرائيليات

(٣)

اسماعيل سالم عبد العال

قلت فى مقال سابق إن الحافظ ابن كثير اتخذ ثلاثة مسالك فى نقده للاسرائيليات :

أ ــ الاعراض عن ذكرها .

ب ــ أو ذكرها منسوبة لبعض المفسرين مفندا لها .

جـ ــ أو ينسبها الى قائلها مع مناقشة لها وبيان لبطلانها .

وقد بسطنا القول فى المسلك الاول ، وضربنا له الأمثال .

ب ــ الاسرائيليات فى كتب التفسير :

يذكر ابن كثير فى تفسيره اسرائيليات عن بعض المفسرين بعامة بدون تحديد لأسمائهم وكتبهم ناقدا لها ، محذرا منها .

واذا كانت كتب التفسير المأثورة تعج بكثير من الاسرائيليات ، والروايات المفتراة ، فان ابن كثير كان على دراية بمدى تضخم هذه الكتب بأحاديث أهل الكتاب المختلفة ، ورواياتهم الباطلة مما كان يجعله لا يكف عن تمحيصها ، وبيان زيفها وإفكها .

ويرى ابن كثير أن بعض اهل الكتاب كان غايتهم من ادخال الاسرائيليات فى ديننا إلباس الحق بالباطل ليلتبس على الناس أمر دينهم كما وضعت أحاديث عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أمتنا مع حداثة العهد ، ومع جلالة قدر علمائها !! فكيف بأمة بنى اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ والنقاد ؟؟!!

١ ــ يقول فى تفسير قوله تعالى :

« ق » :

ق ، حرف من حروف الهجاء المذكورة فى أوائل السور كقوله تعالى : « ص ، ن ، الم ، حم ، طس » ونحو ذلك ، قاله مجاهد .

قال « قد روى عن بعض السلف انهم قالوا : ق جبل محيط بجميع الارض يقال له جبل ق . وكأن هذا — والله أعلم — من خرافات بنى اسرائيل التى اخذها عنهم بعض الناس لما راى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب . **وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون على الناس امر دينهم ، كما افترى فى هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وائمتها احاديث عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وما بالعهد من قدم !! فكيف بامة بنى اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ والنقاد فيهم ، وشربهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته ؟؟!!** (١) .

لكن قد يعترض سائل فيقول : فما توجيه حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذى يقول فيه : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج »

ويجيب ابن كثير : **وإنما اباح الشارع الرواية عنهم فيما قد يجوزه العقل ، فاما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل** (٢) .

ومن المآخذ التى سجلها الحافظ ابن كثير على من سبقوه أنهم اكثروا من النقل عن كتب أهل الكتاب ، ووضعوا هذه النقول بجوار آيات الله الواضحات تفسيرا لها ، وتوضيحا لكلماتها مع أن ديننا قد كمل ، فليس فى حاجة الى شىء من هذه الاسرائيليات !

قال : « وقد أكثر كثير من السلف وكذا طائفة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب فى تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج الى اخبارهم ، ولله الحمد والمنة » (٣) .

(٢) — وفى قصة أهل الكهف ، ذكر ابن كثير أن مكان الكهف لم يخبرنا الله فى اى البلاد هو ، إذ لا فائدة لنا فيه ، ولا قصد شرعى ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه اقوالا . فعن ابن عباس انه قال : هو قريب من (أيلة) . وقال ابن اسحاق هو عند (نينوى) . وقيل : (ببلاد الروم) وقيل (ببلاد البلقاء) . والله أعلم بأى بلاد الله هو . ولو كان لنا منه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله اليه فقد قال — صلى الله عليه وسلم — : « ما تركت شيئا يقربكم الى الجنة ويباعدكم عن النار الا وقد أعلمتكم به » (٤) .

فابن كثير يؤكد أننا لسنا فى حاجة الى أهل الكتاب ، وحتى هذا الذى اباح الشارع نقله يجب أن يوضع تحت حكم العقل فان اجازه والا فلا يصح نقله ، وهذا الذى اجازه العقل لا فائدة كبيرة منه ، فى ديننا الذى

كمله الله وجمله عقيدة وشريعة .

(٣) ــ وفى تفسير قوله تعالى : **« قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين »** الأعراف/٢٤ (٥) .

ذكر كثير من المفسرين الأماكن التى هبط فيها آدم وحواء والشيطان ، ورفض ابن كثير هذه الأقوال كلها ، لأنها من الاخبار التى يرجع حاصلها الى الاسرائيليات ، والله أعلم بصحتها ولو كان فى تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين فى أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى فى كتابه ، أو رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (٦) .

(٤) ــ قال ابن كثير فى قوله تعالى : **« ولى فيها مآرب أخرى »** طه/١٨ (٧) : اى مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك . وقد تكلف بعضهم لذكر شىء من تلك المآرب التى أبهمت . فقيل : كانت تضىء له بالليل وتحرس له الغنم اذا نام ، ويغرسها فتصير شجرة تظله ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة .

والظاهر انها لم تكن كذلك ، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ صيرورتها ثعبانا ، فما كان يفر منها هاربا ، ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية (٨) .

(٥) ــ وفى تفسيره لقول الله تعالى : « **فسجدوا الا إبليس كان من الجن** » الكهف/٥٠ (٩) . يقول : « وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الاسرائيليات التى تنقل لينظّر فيها والله أعلم بحال كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بأيدينا ، **وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة (١٠) .**

وقد يبهم بعض المفسرين ــ الذين ينقل عنهم ابن كثير ، صاحب الرواية الاسرائيلية فيمحصها ويبين ما فيها من مغامز ومطاعن .

(٦) ــ ذكر ابن جرير الطبرى عن بعضهم فى سبب تسمية ابراهيم خليل الله أن قومه قد أصيبوا بالقحط فذهب الى خليل له من الموصل ، وقيل من مصر ، ليمتار طعاما لأهله من قبله ، فلم يصب عنده حاجته ، فلما قرب من أهله قال : لو ملأت غرائرى من هذا الرمل لئلا يغتم أهلى برجوعى اليهم من غير ميرة ، أو ليظنوا أنى أتيتهم بما يحبون ، ففعل ذلك . فتحول ما فى الغرائر من الرمل دقيقا . ولما قام من نومه سألهم عن هذا الدقيق الذى منه خبزوا وعجنوا ، فقالوا : من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك . فقال : نعم ، هو من عند خليلى الله . فسماه الله بذلك خليلا .

ويعلق ابن كثير على هذه الرواية فيقول : « وفى صحة هذا ، ووقوعه نظر . وغايته ان يكون خبرا اسرائيليا ، لا يصدق ولا يكذب .

وإنما سمى خليل الله لشدة محبته لربه عز وجل ، لما قام به من الطاعة التى يحبها ويرضاها ، ولهذا ثبت فى الصحيحين من رواية أبى سعيد الخدرى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما خطبهم فى آخر خطبة قال : « أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر بن أبى قحافة خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله » .

وجاء عن طريق جندب بن عبدالله البجلى ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله ابن مسعود عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا (١١) » .

(٧) — وفى تفسير قوله تعالى : **« وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة »** البقرة/٥٥ (١٢) .

قال ابن كثير : « وقد أغرب الرازى فى تفسيره حين حكى فى قصة هؤلاء السبعين انهم بعد إحيائهم قالوا : يا موسى انك لا تطلب من الله شيئا الا أعطاك ، فادعه أن يجعلنا أنبياء فدعا بذلك ، فأجاب الله دعوته . قال ابن كثير : وهذا غريب جدا ، إذ لا يعرف فى زمان موسى نبى سوى هارون ، ثم يوشع بن نون . وقد غلط أهل الكتاب أيضا فى دعواهم ان هؤلاء رأوا الله عز وجل ، فان موسى الكليم — عليه السلام — قد سأل ذلك فمنع ، فكيف يناله هؤلاء السبعون ؟! (١٣) .

جـ — اسرائيليات معزوة الى قائليها :

١ — اسرائيليات مسلمة أهل الكتاب:

قام الذين أسلموا من أهل الكتاب بدور كبير فى نقل كثير من الاسرائيليات فى التفسير والحديث والقصص والتاريخ وغير ذلك ، لدرجة انك لا تكاد تفتح كتابا مأثورا الا وجدت روايات كثيرة مخرفة ، واسرائيليات هابطة ، لا يقبلها العقل ولا الشرع ، ولسنا فى حاجة الى شىء منها .

ومن بين الذين اضطلعوا بعبء كبير فى نقل هذه الروايات كعب الأحبار ووهب بن منبه .

كعب الأحبار :

هو كعب بن ماتع الحميرى (أبو اسحاق) كان من كبار علماء اليهود توفى سنة (٣٢ هـ — ٦٥٢ م) (١٤) .

وقد ذكرت لكعب أقوال كثيرة فى كتب التفسير وغيرها .

وقد انقسم العلماء فى توثيق كعب قسمين :

فمنهم من يرى أن كعبا عدل موثوق به ، ولا يعد فى الضعفاء والمتروكين . ويشهد لذلك عندهم أن الامام مسلم ابن الحجاج قد خرج له فى صحيحه ، وكذلك بعض أصحاب السنن كأبى داود ، والنسائى والترمذى ، مما ينفى عنه التهمة والشك ، ويجعله فى

عداد العلماء الأثبات الثقات .

ومنهم من يسحب هذه الثقة منه ، ويغض من عدالته ، بل ويرفع اصبع الاتهام والشك والكذب فى وجه كعب الأحبار ووهب بن منبه كذلك .

ومن أصحاب هذا الراى الشيخ رشيد رضا والدكتور احمد أمين رحمهما الله تعالى .

ومما استند اليه هؤلاء هذه الكثرة الهائلة من الروايات الغريبة ، والاسرائيليات العجيبة التى اثرت عنهما ، وعن أمثالهما ، مما كان له اثر سىء ، وتشويش بالغ على عقائد العامة ، بل لقد بالغ الشيخ رشيد رضا حين أراد طعن كعب الاحبار ووهب بن منبه وتجريحهما ، فاتهم قدماء رجال الجرح والتعديل بأنهم « اغتروا بهما وعدلوهما » (١٥) .

ونحن نشهد الله أن قدماء رجال الجرح والتعديل كانوا أتقياء أنقياء بررة ، بذلوا جهدا مشكورا فى تخليص السنة مما علق بها ، وتطهيرها من تحريف الغالين ، ولغو الأفاكين .

وغفر الله للشيخ رشيد رضا حين قال ما قال !

وفى مقابل هذه المغالاة قال بعض أصحاب الرأى الأول : « واذا كانت هذه الاسرائيليات المروية عن كعب وغيره قد أثرت فى عقيدة المسلمين وعلمهم أثرا غير صالح ، فليس ذنب هذا راجعا الى كعب واضرابه لأنهم رووه على انه مما فى كتبهم ، ولم يشرحوا به القرآن اللهم الا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له ، ثم جاء من بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الاسرائيليات فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بعد شاسع . . فالذنب ــ إذاً ــ ذنب المتأخرين الذين ربطوا هذه الاسرائيليات بالقرآن وشرحوه على ضوئها ، واخترعوا من الأساطير ما نسبوه زوراً وبهتانا الى هؤلاء الأعلام وهم منه براء (١٦) » .

رأى ابن كثير فى كعب الأحبار والاسرائيليات :

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « **ويسالونك عن ذى القرنين** » الكهف/٨٣ (١٧) . قال ابن لهيعة ، حدثنى سالم بن غيلان ، عن سعيد بن ابى هلال ، أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب الأحبار : أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟!فقال له كعب : ان كنت قلت ذلك فان الله قال: « **وآتيناه من كل شىء سببا** ».

وعلق ابن كثير على هذا الإفك الذى ذكره كعب شرحا لآيات الله: « وهذا الذى أنكره معاوية ــ رضى الله عنه ــ على كعب الأحبار هو الصواب . والحق مع معاوية فى ذلك الانكار ، فان معاوية كان يقول عن كعب : « ان كنا لنبلو عليه الكذب » ، يعنى فيما ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس فى صحفه ، **لكن الشان فى صحفه انها من الاسرائيليات التى**

غالبها مبدل ، مصحف ، محـــرف ، مختلق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ، ورسول الله ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ الى شىء منها بالكلية فانه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض .

وتأويل كعب قول الله « **وآتينـــاه من كل شىء سببا** » الكهف / ٨٤ ، واستشهاده فى ذلك على ما يجـــده فى صحفه من أنه كان يربط خيـــله بالثريا غير صحيح ، ولا مطابق فانه لا سبيل للبشر الى شىء من ذلك ، ولا الى الترقى فى أسباب السموات ، وقد قال اللـــه فى حـــق بلقيس : « **وأوتيت من كل شىء** » (١٨) . أى مما يؤتى مثلها من الملوك . وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأســـباب ، اى الطرق والوسائل الى فتح الأقاليم والرساتق والبلاد والأراضى ، وكسر الأعـــداء ، وكبت ملـــوك الارض ، وإذلال أهل الشرك ، قد أوتى من كل شىء مما يحتاج اليه مثله سببا ، والله أعلم » (١٩) .

فابن كثير ينفى عن كعب تعمـــد الكذب والافتراء ، وهو فى هـــــذا يلتقى مع أصحاب الرأى الاول ، لكنه فى الوقت نفسه يرى أن هذه النقول عن الكتب المحـــرفة والمبدلة ادخلت على الناس « شرا كثيرا وفســـــادا عريضا » .

فكعب ــ واضرابه ــ وان كـــان حسن النية الا أنه جر على الاسلام مفسدة عظيمة بتلك الروايات الباطلة التى تلبس على الناس أمر دينهم . ولقد أدرك عمر بن الخطاب هـــــذا الخطر فنهاه قائلا : « ولتتركن الحديث عن الاول أو لألحقنك بأرض القردة » ويوجه ابن كثير هذا النهى فيقول : « وهذا محمول من عمر على انه خشى من الأحاديث التى تضعها الناس على غير وضعها ، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص ، وأن الرجل اذا أكثر من الحديث ربما وقع فى أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه ، أو نحو ذلك » (٢٠) .

لقد كان من الخير لنا ، ولديننا ، ان يصمت كعب عن هذه الاسرائيليات فلا ينطق بها ، وأن تغمض كلتا عينيه فلا تشير اليها ، وأن تكف كلتا يديه فلا تنقلها . فان من الخطورة بمكان ان يسمع أحد الصـــحابة شـــيئا من الرسول ــ صلى الله عيه وسلم ــ وشيئا عن كعب فيخلط بين الحديثين ، ويمزج بين الروايتين .

يذكر ابن كثير حديثا رواه مســـلم فى صحيحه بسنده الى بشر بن سعيد قال : « اتقـــوا الله وتحفظـــوا من الحديث . فوالله لقد رأيتنا نجـــالس أبا هريرة فيحدث عن رسول اللـــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويحدثنا عن كعب الأحبار ، ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حـــديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفى رواية : يجعل ما قاله كعب عـــن

رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كعب فاتقوا الله وتحفظوا فى الحديث » (٢١) .

لكن قد يقول قائل : ان الرواية التى ذكرها ابن لهيعة عن كعب فى تفسير قوله تعالى : **« وآتيناه من كل شىء سببا »** قد تكون من اختلاق ابن لهيعة نفسه لأنه ضعيف ويجيب بأن ابن كثير قد صرح فى تفسيره بأن روايات ابن لهيعة تقبل فى حالة تصريحه بالسماع . وعلى هذا فان الرواية من اسرائيليات كعب .

(٢) — قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : **« وكلم الله موسى تكليما »** (٢٢) النساء/١٦٤ ، روى عبد الرزاق عن كعب الأحبار قال : إن الله لما كلم موسى كلمه بالألسنة كلها سوى كلامه (وفى رواية ابن جرير : بالالسنة كلها قبل كلامه يعنى كلام موسى) فقال له موسى : يا رب هذا كلامك ؟! قال : لا ، ولو كلمتك بكلامى لم تستقم له . قال : يا رب فهل من خلقك شىء يشبه كلامك ؟ قال : لا ، واشد خلقى شبها بكلامى اشد ما تسمعون من الصواعق .

وعلق ابن كثير فقال : « فهذا موقوف على كعب الأحبار . وهو يحكى عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بنى اسرائيل ، وفيها الغث والسمين » (٢٣) .

روى ابن جرير فى تفسير قوله تعالى : **« واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا »** مريم/٥٦ (٢٤) أثرا غريبا عجيبا عن هلال بن يساف قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له : ما قول الله — عز وجل — فى إدريس « ورفعناه مكانا عليا » فقال كعب : أما ادريس فان الله أوحى اليه انى أرفع لك كل يوم مثل جميع بنى آدم فأحب أن تزداد عملا . فأتاه خليل له من الملائكة فقال له : ان الله أوحى الى كذا ، وكذا ، فكلم لى ملك الموت فليؤخرنى حتى أزداد عملا ، فحمله بين جناحيه حتى صعد به الى السماء فلما كانت السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت ، فكلم ملك الموت فى الذى كان فيه ادريس . فقال : وأين ادريس ؟ فقال : هو ذا على ظهرى . قال ملك الموت : العجب ، بعثت ، وقيل لى اقبض روح ادريس فى السماء الرابعة ، فجعلت اقول : كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض ؟! فقبض روحه هناك !. فذلك قول الله «ورفعناه مكانا عليا» .

قال ابن كثير : هذا من أخبار كعب الأحبار الاسرائيليات . وفى بعضه نكارة ، والله أعلم (٢) .

(٤) — وفى صفة كرسى سليمان — عليه السلام — ذكر ابن أبى حاتم عن كعب الاحبار صفات تضارع

الأســـــاطين في إفكها ، وتشـــــبه الخرافات في زيفها ، ومن ثم فان ابن كثير قد حكم عليها بأنها أخبار عجيبة وغريبة جدا (٢٦) .

(٥) ـــ لقد أحدثت الاسرائيليات أثرا سيئا في العقيدة ، واضـــطرابا فكريا حجب الرؤية الواضـــحة عن بعض العقول . ونشأ عن ذلك خلاف في بعض المسائل .

من ذلك أن جماعة من أهل العلم ذهبوا الى أن الذبيح هو اسحاق ، وحكى هذا عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة ـــ رضى الله عنهم ـــ أيضا ـــ وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تلقى الا عن أحبار أهل الكتاب ، وهذا كتاب اللـــه شاهد ومرشد الى انه اسماعيل .

وقد ذكـــر ابن كثير الأدلـــة التى استنبطها من القرآن والسنة ، وتؤيد أن الذبيح هو اسماعيل ، ثم عقب على اقوال السلف بأن الذبيح اسحاق فقـــال : « وهذه الأقوال ـــ واللـــه أعلم ـــ كلها مأخوذة عن كعب الاحبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر ـــ رضى الله عنه ـــ عن كتبه قديما . فربما أستمع له عمـــر ـــ رضى الله عنه ـــ فترخص اناس في استماع ما عنده ، **ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها ، وليس لهـــذه الأمة ـــ والله اعلم ـــ حاجة الى حرف واحد مما عنده** » (٢٧) .

(٢،١) تفسير ابن كثير : ٢٢١/٤ طبعة الحلبى
(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه .
(٤) تفسير ابن كثير : ٧٥/٣ .
(٥) الاعـــراف : ٢٤/٧
(٦) تفسير ابن كثير : ٢٠٦/٢ ـــ ٢٠٧
(٧) طـــه : ١٨/٢٠
(٨) تفسير ابن كثير : ١٤٥/٣
(٩) الكهـــف : ٥٠/١٨
(١٠) تفسير ابن كثير : ٨٩/٣
(١١) تفسير ابن كثير : ٥٥٩/١ ـــ ٥٦٠
(١٢) البقـــرة : ٥٥/٢
(١٣) تفسير ابن كثير : ٩٤/١
(١٤) انظر : تذكرة الحفاظ : ٤٩/١ ، وحلية الاولياء : ٣٦٤/٥ ، والنجـــوم الزاهرة ٩٠/١
(١٥) تفسير المنار : ٩/١ طبعة المنار .
(١٦) الاسرائيليات في التفسير والحـــديث للاستاذ الفاضل محمد حسين الذهبى : ١٣٢ ـــ ١٣٣
(١٧) الكهـــف : ٨٣/١٨
(١٨) النمـــل : ٢٣/٢٧
(١٩) تفسير ابن كثير : ١٠١/٣
(٢٠) البداية والنهـــاية لابن كثير : ١٠٨/٨ طبعة السعادة .
(٢١) المصـــدر السابق : ١٠٩/٨
(٢٢) النســـــاء : ١٦٤/٤
(٢٣) تفســـير ابن كثير : ٥٨٨/١
(٢٤) مـــريم : ٥٦/١٩
(٢٥) تفسير ابن كثير : ١٢٦/٣
(٢٦) المصـــدر السابق : ٣٦/٤ ـــ ٣٧
(٢٧) المصـــدر الســـابق : ١٧/٤ ـــ ١٨

آيات من كتاب الله

للأستاذ محمد سرور زين العابدين

المعركة بين الايمان والكفر بدأت مع الحياة ، وستستمر ببقائها . فهى حكمة لله لا بد منها ، ولا طعم للحياة بدونها ، وبها يميز الله الخبيث من الطيب والجيد من الردىء .

وفى خضم هذه المعركة التى خاضها نوح عليه السلام بعزيمة لا يعتريها الملل ، وايمان لا يخالطه فتور ، وقف على أرض من الصخر ليتحدى الملأ من قومه ويقول لهم :

« ويا قوم لا أسالكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا أنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون » هود : ٢٩ .

بهذه الكلمات لخص نوح عليه السلام دعوته : لن أتخلى عن مؤمن لانه فقير ، وأخصكم بالدعوة لانكم أغنياء مترفون ، فمقياسنا التقوى ومقياسكم المال ، وسبيلنا الجهاد والمشقة وسبيلكم الثراء والترف وشتان شتان ما بين المجاهدين والمترهلين .

والذى قاله نوح عليه السلام لقومه ، كان يؤكده جميع أنبياء الله من بعد نوح عليهم السلام ، فما جاءوا يريدون مالا ولا متاعا ، وهم الذين هجروا أوطانهم وأولادهم ، وتخلوا عن أموالهم وخرجوا بعقيدتهم وذلك هو الفوز العظيم . وبهذه الصيحة كانوا يلجمون أفواه الناس ، ويخرسون السنة الخصوم .

قال نوح : « يا قوم لا اسالكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى افلا تعقلون » هود : ٥١ .

وقال هود : « وما أسالكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين » الشعراء : ١٢٧ .

وقال صالح : « وما اسالكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين » الشعراء : ١٤٥ .

وقال لوط : « وما اسالكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين » الشعراء : ١٦٤ .

وقال شعيب : « وما أسالكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين » الشعراء : ١٨٠ .

وقال محمد صلى الله عليه وسلم : « قل ما سالتكم من أجر فهو لكم ان اجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد » سبا : ٤٧ .

مدعوة الانبياء واحدة ، وكانوا يبلغون الدعوة متطوعين لله ينتظرون الاجر منه وحده ، ولا يسالون الناس مالا ، بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض أن يكون أغنى قريش مالا ، وأبى أن يكون ملكا عليهم مقابل أن يتخلى عن دعوته . فلقد أوفدت قريش عتبة بن ربيعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولندع ابن اسحاق يحدثنا عن هذا الخبر : قال عتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن اخى ، ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا .. حتى اذا انتهى عتبة من عروضه تلى عليه صلى الله عليه وسلم الآيات الأول من سورة (فصلت) ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فانت وذاك .

وما كان ينتظر من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مثل هذا الموقف ، وما الفائدة من مال الدنيا ان كان يجير صاحبه من عذاب جهنم ، وماذا تغنى الزعامة ان عاش صاحبها أسيرا لهواه ، وعبدا لشهوات قومه .. ؟!

واقتدى سلفنا الصالح برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاشوا حياة الكفاف ، وقصروا أقدامهم عن مجالس الحكام ، فسعى الحكام اليهم يخطبون ودهم ويكبرون فيهم الزهد والعفة . فالعز بن عبد السلام ما زال يامر حكام الشام بالمعروف وينهاهم عن المنكر حتى الجاوه الى مصر ، وفى مصر مضى يبلغ دعوة الله بجراة وقوة حتى التف الناس حوله .. فكان له الموقف المعروف مع المماليك — حكام مصر آنذاك — وعندما طلبوا منه مغادرة مصر ، خرج بحمارين ، حمار يركبه ، وحمار يحمل كتبه وأمتعته ، وهذا كل ما يملكه من الدنيا .. ولكن شعب مصر خرج وراءه وبقى المماليك فى القاهرة وحدهم .. عندئذ أيقنوا من هو حاكم مصر حقا ، ومادت الدنيا تحت أقدامهم ، وعلموا أنهم فى خطر عظيم ان لم يعد الشيخ ، فاعادوه وأذعنوا لطلبه .

وما كان للعز بن عبد السلام أن يلقى هذا الاقبال لو كان يتقاضى أجرا من الحكام ، لكنه زهد بما عندهم وطمع بما وعد الله عباده المؤمنين ، فهانت الدنيا أمامه ، فاذل الله زعماءها بين يديه .

والى عهد غير بعيد كان الوعاظ وخطباء وائمة المساجد لا يتقاضون على عملهم أجرا ، فالتاجر والنجار والعامل هو الذى يخطب ويؤذن فى المسجد متطوعا لله ، وأفتى الفقهاء بجواز أخذ الاجرة على الوعظ والخطابة و .. عندما انصرف الناس الى الدنيا وزهدوا بمثل هذه الاعمال ..

هكذا عاش سلفنا الصالح : بساطة فى الحياة ، وزهد فى الدنيا ، وجراة فى الحق ، ونعمت حياة الشرفاء الكرام الذين يكون غناهم بسمو عقيدتهم ورفعة أخلاقهم ..

أعداء الاسلام لا يسالون الناس اجرا :

ان الكرم والشجاعة والزهد صفات يحبها الناس مؤمنين كانوا او كافرين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أطلق سراح أبنة حاتم الطائى لأن أباها أعتاد مكارم الاخلاق (مع انه جاهلى) ..

وقديما افتتن الناس بعبادة (بوذا) و (كونفشيوس) و (سقراط) لما اتصفوا به من زهد وعظمة وقدرة على التفكير ، ومواجهة الناس بما لا يالفون .
وتزلف دعاة الباطل الجدد الى الناس بهذه المعانى الطيبة ، فالشيوعيون يتظاهرون بالتواضع والزهد ولا يسالون الناس أجرا ، فاجرهم يتقاضونه من آلهتهم فى موسكو وبكين .

والصليبيون ــ الذين تترس بهم المستعمرون ــ راحوا يتقدمون جيوش الغزاة المحتلين فيبنون الجامعات والمدارس ، ويضعون المناهج المسمومة التى يريدون ، وينصبون أنفسهم أساتذة ومثقفين .. ويفتحون المشافى التى يعالجون فيها عامة الناس ، ويوزعون الاموال على الفقراء المعدمين .. وكل هذا يقومون به دون أن يسالوا الناس أجرا أو جزاء ، فهم بباطلهم أخذوا أسلوب الانبياء الذى قعد عنه المسلمون اليوم . فافتتن الناس بهم وأقبلوا عليهم مع أن عقيدتهم لا تهضمها الفطرة التى فطر الناس عليها .

ووجد الصليبيون استجابة حتى فى بعض البلاد الاسلامية المتخلفة ، وما ذلك الا لأن الناس يهتمون بالاعمال لا بالاقوال ، وبالجوانب الايجابية لا بالفلسفات النظرية ، ولا نستطيع الا أن نعترف بجهود (المبشرين) الذين هجروا ترف لندن وباريس وعاشوا فى أدغال جنوب شرق آسيا ومجاهل أفريقيا ، وقد يحتم عليهم عملهم أن يسيروا ساعات على الاقدام ، ويعايشوا الوحوش المفترسة والبعوض المؤذى والحيوانات السامة .

يفعلون ذلك كيدا للاسلام ، وخدمة للاستعمار واستجابة لعقيدة هم اعرف الناس بانحرافها وفسادها ، وأجرهم ياخذونه أضعافا مضاعفة عندما يصبح البلد مستعمرة لهم ، يتخذون من ابنائه عبيدا ، ويستحلون خيراته ، ويصبح الكهنة سادة وحكاما ، وتتحول الرحمة التى كانوا يبشرون بها الى ذل وقهر .

عبادة المادة :

أوروبا ــ بقسميها ــ جعلت من المادة الها يعبد . والمادة ــ عندهم ــ اسم براق ياخذ بالالباب ، وتنحنى من أجله الهامات . فللمادة يجتمعون ، وفى سبيلها يفترقون ويتلاحون .
والفرد كالسيد فى دولاب دائم الحركة ، ليس له أن يهدأ .
والخير والنفقة والكرم والبذل والتضحية وايثار الغير ، كلمات مفقودة من قاموسهم ، فلو اعوزت أعرض عنك ابنك وزوجك وأقرب الناس اليك .. ووصل هذا الوباء المدمر ، والخلق المشين ، البلاد الاسلامية وأصيبت بعدواه التى هى أخطر من مرض الجرب أو الطاعون ، وانصرف معظم المسلمين الى هواية جمع المال خوفا من الفقر وخشية الاملاق ، وتلذذا برغبة جمع المال ، فلو ملك أحدهم واديا من ذهب لأصبح يركض طمعا بواد آخر ، واذا ما انقضى عمله راح يبحث عن عمل اضافى ولو كان على حساب راحته وهدوء أعصابه ، وتربية أولاده والقيام على شؤون أهله .
آمال كثيرة من المسلمين لا تتجاوز البيت المريح ، والسيارة الفارهة ، والارائك الوثيرة ، والاثاث الاوروبى الزاهى ، والمال الوفير ، ومن أجل هذا قد نجد المسلم يصلى وعقله مشدود بما باع واشترى ، ينام وهو يفكر بافضل وسيلة تضاعف من ربحه ، يحدثك لكن بجسمه ولسانه ، أما قلبه فهو مع لغة الارقام يسامرها وتسامره .

لقد عقدنا الحياة ، وصار أحدنا لا يهدأ له عيش الا أن يملأ بيته بكل ما يامر به سلاطين الازياء والاثاث فى العواصم الاوروبية ، وكاننا خالدون فى هذه الدنيا .

واجب العلماء والدعاة :

نحن لا نقول لهم : اجلسوا فى صوامع وانقطعوا للعبادة ، فهذا ليس من الاسلام ، وأنكره صلى الله عليه وسلم وقال : (من رغب عن سنتى فليس منى) .

فكل مسلم مطالب بان يكون له عمل ، ولا يجوز له أن يكون عالة على غيره ، وخير الناس من ياكل من عمل يديه .

ومع الاخذ بالاسباب لا بد للدعاة من حقيقتين :

١ ــ أن يؤمنوا بان الله هو الرزاق ، وقد تكفل للناس برزقهم . قال تعالى :

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وأياكم » العنكبوت : ٦٠ .

« إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » الذاريات : ٥٨ .

ومن الشرك بالله أن يعتقد أحد أن باستطاعة البشر أن يحولوا بيننا وبين الرزق ، فاذا ما اغلق ظالم بابا امام مسلم فتح الله له ابوابا من حيث لا يحتسب .

ومن آمن هذا الايمان فعليه أن يقول كلمة الحق دون أن يفكر بما يمكن أن يفعله البشر معه ، حسبه أن الله قد تعهد برزقه ورحم الله من قال :

لو كان فى صخرة فى البحر راسية	صما ململمة ملسا نواحيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت	حتى تؤدى اليها كل ما فيها
او كان بين طباق السبع مسلكها	لسهل الله فى المرقى مراقيها
حتى تنال الذى فى اللوح خط لها	ان لم تنله والا سوف ياتيها

٢ ــ اننا خلقنا لعبادة الله ، وهذه مهمتنا فى الحياة ، ودون هذه المهمة الوظائف والمال والدنيا باسرها .

وبين أيدى العلماء سبيل الانبياء فى الدعوة الى الله والزهد فى الدنيا فلا يعدلوا به سبيلا . فما كان موسى عليه السلام يزاحم قارون ترفه وغناه ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة فى بذله وكرمه .

اذا كان آمال الناس فى شهوات الدنيا فنحن نطمع فى جنان الخلد فى انهارها ونعيمها .. وقربنا من الانبياء والصالحين .. نحن نتشوق أن نكون ــ ان شاء الله ــ من أصحاب الوجوه الناضرة التى تتمتع بنعمة النظر الى الله جل وعلا ويوم يتجلى على عباده المؤمنين .

والسبيل الى ذلك اليوم العظيم أن نكتفى بالقليل ، ونتجشم الصعاب ، ونجوب الفيافى والقفار مبلغين ومنذرين وننهج سبيل الانبياء الذين كانوا لا يسألون الناس أجرا .. وكل من يفعل ذلك يقدم الدليل على انه صاحب قضية ، جاد فى حملها وتبليغها لا منتفعا يتقاضى أجرا .

ابعدنا الله عن عبادة المادة وسائر انواع الشرك ، وحبب الينا الجنة ، وما يقرب اليها من قول أو عمل ، وحشرنا مع الانبياء والمصلحين انه سميع مجيب .

الدين بين العقل والعاطفة

للاستاذ صلاح الدين عبد المجيد

اذا كانت عقائد بعض الأديان التى هى من أصل سماوى تناقض العقل وتصطدم مع أبسط قواعد المنطق لذلك رفع سدنتها شعارات مثل :
(أطفىء مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى)
و (إننى أومن بذلك لأن ذلك غير معقول)
فالايمان عند هؤلاء شىء تقليدى صرف ومنطقة محرمة لا يحق للعقل الدخول فيها ، وعلى أتباع هاتيك الأديان أن يخلعوا على عتبتها عقولهم أو على الاقل يمنحونها إجازة طالما أرادوا البقاء فى دائرة الايمان !! ..

أقول اذا كانت بعض الأديان هى من هذا القبيل فالاسلام برىء من هذا ، إذ ليس فى عقائده كلها جملتها وتفاصيلها ما يخالف العقل ويصادم المنطق ، فهذا القرآن الكريم وهو كتاب الله الاخير الذى حفظ من التحريف والتبديل ، هاهو ذا بين أيدينا يقف شامخا يتحدى من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس أن يأتوا بآية منه — أو بعض آية — تناقض العقل وتصادم المنطق .

فلا عجب والحالة هذه أن نجد القرآن الكريم يدعو الى استعمال العقل ويرفع من مكانة العقل والعقلاء والعلم والعلماء .

ويكفى للدلالة على ذلك أن نذكر انه قد وردت كلمة « يعقلون » ومشتقاتها فى خمسين آية من القرآن الكريم ، وكلمة « يفقهون » وأخواتها

فى عشرين آية منه ، وكلمة « يتفكرون » وأخواتها فى ثمان عشرة آيــة منه ، وكلمة « أولى الألباب » (أى أولى العقول) فى ست عشرة آيـــة منه .

ولقد ندد القرآن الكريم بالمشركين لتمسكهم بعقائد الآباء تقليدا بلا تفكر ولا تعقل :

(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) البقرة ـ ١٧٠ .

ولا يفوتنا أن نذكر أن مناط التكليف فى الشريعة الاسلامية إنما هو العقل :

قال صلى الله عليه وسلم : (رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتـــى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وفى رواية حتـى يعقل) رواه البخارى وأبو داوود وغيرهما .

ولا بد من الإشارة هنا الى مسالة قد تكون هى السبب فى الخلــط والتخبط عند الكثير من (المثقفين) تلك هى عدم التمييز بين المستحيـــل العقلى والمستغرب العقلى .

وبعبارة أخرى ما يعد تناقضا عقليا وما يستغربه العقل لمخالفتــه للمألوف .

فمن المستحيل العقلى : تعدد الآلهة وأن الواحد يساوى ثلاثــة وأن الجزء أكبر من الكل وأن يكون الكائن إلها وإنسانا فى وقت واحد !! .

والاسلام يتحدى أن يجد البشر ـ ولو اجتمعـوا ـ فى عقـائده مستحيلا عقليا واحدا .

وأما ما يستغربه العقل أو يعجز عن تصوره فيختلف باختلاف البيئة والثقافة والتقدم العلمى ، فما يعد مستغربا عقليا عند الافريقى المتوحش المنعزل عن الدنيا يستسيغه عقل الانسان المتمدن ، وما كان العقل يعجز عن تصوره فى القرون الخوالى حتى عقول العلماء والمفكرين أصبح فـى النصف الثانى من القرن العشرين من الامور المعروفة والمألوفة حتى من قبل طلاب المدارس الابتدائية !! ..

لو قال شخص فى القرون الخوالى : إن الانسان يتكلم بالكلمة فى المشرق يسمعها أهل المغرب وإن الانسان يطأ بقدميه سطح القمر ، وإن أطنان الحديد تحلق فى جو السماء الى غير ذلك مما لا يحصى من عجائب العصر الحديث ، ألا ترى أن من يقول هذا كان يعده أهل عصره من زمرة المجانين المحرومين من نعمة العقل ؟ !

هذه مسالة والمسالة الأخرى : أن العقل البشرى محـــدود ولـــه اختصـــاص معين هـــو النظر فى المحســـوسات والمدركـــات العقلية ، أما أمور الغيب فـــلا يملك العقل البشرى النظر فيهـــا ولا الاجابـــة على كل ما يخطر عنها وحولها من أسئلة إذ هى من اختصاص الوحى أى الخبر الصادق المنزل من عند الله عز وجل .

وإذا تدبرنا طرائق الوصول الى الحقيقة أو العلم أو اليقين لوجدناها تنحصر فى ثلاث :

١ ـــ طريق الخبر اليقينى الصادق الذى لا يشوبه احتمال الاختلاق أو الكذب .

٢ ـــ طريق التجربة والحس والمشاهدة .

٣ ـــ طريق العقل الذى يستفيد من المعلومات من الاستقراء والاستنتاج وبناء النتائج على المقدمات .

وحصر طريق المعرفة باحدى هذه الطرق دون سواها حمق وجهل تماما كالذى لديه ثلاث منافذ يدخل اليه منها النور ويتطلع منها الى الخارج فيغلق اثنتين ويبقى واحدة !! ..

وقد نص القرآن الكريم على الطرق الثلاث هذه :

« ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئـــك كان عنه مسؤولا » . الاسراء ـــ ٣٦ .

و (السمع) الخبر الصـــادق و (البصر) التجربـــة والحس ، و (الفؤاد) الاستنتاج العقلى .

وهناك فريق من الناس لا يؤمنون إلا بالمحسوس الملمـــوس ولا يعترفون إلا بما يدركونه باحدى حواسهم الخمس :

فهؤلاء لاشان لنا بهم إلا أننا نشفق عليهم ونرثى لحالهم لأنهم سدوا على أنفسهم منافذ واسعة من منافذ المعرفة وحصروا أنفسهم ضمـــن جدران صلدة من المادية الصماء وبذلك ارتضوا لأنفسهم منزلة هى دون المنزلة التى رفع الله بنى آدم اليها .. الى منزلة الانعام والبهائم تلـــك المخلوقات السائمة التى لا تعرف ولا تعترف الا بالمحسوس الملموس ولا تدرك الا ما يقع ضمن نطاق احدى حواسها الخمس ! ..

وقد كان (للحاسة الدينية) فضل الانقاذ الاول من هذه الجهالـــة الحيوانية لانها جعلت عالم الخفاء مستقر وجود .

ولم تتركه مستقر فناء فى الاخلاد والاوهام . فتعلم الانسان أن يؤمن بوجود شىء لا يراه ولا يلمسه بيديه . وكان هذا (فتحا علميا) على نحـــو

من الانحاء ، ولم ينحصر أمره فى عالم التدين والاعتقاد ، لانه وسع آفاق الوجود وفتح البصيرة للبحث عنه فى عالم غير عالم المحسوسات والملموسات ، ولو ظل الانسان ينكر كل شىء لا يحسه لما خسر بذلك الديانات وحدها بل خسر معها العلوم والمعاوف وقيم الآداب والاخلاق .

ويجىء الماديون فى الزمن الاخير فيحسبون أنهم جماعة تقدم وإصلاح للعقول وتقويم لمبادىء التفكير ، والواقع انهم فى انكارهم كل ما عدا المادة يرجعون القهقرى الى أغرق العصور فى القدم ليقولوا للناس مرة أخرى إن الموجود هو المحسوس ، وإن المعدوم فى الانظار والاسماع معدوم كذلك فى ظاهر الوجود وخافيه ، وكل ما بينهم وبين همج البداءة من الفرق فى هذا الخطا ، ان حسهم الحديث يلبس النظارة على عينيه ويضع المسماع على اذنيه ..

والآن وقد وصلنا الى هذا الحد وعرفنا كيف يحتضن الاسلام العقل المبرأ من الهوى ويضعه فى المكان اللائق به ، نعود الى الشق الثانى من هذا الموضوع وأعنى به (العاطفة) ، فهل يفهم من كل ما سبق

ان الاسلام دين عقلى محض ليس للعاطفة فيه مكان او نصيب ؟

واذا كان ما مضى من سطور قد أوضح ما بين الاسلام والعقل من تجانس وتآلف فان هذا لا يعنى أن الاسلام يجافى العاطفة الصادقة والشعور الجياش المنبعث من قلب سليم .

ذلك أن الايمان الدينى يختلف اختلافا جوهريا عن الايمان بالقضايا العلمية المجردة :

انك تؤمن مثلا بان الارض تدور حول الشمس ، وأن المواد تتمدد بالحرارة وأن الاشياء تسقط بفعل الجاذبية الارضية الى غير ذلك من الامور العلمية والقضايا المنطقية ، ولكن هذا الايمان العقلى البارد لا يحرك عواطفك ولا يثير مشاعرك ومن ثم لا يقدم ولا يؤخر فى ميزان الايمان الدينى !! ....

إن الايمان الدينى هو التصديق القلبى لا الاقتناع العقلى فقط ، والتصديق القلبى هو الذى يثير أشرف العواطف وأنبلها ويدفع الجوارح الى العمل بمقتضى الايمان .

وليس بخاف الارتباط الوثيق بين الايمان والعمل .. العقيدة والسلوك فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

إن الاسلام لا يرضى من المرء أن يصدق بعقائده وأحكامه تصديقا

نظريا مجردا بل يريد منه أن يثبت ايمانه هذا عمليا بان يلتزم بهذه الاحكام التزاما تاما ظاهرا وباطنا .

إن الاسلام يطلب من أتباعه ليكونوا مؤمنين بحق أن تتوفر فيهم أربعة عناصر رئيسية :

١ ـ الحب : حب الله ورسوله وحب الرسالة وحب اخوانه المؤمنين السابقين والمعاصرين واللاحقين ، وبالمقابل كره اعداء الله والرسالة والرسول ..

٢ ـ الطاعة والالتزام : طاعة الله والرسول والالتزام باحكام الاسلام بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

٣ ـ البذل والتضحية : بذل ما يطلبه الاسلام من جهد ومال عن طواعية وطيب نفس ، والتضحية بالنفس والنفيس من أجل اعلاء كلمة الله ورفع شان رسالته .

٤ ـ الاخلاص : بان يقصر الباعث على العمل على مرضاة الله عز وجل وينقى القلب من شوائب الرياء .

هذه العناصر الاربعة ثمار يانعة للتصديق القلبى أو للعاطفة الصادقة ، وأنى للتصديق العقلى النظرى المجرد أن يثمر مثل هذه الثمار ؟ اننا ان تطلبنا ذلك منه كنا كمن يتطلب من الماء جذوة نار !!

إن الحب والحنان والخوف والرجاء والندم والتوكل والتواضع والعفة والقناعة ، كل هذه وأخرى غيرها (عواطف) نبيلة لا يقوم الدين بدونها .

والاسلام لا ينظر بعين الرضى الى صنفين من الناس : صنف يملك عاطفة حارة وشعورا جياشا ولكنه قليل البضاعة من العلم ، بينه وبين العقل والمنطق عداء مستحكم !! ..

وصنف ثان : قد نمت ملكة التفكير عنده وتبحر فى العلوم وحسن عقله ولكنه مع هذا قاسى القلب بارد العاطفة .

إن الاسلام يريد للمسلم أن يجمع بين العقل والعاطفة .. بين العلم والعمل ..

وإنك واجد (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فى آيات كثيرة من الذكر الحكيم ، كما ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان المثل الحى لهذه الثنائية أو لهذا الجمع بين العقل الحصيف والقلب السليم .

وقد شبه بعضهم الانسان بعربة يجرها جوادان هما العاطفة والغريزة والسائق هو العقل ، ونضيف هنا أن العقل ليس بالسائق الحاذق دائما فقد يضل أو يضل فلا بد له من الوحى الإلهى هاديا ومرشدا .

درس في العدالة يلقيه

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نهاية حياته ، وفى مرض وفاته فقال : .. « من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليستقد منه ، لا يقولن رجل إنى أخشى الشحناء من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شانى ، ألا وإن أحبكم الى من أخذ حقا كان له أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس .

فقام إليه رجل فقال — يا رسول الله إن لى عندك ثلاثة دراهم . قال: اما إنا لا نكذب قائلا ولا نستحلفه فيم صارت لك عندى ؟ قال : تذكر يوم مر بك مسكين فامرتنى أن ادفعها إليه ، فقال : ادفعها اليه يا فضل » . رواه ابو يعلى والطبرانى .

درس عملى ألقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فى مرض وفاته ونهاية حياته ، وأقرب الذكريات الى النفس والصقها بالذهن واعمقها أثرا فى القلب ما كان فى هذه الساعات الفاصلة ، واللحظات التاريخية العصيبة .

درس رسم فيه عليه الصلاة والسلام الخطوط الاساسية لتكوين مجتمع مثالى ، ووضع فيه الحجر

النبي محمد صلى الله عليه وسلم

للأستاذ : محمود عبد الوهاب فايد

الأساسى لبناء دولــة تعيش فــى مأمن من القلق والاضطراب .

وهل يقوم هذا المجتمع المثالــى إلا إذا حاسب كل انسان نفســه ، وعرف قدره ، وأحس بمسئوليته ، وراقب الله فى أعماله وأحب للناس ما يحبه لنفسه ، وكره لهم ما يكرهه لها . وهكذا ابان عليه الصـــلاة والسلام فى صراحة لا تدع مجـــالا للريب مدى خشيته لله ، وهو الذى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومدى ما ينطوى عليه قلبــه مـــن احساس بالمسئولية ، وتقدير للتبعية ونفور من الظلم ، وشعور بالمساواة، وإن يكن هو رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم الذى يتبوأ مكانا عليا فى كل نفس ، ويحتل منزلة سامية لدى كل شخص ، ويتمتع بمركز دينـــى ودرجة من الحب يرتفع تبعها الايمان أو يسقط ، ويعلو حسبها أو يهبط .

بنفسى أنت يا رسول الله لقـــد أنصفت الناس من نفسك حتى فـى مرض وفاتك ، فسويت بين ظهرهم وظهرك ، وما لهم ومالك ، وعرضهم وعرضك وجعلت أحبهم اليك من أخذ حقا كان له أو حللك ، فلقيت الله وأنت طيب النفس . ليس لأحد عندك مسألة ولا لإنسان عليك مقالة.بنفسى أنت يا رسول الله لم تجعل نفســك فوق القانون تسأل الناس ولا تسأل ، وتحاسبهم ولا تحاسب ، وتحاكمهم ولا تحاكم ، وتؤاخذهم ولا تؤاخذ ،

ولكن كشفت عن استعدادك النفسى لتطبيق هذا القانون على نفسك كما تطبقه على غيرك ، ففرضت بهذا على الناس جميعا وإن اختلفت درجاتهم تقديس هذه المثل ، وصون هذه المبادىء عن أن يعبث بها إنسان مهما علت نفسه ، أو سمت مكانته ، وهل هناك نفس تتطاول الى نفسك ، أو مكانة ترتفع الى مكانتك ؟! بنفسى هذا الرسول العظيم ، لم يغره مركزه عند الله وعند الناس ، فوضع نفسه مع سائر عباد الله جنبا الى جنب يسرى إليه ما يسرى إليهم ، وينفذ عليه ما ينفذ عليهم ، وبهذا قضى على الامتيازات ، وسوى بين الطبقات ، وبهذا أعلى شعاره الذى ظل يردده فى كثير من المناسبات « لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على احمر ، إلا بالتقوى » .

ايها القارىء الكريم .

ما اعظم هذا الحديث وما ابدع ما اشتمل عليه من المعانى والعظات ، وما أروع ما ينم عنه من الصور الخلابة التى تكشف القناع عن نفسية هذا الرسول الكريم ، وتدل على عظمته الخلقية التى صارت مضرب الأمثال ، قف معى — ايها القارىء — وقفة تامل واستبصار وتدبر واعتبار ، وزن هذا الحديث النبوى بميزان عقلك ، وقدره بمعيار فكرك ، واستطلع منه عظمة هذا الدين الذى دعا اليه الرسول العظيم ، وانظر كيف يتمشى مع الفطرة ، ويتدرج مع طبائع الإنسان فيبيح للناس أن ينتصفوا لأنفسهم ، وياخذوا بحقوقهم ، ومقام الرسالة وهو أعظم مقام لا يمكن أن يكون حائلا دون القود ، أو مانعا من القصاص .

وهل يعقل أن تكون الرسالة مشجعة على انتهاك المحارم ، وهى حصانة لصاحبها ، ووقاية له من المآثم ، وهل يجوز ان تبيح لصاحبها موارد الندامة وهى تحث الناس على ان يستقيموا تمام الاستقامة ؟ لا ، إن مقام الرسالة مدعاة الى تزكية النفس ، وطهارة القلب ، ويقظة الضمير ، فلا يمكن ان يسمح بالاعتداء ، وإن أمكن أن يقع عن غير قصد وبحسن نية فهو يضع صاحب الرسالة من الناس جنبا الى جنب ويهيئه لتقبل القصاص حتى ترضى عنه النفوس ، وتميل اليه القلوب ، فلا تتسرب إليها بوادر الاشمئزاز ، ولا تسرى إليها بواعث الكراهية ، ما اجمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شانى ، ألا وإن احبكم إلىّ من اخذ حقا كان له أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس » .

ارايت ايها القارىء الكريم كيف يشجع الرسول من حوله من الناس على ان يقتصوا منه إن بدرت منه إساءة .

ارايت كيف يطمئنهم على ان الاقتصاص لن يترك فى نفسه اثرا

من عداوة ، ولا من بغض ، بل هو على العكس سيرسم فى قلبه معالم المحبة ، ويثبت في فؤاده دعائم المودة ، والرسول معصوم من النفاق لا يظهر خلاف ما يبطن ولا يبدى عكس ما يخفى .

وتامل معى أيها القارىء وانظر كيف جارى الرسول الطبائع الإنسانية وطمان النفوس البشرية فقدم من اخذ حقا كان له ، على من حلله فلقى الله وهو طيب النفس ، إذعانا لمقتضى الغرائز ، ومبالغة فى تطمين من تهوى نفسه القصاص حتى يستوفى حقه ويبلغ اربه ، غير خائف ولا هياب واثقا من محبة رسول الله، مطمئنا الى رضاه .

وهذا من اوضح الأدلة على أن هدف الإسلام هو ترضية النفوس ، وتوفير الطمأنينة بين الأفراد ، واشاعة المحبة بين الناس ، ولن يكون ذلك حتى يستقر العدل وتتوطد دعائمه ، وترسخ أركانه وتتاصل قواعده .

واخيرا فانظر الى اثر هذه الخطبة فى نفوس الحاضرين .

لقد شجعت رجلا على ان يطالب بحقه فى ثلاثة دراهم ابت نفسه إلا ان ياخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تؤثر أن تحلله منها ، وتسامحه فيها ، على الرغم من انه عليه الصلاة والسلام لم ياخذها لنفسه ، وإنما اقترضها منه ليدفع بها غائلة محتاج ، ويمسك بها رمق مسكين ، وعلى الرغم من ضآلة هذا القدر ، وتفاهة هذا الدين ، ولكنها النفوس البشرية ، والطبائع الانسانية تميل الى الأخذ بحقها أكثر مما تميل الى التجاوز او المسامحة . فلا عجب إذا رفع هذا الرجل صوته امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه رضى الله عنهم دون نظر الى مقامه عليه الصلاة والسلام، وإلى فضله عليه وعلى الأمة جمعاء ، وإلى مرضه الذى يرقق القلوب ويستدر حنان النفوس ، ويستوجب العفو والمسامحة .

وهل يحول هذا كله دون المقاصة واسترداد الحقوق ؟ اللهم لا .

فالإسلام ونبى الاسلام كلاهما يعلن فى صراحة لا تدع مجالا للريب بان الناس سواسية امام احكام الله ، لا يتمايز بعضهم عن بعض ، ولا يزال حديثه عليه الصلاة والسلام يرن فى الآذان حين قال لحبه أسامة وقد استشفع فى المخزومية بعد أن ثبتت عليها السرقة ، قال : « يا اسامة اتشفع فى حد من حدود الله ، ثم قام فخطب فقال : إنما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

بنفسى انت يا رسول الله . لقد خرجت من الدنيا ولم يسامحك احد

اصحابك الذين انقذتهم من النار فى ثلاثة دراهم اقترضتها لتعين بها على محن الحياة ، وتدفع بهـا غائلـة مسكين ، بل خرجت من الدنيا ودرعك مرهونة ليهودى مقابل طعام تتبلغ به وانت الذى لو شـئت لجمع لـك اصحابك بل اعداؤك ما تصير بـه اغناهم بل لصير الله لك بطحاء مكة ذهبا .

بنفسى أنت يا رسول الله لقـد خرجت من الدنيا ولم يعرف عنك انك حابيت قريبا ، أو جاملت صهـرا او حبيبا على حساب المسلمين ، وهذه فاطمة ابنتك الوحيدة جاءتك وقـد اثرت الرحى فى يدها تطلب خادمـا من الأسرى يكفيها مشقة العمل فقلت لها مقالتك الخالدة : ((واللـه لا اعطيكم وادع اهل الصفـة تطوى بطونهم من الجوع ، لا اجد ما انفق عليهم ، ولكن ابيعهم وانفق عليهـم اثمانهم)) .

ايها القارىء الكريم .

نعود بك الى بقية الحديث لنلتمس منه العبرة ، ونقتبس العظة فقد ابى عليه الصلاة والسلام ان يدفع لـه بمجرد الدعـوى ، ولكنه طلـب أن يذكره ، ونفى عـن نفسـه ان يظن بمسلم سوءا (اما إنا لا نكذب قائلا ولا نستحلفه) ، واكتفى منه بمجرد التذكير ، وفى هذا توجيه للمسلمين إلى أن يتثبتوا ويتحروا فى دعـاوى الخصوم مع الأدب وحسن المظنة ، فالمسلم كيس فطن ، وليس مـن الفطانة ان يجـارى الإنسـان خصومه إن حقا وإن باطلا فهذا يسىء احيانا الى السمعة ، ويوحى بقبـح المقالة .

كما حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يعلن أنه لا يظن بمسلم سوءا كما حرص علىأن يكشف الرجل سر هذا الدين ليقف الصحابة علـى جلية الأمر ، ولئلا يهلك احد منهـم بسوء الظن ، فلما اجاب الرجـل ، وعرف الصحابة أنه اخذها بطريـق مشروع ولفرض سام ، ان يدفع بها غائلة محتاج ، أصدر الرسول على الفور أمره الى ابن عمه الفضـل بسدادها له ودفعها اليه .

لم يتالم الرسول صلى الله عليـه وسلم من طلب غريمه ولم يتضجر ، ولم يماطله ولم يتاخر ، بل امر بقضائه فى الحال ، ليقابل الله طيب النفس مستريح الضمير .

انظر الى المختار قبـل وفاتـه
يرسى الأساس ليستقر بنـاء
ويقول من آذيتهـم فلياخـذوا
منى حقوقهـم إذا ما شـاءوا
كشف الرسول لنا عن استعداده
ليقـاد منـه إن بـدا إيـذاء
وهو الذى قد ظل طول حياتـه
يؤذى ويدعـو للذيـن اساءوا
هـو رحمـة للعالمين فـلا اذى
منـه ولا عنـت ولا ضـراء
اعظم بـه مثلا يرينا اننـا
والمصطفى عنـد القضاء سـواء
اعظم بـه مثلا يصـون حقوقنـا
طرا فلا يغتالهـا رؤسـاء .

شريعة الله هي العليا

٢

للأستاذ على محمد جريشه

ثبات شريعة الله ميزة ضخمة عجزت عنها كل التشريعات .. والا فأين قانون الرومان الذى عاشت عليه أوروبا مئات السنين ؟

ان البشر اليوم يعانى فيما يعانى من قلق كثرة التشريعات واختلاطها وتغيرها السريع ومفاجآتها غير السارة مما يهز كثيرا من طمأنينتهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا أيا كانت دعوى التطور والمدنية ، ان الناس بحاجة الى الأمن والسكينة والطمأنينة .. لا يغنى عنها شعارات ترتفع هنا أو هناك ، وأمن الناس وسكينتهم وطمأنينتهم لا يتحقق بغير ثبات ، ولا ثبات فى غير شرع الله .

ومع الثبات مرونة .. تلحظها من النصوص التى تضع المبادىء دون الخوض فى التفاصيل تاركة هذه التفاصيل لاجتهاد البشر حسب اختلاف الزمان والمكان ... وتلحظها كذلك من النصوص الظنية الدلالة التى تحتمل أكثر من تأويل يجتهد فيها المجتهد تبعا للظروف والملابسات قاصدا وجه الحق محققا مصلحة المسلمين .

ورعاية مصالح العباد من مقاصد الشارع الحكيم ، فان المشقة والعسر ليست هدفا للشارع الحكيم « **لا يكلف**

الله نفسا الا وسعها » سورة البقرة، وان اليسر ودفع الحرج بعض اهداف الشارع الحكيم **« يريد الله بكم اليسر »** سورة البقرة ، **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »** سورة الحج ، « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » رواه البخارى ومسلم واحمد والنسائى . وقد كان دفع الحرج هدفا للشارع الحكيم لسببين :

اولهما : ما يؤدى اليه اعنات النفس والضغط عليها من انقطاع من الطريق ، او تفلت وارتداد الى النقيض ! **« واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم »** .

وثانيهما : ما يؤدى اليه اغراق النفس فى جانب من انشغالها عن بقية الجوانب .. ومن هنا كان الانحراف ذات اليمين أو ذات الشمال افراطا وتفريطا .. والله لا يحب المسرفين كما لا يحب الفاسقين .

ثالث هذه الاسباب أن شريعة الله هى شريعة العدل .

فهى صدق فيما أخبرت عدل فيما حكمت **« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته »** وكما قامت شريعة الله على العدل ، فلقد أمر منزلها باقامتها بين الناس بالعدل **« واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »** سورة النساء .

والعدل فى شريعة الله لا تحيف به عداوة ، ولا تميل به قرابة ..

الاولى **« ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا »** سورة المائدة ، والثانية **« كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والأقربين »** سورة النساء ،

وإذ أوجب العدل فقد حرم الظلم ، وبلغ فى حربه للظلم مبلغا لم يصله من قبل ولا من بعد نظام . قال الله تعالى فى الحديث القدسى : « انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم .

وأول الظلم فى شرع الله الشرك ، ومن أشرك شرع ما لم يأذن به الله .

واذ نزلت شريعة الله بالعدل ، وقامت بين الناس على العدل .. فانه لا يتصور عدل فى غيبة شريعة الله ، كما قال بعض الكذابين شريعة العدل شريعة الله وهم يحكمون بما شرعوا من باطل وطغيان .

ورابع هذه الاسباب شمول شريعة الله .

شمولا يتخطى المكان لتكون خطابا للعالمين كل العالمين ، للناس كل الناس **« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »** سورة الأنبياء ، **« وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »** سورة سبأ ٢٨ ، ولقد عاشت دولة الاسلام تحقق «العالمية» حقا وواقعا من قبل أن ينادى بها المفكرون نظرية وخيالا .

كذلك تخطت بالشمول قيود الزمان لتكون خطابا أبديا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، واين من يجرؤ أن يقول إن قانونا يمكن أن يعيش

حتى تقوم الساعة ! وبرغم كل شىء فلا يزال خطابها قائما ملزما رغم تنحيتها عن التطبيق فى اكثر الميادين واكبر الميادين .

وبالشمول تخطت كذلك تدسود المناصب واعتبارات الأشخاص .. لتطبق على الجميع بغير تفرقة وليمثل الحاكم مع المحكوم أمام القضاء على قدم المساواة ، وليقننها أحد الخلفاء بقوله : « وآسى بين الناس فى نظرتك ومجلسك » ولا يزال العالم حتى الآن لا يعرف هذا المستوى الرفيع « وآسى بين الناس فى نظرتك » .

وخامس الأسباب وسطيتها بين اسراف وتقصير ، بين افراط وتفريط.

فانه بين هذه يكون الوسط الأمثل صراط الله المستقيم ، كما كان من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين **« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »** سورة الأنعام ، **« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »** سورة البقرة .

وآخرها جزاء أوفى وأروع فى الدنيا وفى الآخرة .

لا نمنى الناس بالآخرة ونتركهم فى دنياهم يهلكون ويشقون ، ولا نتركهم لدنياهم دون آخرتهم فيهلكون فعلا ويشقون .

وان الجزاء بوجهيه ثوابا وعقابا يقوم فى شرع الله .

يبدأ من داخل النفس الى المجتمع ثم الى من لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما .

والعقاب توقعه الدولة المسلمة فى حدود ما أمر به الله أو ما أذن الله ، فقد أمر بحدود وقصاص ، وأذن فى تعازير وترك لولى الامر المسلم فيها سلطة واسعة .

تلك بعض خصائص شريعة الله.. بان منها لم استحقت أن تكون .. هى العليا وهى من قبل لها هذا الحق .. لأنها من عند ربى الأعلى .

من منطق الفطرة :

لو ان جزءا منجسم انسان نزع.. اتبقى فيه حياة .. اتبقى له خصائصه الأصيلة ؟ لو ان فرعا قطع من شجرة .. وبقى بعيدا عن أصله .. اتبقى فيه حياة .. أتبقى له نضرته وخضرته .. أم يذوى ويذبل ويجف ؟

من منطق التاريخ :

ماذا حدث لشريعة الله ..؟ هل نحيت دفعة واحدة ..؟ أم قطعت إربا ..؟

ماذا حدث لأمة الاسلام ..؟ هل حوربت كتلة واحدة ..؟ أم قطعت فى الأرض أمما ..؟

ماذا حدث عند أول محنة لشريعة الله .. حين أراد التتار تجزئتها ..؟ وخلط جزء منها بجزء من شرائعهم التى وضعها ملكهم جنكيزخان ... وسموها « الياسق » ..

اجتمع علماء المسلمين ، وهم يومئذ

غير علماء اليوم ، واجمعوا على رفض « الميثاق » الذى تقدم به جنكيزخان . . وأفتوا بكفر من اطاعه . .

ماذا كان من التتار بعد ذلك حين استمسك المسلمون بالحق الذى هم عليه . . ؟

آمن التتار ودخلوا فى الاسلام . .

من منطق الوحى :

ـ سمى الوحى تجزئة شريعة الله فتنة وكفرا .

« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك » سورة المائدة .

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » سورة الأنفال .

« افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ..؟ » سورة آل عمران .

ولقد نعلم أن رفض الدين كله فتنة **« وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله ، والفتنة اكبر من القتل »** سورة البقرة .

لكن وصف الكل يتنزل على البعض . . .

بل قد يكون فى رفض البعض فتنة أشد من رفض الكل . .

ان رفض الكل ينبه الغافلين ويوقظ النائمين . . أما رفض البعض أو سلخ البعض فقد يتم فى غفلة الغافلين ونوم النائمين . . يغطون فى الأحلام السعيدة ، وعرى الاسلام تنقض عروة عروة أولها الحكم وآخرها الصلاة . . تماما كما يسرق بيت قطعة قطعة واهله نائمون أو يهدم طوبة طوبة وأصحابه غافلون . .

ـ وسماها الوحى جاهلية .

« افحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » سورة المائدة .

والجاهلية تبدأ من المخالفة الصغيرة وتنتهى عند الكفر والشرك ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه انك امرؤ فيك جاهلية ، ووصف بها القرآن قوما خرجوا على شرع الله بسلوكهم أو بعقائدهم . . فكل ما خرج على شرع الله فهو جاهلية ضاق الخروج أو اتسع .

ـ وسماها الوحى مضادة لله فى حكمه .

فقد ورد فى الحديث من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى حكمه . . رواه أبو داود وعلق عليها ابن تيمية بقوله : فكيف بمن منع الحدود بقدرته ويده ؟ ونجيب أيضا من كتاب الله وعيدا رهيبا **« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله »** سورة البقرة . ومن يطيق حرب الله ورسوله ؟

ومن اجل ماذا ؟

لأنهم لم يتركوا ما بقى من الربى .

فكيف بمن لم يتركوا مع الربا . . الزنا . . والخمر . . والميسر . .

والصد عن سبيل الله والاستهزاء بالله ورســوله وآياته ، واخــراج المؤمنين ، وتعذيبهم ثم افساد المجتمع ومنع اقامة الحدود ، والحيلولة دون قيام شريعة الله فى مجال العقيــدة ، والأخلاق ، والمعاملات ، والعبادات .

كيف بمن فعلوا ذلك .. وأكثر من ذلك ..

وأى حرب من الله لهم تكون ..؟

وانى لهم أن يطيقوا حربا من الله كتلك التى شنها من قبل على أصحاب الفيــل .. أو على عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط ..

« جعلنا عاليها سافلها وأمطــرنا عليها حجــارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيــد » سورة هود .

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عــذاب أليم » سورة النور .

« ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين » سورة المجادلة .

وبعــد ،،،

فلعلنا أجبنا على الســؤال الذى طرحناه فى بداية هذه المقالات .. حين تساءلنا عن القيمة الشرعية على أن الشريعة أو مبادئها أو فقهها مصدر رئيسى ... أجبنا حين قلنا .. ان لله الشرع ابتداء ، وان شريعته هى العليا وانها لا تقبل التجزئة .

ومقتضى ذلك الا يكون معها شريعة اخرى .. والا جعلنا مع الله آلهــة اخرى أو أربابا متفرقين ..

ومقتضى ذلك أن تكون هى المصدر الرئيسى .. لا مجرد مصدر رئيسى ، وأن يكون ذلك فى التوجيه والتشريع .. فى مجال العقيدة ، والاخلاق ، والشعائر ، والمعاملات فهى شــاملة لكل ذلك ، غير قابلة للتجــزئة على ركن دون ركن ...

واللــه يقول الحق وهو يهــدى الســبيل .



مع الكتاب الاسلامي في الكويت





أول معرض يقام في العالم للكتاب الاسلامي

أشرطة التسجيل تأخذ ركناً هاماً من المعرض

طبعات فاخرة من المصحف الشريف بجميع الأحجام

المرأة المسلمة تقبل على المعرض بأعداد متزايدة !

إعــداد : عبد الستار محمد فيض
تصــوير : مجلة الوعى الاسلامى

كان مظهرا رائعا أن نرى بين بهجة الاحتفالات بالعيد الوطنى الرابع عشر لدولة الكويت « أول معرض للكتــاب الاسلامى » .. وعلى الصفحات المقبلة سنلتقى مع القارىء الكريم فى جــولة سريعة بين أجنحة المعرض بالصــورة والكلمة ..

مع الكتاب الاسلامي في الكويت



● افتتح المعرض بتلاوة من آى الذكر الحكيم .



اقامة المعارض عامة ضرورة تحتمها حاجتنا الى التعرف على مختلف نواحى الابتكارات البشرية ، واقامة معارض الكتب خاصة ضرورة يحتمها التعريف بمظاهر النهضة الفكرية فى كافة الميادين المحلية والدولية ، وايجاد نوع من التعارف بين مختلف الشعوب بواسطة الصورة والكلمة المطبوعة والمكتوبة ..

ان نجاح اى معرض يتوقف على المادة المعروضة ، ومكان عرضها وطريقة توزيعها على أساس الموضوع المشترك ، أو على أساس مجموعات يخدم بعضها البعض الآخر .

كما يتوقف نجاح اى معرض على الذوق الذى يتمتع به من يعهد اليه باعداد المعرض ..

ونقاط النجاح هذه قد تكاملت كلها فى معرض الكتاب الاسلامى الذى افتتح فى الكويت بمناسبة احتفالات الدولة بعيدها الوطنى الرابع عشر .

يوم الافتتاح ..

كان يوم السبت الحادى عشر من شهر صفر عام ١٣٩٥ هـ الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٧٥ م . يوما فريدا فى تاريخ المعارض . فقد افتتح فى الساعة الرابعة والنصف من مساء ذلك اليوم أول معرض من نوعه فى العالم للكتاب الاسلامى .. الذى اقيم فى



● سعادة وزير التربية السيد جاسم خالد المرزوق يقص شريط الافتتاح ومعه الشيخ عبد الله الجابر الصباح مستشار سمو الامير والسيد عبد الله المفرج وزير العدل والاوقاف والشئون الاسلامية .

◀ كلمة الافتتاح يلقيها السيد يوسف الحجى .

قاعة الاحتفالات بجمعية الاصـــلاح الاجتماعى . وحضر الاحتفـــال وزير التربية السيد جاسم خالد المــرزوق والشيخ عبد الله الجابر الصبـــاح المستشار الخاص لسمو أمير البلاد ووزير العدل والأوقاف السيد عبد الله ابراهيم المفرج ، والسيد عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس الوكيل المساعد لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، وعدد من سفراء الدول الاسلامية ، وأعضاء مجلس الامة ، وكبار موظفى الدولة ، وأساتذة جامعة الكويت ، وجمع غفير من الذين لهم صلة بالكتاب الاسلامى والمثقفين .

وبدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، فكلمة القاها السيد يوسف الحجى رئيس الجمعية والمشرف على اقامة المعرض ، بين فيها أســـباب الفكرة ، وأهمية الكتاب الاسلامى ، وعناية الاسلام بالعلم والثقافة ، وقال ضمن كلمته :

« لا يخفى عليكم حاجتنا جميعا الى الكتب الاسلامية الهادفة لنفهم تعاليم ديننا الاسلامى الحنيف ، فطـــلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .. وخيركم من يفقهه الله فى الدين كما ورد فى الأحاديث الشريفة .

ان للكتاب قيمة عظمى فى حضارتنا فالمعجزة التى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت كتابا : (كتاب انزلناه اليك مبـــارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) .

وأول آية بل أول جملة نزلت من هذا الكتاب المبين هى : (اقرأ) وفى الآية الثالثة من نفس السورة يطرد الأمر بالقراءة وتذكر أداة العلم وهـــى القلم : (اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

والسورة الثانية فى ترتيب النزول هى سورة القلم ، ولقد أقسم اللــه تعالى فيها بالقلم فقال : (ن والقلم وما يسطرون) .

معجزتنا الدائمة كتاب .

وأول سورة تامر بالقراءة .

وثانى سورة يقسم الله فيها بالقلم .

وهذه هى مقومات المعرفة وأدواتها .

وفى ضوء هذا التصور تصبـــح علاقة المســـلم بالكتاب علاقة وثقى مستمرة ، فتلاوة القـــرآن الكريم عبادة ، والصلاة ومطالعـــة الكتاب الاسلامى تقدير لقيمة الكلمة ونتـــاج الأقلام .

وعلى الرغم من المحاولات المستمرة لابعاد المسلمين عن دينهم فان الاقبال على الكتاب الاسلامى دليل واضح على فشل تلك المحاولات .. فلا يـــزال الكتاب الاسلامى يتصدر قوائم التوزيع ويظفر من عدد القراء بنسبة عاليـــة متفوقة . » .

وبعد كلمة الافتتاح تقدم وزيـــر التربية السيد جاسم خـــالد المرزوق بقص الشريط الأخضر ايذانا بافتتاح المعرض ، وقام الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، والسيد وزير العـــــدل



● السادة : وزير التربية ووزير العدل والاوقاف والشئون الاسلامية ومدير جامعة الكويت عند بدء الافتتاح .

والأوقاف والشئون الاسلامية ، ووكلاء الوزارة ، وبقية السادة الزوار بالتجول بين أجنحة المعرض المختلفة وأبدوا اعجابهم بالامكانيات المحشودة فى المعرض ، وأهمية الكتاب الاسلامى ، وحسن العرض .

بين اجنحة المعرض ..

ولنأخذ بيد القارىء الكريم ليعيش معنا لحظات ضمن أجنحة المعرض ، فأول ما يشاهده عند دخوله معروضات ومطبوعات جمعية الاصلاح الاجتماعى التى ساهمت منذ سنوات بنشر الكتاب الاسلامى بشتى صوره وأهدافه ، فبلغ مجموع ما وزع منه خلال السنوات الأخيرة قرابة النصف مليون نسخة .

أما جناح وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية فد تقاسمته أقسام ثلاثة :



الاول اختصت به ادارة الشئون الاسلامية ، لعرض مطبوعاتها من التراث الاسلامى ، بجانب مئات الكتب الاسلامية التى تساهم بتوزيعها على مختلف الهيئات والمراكز الاسلامية فى جميع أنحاء العالم .

واختص القسم الثانى بنشاط مكتبة الوزارة ، وفيه عرضت نماذج عديدة من كنوز الكتب الاسلامية التى تنفرد بها المكتبة .

أما القسم الثالث فقد كان لمجلة **(الوعى الاسلامى)** لعرض أعدادها من يوم صدورها منذ عشر سنوات الى آخر عدد منها . كما عرضت



● **خصصت أيام الاثنين والخميس من كل أسبوع موعداً لزيارة السيدات والآنسات لمختلف أجنحة معرض الكتاب الاسلامى .**



● ساحة المعرض بجميع أجنحته وقد غصت بالمدعوين المتشوقين للمعارف الاسلامية يوم الافتتاح .

نماذج من الملاحق والهدايا ، بجانب اللوحات القرآنية الفنية التى اشتهرت بتوزيعها المجلة ، والتقاويم الهجرية بلوحاتها وصورها الاسلامية الفريدة، والتى تصدر سنويـــــا عن الوزارة وتوزع مجانا مع المجلة .

ثم جناح وزارة الاعلام وبه مجموعة كتب التراث ، والمطبوعات المختلفة التى تصدر عن الوزارة .

أما جناح وزارة التربية فقد قـــدم أمهات الكتب الاسلامية ، كما قدمت سبيلا آخر من سبل المعرفـــــة غير القراءة ، وهو التسجيـــــل الصوتى والوسائل الضوئية التى تقوم بدور هام فى نشر الثقافـــــة ، فعرضت مجموعة اشرطة الاجهزة السمعيـــة والبصرية .

وانفردت بعض أجنحة دور النشـــر بعرض أشرطة تسجيل القرآن الكريم بطريقة التعليم ، وتسجيلات لـــكافة ما القى من محاضرات فى المـــواسم الدينية التى تقام فى الكويت كل عام ويستضاف فيها كبار علمــــاء العالم الاسلامى ، وكذلك تسجيلات لمعظم المحاضرات الدينية التى القيت فـــى مقار الهيئات المختلفـــــة ، ودروس الوعظ فى معظم مساجد الكويت .

وتصدرت واجهات بعض الهيئات المشتركة لوحات قرآنية رائعة لكبار الخطاطين ، وصور فوتغرافية ملونة ومختلفة الاحجـــــام للكعبة المشرفة والمسجد النبوى الشريف، كما عرضت بعض دور النشر (دليل القبلة) بثمـــن رمزى .

ولم يقتصر العرض على الكتـــاب الاسلامى المطبوع باللغة العربية ، وانما تصدرت بعض المجموعـــــات كتب اسلامية عديدة بلغات عاليـــــة مختلفة كالانجليزية ، والفرنسيـــة ، والالمانية ..

مع المسئول ..

وخلال تواجدنا داخل قاعة المعرض التقينا بالسيد **يوسف جاسم الحجى** الذى تفضل مشكورا بشرح بعـــض الاستفسارات المتعلقة بالمعرض :

ــ كيف بدأت الفكرة لابراز هـــذا المعرض . ؟

ــ بمناسبة العيد الوطنى لدولـــة الكويت تشكلت لجنة مهمتها الاشراف على الاحتفالات ، وقد وجهت هـــذه اللجنة الدعوة الى جميع الهيئـــــات والجمعيات للاشتراك والمساهمة فى الاحتفالات الشعبية . وعندما جاءنا الكتاب تدارسنا الموضوع ووجدنا أن خيرا ما يمكن أن تقوم به هو اقـــامة (معرض الكتاب الاسلامى) .

ــ ما مدى استجابة الهيئـــــات والأفراد للاشتراك فى المعرض . ؟

ــ بعد دراسة لهـــــذه الفكرة ، وجهنا الدعوة الى وزارات التربيـــة والعدل والاوقاف والشئون الاسلامية والاعلام ، واتصلنا بمكتبة الاتحـــاد الاسلامى العالمى للطلبـــة المسلمين



● السيد عبد الله المفرج وزير العدل والاوقاف والشئون الاسلامية والسيد عبد الرحمن الفارس الوكيل المساعد للوزارة والشيخ عبد الله الجابر الصباح مستشار سمو الامير والسيد جاسم المرزوق وزير التربية يغادرون جناح وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية .

والمكتبات ودور النشر الاسلامية فى الكويت ، فرحبوا بالفكرة وابـــدوا استعدادهم للاشتراك فى المعرض .. كما قررت بعض دور النشر بيع كتبها الاسلامية خلال فترة المعرض بخصم ٢٠٪ .

ـ هل لكم أن توضحوا لنا الهدف من أقامة هذا المعرض . ؟

ـ الهدف من اقامة هذا المعرض هو تعريف الجمهور بالكتاب الاسلامى والجهات المعنية به ، ونشر الكتـــاب الاسلامى وايصاله الى أيدى القراء .

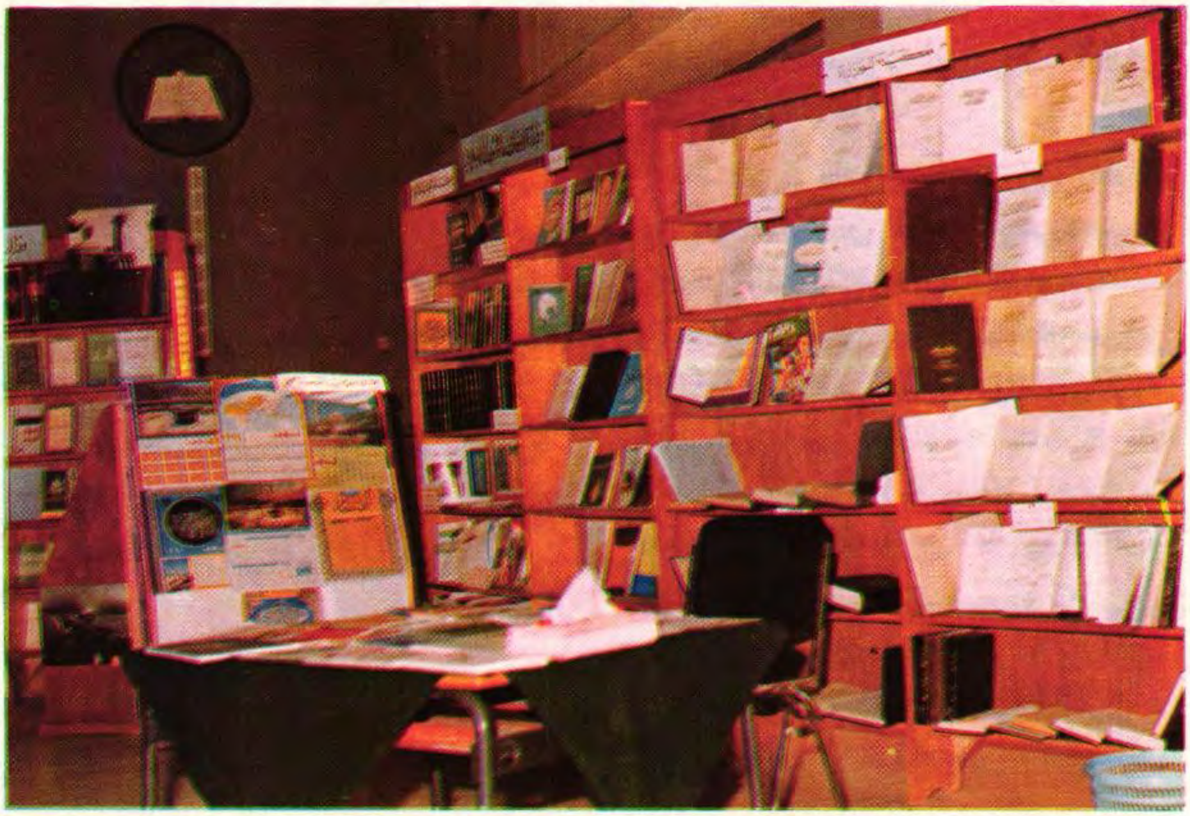
ــ هل ترون أن المعرض سيؤدى الى النتيجة التى رسمت له . ؟

ــ ولله الحمد كان الاقبال على المعرض اقبالا كبيرا فاق كل ما توقعناه ، وتضاعفت الاعداد الزائرة من الرجال والسيدات يوما بعد يوم مما يبشرنا بالوصول الى هدفنا بفضل الله وتوفيقه .

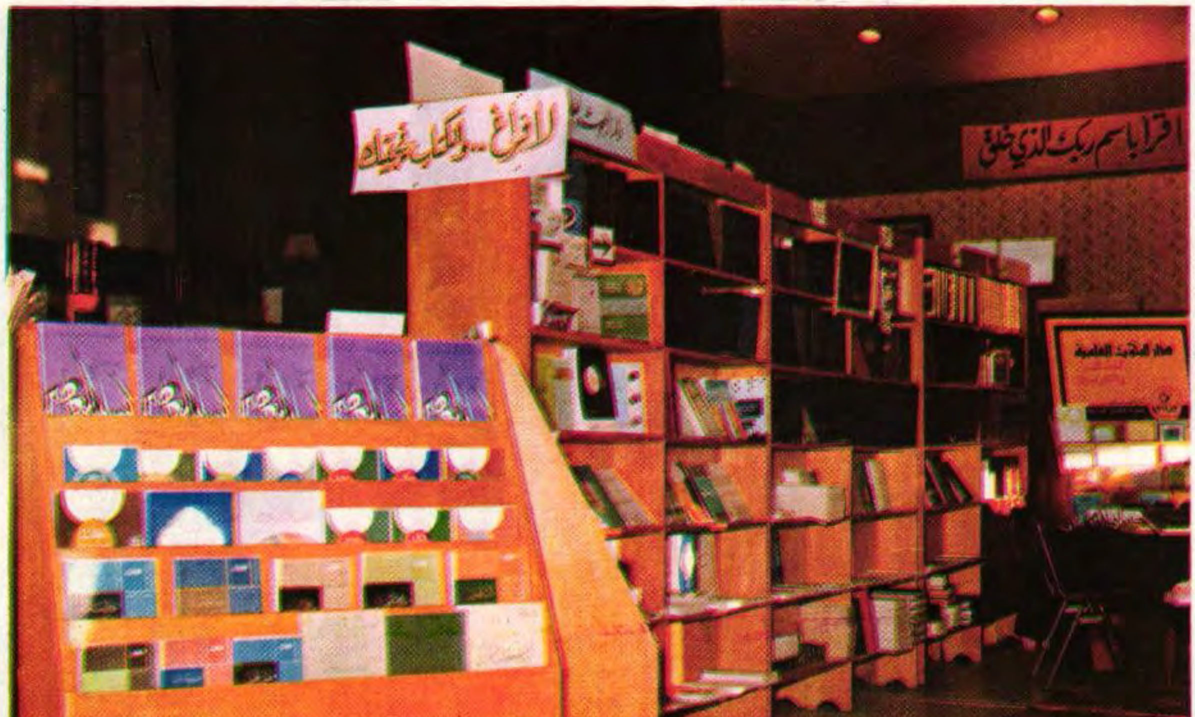
ــ عند نجاح الفكرة ــ ونعتقد انها ناجحة ــ هل ترون أقامة هذا المعرض مرة أخرى خلال هذا العام . أم ستقتصر أقامته سنويا فى نفس الموعد .. ؟



● لوحات قرآنية فريدة وصور فنية رائعة للاماكن المقدسة .. كانت ضمن المعروضات .



● جناح وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية باقسامه الثلاث : ادارة الشئون الاسلامية والمكتبة والمجلة ..



● التنسيق البديع وحسن العرض والتوزيع يبدو واضحا على أحد الاجنحة قبيل الافتتاح .

ـ بعد هذا الاقبال المتزايد فمن الممكن اعادة اقامة المعرض فى أى مكان أو زمان آخر .

ـ هل من الممكن تعميم فكرة (معرض الكتاب الاسلامى) دوليا .. ليتحول المعرض من معرض محلى الى معرض دولى تشترك فيه كافة الدول الاسلامية . ؟

ـ بلا شك ستكون هذه ظاهرة اسلامية طيبة لو اتيح لنا اقامة مثل هذا المعرض الدولى .

انطباعات الزائرين ..

ومع الزائرين الذين امتلأت بهم ساحة العرض كان لقائى مع فضيلة **الشيخ عبد الرازق أحمد عشرة** الذى قال :

« كثيرا ما زرت معارض للكتاب ضمت أشتاتا من الكتب ، وفى جميعها رأيت الكتب الاسلامية القديمة والحديثة ، لكنى عندما دخلت معرض الكتاب الاسلامى ، أحسست أنى أزور المعرض الاول من نوعه تحت هذا العنوان الحبيب (الاسلام) ، وقد سعدت منى النفس والقلب وأنا أرى الطبعات العديدة للمصحف الشريف وعشرات من كتب التفسير ، وأمثالها والسيرة والتاريخ الاسلامى المشرق ، وأعلام المفسرين والمحدثين والمؤرخين

● قاعة المعرض تغص بالزائرين طوال أيام العرض .



القدامى ، الذين تشع أسماؤهم وسجلات جهادهم فى سبيل الاسلام نورا وعلما ومعرفة ، ومئات الكتب الكبيرة والصغيرة ، ألفها علماء العصر فى قضايا الساعة بفكر اسلامى ومنهج ربانى وعشرات الزوار من الاشبال الى الرجال ، يسعون فى ساحات المعرض العظيم كل يشترى ما يراه مناسبا له ويرى نفسه قادرا على الانتفاع به ، لقد كررت زيارتى لمعرض الكتاب الاسلامى لاعيش لحظات مع هذا المشهد العزيز الحبيب وفى كل مرة كان الامل العذب يعمر فؤادى وكنت



أتمنى : لو أن هذا المعرض يتكرر فى أكثر من مكان فى وقت واحد ويستمر أوقاتا أطول ، ولا يرفع الا اذا أعلن المكان والزمان بوضعه الجديد .

وأتمنى : أن يتنازل أصحاب المكتبات ودور النشر جميعا تنازلا فعليا عن بعض أرباحهم لرواد هذه المعارض !!

وأتمنى : أن يتعاون أولوا العلم مع أهل الطباعة فى تجديد شباب تراثنا العظيم من الكتب القديمة التى لا زالت تطبع بالتصوير ، ليرى الناس المضمون العظيم فى ثوب قشيب واخراج بديع وترقيم وتبويب مريح .

وأتمنى : أن تتألف لجان العلماء هنا وهناك لتخليص ذخائر التفسير مما علق بها من الاسرائيليات وما شابهها .

وانى واياكم لعلى يقين من أن الذين سيسهرون على تحقيق هذه الامانى ويضحون من أجلها باصرار واخلاص وعزيمة . سينالون من الله فضلا وأجرا وبركة وثوابا (والله ذو الفضل العظيم) .)) ..

وهكذا .. كانت صورة معرض الكتاب الاسلامى الذى ظلت أبوابه مفتوحة طوال خمسة عشر يوما لم تنقطع عنه قدم زائر بل غصت ممراته بالمتشوقين الى المعرفة والمتطلعين الى الثقافة الاسلامية رجالا ونساء .

للأستاذ : زين العابدين الركابى

هذه زاوية نصطفى فيها ــ فى كل عدد بعون الله ــ معنى او معانى .. نحسبها نافعة .
ونختار فى زاوية هذا العدد معنى فى الحياة الزوجية وهو :

— ٢ —

كيف تدوم المحبة بين الزوجين ؟

لا سبيل الى دوام المحبة بين الزوجين ــ كما جاء فى نهاية الزاوية الماضية ــ الا (بالحب فى الله) تبارك وتعالى ..

بالحب فى الله تصبح كل علاقة بين الزوجين ذات طعم خاص .. ومعنى خاص .. واحساس خاص ..

وبالحب فى الله تمارس كل علاقة بين الزوجين ، فى مستوى متالق من الود المتبادل ، والسمو الكريم ..

وبالحب فى الله تصير رحلة الزوجين فى موكب الحياة صعودا متواصلا نحو رضوان الله ، فى الاهتمام والقربى والشوق الى المعالى .. ورحلة الصعود تشغل الزوجين عن الاهتمام بالسلبيات .. وهذه نقطة مهمة ، فافساح المجال للصغائر تصرف لا يليق بجلال الحياة الزوجية . ولا باهداف الرباط المحترم ..

وتاسيس العلاقة على الحب فى الله ، يطبعها بالدوام والامتداد والنماء . وهذا تصور اسلامى مطرد فى كل شان ، فالدعوة والانفاق والجهاد ــ مثلا ــ مشروطة بان تكون فى سبيل الله ، وذلك لسببين ، الاول : لكى يطرد معنى سمو الغاية فى كل عمل . والثانى : لكى يستمر العمل ولا ينقطع . فالله باق حى قيوم لا تاخذه سنة ولا نوم .

« أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا »

والحياة الزوجية ينبغى أن تعـــاش بكمالها وجمالها فى اشراق هـــذا التصور .

صحيح ان هناك بيوتا يعيش فيها الزوجان ، عيشا يطوقه الملل .. ونمضى الحياة الزوجية وفق (روتين) جاف .. لا تجدد فيه ولا دفء .. ولا طموح .

بينما المبتغى حياة زوجية تنتظم حيوية الاستقرار وحلاوته ومعنى الرقى المستمر .

● والحب فى الله بين الزوجين يكفل استقرار الحياة الزوجية ويمدها بالاستمرار النابض بالود .. المزدهر بالمحبة والمرحمة .

● والحب فى الله بين الزوجين .. يروى الحياة الزوجية بمعنى السعى المشترك نحو الكمال .. نحو رضوان الله ((وان الى ربك المنتهى)) .

● والحب فى الله ليس شطحات روحية غامضة .. وانما هو وعى كامل الارادة ، وعاطفة كاملة النضج ، يقومان على ركيزة راســـــخة من المعرفة الصادقة بتعاليم الاسلام وتصوراته ..

فالزوج المسلم اذا نظر الى امراته ، جالسة امامه او غادية ورائحة فى البيت ، ابتسم من أعماق قلبه .. وفرح بالآية الربانية فى بيته : ((ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) .

وفى سنا هذا التصور الجليل الجميل .. يقوم الزوج نفسه وتصرفاته ويمسك بمعيار يحفه الصواب من جوانبه كافة .

معيار أن (الخيرية) تبدا من البيت . ومن طريقة المعاملة للزوجة . وان الزوج لا خير فيه لأصدقائه فى النادى أو زملائه فى العمل . أو اخوانه فى المسجد اذا جف ينبوع خيره وانقطع عطاؤه عن حليلته .

□ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اكمل المؤمنين احسنهم خلقا وخياركم . خياركم لنسائهم)) .

□ وقال : خيركم . خيركم لأهله . وانا خيركم لأهلى))(١) .

والمراة المسلمة ، اذا احست بقرب عودة زوجها اليها او عرفت طريقـــة ضغطه على زر جرس البيت او رات طلعته ، تالقت بالمحبة والمودة . وارتسم فى ذهنها ونفسها تصور كريم وهو : ان هذا الزوج القادم او المبتسم لها ، انسان يمثل معها وحدة انسانية متماسكة وانها جزء منه ((يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)) .

وبهذه المعرفة ينهض الحب ، وينمو فوق جذور راسخة من الوضـــوح والاقتناع والرحمة والرضى والمحبة والثبات والتجدد واللطف . والتفـــاهم والمشورة والذوق والشفافية .

---

(١) الحديثان رقم ٢٨٤ — ٢٨٥ من سلسلة الاحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الالبانى .

الانسانية
بين فلسفة الحق والقوة

للاستاذ ابو بكر ذكرى

الحق والقوة كظاهرتين اجتماعيتين معروفتان منذ القدم السحيق .. منذ قال « قابيل بن آدم » مدفوعا بظاهرة القوة ، لأخيه « هابيل » : « **لأقتلنك** » . وقال له « هابيل » مدفوعا بظاهرة الحق : « **لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى إليك لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين** » ٢٧ — ٣٠ سورة المائدة — وعن ظاهرتى الحق والقوة وما كان لهما من الآثار الهامة فى تاريخ الانسانية ، عدلا او جورا ، نشأت فلسفة الحق والقوة ، ودار حولهما بحوث ومحاورات وتشريعات دينية وقانونية ملأت فى تاريخ الانسانية كتبا ومجلدات لا تحصيها الاعداد . وقل أن نجد فى الشعر والأدب والفن مؤلفا الا والغرض الأعظم فيه يمارس نظرية الحق والقوة .

ولعل اجمع كتاب واعمقه واوسعه واشمله لقواعد العدل فى الفلسفة القديمة كان « جمهورية افلاطون » وحسب مؤلفه فضلا وفضيلة ان يكلف اعصابه

إخراج هذا السفر في تاريخ كان الوعي الانساني فيه لا يزال قاصرا (في القرن الرابع قبل الميلاد) على وجه التقريب .

ولعل « افلاطون » وان ظهر ، إذ ذاك بدرا منيرا لم يشب سماءه سحاب لا يستطيع ان يجحد فضل استاذه « سقراط » اول فيلسوف وجه جهوده كلها لابراز نظرية الحق ودعوة الأخلاق والفضيلة ، مقررا باصرح عبارة ، ان الاشتغال بغير تعاليم الحق والاخلاق عبث لا خير فيه . دخل هو هذا الميدان فارسا بحصانه وجنانه ولسانه ليصارع السوفسطائيين دعاة الباطل والقوة الذين راحوا يعلنون (انه لا حقيقة لشيء في ذاته وان الحق ما يراه الشخص حقا والباطل ما يراه باطلا) وجاء منهم من يقول : « الحق للقوة وباطل تسانده القوة خير من حق لا يجدها » وما زال سقراط ينازلهم ، دفاعا عن الحق حتى لقي مصرعه في قصة من افجع قصص التاريخ .

ومضت القرون تترى بين مبرر للحق ومجاهد في سبيله وبين مفتون بالقوة مغرور بها حتى اشرق فجر الاسلام ، بعد ليل طويل ، على الانسانية فكان القرآن اعظم هدى عرفته البشرية وأعدل ميزان واصدقه بين الحق والقوة فلم يعط للقوة من الاعتبار بقدر ما فيها من الحق وما لها في دعم الحق ونصرته . ويكفي ان الله سبحانه ذكر كلمة (الحق) في القرآن الكريم مائة واثنتين وتسعين مرة بخلاف ذكرما اشتق منها مثل حقيق واستحق ويحق وحقت وحقا وأحق وغير ذلك من الكلمات . وكان الامام الغزالي رحمه الله يمدح الصبر لأنه ذكر في القرآن الكريم ثلاثا وسبعين مرة فماذا كان يقول في ذكر الحق اثنتين وتسعين ومائة مرة ، ان هذا لعظيم حقا(1) كذلك السنة الشريفة في مؤلفاتها واسانيدها ومراجعها التي لا يحصى ما فيها من آثار ما كانت إلا للحق وبالحق وفي الحق .

اما القوة فلا مدح لها في كتاب ولا سنة إلا اذا كانت بالحق وفي الحق . أما عندما كانت تتخذ للظلم والعتو والبغي والاستكبار فكانت في الكتاب والسنة موضع الذم والطعن واللعن ولنتأمل قوله تعالى : (**فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة او لم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون : فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات**

لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعـذاب الآخـرة أخزى وهم لا ينصرون » ١٥ ــ ١٦ فصلت ــ تلك كانت عاقبة الادلال بالقوة واتخاذها لغير ما خلقت له بغيا وعدوانا واستكبارا وعتوا عاقبة تذوب لها القلوب هولا وتقشعر لها الجلود فزعا أعاذنا الله من الغرور .

ولم يكن هذا المصير لعاد قوم هود وحدهم ، ولكنه كان المصير التعس لجميع أمم الجاهلية الأولى كثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وغيرهم من أمم نفخ فيها شيطان البغى بالقوة فلاقوا مصيرهم المحزن وبئس المصير .

ولما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين كانت الأرض عند مبعثه لا تزال تطفح بعدوان الجاهلية البغيض وبغى القوة العارمة . وكم حذرهم القرآن الكريم عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة فأخذهـم الله بذنوبهم فكانوا يقابلون العلم بالجهل والوعظ بالجحود والكفران حتى تواصوا بقتله صلى الله عليه وسلم فنجاه الله بالهجرة الى دار الايمان ودار السلام يعلم فيها السلام والعدل والحق والحرية والاخاء وكل ما يسعد الانسانية ويمنحهـا كرامتها . وبعد حياة حافلة بوحى السماء وكرامة العلم وحرب الجهل والجاهلية والتواصى بالحق والتواصى بالصبر دفاعا عن الحق والعدالة لحق بربه وذهبت روحه الى أعلى عليين تاركا من ورائه أصحابا بررة ناصروه وآزروه حتى أتم رسالة الحق وأدى واجبه وأرضى ربه .

وجاء صاحبه فى الهجرة وثانى اثنين اذ هما فى الغار خليفة بعده ليحمل رسالة الحق والعدل فكان فى أولى خطبه بعد البيعة حريصا على أن يقف بين الحق والقوة بميزان لا يختل . وكأنما كان أكبر شعور يستولى على كيانه هو الشعور بما بين الحق والقوة من صراع رهيب شابت نواصى الليالى وهو لم يشب . فليس له من دواء الا عدل الساسة الكبراء وابعاد أنياب الأسود عن بطون الظباء .

من أجل ذلك كانت خطبته الاولى كلها للحق والقوة بالقسطاس المستقيم قال رضى الله عنه وأرضاه (أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم) وبعبارة صريحة أفهم الناس أنه ليس أفضلهم فليس اذن أقواهم بنفسه ولا بقوته . جاء بقضاء الله ليكون خادما للأمة لا حاكما بالقوة ولا باطشا بالظفر والناب كفعل الجبابرة أسود الغاب . ثم قال : (فان احسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى) وهنا جعل الكلمة العليا للأمة وجعل لها الاشراف الأعلى اذ ليس الا واحدا من أفرادها له ما لهم وعليه ما عليهم . ثم ذكر الحق والقوة صراحة فقال : (الضعيف فيكـم

قوى عندى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه) وهذه العبارة بيت القصيد ولو لم يكن فى خطبته السياسية الا هذه العبارة لكانت كافية عن كتاب بأكمله فهو قد وقف كل ما سيتاح له من جهود لنصرة صاحب الحق مهما كان من القلة والذلة ولاضعاف صاحب القوة المدل بقوته المتعالى بها على الناس مهما كانت قوته ومهما كان علاؤه ومحتده وحسبه ونسبه حتى يقر بحـــق الضعفاء ويتبخر من راسه كل احساس بالحول والطول والتعاظم على خلق الله .
والناظر بسذاجة وسطحية الى قوله تعالى : (**أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين)**
٦٠ ــ الزمر ــ يمر بهذا الانذار البليغ على انه مجرد شعار من الشعارات التى تقال فى تعاليم الأخلاق . اما من أوتى بصيرة فى تعاليم القرآن ومراميه البعيدة فى تربية الأفراد والجماعات والأمم والانسانية كلها فيلمح من بعد المرمى وعمق المعنى تحقير القوة أيا كان مصدرها ومأتاها ما دامت علوا عن الحق وعتوا عن التواضع المشروع وتعاليم الأخلاق السامية والاخاء الانسانى والمساواة أمام الحق . ثم يقول عبارة بليغة يختم بها خطبته التاريخية (اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت فلا طاعة لى عليكم) يعنى ان الأمة هى كل شيء وانها هى صاحبة الرقابة وان الحق فى المحكوم أعلى من القوة فى الحاكم فاذا خرج الحاكم عن طاعة الله ورسوله وركب راسه واستهان بالحق واهمل فى ايصال الحقوق الى اهلها وتعالى على المحكومين بغير الحق فقد حل عصيانه لأنه خالف الشروط الضمنيـــة التى اختير من اجلها حاكما . ثم قال فى حمد الله واستغفاره لنفسه وللمؤمنين : (واستغفر الله لى ولكم) فسوى بين نفسه وكل نفوس المؤمنين بلا ترجيح ، فى صورة من الاخاء يندر وجودها حتى بين الاخوة الأشقاء بل بين الابناء والآباء .
ومن أبدع ما يحدثنا التاريخ به من اخلاق نبى الرحمة الذى بعث رحمة للمؤمنين ونصيرا للحق انه صلوات الله عليه جاءته جبب ففرقها فى أصـــحابه وادخر احداها لعاجز منهم بطيء الحركة كما يؤخذ من رواية البخارى ، رحمة الله ، فى صحيحه . وذهب رغم ضعفه وشيخوخته الى بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) يطلب جبة . وقال لابنه الذى كان يرافقه : ادخل فاستدع لى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له ابنه أو قد بلغ بنا الأمر الى حد اخراج النبى صلى الله عليه وسلم الى باب الدار ؟ فقال له أبوه : ادخل يا بنى فاستدعه فانه ليس بجبار فدخل الولد فاستدعى النبى صلى الله عليه وسلم لوالده وعرف انه جاء يريد الجبة فلبسها وخرج بها اليه وقال له ضاحكا : أتعجبك ؟فضحك الرجل واجابه : انها فوق ما كان يظن فأعطاها له النبى صلى الله عليه وسلم وعاد الرجل راضيا . . أخلاق تتجلى من عند العرش ومن فيض الله ومن فوق الشمس . وصدق الله تعالى إذ

يقول : « .. **وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** » ختام سورة ق . واذ يقول سبحانه : « **لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** » ١٢٨ التوبة ـ هل نرى اثرا للقوة التى جنت بحبها العصور المتأخرة ؟ أم هل نجد لها احتراما وتقدرا كما أحالوا الحياة بها الى تناحر يشربون بها الدماء كما يشربون الخمر من كؤوسها عبا ؟ لا بل نرى القوة تداس بأقدام الحق وينظر اليها كوضر من أوضار تاريخ الانسانية الماضى فقد جاءت الرسالة العظمى هديا الى الصراط المستقيم وشفاء لما فى الصدور .

اما تاريخ عمر بن الخطاب فى جهاده بين القوة والحق فيعجز ساسة الارض اجمعين . كان يبكى دائما لأنه يخاف أن يسأل يوم الحساب عن مظلوم لم يخلص له حقه من ظالمه . ويقول مؤرخو سيرته ان البكاء خط على خديه خطين أسودين كأثر الكى بالنار . وكان يضرب المعتدين بعصا صغيرة تسمى الدرة ولم تكن تنزل الا على الكبراء الأثرياء الأقوياء . وكانوا يهابونها أكثر من السيوف القواطع . راى يوما أبى بن كعب وكان من كبار علماء الصحابة يمشى فى الطريق وخلفه بعض المعجبين فخشى أن يستولى عليه الاعجاب بنفسه ، وهو بنص الحديث الصحيح من المهلكات ، فذهب اليه وضربه بالدرة . وغضب أبى رضى الله عنه وكانما استكبر أن يضرب مثله . فقال له عمر رضى الله عنه : أعلم أن ما تصنعون الآن هو ذلة للتابع وفتنة للمتبوع . فلكى يجنب التابع تعوده على التملق ويجنب المتبوع غروره بنفسه لقنهم هذا الدرس . ولو أنه رآهم يسيرون فى إخاء ومساواة وتواضع من الجميع ما أنكر عليهم . وكان هو نفسه يسير يوما فى احدى طرقات المدينة فلمحه بعض الشبان عن بعد فسقطوا على ركبهم خوفا وهيبة فلما اخبره من رآهم انفجر باكيا وقال : « والله لأنا أخوف لله منهم منى . لا يخاف منى الا متعد لحقوق الله ، اما من لزم الحق فأنا وهو سيان ان شاء الله » بل لقد ذكروا انه كان بنفسه وبتجاربه التى تعلمها أيام رعيه الابل لأبيه كان يخدم إبل الصدقة ويحنو على مريضها ويعالج الجربى منها بيده واذا رأى مريضا منها قال : والله انى لأخشى ان اسأل عنك يوم القيامة .

ومما يكتبه تاريخه بحروف من نور كأعظم سياسى عرفته الدنيا انه رأى اقاربه من قريش قد تمولوا ثم ضاقت عليهم المدينة فاحبوا أن يخرجوا منها لتأسيس الاقطاعيات والضياع وخاف أن يجمعوا الأتباع والأنصار حولهم فيصبح منهم مراكز قوى تعدو على الحق بالقوة وتتخطى حدود الله لبعدهم عن يد السائس

الرجل وشقيقته وابنته وقبل ذلك كله امه . فوصى الانسان بوالديه وزاد فى وصيته بالام سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احق الناس بحسن رعايتى ؟ فقال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك قال : ثم من قال : ابوك » رواه الشيخان .

فالأم هى المدرسة الاولى للطفل . فمنها يتعلم ، وبها يتأثر ، ولذلك كانت عناية الاسلام بالأم لعظم الدور الذى تقوم به فى المجتمع من تربية اطفالها وحسن تنشئتهم ورعايتهم حتى يكونوا مواطنين صالحين يخدمون بلادهم وينفعون مجتمعهم .

ويوصى الاسلام بحسن اختيار الرجل لزوجته التى يطمئن الى تدينها حتى تنشىء ابناءها على خير ما يريد لهم دينهم ووطنهم فنهى القرآن عن الزواج بالمشركات فقال « **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم** » **(البقرة / ٢٢١)** .

ومن توجيهاته صلى الله عليه وسلم فى اختيار الزوجة قوله : « تنكح المرأة لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » ويقول صلى الله عليه وسلم : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم .

وحفاظا من الاسلام على الاسرة المسلمة أوصى كلا من الرجل والمرأة باداء حقوق الطرف الآخر عليه فيكونا قدوة صالحة لابنائهما فى السلوك والمعاملة والصلاح والتقوى وحسن المعاشرة .

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا ان لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن الا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه ابن ماجه والترمزى .

تحريم واد البنـــات :

حرم الاسلام ما كان عليه القــوم من حزن وألم عند انجاب البنـــات والاصرار على وأدهن خوفا من العار أو الفقر ، وقد بين القرآن الكريم هذه العادة السيئة التى كانت متفشية فى الجاهلية حيث يقول : « **واذا بشـر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سـوء ما بشر به ايمكسه على هــون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون** » النحل ٥٨/٥٩ .

وقد بينت السنة النبوية الشريفة فضل البنت وطالبت برعايتها والاهتمام بها وأوضحت جزاء من يقوم برعايتها والعناية بها فيقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . « من كانــت له انثى فلم يئدها ، ولم يهنها ولـــم يؤثر ولده الذكور عليها ادخله اللـــه الجنة » رواه ابو داوود . ويقـــول صلى الله عليه وسلم : « من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث اخوات أو ابنتان أو أختان ، فأحسن صحبتهن ، واتقى اله فيهن فله الجنة » . رواه الترمذى

وهكذا يسوى الاسلام فى العناية والرعاية بين الولد والبنت ويطـالب المسلمين بالرضا بالمولود ذكرا كان او أنثى لانه لا فرق بينهما ، وكلاهما من جنس واحد ، واصلهما واحد ، وقد تكون البنت أصلح لذويها من الولد ، ولذلك كان للاسلام فضل الغاء ما كان سائدا من تفرقة بغيضة بين الرجــل والمراة فقد اعطى لكل منهما حقــه وطالبه بأن يــؤدى ما عليــه مــن واجبات .....

روى عن السيدة عائشـة رضى اللهعنها انها قالت : « جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها ، فاطعمتها ثــلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعـــت الى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمـرة التى تريد أن تأكلها بينهما فأعجبنـى شأنها ، فذكرت الذى صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله قد اوجب لها بهما الجنة او اعتقها بهما من النار » رواه مسلم .

ويأمر الاسلام بحسن تأديب الولد وتربيته وتعليمه وتدريبه على العبادة حتى اذا كبر تعود على أداء فرائض الاسلام ، فمن وصايا لقمان لابنه فيما يرويه القرآن الكريم : « **يابنى اقـم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عـــن المنكر وأصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الامور** » سورة لقمان / ١٧ .

ويجب تفهيم الطفل حدود الحلال والحرام منذ الصغر حتى يشب وقــد تربى عنده الوجدان الدينى الـــذى يمنعه من الزلل فى مستقبله .

ومن ذلك يبدو لنا اهتمام الاسلام

بالانسان لكونه انسانا لا فرق بين ذكر أو أنثى فالجميع سواء أمام الله وقد طالب الاسلام بهذه المساواة واقامها منذ أول يوم .

رعاية الاسلام للمجتمع : ــ

لقد فرض الاسلام رعايته بين الناس على صورة واسعة تتناول جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية واقام المجتمع على اسس اصيلة هي بذاتها تنتج الرعاية الاجتماعية وتنضج ثمراتها .. ولقد ذكر القرآن الكريم اسس هذا الرعاية في مواضع عدة فقال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة** » (الحجرات ١٠) .

وقال « **فاصبحتم بنعمته اخوانا** » آل عمران / ١٠٣ على ان القرآن حينما يقرر هذه الاخوة انما يقررها كحقيقة واقعة فالمرء يجب أن يعامل المؤمنين كأنهم اخوته .. كما يجب الا يتخذ الكفرة أولياء واخوانا حتى ولو كانوا من اقارب الانسان . فقد توعد الله سبحانه وتعالى من يؤثر علاقته بغير المؤمنين على الله ورسوله بوعد شديد فقال : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان ، وايدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، الا إن حزب الله هم المفلحون** » المجادلة / ٢٢ .

فالرعاية الاجتماعية التي يقررها الاسلام تقوم على عدة اسس : ــ

أولا : ــ

الاخوة الصادقة بين جميع المسلمين « **إنما المؤمنون اخوة** » .

ثانيا : ــ

المؤمنون هم أولياء بعض « **ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء** » الممتحنة / ١

وهذا الحكم منطقي ، اذ أن المنافق المذبذب لا يمكن أن يكون وليا وحليفا ونصيرا للمؤمن الذي يؤثر الله ورسوله على كل ما سواهما وكذا غير المسلمين لانهم لا يؤمنون بالاسلام دينا ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا فلا يمكن أن يكونوا أولياء للمسلمين .

ثالثا : ــ

تكافؤ المسلمين في الدماء . فكل فرد دماؤه عزيزة عليه ، ويجب احترام حياته وصيانتها وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من

سواهم » . رواه : ابو داوود وابن ماجة .

رابعـــا : ــ

وجوب المحبة بين المؤمنين ، وفى ذلك يقول عليه الصلاة والســـــلام « وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكـــن مسلما » رواه الترمذى وابن ماجة . وقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفســــــــه » رواه الشيخان .

اما مجالات الرعاية الاجتماعيــــــة المختلفة فهــــى (٢) :

ا ــ الرعاية المادية :

ويتضح ذلك فى الزكاة التى فرضها الاسلام ، فالزكاة مفروضة علـــــى جميع طبقات الامة غنيها وفقيرها إن ملك نصابا وفائدة ذلك ان يعم الناس شعور واحد فى التضامن والتكافل ، فيشعرون بلذة وعزة ، وهم يبذلون أموالهم فى سبيل الله .

ونسبة الزكاة قليلة يدفعها الافراد دون شح ، فهى عامل من عوامـــــل الألفة والمحبة فى المجتمع ، اذ يشعر الذين يأخذونها بالارتياح والعاطفـــة المشتركة .

ويحقق الاسلام الرعاية فى صـــورة أخرى هى صورة اكرام الضيف ، وفى ذلك يقول الرسول صلوات اللــــــه وسلامه عليه « من كان يؤمن باللـــه واليوم الآخر فليكرم ضيفه » رواه الشيخان .. وهذا لون محبوب مـــن الوان الرعاية والتكافل غير معروف لدى البلاد غير الاسلامية ، ويـــــدل ذلك على شدة الكرم وحسن التعاطف والتآخى .

ب ــ وتنتشر الرعاية فى المجـــــال الادبى فيما يسميه الاسلام (فروض الكفاية) تلك الفروض التى يجـــب اداؤها على المجموع لان تركها اثـــم لجميع الافراد ، وتظهر الرعاية حينما يوجـــد وباء ، فالواجب أن يقـــوم احد الافراد أو بعضهم بتطعيم الناس من هذا الداء كما ان الميت الـــذى لا يوجد من يقوم بتجهيزه تجهـــزه الدولة وتدفنه على حسابها .

ومن هذه الرعاية ايضا اصـــلاح الطرقات وانارتها وعلاج الفقــــراء ودرء الاذى عن الجميع ..

جـ ــ ولم تقتصر الرعاية الاجتماعيـــة على المجالين المادى والادبى ولكنهـــا تظهر أيضا فى المجال الاخلاقـــــى والاقتصادى والمعاشى والسياســـى والعلمى والدفاعـــى والجنـــائى ، فالرعاية فى المجال المعاشى هـــــى ما تعرف الآن بالتكافل الاجتماعـــى ، وهناك ايضا الرعاية والتكافل فـــى مجال التعاون والاصلاح ، وفى درء

المفاسد ، وهذا هو المبدأ المعروف « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرن بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون) آل عمران ــ ١٠٤ .

ومن شأن تلك الرعاية وهذا التكافل ان يحقق نوعا عظيما من الراى العام المستنير ، لان المجتمع اذا استقام امره على الخير والصلاح ، وطهرت ارجاؤه من الشر والفساد ، عم النفع فى ذلك لجميع الافراد .

الموارد التى قررها الاسلام للرعاية الاجتماعية : ــ(٢)

١ ــ الزكاة :

ويلاحظ انها من اهم عوامل توزيع الثروة ، كما انها ليست منة ، ولكنها حق للفقراء والمساكين وهى عامل من عوامل انتشار الالفة والمحبة بين الناس ، ولقد قلل الاسلام مقدار الزكاة حتى يتمكن معظم افراد المجتمع من ادائها .

٢ ــ نفقات الاقارب :

وهى تشمل الابوين واصولهما والابناء وفروعهم ، والاخوة وفروعهم ، والاعمام والعمات وفروعهم ، والاخوال والخالات وفروعهم (وفى بعض هؤلاء خلاف فى بعض المذاهب الاجتهادية) والزوجات المطلقات فى العدة ، والرقيق والحيوان بالنسبة لمالكه .

وتشمل هذه النفقة الغذاء واللباس والمسكن ، وخدمة العاجز منهم والمريض ، والتعليم عند الحاجة وكذا التزوج ، والنفقات الاجتماعية المتعارف عليها .

٣ ــ الوقف :

وهو اخراج المال من ملك صاحبه وادخاله فى ملك الله للانفاق منه على الاقارب وهذا هو الوقف الاهلى ، او للانفاق منه على أوجه الخير ، وذلك بالنسبة للوقف الخيرى ، ولايزال الوقف الخيرى معمولا به حتى الآن اما الوقف الاهلى فقد الغاه القانون .

٤ ــ الوصية :

وقد اجاز الاسلام ان يوصى الانسان بثلث ماله الى جهات البر ، او باكثر من ذلك بشرط اجازة الورثة ، وكذلك ، يجوز الايصاء بالثلث للاقارب الوارثين وغير الوارثين .

٥ ــ الغنائم :

قرر التشريع الاسلامى وجوب دفع جزء من غنائم الحرب لبيت المال للانفاق على التكافل الاجتماعى والرعاية الاجتماعية ، اما الباقى

فيوزع على الجيش يقول تعالى

« واعلموا أنما غنتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

٦ ــ الركاز :

وهو المعادن والكنوز الموجودة بباطن الارض فقد قرر الاسلام الاحتفاظ بجزء منها لانفاقها على المصارف التى حددتها الشريعة ، وللفقراء فى ذلك آراء عديدة لا مجال لتفصيلها .

٧ ــ الكفارة :

اذ جعل الله سبحانه وتعالى كفارة الحنث فى اليمين إطعام عشرة مساكين وكذلك الصيد فى الاشهر الحرم ، والظهار والاحرام فى الحج ، والافطار عمدا فى رمضان فقد جعل الاسلام كفارة معظم الذنوب إطعام الفقراء أو عتق الرقيق .

٨ ــ الضحية :

وهو ماينحره المسلم فى عيد الاضحى لإطعام الفقراء .

٩ ــ النذور :

وهو ماينذره الفرد من طعام للفقراء .

١٠ ــ صدقة عيد الفطر :

وهى واجبة على الرجل وكل من تلزمه نفقتهم وقيمتها صاع من التمر أو الشعير ، وقد اجاز الفقهاء تقدير قيمتها نقدا فى البلاد التى لا تنتج هذه الاشياء .

١١ ــ ما يقدم لبيت المال :

وتشمل الزكاة وخمس الغنائم والمعادن وضريبة الارض وتركة الميت الذى لا وارث له وغيرها من التبرعات والهبات .

١٢ ــ الاحسان الى الاقارب :

فقد قرر الاسلام وجوب الاحسان الى الاقارب والجيران وذلك بخلاف ما قرره فى الزكاة .

وبعد ، فهذه هى الرعاية الاجتماعية التى قررها الاسلام ، يتبين منها انه لم يترك انسانا دون أن يتمتع بحق الرعاية ، ودون أن يستفيد من عناية المجتمع وبذلك يطمئن كل فرد الى حاضره ومستقبله هو وعائلته .

تدخل ولى الامر لتحقيق الرعاية الاجتماعية والاقتصادية

هل يجوز أن تتدخل الدولة فى شئون الافراد اذا ما كانت هناك ظروف تحول دون تحقيق الرعاية

والعدالة الاجتماعية والاقتصادية ؟ وما مدى السلطة التى اعطاها الشارع لولى الامر ؟

اولا : يقر الشارع لولى الامر التدخل واعادة النظر فى سياسة المال العام فى المجتمع بتخصيص جزء من الاموال لفئات معينة اذا ما وجد أن هناك تفاوتا فاحشا بينهم وبين غيرهم .

ولقد عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تطبيق هذا المبدأ بعد الهجرة اذ وجد أن الأنصار أغنياء ، والمهاجرين فقراء لا يملكون شيئا ، فوزع فىء بنى النضير على المهاجرين واثنين من الانصار كانا فقيرين . فلما تساءل الانصار عن عدم اشتراكهم فى اقتسام الغنائم نزل قول الله سبحانه وتعالى : « **ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب** » . سورة الحشر / ٧ .

كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد نفذ هذا المنهج فكان يقدم الفئات المحتاجة والضعيفة على غيرها فى الرعاية ويؤخذ ذلك من قوله « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لا خذت فضول أموال الاغنياء ورددتها على فقرائهم كما أوصى الخليفة من بعده بقوله : « وأوصيك بالانصار خيرا ، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيك باهل البادية خيرا فانها اصل العرب .. ان تأخذ من حواشى أموال اغنيائهم ، فترد على فقرائهم .

ثانيا : تعتبر الزكاة والغنائم والفىء والخراج والجزية ومختلف أموال المرافق العامة من أهم موارد الدولة الاسلامية ، فاذا لم تكف هذه الموارد

حاجات الدولة فلولى الامر أن يفرض من الضرائب ما يراه ضروريا لسد حاجات الدولة ومصالحها .

وفى كل تدخل من ولى الامر يجب عليه مراعاة القواعد العامة فى الشريعة الاسلامية فلا يخالفها ولا يأتى من الاعمال الا ما تجيزه وتدعو اليه لانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق الامة الاسلامية وأولى الامر فيها الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين ، وان ينصرنا نصرا عزيزا مؤزرا نسترد به ما اغتصب من أرض الاسلام وما النصر الا من عند الله .

الأسرة في المنهج الرباني

للشيخ سعد المرصفى

الزواج عماد الأسرة ودعامة الإنسانية

الزواج سنة دينية قائمة . وحاجة فطرية ملحة . وضرورة انسانية معلومة لدى الجميع . يدركها العوام والخواص . ووسيلة نظيفة ملائمة للانجاب والتقويم . والتوجيه والتعليم . وسبيل مشروع يتوقف عليه بقاء النسل . واستمرار الحياة .

والزواج عماد الأسرة التى هى دعامة الأمة . فبه تنشأ . وبه تتكون . وفى مهادة تحبو . وفى رحابه تتطور . ومن دوحته الباسقة تتفتح براعم سلالة انسانية جديدة تدرج فى المهد حينا — وتتربى فى ظلاله الوارف الذى يحوطها بالعناية والرعاية حينا . ثم لا تلبث أن تخرج هى الأخرى الى هذا الدور . لتأخذ نوبتها . وتتحمل مسئوليتها .

وقد قضت الفطرة الانسانية التى فطر الله تبارك وتعالى النـاس عليها بضرورة الاجتماع . وبضرورة أن الانسان مدنى بالطبع . وفى مقدمة ذلك الزواج . ولولا هذا لفنيت الارض وما عليها فى أقصر زمان .

ولو أن الحق جل شأنه ترك الانسان كسائر الحيوان لما تحققت عنايته بذراريه . لأن من شأن الامور المشاعة المشتركة أنها لا تنزل من النفوس منزلة الامور الاخرى الخاصة التى تحددت جهة المسئولية عنها . فترك الإنسان اذن دون ما تشريع قويم يكفل له السعادة . ودون ما منهج ربانى يرسم له معالم الحياة الطيبة . ذريعة الى الظلم . وسبيل الى حقد النفوس . وبهذا تكون الانسانية — حين تبلغ هذا الدرك — على حال لا تصلح معها للحياة .

واذا ما كان الزواج هو الطريق الوحيد . الذى يهيىء المناخ الصالح للحياة . والمجال السليم الذى يمدها بالأبناء . فانه المنهج الفريد الذى يحفظها من الضياع فردا وأسرة ومجتمعا .

واذا ما كان الزواج بهذه المثابة . وبتلك المكانة . فانه جدير بأن يرقى بالانسان عن الدائرة المادية الحيوانية الى العلاقة الانسانية الروحية . بقدر ما يرتفع به من الأنانية البائسة . والذاتية الفردية . الى أنس الاجتماع وحب اللقاء فى العلاقة السامية الطاهرة .

وبهذا تجتمع فى الزواج كل دواعى العقل والطبع . وعوامل الفطرة والحياة .

ويذكر ابن الهمام ان سبب شرعيته تعلق البقاء المقدر فى العلم الازلى على الوجه الاكمل . والا فيمكن بقاء النوع بالوطء على غير الوجه المشروع . لكنه مستلزم للتظالم وضياع الأنساب بخلافه على الوجه المشروع .

ولذا كان الزواج آية تحمل معها آيات . وصدق الله العظيم : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ٢١ : الروم .

يقول صاحب المنار .

أرشد الله البشرية الى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان ..

فالركن الاول : السكون النفسى الجنسى . وهذا الركن خاص بالزوجين وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة . والحب الذى يجده كل منهما باتصالهما . والملابسة بافضاء أحدهما الى الآخر . وبه يزول أعظم اضطراب فطرى فى القلب والعقل . لا ترتاح النفس وتطمئن فى سريرتها بدونه .

والركن الثانى : المودة أى المحبة التى يظهر أثرها فى التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما .

والركن الثالث : الرحمة التى لا تكمل للانسان الا بعواطف الامومة والابوة ورحمتهما لأولادهما .

ومن هنا . كان على المجتمع الاسلامى أن يوفر أسباب العفاف والصيانة لأفراد المجتمع . وأن يحوط افراده بالعناية والرعاية .

فالزواج يسد جانبين فى حياة الانسان منفردا ومجتمعا حتى يستقيم أمره . ويسعد عيشه وتهنأ حياته .

الجانب الاول : أنه سلاح به يدفع المرء جموح الشهوة التى اذا جمحت دون ما وازع من دين . ودون ما رادع من خلق . حملته على البغى والفساد والانحراف والضياع .

وفى هذا الجانب : العفة عن التورط فى الامر المحظور .

والجانب الثانى : أنه سبيل الانجاب . وطريق تكون الاسرة . والاستقرار معها . واعدادها وتهيئتها . وفى هذا الجانب : خلود الأثر . والبقاء الى أجل مسمى .

لأن الزواج سياج متين . وحصن حصين . بجانب أنه يقى من مزالق الفتنة . يمهد السبيل لاستقرار العاطفة ..

وفى هذا : حفظ للنفس من التوتر . وللنوع من الضياع . وللخلق من الانحراف .

فالزواج اذن هو صرح الحياة . ومجدد نسيجها . وركيزة بقائها . وحافظ قيمها ..

نهلات أدبية لطيفة

للأستاذ منذر شعار

نزل القرآن الكريم على أمة اللسن والبيان ، فشدهم عن شعرهم الرائع وكلامهم البليغ ، ورفعهم الى افق من البيان الرحب ، والى قمة من البلاغة اعظم اطلالة واكرم نسمات . ولقد دخل العرب جو القرآن دخولا عريضا فتلوه وتدبروه ووقعوا على كثير من كنوزه ، ثم انساحوا فى الحياة وانتشروا فى الارض وآيات القرآن معهم تغلى فى صدورهم وترفرف على رؤوسهم وتنساب بالايمان والبيان فى صافى نفوسهم ، وقد ذكرت الكتب ان الشاعر الفرزدق فى أواسط العهد الأموى ، خرج ذات يوم من بيته فى دائرة بنى تميم فوجد شبان القبيلة قاعدين والمصاحف فى حجورهم يتلون القرآن ولهم فيه دوى كدوى النحل ، فسر وبش ، وقال : ثابروا بنى تميم ، هكذا والله كان آباؤكم .

وفى هذا دليل سريع على شدة تعلق الناس .. كل الناس .. بالقرآن الكريم تعلقا يوميا ، ودخوله فى نفوسهم وانشغالهم به عن كل شىء .

ولذلك كان القرآن الكريم يتواثب على شفاه العرب اذا ارادوا الكلام من أى طبقة كانوا وفى كل وقت ، وكانت آياته الشريفة تبرز فى كل مناسبة حوار ، ولو كانت المناسبة هذه فكاهة أو غيرها ، وما أقل مايرى الحوار .. أى حوار بين اثنين خاليا من آية أو بعض آية فى معرض تضمين أو تمثل أو اعتبار ، وذلك لكثرة الحفظ ، وطول الترداد وشدة المدارسة .

من القرآن

ودوام المصاحبة . ومن ذا يتضمخ بالمسك ولا يفوح نشره ، أو ينغمس فى بحر العنبر فلا يكون عنبر الانوف والأرواح حيث كان من الحياة .

ولقد حفظت لنا كتب الأدب واللطــائف من هذا نبذا طريفة ، كالذى جرى لعبد الله بن المبارك من مصادفته عجوزا فى الحج لا تتكلم الا بالقرآن ، أى : لا تنطق كلاما فى جارى حوارها وخطابها وجوابهــا الا من آى الذكر الحكيم ، والقصة طويلة ومروية فى الكتب ، لامرأة ذات دين وعقل ضاعت عن بنيها فى الحج فجلست فى الطريق الخاوى تنتظر ، فمر بها العالم التاجر عبد الله بن المبارك (من عصر أبى حنيفة ومن قطره) ، فأناخ ناقته وتقدم فسلم فردت تقول : « سلام قولا من رب رحيم » (١) فســـألها عن أمرها فقالت : « ومن يضلل الله فما له من هاد » (٢) . وحين يتعجب فيقــول : لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك تقول : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (٣) وهكذا شأنها : قرآنية الحوار والجواب باستمرار واصرار ، فيعجب ابن المبارك ويعرض عليها الطعام فتقول : « ثم أتموا الصيام الى الليل » (٤) ، الى آخر القصة وحتى يسير ابن المبارك بالمرأة الى بنيها الذين عرفته بأسمائهم نفسها بآيات من كتاب الله .

ومن طرائف هذا الباب حوار خاطف ولكن خصيب جرى بين الشاعر الفرزدق الذى تقدم ذكره وبين سيد عربى فى زمنه يدعى خالد بن صفوان .

وكان خالد عاملا لبنى أمية ومن المستأمنين عندهم ، والفرزدق شاعر ، جاء فى صفته أنه مستدير الوجه ، وقد ملأه نمش أحمر ، فشبهه الناس يومئذ بالرغيف الفارسى (الفرزدق) وهو رغيف كبير مستدير قد ملىء سمسما وحمِّر بالنار ، ولزم الفرزدق الشاعر فعرف به فى التاريخ وانما اسمه (همام بن غالب) وكنيته : أبو فراس .. فالفرزدق كلمة فارسية معربة ، وجمعها فرازد .. باسقاط القاف ، ولا يزال أهل الشام الى اليوم يعرفون هذا (الفرزدق) فى مخابزهم ويسمونه فى عاميتهم (برزقة) ويجمعونها على (برازق) ، ومن رآه هناك عرف بقوة كيف كان وجه الفرزدق الشاعر همام .

يتحصل مما شرحنا أن الفرزدق لم يكن وسيما ، وبهذا تهكم ، خالد بن صفوان فى مجلس ضمهما مع آخرين وفى مجرى حديث مداعب لطيف ولكن على طريقة عجيبة خلدت هذا الحوار بينهما أربعة عشر قرنا ، وذلك أن خالدا قال للفرزدق :

ما أنت والله يا أبا فراس بالذى « .. فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن »(٥) .

يعنى خالد أن الفرزدق دميم غير وسيم .. ولو وقف الخبر عند هذا التهكم الصائب لما كان له النفاذ والشهرة اللذان كانا له مع جواب الفرزدق الفورى ، وذلك أن الفرزدق رد على خالد فقال :

ولا أنت والله يا أبا صفوان ممن قالت فيه الفتاة لأبيها : « يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين »(٦) .

أما مراد خالد بن صفوان فواضح ، وهو التعريض بوجه الفرزدق ، وأنه غير وسيم ولا جميل ، وقد تلا آية أو .. جزءا من آية من القرآن الكريم فى هجوم قوى على الفرزدق ، متخذا فى قصة يوسف عليه السلام جناحا الى ذلك ، وكأنه قال للفرزدق : انك من عدم الوسامة بحيث لا تفكر النساء بأن يقطعن أيديهن اذا رأينك مكبرات جمالك فعل صواحب يوسف لما رأين يوسف .

هذه الالقاءات التاريخية ، وهذا القمس البارع فى عطور القرآن الكريم ، وهذه التورية اللطيفة .. وكل ذلك حدث فى أوجز عبارة ، وأشد انخطاف خطاب جعلت من تعريض خالد بالشاعر أدبا حلوا لطيف النهلة من القرآن ، وكذلك رد الفرزدق ، فانه كما عرض خالد بوسامته وهو الشاعر عرض الفرزدق بأمانة خالد وهو الوالى عند بنى أمية ، وساق تعريضه مساقا فنيا مقتبسا أيضا من القرآن ناهلا منه ، فتلا قول الله تعالى حكاية عن بنت شعيب عليه السلام « يا أبت استأجره .. » وكأنه يقول لخالد : لست من الامانة والقوة بحيث ينطبق عليك ما قالته بنت النبى وهى تتحدث عن النبى .

والطريف فى هذه المحاورة الدائرة حول آى القرآن ، أن خالد بن صفوان جاء بآية تتصل بنبى ، وجاء الفرزدق بآية تتصل بنبى ، وآية خالد تدور حول امرأة ، وآية الفرزدق كذلك تدور حول امرأة ، ولكن الفرزدق أعلى بديهة وأسرع من حيث انه رد من فوره دون تهيئة ولا استعداد فجاء بجواب مسكت ، وقد يكون خالد بن صفوان هيأ ما قاله قبل أيام .

هذه المحاورة اللطيفة تدل على شدة التعلق بالقرآن حتى لتثب آياته

الكريمة الى سطح اللسان والحس ، ولو كان المجال ظرفا وفكاهة ، ومثل ذلك ما رواه المبرد فى (كامله) .. أن بنى أمية أجروا الخيل فى دمشق ذات يوم فسبقت فرس الوليد بن عبد الملك ــ وكان وليا للعهد ــ فرس ابن عم عبد الله بن يزيد بن معاوية ، فعبث الوليد بعبد الله وأصغره أمام الناس ، فغضب عبد الله وشكا ذلك لأخيه خالد بن يزيد(٧) وهو يقول : لقد هممت اليوم أن افتك بالوليد بن عبد الملك ، فيقول خالد .

بئس ــ والله ــ ما هممت به فى ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فيقول عبد الله :

ــ ان خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى .

فيقول خالد :

ــ انا اكفيك ..

ثم يدخل خالد على عبد الملك بن مروان والوليد عنده ، فيقول :

ــ يا أمير المؤمنين : الوليد ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره ، وعبد الملك مطرق ، فرفع رأسه فقال :

« .. ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون »(٨) .

يا له من جواب ، ويا لها من مفاجأة .. خالد يشكو للخليفة ويتوقع أن يوبخ الخليفة ابنه ، فاذا بالخليفة يعرض بخالد وعبد الله وفرعهما فى الامويين ويخدم نفسه وأهله وفرعه المروانى ، وكأنه يقول لخالد : لا تلم الوليد على ما فعل ، فانه ملك من ملوك ، والملوك هكذا افعالهم وهذه تصرفاتهم ، وعلى من دونهم أن يعذرهم ويسكت ، فهو يمدح ابنه ونفسه فى هذا النسق الذى غمس فيه كلامه بقرآن ، ويصد الشاكين ويسكت عن ابنه ورعونته المنتقدين .

ولكن خالد بن يزيد لا يقبل التحدى المفاجىء ، ويرفض هذا الاعتذار الذى لا يقل عن ذنب الابن رعونة ، فيرد عبارة عبد الملك الذى غمسها بالقرآن بعبارة أخرى مغموسة بالقرآن .. فيقول من فوره :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »(٩) .

وانه والله لجواب ..

وكأن خالدا يقول لعبد الملك ، لا يدخلنك الزهو ، واياك والبطر بما أوتيت ، ولا تفرح بأنك ملك فيوشك هذا الا يكون عليك وبالا لا جمالا . وكما ساق عبد الملك عبارته مساقا قرآنيا ساق خالد عبارته أيضا مساقا قرآنيا ، وجال فى الموضوع جولان المقتدر العارف بما يقول ، وانغمس بجو القرآن واندفع فاقتحم ، وأجاب فأفحم . وللقصة تتمة ليست من موضوعنا اليوم ولكن افتتاحها كان ــ كما رأينا ــ قرآنيا شريفا ، يدل على كثرة الترداد لكلام الله فى كل حال .

وروى ابن حجة الحموى فى (ثمرات الاوراق) أن اخوين : صالحا وطالحا ، كان يسكنان دارا لهما ، فيسكن الطالح فى الطابق الارضى والصالح فوق ، وكان الصالح يقيم ليله فى التهجد والذكر فيفسد عليه جوه أخوه

الطالح الذى يسهر فى صحن الدار مع رفاقه العابثين فى خمر وقصف وغناء وصياح .. فصبر الصالح مدة حتى كانت ليلة زاد فيها صياح أخيه ورفاقه من تحته فأزعجوه عن ذكره وعبادته ، فأطل من النافذة هائجا وهو يقول :

« افأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض .. » (١٠) .
فرفع أخوه الطالح راسه وقال وهو مبتسم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم »(١١) .

خطاب بجواب ، لم يقل الأخوان من عندهما شيئا ، ان هو الا الشاهد من القرآن ، ولكن شاهد سيق مساقا خاصا بحيث عبر عن المكنون وأصاب الغرض وأوضح وأبان ..

شعب كان برمته مغرما بالقرآن .. غراما شديدا ، فيتواثب القرآن الى الشفاه سريعا دون تهيئة ، فى كل مجال وعلى أى حال ، ولقد اتضح فى الذى أوردناه أن القوم كانوا واعين لما يقولون ، وما به يتمثلون ، وكان ذلك الأخ الطالح نفسه عارفا بآية « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، مدركا فحواها وما المقصود منها ومن المقصود ، فالولع بالقرآن والاقبال عليه عام وعريض ، ومثل ذلك ما رواه ابن الجوزى فى كتابه : « أخبار الظراف والمتماجنين » ، من خبر رجل صاحب دكان كان وعده صاحب له أن يدعوه الى طعام مع أصحاب لهما ، ثم تباطأ بالانجاز ، فكان الاصحاب يجتمعون عند صاحب الدكان فاذا مر بهم ذلك الواعد المخلف قالوا له : « متى هذا الوعد ان كنتم صادقين »(١٢) ، حتى اذا تكرر ذلك منهم جاءهم ذات يوم فقال : « انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون »(١٣) فذهبوا الى مأدبة أعدها لهم .

هذا نمط من عناية الأمة الاولى بالقرآن : حفظه وترداد تلاوته ، فوقر فى القلوب وتماثل على الشفاه وظهر فى كل حوار وتلامح فى كل خطاب ، وكان القوم ظرافا لطافا فى غمسهم كلامهم فى عطوره ، وفى تقليب فكرهم فى أشعة بدوره . فكسب الأدب البيان ، وذل اللسان على شيوع الايمان فى تزاحف الازمان .

---

(١) الآية ٥٨ من سورة يس .
(٢) بعض الآية ٣٣ من سورة الرعد ، وهى متكررة فى غير موضع .
(٣) الآية ١٨ من سورة ق .
(٤) بعض الآية ١٨٧ من سورة البقرة .
(٥) بعض الآية ٣١ من سورة يوسف .
(٦) بعض الآية ٢٦ من سورة القصص .
(٧) هو المعروف فى التاريخ أنه ترك الخلافة لولعه بالكيمياء والترجمة عن اليونان . وكان يدعى (عابد قريش) .. عاقلا حليما كريما .
(٨) الآية ٣٤ من سورة النمل : « قالت ان الملوك .. » .
(٩) الآية ١٦ من سورة الاسراء . (١٠) بعض الآية ٤٥ من سورة النحل .
(١١) بعض الآية ٣٣ من سورة الانفال .
(١٢) الآية ٤٨ من سورة يس : « ويقولون متى هذا الوعد .. » .
(١٣) الآية ٢٩ من سورة المرسلات .

الفتاوى

النكـــاح

الســـؤال :

لى زوجة فى عصمتى ورغبت فى الزواج بأخرى هى فتاة أحبها ولكـــن أهلها يشترطون أن أطلق الاولى فهل هذا الشرط جائز شرعا .. ؟

الجــواب :

ان هذا الشرط مما نهى الشـــارع عنه ويحرم الوفاء به فعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم « نهى أن يخطب الرجل علـــى خطبة أخيه أو يبيع على بيعه ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفىء ما فى صحفتها أو إنائها فانما رزقها على الله تعالى » متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل أن تنكح امرأة بطلاق أخرى » رواه احمد ..

فلا ينبغى أن تظلم الزوجة الاولى من اجل إرضاء غيرها ، ولك أن تجمع بينهما فى حدود العدالة المطلوبة شرعا أو أن تقتصر على الاولى ما دامت مخلصة لك ولا تدعوك ضرورة للتعدد .

الحـــديث القدسى

الســـؤال :

الحديث القدسى لفظه ومعنـــاه من عند الله أم من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

الجـــواب :

الحديث القدسى ليس قرآنا باجماع المسلمين ولهذا لم يجمع معه ولـــم يضم إليه ..

وذهب المحققون الى أنه حديث لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله بالهام أو بمنام .

قال أبو البقاء فى (كلياته) ص ٢٨٨ « القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله بالالهام أو بالمنام » ورؤيا الانبيـــاء حق ..

وقد تميز عن الحديث النبوى بهذه التسمية فنسب الى (القدس) لأن الرسول الكريم يحكيه عن رب العالمين عز وجل ، هذا وقد جمعت الأحاديث القدسية الثابتة مع الأحاديث الصحيحة ومنها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى ذر عن النبى صـــلى الله عليه وســـــلم فيما يرويه عن الله عز وجل : « يا عبادى ، انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » ؟؟؟

عصمة الله للرسول

الســـؤال :

توقفت كثيرا عند قول الله تعالى لنبيه صلى عليه وسلم والله يعصمك من الناس ــ ومعلوم أن النبى ناله الكثير من الايذاء على أيدى المشركين . فكيف يحدث هذا مع وعد الله له بالعصمة ؟

الجـــواب :

ليس معنى العصمة من الناس حمايته من إيذائهم واضطهادهم له وإنمـــا معنى العصمة التى وعد بها رسوله الكريم العصمة من القتل ومن أى عدوان يقضى على الدعوة الاسلامية أما مواجهة المحن ومكابـــدة الشدائـــد والتعرض للايذاء والمصائب التى تأتى فى طريق الدعوة فهذا أمر يخفف وقع المحنة والعذاب على المسلمين لشعورهم بأنهم يلاقون فى سبيل الدعوة ما لاقاه الرسول وانهم يسيرون فى نفس الطريق التى أوذى فيها رسول الله صلى عليه وسلم ولـــو

نجح النبى فى الدعوة بدون مشقة لاستثقل المسلمون المصائب والاحداث التى تعرض لهم فى طريقهم الى الاسلام .

فالعصمة على هذا معناها حمايته من القتل أو الفتك به كما عصمه ربه ليلة الهجرة واخرجه من بين السيوف المشرعة وكان الله وليه ونصيره ..

صيانة الآيات القرآنية

السـؤال :

ما الحكم فى الأوراق التى فيها البسملة أو بعض آيات من القرآن الكريم ولا تصلح للاستعمال هل يجوز رميها فى الشارع ؟

الجـواب :

يرى العلماء أن الأوراق التى فيها آيات قرآنية يجب احترامها فلا توضع فى سلة المهملات ولا تلقى فى الشارع لان فى ذلك إهانة لآيات قرآنية يجب تقديسها وصيانتها بدفنها أو حرقها حتى لا يبقى لها أثر .

وقد احرق عثمان بن عفان رضى الله عنه المصاحف التى كان فيها آيات وقراءات منسوخة ولم ينكر عليه أحد ..

السـؤال :

ما حكم من فى يده مال تجب فيه الزكاة ولكن عليه ديون هل تجب الزكاةفى كل ماله مع وجود الدين ؟

الجـواب :

من كان فى يده مال تجب فيه الزكاة وهو مدين أخرج منه ما يفى بدينه وزكى الباقى ان بلغ نصابا وان كان الباقى أقل من النصاب فلا زكاة فيه لأنه فى هذه الحالة يعتبر فقيرا ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لا صدقة إلا عن ظهر غنى » ..

فلسفة الحرب في الاسلام

للدكتور يوسف حسن نوفل

حين كانت الحرب ضرورة لا مفر منها ودربا ينبغي سلوكه لم يكن المسلمون يندفعون اليها اندفاع الطيور الى النور ، بل كانوا يقفزون إليها قفزات تعقل وتدبر وتخطيط،يعتمد القائد في حركته على إصغاء واع لنصائح الكبار وتوجيهاتهم ، ومن النصائح الموروثة نصيحة اكثم بن صيفي .

« أقلوا الخلاف على أمرائكم فلا جماعة لمن اختلف عليه . واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل ، فتثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين ، ورب عجلة تعقب ريثا ، وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل ، وتحفظوا من البيات » .

وكان القائد يستند الى معرفة بأسرار فرسان العرب فى الجاهلية والاسلام ، مثل عنترة الفوارس ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وزيد الخيل ، وبسطام بن قيس ، والأحيمر السعدى . وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن عبدود ، وعمرو بن معد يكرب فى الجاهلية .

ومثل على بن ابى طالب ، وقطرى بن الفجاءة ، وخالد بن الوليد فى الاسلام .

وجماع ما يمكن أن يستنبطه دارس هذا الجانب هو تلك الخطوط العريضة التى تبلور فلسفة الحرب فى الاسلام ، وهى فلسفة تقوم فى أساسها على القرآن الكريم والسنة الشريفة كأساس أول ثم تدعم بمأثور البطولة عن الأبطال ، ومحكم الوصايا من ذوى الرأى ، وعبر نتائج الوقائع والحرب .

وقد كانت حركة الجيش تقوم على التأنى والتعقل ، يقول عمرو بن العاص لمعاوية والله ما أدرى يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان ؟ فقال معاوية :

شجاع إذا ما أمكنتى فرصة وان لم تكن لى فرصة فجبان

ويقول الأحنف بن قيس : « إن رأيت الشر يتركك إن تركته فاتركه »

وكان المهلب يقول : ــ اناة فى عواقبها فوت خير من عجلة فى عواقبها درك .

ويجد الباحث من خلال ذلك كله الأسس العامة لفلسفة الحرب فى الاسلام وتقوم على ما يلى : ــ

١ ــ العقيدة :

وقد ركزت عليها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، أوصى بها عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص ومن معه من الأجناد حين قال :

« فإنى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو » كما نهاهم عن ارتكاب المعاصى « فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم » .

٢ ــ الصبر والثبات والطاعة :

وقد قال القرآن الكريم كلمته الحاسمة فى هذا المجال : **« يأأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين »** .

وبتحليل هذا المبدأ يتبين أن الثبات فى الميدان والصبر على مكاره الحرب أول شروط التهيؤ والاستعداد المدعوم بالاستجابة الحاسمة لتعليمات القائد ضمانا لوحدة الحركة ، وهذا العنصر ، وحدة الحركة ، هو ما كانت تهدف إليه العرب بقولها : الشجاع موقى والجبان ملقى ، وما عناه أبو بكر بقوله : احرص على الموت توهب لك الحياة .

٣ ــ الضربة الأولى (المبادرة) :

يقول على بن أبى طالب انتهزوا الفرصة فإنها تمر مر السحاب ، ولا تطلبوا أثرا بعد عين ، وقال أحد الحكماء : انتهز الفرصة فإنها خلسة وثب عند رأس الأمر ولا تثب عند ذنبه .

وفى ذلك ما يتداوله العصريون بما يعرف « الضربة الأولى » أو الأخذ بزمام المبادرة ، لأن الضربة الأولى عسكريا تتيح للبادىء فرصة الحاق الضرر بعدوه ثم سبقه فى الاستعداد ،ومما يضاعف من أهمية هذا المبدأ ما تتسم به الحرب الحديثة من سرعة هيأ أسبابها ذلك التقدم الهائل فى فنون القتال .

٤ ــ اللامركزية :

ولهذا كان القائد فى موقعه يعتمد على ما يراه ويعيشه ويجربه ، وتبعا

لذلك تأتى حركته فى إطار منطق عام وفلسفة عامة ، على ذلك كان معظم القادة فى معاركهم ، ومن ذلك أن الحجاج كتب الى المهلب يستعجله فى حرب الأزارقة فكتب اليه : إن من البلية أن يكون الرأى بيد من يملكه دون من يبصره .

٥ ـ لا انسحاب الا لضرورة :

ولهذا شاعت على الالسنة تلك الحكمة المأثورة : استقبال الموت خير من استدباره .

وقال حسان بن ثابت :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدما

وقال العلوى :

محرمة اكفال خيلى على القنا ودامية لباتها ونحورها

وكان العرب يتمادحون بالموت قعصا « اى الموت فى المكان إثر ضربة أو رمية » ويتهاجون بالموت على الفراش ، ويقولون : مات فلان حتف أنفه ، ومن قول السموأل بن عادياء :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل

وقد علل عمرو بن معد يكرب لمواقف ثلاث هى : الانهيار والفرار والمقاتلة بقوله :

الفزعات ثلاث ، فمن كانت فزعته فى رجليه فذلك الذى لا تقله رجلاه ، ومن كانت فزعته فى رأسه فذلك الذى يفر عن أبويه ، ومن كانت فزعته فى قلبه فذلك الذى يقاتل .

كما قالت عائشة رضى الله عنها « ان الله خلق قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء ! اف للجبناء ! »

ويرد فى هذا المجال موقف خالد بن الوليد فى سرية مؤتة ، حيث ارتد بالمسلمين منسحبا ، ومن يعيب على خالد موقفه هذا يجانبه الصواب ، إذ أن من المعروف أن قادة هذه السرية قد استشهدوا واحدا إثر الآخر ابتداء من زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب الذى حمل الراية بيمينه وقاتل حتى قطعت فحملها باليسرى حتى قطعت فضم الراية الى عضديه حتى استشهد ، فابن رواحة الذى لم يذق الطعام اياما ثم لما قدمت له قطعة لحم القاها وجرد سيفه واخذ يصول منشدا الشعر الحماسى حتى استشهد ، ثم اختار المسلمون بادىء الأمر ثابت بن أقرم من بنى العملاق للقيادة لأنه كان اسرعهم الى حمل الراية ، ولكنه رفض فاتفقت كلمتهم على خالد بن الوليد الذى رأى المسلمين قلة مجهدين ، وعدد العدو مئات أضعاف عددهم فرأى الارتداد حفاظا على ارواح المسلمين ، وتم الانسحاب فى حنكة ودربة ومناورة ودهاء ، وقد نقل كلا من الميسرة والميمنة مكان الأخرى ، وجعل المقدمة مكان المؤخرة ، وجعل من خلف جيشه جماعة منهم يثيرون الغبار ويتصايحون عند طلوع الصباح ، وقد كان نتيجة ذلك أن فوجىء الغساسنة والروم بوجوه جديدة ورايات غير الرايات وجلبة وصياح فتوهموا أن مددا جديدا جاء خالدا ثم صال خالد صولاته المعهودة حتى تكسرت فى يده تسعة سيوف واخذ يدافع ويتراجع والعدو لا يتبعه خوفا من الوقوع فى كمين حتى ارتد

بجيشه سالما ، وعلى الرغم من اختلاف آراء الناس فيه آنذاك وبعد ذاك غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم لقبه منذ هذا اليوم بسيف الله ، كما واجه من أطلقوا على أصحاب خالد لقب : الفرار واجههم بقوله : إنهم الكرار بإذن الله وليسوا بالفرار ، ويجمع النقاد والمؤرخون على أن هــذا العمل العسكرى من خالد كان غاية ذكاء ودهاء عسكرى ، ومن هنا نخلص الى أن الانسحاب ضربان ضرب يقوم على التخطيط والتدبير ، وضرب يقوم على الفوضى والأول يعرف بالانسحاب المنظم وتقبله الخطط العسكرية فى كل العصور بل تراه ضرورة فى بعض الأحيان .

٦ ــ دراسة العدو :

وتقوم على الالمام بقدرة العدو ، وعدم الاستهانة بها ، لذا اعترض قتيبة بن مسلم على اختيار وكيع بن أبى مسعود للتصدى لمواجهة خوارج خرسان لأنه « رجل به كبر يحتقر أعداءه ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم فيجد عدوه غرة منه »

وترتبط بدراسة العدو مخادعته وهى محور الحروب فى كل عصر ، قال عليه الصلاة والسلام : الحرب خدعــــة .

٧ ــ حسن القيادة :

ولاشك أن القيادة الحسنة لا يتوقف أثرها على القائد فحسب بــل يتعداه الى جنوده ، وعلى القائد أن يحسن الاستعداد ، ويحضرنا فى هذا المجال وصية من بين الوصايا العديدة التىتنصح القائد وتوجهه ، هذه الوصية التى ساقها ابوبكر الصديق رضى الله عنه الى يزيد بن أبى سفيان ومنهــــا : « .. إذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتــى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تريثهم فيروا خللك ويعلموا علمك ، وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكــن انت المتولى لكلامهم .

ولاتجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمــرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك .

واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الاخبار ، وتنكشف عندك الأستار ، واكثر حرسك ، وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير إفراط .. »

وفى تلك الوصية التى اكتفينا منها بهذا الجزء خلاصة ما يحرص عليه القائد وما يلتزم به الجندى على حد سواء .

٨ ــ كمال الاستعداد :

ويشمل ذلك السلاح حيث كماله واتمامه ، والتدرب عليه ، ولمــا اختبر عمر بن الخطاب سيف عمرو بن معد يكرب وكتب اليه أنه لم يجده

كما بلغه عنه رد عليه عمرو : إنما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث اليه بالساعد الذى يضرب به . وكان جماع ذلك كله قوله تعالى **« وأعــدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .. »**

٩ ــ **الحرب النفسية :**

شاع هذا الاستعمال فى العصر الحديث ، ويقصد به ما يبثه طرف من طرفى العداء فى الطرف الآخر من ذعر وخوف نتيجة اطلاعه عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، والاشاعات السياسية المتعددة على صورة قوته على نحو مبالغ فيه وليس هدف هذه الحرب هو الخوف والذعر فحسب بل هناك هدف آخر هو الاستسلام لليأس أو الاقتراب منه ، ولهذا يسمى ذلك الحرب النفسية أو الحرب الباردة فى مواجهة الحرب الساخنة وهى الحرب الفعلية ، والحرب الاقتصادية فى مجال الاقتصاد .

وقد حطم خالد بن الوليد نفسية أعدائه دائما ، وكان الكثير منهم يطير قلبه حين يعلم انه سيلقى خالدا ، وحين علم صاحب دومة الجندل بمسيرة خالد اليه ، قال ناصحا قومه بمصالحته « لا أحد ايمن طائرا منه ولا أصمد فى حرب ولا يرى وجه خالد قوم ابدا قلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه فأطيعونى وصالحوا القوم » وكما أدرك الاسلام أثر الحرب النفسية فى نفس العدوأدرك أيضا أهمية رفع الروح المعنوية فى نفوس المقاتلين ، وكان مصدر ذلك القرآن الكريم والحديث الشـــريف والشعر والخطب والوصايا والرسائل .

١٠ ــ **التوجيهات والوصايا :**

ولقد كانت الوصايا تركيزا لخبرات وتلخيصا لمبادىء تكفل النصر لمن يعتنقها ، يقول أكثم بن صيفى فى وصيته السابق ذكرها « اقلوا الخلاف على أمرائكم فلا جماعة لمن اختلف عليه ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتثبتوا فإن أحزم الفريقن الركين ، ورب عجلة تعقب ريثا وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل وتحفظوا من البيات » .

وقد تعددت وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمرابن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وخالد بن الوليد وعبد الملك بن مروان وغيرهم ، وكلها تجمع على التخطيط الدقيق والدقة فى التصرف .

ويطول الشوط بنا لو اخذنا فى استنباط الاسس العامة لفلسفة الحرب فى الاسلام ، ونجد انفسنا مؤمنين بضرورة الاكتفاء بتلك النماذج التى تفتح الباب بالقياس والتشبيه الى كثير من الأسس الأخرى .

والى جانب الأسس التى ترجع للجانب التطبيقى أو العملى ، هناك جانب آخر يرتبط بقيمة الحرب ومنزلتهـــا .

وأول ما نلتقى هنا به هو أن يكون القتال فى سبيل الله ليتحقق جزاؤه ومثوبته ولتبقى للحرب بعد ذلك قيمتها قال تعالى : **« ولا تحسبن الذيـــن قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »** .

فهدف الحرب هدف سام هو سبيل الله ، لهذا تحققت فائدتها وهى الخلود فى الجنة يقـــول المصطفى عليه الصلاة والسلام « **إن أبواب الجنة تحت** ظلال السيوف » .

مفهوم الحب في الإسلام

للاستاذ : منير الغضبان

يحسب كثير من الفتيات المسلمات أن بين الحب وبين الاسلام حجابا كثيفا وعداوة مستحكمة . ومن أجل هذا نجد الفتاة المسلمة التى تستجيب لحبها قد يئست من أن تستجيب للاسلام . لأنها بتصورها الخاطىء ترى أن الله يحرم هذا الحب ، وترى أنها لن تدخل حظيرة الاسلام ، بما فى عاطفتها من تحفز وتوثب وجيشان فتنأى عن الله بعيدا بعيدا ، وتتهرب حتى عندما يذكر الله .

لا يا أختاه المسلمة .

لا بد من أن تذكرى فى بداية الطريق أن الحب ضعيفه وعنيفه ، جامحه وعفيفه . مصدره من بارىء النفس وخالقها ــ هو ــ جل شانه ــ الذى أركز فى الفطرة البشرية هذه العاطفة . فلم تفرين من الله والله خالق الحب ؟!

ان فرارك هذا هو ما يريده الشيطان منك . أن تيأسى من رحمة الله . أن تصدقى الشيطان وهو العدو الألد يؤكد لك نصحه كما أكد لأبويك من قبل ((وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين)) الأعراف / ٢١ .

لا داعى أبدا للارتماء عند عدو الله وعدوك . وهلمى إلى الله ، رغم الخطأ والزلل والعثار فهو أرحم الراحمين . بدلا من أن تفــرى من الله . ففرى إليه . ((ففروا إلى الله انى لكم منه نذير مبين)) الذاريات : ٥٠ .

هذا رسول الله وصحبه قد هيج أعمق مشاعرهم امرأة تحنو على طفل

لها فى السبى فتضمه الى حضنها وتعطيه ثديها المدرار انه ابنها الحبيب . وفى هذه اللحظات من المشاعر الحادة المتاثرة .

يسال رسول الله : أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ قالوا : لا يا رسول الله .

فقال : « لله ارحم بعباده من هذه بولدها » .

ولنعد بعد هذه الجولة ، إلى الحب ولنمثل بين يدى الغفور الودود .

« يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين الى جهنم وردا . » مريم / ٨٥ ، ٨٦ .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » مريم / ٩٦

لا حــــرج فى الحب

وبتعبير أدق . لا بد من الحب . فالحياة بلا حب صحراء قاحلة ، وجهد لاحب ، أو بيداء متخمة بالشوك . أما الحب فهــو بلسم الجــراح وعطــر الحياة وسلسبيل الظامىء الملهوف المنقطع فى المفازة المهلكة . ولكن الحب ان ترك بلا حدود جامح وكاسح . ومن اجل هذا جعل الاسلام امنه الحظور والمباح فى كل ينابيعه وجداوله .

والفرعان الرئيسيان للحب هما . حب الذات ، وحب الآخرين .

فحب الذات ينبثق منه :

حب النفس والحياة : ومن فى هذا الوجود لا يحب نفسه ، وينطلق فى خطواته لبنائها . ولقد عبر القرآن عن تغلغل هذه العاطفة فى النفس أن قال : « ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » النساء : ٦٦ .

وقوله عز وجل : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم : البقرة ٢١٦ .

هذا هو المباح فى الحب اما محظوره : ان يثقل بنا حب النفس والحياة عن تكاليف العقيدة .

« يا ايها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل اللـــه اثاقلتم إلى الارض ، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » . التوبة ٣٨ ، ٣٩ . وهكذا نتجاوز حب الحياة .

حب المال : حب تستحكم هذه العاطفة فيه كما قال عنه ربه « وإنه لحب الخير لشديد » العاديات : ٨ . وكما يقول عليه الصلاة والسلام :

« لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » .

هذا واقع النفس البشرية تحب المال . لكن مخطوره أن يتحول الى غاية ومعبود : (تعس عبد الدرهم والدينار) « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير » آل عمران : ١٨٠ .

حب الشهرة والصيت : وتكاد هذه تطغى على سابقتها . فيقدم المرء نفسه على مذبح الشهرة ويقتل نفسه طمعا فى السمعة والصيت الحسن . وحب الثناء والسمعة مركوز فى الفطرة الانسانية .

انه قائم ولكن محظوره . هو ان تتحول الاعمال المقربة الى الله للناس فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يعمل العمل يبتغى به وجه الله ويحب الثناء عليه من الناس فنزل قول الله عز وجل « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » الكهف : ١١٠ ،

لكن الاسلام لبى هذا الحب . حين دعا الى التنافس فى الأعمال لله وحده « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

حب الجمال : وله صلة وثيقة بالشهرة والصيت . وكل امرىء يحرص على الثوب الانيق ، والحذاء المناسب والعطر الشذى . والمنظر الوسيم ، والمظهر اللائق . وقد أقر الاسلام هذا الحب واذا كان هذا الحب بالنسبة للرجل. فكيف به بالنسبة للمرأة ؟ !

لكن محظوره : أن يقود الى التعالى على الناس ، وازدراء الآخرين . والاستهزاء بهم يوضح ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر .

قالوا : يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا .

قال : ليس هذا اعنى . الكبر غمط الناس وبطر الحق .

حب الزينة : وتكاد تنفرد به الفتاة المسلمة . فحرصها على وسامتها وجمالها وابراز محاسنها . شىء مركوز فى فطرتها . لكن محظوره أن يخرج عن الاطار المامون . ان تبرز لغير من تحل له .

حب الآخرين .

حب الأهل : وذلك من خلال عاطفة الأبوة والبنوة والاخوة والقرابة .

وما من امرىء لا يحس بالحنين الى هذه النوعيات . ونجد الاسلام هنا قد حث عليها وشجع تنميتها . « .. آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعا .. » النساء من الآية ١١ . وقد يضحى الانسان بكل ما يملك فى سبيل بنيه وذويه واهله ولكن محظوره أن يحول هذا الحب دون تكاليف العقيدة ومقتضياتها .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم أو عشيرتهم .. » المجادلة من الآية ٢٢ .

حب المتاع والرياش : ويكاد يكون حلم كل شاب أو فتاة فى أيامنا المعاصرة الشقة الفاخرة ، والسيارة الفارهة ، والأرائك الرائعة ، والفرش الوثيرة . انه حب أصيل فى الذات الانسانية .

ولكن محظوره : هو أن يصبح غاية الغايات للفتى والفتاة . ويصبح الحرص عليه دون تكاليف الجهاد فى سبيل الله . فهو الفسق والخروج من الدين .

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين . » التوبة / ٢٤ .

الحب الجنسى : ويكاد يكون فى طرف ، والحب الآخر كله فى طرف . أن له جذورا فى الكيان الانسانى يختلف تمام الاختلاف عن جذور الحب الآخر انه مرتبط بالتكوين الفطرى للمرأة والرجل . لا يعرف الحدود ولا القيود ، يكسر كل ما يجده أمامه ، يلتهب مع أدنى مؤثر ، ويشتعل باقل فتيل ، يملأ العقل والقلب والوجود الانسانى كله . وفيم كان على هذه الصورة ؟؟ !!

كان كذلك بهذه القوة ، وبهذا العنف ، وبهذا الجيشان . لان له أخطر مهمة فى الوجود وهو أن يحقق جمال الوجود وكما له بالجنس البشرى بالتناسل والتكاثر لأشرف مخلوق على وجه الارض . ليتم حفظ الجنس البشرى وتناسله وبقائه . لقد كانت العاطفة الجنسية أقوى من كل العواطف على الاطلاق الا واحدة . لأن له دورا أخطر من كل دور ، دور بناء الانسان وانتاجه .

ومن اجل هذا وجدنا القرآن قد وضعه فى ذروة النعم التى من الله بها على خلقه . نعم . هذا الحب الذى تتصور الفتاة المسلمة انه من رجس الشيطان . حدثنا الرحمن عنه فى كتابه الكريم بمعرض المن والا فضال علينا به .

« أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون .

ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لا تذكرون .)) الواقعة : ٥٨ــ٦٢ .

وحاجة الانسان لهذا الحب أعظم من حاجته للطعام ، فلقد جاء قبل الحديث عن الطعام فى نظام الآيات افرايتم ما تحرثون ..

وأعظم من حاجته للشراب . فلقد جاء قبل الحديث عن الشراب :

((أفرأيتم الماء الذى تشربون)) .. وأعظم من حاجته للدفء والنار .

((أفرأيتم النار التى تورون)) .

ان هذه الأمور الثلاثة ــ الماء والكلأ والنار . بها تكون مقومات الحياة .

ويأتى الحب الجنسى والعاطفة الجنسية قبل هؤلاء جميعا . فهو الحياة . ان كان بالماء والكلأ والنار قوام الحياة . انه أضر ما فى الحياة . وانه أجمل ما فى الحياة . لخص هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :(الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة .) .

ونجد العالم اليوم يعج بهذه العاطفة المثيرة الثائرة ، هذه العاطفـــة الهائلة القاتلة .

فالمجلات والكتب ، والقصائد . والأفلام ، والمسرحيات . والنثر البليغ والشعر الرصين . كلها ذات أكباد حرى تنفث السعار فى الجسم ، وتوقد اللهيب فى الكيان ، وتهيج المخدر من المشاعر . ولا يروى ظماها الا أن تحترق ثم تعود لتلتهب من جديد وتوقد النار لتاكل من جديد .

ولنتحدث عن طرائق البراكين فيها التى تزلزل وتدمر الكيان الانسانى من جهة ، وتزلزل معه آخرته ودنياه فمن محظورها : الحب لغير الزوج . الحب الجنسى الذى يريده كل فتى وفتاة ، ويلوح من بعيد على أنه حب عفيف ونظيف ولكنه لايتم أبدا الا بالانصهار بين العنصرين . وقد حدد الاســلام القناة لهذا السيل عن طريق الزواج . وكل محاولة للخروج به عن غير قناتــه وصراطه سوف يبتلع الانسان ودينه وحياته .

يبتلع الانسان ويقتلعه : لانه يحيل حياته جحيما ، ويرأها بنفس الوقت جنة الخلد . فالفتاة التى تهوى والفتى الذى يهوى . يفقد لذة وجوده الا فى ساعة اللقاء وساعة الأنس . أما ما عدا هذه الساعات وما عدا هذه اللحظات فاحتراق نفسى ، ومرارة دائمة . وبين اللقاء حواجز وسدود .

حواجز من الكرامة ، حواجز من العقيدة ، حواجز من السمعة تحول دون اللقاء . فتنقلب الحياة كلها كارثة لا لذة بطعام ولا شراب ، ولا جلسة ولا اغفاء ولا قراءة الا مع ذلك المحبوب . هذا حين يكون فى غير قناة الزواج .

أما فى قناة الزواج . فتغدو الحياة كلها جنات . فالارتواء العاطفى قربى

من الله ، وعنف الحب زلفى من الله ، والخلوة واللقاء تتم بستر وصون من الله والثمرة للقاء مباركة طيبة ترعاها عين الله وتكلؤهارعايته .

يبتلع الحب دين الانسان :

فحين تحب لا بد أن تقترب ، وفى كل اقتراب آثم . ان الاسلام كان حاسما فى مواقفه من الاتصال بين الفتى والفتاة . فهو يمنع حتى النظرة .
والاسلام يميز بين العاطفة وبين السلوك ، الاسلام يقر الهوى على أنه واقع . ولكنه يطالب بالوقت نفسه بمنع النفس عن الهوى .
((وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى)) النازعات / ٤٠ ، ٤١ .

ويرد تساؤل كبير لم هذه الحواجز دون الحب ؟ لم هذه القيود دون الصلة واللقاء وتلبية دواعى القلب ؟ لأن الهوى مجنون ((فالشباب شعبة من الجنون) و (الحب يعمى ويصم) هذا واقعة أحبب حبيبك هونـــا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يومـــا ما) . ولو ترك الهوى بغير زمام سوف يقود الى الضياع والاثم .

وذلك المجتمع الغربى ما هو عنا ببعيد . سوف ينقل الفتاة من حضن الى حضن . لان الهوى متقلب سرعان ما يهوى وسرعان ما يمل بالاتصال الدؤوب . انه مجتمع فقد زمام وجوده ، وانتهت الاسرة فيه . وانتهت الحياة الاصيلة فيه ، اختلطت أنسابه ، وضاعت قيمه . وانهارت كرامته . انه الفرق بين النظافة والتلوث ، والفرق بين الفوضى والنظام ، الفرق بين حياة البهيمة وحياة الانسان ، والفرق بين الارادة والانهيار . والمجلة العارية : التى تعرض الاجسام عارية وتلتهما الفتاة صفحة صفحة ، وكلمة كلمة ، وصورة صورة ومنظرا منظرا . انما تلتهم حرقة قلب واثارة حب والطريق مسدود . من الله . العليم الخبير . لخائنة الاعين وما تخفى الصدور الذى يريد لعبده اللقـــاء بالطريق الأمين .

والقصة العاطفية : تستهلك وقت وفكر الفتاة . فكيف يكون الارواء . عن طريق الحرام ؟؟ !!

فتبقى الحرقة والاثارة .. والشيطان يدفع ويدفع للعـــار والنـــار والفيلم العاطفى : الذى يسحر العيون ، ويبهر الانظار ، ويفتك بالافئدة وتريد الفتاة التى استشاطت أن تطفىء حرقتها . وأين : فى العار والنار . أو تبقى فى الاتون ملتهبة . فلا تعى على بيت ، ولا تعى على مسؤولية ، ولا تعى على أهل ، بل تبقى هائمة على وجهها . والشيطان يدفع ويدفع الى العار والنار . وأولئك كتبة المجلة الخليعة . وصانعو القصة العاطفية ، ومنتجو

الفلم الجنسي أولئك يكفي وصف الله لهم .

(أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليـــم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) النور ١٩ .

فلو وثقنا بهم لكذبنا الله . ولو قرأنا لهم وعشنا في عالمهم . واستمتعنا بفيلمهم وهمنا بقصتهم . لكنا الجنود المخلصين لهم .

يا أختاه ارادة الله : التوبة عليك . وارادتهم : احراقك في الدارين !!

((والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)) النساء : ٢٧ . وما حواجز الله دون الافلات العاطفي . والضياع والاثم . الا رحمة به ويضعفه وبعجزه . انه تخفيف عنه ((يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)) النساء : ٢٨ .

والثمرة المرة لهذا اللهيب : يا أختاه إما الوقوع في غضب الله . والعار والنار ، والهم والحسرة . وإما الشذوذ الجنسي !!

الشذوذ الجنسي الذي حدا ببعض الفتيات الهائمات بين المجلة المبتذلة والقصة المثيرة والفيلم التافه . أن يمارسن الشذوذ الجنسي بينهن . يخففن هذه الحرقة . ويطفئن هذه اللوعة . فتحب الفتاة اختها جنسيا عناقا وقبلة وضما وتحسب أنها تمارس حلالا . وما تدري أنها تزني . كما في الحديث .

((سحاق النساء زنا بينهن)) وكل ما سمح به الاسلام بين الفتاتين عنـــد اللقاء هو المصافحة . كما روى عن رسول الله صلوات الله عليه . الرجل يلقى اخاه يعتنقه ؟ قال ، لا . قال ، يقبل يده . قال ، لا . قال : يصافحه قال : نعم) ولم تجز القبلة على الرأس أو العناق الا بعد غياب طويل . ان الفتاة عندئذ تروى غريزتها بنظراتها لاختها . فتصبح النظرة واللمس والضم والعناق . حرام لانه يقود الى الحرام . وهي لا تدري .

فحين يناديك الشيطان يا أختاه للقصة المبتذلة والفيلم الخليع . والمجلة المثيرة . ويوسوس لك أن الاسلام قيود . فلا تجيبه .

((والله يعلم وأنتم لا تعلمون)) .

وحين يناديك لاتباع الشهوات . حبا لك ورحمة بعواطفك المثارة . فلا تجيبيه . ((يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)) النساء : ٢٨

وحين يريدك أن تمارسي عاطفتك من خلال علاقتك باختك . فاذكري حديث رسول الله صلوات الله عليه . سحاق النساء زنا بينهن .

واحفظي عواطفك الى أن تصرف في طريق الحلال .

((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .)) الروم : ٢١ .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

تعقيـــــــــب

قرأت فى استطلاع العدد (١٢٣) من مجلة (الوعى الاسلامى) ص ٤٧ بان (المغنى) من عمل مكتبة وزارة الأوقاف الاسلامية ، والذى أعرفه أنه قامت به الموسوعة الفقهية .

وكذلك ذكر أن لجنة الفتوى ملحقة بالمكتبة ، فارجو توضيح ذلك .

مع نبذة عن المغنى .

وتعريف بلجنة الفتوى .

محمد السيد عليش ــ الكويت

... ...

وقد أحلنا السؤال الخاص بالمغنى على الشيخ محمد الأشقر امين المكتبة بالوزارة .

وقد أجاب قائلا : إن الموسوعة الفقهية التى كانت تتبع وزارة الاوقـــاف والشئون الاسلامية قد بدأت العمل فى اخراج معجم الفقه الحنبلى ، ذلك العمل الهام مع موضوعات أخرى قامت بها الموسوعة كالاشربة والاطعمة ، والحوالـــة ثم توقفت الموسوعة عن الاصدار .

و « معجم الفقه الحنبلى » هو من أهم الخدمات لفقه الشريعة فى مذاهبه التى عليها المسلمون فى أقطار العالم الاسلامى،وهو خدمة للمذهب الحنبلى نفسه ينتفع به أتباعه فى اقطار اسلامية مترامية الأطراف .

كما يفيد منها كل راغب فى معرفة حكم مسألة فى مذهب الامام احمد ، وكل بحاث فى الفقة للدراسات الجامعية .

و (معجم الفقه الحنبلى) عبارة عن خلاصة كتاب (المغنى) الشهير فى المذهب الحنبلى ، الذى الفه الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسى الدمشقى المتوفى سنة ٦٢١ هـ .

وهذه الخلاصة مرتبة ترتيبا خاصا ، الغرض منه التيسير الكامل للوصول إلى الهدف .

فلكى تعرف حكم مسألة ما فى المذهب الحنبلى تطلب الكلمة العنوانيـــة الأصلية : (رهن . طلاق . عتق . نكاح .. مثلا) التى يدخل تحتها حكم المسألة المطلوب معرفته .

وبعد الوصول اليها تبحث تحتها بين العناوين الفرعية الجانبية المرتبة ترتيبا موضوعيا منطقيا ، لترى العنوان الفرعى المعبر عن المسألة بذاتها ، أو الذى هو مظنة لها .

فاذا وصلت اليه وجدت هناك الأحكام المقررة فى المذهب الحنبلى ، دون آراء المذاهب الأخرى ، المخالفة التى يعرفها صاحب (المغنى) ، ويناقشها ، ويرد عليها .

لأن المقصود أن يكون (المعجم) خلاصة لأحكام المذهب الحنبلى نفسه ، ولذلك تذكر الأحكام دون الأدلة ، ودون ذكر التعليل .

وقد الحق بكل مسألة في المعجم عزو بالارقام الى الجزء ، والصفحة فى الطبعة الاولى ، والطبعة الثالثة من كتاب (المغنى) ليتمكن من أراد الاستفادة من آراء المذاهب الأخرى ، والأدلة ، والتعليل عن أخذ ذلك من أصل المغنى .

من أجل ذلك ننصح من أراد نشر (المغنى فى الفقه الحنبلى) فى طبعة جديدة أن يذكر على حواشيه أرقام احدى الطبعتين المذكورتين ، لتتم الفائدة للمراجع باستخدام هذا (المعجم) ، وترحب مكتبة الوزارة بأى استشارة حول هذا الموضوع خدمة للثقافة الاسلامية .

وقد وضعت خطة هذا المعجم ، ونفذت مراحله الرئيسية كعمل جانبى لمشروع (الموسوعة الفقهية) وأتمت مراحله النهائية من مراجعة واخراج وتصحيح وفهارس ، بمكتبة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

لجنة الفتوى .

وبالنسبة للجنة الفتوى ، فهى تابعة لادارة الشئون الاسلامية فى وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية وتقوم بالرد على فتاوى الجمهور واستفساراته فى الكويت وخارجه شارحة ميسرة مؤكدة كل حكم تخرجه مستندة فى ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله والي اراء علماء الاسلام من الفقهاء الذين تركوا ثروة هائلة ، وهى مكونة من مجموعة من العلماء الافاضل .

بنك اسلامى فى دبى

خطوة جديدة ورائدة قامت بها دولة الامارات العربية الفتية ..

حيث انشأت « بنكا إسلاميا » يتعامل مع الجمهور وفقا لأحكام الشريعة .. على حد تعبير الأخ سعيد أحمد لوتاه الذى تفضل مشكورا فأرسل الينا برقية بهذا الخصوص . والوعى الاسلامى إذ تبارك وتهنىء بقيام هذا البنك الاسلامى لترجو للمجتمع المسلم فى كل مكان التوفيق الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله .. والسير على نهج التعاليم الاسلامية .. حتى نكون جديرين بنصر الله ... ولينصرن الله من ينصره .

تمثيلية تاريخية

بين الامام النووي

للاستاذ : أحمد حسن القضاة

١ ــ الامام النووى ــ هو ابو زكريا محيى الدين او يحيى بن شرف الملقب بالنووى نسبة الى بلدة (نوى) فى بلاد الشام . كان فقيها كبيراً ، ومحدثا عظيما ، ومؤلفا من اشهر مؤلفاته : شرح صحيح مسلم المسمى (المنهاج فى شرح مسلم بن الحجاج) ــ منهاج الطالبين فى مختصر المحرر للرافعى ــ ــ الروضة ــ وهى مختصر الشرح الكبير للرافعى ــ بستان العارفين ــ الأذكار النووية ــ التقريب ــ الاشارات لبيان اسماء المبهمات ــ الترخيص بالقيام لذوى الفضل والمزية من الانام ــ خلاصة الأحكام ــ المجموع فى شرح المهذب (وقد اعجلته المنية عن إتمامه فاتمه من بعده اسماعيل الحسبانى) .

ولد الإمام النووى فى اوسط المحرم عام ٦٣١ هـ وتوفى فى الرابع والعشرين من رجب عام ٦٧٦ هـ .

٢ ــ السلطان بيبرس ــ هو الظاهر بيبرس البندقدارى المملوكى ، تركى الأصل ، اشتراه احد الملوك الايوبيين فاخذ يرتقى فى مناصب الدولة حتى صار قائدا للمماليك وسلطانا على مصر والشام ، بعد زوال الايوبيين . وقد قام باعمال عظيمة ، وقدم للامة الاسلامية خدمات كبيرة منها اشتراكه فىمعركة عين جالوت المشهورة ومحاربته للصليبيين والتتار . كما قام باعمال عمرانية وإصلاحية فى مصر والشام . توفى فى دمشق عام ١٢٧٧ ودفن فيها .

والسلطان بيبرس

يبدو السلطان الظاهر بيبرس ، وقد عاد لتوه من الجهاد ، بعد أن اجلى الصليبيين والتتار عن بلاد الشام ، جلس فى ديوانه يحف به وزراؤه وقواده .

السلطان (موجها كلامه الى الوزراء والقواد) : ها قد شاءت القدرة الإلهية بأن ننتصر اخيرا على اعدائنا الذين عانت منهم الأمة ما عانت من الظلم والفوضى والفساد . فالحمد لله على هذا النصر ، والفضل له اولا وآخرا . وشكرا لكم ايها القواد على بسالتكم فى الحرب واستماتتكم فى سبيل الحق .

الأمير بدر الدين الخازندار وزير الحربية والقائد العام للجيش : إن اذن لى سيدى السلطان فى الكلام ..

السلطان : تكلم أيها الأمير القائد .. ما عندك ؟

الأمير بدر الدين : إذا كان هنالك من فضل على هذا النصر الذى احرزته جيوشنا فذلك راجع اولا — كما تفضلتم يا مولاى — الى توفيق الله تعالى ، ثم الى قيادتكم الحكيمة واستبسالكم انتم فى المعارك حتى فتح الله علينا ابواب النصر ، وهزمنا الأعداء ..

احد القواد : صدقَ — والله — الأمير يا مولانا .. فقد كنت القائد الأعلى للجيوش .. وكنت فى طليعة الجند ، شاهدنا ذلك بأم اعيننا ..

احد الوزراء : ليحفظ الله مولانا السلطان ، وليجزه عن المسلمين خير الجزاء ..

الوزراء والقواد (بصوت واحد) : آمين .. آمين .

السلطان : بارك اللهُ بكم ، وشكرا لكم على حُسن ثقتكم بنا ، ونحمد

الله الذى انقذ هـذه الامة من شر الأعداء وظلمهم .. لينفضّ مجلسكم الآن ، ولتقَمْ الحفلات احتفاءً بهذه المناسبة السعيدة .. انصرفوا ايها القوم .

ينصرف من فى المجلس ، كما يذهب بعض الجنود لإبلاغ النـاس أوامر السـلطان لإقامة الحفلات ومعـالم الزينة ابتهاجا بالنصر ..

• • •   • • •

السلطان فى ديوانه يجلس مطرقا، مفكرا ، باديا عليه الاهتمام الزائد ، سيما وقد اجـدبت البـلاد ، وقلت الأمطار ، وانهكت الدولة بحروبها مع الصليبيين والتتار ، كما ان المغول ما انفكوا يغيرون على الـدولة كلمـا سنحت لهم فرصة .. ثم ما يلبث ان يستدعى الحاجب .

السلطان : ايها الحاجب !

الحاجب : أمر مولاى مطاع .

السلطان : ادعُ لى كاتب الديوان .

الحاجب : سمعا وطاعة يا مولاى .

يذهب الحاجب فيسـتدعى كاتب الديوان . يحضـر الكاتب برفقـة الحاجب . يدخل الحاجب وحده على السلطان .

الحاجب : ها قد حضر كاتب ديوانكم الموقر يا مولاى ، وهـو بالباب واقف .

السلطان : ليدخـل .

الحاجب : ادخـل يا كاتب الديوان الى مقام حضرة السلطان يدخل الكاتب .

الكاتب : السـلام على مولاى السلطان ورحمـة اللـه وبركاته .

السلطان : يا كاتب الديوان ، اكتب أمرنا بأن تكون بساتين الشـام كلها ملكا للدولة والجيش . وكـل مالك يعجز عن إثبات ملكيتـه لبستانه أو ارضه بأوراق رسمية سيعتبر فاقدا له.

كاتب الديوان : ولكن يا مولاى .. هذه البسـاتين والأراضى كانت ملكا لأصـحابها قبل وصـول الاعـداء واستيلائهم عليها ، وكثير منهم قـد ورثها أبا عن جد . وقد أتلف الأعداء الأوراق الرسمية للبلاد .. مثلها مثل اى أوراق رسمية أخرى .

السلطان : اذا ألقيتُ إليك بأمر فعليك بالتنفيذ ولا تعترض أمرى . افهمت ما قلت ، اخـرج الآن وأعلن للناس أمرى هذا .

الكاتب (وقد أخذته رعـدة) : سمعا وطاعة يا مولاى ، سـأعلن امركم السـامى على الشـعب فى الحال .

يخرج الكاتب مذعورا ليذيع الأمر على عامة الشعب .. الناس يتذمرون ويصيحون .. جلبة وضوضـاء ، واصوات وصخب .. بعض الناس يلجـأون الى الوزراء والقـواد ،

وآخرون الى العلماء والشيوخ .. ولكن دون جدوى .. وبعضهم يذهب الى الامام النووى ـ عالم الأمة الاسلامية فى الشام آنذاك ـ فيطمئنهم الامام الى أنه سيكتب الى السلطان ويراجعه فى هذا الأمر ..

وفعلا يكتب الامام رسالة وافية يدافع فيها باسم الشعب عن أملاكهم ويقول :

(.. وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها ، وطلب الاثبات منهم لا يلزمهم . فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين ، بل من فى يده شىء فهو ملكه لا يحل الاعتراض عليه ولا يكلف إثباته . وقد اشتهر من سيرة السلطان انه يحب العمل بالشرع الشريف ويوصى نوابه به ، فهو أولى من عمل به ، والمسئول عن إطلاق الناس من هذه الحوطة والافراج عنهم جميعهم فأطلقهم أطلقك الله) .

تصل الرسالة مسامع السلطان فتأخذه العزة ، ويستاء كثيرا ـ لما للامام النووى من كلمة مسموعة نافذة ، وتأثير قوى بين أفراد الشعب ـ فيقرر تجريد الامام من مناصبه .

السلطان (بغضب شديد) : ايها الحاجب !

الحاجب : نعم يا مولاى .

السلطان : ادع لى نائبى على ولاية الشام ، ونائبى على القضاء والفتيا ، ونائبى على الخزينة .. ليحضروا جميعهم فى الحال .

الحاجب : حالا يا مولاى .

يحضر النواب جميعهم بعد ساعة .

السلطان : ايها النواب ، إنى آمركم جميعا بقطع ماهيات الشيخ النووى وبعزله عن جميع مناصبه .

النواب : أمر مولانا مطاع ، فلتقطع جميعها ، وليعزل من مناصبه .

السلطان : يا حاجب !

الحاجب : نعم يا مولاى .

السلطان : ادع لى الشيخ ابن النجار واعضاء مجلس ديوانى وقوادى لنستطلع رأيه ـ امامهم ـ فى مسألة الحوطة على الأراضى .

الحاجب : سيحضر اعضاء المجلس وابن النجار فى الحال يا مولاى .

••• •••

فى قصر السلطان .. يدخل أعضاء مجلس الديوان كما يدخل ابن النجار وهو شيخ وعالم سوء ، من الذين يتجرون بالدين ويصطادون فى الماء العكر ولا يتورعون عن اصدار الفتاوى والمسائل المغلوطة فى سبيل نيل شهرة كاذبة ، أو شهوة عابرة ، أو منصب وظيفى زائل ، وذلك على حساب العلماء الأتقياء ، والرجال الشرفاء .

السلطان : ما تقول يا ابن النجار فى أمر هذه البساتين والاراضى بعد أن خلصناها من أيدى الاعداء ، الا يحق لنا أن نضمها الى خزانة الدولة والجيش ما دام ليس هناك من قيود رسمية تثبت ملكيتها لأحد من الشعب ؟

ابن النجار : بلى يا مولاى . ومن أفتى بغير ذلك فقد ظلم نفسه وظلم السلطان . عليك يا مولاى باصدار أوامرك للاستيلاء عليها باسم الحوطة لمنفعة الدولة والجيش .

السلطان : أسمعتم ما يقوله شيخنا ابن النجار يا وزرائى وقوادى العظام ؟ وهل وصل مسامعكم ما أفتى به الشيخ النووى من عدم جواز تملكها للدولة بسبب أنها تعود الى عامة الناس ؟ وما قام به من تأليب الناس وتحريضهم علينا ؟

احد اعضاء المجلس المنافقين : لا عليك يا مولانا . فالشيخ النووى أفتى ولم نقبل بفتواه ، والشيخ ابن النجار أفتى وقد قبلنا بفتواه . فلنأخذ بما قبلنا به ولندع الشيخ النووى وفتواه .

وهنا تسنح فرصة الشيخ ابن النجار ليوغر صدر السلطان على الامام النووى ليتسلم مناصبه بعد عزله عنها ، فيقول :

ابن النجار : ما كان أجدر بذلك الشيخ (ويقصد الامام النووى) يا مولاى أن لا يكون ناكرا للجميل ، جاحدا للنعمة ، فلا يتطاول على مولانا السلطان ويخرج على الملة ، ويفتى بغير علم ، وهو الذى كان يتربع على سدة مناصب عظيمة فى الدولة .. لم يصل اليها عالم فى يوم من الايام .

السلطان : يا ابن النجار ، قد قلدناك جميع مناصبه ووظائفه التى يشغلها فى مملكتنا ، فماذا تقول ؟

ابن النجار : لى الشرف العظيم أن انفذ رغبة مولاى .

• • •   • • •

بعد هذه الأحداث لم ييأس الامام النووى من متابعة النصح للسلطان ، ولم ينطو على نفسه فى بيته — كما فعل كثير من العلماء — وانما أصر على مجابهة الموقف بصبر وايمان .

بدأ المعركة بتوجيه رسالة خطية الى المنافق الشيخ ابن النجار جاء فيها : (اعلم أيها المقصر فى التأهب لمعاده انى كنت لا اعلم كراهيتك لنصرة الدين ونصيحة السلطان والمسلمين حملا منى لك على ما هو شأن المسلمين من احسان الظن بجميع الموجودين ، وربما كنت أسمع فى بعض الاحيان من يذكر بعض المسلمين فأنكر عليه بلسانى وقلبى ، لأنها غيبة لا أعلم صحتها ، ولم أزل على هذه الحال الى هذه الايام ، فجرى ما جرى من قول قائل للسلطان — وفقه الله الكريم للخيرات — ان هذه البساتين يحل انتزاعها من أهلها

عند بعض العلماء ، وهذا من الافتراء الصريح والكذب القبيح .. فلما افترى هذا القائل فى أمر البساتين ما افتراه ودلس على السلطان ، وأظهر أن انتزاعه جائز عند بعض العلماء وغش السلطان فى ذلك وبلغ ذلك علماء البلد .. وجبت على هؤلاء العلماء نصيحة السلطان وتبيين الامر له على وجهه .. ثم انى لأتعجب غاية العجب من اتخاذك اياى خصما — يا حبذا من اتخذ — فانى بحمد الله تعالى احب فى الله تعالى وابغض فى الله تعالى فأحب من اطاعه وابغض من خالفه .. فيا ظالم نفسه .. انا ما خاصمتك او كالمتك او ذكرتك أو بينى وبينك مخاصمة فما بالك تكره فعل خير يسرنى الله الكريم له ؟..) .

ثم يتوجه الامام الى السلطان لينصحه مشافهة مهما كلفه ذلك من ثمن ..

الامام النووى (بباب قصر السلطان موجها كلامه للحاجب) : ائذن لى من السلطان بالدخول .

يدخل الحاجب ويعود بالاذن بالدخول ، فيدخل الامام ويسلم على السلطان .

السلطان : ما وراءك يا شيخ ؟ الا زلت تحرض الناس على أن يشغبوا علينا ، ويقفوا فى غير صفنا ؟

الامام : حيا الله السلطان ، ونفع به الأمة .. ايها السلطان المهيب ، والقائد المظفر ، يا قاهر الكفار والتتار !! اتود أن تتوج انتصاراتك الباهرة ، وجهادك العظيم بهذه النقيصة الخسيسة التى تسمونها (الحوطة) على أراضى الأمة لتكون ملكا للدولة ؟ ما عهدنا سلطان المسلمين القائد العادل ان يتصف بالجور والظلم لا قدر الله ، بل عهدناه قائدا بارزا فى الجهاد ، وإماما عادلا فى الحكم . أيرضى حضرة السلطان وهو الهادم للظلم بأن يهدمه فى جهة ويبنيه فى جهة أخرى ؟

إنى ايها السلطان لا اطمع من وراء نصحى هذا إعادة منصب لى فقدته او لقاء عرض زائف من اعراض هذه الدنيا الفانية تمنحه لى ، ولكنى أنصح واذكر ابتغاء وجه الله ومرضاته .. انصحك بالعدول عن ضم تلك الاملاك الى خزينة دولتك فتسخط الله عليك ، وأن لا تسمع لعلماء السوء والمنافقين الذين يزينون لك الظلم ، ويفتون بغير علم ..

تأخذ السلطان رهبة لهول الكلمات التى القاها عليه الامام ، فيرقّ قليلا ويأمر الامام بالجلوس ، ويدعو الحاجب .

السلطان : اذهب ايها الحاجب وادع لى كاتب الديوان .

الحاجب : أمر مولاى مطاع .

بعد قليل يحضر كاتب الديوان .

السلطان : ايها الكاتب ! اعلن للناس أن السلطان قد عدل عن ضم اراضى العامة الى الدولة .. وكل من

كان واضعا يده على قطعة أرض قبل غزو الأعداء لهذه البلاد فليعد اليها ، فتلك ملك له .

الكاتب (فرحا ، متنقلا ببصره بين السلطان والامام) : سمعا وطاعة يا مولاى ! نصر الله السلطان وأعز ملكه ..

يخرج الكاتب مهرولا خشية أن يتراجع السلطان عن قوله . كما يخرج الامام بعد أن يستأذن السلطان

الناس يفرحون لإعادة أراضيهم اليهم ، والسلطان — فى شدة غضبه — يأمر بعزل ابن النجار عن مناصبه التى ولاه عليها بدلا من الامام والتى لم يمض على أمر تعيينه وعزله سوى أيام .

السلطان : أيها الحاجب ! ادع لى الشيخ ابن النجار .

الحاجب : سمعا وطاعة يا مولاى.

يذهب الحاجب ليحضر ابن النجار وبعد قليل يدخل ابن النجار على السلطان دون أن يعلم ما يخبؤه له القدر .

ابن النجار : السلام على ولى نعمتى مولاى السلطان .

السلطان (بغضب بادٍ على وجهه) : يا ابن النجار قد جردناك من جميع مناصبك .. اخرج .

ابن النجار (مذهولا ، مرتبكا) : و .. و .. ولكن يا .... مولاى .

السلطان : قد أمرناك بالخروج فاخرج .

يخرج ابن النجار مشحونا بالغضب على الامام النووى .. سيما وقد عرف أخيرا أنه كان السبب المباشر فى اقصائه عن مناصبه ، فبيت فى نفسه الشر له .

* * *   * * *

ما انفك الشيخ ابن النجار يكيد ويدس على الامام النووى أمام أتباع السلطان ، حتى عاد فقربه اليه السلطان من جديد ..

طلب يوما الإذن بالدخول على السلطان فأذن له .

ابن النجار : مولاى ، تعلمون أن مصلحة الامة والدفاع عن البلاد يقتضيان أموالا طائلة ، ونفقات كثيرة . وكما أعلم فالخزينة لا تكفى دفع نفقات هذا العام كمصروفات للجند وغيرها بسبب الجدب وقلة الأمطار .

السلطان : وما ترى يا ابن النجار؟

ابن النجار : الرأى لمولاى أولا وآخرا ، ولكنى أدلى هنا برأيى المتواضع ولا أحمل عليه مولاى السلطان .

السلطان : اذا كان برأيك صواب قبلناه ، هات ما عندك .

ابن النجار : أرى يا مولاى أن تفرض ضرائب جديدة على الناس حتى تظل الدولة فى منعة وقوة للتصدى لغزوات المغول والتتار الذين نخشى أن يعيدوا الكرّة فيحتلوا البلاد

من جـــديد ، سيما وهـــم لا يزالون يتحينون فرص ضعفنا للانقضـــاض علينـــا ..

السلطان : ولكن هذا يثقل كواهل العامة يا شيخ ، خاصة والعام عام جدب ، والناس فى حالة فقر .

ابن النجار : ولكن لا تنس يا مولاى ان هذه الضرائب لن تكون على الفقراء بل على التجار والأغنياء فقط .

السلطان : الراى ما تراه يا ابن النجار .. ايها الحاجب ! ادع لى وزير الخزينة .

الحاجب : سمعا وطاعة يا مولاى.

يحضر الوزير بعد قليل .

السلطان : ايها الوزير ، قررنا ضرائب جديدة على الاغنياء والتجار، كل حسب تجارته وثروته .

الوزير : ولكن ... يا مولاى .. هـــذا قد يؤدى الى تذمر النـــاس وغضبهم .. إذ بأى حق ســنفرض هذه الضرائب عليهم ؟.

السلطان : لقد قررنا ولن نتراجع.

يخرج الوزير ليبدأ بصياغة القرار حسب الطرق الرسمية .

وبعد أن يتناهى الى سمع الناس هذا القرار يزداد استياؤهم .. لم يسكت الامام النووى — كعادته — على هذا القرار التعسفى ، فصمم على أن ينصح السلطان ليتراجع عن قراره . ولكنه آثر هذه المرة أن تكون النصـــيحة بطريقـــة غير مبـــاشرة للسلطان . لذا فقد كتب رسالة الى الأمير بدر الدين الخـــازندار وزير الحربية والقائد العام للجيش طالبا اليه أن يكون وسيط خير لدى السلطان كى يعدل عن قراره . وقد شـــارك النووى فى كتابة هذه الرسالة بعض علماء زمانه ولكن فى حذر وإشفاق .

تصل الرسالة عن طـــريق الامير الى السلطان ، فيغضب الســـلطان ويشتد غضبه .

السلطان (موجها الكـــلام للأمير بدر الدين بعد أن قرأ الرســـالة) : أو قد اتخذ منك هذا الشيخ سفيرا أيها الامير لتقوم بحمل رسالتـــه الجوفاء إلىّ ؟

الامير بدر الدين : يا مولاى ، انه كما تعلم شيخ جليل ، لا ينفك ينصح سيدى السلطان وينصح الأمة ، وما جربنا فيه شيئا من نفاق أو مداهنة أو حب للدنيا .. أمـــا تراه عـــابدا زاهدا ، ناصحا مجاهدا ؟

السلطان (وقد خف غضبه قليلا): ما عادت علينا نصائحه الا بالفقـــر (ملمحـــا بذلك الى ضـــرورة فرض الضرائب) .

يخـــرج الامير بدر الدين دون أن يقنع السلطان .

لكن الإمام النووى يأبى الا أن ينصح السلطان ، فيكتب اليه مباشرةً رسالة أخرى صريحة ، دون خـــوف أو حسبان لنتيجة ..

ويشاء الله أن يتراجع الســـلطان عن قراره بعد أن قرأ الرسالة ، وأن ينصاع لنصائح الامام .. ويعود الى جادة الحق والصواب ، فيأمر بالدعوة

الى اجتماع على مستوى عال لرجال دولته ، ليتخذ قرارات جديدة ... ولكنها هذه المرة .. فى صالح الأمة.

السلطان : أيها الحاجب ! ادع لى مجلس ديوانى من وزراء وقواد وعلماء وعلى رأسهم الشيخ ابو زكريا النووى .

الحاجب : أمر مولاى مطاع .

يخرج الحاجب ويبلغ المعنيين ـ بالطرق الرسمية المتبعة ـ لحضور الاجتماع فى قصر السلطان . فيجتمع المجلس . ويبدأ السلطان حديثه :

السلطان : مرحبا بأعضاء مجلس ديوانى ، مرحبا بوزرائى وقوادى وعلمائى . أما وقد جاء الحق وزهق الباطل .. وكشفت لنا الايام عن الكثير الكثير .. فانى أرغب فى أن اطلعكم على ما يجول بخاطرى من مسائل .

احد الوزراء : فليتفضل مولانا السلطان ، وليطلعنا على ما يرغب .. ان شاء .

الجميع : نعم .. فليتفضل مولانا السلطان ..

السلطان : تعلمون انه حدثت أمور ووقعت أحداث بعد جلاء العدو عن بلادنا ، وقد عرضت لنا مسائل كنا نرجع فيها الى مستشارينا وعلمائنا ، فمنهم من كان يؤيدنا ، ومنهم من كان يخالفنا . وكنا نأخذ برأى هذا ، ونمتنع عن رأى ذاك دون تريث أو تمحيص .. وقد ثبت لنا أن العلماء المؤيدين لنا كانوا إما منافقين أو خائفين .. وأن العلماء غير المؤيدين كانوا علماء عاملين ناصحين، لا يبغون من وراء ذلك جزاء الامة أو شكرها .. بل ابتغاء الحق ومرضاة الله . لذا فانى أشهدكم أن من كان منافقا وثبت نفاقه فسيلقى جزاءه لدينا .. ومن كان خائفا فسننظر فى أمره .. ومن كان عاملا ناصحا فسنضعه فى مكانه الأسمى ، ونمنحه من العطايا والمناصب ما يرضى .

احد العلماء (خائفا) : ان شئت يا مولانا أن تبين لنا هذه الاصناف بأسماء ذويها ..

الجميع : بلى يا مولانا .

السلطان (وعلى وجهه امارات التهديد) : لا ... ليس ذلك الآن .. وإنى متيقن أن أكثركم كانوا يعرفونهم من قبل . أما الذين لا يعرفونهم اليوم فسنعرفهم بهم غدا .. عندما نضع كلاًمنهم فى مكانه اللائق به ..

ينصرف كل من فى المجلس ما بين هياب وجل ، أو مسرور جذل .

وينصرف ابن النجار ومن على شاكلته خائفا ، مذعورا ، موقنا أنه لن يسلم هذه المرة من عقاب السلطان سيما وقد بانت الحقيقة وانكشف الزيف والنفاق ..

وينصرف الامام النووى رافع الراس ، عزيزا .. وبرفقته زملاؤه العلماء الفضلاء .. بين تحية الجماهير وهتاف المسلمين بالدعاء لهم : بالتوفيق وحسن الجزاء ..

كتاب الشهر

دراسات في القرآن

للأستاذ : السيد احمد خليل

عرض وتحليل : محمد رياض العشيرى

لا شك ان القرآن منذ نزوله قد حظى باعتناء الدارسين العلماء على اختلاف مناحيهم ، بما أثمر من بعد كثرة كاثرة من الدراسات المتباينة تباين أصحابها فى المعرفة والمنهج .

وهذا عرض لدراسة جديدة كاتبها وثيق الصلة بالدرس الاسلامى ، قضى كثيرا من العمر باحثا فى ميدانه ومحاضرا له فى الجامعة ، وهو منذ أمد بعيد شديد الاهتمام بظاهرة التفسير قدم عام ١٩٥٤ دراسة فريدة حول الكتب المقدسة والقرآن ، ودرس من قبل الطبرى المفسر . وهو الى جانب ذلك دارس أصيل توفرت له أدوات الدرس العلمى الدقيق الواعى فى مجال البحث اللغوى ، وكان له فيه دراسات لما تزل مرجع باحثيه .

ومن هنا كانت معالجته الرابطة بين الدرس الاسلامى أو الدينى والدرس اللغوى سمة من سمات المنهج العلمى الذى انتهجه فى مباحثه المختلفة ، ولا شك أن هذا المسلك العلمى منه مسلك بصير بمناهج علمائنا الاقدمين اذ أن هذا الربط بين الدرس الدينى والبحث اللغوى قديم قدم حركة العلوم العربية التى دفعها الى الوجود والارتقاء نزول القرآن الكريم ، فقد

كانت الدراسة اللغوية أولى المحاولات التى تعاملت مع هذا النص الكريم سعيا وراء فهمه وبيان طرائقه فى التعبير وتيسيرا لعملية الاستنباط الفقهى منه التى تصله بحياة المسلمين الجديدة فى جانبيها العقدى والعملى .

والكتاب الذى نعرض له هنا يقع فى مقدمة وبابين وخاتمة .

فدراسات المؤلف تلك تاريخية محللة والحق أنه التزم بهذه التاريخية وهذا التحليل التزاما دقيقا . وهو عندما يحدد هنا غايته من هذه الدراسة يلفت فى الوقت نفسه الى منحى منهجى له لا يفصل فيه « **الحديث عن القرآن نزولا وتاريخا عن التفسير ، ذلك لأن التفسير بما هو عمل يراد به البحث عن معانى القرآن واستخلاصها لا يكاد ينفصل عن تاريخ القرآن ..** » .

وقبل تحقيق هذه الدراسة التاريخية فى ضوء هذا الربط بين تاريخ القرآن والتفسير يمهد المؤلف للقول بحديثه عن ثقافة المفسر بعامة والطاقات التى يجب أن تتوفر فيه والتى تعينه على الرؤية ونفاذ البصيرة . ومدار هذه الثقافة دائرتان احداهما حول النص الذى يقصد الى تفسيره والاخرى تتعلق بالنص نفسه . فالمفسر فى حاجة ضرورية الى معرفة لغة النص وكيف درسها أصحابها ومناهجهم فى هذا الدرس، الى جانب حاجته الى معرفة تاريخ النص : حياته وقراءاته ورحلته الى البلاد المفتوحة وأثر هذه الرحلة فى تفسيره ، ولكن هذه المعرفة التاريخية المحددة لن تغنيه عن درس التاريخ بعامة توضيحا لحياة المجتمعات الإسلامية التى عاش فيها النص القرآنى على تباينها وتغيرها المطرد ، وبيانا لمقررات هذه المجتمعات وثقافاتها بخاصة ما يتصل منها باللغة — فى هذه البيئات — التى اكتسبت — لا شك — دلالات جديدة كان لها أثر فى عملية التفسير ، هذا الى خبرة المفسر بالنفس الانسانية التى اتجه اليها القرآن مسددا خطاها وهاديا لها « **فعلى قدر ما يتاح للمفسر من خبرة بالنفس الانسانية يكون تفسيره للنص أدق وأعمق ..** » .

والدائرة الثانية التى تتعلق بالنص تفرض على المفسر الماما دقيقا بما فى النص نفسه من علوم كمعرفته بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمكى والمدنى .

وتحدد ثقافة المفسر بهذا الشكل الآنف يرينا كيف أنه يقف ازاء نص له خصائص تميزه عن غيره من عامة النصوص فهو صادر عن الغيب ، يمتد توجيهه الى الحياة الانسانية كلها ولا يتحدد بالحياة المعاصرة لنزوله ، وهو فى شكله مخالف لما ألفته العرب من الانواع الادبية ، مباين كذلك لما سبقه من الكتب المقدسة فى عرض الفكرة وصياغتها .

والمؤلف من بعد يترسم خطى ثقافة المفسر — التى رسمها — فى عرضه لدراسته ، اذ يحدثنا فى الباب الاول عن لغة القرآن ودور النحو فى

التفسير القرآنى ، وينتهى فى ذلك الى أن القرآن نزل بلغة وان كانت تعزى الى قريش فانها اصطفاء من لغات القبائل التى اتصلت بها قريش عن طريق الحج والتجارة ، وهى تلك اللغة العالية التى وصل الينا فيها هذا الشعر وتلك الخطب الجاهلية ، ولا شك أن النحو كان ولا يزال عاملا هاما فى فهم النص وتوجيه قراءاته ، وعلاقة هذه القراءات باللهجات العربية التى تألفت منها تلك اللغة التى نزل بها القرآن ، وأن النحاة كانوا من اوائل الدارسين الذين لفتوا الى الاعتماد على اللغة فى التفسير ما دام القرآن قد نزل بهذه اللغة للاعجاز ، ثم يقف المؤلف عند تاريخ هذا النص الكريم وجمعه فى عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى عهد أبى بكر وعهد عثمان رضى الله عنهما ، دافعا فى ذلك اتهامات المستشرقين المغرضة المشككة والتى ارتكزت الى روايات واهية تتعلق بهذا الجمع وبما خالف رسم المصحف من تفسيران وضعها الصحابة فى مصاحفهم ـ كابن عباس مثلا ـ فظنها هؤلاء قراءات أخرى للنص تزيد عنه وتشكك فى صحته .

يخصص المؤلف بعد ذلك الباب الثانى لدراسة التفسير : نشأته واتجاه تطوره حتى العصر الحديث ، فيعرض أولا لمعنى التفسير والتأويل وأسبقية لفظ التفسير وجودا فى العمل التفسيرى ويقرر أن « **عملية التفسير تعنى بما حول النص اكثر من عنايتها بما فى النص نفسه ، ذلك لأن ما حول النص يعين على تحديد المعانى وبيانها ... أما التأويل فانه الوصول الى أعماق النص ... وهكذا نرى أن التأويل يحتاج الى خبرة وثقافة ، ولا يوجد الا فى مرحلة تبلغ فيها الثقافة والعلم عند الأمم مبلغا كبيرا** » . والتفسير ـ على أية حال ـ فى أول أمره كان جزءا من الحديث وهو التفسير المروى عن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، ثم اخذ ينفصل ويصبح علما مستقلا له اصوله وقواعده . ومن ثم كان التفسير الاثرى أو التفسير بالرواية اول مراحل التفسير « **ذلك لأن المسلمين تحرجوا أول الأمر من تفسير القرآن لاعتقادهم أنه القطع على الله بانه عنى بهذه الآية كذا وكذا ، ولا سبيل الى تحديد أرادة الله فى آية من الآيات الا بالرواية عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم** » ، وعن طريق هذا التفسير الأثرى كان دخول الاسرائيليات الى العمل التفسيرى ومن هنا هاجمه بعض ائمة الحديث كابن حنبل ، وهذا المنهج فى التفسير انما هو واحد من مناهج أربعة « **والواقع أن المنهج الأثرى كان أول المناهج وأسبقها اذ أنه يمثل التوقيفية المطلقة فى فهم النص ، كما أنه يمثل ايضا تدرج نظرية المعرفة منذ كانت الانسانية تعيش على مواريث ممثلة فى هذه المرويات** » .

يأتى بعد ذلك المنهج الثانى وهو المنهج العقلى وأصحابه هم المعتزلة

الذين رفعوا من شأن العقل ومكنوا له فى الحكم على الأشياء فقالوا بالحسن والقبح العقليين ، كما قدموا حكم العقل على حكم الشرع ، وهم فى هذا التقديم — كما يقول المؤلف — **« لا يريدون أن يفاضلوا بين حكم الشرع ، وأن يجعلوا الأسبقية لحكم العقل الا من حيث الاستدلال على العقيدة والتدين بها »** وهم فى تفسيرهم — على أية حال — مالوا الى التأويل وقالوا بالتمثيل والتخييل، وحاولوا أن يفهموا النص القرآنى على اساس من منطق اللغة وروحها فى البيان والتعبير ، وهم لذلك أقرب الى اللغويين المفسرين ، ولم يسلم المعتزلة من الهجوم الشديد من أهل السنة وعلمائها كالطبرى والاشعرى وابن تيمية .

المنهج الثالث من هذه المناهج الأربعة هو المنهج الرمزى وهو ما انفرد به المتصوفة فى تفاسيرهم وهو يعتمد على منهج فى المعرفة قوامه الوجد أو الذوق . فالرمز الصوفى خاضع لمواجد الصوفى وذوقه ومن هنا تختلف تفسيراتهم اختلافا شديدا أضف الى ذلك ما قالوا به من نظرية المقامات وهى أن للنفس البشرية مقامات ترقى من واحدة منها الى الاخرى حتى تتصل بالملأ الأعلى مصدر المعرفة ومعينها ، وقد ظهر أثر هذه النظرية فى تفسير ابن سهل التسترى ، كذلك قولهم بنظرية المعانى الأربعة ويعنون بها أن القرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا ومعنى هذا أن للقرآن — فى نظرهم — أربعة معان يمكن أن يحمل عليها وأن تستنبط منه — وهم فى اتجاههم هذا الى باطن النص يرون أنه لا سبيل الى الوصول الى هذا الباطن إلا بعد تصفية النفس بأنواع من المجاهدات والعبادات حتى تكون مستعدة لتلقى المعرفة بما يفيضه الله عليها من العلم ، هذه النظرة الباطنية للنص القرآنى كانت باعث صراع عنيف بين المتصوفة والفقهاء وبينهم وبين المفسرين .

يبقى بعد ذلك المنهج التمثيلى فى التفسير و « **المراد به ... أن ما يقصه القرآن عن نشأة الخليقة والاحداث المتصلة بحياة الأنبياء والمرسلين فى دعوتهم الى الله ... ثم الاحداث المتصلة بما اختص به بعض هؤلاء الانبياء من العمل وما سخره الله لهم من مخلوقات — يراد بها معان أخرى يمكن أن يستفيد بها الانسان المتدين فى مواجهة الحياة والعمل فيها واستنباط النواميس العامة المسيرة لها ...** » وكان المعتزلة أول من نادى بهذا التمثيل وفسروا بعض الآيات على هدى منه .

كانت هذه المناهج الاربعة طرائق اتبعها القدماء فى عملهم التفسيرى ، فماذا عن اتجاهات التفسير فى العصر الحديث .

يشير المؤلف الى أن الحركات التجديدية الدينية التى ظهرت فى الشرق الاسلامى كانت تعتمد أساسا أول أمرها على القرآن . وكان أول الداعين الى هذا التجديد الأستاذ

الإمام محمد عبده . وقد دعا محمد عبده الى تقوية المنهج التمثيلى فى فهم النص القرآنى .

وإذا تركنا الأزهر الى الجامعة المصرية لرأيناها هى الأخرى اتجهت الى دراسة التفسير وكان اسم الأستاذ امين الخولى اشهر الأسماء فى ذلك فله دعوته ومنهجه الخاص فى درس القرآن موضوعات بحيث تجمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد ثم تدرس وتفسر مع ملاحظة الحس القرآنى فى استعمال المادة الواحدة ، ومع دعوته الى ملاحظة التفسير التاريخى فيما ترك السالفون من تفاسير .

وقبل أن يوشك المؤلف على الانتهاء من دراسته يفرد فصلا خاصا بقضية الإعجاز القرآنى وأثرها فى تفسيره ثم فى حياة البلاغة العربية ويصل فيه الى أن التمثيل اساس لنظرية النظم عند عبد القاهر وهو المنهج الذى درسه المعتزلة وتوسعوا فيه . ثم يعرض لاستفادة الزمخشرى ــ خاصة ــ فى تفسيره بنظرية النظم ويرى أن الجديد لديه فى تطبيق هذه النظرية على النص القرآنى إنما هو دعوته الى التمثيل .

وفى ختام هذا التطواف العاجل حول التفسير القرآنى تاريخا واتجاهات مع كتاب دراسات فى القرآن جدير بنا أن نقف قليلا واضعين لمعالم المنهج العلمى الذى تميزت به هذه الدراسة وانفرد به مؤلفها .

أولا : للمؤلف نظرة كلية شاملة يربط فيها بين المباحث المختلفة للثقافة العربية ، فهو لا يدرس ظاهرة التفسير منفصلة عن البحوث اللغوية التى دارت أصلا حول النص القرآنى وتأثرت به ، كما أنه لا يغفل هذه الصلات الوثيقة بين الدرس الدينى واللغوى ودرس التشريع الاسلامى فقهه واصوله .

ثانيا : وهو كثير الرجوع الى البيئة باحثا عن العوامل والموجهات التى وجهت فيها اللغة والنص القرآنى قراءاته وتفسيره .

ثالثا : وهو يرى أن المنهج التاريخى ادق المناهج وأوثقها سواء فى النظر الى اللغة أو الى التفسير أو الى التشريع .

رابعا : والمؤلف على وعى دقيق باغراض المستشرقين الذين تناولوا الدرس الاسلامى بالبحث وبثوا خلال ذلك تشكيكهم المسموم ، دافعا لهذه التشكيكات وكاشفا عن مسالك اصحابها الملتوية .

خامسا : يسلك المؤلف مسلك علمائنا الأقدمين فى التحرى والدقة وفى نظرة الناقد الى بعض الروايات التى يتخذها المغرضون حجة لآرائهم فيوهنها سندا ومتنا .

وبعد فهذه دراسة جديرة حقا بالقراءة الواعية لكثير من الباحثين فى ميادين التفسير واللغة بخاصة والدرس الاسلامى على العموم .

بأقلام القراء

النظــرة الفعــالة

يبدو ان العالم الاسلامى يمر الآن بمرحلة يمكن أن نطلق عليها بقليل من التجاوز مرحلة البكاء على الأطلال واسترجاع الذكريات .. فلا يكاد يمضى يوم حتى تطالعنا اقلام عديد من المفكرين بمرثيات طويلة مدبجة يتخللها بين الحين والآخر عبارات تنم عن الالم وصرخات تفيض بالدموع تذكر لنا كيف أن الحضارة الاسلامية فى أيامها الغابرة كانت فجرا بزغ وعلى حين غرة فى ليل الانسانية السارى المدلهم فأنار لها الطريق واضاء لها الظلمات وتذكر ايضا بمزيد من الأسى كيف أننا قد أضعنا مجد آبائنا واسلمناه للعدم وصرنا الآن نتخبط فى دياجير الظلام بعد أن غربت شمس حضارتنا الزاهرة .

وهكذا يخلع مفكرونا على أقوالهم ثوبا شعريا حين يتحدثون عن الحضارة الاسلامية مستعينين فى ذلك ببعض الاشارات والمجازات التى تعطى الفكرة طابعا مأسويا ثم لا ينسى هؤلاء المفكرون قبل أن ينهوا حديثهم ان يذكروا لنا ايضا كيف ان الحضارة الاوروبية حضارة بلا روح تقوم على اسس مادية بحتة ومبادىء إلحادية هدامة .. بل انها تكاد تخلو من كل ما من شأنه اراحة الضمائر وسعادة النفوس ، وأنها ــ أى الحضارة الغربية ــ ستؤول حتما الى الانهيار .

وهكذا ندرك ــ الى حد ما ــ طبيعة تلك الاقوال والأحاديث التى غالبا ما تثار حول قضية التخلف كلما بدت فرصة لابداء الآراء وكأنه قد كتب علينا والى الأبد أن نطبع حلولنا دائما بعاطفة تميل بطبيعتها الى المبالغة فى التفاؤل أو الاغراق فى التشاؤم .

ولكن وبعد أن مضى وقت سمعنا فيه مثل هذا الحديث الباعث للاشجــان بما فيه الكفاية يعن لنا الآن ونحن بصدد القاء نظرة واقعية على ما يدور فى عالمنا المعاصر ان نتساءل عما اذا كان على هؤلاء المفكرين ان يظلوا هكذا بعيدين عن واقع التجربة الحضارية للشعوب الاسلامية الى الأبد .

ان طبيعة الأشياء تدعوهم الى ان ينظروا الى مشاكلنا نظرة خاصة محددة وبعيدة كل البعد عما يمكن أن يكون عائقا فى سبيل معرفتنا لأبعادها الحقيقيــة كانفعال عاطفة أو نظرة متحاملة ، اذ ان مجتمعنا الذى يمر فى وقتنا الحــاضر

بمرحلة يطلق عليها علماء الاجتماع مرحلة ما بعد التحضر قد أصبح من الصعب الكشف عن سلبياته التى تعوق تقدمه بالنظرة العامة التى غالبا ما تكون قاصرة عن ادراك العوامل الهدامة الخفية اذ أن الافكار فيه قد أصبحت ميتة ومحاطة بالغموض وتدور فى دائرة مفرغة ، وأصبحت الهوة التى تفصل بين الواقع الاجتماعى للشعوب الاسلامية وبين ما يمكن ان نسميه بالواقع الروحى تتسع باستمرار بحيث نراها وقد ابتلعت كل المحاولات الفردية الداعية للتغيير وعندئذ ندرك العلاقة القائمة بين تلك الهوة وبين التخلف الذى يعانى منه المسلمون بل انه لا يسعنا الا أن نقول ان تلك الافكار [illegible]سية التى كانت بمثابة القواعد التى شيدت فوقها صروح حضارة بلغت ما بلغت من تقدم ورقى قد أصبحت الآن محل جدال ومثار نقاش مستديم والآن ماذا ينبغى علينا ان نفعل .

فها هو الاسلام دعامة وجودنا فى الحياة يواجه تحديا لم يسبق ان واجهه من قبل وعليه أن يستجيب ويقبل التحدى ، وعليه فان شعوبه يجب أن تستفيق وعلى ذلك ينبغى على هؤلاء المفكرين أن يدرسوا الواقع بما فيه دراسة وافية ويستخلصوا النتائج ، ثم عليهم بعد ذلك أن يطرحوا حلولا مستمدة من واقع تجاربنا الذاتية ومستقاة من طبيعة تلك المشاكل ثم يخضعوا تلك الحلول لأدق الملاحظات العلمية عند التطبيق حتى يمكن التنبؤ بشكل مؤكد بالنتائج المرجوة .

وعند ذلك سندرك ان الشعوب الاسلامية فى رغبتها الملحة للتقدم ليست محتاجة الى مقالات عاطفية أو مجازات بلاغية بقدر ما هى تحتاج الى الدفعة التى تجعلها تضع قدميها على أول الطريق .. تلك الدفعة التى جعلت بلال بن رباح يصرخ بينما يداه تشير الى السماء .. أحد .. احد .. غير آبه بالتعذيب وكأنه يقول للتاريخ : إن عليه أن يدق بدقته المزدوجة معلنا على العالم أجمع قيام حضارة وسقوط أخرى .

جمال احمد عفيفى

ان كنت تؤمن

او تدعون الصدق فى الايمان — وتعارضون حكومة القرآن ؟
وتمجدون الله فى اقوالكم — وتناصرون عصابة الشيطان
ان كنت تؤمن أن ربك قد حبا — هذا الوجود بجودة الاتقان
اترى بان الله يترك امره — لهوى النفوس وشرعة الانسان ؟
ندعوا التطاحن فى قشور سياسة — وتعاضدوا فى الله كالبنيان
الله : لم يأمركم بأوامر — هى فى الحقيقة ليس فى الامكان
فى الدين تنظيم وكل عناية — بالروح بالأخلاق بالأبدان
وعزوفنا عن ديننا هو سر ما — نلقاه من ذل ومن حرمان
واذا جفا الاسلام اى مخطط — سيبوء رغم الجهد بالخسران
ندعوا قوانين الهوى وترسموا — هدى النبى ومنهج الفرقان

ضياء الدين محمد سعيد

قالت صحف العالم

احداث الصومال .. !

ما زال العالم الاسلامى يعيش اصداء ما حدث للعلماء المسلمين فى الصومال .. وقد استنكرت الشعوب الاسلامية فى الوطن الاسلامى كله ما تعرض له علماء الصومال المسلمين من قتل واضطهاد وتعذيب .. وأبرقت الهيئات والمؤسسات الاسلامية الى السلطات الصومالية مستنكرة جريمة القتل البشع لعدد من العلماء الافاضل رفضوا قوانين منافية لطبيعة الاسلام ومبادئه .. ونشطت الصحافة الاسلامية فنشرت على صفحاتها بيانات الاستنكار .. ودعت الى التمسك بمبادىء الدين الحنيف .. ومساندة العلماء المسلمين فى الصومال ..

— ● —

وقد نشرت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) بيانا صادرا عن الرابطة تستنكر فيه جريمة أعدام العلماء المسلمين فى الصومال هذا نصه :

تناولت وكالات الانباء العالمية والاذاعات العربية اقدام السلطات الحاكمة فى الصومال على اعدام ١٠ من العلماء لمطالبتهم السلطات العسكرية بتطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية كما زجت بالمئات منهم فى السجون بدون محاكمات لأنهم لم يوافقوا على القوانين التى سنتها حكومة الصومال والمخالفة للشريعة الاسلامية وتعاليمها ولمطالبتها بالتمسك بالاسلام وباللغة العربية .

إن الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى تستنكر بشدة أقدام حكومة الصومال على اعدام العلماء وسجن عدد كبير منهم لأنهم قالوا ربنا الله .

ولقد تابعت الرابطة منذ مدة الاجراءات التى قامت بها حكومة الصومال والتى تخالف مخالفة صريحة مبادىء الاسلام الذى يدين به الشعب الصومالى عن بكرة أبيه ومن تلك الاجراءات :

- الغاء نظام الميراث الاسلامى .
- مساواة المرأة بالرجل فى جميع الحقوق .
- منع القاء الدروس الدينية الاسلامية فى المساجد .
- منع العلماء والخطباء من القاء خطب الجمعة باللغة العربية .
- الغاء الكتابة بالحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية .

هذه الاجراءات وغيرها ، كلها تحديات للاسلام وللشعب المسلم فى الصومال ، يستنكرها المسلمون جميعا .

والامانة العامة للرابطة ، والتى تمثل المنظمات الاسلامية الشعبية فى العالم تتألم اشد الألم لما يجرى فى الصومال كما تحتج بشدة لاقدام السلطات الحاكمة على قتل العلماء واضطهاد المئات منهم .. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ على أمتنا الاسلامية دينها وأن يوفق قادتها المسئولين عنها لما فيه خيرهم ومستقبلهم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

شـــيخ الأزهـــر

حول الأزهر ومشيخته دار حديث طويل على صفحات عدد من الصحف والمجلات فى الوطن العربى وناقش المسئولون وضع الأزهر ودوره .. وما يجب أن يكون عليه خدمة للاسلام والمسلمين وما يجب أن يتوافر له حتى يستمر فى القيام برسالته على خير وجه ..

= — =

حول هـــذا الموضوع كتبت جريدة (الاهرام) القاهرية فى عددها الصادر فى ٧٥/٣/٧ تقول :

منذ الف عام انشىء الأزهر كجامعة اسلامية عظيمة ، وخلال الألف عام قدم الأزهر مئات الألوف من العلمـــاء الذين أخلصوا لله والامة ، وبغير الأزهر كان الاسلام يفقد الكثير من فكره المتجدد ، وكان يترك نفوره بغير حراسة .. والمفروض أن شيخ الأزهر لا يمثل شخصه ، ولا يمثل اقدم جامعة فى العـــالم فحسب . وانما يمثل العلم الدينى ، ويرمز لعلماء الاسلام قبل هذا وذاك ..

لو سألنا انفسنا هذا السؤال : كيف يصير أحد العلماء فى مصر شيخا للأزهـــر ؟

فان الجواب هو : التعيين . عن طريق التعيين ، تقوم السلطة بتعيينه من بين جماعة كبار العلماء . نعرف أن هذا التعيين شىء يثير الدهشة .. لماذا لا يتم انتخاب شيخ الأزهر من بين كبار العلماء أنفسهم .. لقد شـــهدنا فى مصر كثيرا من شيوخ الأزهر الفضلاء ، وكانت لهم مواقفهم من العـــدل والحرية حين جارت السلطة على العدل والحرية ، كما شهدنا قلة من شيوخ الأزهر اغلقوا أفواههم على الصمت حين أودى بالقائلين البيان .. نحن نثق فى القيادة السياسية ، واحترامنا للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الحالى فوق مستوى النقاش ، وحبنا له وتقديرنا لعلمه لا يوفيه قدره ، ولقـــد احسنت الدولة حين عهدت اليه بأن يكون شيخا للأزهر ، ونحن نعرف أن الأمر لو ترك للعلماء أنفســـهم لانتخبوا الدكتور عبد الحليم محمود ، وربما يقـــال لنا علام الضجة ما دامت الدولة قد اختارت ما كان العلمـــاء سيختارونه هـــذا الدفع خطأ ، اننا نريد اقرار مبدأ انتخاب شيخ الأزهر لا تعيينه. .ونريد اقرار مبدأ منح شيخ الأزهر سلطات حقيقية ، ونريد اقرار مبدأ استقلال الأزهر وشيخه ، بحيث لا يمكن عزله ولا يمكن أن نمس حقا من حقوقه .. ويكون ذلك للعلماء الذين انتخبوه وحدهم ..

بهذا المبدأ نساهم فى ارساء قواعد المؤسسات الحقيقية .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : ف . ع

الكـــويت :

● شارك وفد الكويت برئاسة سمو أمير البلاد المعظم فى مؤتمر القمـــة النفطى والذى عقد فى الجزائر فـــى الفترة الواقعة بين الرابع والسادس من شهر مارس الماضى .

● قام سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء بزيارة رسمية للسعودية على راس وفد كويتى .. واجتمع الـــى جلالة الملك فيصـــــل والمسئولين السعوديين .. وناقش الوفد الكويتى القضايا التى تهم البلدين الشقيقين .

● عقد فى الكويت أول مؤتمر عربى اقليمى للاذاعات التعليمية ، وقـــد حضر المؤتمر وفود من البلاد العربية ممثلة للاذاعة والتلفزيـــون ووزارة التربية والتعليم ، ووفود اخرى تمثل منظمة اليونسكو ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وغيرها .

● تقرر تعميم المساجد واماكـــن الصلاة فى جميع المدارس الثانويـــة والمتوسطة تسهيلا للشباب فـــى اداء الفرائض الدينية ، وتشكلـــت لجنة وزارية مكونة من وزراء العـــدل والأوقاف والشئون الإســـلامية ، والتربية ، والأشغال لوضع القـــرار بصورته التنفيذية .

● زار الكويت خلال شهر فبرايـــر





الدكتور قهر الدين يونس ـــ مـــن أندونيسيا ـــ ضمن جولة له فى عدد من البلاد العربية والاسلاميـــة .. والدكتور حاصل على درجة الدكتوراه فى العلاقات الاقتصادية الدولية .

● صرح السيد عبد المطلب الكاظمى وزير النفط أن قرار امتلاك النفـــط اتخـــذ فى مجلس الوزراء وان الامتيازات النفطية ماتت الى الأبـــد واصدرنا لها .. « شهادة وفاة » . وبذلك تكون الكويت قد اممـــت ممتلكات الشركات النفطية الاجنبيـــة واصبح النفط بمؤسساته ملكا خالصا للدولة .

السعودية :

● يعقد فى مكة المكرمة فى شهر ابريل المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى بإشراف كلية الاقتصاد والادارة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

● صرح الشيخ ناصر بن محمد المشرف على تعليم البنات بأنه سيخصص ٢٠٦ آلاف متر لإقامة جامعة للبنات فى المملكة بعد ان ثبت نجاح كليتى البنات فى جدة والرياض، وقد وصل عدد طالبات الكليتين ٩٢٥ طالبة .

مصر :

● دعا الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الى تشديد الحملات على اوكار الفساد والرذيلة واماكن اللهو فى المجتمع ، كما دعا الى محاربة المخططات الصهيونية لإفساد عقائد واخلاق الشعوب ، جاء ذلك فى حديثه الى الشباب بمحافظة الوادى الجديد .

● قدم فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الازهر مبلغ ٢٠٠٠ جنيه الى محافظ الوادى الجديد لصرفها حوافز لطلبة الازهر بالمحافظة .

● بدات وزارة الاوقاف اجراءات انشاء مؤسسات القرض الحسن بالمحافظات ، وسيرفع رأس المال لكل مؤسسة الى ٢٥ الف جنيه ، وستنشأ اربع منها كل عام .

سورية :

● قرر مكتب مقاطعة اسرائيل فرض حظر على نشاط البهائية فى الدول العربية وفى جميع محافلهم بعد أن ثبت أن الصهيونية تتستر وراءهم ، وأن البهائيين فى جميع انحاء العالم يدعمون اسرائيل اقتصاديا .

الاردن :

●زار الاردن السيد حسن التهامى الامين العام للمؤتمر الاسلامى لاجراءات مباحثات مع المسئولين لدعم الامانة العامة للمؤتمر .

فلسطين المحتلة :

● اقدمت السلطان المحتلة على توزيع كتب اسلامية محرفة — تضم جزء عم — من القرآن الكريم — على المدارس فى الضفة الغربية ، ومما يذكر ان هذه هى المرة الثالثة التى يلجأ فيها العدو الى تحريف القرآن الكريم . .

الصومال :

● بعث شيخ الازهر الى الرئيس الصومالى برقية جاء فيها : « نرجو الا يعاقب فى دولة اسلامية من يؤمن بالقرآن ، وأن يعاد النظر فى الأحكام التى صدرت ضد من يطالبون بتنفيذ ما شرعه الله » .

نيجيريا :

● اعتنق ٦ آلاف شخص مسيحى بالولايات الشرقية فى نيجيريا الدين الاسلامى الحنيف بعد ان تخلوا عن مسيحيتهم .

بنات النبي ﷺ

أعداد : الاستاذ فهمى الامام

السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها

حديثنا هذا العدد عن آخر بنات النبي صلى الله عليه وسلم :

اسمها : فاطمة بنت محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

والدتها : أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

كنيتها : كانت تكنى بـ (أم ابيها) .. فقد كانت رضي الله عنها كثيرة الشبه بأبيها المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام .

لقبها : كانت تلقب رضي الله عنها بالزهراء .

روايتها للحديث : روت عن ابيها عليه افضل الصلاة والسلام وروى عنها ابناها الحسن والحسين وزوجها على كرم الله وجهه . وعائشة أم المؤمنين ، وام سلمة ، وسلمى ام رافع ، وانس .

ولادتها : كان مولدها قبل البعثة بقليل .

مكانتها : هي اصغر بنات النبى ، وأحبهن اليه .. وقفت الى جواره تخفف عنه ما يجد من اضطهاد المشركين له .. وكانت سنها الصغيرة تسمح لها بأن تكون على مقربة من والدها المصطفى عليه الصلاة والسلام .. فقد جاء عقبة بن أبى معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبى وهو ساجد فى الحرم فلم يرفع صلى الله عليه وسلم رأسه حتى تقدمت فاطمة فأزاحت السلى ودعت على من صنع ذلك .
وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يضرب بها المثل فى كثير من الامور .. فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال ما معناه : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » . وذلك مع حبه لها ومكانتها عنده .

هجرتها : شهدت وعاشت الحصار فى شعب ابى طالب ، ثم رجعت الى مكة بعد انهيار الحصار ، وشهدت موت والدتها السيدة خديجة ، ثم هجرة والدها الى يثرب . وبقيت فاطمة مع اختها أم كلثوم حتى جاء رسول رسول الله يصحبهما الى يثرب .. وفى طريق الهجرة لحق بهما (الحويرث القرشى) وآذاهما .. فوصلت المدينة متعبة .. ولم ينس النبى للحويرث فعلته .. فأهدر دمه عندما جاء مكة فاتحا .. وكان على بن ابى طالب هو قاتل الحويرث .

زواجها : عاشت رضى الله عنها الى جوار والدها بالمدينة .. تشهد انتصاراته .. وتنعم بحبه ، وبعد أن تزوج النبى بعائشة رضى الله عنها .. واطمأنت فاطمة على والدها .. رضيت أن تتزوج من على كرم الله وجهه وكان قد تقدم لخطبتها من والدها : فقال له النبى : هل عندك شىء .. ؟

قال على : لا .. يا رسول الله .
فقال النبى : فأين درعك التى أعطيتك يوم كذا .. ؟
قال على : هى عندى يا رسول الله .
قال النبى : فأعطها اياها .. وامره النبى ان يبيعها ليجهز العروس بثمنها ..
وتم عقد النكاح فى شهر رجب من السنة الاولى للهجرة ، وفى المحرم من السنة الثانية انتقلت فاطمة الزهراء الى بيت الزوجية ، واحتفلت المدينة كلها بالزواج الميمون .. ودعا الرسول للزوجين قائلا : اللهم بارك فيهما ، وبارك عليهما ، وبارك لهما فى نسلهما .

اولادها : أنجبت السيدة فاطمة رضى الله عنها : الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب .. وفيها انحصر نسل الرسول صلى الله عليه وسلم .. فكان يدعو كلا من الحسن والحسين بـ (ابنى) .. وكان يحبهما حبا شديداً .. ويدعو لهما بالخير .. والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى اختار اسمى (أم كلثوم) و (زينب) لبنتى فاطمة احياء لذكرى ابنتيه الراحلتين .

فى مكة : جاءت مع المسلمين الى مكة فاتحين .. واقامت بها شهرين وبعض شهر .. ثم غادرتها مع والدها الى المدينة المنورة فى ذى الحجة من العام الثامن للهجرة .

فى المدينة : عاشت الى جوار زوجها وفى احضان أولادها تنعم ببر والدها الكريم .. ولم يتزوج عليها على طيلة حياتها .. وشهدت رحيل والدها عليه افضل الصلاة والسلام الى الملأ الاعلى وحزنت لذلك حزنا شديداً .. فهى الوحيدة من بناته التى عاشت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم .

وفاتها : لم تكد تمضى ستة اشهر على وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحقت به ابنته السيدة فاطمة الزهراء وهى بنت ٢٩ عاما .. فكانت أول اهله لحوقا به .
رضى الله عنها وأرضاها

اجمال : ذكرنا نبذا عن حياة بنات النبى بدأنها بالسيدة زينب الكبرى ثم السيدة رقية ، ثم السيدة أم كلثوم ، وفى هذا العدد ختمنا بالسيدة فاطمة الزهراء .. وبقى من أولاد النبى القاسم وعبد الله وابراهيم .. وكل منهم مات صبيا .. وكل أولاده صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضى الله عنها الا ابراهيم فكان من السيدة مارية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الأيام الاسبوع	ربيع ٢ ١٣٩٥	ابريل ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
سبت	١	١٢	٢٤٥	٩ ٥١	١١ ١٣	٥ ٣٧	٩ ٩	١ ٢٠	٤ ٣	٥ ٢٦	١١ ٤٩	٣ ٢١	٦ ١٢	٧ ٣٢
احد	٢	١٣	٢٤٦	٥٠	١٢	٣٦	٩	٢٠	٢	٢٥	٤٩	٢١	١٢	٣٢
اثنين	٣	١٤	٢٤٧	٤٨	١٠	٣٥	٨	٢٠	١	٢٤	٤٨	٢١	١٣	٣٣
ثلاثاء	٤	١٥	٢٤٨	٤٦	٨	٣٤	٧	٢٠	٣ ٥٩	٢٣	٤٨	٢١	١٤	٣٤
اربعاء	٥	١٦	٢٤٩	٤٤	٧	٣٤	٧	٢١	٥٨	٢٢	٤٨	٢١	١٤	٣٥
خميس	٦	١٧	٢٥٠	٤٢	٥	٣٣	٦	٢١	٥٧	٢١	٤٨	٢١	١٥	٣٦
جمعة	٧	١٨	٢٥١	٤١	٤	٣٢	٥	٢١	٥٦	٢٠	٤٧	٢٠	١٥	٣٦
سبت	٨	١٩	٢٥٢	٣٩	٢	٣١	٤	٢١	٥٥	١٩	٤٧	٢٠	١٦	٣٧
احد	٩	٢٠	٢٥٣	٣٧	٠٠	٣٠	٣	٢٢	٥٣	١٨	٤٧	٢٠	١٧	٣٨
اثنين	١٠	٢١	٢٥٤	٣٥	١٠ ٥٩	٣٠	٢	٢٢	٥٢	١٧	٤٧	٢٠	١٧	٣٩
ثلاثاء	١١	٢٢	٢٥٥	٣٣	٥٧	٢٩	٢	٢٢	٥١	١٦	٤٧	٢٠	١٨	٤٠
اربعاء	١٢	٢٣	٢٥٦	٣١	٥٥	٢٨	١	٢٢	٥٠	١٥	٤٦	٢٠	١٩	٤١
خميس	١٣	٢٤	٢٥٧	٢٩	٥٤	٢٧	١	٢٣	٤٩	١٤	٤٦	٢٠	١٩	٤٢
جمعة	١٤	٢٥	٢٥٨	٢٧	٥٢	٢٦	٠٠	٢٣	٤٧	١٣	٤٦	٢٠	٢٠	٤٣
سبت	١٥	٢٦	٢٥٩	٢٥	٥١	٢٦	٠٠	٢٣	٤٦	١٢	٤٦	٢٠	٢١	٤٤
احد	١٦	٢٧	٢٦٠	٢٤	٤٩	٢٥	٥٩	٢٣	٤٥	١١	٤٦	٢٠	٢١	٤٥
اثنين	١٧	٢٨	٢٦١	٢٢	٤٧	٢٤	٥٨	٢٤	٤٤	١٠	٤٥	٢٠	٢٢	٤٦
ثلاثاء	١٨	٢٩	٢٦٢	٢١	٤٦	٢٣	٥٨	٢٤	٤٣	٩	٤٥	٢٠	٢٢	٤٦
اربعاء	١٩	٣٠	٢٦٣	١٩	٤٥	٢٣	٥٧	٢٤	٤٢	٨	٤٥	٢٠	٢٣	٤٧
خميس	٢٠	مايو	٢٦٤	١٨	٤٣	٢٢	٥٦	٢٤	٤١	٧	٤٥	١٩	٢٣	٤٨
جمعة	٢١	٢	٢٦٥	١٦	٤٢	٢١	٥٦	٢٥	٤٠	٦	٤٥	١٩	٢٤	٤٨
سبت	٢٢	٣	٢٦٦	١٥	٤١	٢١	٥٥	٢٥	٣٩	٦	٤٥	١٩	٢٤	٤٩
احد	٢٣	٤	٢٦٧	١٣	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥	٣٨	٥	٤٥	١٩	٢٥	٥٠
اثنين	٢٤	٥	٢٦٨	١٢	٣٨	١٩	٥٤	٢٥	٣٧	٤	٤٥	١٩	٢٥	٥١
ثلاثاء	٢٥	٦	٢٦٩	١٠	٣٧	١٩	٥٣	٢٦	٣٦	٤	٤٥	١٩	٢٦	٥٢
اربعاء	٢٦	٧	٢٧٠	٨	٣٥	١٨	٥٢	٢٦	٣٥	٣	٤٥	١٩	٢٧	٥٣
خميس	٢٧	٨	٢٧١	٦	٣٤	١٧	٥١	٢٦	٣٤	٢	٤٤	١٨	٢٧	٥٣
جمعة	٢٨	٩	٢٧٢	٤	٣٢	١٦	٥٠	٢٦	٣٢	١	٤٤	١٨	٢٨	٥٤
سبت	٢٩	١٠	٢٧٣	٢	٣١	١٦	٥٠	٢٧	٣١	٠٠	٤٤	١٨	٢٩	٥٥
احد	٣٠	١١	٢٧٤	١	٣٠	١٥	٤٩	٢٧	٣٠	٠٠	٤٤	١٨	٢٩	٥٦

« إلى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٢٤٤٨ بيروت – لبنان أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبـــار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخــرطوم : دار التـــوزيع – ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى – ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبـــة الخـــراز – ص.ب : (٢٨٠) .

المغـــرب : الدار البيضاء – السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز – ١٧ شارع فرنســا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية : جــــدة : مكتبـــة مكـــة – ص.ب : (٤٧٧) .
الريـــاض : مكتبـــة مكـــة – ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـــة – ص.ب : (٧٦) .
الطـــائف : مكتبـــة الثقـــافة – ص.ب : (٢٢) .
مكـــة المكرمـــة : مكتبـــة الثقـــــافة .
المدينـــة المنـــورة : مكتبـــة ومطبعـــة ضـــياء .

العـــراق : بغـــداد : وزارة الاعـــلام – مكتب التوزيع والنشـــر .

البحـــرين : المكتبـــة الوطنيـــة : شـــارع باب البحـــرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العـــروبة – ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مكتبـــة دار الحكمـــة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكـــويت : مكتبـــة الكـــويت المتحـــــدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمـــن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيـــا ١٠ قروش ● تونـــس ١٢٥ مليمـــا ● الجـــزائر دينـــار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعـــدن ٧٥ فلســـا
● لبنـــان وســـوريا ٥٠ قرشـــا ● مصـــر والســـودان ٤٠ مليمـــا

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

سورة هود آية ١١٤

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٥) غرة جمادى الأولى ١٣٩٥ هـ — مايو ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



هؤلاء جنودنا على جبهة القتال بين مؤد لفروض دينه ، وساهر على حماية الأمة ، ومعد لسلاحه متاهب للقتال .

(أنظر ص ٣٦)

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العدد : ١٢٥

غرة جمادى الأولى ١٣٩٥ هـ — مايو ١٩٧٥ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ — كويت — هاتف : ٤٢٨٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعاع الهادي لكل ضال!

احتفلت وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف وبهذه المناسبة الكريمة ألقى السيد عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس وكيل الوزارة المساعد هذه الكلمة .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلق الله وبعد ، ففى هذه الليلة المباركة يحتفل العالم الاسلامى بذكرى مولد سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله . وفى شهر ربيع الأول تسعد القلوب بأجمل الذكريات واكرمها على امة الاسلام . حيث ولد فيه من قدمته العناية الالهية الى البشرية الضالة والانسانية التائهة فى محيط الفوضى والفساد ، وشاء الحق سبحانه أن ينظر الى هذا العالم نظرة جود ورحمة تصلح فساده وترد له صوابه فاذن بميلاد خير الخلق وسيد البشر . وفى ام القرى ومن بيت آمنة اشرق النور المحمدى ، فكان الشعاع الهادى لكل ضال ، والنداء الموقظ لكل غافل ، والنبع الفياض بسعادة البشرية وخيرها الابدى ، بمولده صلى الله عليه وسلم دقت يمين الدهر باب هذا الكون تبشر كل عان وموجع وكل مظلوم ومستعبد بمجيء محمد يهدى الحيارى ويحمى المستضعفين ، جاء من يحرر الجباه من السجود لغير الله ، جاء منقذ الموءودة ، ومحطم الأصنام وواضع ميزان الحق والعدل والسلام .

أيها الاخوة المؤمنون :

من حق الرسول الاكرم ان نحتفل بذكرى مولده وان نذكر المعانى الانسانية التى تجمعت فى شخصه وتجلت فى سلوكه ومنهجه . ولكن لا ينبغى أن نقتصر فى ذلك على حفل نقيمه كل عام لأن عظمة صاحب الذكرى يجب أن تبقى فى ضمير كل مسلم ولا تغرب عن وجدانه مدى الحياة ، يجب أن تخلد بالايمان ، بالافعال قبل الاقوال ، بالتضحية والفداء بالاموال والدماء ، بكل لون من الوان الايثار والبذل والعطاء .

يا مسلمون : احياء هذه الذكرى لا يكون بخطب تقال او ابتهالات تذاع انما باتباع صاحب الذكرى فى دعوته والعمل بالكتاب الذى جاء به ، بالاقتداء به فى صبره وثباته ، أمام اخطار واجهت دعوته حين



آمن بها قوم وكفر بها آخرون ، كفروا بها لانهم رأوا فيها القضاء على سلطانهم وطغيانهم فاعلنوا الحرب على الرسالة والرسول،ولكنه يمضى فى طريقه بكل قوة وصلابة واباء وعزة ويقول كلمته الخالدة (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

ليست هذه أيها الأخوان مجرد كلمة بقدر ما هى تقرير لمبدأ وتحديد لابعاد الصراع الدائم بين الحق والباطل . وقد يعلو الباطل فى معركة وقد ينتكس الحق فى مرحلة ، ولكن كلها صور للنصر تخفى حكمتها على البشر،والغلبة فى النهاية تكون للحق وحده ولا شىء سواه. وصدق الله العظيم ((وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)) .

وعلى درب الصراع الطويل استطاعت قوى الشر والعدوان أن تدنس مسرى الانبياء،ومركز اتصال الارض بالسماء ، وأن تحتل المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ولكنها مهما تبجحت فمصيرها محتوم وطغيانها يعجل بزوالها الى الأبد ((وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)) .

أيها الاخـوة :

توافينا ذكرى المولد النبوى الشريف والمسلمون فى شتى الامصار تمر بهم أحداث خطيرة ، ولعل ما تعيشه أرتيريا والفلبين يبرز لنا مدى الكيد للاسلام من خلال المذابح الدامية بسلاح عدو غاشم يحصد الحياة ويخلف الموت والدمار .

واذا كان المعتصم قد حرك الجيش والدولة من اجل امـــرأة استغاثت به وقالت ((وامعتصماه)) فقال لبيك يا أختاه ورد عنها الاعتداء فى عزة واباء ، فاولى بالمسلمين وهم يعدون بمئات الملايين أن يتحركوا من أجل شعب مسلم مقهور من أجل المشردين فى الصحراء ، من أجل الأرامل والثكالى من أجل اليتامى الذين لا يجدون من يطعمهم اذا جاعوا ولا من يمسح دموعهم اذا بكوا متوجعين ، من أجل دين ورثناه قويـــا عزيزا ولا بد أن يبقى قويا عزيزا كما ورثناه واعتقدنا به دين عـــدل وحق .

اذكروا يا مسلمون انكم ابناء أمة انتصرت على أقوى الدول على الفرس والروم وأن اجدادكم انتصروا على المغول كما انتصروا علـــى الصليبيين بقيادة صلاح الدين . اذكروا ذلك وانفروا للجهاد . جاهدوا بانفسكم وجاهدوا باموالكم فى سبيل الله لا تبخلوا بما جعلكم مستخلفين فيه ، فالموقف يحتاج الى البذل والعطاء الى التضحية بكل مرتخص وغال لنحفظ ماء الوجوه ونقضى فى قوة على التحديات من حولنا وننتصر فى عزة على كل مؤامرة .

يا أمة الاسلام :

ولكم فى الخليفة الأول أبى بكر الصديق خير قدوة يوم نادى منادى الجهاد جاء بماله كله ووضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر ماذا تركت لاولادك ؟ قال يا رسول الله تركت لهم الله ورسوله .

وهذا عثمان ثالث الخلفاء الراشدين يجهز جيش العسرة من خير ماله . وغير هذا وذاك رجال بذلوا النفس والنفيس حتى ارتفع لواء الاسلام خفاقا فى شرق الدنيا وغربها . ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وانى أضرع الى الله فى ذكرى مولد حبيبه ومصطفاه ان ينصر الاسلام والمسلمين ، وأن يخرجنا من معارك الجهاد برءوس مرفوعـــة وفوز مبين ، وأن يعيد هذه الذكرى وقد عاد الحق الى اصحابه وتحرر المسجد الأقصى من أعدائه وارتفع صوت القرآن فى كل مكان عقيدة ومنهجا .

وفى هذه المناسبة الكريمة ابعث أصدق تهنئة الى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم وسمو ولى عهــده الأمين والى الشـــعب الكويتى والأمة الاسلامية باسرها . وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

في ذمة الله



تنعى أسرة تحرير (الوعي الاسلامي) عاهل المملكة العربية السعودية الملك فيصل بن عبد العزيز .

فقد كان حادث وفاته ذا اثر بالغ في نفوس المسلمين في شتى أنحاء المعمورة ، وذلك لما للسعودية من مكانة في نفوس المسلمين ، فهو ابن أمة اعتزت بخدمة بيت الله الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وهي احب بلاد الله إلينا وأعز من أوطاننا وأهلينا وأموالنا ..

لذا نرى من الحق الواجب ذكر بعض أعماله الجليلة منها :

القيام باصلاحات اقتصادية وسياسية جذرية .. واقامة الكثير من المشاريع الزراعية والاقتصادية (الانتاجية) .. ومد شبكة المواصلات بين اطراف المملكة المتباعدة ..

وعلى النطاق الاسلامي شجع الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة التي تستقبل الطلاب من مختلف العالم الاسلامي .. وكذلك رابطة العالم الاسلامي التي لها الدور الفعال في ايقاظ وتوعية العالم الاسلامي لدينهم وقضاياهم المصيرية .

وشهدت البلاد مؤتمرات اسلامية عالمية على نطاق الشباب والمنظمات الاسلامية والدولية .. وعلى النطاق العربي والدولي كان له الدور الفعال في ابراز دور الدول العربية كقوة دولية جديدة مهابة ..

ثم إصراره على تحرير المسجد الأقصى من ايدي اليهود الغزاة المعتدين وامنيته في الصلاة فيه قبل وفاته .. ثم حرصه الشديد على أن تكون القدس عربية إسلامية كما كانت .

كان رحمه الله سدا منيعا امام الحركات الهدامة ، والباطل بكل اشكاله لصون الاسلام والمسلمين من الدسائس والانحراف والفوضى .

فرحم الله الملك فيصل رحمة واسعة وجزاه عن أمة الاسلام خيرا . وجعل في خلفه الملك خالد بن عبد العزيز خير العوض . وسدد خطاه على الطريق لاكمال ما بداه سلفه الكريم .. والله الموفق لما فيه خير الاسلام والمسلمين ... والسلام .

« اسرة التحرير »

لغة القرآن الكريم

من أسرار الفواصل

٥

للدكتور على محمد حسن

ينكر عقله وذوقه ، ويتجاهل الحق والانصاف من يشك فى أن للقرآن الكريم أسرارا وخفايا تتجدد على تجدد الليالى والأيام ، فكل قراءة يصحبها التأمل الواعى ، والتدبر الرشيد تطلع القارىء على جديد من معانى الالفاظ ، واستعمالاتها ، ومن معانى التراكيب ، وطرائق بناء الجمل ، وقد يمر الدهر الطويل على حافظ القرآن وهو يردد الآيات الكريمة ، ويهزها هزا ، ثم يتنبه فجأة الى مغزى لم يكن القى اليه بالا من قبل ؛ وربما وضح له المعنى ، بادىء ذى بدء ، وربما احتاج الى بحث وتنقيب ، والى سؤال ومدارسة ، مع أنه كان يظن لطول عهده بتكرار الآيات ودراستها انه على علم بكل ما تضمنته ، فاذا هو فجأة يقف ، وكأنه لم يقرأ هذه الآية ، ولم يقف على هذه الكلمة الا هذه المرة ، ويشتد به العجب كيف غاب عنه هذا المراد زمنا طويلا ، وذلك مصداق قوله — صلى الله عليه وسلم — فى وصف القرآن : « لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه » .

وفى كل يوم يكشف العلم عن جديد اذا عرضناه على آى القرآن مع وعى واحاطة بمغازيها ومراميها وجدنا فيها اشارة قد تكون واضحة ، وقد تكون خفية الى هذا الجديد أو الى بعضه — على الأقل — وفيما نحن بصدد الحديث عنه : لقد مضت أعصر طوال ، وعلماؤنا يفهمون فواصل القرآن فهما لغويا حينا ، وفهما يتصل بالعقيدة حينا آخر ، أو يتصل بالبلاغة وأسرارها مرة ثالثة ، ثم تكشف الدراسات الحديثة عن أسرار فى بعض الفواصل لم يعرفها السابقون ، وستكشف — ولا شك — دراسات كثيرة فى المستقبل عن أسرار وخفايا فى معنى القرآن الكريم تزيد المؤمنين ايمانا ، وربما تهدى بعض الضالين ، وربما يكون الأمر كما قال تعالى : **« يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا »** .

والمثل الذى نذكره هنا هو ما اهتدى اليه المرحوم العقاد فى قوله تعالى عن اليهود فى سورة الحشر : **« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون »** .

فبعد أن ذكر أن اليهود دائما يختلفون على أنفسهم ، ودائما يختلفون مع الشعوب التى يعيشون فيها ، ذكر أعراضا لمرض يسمى (البارانويا) . قال :

أولا : تسلط فكرة الغرور ، وأن صاحبها ممتاز على الخلق .

ثانيا : أنانية مريضة تغلب على المصاب بها فلا تزال تخيل له أن الناس جميعا مسخرون لخدمته .

ثالثا : عقيدة الاضطهاد ، وامتلاء النفس بالحذر من الآخرين .

رابعا : شعور الفصام والانفصام كما يطلقه أطباء الامراض العقلية ، ويعنون به انقطاع العلاقة بين المفصوم ومن يحيطون به من أبنـــاء بيئته الاجتماعية .

وبعد أن يحقق أن كل هذه الصفات واضحة فى الشعب اليهودى منذ أربعة آلاف سنة ، والى الآن يقول : « تلك هى البارانويا المتأصلة فى هذه الصهيونية ، وتلك هى علة الفصام بينها وبين من حولها ، وعلة الانفصـــام بين أبنائها حيثما اجتمعوا الى بيئة واحدة ، وهم على الدوام : ((**تحســبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون**)) .

ما أبلغها آية ، أن (البارانويا) تســـمية جديدة لما يمس العقول فلا تعقل ، فما أبلغ تعليل الشقاق بين القوم وبين أنفسهم وجيرانهم ((**بانهم قوم لا يعقلون**)) .

وطبيعى أن أحدا من المتقدمين لم يهتد الى هذا المعنى ، لأن الدراسات النفسية لم تكن قد أخذت عندهم هذا الطابع العلمى ، وان كانت اشاراتهم تدل فى مجملها على شىء من ذلك ، فمثلا يقول المفسر أبو الســعود : ((**ذلك بانهم قوم لا يعقلون** » أى لا يعقلون شيئــا حتى يعرفوا الحــق ، ويتبعوه ، وتطمئن به قلوبهم ، وتتحد كلمتهم ، ويرموا عن قوس واحدة ، فيقعون فى تيه الضلال ، وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه ، وتفـــرق فنونه .

فمن هذا الذى يقوله العلامة أبو السعود يســتطيع عالم النفس أن يؤكد معلوماته بأن الذين على الحق تتحد كلمتهم لأن الحق واحد ، وأن الذين على الباطل والضلال تختلف قلوبهم لأن طرق الضلال متشـــتتة ، وفنونه متفرقة ، ويستطيع أن يؤكد أن الضال دائما فى حيرة ، لا تطمئن نفســه لشىء ، ولا يكاد يثق فى أحد ، فهو دائما حذر ، ممتلىء النفس بالحذر من الآخرين ــ كما يقول المرحوم العقاد ــ ولا شك أن ذلك من اضـــطراب العقل ، فالمكتمل العقل ثابت الجنان ، لا تشتبه عليه الامور .

واهتداء العقاد لهذه الدقيقة فى الفاصلة الكريمة يجعلنا نحذر دائما أن نقول الكلمة الاخيرة فى أى كلمة من كلمات القرآن ، وتجعلنا ــ كذلك ــ لا نستهين بتسجيل ما نراه من الظواهر فى آيات الكتاب العزيز ، وإن عيينا بفهم أسرارها فقد يأتى من يشرح الله صدره لفهمها ، وتعليلها ، كما أشرت الى ذلك فى الفصل السابق من هذا البحث .

واذا كان المرحوم العقاد قد ربط بين الفاصلة وبين علم النفس ربطا

رائعا ، فان بعض علمائنا السابقين قد ربط بعض الفواصل بالظـــواهر الكونية الدالة على وجود الله وقدرته ربطا رائعا دقيقا ــ ايضا .

ويحسن ان نذكر هنا أن العربى الذى ســـمع القرآن إبان نزوله لم يخالجه شك فى وقوع كل فاصلة من هذه الفواصل موقعها اللائق بها ، بدليل أنه لم يصلنا أى توقف من محق ، أو أى اعتراض من مبطل على فاصلـة منها ، على الرغم من أن القوم ــ اعنى مشركى مكة ، وكل من كذب القرآن ، وادعى أنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الاولين ــ كانوا حريصـين كل الحرص على أن يجدوا فى القرآن مطعنا ما ينفذون منه الى ابطال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو وجدوا ما أعياهم التعبير عنه ، ولا أحجموا عن اظهاره وترويجه ، ولو كان ذلك لوصل الينا ، واذ لم يصلنا شىء من ذلك لاجرم تأكد عندنا ان العرب الفصـــحاء كانوا يدركون مرامى هـذه الفواصل ومغازيها .

ونبدأ بما قاله العلماء فى فواصـــل آيات (النحل) الاولى ، والتى ذكرتها فى أول هذا البحث ، ونشرت فى الجزء الاول منه .

لقد كانت الفاصلة الاولى هى قوله تعـالى : **« أن فى ذلك لآية لقـوم يتفكرون »** ختاما للآية **« ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات »** .

وقد علل الفخر الرازى ذلك بأنه من الممكن أن يرتاب مرتاب فى أن الله هو الذى أنبت هذه النباتات ، ويدعى أن تعاقب الفصول الاربعة هو السبب فى انباتها من تأثير الشمس والقمر والكواكب ، قال : « فما لم يقم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون هذا الدليل تاما وافيا بافادة هـذا المطلوب ، بل يكون مقام التفكر والتأمل باقيا » . وكأن الرازى يقول : ان الآية ختمت بما ختمت به لأن فيها ما يدعو الى التفكر والتـأمل حيث يراد اقامة الدليل على أن الله ــ وحده ــ هو المنبت للزرع والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، لما كان يشك بعض المرتابين فى ذلك .

ويستمر الرازى يبين مجال التدبر والتفكر فى هذا الصنيع الالهى ، ويقيم الدليل على أن هذه الاشجار ، وهذه الثمار لا يمكن أن تكون وليدة الطبيعة ، لأن نسبة الاشياء الى الطبيعة الواحدة متساوية ، فى حين نجد فى هذه الثمار ، وهذه الزروع اختلافات فى اللون وفى الطعم ، ولو كانت اثرا من آثار الطبيعة لما اختلفت أحوالها ، ويضرب المثل ببعض أوراق الورد الذى تكون فيه الورقة الواحدة ذات وجهين مختلفين ، أحدهما فى غاية الصفرة ، والآخر فى غاية الحمرة ، قال : « ونعلم بالضرورة أن نسـبة الأنجم والأفلاك الى وجهى تلك الورقة الرقيقة نسبة واحدة ، والطبيعـة الواحدة فى المادة الواحدة لا تفعل الا فعلا واحدا » .

ويذكر مثالا من فعل الطبيعة الواحدة فيقول : « اذا وضعنا الشمع فاذا استضاء خمسة أذرع من ذلك الشمع من أحد الجوانب وجب أن يحصل هذا الأمر فى جميع الجوانب لأن الطبيعة المؤثرة يجب أن تتشابه نسبتهـا الى كل الجوانب » .

ويقول الرازى مثل هذا القول فى تفسير قوله تعالى : **« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** الرعد ٣ .

ويرى أن الله تعالى ـــ فى أكثر الامر ـــ حيث يذكر الدلائل الموجودة فى العالم السفلى يذكر عقبها « **ان فى ذلك الآيات لقـــوم يتفكـــرون** » أو ما يقرب منه بحسب المعنى ، والسبب فيه أن الفلاسفة يســـندون حوادث العالم السفلى الى الاختلافات الواقعة فى الاشكال الكوكبية .

فهل يرى الرازى أن (**يعقلون**) قريبة من (**يتفكرون**) .. ؟ ذلك أن هذه الفاصلة ختمت بها آية الرعد : **« وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضـــل بعضها على بعض فى الاكل أن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (الرعد ٤)** . مع أن سياق هذه الآية أولى بالتفكير ـــ على ما يذكر الرازى ـــ من الآيـــات الآخر ، وليس هذا التفصيل فى آية النحل ، ولا فى آية الرعد الثالثة ، فكان فى ذلك شىء كثير من لفت النظر ، وكذلك ختمت آية البقرة بالفاصلة يعقلون، وفيها كثير من التفصيل : « **أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون** » . (الآية ١٦٤)

ولكن صنيع الرازى يشعر بأن (يعقلون) لا تقرب من (يتفكرون) ، وذلك أنه يقول بعد أن علل لختم الآية الكريمة بالفاصلة (يتفكرون) **ممهـــدا** لتعليل ختام الآية التالية بالفاصلة (يعقلون) . يقول الرازى : واعلم انه بذكر هذا الجواب قد تمت الحجة ، فان هذه الحوادث السفلية لا بد لها من مؤثر ، وبينا أن ذلك المؤثر ليس هو الكواكب والافلاك والطبائع ، فعند هذا يجب القطع بأنه لا بد من فاعل آخر سوى هذه الأشـــياء . وعندها يتم الدليل ، ولا يبقى بعده للفكر مقام البته فلهذا السبب قال ههنا « **أن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** » لأنه لا دافع لهذه الحجة الا ان يقال إن هذه الحـــوادث السفلية حدثت لا لمؤثر ، وذلك يقدح فى كمال العقل ، لأن العلم بافتقـــار الحادث الى المحدث لما كان علما ضروريا كان عدم حصول هذا العلم قادحا فى كمال العقل ، فلهذا قال : « **أن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** » وقال فى الآية المتقدمة : **« انفى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** (الرعد ٣) .

وقد لاحظت أن الفخر الرازى يشقق القول ويصرفه ، ويبعد النجعة فى ايراد الخفايا التى ينطوى عليها مضمون الآية اذا اجتمعت هذه بالفاصلة (يتفكرون) ، كما فعل فى تفسير قوله تعالى : **« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »** (النحل ٦٨ ، ٦٩) فقد أطال فى وصف بيوت النحل ، ودقة هذه البيوت ، والعجائب التى فى خلق النحل ، وكيف أن هـــذه

البيوت مبنية بطريقة هندسية عجيبة ، وكيف اهتدت النحل الى الاجزاء العسلية من أطراف الأشجار والأوراق .

كل ذلك حسن من هذا المفسر الكبير ، ونحن نوافقه على أن كل آية ختمت بقوله تعالى : (**يتفكرون**) فى حاجة شديدة الى التأمل ، والى التفكر ، ولكن اليس لنا أن نقول : ان بعض الآيات التى ختمت بقوله سبحانه : (**يعقلون**) مثل آية الرعد الرابعة ، وآية البقرة فيها من التفاصيل ما يدعو الى النظر اكثر مما يدعو الى التفكر . الا ترى أن ما فى آية النحل : ((**ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون**)) أقل تفصيلا مما فى آية الرعد : ((**وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**)) . وهى ـ بذلك ـ احق منها بالتفكر والتأمل ، ويؤيد ذلك انه ذكر فى آية الرعد (**لآيات**) ، وفى آية النحل (**لآية**) ، بل اكثر من ذلك جاء فى آية النحل التى ذكرفيها تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ، جاء (**لآيات**) وقد ختمت بالفاصلة (**يعقلون**) فى حين جاء (**لآية**) فى الآية التى قبلها ، والتي ختمت بـ (**يتفكرون**) . اقول : الا يرشدنا ذلك الى ان (**يعقلون**) اعلى درجة من (**يتفكرون**) ؟ وذلك أن العقل مرتبة تالية للفكر ، فالمرحلة الاولى هى التفكير ، وبعد اطالة التفكير واصابته ينشأ العقل ، فلو قلنا : ان (**يعقلون**) تأتى فى المواضع التى تكون فى حاجة أشد الى التفكير لا نكون مبعدين ، مع تقديرنا الذى لا حد له للامام فخر الدين الرازى وتفسيره .

وقد ذكر الزركشى فى البرهان أن هذه الفاصلة (**يعقلون**) لا تقع الا فى سياق انكار فعل غير مناسب فى العقل ، نحو قوله تعالى : ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**)) . وكقوله تعالى : ((**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون**)) .

قال الزركشى : والمناسبة فيه قوية ، لأن من دل عدوه على عورة نفسه ، واعطاه سلاحه ليقتله به فهو جدير بأن يكون مغلوب العقل فلهذا ختمها بقوله : ((**أفلا تعقلون**)) .

ونقول : ان التصريح فى آية الرعد بهذا الوصف : ((**صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل**)) فوق أنه يحتاج الى عقل مكتمل ، سبق تكوينه فكر واع متأمل ، فيه ما يبطل انكار المنكرين ، فالحجة به قوية ، والمشاهدة فيه ملزمة للايمان ، فهذه العجيبة لا يمكن الا أن تكون من فعل صانع حكيم قادر ، ولذلك كان انكارها ابطالا للعقول ، واتهاما لدقة النظر .

وخلاصة ما أريد ان اقوله فى هذا الموضع : ان الفخر ـ رحمه الله ـ جعل التفكر حيث يحتاج مضمون الآية الى كثير من التأمل والنظر ، وجعل العقل حين تتم الدلائل ، ولم يبق الا مجرد العقل ليصدق بها ، ورأيت أن مضمون الآية اذا اشتمل على عجيبة من العجائب ، أو اذا كانت هنالك مشاهد كونية أكثر ، أو كان ما من شأنه ان يشك فيه جاءت (**يعقلون**) ، أو

نحوها . وان (يتفكرون) فى غالب امرها تجىء مع الاجمال لا مع التفصيل ، ومن ذلك آية الجاثية : **« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** .

وبمناسبة آية الجاثية هذه نقول : ان فى أول الجاثية ثلاثة فواصل : **« ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون »** .

وهذه الفاصلة الثالثة مما يتأيد بها الرأى الذى ذكرناه ، وهو أن هذه الفاصلة **(يعقلون)** تجىء حيث يكون فى الآية تفصيل اكثر ، أو عجيبة من العجائب ، وذلك أن العقل فكر وزيادة .

وقد أوجز الفخر تعليل هذه الفواصل حيث يقول « واظن أن سبب ذلك — أى مجىء هذه الفواصل على هذا الترتيب : يؤمنون — يوقنون — يعقلون — انه قيل : ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل . وان كنتم لستم مؤمنين بل انتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل ، وان كنتم لستم من المؤمنين ، ولا من الموقنين فلا أقل أن تكونوا من زمرة العاقلين ، فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل » .

ونلاحظ أن هذا المفسر الكبير صدر عبارته بكلمة **(أظن)** ، وهذا ما يشير الى انه ليس كامل الاقتناع بما يقول ، وأنه لم يبين سر ختم كل آية بفاصلتها الخاصة ، وهذا هو ما ينبغى البحث عنه ، ثم ان هذا يصح لو كانت الدلائل واحدة فى الآيات كلها ، أما وهى مختلفة ففى ترتيبه شىء .

وقال العلامة أبو السعود : واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء .

وهذا كلام مجمل ، لا يعطى لطالب أسرار الفواصل بيانا شافيا .

فيبدو — والله أعلم بأسرار كلامه — أن فى خلق السموات والأرض دلائل واضحة على قدرة الله ووحدانيته ، فمجرد الايمان يكفى للاستدلال بها .

أما خلق الانسان فما يتعلق بالجسد منه لم يكشف العلم عنه الا بعد أزمنة متطاولة وما يتعلق بالروح فقد استأثر الله بعلمه ، فلم يزل العلماء — وسيظلون — عاجزين عن الاجابة على هذه الاسئلة : ما الروح — ما النفس — ما الضمير — ما العقل — ما سر الحياة .. ؟! وهذه فى الحقيقة هى الانسان ، فلم يبق الا صورة اللحم والدم — كما يقول المتنبى .

فاليقين بقدرة الله وعلمه وحكمته هو الذى يطمئن لهذه الآيات فى خلق الانسان ، وفى خلق الحيوان ايضا **« وما يبث من دابة »** : **الخلق الذى** استأثر الله بعلمه لا مجال للعقل فيه ، وربما كان مجرد الايمان غير كاف للاطمئنان لهذه الآيات .

أما إحياء الارض بعد موتها بسبب ما أنزل الله من السماء من ماء ، واختلاف الليل والنهار ، وتصريف الرياح فالمجال فى كل ذلك للعقل ، يبحث ، ويعلل ، ويهتدى .

والله الهادى الى سواء السبيل .. ،،،

من وحي النبوة

الناس معادن

من وحى النبوة :

الناس معادن

روى ابو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تجدون الناس معادن(١) ، فخيارهم فى الجاهلية(٢) خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا(٣) ، وتجدون خير الناس فى هذا الشان(٤) اشدهم له كراهية قبل ان يقع فيه ، وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين ، الذى ياتى هؤلاءبوجه ، وهؤلاء بوجه » .

(رواه البخارى ومسلم)

للاستاذ احمد البسيونى

« تجدون الناس معادن » حكمة ذهبية من معدن النبوة ، عليها بريق صادق من انوار الوحى المحمدى .. انها كلمة معبرة ، تكشف فى وضوح عن مدى اختلاف الناس فى طبائعهم ومشاربهم واخلاقهم ، اختلافا ينزع بهم الى اصولهم البعيدة او القريبة .. الى عروق دساسة تضرب فى اغوار ماضيهم ، لتحمل الى كل فرع خصائص اصله، وعصارة منبته .

ان باطن الارض يزخر بأنواع شتى من الجواهر والمعادن ، تتجه اليها الكشوف العلمية والفنية، فتستخرجها من مكامنها لينتفع بها الناس ، وان الباحث فى خصائص هذه المعادن ، ليجد انها تختلف اختلافا بينا فى طبائعها ، وفوائدها ، وقيمها ، فمنها الجامد والسائل ، ومنها اللين الذى تمسكه فتجده طوع يدك فى كل ما تريد ، ومنها القوى ذو البأس الشديد ، الذى لا يلين الا اذا احمر فى وهج النار ، وتوالت عليه ضربات المطرقة ، ومنها النفيس الغالى ، الذى يعدل الدرهم الواحد منه قناطير مقنطرة من سواه ، ومنها ما يتفاعل مع البيئة ، ويتأثر بالعوامل الجوية المختلفة ، ومنها الثابت على صفائه ، لا ينطفىء بريقه ، ولا يعلوه الصدأ ، وان عدت عليه العوادى ، فغبرت وجهه ، فذلك الى حين ، ثم لا يلبث شعاعه أن يتألق خلف التراب ليعلن عن نفسه فى عزة وكبرياء .. ! ومنها المعدن الكريم ، الذى لا يقبل دخيلا على جوهره ، فان أضيف اليه ما ليس منه ، انكشف امره من اول نظرة فاحصة ، ومنها ما يقبل الزيف ، فان اتحد معه عنصر آخر تشابها فتشاكل الامر على الناظر ..

ارايت ايها القارىء ، وانا اعرض بين يديك اصناف المعادن وأجناسها ، فرايت منها الخسيس والنفيس ، والقوى والضعيف ، والزائف والصحيح .. ؟ وكانى حين اعرضها عليك انما اعرض طبائع الناس ، وصورا شتى من أذواقهم والوان انفسهم .. ؟

فما اشبه اخلاق الناس بخصائص المعادن .. ! ان هذه الحقيقة لتتكشف واضحة لمن أتيح له أن يعاشر اخلاطا من الناس ، يأخذ منهم ويعطيهم ، ويدنو من نفوسهم ، يتغلغل فى اعماقها ، ليسجل احاسيسها ، ويرصد مواقفها من تقلبات الايام ، ومعاملة الناس . سيجد منهم القوى العنيد ، صاحب الطبع الحديدى ، الذى يتمسك برايه فى صلابة وعنف يطيب له دائما أن يصرع غيره ، وأن يعلو على خصمه بالحق او بالباطل ، لا تنفع معه حجة ، ولا يجدى برهان .

وسيجد منهم الوديع اللين ، المحب الالوف ، المطواع القريب ، الذى ان عاشرته وجدته كالجمل الأنف(ه) ، ان قيد انقاد ، وان انيخ على صخرة استناخ ..

سيجد فى الناس صاحب الطبع الذهبى ، الذى يجمع بين نفاسة المعدن ، ورواء المنظر ، تتقلب الايام ولا يتقلب ، وتتبدل القيم وقيمته الذاتية محفوظة لا تنزل عن مستواها الرفيع ، ان صهرته المحن بنارها ،

خرج من فتنتها أصفى مما كان واشد جلاء .. أما الذهب الزائف فهو الذى يبهرك منه البريق الكاذب ، ثم لا يلبث أن يتكشف عن خبث دفين .. ! ومثله فى الناس ، مثل الرجل المخـــادع ، الذى تعاشره فتجده :

يعطيك من طرف اللســـان حلاوة
ويروغ منك كمـــا يروغ الثعلب !

يلبس مسوح الرهبان ، وهو اشد الناس حرصا على الحياة !! يتحدث عن الجهاد والشـجاعة ما دام فى ســـلام وامن ، فان طرقت الاحداث بابه الفيتـــه جزوعا هلوعا « **وان اصابته فتنة انقلب على وجهــه** » (الحج ١١) وخرج من غمـــارها كسير النفس ، مهيض الجنـــاح ، كالمعدن المغشوش تخرجه النار اسود محترقا .. روى الطبرانى بســـنده عن ابى امامة رضى الله عنـــه أن رسول الله صلى الله عليه وســلم قال : « ان الله تعالى يجرب عبـــده بالبلاء ، كما يجرب احدكم ذهبـــه بالنار ، فمنهم من يخرج كالذهـــب الابريز لا يربد (٦) ، ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا .. »

« الناس معادن .. » صـــدقت يا رسول الله !! انهم لكذلك حقا !! يختلفون كما تختلف المعادن فى القيم والمواهب .. فقد يصـــل العقـــل الواحد الى ما لم تصل اليه العقول المجتمعة .. !! ورب يد واحدة تبنى ما تعجز عنه الايدى المتـــكاثرة !! وان الرجل الواحد ليعدل فى ميزان الرجولة والبطولة ، أمما من الناس !

وما الناس الا واحد بقبيلة
يعد والف لا تعـــد بواحد

وخير معادن النـــاس فى نظر الاسلام ، من جمع بين شرف الدنيا وعز الآخرة ، وفى هذا تصـــحيح لما استقر فى أذهان بعض الناس ، من ان التفاضـــــل لا يقوم الا على أساس الغنى والجاه المادى ، ولعل هذا هو الذى دفع الصـــحابة الى أن يعرفوا من رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أى قبائل العرب جمعت المجد من أطرافه ، وبلغت قمـــة الشرف .. ؟ فقالوا لرســـول الله ذات يوم : من اكرم الناس يا رسول الله .. ؟ ولما كان الكرم هو كثرة الخير ، اجابهم بأكمل الكرم واعمه فقال لهم : اكرم الناس (اتقاهم) ، فلما لم يكن هذا مقصـــــدهم من السؤال ، ظن الرسول انهم يريدون شخصا بعينه ، حاز الغنى والرياسة فى الدنيا ، والفوز بالدرجات العليا فى الآخرة ، فأخـــبرهم بأن اكرم الناس نبى الله يوسف عليه الصلاة والسلام الذى جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة ، فهـــو نبى كريم ، انحدر من أصلاب انبيـــاء كرماء وان نسبه الشريف لينتهى به الى خليـــل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وانضم اليه مع ذلك شرف علم الرؤيا والتمكن فيه ، ورياسة الدنيـــا ، والحزم فى الحكم ، واحاطة الرعية بالشفقة والعدل ، ولكن الســـائلين من الصحابة ، كانوا يقصـــدون من اكرم الناس من قبـــائل العرب .. ؟ فقال لهم الرسول الكريم : « خيارهم فى الجاهلية ، خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا » ففى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله : من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » فقالوا : ليس عن هذا نسألك .. قال : « فيوسف » نبى الله ، ابن نبى الله ، ابن نبى الله ، ابن خليل الله » قالوا : ليس عن هذا نسألك .. قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، اذا

فقهوا » (متفق عليه) .

ارايت ايها القارىء الكريم الــى الاسلام ، وهو يرفع منزلة الفضائل، ويغالى بقيمة المروءات ، ولا يغمط النفوس الكبيرة حقها ، فيجعل اهل الشمائل الطيبة فى الجاهلية ، هم اصحابها واهلها فى الاسلام ، اذا فقهوا فى دين الله وعملوا بشرعته ؟ .. ثم أرايت كيف أن رسولنا العظيم كان يحب كل ذى خلق كريم ، وينزله منزلته من التقدير والرعاية .. ؟ الم تتقدم اليه فتاة اسيرة تطلب اليه ان يفك اسرها قائلة : يا محمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت ان تمن على ، وتخــلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب ، فان أبى كان سيد قومه : كان يحمى الذمار ، ويفك العانى ، ويشـــبع الجائع ، ويكسو العارى ، ولا يرد حاجة ابدا ! فقال عليه الصلاة والســلام : من ابوها ؟ قالوا حاتم طيىء !! فقــال عليه الصلاة والسلام : « لو كان ابوها مسلما لترحمنا عليه !! خلوا عنها ، فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق .. » .

وهذا الحكم النبوى يدلنا على ان النفوس فى الجاهلية ، لم تكن مقفرة من الخير ، بل كان الفضــل يملأ جوانب كثيرة منهــا ، وكان فيهم اصحاب المروءات والنجــدة ، ومن يحبون معالى الامور ، اولئك الذين ما ان علموا عن الرسول فى مبــدأ امره ، انه يدعو الى مكارم الاخلاق ، حتى خفوا سراعا لدعوته ، واقبلوا عليها فى شوق ورغبة .

يروى ابو ذر رضى الله عنه فى سبب اسلامه ، أنه لما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لاخيه : اركب الى هذا الرجــل ، فاسمع من قوله ، فرجع فقال : رايته يأمر بمكـــــارم الاخــلاق (رواه البحارى) ، ويروى التاريخ الصادق ان شيخا كبيرا كان يسكن البادية ، فلما بلغه مبعث النبى صـــلى الله عليه وسلم قال لابنه : اركب اليــه واسمع ما يقول ، فلمــا عاد قال لابيه : سألته عما يدعو اليه ، فتلا على آية مما انزل عليــه فقــال الشيخ : وما هى ؟ قال : **« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتــاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلــكم تذكرون »** (النحل ٩٠) فلما سمعها الشــيخ قال : لو لم يكن هذا دينا لــكان شيئا حسنا تستقيم به أمور الناس .

ولما كان الكلام فى معادن الناس وخيارهم ، وهم الصفوة الذين تبرز من بينهم القيادات ، ويكون منهــم الامراء الذين يلون أمر النـــاس ، ويحتلون مكان الصدارة فيهم ، أراد الرسول الكريم أن ينبه على أمر له خطره واثره ، ذلكم هو أن الامارة أمانة ، وأن الرياسة تمنح ولا تطلب ، وما من شىء اشد خطرا على الامم من أن يتولى قيادتها طامعـــون فى الحكم ومن ليسوا اهلا له ، فان ذلك يؤذن بفساد مدمر ، وخراب شامل، وقد عد الرسول حدوث ذلــك من امارات الساعة فقال : « واذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة » (رواه البخارى) ومن هنا نجـــد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث : « وتجدون خير الناس فى هذا الشأن اشدهم له كراهيــة قبل أن يقع فيه » .

ثم نجده ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يحذر الذين تتعلق أبصارهم بمقاعد الحكم وتتحلب اشـــداقهم طمعا فى مغانم الامارة ، فيقول فيما يروى عن أبى موسى رضى الله عنه

قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم انا ورجلان من بنى عمـــرو فقلت : أمرنا على بعض ما ولاك الله، فقال : « انا والله لا نولى على هذا العمل احدا حرص عليه »(٧) .

وعن ابى سعيد عبد الرحمن بن ســـمرة رضى الله عنه ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبـد الرحمن بن ســـمرة ، لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مســـألة اعنت عليها ، وان اعطيتها عن مسألة وكلت اليهـا » (متفق عليه) وعن ابى ذر قلــت يا رسول الله : الا تســتعملنى ؟ قال : فضرب بيـده على منكبى ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ، وانها يوم القيـــامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقهــا ، وأدى الــذى عليه فيهـــا (رواه مسلم) .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال :

« انكم ستحرصون على الامارة ، وستكون ندامة يوم القيـــامة ، فنعمت المرضعة(٨) وبئست الفاطمة » (رواه البخارى والنسائى) .

وساحات الحكام والرؤساء ــ فى كل زمان ومكان ــ تغص بالوفــود الكثيرة من اصحاب المطـــامع ، وكثيرا ما تزدحم مجالسهم بحمــلة الوجوه المتغيرة ، الذين يسيرون مع كل ركب ، ويصفقون لكل عهـد ، لهذا نبه الرسول الكريم الى الخطر الكامن وراء تقريب هؤلاء المنافقين ، واصاخة السمع لما يلقون من سموم، فقال : « وتجدون شر النـــاس يوم القيامة عند الله ، ذا الوجهــين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هــؤلاء بوجــه » أن هؤلاء المداهنين ، تشقى بهم الامة شقاء مريرا ، فهم الـــداء الوبيـــل الــذى يفتـــك بها ، ويرمى كيانهـا بأفـدح الاخطار !! كم لهؤلاء من صرعى ؟ وكم مزقوا من صلات ، وقطعوا من أواصر .. ؟ وكم أوقعوا بين الرؤساء ومرءوسيهم ؟ يجلس اليك احدهم طمعــا فى امر يظفر به ، فتراه يفـرغ بين يديك عبارات الثناء والاطراء ، فاذا قضى أمره تنكر لك ، واطلق لســـانه البذىء ينهش به عرضـــك .. !! ويلقاك أحدهم فى عرض الطــريق فيشد على يدك فى حرارة مظهــرا شوقه اليك وفرحه بلقائك ، فاذا ما تحول عنك ، أطلق وراء ظهرك قذائف من هجر القول وفحشـــه .. !! يغشون مجالس الامراء فيتحـدثون بين أيديهـــم بما لا يعتقدون ، ولا يخرجون من حضرتهم الا وقد باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل ! وهذا لعمر الحق اخبث النفاق وأرذلــه ، عن محمد بن يسار أن أناسا قالوا لجده عبد الله بن عمـــر رضى الله عنه : انا لندخل على ســـلطاننا ، فنقول بخلاف ما نتكلم اذا خرجنـــا من عنده ، فقال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه البخارى) .

وان التـــاريخ ليفيض بالمآسى الدامية التى اصابت الاســلام من هؤلاء المنافقين ، لقد كانوا من اكبر العقبات التى اعترضت طريق الدعوة الاسلامية ، بما اظهروا لها من ولاء كاذب يطوى تحته العداوة المدمرة ؟ **« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنــا واذا خلوا الى شياطينهم قالــوا انا معكم انما نحن مستهزئون)** (البقــرة ١٤ لقد لعب نفاقهم دورا خطيرا فى

محاولة هدم البناء الشامخ ، وتعطيل الركب السائر ، وتعويق الجــيش الزاحف ، واطفاء الشمس بأفواههم او بما يثيرون فى وجهها من غبار **« يريدون أن يطفئـــوا نور الله بافواههم ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »** (التوبة ٣٢) .

ان هؤلاء فى نظر القرآن حملة (ميكروب) قاتل ، فهم مصدر عدوى تهــدد البشرية « **فى قلوبهم مرض** » وفى طبيعتهم آفة ، وفى فطــــرتهم علة ، والمرض اذا اهمل نضاعفت اعراضه ، والانحراف يبدأ يسيرا ، فاذا لم يقوم انفرجت زاويته وامتد خطره ، وكانت عاقبته العـــذاب الاليم **« فزادهم الله مرضـــا ولهم عذاب أليـــم بما كانوا يكذبون »** (البقرة ١٠) .

لقد كان الامراء الحــــازمون ، يحتقرون هذا اللون من النــــاس فيلجئونهم الى مواقف حرجة يخرجون منها تائبين ، وشى رجل بآخر عنـــد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنـــه ثم هم أن يخرج ، فقال له عمر : لا تخرج يا هذا حتى نحقق هـــذا الامر ، وننظر فيما نسبته الى فلان، ففزع الرجل وقال : العفـــو يا أمير المؤمنين ، لا أعود اليها أبدا !! . . » .

وان الجزاء العادل لهؤلاء المنافقين المخادعين ، أن تهــــوى فى الآخرة منازلهــــم ، وتخف بين يدى الله موازينهم ، وتهـــدر كرامتهم ، ففى الحديث الشريف « ذو الوجهين فى الدنيا ، يأتى يوم القيامة وله وجهان من نار » (٩) ثم هم لا بد صائرون الى عاقبتهم المحتـــــومة ليروا أن جزاءهم من جنس ما عملوا فكمـــا عاشوا بين الناس بوجهين ولسانين، فسيكون لهم فى جهنم لســـانان من نار وسعير **« ولا يظلم ربك أحداً »** **(الكهف ٤٩) روى أبو داود وابن حبان فى صــحيحه « من كان له وجهان فى الدنيـــا ، كان له يوم القيامة لسانان من نار »** .

وهكذا يحمى الاسلام المجتـــمع الاسلامى والانســـانى بما علم من حكم ، وبما أرسى من قواعد ومبادىء تاخذ الحياة فى ظلها سيرها الآمن ، وقرارها المطمئن .

---

(١) معادن جمع معدن ، وهو ما يستخرج من بطن الارض كالحديد والفضـــة والذهب والنحاس وغيرها .

(٢) الجاهلية ما قبل الاسلام ســـموا بذلك لكثرة جهالاتهم .

(٣) فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها اى علموا أحكام الشرع أصولا وفقها وسلوكا .

(٤) أى تقلد الامارة لانه اذا أعطيهـــا من غير مسالة أعين عليها ، وقيل المراد بالشان الاسلام ، فقد يكون الرجل من اشد الناس كراهية للاسلام ولكن اذا دخل فيه اخلص له وأحبـــه كعمر بن الخطاب وغيره .

(٥) انف البعير اشـــتكى انفه فهو انف (بفتح الهمزة وكسر النون) مثل تعب فهو تعب .

(٦) ربد يربد كقعد يقعد اى تغير فقال : تربدت السماء : غغيمت وتربد اللون : تغير . والابريز من الذهب : خالصه .

(٧) رواه الامام البغوى فى مصابيح السنة .

(٨) شبه الحديث الشريف الانتفاع والالتذاذ بالولاية بالارتضاع من المراة وشـــبه انقطاع ذلك عنه وانفصاله عنها بموت او غيره بالفطام فعلى العاقل الا يتعلق بلذة تتبعها حسرات .

(٩) رواه الطبرانى فى الاوسط .

من الخصائص العامة للإسلام

الربانية

يتميز الاسلام عن كل ما سواه من الأديان والمذاهب والانظمة ، بمجموعة من الخصائص العامة ، جعلته خير دين ينتظم البشرية ويقودها الى رشدها وتخللت كل أجزائه ومقوماته : عقيدة وعبادة واخلاقا وتشريعا ونظام حياة .

وسنحاول هنا القاء الضوء على اهم هذه الخصائص وابرزها . مستمدين التوفيق من الله تعالى .

أما الخصيصة الأولى من الخصائص العامة للاسلام فهى : الربانية .

والربانية ــ كما يقول علماء العربية ــ مصدر صناعى ، منسوب الى الرب وزيدت فيه الالف والنون ، ومعناه الانتساب الى الرب ، اى الله سبحانه وتعالى. ويطلق على الانسان انه « ربانى » اذا كان وثيق الصلة بالله ، عالما بدينه وكتابه ، معلما له . وفى القرآن الكريم . « **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** » . آل عمران : ٧٩ .

والمراد من الربانية هنا أمران :

١ ــ ربانية الغاية والوجهة .

٢ ــ ربانية المصدر والمنهج .

٥

١

١ ــ ربانيــة الغايــة والوجهــة :

فأما ربانية الغاية والوجهة ، فنعنى بها : أن الاسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد ، هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى ، والحصول على مرضاته ، فهذه هى غاية الاسلام ، وبالتالى هى غاية الانسان ، ووجهة الانسان ، ومنتهى أمله وسعيه وكدحه فى الحياة « **يايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه** » الانشقاق ٦ . « **وان الى ربك المنتهى** » . النجم ٤٢ .

ولا جدال فى أن للاسلام غايات وأهدافا أخرى انسانية واجتماعية ، ولكن عند التأمل نجد هذه الأهداف فى الحقيقة خادمة للهدف الأكبر ، وهو مرضاة الله تعالى ، وحسن مثوبته . فهذا هو هدف الأهداف ، أو غاية الغايات .

فى الاسلام تشريع ومعاملات ، ولكن المقصود منها هو تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا ويبرأوا من الصراع على المتاع الأدنى ، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى وعبادته .

وفى الاسلام جهاد وقتال للأعداء ، ولكن الغاية هى « **حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** » الانفال ٣٩ .

وفى الاسلام حث على المشى فى مناكب الأرض والأكل من طيباتها ، ولكن الغاية هى القيام بشكر نعمة الله وأداء حقه « **كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور** » . سبأ ١٥ .

وكل ما فى الاسلام من تشريع وتوجيه وارشاد ، انما يقصد الى اعــداد الانسان ليكون عبدا خالصا لله ، لا لأحد سواه . ولهذا كان روح الاسلام وجوهره هو التوحيد .

ومعنى التوحيد : أن يعلم الانسان انه لا اله الا الله ، وأن يفرده تعــالى بالعبادة والاستعانة ، فلا يشرك به أحدا ، ولا يشرك معه شيئا . وهذا معنى « **اياك نعبد واياك نستعين** » الفاتحة ٥ . التى يرددها المسلم فى صلواته كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة ، كلما قرأ فاتحة الكتاب فى ركعة من ركعــات الصلاة .

ولقد خاطب الله تعالى رسوله محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهــذه الحقيقة ، وأمره أن يعلنها ويبلغها للناس ، فقال : « **قل اننى هدانى ربى الــى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء** » . الأنعام ١٦١ ــ ١٦٤ .

ان الانسان لم يخلق لمجرد أن يأكل ويشرب ، ويلهو ويلعب ، ثم بعد ذلــك يموت أو ينفق كما تنفق الدابة ، كالذين حكى القرآن عنهم أنهم « **يتمتعون وياكلون كما تاكل الأنعام** » محمد ١٢ .

انما خلق الانسان لغاية أسمى .

يقولون : ان الأحمق يعيش ليأكل ، والعاقل يأكل ليعيش . ولكن يبقى هنا سؤال يتحتم الاجابة عنه ، هو : ولماذا يعيش العاقل ؟ ان العيش ليس غاية فى نفسه ، تقصد لذاتها ، بل لا بد من هدف يعيش له الانسان ، فما هو ؟

أما الماديون ، فلا يجدون لهذا السؤال فى فلسفتهم جوابا يشفى . وأما المؤمنون فيقولون : ان الانسان يعيش ليعرف خالقه سبحانه ويعبده ويقوم بخلافته فى الأرض .

فاذا كان الأحمق يعيش ليأكل ، والعاقل يأكل ليعيش ، فان المؤمن يعيش ليعبد الله وحده .

يقرر القرآن هذه الحقيقة بوضوح وجلاء حين يذكر الغاية من خلق الجن والأنس فيقول تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » . الذاريات ٥٦ ــ ٥٨ .

بل يبين القرآن أن خلق العالم كله علويه وسفليه ، سمواته وأرضه ، لم تكن الغاية منه الا أن يعرف الناس ربهم القادر على كل شىء ، العليم بكل شىء . وهذه المعرفة هى باب كل هدى ، ومفتاح كل خير ، يقول سبحانه : « **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما** » . آخر سورة الطلاق .

الانسان اذن لم يخلق لنفسه ، فكل شىء فى هذا الكون قد خلق ليؤدى خدمة لغيره . وهو كذلك لم يخلق لخدمة شىء آخر من مخلوقات هذا الكون ، فكل ما فى الكون سخر لخدمته ، كما قال الله تعالى : « **ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** » . لقمان ٢٠ .

انما خلق الله جل جلاله الانسان .. لمعرفته وعبادته ، وأداء أمانته فــى الأرض . وكفى بهذا شرفا وفخرا ، فهو سيد فى الكون ، عبد لخالقه وحده .

من ثمرات هذه الربانية فى النفس والحياة :

ومما لا ريب فيه ان لهذه الربانية ــ ربانية الغاية والوجهة ــ فوائد وآثارا جمة فى النفس والحياة ، يجنى الانسان ثمارها فى هذه الدنيا ، فضلا عن ثمراتها فى الآخرة . وهى ثمار فى غاية الأهمية .

فمن آثار هذه الربانية وثمراتها :

اولا ــ معرفة غاية الوجود الانسانى :

ان يعرف الانسان لوجوده غاية ، ويعرف لسيرته وجهة ، ويعرف لحياته رسالة ، وبهذا يحس ان لحياته قيمة ومعنى ، ولعيشه طعما ومذاقا ، وانه ليس ذرة تافهة تائهة فى الفضاء ، ولا مخلوقا سائبا يخبط خبط عشواء فى ليلة ظلماء ، كالذين جحدوا الله أو شكوا فيه ، فلم يعرفوا : لماذا وجدوا ؟ ولماذا يعيشون ولماذا يموتون ؟

كلا ، انه لا يعيش فى عماية ، ولا يمشى الى غير غاية ، بل يسير على هدى من ربه ، وبينة من أمره ، واستبانة لمصيره ، بعد أن عرف اللــه وأقــر لــه بالوحدانية .

انه لا يقول ما قاله الشاعر الحائر المرتا ب:

لبست ثــوب العمر لم أستشر وحــرت فيه بين شتى الفكر !

وسوف أنضو الثــوب عنى ، ولم ادر : لماذا جئت ؟ أين المفر ؟ !

او ما قاله الآخر :

جئت لا اعــلم مــن ايــن ولــكنى أتيت !

كلا . . فقد اتضحت وجهته الربانية ، وعرف من أين جاء ، ولم جاء ، والى من فراره ، وأين قراره . ان حسبه أن يقرأ من كتاب ربه ما رد به ابراهيم خليل الرحمن على عبدة الأوثان فقال : ((**فانهم عدو لى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين**)) الشعراء ٧٧ — ٨٢ . .

ثانيا ــ الاهتــداء الى الفطرة :

ومن ثمرات الربانية وفوائدها أن يهتدى الانسان الى فطرته التى فطــره الله عليها والتى تطلب الايمان بالله تعالى ، ولا يعوضها شىء غيره . يقول تعالى:

« **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلـــق الله** » . الروم ٣٠

واهتداءالانسان الى فطرته ليس كسبا رخيصا ، بل هو كسب كبير ، وغنم عظيم ، فيه يعيش المرء فى سلام ووئام مع نفسه ، ومع فطرة الوجود الكبير من حوله ، فالكون كله ربانى الوجهة ، ويسبح بحمد الله « **وان من شىء الا يسبح بحمده** » الاسراء ٤٤ .

والحقيقة ان فى فطرة الانسان فراغا لا يملؤه علم ، ولا ثقافة ولا فلسفة ، انما يملؤه الايمان بالله جل وعلا .

وستظل الفطرة الانسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ ، حتى تجد الله ، وتؤمن به ، وتتوجه اليه .

هناك تستريح من تعب وترتوى من ظمأ ، وتأمن من خوف ، هناك تحس بالهداية بعد الحيرة ، والاستقرار بعد التخبط ، والاطمئنان بعد القلق ، ووجدان المنزل والاهل بعد طول الغربة ، والضرب فى أرض التيه .

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينا بالاياب المسافر

فاذا لم يجد الانسان ربه ـــ وهو اقرب اليه من حبل الوريد ـــ فما اشقى حياته وما أتعس حظه ، وما أخيب سعيه !!

انه لن يجد السعادة ، ولن يجد السكينة . ولن يجد الحقيقة .. لن يجد نفسه ذاتها . « **كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم** » . الحشر ١٩ .

فتصور انسانا يعيش دون أن يجد نفسه ، وهو فى رأى نفسه ، وفى نظر الناس بشر عاقل ، سميع بصير ، بل لعله جامعى مثقف ، ولعله ـــ فوق ذلك ـــ « دكتور » كبير فى العلوم أو الآداب !

وكيف يجد نفسه من لم يعرفها ؟ وكيف يعرفها من حجب عنها بالغرور والكبر ؟ أو شغل عنها باتباع الشهوات ، والاخلاد الى الارض ، والغرق فى لذائذ الحس ، ومطالب الجسد والطين ؟

ان الانسان خلق عجيب ، جمع بين قبضة من طين الأرض ، ونفخة من روح الله . فمن عرف جانب الطين ، ونسى نفخة الروح ، لم يعرف حقيقة الانسان .

ومن أعطى الجزء الطينى فيه غذاءه وريه مما انبتت الارض ، ولم يعـــط الجانب الروحى غذاءه من الايمان ومعرفة الله ، فقد بخس الفطرة الانسانيـــة حقها ، وجهل قدرها ، وحرمها ما به حياتها وقوامها .

قال ابن القيم ـــ رحمه الله فى كتابه « مدارج السالكين » :

« فى القلب شعث لا يلمه الا الاقبال على الله .
وفيه وحشة لا يزيلها الا الأنس بالله .
وفيه حزن لا يذهبه الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته .
وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه ، والفرار اليه .

وفيه نيران حسرات لا يطفئها الا الرضى بأمره ونهيه وقضائه ، ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه .

وفيه فاقة لا يسدها الا محبته والانابة اليه ، ودوام ذكره ، وصدق الاخلاص له ، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا » .

وهذا ليس كلام عالم فحسب ، بل كلام ذائق مجرب ، يقول ما خبره وأحس به فى نفسه ، وما رآه ولاحظه فى الناس من حوله .

انها الفطرة البشرية الأصيلة التى لا تجد سكينتها الا فى الاهتداء الى الله والايمان به ، والالتجاء اليه .

انها الفطرة التى لم يملك مشركو العرب فى جاهليتهم أن ينكروها مكابرة وعنادا : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ، ليقولن : الله »** . العنكبوت ٦١ .

وقد يتراكم على هذه الفطرة صدأ الشبهات أو غبار الشهوات . وقد تنحرف وتتدنس باتباع الظن أو اتباع الهوى ، أو التقليد الجاهل للأجداد والآباء ، أو الطاعة العمياء للسادة والكبراء . وقد يصاب الانسان بداء الغرور والعجب فيظن نفسه شيئا يقوم وحده ، ويستغنى عن الله !!

بيد أن هذه الفطرة الأصيلة تذبل ولا تموت ، وتكمن ولا تزول . فاذا أصاب الانسان من شدائد الحياة وكوارثها ما لا قبل له به ، ولا يد له ولا للناس فى دفعه ، ولا رفعه ، فسرعان ما تزول القشرة السطحية المضللة ، وتبرز الفطرة العميقة الكامنة ، وينطلق الصوت المخنوق المحبوس ، داعيا ربه ، منيبا اليه . كما قال تعالى :

« واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه » الاسراء ٦٧ .

هذه الفطرة حقيقة اجمع عليها الباحثون فى تاريخ الأمم والأديان والحضارات فقد وجدوا الانسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ويؤمن باله ، حتى قال أحد كبار المؤرخين :

« لقد وجدت فى التاريخ مدن بلا قصور ولا مصانع ولا حصون ، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد » .

ولهذا كانت مهمة رسل الله كافة فى جميع الأعصار ، هى تحويل الناس من عبادة المخلوقات الى عبادة الخالق ، وكان نداؤهم الأول الى قومهم « **أن اعبدوا**

الله واجتنبوا الطاغوت)) النحل ٣٦ « **اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** » الاعراف ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ .

ثالثا ــ سلامة النفس من التمزق والصراع :

ومن ثمرات هذه الربانية ــ ربانية الغاية والوجهة ــ سلامة النفس البشرية من التمزق والصراع الداخلى ، والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات ، وشتى الاتجاهات .

لقد اختصر الاسلام غايات الانسان فى غاية واحدة هى إرضاء الله تعالى ، وركز همومه فى هم واحد هو العمل على ما يرضيه سبحانه .

ولا يريح النفس الانسانية شىء كما يريحها وحدة غايتها ووجهتها فى الحياة فتعرف من أين تبدأ ، والى أين تسير ، ومع من تسير .

ولا يشقى الانسان شىء مثل تناقض غاياته ، وتباين اتجاهاته ، وتضارب نزعاته ، فهو حينا يشرق ، وحينا يغرب ، وتارة يتجه الى اليمين ، وطورا يتجه الى اليسار . ومرة يرضى زيدا فيغضب عمرو ، واخرى يرضى عمرا فيغضب زيد ، وهو فى كلا الحالين حائر بين رضا هذا وغضب ذاك .

ومن فى الناس يرضى كــل نفس وبين هــوى النفوس مدى بعيد ؟!

ان عقيدة التوحيد قد منحت المسلم يقينا بأن لا رب الا الله يخاف ويرجى ، ولا اله الا الله ، يتقى سخطه ، ويلتمس رضاه . وبهذا اخرج المسلم كل الأرباب الزائفة من حياته ، وحطم كل الأصنام المادية والمعنوية من قلبه ، ورضى بالله وحده ربا ، عليه يتوكل ، واليه ينيب ، وفى فضله يطمع ، ومن قوته يستمد ، وله يتودد ، واليه يحتكم ، وبه يعتصم « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم))** . آل عمران ١٠١ .

فأين هذا من المشرك بالله ، الذى تعددت أربابه ، وتضاربت وجهاته ، وقد مثله القرآن الكريم بعبد له أكثر من سيد ، وهم شركاء متشاكســون غير متوافقين ، كل يأمره بضد ما يأمره به الآخر ، ويريد منه غير ما يريده . فهمه متفرق ، وقلبه مشتت . يقول تعالى ((**ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا))** . الزمر ٢٩ .

وقال يوسف عليه السلام لرفيقيه فى سجن مصر ، وقد كانا كقومهم ممن يعبدون مع الله الهة اخرى : « **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنــزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا إياه ذلك الدين القيــم ولكن أكثر الناس لا يعلمون))** يوسف ٤٠ .

نقد ابن كثير للاسرائيليات

« ٤ »

اسماعيل سالم عبد العال

إن الفساد الذى أصاب كثيرا من الناس ، فى عقيدتهم ، وبلبل أفكارهم وأثر فيهم أثرا بالغ السوء من جراء الروايات الاسرائيلية ، والقصص الخرافى ، والأوهام الباطلة ، أمر لا يستهين به الا مأفون أو مخبول !!

فمن المستحيل ـ عقلا وعرفا ـ أن يلتقى العلم والجهل ، أو النور والظلمة ، لكن لم يكن من المستحيل فى عقول من أرادوا أن يقوضوا حقائق الاسلام الناصعة ، أو أن يطمسوا معالمه الوضاءة ، أن تجتمع لديهم الخرافات والاساطير مع أنوار القرآن الالهية ، وهدى السنة النبوية !!

ليس من الغريب لديهم أن يكون معنى « ق » امتداد جبل عظيم يشمل الارض كلها !! وأن ثورا ضخما يحمل الأرض فوق أحد قرنيه ، فاذا شعر باعياء نقل حمله الى القرن الآخر ، فحدثت الزلازل والبراكين !!

وقد قيّض الله لدينه علماء بررة أدركوا مدى خطورة الاسرائيليات ، ووضعها بجوار آيات الله الواضحات تفسيرا لها !! أو بجانب كلمات الله البينات توضيحا لمرادها !!

ولنتتبع مع الحافظ ابن كثير ـ ذلك المفسر البصير ـ نقده القائم على أسس علم الجرح والتعديل لهذه الروايات المفسدة للعقائد ، المشوشة على العقول ، الموغلة فى الشرود والضلال ..

وهب بن منبه :

وهب بن منبه الصنعانى من أبناء الفرس ، الذين بعث بهم كسرى الى اليمن . وكان مولده سنة (٢٤ هـ ـ ٦٤٥م) وتوفى سنة (١١٤ هـ ـ ٧٧٢م) ، وكان له يد طولى فى ترويج الاسرائيليات ، والروايات الهابطة ، فى ميادين كثيرة من العلوم الاسلامية وموقف العلماء من توثيق وهب

كموقفهم من كعب الأحبار .

يرى جمهور علماء الجرح والتعديل انه من الثقات العدول ، يقول الذهبى « كان ثقة صادقا ، كثير النقل من كتب الاسرائيليات » بل لقد بالغ بعض الأساتذة الأفاضل فلم يحمل وهبا — ولا اضرابه — وزر ما احدثته الاسرائيليات من اثر سيء وان قام بنقلها وترويجها كما سبق أن قلناه .

وبعض آخر يحمله — هو واشباهه — وزر هذه الاسرائيليات الكاذبة التى ادخلت فى ديننا ليلتبس على الناس الحق بالباطل ، ويسحب منه — نتيجة لهذا — الثقة والعدالة .

لكن ابن كثير اتخذ موقفا وسطا من كعب ووهب ، فهو مع علماء الجرح والتعديل — حين وثقوهما ، وعدلوهما ، ولا يرميهم بالاغترار والجهل كما فعل بعضهم ، وهو لا يعفيهما مما نقلاه من كتب اكثرها محرف ، ومبدل ، ومختلق .

وهذه بعض النماذج لما ذكره ابن كثير عن وهب وانتقد بعضه .

(١) روى ابن جرير عن وهب بن منبه فى قوله تعالى : **« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »** (الرعد : ٢٩) أثرا فيه غرابة وشطحات خيال نقتطف منه ما يلى : « ان فى الجنة شجرة ، يقال لها طوبى ، يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رباط ، وورقها برود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووحلها مسك ، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل ، وهى مجلس لأهل الجنة . . ثم يقول — أى ربنا — اعرضوا على عبادى ما لم يبلغ امانيهم ولم يخطر لهم على بال ، قال فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيهم ، التى فى أنفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليه براذين مقرنة على كل اربعة منها سرير ، من ياقوتة واحدة ، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة ، فى كل قبة منها فرش من فرش الجنة متظاهرة ، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين ، على كل جارية منهن ثوبا من ثياب الجنة وليس فى الجنة لون الا وهو فيهما ، ولا ريح ، ولا طيب ، الا قد عبق بهما ، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما انهما دون القبة ، يرى مخهما من فوق سوقهما ، كالسلك الابيض ، فى ياقوتة حمراء يريان له من الفضل على صاحبه ، كفضل الشمس على الحجارة او افضل ، ويرى هو لهما مثل ذلك . ويدخل اليهما ، فيحييانه ، ويقبلانه ، ويتعلقان به ويقولان له : والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك . . الخ .

قال ابن كثير : وهذا سياق غريب ، وأثر عجيب ، ولبعضه شواهد .

(٢) وفى تفسير قوله — جل شأنه — **« يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً »** (الانعام : ١٥٨) ذكر ابن كثير أقوال العلماء ، وبين أن أبا بكر بن مردويه روى فى تفسيره عن عبد المنعم بن أدريس ،

عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس مرفوعا حديثا طويلا غريبــا منكرا رفعه ، وفيه أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ من المغرب مقرونين ، واذا انتصفا السماء رجعا الى مــا كانا عليه .

وعلق الحافظ ابن كثير على هذه الرواية فقال : « وهو حديث غريب جدا ، بل منكر بل موضوع ان ادعى انه مرفوع . فأما وقفه على ابن عباس او وهب بن منبه ــ وهو الأشبه ــ فغيــر مرفـــــوع ، والله أعلم » ٣

وروى ابن اسحاق عـــن وهـــب بن منبه فى تفسير قوله تعالى : **« ان آية ملكه أن ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم)** (البقرة : ٢٤٨) قال : ان السكينة راس هرة ميتة ، اذا صرخت فى التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح !!

ويروى عبد الرزاق ــ عن وهب ايضا ــ أن السكينة روح من الله تتكلم اذا اختلفوا فى شىء تتكلــــم فتخبرهم ببيان ما يريدون .

وســـكت ابن كثير ــ عــلى غير عادته ، ولم ينبه على إفكها وزيفها . وكأنه اكتفى بحكمة العام على روايات وهب وزميله كعب من قبل .

ابن جــريج :

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج النصـــرانى الرومى ، وهو من أتبـــاع التـــابعين ، نقـــل كثيرا من نصرانياته الى ديننا .

وقد روى ابن جرير وغيره بعض إسرائيليات ابن جريج ، وقد انتقد ابن كثير هذه الآثار الغريبة الواهية .

قال ابن كثير عند تفسير قول الحق تبارك وتعالى : **« ومن قوم موسى امة يهدون بالحــق وبـــه يعـــدلون »** (الاعراف : ١٥٩) . « ذكر ابن جرير فى تفسيرها خبرا عجيبا فقال : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حـــدثنا حجاج عن ابن جريج قوله : **« ومـــن قـــوم موسى أمة يهـــدون بالحق وبه يعدلون »** . قـــال : بلغنى ان بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم ، وكفروا ، وكانوا اثنى عشر سبطا ، تبرأ سبط منهـــم مما صـــنعوا ، واعتذروا ، وسألوا الله عز وجل ان يفرق بينهـــم وبينهم ، ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه ، حتى خرجوا من وراء الصين . فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا » !!

اسرائيليات فى اقوال

الصحابة والتابعين :

روى عن بعض الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ آثار غريبة وأخبــــار اسرائيليـــة فى التفسير والحـــديث وغيرهما . وكان تلقى هذه الروايات عن طريق مسلمة اهل الكتاب ككعب ووهب ، أو عن طريق الاطلاع على كتب اليهود والنصارى ونقـــل بعض ما فيها الى ديننا .

فالروايات المستهجنة والموغلة فى الخيال التى اثرت عن عبـــد الله بن عمرو ــ مثلا ـــ كان يعزوها ابن كثير

الى الزاملتين اللتين حملهما معه من اليرموك !!

وقد ينسب الى الصحابى — إفكا وزورا — روايات لم يقلها ، فيتناقض ما أثر عنه من آراء فى الآية الواحدة ، أو التفسير الواحد .

اسرائيليات ابن عباس :

ان من الأباطيل الفاجرة أن يتهم ابن عباس ومدرسته فى التفسير بأنها تصطبغ باللون اليهودى ، وأنه كان معجبا بما عند اليهود من علم زاخر ، وحقائق ناصعة ، وروايات صادقة . . الى آخر هذا الإفك المفترى على صحابى جليل !!

لقد دعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لابن عباس بتأويل القرآن والتفقه فى الدين . فكان بفضل هذه الدعوة من خيرة المسلمين فقها لأحكام الله ، وفهما لكلمات الله .

فاذا كان ابن عباس ترجمان كتاب العرب الأكبر ، ومستشار الصحابة الكبار — على صغر سنه بينهم — فما حاجته الى الاستعانة بأهل الكتاب والتأثر بهم وقد اشتهر أكثرهم بالتحريف والتبديل الا من رحم ربك ؟!

ذكر الطبرى فى تفسيره أن يهوديا لقى سعيد بن جبير وهو يتجهز من الكوفة للحج ، فسأله : أى الأجلين قضى موسى ؟. فأجابه ابن جبير : لا أعلم . ثم أتى ابن جبير مكة فسأل ابن عباس تلك المسألة ، وقفل راجعا . فلقى اليهودى نفسه ، فأخبره أن ابن عباس يقول : ان موسى قضى أكثرهما وأطيبهما لأن النبى اذا وعد لم يخلف ، فقال اليهودى : صدق ابن عباس وما أنزل على موسى .

لقد نسب الى ابن عباس — كذبا وبهتانا — روايات كثيرة فى تفسير آيات الكتاب الحكيم . وكتاب « تنوير المقياس » الذى روى الفيروزبادى فيه تفسير القرآن بسنده عن ابن عباس ، وكتاب « اللغات فى القرآن » الذى أخبر به اسماعيل بن عمرو بسنده عن ابن عباس كما زعم ، قد وجد فيهما ما يسفل عن منزلة ترجمان القرآن بكثير .

ان الامام الشافعى — رضى الله عنه — يقول فيما يذكره السيوطى عن ابن عبد الحكيم : « لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير الا شبيه بمائة حديث » !!

فكيف يصح — مع هذا — التفسير المنسوب الى ابن عباس وقد بلغ حجمه نحو أربعمائة صفحة من القطع المتوسط ؟!

ويزعم بعض الحاقدين على الاسلام من المستشرقين — وبخاصة اليهود منهم — أن ابن عباس تتلمذ على أيدى أساتذة يهود بالطائف بعد أن رجع من إمارته للبصرة فى خلافة على بن أبى طالب . لكن غاب عن هؤلاء المستشرقين أن ابن عباس حين مكث عاما فى الطائف معتكفا بعد ولايته للبصرة لم يجلس بين يدى يهود ، اذ أن الطائف قد خلت منهم باجلاء عمر ابن الخطاب لهم وطردهم منها .

فتلمذة ابن عباس على أيدى اليهود

إفك صراح ، وادعاء لا اصــل له ! ان الــذى ادخــل الاســرائيليات ، واشاعها ، وروجها مسلمة يهود !!

والذى يريد ان يصبغ بها مدرسة ابن عباس فى التفسير ، ويعتبرهــا حقائق هرعنا لادراكها واســتيعابها مستشرقون يهود !!

ومدرسة ابن عباس لم تعتبر هذه الاسرائيليات المخــرفة ، والروايات المختلفة حقائق يسعى فى تحصــيلها ونشرها . كيف وقد ذكر البخــارى ـــ فيما رواه ابن كثير ـــ حديثا عن ابن عباس ينهى صراحة عن الأخــذ من اهل الكتاب ؟!

« قال الزهرى ، اخبرنى عبيد الله ابن عبد الله ، عن ابن عباس انه قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء ، وكتاب الله الذى انزل على نبيه أحدث أخبار الله تقرءونه غضا لم يشب ، وقد حدثكم الله ـــ تعالى ـــ أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبــوا بأيديهم الكتاب . وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليــلا . أفــلا ينهاكم ما جاءكم به من العــلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأيت منهــم احدا قط يســألكم عن الذى انزل اليكم !!

لكن ابن‌كثير يذكر ـــ فى مقدمته ـــ ان السدى‌الكبير كان ينقل ـــ احيانا ـــ عن ابن مســـعود وابن عبـــاس ما يحكونه من أقاويل اهل الكتاب التى اباحها ـــ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ حيث قال : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » رواه البخارى عن عبد الله ابن عمرو .

ومع هذا فان الاتهام الذى وجــه لمدرسة ابن عباس مردود ، لا وزن له فشـــتان بين نقله بعض الاخبـــار الاسرائيلية المباحة ، والتى لا طائل تحتها ، ولا حاجــة لنا بها ، وبين اصطباغ مدرسته باللون اليهــودى الذى لا يكون كذلك الا بالاعتماد عليه اعتمادا أساسيا فى التفسير !! وهذا ما يرفضه المسلم العاقل فضلا عن ابن عباس ترجمان القرآن !!

وقبل أن نذكــر نقــد ابن كثير للاسرائيليــات التى رويت عن ابن عباس يجب أن نكون على بصيرة من الحقائق التالية :

١ ـــ انه لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير الا ما يقــرب من مائة حديث .

٢ ـــ وان كثيرا من الروايـــات لا تصح نسبتها اليه ، وهى محض افتراء ، اذ فيها من الآراء ما يسفل عن منزلة مستشار الصحابة ، ويهبط بقدره .

٣ ـــ وابن عباس نهى صراحــة ـــ فيما رواه البخارى ـــ عن الاخــذ عن أهل الكتاب .

٤ ـــ وبعض ما قاله ابن عباس وافق ما عند أهــل الكتاب كرواية الطبرى سالفة الذكر .

٥ ـــ وما روى عنه من الاخبــار الاسرائيلية محمول على الاخبـــار المباحة التى توافق ما عندنا ، وجاء

الاذن بها من النبى — صلى الله عليه وسلم — وهى — اولا — قليلة تعد على الأصابع . وثانيا — لو استبعدناها عن ديننا ما نقص منه الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر ففيه غنية عنها ، ولا حاجة له الى حرف واحد منها . كما يقول ابن كثير

نقد ابن كثير لابن عباس :

(١) — روى ابن جرير اثرا غريبا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى : **« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون »** (الحجر : ٢٨) قال : « لما خلق الله الملائكة قال : **« إنى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »** (ص ٧١ ، ٧٢) قالوا : لا نفعل . فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم . ثم خلق ملائكة اخرى فقال لهم مثل ذلك : فقالوا : لا نفعل . فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم !. ثم خلق ملائكة أخرى . فقال : انى خالق بشرا من طين ، فاذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فأبوا ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم !. ثم خلق ملائكة فقال : انى خالق بشرا من طين ، فاذا أنا خلقته فاسجدوا . قالوا : سمعنا واطعنا الا إبليس كان من الكافرين الاولين » .

قال ابن كثير : وفى ثبوت هذا عنه بعد . والظاهر انه اسرائيلى .

والرواية تلحق العجز بالملائكة ، ولا تليق بجلال الله وعظمته ، وما أغنانا عن هذه الخرافات والأباطيل !

(٢) — ومما حكى عن ابن عباس قوله : ان إبليس كان من حى من أحياء الملائكة وخازنا من خزان الجنة ، وهو أول من سكن الارض ، فأفسد فيها وسفك الدماء وأرسل الله اليه بعض الملائكة فقتلهم حتى الحقهم بجزائر البحور ، واطراف الجبال — كما تقول الرواية — فاغتر ابليس بنفسه فلم يسجد لآدم الذى خلقه الله بيده ، وظل اربعين ليلة جسدا ملقى ، وكان ابليس يأتيه فيضرب برجليه فيصلصل فيصوت ، ثم يدخل فى فيه، ويخرج من دبره ، ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول : لست شيئا للصلصلة ، ولشىء ما خلقت ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك ، ولئن سلطت علىّ لأعصينك . ولما نفخ الله فيه الروح ، ونظر الى جسده ، أعجبه ما رأى فذهب لينهض ، فلم يقدر فهو قوله : **« وكان الانسان عجولا »** (الاسراء : ١١) .. الخ .

(٣) وعلق ابن كثير على هذه الرواية فقال : انها رواية غريبة ، وفيها أشياء فيها نظر ومناقشة .

وهذه رواية خالفت — صراحة — ما جاء فى الصحيحين ، وعقب ابن‌كثير عليها بأنها شىء يستحى من ذكره .

ففى تفسير قوله — جل شأنه : **«إن فيها قوما جبارين»** (المائدة : ٢٢) روى ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس أن موسى عليه السلام لما نزل قريبا من أريحاء بعث اثنى عشر عينا ليأتوه بخبر القوم قال : فدخلوا

المدينة ، فرأوا امرا عظيما من هيئتهم وجسمهم وعظمهم ، فدخلوا حائطـا لبعضهم ، فجاء صاحب الحـائط يجتنى الثمـار وينظر الى آثارهـم فتتبعهم ، فكلما اصاب واحدا منهـم اخذه ، فجعله فى كمه ، مع الفاكهة ، حتى التقط الاثنى عشر كلهم فجعلهم فى كمه مع الفاكهة . وذهب بهم الى ملكهم ، فنثرهم بين يديه فقال لهم : قد رأيتم شأننا وأمـرنا فاذهبـوا ، فأخبروا صاحبكم ، فرجعوا الى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم .

قال ابن كثير : وفى هذا الاسناد نظر . وعلق على ما رواه المفسرون فقال : وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا اخبارا من وضع بنى اسرائيـل فى عظمة خلق هؤلاء الجبارين ، وأن فيهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام ، وانه كان طـوله ثلاثـة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا تحرير الحساب . قال : وهذا شىء يستحى من ذكره ، ثم هـو مخالف لما فـى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله خلق آدم ، وطوله ستون ذراعا ، فما زال الخلق يتناقص حتى الآن » .

ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرا وانه كان ولد زنية ، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح ، وأن الطـوفان لم يصل الى ركبتيه !!

وهذا كذب وافتراء .. واذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج ابن عنق ــ وهو كافر وولد زنية ــ ؟!

هذا لا يسوغ فى عقل ولا شرع .

ثم فى وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر ، والله أعلم .

(٤) ــ عقد الامام النسـائى فى كتابه التفسير من سننه عنوانا فقال : « حديث الفتون » .. عن سعيد بن جبير قال : سأل عبد الله بن عباس عن قوله تعالى لموسى عليه السلام : **((وفتنـاك فتونا))** (طه . ٤٠) .

فسألته عن الفتون ما هو ؟ فقال : استأنف النهار يابن جبير فان لهـا حديثا طويلا .

فلما اصبحت غدوت الى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدنى من حـديث الفتون ..

ثم روى الحديث بطوله . وقـد استغرق خمس صفحات من القطـع الكبير فى تفسير ابن كثير وهو يقص المحن والابتلاءات التى وقعت لموسى عليه السلام قبل أن يولد وفى مراحل حياته كلها بعد ذلك .

وعلق ابن كثير على هذا الحديث فقال : هكذا رواه النسائى فى السنن الكبرى واخرجه أبو جعفر ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما ، كلهم من حديث يزيد بن هارون به ، وهـو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع الا قليل منه .. وكأنه تلقاه ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ مما أبيح نقله من الاسرائيليات عن كعب الأحبار ــ والله أعلم .

وسمعت شـيخنا الحـافظ أبـا الحجاج المزى يقول ذلك ايضا .

ذكر ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى : **((قال نكروا لها عرشها))** (النمل : ٤١) .

« ان الامام أبا بكر بن أبى شيبة روى أثرا غريبا عن عطاء بن السائب، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

وذكر الحديث بطـــوله . ونقتصر على الجزء الأخير منه وتعقيب ابن كثير عليه :

« قال فسألته حين جـــاءته عن أمرين ، قالت لسـليمان أريد ماء ، وليس من أرض ولا ســـماء . وكان سليمان اذا سئل عن شيء ســـأل الانس ، ثم الجن ، ثم الشياطين ، قال : فقالت الشياطين : هذا هين . اجر الخيل ، ثم خذ عرقها ، ثم املأ منه الآنيـــة !. قال : فأمر الخيـــل فأجريت ، ثم أخذ عرقها فملأ منه الآنية ، قال : وسألت عن لون الله — عز وجل — قال : فوثب سليمان عن سريره ، فخر ساجدا فقـــال : يارب لقد سألتنى عن امر، انه ليتعاظم فى قلبى أن اذكره لك . فقـــال : ارجع فقد كفيتكهم . قال : فرجع الى سريره . قال : ما سألت عنه ؟ قالت : ما سألتك الا عن الماء . فقال لجنوده : ما سألت عنه ؟ فقالوا : ما سألتك الا عن الماء . قال : ونسوه كلهم . قال : وقالت الشياطين : ان سليمان يريد ان يتخذها لنفسه . فان اتخذهـــا لنفسه ، ثم ولد بينهما ولد لم ننفك من عبوديته . قال : فجعلوا صرحا ممردا من قوارير فيه السمك ، قال : فقيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فاذا هـــى شعراء . فقال سليمان : هذا قبيح فما يذهبه . قالوا : يذهبه الموسى . فقال : أثر الموسى قبيح . قال فجعلت الشياطين النورة . قال : فهـــو أول من جعلت له النورة .

قال أبو بكر بن أبى شيبة :

ما أحسنه من حديث !!

وقال ابن كثير : بل هو منكر ، غريب جدا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم !! والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد فى صـــحفهم كـــروايات كـــعب ووهب — سامحهم الله تعالى — فيما نقلاه الى هذه الامة من أخبار بنى اسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب ممـــا كان وما لم يكن ، ومما حرف وبدل ونسخ . وقد أغنانا اللـــه سبحانه عن ذلك مما هو اصح وانفع واوضح وابلغ ولله الحمد والمنة . » .

(٦) — روى الطبرانى حديثا قال فيه : حدثنا محمد بن عبد الله بن عوف المصرى ، حدثنا وهب الله بن روق بن هبيرة ، حدثنا بشر بن بكر ، حـــدثنا الاوزاعى ، حدثنا عطاء عن عبد الله ابن عباس : سمعت رســـول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

« ان لله ملكا لو قيـــل له التقم السموات السبع والارضين بلقمـــة واحدة لفعل . تسبيحه سبحانك حيث كنت » !!

قال ابن كثير : وهذا حديث غريب جدا ، وفى رفعه نظر ، وقد يكون موقوفا على ابن عباس ، ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات — والله أعلم !!

(٧) — روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : **« فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيمـــا**

آتاهما » (الاعــــراف ١٩٠) .

فقال : لما حملت حواء من آدم أتاهما ابليس ــ لعنه الله ــ فقال : انى صاحبكما الذى أخرجتكما ، لتطيعانى أو لأجعلن له (أى للجنين) قرنى ابل، فيخرج من بطنك ، فيشقه ، ولأفعلن ، يخوفهما ، فسمياه عبد الحارث ، فأبيا ان يطيعاه . فخرج ميتا ، ثم حــملت الثانية فأتاهما ــ أيضا ــ فقــال : انا صاحبكما الذى فعلت مــا فعلت لتفعلن أو لأفعلن ــ يخوفهما ــ فأبيا ان يطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت الثالثة فأتاهما ــ أيضا ــ فذكر لهما فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبــد الحارث . فذلك قوله تعالى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) .

وعلق ابن كثير على هذا السخف الاسرائيلى فقال : « وقد تلقى هــذا الأثر عن ابن عباس جماعـــة من اصحابه كمجاهد وســعيد بن جبير وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية قتــادة والسدى وغير واحد من الســلف ، وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصـــون كثرة . وكأنه ــ والله اعلم ــ اصله مأخوذ من أهل الكتاب ، فان ابــن عباس رواه عن ابى بن كعب كمــا رواه ابن أبى حاتم : « حدثنا أبى ، حدثنا أبو الجماهر ، حــدثنا سعيد يعنى ابن بشير عن عقبة ، عن قتادة عن مجاهد ، عن ابن عباس عن أبى ابن كعب » وذكره . .

وقد يذكر ابن أبى حاتم روايــة اسنادهــا قوى ، ولكن فــى متنها منكرات تجعل الحافظ ابن كثير يحكم عليها بأنها من الاسرائيليات .

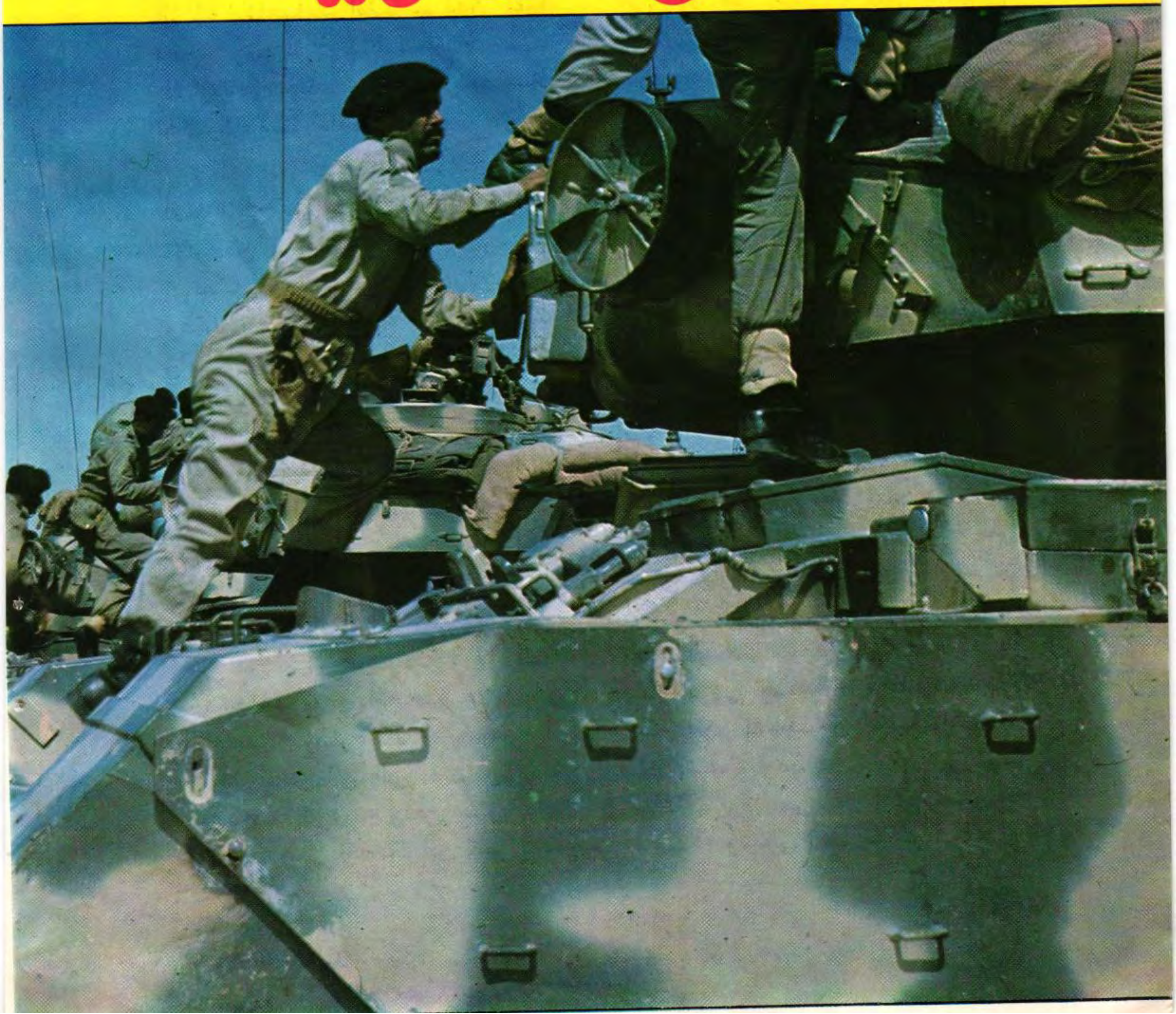
ففى قوله تعالى : **« والقينــا على كرســيه جســدا ثم أناب »** (ص : ٣٤) .

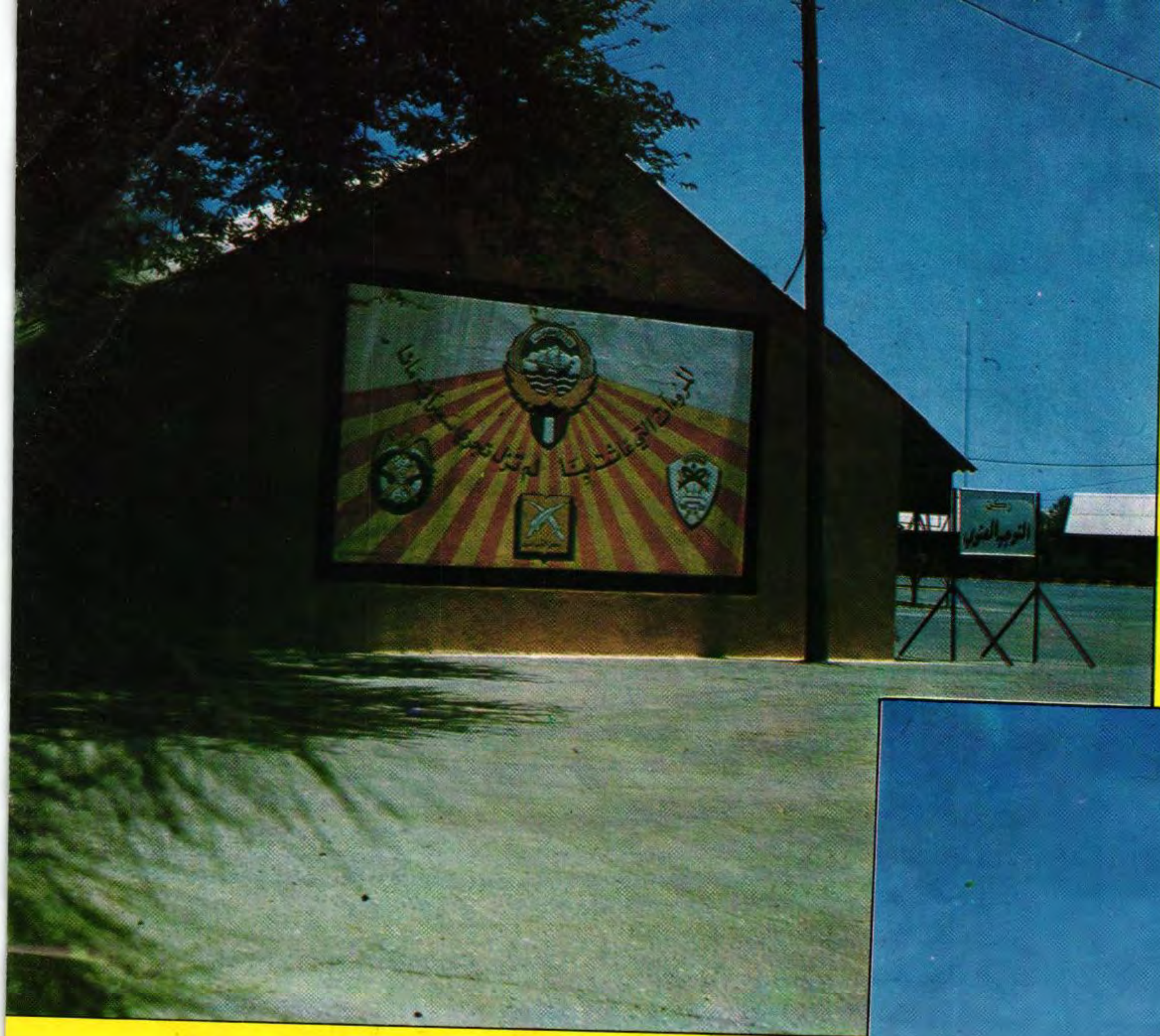
روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس اثرا غريبا منكرا يذكر فيه أن الشيطان تمثل بسليمان واخذ خاتمه ، وأنكــر الناس افعال سليمان ، وشكوا فى الأمر ، فأرسلوا الى نساء ســليمان فقالوا لهن : أتنكرون من ســليمان شيئا ؟ قلن : نعم . انه يأتينا ونحن حيض ، وما كان يأتينا قبل ذلك . . الى آخر هذا الهتان والافتراء علــى انبياء الله ورسله . .

وعلق ابن كثير على هذه الرواية الكاذبة التى تنفى العصمة عن الانبياء فقال : « إســناده الى ابن عبــاس ــ رضى الله عنهما ــ قوى ــ ولكن الظــاهر انه إنما تلقــاه ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ ــ ان صــح عنه ــ من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام . فالظاهر انهم يكذبون عليه، ولهذا كان فى الســياق منكرات من اشدها ذكر النساء ، فان المشهور عن مجاهد ، وغير واحد ، من أئمــة السلف ان ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله ــ عز وجل ــ منه ، تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب ، وزيد ابن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلهــا متلقاة من قصص أهل الكتاب ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

التوعية الدينية في الجيش الكويتي

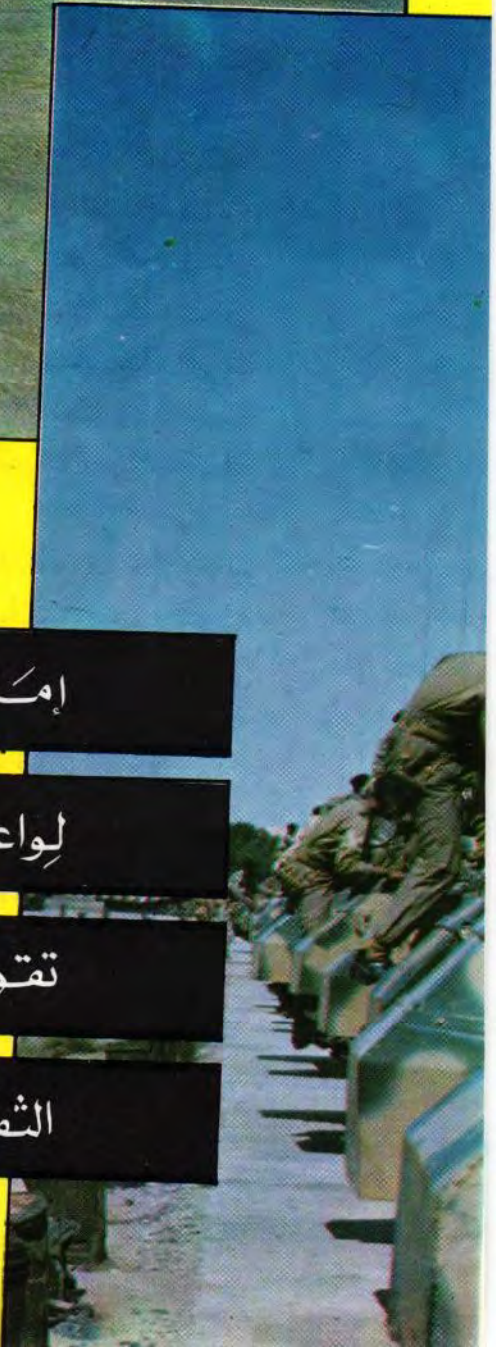
محمد مؤذن





تحقيق : عبد الستار محمد فيض ، فهمى عبد العليم الامام

تصوير : مجلة الوعى الاسلامى



إمام الكتيبة يحظى باحترام أبويّ وروحي من جميع الرتب

لواعظ الكتيبة أن يقودها في حالة فقدان قائدها

تقوية الروح المعنوية أقوى سلاح بيد الجندي

الثقافة الإسلامية مادة تدرّس في الكلية العسكرية

لا بد للحق من قوة تسنده ، وتحمى ظهره وتدافع عنه . هذه حقيقة من الحقائق التى لا جدال فيها . والاسلام الحنيف وهو دين الله سبحانه وتعالى ما قامت دولته ولا بسط سلطانه الا بعد إعداد العدة ، وتجهيز القوة وتربية المسلم تربية نقية خالصة لوجه الله جل شأنه .

وليست الأسلحة الآلية هى الأسلحة الوحيدة فى الحرب . بل هناك أسلحة أخرى اكثر فعالية واشد أثرا ، تستطيع أن تضمن النصر فى معارك كثيرة لا تجدى فيها الأسلحة الآلية . تلك هى أسلحة العقيدة . فاذا كانت القنابل والصواريخ تزرع الموت والدمار حيث تنزل ، فان العقيدة وحدها هى التى تستطيع أن تزلزل أعماق النفس البشرية ، وتبعثها من جديد ، وهى وحدها القادرة على أن تبعث الايمان فى النفوس وتحيله الى قوى خلاقة بانية . وتعطى للأسلحة الآلية بعدا جديدا .. وعمقا اكثر .

ولكى يدرك الجندى ماهية رسالته ، وحقيقة واجباته العسكرية، ويعرف لماذا يحارب ، ومن يحارب ولمن يحارب ؟ . لا بد له من حصيلة وافرة من الثقافة الاسلامية والوعى الدينى لإنارة الطريق أمامه فيتبين هدفه من خلال ظلمات المعركة .

وقد تنبه الى هذه الحقيقة مشاهير القادة المسلمون فى القرون السابقة، فكان الخلفاء يخرجون لوداع الجند وهم راحلون الى ميادين الجهاد ، ويخطبون فيهم الخطب العصماء ، ويحثونهم على البذل والتضحية من اجل الاهداف النبيلة التى يحاربون من اجلها .

والجندى حين يقاتل مستلهما عقيدة يؤمن بها ، فانه سيقدم فى سبيلها كل ما أوتى من قوى عقلية وبدنية . وبهذا تستثمر الطاقة الانسانية الى اقصى الحدود لاحراز النصر .

وعلى ضوء هذا رات وزارة الدفاع بدولة الكويت ، ورئاسة الاركان العامة للجيش الكويتى ، أن تربية الجندى على اساس من عقيدته وتبصيره بدينه وفقهه وفضائله سلاح من أهم الأسلحة التى يجب أن يتسلح بها دائما فى الحرب والسلم على السواء . فأنشأت شعبة الوعظ الدينى بركن التوجيه المعنوى برئاسة الاركان العامة للجيش فى مطلع عام ١٩٧٠ .

ولما كانت وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية هى الهيئة الرسمية المهيمنة على كل الأمور المتعلقة بالوعظ والامامة فى الدولة فقد طلب سعادة رئيس الاركان العامة للجيش **اللواء مبارك العبدالله الجابر الصباح** من الوزارة تكليف جماعة من الوعاظ بهذه المهمة فى معسكرات الجيش ووحداته . واستجابت الوزارة وتم نقل بعض الوعاظ الى الجيش ، ووزعوا على



سعادة رئيس الاركان العامة .

الويته المختلفة يلتقون كل يوم بكتيبة من الكتائب ، يلقون عليهم درسا إسلاميا فى عرض طيب وأسلوب سهل مبسط ، ليستطيع الجندى أن يتفهم هذه الدروس ، وأن يعيها تماما . وينطبع بها انطباعا كاملا .

وتقوم شعبة الوعظ باختيار المواضيع المناسبة شهريا فى خطة متناسقة يقرها ركن التوجيه المعنوى، ويلتزم بها الوعاظ فى وحداتهم حتى تكون الثقافة الاسلامية فى جميع الوحدات على نسق واحد .

ويقضى الواعظ بقية يومه فى تلقى الأسئلة والفتاوى المختلفة من الجنود والرد عليها .

ولما انفعل الجنود بهذا التوجيه الدينى ، واستجابوا له استجابة محمودة ، رأت رئاسة الاركان العامة تحويل هؤلاء الوعاظ الى رتب عسكرية حسب تخصصاتهم وشهاداتهم .

وقد حرصت مجلة(**الوعى الاسلامى**) أن تكون جولتها الاستطلاعية هذا العدد بين وحدات الجيش الكويتى ، لإبراز مهمة الوعظ الدينى والتربية الاسلامية داخل هذا الجهاز الهام من اجهزة الدولة .

فتوجهنا الى مقر (**ركن التوجيه المعنوى**) برئاسة الاركان العامة للجيش الكويتى وكان أول لقاء لنا مع

العقيد **وجيه المدنى** رئيس ركن التوجيه المعنوى الذى استقبلنا بوجه بشوش وابتسامة هادئة ليمهد لنا فرصة لقاء سعادة **اللواء مبارك العبد الله الجابر الصباح** رئيس الاركان العامة للجيش الكويتى .

وخلال تواجدنا فى مكتب العقيد وجيه المدنى تحدث إلينا عن المهمة الملقاة على عاتق ركن التوجيه المعنوى فقال :

الاسلام فى دستورنا دين الدولة ، والاسلام فى جيشنا عقيدة روحية ، ناخذ منه أسس التخطيط والاستعداد ونستلهم منه السير على خطى السابقين .

والاسلام يربى المجتمع على الاتحاد والنظام ، وأركانه الخمسة تحض على القوة ، وتحث على التدريب وتعلم الاستعداد ، وتبارك كل جهد عسكرى فى كل بلد إسلامى .

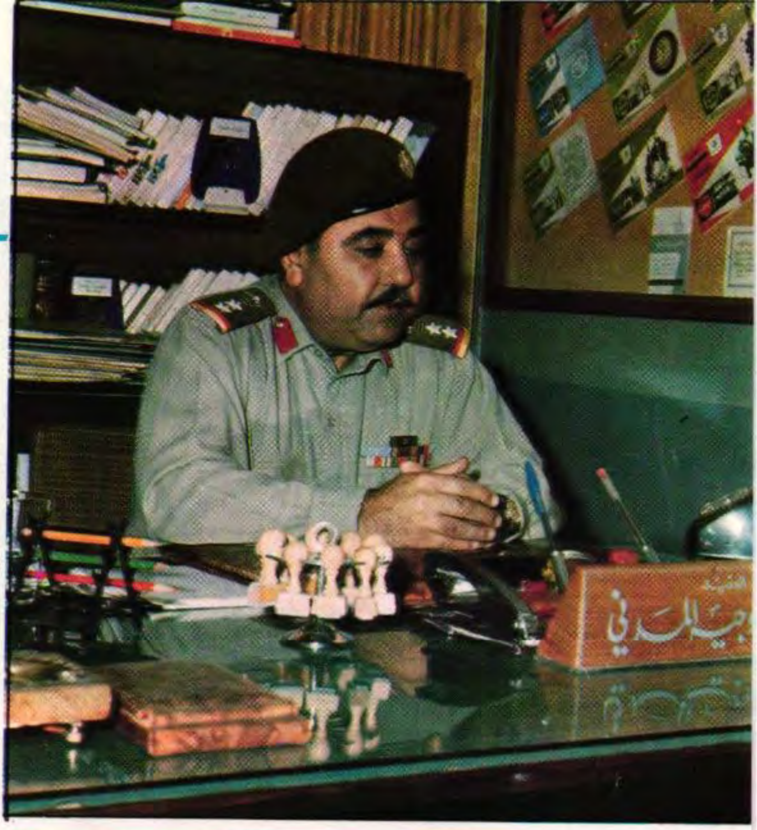
وعندما نزلت الرسالة على النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يطلب من الناس أن يدخلوا فى دين الله بالقوة والعنف وانما اجتذبهم بالقناعة والترغيب ، ومن هنا كانت أهمية الفكر فى نشر الدعوة .

ومن هذا المبدأ ارتات رئاسة الاركان العامة للجيش أن تنشىء ركن التوجيه المعنوى ، وحددت له واجبات معينة ، تنسجم مع الفكرة التى أنشىء من أجلها . وانطلاقا من هذا بدأت الخطوات لتحقيق هذه الأهداف . فمع الأعمال اليومية التى تقوم بها أى وحدة من وحدات الجيش ، أصبح الركن مسئولا عن الوعظ الدينى ، والمساجد الموجودة فى معسكرات الجيش .

لقد أدى الوعاظ دورهم على أحسن وجه فى ميادين القتال العربية فى الجبهتين المصرية والسورية عندما اشترك الجيش الكويتى فى هذا القتال ، وقام الواعظ بدوره فى المعركة يؤدى واجبه كما أمر الله سبحانه وتعالى محثا الجنود على القتال مذكرا اياهم بان الذى يقاتلهم ويتفانى فى التضحية فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة كما هو الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتاله مع أعدائه فى غزوة بدر وغيرها .

وقد قدم الجيش الكويتى إيمانا منه بشرف التضحية فى سبيل الله شهداء من الضباط وصف الضباط والجنود فى تلك الساحات العربية موقنين بان ما عند الله خير وابقى واثقين بان الشهيد لم يمت لأنه عند ربه مكرم ينعم بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين لقوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وبجانب الوعظ الدينى يصدر ركن



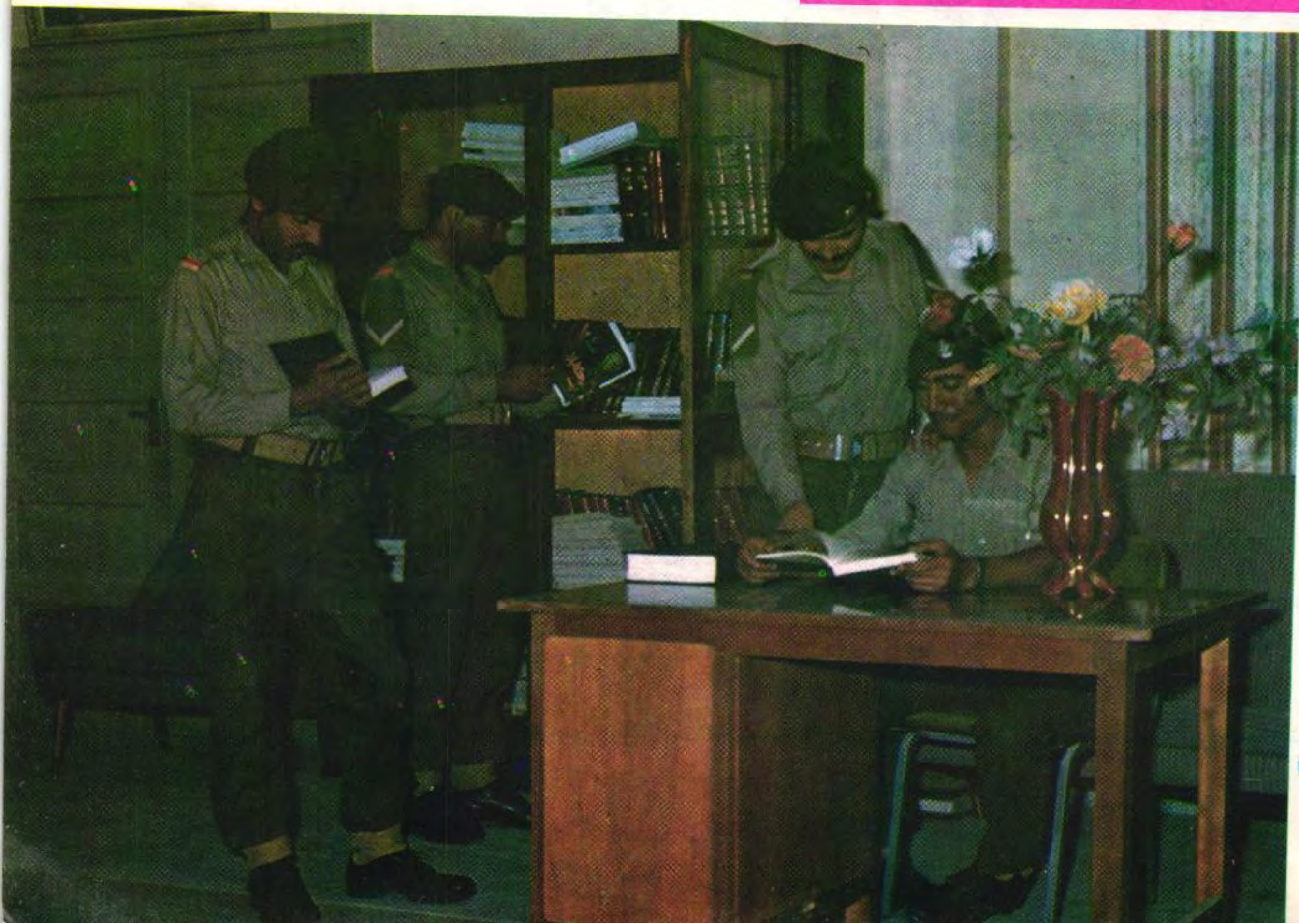
رئيس ركن التوجيه المعنوى .

التوجيه المعنوى نشرات دورية عبارة عن كتيبات توجيهية سهلة المادة والأسلوب ، يستفيد منها العسكريون من مختلف الرتب ومن كافة المستويات .. وتتناول هذه الكتيبات الثقافة الاسلامية والعسكرية ، والثقافة العامة ، والتربية البدنية والتربية الوطنية . وتاريخ المعارك الاسلامية.

كذلك أعد الركن مكتبة رئيسية زاخرة بشتى الكتب ، وتقوم هذه المكتبة بتزويد جميع مكتبات وحدات الجيش المختلفة .

وللركن برنامج خاص فى الاذاعة والتلفزيون الكويتى باشراف شعبة الاعلام ، كما أن له شعبا أخرى أهمها شعبة المراسم ، وشعبة الدراسات والبحوث والترجمة ، والشعبة الفنية وشعبة العلاقات العامة وشعبة المطبوعات والنشر . وله مشاريع فى

زودت وحدات الجيش بمكتبات فرعية بها العديد من المطبوعات لتثقيف افراد الجيش .



المستقبل عديدة .. وهـذا قليل من كثير من أعمال ركن التوجيه المعنوى التى لا يمكن حصرها .

وحان موعد لقائنا مع سعادة رئيس الاركان . وفى جلسة ممتعة معه تحدث معنا بهدوئه ورزانته :

ـ هل يتفضل سعادة اللواء ببيان مدى حاجة الجيش الى ركن التوجيه المعنوى ؟ وما الدافع الى انشاء شعبة الوعظ الدينى ؟

ـ ان اعتماد القوات المسلحة على تقوية وصلابة الروح المعنوية هو اضافة سلاح الى أسلحتها يعتبر اقوى من السلاح الموجود بيد الجندى .

ان المطلع على صفحات التاريخ الاسلامى المجيد يجد أثر ذلك واضحا فيما خاضه المسلمون من معارك ، حيث كانت الروح المعنوية أقوى سلاح يحملونه مع أسلحتهم ، فكانت الانتصارات الرائعة فى جانبهم .

ان عقيدتنا الاسلامية السمحاء ، هى منطلق للروح المعنوية وللبذل والعطاء فى العمل العسكرى ، وأنا شخصيا أعتبر كل جندى لا ايمان له جنديا فاشلا ، وأى جماعة تتوجه لعمل بدون إيمان جماعة فاشلة . واعتقد من خلال تجاربنا الكثيرة قديما وحديثا أنه اذا كان فى القوات المسلحة من يؤمن بالقضية التى يقاتل من أجلها فانه يعطينا مدلولا ويعطينا نتائج أكثر مما نتصور .



لم ينس الجنود وهم على خط النار تعاليمهم الاسلامية فقاموا بذبح الاضاحى احتفالا بعيد الاضحى المبارك

حان وقت الصلاة فاقامتها هذه الوحدة جماعة على جبهة القناة



ومرت علينا بدون فخر الكتيبة التى قاتلت قتالا مباشرا فى سيناء عام ٦٧ وتلقت ضربات يصعب على الانسان وصفها لولا إيمانهم بالله عز وجل ، وإيمانهم بالواجب الملقى على عاتقهم لدمرت الوحدة تدميرا كاملا .

فكان هؤلاء الجنود المؤمنون بالله

عز وجل . جميعهم . لهم امنية واحدة هى الاستشهاد فى سـبيل الله .. وبالفعل قدموا اعمالا جليلة . نفتخر بها ..

والتوجيه المعنوى بصفة عامة يركز على الناحية الدينية ، ويعطيها جل وقته ، ويرسخ الايمان فى عقلية الجندى عن طريق الدروس العسكرية المعطاة له . ليكون صلبا مندفعا بحماس من أجل القضية ، ومن أجل تحقيق العدل .

واخواننا فى ركن التوجيه المعنوى يبذلون أقصى ما فى جهدهم ونشاطهم للوعى المبسط للجنود ، وذلك بنشر الثقافة الاسلامية ، ومساعدة الجندى فى تفهم أمور دينه .

والدافع وراء انشاء شعبة الوعظ الدينى فى الجيش الكويتى هو اعداد الجندى ، وتكوينه تكوينا اسلاميا يقوم على العقيدة النقية الخالصة

سعادة الشيخ سعد العبد اللـه السالم الصباح وزير الداخلية والدفاع فى زيارة لرفع روح الجنود المعنوية على مرتفعات الجولان بالجبهة السورية



لوجه الله ، ثم فهم دينه فهما صحيحا لأن النصر معقود نواصيه للمسلمين ما داموا كذلك والله تعالى يقول : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .

وبالرغم من أن شعبة الوعظ الديني شعبة مستحدثة الا أنها أعطت مدلولات تشكر عليها .

— هل هناك تخطيط مستقبلي للتوسع في شعبة الوعظ الديني ؟

— نعم ان شاء الله . فقد بدأنا في تكوين باكورة الوعظ والامامة في الجيش الكويتي ، وستتوسع باذن الله في المستقبل حتى تصل الى مستوى الكتيبة بحيث يكون لكل كتيبة مستقلة واعظها وامامها ، يقاتل مع الكتيبة ، ويتحمل التدريب العسكري والحياة العسكرية بجانب ثقافته الدينية . فنحن بلد مسلم وجيشنا مسلم والحمد لله ، وكل ما به عز للاسلام . نسال الله تعالى أن يوفقنا الى نصرة دينه .

— مجلة (حماة الوطن) كانت مجلة قوية ناهضة ، يصدرها الجيش الكويتي ، فهل هناك فكرة لاحيائها مرة ثانية ، حيث انها كانت تغطي جوانب كثيرة كالجوانب الدينية والعسكرية ؟.

— لا شك أن مجلة (حماة الوطن) كانت مجلة تؤدي مهمتها على خير وجه ، ومشروع اعادة إصدارها يدرس الآن دراسة عملية لكي تخرج في ثوب جديد يتطور مع التطور الذي حدث عندنا ، وتاخيرها عن الصدور هو للاستعداد لها . لاننا لو زجينا

بعض من مطبوعات ونشرات ركن التوجيه المعنوي ويلاحظ الطابع الاسلامي الغالب عليها بفضل نشاط شعبة الوعظ الديني بالجيش .



انفسنا في أي مشروع دون الاستعداد له فسوف يتعثر مستقبلا . وليس المهم إنشاء أو اصدارا ، وانما المهم هو أستمرارية العمل .

ومن المؤكد أن مجلة (حماة الوطن) ستصدر عن قريب ، ويكون لها دورها في القوات المسلحة ، وفي الصحافة المحلية .

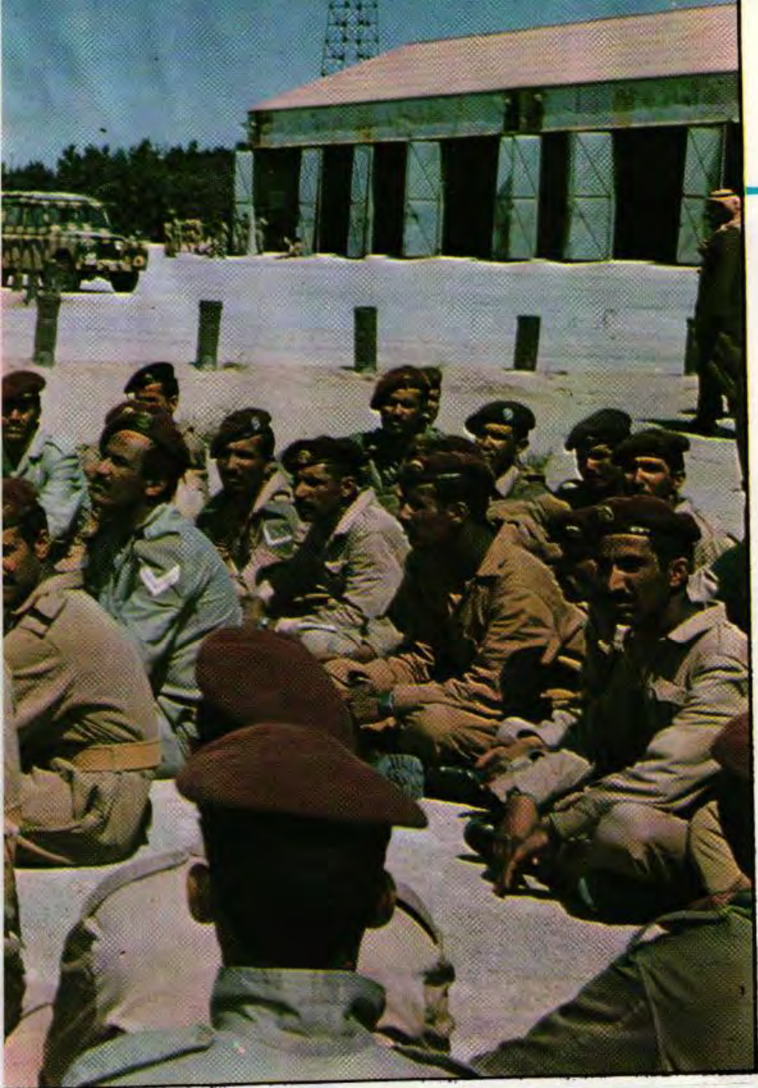
— إن صيحة (الله اكبر) تركت اثرا كبيرا في ساحة المعركة . فما رأيكم في أثرها وانطباعاتها على الجنود اثناء المعركة ؟



انتحى هؤلاء الوعاظ جانبا فـــى احدى المعسكرات لمراجعة وتنسيـــق المحاضرات الدينية ..

ـ لا شك أن هذه الصيحة وهـــذا النداء العظيم وهو (الله أكبر) قـــد انطبع به المسلمون الأوائل . ففى القتال الذى دار بين جيش خالد بن الوليـــد وجيش مسيلمة الكذاب ، وحينما اعتصم جيش مسيلمة بحديقة منيعـــة الجدار كانها الحصن قـــال البراء بن مالك : يا معشر المســـلمين القونى عليهم ، فابوا فالح وأقسم ، فاحتملوه حتى أشرف على جـــدران الحديقة وقاتل العدو وهو يصيح من كل قلبه (الله أكبر) وفتح الحصـــن للمسلمين ، ودارت معركة هـــائلة انتهت بمقتل مسيلمة وهزيمة جيشه. وكان الفضل لعظمة الله وقوته .

وبالمناسبة كنت قد حضرت تدريب قفز لقـــوات المغاوير (الصاعقـــة) وكانوا يقفزون على ارتفاع (١٠٠) قدم من طائرات تطير فوق البحر دون استخدام المظـــلات أو الحبال وكنت بنفسى أسمع الجندى قبيل قفزه يصيح (اللـــه أكبر) ثم يقذف نفســـه دون شعور .. وكان هذه الصيحة قـــد أعطته شرارة البدء بقوة وأمان .



ينتشر الوعاظ فى مختلف الوحدات العسكرية وهاتان الصورتان لسلاح الطيران واللواء ٣٥ وقد انصت افرادهما الى نصائح الواعظ ودروسه.



فاثر هذا النداء وتلك الصيحة لا ينكر لأن التاريخ أصدق شاهد على ما نقول .. ثم المعارك الأخيرة التى دارت بين العرب وعدوهم ، كان شعارهم يتمثل فى (الله أكبر) فكتب لهم الفوز والنصر ، وما النصر الا من عند الله .

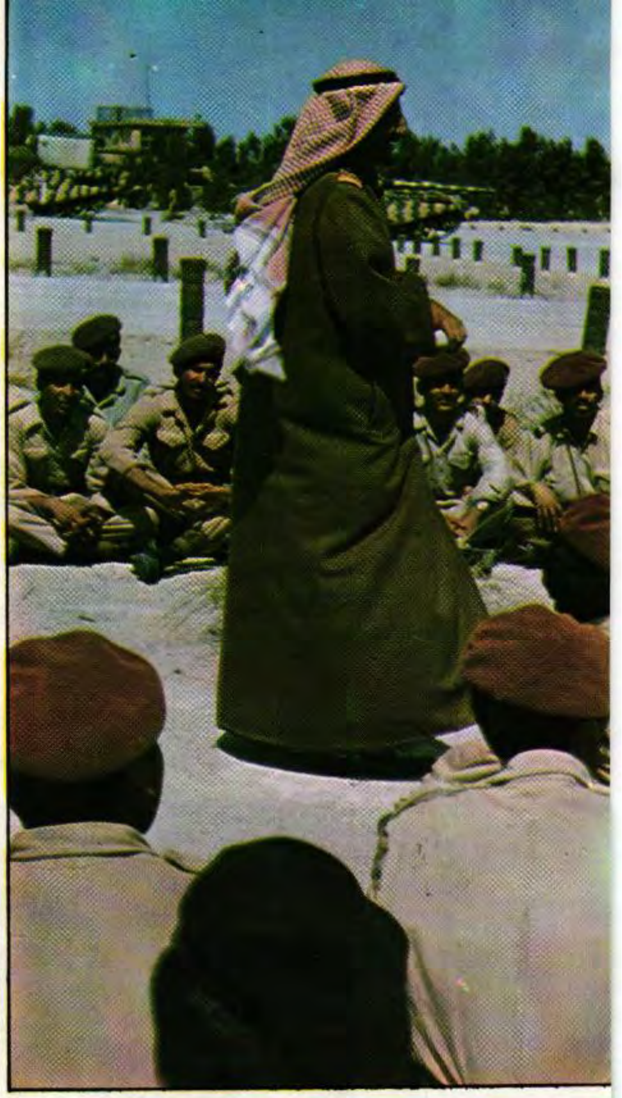
ـ طبيعة عمل الواعظ فى الجيش تحتم عليه أن يكون مدربا عسكريا فهل هذا متحقق ؟

ـ ان عمل الواعظ الدينى فى وحدات الجيش يقوم على القاء المحاضرات الدينية على جميع العسكريين . ونحن نعتبر واعظ الكتيبة وأمامها كضابط من ضباطها ، يجب أن تكون له اللياقة البدنية ، والتدريب المناسب بالنسبة لظروف عمله لأن باستطاعة واعظ الكتيبة حال فقدان بعض الرتب فيها أن يقود الكتيبة نفسها ، وواعظ الكتيبة وامامها تجده دائما فى الخطوط الامامية مع الجنود ، ويحظى باحترام أبوى وروحى من الجنود والرتب الأخرى ، هذا الاحترام صادر عن إيمان مما يعطينا دلالة أكيدة على تقبلهم نصائح الوعاظ .

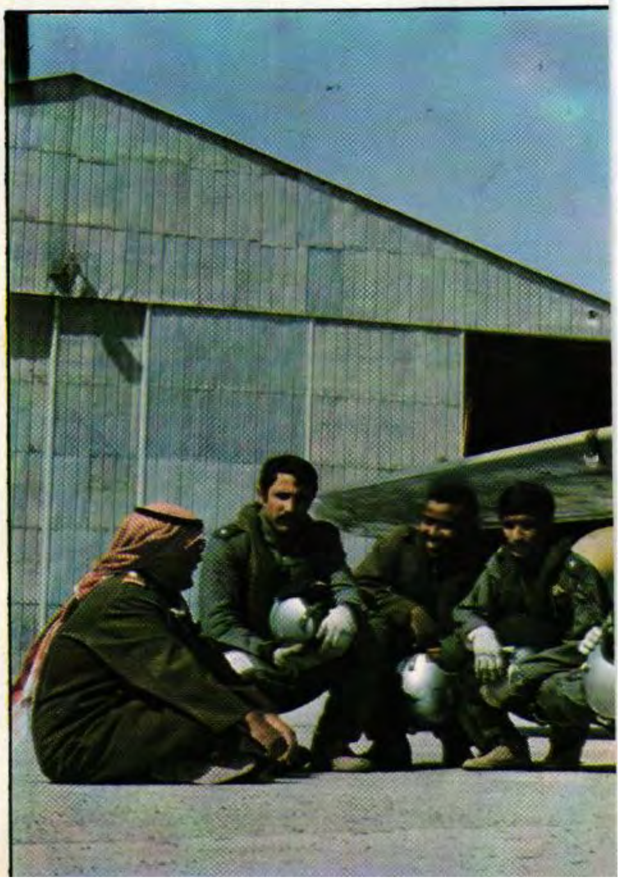
ـ مقياس القوة يختلف من عصر الى آخر ، وديننا يأمرنا بإعداد القوة فهل نأخذ بمقياس العصر بل ونسابق الزمن فى هذا الإعداد ؟

ـ تطور الآلة أو التطور التكنولوجى الحديث يجعلنا دائما كمخططين نتسابق نحن والزمن ، وهضم





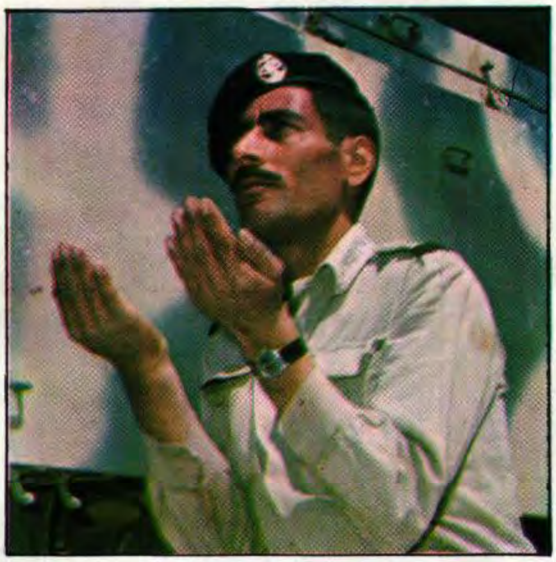
رئيس شعبة الوعظ الديني بركن التوجيه المعنوي يسلم نسخة من المصحف الشريف الى أحد الطيارين البواسل قبيل اقلاعه لتادية واجبه .



التجهيزات المتطورة يحتاج الى وقت ، وليس من المستطاع جلب تجهيزات عسكرية نعجز عن استعمالها ، فالتطور الحديث السريع يتطلب منا دائما جهدا وتعبا لاستمرارية الحاقنا به ومع موازنة التطور يجب الابقاء على العادات والتقاليد العربية الطيبة ، واعتمادنا الكلى بتنمية هذه التقاليد وهذه العادات العربية يرتكز اساسا على شعبة الوعظ الدينى بركن التوجيه المعنوى . لأنه كلما تطورت التكنولوجيا الحديثة أعطتنا الدلالة على الايمان بالله عز وجل ، وعلى آفاق جديدة من الجائز أن نغفل عنها ، ولكن باستخدام الاختراعات الجديدة والتطور العلمى والتكنولوجى الجديد يرسخ فينا الايمان بالله .

— تهتم كل أمة بتدريس سيرة ابطالها .. والأبطال العالميين ليكونوا قدوة لها ، فهل تقومون بتدريس سيرة أبطال الاسلام فى الجيش الكويتى ؟

— التاريخ العربى الاسلامى زاخر بالأمثلة والبطولات الخارقة ، وتوجد هناك أمثلة كثيرة من قوادنا الاسلاميين ، وتدرس حاليا فى الكلية العسكرية ، المعارك الاسلامية

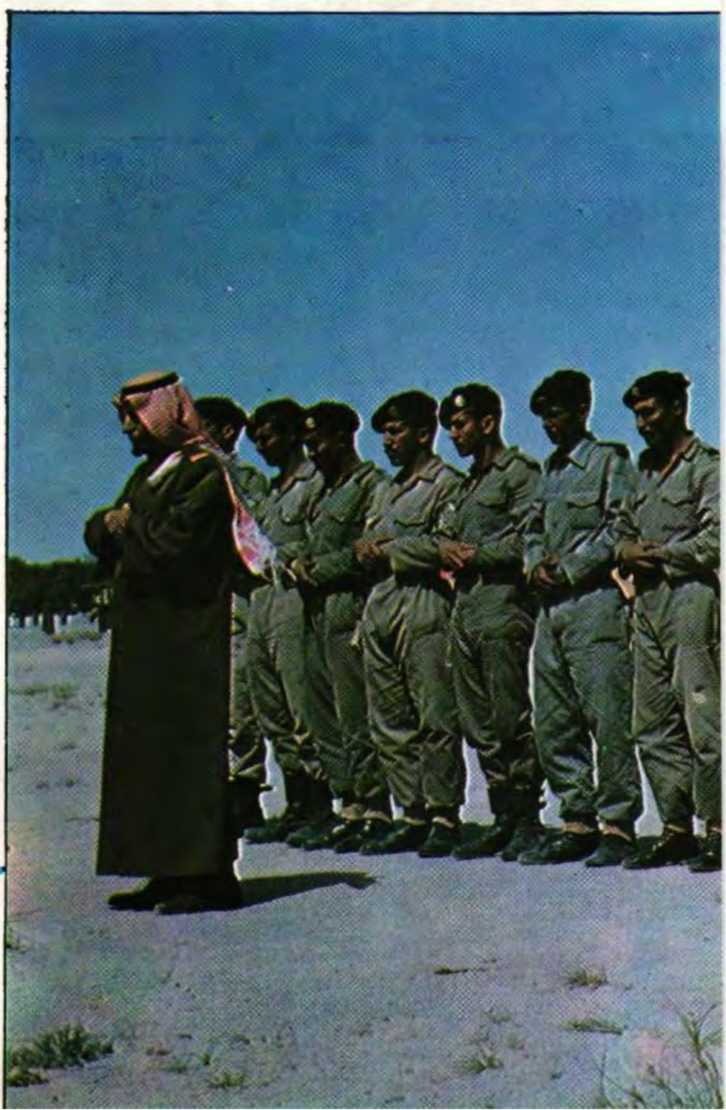




العســكرية ضمن منهـج الثقـافة الاسلامية ، بغية اعطــاء المدلولات والأمثلة الصالحة لكل زمان ومكان .

وبعد هــذه المدلولات الصــادقة والايضــاحات الوافية من ســعادة رئيس الاركان العامة كانت لنا جولات أخــرى مع أفراد اللواء (٣٥) من الجيش الكويتى وكذلك سلاح الطيران الكويتى لمسنا من خلالها مقدار الجهد المبذول من قبل شعبة الوعظ الدينى

قال تعالى : (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معــك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجــدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخــذوا حذرهم وأسلحتهم) .



بركن التوجيه المعنوى ، كما كانت لنا زيارة داخل الكلية العسكرية ولفت انتباهنــا تدريس مــادة (الثقافــة الاســلامية) لطلبة تلك الكليــة .. وبسؤالنا الملازم أول واعظ **محمــد سيد أحمد الحشاش** رئيس شــعبة الوعظ الدينى عن هذا المنهج الجديد أجاب بقوله :

« لما كانت الكلية العسكرية وحدة من وحدات الجيش الا أنها تختلف فى نوعيتها حيث أنطلبتها يشترط فيهم أن يكونوا حاصلين على الشهادة الثانوية العامة على الأقل وهذا بخلاف طلبــة الكلية من خريجى الجامعات ويطلق عليهــم فى الجيــش (الضــباط الاختصاصيون) . ولما كانت الكلية تضم بين جنباتها هذه النوعيات لذلك كان لا بد من أسلوب جديد لطلبــة الكلية بالنسبة للمعرفة والدراســة الاسلامية يختلف عن أسلوب الوعظ والارشاد لباقى الوحدات .

ولذا فإن الثقافــة الاســلامية تعرض بطريقــة علمية مشــوقة ومركــزة الى حــد ما حتى يتخــرج الطــالب الضــابط وقــد حصــل على قسط لا باس به من معرفة دينه وفقهه معرفة واعية .

واستقر الرأى على وضع دراسات منهجية لهذه الثقافة الاسلامية تشمل عدة موضوعات أهمها :

١ ــ نظام الجيش فى الاســلام (تكوينــه ، نظامــه الادارى والمالى ، الرواتب والعطاء ،

الفيء والغنائم) .

٢ ـ العلاقات الدولية فى الاسلام (اعلان الحرب ، وقف القتال ، المعاهدات والصلح ، أسرى الحرب) .

٣ ـ الغرائز البشرية وطريقة اشباعها فى نظر الإسلام .

٤ ـ فلسفة العقوبة فى الفقه الإسلامى .

٥ ـ استراتيجية القتال فى المعارك الاسلامية الكبرى كما يدرس أيضا ضمن هذا المنهج بعض الموضوعات الفقهية والتشريعات الإسلامية .

وهذا بعض من كل . عرضناه على سبيل المثال لنكون صورة واضحة عن مادة الثقافة الاسلامية المقررة على طلبة الكلية العسكرية ..

• • •

ومما تجدر الاشارة اليه أن التوعية الدينية داخل الجيش الكويتى ليست مقتصرة على الجهاز العامل داخل ركن التوجيه المعنوى .. بل وجه الركن الدعوة مؤخرا الى بعض العلماء والوعاظ لالقاء محاضرات دينية داخل الجيش الكويتى .. وكان لفضيلة الشيخ محمد الشعراوى محاضرات قيمة استمع اليها عدد ضخم من الجنود .. والرتب العسكرية العالية وبعض وجهاء البلاد والوزراء ... وكان لتلك المحاضرات تاثير قوى فى نفوس السامعين .. واذاعت اذاعة الكويت المحاضرات فى حينها حتى تعم فائدتها .. وقد عالجت المحاضرات موضوعات حية مرتبطة بحياتنا اليومية .. وتدعو الى إعداد العدة وأخذ الحذر من العدو الغادر ، مع التمسك بعقيدتنا الاسلامية وتقاليدنا العريقة كما أعادت الى الاذهان صورا مشرقة لابطال الاسلام فى كل ميادين الحياة .. كانوا صادقين مع الله ومع أنفسهم .. فكتب الله لهم النصر على الأعداء . « **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون**



مسجد بسيط اقامته الوحدات الكويتية على جبهة قناة السويس لتادية الشعائر الدينية .



الشيخ الشعراوى فى محاضرتــه مع ضباط الجيش وجنوده .

ويقتلون وعدا عليه حقا فى التــوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

ودينا الاسلامى يجنح الى السلم اذا ما عادت الأمور الى نصابهــا وسيطر الحق والعدل على المجتمــع .. ويدعو الى الجهاد فى سبيل الله اذا ما اختل ميزان العدل .. وضاعت الحقوق .

ومن هنا نرى أن المسئولين فى ركن التوجيه المعنوى بالجيش لم يألــوا جهدا فى سبيل اعداد جنودنا بأقوى الاسلحة وأجداها نفعا .. ســـلاح العقيدة .. الذى يعطى السلاح المادى بعدا آخر . وطاقة هائلة .. تزلزل كيان الأعداء .

* * * *

وبعد أيها القارىء الكريم .. فان الوعــاظ الآن ينطلقون فى جميــع الوحدات ، وفى الحرس الأميرى ، وسلاح الطيران .. يغرسون منهــج القرآن فى نفوس أبناء الجيــش ، ويعلمونهم أن الاســـلام ديــن ودنيا ، عبــادة وعمل ، مصــحف وسيف .

ومن هنا نأتى على أهمية تنميــة الوعى الدينى فى الجيش . ونحن فى فترة أحوج ما نكون فيها الى الجندى المثقف الواعى بدينــه ، المخـلص لوطنه ، وأهدافه ، وتاريخه ...

مهمة الإسلام

للشيخ محمد متولى شعراوى

السيف والحرف . واللســـــان والسنان . والكتاب والكتائب هما عدة الحق والخير والجمال ولـــكن ايهما ينشىء الآخر . هل السيف هو الذى ينشىء الحرف ليكون مبدأ . أو اللسان هو الذى ينشىء الكلام ليكون نظاما . أو الكتائب هى التى تملى القواعد لتكون حقا وخيرا .. لا . وانما الحرف هو الذى ينشىء السيف واللسان هو الذى ينشىء الســـنان والكتائب هى التى تلدها الكتب ، اذا استعرضنا التاريخ كله وجدنا ان اى مبدأ يفرضه الســـيف على الحرف يكون مبدأ طغيان وجبروت وقهـــر وطغيان . ولكن المبدأ الذى تؤتيـــه الكلمات حقا وتدلل عليه برهانا . هى التى تنشىء المبـــادىء وتنشىء السيف وتنشىء السنان . لماذا . لأن الكلمة حين تنطق بالمبدأ الحق تقنع الفطرة السليمة وتقنع العقل المجرد عن الهوى وحين يقتنع الانســـــان بالفكر استدلالا وعقلا وبرهانا يتحمس بطبعه وبعواطفه للدفاع عنها ويضحى فى سبيلها بالنفس وبالمال ، ولقـــد شاهدنا كثيرا من المبادىء فرضـــتها السـيوف فلما اغمدت الســـيوف بالضعف ماتت الكلمة ومات المبدأ ، ولكن شاهدنا الـــكلمة حين يتحمس لها السيف وان ضعف السيف فستظل الكلمة فى عواطف الناس . شعورا ووجدانا واذا نظرنا الى التـــاريخ واستقرأناه وجدنا حضارات متعددة انسحبت على الدنيا فى كل التاريخ فللمصريين القدماء حضارة انساحت واتسعت وشـــغلت حيزا كبيرا من الكون ، فلما ضعفت القوة التـــى تحميها أرزت هذه الحضارة من كل جهاتها حتى استقرت فى وادى النيل وكذلك حضارة الفرس لما ضـــعفت القوى التى تحمى هذه الحضـــــارة أرزت الى فارس والى ايران وكذلك حضارة الرومان انتظمت رقعـــة واسعة من الدنيا فلما ضعفت أرزت هذه الحضـــــارة الى روما وكذلك اليونان .

غزا الاسكندر شرقا وغربا وأخذ ما أخذ من دنيا الناس فلما ضعفت دولته أرزت واستقرت فى اثينا ولم تترك اى حضارة من هذه الحضارات

١

وَدعَاتُه وَحُمَاتُه

التوسعية السيفية اى اثر فى البلاد التى انساحت فيها ولكنا نفاجأ فى التاريخ بحضارة من لون آخر حضارة انشأها الدليل وأسسها البرهان فانساحت فى الدنيا فى أقل من نصف قرن تلك هى حضارة الاسلام وماذا كان . انساح الاسلام شرقا وغربا وقاد أمة بدوية أمية لا حظ لها من علم ولا رصيد لها من ثقافة . قاد بهذه الامة البدوية حضارة خيرة فهى تجمع بين الدين المتحضر أو الحضارة المتدينة . انساحت فى الدنيا وسارعت اكبر قوتين فى العالم آنذاك قوة الفرس فى الغرب وأمة الرومان فى الشرق فى نفس واحد وفى آن واحد فما استعصى عليها حضارة فارس ولا تأبت عليها حضارة الرومان . ومن الجائز أن نقول أن القوة كانت تحمى هذه الحضارة الكاسحة ولكنا نشهد فى التاريخ ايضا أن أمة الاسلام قد ضعفت واضمحلت وتفككت الى دويلات وتسلط عليها اقوياء مستعمرون فهل انسحبت الحضارة فى فارس او الحضارة فى تركيا أو فى اى مكان باسلاميتها الدينية الى حيث جاءت من مكة أو المدينة ؟ لا . ضعفت دولة الاسلام وظل ما أعطى الاسلام للدنيا دينا يعتقد الى اليوم ويعبد الله الى اليوم فأى حضارة استطاعت أن تترك بعد ما ضعفت مثلما ترك الاسلام بعد ما ضعفت دولته . والفارق بسيط جدا وهو أن هذه الحضارات انشأها السيف ولكن حضارةالاسلام انشأها الحق . هذه حضارة انشأها الاسلام بالحجة والبرهان والمنطق . وتلك حضارة انشأها السنان بالقوة والجبروت اذا فيجب ان نعلم أن الحق حين يوجد أولا لا بد أن يوجد فى قوم ليس لهم من السلطان ما يجعل الناس يتهمون بأن الحق فرض بالسلطان . ولذلك كان الرسل حين يدعون من الله لدعوة الناس كان الذين يتبعونهم هم الطائفة البسيطة التى لا جاه لها ولا سلطان حتى لا يقال فى التاريخ إن السيادة هى التى فرضت المبادىء وظل الاسلام فى

مكة ضعيفا مستضعفا ويضطهد أهله ويفتن أتباعه ومع ذلك لم يشرع الله فى ذلك الظرف جهادا لأن الله يريد أن يربى أوائل الاسلام على الصبر على المكاره وعلى الصبر على الايذاء وحتى لا توجد حجة بأن سيادة قريش هى التى فرضت الدين فى الجزيرة . كان من الممكن جدا ان ينصر الله دينه فى مكة ولكن مكة كانت لها السيادة قديما على هذه الجزيرة وكانت هذه السيادة تفرض لها المهابة فى تجارتها جنوبا أو شمالا . فلا يمكن لأى قبيلة ان تتعرض لشىء فيها لأن هؤلاء يخافون أن يتعرضوا لقوافل قريش لأنهم سيأتون الى مكة حاجين ويمكنونهم من أنفسهم ولذلك شاء الله أن لا يكون منطلق الاسلام من مكة حتى لا يقال فيما بعد إن قوما من مكة هم قريش تعصبوا لرجل منهم ليسودوا به الدنيا ولكن الاسلام انطلق من المدينة حيث لا سيادة وحيث لا جبروت حتى يعلم الناس وتعلم الدنيا جميعا أن الايمان بمحمد هو الذى فرض العصبية لمحمد ولم تفرض العصبية لمحمد الايمان بمحمد واذا كانت الكلمة بعد ذلك قد التقت بالجيش فليس عجيبا . لأن الكتائب هى الدرع الذى تحتمى به العقيدة وتصان به الكلمة .

مهمة الاسلام ودعاته وحماته

واذا أردنا أن نعرف مهمة الاسلام أولا .. ومهمة دعاته ثانيا . ومهمة حماته ثالثا وجب علينا أن نستعرض أمر الرسالات من الله للأرض . الحق سبحانه وتعالى خلق الانسان ليجعله خليفة وسخر له ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه . وأمده بما ادخر فى الارض من اقوات لتكون قوام مادته . وانزل عليه الوحى من السماء ليوجد له قوام روحه . فبمادة الارض وبمادة السماء يكتمل عنصر الانسان . واذا نظرنا الى الانسان فقط آخذا خير الله فى الارض مبتعدا عن منهج الله من السماء وجدنا الحق سبحانه يصف ذلك الانسان على اطلاقه بأنه فى خسر وما الذى ينجيه من ذلك انه الايمان بتوابع الايمان . من العمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر . فان تجرد الانسان عن مبدأ الايمان وأخذ الانسانية بمقوماتها المادية فحسب فهو فى خسر بمنطق خالقه وكذلك اذا استعرضنا صفات الانسان التى جعلها الله له مجردا عن المادة . الانسان بطبيعته الانسانية البحتة غير موجه بمنهج السماء يقول الله فيه:((**خلق هلوعا. اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا**)) ذلك هو الانسان بمحض الانسانية ، ولكن الله استثنى من ذلك المصلين المؤمنين الذين خضعوا لمنهج الله ولذلك يقول الحق ((**كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى**)) أى أن الانسان بمجرد انسانيته بعيد عن منهج الله . فما الذى يقوم ذلك الانسان ويحمى غرائزه من أن تنفلت الى مضادات الخير والحق . فما الذى يحميه . انه منهج الله . اذا فالانسان ليكون **انسانا يجب عليه أن يأخذ** خير الارض وخير السماء معا . حين يأخذ خير الارض وخير السماء معا يكون انسانا مؤمنا سوى التكوين فيه كل الخير ويبعد عن الخسر ويبتعد أن يكون هلوعا ولا يكون جزوعا اذا استغنى ..

والحق حين يشرع منهجه يعـرف من خلق . فهو يشرع لخلقه الـذى خلق تشريعا يغذى كل ملكات نفسـه .. يغذى عقله ويغـذى وجدانه ويغذى عاطفته ويغذى كل المشاعر والاحاسيس فيه . أما الانسان اذا ما شرع للانسان فانه يجهل ملكات هذه النفس وما دام يجهل ملـكات هذه النفس فانه سيقنن ان استطاع أن يقنن للملكة التى يعرفها وتظـل الملكات الاخرى جوعى بدون غـذاء وبدون تقـويم وبذلك تتمزق النفس الانسانية ويحدث القلق واذا حدث التمزق والقلق فى النفس الانسانية صعبت على الانسانية الحياة . لقد القيت مرة معادلة . هذه المعـادلة معادلة احصائية . نظـرنا فى الاحصـاء . فوجدنا أرقى الـدول اقتصادا ومستوى هى السويد معنى ذلك أن البطون مطمئنة على قوتها والاجساد مطمئنة على كسـوتها . وان كل مظاهر الانسـان المادية مستوفاه ، مهيأة ولكنا فوجئنا وروعنا باحصاء آخر . وهى أن السويد أكثر الامم انتحار شباب وانهيار أعصاب وشذوذا وجنونا ، فماذا يكون لو أن المسألة اقتصادية بحتة . لا شك أن الانسان لا ينتحر ليفر من الحيـاة الا اذا واجه شيئا لا يسـتطيع أن يتحمل معه الحياة . فما هذا الشئ الذى واجهوه واقتصادياتهم متوفرة لا شك أن هناك ملكة جوعى فـى نفوسهم لم يعرفوا ما هى ولم يعرفوا ماهو غذاؤها واذا وجدت ملكةشبعى وملكة جوعى تمزق الانسان ، واذا تمزق الانسان يتسرب اليه هم الدنيا واذا تسرب الى الانسان هم الدنيا لم تستطع معرفة أن تقنع ولم يستطع عقل ان يهدىء لأن الهم شىء مركوز فى النفس لا يمكن تشخيصه عضويا ولا يمكن أن تتبينه أدبيا ولا روحانيا لأنك لا تعرف مصـدر القلق فـى الملكة الجائعة فى النفس ، هذا الهم هو شر ما يصيب الانسان فى الدنيا اذا ما استولى على انسان أعاذنا الله منه لا يمكن أن تجدى معه حيلة ولم تجد معه قوة ولا ينفع فيه مال ولا ينفع فيه علاج لانه عدو خبىء لا يعرف مكمنه ولا نعرف دواعيه بخلاف الخوف فانك تعرف مصدر الخـوف وتتحين الفرصة لتنجى نفسك منـه ولكن الغم أمر لا نعرف له سببـا ولا نعرف له دواعى ولا يعرف له دواء ذلك الهم هو الذى قال فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فماذا قال ..

كان على بن أبى طالب معروفا عند الناس بقوة الفتيا ورجاحة العقـل وسداد الجواب ، فقال بعض الناس لماذا لا نضع الغازا نسأل فيها عليا ونعرف أيستطيع أن يجيب عليها بعد أن نجتمع نحن عليها ، فاجتمعـوا وقالوا : ان لله خلقا كثيرا وأجناسا متنوعة من الخلق وهذا الخلق متفاوت فى القوة ، فاذا استعرضنا الخلق فأى شىء من جنود الله أقوى ، فقال رجل : الجبال الرواسى لأنها تظـل شامخة صامدة يحيا الناس ويموتون وهى صامدة . فقال رجل : يا أخى فاتك الحديد فانه يقطع الجبال فهو أقوى منها .. فبينما هم يتشاورون اذ مر عليهم على بن أبى طالب رضى اللهعنه فقالوا : يا أبا الحسن ما أشد جنود الله .. ؟

فبسط رضى الله عنه يديه وقال : أشد جنود الله عشرة ، كأنه نظر فى الكون واستقرأ الكون ورتب هـذه

الجنود قوى وأقوى ، وهكذا كأنه يجيب من كتاب محضر فقال : اشد جنود الله عشرة : الجبال الرواسى ، وهكذا قالوا ، والحديد يقطع الجبال وهكذا قالوا ، ولكنه قال : والنار تذيب الحديد ، فهى اقوى والماء يطفىء النار فهو أقوى والسحاب يحمل الماء فهو أقوى والريح يقطع السحاب فهو أقوى وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب أو الشىء ويمضى لحاجته فهو أقوى والسكر يغلب ابن آدم فهو أقوى والنوم يغلب السكر فهو أقوى والهم يغلب النوم فهو اقوى والسكر يغلب ابن آدم فهو اقوى ، فأشد جنود الله الهم ..

اذا فالهم أمر معنوى وبقية الجنود محسة،فالامر المعنوى افتك من الامر الحسى .

اذا فيجب أن تقوى معنويات النفس قبل أن تقوى محساتها . فالمعنويات هى الينبوع الذى تتحرك عنه القوة وهى المصدر الذى تنقل له القوة وما دام الينبوع قويا فتوجه القوة يكون سليما وقويا ووحى السماء يحمى هذه المعنويات يحميها حتى لا يصيبها خور ويحميها لانها حين يربط الانسان بربه يجعل له فى ذاته أمنا بوجود رصيد أقوى منه . فاذا عزت عليه أسباب الدنيا لم ييأس ولم يفشل . لماذا . لانه يؤمن بأنه وراء الاسباب وهو يعطى من غير حساب واذا أصيب بأى مصيبة يعلم أن الله أجرى عليه هذه المصيبة ولا بد أن يكون ذلك الخير فلا تزعزعه المصيبة ولا يضعفه الخطب ولكن تقويه لانها تجعله مؤمنا بأن ذلك لا شك هو خير ما دام الله قد اجراه على خلقه وفى ذلك يشرح الحق سبحانه وتعالى هذه الامور حتى يظل المؤمن واثقا بربه فيقول فى الحديث القدسى : وعزتى وجلالى لا أخرج عبدى من الدنيا وقد أردت به الخير حتى أوفيه ما عمله من السيئات من مرض فى جسمه وخسارة فى ماله وفقد فى ولده فاذا بقيت عليه سيئة ثقلت عليه سكرات الموت حتى يأتينى كيوم ولدته أمه وعزتى وجلالى لا أخرج عبدى من الدنيا وقد أردت به الشر حتى أوفيه ما عمله من الحسنات .. من صحة فى جسمه وكسب فى ماله وطول فى أجله فان بقيت له عندى حسنة خففت عليه سكرات الموت حتى يأتينى وليس له حسنة .

اذا فذلك الرصيد الايمانى حينما يكون فى قلب الانسان يواجه أحداث الحياة بأن له ربا ان أجرى له الخير فبأجره وان أجرى له الشر فبقدره ولكل عنده ثوابه وجزاؤه .

آية من كتاب الله

للأستاذ محمد سرور زين العابدين

ارايت انسانا يعيش بدون هــدف لا يدرى لماذا جاء الى هذه الدنيا ولا اين يذهب بعد الموت ؟! .

ذلك مثله كمثل الذى يحمل اسفارا !! يأكل كما يأكل الا انه ينطق لكنك لا تفهم من كلامه شيئا ، وليس من فرق بينه وبين صاحبه سوى ان الله — لحكمة يعلمها — جعله يــدب على قائمتين بدلا من أربع .

وقريب من هذا الذى يكون هدفه غرضا من اغراض الدنيا ، أرضا كان ام وطنا ووجاهة أو مالا .

اما المسلم الذى خلقه الله فــى احسن تقويم ، واوكل اليه عمــارة الأرض ، وحمل أمانة اشفقت مــن حملها السموات والارض ..

فقد جعل الله له هدفا واضحا ، وغرضا ثابتا من اجله خلق ، وعليه يموت ، وقد دلت عليه الآية الكريمة :

« وما خلقت الجــن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

الذاريات ٥٦ — ٥٨

ولعبادة الله وحده من غير اشراك ولا طغيان ارسل الله الرسل ونزل اليهم الكتب .

« وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انــه لا اله الا انــا فاعبدون » .

الانبياء : ٢٥

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » .

النحــل : ٣٦

فما هى هذه « العبادة » التى من اجلها ارسل الله انبياءه الى اقوامهم ، وكانت سببا فى تحول الجماعــة الواحدة الى جماعتين :

جماعة تعبد الله ، وأخرى تعبــد غيره او تشرك بعبادته سبحـــانه وتعالى .

وكان النبى يعيش عمره وهو يعلم

من آمن بدعوته حقيقة العبودية ، فليست هي شيئا يستوعبه الناس ببيان أو لقاء أو آية من آيات الله .

مفهوم العبادة :

قال الشوكاني في فتح القدير : العبادة : لغة هي الذل والخضوع والانقياد . وكل مخلوق من الانس والجن متذلل لمشيئته ، منقاد لما قدره عليه ، خلقهم على ما أراد ، ورزقهم كما قضى ، لا يملك احد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : العبادة طاعة الله بامتثال ما أمر به على السنة الرسل .

فهي اذن اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة .

وفي العبادة طرفان عبد ومعبود ، فجميع الخلق هم عباد ، والله معبودهم وكل عمل يأتيه العبد — مما شرعه الله — في طاعة ربه يعتبر عبادة .

ويقول صاحب مدارج السالكين : العبادة هي الصلة الدائمة بالله ، ومراقبته في السر والعلن .. ويجتمع فيها الخوف الشديد والذل الشديد لله مع المحبة الشديدة ، وهذا لا يكون لغير الله جل وعلا .

اذن فكل عمل يعمله المسلم وهو يريد به وجه الله تعالى هو « عبادة » .. فصلاة المسلم وزكاته وصيامه وحجه وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر وعمله وزواجه وطعامه وشرابه كله عبادة .. ولنصغ الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح لنا بعضا من معاني العبادة :

روى مسلم في صحيحه أن ناسا قالوا يا رسول الله : ذهب اهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال :

« أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به : ان بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع احدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر » .

والدثور : أي الاموال .

وهذا من يسر الاسلام وشموله لكافة شؤون الحياة ، فلا يجوز عند أصحاب الديانات الاخرى عبادة الله الا في الكنائس والبيع بينما المسلم يعبد الله في كل حركة من حركاته ، ويثاب على عمله اذا ابتغى من ورائه ارضاء الله سبحانه وتعالى .. أما اذا فسدت نيته ، وخالط الرياء والنفاق والشرك عمله فيصبح جهاده وانفاقه وعلمه وبالا عليه ، ويكون أول من يسعر الله به وبأمثاله النار .

للعبادة لا للرزق خلقنا الله :

قبل هذه الآية بقليل قال تعالى :
« ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله إلها آخر اني لكم منه نذير مبين » .
الذاريات ٥٠ ، ٥١

فالله الذى خلق الانسان يعـرف نوازعه وما فطر عليه من حب للمال والعمل على الاستزادة منه ، والله يخاطب الانسان أن لا يتخذ مع الله الها آخر يعبده ، وهذا الالـه قـد يكون شخصا او ارضا او مالا كما يظهر واضحا فى السياق .. وحتى لا يأسر الانسان جمع المال والتثاقل الى الارض فعليه أن يفر الى الله ... والفرار لا يكون الا من عدو لدود كاد أن يتغلب علينا ، نفر منه الى قـوة تنقذنا وتخلصنا من ظلم هذا العـدو الغاشم ، وتكون معاذا لنا فى كل مرة يحاول فيها شيطان الشرك أن يتسلل الينا .

وفى قوله تعالى : **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون »** .. اى ما خلقت الجن والانس إلا لآمرهـم بالعبادة ، فما أريد منهم من رزق كما تريده السادة من عبيدهم ، ولا أريد منهم أن يرزقوا احدا من خلقى ولا أن يرزقوا أنفسهم ، وأما اسناد الاطعام لله ففى الحديث يقول الله :

« عبدى استطعمتك فلم تطعمنى »

اى لم تطعم عبادى . وهناك فرق بين السعى من أجل الرزق وعبادة المال .. السعى على النفس والعيـال واجب وعمل طيب ، ولا يجـوز أن يعيش المسلم عالة على غيـره من الناس ، أما عبادة المادة : كأن يعتقد الانسان أنها كل شىء فى حياته ، ويواصل الليل مع النهار فى البحث عنها ، ويضعف فى نفسه اعتقاده بأن الله قد تكفل بالارزاق .. ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم فى الحديث :

« تعس عبد الدينار والدرهـم والقطيفة والخميصة ان أعطى رضى وان لم يعط لم يرض » .

رواه البخارى

ورسول الله صلى الله عليـه وسلم بين معنى عبادة المـال بان الانسان يرضى إن حصـل عليـه ، ويغضب ان حرمه .. فالمال وحـده صار عنده سببا للـرضى والغضب وبعد ذلك اين تبقى عبادة الله ؟ ! .

اهمية الهدف فى حياة الأمم :

حصر الله سبحانه وتعالى سبب خلقنا بعبادته ، وحذرنا من أن نشرك فى عبادته احدا سواه ، ونبهنا مـن خطورة الانصراف للدنيا .

ورأينا أن عبادة الله تكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، بطاعـة الله كأننا نراه فان لم نكن نراه فهـو يرانا .

فماذا نقول عن انسان عطل فى حياته هذه المهمة ؟؟

لو أن انسانا تعاقد مع دولة ما على وظيفة يؤديها ، ثم ذهب الى مكـان عمله ، واعتذر عن اى جهد يقوم به مطلقا .. فى مثل هذا الحال تعتـذر الدولة عن دفع اى مرتب له ، وقـد تفرض عليه عقوبات ماديـة أو جسدية .

كذلك لو ان انسانا تعاقد مع دولة ليعمل فيها قاضيا وحددت مهمته بأن يستمع للأطراف المتخاصمة ويحـكم بينها ، الا انه قام بالشق الاول وهـو الاستماع للأطراف المتخاصمة ورفض ان يقوم بالشق الثانى الا وهو اصدار

الحكم .

فهل نقول إن هذا الانسان نفذ العقد الذى التزم به ؟! وهل يستحق المرتب المقرر له ؟ ! وهل تبقيه الدولة فى هذا العمل وقد تعطلت مصالحها ؟

واذا كان هذا واضحا بين الناس فكيف بين الناس وخالقهم ، ونستطيع القول : ان الذى عطل الوظيفة التى خلق من اجلها هو انسان تائه يعيش بدون هدف ولا غاية ، انسان ضائع ليس لحياته قيمة ولا يتذوق فيها طعم السعادة ، ولا لذة النصر بعد المشقة والصبر ، ومن الناحية الشرعية فالحكم عليه بمقدار الجانب الذى عطله ، فان كان لا يقر بعبوديته لله فهو كافر مع فرعون وابى جهل وأمية ابن خلف يحمل لواءهم ابليس الى جهنم .

وان انكر آية من كتاب الله او عطل فرضا من فروض الاسلام وانكره فهو كذلك كافر وان قام بالفروض الاخرى ، ومثال ذلك من يقول بتعطيل الجهاد فى أيامنا الحاضرة مع عدم الاعداد له .. وهكذا يكون الحكم بقدر جسامة الذنب .

وان شعور المسلم بصدق عبوديته لله تعالى يبعث فى نفسه معالى الامور ، ويزهده فى الدنيا ، ويحبب اليه بذل المال والجهاد فى سبيل الله ... وتراه فى كل ضائقة تلم به يتجه الى الله وحده فهو الذى يجعل بعد العسر يسرا ، وما بين طرفة عين والتفاتتها ينقل عبده من الذل الى القوة ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الهوان الى العزة والتمكين .

ان ايمان المسلم بعبوديته لله يجعله ينظر للطغاة نظرة استعلاء ورفعة ، والرأس الذى يسجد لله خضوعا واستسلاما لا ينحنى أمام أعتى الجبابرة لانه لا يخشى الا الله ، ولا يطمع الا بجنة الخلد ، ولا يخاف الا نار جهنم .

ولا تستقيم عبادتنا لله الا أن نرد أمورنا اليه فى الصغيرة والكبيرة ، فلله نصلى ، ولله نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، والى شريعة الله نحتكم ، فليس فى ديننا الله وقيصر بل الله والله وحده .

ووضوح هذا الهدف مهم جدا فى حياتنا ، وليس شيئا اضر على المسلمين من تعدد الاهداف والغايات .

ففى عام ١٨٩٧ اجتمع اليهود فى سويسرا وقرروا اقامة وطن لهم فى ارضنا المقدسة ــ فلسطين ــ ، وأصبح هذا الهدف الامل المنشود الذى يتطلع اليه الرجل والمرأة والطفل .. ووضعوا أموالهم وكل ما يملكون غاية من أجل هذا الهدف ، وبعد نصف قرن كان لهم ما أرادوا ، على أنهم بغاة ظلمة معتدون ، ومع هذا : وضوح الهدف فى انفسهم ساعدهم على تحقيقه .

فهلا يجتمع المسلمون على هدف واحد الا وهو توحيد الامة الاسلامية ، والاحتكام الى شريعة الله ، وأن تكون وسيلتهم من جنس هذا الهدف ويتأسوا بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبهذا يحققون جوهر العبودية لله .

بسم الله الرحمن الرحيم

بنك دبي الإسلامي

شركة مساهمة عامة محدودة

المركز المؤقت في دبي ص . ب : ٥٥٣ دبي   تلفون ٢١٦٨٢

رأس المال المصرح به خمسون مليون درهم

فتح باب الاكتتاب

قرر مجلس الادارة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٢مارس ١٩٧٥ فتح باب الاكتتاب في اسهم البنك اعتبارا من يوم الاثنين ٣ ربيع ثان ١٣٩٥ هـ الموافق ١٤ ابريل١٩٧٥ ، ــ ان شاء الله تعالى ، ولمدة شهر واحد ، ويجوز اقفال باب الاكتتاب قبل ذلك .

- يراعى عند التخصيص النسبي اسبقية طلب الاكتتاب حسب الارقام المسلسلة الثابتة على الايصالات الصادرة من بنك عمان والبنك البريطاني.
- الاسهم المطروحة للاكتتاب العام تسعون الف سهم (٩٠٠٠٠) .
- القيمة الاسمية للسهم الواحد خمسمائة درهم ،وجميع الاسهم متساوية الحقوق .
- قسط الاكتتاب مائة درهم يضاف اليها رسم الاصدار ومقداره عشرة دراهم عن السهم .
- الاقساط الاخرى البالغة اربعمائة درهم تطلب مستقبلا على اربع دفعات كل منها مائة درهم ويعلن عن ذلك في الصحف في الوقت المناسب وتحدد المهلة الكافية للدفع .
- تقبل طلبات الاكتتاب في خمسة اسهم على الاقل ، ويجوز الاكتتاب في مضاعفات الخمسة الاسهم .
- الاكتتاب مقبول من رعايا الدول العربية والاسلامية وفقا لاحكام النظام الاساسي ، ولمجلس الادارة الحق في التخصيص النسبي مع الحرص على ارضاء اكبر عدد ممكن من طالبي الاكتتاب في هذه المنشأة الاسلامية الاولى من نوعها .
- معاملات البنك خالية من الربا في جميع صوره وبجميع تسمياته .
- للحصول على المزيد من التفصيلات يمكن الاتصال بالمركز المؤقت للبنك .

تقبل طلبات الاكتتاب فى بنك عمان المحدود بدبي وفروعه بدول امارات الخليج وغيرها فى جميع أنحاء العالم .

كما تقبل طلبات الاكتتاب فى البنك البريطانى للشرق الاوسط بدبي ومركزه الرئيسي بلندن وفروعه بدول امارات الخليج وجميع أنحاء العالم .

مصادر

١

للدكتور محمد سلام مدكور

المقصود بمصادر التشريع انما هو الأدلة الاجمالية التى يستدل بها على الأحكام الشرعية ، سواء منها المنشىء للاحكام ابتداء أم الكاشف لها ، إذ منشىء الأحكام الشرعية كلها هو الله سبحانه ، فلا حكم إلا ما حكم به الله ، وما الرسول صلى الله عليه وسلم إلا مبلغ لما شرع الله ، وإذا أطلق عليه لفظ الشارع فإنه باعتبار ان هذه الأحكام لا تعرف لنا إلا عن طريقه صلوات الله وسلامه عليه . وإذا أطلق على عمل المجتهدين انه تشريع فهو من قبيل التَّسَمُّح والتساهل . إذ المجتهد لا ينشىء الاحكام باجتهاده ، وإنما يلتمس أحكام الشارع من النصوص الموحى بها ، أو عن طريق الأمارات التى وجه الشارع إلى استخدامها لتكون طريقا للتعرف على الأحكام التى لم يرد بها نص ، أو تساعد على فهم النص .

فليس لأحد سوى الله سبحانه تشريع فى أى ناحية من نواحى الاحكام المتعلقة بأفعال المكلفين ، يستوى فى ذلك الأحكام التى ورد بها نص من قرآن أو سنة ، والتى لم يرد بها نص وتعرف عليها المجتهد مسترشدا بالأمارات التى وجه الشارع إلى اللجوء إليها ، وما وقع من خطأ للمجتهد فليس بحكم شرعى حقيقة بل ظاهرا فقط . وهو معذور ما دام قد بذل الجهد واستفرغ الوسع .

طريق إدراك حكم الله :

الحكم الشرعى يراد به عند الأصوليين خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين . بينما يطلق الفقهاء

التشريع الإسلامي

الحكم على الأثر المترتب على خطاب الشارع لا على نفس الخطاب الذى يعتبرونه دليلا لا حكما . فيقولون مثلا الصلاة حكمها الوجوب ، ودليل الايجاب قول الله سبحانه « وأقيموا الصلاة .. »

ويتفق علماء المسلمين على ان لله سبحانه فى كل مسألة حكما ، وما من حكم إلا وهو سبيل إلى تحقيق مصلحة ودرء مفسدة ، ويتفقون على أن مقياس الحسن والقبح للأفعال بالنسبة لمن بلغتهم الدعوة هو ما ورد فى الشريعة وليس ما تدركه العقول استقلالا . فما حسَّنه الشارع فهو الحسن الذى يجب التزامه والأخذ به ، وما قبَّحه الشارع فهو القبيح الذى يجب اجتنابه والابتعاد عنه . ولا عبرة بحال بما يمكن ان يدركه العقل مخالفا لذلك .

والأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين، والتى جاء بها التشريع الاسلامى الذى نتكلم هنا عن مصادره تؤخذ كغيرها من الأحكام الشرعية العقائدية والأحكام الشرعية الوجدانية من نصوص الكتاب والسنة ، إلا أن الفقيه الذى يبحث فى الاحكام التشريعية إذا لم تسعفه النصوص الموحى بها فيما يعرض له من مسائل الفقه لجأ إلى استلهام روح الشريعة ومقاصدها ، وفى هذا أكبر مجال للاجتهاد ومسايرة الفقه للحياة وأكبر دليل على صلاحيته للتطبيق فى كل عصر ومكان .

فأحكام التشريع الاسلامى على هذا نوعان :

(١) أحكام سنها الله سبحانه بنص قرآنى واضح فى الدلالة ، أو بحديث نبوى صحيح واضح فى الدلالة ايضا ، أو بسنة فعلية أو تقريرية ثابتة . وهذا تشريع إلهى محض . لا مجال للنظر فيه والاجتهاد ما دام النص قطعيا فى ثبوته ودلالته

.. وهذا النوع مصدره النص كتابا كان أو سنة .

(٢) أحكام سنها مجتهدو المسلمين فى عصورهم المختلفة استنباطا من عموم النصوص ومن روح التشريع واهدافه العامة بواسطة الامارات التى اعتبرها الشارع منهجا وطريقا للأخذ والاستنباط . وهذا النوع يعتبر تشريعا سماويا باعتبار الأصل والاساس ، ويعتبر تشريعا وضعيا — إن صح هذا التعبير — باعتبار المجهود الذى بذله المجتهدون فى استمدادها واستنباطها فقط . وهذا النوع هو الكثير الغالب ، وهذا النوع مصدره الاجتهاد بالنظر فى **الادلة والأمارات** .

والدليل فى اللغة بمعنى المرشد . لكن الأصوليين يقصدون بالدليل : ما يمكن بالنظر فيه التوصل إلى إدراك حكم شرعى على سبيل **العلم** او **الظن**. مثل قول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة ((**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**)) وقوله جل شأنه فى سورة البقرة ((**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ..**)) إذ بالنظر فيهما يمكن التوصل إلى التصديق بأن الوفاء بالعقد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كلها أمور واجبة .

والأدلة نوعان : فمنها ما هو دليل كلى مجمل لا يتعلق بشىء معين ، وهذا كما يطلق على المصادر الاصلية من النصوص الموحى بها ، وما يتفرع عليها من الاجماع والقياس والاستحسان والاستصحاب ومراعاة المصالح المرسلة وسد الذرائع وملاحظة العرف والعادة ، وغير ذلك ، فانه يطلق أيضا على القواعد الاصولية التى وضعها الاصوليون لتكون ميزانا وضابطا للفقهاء كقولهم : الأمر يفيد الوجوب والنهى يفيد التحريم ، وقولهم : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقولهم : المتأخر ينسخ المتقدم . إلى غير ذلك .

ومنها ما هو دليل جزئى تفصيلى يدل على حكم فى مسألة بذاتها ، وتندرج كل مجموعة منها تحت دليل كلى عام ، وإذا كانت الأدلة الكلية هى التى يبحث فيها الأصوليون فان الأدلة الجزئية لا تدخل فى مباحث الأصوليين أصالة إذ هى موضع نظر الفقهاء واستدلالهم على الأحكام الفرعية . فالفقيه ينبغى أن يحيط أولا بأحوال الدليل ، وما يتعلق به من قواعد أصولية ثم يستخلص الاحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية ، ويطبقها على الفروع المتشابهة .

على أن من الأصوليين من قصر الدليل على ما كانت إفادته قطعية ، واعتبر كل ما كانت إفادته ظنية أمارة لا دليلا . إذ الأمارة هى التى يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيها الى الظن لا القطع ، ومن الأصوليين من قصر الأدلة على الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ومنهم من زاد على ذلك أدلة اجمالية كثيرة .

وما يرجع اليه الاصوليون لاستنباط الاحكام منه ما هو موضع اتفاق وهو

القرآن والسنة إجمالا ، ومنه ما اعتبره جمهورهم لم يشذ عنهم فيه إلا نفر يسير وهو الاجماع والقياس ، ومنه ما كثر الخلاف فيه وتعددت الاقوال حوله كالاستحسان والعرف وقول الصحابى وشرع من قبلنا ، والاستصحاب وسد الذرائع والمصلحة المرسلة .. وغير ذلك من الأدلة العقلية .

والأدلة كلها فى الواقع ترجع إلى اصل واحد هو الكتاب . فإن العمل بالسنة واعتبارها دليلا مأخوذ من القرآن . يقول سبحانه فى سورة الحشر « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » كما يشير إلى أن الاجماع مصدر قوله تعالى فى سورة النساء « **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم** » فالآية جمعت فى الوعيد بين مشاقة الرسول وبين اتباع غير سبيل المؤمنين . وإذا حرم اتباع هؤلاء وجب اتباع سبيل المؤمنين وهو ما يتفق عليه ائمتهم ، كما يشير إلى اعتبار العرف قوله سبحانه « **خذ العفو وأمر بالعرف ..** » ويشير إلى الاحتجاج بقول الصحابى قوله جل شأنه « **والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه** » فقد أخبر سبحانه بأنه رضى عنهم وعمن تبعهم . ويشير إلى اعتبار القياس قوله تعالى « **فاعتبروا يا أولى الأبصار** » لأن الله بعد أن قص ما كان من بنى النضير وبيَّن ما حاق بهم من حيث لم يحتسبوا أمرنا بالنظر والاعتبار .. وهكذا .

على أن الاستدلال بالأدلة العقلية لا يكون صحيحا كما يرى جمهرة الأصوليين إلا إذا كان مستندا الى النقل ، إذ العقل المحض لا تدخل له فى تشريع الأحكام فلا بد أن يهتدى العقل بالنقل فى التعرف على الأحكام ، كما انه لا بد من اعتبار العقل لتبين النقل . ولذا فإن الوحى هو المصدر التشريعى الأصلى على ما قلنا لأن العقل لا يدل على الأحكام الشرعية فى الواقع ، وإنما يدل على نفيها عند انتفاء السمع ، واعتبار الراى والاجتهاد اصلا من اصول الأدلة ومصدرا تشريعيا فيه شىء من التجوز .

والواقع ان كل قاعدة تؤخذ مباشرة من كتاب الله أو سنة رسوله يكون مصدرها الرسمى الدين ، وكل قاعدة تؤخذ من المصادر الأخرى ، كالقياس والاستحسان والمصلحة وغير ذلك مما يتطلب النظر والاجتهاد يكون مصدرها الفقه .

قوة الأدلة فى إفادة الأحكام :

الأدلة الاجمالية عموما تختلف من ناحية قوتها وإفادتها اليقين أو الظن، ونستطيع ان نقسمها بهذا الاعتبار إلى قسمين :

القسم الأول : أدلة تفيد الأحكام على سبيل القطع ولا مجال للاجتهاد فيها ولا الخلاف حولها وهذه يندرج تحتها نوعان :

(١) نصوص قطعية من ناحية ثبوتها ودلالتها ومن ذلك النص القرآنى باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والوفاء بالعهد . فهى نصوص مقطوع بقرآنيتها إذ القرآن كله مقطوع بثبوته لأنه منقول بالتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى الآن ، كما أن دلالة النصوص الآمرة بالصلاة والزكاة والصوم والوفاء قطعية من ناحية دلالتها على المطلوب ومن ذلك أيضا السنة الفعلية بعدد الركعات ومواقيت الصلاة .

(٢) ما اجمع عليه المجتهدون فى الأمة الاسلامية فى عصر من العصور بعد عصر الرسول من الأحكام الشرعية العملية سواء أكان إجماعهم مستندا إلى نص ظنى فى ثبوته أو فى دلالته أو فيهما معا . أو لم يكن مستندا إلى نص . فقد جاء فى الأثر أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، ومن ذلك الاجماع على توريث الجدات السدس ، والاجماع على منع توريث ابن الابن مع وجود الابن .

القسم الثانى : ادلة تفيد أحكاما ظنية . جاء نتيجة غلبة ظن المجتهد ويصح أن تكون موضع الاجتهاد فى أى عصر . ويندرج تحت هذا القسم من الأدلة نوعان أيضا :

(١) نصوص ظنية فى ثبوتها أو فى دلالتها أو فيها معا . فكانت نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم محل نظر ، أو كانت دلالة النص على الحكم ظنية لاحتماله غيره ، قرآنا كان النص أو سنة . ويترتب على هذا اختلاف المجتهدين . ومن ذلك ما رواه النسائى عن فاطمة بنت قيس : من أن زوجها طلقها ثلاثا وأن رسول الله لم يقض لها بالنفقة والسكنى ، فإن عمر بن الخطاب ردّ هذا الخبر بمحضر من الصحابة وقال : لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى احفظت أم نسيت . ومن ذلك أيضا ما جاء فى سورة المائدة خاصا بمسح الرأس عند الوضوء . فإن الآية برغم قطعية ثبوتها فان دلالتها على ما يجب مسحه من الرأس ظنية ، كما أن دلالتها على وجوب الترتيب بين اعضاء الوضوء ظنية . ومن ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب . . إذ الخبر ظنى فى ثبوت نسبته الى الرسول لأنه من أخبار الآحاد ، وظنى فى دلالته إذ يحتمل أن يكون المراد لا صلاة كاملة كما فهم الحنفية ، أو لا صلاة صحيحة كما فهم غيرهم . وهذا النوع مجال الاجتهاد فيه منحصر فى دائرة النص .

(٢) احكام لم يرد بها نص ولا اجماع ، وإنما استنبطها بعض المجتهدين حسب ما وصلت إليه عقولهم وما احاط بها من الظروف والملابسات بوسيلة من الوسائل التى أرشد الشارع إلى الاهتداء بها فى الاستنباط عند انعدام النص ، وهذا النوع مجال الاجتهاد فيه فسيح

لا يقيده إلا نطاق القواعد العامة للشريعة .

الأدلة النقلية والعقلية :

الادلة التى تؤخذ منها الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين منها ما هو نقلى وهى الكتاب والسنة والاجماع باعتبار دلالته لنا على الحكم لا بالنظر الى تكوينه ، ويلحق بها العرف ، وشرع من قبلنا ومذهب الصحابى ، لأننا حينما نستند الى شىء من ذلك لا نبحث عن أصل تكوينه وما بنى عليه . ولكن نستند إليه كدليل أصلى ثابت واجب العمل به والاستدلال بالمنقول كما قلنا لا بد فيه من التدبر والعقل .

ومن هذه الأدلة ما هو عقلى كالقياس والاستحسان فى بعض صوره والمصالح المرسلة والذرائع والاستصحاب وغيرها من المصادر العقلية على أنه ــ كما قلنا ــ لا بد أن تكون الأدلة العقلية مستندة الى النقل .

هذا ويقول بعض المتأخرين من الأصوليين : إن غير المجتهدين من المقلدين ليس لهم إلا مصدر واحد هو قول الائمة الذين يقلدونهم ما دام لم تتوافر لهم الأهلية لأى نوع من أنواع الاجتهاد ، فيستنبطون من أقوالهم ما شاء الله لهم أن يستنبطوا وليس لهم ان يرجعوا إلى الكتاب والسنة والاجماع فى الاستنباط ، وليس لهم أن يقيسوا على ما ورد بها من أحكام بل إن منهم من غالى فى هذا لدرجة القول : بأن كلام ائمتهم حجة عليهم وانه بالنسبة لهم فى الحجية كالقرآن والحديث بالنسبة لجميع المجتهدين .

ومن رحمة الله بالمسلمين فى عصورهم المختلفة واماكنهم المتباعدة أن المصدر الأصلى لم يتعرض للتفاصيل والجزئيات ، وإنما وقف فى الأعم الأغلب وخاصة بالنسبة لما يتعلق بالمعاملات وشئون الحياة العامة عند القواعد الكلية والخطوط العريضة حتى يكون مرنا يجعل الفقه الاسلامى صالحا للتطبيق فى كل عصر وفى كل مكان دون أن يوقع الناس فى الضيق والحرج ، وحتى يتمكن المجتهدون من استنباط ما يجد من مسائل فى ضوء ما يساير مصالح الناس على اختلافها ويرفع الحرج عنهم .

الاختلافات الفقهية برغم التعرف على المصادر :

من الأحكام العملية التى بينتها النصوص ، والأحكام العملية التى لم تبينها نصوص وإنما دلت عليها الأمارات الشرعية يتكون الفقه الاسلامى . ومن الحقائق الثابتة اختلاف الناس فى تفكيرهم وتباين وجهات نظرهم ومناهجهم فى طرق استنباط الأحكام ، وقد يكون منشأ الخلاف غموض فى الموضوع نفسه .

ويصور افلاطون ذلك بقوله : إن الحق لم يصبه الناس فى كل وجوهه ولا أخطئوه فى كل وجوهه ، بل أصاب كل إنسان جهة ــ مثال ذلك : عميان انطلقوا إلى فيل وأخذ كل منهم

جارحة منه فجسها بيده ومثلها فى نفسه ، فأخبر الذى مس الرجل بأن خلقة الفيل طويلة مستديرة شبيهة بأصل الشجرة ، وأخبر الذى مس أذنه أنه منبسط دقيق ، وأخبر الذى مس الظهر أن خلقة الفيل تشبه الهضبة العالية والربوة المرتفعة فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدركه . وكل يخطىء صاحبه ، فانظر إلى الصواب كيف جمعهم ، وانظر الى الخطأ كيف فرقهم .

وقد يكون مرجع الخلاف بين المجتهدين اختلافهم حول المصدر نفسه ، واعتباره دليلا يستعان به على استنباط الأحكام . إذ أن الادلة الكاشفة لحكم الله من الأصوليين من قصرها كما قلنا على الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ومنهم من انكر اعتبار القياس ، ومنهم من أنكر امكان الاجماع ووقوعه وخاصة بعد عصر الصحابة ، ومنهم من ابطل الاستحسان وهكذا .

كما يكون مرجع الخلاف اختلافهم فى تقديم مصدر على آخر . فالمالكية مثلا يعتبرون ما عليه عمل أهل المدينة مصدرا ويقدمونه على خبر الآحاد من السنة الذى لم تؤكده القرائن وتقويه . والحنفية يقدمون القياس على بعض أنواع الأخبار التى لم تعضدها وتحف بها قرائن تقويها وتؤكدها . ومنهم من يؤثر الاتجاه إلى القياس فيعدى حكم ما فيه نص إلى نظيره وشبيهه مما ليس فيه نص لاشتراكهما فى العلة ، ومنهم من يؤثر الاتجاه إلى مراعاة مصالح الناس ورفع الحرج عنهم ، ومنهم من يؤثر استلهام روح التشريع وأسسه العامة فى كل مسألة لم يرد فيها نص ، ومنهم من يتوسع فى تأويل النص ، ومنهم من يقف عند ظاهر النص .

وكثيرا ما استعمل الصحابة والتابعون والأئمة الرأى فى اجتهاداتهم التى ظهر أنها مبنية على اعتبار المصلحة ، أو قائمة على أساس من القياس أو الاستحسان ونحوها . فالرأى المعتبر فى الفقه الاسلامى لا يكون نتيجة الغرض والهوى لأنه منضبط فى الشريعة الاسلامية بعدم مخالفته لنص من القرآن أو السنة ودورانه فى فلك مقاصد الشريعة .

وكان الفريق الذى يتجه إلى الرأى والنظر فى المقاصد والمعانى يبحث عن العلل أو يستنبطها ابتداء ومن ذلك تعليلهم لما رواه أحمد والنسائى عن بشر بن أرطاة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قطع يد السارق فى الغزو . فعللوا ذلك بقولهم : مخافة أن يلحق من يقام عليه الحد بدار الحرب . ثم عمموا ذلك الحكم فى سائر الحدود ولم يقصروه على حد السرقة .

كما شمل التعليل عندهم زوال الحكم عند زوال العلة ، ومن ذلك إبطال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سهم المؤلفة قلوبهم ، واجتهاد عثمان فى ضوال الابل وقوله بالتقاطها والتعريف بها ثم بيعها إذا لم يتعرف

عليها أحد ، فاذا ظهر صاحبها أخذ ثمنها مع أن النص القرآنى وارد بسهم المؤلفة قلوبهم « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ..** » ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم صريح فى عدم التعرض لضوال الابل . فقد روى عنه أنه قال : ما لك ولها ؟! دعها فان معها حذاءها وسقاءها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها ..

وهكذا فان اجتهاد الصحابة والتابعين والأئمة لم يقف عند ظاهر النص ، كما انه لم يقف فى المصادر العقلية عند القياس وإنما شمل كل وجوه الراى على تفاوت بينهم ، كما انهم كانوا عندما يطبقون ما حفظوه من نصوص على ما استجد من الحوادث وواجهوه من الوقائع يرتبون ذلك على اساس من النظر والتحقيق عند الموازنة والمماثلة من اشتراك الأمرين فى مناط الاحكام وعللها والبحث عن المقتضيات والموانع .

واخيرا . فان اساس التشريع الاسلامى يقوم اولا على تفهم النصوص والتحقق من صحة ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من اخبار ، وعند انعدام النص فى الواقعة وجب الاجتهاد والتعرف على الحكم عن طريق النظر فى المصلحة المقتضية للحكم . وقد يستتبع هذا النظر فى النصوص للقياس عليها ، أو العدول عن هذا القياس لوجه أقوى مما يسمى استحسانا ، كما يستتبع النظر فى روح التشريع وقواعده العامة لاستنباط حكم الواقعة والنظر فى اقوال الصحابة الذين عاصروا الرسول وسمعوا منه والنظر فيما اجمعوا عليه ، كما يستتبع هذا النظر فى العرف ومكانته عند استنباط الاحكام ، والنظر فيما حكاه الشارع جل شأنه فى القرآن أو السنة من احكام وردت فى الشرائع السابقة مما لم يرد لها حكم فى شريعتنا ، الى غير ذلك من الامارات والقواعد التى ترشد المجتهد الى التعرف على الاحكام الشرعية .

ويدل على اعتبار الاجتهاد بكل صوره وما يدخل فيه طريقا للتعرف على حكم الله ما روى ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل لولاية بعض الجهات قال له : بم تقضى إن عرض لك قضاء ؟ قال معاذ : اقضى بما فى كتاب الله . قال رسول الله : فان لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : اقضى بما فى سنة رسول الله . قال صلوات الله عليه : فان لم تجد فى سنة رسول الله ؟ قال معاذ : اجتهد ولا آلو — اى لا اقصر — فسر رسول الله من ذلك . وقال الحمد لله أن وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله .

فهذا الحديث يدل على أن الرسول عليه السلام ارتضى أن يكون الاجتهاد طريقا لمعرفة الاحكام الشرعية ، وان مرتبته متأخرة بعد كتاب الله ثم سنة رسوله .

مائدة القارئ

الظن

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعد الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

قرآن كريم

بين المسيو .. والشيخ

قال المندوب السامي الفرنسي في سورية للشيخ عبد الحميد الجزائري: إما ان تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار ، وإلا ارسلت جنودا لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا وإخماد اصواتكم المنكرة !!

اجاب الشيخ : ايها المسيو الحاكم : إنك لا تستطيع ذلك !!

قال المسيو غاضبا : كيف لا استطيع ؟ !

اجاب الشيخ : إذا كنت في عرس علمت المحتفلين ، واذا كنت في ماتم وعظت المعزين ، وان جلست في قطار علمت المسافرين ، وان دخلت السجن ارشدت المسجونين ، وان قتلتموني التهبت مشاعر المواطنين ، وخير لك ايها المسيو الا تتعرض للأمة في دينها ولغتها .

المال والحكمة

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

اخرجه البخارى

إنسانة

خطا شائع قولهم : « هذه إنسانة ممتازة » قياسا على « هذا انسان ممتاز » لأن « الانسان » اسم جنس .. جاء فى المصباح : الانسان من الناس اسم جنس يقع على الذكر والانثى ، والواحد والجمع فيقال : فلان انسان ، وفلانة انسان.

اعرف نفسك

بلغ عمر بن عبد العزيز أن احد أبنائه اتخذ خاتما واشترى له فصا بألف درهم فكتب اليه : أما بعد ، فقد بلغنى انك اشتريت فصا لخاتمك بألف درهم ، فبعه وأشبع بثمنه ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد . واكتب عليه : رحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

اعفنى من اربع

كان عبد الملك اذا دخل عليه رجل من افق من الآفاق قال : اعفنى من أربع وقل بعدها ما شئت :

لا تكذبنى فان الكذوب لا راى له .

ولا تجبنى فيما لا اسلك فان فيما اسألك عنه شغلا .

ولا تطرنى فانى أعلم بنفسى منك .

ولا تحملنى على الرعية فانى الى الرفق بهم أحوج .

ابو بكر رضى الله عنه

اول من ولى الخلافة وابوه حى ..
اول من عهد بها .. (عهد بها الى عمر بن الخطاب) .
اول من اتخذ بيت المال .
اول من سمى المصحف مصحفا .
اول من اسلم من الرجال .
اول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم .

تاريخ العلوم الإسلاميّة والعربيَة

١

الدكتور

محمد الدجى الكردى

تمهيد :

ان البحث فى تاريخ العلوم الاسلامية والعربية يتطلب منا عرضا مجملا لتطور هذه العلوم عبر القرون المتلاحقة من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ، وبيان مدى شمولها كما وكيفا لمختلف متطلبات الفكر والنفس والمجتمع ، وعرض مشتملاتها وميادينها وآفاقها الواسعة ، ثم بيان اهم المصادر التى صنفت فى هذه العلوم التى تعتبر المعين المثمر الذى أمد ولا زال يمد الانسانية بفيض من الفكر والحضارة الاصيلة التى تستطيع وحدها اليوم ان تنتقل بالانسانية الى اعلى درجات السعادة والرقى والرفاه الحقيقى ، وتنتشلها مما تتخبط فيه من فوضى ومعضلات .

فان الثقافة والعلوم الاسلامية لم تولد من اول يوم على الشكل الذى نراها عليه اليوم سعة وعمقا، ولكنها وصلت الى ما وصلت اليه بعد تطور ونماء استغرق عصورا عديدة وازمنة طويلة بذلت فيها طاقات فكرية كبيرة ، عملت معا على انضاجها وترعرها واكتمالها .

فقد اضاء النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه المصباح الاول الذى قضى على بذور الشرك والجهل فى قلب العربى الجاهلى ، وانار له طريق الحق والخلاص من التخلف . وبين القرآن الكريم الطريق الى الهداية واوضح معالمها وابعادها ودعا اليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، فانطلقت القلوب المستنيرة بنور القرآن المهتدية بهدى النبى عليه

الصلاة والسلام تسـير فى هذه الطريق ، تكتشف مجاهلها وتذلل وعرها يقتفى بعضها اثر بعض . وهكذا حتى اكتشفت الطريق كلها وذلل السير فيها لكل من أراد الوصول الى الهداية الحقة . وقد استغرقت هذه الخطوات المتعددة الكثيرة فى مسيرتها لتحديد معالم هذه الطريق واشادة ذلك الصرح العظيم وقتا طويلا امتد الى ثلاثة عشر قرنا ونيفا ، هاديها كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ولقد كانت العلوم الاسلامية فى هذه الادوار تتخذ أشكالا متعددة وقوالب متغايرة كل منها له خصائصه وميزاته على وجه يجعل كل دور منها مكملا للأدوار السابقة وامتدادا له . ولما كان هذا التطور عبر الادوار المتعددة متتابعا متلاحقا غير متميز بعضه عن بعضها بفواصل زمنية محددة ، فاننا سوف نلجأ الى تقسيم اعتبارى لهذه الادوار نحاول فيه أن نجد شخصيتها ونفصلها عن بعضها بأهم الاحداث التاريخية التى تبرز فيها فتجعل لكل منها خصائص متميزة عن الادوار الاخرى . ثم نلقى الاضواء الاولية على كل دور من هذه الادوار ، وأهم خصائص هذه العلوم وميزاتها فيه . وعلى ذلك فاننا نقسم هذه الادوار الى ستة :

١ ـ دور عصر النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ دورعصر الخلفاء الراشدين .

٣ ـ دور عصر الامويين .

٤ ـ دور عصر العباسيين .

٥ ـ دور العصور الوسيطة .

٦ ـ دور العصور الحديثة .

١ ـ الدور الأول ـ دور عصر النبى صلى الله عليه وسلم :

يبدأ هذا الدور من عام ١٣ قبل الهجرة المصادف عام ٦١٠ للميلاد وهو العام الذى بعث فيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم نبيا ، وبدأ القرآن يتنزل عليه فيه يأمره بالدعوة الى ربه وينير أمامه السبيل اليها .

وينتهى هذا الدور بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم عام ١١ هجرية ، بعد ما قام بابلاغ رسالة ربه الى بنى البشر على أحسن ما يكون مصداقا لقوله سبحانه : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ..** » (المائدة من الآية ٣) فجزاه الله تعالى عن هذه الامة خير الجزاء .

ويتميز هذا الدور بتمركز الثقافة والعلوم فيه حول النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو المحور لها ومصدر الفكر والتشريع فيها . فلا حاكم الا هو ، ولا قائد الا هو ، ولا مشرع غيره ، ولا مفتى سواه . وذلك مصداقا لقوله تعالى : « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم** » (الاحزاب من الآية ٣٦) وقد كان النبى صلى الله

عليه وسلم يثقف الأمة ويربيها بالقرآن والسنة ، فالقرآن وحى الله تعالى المباشر وكلامه ، والسنة كلام النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره المسدد فيه من الله سبحانه ، مصداقا لقوله جل من قائل : « **وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى** » النجم الآيتان ٣ ، ٤ .

فالقرآن والسنة اذا هما مصدر الثقافة والعلوم فى هذا العصر . ولا يوجد مصدر ثالث معهما الا ما كان يشير به بعض الصحابة ويبدونه من آراء فى محضر النبى صلى الله عليه وسلم عندما يطلب منهم ذلك ، ثم يقرهم عليه صلى الله عليه وسلم أو ينهاهم عنه ، كما حصل يوم بدر حيث أشار عليه الحباب بن المنذر بتغيير موضع نزوله ، فوافق على ذلك . لكن هذا لا يعتبر مصدرا جديدا غير السنة ، حيث أن النبى صلى الله عليه وسلم أن وافق عليه كان ذلك من السنة التقريرية وان رفضه اعتبر لاغيا ولا محل للعمل به .

والا ما كان يجتهد فيه الصحابة من المسائل التى تعترضهم فى أسفارهم وغيبتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يعرضونه عليه بعد عودتهم والتقائهم به ، فاما أن يقره أو يرفضه فيكون مثله مثل النوع الأول يدخل فى باب السنة التقريرية ولا يستقل عنها ، مثال ذلك ما روى من أن عمرو بن العاص رضى الله عنه كان فى سرية غزوة من الغزوات فأصابته جنابة وهو عائد الى المدينة ، وكان اليوم باردا فاستشار أصحابه فى التيمم بدلا من الماء ، فأشار عليه بعضهم به ، واشار بعضهم بالغسل ، فأخذ بمشورة الاولين فتيمم ، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فأقره على التيمم .

ثم ان القرآن الكريم شامل لكل العلاقات الانسانية التى يرتبط بها الانسان مع غيره ، لكنه يعالج هذه العلاقات ويرسم لها الحلول ، ويعالج المشكلات التى تتضمنها بشكل اجمالى على نمط ما تعالج به الدساتير فى الدول الحديثة أمور الدولة . اللهم الا بعض الاحكام والمسائل القليلة ذات الخطورة فانه دقق فيها القول وفصل فيها الاحكام ، كمسائل المواريث والحدود مثلا . وأما السنة ، فانها كانت بمثابة الشارح المبين لما اجمله القرآن والمؤكد لما جاء به ، دون الزيادة عليه الا فى مواضع قليلة انفردت السنة عن القرآن ببيانها ، وهذه الامور هى أمور جزئية فرعية لم ير القرآن ضرورة الى النص عليها . كميراث الجدة مثلا .

ومع ذلك فان السنة لم تستغرق الاحكام التفصيلية كلها ، بل تركت كثيرا منها للاجتهاد توسعة على الناس . ولذا فاننا نجد القرآن والسنة يهتمان بالدرجة الاولى بالقواعد الاساسية للثقافة والحكم ، دون خوض فى تفصيلات الامور الا ما كان منها يعرض على النبى صلى الله عليه وسلم فعلا من المسائل والمشكلات فيجيب عنه ويحكم فيه .

وبهذا يكون عصر النبى صلى الله عليه وسلم قد وضع الاسس والقواعد التى تخطط للمسلمين طريق السير الى الله تعالى، وتنظم أمورهم بما يصلح شأنهم ويقيم العدالة فى ربوعهم ، بنصوص دستورية عامة مرنة فيها محل للرأى والاجتهاد ، على وجه يؤمن لكل مجتمع مصالحه .

ولكن ليس هذا معناه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد ترك أمر التشريع فى جزئيات الاحكام للسلطات المحلية فى كل عصر ومصر تتصرف فيها كيفما تشاء (فان هذه السلطات محكومة فى الاسلام بقواعد القرآن والسنة لا تخرج عنها ولا تنحرف عن خط سيرها) .

بل معناه أن القرآن والسنة أفسحا المجال للعلماء المتقين أن يبذلوا الجهد فى فهم نصوص القرآن والسنة ، وتطبيقها فى مجتمعاتهم على حسب ما يؤديهم اليه فهمهم واجتهادهم فيها بعد أن يكونوا قد وصلوا الى مرتبة من النضج تسمح لهم بالاجتهاد . ثم هم ان اصابوا بعد ذلك فلهم اجران وان اخطأوا فلهم أجر واحد .

ومعلوم أن القرآن كتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اما السنة فانها كانت تتناقل مشافهة على السنة الصحابة الثقاة — رضى الله عنهم — لم يكتب منها فى عهده الا شىء يسير سمح به النبى صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة كعبد الله ابن عمرو بن العاص وغيره .

٢ — الدور الثانى — عصر الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم :

يبتدىء عصر الخلفاء الراشدين بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم عام ١١ للهجرة ، حيث تولى الخلافة بعده أبو بكر الصديق رضى اللهعنه . وينتهى هذا العصر بوفاة على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم عام ٤٠ للهجرة .

ويتميز هذا العصر بانقطاع القرآن والسنة واكتمالها بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن لما كانت مشاكل الناس وأمورهم العلمية والعملية متجددة وكثيرة ، ونصوص القرآن والسنة محدودة ، كان لا بد فى هذا العصر من ايجاد مصدر ثالث بعدهما يمد العلم والفكر بحلول للمشاكل الجديدة التى لم يتعرض لها القرآن والسنة .

ولقد وجد هذا المصدر وهو الاجماع ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم اذا اعترضتهم مشكلة ، أو طرقتهم حادثة ، يفتشون عن حل لها فى كتاب الله وسنة نبيه ، فان وجدوا لها حلا فذاك ، والا تنادوا الى اجتماع يضم علماءهم ومفكريهم، وتشاوروا فى الامر فيما بينهم ثم انتهوا الى حل للمشكلة على وفق أحكام القرآن والسنة المشابهة لهذه الحادثة وهو ما سمى بالاجماع .

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه طلب الى علماء الصحابة الا يغادروا المدينة المنورة فى أمارته

ليسهل عليه جمعهم واستشارتهم فى كل جديد .

ولكن الصحابة كثيرا ما كانوا يخفقون فى الاتفاق على حل واحد لبعض المسائل فيذهبون فى المسألة الى قولين او اكثر ، وعندها كانوا يتفرقون ويقضى كل منهم بما يراه أرجح من غيره وأقرب لما قضى فيه الله ورسوله ، ولذلك فقد ظهر للتشريع مصدر جديد رابع غير الاجماع وهو القياس .

كل هذه الامور كانت تحدث فى عصر الراشدين ، وتقترح لها الحلول ولكن دون أن يسجل منها شيء ، فقد كانت اخبارها تتناقل مشافهة بين الصحابة يرويها بعضهم عن بعض مثلها مثل سنة النبى صلى الله عليه وسلم لم يكتب منها فى عصره الا النزر اليسير ، وذلك يرجع لامور عدة منها ، قوة حافظة الصحابة ، فانهم لا يزالون قريبى عهد بعصر الأمية التى كانت صفة مميزة للعرب قبل الاسلام ، حيث كانوا يعتمدون على المحافظة بدل الكتابة . ومنها انشغالهم بالفتوحات الاسلامية ونشر دعوة الحق فى أرجاء الارض مما لم يتيسر معه الاشتغال بتدوين ما يتحصل من الثقافة الاسلامية . ومنها صغر المجتمع الاسلامى اذ ذاك وسهولة تداول الافكار والاحكام فيه مشافهة . وغير ذلك . .

دعـاء أبى ذر

اللهم إنى أسالك إيمانا دائما ، وأسالك قلبا خاشعا ، وأسالك علما نافعا ، وأسائك يقينا صادقا ، وأسالك دينا قيما ، وأسائك العافية من كل بلية ، وأسائك تمام العافية ، وأسلك دوام العافية ، وأسائك الشكر على العافية ، وأسالك الغنى عن الناس .

الأسرة في المنهج الرباني

للاستاذ : منير الغضبان

عــالم الطفولــة

لعالم الطفولة جوه الخاص به ، وحين يعجز المربى أن يفهم هذا الجو سوف ينتقل بالطفل الى عالم من العقد النفسية عوضا عن أن يسير به فى مسار الفطرة السوية . له أولا حاجاته وميوله وغرائزه ، وله ثانيا طاقاته وامكاناته ومواهبه .

ونستطيع انطلاقا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل :

مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع .
نستطيع أن نقسم مرحلة الطفولة الى ثلاث مراحل :

الأولى : منذ الولادة حتى السابعة .

الثانية : من السابعة للعاشرة (أو التاسعة بالنسبة للفتاة لأن طبيعة نموها الجسمى تسبق طبيعة نمو الفتى) .

الثالثة : من العاشرة للرابعة عشرة أو التاسعة للثالثة عشرة أو التاسعة للثالثة عشرة بالنسبة للفتاة .

وهذا التقسيم فى الواقع شكلى . لا يحمل التحديد الصارم فى ثناياه ، لاختلاف البيئات والأفراد فى هذا الموضوع وان كان يؤخذ على الأعم الغالب .

أما بالنسبة للمرحلة الأولى ما قبل السابعة وتكاد تكون مرحلة بيتية ، فى واقعنا المعاصر ، ففيها السنة الأخيرة فقط تتدخل المدرسة فى التوجيه والتربية ، وما قبل ذلك فهو ابن البيت ، والحى والأقارب ، ان لم يدخل عالم اللعب فى الروضة يتعرف بها على جو المدرسة ويهيىء لها .

المهم فى هذه المرحلة انها لا تحتمل أمرا ولا تحتمل ضربا ، انها مرحلة التكــوين النفسى الذى ينشأ على التوجيه والتشجيع والتنبيه فقط .

والطفل فى هذا السن مولع بالتقليد من جهة ، ومولع باللعب من جهة ثانيــة ويجدر فى هذه المرحلة أن نستغل اللعب الموجه ، والتقليد الموجه .

ان الفتاة تحرص دائما على حب التقليد لمن هو اكبر منها اختا او اما او معلمة ، حتى أن الفتيات الصغيرات وهن يستمعن ممن هو أكبر منهن عن المدرسة ، ويتاح لاحداهن ان تكون تلميذة ، كثيرا ما يجتمعن ليلعبن لعبة المدرسة تكون احداهن المعلمة ، والأخرى المديرة ، والبقية طالبات ، فتتصرف الفتاة نطقا وسلوكا وحركة كما تتصرف المعلمة أو المديرة ، وعن طريق الثناء كذلك ، فالكلمة البسيطة الحلوة ، يهتز لها كيان الطفلة الصغيرة وتستجيب لأقصى حدود الاستجابة فيما تريده منها المربية .

لكن يجب أن لا يغيب عن البال ابدا أن الطفل عاجز عن تركيز الذهن الدائم فى موضوع فكرى بحت ، انه يحب الانصراف الى اللعب أو الكتابة أو الحديث او الأكل . ومهمتنا محصورة فى أن نعلمه آداب الأكل عندما يأكل . وآداب الحديث عندما يتحدث وأصول الكتابة أن احب ان يكتب ، وآداب اللعب وهو يلعب .

ان الحديث الشريف السابق يرسم لنا أطارا تربويا رائعا يوم يدع مرحلة الطفولة ما قبل السابعة خلوا من الأمر الصارم ، وخلوا من الضرب المؤلم ، انها مرحلة الحرية الموجهة .

ونستطيع فى وقوفنا عند حديث آخر أن نتعرف على جوانب تربوية جديدة .

هذا الحديث هو ما رواه انس رضى الله عنه قال :

كان رسول الله احسن الناس خلقا . وكان لى اخ فطيم يسمى ابا عمير لديه عصفور مريض أسمه النغير فكان رسول الله يلاحظ الطفل الصغير ويقول له : يا ابا عمير ما فعل النغير .. ؟ « البخارى » .

وهنا تتجه الانظار لثلاث نقاط مهمة من خلال هذا النص .

١ ــ تكريم الطفل فى هذا السن واكباره . ذكرا كان أو انثى . حيث ينادى بالاسم المحبب له . فرسول الله صلى الله عليه وسلم يناديه باسمه الذى يحمل صفة الكنيه . حتى ليشعر بنفسه أنه مثل الكبار . ولا عجب فى ذلك . فهو يعجب بكل ما يصدر عن الكبار .

٢ ــ الاهتمام باهتمامات الطفل ، وأشعاره أنه محط نظر واهتمام مربيه ان هذا يسعده ويفرحه يوم يجد هذا الاهتمام ممن هو أكبر منه ، وكم الفرق شاسع بين أشعار

الطفل انه صغير لا يفقه شيئا ولا يعى ولا يعقل أو انه منبوذ خامل كسول . وبين اشعاره انه كبير واع عاقل ، والعطف حتى على اهتماماته الصغيرة والسؤال عنها . ومحاولة مساعدته فيها . انه ينام قرير العين هانئا على الأحلام الحلوة بما لاقى من عطف وتكريم وحنو .

٣ ــ اعتبار حب اللعب عنصرا أساسيا لدى الطفل ، وعدم غياب هذه القضية عن الذهن فى كل مرة يندفع المربى فيه الى شرح درس أو ايضاح فكرة . فيؤذيه أن يجد طفلا يتكلم مع زميله . أو ترى المربية فتاة تعبث بحقيبتها ، أو قلما تكتب ما يعن لها . الفرق واسع جدا بين ان نفكر كما يريد الاطفال ، أو يفكر الاطفال كما نريد ، بين أن نضرب الطفل وندعه يبكى لأنه غارق فى رسم شكل معين استأثر بانتباهه ، وبين ان نأخذ هذه الرسوم ونثنى عليها ، ثم نعيدها ونطالب الطفل بالانتباه للمدرس .

٤ ــ أن نحيا تلك المشاركة النفسية بين الطفل وعالمه الخاص الذى يبنيه من العابه وأشيائه . ان العاب الاطفال الصغار ، يتصورها الطفل حية ، ويبعث فيها روح المشاركة والوعى كما يتخيل ، يهدهدها ، يدللها يوجهها ، يضحكها ، يشغلها ، وعلينا أن نحترم هذه المشاعر بينه وبين أشيائه والعابه ، فكيف اذا كانت العناية منصبة على مخلوق حى . أن أبا عمير لم يعد يذق طعم الراحة منذ أن مرض عصفوره فقام على تمريضه ورسول الله صلى الله عليه وسلم . رسول رب العــالمين ، لا ينسى ذلك العصفور المريض لدى هذا الطفل اللعوب . فيعود اليه يسأله كلما لقيه : يا أبا عمير ما فعل النغير .

وبذلك يكبر أبو عمير حتى ليرى فى نفسه أن محمدا صلى الله عليه وسلم صديقه ، وأن العلاقة بينه وبين رسول الله لا يعرفها كل أحد . وذات أسرار خاصة بهما .

ويبقى حتى وهو يطعم عصفوره المريض أو يسقيه شاردا فى تفكيره . كيف سيخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى مع عصفوره الحبيب .

٥ ــ وفى النص توجيه خفى كذلك لتصعيد هذه العاطفة الانسانية نحو الطائر الصغير . اننا قد نشهد لدى هؤلاء الاطفال فى هذا السن رغبة جامحة فى اللعب مع امثال هذه الاحياء لكن هذه الرغبة قد تندفع احيانا الى حد ايذاء هذا الحى ومهمتنا نحن أن نوجه هذه الرغبــة بالاتجــاه الخير العظيم ، أن نوجهه من الاعتــداء الى الرعــاية . من الايذاء الى التمريض . وفى ذلك تنميــة عظيمــة للجانب الانسانى عنــد الطفــل .

انها أمور تربوية بل قل : طرقا تربوية تتضح لنا من خلال هذا النص القصير مع الطفل الصغير .

الفتاوى

أثر النيــة فى العمل

السؤال : هل للنية الطيبة تاثير فى الحرام فتحوله الى حلال طيب .. ؟
الجواب :

النية الحسنة لها تأثيرها الطيب على جميع الاعمال المباحة شرعا ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » الى آخر الحديث المروى فى صحيح البخارى وصحيح مسلم .

وبهذه النية تصير المباحات طاعة لله سبحانه وتعالى ، فمن أكل طعامه بنية المحافظة على جسمه ليتمكن من القيام بحق الله وحقوق المسلمين كان اكلــه حينئذ عبادة لله تعالى .

ومن تزوج وكان قصده من الزواج ابتغاء الولد الصالح واعفاف نفســه وأهله وعمارة الارض بالذرية الصالحة كان الزواج ايضا عبادة .. وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وفى بضع احدكم صدقة » . قالوا : أياتى أحدنا شهوته يا رسول الله ويكون له فيها أجـــر .. ؟ قال : « اليس ان وضعها فى حرام كان عليه وزر .. ؟ فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له اجر » .. وهكذا كل ما يفعله الانسان وعنصر النية الحسنة متوفر فيه فله عليه اجر .

اما الحرام ، فمهما حسنت نية فاعله ومهما كان الهدف منه فلا ينقلب الى حلال طيب بمجرد حسن النية ، فمن جمع مالا من ربا أو سحت ليقيم مسجدا أو لينشىء مشروعا خيريا لا يرفع عنه هذا القصد وزر جمع المال من غير حله .

ولذا يذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجل يطيل الشعر اشعث أغبر يمد يديه الى السماء يقول (يا رب يا رب » ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك .. ومن هذا يتضح أن النية الحسنة لا أثر لها مع الحرام ..

الزكاة .. ؟

السؤال : هل على الوقف زكاة .. ؟
الجواب :

يرى الجمهور من الفقهاء أن الموقوف على جهة عامة كالفقراء او المساجد أو المجاهدين أو اليتامى أو المدارس أو غير ذلك من ابواب الخير فالصحيح أنه لا زكاة فيه .

بخلاف الموقوف على معين واحد أو جماعة مثل الموقوف على ابنه أو ذريته أو على بنى فلان أو نحو ذلك فالصحيح أن الزكاة تجب فيه بناء على أن الملك فى الموقوف ينتقل الى الموقوف عليه وهو يملكه ملكا مستقرا فأشـــبه غير الموقوف .

الطـلاق .. !

السؤال :

هل للمرأة أن تطلب الطلاق اذا ثبت أن زوجها عقيم لا ينجب .. ؟

الجواب :

ليس عقم الرجل من العيوب التى يرد بها الزوج ولا يثبت للزوجة بمقتضاه الخيار فى فسخ النكاح .. فاذا كانت المرأة لا تطيق عشرة الزوج فان لها أن تختلع منه استنادا الى قول الله تعالى : ((**فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليها فيما افتدت به**)) وروى الامام البخارى رضى الله عنه أن أم حبيبـة بنت سهل الانصارى جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أنقم عليه فى خلق ولا دين ولكنى امرأة أكره الـكفر فى الاسلام ـ أى كفران نعمة العشير ـ لأن الزوج لا يخلو عن نعمه على الزوجة فلا يقوم بشكرها غالبا فقال لها : « أتردين عليه حديقته » أى بستانه وكان أعطاها اياه مهرا فقالت : نعم . فقال له الرسول صلى الله عليه وسـلم : « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » واستجاب ثابت لحكم الرسول صلوات الله عليه وكان هذا أول خلع فى الاسلام .

أما اذا قدرت الزوجة على استمرار العلاقة الزوجية وأحسنت صـحبة شريك حياتها فانها مأجورة اذ أن الاسلام يعتبر من جهاد المرأة حسن تبعلهـا لزوجها أى قيامها بواجباته والصبر على رعاية شؤونه .

الاحسان الى الوالدين ..

السؤال :

زوجتى تسىء معاملة أهلى وتكره أن أصلهم وتحاول أن تفرق بينى وبينهم .. فماذا أفعل علما بأنى أحبها ، ولموقفها من أهلى نفسى تراودنى أن أطلقها ..؟

الجواب :

أنت مطالب ببذل كل ما فى وسعك من حلم وسـعة صدر وعليك أن تتلطف معها عسى أن تغير من طباعها وتعود اليكما السعادة من جديد ولا تنسى قول الله تعالى : ((**وعاشروهن بالمعروف**)) . حاول أن تزيل الخلاف بينها وبين أهلك وحاول بالمداعبة والمزح أن تطيب قلبها ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسط مع زوجاته فى الاعمال والاخلاق حتى روى انه كان يسابق السيدة عائشة رضى الله عنها على الاقدام .

وعمر رضى الله عنه مع شدته قال : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ، فاذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلا .

وليس معنى الملاطفة أن تلغى شخصيتك الى حد أن تسلم زمامك لها . لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الزوجة » وانما قال ذلك لانه اذا أطاعها فى هواها والغى شخصيته أمامها فهو عبدها .

لا تكن قاسيا عليها بسبب نزاعها مع أهلك ولا تتسرع بطلاقها عسى الله أن يوفق بينكما كما أنصحك بأن لا تستجيب لرغبتها فى هجر أهلك وخاصـة والديك ، فقد أمر الله بالاحسان اليهما بعد الامر بعبـادته مباشرة فى القرآن الكريم ..

كتب الله لكما التوفيق فى ظل تعاليم الاسلام ..

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

أثر أداء العبـــادات فى سلوك الفرد

نرى كثيرا من الناس يقومون بأداء العبادات ولكنهم يغشّون ويكذبون ويفعلون أشياء يستنكرها العقل السليم وتنهى عنها الشريعة الاسلاميـــة الغراء .

فهل أداء العبادات وحده يكفى ليكون الفرد مسلما ؟

محمد فايد سيف ــ اليمن

ان اداء العبادات يتطلب خلو النفس من الشر الذى يتسرب منه الأذى للناس ، اذ من المعروف بداهة أن فاعل الشر أو الداعى اليه لم تثمر فيـــه عبادته الخلق الحسن المطلوب .

وأداء هذه العبادات يكون بالاخلاص فى العقيدة ، ونقاء الايمان الذى يتجلى أثره واضحا فى سلوك الفرد ، فيخلق فيه انسانا سويا صقلته قـــوة العقيدة ، وسلامة المعتقد ، فلا يرى فى نفسه الا الخير للمحيطين به ، فتراه وقد تخلص من الرذائل ، ومن الخصال الضارة ، والأفكار المسمومة مصداقا لقول الله تعالى : **(كنتم خير أمـــةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) رواه مسلم واحمد .

والواقع أن الذى يلتزم بأداء شعائر دينه ، سينتهى عن فعل ما يعكر صفو هذه الشعائر ، فالصلاة مثلا تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتعود الانسان الطاعة والنظام ، وذلك اذا كانت خالصـــة لله ، يقول الله تعالى : **(وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** .

وفى الحديث القدسى : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل بها على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب رواه البزار ، وكذلك الحال فى الزكاة ، اذ فيها تطهير للنفس من شتى الأدران ، وسمو بها الى أنبل

المعانى ، مصــداق ذلك قول الله سبحانه : **(خــذ من أموالهم صــدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** .

ولا يكون المزكى ابدا فى عرف الاسلام ممتنا على الفقير ، بل هو فى الواقع قد اعطاه حقه ، والقرآن يؤكد هذا المعنى : **(والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم)** فاذا خالط الزكاة رياء انتفى الفرض السامى من إخراجها ، وبدلا من ان تكون صفحة نقية بيضاء من صحائف المسلم ترد عليه ، والقرآن الكريم يحذر من ذلك فيقول الله سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين** » .

فالمسلم على هذا يستمد سلوكه من إيمانه ، ويستقى منه غايته ومنهجه ، ويتحسس خطاه إلى الصواب ، فلا يظلم ولا ينافق ولا يرائى ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) رواه مسلم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله أخوانا) اخرجه الشيخان .

وهذا الحديث يحدد نوع التنافس فهو ينهى عن التنافس المؤدى للشر

وهناك صفات تقوم اخلاق المسلم ، وتشده للخير ، وتؤكد صفــاء نفس المؤمن ، وسلامة طويته ، فلا يحدث منه ما يهز صلابة تمسكه بأهداب دينه ، وهى الصدق فى الحديث ، والوفاء بالوعد ، وأداء الأمانة ، وغير هذه الصفات الكثير الذى زخر به المنهج الربانى فى التربية ، وطالما هناك اخــلاص فى الأداء فلا تنضب المثل ، ولا يجف ما تحــويه من معان وقيم هــادفة بناءة تشيد مجتمع الاسلام والمسلمين ، وتعين على خلق جيل يعرف دينه وما يرمى اليه من حرصه الشديد على أن يكون المسلم متقيدا ظاهرا وباطنا لا يبطن خلاف ما يظهر يتسامى على الدنايا ، ولا يرضى الا بمنهج ربه الذى يدعوه دائما وباصرار الى الفضائل التى تكتسى حلة الدين وتعيش تحت لوائه .

●●●

سعر المجلــة :

□ حول تخفيض سعر المجلة كطلب الأخ طه محمود عمر بالقاهرة أقول له : الست معى فى أن ثمن المجلة رمزى للغاية ، لا يساوى شيئا ، بجانب التكلفة المرتفعة ، والوزارة تقدمها للمسلمين بشكل ميسور ، لتهيىء لهم سبل المعرفة بدينهم دون جهد .

التسامح الديني والتحرر الفكري في الإسلام

للاستاذ حسن فتح الباب

كان موضوع حرية العقيدة فى الاسلام من أبرز الموضوعات التى أثيرت فى مؤتمر الدراسات العلمية لحقيقة الدولة اليهودية الذى عقد فى لندن بدعوة من الكنيسة الانجليزية بين يومى ١٣ سبتمبر و ٢٤ سبتمبر الماضى وحضره اكثر من مائتين من كبار رجال الدين فى الكنيسة الانجليزية ومعظم كنائس أوربا ومن هؤلاء اسقف « يورك » الذى سينصب رئيسا لأساقفة « كنتربرى » فى أواخر يناير القادم اى رئيسا للكنيسة الانجليزية . وقد اجتمع شمل هذا المؤتمر لان كنائس أوربا بصفة عامة والكنيسة الانجليزية بصفة خاصة منقسمة على نفسها ، فثمة فريق يؤمن بقيام دولة اسرائيل ، وفريق ينكر قيام هذه الدولة .

وعلى الرغم من ان هذا المؤتمر كان الدافع إليه التعاطف مع اسرائيل وتبنى وجهات نظرها ، فقد تحول إلى مؤازرة قضايا العدل والسلام والحق وكشف أساليب التعصب الصهيونى بفضل الحجج الدامغة التى ساقها المندوب المصرى المسيحى بعد ان ادعى بعض انصار اسرائيل ان مصر متحدة مع دولــة تتبنى التعصب الدينى وذلك على مسمع من وفود تمثل جميع دول أوربا تقريبا . ولقد دلل الرجل ــ وهو يمثل الكنائس القبطية المصرية ــ على كذب الافتراءات الاسرائيلية بما سجله التاريخ من وقائع ثابتة عن تسامح الاسلام وحرية العقيدة فيه وكيف عاش المسيحيون والمسلمون من شعب مصر فى كنف هذا التسامح وتلك الحرية إخوة متآلفين متحابين منذ الفتح العربى لمصر .

شهادة من اعلام مؤتمر غربى معاصر :

ومن قبل مؤتمر الدراسات العلمية لحقيقة الدولة اليهودية انعقد الأسبوع الثقافى العربى الألمانى فى جامعة توبنجن بمقاطعة بادن ــ فيرتمبرج بألمانيا الغربية من ٩ الى ١٥ سبتمبر الماضى حيث التقى جمع كبير من المستشرقين

الألمـــــان ومن وزراء الثقافة والاعـــــــــلام والسفراء واساتذة الجامعات والكتاب العرب ، والقيت محاضرات واقيمت ندوات ودارت مناقشات .

وفي هذا المؤتمر مثلما كان في سابقه تناولت المحاضرات والمناقشات مبدأ الحرية الدينية في الاسلام وما اتسمت به الحضارة العربية الاسلاميـــة من تسامح وقيم انسانية نبيلة تنبذ العنصرية والتعصب . فقال د. مورسن وزير الدولة في مقاطعة بادن فيرتمبرج في محاضرته بعنوان « فضل الاسلام على المسيحية : التسامح » . .

إن الايمان الاكيد لا يدفع المرء الى البعد عن التسامح ، وليس هنـــاك محل لانكار عجز المسيحية عن التفوق على الاسلام في ميدان التسامح ، هذا على الرغم من انتشار معتقدات معاكسة لذلك مدة طويلة . وقد نشأت من هنا أحكام مسبقة عدة ، ساد بعضها نية هدامة ، وكان دافعها الاحساس بالتفوق والخشية في آن واحد . وما زالت تأثيرات تلك الأحكام قائمة بحيث تجعـــل نظرتنا إلى العالم العربي ما زالت قاصرة وغير مستقيمة .

وإنه لما يدعو إلى اعجابنا الفائق حتى اليوم تلك الروح النشطة التي زرعها محمد في نفوس قومه بعد أن كانوا قد عاشوا بعيدا عن التاريخ . ولكن الذي يثير فينا دهشة أعظم : هي تلك السرعة التي تحقق فيها تطور الفكـــر والفن في أعقاب التألق الحربي . وبفضل ذلك حوفظ للغرب على تراثه الثقافي الاغريقي الذي جمعه العرب واعتنوا به وطوروه على أحسن وجه إلى أن أصبح الغرب في وضع يسمح له بادراك هذا الكنز من جديد وقد كبر واتسع . على أن الأوربيين لم يستوعبوا هذه الحقيقة بصورة كافية .

وقد آن الأوان اليوم لنقر بأن تصلب العقيدة المسيحية قد استهدف في يوم من الأيام تحطيم معالم الحضارة التي لقبت بالوثنية ، ويكفي أن نشير هنا إلى مكتبة الاسكندرية التي تم تخريبها بصورة مريعة ، بينما كانت اليد العربية تعتني بها وتطورها . ولقد ساعد المبدأ الاسلامي المبني على عدم وجود تعارض بين الدين والعلم على تحرير العلوم في أوروبا من التصلب الـــذي تبنتـــه الكنيسة » .

المنابع الأصيلة للحرية الدينية في الاسلام :

وحرية العقيدة في الاسلام والتسامح الذي طبع عليه اهله في معاملة غيرهم من ابناء البشرية ، حتى انه لم يسع علماء الغرب المنصفون ممن ذكرنا وغيرهم إلا الاعتراف بهما كملمحين اساسيين من ملامح الدين الاسلامي، حريان بالعودةبهما الى منابعهما الاولى تأصيلا للفكر الاسلامي ودعما لمنهجهالصحيح. فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يسلك النبي عليه الصلاة والسلام الطـــرق الودية لنشر دعوته في الجزيرة العربية ومنها الى أرجاء العالم اجمع . فلم

ياخذ باسلوب القوة للقضاء على القيم الباطلة والذين يتمسكون بها ، ولكنه استخدم اللين والحسنى فى هداية الذين ضلوا عن سبيل الله ، واعتنقــوا الباطل ، عملا بقوله تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هــى احسن » . سورة النحل / ١٢٥ .

« ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم » العنكبوت / ٤٦ .

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » . فصلت / ٣٤ .

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا مــن حولك » . آل عمران / ١٥٩ .

ومن ثم يتبين أن الاسلام يدعو الى تغيير الفكر من طريق الحوار ، واتباع الجدل القائم على الاقناع بالمنطق حتى اذا فاء المضلل الى السبيل القديم كان ايمانه طواعية واختيارا لا جبرا وارغاما . ويستدل من ذلك على أن حرية الفكر مبدأ اسلامى تتفرع منه حرية العقيدة . فلا اكراه فى الدين لأن الدين قائم على الفكر والفكر حر . والدين لله والناس هم الفقراء إليه سبحانه وهو الغنى الحميد . وإنما شرع سبحانه وتعالى الايمان لهداية الخلق إلى ما فيه نفعهم وصلاحهم . ولقد بين لهم طريق الخير وطريق الشر . بيد ان هذه الحرية يقابلها مسئولية ، فمن اختار الضلال فعليه وزره ولا يلومن إلا نفسه .

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . الكهف / ٢٩ .

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . سورة البقرة / ٢٥٦ .

« افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » يونس / ٩٩ .

« قل يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون » هود / ٢٨ .

« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » الكهف / ١١٠

« قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين » النور/٥٤ .

« فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر » الغاشية / ٢١ ، ٢٢ .

« وما انت عليهم بجبار » ق / ٤٥ .

ومدلول هذه الآيات أن الاسلام يستنكر الاكراه الفكرى ويحرمه ولو كان سبيلا الى اعتناق دينه ، لأن الايمان تحرر من الخوف ، ولا يستقيم أن يكــون القهر والترهيب طريقا الى الامن والطمأنينة لأن الغاية لا تبرر الواسطة .

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، آلا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد / ٢٨ .

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . الأنعام / ٨٢ .

والدين الحق اعز عند الله من أن يدخل فيه الناس مقهورين لانه دين الاحرار ، وهو عقيدة تستقر فى القلب ، وينبغى أن يطمئن اليها العقل الــذى ميز الله به الانسان دون سائر مخلوقاته :

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » . سورة الحجرات / ١٤ .

لهذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حلقة متصلة من الحوار والمناقشة بينه وبين المشركين واليهود فى الجزيرة العربية طالمــا لم يرفعوا السيف على المسلمين أو يحولوا دون نشر العقيدة السمحة ، وبينه وبين ملوك ورؤساء الامم المجاورة كما دلت على ذلك مراسلاته إلى كسرى ملك فارس وهرقل ملك الروم والمقوقس عظيم القبط فى مصر .

ومثلما ينهى الاسلام عن القهر والعسف اسلوبا لنشر مبادئه ، كذلك لا يرتضى اعتناقها عن تقليد ، فهو دين العقل وعقيدة الارادة الحرة . وقد نعى على المشركين احتجاجهم بانهم يسايرون آباءهم فى معتقداتهم ووصمهم بالجهالة والعبودية :

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنـــا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » البقرة / ١٧٠ .

أو يتبعون كهانهم :

« قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » سورة التوبة / ٣٠ ، ٣١ .

اساس الايمان التدبر واعمال الفكر :

ودعا الاسلام الى استقلال الفكر واطلاقه من أسر التقليد بغير تدبر ، وحث الانسان على التماس الحقيقة ، معتمدا على قدرته العقلية ، وما أودعه الله فيه من فطرة سليمة فجعل أساس الايمان النظر فى خلق السمــوات والارض ، والتأمل فى حقائق الوجود . ولم يكتف بالدعوة الى الايمان باللــه ورسوله من طريق تحريك الضمير والوجدان بل طلب كذلك الاستدلال علــى وجود الله ووحدانيته بالتفكير السليم .

« إن فى السموات والارض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » . الجاثية/٣ ـــ ٦

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشاة الآخرة ان الله على كل شىء قدير » . العنكبوت / ٢٠ .

« الم تر ان الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم » الحج / ٦٥ .

« الم تر الى ربك كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكنا ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا » . الفرقان / ٤٥ .

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » . يونس / ١٠١ .

وكما دعا الاسلام الناس الى التحرر من الأوهام والضلالات من طريق التأمل والتفكير فيما يحيط بالانسان من مظاهر الكون ، دعاهم كذلك الـــى الاحتكام الى العقل فى ادراك نبوة الرسول ومعجزة القرآن الناطقة بصدقه :

« وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه ، قل انما الآيات عند الله وإنما انا نذير مبين » . العنكبوت / ٥٠ .

« أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » العنكبوت / ٥١ .

« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » البقرة / ٢١٩ .

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » الأعراف / ٣٢ .

« ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » النحل / ٦٧ .

والاسلام ينفرد بين الديانات السماوية بأنه استمد منهج تحرير الفكــر بالنظر الى الدين من خلال الانسان ، فإن من عرف نفسه عرف ربه .. وكان القدماء يبدأون بتقدير وجود الله ووحدانيته بأدلة منطقية فلسفية تخلو من الحياة ، ولا تستجيب لها النفس ، ولا يسلم بها العقل ، فجاء القرآن مقررا :

« وفى الارض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون » . الذاريات ٢١/٢٠ .

« فلينظر الانسان مم خلق » . الطارق / ٥ .

ونظرة الاسلام الى قضية الدين ، ان الايمان حق ، والحق رأس القيم الانسانية ، وانما ترسخ القيم فى النفس بالتدبر والتأمل . ومن ثم ينبغى أن تكفل لها الحرية فى الوصول الى العقيدة بوحى من وعيها وارادتها الخالصة . فالحرية الصحيحة فى الاسلام لا تفهم الا على أساس من العقل الذى أعلى الله من شأنه وجعل له القيمة الكبرى . ونص القرآن صريح فى الأمر بالتفكيــر واعمال العقل فى فهم آيات الله وكتابه وفى كونه :

« قل هل يستوى الأعمى والبصير افلا تتفكرون » . الأنعام / ٥٠ .

ذلك انه متى كانت الحرية هى عماد الايمان تحولت العقيدة الى عمــل

واصبحت سيرة وسلوكا للفرد ، فاستقام بناء الحرية ونشأت أمة من الاحرار ، وهذا أحد الأهداف العليا للدعوة الاسلامية .

لا اكـــراه فى الـــدين :

وقد كان تاريخ الاسلام السياسى تطبيقا لمبدأ الحرية الدينية فى جميع صوره بدون استثناء . فشرعت الغزوات لدفع الفتنة والذود عن العقيـــدة لا للاكراه على اعتناقها . فالاسلام دين ، ولكنه لا يحارب مخالفيه لمجـــــرد امتناعهم عن الدخول فيه ، انما يحارب العدوان لا اختلاف الاديان . فحروبه دفاعية سواء أكان المسلمون فى موقف المهاجمين أم كانوا هم المهاجمين ، اذ كان يفرض عليهم الهجوم أحيانا بوصفه خطة حربية لا مفر من انتهاجها لاحباط نية العدوان التى بيتها الخصوم ودل عليها انتهاكهم للمواثيق ، والاسلام يدعو الى مقارعة الفكرة بالفكرة ، فاذا عمد باغ الى السيف ، فقد فرضت الحرب على المسلمين ، وهم فى حل من صراع عدوهم بمثل ما اعتدى عليهم ، حتى لا يحول بينهم وبين بث رسالتهم بالحسنى وتأمينهم فى وطنهم وحريتهم وعقيدتهم فحربهم حرب عادلة ، وهى جهاد مشروع فـــى سبيل الله ، فلاجور فيها ولا عدوان على حرية أو عقيدة .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .. » البقرة / ١٩٠ .

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » . البقرة / ١٩٣ .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » . البقرة / ١٩٤ .

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » . التوبة / ٣٦ .

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » . الانفال / ٦١ .

« فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » . النساء / ٩٠ .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم أن الله يحب المقسطين » المتحنة / ٨ .

« ولايجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتـــدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » المائدة / ٢ .

« وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه » . التوبة / ٦ .

فشريعة الاسلام لا تبيح السيف الا دفعا لعدوان أو اتقـــاء له ، ولا سبيل للمسلمين على غيرهم اذا فاءوا الى السلام وقبلوا عقد عهد به ولم

ينقضوه ، بل انه يكفل لهم حق اللجوء الى اهله والاحتماء بهم ، ثم حرية المغادرة اذا شاءوا وان كانوا يضمرون معاودة القتال ، ذلك أن الخير الذى يصيبهم اذا اختاروا الدين الحق انما يعود عليهم ، ولا يعز الاسلام بقوم يدخلون كرها ، وانما يعز بالاحرار الذين يرتضونه عن وعى وارادة وايمان ، لان الحرية هى القوة وهى المنعة التى تنصر الحق وتنشر لواءه فى العالمين ، لا نبالى فى ذلك بالنفس والنفيس ، والعبرة فى الاسلام بقوة النفوس فى اخلاصها للعقيدة .

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » . البقرة / ٢٤٩ .

اتساع نطاق حرية العقيدة والمساواة فى الاسلام :

والاسلام يخلى بين المرء وربه ويحمله تبعة العقيدة التى يختارها ، وليس فى شريعته اكراه على التخلى عن العقائد والديانات الاخرى وهو لا يطلب من اصحاب هذه الديانات المقيمين فى داره الا التزام آداب المجتمع الاسلامى واحترام انظمته وقوانينه العامة ، بل انه يقر لهم بأحكام شريعتهم فى الاحوال الشخصية ، أما الجزية التى يكلف بادائها اولئك المواطنون فهى ضريبة رمزية لا تؤخذ الا عن يد أى مقدرة ، ومن ثم ترفع عن الاطفال والشيوخ والنساء ، فهى اشبه (ببدل نقدى) للتجنيد لا يكلف به الا القادرون على القتال والكسب معا ، ولا أدل على تسامح الاسلام واتساع مدلول حرية العقيدة فيه من اعفائه هؤلاء الأميين — الذين يشكلون جزءا من مجتمعه — من الحرب والاستشهاد فى سبيل قضية لا يؤمنون بها نظير قدر زهيد من المال يحسب فى اعداد شعائر الولاء التى تستوجبها كل الانظمة احتراما لسيادة الدولة ، فهو غنم أكثر منه غرما اذا قيس بضريبة الدم التى يدفعها المسلمون لحماية أنفسهم وحماية الأميين على السواء . اما اذا شاء هؤلاء أن يشاركوا المسلمين فى القتال ، فلا حرج عليهم وهم حينئذ يعفون من الجزية ، وليس ثمة مساواة بين المسلمين وغيرهم اكمل ولا أوفى من هذه المساواة ، فهـم لا يلزمون بغير الجزية فى أوقات الحروب ، ولا يكلفون بأداء الزكاة فى أوقات السلم مثلما يكلف بها المسلمون ، بل ان شروط الاعفاء من الجزية أهون منها فى الزكاة . وفى سبيل تأكيد هذه الضمانات التى سنها الاسلام لكفالة حرية العقيدة وامتدادها حتى شملت المساواة بين المسلمين والذميين فى الحقوق الاجتماعية على اختلاف أنواعها ، جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ صريح فى هذا الشأن ينص على أنه « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » . وجاءت فى الكتاب العزيز آيات فى ذكر عيسى ومريم واكرامهما حثا للمسلمين على تبجيلهما :

« قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » (مريم ٣٠/٣١) .

تآمر الأعداء

للاستاذ احمد محمد جمال

الذين كادوا للغة العربية كثيرون من مستشرقين ومستغربين . وغايتهم من ذلك القضاء على وحدة المسلمين التى هى ثمرة التقائهم على لغة واحدة هى لغة « القرآن » ولغة (السنة النبوية) ولغة التراث الحضارى الاسلامى المجيد ..

من المستشرقين المتآمرين على اللغة العربية : القاضى الانجليزى « دلمور » الذى عاش فى مصر، والف سنة ١٩٠٢ م كتابا سماه « لغة القاهرة » واقترح فيه قواعد اقترح اتخاذها لغة للعلم والادب كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية .

وفى سنة ١٩٢٦ م دعا « وليم ويلكوكس » مهندس بالرى حينذاك فى مصر الى هجر اللغة العربية ، وخطا باقتراحه خطوة عملية ، فترجم الانجيل الى ما سماه باللغة المصرية .

وممن اعلنوا آراءهم فى أهمية اللغة واثرها فى وحدة المسلمين وقوتهم : القس زويمر « سنة ١٩٠٦» الذى دعا ايضا الى القضاء عليها تمهيدا للقضاء على الاسلام ووحدة المسلمين . ومثله « وليم جيفورد بلجراف » الذى يقول : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى قبول الحضارة المسيحية التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه » .

ويزعم « أرنولد توينبى » أن اللغة العربية لغة دينية لا تصلح الا للطقوس والشعائر كالصلاة،ولتلاوة القرآن والدعاء .

وهناك المستشرق الالمانى « سبيتا» الذى بدأ الدعوة الى استعمال اللغة العامية لتحل محل العربية سنة ١٨٨٠ م .

— ● —

اما العرب المستغربون الذين حطبوا فى حبل اعداء الاسلام وكالوا بصاعه فمنهم :

— عبد العزيز فهمى عضو المجمع العلمى المصرى .. الذى تقدم سنة

على لغة القرآن

١٩٤٣ م باقتراح لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وشغل المجمع ببحث اقتراحه ثلاث سنوات حتى خصص المجمع جائزة مالية لمن يتقدم باحسن اقتراح لتيسير الكتابة العربية ..

ـ وسلامة موسى ، الكاتب المصرى المسيحى المعروف بعدائه للاسلام ، الذى أيد اقتراح(ويلكوكس) ان تكون هناك لغة مصرية للكتابة والتاليف ، وقال : « إن اللغة العربية لغة بدوية ، وإنها لغة رجعية متخلفة » !!

ـ ورفاعة الطهطاوى .. الذى دعا بعد عودته من فرنسا سنة ١٢٨٥ م الى استعمال اللغة العامية وتصنيف الكتب بها . ومثله الدكتور لويس عوض الكاتب المصرى .

ـ وكذلك سعيد عقل الكاتب اللبنانى .. دعا الى استخدام اللغة العامية ، وكتابتها بالحروف اللاتينية ، قائلا فى وقاحة عجيبة « من اراد لغة القرآن فليذهب الى ارض القرآن » ! .

ـ واحمد لطفى السيد ـ من مصر ـ دعا الى التسامح فى قبول المسميات الاجنبية ، وادخالها فى اللغة العربية زاعما ان استعمال المفردات العامية وتراكيبها احياء للغة الكلام والخطاب ، واننا بذلك نجعل العامة يتابعون كتابة الخاصة وخطبهم واحاديثهم .

ولئلا نطيل نحيل القارىء الى كتاب « الاتجاهات الوطنية » للدكتور محمد حسين ـ وكتاب « اباطيل واسمار » للاستاذ محمود محمد شاكر ـ وكتاب (تاريخ الدعوة الى اللغة العامية) للدكتورة نفوسة زكريا سعيد وكتاب « التبشير والاستعمار » للاستاذين عمر فروخ ومصطفى الخالدى .

وفى عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) انعقد فى برمانا فى لبنان مؤتمر ضم عددا من اساتذة الجامعات فى امريكة واوربا والبلاد العربية ، وبحث فيه

اقتراح فرنسى قدمه جاك بيول ، واندريه رومان ، ورولان ماتيه ... بايجاد لغة عربية جديدة تكون مفرداتها هى المفردات الأكثر تداولا بين الناطقين بالضاد .. أى استعمال اللهجات العامية الدارجة ، وذلك بحجة أن الاستعمال هو السيد الذى يفرض نفسه .

وهكذا يتكرر الزعم الفاسق أن الفصحى لا تستجيب للحضارة الحديثة ولا تستوعبها ، وانها عسيرة على الذين يتعلمونها ، ولا بد من استبدال حروفها العربية بالحروف اللاتينية ، وكتابتها باللهجات العامية الدارجة .. وقد قام فريق من الادباء العرب بتأليف الكتب ، ونظم الاشعار ، وكتابة القصص باللهجات العامية تطبيقا لهذه الدعوة الماكرة ، ومظاهرة لدعاتها الكائدين للاسلام والعربية ، ومحاولة لاقناع الجماهير بأن اصطناع اللغة العامية فى الأدب العربى والصحافة العربية .. انما هو اعتراف بحقها — اى الجماهير — فى العلم والفهم ، وفى التاثر بالرأى العام ، والتاثير فيه .

والدعاة الآخرون الى الشعر الحر، والشعر المرسل .. المنتقدون لقواعد القصيد العربى ، ونظام الوزن والقافية — ليسوا بعيدين عن ميدان التآمر على اللغة العربية وبلاغتها المؤثرة ، وادبها الممتع .

العربية متهمة بريئة :

وليس ادل على خطا هذه الدعوات والمحاولات ، وخداع حملتها ، وافترائهم وزورهم ، من الحقائق والتجارب العلمية والتربوية التالية :

اولا — أن ما تتهم به العربية من تقصير ليس فى ذاتها ، وانما التقصير الحقيقى هو فى نفر من المدرسين الذين يتولون تدريسها لطلابنا فى المعاهد والكليات ، ويؤلفون فيها كتبهم ومراجعهم — كما يقول الدكتور عمر فروخ .

ثانيا — أن احد اسباب الصعوبة التى يجدها الاطفال فى تعلم اللغة العربية : هو فرض لغة اجنبية عليه فى المدرسة فى سن مبكرة ، وأن ازدواجية اللغة فى هذه السن الباكرة هى الخطر الحقيقى الذى تتجنبه كل دول العالم . فاللغة الاجنبية يمكن تعلمها عند الحاجة اليها فى ثلاثة شهور ، كما يقول احد رجال التربية فى لبنان .

ثالثا — أن اللغة العربية حفظت التراث العالمى ، والعلمى بالذات ، واستوعبتهما قرونا طويلة ، من الزمن فكيف تعجز الآن عن القيام بالدور نفسه ؟!

رابعا — ان ثمة مصاعب تواجه كل لغة فى العالم ، وثمة طرق وأساليب للتغلب على تلك المصاعب اهمها بالتاكيد : تطوير طرق تدريس اللغة وتعليمها .

خامسا — يقول الكاتب الانجليزى «هكسلى» : ان كتابه العلوم والآداب باللغة العامية يضعف المواهب العلمية ، ويقضى على ملكة الانشاء

الفصحى . لذلـــك ينبغى أن نرقى بعقول العامة الى فهم لغة العلـــم والأدب العالمية .. لا أن ننزل بالعلماء والأدباء الى مستوى العامة)) .

ومع يقيننا الثابت بخسران هــذه المحاولات اللئيمة فى معركتها الفاشلة ضد اللغة العربية ، لغة القرآن ولغة الدين الاسلامى ، خسرانها اليوم وغدا كما خسرت بالامس القريب والبعيد — الا اننا لا نجد بدا من وقفة قصيرة ، نرد فيها الشبهة التى يختلقها الدعاة المتآمرون ، حول مقدرة اللغة العربية وكفايتها وبلاغتها ، ونفضح — الــى جانب ذلك — ما تقتضيه دعوتـــهم المنكرة من تخريب للمجد العـــربى ، وتذويب للشخصية العربية الاصيلـــة لغة وادبا وتاريخا وحضارة .

ان الدفاع عن اللغة العربية الفصحى هو دفاع عن القرآن ، وعن الـــدين الاسلامى قرآنه ، وحديث رسوله ، وتاريخه ، وتراثه الفقهى ، وذخائره الفكرية والأدبية الخالدة الماجدة .

واللغة العربية التى حملت هـــذا الميراث الضخم الفخم ، المتطاول على الزمن ، من حضارة الاسلام الدينيـــة والفكرية والعلمية منذ اربعـــة عشر قرنا — لا يعجزها ، بل لم يعجزهـــا فعلا أن تمضى فى رسالتها البيانيـــة والتاريخية الى الأبد الأبيد .

اما انها عسيرة على الـــذين يتعلمونها فهذا شان كل لغة أجنبيـــة يتعلمها من هو منغير أهلهـــــا فاللغـــة الانجليزيـــة أو الفرنسيـــة — مثـــلا — عســـــيرة عـــلى الذين يتعلمونها من العـــرب لكثرة ما فيها من شواذ فى القاعــــدة أو النطق أو الكتابة .. وهو ما لا يوجد فى العربية مثيله أو نظيره من عواقب الغاء الفصحى .

أما عواقب التذويب والتخريـــب التى يقتضيها استعمال اللغة العامية فى كل قطر عربى ، بديلا عن اللغـــة الفصحى — فيأتى فـــى مقدمتهـــا الانفصال التام بين شعوب البـــلاد العربية ، لان كل شعب منها سيقتصر على لغته المحلية تفاهما وتعامـــلا ، وتعليما وصحافة وتاليفا ، فيتعـــذر اللقاء بين الشعوب العربية على علم أو أدب أو تعامل أو فكر او عمل . وهذا ما تريـــــده ((الصليبيـــة الاستعمارية)) فصما للوحدة العربية التى وسيلتها اللسان العـــربى ، وقوامها الـــدين الاسلامى .

ونقول : ان قوام الوحدة العربية هو الدين الاسلامى ، لانه لا يمـــكن فصل الاسلام عن اللغة العربية ولا عن الامة العربية التى أعزها اللـــه بالاسلام ، والتى لا يمكن أن تحيـــا مجيدة سعيدة الا فى ظله الكــــريم العزيز .

ومن عواقب التخريب والتـــذويب فى هذه المؤامرة الماكرة الخـــاسرة : اهمال جميع الكتب العربية القديمـــة والحديثة المؤلفة بالفصحى — بما فى ذلك مراجع العقيدة والشريعـــة ، وعلى راسها القرآن والسنة ، والقيام — من جديد — بوضع كتب باللغـــة العامية أو بالحرب اللاتينـــــى ، والتدريس فى المدارس والمعاهـــد والكليات على الطريقة الجديدة بعد

الغاء المناهج الحالية ، وتخريج معلمين ومدرسين على النظام العـــامى أو النظام اللاتينى !!

قبول العربية فى الامم المتحدة :

وفى الوقت الذى نرى فيه تآمـر الاعداء على اللغة العربية نستمع الى نبا قبول اللغة العربية كلغة رسميـة مع الفرنسية والانجليزية ، والاسبانية والروسية والصينية فى الجمعيـة العامة للامم المتحدة ــ وهو دون شك انتصار رائع للعروبة وللاسـلام ، وبرهان ساطع على عالمية هذه اللغة الخالدة .. لغة القرآن ، ولغة رسول القرآن كما شهد بذلـك المنـدوب الأمريكى فى كلمته التى علق بها على قرار المنظمة الدولية بقبول العربيـة لغة رسمية فى المنظمة ..

ومما قاله المندوب الامريكى ديفز ستوتل ماير أيضا : ان اللغة العربية كانت همزة وصل ثقافية مهمـة بين الحضارة الغربية الحديثة وبين التراث الغربى القديم الذى نشا مع حضارة الاغريق والرومان ، ولولا الكثير من الاعمال والمؤلفات الغربية الكلاسيكية قد ترجمت الى العربية ثم أعيـدت ترجمتها مرة أخرى فى حقبة لاحقـة الى اللغات الاوروبية .. لكان الكثير من هذه الاعمال المهمة قد فقد ..

وجاء فى قرار الجمعية العامـة للامم المتحدة ، الذى اتخذته بالاجماع فى دورتها الثامنة والعشرين لسنـة ١٩٧٣ م : « ان اللغة العربية لعبت دورا مهما فى الحفاظ على حضـارة الانسـان وتراثـه الثقـافى وفى العمل على نشرهما .

وفى حديث مندوب مصر فـى المنظمة الدولية ــ عن أهمية اللغـة العربية: «ان أكثر من مائة مليون من البشر فى المنطقة التى تمتد من الخليج العربى فى الشرق الى شـاطىء الاطلنطى فى الغرب ، ومن جبل طارق فى الشمال الى الصحراء الافريقيـة والمحيط الهندى فى الجنـوب ــ يتحدثون اللغة العربية التى هى أيضا اللغة الرسمية لتسع عشرة دولـة عربية ذات سيادة ، وان العربية هى لغة القرآن وهو الكتاب المقدس لدى (٧٠٠) مليون من البشر .

العربية ولود ودود :

وبعد .. فان اللغة العربية التى وسعت كتاب الله كما قال حافـظ ابراهيم « لفظا وغاية » ــ ووسعت ــ أيضا ــ حضارة الاسلام خـلال أربعة عشر قرنا ، علما وادبا وفكـرا وتاريخا ، واستطاع علماء العـرب ومفكروهم ومترجموهم ــ قديما ــ أن يستولدوها كلمات ومعانى جديدة من لغات أخرى ، عن طريق التعريب والاشتقاق .

.. هذه الولود ، الفنية والسخية ليست عاجزة هم العاجزون . وهم الذين يخربون بيوتهم بايديهـم ، ويطفئون نور حضارتهم بافواههـم ، ويطمسون معالم شخصيتهم العربية الاسلامية الاصيلة بارجلهـم الا إن المتآمرين على الاسلام ، ولغتـه ، وتراثه الحضارى المجيد الرشيد ــ هم الخاسرون ..

كتاب الشهر

عقيدة المسلم

للاستاذ : محمد الغزالى
عرض وتلخيص : الاستاذ عبد الله عبد الرحمن الجعيثن

تمهيـــد :

ما اكثر الكتب التى عالجت امور العقيدة وما اقلها ، إن نظرت اليها من حيث الكم راعتك كثرة ، وان نظرت اليها من حيث الكيف لم يصف لك إلا القليل ، ذلك بأن جل كتب العقيدة وبخاصة القديمة قد دخل فيها عيبان كادا يفصلانها عن عامة الناس ، ويبعدانها عن ميدان القيادة والتاثير ، هذان العيبان هما : ـــ

اولا : الاسلوب المعقد ، الذى يعالج شؤون العقيدة كما يعالج نظريات الجبر والهندسة ، بادلة عقلية منطقية قد تروق الذهن ويقبلها العقل ولكنهـــا ابدا لا تمس عاطفة ولا تحرك شعورا ..

وثانيا : الخلافات العريضة العميقة ، التى تدور على الهين والخطير وتشغل عن الاصل بتعبئة الحجج وتهيئة البراهين ، والهجوم على ادلة المخالفين ، وكثيرا ما تتعدى ذلك الى التشهير بالمخالف وتجريحه ، وربما تكفيره ، وان كان الخلاف إنما نشأ عن اختلاف الأفهام ، اى عن مجرد اجتهاد لايلام صاحبه وان أخطأ .

لذلك كان هذا الموضوع الجليل الخطير ، موضوع العقيدة فى حاجة ماسة الى الاقلام الناضجة الحكيمة ، تملأفراغ هذا الميدان الهام ، بكتب جيدة سليمة ، بعيدة عن إثارة الخلاف ، بعيدة عن اهمال وجدان الانســـان ، والركون الى **عقله وحده ..**

وكتاب هذا الشهر فى طليعة الكتب السليمة القويمة ، الرائعة القوية التى تسد جانبا مهما فى هذا المجال .

المؤلف : الشيخ محمد الغزالى داعية إسلامى كريم ، تتلمــذ على كتبــه

الالوف ، واحبوه على البعد ، احبوا فيه قوة الايمان ورضا النفس ونبلها ، واحبوا فيه أسلوبه الادبى الجميل ، ونظراته الدقيقة الصائبة ودعوته الدائبة الى اتحاد الكلمة واجتماع الأمة على الأساس السليم ونبذ كل خلاف ووأد كل خصام .

وقد اشار فى مقدمة الكتاب الى ما دخل كتب العقيدة من خلط ونقص ، ودعا الى العودة الى طريقة القرآن الكريم تلك الطريقة التى تمس شغاف القلب وتنفذ الى أعماق النفس ، ببساطة تشابه بساطة الشمس فى ظهورها ، وبساطة الزهور فى تفتحها ، وبساطة المياه فى تدفقها ، فموضوع العقيدة انما يخص دخائل النفوس ومن الخلط والبعد عن الواقع والتنكر لفطرة الانسان أن ننفذ الى دخائل النفوس والفطر بالأدلة المركبة المعقدة ، التى لا يكاد يفهمها الانسان حتى يتصدع .

الكتاب : طبع للمـــرة الخامسة فى ٢٦٤ صفحة ، ويعالج عدة حقائق من ابرزها :

وجود الله . كمال الله . القضاء والقدر . الخطيئة والمتاب . النبـــوات . الخلـــود .

ويمتاز الكتاب بالأسلوب الأدبى الممتع الجميل ، وهو اسلوب قوى مؤثر ، يعرض على الانسان حقائق هذه الحياة ، وما بعد هذه الحياة ، فى اطار جديد ، وبشكل آسر جليل ، يجعله يقف كثيرا يتملى فيما قرأ ، ويفكر فيما وجد ، وان كان ما قيل فيه معلوما معروفا ، ولكن الحقيقة المعروفة اذا مرت على عواطف الأديب التهبت واضطرمت وصار لها وهج جديد ، ولون خاص فريد ، يحمل نفس هذا الأديب وانطباعه الخاص .

وكذلك تجد فى الكتاب الحقائق العامة المعروفة وقد حلقت بهـــا عواطف الأديب وجنحتها فصرت ترنو اليها مأسورا مبهورا ، ويلذ لك أن تحلق معها وترتاد آفاقها الجميلة الجليلة .

واذا اضطر المؤلف الى الأدلة العقلية خفف من جفافها باللفظة الحلـــوة ، والتشبيه البديع ، ونحو هذا مما يفر اليه الأديب كلما ضاق أمامه الميدان .

والمؤلف يقف متمهلا مطيلا أمام كل موضـــوع حى له صدى فى الواقع ، فيناقشه بأسلوب الأديب وقوة العالم ، حتى يجلى فيه الحق ساطعا قاطعا ، ومن ذلك على سبيل المثال انتشار قالة خطيرة خبيثة بين الناس هى أنه لا يضر مع الايمان عمل ، ومنه ما يعلو توحيد العامة غبار وما يرين عليه من عـــادات مالها من سلطان ، والمؤلف فى تعرضه لهذا الأمر الخطير دقيـــق حريص على الا يكون هناك خلاف الا خلافا من ورائه الخير .

كذلك نرى فى الكتاب عرضا عابرا لكثير من الأمور الهامة ، مثل تكاسل المسلمين وتواكلهم ومثل أنكار البرود الذى تسير عليه العلوم الطبيعية . والدعوة الى ربطها بالموجد الاعلى ، واستغلالها فى تمكين التوحيد وتثبيته فى النفوس .

والمؤلف يبدع بأسلوبه الجميل ، حتى اذا تكلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على الخلود وطبيعة هذه الحياة حلق فى سماء الابداع ، فأراك

الواقع الحق بأسلوب شاعرى حالم ..

قال فى الكلام على الدنيا (قبل أن نأتى الى الحياة الدنيا ، كم سبقتنا من عصور ؟ وبعد أن نغادر هذه الحياة كم ستعقبنا من اجيال ؟ وما نسبة هذا العمر المحدود بين ما سبقه وما لحقه من أزمنة ؟ انه قليل قليل ، ولكن من هذا القليل الممنوح لى ولك ، تتكون الحياة الدنيا ، من هذا الظهور المحفوف بالفناء قبلـه والخفاء بعده تعمر الارض ، فى طريق الحياة الممتد يجرى جيل من البشر وما يزال يجرى ، حتى اذا نال منه الكلال وادركه الاعياء مات .. وقبل أن يخلو الطريق من الانفاس اللاهثة والاقدام اللاغبة ينبت جيل آخر يستأنف السعى ويمثل الدور نفسه . ويسحب الجيل المنهوك ، فيلف فى الاكفان ويوارى فى التراب .

هذه هى مواكب الحياة .. عمل متواصل من اعمار متقطعة ، لكن ما معنى ذلك ؟ .. اهذا فقط كل حظ الانسان من الوجود ؟ ..

ونبادر الى الاجابة الحاسمة : لا .. لئن كانت الحياة على ظهر الارض بهذه المثابة ، ان الحياة التى تليها هى الأمل الأسمى والحظ الاوفر .

ولو كان العيش فى هذه الدنيا هو كل شىء ، لكان الانتحار العاجل أولى بالناس أجمعين .

إن الدار الآخرة هى الحيوان ، والاستعداد لها هو وظيفة العقلاء فى هذه الفترة الضيقة من آجالهم .

والحصيف هو الذى يوزع اهتمامه على كلتا الدارين بقدر ما تستحقانه ، فيجعل عمله لهذه بقدر مقامه فيها ، وعمله لتلك بقدر بقائه فيها) .

وقال فى الكلام على اختلاف الرسل فى ميدان العظمة : (وأقدار الرسل تتفاوت سناء وسموا ، فالرسول فى قبيلة محدودة أفضل منه رسول لمدينة فيها مائة الف أو يزيدون أفضل منه رسول لشعب بأسره ، وصاحب الكتاب المستقل أفضـل ممن يحكم بشريعـة سابقـة ، ولا نزال نرقى فى مـراتب العظمة ، ولا نزال نحـلق صعدا نحـو القمـة ، ولا نزال نقطـع أشواطـا بعـد أشواط فى مدارج الكمال البشرى ، حتى نصل الى مستوى تنحسر دونه أبصار العباقرة مهما طمحت ، وتتطامن عنده أقدار الأنبياء مهما عظمت لنجد صاحب الرسالة العظمى الى خلق الله قاطبة ، ملتقى الفضائل المشرقة ومظهر المثـل العليا التى صورتها الخيالات ثم صاغها الله انسانا يمشى على الارض مطمئنا .

ذلكم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وذلكم منزله بين عباقرة الارض وأمناء الوحى .

أفق للمجد يزهو على كل افق ، وتسطع فيه اشعة متموجة تنطلق بالحب والحنان والرحمة والعقل والفراسة والحكمة . هيهات هيهات أن يدرك كنه ذلك احد ، فالعظيم لا يعرفه الا عظيم مثله . ومن كمحمد فى الناس ؟؟

وبعد : فتحية بارة صادقة الى المؤلف البر الكريم ، ودعوة صادقة نرفعها الى الله ان يعينه على تاليف مثل هذا الكتاب الغالى الثمين .

بهيسة فتاة طيء

كانت اخبار الحرب الدائرة بين قبيلتي العرب الكبيرتين عبس وذبيان حديث كل القبائل يتناقلون وقائعها ويروون اشعارها وكثيرا ما يثور الجدال بين مؤيد لتلك القبيلة ومعارض لها حتى بين أفراد الأسرة الواحدة على أن كثيرين من عقلاء العرب كانوا يستبشعون هذه الحرب التى كادت تأتي على كل افراد الحيين الكبيرين لا تدع امراة ولا شيخا ولا طفلا .. ولكن ما الحيلة .. ؟ هكذا قال الحارث بن عوف المرى الملقب بسيد العرب وهو يستمع حزينا الى ابن عم له وهو يقص عليه كيف شاهد احدى القبيلتين تستاق أمامها نساء القبيلة الأخرى فى منظر ذليل يخزى له كل العرب ..

على أن ابن العم أراد أن يبدد جو الضيق الذى ران على المجلس فأدار دفة الحديث جهة أخرى وقال :

حقا .. ما الحيلة .. دع كل شيء للأيام .. واخبرنى عن زواجك ... أما وفقت بعد الى العروس التى ترضى عنها .. وترضى عنك؟وتساءل الحارث مستنكرا .. ماذا قلت اخيرا .. « وترضى عنك ؟ » .. ماذا دهاك هل ترى أحدا من العرب يردنى .. أو أن هناك من لا تتمنى أن تكون عروسا لسيد العرب .. ؟ !

وجابهه ابن العم فى صراحة : نعم هناك من يردك .. خذ مثلا .. اوس ابن حارثة الطائى كما اعتقد ..

— مهلا .. سترى بنفسك الجواب وبأسرع ما يسعفنا الزمن .. ان كلماتك ستكون حافزى للتعجيل بالسفر الى أوس بن حارثة .. ما رأيك فى مصاحبتى ؟

— حتما .. حتى ولو لم تدعنى .. فما أشوقنى لان أرى على وجهك

قصــة

للأستاذ محمد على الزيات

علامات الخيبة تحتل مكان التيه والاعجاب يا حارث ..

وفى صبيحة اليوم التالى بكر الحارث وابن عمه يصحبهم عدد من العبيد والاماء قاصدين ديار أوس لخطبة احدى بناته .. وقطع الركب رحلة طويلة شاقة الى أن وصل فى النهاية الى دار أوس .. الذى كان فى فناء منزله يرعى بعض شئونه فنزلوا عن خيولهم ثم تقدم منه الحارث وسلم عليه فدعاه ومن معه الى الدخول غير انه اجاب :

ــ الشكر لك .. فنحن فى عجلة من أمرنا .. لقد جئناك فى أمر .. ونطلب جوابك الساعة .

ــ خيرا .. ؟

ــ جئناك خاطبين .

تغير وجه أوس وقام متجها الى الداخل وهو يقول بغضب : لا . لست هنا .. رافقتكم السلامة ورأته زوجته على هذه الصورة فاستوضحته الخبر فقص عليها ما كان من الحارث بن عوف وكيف أنه جاء اليه خاطبا وهو راكب فرسه وكأنما جاء يطلب سلعة يشتريها .. فأخذت تهون عليه قائلة ألست تريد أن تزوج بناتك ؟

ــ نعم .

ــ واذا لم تزوج سيد العرب فمن تزوج اذن ؟ ومضت لحظة صمت أحس خلالها انه تسرع فى الجواب . فقال : لقد حدث ما حدث ولا سبيل الى الرجوع فيه ..

فأجابته فى رجاحة عقل : لا تضع وقتا : الحق به ورد ثانية واعتذر اليه بأنك لقيته وكنت متألما لأمر ألم بك وقتذاك .. فكان الجواب الذى سمعه ..

وركب أوس فرسا قويا واخذ يعدو فى الصحراء خلف ضيوفه الى أن

لحق بهم وقد خيم عليهم جو من الوجوم والانقباض سرى اليهم من « سيد العرب » الذى سيطر عليه الصمت والخزى فلم يجرؤ على النظر الى وجه ابن عمه الذى سبق وتحداه .

وتناهى إليهم نداء عرفوا فيه صوت أوس يدعوهم الى العودة .. وباحساسه أدرك الحارث أن اوسا قد راجع نفسه .. فعادت الدماء تكسو وجهه من جديد .. واستدار الركب ثانية بصحبة مضيفهم .

ودخل أوس الى منزله فدعا بكبرى بناته وقال لها : يا ابنتى : هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاءنى خاطبا وقد رايت أن أزوجك منه فما تقولين ؟ فأطرقت لحظة ثم قالت :

— أبى .. لا تفعل ذلك فنظر اليها مستوضحا فأكملت : لست بابنة عمه فيرعى رحمى وقرابتى وليس بجارك فى البلد فيستحى منك .. ولا آمن أن يجد فى ما لم يتوقعه فيطلقنى فأعيش العمر تعيسة .

فأجابها مكبرا سعة افقها : اذهبى بارك الله فيك .

ودعا بابنته الوسطى وقال لها ما قال لأختها الكبرى فقالت : انك تعلم .. يا أبى وغير خاف عليك : أننى متهورة لا أحسن معرفة الاشياء ولا كتمان الأمور .. كما أننى لست بذات صنعة تحسنها يدى ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيردنى وليس بابن عم فيرعى حقى ولا جارك فى البلد فيستحى منك فقال قومى : بارك الله فيك .

ودعا بابنته الصغرى وكانت تدعى « بهيسة » فقال لها ما قال لأختيها : فأجابت فى ثقة : أنت وما رايت فأجابها : ولكن يا ابنتى لقد عرضت هذا الأمر على اختيك فأبتاه — ولم يذكر لها مقالتيها — فقالت فى اعتداد: لكنى والله الجميلة وجها . الصناع يدا . الرقيقة خلقا .. الحسيبة ابا . فان يطلقنى فلا اخلف الله عليه بخير فقال : بارك الله عليك هكذا كنت أنتظر منك .. وانطلقت الزغاريد واغانى الجوارى والاتراب .

وكعادة رجالات العرب امر اوس بتهيئة منزل خاص للعروسين . وبين دقات الطبول واغانى الحى والمشاعل تغمر الصحراء زفت بهيسة الى عريسها .. وازاح العريس النقاب عن وجهها فأخذه جمال رائع ينطق بالكبرياء وعزة النفس فتهيبه وكاد أن يتراجع اكبارا واجلالا لهذا الجمال .. فطبع على جبينها قبلة كأنه يودعها شكره لله أن اعطاه كل هذا الجمال .

وحينما أراد أن يضمها بين ذراعيه صدته فى رفق مبتسمة : كفى الآن ذلك .. وصاحت احدى الجوارى : سيدتى : هل يمكننى أن ادخل ؟ فأجابتها : ماذا تريدين يا زبيدة ؟ قالت : العشاء .. ودخلت الجارية حاملة قصعة من الثريد يحليها اللحم .. ولم يكن بالعروسين حاجة الى الطعام ولكنهما وجدا فيه فرصة لاخفاء الاضطراب .

ورفعت المائدة وانتحت العــروس جانبا تتخفف من بعض ثيابها فوقــع بصر العريس على قطع من جسدهــا اثارته فعجل اليها فردته .. غير أنها قرأت ما يدور فى نفسه فقــالت : السـت زوجتك ؟ قال نعم قالت فـلم العجلة قال : ولم التأخير ايضا ، فهم بأن يجذبها اليه ثانية فقالت فى غضب: هذا لن يكون بين أهلى وأشقائى .. ايسرك ان تفخر بأنك اسلت دمى على فراش أبى .. أم يطربك صرخة قد تنساب رغما عنى فيسمعها اهلى .. أم يثير فخرك أن ترى أمى وشقيقاتى وهن يرفعن فراش ليلة العرس .. لا .. لن يكون ذلك بين أهلى وجيرتى .

وفى الصباح المبكر ايقظ « سيــد العرب » رجاله وودع أصهــاره بين بكاء العروس ودعوات الاهل لهــا بالخير .. ثم انطلق بجانب هــودج عروسه وخلفهما الجوارى والغلمان ينشدون الأهازيج .. وراحت القافلة تقطع الصحراء بجمالها فى ودياتهــا وقيظها ولفح هوائها .. بينما راح « العريس » يستحث رجاله وتبعه على المسير فقد بدت لهما على البعد شجيرات خضراء ليقيلوا تحتها .. وسرعان ما تغلبت عليه فكرة ما ..

وعندما وصلوا الى هذا المكان امر فانزلت العروس وضربت لهما قبة على جانب منه . وانتحى الاتباع فى جانب آخر .. وفى قبتها راحــا يتناولان الطعام ويتبادلان الحديث .. ولكنــه كان يغالب فكرة افصح عنها بريــق عينيه فمد يده اليها غير انها أزاحتها فى استياء وهى تقول : والله لن يكون ذلك فى الطريق .. هل تفعل كمــا يفعل بالأمة الجلبية او السبية الأخيذة أو بائعات المتعة على قوارع الطرق ؟ .. الا تخشى اذن امة .. أو عين عبد تلصص فيصبــح ما نضن بحفظــه حديثا مباحا يتداولونه فى عبث !! لا والله لن يكون الآن من اجل نزوة عابرة .. هيا بنا الى بيتنا فقد شاقنى ان أراه وأرى جيرتى واهلى الجدد .

ووصلت القافلة اخيرا فاستقبلها اهل الحى على مشارف الديار وهــم يلوحون بالسيوف وسعف النخيــل ويرددون الاغانى البدوية وقد امتلأت بأصواتهم جنبات الوادى مما أدخــل البهجة الى قلب العروس وجعلهــا تنسى ما كان يعتريها من اثــر الفراق لمنزلها الذى عاشت فيه أيام شبابها .

وظن العريس ان حلمه قد دنا منه وان هى الا سويعات حتى يرتشف من الكأس التى اضناه الظمأ اليها طويلا .. ومر الوقت بطيئا كأنما توقفت عجلات الزمن ..

وحينما أسدل الستار دون المدعوين تنفس الصعداء وشعر بارتياح فقــد ظن ان ذلك نهاية المطاف .. واقبل على عروسه يساعدها فى خلع ثــوب الزفاف وهو يمطرها بسيل من القبل وشجعته ابتسامة الرضا فى عينيهــا فحملها الى الفراش .. ثم اقبل عليها فى عجلة .. لكنها فجأة قطبت بين حاجبيها وعبست فى وجهه محذرة له ان يأخذها عنوة والا فانها لن تغفر له ذلك طيلة الحياة .. فذهل لهــذا

الصد واعترته ثورة ما هذا الهــراء الذين تقولين .. لقد استجبت لكل ما طلبت وكان بوسعى الا التفت اليك .

فاعتدلت فى جلستها واجابته فى لهجة جادة : لقد سمعت عنك كثيرا من مواقف المروءة وخصال الشرف ما تمنيت معه أن أكون لك .. ولـكن خيل الى الآن أن ما سمعته كان وهما ومجرد أحاديث تروى .

قال وقد ارتاع غضبــا : كيف ؟ افصحى وراح يهزها بعنف .. هــل رأيت فى ما رابك .. أو اسقطنى من ناظريك ؟

قالت بعقلية سبقت بها الــزمن : اتفرغ للمتعة مع النساء والعــرب تقتل بعضها بعضا ـــ مشيرة الــى الحرب الدائرة بين عبس وذبيــــان فأجابها مستنكرا : وماذا يعنيك انت من الحرب ؟ بل وما دخل النساء فــى تلك الأمور ؟

فنظرت مستصغرة شأنه قائلة :

أانت الذى تقول ذلك ؟ يالضيعة آمال علقتها عليك .. وانتحت تغالب دموعا قلما عرفت طريقها الى عينيها يوما .. فدنا منها يحاول تهدئـــــة عواطفها الملتاعة وقد بدت أمام ناظريه اكبر من كل نساء الارض جميعا فقد دعت الى أمر لم يدع اليه الا قلة قليلة من حكماء العرب ذوى السنين .

قال لها .. وبم تشيرين يا بهيسة ؟

ـــ أن تسعى لوقف قعقعة السيوف .. لوقف هلع الأمهات .. وبكــــاء الصغير .. وخوف الحرائر والعذارى .. وعودة الأب الأسير .

وظهور الخائف والمستجير .

ـــ حسنــا .. سأفعــــل .. يا بهيسة .

وانطلق الحارث يحدث زعماء القبائل فى شأن المتقاتلين ويدعو الى التكاتف من أجل الصلح .. واجتمع عـــدد من كبار رجالات العــرب وزعمــاء القبيلتين المتحاربتين لدى الحــارث لوضع نهاية لهذه الحرب .. فانتهى المجلس الى أن تعد كل قبيلـــة قتلاها وما زاد لاحداها يتحمل «سيد العرب» دفع ديته حسب المتبع عند العــرب .. وشهد الحاضرون بذلك وانطلق الشعراء وعلى رأسهم زهير بـــن ابى سلمى يمدحونه ويذكرون له موقف السلام .. الذى كان وراءه عروسه بهيسة .

وحينما انتهى من ذلك كانت اخبار وقف الحرب قد سبقته الى عروسه التى كانت تنتظره وملء عينيها اعجاب واكبار .. وثقة وانتصار .

فبادرها : ثم ماذا .. عن اى شىء يا ترى قد تفتق ذهنك هذه المرة ؟؟

ـــ لا شىء ..

ـــ أحقا ما تقولين ؟

ـــ لقد أحببتك قبل ان اراك ..وحق لى اليوم ان افخر بحبى لك حين رأيت الحب يعود من جديد الى احياء العرب على يديك ..

ـــ لا .. بفضلك انت يا بهيسة .. فأنت أحق منى بالمــــديح ومفاخر الشعراء .

بأقلام القراء

مواقف رائدة فى حياة رسول الله

حديقة النبوة حديقة رائعة ، لها عظيم الاثر ، وعظيم الفوائد ، جمعت من اخلاق عالية وصفات حميدة ، ما لا يستطيع اى انسان ان يشرح كنهه ، روى ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل غزوة أحد . حضروا اليه . وقالوا له : ان العدو فى طريقه الينا يريد ان يقضى علينا .. يسكت رسول الله قليلا ثم يرد على أصحابه بأسلوب القائد المحنك الذى لا يتسابق الى اراقة الدماء ، ولا يسعى الى المجد والشهرة . وانما دابه . نشر كلمة الله على الارض ، واخراج الناس من ظلم العباد الى عدالة السماء .

يقول الرسول لهم : انى أرى ان لا نخرج اليهم .. يسكت رسول الله بعد ابداء رايه أمام اصحابه .. ويتكلم كثير من المسلمين معلنين رايهم : نحن نرى أن نخرج اليهم ونقاتلهم .. ويدور الحوار الرائع بين القائد الاعلى وبين ما نسميه فى عصرنا الحاضر . بالمجلس الاعلى للقوات المسلحة .. ولكنه فى الحقيقة مجلس الشعب الواعى .. لقد علمهم رسول الاسلام الحرية فى ابداء الراى . فلم يكن فى المجلس كبت للآراء ومحو للافكار . ومن هنا ، كان الراى على عكس ما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا فى اعتقادهم . انه هو الصواب .. لما راى رسول الله عليه السلام ان الاغلبية ترى عكس ما يرى .. طلب من أصحابه أن يستمهلوه وقتا من الزمن .. واثناء هذا دخل حجرة احدى زوجاته فلبس ثياب المعركة .. ثم دخل عليهم وهو بثياب الجهاد فى سبيل الله .

.. لم يكن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تطبيقا عمليا لقول الله تعالى فى سورة آل عمران : « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » .

حين نتأمل هذه الحادثة فاننا نرى كيف ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه على الحرية فى ابداء الراى . لم يفرض عليهم فى يوم من الايام — وهو الذى ينطق بوحى السماء — رايا معينا . كما لم يكن رسول الله من أولئك الذين يسعون وراء الشعارات البراقة . بل كان عليه السلام مثلا حيا لأصحابه . احترم آراءهم وأخذ بها فى كثير من الاوقات .. ومع انه مؤيد بمعجزات الحق تبارك وتعالى . فقد كان لا يأخذ براى الا بعد أن يستشير اصحابه .. فى غزوة بدرقبل أن ينزل منزلا . استشار أصحابه . وعندما اتضح له صدق راى الحباب بن المنذر أخذ به .

ان حبيبنا يعلمنا أن نفسح الصدور ، وأن نقبل كل نقد بناء يهدف الى ما فيه خير أمتنا ومجتمعنا وعروبتنا . لا غرابة ابدا فى كشف السلبيات ما دام الغرض من ذلك تصحيح الاوضاع وسد باب الاستثناءات ..

.. اما اذا كان الغرض الوصول الى مارب دنيوى او كشف عورة

انسان فان الاســلام يقف أمام هذا وقفــة تقوم على سد البــاب الذى يؤدى لا محالة الى تفتيت الجبهة الداخلية وهدم وحدتها . .ولعلنا نرى ذلك واضحا فى موقف رسول الله .. حين رأى أن غالبية المســلمين يرون الخروج الى المعركة . وكان رأى رسول الله عدم الخروج . ما كان منه عليه السلام الا أن نزل على رأى الاغلبية حفاظا على وحدة الأمة وجمعا لشملها .. وهذا هو دأب رسول الله قبل الاسلام وفى الاسلام ..

ان حياته عليه الصلاة والسلام تستدعى التأمل والتفكر .. تجمع بين رجاحة العقل ، وصفاء الذهن وعمق التفكير ، واغلاق نوافذ الشر ووضع كل السبل لجمع الشمل . وسد منافذ الشيطان . لقد بعث عليه الصلاة والسلام ليوحد لا ليفرق ، وليحسم الامور قبل أن تستفحل ، وليقضى على مواطن الفتن قبل أن تشتعل فتأكل الهش والسمين . لم يستطع الشيطان أن يزحزحه عن هدفه ورسالته . لم تنتصر فى نفسه المصلحة الفردية على المصلحة العامة ابدا .. لقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يجمع القلوب قبل أن تشتعل نار الحرب. فى سن الشباب . فعل ما لم يفعله العباقرة . حتى شهد له الاعداء بالفطنة النادرة ..

.. لقد اختلفت قريش بعد اعادتها لبنــاء الكعبــة فيمن يرفع الحجر الاسود حتى وصل بهم الامر الى أن فكر بعضهم فى اخراج الســيوف من اغمادها ولكنهم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل عليهم .. وشاءت ارادة الله أن يكون المصطفى عليه الصلاة والسلام أول داخل على القوم . لقد نطق الجميع : هذا هو الامين .. نعم الامين فى نظر القوم . لأنهم لم يعهدوا فى حياتهم انسانا اتسم بالأمانة كرسول الله .. ولفظ الامين يجمع بين معانى الامانة كلها ..

.. واستطاع الامين أن يحسم الامر وأن يجنب القوم ويلات الحروب .. وحينما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جمع بين الاوس والخزرج فى بوتقة واحدة . هى الاسلام . صفى الاحقاد . وطهر القلوب ووحد بين الانصار والمهاجرين وجعل اخوة الاسلام هى النسب الحقيقى .. من هنا حقق المعجزات ورفع راية الاسلام .. لم يغضب لنفسه ابدا .. وانما كان غضبه لله دائما .

ما أحوجنا أمة الاسلام .. أن نقف أمام كل واقعة من حياة رســول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فهم وعمل لنستفيد منها .. ففى حياته عليه السلام ما يوصلنا الى بر الامان فى حياتنا وما يحقق لنا التقدم الحضــارى والفكرى والادبى .. وما يجعلنا قادة للبشرية بفكرنا وتراثنا وأخلاقنا ..

ان رسولنا عليه الصلاة والسلام حينما طلب منه بعض أصحابه أنيدعو على كفار مكة بعد هزيمة المسلمين فى غزوة أحد — وهو مستجاب الدعاء عند الله — ما كان من رسول الله عليه الصلاة والسلام الا أن توجه بالدعاء لهم . لا عليهم فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

ومن هنا يعلمنا الا نشمت فى أحد أبدا . وأن يكون لساننا ناطقا بالخير على مدى الدهر حتى يحس العالم بأننا دعاة سلام حقيقى نسعى اليه وندعو اليه ونوفى كل التزام نحوه .

الاستاذ فكرى حسن اسماعيل

قالت صحف العالم

فيصل بن عبد العزيز

فجعت الامة العربية والاسلامية بسماع نبا اغتيال جلالة الملك فيصل يوم ٧٥/٣/٢٥ .. وتتابعت الاحداث والمسلمون فى ذهول مما جرى .. واذا كان قضاء الله لا يرد .. واذا حان موعد الرحيل عن دنيانا فهيهات هيهات ان يتاخر .. وانتقل الفقيد العظيم الى جوار ربه مرضيا عليه من المسلمين فجزاه الله عن امة الاسلام خيرا .. وجعل فى خلفه الملك خالد بن عبد العزيز خير العوض ..

وقد نشرت مجلة (الشهاب) اللبنانية مقالا عن المغفور له الملك فيصل نقتطف منه ما يلى :

مات فيصل بن عبد العزيز ، ولئن كان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيا قاطعا عن أن نزكى أحدا على الله سبحانه وتعالى ، فاننا نرجو أن يكون الفقيد قد أفضى الى ماقدم ، وما يقال عنه بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى هو ما شهدت به مواقفه وشهد له به العالم ، والخصم قبل الصديق .

بويع — يرحمه الله — ملكا على المملكة العربية السعودية فى فترة عصيبة كانت المنطقة العربية خلالها تموج بالمحاور وتصطرع بالخصومات ، وكلما كان خصومه يوغلون فى الخصومة كان هو يعتصم بفضيلة الصمت والعمل الهادىء الرصين ، مؤملا أن التاريخ سينصفه وسينتصف له . وكان . فما عرف الانتقام الى نفسه سبيلا ، ووقف فى مؤتمر الخرطوم يعلن دعمه لدول المواجهة مع اسرائيل .

واذا كان العالم قد شهد خلال السنوات القليلة الماضية سلسلة من مؤتمرات القمة الاسلامية ومؤتمرات وزراء الخارجية وعقد ندوات ومؤتمرات فى اكثر من طرف من أطراف العالم باسم الاسلام فان كل ذلك يعود الفضل فيه — بعد الله — الى ذلك الرجل الذى رفع لواء التضامن الاسلامى فى وقت كان العالم العربى فيه يعانى هجمة ماركسية عاتية ، وتابع الطريق حتى كان أول مؤتمر للقمة الاسلامية ..

صحيح أن هذه المؤتمرات لم تنقذ أوضاع المسلمين المتردية ، الا أنها كانت خطوات فى الطريق الصحيح استطاعت أن تشكل بالنسبة للمسلمين فى كل اقطار الارض أملا بمستقبل يحكمه الاسلام ويرسم معالمه ، وبقيت هى الوحيدة خلال هذا القرن على المستوى الرسمى التى طرحت اسم الاسلام من جديد بعد غياب طويل وتعتيم لئيم على كل ما يمت الى الاسلام بصلة ، واستطاعت هذه المؤتمرات أن تفرز بعد ذلك محاولات طيبة يمكن أن تكون اكثر فعالية فى حياة المسلمين ، مثل الامانة العامة الاسلامية ، والبنك الاسلامى ، ووكالة الانباء الاسلامية . واذا كان اثر هذه المؤسسات الاسلامية الرسمية او شبه الرسمية

غير واضح فى المنطقة العربية فان اثرها ملموس فى القارة الافريقية واقطار الاغتراب . فالدعاة المسلمون الذين توفدهم رابطة العالم الاسلامى او الجامعة الاسلامية ، والمراكز الاسلامية والمؤسسات التعليمية والمساجد .. كل ذلك ترك اطيب الأثر فى نفوس المسلمين المنتشرين فى اصقاع الارض ، وجعلهم يحسون أن هناك من يفكر بهم ويعالج قضاياهم ، ويمدهم بالدعم ولو كان رمزيا . ولقد كان لاسلوب العمل السياسى الذى اتبع فى افريقيا اثر بالغ الخطورة على القضية الفلسطينية ابان حرب رمضان حيث عمدت جل دول افريقيا الى قطع علاقاتها مع اسرائيل دعما لموقف العرب وتلبية لرغباتهم .

واذا كانت صفحات الفقيد الراحل زاخرة فيما يتعلق بالقضايا العربية والاسلامية فانه كان — يرحمه الله — يمتاز بفهم صحيح ودقيق للقضية الفلسطينية ما زال يزوغ عنه معظم المهتمين بالقضية الفلسطينية والعاملين فى حقلها بل والمتحدثين باسمها . لقد كان ينظر الى اليهودية العالمية انها ليست وراء (اسرائيل) وحسب وانما تكمن وراء كل تخريب فى بلاد المسلمين ، ابتداء من التخريب الفكرى ومرورا بالتخريب الاخلاقى وانتهاء بالتخريب الحسى الذى شهده اكثر من قطر مسلم خلال الفترة الاخيرة . ولقد صفعت هذه الحقيقة اكثر من مسؤول اميركى بما فى ذلك كيسنجر نفسه حين طلب الى الملك فيصل أن يعيد ما قال وكأنه غير مصدق لما يسمع . ليس هذا وحسب بل لقد كانت لا تنطلى عليه محاولات التفريق بين اليهودى والصهيونى ، ولذا فقد قامت ضجة فى الولايات المتحدة واوروبا ، وفى هولندا على الاخص ، حين كان المال العربى يوجه بحيث لا يخدم مصالح المؤسسات اليهودية العاملة فى هذه البلاد ، ذلك لانه يتحول دعما ماديا وعسكريا لاسرائيل .

هذا الفهم الصحيح للقضية الفلسطينية ومنطلقاتها جعله يرفع لواء الجهاد الاسلامى لتحرير فلسطين ويبرز اسلامية المعركة على الرغم من كل ما اثير حول هذا الشعار من غبار . وما يزال الغرب يردد اصراره على تحرير القدس وأمنيته بأن يؤدى الصلاة فى المسجد الاقصى المحرر قبل أن يفارق الحياة .

أما دعمه الكبير لدول المواجهة مع اسرائيل فذلك ما كان يعتبره — رحمه الله — واجبا مقدسا تمليه وحدة المعركة التى يخوضها المسلمون ووحدة المجابهة مع خصم واحد لدود .

هذه جوانب مما تميزت به شخصية الفقيد الراحل ، واذا كان لنا من كلمة تقال فهى الدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يرحم الفقيد ، ويسكنه فسيح جناته ، وان يحمى العربية السعودية ويحفظها ، ليس لوزنها السياسى والدولى وحسب ، وانما لما تحتله فى قلوب المسلمين من مكانة . فربوعها المقدسة قبلتهم فى صلاتهم ومهوى افئدتهم ومحط آمالهم ، والأمل كبير فى أن تتابع السعودية رسالتها التى حباها الله اياها وشرفها بها . واذا كانت القوى الدولية الكبرى قد غاظها من الفقيد الراحل مواقفه الحاسمة ازاء القضايا الاسلامية الحقة فوجهت اليه دعايتها واعلامها — وقد يكون رصاص غدرها كذلك — فان الله سبحانه كفيل بأن يحمى المؤمنين العاملين المخلصين . والموت نهاية كل حى ، وطوبى لمن يقضى عاملا فى سبيل ربه وخدمة امته : « **لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم** » .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : ف. م

الكويت :

● نعت الكويت حكومة وشعبا الى الأمة العربية والاسلامية وفاة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية .. وشارك وفد رسمى برئاسة سمو أمير البلاد المعظم فى تشييع جثمان الفقيد .

● زار سمو أمير البلاد المعظم جمهورية السودان الديمقراطية الشعبية على رأس وفد رسمى كويتى .. واجتمع الى أخيه سيادة الرئيس جعفر نميرى .. وبحثا فى المسائل التى تهم البلدين .. وانشاء مشروعات مشتركة تعود بالنفع على البلدين ودعم التضامن العربى .

هذا .. وقد تبرع سمو أمير البلاد المعظم بمبلغ مليون دينار لصالح جنوب السودان .

● شيعت الكويت حكومة وشعبا جنازة المغفور له الشيخ محمد الاحمد الجابر الصباح الى مثواه الاخير يوم الثلاثاء ٤/١٥ ، تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وإنا لله وإنا اليه راجعون .

● اصدرت وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية بيانا نعت فيه الملك فيصل ..

وقد أقيمت صلاة الغائب على فقيد الامة الاسلامية فى جميع مساجد الكويت عقب صلاة الجمعة يوم ١٩٧٥/٣/٢٨



الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وهو يتلقى التعازى من سمو أمير البلاد المعظم بوفاة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز .



حضرة صاحب السمو الامير المعظم الشيخ صباح السالم الصباح والرئيس السودانى جعفر محمد نميرى يضعان حجر الاساس للمجمع السكنى للشركة السودانية الكويتية للاستثمار .

● احتفلت الكويت يوم ٤/٧ بيوم الصحة العالمى تحت شعار « الجدرى فى طريق اللاعودة » .. وقد جرت توعية شاملة من اجل الحفاظ على الصحة ومحاربة المرض .. وعالج خطباء المساجد هذا الموضوع فى خطبة الجمعة .

● قررت وزارة التربية تخصيص مكافآت مالية لطلبة المعهد الدينى ابتداء من العام الدراسى القادم ٧٥ ــ ٧٦ وذلك تشجيعا لهم على بذل الجهد ومواصلة الدرس .

وافق مجلس الأمة فى جلسته التى عقدها يوم ٧٥/٤/١٩ على اتفاقية انشاء البنك الاسلامى للتنمية وقد طالب أعضاء المجلس بعدم دخول الدول التى تقيم علاقات قنصلية وتجارية مع اسرائيل فى عضوية البنك .

السعودية :

● انتقل الى رحمته تعالى الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء ٣/٢٥ إثر اعتداء اثيم قام به فيصل بن مساعد بن عبد العزيز .. وقد شيعت جنازة الفقيد يوم الاربعاء بعد الصلاة عليه فى مسجد العيد بالرياض .

● شاركت وفود رسمية من جميع الدول العربية والاسلامية فى تشييع جثمان الملك فيصل .. ويبدو فى الصورة عدد من ملوك وامراء ورؤساء الدول العربية والاسلامية أثناء تشييع الجنازة .. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته .

● بويع الامير خالد بن عبد العزيز ملكا للمملكة العربية السعودية خلفا لسلفه الصالح الملك فيصل .. كما بويع الامير فهد بن عبد العزيز وليا للعهد ونائبا أول لرئيس مجلس الوزراء ..

● صرح الملك خالد ملك المملكة العربية السعودية بأنه سوف يسير مترسما خطى العاهل الراحل ، مساندا للحق العربى مدافعا عن قضايا المسلمين فى كل مكان .

● كان من المقرر عقد أول مؤتمر عالمى للاقتصاد الاسلامى بمكة المكرمة فى الخامس من ابريل الماضى ..ولكن أرجىء انعقاد المؤتمر الى موعد آخر يحدد فيما بعد بسبب انتقال الملك فيصل الى جوار ربه .



جثمان فقيد العروبة والاسلام جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز لحظة خروجه من مسجد العيد فى الرياض بعد ان أقيمت عليه الصلاة .



يبدو فى الصورة سمو امير البلاد المعظم وعدد من الرؤساء العرب يتبادلون التعازى فى وفاة المغفور له الملك فيصل .

مصر :

● صرح الرئيس أنور السادات فى رسالته الى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد مؤخرا بلاجوس : أن الجهاد هو الخطة الوحيدة اذا هاجمنا العدو أو أصر على المماطلة وانكار حقنا أو حق اخوتنا ، وقد أعذر من أنذر .

● تشكلت الوزارة المصرية الجديدة برئاسة السيد ممدوح سالم خلفا

لوزارة الدكتور عبد العزيز حجازى المستقيلة .

● عين الدكتـور محمد حسيـن الذهبى وزيرا للأوقاف وشئون الازهر فى التشكيل الوزارى الجديد .

● أصدر الازهر الشريف بيانـا نعى فيه الملك فيصل ، وقد أم شيـخ الازهر جماهير المصلين فى مسجـد الازهر فى الصلاة على فقيد الاسلام. هذا .. وقد اقيمت صلاة الغائب فى جميع مساجد الجمهورية علـى المغفور له الملك فيصل .

● صدرت لائحة تنظيم الأزهـر والتى أعادت لمشيخة الأزهر سلطتها كاملة على الأزهر الشريف بجميـع مؤسساته .

● وافقت لجنة الشئون الاجتماعية فى مجلس الشعب على مشـروع قانون يقضى بتحريم بيع الخمـور للمواطنين فى مصر . « والوعـى الاسلامى ترجو أن يوفق اللـه المسلمين للعمل بكتاب الله وسنـة رسوله » .

● طالب أحد المواطنين فـى رسالة وجهها الى شيخ الازهـز بأن يتدخل فضيلته لايقـاف الأفلام المفسدة للشباب ، وليوقف موجـة المتشبهين بالنساء من الرجـال ، والمتشبهات بالرجال من النسـاء ، لتكون صورة الفتى والفتاة متفقـة مع الاسلام ..

سـوريا :

قام الملك حسين ملك المملكـة الاردنية الهاشمية على رأس وفـد أردنى بزيارة للجمهورية العربيـة السورية واجتمع الى الرئيس حافظ الاسد ، وتدراسا الوضع الراهن ، وبحثا تنسيق العمل بينهما من أجـل تحرير الارض المغتصبة .

ليبيا :

تقرر اقامة مركز ثقافى اسلامـى فى (باماكو) ، تنفق عليه الجمهورية العربية الليبية .. وقد اتخذ هـذا القرار فى جلسة عمل عقدت بين وفد مالى ووفد ليبى .

لبنـان :

● وقعت اشتباكات دامية بيـن حزب الكتائب اللبنانى والقـوات الفدائية الفلسطينية وهذه الاحداث المؤسفة لن تفيد الا العـدو المتربص بنا ونرجو الله أن يصون الأمـة العربية والاسلامية من مثل هذا .

الفلبين :

اذاعت جبهة التحرير الوطنيـة الاسلامية رسالة فى (مانيلا) أفادت بأنها لن تشترك فى مباحثات السلام ما لم توافق الحكومة — من حيـث المبدأ — على اقامة دولة اسلاميـة ذات حكم ذاتى فى جنوبى الفلبين .

تركيـا :

تم افتتاح معهد للأئمة فى استانبول بلغت تكاليف انشائه (٣) ملاييـن ليرة تركية ويتألف مبنى المعهد مـن ثلاثة طوابق تضم ٢٤ حجرة دراسية تتسع لحوالى ٢٥٠٠ طالب .

الهند :

● عقد فى الهند مؤتمـر إسـلامى حضرته وفود إسـلامية ممثلة للدول العربية والاسلاميـة بمناسبة افتتاح معهد للدراسـات الاسلامية والعربية فى الهند .

أعلام الإسلام

عبد الله بن الزبير

ابتداء من عددنا هذا سنتعرض لدراسة موجـزه لسيرة عدد من الرجال الأفذاذ .. والقادة المصلحين فى تاريخ الاسلام .. وسوف نبرز أهم ما يمتاز به كل علم منهم .. فهذا قائد حربى بارع ، وذاك قمة شامخة فى الادارة وسياسة الدولة .. وثالث له مواقف بطولية فى مواجهة الباطل ودحضه ، ورابع عالم بالتشريع والفقه.

وهكذا سنمضى فى دراستنا لنتخذ من رجال الاسلام قدوة .. نترسم خطاهم ونسير على نهجهم .. فهـم الصفوة المختارة .. وهم الذين قال الله فيهم :

(والسـابقون الأولون من المهاجرين والأنصـار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) .

المحرر

والـــده : الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى .

والـــدته : (ذات النطاقين) اسماء بنت ابى بكر الصديق .. الخليفة الأول .

ولادتــه : ولد بالمدينة المنورة فى السنة الأولى للهجرة .. وقد فرح المسلمون بولادته فرحا عظيما وكبر الصحابة حين ولد .. ذاك لأنه كان أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة ، وكان اليهود يقولون : سحرناهم فلا يولد لهم ولد .

صفتــه : صحابى جليل .. وابوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .. وكان صواما قواما ، طويل الصلاة ، وصولا للرحم ، شجاعا مقداما . فى البخارى عن ابن عباس انه وصف ابن الزبير فقال : (عفيف الاسلام ، قارىء القرآن،ابوه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم ، وأمه بنت الصديق ، وجدته صفية عمة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعمة ابيه خديجة بنت خويلد) .

مع الرسول : (صلى الله عليه وسلم) : سماه الرسول صلى الله عليه وسلم (عبد الله) وكناه (أبا بكر) باسم وكنية جده الصديق ابى بكر ، ودعا النبى بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شىء دخل فى جوفه ريق النبى ، ثم حنكه بالتمرة ، ودعا له .

مبايعتـــــه : بايعاز من والده الزبير جاء وهو ابن سبع سنين — أو ثمان — ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم رسول الله حين رآه وبايعه .

روايته للحديث : حفظ عن النبى وهو صغير ، وحدث عنه ، وعن أبيه ، وابى بكر ، وعمر ، وعثمان وخالته عائشة ، وسفيان بن أبى زهير ، وغيرهم .
وروى عنه أخوه عروة وابناه عامر وعباد ، وابن أخيه محمد بن عروة وعطاء ، وطاوس ، وثـــابت البنانى ، وآخرون .

مشاهـــــده : شهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه ، وفتح افريقية ، وكان البشير بالفتح الى عثمان .

خلافتـــــه : بويع بالخلافة سنة ٦٤ هجرية عقب موت يزيد بن معاوية واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان .. وبقيت الشام ومصر تابعة لمعاوية بن يزيد ، فلما مات اطاع أهلها ابن الزبير وبايعوه .. ثم جاء مروان بن الحكم فغلب على الشام ومصر حتى مات سنة ٦٥ هجرية بعد أن عهد الى ابنه عبد الملك واستمرت خلافة عبد الله ابن الزبير حتى تغلب عليه عبد الملك .

اعمالـــــه : جدد عمارة الكعبة وجعل لها بابين على قواعد ابراهيم ، وادخل فيها ستة اذرع من الحجر . وأخرج ابن عساكر عن هشام بن عروة قال : اول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير .

وفاتـــــه : جهز عبد الملك لقتال عبد الله بن الزبير جيشا على رأسه الحجاج .. فحاصره بمكة واستمر الحصار حتى قتل يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣ هجرية .
وانتقل الى جوار ربه هذا الصحابى الجليل .. رضى الله عنه وأرضاه .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	جمادى ١ ١٣٩٥	مايو ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
اثنين	١	١٢	٢٧٥	٨ ٥٩	١٠٢٨	٥ ١٤	٨ ٤٨	١ ٢٧	٣ ٢٩	٤ ٥٩	١١٤٤	٣ ١٨	٦ ٣٠	٧ ٥٧
ثلاثاء	٢	١٣	٢٧٦	٥٨	٢٧	١٤	٤٨	٢٧	٢٨	٥٨	٤٤	١٨	٣٠	٥٨
اربعاء	٣	١٤	٢٧٧	٥٦	٢٦	١٣	٤٧	٢٨	٢٧	٥٨	٤٤	١٨	٣١	٥٩
خميس	٤	١٥	٢٧٨	٥٤	٢٤	١٢	٤٧	٢٨	٢٦	٥٧	٤٤	١٨	٣٢	٨ ٠٠
جمعة	٥	١٦	٢٧٩	٥٣	٢٣	١٢	٤٦	٢٨	٢٥	٥٦	٤٤	١٨	٣٢	٠٠
سبت	٦	١٧	٢٨٠	٥٢	٢٢	١١	٤٥	٢٨	٢٥	٥٦	٤٤	١٨	٣٣	١
احد	٧	١٨	٢٨١	٥١	٢١	١١	٤٥	٢٩	٢٤	٥٥	٤٤	١٨	٣٤	٢
اثنين	٨	١٩	٢٨٢	٥٠	١٩	١٠	٤٤	٢٩	٢٤	٥٥	٤٤	١٨	٣٤	٣
ثلاثاء	٩	٢٠	٢٨٣	٤٨	١٨	٩	٤٤	٢٩	٢٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٥	٤
اربعاء	١٠	٢١	٢٨٤	٤٦	١٧	٩	٤٣	٢٩	٢٢	٥٤	٤٥	١٩	٣٦	٥
خميس	١١	٢٢	٢٨٥	٤٥	١٦	٨	٤٣	٣٠	٢١	٥٣	٤٥	١٩	٣٦	٦
جمعة	١٢	٢٣	٢٨٦	٤٣	١٥	٨	٤٢	٣٠	٢٠	٥٣	٤٥	١٩	٣٧	٧
سبت	١٣	٢٤	٢٨٧	٤٢	١٤	٧	٤٢	٣٠	٢٠	٥٢	٤٥	١٩	٣٧	٧
احد	١٤	٢٥	٢٨٨	٤١	١٣	٧	٤١	٣٠	١٩	٥٢	٤٥	١٩	٣٨	٨
اثنين	١٥	٢٦	٢٨٩	٤٠	١٢	٦	٤١	٣٠	١٨	٥١	٤٥	١٩	٣٨	٨
ثلاثاء	١٦	٢٧	٢٩٠	٣٩	١١	٦	٤٠	٣٠	١٨	٥١	٤٥	١٩	٣٩	٩
اربعاء	١٧	٢٨	٢٩١	٣٨	١٠	٥	٤٠	٣١	١٧	٥٠	٤٥	١٩	٤٠	١٠
خميس	١٨	٢٩	٢٩٢	٣٧	٩	٥	٣٩	٣١	١٧	٥٠	٤٥	١٩	٤٠	١١
جمعة	١٩	٣٠	٢٩٣	٣٦	٩	٥	٣٩	٣١	١٦	٥٠	٤٥	٢٠	٤١	١٢
سبت	٢٠	٣١	٢٩٤	٣٥	٨	٤	٣٩	٣١	١٦	٥٠	٤٦	٢٠	٤١	١٣
احد	٢١	يونيو	٢٩٥	٣٤	٧	٤	٣٨	٣٢	١٥	٤٩	٤٦	٢٠	٤٢	١٣
اثنين	٢٢	٢	٢٩٦	٣٣	٧	٤	٣٨	٣٢	١٥	٤٩	٤٦	٢٠	٤٢	١٤
ثلاثاء	٢٣	٣	٢٩٧	٣٢	٦	٣	٣٨	٣٢	١٥	٤٩	٤٦	٢١	٤٣	١٥
اربعاء	٢٤	٤	٢٩٨	٣١	٥	٣	٣٧	٣٢	١٤	٤٩	٤٦	٢١	٤٣	١٥
خميس	٢٥	٥	٢٩٩	٣٠	٥	٣	٣٧	٣٢	١٤	٤٨	٤٦	٢١	٤٤	١٦
جمعة	٢٦	٦	٣٠٠	٢٩	٤	٢	٣٧	٣٢	١٤	٤٨	٤٧	٢١	٤٤	١٦
سبت	٢٧	٧	٣٠١	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٥	١٧
احد	٢٨	٨	٣٠٢	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٥	١٨
اثنين	٢٩	٩	٣٠٣	٢٧	٢	١	٣٦	٣٣	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٦	١٩

« إلى راغبي الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٢٤٤٨ بيروت – لبنان أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبـار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخـرطوم : دار التـوزيع – ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـا : طرابلس الغرب : دار الفرجاني – ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازي : مكتبـة الخـراز – ص.ب : (٢٨٠) .

المغـرب : الدار البيضاء – السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكي .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز – ١٧ شارع فرنسا .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة – ص.ب : (٤٧٧) .
الريـاض : مكتبـة مكـة – ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة – ص.ب : (٧٦) .
الطـائف : مكتبـة الثقـافة – ص.ب : (٢٢) .
مكـة المكرمـة : مكتبـة الثقـافة .
المدينـة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .

العـراق : بغـداد : وزارة الاعـلام – مكتب التوزيع والنشـر .

البحـرين : المكتبـة الوطنيـة : شـارع باب البحـرين .

قطـر : الدوحـة : مؤسسة العـروبة – ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبي : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـي : مكتبـة دار الحكمـة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكـويت : مكتبـة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمـن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيـا ١٠ قروش ● تونـس ١٢٥ مليما ● الجـزائر دينـار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربي ٧٥ فلسا ● اليمن وعـدن ٧٥ فلسا
● لبنـان وسـوريا ٥٠ قرشـا ● مصـر والسـودان ٤٠ مليما

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ

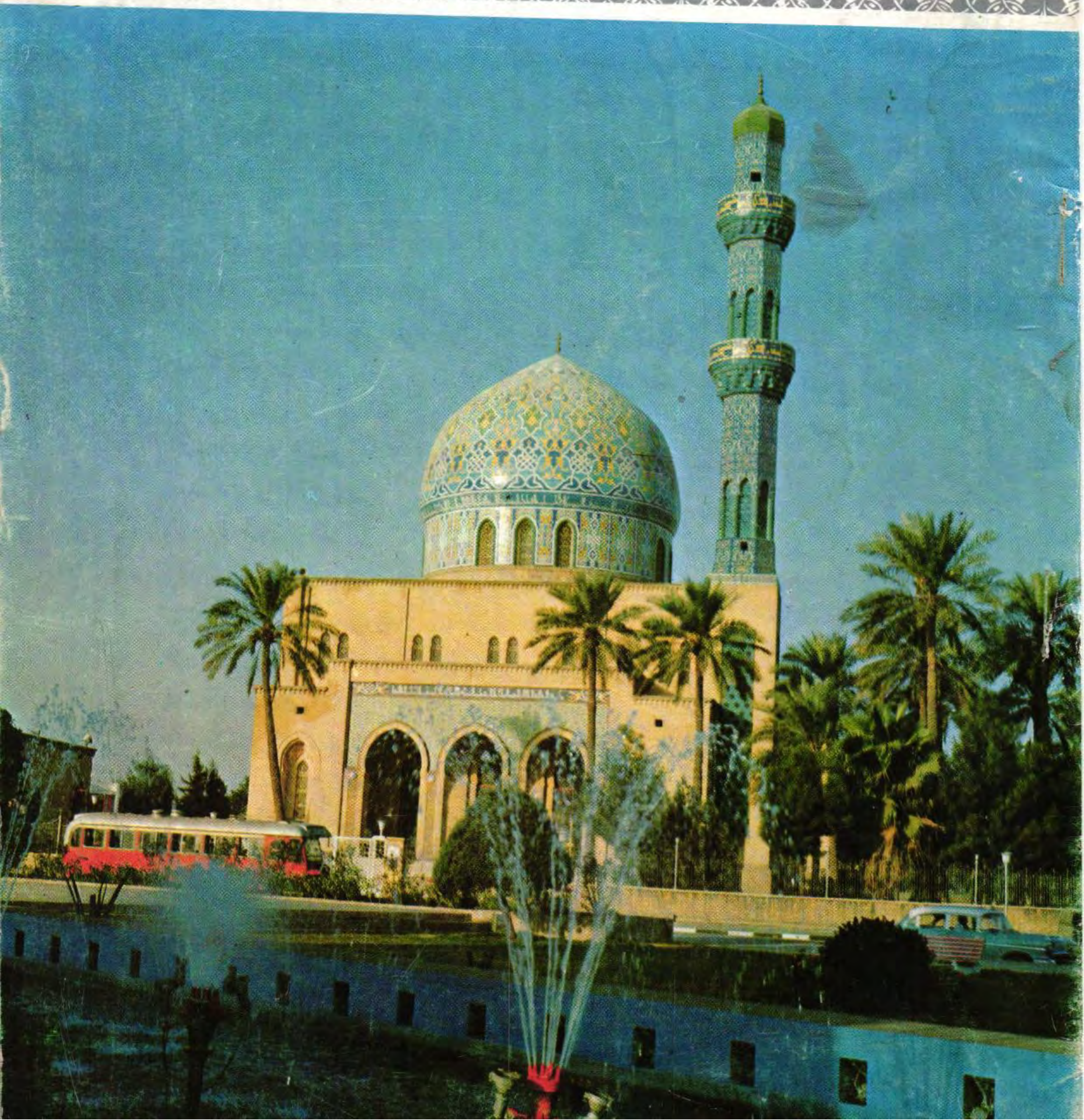
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ

الآية ٢٠١ من سورة الأعراف

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٦) ـ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ ـ يونيو ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



مسجد الشهداء
فى بغداد
العراق

[illegible]الاسلامى

[illegible]سلامية ثقافيــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 236[illegible]

السنة الحادية عشرة

العـــــدد : ١٢٦

غـ[illegible]ة جمــادى الآخـرة ١٣٩٥ هـ ــ يونيو ١٩٧٥ م

هــدفها : المــزيد من الوعى ، وايقــاظ الروح ،
بعيــدا عن الخـــلافات المذهبيـــة والسياسية

تصدرها وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غـــــرة كل شـــــهر عـــــربى

عنـــــوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتــف : ٤٢٨٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من وحي النبوة

الطريق إلى الجنة

عن أبي أيوب رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، فقال القوم : ماله ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أرب ماله ، تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم .. ذرها ...)) كأنه كان على راحلته .

(رواه الشيخان)

للشيخ أحمد البسيونى

راوى الحديث صحابى جليل ، هو ابو أيوب الانصارى رضى الله عنه ، يصف لنا واقعة شـهدها بنفسـه ، وسجل فيها حوارا دار بين النبىصلى الله عليه وسلم ، وبين سائل اعترض طريقه ، وكان الرسول الكريم على راحلته ، فأمسك الرجـل بزمامها ، حتى اذا توقفت عن المسير ، وجـه إلى راكبها عليه الصـلاة والسلام سؤاله ، وتلقى منه الجواب هـديا نبويا كريمـا ، وارشادا الى اركان الإسلام ، وامهات الفضائل ، التى تفضى بصاحبها الى الجنة ... وقـد شهد هذه الواقعة مع أبى ايوب ، طائفة من الصحابة ، وقد تملكهـم العجب من جراءة السـائل ، وقد اقتحم على الرسول طريقه ، وتشبث بزمام راحلته ، فأخذوا يتساءلون فى عجب ودهشة ، ماله ؟ ماله ؟ كأنما كبر فى نفوسهم ، أن يعترض رسول الله معترض ، وأن يحول بينه وبين مواصلة السير الى غايته ، حتى يتلقى الجواب على سؤاله الذى طرحه ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، هـدا من ثائرة أصـحابه ، والتمس للرجل عذرا فيما فعل فقال لهـم : أربٌ مـاله) والأرب : الحاجة ، والمقصد ، أى : أن لهـذا الرجل حاجةٌ ما هى التى دفعته الى هذا الموقف .. ان الرجل يريد أن يعرف الطريق الى الجنة ، والأعمال التى تأخذ بيده لتدخله الى ساحتها ، فيصبح من الوارثين ، الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون .. ثم شرع المعصوم صلى الله عليه وسلم ، يخبر السائل **بالعمل الذى يدخـله الجنة فقال له :**

تعبد الله لا تشرك به شيئا .

والعبادة بحسب مدلولها اللغوى ، تعطى معنى : التـذلل والانقيـاد والخضوع ، تقول العرب : طـريق مُعبَّد اى مذلل ممهـد ، تستطيع الأقدام أن تسير فيه بسهولة . ومعنى العبادة فى نظر الاسلام ، انقيـاد المؤمن لحكم الله ، فيراه الله حيث أمره ، ولا يراه حيث نهاه ، على أن يكون مبعث ذلك الحب لله تبـارك وتعالى ، فالعبادة التى لا تقترن بهذا الحب ، لا وزن لها عند الله ، فلا بد أن يقترن الخضـوع لله ، بالحب والرضى والإخلاص لوجهه الكريم ، والى هذا يشير قوله تعالى : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيمـا شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما)** (النساء/٦٥) يقول الامام ابن القيم رحمه الله « فمن أحببتـه ولم تكن خاضعا له ، لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة ، لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا » .

ومن هنا تتفاوت درجاتالناس فى العبادة ، فمنهم المخلصـون الذين

يلتزمون ما جاء به الاسلام ، ويتجهون فى أعمالهم وأقوالهم لله وحده **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لـه الدين حنفـاء ، ويقيموا الصـلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة)** (البينة/٥) ومن الناس من لا إخلاص لهم ولا متابعة ، وغاية همهم ، أن يفاخروا بأعمالهم السيئة ، كالبدع والضلالات ، وهم مع هذا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : **(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسـبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم)** (آل عمران/١٨٨) . ومن الناس من تراهم مخلصين فى أعمـالهم ، مجدين فى أدائها ، يحسبون أنهـا تقربهم الى الله ، على حين أنهم لا يزدادون بها من اللـه إلا بعـدا ، كالعبّاد الجهـلة ، والمنتسبين الى الصـوفية زورا ، يظنـون أن ترك الجمعة والجماعات ، والتزام الخلوة ، عبادة تقرب الى الله ، أو أن مواصلة صوم النهار بالليل ، وقطع الصـلة بالدنيا ، والعزوف عن الزواج ، زهد وتبتل . . . ثم يأتى بعد ذلك المراءون ، الذين يفعلون الطاعات ، ويهجـرون السـيئات ، لا بوازع دينى ، ولكن لينالوا بذلك ثناء الناس ومحمدتهم ، كالرجل يصلى رياء ، ويقاتل حميـة وشجاعة ، ويتصدق مباهاة ، ويحج ليظفر بلقب « الحاج » فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أنها أعمال صالحـة مأمور بها ، ولكنها غير خالصة ، فلا تقبل عند الله لأنها خداع وزيف **(يخادعون الله وهو خـادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ، ولا يذكـرون اللـه إلا قليـلا)** (النساء/١٤٢) .

وفى هذا الحـديث الشريف يربط الرسول الكريم بين العبادة ، ودخول الجنة ، وفى القـرآن الكريم آيات كثيرة ، تدل على هـذا ، منها قوله تعـالى : **(ونودوا أن تلكم الجنـة أورثتموهـا بمـا كنتم تعمـلون)** (الأعراف/٤٣) . **(ادخلوا الجنـة بما كنتم تعملون)** (النحل/٣٢) . **(هل تجزون إلا ما كنتم تعمـلون)** (النمل/٩٠) . وهذا يجعل العبادة فى نظر الاسلام واسـعة الدلالة ، شاملة المعنى ، فليست هى كمـا يتوهم بعض الناس ، محصورة فى دائرة المسجد لا تتعداه الى دنيـا الناس ، إنها — فى نظرهم القاصر — ركوع وسـجود ، وذكـر ودعـاء فحسب ! وهذا من الأفكار الخاطئة التى تحوم حول مبادىء الاسلام ، والإسلام منها براء . . . العبادة فى الاسلام ، معناها أن يؤدى الانسـان واجبـه نحـو ربه ، ونحو نفسـه وأسرته ، ونحو المجتمع الذى يعيش فيه ، فالصلاة عبادة ، والسعى على الرزق بالوسائل المشروعة عبادة ، والصلح بين الناس عبادة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة وعبـادة ، وأداء الواجبات الزوجيـة والأسرية عبادة ، والجهاد فى سـبيل الله ، ذروة سنام الاسلام ، والقمة العليا للعبادة ، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه الصحيحة

مجموعة ضخمة من الأعمال العادية التى يمارسها الناس فى حياتهم ، ثم خلع عليها ثوب العبادة ، متى صدقت النيــة ، وكان القصد وجــه الله تعالى ، وذلك كالأكل ، والشراب ، والنوم ، متى كان ذلك معينــا على النهوض بالواجبات ، وكذلك ممارسة العمــل الوظيفى ، وحفــر البئر ، وغرس الشجر ، واستنبات الزرع ، واصلاح الطرق . . ذلك كله عبادة . . وبهذا يتحول المجتمع الاسلامى الى مجتمع عامل ، لا مكان فيه لخامل أو متعطل ، ويتحول المسلمون جميعــا الى عمال ، يجمعهم العمل فى ساحته المباركة ، عاملين عابدين ... ومن هنا كانت العبادة ، هى الغاية من خلق الله لعباده **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** (الذاريات/٥٦) ومن اجل العبادة ، ارسلت الرسل ، وانزلت الكتب ، وجعلت الجنــــة والنار . والعبادة فى افقها السامى الوضىء ، تعنى : الاحسان ، وهو : ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانــه يراك ... واذا كــانت العبادة بهذه المنزلة السامقة السامية فان الشرك بالله ــ والعياذ بالله ــ انتكاس فى الفطرة ، وانطمــاس فى البصيرة ، وظلم للنفس عظيم **(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ، يا بنى لا تشــرك بالله ان الشــرك لظلم عظيم)** (لقمان/١٣) . ومن اشرك بالله ، فقد قطع صلته بالقوة القادرة القاهرة ، التى تدبر أمر هذا الكون ، ثم هو بعد هذا الانفصال الرهيب ، يضرب فى تيه من الضلال والحيرة ، تتقاذفه أمواج الضياع ، وتجتاحــه الريح العاتية فلا يعــرف له قرار **(ومن يشــرك بالله فكأنما خــر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)** (الحج/٣١)

وتقيم الصـــلاة :

للصـــلاة أثرها البعيد فى حيـاة المســلم وســلوكه ، فهــى الرباط الروحى ، الذى يصله بربه ، وهى نور يضىء عقل المؤمن وفكره ، ويشرق فى نفسه ، فيضفى على حيــاته الطمأنينــة والبهجة ، ويشــيع فى ضميره العفاف والطهر ، ويلقى فى وجدانه الصواب والصدق ، وصدق الرسول الكريم حيث يقول فى حديث رواه مسلم « والصلاة نور » وانهــا عملية تطهير يومية ، تنظف ظاهــر الانســـان وباطنه ، تنظف ظــاهره بالوضوء ، وتغسل باطنه من الأوضار والأوزار ، يقول صــلى الله عليــه وسلم فيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أرأيتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هــل يبقى من درنه شىء » ؟ قالوا : لا يبقــى من درنه شىء قال : « فذلك مثل الصــلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

واذا أقام المؤمن صلاته محافظــا عليها ، خاشعا فيها ، قامت حاجــزا حصــينا بينه وبين المعــاصى **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** (العنكبوت/٤٥) ولا تزال به الصلاة ، حتى يستقيم منهجه فى الحياة ، وتتحول سيئاته الى حسنات

حيث لا مكان فى سلوكه لمأثم وانحراف **(وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات)** (هود/١١٤) . ومواقيت الصــلاة الموزعة على ساعات الليل والنهار ، تقــوم كنقطــة الحراسة على درب الحياة ، تعصم المصلى من الزلل ، ولا تدع له فرصة ينفلت فيها من هذه المراقبة لأنه إما فى صلاة ، أو خارج من صلاة ليستقبل صــلاة غيرها ، وبذلك تبقى روحه موصولة بالمــلأ الأعلى دائما .. ولعل هذا هو السر فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا أمر بلالا بإقامة الصلاة ، يقول : « أقم الصلاة ، أرحنا بها يا بلال » !! رواه أحمــد وابو داود . والقــرآن الكــريم ، يعبر عن أداء الصلاة بإقامتها ، وفى ذلك إشــارة الى أنه لا يكفى أن تؤدى الصــلاة أعمالا وأقوالا ، خاليــة من التدبر والخشوع ، فان معنى إقامة الصلاة تعــديل أركانها ، والمحافظــة على أوقاتها ، وفرائضها ، وســننها ، وآدابها ، من أقام العود : اذا عدّله وقومه ، فهو يأخذ وجهة واحــدة ، لا انحراف فيها ولا زيغ ، والصــلاة بهذا المعنى : معــراج تعرج عليــه أرواح المؤمنين الى أفق ملائكى رفيع، ومن ثم فهى العبادة الوحيدة التى لم تفرض فى الأرض ، ولكنها فرضت فى السماء ، وتلقاها النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، ليلة الإسراء والمعــراج .. وهى زاد روحى ، يعين المؤمن على اقتحــام ميــادين الحياة ، وتحمــل تبعاتها فى صبر وجلد ، لأن الإحساس العميق بالوقوف بين يدى اللــه ، والاســتغراق فى مناجــاته ، واستحضــار عظمتــه وجلاله ، والضراعــة الخاشعة فى دعائه ، كل ذلك يمد المؤمن بطاقة لا حدود لها من العون والعزم ، **(يايها الذين آمنــوا اســتعينوا بالصــبر والصــلاة ان الله مع الصــابرين)** (البقرة/١٥٢) واثر عن رسول الله صلى الله عليه وســلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة » رواه أحمد وابو داود عن حذيفة .. واذا سيطر على البيئــة جو الصــلاة ، استقام أمرها .. واذا نهض البيت المسلم على الصلاة ، شب ابناؤه على الصلاح والطهر ، واخــذت الأسرة وجهتها الراشدة فى دنيــا الناس ، ومن هنا يدعو القــرآن الكريم الى الأمر بها ، وتحمل مشقة الدعــوة اليها فى محيط الأسرة **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبــة للتقــوى)** (طه/١٢٣) . ويرشد الاسلام الى تعليم الناشــئة الصلاة منذ نعــومة أظفارهم ففى الحــديث الشريف : « مروا أولادكم بالصــلاة اذا بلغوا سبعا ، واضربوهم عليها اذا بلغــوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » رواه أحمد وغيره والمصلى اذا خطا خطوات الى المسجد ، واندمج فى غمار الجماعة ، أحاطت به وبمن معه كوكبة من ملائكة الله ، يصلون عليه ما دام فى مصلاه ، فعن أبى هــريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة الرجل فى

جماعته ، تضعف على صلاته فى بيته ، وفى سوقه ، خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة ، لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة ! » رواه البخارى .

وتؤتى الزكاة :

الزكاة : ركن من أركان الاسلام ، وفريضة من فرائضه ، وهى إعطاء جزء من المال الذى تجب فيه الزكاة ، وهو الذى بلغ النصاب الشرعى ، وحال عليه الحول . وهى مأخوذة من « زكا » الشىء اذا زاد ونما ، لأن إخراجها سبب لنماء المال وزيادته ، وقد ورد أن الله تعالى يربى الصدقة وينميها ، ويضاعف الثواب عليها ، وفى الحديث : « ما نقص مال من صدقة » رواه مسلم وأحمد والترمذى او هى مأخوذة من « زكت النفس » اذا طهرت ونظفت **((قد أفلح من زكاها))** (الشمس/٩) وذلك لأن إخراجها تطهير للنفس من رذيلة الشح وسيطرة المال وتطهير للمجتمع من الحقد ونوازع الشر . وقد قال تعالى : **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** (التوبة/١٠٣) والحكمة من فرضيتها ـ على ما فيها من تطهير النفس وتنمية المال ـ هى تقوية الروابط فى المجتمع الاسلامى، باعطاء الحق المعلوم ، للسائل والمحروم ، وبذلك يرتفع مستوى الفقراء ، فيصبحون اعضاء نافعين ومواطنين صالحين ، وتتقارب المسافة بينهم وبين الأغنياء ، فيصبح الجميع اسرة واحدة ، متكافلة متعاونة على الخير وتحقيق الصالح العام ، ومن هنا ، تذكر الزكاة بعد الصلاة ، حيث اجتمعتا فى القرآن والسنة ، لأن الصلاة ، تنظم صلة الانسان بربه ، ومتى تم له ذلك ، جاءت الزكاة ، لتنظم صلته بالمجتمع الذى يعيش فيه .. ومن اجل أن المال شقيق الروح ، كانت مغالبة النفس ، والانتصار عليها باخراج المال المحبوب لها ، أقوى برهان على قوة الإيمان وقد حث الله تعالى على إيتاء الزكاة ، ومدح الذين يؤدونها ، وبشرهم بالفوز والفلاح **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون)** (المؤمنون/١ـ٤) . واكد الرسول صلى الله عليه وسلم وجوب اخراج الزكاة ، وتوعد الذين يبخلون بها فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى أموالهم بالقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا ، أو عروا ، الا بما يصنع اغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما» رواه الطبرانى . ولقد قاتل ابو بكر رضى الله عنه الذين امتنعوا أيام خلافته عن ادائها ، واكد ذلك فى

كلمته المأثورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » وحسب الـــذين يستهينون بالزكـــاة رادعا ، قول اللـــه عز وجـــل فى المشركين **(وويل للمشركين الـــذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخـــرة هـــم كافرون)** (فصلت/٦ــ٧) فقد جمعت الآية بين مانعى الزكـــاة والمشركين باللـــه !

وتصـــل الرحـــم :

أمر الاســـلام بصلة الرحم ، لأنـــه حريص على وحدة المجتمع وسلامته، وعلى أن تسود علاقات المســـلمين بعضهم ببعض روح المودة والتعاون، ودعامة المجتمع الأسرة ، فاذا كانت قوية مترابطة ، نهض المجتمع عـــلى أساســـها عـــالى البنيـــان مشدود الأركان .

والرحم ، قرابة الانسان واهله ، مأخوذة : من « الرحم » الذى هو وعاء الجنين فى بطن أمه ، وأعلى القرابة هم من جمعهم رحم أم واحدة كالإخوة والأخوات ، ولكن صـــلة الرحم تشمل الأقارب مطلقا ، وهم من بينهم وبين الانسان نسب ســـواء كانوا يرثونه أم لا يرثونه ، وصـــلة الرحم معناها البر بهـــم ، والعطف عليهم ، والإحسان اليهـــم ، وذلك بحسب حالهم ، وعلى مقدار حاجتهم، وبقدر ما تسمح به طاقة الواصل . فقد تكون صلة الرحم بالانفاق عليهم إن كانوا فقراء ، ونصرتهم ان كانوا ضعفاء ، وتعهدهم بالتربية والتوجيه إن كانوا فى حاجة الى الرعـــاية ، وهكذا تتسع دائرة الصلة ، فتشمل علاجهم اذا مرضوا ، والسؤال عنهم وزيارتهم إذا غابوا ، ومواساتهم إن نزلت بهم نقمة ، ومشاركتهم افراحهم إن اصابتهم نعمة **(وأولو الأرحـــام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله)** الأنفال/٧٥) .

ولصلة الرحم منزلة عنـــد الله سامية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ، قال الله تعالى: « أنا اللـــه وأنا الرحمـــن ، خلقت الرحـــم ، وشققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعهـــا قطعته » رواه الترمذى وغيره .

كما بين صلى الله عليه وسلم أن لصلة الرحم آثارها الطيبة فى هذه الحياة ، ففيها طول العمر ، وســـعة الرزق ، ودفع المكروه . يقول صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتق الله ، وليصل رحمه » رواه أحمـــد ، وقد توعد الرسول الكريم قاطع الرحـــم بالحرمان من رضوان الله ونعيم الجنة فقال عليه صلوات الله وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » .

وصلة الرحم لا تأخذ مكانها فـــى ميزان الله ، الا اذا كانت خالصـــة من شوائب الغرض ، وجواذب المنفعة لا يراد بها الا وجه الله تعالى ، أمـــا الذين يصلون أرحامهم ، لقاء مكافأة يتلقونها منهم ، واحسان يعود عليهم

فلا ثواب لهم على هذه الصلة ، لأنهم طلاب دنيا ، وتجار مادة !! أما الصلة حين يقطع القريب ويهجر ، فهى التى ترفع صاحبها عند الله درجات ، يقول صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » رواه البخارى .

واعلى درجات صلة الرحم ، بر الوالدين ، وقد قرن الله تعالى برهما بعبادته سبحانه (وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا) (الاسراء/٢٣) **وقال صلى الله عليه** وسلم : « رضا الرب فى رضا الوالد ، وسخط الرب فى سخط الوالد » رواه الترمذى — **وأما قول الرسول فى** نهاية الحديث : ذرها فمعناه : خل بين الناقة وبين طريقها ، وكان الرجل **قد استوقفها ممسكا بزمامها ..**

ومن عجيب أمر الاسلام وحرصه على بر الوالدين ، انه أمر ببرهما حتى بعد موتهما ، فقد روى أبو داود والبيهقى بسند صالح أن رجلا من بنى سلمة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم ، الصلاة عليهما — أى الدعاء لهما — والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما » كذلك أوجب الاسلام البر بالوالدين ، ولو كانا كافرين ! **(وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)** (لقمان / ١٥) وقد روى الشيخان عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم قلت : ان أمى قدمت وهى راغبة ، افأصل امى ؟ قال : « نعم ، صلى أمك » !

وهكذا يعلمنا الرسول الكريم بهذا الهدى النبوى الذى ساقه الينا فى الحديث الشريف ، كيف نحرر عقولنا بعبادة الله لا نشرك به احدا سواه ، وكيف نطهر أرواحنا بالصلاة ، وأموالنا بالزكاة ، وكيف نبنى الأسرة المسلمة ، على الحب والتواصل لوجه الله . وبهذا يرسم لنا رسولنا العظيم بهذه المبادىء القويمة ، الطريق الى الجنة ، ليحفز همم المسلمين الى التسابق اليها ، والمسارعة الى رضوان الله فيها ، والجنة : هى معقد الرجاء لكل مسلم والغاية التى يطمح اليها كل مؤمن ، وهى سلعة الله الغالية ، وفى سبيلها يهون كل صعب ويرخص كل غال ، ويطيب كل سعى ، **(وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)** (سورة المطففين/٢٦) .

٢

مصادرنا

للدكتور : محمد سلام مدكور

القرآن : مصدر قرأ قراءة وقرآنا ، فهو مصدر على وزن فعلان بضم الفاء كالغفران وسمى به المفرد تسمية للمفعول بالمصدر ، وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم الشخصى ، ويطلق بالاشتراك اللفظى على مجموع القرآن ، وعلى كل آية من آياته .

وقد سماه الله سبحانه بأسماء كثيرة منها : القرآن ، ومنها القرآن ، ومنها الكتاب ومنها الذكر ومنها التنزيل . ومن ذلك قوله سبحانه : ((... **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ...)) الفرقان من الآية / ٣٧ . وقوله : ((**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**)) البقرة/٢ وقوله : ((**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**)) الفرقان/١ وقوله : ((.. **تنزيل من حكيم حميد**)) فصلت من الآية / ٤٢ وقوله : ((**أنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) الحجر من الآية / .

لكن غلب عليه اسم القرآن واسم الكتاب وتكررت هذه التسمية كثيرا ، وقد يكون فى هذه التسمية الغالبة أنه يكون مقروءا أو مكتوبا ، وفى هذا اشارة الى وجوب حفظه فى الصدور وكتابته فى السطور حتى يتحقق وعد الله سبحانه بحفظه دون أن يتعرض لأى تحريف . وصدق الله : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) . وفعلا فقد حفظه الله جيلا بعد جيل وحتى الآن دون أن يدخل عليه اى نقص أو زيادة أو تحريف أو تبديل . واذا كان [وليم موير] يقول : إن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثنى عشر قرنا كاملة .. فاننا نؤكد له أنه سيظل محفوظا ما بقيت الحياة رغم محاولات الاسرائيليين التى باءت بالفشل . مصداقا لقول الله سبحانه : ((**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته** ..)) الانعام / من الآية ١١٥ .

والقرآن هو دستور البشرية الخالد ، نور الله فى أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود فى دولة الارض الى ان تدول ، وهو سلاحنا الماضى وقوتنا التى لا تغلب ، خاطب القلوب

التشريع الإسلامي

بالموعظة والعقول بالدليل والبرهان، هو كتـــاب تشريع وتنظــــيم لمجتمع متكامل ، وكتاب بلاغة وأدب ، وفضلا عن انه لم يرد على انه كتاب يقرر نظريات فى شتى النواحى العلميــة كالطبيعة والفــلك والطب فانه اذا تعرضت آياته لشيء من ذلك عرضا فى ثنايا تقرير حكم عقائدى مثلا تجد العلم الحديث يكشف دائما عن سبق القرآن فى كل ما يصل اليه . فهو قد أتى بأصول العلوم وترك الباب مفتوحا للمشتغلين بالعلوم المختلفة .

وحسبنا فيه ما وصفه به الرسول الكريم اذ يقول فى حديث طويل أخرجه الترمذى عن الحــارث بن الاعور : (.. فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصـــل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمــه الله ومن ابتغى الهــدى فى غيــره اضلــه الله وهو حبــل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الذى لا تزيغ به الاهــواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معــه الآراء لا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقيــاء من علم علمه سبق ومن قــال بــه صدق ومن حكم به عدل ومن عمــل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

اعجاز القرآن :

والواقع ان القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ . فهو معجز فى الفاظه وأسلوبه وبيان نظمه مع انه لم يخرج عن سنن كلام العرب الذين تحداهم به فعجزوا عن أن يأتوا بمثل اقصر سورة منه . لم يخرج عــن سنن كلامهم الفاظا وحروفا وتركيبــا وأسلوبا ، ولكنه فى اتساق حروفه وطلاوة عبارته وحلاوة أســلوبه وجرس آياته نسيج وحده . وهو معجز بعلومه ومعارفه من ناحيــة حثه على التفكير والتدبر ومخاطبــة العقول . فهو يجعل التفكير السديد والنظر الصائب فى الــكون أعظم وسيلة للايمــان ، وهو معجز فى تشريعه وصيانته لحقوق الانسان فلم يترك جانبا من جوانب الحيــاة الا وتحدث عنه أو أشار اليه . كما لم يدع أمرا من أمور الغيب الا بينــه والمح اليه ، كمــا انه يتقصى أبعــد الجوانب فى القلب الانسانى فيتغلغل فيها بنظرة تلمس أدق الانفعــالات فيها ، وهو يتجه نحو ماضى الانسانية البعيد ومستقبلها ، كما يعلمهــا واجبات الحياة .

القرآن من عند الله باللفظ العربى :

والقرآن من عند الله ســبحانه

بلفظه ومعناه ولذا فانه يتعبد بتلاوته ويجزىء فى الصلاة ولا يجوز بحـــال تبديل لفظ من الفاظه او حرف من حروفه مهما كان التبديل لا يؤثر فى المعنى . يقول الله سبحانــــه : ((**انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**)) يوسف/٢ .

وكون القرآن عربيا لا يمنـــع من وجود بعض الفــــــاظ فيه يختلف المفسرون فى اصلها مثل (قسورة) فى قوله تعالى : ((**فرت من قسورة**)) المدثر/٥١ . فقد روى ابن عباس : ان اصلها حبشى بمعنى الأسد ، وهـــكذا الفاظ كثيرة وردت فى القرآن .. قال السيوطى انها تجاوزت المائة .

يقول الغزالى : ان اشــــتمال القرآن على بعض الفاظ اصلها اعجمى وعربت واستعملها العرب من قبــل نزول القـــرآن لا يخـــرج القـــرآن القرآن عن كونه عربيا ولا شـــك ان العرب من اقدم الامم وان لغتهم من اقدم اللغات وانهم اختلطوا بغيرهم اختلاطا واسعا فلا مانع ايضا من ان تكون هذه الكلمات عربية الاصـــل واخذتهــــا بعض الامم الاخرى عن العربية ، ولذا فان الشافعى يقول : إن احدا لم يقل انه احاط بجميع الفاظ العربية .

كيفية نزول القرآن وزمنه :

وقد ورد فى كيفية تنزيل القرآن بلفظ عربى طريقـــــان : احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم انخلع من صورته البشرية الـــى صــــورة ملائكية واخذه من جبريل . الثانى : ان الملك انخلع الى البشـــرية حتى اخذه الرسول منه . والله تعـــالى قادر على ان يخلق لمن يشاء من عباده علما ضروريا بكلامه من غير توسط حرف وصــــوت ودلالة . فكلامه سبحانه يختلف عن كلامنا . سبحانه : ((.. **ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير**)) الشورى من الآية/١١ .

وقد ثبت انه نزل فى ليلة القدر من شهر رمضان ، ويروى ابن عباس ان القرآن نزل جملة واحدة الى السماء الدنيا فى هذه الليلة ثم نزل بعد ذلك منجما على رسولنا الامين . ويروى الشعبى ان ابتداء نزول القرآن على الرسول كان فى تلك الليلة ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والمناسبات فليس للقرآن ســــوى نزول واحد .

وعلى كل فقد نزل القرآن منجما دفاعا عن عقيدة وتقريرا لحقيقة وبيانا لحكم او جوابا عن سؤال او استفتاء، وكان ينزل احيانا بالسورة الـــكاملة واحيانا بالآية او الآيتين او الثلاث .

والحكمة من نزول القرآن منجما تثبيت فؤاد الرسول على الحق وشحذ عزمه للمضى فى دعوته فكلما اشتد المه لتـــكذيب قومه له نزل شىء من القرآن ناصرا له ومؤيدا . يقول الله سبحـــانه : ((... **كذلك لنثبت بـــه فؤادك** ..)) الفرقـــان من الآية/٣١. كمــــا أن فى ذلــــك ما يســـاعد على تكــــرار التحـــدى به وتحقق الاعجاز فضلا عما فيه من التيســـير على الرسول والناس فى حفظه وتدبر معانيه ، كما ان فى ذلك ما يجعله مسايرا للحوادث ، ويجعل التشريع متدرجا فلا يشق على الناس ايضا .

وكان نزول القـــرآن فى اكثر من اثنتين وعشرين سنة فى مكة والمدينة واستمرت فترة نزولـــه بمكة نحـــو ثلاث عشرة سنة نزل فيها اقل من الثلثين بقليل ، وكانت اغلب آياته فى هذه الفترة توجه الناس الى عقيدة التوحيد ، وطابع الآيات المكية : القصر

والايجاز ليسهل على السامع وعيها ، وليكون لها من نغم الترتيل ما يجعلها أوقع فى التأثير وخاصة أنها تخاطب فى الانسان العقل العاطفة والوجدان، كما تتميز بقوة العارضة الجدلية .

وكانت فترة نزوله بالمدينه نحو عشر سنوات نزل فيها نحو ثلث القرآن وكان اكثر ما نزل فيها يتعلق بالتشريع ، وتتميز الآيات المدنية بالطول غالبا اذ أن آيات التقنين تحتاج الى تبصر لاستنباط الاحكام منها ، فوق ما يلزم من طول لبيان علة الحكم .

ترجمة القرآن والتعبد بها واستنباط الاحكام منها :

الترجمة تطلق على معنيين :

١ ــ الترجمة الحرفية : وهذه لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الاصل والاحاطة بجميع معناه وخاصة بالنسبة للقرآن ، فان فيه من خواص التركيب وأسرار الاساليب ما اعجز بلغاء العرب . وعلى هذا فالترجمة الحرفية تخرجه عن كونه قرآنا مهما بلغت دقتها .

٢ ــ الترجمة التفسيرية : وهى ترجمة معنى الكلام حسب مفهوم المفسر . وهذا أمر مستساغ بل هو واجب يقتضيه العمل على تبليغ الدعوة للناس كافة اذ ليس من اليسير ان نكلف كل من ندعوه الى الاسلام أن يتعلم اللغة العربية أولا . يقول الشاطبى : ان ترجمة القرآن من حيث معانيه الاصلية التى يستوى فى فهمها كل من عرف مدلولات الالفاظ وعرف وجوه تركيبها ممكن . ولذا فانه صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة اتفاقا . وهذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الاصلى .

وعلى هذا فيجب ترجمة تفسير منتخب للقرآن الى جميع اللغات المختلفة حتى يتدبر الجميع ما فيه من معان وما جاء به من أحكام بقدر المستطاع . وفعلا فان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية شكل لجنة من أفاضل العلماء فوضعت تفسيرا مناسبا منتقى بعيدا عن الاستطراد والحشو وعن عرض الخلافات والمناقشات اللفظية . كما شكل لجنة لترجمة هذا التفسير المنتخب الى بعض اللغات الحية . وهو عمل مشكور نرى أنه ينبغى للدول العربية والاسلامية أن تتعاون فيه حتى يمكن ترجمته الى كل اللغات .

والترجمة أيا كانت لا يصح الاعتماد عليها فى استنباط الاحكام، وما ذلك الا لأن فهم المراد من الآية يحتمل الخطأ لمن يعرف العربية ، ثم نقل ذلك المفهوم الى لغة أخرى قد يحتمل الخطأ اذ قد يؤدى الى اكثر من معنى لأنه من قبيل المشترك أو باعتبار حمله على الحقيقة أو المجاز ، الى ما فيه من عموم واطلاق واجمال واحتمال وغير ذلك .

والجمهور من الفقهاء لا يجيزون القراءة فى الصلاة بغير العربية مطلقا لأن الترجمة ليست قرآنا بحال ولا يلزم العاجز عن القراءة الا مجرد ذكر الله يقول الحافظ بن حجر : ان كان القارىء قادرا على التلاوة باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزىء صلاته بغير العربية، وان كان عاجزا فان العاجز لا يلزمه الا الذكر .

اما الحنفية فانهم يجيزون لغير القادر على القراءة بالعربية القراءة بغير العربية حتى فى الصلاة لانه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى المفهوم . فالاتيان به أولى من الترك مطلقا .

القرآن من حيث الثبوت :

القرآن من حيث الثبوت مقطـوع بقرآنيته لأن كل آية منه كان الرسول يميها ويحفظها ويمليها على بعـض الكتاب من أصحابه ممن عرفوا بعد بكتاب الوحى ، وحفظه الصـحابة أيضا فى الصدور ــ وقد عرف العرب بقوة الحافظة ــ فضلا عن أنهم كانوا يتعبدون به ، وتناقله الناس حفظـــا وتلاوة وكتابة جيـــلا بعد جيل وحتى الآن .

واذا كان بعض الصحابة كعبد الله ابن مسعود عندما قرأ آية ((**. . فصيام ثلاثة أيـــام . . .**)) المـــائدة مـــن الآيـــة / ٨٩ ، فهـــم من النبـــى صلى الله عليــه وسلم أن صيـــام هذه الأيام الثلاثة يجب أن يـــكون متتابعا دون فاصل بينها بأيام فطـــر فأضاف عند كتابتها كلمة [متتابعات] بقصد اظهار الحكم . فان هذه الزيادة لا تسمى قرآنا ولا يحتج بها . خلافا للحنفية الذين يرون الاحتجاج بها وان لم تكن قرآنا ، لأنها شبيهة بالســنة لأنها مترددة بين أن تكون خبرا أخبر به ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو مذهبا لابن مسعود . وعلى كلا الوجهين فهى حجـــة لانه ثقة وفقيه .

ومن هذا القبيل أيضا كلمة [ذى رحم محرم] التى ذكرها ابن مسعود وقيد بها الوارث فى آية : ((**والوالدات يرضـــعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعـــلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف . .**)) . . الى قوله تعالى : ((**وعلى الوارث مثل ذلك . .**)) البقرة / ٢٣٣ . فقد قيد ابن مسعود الوارث هنـــــا بأنه ذو الرحم المحرم .

ومن هذا القبيل أيضا ما أثبتــه أبى بن كعب فى مصـــحفه عند قول الله سبحانه وتعالى : ((**. . وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او أخت . .**)) النساء من الآية/١٢ فقيد الأخ والأخت هنا بأنهما من الأم .

فكل هـــذا لا يعتبر قرآنا اتفاقـــا ولا يحكم بكفر من ينكر هذه الزيادة ولا تصح الصلاة بها اتفاقا ، كما لا يصح الاحتجاج بها عند الجمـــــهور خلافا للحنفية على ما قلنا . لأن كلا من ابن مسعود وأبى بن كعب اما أن يكون سمع ذلك القيد من الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه بيان وتفسير واما أن يكون ذلك باجتهاد منهم حملا للنص المطـــلق على نص آخر فى القرآن مقيد .

القرآن من ناحية دلالته على الاحكام :

ألفاظ القرآن منها ما هو واضح فى دلالته على المراد منه بنفـــس صـــيغته من غير توقف على أمر خارجى، وكل نص واضح الدلالة يجب العمل بما هو واضح الدلالة عليه . ولا يصح تأويل ما يحتمل التأويل منه الا بدليل وذلك مثل قوله تعـــالى : ((**ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد**)) النساء/١٢ فان دلالة الآية على أن نصيب الزوج فى تركة زوجته فى هذه الحالة النصف قطعية اذ كلمة نصف واضحة الدلالة على المراد فلا يكون هنـــــاك مجال أبدا للاختلاف فى مدلولها .

واذا كان اللفظ يحتمل التـــأويل والمراد منه ليس هو المقصود أصـــالة من سياقه سمى بالظاهر ومن ذلك قوله تعالى : ((**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**)) النساء/٣ فالنص ظاهر فى اباحة نكاح ما حل من النســـاء لأنه معنى يتبادر فهمه من لفـــظ : ((**فانكحوا ما طاب لكم**)) . . من غير توقف على قرينة . وهذا المعنى غير مقصود أصالة . اذ المقصود هنا :

قصر العدد على الواحدة مع اباحة التعدد الى اربع عند القدره والعدالة .

وان كان اللفظ يحتمل التأويل والمراد منه هو المقصود من سياقه سمى بالنص . ففى الآية السابقة الكلام مسوق لبيان العدد الجائز جمعه فى العصمة بدليل قوله تعالى : **« فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة »** النساء/٣ فتكون نصا فى افادة العدد وان اعتبرت الآية من ناحية اباحة التعدد من قبيل الظاهر .

وان كان اللفظ لا يحتمل التأويل ويقبل حكمه النسخ سمى مفسرا مثل كلمة ثمانين فى قوله تعالى فى حد القذف **« فاجلدوهم ثمانين جلدة »** فان العدد لا يحتمل زيادة ولا نقصا .

وان كان اللفظ لا يحتمل التأويل ولا يقبل كلمة النسخ سمى بالحكم . لأن الحكم المستفاد منه : اما حكم اساسى من قواعد الدين لا يقبل التبديل كالايمان بالله ، أو من أمهات الفضائل التى لا تختلف باختلاف الاحوال : كبر الوالدين ، أو من الاحكام الفرعية التى دل الشارع على دوامها كقوله تعالى فى عقوبة القذف **« ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا »** النور/٤ .

فأساس التفاوت فى مراتب الوضوح : هو احتمال التأويل وعدم احتماله فما لا يحتمل أن يفهم منه معنى آخر أوضح دلالة مما يحتمل أن يفهم منه معنى آخر غيره . فأوضحها على الاطلاق المحكم ، ويليه المفسر ، فالنص ، وأقلها وضوحا هو الظاهر .

ومن الفاظ القرآن ما هو غير واضح الدلالة فلا يدل على المراد منه بنفس صيغته بل يتوقف فهم المراد منه على أمر خارجى ، والالفاظ من ناحية عدم الوضوح متفاوتة أيضا واساس تفاوتها فى عدم الوضوح هو مدى القدره على ازاله ما فيها من خفاء .

فان كان اللفظ يدل على معناه دلالة ظاهرة ولكن فى انطباق معناه على بعض الافراد نوع خفاء تحتاج ازالته الى تأمل سمى : خفيا ومن ذلك لفظ (السارق) فى قوله تعالى : **« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .. »** المائدة/٣٨ فان معناه ظاهر فى اخذ مال الغير خفية من حرز . لكن فى دلالة اللفظ على (النباش) الذى ينبش القبور لاخذ اكفان الموتى ، والنشال الذى يأخذ ما مع الشخص المتيقظ فى غفلة منه . شىء من الخفاء لاختصاص كل منها باسم خاص غير اسم السارق . مما يجعل دلالة لفظ السارق على كل منهما خفية وتحتاج فى ازالة الخفاء الى نظر وتأمل .

وان كان اللفظ خفيت دلالته على المعنى المراد منه بسبب فى نفس اللفظ لاحتماله لاكثر من معنى واحد ولا بد من وجود قرينة تبين المراد سمى بالمشكل .. ومن ذلك لفظ (قرء) فى قوله تعالى : **« والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء »** البقرة/٢٢٨ فان لفظ (قرء) مشكل فى الدلالة على المراد لأنه موضوع فى أصل اللغة لكل من الطهر والحيض . ولذا فان الأمر اشكل على الفقهاء فى عدة المطلقة من ذوات الحيض هل هى ثلاثة أطهار أم ثلاث حيضات .

وان كان اللفظ لا يدل بصيغته على المراد منه ولا توجد قرينة تعين المراد ولا مجال للعقل فى ادراكه ويتوقف ادراكه على بيان من الشارع نفسه الذى اجمله سمى مجملا . ومن ذلك كلمة هلوع فى قوله تعالى :

((ان الانســـــان خلق هلوعا))
المعارج/١٩ ومثل كلمة صلاة وصوم وزكاه وربا من الالفاظ الاصـــطلاحيه التى نقلها الشارع من معانيهـــا اللغوية الى معان خاصة لا تدرك الا ببيان من المشرع .

وان كان اللفظ لا تدل صيغته على المعنى المراد منه وتعذرت معرفتـــه ولم توجد قرينة تعين على معرفته ولم يبينه الشارع لنا وانما استأثر بعلمه سمى متشـــابها . وذلك مثل اوائل بعض السور ، وكالالفاظ الواردة فى القـــرآن التى تنسب الوجه واليـــد والجلوس الى الله ((**يد الله فــوق أيديهم**)) الفتح/١٠ ، ((**كل شىء هالك الا وجهه**)) القصص/٨٨ ، ((**الرحمن على العرش اســـتوى**)) طه/٥ ، ((**واصنع الفلك باعيننا**)) هود/٣٧ .

ومن الواضح أن اكثر هذه الالفاظ فى عدم الوضوح هو المتشابه الذى لم يبينه الله وانما اســـتأثر بعلمه ويليه فى ذلك المجمل الـــذى بينت السنة ما فيه من اجمال . ثم المشكل . ثم الخفى .

أعمال النص بمفهومه ومنطوقه :

والاصوليون يوجبون العمل بكل ما تدل عليه آيات الاحكام بعبـــاراتها وحروفها ، وما يفهم من اشارتها ، وما يفهم من روح النص ومنقوله وهو ما يسمى بدلالة النص او مفهـــوم الموافقة كما يجب العمل بمقتضى النص الذى لا يستقيم الكلام الا بتقديره . اذ كلها طرق من طرق الدلالة التى قررتها اللغة . والاقتصـــار على بعض طرق الدلالة يعتبر تعطيلا من بعض الوجوه للنص وهو غير جائز .

وقد بينا كل ذلك تفصيلا فى كتابنا ((أصـــول الفقـــه الاســـلامى)) وانا نكتفى هنا بهذا القدر من الكلام عن القرآن من ناحية الدلالة حيث أن المجال لا يتسع لاكثر من ذلك .

منهج القرآن فى بيان الاحكام :

والقرآن فى الغـــالب وقف عند القواعد الكلية دون تفصيل أو بيـــان وخاصة بالنسبة لمسائل المعـــاملات المالية وما يتعلق بالقضـــاء وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها فى السلم والحرب وما شابه ذلك مما يتغـــير بتغير البيئة . فان القرآن دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الامر فى سعة من ان يفصـــلوا قوانينهم فيها بما يتفق مع مصـــالحهم فى حدود أسس التشريع .

والاحكام التى جاء بهـــا القرآن متنوعة فمنها أحكام العقائد التى توجه ناحية الايمان ، ومنهـــا الاحكام الوجدانية التى تعمل على تهـــذيب النفوس وتقويم الخلق، ومنها الاحكام العملية التى تتعلق بما يصـــدر عن المكلفين من اقوال وافعـــال على ما ذكرنا قبل .

ومنهج القرآن فى هذا متنوع حتى يكون أدعى الى القبول وأبعث الـــى الامتثال . فله طرق فى بيان أوامره ونواهيه . فقد يكون الامر بالمضارع المقترن باللام : ((**وليخش الـــذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ..**)) النساء/٩ قد يكون بصيغة فعل الامر ((**عليكم أنفسكم ..**)) المائدة/١٠٥ وقد يكون بالمصدر الدال على الطلب ((**فضرب الرقاب ..**)) محمد/٤ وقد يكون بالجملة الخبرية ((**والوالدات يرضعن أولادهن ..**)) البقرة/٢٣٣ وكثيرا ما ترد بصيغة افعل ((**وأقيموا الصلاة ..**)) المزمل/٢٠ كما يـــكون ببيان ما فى الشىء من خير ، أو ما يترتب عليه من خير ((**ولئن صـــبرتم لهو خير للصابرين**)) النحل/١٢٦ ، ((**ذلكم خير لكم**)) الجمعة/٩ .

ومن هذا تلمس تنوع الاســـاليب

وتحس فى ذلك بمتعة وحلاوة ، وتقبل بارتياح لكل هذه التكاليف من غير تبرم ودون استنكار لها أو استثقال . ومن وراء ذلك التنوع يجد الفقهاء مجالا فسيحا للنظر والتأمل عند استنباط الاحكام .

وقوع النسخ فى القرآن وموقف الفقهاء من ذلك :

من معانى النسخ فى اللغة الإزالة والابطال ، كما يطلق على النقل والتحويل ، وقيل إنه مشترك بين هذين المعنين . وفى اصطلاح الفقهاء والاصوليين يعرف بعدة تعريفات منها انه : رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر .

ولم يخالف فى اثبات النسخ من ارباب الشرائع سوى اليهود ، كما لم يخالف فى اثباته من المسلمين سوى ابى مسلم الاصفهانى محتجا بقوله تعالى فى سورة فصلت : **« لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. »** فلو نسخ بعض القرآن لتطرق اليه البطلان وهذا محال .

لكن يرد هذا قوله تعالى فى سورة **« ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها أو مثلها »** البقرة/١٠٦ ، وبما وقع فعلا : فقد كانت القبلة أولا الى بيت المقدس ثم نسخ ذلك واصبحت القبلة هى الكعبة : **« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب .. »** البقرة/١٤٢ الى قوله جل شأنه **« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »** البقرة/١٤٤ .

كما أن الحكم كان تقديم الصدقة حين مناجاة الرسول كما يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة المجادلة : **« يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة »** المجادلة/١١ . لكن ذلك الحكم نسخ بقوله تعالى بعد ذلك : **« أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله »** المجادلة/١٣

وقد يكون النسخ كليا بالنسبه الى كل الافراد كابطال اعتداد المتوفى عنها زوجها حولا وتكليفها بأن تعتد بأربعة اشهر وعشرة أيام . فقد كان النص الواجب تطبيقه هو قوله تعالى فى سورة البقرة : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول .. »** البقرة / ٢٤٠ وجاء قوله تعالى فى نفس السورة : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشرا »** البقرة/٢٣٤ .

كما يكون النسخ جزئيا بالنسبة لبعض الافراد ومن ذلك نسخ حكم القذف بالنسبة للازواج بتشريع اللعان . وكما يكون النسخ صريحا فانه ضمنيا يفهم من تشريع حكم متأخر معارض لحكم متقدم مع تعذر التوفيق بين النصين الا بالغاء أحدهما على ما بيناه فى كتابنا « أصول الفقه الاسلامى » .

ولا خلاف بين القائلين بالنسخ فى أن القرآن ينسخ بعضه بعضا ، وكذلك بالنسبة لكل من الخبر المتواتر وخبر الآحاد من السنة . لكنهم اختلفوا فى نسخ القرآن بغيره ، كما اختلفوا فى نسخ المتواتر من السنة بالآحاد ، كما أن الشافعى منع نسخ القرآن بالسنة مطلقا ونسخ السنة بالقرآن ايضا على ما سنبينه فى مقال آخر عن السنة باعتبارها المصدر الثانى للتشريع الاسلامى .

الربانية

للدكتور يوسف القرضاوى

تحدثنا فى العدد الماضى عن المعنى الاول للربانية : وهو ربانية الغاية والوجهة ومالها من آثار فى النفس وفى الحياة . واليوم نتحدث عن :

ربانيـــة المصـــدر والمنهج :

المعنى الثانى للربانية : وهو ربانية المصدر والمنهج . ونعنى به ان المنهاج الذى رسمه الاسلام للوصول الى غاياته واهدافه منهج ربانى خالص ، لان مصدره وحى الله تعالى الى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم .

لم يأت هذا المنهاج نتيجة لارادة فرد ، او ارادة اسرة ، او ارادة طبقة ، او ارادة حزب ، او ارادة شعب ، وانما جاء نتيجة لارادة الله ، الذى اراد به الهدى والنور ، والبيـــان والبشرى ، والشفاء والرحمة لعباده . كما قال تعالى يخاطبهم : « **يايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا** » النساء ١٧٤ ، « **يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** » يونس ٥٧ .

وقال يخاطب رسوله :

« **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » . الانبياء ١٠٧ .

« **... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمـــة وبشرى للمسلمين** » . النحل من الآية ٨٩ .

« **كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** » . ابراهيم . الآية / ١ .

موضع الرسول من هذا المنهاج الالهى :

الله تعالى هو صاحب هذا المنهاج ، ولهذا يضاف اليه فيقال : المنهاج الله او « صراط الله » علـــى حـــد تعبير القـــرآن العزيز . واضافته الى الله تعنى ان الله ــ جل شأنه ــ هو واضعه ومحدده ، كما انه غايته ومنتهاه .

أما الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو الداعى الى هذا المنهاج او هذا الصراط ، المبين للناس ما اشتبه عليهم من أمره . يقول تعالى يخاطب رسوله : « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط**

٢

مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الا الى الله تصير الأمور » . الشورى ٥٢ ، ٥٣ .

ويقول تعالى : « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبلــه أفــلا تعقلون ؟! »** يونس ١٥ ، ١٦ .

ويقول : « **والنجم اذا هوى . ما ضلّ صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى »** . النجم ١ — ٤ .

ومن تدبر القرآن وجد الرسول — صلى الله عليه وسلم — فيه مجرد عبد مأمور تخاطبه سلطة أعلى منه ، محيطة به ، قادرة عليه ، تملك عتابه ولومه اذا اجتهد فأخطأ فى بعض الأمور ، كما فى قصة ابن أم مكتوم ، وأسرى بدر ، والمنافقين المتخلفين فى غزوة تبوك ، وزينب بنت‌جحش ، وغيرها .

فالحقيقة ان القرآن هو كلام الله وحده وتنزيل رب العالمين .

فليس لمحمد — صلى الله عليه وسلم — من هذا القرآن الا التــلقى والحفظ « **سنقرئك فلا تنسى »** الاعلى ٦ ، ثم التبليغ والدعوة : « **ياأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته »** المائدة ٦٧ . ثم التفسير والبيان : « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهــم يتفكرون »** . النحل ٤٤ .

والسنة التى بينت القرآن ، هى نفسها وحى الهى ، ولكنه وحى غير متلو ولا معجز كالقرآن الكريم .

وما جاء فى هذه السنة عن طريق الاجتهاد ، فان الله تعالى لا يقره على الخطأ فيه ، بل ينزل الوحى مصححا ومصوبا .

ميزة الاسلام بين المناهج القائمة فى العالم :

ان الاسلام هو المنهج او المذهب او النظام الوحيد فى العالم ، الــذى مصدره كلمات الله وحدها ، غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر ، وأغلاط البشر ، وانحرافات البشر .

والمناهج او الأنظمة التى نراها فى العالم الى اليوم ثلاثة ، فيما عــدا الاسلام طبعا :

١ — منهج او مذهب او نظام مدنى بشرى محض ، مصدره التفكير العقلى او الفلسفى لبشر فرد ، أو مجموعة من الأفراد كالشيوعية والراسماليـــة والوجودية ، وغيرها .

٢ — منهج أو نظام دينى بشرى كذلك . مثل الديانة البوذية القائمة فى الصين واليابان والهند والتى لا يعرف لها أصل الهى ، أو كتاب سماوى . فمصدرها اذن فكر بشرى .

٣ — منهج أو مذهب دينى محرف ، فهو — وان كان الهيا فى اصله — عملت فيه يد التحريف والتبديل ، فادخلت فيه ما ليس منه ، وحذفت منه ما هو فيه ، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر ، فلم يبق ثمت ثقة بر... مصدره ، وذلك كاليهودية والنصرانية ، بعد ثبوت التحريف فى التوراة والانجيل نفسيهما ، فضلا عما أضيف اليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية ، بدلت المراد من كلام الله .

أما الاسلام فهو المنهج الفذ الذى سلم مصدره من تدخل البشر وتحريف البشر ، ذلك ان الله تعالى تولى حفظ كتابه ودستوره الأساسى بنفسه ، وهو القرآن المجيد ، واعلن ذلك لنبيه ولأمته فقال : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) . الحجر ٩

وكان وعد ربى حقا ، فقد صدقت القرون المتوالية — على رغم ما حل بالمسلمين فيها من كوارث مروعة ، ونوازل هائلة — هذه النبوءة القرآنية . وبقى القرآن ، كما أنزله الله ، وكما تلاه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما نقله عنه أصحابه ، وتلقاه عنهم من تبعهم باحسان . ولم تزل الأجيال تلـو الأجيال تتوارثه وتتعبد بتلاوته وترتيله وحفظه وكتابته . ولا عجب أن ظل — كما كان — مكتوبا فى المصاحف ، متلوا بالألسنة ، محفوظا فى الصدور ، منقولا الينا نقلا حرفيا ، بنفس طريقة كتابته ، منذ عهد عثمان ، وبطريقـة تلاوته ونطقه منذ العهد النبوى ، حتى أصوات الغنّ والمد والاظهار والادغام ، والاقلاب والاخفاء .

من ثمـــرات ربانيـــة المصـــدر :

واذا كان للربانية بالمعنى الأول — ربانية الغاية — تلك الثمرات والمزايا التى ذكرناها من قبل ، فان للربانية بالمعنى الثانى — ربانية المصدر والمنهج — مزايا وثمرات ، لعلها اعظم خطرا ، وابعد اثرا .

وكل هذه المزايا والثمرات نتيجة لسبب واحد ، هو كمال الله تعالى ، صاحب هذا المنهاج ، ومصدره ، أما المناهج الأخرى ، فيلازمها نقص البشر وعجز البشر ، وقصور البشر .

١ — العصمة من التناقض والتطرف :

من هذه المزايا او الآثار : العصمة من التناقض والاختلاف الذى تعانيه المناهج والانظمة البشرية والمحرفة .

فالبشر — بطبيعتهم — يتناقضون ويختلفون من عصر الى عصر ، بل فى العصر الواحد من زمن الى آخر ، ومن قطر الى قطر ، بل فى القطر الواحد من اقليم الى آخر ، وفى الاقليم الواحد من بيئة الى اخرى ، وفى الأمة الواحدة من شعب الى آخر ، وفى الشعب الواحد من فئة الى اخرى ، وفى الفئـة الواحدة من فرد الى آخر ، بل فى الفرد الواحد من حالة الى اخرى ، ومن وقت الى آخر .

فكثيرا ما رأينا تفكير الفرد فى مرحلة الشباب يناقض تفكيره فى مرحلة

الكهولة ، أو الشيخوخة وكثيرا ما وجدنا آراءه ساعة الشدة والفقر ، تخالف آراءه فى ساعة الرخاء والغنى .

فاذا كانت هذه هى طبيعة العقل البشرى ، وضرورة تأثره بالزمان والمكان والأوضاع والأحوال ، فكيف نتصور براءته من التناقض والاختلاف فيما يضعه من مناهج للحياة ، سواء أكانت مناهج للتصور والاعتقاد ، أم للعمل والسلوك؟ ان الاختلاف والتناقض لازمة من لوازمه لا ريب . وصدق الله العظيم اذ يشير الى ذلك فيقول : « **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » . النساء ٨٢ .

ومن مظاهر هذا التناقض ما نراه ونلمسه فى كل الانظمة البشرية والدينية الوضعية والمحرفة، من إفراط أو تفريط ، كما هو واضح من موقفها من الروحية والمادية ، أو من الفردية والجماعية ، أو من الواقعية والمثالية ، أو من العقل والقلب ، أو من الثبات والتطور ، وغيرها من المتقابلات ، التى وقف كل مذهب أو نظام عند طرف منها مغفلا الطرف الآخر ، أو جائرا عليه :

والسر فى هذا — بعد القصور البشرى العام — أن تفكير الانسان فى وضع فلسفة أو منهاج ، أو مذهب ، غالبا ما يكون نتيجة — مباشرة أو غير مباشرة — لرد فعل ، وانعكاسا لأوضاع آنية وأحوال بيئية ، تؤثر فى تصوره للأشياء ، وحكمه على الأمور ، شعر أو لم يشعر ، شاء ام لم يشأ .

ولا يستطيع منصف أن ينزه اكابر الفلاسفة — وان توافر فيهم الاخلاص فى طلب الحقيقة — من التأثر بأزمانهم وبيئاتهم ، فضلا عن التأثر بوراثاتهم وأمزجتهم الشخصية .

٢ — البراءة من التحيز والهوى :

ومن ثمرات هذه الربانية فى الاسلام : اشتماله على العدل المطلق ، وبراءته من التحيز والجور واتباع الهوى . مما لا يسلم منه بشر ، كائنا من كان .

اجل ، لا يخلو بشر غير معصوم — مهما يعل كعبه فى العلم والتقى — من التأثر بالاهواء والميول والنزعات الشخصية والأسرية والاقليمية والحزبية والقومية ، وان كان فى ظاهر أمره يرغب فى الانصاف ، ويحرص على الحياد .

فاذا كان لهذا البشر هوى معين ، أو ميول خاصة ، توجهه وتلون تفكيره وتميل بحكمه الى حيث يهوى ويحب ، فهذه هى الطامة ، فقد اجتمع فيها الهوى المتبع الى القصور البشرى الذاتى ، فزاد الطين بلة ، « **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** » . القصص ٥٠ .

وقد قال الله لنبيه داود : « **يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** » سورة ص آية ٢٦ .

وسبيل الله هو سبيل الحق والعدل ، المنزه عن التحيز والجور والانحراف .

ومقتضى ما ذكرناه : انه لا يسلم منهج أو نظام وضعه البشر أو تدخلوا فيه ، من التأثر بالاهواء المضلة عن سبيل الله ، المتحيزة الى جانب دون جانب ،

او فريق دون فريق .

أما « نظام الله » أو « منهاج الله » فقد وضعه رب الناس للناس . وضعه من لا يتأثر بالزمان والمكان ، لأنه خالق الزمان والمكان ، ومن لا تحكمه الأهواء والنزعات ، لأنه المنزه عن الاهواء والنزعات . ومن لا يتحيز لجنس ولا لون ولا فريق ، لأنه رب الجميع ، وكلهم عباده ، فلا يتصور تحيزه لفئة دون اخرى ، ولا لجيل دون غيره ، ولا لشعب على حساب غيره من الشعوب .

ومن ثم اعتبر القرآن ما عدا شريعة الله وحكمه « اهواء » يجب الحذر منها ومن اصحابها . يقول تعالى لرسوله : « **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** »الجاثية ١٨ « **وأن أحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك .** » المائدة من الآية ٤٩ .

٣ ــ الاحترام وسهولة الانقياد :

ومن ثمرات هذه الربانية كذلك انها تضفى على النظام او المنهاج الربانى قدسية واحتراما لا يظفر بهما اى نظام او منهج من صنع البشر .

ومنشأ هذا الاحترام والتقديس اعتقاد المؤمن بكمال الله تعالى ، وتنزهه عن كل نقص ، فى خلقه وأمره . انه تعالى احسن كل شىء خلقه ، واتقن كل شىء صنعه ، كما قال فى كتابه « **صنع الله الذى اتقن كل شىء** » النمل وكذلك احكم كل شىء شرعه ، وكل كتاب انزله ، كما قال تعالى عن القــرآن الكريم « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » . هود الآية ١ .

فهو الحكيم فيما خلق وقدر ، والحكيم فيما أمر ونهى « **ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت .** » النمل من الآية ٨٨ ، ولا تجد فى شرع الرحمن من تهافت ، فتبارك الله احسن الخالقين ، وأحكم الحاكمين .

ويتبع هذا الاحترام والتقديس : الرضا بكل تعاليم هذا النظام واحكامه ، وتقبله بقبــول حسن ، مع انشراح الصدر ، واقتناع العقل ، وطمأنينة القلب ، فهذا من موجبات الايمان بالله ورسوله « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمــوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » . النساء / ٦٥ .

ويلزم من هذا الاحترام والتقديس وحسن القبول : المسارعة الى التنفيذ والسمع والطاعة فى المنشط والمكره ، دون تلكؤ أو تكاسل ، أو تحايــل على الهرب من تكاليف النظام والتزاماته ، والتقيد بأوامره ونواهيه .

ونكتفى هنا بضرب مثلين يبينان مواقف المسلمين والمسلمات فى العهد النبوى ، من شرع الله تعالى وأمره ونهيه :

أولهمـــا : ما وقع من المؤمنين بالمدينة عقب تحريم الخمر .

وقد كان للعرب ولع بشربها واقداحها ومجالسها . وقد عرف الله ذلك منهم فأخذهم بسنة التدرج فى تحريمها ، حتى نزلت الآية الفاصلة تحرمهــا تحريما باتا ، وتعلن انها « **رجس من عمل الشيطان** » المائدة ٩٠. وبهذا حرم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ شربها ، وبيعها ، واهداءها لغير المسلمين . فما كان من المسلمين حينذاك الا ان جاؤوا بما عندهم من مخزون الخمروأوعيتها فأراقوها فى طرق المدينة اعلانا عن براءتهم منها .

ومن عجيب أمر الانقياد لشرع الله أن فريقا منهم حين بلغته هذه الآية كان منهم من فى يده الكأس ، قد شرب بعضها وبقى بعضها فى يده ، فرمى بها من فيه ، وقال — اجابة لقول الله (**فهل أنتم منتهون**) المائدة من الآية / ٩ قد انتهينا يا رب !

ولو وازنا هذا النصر المبين فى محاربة الخمر والقضاء عليها فى البيئة الاسلامية ، بالاخفاق الذريع الذى منيت به الولايات المتحدة الأمريكية ، حين ارادت يوما أن تحارب الخمر بالقوانين والأساطيل — لعرفنا ان البشر لا يصلحهم الا تشريع السماء ، الذى يعتمد على الضمير والايمان قبل الاعتماد على القوة والسلطان .

وثانيهما : موقف النساء المسلمات الأول مما حرم الله عليهن من تبرج الجاهلية ، وما أوجب عليهن من الاحتشام والتستر ، فقد كانت المرأة فى الجاهلية تمر كاشفة صدرها ، لا يواريه شىء ، وكثيرا ما اظهرت عنقها وذوائب شعرها ، واقراط آذانها فحرم الله على المؤمنات تبرج الجاهلية الاولى ، وأمرهن ان يتميزن عن نساء الجاهلية ويخالفن شعارهن ويلزمن الستر والأدب فى هيئاتهن واحوالهن ، بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن ، اى يشددن اغطية رؤوسهن بحيث تغطى فتحة الثوب من الصدر ، فتوارى النحر والعنق والأذن .

وهنا تروى لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كيف استقبل نساء المهاجرين والأنصار فى المجتمع الاسلامى الأول ، هذا التشريع الالهى ، الذى يتعلق بتغيير شىء هام فى حياة النساء ، وهو الهيئة والزينة والثياب .

قالت عائشة : يرحم الله نساء المهاجرين الأول .. لما انزل الله « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ..** » شققن مروطهن — اكسية من صوف أو خز — فاختمرن بها ... رواه البخارى .

وجلس اليها بعض النساء يوما ، فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت :

« ان لنساء قريش لفضلا ، وانى والله ما رايت افضل من نساء الأنصار ، ولا اشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . لقد انزلت سورة النور : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فانقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل الله فيها ويتلو الرجل على امراته وابنته واخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امراة الا قامت الى مرطها المرحل — المزخرف الذى فيه تصاوير — فاعتجرت به — شدته على راسها — تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان » رواه ابن أبى حاتم .

هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن ، موقف المسارعة الى تنفيذ ما أمر ، واجتناب ما نهى ، بلا تردد ، ولا توقف ولا انتظار ، اجل لم ينتظرن يوما او يومين او اكثر حتى يشترين او يخطن اكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس وتتسع لتضرب على الجيوب ، بل اى كساء وجد ، واى لون تيسر ، فهو الملائم والموافق ، فان لم يوجد شققن من ثيابهن ومروطهن ، وشددنها على رؤوسهن ، غير مباليات بمظهرهن الذى يبدون به كأن على رؤوسهن الغربان ، كما وصفت أم المؤمنين .

٣ — الدور الثالث — عصر الخلافة الاموية :

يبتدىء هذا الدور بتنصيب معاوية ابن أبى سفيان خليفة على الدولة الاسلامية جميعها بعد وفاة على بن ابى طالب رضى الله عنه عام ٤٠ هـ . وينتهى بسقوط حكم بنى امية واستيلاء العباسيين على الخلافة عام ١٣٢ هـ .

ويتميز هذا الدور باتساع رقعة البلاد الاسلامية ووصولها الى الصين شرقا وفرنسا غربا ، اتساعا سهل لكثير من الشعوب غير العربية مثل الفرس والروم وغيرهم الدخول فى الاسلام . وبذلك دخل فى جسم الدولة الاسلامية دماء متعددة جديدة الى جانب الدماء العربية ، ترفدها وتعضدها وتشد من أزرها .

وقد امن هذا الاتساع للدولة الإسلامية مزيدا من الخبرات والمعارف والثقافة ادخلتها وحملتها معها الشعوب الاعجمية التى دخلت فى الاسلام . وفى هذه الخبرات والمعارف صناعات وعلوم متنوعة متعددة ، امتد أفقها الى الطب والهندسة ، والفلك وغيرها من العلوم الطبيعية والفلسفية . كما رافق ذلك نهضة كبرى فى كثير من العلوم الدينية والعربية كالتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة وغيرها مما دعت اليه الحاجة .

فلقد كثرت مسائل الناس ومشاكلهم فى هذا العصر وتعقدت علاقاتهم التجارية والصناعية .. ودخل المجتمع المسلم عادات وأعراف وأفكار لم يكن له بها عهد ، ولا بد من عرض كل ذلك على مصادر الاسلام



واستفتائها فيه ليتبين صحيح ذلك من زيفه . فان المسلمين لا يتقبلون جديدا الا اذا كان متوشيا مع دينهم وثقافتهم وتراثهم ، اما ما كان منه مخالفا لما عندهم ومعارضا له فانهم يرفضونه ولا يلتفتون اليه مهما كان مصدره ، ورحم الله القائل : « وزن بوزن الشرع كل خاطر » .

كل ذلك كان يلح على علمـــاء المسلمين بالتفرغ لهذه المشاكل وهذه المسائل ودراستها وبيان حكم الاسلام فيها على ضوء نصـــوص القرآن والسنة وما اجمع عليه الصـــحابة رضوان الله عليهم . ذلك بعد ان كان العلماء يمارسون الوظائف السياسية والقيادية ، والمهن الحرة ، الى جانب اشتراكهم فى الفتوحات الإسـلامية مع الجند جنبا الى جنب .

وتحت هذه المطالبة الملحة بالتفرغ للفكر والفتوى والقضاء والاجتهـاد تفرغ بعض العلماء لذلك فى هـــذا العصر الأموى ، وبداوا يتصـــدون للتدريس فى المساجد والجـــوامع والمدارس ويبذلون الجهد بما آتاهم من علم وذكاء وتقوى لاســــتنباط الاحكام من القرآن والسنة واجماع الصحابة ـــ رضى الله تعالى عنهم ـــ على ضوء اللغة العربية واســـاليبها المتعددة تلك اللغة التى جاء بهـــا القرآن والسنة .

وقد كثر هؤلاء العلماء يوما بعـــد يوم حتى غصت جوامع المسلمين بهم فى كل الحواضر الاســـلامية ، مكة والمدينة ، والبصرة ، والـــكوفة ، ومصر ، وغيرها .

كما تعددت مذاهب هؤلاء العلماء وطرقهم فى فهم نصـــوص القرآن والسنة منبع الثقافة الاصـيل لديهم تعدد اساليب اللغة العربية وطرق دلالة الفـــاظها على المعنى ، حيث فيها العام والخـــاص ، والمجمل والمفصل ، والمطلق والمقيد ، والمشكل والمتشابه والمشترك وغير ذلك .

ومع أواخر المئة الاولى من الهجرة بدات هذه المذاهب تأخذ أبعادهـــا وتتضح معالمها وتستبين مناهجهـــا وتخصصاتها .

ولقد استمرت هذه الحركة العلمية فى مسيرتها طوال القرن الثـــــانى والقرون التى بعده حيث قعـــدت المذاهب وانتشرت فى الافاق وكثـــر اتباعها ومعتنقوها المدافعون عنها ، ثم بدات تعقد المناقشات والمساجلات العلمية فى مختلف مجالات العلوم ، وكان يحضر هذه المناقشات كبـــار العلماء المتخصصـــــين الى جانب جموع غفيرة من الطلاب ، وكثيرا ما كانت هذه المناقشات تعقد فى دار الخلافة فى الشام ثم بغداد بعـــدها تحت اشراف الخلفاء ، او فى دور الامراء فى الأمصار الإسلامية . وكان لهذه المناقشات صداها وابعـــادها العلمية ، فقد كانت الطريقة المثلى لفحص الافكار والقاء الاضواء عليها، ومن ثم نشرها فى انحاء البلاد على السنة العلماء والطلاب فى زمن لم تكن الطباعة ووسائل النشر الحديثة معروفة فيه .

وسوف نحاول فيما يلى القـــاء الضوء باجمال على هذه العلوم التى نشأت فى هذا العصر ، والابعـــاد التى وصلت اليها ، ولكن لما كانت هذه العلوم كثيرة ومتشعبة والإلمام بها كلها يحتاج الى توسع وتفصيل ليس هذا محله ، فاننا سوف نقصر

الكلام على علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، واصول الفقه ، وقواعد اللغة العربية تلك التى تعتبر أهم هذه العلوم وأبرزها فى تكوين الصرح العلمى والثقافى الاسلامى فى هذا العصر .

١ ـ علم التفسير فى العصر الأموى :

نقصد بالتفسير هنا تلك الدراسات والشروح التى دارت حول بيان المعنى المراد من الفاظ القرآن الكريم ، وقد بزغ نجم هذا العلم فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث كان يسأل عن معنى الآيات الكريمة التى غمض فهمها على بعض الصحابة فيجيب عن ذلك بما يوضح معنى الآية وأهدافها وابعادها . وبعد وفاة النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ تولى علماء الصحابة هذه المهمة ، فكانوا اذا عرضت لهم آية غمض عليهم معناها تتبعوا سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علهم يجدون فيها التفسير الشافى فإذا عجزوا بذلوا جهدهم فى فهمها بحسب قواعد اللغة العربية التى أنزل القرآن بها . وكان أشهر مفسرى الصحابة عبد الله بن عباس الذى سماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترجمان القرآن . وهكذا كلما تقدمت الايام وبعد الزمن عن عصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتدت الحاجة الى التفسير ، وكثر العلماء المتصدون لهذه المهمة . حتى اذا ما جاء العصر الاموى ، وترامت أطراف الدولة ، دخل عدد كبير من الاعاجم فى الاسلام ، واشتدت الحاجة الى تفسير القرآن وايضاح معانيه ، تفرغ عدد من العلماء لتفسير القرآن ونذروا أنفسهم له ، حتى أضاء نجمهم فيه . وتصدوا للافادة فى مختلف مساجد الدولة الاسلامية الكبيرة .

وممن بزغ نجمه فى هذا العلم من التابعين ، أصحاب عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهم ـ كمجاهد المتوفى سنة ١٠٣ هـ ، وعطاء بن أبى رياح المتوفى سنة ١١٤ هـ ، وعكرمة المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، وطاووس المتوفى سنة ١٠٦ هـ . وسعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ . وغيرهم . اما اتباع التابعين من المفسرين فهم كثيرون جدا نذكر منهم : سفيان بن عيينه ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن هارون ، واسحق ابن راهويه ، وغيرهم .

الا أن جل التفسيرات التى صدرت عن علماء التابعين والصحابة قبلهم والتفسيرات التى صدرت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تدون ولم تقعد فى مصنفات خاصة بها على النمط الذى نرى التفسير عليه اليوم ، ولكن جلها كان يتناقل مشافهة على السنة العلماء والطلاب فى دروسهم ومناقشاتهم ومساجلاتهم ، وقد استمر الامر على ذلك الى أول العصر العباسى حيث صنفت الكتب فى التفسير وظهرت المذاهب فيه جلية واضحة . ومما يلاحظ أن جل هذه التفسيرات التى كانت تأتى على لسان التابعين كانت تقف عند حد المنقول عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه دون الزيادة عليه الا ما كان من ذلك نذرا يسيرا ، أى انها

كانت تقف عند حد التفسير بالمأثور . كما كانت هذه التفسيرات تنقل عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ واصحابه بالسند المتصل ، شأنها فى ذلك شأن السنة تماما ، ولذلك فانه كان من السهل تفحصها وتبين الصحيح منها من الضعيف ، الا أن هذه الطريقة لم تستمر طويلا ، فقد تغيرت فى العصر العباسى لعدم كفايتها كما سوف نرى :

٢ ــ علم الحديث الشريف فى العصر الأموى :

الحديث هو ما نقل عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قول أو فعل أو تقرير .

وقد كان الحديث فى زمن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينقل عنه مشافهة ويتداوله الصحابة كذلك ، ولما اراد بعض الصحابة كتابة الحديث نهاهم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ذلك وقال : « من كتب عنى غير القرآن فليمحه » رواه مسلم . وذلك خشية اختلاطه بالقرآن . الا ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يسمح لبعض الصحابة بشكل افرادى بكتابة حديثه عندما يأمن عليهم اللبس مثل عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فقد روى عنه انه قال : قلت لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك ؟ قال : نعم . قلت : فى الرضى والغضب ؟ قال : نعم ، فانى لا أقول فى ذلك كله الا حقا » . وبقيت السنة على ذلك تتداول مشافهة الا نذرا منها يكتبه بعض العلماء لانفسهم الى عهد عمر ابن عبدالعزيز الخليفة الأموى المتوفى فى آخر المئة الاولى للهجره ، حيث اشتد الخوف على ضياع السنة فى ثنايا الاخبار الكثيرة التى بدأت تختلق على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ــ العلماء بكتابة السنة وجمعها من صدور الرجال . وقد وردت أخبار كثيرة عن تكليف هذا الخليفة العادل عددا من العلماء الثقات بكتابتها ، منهم أبو بكر ابن حزم المتوفى سنة ١٢٠ هـ . ومحمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ . وغيرهما .

ومنذ ذلك العهد تتابع العلماء على كتابة السنة والتصنيف فيها ، وتفننوا فى طريقة تدوينها وبيان صحيحها من ضعيفها ، وقعدوا لذلك القواعد واقاموا علما خاصا سموه (علم مصطلح الحديث) . الا ان العصر الاموى هذا لم يشهد للسنة مدونات كبرى تجمعه جمعا مدرسيا مرتبا كما هو الحال فى كتب الحديث التى بين ايدينا ، بل تأخر ذلك الى العهد العباسى حيث ظهرت المدونات الكبرى فى الحديث كما سوف نرى .

٣ ــ علم الفقه فى العصر الأموى :

الفقه كما عرفه الامام ابو حنيفة (معرفة النفس ما لها وما عليها) . اى معرفة ما لها من الحقوق ، وما عليها من الواجبات ؟ نحو نفسها ، ونحو ربها ، ونحو أسرتها ومجتمعها وغير ذلك ، لأنه به يتميز الحلال من الحرام ، ويستطيع الانسان أن يتبين معالم الطريق الى الله تعالى .

وقد بزغ فجر هذا العلم ببزوغ فجر الرسالة ، حيث كان النبى — صلى الله عليه وسلم — الفقيه الاول الذى يرجع اليـه فى كل الامور والمسائل ليبين فيها وجه الصحة من الفساد وفقا لتعاليم القرآن الـكريم ونصوصه وروحه وأهدافـه . وقد كانت مسائل الناس ومشـاكلهم محدودة فى عصره بالنظر لضـيق المجتمع وصغر حجم الدولة اذ ذاك .

وعندما انتقل النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الاعلى واتسع نطاق الدولة بعـض الشىء فى زمن الراشدين وكثرت المسائل والمشاكل المعروضة على القضاء ، ولم تعـد نصوص القرآن والسـنة بمفهومها الظاهر كافية للاجابة عن هـذه المسائل ، عمد علماء الصحابة كمـا تقدم الى الاجتهاد فى هذه النصوص وحل المسائل الجديدة وفق روح هذه النصوص وعلى نسـقها ، وذلك بالاضافة الى المهام الاخرى الكثـيرة التى كانوا يشتغلون بها من تسيير أمور الدولة والمشاركة فى الفتوحات الاسلامية وغيرها . وهكذا اسـتمر الامر الى عهد الامويين حيث أصبحت المشـاكل الفقهية تجل عن الحصر وتلح على الفقهاء بالتفرغ لهـا ودراستها واقتراح الحلول لهـا وفقا لنصوص القرآن والسنة .

عند ذلك بدأ العلماء بالتفرغ للفقه والتخصـص فيه فظهرت المدارس الفقهيـة المتعددة فى الامصـار الاسلامية ، كمكة والمدينة والبصرة والكوفة ومصر وغيرها . وقد كثرت هذه المدارس وانتهج كل من العلماء المتخصصين فى الفقه منهجا خاصـا قد يخالف المناهج الاخرى فى بعض جزئياته ، وذلك أمر طبيعى لا بد منه، تقتضيه طبيعة الاجتهاد ، وتفاوت الأفكار .

هذا ومن أشهر العلماء الذين لمعوا وعرفوا بالفقه والاجتهـاد فى هذا الدور ابراهيم النخعى ، والحسـن البصرى ، وان كان لم يصـل الينا شىء من مؤلفاتهما ، الا أن آراءهم وفقهم وصـل إلينا أكثره على السنة تلامذتهم الذين حفظت لنا مذاهبهـم ومدارسهم الفقهية كما سـوف يأتى معنا فى العصر العباسى .

٤ — علم أصول الفقه فى العـصر الأموى :

لم يكن علم أصول الفقه قد بزغ نجمه بعد فى هذا الـدور بالمعنى الكامل لكلمة علم ، ولكنه وجد على صورة قواعد متناثرة ، وضـوابط مبعثرة تأتى على السنة الفقهاء فى أبحاثهم ودروسهم دون أن يفردوها بالتصنيف والتقعيد ، وقد اسـتمر الامر على ذلك الى العصر العباسى حيث بدأ الحنفية والشافعية بالتصنيف فى علم أصول الفقه كما سوف يأتى :

٥ — علم اللغة العربية فى العـصر الأموى :

اللغة العربية هى اللغة الوحيـدة التى كان العرب فى الجـاهلية يستخدمونها للتخاطب فيما بينهم ، وقد كانوا شديدى الحرص عليهـا نقية صافية من أى دخيل ، وكانـوا

يعتزون ويفاخرون بها ولا يرضون لاحد منهم أن يتحدث بغيرها ، أو يدخل العجمة فيها ، وعندما جاء القرآن بها ازدادت شرفا ومكانة وازداد تمسك العرب المسلمين بها اكثر فأكثر . وقد كان العرب يحفظون ويتداولون هذه اللغة مشافهة ابا عن جد دون أن يحتاجوا الى تسجيلها فى معاجم ، أو ضبطها بقواعد، فأذن العربى حساسة جدا تكتشف الدخيل على هذه اللغة بسرعة فائقة وترده، ولكن اتساع رقعة بلاد الاسلام بعد الفتوحات فى العهد الأموى ودخول كثير من الاعاجم فى الاسلام واختلاطهم بالعرب المسلمين وبأولادهم مهد السبيل لادخال العجمة فى لغة هؤلاء الاولاد والاحفاد ، وهو الخطر الكبير الذى كان يخشاه العربى محافظة منه على نقاء لغته لغة القرآن والحديث الشريف . وقد سمع بعض العلماء احد الاعراب يلحن فى لغته فأثار ذلك غضبه وشكوكه ، ونبهه الى موطن الخطر وشدة الحاجة الى تقعيد هذه اللغة بعد جمعها وحفظها .

ومن هنا بدأ العلماء تترى يجمعون مفردات هذه اللغة من فم العرب الاقحاح، ثم ينظرون فيها ويستخرجون منها القواعد والضوابط التى تحفظ نقاءها وأصالتها وتبعد اللحن عنها .

ويروى أن اول من تنبه الى هذا الخطر سيدنا على بن ابى طالب حيث سمع اعرابيا فى العراق يلحن فى كلامه فعمد الى رقعة وكتب فيها : (الكلام اسم وفعل وحرف) فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما انبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل) . .

ثم دفع هذه الرقعة الى ابى الاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٧ هـ وقال له (انح هذا المنحى) فأخذها أبو الاسود وبنى عليها . وقيل أن أول من تكلم فى النحو نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ ، وقيل غير ذلك . ثم تابع العلماء بعد ذلك السير فى هذه الطريق يستنتجون القواعد من اللغة العربية التى يجمعونها من فم العرب الخلص طيلة العصر الاموى الى أن جاء العصر العباسى الذى أصبحت فيه هذه الدراسات اللغوية تشكل صرحا لعلم عظيم هو علم اللغة العربية . عندها قام افذاذ من العلماء مثل سيبويه والخليل بن أحمد والكسائى وغيرهم بجمع كل هذه الدراسات الماضية ، وتنسيقها والزيادة عليها والخروج منها بعلم عالى البنيان ثابت الاركان ، حفظ لهذه اللغة نقاءها وصفاءها . وهو ما سوف نشير اليه فى العصر العباسى .

وبذلك نستطيع أن نقول أن العصر الأموى كان بحق عصر البدء بتكوين المذاهب فى العلوم الاسلامية والعربية ، حيث إن هذه العلوم زرعت بذرتها فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — والراشدين بعده ، ثم أصبحت هذه البذرة نبتة صغيرة فى هذا العصر ثم اكتمل نموها فى العصر العباسى الذى رعاها بالماء والغذاء اللازم لها حتى أصبحت شجرة كبيرة وارفة الظلال تؤتى اكلها على أتم وجه وأكمله .

آيات

محمد فؤاد

للدكتور نور الدين عتر

فى مساء يوم الجمعة الخامس عشر من ذى القعدة لعام ١٣٩٤ شاهد الناس القمر وهو فى اكتماله البدرى قد حجب قسم كبير منه عن الاضاءة واصبح قاتم اللون حائلا بدلا من أن يكون بهيا مضيئا ، كما تعودوا منه ، فعلموا ان القمر قد خسف ، وأخذت منهم هذه الظاهرة غير المعتادة مأخذا أطلق الأفكار لدى بعض الناس نحو موروثات عامية وتقولات بعيدة عن المنطق ، ومثل ذلك يحدث لو كسفت الشمس بل يحدث ما هو اكثر واقوى منه ، فما هو حادث الكسوف والخسوف ، وما هى صلتهما الحقيقية بالتأثير فى حوادث الكون ، وفى مستقبل الانسان ؟؟ .

وما هى حقيقة الشمس والقمر فى وظيفتهما فى هذا الكون ؟

هذا سؤال خطير تاهت الانسانية فى تفسيره عصورا طويلة بسبب البعد عن الهداية والعلم ، وأدى ذلك التيه الى ضلال فى العقائد وفى السلوك ، جر على الانسانية خطوبا وأخطارا كبيرة .. !!!

فى الاحقاب السحيقة من التاريخ كانت وسائل البحث بدائية وكان العلم بدائيا ونادرا جدا فخضع الناس لما وقع فى أوهامهم من التصورات الخيالية بشأن هذه الكواكب التى تبدو فى ظلمة الفضاء الفسيح نقطا مضيئة عجيبة الشأن ، تحلق على أبعاد عظيمة شاسعة . ومع فقدان التصور العلمى للمجموعة الكونية أورث هذا الغموض عند الناس اعتقادا غريبا فى الكواكب انها بشكل عام مكونات تستعصى على أحكام الطبيعة التى نعرفها ، مثل قول الفلاسفة الاقدمين أنها غير قابلة للخرق والالتئام وليست صالحة للانقسام ، ومثل ما كان يتوهمه الناس من أن للكواكب تأثيرا فى أمور الانسان وان لكل انسان نجم يرتبط به ويتأثر ، وقرر فلاسفة اليونان أن هناك عقولا عشرة حلت فى عشرة كواكب تدبر أمر العالم

لا خرافات

وهكذا وجدت عبادة الكواكب وخاصة الشمس والقمر وهما اقرب واظهر لعيان أهل الأرض ، فعبدهما وعبد نجوما أخرى طوائف من الناس منهم طائفة «الصابئة» وانتشر تعظيم الكواكب واعتقد الناس بتأثيرها فيهم ، حتى صار البحث فيها من مهمات العلوم السحرية ، وصارت كلمة المنجم عنوانا يدل على العراف الذى يتخرص على الغيب بواسطة النجوم ، بدلا من أن تكون تسمية لصاحب اختصاص علمى شأن نظائرها كالطبيب عالم الطب ، والمهندس عالم الهندسة ، حتى سرت هذه الخرافات بين أهل الاديان السماوية السابقة التى يجب ان تكون لهم حصانة من الانزلاق وراء افكار لا علم لهم بها سوى الوهم الفاسد الخيالى ؟ فما بالك بالعرب الاميين الذين لم يتعلموا ولم يجاوزوا حدود البدائية البسيطة فى العيش والمعرفة حتى اشركوا بالله وعبدوا أصناما من الحجارة ؟ !

وهكذا انتشرت الخرافات حول كسوف الشمس وخسوف القمر ، فمن قائل ان ذلك يحدث بسبب أمر خطير سيحدث فى العالم مثل الحروب والخراب أو الاوبئة الفتاكة أو غير ذلك ، ومن قائل ان ذلك بسبب ولادة رجل عظيم أو وفاته . وربما كان السبب فى ظهور مثل هذه الافكار يرجع الى مصادفة اقتران الكسوف أو الخسوف بشىء من تلك الامور التى ذكرناها الامر الذى أورث ذلـــك التوهم عند الناس .

ومن اعجب الخرافات التى فشت بين بعض العوام الجاهلين ان القمر ينكسف بسبب ابتلاع الحوت اياه ، وانه ينبغى ازعاج هذا الحوت حتى يفلت القمر منه ، فيضربون على الاوانى الضخمة ويحدثون ضجة يخيفون بها الحوت الموهوم بزعمهم لكى يترك القمر ولا يبتلعه !! .

خطــورة الامية الدينية : ــ

ونسجل هنا اثر الأمية الدينية فى سريان هذه الخرافة لدى هذه الفئة من الناس ، ذلك ان قصة الحوت المزعوم تسربت من الثقافة الاسرائيلية وانتشرت بين الامم بواسطة هذه الثقافة ، وتزعم الاسرائيليات ان هذا الحوت اسمه بهموت ، وانه ضخم كبير جدا ، يحمل الارضين السبع على ظهره .. !!

وقد نبه علماء الاسلام على وجوب التحرز من الثقافة الاسرائيلية لما حــوت من الخرافات ، ونبهوا أيضا على بطلان هذه الفكرة الباردة وحذروا منها ومن امثالها من الاسرائيليات فى مؤلفات كثيرة عديدة ، لا سيما المؤلفات فى علوم القرآن وفى قواعد التفسير ، لكن التخلف العلمى فى فهم الاسلام وفهم مصدريه الاساسيين القرآن والسنة ، هذا التخلف جعل بعض العامة الاميين فى معرفة دينهم يرددون مثل هذه الخرافات الاسرائيلية ولا ينكرونها .

عقيدة القــرآن فى الكـــون :

والواقع أن العقيدة القرآنية فى الكون هى عقيدة منطقية سليمة جاء بها القرآن على مذهب مستقل عن أى نظرية او فكرة فى الدنيا يوم نزول القرآن تشهد باعجازه حيث جاءت تتجاوب مع العقل المجرد وتدعم تقدم العلم وتؤاخيه الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، ويتأكد هذا الاعجاز باعجاز آخر هو ظهور هذه العقيدة على لسان النبى العربى فى امة أمية لا تكتب ولا تحسب ، مما يقطع صلة هذه العقيدة بأى سبب من أسباب الارض ، ويشهد شهادة اخرى قاطعة انها عقيدة من السماء انزلها الله رحمة لاهل الارض .

ومن أهم الاسس لهذه العقيدة :

١ ــ ان الكون كله مخلوق لله تعالى وحده خلقه الله وابتدأ وجوده فى كل ذرة من ذراته وافلاكه وأراضيه وسماواته ومجراته ، تجد ذلك مقررا فى آيات كثيرة جدا ، كقوله تعالى : « **الله خالق كل شىء** » الزمر / ٦٢ « **الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش** » . السجدة / ٤ وغير ذلك من آيات القرآن الكريم .

٢ ــ ان الكون مفتقر الى الله فى استمداد البقاء والاستمرار ، فالله عز وجل يمد هذا الكون بالوجود والبقاء فى كل لحظة من اللحظات ، ويتعهده وينميه ولهذا كان من جملة صفاته عز وجل اسم « الرب » وهو اسم جليل يتضمن صفات كثيرة مثل العلم والارادة والقدرة والحكمة والرحمة وغيرها حتى قال بعض المحققين إن اسم « الرب » هو اسم الله الاعظم . وحسبنا لفهم هذا الافتقـــار الدائم الى الله هذه الجملة من سورة الفاتحة « **رب العالمين** » التى يقرؤها المسلم فى صلاته مرات ومرات كل يوم ، فان التحقيق فى اسم الرب انه من التربية مأخوذ .

قال الامام البيضاوى . فى تفسيره ج ١ ص ٢٧ « وفيه دليل علــى أن الممكنات ــ يعنى المخلوقات ــ كما هى مفتقرة الى المحدث ــ اى الخالق ــ حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها » .

وقال الامام الآلوسى فى تفسيره جزء ١ ص ٦٨ . « وما من ذرة من ذرات العوالم الا وهى فى حيطة تربيته ــ سبحانه ، بل ما من شىء مما احاط به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيــات والجسمانيات الا وهو فى حد ذاته بحيث لو فــرض انقطــاع آثار التربيــة منه آنا واحدا لما اســتقر له القــرار ، ولا اطمأنت به الــدار الا فى مطمــورة العــدم ووادى البــوار ، لــكن يفيض عليــه من الجنــاب الاقدس تعــالى شأنه وتقــدس فى كل زمــان يمضى وكــل آن يمــر وينقضى من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته مالا يحيط بذلك فلك التعبير ولا يعلمه الا اللطيف الخبير .. »

« وبالجملة آثار تربيته تعالى واضحة المنار ساطعة الانوار ، فسبحانه من رب لا يضاهى ومنان لا يحصى كرمه ولا يتناهى ، ونحن فى تيار بحر جــوده سابحون وعن اقامة مراسم شكره قاصرون ، وما احسن قول بعض العارفين : « انه تعالى يملك عبادا غيرك وانت ليس لك رب سواه ، ثم انت تتساهل فى خدمته والقيام بوظائف طاعته .. وهو سبحانه يعتنى بتربيتك حتى كأنه لا عبد له سواك .. ؟ ! » .

٣ ــ إن هذه الافلاك والكواكب كلها مسيرة بقدرة الله تعالى مسخرة مقهورة لامره ولجبروته سبحانه « **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** » الاعراف / ٥٤ ، وهى بالتالى لا تستحق شيئا من العبادة أو التعظيم : « **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون** » فصلت / ٣٧ . وقد أعلن القرآن الكريم ذلك على العالم بقوة وتأكيد فى عصر انتشر فيه تعظيم الكواكب حتى أصبح الناس فى عصر نزول القرآن فريقين : فريق عبد الكواكب واتخذهــا آلهة تعبد من دون الله تعالى ، وفريق يعتقد ان لها تأثيرا فى الكون وفى حياة الانسان ، فهو يستنيرها أو يراجعها فى أموره ليتعرف مصلحته أو مستقبلــه بزعمه .. !

٤ ــ قرر القرآن الكريم أن الكون خادم للانسان مسخر له ، وهو تقرير عظيم الخطورة فى وقعه التاريخى ونتائجه العلمية والحضارية الضخمة ، لما علمنا من انتشار تعظيم الكواكب فى ذلك العصر ، واذا بالقرآن يعكس القضية ويبين تكريم الله للانسان وانه سخر الكون له . يخدمه مجانا ويحقق مصلحة حياته .

وهذا منطلق كبير فى تقدم العلم ورقى الحضارة ، وكان الناس يتوهمون انهم خلقوا فى جو معادلهم حتى كثرت فى الآداب غير الاسلامية عبارات الصراع والحرب ضد الطبيعة والنصر عليها .. حتى اثبتت الابحاث العلمية العميقة أن

هذا الكون خادم للانسان وان مجال انتفاع الانسان منه لا يمكن ان يحيط به الحصر والعد بل يخضع لمدى قدرة الانسان على الانتفاع منه ، وذلك ما أشار اليه القرآن وسبق الى تقريره فى مواطن كثيرة من آياته وسوره .

مثل قوله تعالى : « **هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا** » البقرة / ٢٩ ومثل قوله : « **وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر** » الانعام / ٩٧ فقد اشار بقوله « **جعل لكم** » فى صدر الآية الى انها خلقت لمصلحتنا ومنفعتنا ، ولم يقل يهديكم بالنجوم فاشارت العبارة القرآنية الى ان النجوم مخلوقة لمنافعكم ايها الناس ، ومن جملة المنافع الاهتداء فى البر والبحر ، فقدمت الآية ذكر المنافع عامة ، ثم ذكرت بعضا منها وهو الاهتداء على سبيل المثال .

وقال عز وجل : « **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار** » . سورة ابراهيم : ٣٣ ، ٣٤ .

وقال عز وجل : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الجاثية / ١٣ فقد صرحت هذه الآية بتسخير كل ما فى السموات وكل ما فى الارض لهذا الانسان ، وكان ذلك امرا عاما لا يفهمه الناس الفهم المفصل ، حتى جاء تقدم العلم ليعطينا فكرة مبدئية عن هذا السر الكونى العظيم ، الذى بدا للعلم بوضوح فى شروط الحياة على الارض تلك الشروط التى تمتد اتصالاتها الى اجواز السماء ومواقع النجوم وغير ذلك ..

ولا نشك فى أن تقدم العلم سيعطينا مزيدا من أوجه الانتفاع التى سخرت لهذا الانسان كما سبق أن قررنا من قبل .

وقد عبر القرآن الكريم تعبيرا دقيقا عن هذه العلاقة بين الانسان والكون فى كلمة « **سخر** » بما فيها من معانى الخدمة المجانية واستمرار هذه الخدمة .

٥ ـ ان هذه المكونات كلها دليل على قدرة الله تعالى وعظمته وكمالات صفاته العليا ، لما حوته من بديع الصنع واحكام الوضع ودقة النظام ، ولنأخذ من ذلك ظاهرة أدهشت العلماء وهى تناسق أجزاء الكون مع بعضها البعض فكل نجم وكل كوكب يسير فى مدار معين لا يفارقه ، وتتحدد مواقع النجوم كل نجم وكوكب فى مجموعته بما يناسب سائر المجموعة ، وكل مجموعة تتناسق مع المجموعات الاخرى وهكذا ، حتى صار الكون كالعقد المنضد اذا سقطت منه حبة تداعى من ورائها الباقى ، وهكذا تنطق الافلاك بالتسبيح لله تعالى صاحب تلك القدرة .

وقد سجل القرآن هذه الظاهرة التى اخذ العلم يزيدها ترسيخا وتأكيدا ، انظر قوله تعالى : « **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**

وكل فى فلك يسبحون » . سورة يس : ٣٧ ـــ ٤٠ وقال تعالى : « **فالق الاصباح وجعل الليلسكناوالشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم »** ســـورة الانعام : ٩٦ .

فهذه الشمس والقمر وكذلك الكواكب الاخرى تسير (**حسبانا**) بحساب دقيق جدا ، ولا شك ان ضبط هذه الاجرام الضخمة أمر عظيم يدل على قـــدرة الخالق العظيم القدرة التى لا تغلب (**العزيز**) التى سيرتها وقهرتها ذلك القهر الذى الزمها مداراتها وانها قدرة تستخدم العلم الدقيق الواسع جدا فى تنظيم ذلـــك كله وفى حساب النسب والسرعات وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، لذلـــك سجلت الآية فى خاتمتها هاتين الصفتين **« ذلك تقدير العزيز العليم »** .

اثر القرآن فى تربية العقل الصحيح :

هذه الاصول القرآنية تزيح عن احداث الكون واحداث الفلك دخان الاوهام وغياية الخرافات ، وتعلم المؤمن ان احداث الخسوف والكسوف وغيرها تجرى بتدبير إلهى حكيم ، لادخل لموت احد ولا لحياة فيه ، ولا تأثير لها فى شىء من شئون الامم فىحربولاسلم ، انما هى جزء من دلائل هذا الكون على عظمة خالقه ومكونه ، توقظ من غفل وتذكر من نسى .

موقف النبى صلى الله عليه وسلم من الخسوف :

وقد أعلن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة على الملأ عندما خسفت الشمس فى عصره ، فصلى بالناس ركعتين سنة الخسوف حتـــى انجـــلت الشمس فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال كما فى الصحيحين وغيرهما : « **أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياتـــه ،** فاذا رايتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا » .

ثم قال :

« يا أمة محمد ، والله ما من احد اغير من الله ان يزنى عبده أو تزنى أمته ، يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » .

وثبت فى روايات اخرى صحيحة أيضا قولـــه صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، وانهما لا ينكسفان لموت أحد .. الى آخرها . رواه مسلم .

فأبطل هذا الاعلان النبوى خرافات الجاهلية ، وربط القضية بتصرف التدبير الالهى الذى خلق السموات والارض واحكم نظام العالم ، ونبه على الحكمة العظمى التى يجب ان لا يغفل عنها الناس فى هذه المناسبة الا وهى تذكر عظمة الله تعالى وجبروته والخوف من عقابه .

اشكال وجوابه :

لكن بعض المثقفين السطحيين فى العلم الكونى استشكل هذا الحديث بان علم الفلك قرر للكسوف والخسوف اسبابا معلومة ، فالكسوف يحدث لتوسط القمر بين الارض والشمس ، فيحجب ضوء الشمس عن الارض ، والخسوف يحدث بسبب توسط الارض بين الشمس والقمـــر فيحجب ضوء الشـــمس عن القمر فيخسف القمر فيظلم ، وبناء على ذلك يمكن معرفة مواعيد الكســـوف والخسوف بدقة بالغة قبل آماد بعيدة باستخدام الحسابات الفلكية ، وهو يعارض بزعمهم قوله صلى الله عليه وسلم « آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده »!

وهذا الاستشكال ناشىء من الفهم الخاطىء للابعاد التى يستطيع العــلم الكونى أن يدركها ، ومن الخلط فى الحقائق الدينية الهامة :

ضلال الغلو فى العـــلة :

وذلك ان البحث فى الطبيعة والكون يستطيع أن يبين كيف يحدث هـــذا الشىء أو يتكون ، فهو مثلا يقول لنا ان تفاعل ذرتين من الهدروجين مع ذرة من الاوكسيجين يولد ذرة من الماء .

كذلك يقرر كما سبق ان الكسوف والخسوف يحدثان بسبب كـذا وكذا مما ذكرناه ، لكن ليس من مهمة علم الكون أن يدرس أو يبين ما هى الحكمة الالهية والسر فى جعل هذا الشىء يقع ويحدث ، وكل شىء فى الكون يخلق وكل حادث يحدث فانه يكون بسبب يعرفه البحث العلمى لكنه أيضا يكون لحكمة واسرار قدرها الله عز وجل ، لا يستطيع علم المادة بحثها لانها ليست من متناول ادواته ووسائله فهى ليست من اختصاص العلم الطبيعى ، وليس يضر العلم الطبيعى الا يستطيعها لكن يضره ان ينكر ما لا يعارض علما ولا عقلا بمجرد التبجح والغرور ، فان ذلك الانكار تنكب عن جادة العلم جعل صاحبه متقولا بمحض الغرض والافتراء .

اسرار الخلق : علم نبوى خاص :

انما يؤخذ علم اسرار الخليقة والحكمة فيها من علم النبوة لانه علم نزل من لدن خالق الكون الذى يعلم السر فى السموات والارض ، وقد أخبرنا صاحب هذا العلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عبده فواجب علينا اذ عرفنا سبب خسوفهما الكونى ان يزيدنا ذلك البيان النبوى يقينا بما اخبر به الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى ، وقد قلنا فى كتابنا « هدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلوات الخاصة » :

« ان المؤمن يتيقن أن كل سبب ومسبب خاضع لارادته تعالى مخلوق بقدرته سبحانه ، فاذا وقع شىء غريب حدث للمؤمن الخوف لقوة اعتقاده بأن الله تعالى

يفعل ما يشاء ، وانه ذو العظمة الباهرة التى لا نهاية لها ، وذلك لا يمنع أن يكون ثمة اسباب ادت الى تلك الحادثة الغريبة التى خرقت النظام المألوف .

وذلك كمثل من ضبط الساعة ذات الجرس « المنبه » كى يرن جرسها فى وقت معين ، فهل يمتنع عن الاستيقاظ والانتباه لكونه يعلم ذلك من قبل ؟! فكذا علمنا النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه التغييرات جعلها الله لحكمة عظيمة الا وهى العظة والذكرى . . فهل من مدكر !! » انتهى .

عظمة الاعلان النبوى فى مناسبة الكسوف :

ومما يزيد فى عظمة هذا النبى وعظمة اعلانه هذا ، تلك الظروف التى صدر فيها هذا الاعلان المقرر للعلم المبدد للخرافة ، فقد جاء فى اشد الظروف النفسية المحزنة التى المت بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك انه كسفت الشمس فى عهده وصادف يوم كسوفها وفاة ابنه ابراهيم ، وكان ابراهيم قد كبر قليلا وترعرع مما عقد الامل بسلامته بعد اذ توفى كل اخوته الذكور من قبله ، وكان له مكان كبير فى نفس النبى البر الرؤوف الرحيم الذى شملت رحمته الد اعدائه المؤذين له ، فجاءت وفاة ابراهيم صدمة شديدة على النبى الوالد ، واى مصيبة اعظم من هذه تلم بالأب حيث فقد فلذة كبده وأمل نفسه ؟ فكان من الطبيعى والناس حديثو عهد بالجاهلية ان تظهر على السنتهم تلك المقالة : « كسفت الشمس لموت ابراهيم » وانها لكلمة بالغة الاثر فى استرضاء النفس واستمالتها ، ومنذا الذى يرزؤ بمثل هذا الخطب ثم لا يرى الدنيا مكتسية ثوب الحداد لمصابه ورزئه ، وان الشمس والقمر تشاركانه الأسى لمصابه ؟؟ !!

اثر هذا الموقف العلمى والحضارى :

لكن محمدا الامين صلى الله عليه وسلم يستشعر قبل هذا كله وفوق ذلك كل الحقيقة العلمية التى اطلعه الله عليها ولذا يقوم يخطب فى الناس ليحطم هذه الخرافة التى قيلت مواساة وتكريما لشخصه .

اجل : لم يستشعر النبى الا الحقيقة العلمية فى أمر كونى ، لم يلتفت الى عزاء ، ولا الى معنى فيه تعظيم لشأنه صلى الله عليه وسلم ، لقد كان أعظم الناس امانة واعظمهم صدقا فاستعلى على هذه الاعتبارات التى تطغى على الانسان ، وأعلن للعالم هذه الحقيقة : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت احد ولا حياته » .

ومن هنا كان العلم بالكون وعلم الطبيعة مدينا فى تقدمه وفى رسوخه الى هذا النبى الذى فتح العيون على حقائق الامور كلها : الدينية والدنيوية والكونية ، فاستنارت القلوب بدعوته الدينية وازدهرت الحضارة بشريعته الغراء ، وتقدمت العلوم الكونية بفضل رسالته ، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما .

أمثال القرآن

للدكتور : عبد الله محمود شحاته

من أساليب القرآن الكريم فى ضروب بيانه ونواحى اعجازه ضرب الامثال للناس وابراز المعقول فى صورة المحسوس وعرض الغائب فى معرض الحاضر وقياس النظير على النظير ، وبذلك يسلك القرآن سبيله الى الاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد أفرد أمثال القرآن بالتأليف عدد من العلماء منهم الشيخ ابو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ والامام شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية سنة ٧٥٤ هـ والامام ابو الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وعقد السيوطى فى الاتقان بابا لامثال القرآن وفصلا لاقسام الامثال وأنواعها (١) وفعل ذلك ابن القيم فى كتاب اعلام الموقعين .

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه انه يضرب الامثال فقال سبحانه (**ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون**) « الزمر ٢٧ » .

وقال تعالى (**وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون**) العنكبوت ٤٣ (**وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**) « الحشر ٢١ » .

---

(١) **الاتقان** ٢ / ١٣١ ، ١٣٢ .

للدكتور : عبد الله محمود شحاته

واخرج البيهقى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال) .

قال الماوردى من اعظم علم القرآن علم امثاله والناس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات ، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام ، والناقة بلا زمام .

وقال غيره : قد عدّه الامام الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدالة على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه ، وقال الشيخ عز الدين انما ضرب الله الامثال فى القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت فى ثواب أو على احباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام ، وقال غيره ضرب الامثال فى القرآن يستفاد منه امور كثيرة منها :

التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فان الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص لانها اثبت فى الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد (١) .

وقال الزركشى فى البرهان ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة .

تعريف المثل

والامثال : جمع مثل ، والمثل والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشبيه لفظا ومعنى .

والمثل فى الأدب : قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه

---

(١) الاتقان ١٣١/٢ وانظر تاريخ التفسير للشيخ قاسم القيسى مطبعة المجمع العلمى بالعراق ص ٩٩ وفيه نص كلام السيوطى .

بحال الذى قيل لأجله ، اى يشبه مضربه بمورده ، مثل « رب رمية من غير رام » اى رب مصيبة حصلت من رام شأنه ان يخطىء ، وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقرى ، يضرب للمخطىء يصيب احيانا ، وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به . ولا تختلف صيغة المثل فى كل استعمالاته فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بصيغته التى ورد عليها ، ويطلق المثل عـــلى الحال والقصة العجيبة الشأن ، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل فى كثير من الآيات . كقوله تعالى «**مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن** »١٥ ــ محمد (١) : أى قصتها وصفتها التى يتعجب منها .

واشار الزمخشرى الى هذه المعانى الثلاثة فى كشافه فقال : « والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل . ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ثم قال : وقد استعير المثل للحال او الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة .

وهناك معنى رابع ذهب اليه علماء البيان فى تعريف المثل . فهو عندهم : المجاز المركب الذى تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله . واصله الاستعارة التمثيلية . كقولك للمتردد فى فعل امر : « مالى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى » .

وقيل فى ضابط المثل كذلك : انه ابراز المعنى فى صورة حسية تكسبه روعة وجمالا . والمثل بهذا المعنى لا يشترط ان يكون له مورد . كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا .

واذا نظرنا الى أمثال القرآن التى يذكرها المؤلفون وجدنا انهم يـــوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر ، سواء أورد هذا التمثيـــــل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ؟ أو الآيات الدالة على معنى رائع بايجاز ، أو التى يصح استعمالها فيمـــا يشبه ما وردت فيـــه ، فان الله تعالى ابتداها دون أنيك ون لها مورد من قبل .

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوى الـــذى هو الشبيه والنظير ، ولا يستقيم حملها على ما يذكر فى كتب اللغة لدى من الفوا فى الامثال ، اذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن مـــا ليس باستعارة وما لم يفش استعماله . ولذا كان الضابط الأخير اليق بتعريف المثل فى القرآن : فهو ابراز المعنى فى صورة رائعة موجزة لها وقعها فى النفس ، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا .

فابن القيم يقول فى أمثال القرآن : تشبيه شىء بشىء فى حكمه ، وتقريب

---

(١) أنظر بلاغة القرآن للاستاذ محمد الخضر حسين صفحة ٢٦ .

المعقول من المحسوس ، او احد المحسوسين من الآخر واعتبار احدهما بالآخر .
ويسوق الامثلة : فنجد اكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى (**انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء**) ٢٤ — يونس ومنها ما يجىء على طريقة التشبيه الضمنى ، كقوله تعالى (**ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**) ١٢ — الحجرات اذ ليس فيه تشبيه صريح . ومنها مالم يشتمل على تشبيه ولا استعارة ، كقوله تعالى (**يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) ٧٣ — الحج (**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا**) قد سماه الله مثلا وليس فيه استعارة ولا تشبيه .

انواع الامثال فى القرآن

الامثال فى القرآن ثلاثة انواع : الأمثال المصرحة ٢ — الأمثال الكامنة ٣ — الأمثال المرسلة .

النوع الأول : الأمثال المصرحة : وهى ما صرح فيها بلفظ المثل ، أو ما يدل على التشبيه . وهى كثيرة فى القرآن نورد منها ما يأتى :

أ — قوله تعالى فى حق المنافقين (**مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيب من من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** — الى قوله — **ان الله على كل شىء قدير**) ١٧ — ٢٠ البقرة .

ففى هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلا ناريا فى قوله : (**كمثل الذى استوقد نارا ..**) لما فى النار من مادة النور ، ومثلا مائيا فى قوله : (**أو كصيب من السماء**) لما فى الماء من مادة الحياة ، وقد نزل الوحى من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها ، وذكر الله حظ المنافقين فى الحالين . فهم بمنزلة من استوقد نارا للاضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول فى الاسلام ، ولكنْ لم يكنْ له اثر نورى فى قلوبهم . فذهب الله بما فى النار من الاضاءة . (**ذهب الله بنورهم**) وابقى ما فيها من الاحراق . وهذا مثلهم النارى .

وذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه فى اذنيه واغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه ، لان القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق .

ب — وذكر الله المثلين : المائى والنارى — فى سورة الرعد للحق والباطل .
فقال تعالى (**أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق**

والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الأمثال) ١٧ ــ الرعد .

شبه الوحى الذى انزله من السماء لحياة القلوب بالماء الــذى انزله لحياة الارض بالنبات وشبه القلوب بالاودية ، والسيل اذا جرى فى الأوديه احتمل زبدا وغثاء ، فكذلك الهدى والعلم اذا سرى فى القلوب أثار ما فيها من الشهــوات ليذهب بها ، وهذا هو المثل المائى فى قوله (**انزل من السماء ماء ..**) وهــكذا يضرب الله الحق والباطل .

وذكر المثل النارى فى قوله **(ومما يوقدون عليه فى النار ..)** فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى ينتفع به فيذهب جفاء . فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث .

النوع الثانى من الأمثال الكامنة ــ وهى التى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة فى ايجاز ، يكون لها وقعها اذا نقلت الى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها :

١ ــ ما فى معنى قولهم (خير الأمور الوسط) .

أ) قوله تعالى فى البقرة (**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**) ٦٨ ــ البقــرة .

ب) قوله تعالى فى النفقة (**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) ٦٧ ــ الفرقان .

جـ) قوله تعالى فى الصلاة (**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**) . ١١ ــ الاسراء .

د) قوله تعالى فى الانفاق (**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقــك ولا تبسطها كل البسط**) ٢٩ ــ الاسراء .

٢ ــ ما فى معنى قولهم (ليس الخبر كالمعاينة) .

قوله تعالى فى ابراهيم عليه السلام (**قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** . ٢٦ ــ البقرة .

٣ ــ ما فى معنى قولهم (كما تدين تدان) .

قوله تعالى **(من يعمل سوءا يجز به)** ١٢٣ ــ النساء .

٤ ــ ما فى معنى (لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين) .

قوله تعالى على لسان يعقوب (**هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل**) ٦٤.ــ يوسف . وقد أورد السيوطى فى الاتقان احد عشر مثالا من هذا القبيل (١) .

---

(١) الاتقان ١٣٢/٢ وقارن بالتعبير الفنى فى القرآن للدكتور بكرى شيخ أمين ص ٢٢٩ ، ومباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٤٤ .

النوع الثالث : الامثال المرسلة فى القرآن : وهى جمل ارسلت ارسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهى آيات جارية مجرى الأمثال . وقد نقل السيوطى فى الاتقان طائفة منها .

من أمثلة ذلك مايأتى :

١ ـ (**الآن حصحص الحق**) ٥١ ـ يوسف ٢ ـ (**ليس لها من دون الله كاشفة**) ٥٨ النجم ٣ ـ (**قضى الامر الذى فيه تستفتيان**) ٤١ ـ يوسف ٤ ـ (**أليس الصبح بقريب**) ٨٥ ـ هـود ٥ ـ (**لكل نبـأ مستقر**) ٦٧ ـ الانعـام ٦ ـ (**ولايحيق المكر السىء الا باهله**) ٤٣ ـ فاطر ٧ ـ (**قل كل يعمل علـى شاكلته**) ٨٤ ـ الاسراء ٨ ـ (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**) البقرة ٢١٦ ٩ ـ (**كل نفس بما كسبت رهينة**) ٣٨ ـ المدثر ١٠ ـ (**هل جزاء الاحسان الا الاحسان**) ٦٠ ـ الرحمن ١١ ـ (**كل حزب بما لديهم فرحون**) ـ ٥٣ المؤمنون ١٢ ـ (**ضعف الطالب والمطلوب**) ٧٣ ـ الحج ١٣ ـ(**لمثل هذا فليعمل العاملون**) ٦١ ـ الصافات ١٤ ـ (**لا يستوى الخبيث والطيب**) ١٠٠ ـ المائدة ١٥ ـ (**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله**) ٢٤٩ ـ البقرة ١٦ ـ (**تحسبهم جميعـا وقلوبهم شتى**) ١٤ ـ الحشر .

واختلفوا فى هذا النوع من الآيات الذى يسمونه ارسال المثل ، ما حـكم استعماله استعمال الامثال ؟

فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن ، قال الرازى فى تفسير قوله تعالى (**لكم دينكم ولى دين**) الكافرون ٦ جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة ، وذلك غير جائز ، لانه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه .

ورأى آخرون انه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد ، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : (**ليس لها من دون الله كاشفة**) أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه الى باطله فيقول (**لكم دينكم ولى دين**) والاثم الكبير فى ان يقصد الرجل الـى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى فى مقام الهزل والمزاح (١) .

« فوائـــد الأمثـال »

١ ـ الامثال تبرز المعقول فى صورة المحسوس الـذى يلمسه النـاس ، فيتقبله العقل لان المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن الا اذا صيغت فى صورة حسية قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء ، حيث لايحصل من انفاقه

---

(١) بلاغة القرآن ص ٣٣ .

على شىء من الثواب ، فقال تعالى (**فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا**) ٢٦٤ ـــ البقرة .

٢ ـــ وتكشف الامثال عن الحقائق ، وتعرض الغائب فى معرض الحاضر ، كقوله تعـــالى (**الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس**) ٢٧٥ ـــ البقرة .

٣ ـــ وتجمع الامثال المعنى الرائع فى عبارة موجزة كالامثال الكامنة والامثال المرسلة فى الآيات الانفة الذكر .

٤ ـــ ويضرب المثل للترغيب فى الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس ، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق فى سبيل الله حيث يعود عليه الانفاق بخير كثير ، فقال تعالى (**مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**) ٢٦١ ـــ البقرة .

٥ ـــ ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس ، كقوله تعالى فى النهى عن الغيبة (**ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**) ١٢ الحجرات .

٦ ـــ ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى فى الصحابة (**ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزرة فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**) ٢٩ ـــ الفتح وكذلك حال الصحابة فانهم كانـــوا فى بدء الأمر قليلا ، ثم أخذوا فى النمو حتى استحكم أمرهم .. وامتلأت القلـــوب اعجابا بعظمتهم .

٧ ـــ ويضرب المثل حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس ، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه ، فتنكب الطريق عن العمل به ، وانحط فـــى أهوائه ، فقال تعالى (**واتل عليهم نبا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منهـــا فاتبعـــه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عيه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا**) ١٧٤ ، ١٧٥ ـــ الاعراف .

٨ ـــ والأمثال أوقع فى النفس ، وابلغ فى الوعظ ، واقوى فى الزجر ، واقوم فى الاقناع ، وقد اكثر الله تعالى الامثال فى القرآن للتذكرة والعبرة ، قال تعالى : (**وضربنا لكم الامثال**) ابراهيم ـــ ٤٥ وقد ضربها النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه ، واستعان بها الداعون الى الله فى كل عصر لنصرة الحق واقامة الحجة ، ويستعين بها المربون ، ويتخذونها من وسائل الايضاح والتشويق ، ووسائل التربية فى الترغيب أو التنفير ، فى المدح أو الذم (١) .

---

(١) مناع القطان مباحث فى علوم القرآن ص ٢٤٧ .

« من أمثال العـــرب »

استعمل العرب المثل فى اشعارهم ونثرهم ، كما ورد فى السنة النبوية طائفة من الامثال ، وعقد لها أبو عيسى الترمذى بابا فى جامعة اورد فيه أربعين حديثا ، وقال القاضى أبو بكر بن العربى « لم أر من أهل الحديث من صنف فأفرد للامثال بابا غير ابى عيسى ولله دره لقد فتح بابا ، وبنى قصرا او دارا ولكنه اختط خطا صغيرا فنحن نقنع به ونشكره عليه » .

وسأورد هنا طائفة من الامثـــال العربية السائرة وهى فى مجموعها تدل على مفهوم خاص للطبيعة العربيةفى جاهليتها واسلامها :

المثـــل	موضوعـــه
ان البغاث بأرضنا يستنسر	يضرب للضعيف يصير قويا
ان العوان لا تعلم الخمرة ؟	يضرب للخبير المجرب
ان الجبان حتفه من فوقه	يضرب لمن يخاف من محذور فيصيبه
انما اكلت يوم اكل الثور الابيض	الاتعاظ بما حدث للغير
اذا تخاصم اللصان ظهر المسروق	الاختلاف يظهر الشىء الضائع
رب أخ لك لم تلده امك	الاخوة الصادقـــة
ان ترد الماء بماء اكيس	الاستعداد للامر واحكامه
ما يوم حليمة بســـر	اشتهـــار الامر
نفس عصام سودت عصامـــا	الاعتماد على النفس
زر غبا تزدد حبـــا	تقليل الزيـــارة
لعل له عذرا وانت تلوم	التماس الاعذار للناس
لا ناقتى فى هذا ولا جملى	الامر ليس فيه مصلحة
لو ترك القطا ليلا لنـــام	الامر الخفى يظهر مايدل عليه
فى الصيف ضيعت اللبـــن	الامر يطلب بعد فواته
بلغ السيل الزبـــى	الامور تتجاوز فى الشـــدة
اذا أردت ان تطاع فسل ما يستطاع	الامر بما فى الطاقة والوسع
قلب له ظهر المجـــن	تبدل الاحـــوال
لكل ساقطة لاقطة	المتشابهان ينجذب احدهما الى الاخر
من اكل على مائدتين اختنق	التذبذب على موائد الغير
يقدم رجلا ويؤخر اخرى	التردد فى الامـــر
كما تدين تـــدان	الجزاء من جنس العمل
من جد وجد ومن زرع حصد	الجد والاجتهاد
الحاجة تفتق الحيلة	الحاجة سبب الاختراع

المثـل	موضوعـــه
عند الصباح يحمد القوم السرى	الراحة بعد التعب
يعلم من أين تؤكل الكتف	الرجل العارف بوجه المنفعة
كل اناء بالذى فيه ينضح	رجوع الفرع الى اصلـــه
تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها	رفض الكريم العمل الخسيس
ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى	الرفق والتوسط فى الاعمال (حديث)
الظلم مرتعه وخيم	عـاقبـــــة الظلم
عند جهينة الخبر اليقين	العلم بباطن الامـــور
صدرك أوسع لسرك	كل انسان اكتم لسره
الق دلوك فى الدلاء	المزاحمة فى معترك الحياة
لكل مقام مقـــال (١)	مطابقة المقال للحـــال

وتلاحظ على الامثال العربية انهاتجمع صفات اربعة :
١ ــ ايجاد اللفظ ٢ ــ اصابة المعنى ٣ ــ حسن التشبيه ٤ ــجودة الكناية .

ولكن المثل فى القرآن لا يخضع لهذه الشروط لان أمثلة القرآن أنواع منها الامثال المصرحة ، والامثال الكامنة والامثال المرسلة وقد اعترض بعض الكتاب المحدثين على ما ذهب اليه السيوطى فى الاتقان حيث عد السيوطى احد عشر مثالا من الامثال الكامنة فى القرآن مثل **(من يعمل سوءا يجز به)** النسـاء ــ ١٢٣ فهى فى معنى قولهم (كماتدين تدان) .

وايضا قوله تعالى (**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**) يونس ٣٩ فهى فى معنى (من جهل شيئا عاداه) .

قال هذا الباحث : (ويبدوا لنا أن ذلك تنطع وتكلف لاحد لهما . . لأن الصيغة التى تشترط فى المثل لا تتوافر فيها ولذلك فنحن نرفض ما جاء به السيوطى ومن تبعه ولا نعتبر الامثال الكامنة شيئا يستحق أن يدرج فى بحث الامثال) (٢) .

ونحن لا نوافق هذا الباحث على رايه ونرى ان الامثال القرآنية لا تخضع لما يشترطه الدارسون العرب فى المثل السائر من ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة ، لان للقرآن اسلوبا يتميز به على سائر الكـــلام فأحيانا يوافق الشروط المطلوبة فى المثل واحيانا يخرج عليها ولكنه فى كلا الحالتين يظل مثلا من أمثلة القرآن المتعددة الانواع كما اسلفنا .

---

(١) انظر الامثال للميدانى ، ومن أمثال العرب ــ تاليف محمد عبد الغنى حسن والعشرى .
(٢) دكتور بكرى شيخ أمين التعبير الفنى فى القرآن ص ٢٢٩ .

من قضاة الإسلام

أبو يوسف

للدكتور فؤاد عبد المنعم

تمهيد :

شهد مجتمع الشرع الاسلامى ، تحقيق العدل ، بايصال الحقوق الى اصحابها ، وتطبيق مبادئه وتعاليمه من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فيما يعرض عليهم من منازعات واقضية ، بذلوا كل طاقاتهم فى المسائل الجزئية المتجددة التى لا نص فيها من الكتاب او السنة ليصلوا فيها الى وجه الحق ، فنعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا ويقينا انه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك ايضا ، والنصوص اذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد .

من هؤلاء الرجال قاضى القضاة ابو يوسف . وتبدو اهمية بحث شخصيته ، انها تعين قضاة اليوم على المضى فى طريق اسلافهم ، يبتغون الحق ، ولا يخشون فيه لومة لائم .

معالم حياته :

● عربى الاصل ، من قبيلة الاوس التى نصرت رسول الله ، جده الاكبر سعد بن حبه اشترك — على الرغم من صغر سنه — مقاتلا جادا فى سبيل الله فى غزوة الخندق ، فجذب

نظر الرسول عليه السلام فأقبل عليه النبى ودعا له ومسح راسه ويقول ابو يوسف « تلك المسحة فينا الى يوم القيامة » .

● والده ابراهيم بن حبيب خياط فقير بالكوفة ، انعم الله عليه بيعقوب فى ١١٣هـ ــ ٧٣١هـ الذى اشتهر فيما بعد بأبى يوسف قاضى القضاة

● بدات علامات الخير فى ابى يوسف منذ صغره ، فسعى الى حفظ الاحاديث وسمعها من كبار رجال عصره مثل : ابى اسحاق الشيبانى وسليمان التيمى ، والاعمش ، وهشام بن عروة ، وعطاء بن السائب وعندما اصبح سنه سبعة عشرة عاما اخذ يملى على الناس . يقول الطبرى (٣١٠هـ) عنه « كان يحضر المحدث فيحفظ خمسين او ستين حديثا ثم يقوم ويمليها على الناس كما سمعها » .

● تفقه فى الدين وتتلمذ على يد محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى (١٨٤هـ) تسع سنين ، وتولى استاذه القضاء فانتقل الى ابى حنيفه (١٥٠ هـ) وحرص على مجلسه . يروى لنا ابو يوسف حالة فى تلك الفترة فيقول : « كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقل فجاء ابى يوما وانا عند ابى حنيفة وقال : يا بنى لا تمدن رجلك مع ابى حنيفة ، فان خبزه مشوى وانت محتاج الى المعاش فآثرت طاعة ابى فتفقدنى ابو حنيفه فجعلت اتعاهد مجلسه » .. وجاء والدى يضج ويصيح ويقول : يعصينى هذا الولد وانتم تعينونه ؟ فقال له ابو حنيفة وماذا تريد منه ؟ قال اريد منه ان يلزم السوق ويعول عياله » . ويذكر لنا القاضى التنوخى (٣٨٤هـ) فى كتابه الفرج بعد الشدة فيقول : « خرج ابو يوسف لمجلس ابى حنيفه يوما فأقام فيه وعاد ليلا وطلب ما يأكل ، فجاءته امه بكتبه مغطاة فكشفها فقال ما هذا ؟ قالت ما انت مشغول به نهارك اجمع فكل منه ليلا .. » ورغبته فى العلم جعلته من اجل أصحاب ابى حنيفه . وقد توسم فيه استاذه اهلية القضاء .

● تولى القضاء فى زمن الخليفة المهدى (١٦٩هـ) والهادى (١٧٠هـ) ووثقت الصلة بينه وبين هارون الرشيد (١٩٣هـ) فولاه قضاء البلاد كلها ، واطلق عليه قاضى القضاة وهو اول من اطلق عليه ذلك اللقب ، وبقى فى ذلك المنصب الى ان مات ببغداد عام ١٨٢ هـ ــ ٧٩٨ م .

دفع شبهة عن ابى يوسف :

ادعى بعض المعاصرين لابى يوسف ، انه كان يجامل الحاكم فى قضائه وقد تلقف المستشرقون هذه الروايات ورموا أبا يوسف بعدم العدل ويدحض هذه الفرية ما جاء بأخبار القضاة لوكيع : « خوصم موسى الهادى (١٧٠هـ) . أمير المؤمنين ــ الى ابى يوسف فى بستانه فكان الحكم فى الظاهر لامير المؤمنين وكان الامر على خلاف ما يظهر من الحكم فقال له امير المؤمنين : ما صنعت فى الامر الذى

نتنازع اليك فيه ؟ قال : خصم امير المؤمنين يسألنى ان احلف امير المؤمنين ان شهوده شهودا على الحق فقال موسى : وترى ذلك ؟ قال : قد كان ابن الجاليلى يراه فقال : فأردد البستان عليه .

ان عدم اطمئنان ابى يوسف لشهادة شهود الحاكم وسعيه للوصول الى الحق فى هذه المسألة ، دفعه ان يطلب بجراة من الحاكم نفسه توثيق شهوده بأن يقسم على انهم صادقون ويتهرب الحاكم من القسم بلباقة ، وامر ابا يوسف بأن يحكم لخصمه .

وقد كانت لابى يوسف عند الرشيد منزلة رفيعة بحيث يصل الى دار الخلافة راكبا دابته فيرفع له الستر فيدخل كما هو راكبا ، والرشيد يبدؤه بالسلام « مداعبا » وقد سأله يوما : ان انا شهدت امرا هل تقبلها منى ؟ قال ابو يوسف : لا فسأله عن ذلك قال : لانك تتكبر على الخلق، ولا تحضر الجماعة مع المسلمين ، فبنى الرشيد مسجدا فى داره وسمح للعامة بالصلاة فى مسجده وحضر الخليفة الصلاة معهم .

ويوجه ابو يوسف الرشيد فيقول له : « ان الدعاة مؤدون الى ربهم ما يؤدى الراعى الى ربه ، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار فان اسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته .. وكن من خشية الله على حذر واجعل الناس فى امر الله سواء القريب والبعيد ولا تخف فى الله لومة لائم » ولقد كانت ثقة ابى يوسف فى عدله دفعته الى ان يقول ساعة موته : « اللهم انك تعلم اننى لم اجر فى حكم حكمته بين عبادك متعمدا ، ولقد اجتهدت فى الحكم بما يوافق كتابك وسنه نبيك .. » . فكيف يمكن ان يقال ان ابا يوسف يجامل الحاكم على حساب المحكومين ؟!

صورة من انصاف ابى يوسف وفقهه :

روى الحسن بن زياد فقال : « كنا يوما بباب ابى يوسف اذ اقبل من دار الرشيد يبتسم فقال : حدثت مسألة فى دار امير المؤمنين ، وهى ان قاضيا بأرمينيا اختصم اليه جاريتان فى جرتين قد استقتا ماء . فوضعتا الجرتين لتستريحا فسقطت جرة احداهما على جرة الاخرى فانكسرتا فاختصمتا الى القاضى فقالت كل واحدة منهما سقطت جرة هذه على جرتى وكسرتها فجعل القاضى ينظر اليهما لا يعرف المدعى منهما من المدعى عليه . فقال للقيم : اخرهما ! ثم صاحتا واويحتا ! فقال للقيم : اذهب فاشتر لهما جرتين وارض كلا منهما . فلما كان العشى قال لرجل كان يأنس به : ماذا يقول الناس ويخوضون فيه من امرنا ؟ قال يقولون : ان القاضى لم يحسن ان يحكم فى جرتين حتى غرمهما ! فقال سبحان الله : افلا يرضون منى ان احكم فيما احسن واغرم فيما لا احسن ؟! قال ابو يوسف : فقلت يا

أمير المؤمنين هذا رجل عاقل فـزد فى ارزاقه للغرامات الف درهم كل شهر . فقلنا لابى يوسف كيف جواب هذه المسالة ؟ قال ان كانتا وضعتا الجرتين فى مستراح للمسلمين فكل واحدة منهما جاعلة جرتها فى حقها غير جانية على صاحبتها وعلى كل واحدة منهما قيمة جرة صاحبتها ، وان كانت احداهما فى مستراح والاخرى فى غير المستراح فالتى فى غير المستراح جانية على صاحبتها » . فأبو يوسف كان ينصف من يعمل معه من القضاة وان خالفهم فى الراى .

آثاره واثره :

● ان كتب ابى يوسف التى وصلت الينا قليلة فقد ضاع منها الكثير وعلى الرغم من قلة ما وصلنا منها الا انها تشهد بأنه فقيه كبير بل ورائد من رواد علم الاقتصاد ، ففى كتابه الخراج يبحث عن الموارد المالية للدولة الاسلامية من جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالى . ويعنى ابو يوسف بالخراج ضريبة الارض فقد تركت الارض المفتوحة على ملك اصحابها وفرض عليهم دفع ضريبة هى الخراج . ويعنى بالعشور ما يحصل من الاراضى التى اسلم اهلها كأرض المدينة واليمن . ويعنى بالصدقات الزكاة المفروضة على المسلمين من مالهم . وبالجوالى الجزية على رؤوس الذميين وامثالهم فهو يتعرض لضرائب الارض وضرائب الرؤوس ويظهر فى الكتاب اثر النقل والعقل معا ، فهو كثير النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو مع هذا يخالف عمر بن الخطاب فيما قدر على الاراضى ، ويرد على ما يتعلق بها من اعتراض فلقد سئل ابو يوسف : لم لم ترد الناس الى ما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وضعه على أرضهم ونخلهم وشجرهم . وقد كانوا بذلك راضين وله محتملين ؟ قال ابو يوسف : ان عمر رضى الله عنه راى الارض فى ذلك الوقت محتملة لما وضع عليها ، ولم يقل وضع عليها ما وضع من الخراج ان هذا الخراج لازم لاهل الخراج ، وحتم عليهم ، ولا يجوز لى ولمن بعدى من الخلفاء ان ينقص منه ولا يزيد فيه ، بل كان فيما قال لحذيفة وعثمان حين اتياه بخبر ما كان استعملهما عليه من ارض العراق : « لعلكما حملتما الارض ما لا تطيق » دليل على انهما لو اخبراه انها لا تطيق ذلك الذى حملته من أهلها لنقص مما كان جعله عليهم من الخراج .. فلما راينا ما كان جعله (عمر) على أرضهم من الخراج يصعب عليهم ، ورأينا اخذهم بذلك داعيا الى اجلائهم عن ارضهم وتركهم لها لم تحملهم ما لا يطيقون ، ولم تأخذهم من الخراج الا بما تحتمله أرضهم » . ومن هنا يتضح لنا اجتهاد الرجل وقوة حجته .

● كتاب اختلاف ابى حنيفة وابن ابى ليلى ، وهو نتيجة طبيعية للتلمذة عليهما ، وكان منصفا بينهما ،

ويبين موقفه منهما ، وكان له استقلاله وذاتيته فقد سأله امير المؤمنين هارون الرشيد عما يخرج من البحر من حلية وعنبر وقد كان ابو حنيفة وابن ابى ليلى رحمهما الله يقولان : ليس فى شىء من ذلك شىء لانه بمنزله السمك واما انا فأرى فى ذلك الخمس واربعة اخماسه لمن اخرجه . لانه قد روينا فيه حديثا عن عمر رضى الله عنه ، ووافقه عليه عبد الله بن عباس فاتبعنا الاثر ولم نر خلافه .

● كتاب الرد على سير الاوزاعى: ويرد ابو يوسف فيه على عبد الرحمن الاوزاعى امام الشام فى المسائل التى خالف فيها ابا حنيفة فى سيرة المسلمين فى معاملة المشركين من اهل الحرب ، واهل العهد والمستأمنين واهل الذمة واهل البغى ، وما يتعلق بها من غنائم واثار .

● كتاب الاثار ويضم روايات ابى حنيفة وبعض ارائه الفقهية .. ومن الكتب التى لم تصلنا ما يذكره لنا ابن النديم فى فهرسته لابى يوسف من الكتب فى الاصول والامالى : كتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة وكتاب الصيام وكتاب الفرائض وكتاب البيوع وكتاب الحدود وكتاب الوكالة وكتاب الوصايا ، وكتاب الصيد والذبائح وكتاب الغصب والاستبراء.

ولابى يوسف املاء رواه بشر بن الوليد القاضى يحتوى على ستة وثلاثين كتابا مما فرعه ابو يوسف : كتاب اختلاف الامصار وكتاب الرد على مالك بن انس وكتاب الجوامع الفه ليحيى بن خالد يحتوى على اربعين كتابا ذكر فيه اختلاف الناس والراى المأخوذة به » . وكتاب ادب القاضى وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون .

وكان لابى يوسف اثره فى نشر المذهب الحنفى بما الف من كتب سجل فيها اراء استاذه : ولتوليه القضاء ومنصب قاضى القضاة ، وقد كان للتجربة العملية فضل كبير فى تكوين كثير من آرائه واجتهاده التى تتسم بالواقعية ولذلك فقد صرح الفقهاء بأن الفتوى على قول ابى يوسف فيما يتعلق بالقضاء والشهادات ، وان القضاة الذين جاءوا بعده كانوا يأخذون بأحكامه .

واخيرا انقرض راى الائمة فيه : يقول استاذه الامام ابو حنيفه عندما زار تلميذه ابا يوسف وهو مريض : « ان يمت هذا الفتى فهو اعلم من عليها وأومأ على الارض » ويروى عن الامام مالك قوله : « لم يكن فى اصحاب ابى حنيفة مثل ابى يوسف علما وفقها ومعرفة ، لولاه لم يذكر ابو حنيفة ولا ابن ابى ليلى لكنه نشر علمهما .. » ويقول الامام احمد بن حنبل : « ابو يوسف كان منصفا فى الحديث .

لقد اصبح ابن الخياط الفقير يضرب به المثل فى طلب العلم والحرص عليه وكيف وصلت به ارادته الى اعلى المناصب فى مجتمع اسلامى تحققت فيه تكافؤ الفرص امام الجميع .

« ونضع الموازين القسط ليــوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

— قرآن كريم —

لا تكونوا امعة

اخرج الترمذى عن حذيفة رضــى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم

لا تكونوا امعة ، تقولـــون إن احسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا الا تظلموا » .

ثلاث من كن فيه كن عليه

البغى : قال تعالى :(**يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم**) .

المكر : قال سبحانه (**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**) .

النكث : قال تعالى : (**فمن نكث فانما ينكث على نفسه**) .

عــز التقـــوى

قال عبد الله بن الحكم للامام الشافعى لما قدم مصر : اذا أردت أن تسكن هذا البلد فليكن لك قـــوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال الامام الشافعى رضى اللـــه عنه : يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وماعندنا قوت ليلة ، ومابتنا جياعا قط . .

تفـــــاؤل

تفقد المأمون جنده يوما .. فرأى أحدهم فسأله عن اسمه فقـــال : عمر ، عمرك الله ، فقال له المأمون : ابن من ؟ فقال : ابن سعد أسعدك الله . فقال ابن من ؟ فقال : ابن سالم سلمك الله .
فقال له : أنت تحـــرس الليلة . فقال : الله يحرسك يا أمير المؤمنين وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين فأمر له بجائزة ثم مضى المأمـــون وهو يقول :

ان أخا الهيجاء من يسعى معـــك ومن يضر نفســك لينفعـــــك
ومن اذا ريب الزمان صــــدعـــك شتت فيه شمله ليجمعـــــك

العــــزب

يقال : فلان عازب أو أعزب : أى غير متزوج وهذا خطأ ، والصــواب فلان عزب .
جاء فى المعاجم اللغوية : العزب من لا أهل له .

ذلاقة اللسان

اياك والاعتقاد بأن ذلاقة اللسان تدل على الفطنة ، فالمريض لا يكـثر هذيانه الا اذا اشتدت عليه وطـأة الداء .

ابــن سبيـــل

من أطرف ما يروى أن جرير بـــن الخطفى قدم على عمر بن عبد العزيز .. وأراد أن ينشده شعرا فنهاه عمر، فقال جرير ، انما أذكر رسول اللــه صلى الله عليه وآله وسلم فاذكره .. فقــال :

ان الذى ابتعث النبــى محمـــدا جعل الخلافة للامير العــــادل
رد المظالم حقهـــا بيقينهـــــا عن جورها ، وأقام ميل المائـــل
والله أنزل فى القرآن فريضـــة لابن السبيل وللفقير العــــائل
انى لارجو منك خيرا عاجـــلا والنفس مغرمة بحب العاجـــل

فقال له عمر : ما أجد لك فـــى كتاب الله حقا . قال : بلى يا أميـــر المؤمنين ، اننى ابن سبيل فأمر له من خاصة ماله بخمسين دينارا .

وفى أنفسكم

للدكتور محمد محمد ابو شوك

فى مقال سابق تحدثت عن اعظم وادق مختبر (معمل) من صنع خالق الكون وعمل كل وحدة فيه ، بنظام ودقة طوال عمر الانسان دون ما كلل ولا ملل . ذلك هو كبد الانسان .

وفى مقالى هذا ابسط امام القارىء دليلا آخر ليتفكر ويتدبر فى خلق الله وما اجل ان يفكر ويتدبر الانسان فى خلقه هو ، ليأخذ من نفسه العبر .

سأتعرض هذه المرة الى ادق واعظم معمل تكرير فى الوجود الا وهو (الكلوة) فلنتخيل معا مدى قدرة هذا المعمل وما يقوم به من اعمال لنقف على قدرة الخالق والصانع جل علاه .

ولاهمية هذا المعمل كانت دقة تركيبه ، ووفرة المادة العاملة به ووجود مدخر منها كثير حتى انه يمكن للانسان أن يحيا حياة طيبة بنصف كلوة سليمة .

وتحتوى كل كلوة على مليون وحدة تقوم بالعمل حتى اذا فقدت وحدة القدرة على القيام بالعمل حلت مكانها وحدة اخرى ، وحتى لا تتوقف وظائف الكلوة ، وعندما نقول ان الكلوة هبط عملها واصبحت غير قادرة على

أفلا تبصرون

صدق الله العظيم

العمل تكون معظم هذه الوحدات قد أصابها العطب بسبب المرض متليفت أو انه أصاب الجهاز الذى ينقل اليها الدم خلل نتج عنه عدم وصول المادة (وهى الدم) الى الكلوة لتقوم بعملها . فيكون الهبوط كما نقول نحن الأطباء خارجا عن نطاق الكلوة وليس لمرض بها . وكذلك لو سد الانبوب (الحالب) الخارج من الكلوة والحامل لنتاج عملها وهو البول فان الكلوة تتمدد وتتكيس وتتآكل الوحدات العاملة ويحدث بها الهبوط لو استمر هذا الانسداد لفترة طويلة .

وتتركب الوحدة العاملة بالكلوة من حافظة (تسمى حافظة بومان) نسبة لمكتشفها وتحيط بالشعيرات الدموية والتى يأتى اليها الدم من الشريان الكلوى وبمرور هذا الدم فى هذه الحافظة يخرج منه السائل المكون له بما يحمل من أملاح ومواد فائضة عن الجسم والمواد التى يريد ان يتخلص منها والتى اذا بقيت به أضرته وبمرور هذا السائل داخل انابيب مختلفة الحجم والتركيب يمتص منه ما هو لازم للجسم ويفرز ما يزيد عن حاجته ، ويسير الى ان ينتهى فى

انابيب تسمى الأنابيب المجمعة والتى تصب جميعهـا فى حـوض الكـلى ويكون قد وصل فى هـذه الأنابيب الكمية من السائل والمـواد التـى يريد الجسم أن يتخلص منها والتى تسمى البول . ومن حوض الكلى الى الحالب ومن الحالب الى المثانة .

هذه العملية المتناهية الدقة والتى تعمل فيها كل خلية مكـونة لهـذه الوحدة ، تمتص ما يحتاجه الجسـم وتطرح ما لا يريده خارجها ، كل ذلك فى وقت وجيز . ولو علمنا أن ما يذهب الى الكلوتين من دم فى حالـة الراحة هو (١٣٠٠ سم٣) كل دقيقة . هذا الدم لا بد أن ينقى أى يمر فى هذا المعمل لتكريره ، فان العقـل ليقف مذهولا أمام تلك القدرة الخارقـة والتى لا يعرف كنهها ، والسر العجيب فى هذا النظام الدقيق الـذى عرف الطب منه القليل ، وما خفى أعظم .

كل هذا يدل دلالة واضحة عـلى عظمة الخالق وابداع الصانع واعود والقى بعض الضوء على ما تقوم بـه الكلوة من وظائف ليتبين لنا مـدى اهميتها للجسم :

أولا : الكلوة هى التى تنظم كمية الماء بالجسم فلو تصورنا أن سبعـة اثمان الماء الذى يمر بالكلـوة يمتص ويعاد داخل الجسم ويخرج ١/٨ الماء على هيئة بول لعرفنا مدى ما تقـوم به الكلوة من ابقاء ماء الجسم . ففى الشتاء يلاحظ أن كمية البول أكثر منها فى الصيف اذ أن الجسم يفقد بعـض الماء عن طريق العرق اثناء الصيف . لذا تبقى الكلوة الماء الـلازم للجسم فلا تخرجه وبذلك يقل البـول فى الصيف .

ثانيا : كذلك تنظم الكلوة نسبـة الاملاح فى الدم ، فالزائد عن الحاجة يخرج فى البول ، واذا نقص ملـح ابقت على وجوده والحفاظ عـلى جنسيته فى الدم حتى لا يتأثر الجسم واذا عرفنا أن لكل ملح اهمية خاصة فى وظائف الجسم لعرفنا مدى اهمية هذه العملية . فلنضرب بذلك مثلا : ملح كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) اذا نقص فى الجسم حدث انهـاك شديد للعضلات ، فلا يمكن للجسم أن يتحرك من الضعف مع هبوط فى ضغط الدم ، أو الشعور بدوار ، أو تقلصات تحـدث فى العضـلات ، وغثيان وقىء ، وتقلصات عضـلات البطن وآلام بها . وملح البوتاسيـوم لـو نقص أو زادت نسبته لحدثت تغيرات شديدة بالجسم منها كذلك الهبـوط العام ، والتأثير على انتظام ضربات القلب والقيام بعمله ، وكذلك يحـدث الغثيان والقىء ، وتتمدد الأمعـاء ويحـدث توقف لحركاتهـا وتنتفخ البطن .

من هنا يظهر جليا كم هو مهم تنظيم كمية كل ملح فى الدم وما يحـدث للجسم اذا حدث خلل فى هذه الوظيفة التى تقوم بها الكلوة .

ثالثا : وتقوم الكلوة كذلك بالحفاظ على تفاعل الدم فتبقيه على ميله الى

الناحية القلوية وذلك بتغير ما يفرز فى البول من مواد فاذا زادت حموضة الدم نشطت الكلوة لافراز كل ما يسبب ذلك ، ودفعت المواد التى تساعد على علاج هذه الحموضة الزائدة والعودة بالدم الى حالته الطبيعية ، لأن تغير تفاعل الدم يسبب خطرا على الجسم فاذا لم تقم الكلوة بهذه الوظيفة كانت الغيبوبة الحمضية التى ربما أودت بحياة المريض . وعلى عكس ذلك اذا زادت نسبة قلوية الدم فانه يسبب تقلصات شديدة فى العضلات تؤلم المريض ، فتهب الكلوة لتصحح الوضع ويعود الدم الى حالته الطبيعية بافراز المواد القلوية وابقاء المواد الحمضية . وهناك من الأمراض العديدة ما يسبب تغير تفاعل الدم واذا لم تصحح الكلوة الوضع فان حالة المريض تسوء ، وتضطرب وظائف الأعضاء المختلفة ، فالمخ يتأثر والقلب يتأثر تبعا لهما فهما يحتلان مراكز قيادية للجسم،ثم تكون النتيجةالسيئة والتدهور فى حالة المريض .

رابعا : والكلوة تحافظ على المواد اللازمة للجسم اثناء مرور الدم فيها لتصفيته فلا يخرج الجلوكوز الهام لكافة الجسم ، ولا البروتينات الهامة لبناء الجسم والعمل على المناعة فيه ، ولا تخرج الفوسفات والبيكربونات والامونيا وغيرها من المواد ، ولا يحس بنعمة الحفاظ على هذه المواد داخل الجسم الا من يصاب بمرض او قصور فى عمل الكلوة فتخرج البروتينات منها كما هو الحال فى التهاب الكلوة تحت الحادة فيتورم الجسم كله الى درجة شديدة حتى ان فتحة العين لا تكاد ترى وتتورم البطن ويمتلىء الصدر والبطن وتصاب كلها بانسكاب مائى شديد يؤثر على عمل هذه الأعضاء .

خامسا : ولولا الكلوة لما امكن لأى انسان أن يتعاطى دواء دون أن يؤثر كثيرا على بدنه ــ اذ أن الفائض من الدواء ، أو الناتج بعد حصول الجسم منه على ما يريد أو الناتج من تفاعله داخل الجسم كله تفرزه الكلوة ــ وكذلك اذا تعاطى الانسان أدوية مخدرة بكميات كبيرة خطأ أو قصدا للانتحار تكون الكلوة هى المسئولة عن التخلص من هذا المخدر ، واذا لم تعمل أو تباطأت فى العمل كانت النهاية المحتومة اذا وصلت كمية المخدر الى المستوى القاتل .

سادسا : والكلوة كذلك تطرد خارج الجسم الفضلات من المواد البروتينية وغيرها نتيجة لتمثيلها داخل الجسم والتى اذا بقيت بداخله أضرته وسببت مضاعفات كثيرة ومن ذلك البولينا وارتفاعها بسبب التسمم بالبولينا ، وحامض البوليك وارتفاعه يسبب مرض النقرس . وغير ذلك من المواد . .

سابعا : ولقد وجد حديثا ان الكلوة تفرز هرمونا يساعد على عملية تكون الكرات الدموية الحمراء ونقص هذا

الهرمون يقلل من نسبة هذه الكرات الحمراء فى الدم .

من هنا يتضح جليا ، أن وظائف الكلوة لها الأهمية القصوى على الجسم ، ولكى نلمس هذه الأهمية احب أن أوضح للقارىء ماذا يحدث عندما يهبط العمل فى الكلوتين — اى أن البقية السليمة منهما لا تكفى للقيام بالمهمة المنوطة بهما ، وهذا ما يعرف بهبوط الكلوة والذى ينتج من أمراض عدة منها التهاب الكلوة المزمن — انسداد الحالبين مع تضخم بالكلوتين أو تكيسهما ، مرض البول السكرى المتقدم، ارتفاع ضغط الدم المزمن، درن الكلوتين وتحدث كذلك فى الحالات الحادة عندما تصاب الأنابيب بتآكل شديد فجأة ولا يمكنها القيام بأى عمل. كما يحدث فى الصدمات بعد الولادة والتى تكون مصحوبة بنزف شديد . أو عندما يفقد الجسم كمية كبيرة من الدم إثر حادثة أو نزف ولا يذهب الدم الكافى الى الكلوتين وكذلك فى بعض الصدمات المصحوبة بهبوط شديد فى ضغط الدم . أو الفقدان الشديد لسوائل الجسم المختلفة كما هو الحال فى الاسهال الشديد ، أو النزف الشديد من الامعاء ، أو العرق الشديد المصحوب بهبوط فى ضغط الدم . وكذلك تهبط الكلوة نتيجة للالتهابات الشديدة فى الجسم ، أو أثر تعاطى أدوية تؤثر على الكلوتين وتضعف عملهما مثل مركبات الزئبق أو السلفا .

ويمكن للمرء أن يتصور مدى ما يعانيه الجسم من هبوطهما بعدما عرفنا تلك الوظائف التى تقوم بها الكلوة . ففى الحالات الحادة يقل البول أو ينعدم ، وفى الحالات المزمنة يكون البول كثيرا ولكنه غير مركز ويشبه الماء العادى الى حد بعيد لانه لا يحتوى على المواد العادية التى تفرز فى البول والتى لا يمكن للكلوة أن تفرزها الا بمقدار قليل ، لذا كانت شكوى المريض من انه يتبول عدة مرات ويضطر للقيام بالليل للتبول .

وفى حالة هبوط الكلوة ايضا يحتوى البول على بروتين (زلال) وكرات دموية حمراء واسطوانات . هذه الأشياء التى لا تفرز فى البول العادى وذلك لقصور الكلوة عن امكانية حجزها وردها داخل الجسم ويلاحظ على المريض انه شاحب اللون ، يحس باعياء شديد ، مع غثيان وقىء فى بعض الأوقات ، ثم تتغير حالته النفسية ، فتراه فى بعض الحالات خاملا ثم ارتباك وبلبلة فى افكاره ، واختلاط الامور عليه ، وفى الحالات الشديدة المتقدمة تعتريه غيبوبة تكون مصحوبة بتقلصات فى العضلات ، وفى بعض الحالات نزف شديد فى انحاء عدة من الجسم كالأنف والفم والجهاز الهضمى يزيد من شدة المرض مع احتقان الرئتين ، وترتفع نسبة البوتاسيوم فى الدم ، فتؤثر على جميع خلايا الجسم ، وكذلك

ترتفع نسبة البولينا وحامض البوليك وغيرها من المواد التى لا يمكن للكلوة افرازها الا وهى فى حالة سليمة .

هذا ما يحدث عندما يتوقف هـذا المعمل وهذه المصفاة الجبارة لبعض الوقت لفترة قصيرة ربما يومين ، واذا تخيلنا ما يقوم به الأطباء عندما يحاولون أن يقلدوا عمل الكلوة بجهاز خاص يسمى الكلوة الصناعية يعرف الانسان فضل ربه عليه ، فالجهاز المستعمل ضخم يحتاج الى حوالى ثلاث لترات من الدم أو أكثر ليعمل ثم يوصل دم المريض بالجهاز ويمر فى أنابيب يخرج منها بعد مروره لفترة ويكون تركيبه قد عاد الى ما يشبه حالته الطبيعية ، وأزيل ما به من مواد ضارة بالجسم أو الزائدة عن حاجته وهذا العمل الذى تقوم به الكلوة الصناعية يكون بشكل مؤقت وكما قلت لعدة ساعات ، ورغم ذلك تحتاج الى جهد عدد من الاطباء ومساعديهم ، فما بالنا بكلوة من صنع الرحمن تعمل ليلا ونهارا ، دون ما توقف لعمر الفرد ما شاء الله له ان يعيش وربما امتد الى نيف ومائة عام .

هذه هى الكلوة التى تدل على قدرة البارى جل وعلا سبحانه من خالق قدير ، يخلق ما لا تعلمون .

مخلوقات تحير الالباب ـ ولا يعرف كنهها الا خالقها . وصدق قول الله سبحانه : **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** سورة الاسراء من الآية ٨٥ .

وليحمد الله كل انسان يتمتع بصحة جيدة فلقد سخر الله له أعضاء فى جسمه تعمل ليلا ونهارا لتحفظحياته ويعمل ويجاهد فى طمأنينة ويسر ، ولا يتسع المقام اذا عددنا الامراض التى تصيب الكلوة ، وما يعانيه الفرد اذا ابتلى بها ، وكما يقال لا يحس الفرد بالنعمة الا اذا ابتلى بزوالها ، فمن هنا وجب علينا شكر الخالق المبدع الذى من علينا وما زال بهذه النعم .

مشكلات المسلم

محمد المجذوب

الآن ، وقد انطوت الايام تلو الايام على فراق المواسم الروحية ، التى يعمر بها المسلمون رحاب الحرمين المباركين فى كل عام .. يجدر بالمؤمن أن يستعيد انطباعاته عنها ، ليحدد مدى آثارها فى نفسه وفى من حوله . واذا كان مثل هذا التقييم مجديا فى كل مكان من دار الاسلام ، فهو أجدى علينا نحن الذين أكرمنا الله بالمقامفى ظل بيته المطهر ، ومسجد نبيه الانور،اللذين جعلهما مثابة المؤمنين ، يهفون اليهما من أدانى الارض وأقاصيها ، ليتعرضوا للنفحات القدسية ، وليغسلوا أرواحهم من أوضار الدنيا بشآبيب الرحمة ، التى خص بها الله تلك المناسبات التى لا تنسى ، وبخاصة فى هذه البقاع المكرمة ..

كان الحرمان كدأبهما فى هذه المواسم الحبيبة مركز القلب من عالم المسلمين ، اذ اقبل اليهما كل من استطاع،وأنعم الله عليه بغشيانهما، من مختلف الاقطار والالسنة والالوان حتى ليغصان ، على سعتهما ، بالوافدين قائمين وراكعين وقارئين .. فما يكاد ابن مكة والمدينة يجد معبرا يسلكه للمشاركة فى الصلاة.. لان سيل هؤلاء الاخوة قد تدفق حتى تجاوز ابواب الحرمين الى ماحولهما من السوح والرحاب ..

ولا جرم أن منظرا كهذا لا بد ان يؤجج الوهج الروحى فى قلوب أولى الالباب ممن يهمهم أمر الاسلام وعزة المسلمين .. وإذن فلا مندوحة لهم

للأستاذ محمد المجذوب

عن التساؤلات : انها لغمرة الايمان الحق تحرك هذه الالوف المؤلفة ، فتدفعها بأشواق الحب الاعلى الى نشدان القرب والرحمة والمغفرة ولكن .. ما حصيلة ذلك كله فى واقع الناس اثر هذه المناسبة الكريمة .

ان الكتائب التى انطلقت من هذين الحرمين لاستئصال الردة الجاهلية ، ومن ثم لابلاغ العالم رسالة الله ، لم تكد تبلغ فى الاحصاء عدد هذه الحشود المقبلة على طاعة الله فى حرميه ، ومع ذلك فقد حطم الاولون عروش الطواغيت ، وركزوا الوية الاسلام من قلب الصين الى بحر الظلمات ، واقاموا فى كل مكان وطئوه اسس الحضارة المثلى ، التى استمرت تظلل العالم طوال عشرة قرون ، ولا تزال تغذى العقول البشرية بروافد العلوم المنشئة للمدنيات حتى اليوم ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها .

أما هؤلاء فقد عجزوا دون استثناء ان يسهموا بأى اثر فى الحضارة ، أو فى تصحيح مسيرة الانسانية التائهة ، لانهم عجزوا عن اكتشاف انفسهم ، ونسوا بذلك رسالتهم ، فراحوا يتكففون أيدى الآخرين ، ويتسقطون الفتات من موائد المعربدين .

كيف حدث هذا التفاوت بين الاولين والآخرين ؟ .. ما بال النفوس الكبيرة قد مسخت ، والعقول المبدعة قد عقمت،والمواهب الضخمة قد تقلصت ، حتى فقدت الصلاة والصيام والحج والتهجد اسرارها المحيية ، فلم تعد تصنع العجائب ، كما فعلت فى السابقين ؟. وقصرت موحياتها على أوقاتها ، فما ان تنقضى حتى يعود هؤلاء الى مسيرتهم من مهامة الضياع،لايكادون يعرفون اين‌يتجهون، ولا يحسنون حتى التفكير بما يعملون ..

لقد كانت العبادة عند سلف هذه الامة مراكز تعبئة لمدخرات العزائم ، يلوذون بها لتنقية الطاقات من أسباب الخور العالقة بها من إغراءات الدنيا ، فاذا قضوا مناسكهم ، وغادروا معاكفهم ، كانوا صورة القضاء الالهى ، يهدم صروح الباطل ، ويشيد معالم الحق ، فلا تقف فى وجوههم قوة بشرية ولا شيطانية ، حتى ليستطيع كل

منهم أن يقول لبغاة الارض ما قالـه خالد لطغاة فارس : « **والله لــو صعدتم الى السماء لأهبطكم الله الينا أو رفعنا اليكم حتى نقضى عليكم ..»**

أما نحن : خلفهم الذين آثـــروا دواعى الشهوات ــ فقد فرغنـــا العبادة من أرواحها ، فعادت كالزهر الصناعى ، له شكل الزهر وليس له أريجه ، وبذلك اختلفت نتائجها بيننا وبين اسلافنا ، فأولئك اتسعـــت بالعبادة آفاق نفوسهم،فكانوا عمالقة العالم الذى تضاءلت أناسيه حتـى بدت كالاقزام بازائهم ، وفقدنا هــذه الخاصة العجيبة فكلنا كالاقزام فـى دنيا العمالقة !..

أولئك بانفتاحهم الروحى علـــى كتاب الله وحكمة رسوله صلى الله عليه وسلم تزودوا بالقوة التى مكنت لهم من أزمة البشرية ، فكانت الارض كلها وطنهم لا يكاد ينازعهم فيـــه منازع ، ونحن بانغلاقنا دون هــذه المشارق أضعنا تراثنا،وسلبنا اوطاننا وبتنا من الذل بحيث نغزى ولا نغزو ، فى كل مكان ، وكأننا أشياء لا يأبــه بها انسان ! .. وكل ما نطيقه شكوى نرفعها الى الاعداء ، أو صرخـــة تتلاشىء مع الهباء .. ثم يفـــرج المسئولون عن صدورهم بتدميـــر حصونهم ، وارهاب المخلصين مـــن اهليهم واخوانهم ، الذين كل ذنبهم انهم يقولون : ربنا الله ! ..

وبعد .. فهل من سبيل الـــى تصحيح هذه الاوضاع المقلوبــــة فنعيد للعبادة آثارها المسلوبة ، لكى نستعيد بها مركزنا الطبيعى مـــن قيادة الدنيا وهدايـــة القطعـــان الضالة ؟ !

مثل هذا السؤال كثيرا ما سمعته فلم أجد له جوابا الا فى هذا التقدير الالهى الجازم : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجـــا ويرزقـــه من حيـــث لا يحتسب .. »** الطـــــلاق / ٣

فبالتقوى اذن نجد المخرج من كل هذه المحن وذلك الضياع .. وبالتقـــوى يرزقنا الله كل ما يعوزنا من التأييد والعزة والانقاذ ..

والمهم ان يعلم المسلم ان التقوى ليست كلمة تقال ولا صلاة تقـــام ، وان كانت الكلمة الطيبة والصـــلاة الخاشعة بعض شروطها ، وانما هى برنامج حياة يعالج بمفرداته أمراض نفسه فى تسليم مطلق لاوامر الله ، وانزجار واع عن مناهيه ، فلا يحب الا فـــى اللـــه ، ولا يبغض الا له ، وكل علاقة بينه وبين غيره فعلـــى أساس من هذا المنهج الربانى ، الذى يقرره سبحانه بقوله الجامع المانـــع

« قل أن كان آباؤكم وأبناؤكـــم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكـــم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحـــب اليكم من الله ورسوله وجهاد فـــى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين . » التوبة /٢٤ ..

وتلك هى الركيزة العظمى التـــى عليها نهض كيان المجتمع الربانى فى ظل كل نبى ولا سيما فى ظـــلال خاتمهم ، صلوات الله وسلامـــه عليهم أجمعين ، حتى لم يكن للمؤمنين

من رابطة تعدل رابطة الاسلام ، فهو منطلق الاخوة ، ومنه تستمد الصلات الاجتماعية مقوماتها وقيمها .. وقد راينا نبى الله نوحا عليه السلام يتوب الى ربه ويستغفره من استرحامه لولده ، بعد أن اتضح له أنه من اصحاب الجحيم ، ورأينا بعده ابراهيم عليه السلام يتبرأ اليه سبحانه من ابيه لما تبين له انه عدو لله ، وفى الصدر الاول لهذه الامة راينا الصحابى يقتل اباه واخاه ، ويخاصم كل نسيب وقريب فى مرضاة الله ورسوله ، ولا تزال كلمة الفاروق ، تدوى فى مسمع التاريخ يوم اشار على رسول الله فى أعقاب غزوة بدر قائلا : « أرى أن تمكننى من فلان — قريبه — فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين » . (منتخب السنة) .

لا جرم أن التحقق بهذه الصفات امر قصى المنال ، ولكنه الامر الذى لاخيار فيه ، فنحن أمة كتاب هو خاتم رسالات الله ، فلا كيان لنا الا عن طريقه وبالتزامه ، بيد أن الرضى بهذا الواقع المحتوم والتحرك باتجاهه كفيلان بتحقيق ما نتوهمه من المستحيلات . وفى سورة الحديد من كتاب الله بشرى ما أحوج المسلمين الى تدبرها والانتفاع بها فى كوارثهم الساحقة . انه سبحانه يذكرنا بالتحجر الذى انتهت اليه قلوب أهل الكتب السابقة بسبب انصرافهم عن سبيلها ، فيحذر المؤمنين من الوقوع فى مثل تجربتهم ((.. **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)** آية/١٦ .

ثم لا يلبث أن يلفتنا الى الوسيلة التى تنقذنا من ذلك المصير الرهيب ، الا وهى العودة الى كتاب الله ، فهى كفيلة بأن ترد الى قلوبنا الحياة بعد الموت ، والى عزائمنا القوة بعد الفوت ، والى سمعتنا المهابة بعد الذلة ، كما يرد الغيث الى الارض حياتها (**اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)** الحديد /١٧ !!!

اجل .. ذلك هو الطريق السوى الى استرداد حقيقة اسلافنا ، ثم الى استنقاذ أوطاننا ، واستعادة عزتنا .. ورضى الله عن الفاروق الذى احاط بهذه الحقيقة أيما احاطة، اذ قال لاخيه ابى عبيدة عليهما رضوان الله : « نحن قوم اعزنا الله بالاسلام ، ومهما نبتغ العزة بغيره اذلنا الله .. »

وان الصعود الى هامة القمة لأمنية من حقها ان تراود كل مؤمن يعيش مأساة أمته فى هذه الآونة ، التى تتكالب فيها أمم الشرق والغرب على المسلمين . ولكن تعيين الوسائل الضامنة لتحقيق هذه الأمنية لا يعقله إلا العالمون ..

ان المشكلة فى رايى المتواضع ذات وجوه ، كل منها مشكلة لا مندوحة عن معالجتها أولا فى ضمائر الشعوب .

وما احسب ثمة متسعا للخلاف

على أن فى راس مشكلات المسلم المعاصر ، التى تحول دون استرداده لشخصيته هذه المعوقات الاربع :

١ ـــ الاختلاف فى نظام العقيدة
٢ ـــ العصبيات المذهبية
٣ ـــ الركض وراء المغريات
٤ ـــ اسقاط الجهاد من حياة المسلم .

أما موضوع العقيدة فهو نقطة الانطلاق التى على صحتها يتوقف مصير الانسان كله ، ومن هنا كان التركيز على تصحيحها وتوضيحها هو الركن الاساسى فى مهام النبيين ، ومن سلك سبيلهم من المصلحين ، وهو القاعدة التى قدمها رسول الله لصناديد قريش ،يوم جاؤوا يفاوضون عمه أبا طالب بغية اصلاح ما بينه وبينهم ، فقال لهم : « نعم .. كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم .. تقولون : لا إله الا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » ..

وكان مفهوم كلمة التوحيد من الوضوح فى أذهان زعماء المشركين يومئذ بحيث لم يجدوا حاجة الى أى جدل فى شأنه ، فرسول الله لا يقبل منهم الا التحرر الكامل من كل عبودية لغير الله ، وهم لا يريدون الانسلاخ من تقاليد الآباء ، ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، لذلك كان جوابهم : والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا ،

انه توجيه الولاء كله لله ، فكما انه هو الرزاق الخلاق وحده ، كذلك هو المتفرد بحق الطاعة والعبادة واسلام النفس ، حتى لا يطاع مخلوق فى معصيته كائنا من كان ، وبالغا ما بلغ من السلطان .

وفى نطاق هذه التربية الربانية من معانى (لا إله الا الله) تكون الجيل الأول من مدرسة النبوة ، ومن هذا المنطلق تحركت طاقاته المتكاملة لتحرير الجزيرة ثم لتحرير العالم كله من ظلمات الجاهليات . وقد مضى اولئك يجاهدون فى سبيل الله على هدى من الله ، وعلى أتم الانسجام مع سنن الكون ، لاتمزقهم صراعات الأفكار التناقضة ، ولا تخدعهم عن الحقيقة التى آمنوا بها بهارج الفلسفات المتضاربة ، فكانوا الدم الجديد فى شرايين الجسم البشرى يرد اليه الحياة بعد أن شارف الموت ، ثم خلف من بعدهم خلف آده ثقل الامانة ، واستهوته الشياطين ، فاذا هو فريسة الضياع الفكرى إلا من رحم الله .. وهكذا تمت مشيئة الله بتفكك هذه الأمة الى عشرات الفرق ، كل حزب بما لديهم فرحون .. وساق ذلك التمزق فتنا ومحنا اغرقت ديار الاسلام فى لجج من الدماء لم تجف حتى الساعة !..

ولنقف من هذه المآسى عند حدود الولاء ، الذى ما برح يفتت طاقات المسلمين ويهدر إمكاناتهم الكثيرة .

إن الولاء الذى كان فى ظل التوحيد الخالص منصرفا الى الله وكتابه وسنة نبيه ، قد بات اليوم موزعا بين مختلف النوازع .. فولاء الشيوخ زعموا لنفسهم حق التشريع ، فبه يفرضون على مريديهم كل

ما يخدر قومهم ويضخم زعامتهم ، الى ولاء لطواغيت فرضوا سلطانهم على شعوبهم بقوة الحديد ، فبهذه القوة يسلخونهم من شريعتهم ، ويحكمونهم بما اخترعوا أو اجتلبوا لهم من أنظمة شيطانية ، لا مردود لها سوى التمكين لعوامل الفرقة ، فى شحناء تذهب بريحهم جميعا لمصلحة اولئك المتسلطين وحدهم !! ..

ولعلنا لا نفاجىء القارىء بجديد اذا قلنا : إن كثيرين جدا من المصلين ، الصائمين الحاجين المعتمرين المعتكفين لا يرون اى بأس فى ان يهبوا تأييدهم وتصفيقهم لطواغيت غاشمين ، أو متحكمين ملحدين احلوا قومهم دار البوار ! ..

وان غير قليل من هؤلاء المغفلين يعلنون فى غير جمجمة : ان الاسلام شىء والسياسة شىء ، وان من توقيرنا للاسلام ، أن نقصيه عن نطاق السياسة ، كما يقرر صاحب كتاب (الاسلام واصول الحكم) ومن تبعه من المضللين ! ..

وان بين هؤلاء واولئك لرجالا من ذوى الشهادات العليا جدا يقصدون البيت الحرام والمدينة المنورة ، مدفوعين الى ذلك بحافز الفطرة العطشى الى غير الاشربة المادية ، دون ان يعرفوا اى شىء عن الاسلام ، حتى الصلاة التى هى العهد المميز للمسلم لا يعلمون كيف يؤدونها ، ويستنكفون ان يسألوا من يحسن توجيههم الى صحة ادائها ! .. وليسمح لى صديق عزيز ان أعلن الآن ما اسر به الى من ان احد هؤلاء قد كاشفه ، وهو بجوار أحد ، انه لا يدرى اى خبر عن غزوة احد ! ..

وهل أنا بحاجة الى التوكيد مرة ثانية أن من غير المبالغة الزعم بأن هؤلاء يؤلفون الكثرة الكاثرة من سواد المسلمين !

واذا صح هذا وهو صحيح ، فأى عجب الا نلمس لعبادات هؤلاء من ثمرة فى نطاق الحياة العامة ، والا تزودهم عبادتهم تلك بأى حافز لمقاومة البغاة ، العادين على اوطانهم ومقدساتهم ! ..

وطبيعى ان مجرد فقدان الجماهير ضوابط الوعى الاسلامى هو الذى يجردهم من كل حصانة ضد التبعيات العمياء على اختلاف اشكالها .. وليس التعصب المذهبى ، الذى يزين لصاحبه ايثار امر الشيخ على حكم الله ورسوله ، والذى لا يزال يؤرث الشقاق بين أهله، سوى بعض المضاعفات الناتجة عن هذا الداء، وهل هذا التعصب الهدام الا احدى ظواهر الانحراف عن مهيع الاسلام ، الذى يلزم المسلم ان يتجرد من كل ولاء لغير الله ورسوله ؟ ..

ثم نتساءل : ما الذى يسوق المسلم الى الركض وراء سراب الدنيا من المتاع الزائل ، حتى يكاد يحصر كل همه فى حدود الدخل المادى ، ومستوى المعيشة ، والمزيد من العلاوات، واهتبال كل الفرص للضرب فى الارض .. ثم القاء ازمته ومن تحت ولايته الى أكف الشياطين من سفهاء الناس ، يتابعونهم فى كل

حركة وسكنة ، حتى لو دخل احدهم جحر ضب لدخلوه وراءه ! .. اليس ذلك كله دليل تميع الشخصيـــــة ، وفراغ القلوب من المقومـــات التـــى تملأ كيان المؤمن يقينا بأنه شاهد الله على الخلق ، والمسئول عن قيـــادة الزائغين الى سبيل الحق ! .. فكيف به يرضى أن يكون الإمعة الذى لا يتماسك عن الاستجابة لكل ناعق !..

واذا نحن احطنا بهذه الوقائع،وتبينا ما بينها من الوشائج ، لم نستغرب أن ينتهى المطاف بالمسلم ــ الذى هــذا شأنه ــ الى اسقاط فكرة الجهاد من حياته كليا ، لان فاقد الشعـــــور بالمسئولية لا يستطيع الارتفـــــاع بتفكيره الى مستواها .. ومن ثـــم فأى محرض يمكن ان يغريه بالمغامرة فى صراع قد يكلفه راحته ومالــــه ونفسه ! .

لقد فهم الجيل الاول من الصحابة ومن تبعهم معنى الامر الحاســـم فى قوله تعالى : (**انفروا خفافـــا وثقالا ..**)التوبة /٤١ ..

فلم تشغلهم متعة ولا رغبـــة عن النهوض بواجب الجهاد ، اذ كان كل منهم مثال المؤمن الذى وصف رسول الله مدى استعداده للجهاد بأنـــــه (.. ممسك بعنان فرسه فى سبيـــل الله كلما سمع هيعة ــ استغاثة ــ طار اليها) حتى كان من الصحابـــة الشيخ الفانى يتوقع الاجل بين يوم ويوم ومع ذلك يرى دائبا على تعهــد الرمى خشية ان ينساه،وحتى كان من التابعين من فقد القدرة على القتال ، ومع ذلك يأبى الا صحبة المجاهدين لخدمتهم وحراسة امتعتهم ، فـــاذا قيل لهذا أو ذاك : إن شيخوختــــك قد أعفتك من هذا العبء ، اجـــاب .. ولكن الله لم يعف احدا حين قا ل: (**انفروا خفافا وثقالا ..**)

من اجل ذلك كان الحث علــــى الجهاد احد العناصر الكبرى فــــى البيان الخلافى الاول ، الذى خاطب الصديق به اخوانه من الرعيل الاول فقال : « لا يدع قوم الجهاد ، فانــــه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل .. »

وعلى هذا السنن جاء خطاب ثالث الراشدين كرم الله وجهه ، الذى كان ابرع نص ادبى يصور جلال الجهـــاد وأهميته فى حماية البيضة وصيانة العزة ، وفيه قولته الشـــــهيرة : « اغزوهم قبل أن يغزوكم .. فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا »

وهل بقيت ثمة حاجة لتوكيد هذه الحقيقة ، بعد ان لمسنا بكل واقعنا مدى الذلة التى استحوذت علــــى المسلمين منذ مكنا لأحفاد قريظــــة والنضير وقينقاع من نقل المعركة الى قلب ديارنا !!

قلت فى مستهل هذه الانطباعات : ان المشكلة ذات شعب لا مندوحة عن معالجتها فى ضمائر الشعوب ... والحق انى عاجز عن تحديد الشكل الأفضل لهذه المعالجة ، ولا سيما بعد ان اصبحت ازمة التربية بل (الثقافة والارشاد) منوطة بتنظيمات تملــى معظمها ارادات متسلطين ، لا يرون من مصلحتهم الاهتمام بصيدليــــــة الاسلام !! ..

والأمر لله من قبل ومن بعد ..

أضواء على حركة المنافقين في عهد النبوة

« الحلقة الرابعة »
والاخيـرة

للاستاذ عبد القادر طائش التركستاني

● دور المنافقين في غزوة الاحزاب :

كان لليهود في تحزيب الاحـزاب وتأليبهم ضد رسول الله صلى اللـه عليه وسلم دور رئيسي . فلقد قاموا بدعوة القبائل العربية لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين . وكانوا يريدون من وراء ذلك الانتقام من المسلمين الذين اجلوهم عن المدينة قدموا على قريش فحرضوهم علـى القتال قائلين : انا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم . وجاءوا غطفـان فدعوهم ومنوهم . فخرجت قريش . وخرجت غطفان قاصدتين يثـرب للقضاء على الاسـلام ، فلما سـمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ضرب الخندق على المدينة وبعد فراغه من الخندق اقبلت قريش وغطفـان وخرج اليهود حتى اتوا اخوانهم من بني قريظة ـ وكانوا قد وادعـوا رسول الله صلى الله عليه وسـلم وعاهدوه على عدم الحرب ـ ومـا زالوا بهم يمنونهم ويعدونهم حتـى استجابوا لهم فنقضوا عهدهم مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف على المسلمين ، (**واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله**

الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنــــون وزلزلـــوا زلــــزالا شــــديدا) الأحزاب / ١٠ ، ١١ حتى كـــان ليلهم فى الخندق نهارا ولم يقدروا على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء .

ووجد المنافقون فى الكرب المزلزل والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبايا نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد . وكان عملهم فى هــذه الغزوة يتلخص فى الأمور التالية : —

١ — الاستهزاء والسخرية من وعد الله والسعى بالفتنة . فقد قالوا : كان محمد يعدنا أن نأكــل من كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يأمن نفسه ان يذهب الى الغائط ! **(واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهــم مرض ما وعدنا الله ورسولـــه الا غرورا)** الاحزاب — ١٢ .

٢ — الخوف من القتال والجبن عند النزال . وقد صور القرآن الــكريم ذلك فى صورة مضحكة تثير السخرية بأولئك الجبناء فيقول **(فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت)** الاحزاب ١٩ . وهم من شدة خوفهم وارتعاشهم لا يصدقون أن الاحزاب قــد ذهبت **(يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسالون عن انبائكم)** الاحزاب ٢٠ يا للسخرية .. إنهم يتمنون أن لو كانوا من أعراب الباديــة فـلا يشاركون اهل المدينة فى حيــاة ولا مصير ..

٣ — الاستئذان فى عدم القتــال والرجوع الى المدينة بحجة أن بيوتهم عورة للعدو متروكة بلا حمايــة ، والحقيقة غير ذلك (**ويستأذن فــريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عــورة وما هى بعورة ان يريدون إلافرارا)** الاحزاب ١٣ .

٤ — وفوق تخلفهم عن القتــال واعتذارهم عن الجهاد بتلك الاعذار السخيفة فهم يحرضون المؤمنين على ترك الصفوف والعودة الى المدينة بحجة أن بيوتهم معرضة للخطــر وراءهــم . (**واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا)** الاحزاب ١٣ (**(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الى قليلا)** الاحزاب ١٨ .

٥ — وبعد أن ذهب الخوف وجــاء الامن خرجوا من الجحور وارتفعت اصواتهم بعد الارتعــاش وانتفخت أوداجهم بالعظمة وظهروا بعد الانزواء فى غير حياء ما شاء لهم الادعاء مــن البلاء فى القتال والفضل فى الاعمال والشجاعة والاستبسال قال تعــالى **فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالســنة حداد**) الاحزاب ١٩ .

ولكن رغم هذا الهول والكــرب والشدة والضيق فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثابــة الامن للمسلمين ومصدر الثقة والرجــاء

والاطمئنان ومن ثم قال المسلمون (**هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما**) وكان منهم (**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**) الاحزاب ٢٢ ، ٢٣ وانتهت المعركة بأن (.. **رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا وعزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شىء قديرا**) الاحزاب ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

● فى غزوة بنى المصطلق : ـ

جمع سيد بنى المصطلق ـ وهم من اليهود ـ لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارسل الرسول اليهم « بريدة به الحصيب » ليعلم علم ذلك فذهب واكتشف حقيقة نوايا يهود ثم اتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره . فخرج المسلمون لقتال بنى المصطلق . وخرج معهم المنافقون فى كثرة لم يخرجوا قط فى مثلها وكان على راسهم زعيمهم « ابن سلول » وكان للمنافقين فى هذه الغزوة دوران هامان كان لهما اثر كبير وبلبلة شديدة كادت أن تشعل فتنا مستمرة لولا أن عصم الله المسلمين وفضح الاعيب المنافقين

الدور الاول : ـ هو بذر الفتنة والشقاق بين المهاجرين والانصار وتوسيع شقة الخلاف بينهم لسبب تافه فقد اختلف اثنان من المسلمين احدهما من الانصار والآخر من المهاجرين حتى اقتتلا فصرخ الانصارى يا للأنصار . وصرخ المهاجرى : يا للمهاجرين .. فاستغل عبد الله ابن ابى هذه الفرصة ليكيد كيده ويخرج ضغنه وحقده . فقال : أوقد فعلوها . قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما عدنا وجلابيب قريش الا كما قال الاول : سمن كلبك يأكلك . اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ثم اقبل على قوم فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم . احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم . أما والله لو امسكتم عنهم ايديكم لتحولوا الى غير داركم .. وهنا تظهر القمة السامقة التى رفع الايمان اليها اتباعه فقد انبرى من بين المسلمين عبد الله بن عبد الله بن ابى مثال المؤمن المتجرد الطائع الذى شقى بأبيه وضاق بافاعيله وخجل من مواقفهفطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ان كان يريد قتل أبيه ـ ان يأمره هو بقتله وهو لا بد مطيع .!! ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الرحيم الرؤوف الحكيم ـ يقول له : بل نترفق به ونحسن صحبته ما

بقى معنا . واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع الفتنة قبـــل استفحالها فأمر بالرحيل فى ساعـــة لم يكن يرتحل فيها لشدة الحـــر . ولكنه أراد ان يشغل الناس بالرحيل والسفر عن كثرة القيل والقال التى اثارها راس النفاق .

والدور الثانى : الذى لعبـــوه فى هذه الغزوة هو « حديث الافك » فقد حدث اثناء رجوع المسلمين من غزوة بنى المصطلق ان اذن المؤذن بالرحيل وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها فى الجيش فذهبت بعيدا لقضـــــاء حاجتها فلما عادت افتقدت عقدا لهـــا فذهبت تبحث عنه . فلمـــا رجعت وجدت الركب قد سار . وقد ظنـــوا انها فى هودجها . إذ كانت خفيفة المحمل . فحمل الهودج دون تأكد .. فظلت عائشة فى مكانها وذهبت فى النوم فمر بها صفوان بن المعطـــــل فعرفها فايقظها واناخ لها ثم سار بها الى المدينة فلما راى « ابن أبى » ذلك قال : فجر بها ورب الكعبة .. ما نجا منها ولا نجت منه .. وصار يقـــول ايضا : امراة نبيكم باتت مع رجـــل حتى اصبح . وراح يشيع ذلك فى المدينة وينشيه ويحركه ولا يدعه يخمد واشترك معهم المنافقون بكل وسائلهم الملتوية حتى بلغ من خبث هذه الفتنة ان ماجت المدينة بالفرية التـــى لا تصدق أبدا . ولاكتها السنة المسلمين واصبحت موضوع حديثهم لشهر كامل ولقد كلف ذلك الحادث وهذا الحديث قلب الرسول صلى الله عليه وسلم آلاماشديدة وكلف الامة المسلمةتجربة شاقة وعلق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلب عائشة التـــى يحبها وقلب أبى بكر الصديق وزوجه وقلب صفوان بن المعطل شهرا كاملا علقها بحبال الشك والقلق والألم الذى لا يطاق وعندما تصل الآلام الى ذروتها على هذا النحو يتعطف عليه ربـــه فيتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الافك ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة فى مواجهة مثل هذا الشأن العظيم .. وهـــكذا لعب المنافقون فى هذه الغزوة هـــذين الدورين الخطرين ، وكان هدفهـــم القضاء على الاسلام بدافع الحقـــد والحسد والضغينة ولكن الله ابطل كيدهم وكذب افتراءاتهم (**لكل أمرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم**) النور ١١ .

● فى غزوة تبـــوك : ــ

فى رجب سنة ٩ هـ امـــر الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان من عسرة الناس وشدة من الحر وجـــدب من البلاد . وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهـــم ويكرهون الشخوص على الحال مـــن الزمان الذى هم عليه وكان الرسول

صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها واخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له . الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو ليأخذ الناس اهبتهم فأمر الناس بالجهاز واخبرهم انه يريد الروم وكعادة المنافقين فى كل غزوة فقد كانت لهم فى هذه الغزوة مواقف نجملها فيما يلى : —

١ — الاستئذان فى التخلف وانتحال الاعذار لذلك فقد استأذن بعضهم فى التخلف مخافة الفتنة ببنات الروم وفيهم نزل قوله تعالى « **ومنهم من يقول : ائذن لى ولا تفتنى . آلا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين** » التوبة ٤٩ — وقد عاتب الله سبحانه رسوله على اذنه لهم (**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**) التوبة ٤٣ .

٢ — تثبيط الهمم . فانهم كعادتهم لم يكتفوا بالتخلف والقعود بل راحوا يثبطون همم العامة بوسائل متعددة كالاستهزاء والتهكم والسخرية والتخويف (**وقالوا : لا تنفروا فى الحر**) وقد كان بعضهم يقول لبعض اتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا . والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الحبال . وكانوا يستهزئون بالمسلمين ويسخرون منهم حتى قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء . . وكانت جماعة منهم يجتمعون فى بيت (سويلم اليهودى) يثبطون الناس عن رسول الله فبعث اليهم صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل ثم سار المسلمون بعد ان فشل المنافقون فى دعاياتهم وأراجيفهم وهذه الحقيقة تعطينا صورة واضحة لجامعة التآمر فى الظلام التى تجمع بين المنافقين ومن بقى من اليهود فى المدينة وتؤكد الارتباط الوثيق بين الفئتين .

٣ — وعندما يئس البائس « ابن ابى » بعد فشل دعايته جمع الناس حتى احتشد نفر منهم تحت لوائه وظن انه سيستطيع خداعهم وكان غرضه من ذلك ان يجمع قومه ومن فى قلوبهم مرض والمتشككين ثم يرجع بهم الى المدينة وفعلا فقد خطب فيهم ثم رجع بهم ظانا أنه قد يؤثر عليهم ذلك فى بلبلة الصف المسلم ولم يدر أن خروج المنافقين مع المسلمين لا يزيدهم الا ضعفا وصدق الله (**لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا . خلالكم يبغونكم الفتنة**) التوبة ٤٧ .

٤ — الارجاف فى المدينة واستغلال الفرصة لبث الفتنة فقد خلت المدينة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذهب معه المسلمون الاشداء فخلا بذلك الجو لهم فعملوا على ملء المدينة بالاراجيف والدعايات الكاذبة حتى

اصبحت المدينة تئن من اذاهم وسفههم ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد خلف على بن ابى طالب على أهله وأمره بالاقامة فيهم فما كان من المنافقين الا أن أرجفـوا بعـلى وقالوا : ما خلفه الا استثقـالا له وتخففا منه . فلما سمع رضى الله عنه ذلك أخذ سلاحه ثم خرج حتى اتى الرسول وهو نازل بالجرف وقـال : يا نبى الله . زعم المنافقون انـك انما خلفتنى لانك استثقلتنى وتخففت منى فقال : كذبوا ولكن خلفتـك لما تركت ورائى . فارجع واخلفنى فـى أهلى واهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى . الا أنه لا نبى بعدى . فقال علـى : رضيت ثم رضيت ثم رضيت . ورجع الى المدينة . وقبل مقدم الجيش الـى المدينة بعد المعركة اطلق المنافقـون اشاعة بأن محمدا صلى الله عليـه وسلم وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا .

٥ ــ التآمر لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم : ــ فقد اتفق جماعة من المنافقين على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم وطرحـه من العقبة بين تبوك والمدينة وذلـك عند رجوعه من الغزو . وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تآمروا عليه فأمر الناس بالمسير من الوادى وصعد هو العقبة مع أولئك النفر وقد تلثموا . وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه فبينما هم يسيرون اذ سمعوا بالقوم قـد غشوهم فغضب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وابـصر حذيفة غضبه فرجع اليهم ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه فلما رأوا حذيفة ظنوا أن قد ظهر عـلى ما اضمروه فاسرعوا حتى خالطـوا الناس واقبل حذيفة حتى ادرك رسول الله فأمرهما ــ حذيفة وعمـار ــ فاسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفـوا ينتظرون الناس ثم قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم لحذيفة : هـل عرفت هؤلاء القوم ؟ قال : ما عرفت الا رواحلهم فى ظلمة الليـل حين غشيتهم . ثم قال : علمتما ما كـان من شأن هؤلاء الركب قـالا : لا فاخبرهما بما كانوا تمالأوا عليـه ، وسماهم لهما واستكتمهما ذلك فقالا : يا رسول الله أفلا تأمرنا بقتلهـم . فقال : أكره أن يتحـدث الناس أن محمدا يقتل اصحابه .

قال ابن كثير فى البداية والنهاية : وقد ذكر ابن اسحق هذه القصة الا أنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أعلم باسمائهم حذيفة بن اليمان وحده . وهذا هو الأشبه والله أعلم .

٦ ــ الاعتذار : ولما قدم صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد الغزوة اقبل عليه المخلفون يعتذرون . . وكان منهم **(آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سئيا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفـور رحيم)** التوبة ١٠٢ . أما المنافقون فقد جـاءوا يعتذرون بالحمى والاسقام وغير ذلك

من الاعذار وجعلوا يحلفون للنبي (صلى الله عليه وسلم) . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر اصحابه بألا يكلموا احدا ممن تخلف فلما حلفوا له وسمع اعذارهم فكأنه رحمهم فاستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله ويظهر ان طائفة منهم ارادت ان تظهر توبتها وانها مستعدة للخروج فقال الله تعالى لرسوله (**فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل : لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين**) التوبة ٨٣ .

٧ ــ مسجد الضرار : كان أبو عامر الراهب (احد زعماء المنافقين) قد سافر مع وفد من المنافقين الى ملك الروم يستنصره على الرسول صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه فكتب الى قومه بذلك وأمرهم أن يتخذوا له معقلا منعزلا ليستقبلوا فيه رسله وكتبه وليكون مرصدا لهم اذا قدم عليهم بعد ذلك . فبنوا لهذا الغرض مسجدا بجوار مسجد قباء وصاروا يعقدون فيه اجتماعاتهم . وقد دفعهم حرصهم على التستر والتمويه والخداع أن أرسلوا خمسة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا : يا رسول الله أنا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فتدعو لنا بالبركة . ولكن الرسول اعتذر اليهم بسبب خروجه الى تبوك ووعدهم بالصلاة فيه حين رجوعه . وعندما رجع صلى الله عليه وسلم أتاه فريق المنافقين بدعوته الى الصلاة فى مسجدهم فتجهز رسول الله لذلك فنزل قوله تعالى « **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وأرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم**) التوبة ١٠٧ ــ ١١٠ وعند ذلك دعا صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه وقال لهم : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه . فذهب النفر فحرقوا المسجد وهدموه حتى وصل الهدم الى الارض . وبعد هذه الحادثة بقليل هلك رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول . وكان موته إيذانا باندحار عصبة المنافقين وانكسار شوكتهم بعد أن تبددت آمالهم وانكشفت الاعيبهم وفضحهم الله سبحانه فى تنزيله الكريم .

« والله غالب على أمره »

٢

التسامح الديني والتحرر الفكري في الإسلام

للاستاذ حسن فتح الباب

الشواهد التاريخية على رعاية الذميين :

لقد اغتبط المسلمون بانتصـار المسيحية التـى يمثلها الروم بزعامة هرقل على المجوسية التى تمثلها الفرس بزعامة كسرى سنة ٦١٤ ميلادية ، ذلك ان المسيحية اهل كتاب كالمسلمين . وقد ظلت خلة الاخاء بين أتبـاع محمد وأتباع عيسى وثيقة فى حياة النبى برغم ما كان بين الفـريقين من مجادلة ، على خلاف ما كان بين المسلمين واليهود من تهـاون أول الامر ثم عداوة استمرت بخيانة اليهود وانتهت بهزيمتهم ، ومصـداق ذلك قوله تعالى :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنـوا اليهود والذين أشركـوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصـارى ذلك بأن منهـم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » (المائدة / ٨٢) .

وبرغم عدم اقرار المسيحية بنبوة محمد كما يقر الاسلام بنبوة عيسى وبرغم عداوة اليهود للاسلام وخياناتهم له ، احسن المسلمون معاملة الجميع وكفلوا لهم حرية العقيدة . وعلى حين قاوم المسـيحيون من الرومان دعوة الاسلام وبدأوا يأتمرون به وبأهله ، وشنوا عليهما الحروب التعصبية ، ظل المسلمون على تسامحهم ، فالتزموا فى حربهم موقف الدفاع ، وحين انتصروا لم يكرهوا أعداءهم على الدخول فى الاسلام ، عملا بأحكام القرآن فى رعاية أهل الكتاب وكفالة حقوقهم ، وبوصية الرسول بالمعاهدين والذميين خيرا ، وما جاء بكتابه الى المقوقس عظيم القبط من دعوة الى الدين دون الزام أو اكراه . .

والشواهد التاريخية على ذلك فى عهد الرسول وخلفائه لا تقع تحت حصر . فقد أقام المسلمون علاقات ودية حميدة مع المسـيحيين من اهل الحبشة ، ولم يفكروا يوما ــ وهم فى قمة انتصاراتهم ــ فى التطلع الى فتح

هذه البلاد ، ذلك انها لم تقف فى وجه دعاتهم بل كفلت لهـم حرية الراى ، فحق على المسلمين احترام حريتها فى العقيدة .

وقد بلغ من شأن كفالة الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية للذميين ما روى عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب حين راى شيخا يهوديا يتكفف الناس ، فساله عن السبب فأجاب : اسأل الجزية والحاجة والناس . فقال عمر : « ما انصفناك ، اكلنا شبيبتك وتركناك عند الشيخوخة » وأمر بطرح جزيته ، وأن يعال من بيت مال المسلمين هو وعياله .

الجزية نظير المنعة :

من ذلك قول سيف الله خالد بن الوليد فى حديثـه عن سياسته فـى الاقطار التى رفرف عليها علم الاسلام : « وجعلت لهم ايما شيخ ضعف عن العمل ، او اصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار اهل دينه يتصدقون عليه ـ طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام » . وكذلك ما كتبه هذا القائد الاسـلامى العظيم الى (صلوبا بن نسطونا) وقدمه حين أوغل فى الفرات فى شـهر صفر من العام الثانى عشر للهجرة : « انى عاهدتكم على الجزية والمنعة ، وما منعنا لكم فلنا الجزية والا فلا » .

كما ورد هذا المبدأ ايضا فى رد الامراء بأمر ابى عبيـدة فى حمص ما كانوا أخذوه من الجزية الى اهلها وما اليها حين جلوا عنها ليتجمعوا لقتال الروم وقالوا لأهل البلاد : « انما رددنا عليكم اموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قداشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك الآن ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم » . وكذلك فعل ابو عبيده فى دمشق حين كان يتجهز لليرموك . وكتب مويد بن مقرن قائد عمر لزريان واهل دهستان وسائر اهل جرجان فى العام الثامن عشر للهجرة : « ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه اى جزيته » . وكتب عقبـة بن فرقد عامل عمر لأهل ازربيجان : « .. ومن حشر منهم فى سنة (اى جند) وضع عنه جزاء تلك السنة » .وورد مثل ذلك فى عهد سراقة عامل عمر لشهر براز : « .. أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل امر ناب او لم ينب رآه لوالى صلاحا ، على أن يوضع الجزاء عمن اجاب الى ذلك .. فان حشروا وضع ذلك عنهم » . وصالح الجراجمة قرب انطاكية المسلمين « على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومصالح فى جبل اللكام والا يؤخذوا بالجزية » .

وقد اطرد انتشار حرية العقيدة بانتشار الاسلام عبر العصـور اللاحقة فى السلم والحرب معا ، وسايرتها المساواة بين المسلمين وغيرهم

من اصحاب الديانات . وحفظ لنا التاريخ وثائق كثيرة تدل على تمسك حكام الاسلام وقواده بهذا المبدأ الانسانى العظيم ، وبلغ من ذلك ان جحافل التتار حين غزت البلاد الاسلامية واسرت كثيرا من المسلمين والنصارى ثم هزمها المسلمون فى الشام . واسلم ملوكها ، طالب شيخ الاسلام ابن تيمية امام العلماء فى عصره امير التتار (ملطوشاه) باطلاق سراح الأسرى فسمح له بالمسلمين وابى عليه اهل الذمة ، فقال له ابن تيمية : لا بد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ولا ندع اسيرا من اهل الملة ولا من اهل الذمة ، فأطلقهم .

وبفضل حرية العقيدة التى كفلها الاسلام كسب انصـــــارا له فى كل مكان ، وكانت هذه الحرية من اهم العوامل التى أسهمت فى انتصاره فى جميع المعارك التى خاضها .

فقد كانت فتوح الاســـلام فى اقرار الحق والحرية والعدالة تســبق انباء معاركه ، ومن ثم لم يجد أعداؤه استجابة وغيرة من شعوبهم ، بل لقد مهد بعض هذه الشعوب لدخول المسلمين ديارهم لتخليصهم من طغيـــان حكامهم ورجال دينهم ، واستطاعت الدولة الاسلامية الناشئة فى خلال فترة وجيزة من الزمن ان تقهر اقوى سلطتين سياسيتين معاصرتين لها وهمـــا دولتا الفرس والروم ، وأن تبسط سلطانها فيما بعد على معظم ارجـــاء العالم الذى كان قائما فى ذلك الحين .

وبفضل هذه الحرية الدينية لم يعرف الاسلام ، عبر تاريخه الطويل ، الحروب الدينية التى وصمت جبين العالم وعوقته عن تطوره حينا من الزمن .

وقد عصم الاسلام من هذه البربرية عقيدته السمحة التى تجعل الدين لله وتحرم الوساطة بينه وبين الفرد ، فلا سلطان لرجال الدين على سائر الرعية ولا وصاية لهم عليهم : **«ان عبادى ليس لك عليهم سلطان»** الحجر/٤٢ .. فلا امام سوى العقل المتحرر بنور من الحق الذى بعث الله به انبيـــاءه هداة ومرشدين ، ولا رهبانية ولا كهانة فى الاسلام ، ولا صكوك غفران ، وانما صلة المرء بربه صلة خالصة تنبع من أعماق روحه بلا شريك ولا وسيط ، ومرد الامر كله الى الله :

« بل لله الأمر جميعا » (الرعد /٣١) .

هو الذى يجزى المرء بما كسبت يداه ، والطاعة له سبحانه ولرسوله ولاولى الامر ما عملوا بأحكام الشريعة التى نزلت لصالح البشرية ، والدين عبادة لا وظيفة فلا عروش فيه ولا تيجان وانما نظام يقوم على العـــدل والمساواة ..

والمشتغلون بشئون الدين فى الاسلام لهم ما لغيرهم من حقوق وعليهم مثل ما عليهم من التزامات ، ولا فضل لمخلوق على آخر الا بالتقوى ، بل ان الاسلام لن يفرق بين أهله فئة باسم رجال الدين ، وانما عرف العلمـــاء ،

والمفكرين والمصلحين والقادة ، لأنه لا طبقية فيه ولا امتيازات ، فالكل فى ظله سواسية وميزان التفضيل هو العمل الصالح .

على أن الاسلام يحبذ الاشتغال بأمور الدين علما وتفقها لا صناعة وارتزاقات فالتفقه فى الدين ليس حكرا على احد ولا وقفا على جماعة بعينها . فالاسلام عقيدة وتفكير ، والعقيدة مناطها القلب ، والتفكير مناطه العقل ، ولا قوامة لبشر على قلوب الآخرين وعقولهم .

وقد كان علماء الدين فى الاسلام من اهل الصنائع والحرف ، فلم يتخذوا علمهم مصدرا للتكسب والاحتراف او ينصبوا من أنفسهم ولاة على الشعب . فاذا اسندت الدولة اليهم مناصب معينة تتفق ومؤهلاتهم الخلقية العلمية ، فان ما يتقاضوه من اجور عن هذه الوظائف العامة هو نظير لما يؤدونه للدولة من اعمال مثل الفتوى والقضاء والحسبة ، شأنهم فى ذلك كسائر المسلمين العاملين .

وكان المسجد فى الاسلام غير المعبد فى الاديان او المعتقدات الاخرى اذ ارتبطت به العبادة وتفانى فيه العابدون ، فلا قيام للدين والتدين فى غير هيكله ولا غنى لهما عنه . وجاء الاسلام ليحرر الناس من هذا الجمود ، فالانسان — لا المكان — هو وحدة الدين ، والله يعبد فى المسجد ويعبد فى كل مكان ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، والناس فى حق العبادة متساوون ولا يتوقف قبول شعائرهم على كهنة او كهانة ، بل ان المسجد هو منارة اشعاع للفكر والثقافة فى شئون الدين والدنيا جميعا . .

ومن خلال هذه الفطرة المتكاملة فى شريعة الحرية والاحرار نجت الامة الاسلامية مما أقبلت به الامم القديمة من تحكم الكهان واحتكارهم أرزاق العامة باسم الدين ، فقد استغلوا تهاويلهم ومسوحهم وطقوسهم للتضليل وخلعوا على انفسهم صبغة القادة المتحدثين باسم الله والذين رفعت عنهم التكاليف ، واتبعتهم الرعية فى ضلالهم .

الاضطهاد الدينى فى اوروبا خلال العصر الوسيط :

وعلى النقيض من هذه الحرية الدينية التى كفلها الاسلام ، كانت أوروبا فى العصور الوسطى ، فقد شن حكامها وكهانها حروبا دموية ضارية انغمست فيها شعوبهم طوال عدة قرون ، واستبيحت فيها باسم الدين ، والدين منها براء ، جميع المقدسات الانسانية من حياة وحرية وكرامة وعدل . وعلى حين سجل المسلمون فى الحروب الصليبية من صفحات التسامح والمروءة والتمسك بآداب الفروسية الاسلامية النبيلة فى معاملة الخصوم ما شهد به حتى غلاة اعدائهم ، ارتكب الصليبيون من المذابح ما سود صحائف التاريخ . وكانت تلك الحملات الوحشية التى شنتها أوروبا على الديار الاسلامية حروبا عدوانية استعمارية شعارها الجور والاكراه فى الدين ، فلم يكن للمسلمين مناص من التصدى لها بالقوة دفاعا عن النفس وذودا عن حرية العقيدة .

ومن الامثلة الصارخة على انكار حرية الانسان فى عقيدته ما فعلته اوروبا المسيحية بالاندلس بعد اندحار الحكم الاسلامى فيها ، فقد بلغ بها التعصب ضد الاسلام واهله ما لم تشهد له الانسانية مثيلا فى اشد العصور ظلاما وهمجية ، فلم يقف فى سبيلها وازع من ضمير او رادع مما اصطلح عليه البشر حتى فى جاهليتهم من معانى الوفاء بالعهود والمواثيق ، ولا يكاد المرء يصدق ما اثبته التاريخ من اعمال الكاثوليك السيف فى رقاب قرابة ثلاثة ملايين من المسلمين تنكيلا وانتقاما ، ولم يبق من المسلمين على قيد الحياة الا من قدرت له النجاة بالعودة الى افريقية ، ومن اذهله الهول والفزع فارتد عن دينه الى دين المعذبين .

على ان أمر التعصب الدينى ومصادرة حرية العقيدة لم يكن وقفا على الحروب الصليبية والاسبانية ضد الاسلام ، بل شمل اوروبا المسيحية نفسها فى العصر الوسيط ، فلم تفرق محاكم التفتيش فى عقوباتها الوحشية بين المسلمين فى الاندلس العربية وبين المسيحيين الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكى فى أسبانيا وسائر الممالك البروستنتية فى اوروبا ، وكم طارد الاباطرة من اختلف معهم فى المذهب وساقوهم الى المجازر بلا شفقة ، مما يذكر بمطاردة الوثنية للمسيحية فى عهدها الاول فى الدولة الرومانية ، ثم انتشار المسيحية فى انحاء تلك الامبراطورية ومطاردة الامبراطور الذى اعتنقها للوثنية فى المملكة وخارجها ، ولقد استمرت الاضطهادات الدينية فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر ، ومذبحة (سانت بارتلمى) هى أبلغ دليل على ذلك .

ولم تكد أوروبا تتنفس الصعداء من هذه الفوضى التى خاضتها فى لجج من دماء ، وما أهل القرن السابع عشر، حتى عادت المنازعات المذهبية من جديد ، فقام صراع دموى رهيب بين الملوك والبروتستنت والملوك الكاثوليك بألمانيا استمر ثلاثين عاما فجلب الوبال على الشعوب وانهك مواردها واصابها بالانحلال والفاقة .

ولا شك أن مصدر تلك الصراعات الدينية التى عمت أوروبا فى عهود الاقطاع هو طبيعة النظام الدينى فى تلك العهود ، فقد كانت الكنيسة هى القوامة على شئون الدين وجعل رجالها من انفسهم أوصياء على الناس يرسمون لهم أقدارهم ومصائرهم على هواهم . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل جاوزت الكنيسة سلطتها الدينية الى السلطة الزمنية فنازعتها اصحابها ، وقامت زعامة دينية مقدسة فى روما تحل محل سلطة القيصر الزمنية ، وتركزت السلطة الروحية فى شخص البابا الذى لا يخطىء ، وسرعان ما دانت لسلطانه الدينى الشعوب المجاورة وامتد نفوذه الى بيزنطة بعد ضعفها ثم زوالها ، وكان رجاله ينتهزون خوف الناس من العقاب ورغبتهم فى ثواب الآخرة ليؤكدوا سلطان الكنيسة الزمنى ، فكانوا يفرضون ضريبة

العشور لصالحها ويقررون العقوبة على المخالف لتعاليمها لا فارق فى ذلك بين الامير ورعيته ، ويحرمون من عطف الكنيسة من لا يرون فى تصرفاته ما يتفق مع سياستهم ، كما يمنحون البركة ورسائل الصفح والغفران التى يتوجه بها صاحبها دون مناقشة أو حساب الى جنات الخلد الفنــــــاء الفيحاء .. !!

وهكذا تأصل سلطان البابا وخضع له الامراء ومن خلفهم من الملوك والعواهل بلا قيد ولا شرط ، وسار العالم المســيحى فى طريق ممهد هو ارضاء الرب من طريق طاعة البابا روحيا وحكم الامبراطور زمنيا ودنيويا ، هذا الامبراطور الذى يستمد شرعية سلطته من الكنيسة يحكم باسمها ونيابة عنها ، وما لبث هذا التعاون أن انهار تحت معاول الانقسام والشحناء بين البابا والامبراطور أو بين القوتين الروحيــــة والزمنية وظل الصراع على السلطة بينهما طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، فضاعفت سلطة الامبراطور وفقد رجال الدين قوتهم المعنوية ودب بينهم الفساد وســـــادت الاطماع الدنيوية ثم عمت المجازر الدينية ، فولى الاسلام شمار المسيحية .

التسامح الدينى فى العالم الاسلامى :

وغنى عن الذكر أن نبين ملامح الصورة المقابلة للدولة الاسلامية فى تلك العصور ، وابرز تلك الملامح والســمات المشرقة روح الاخاء والمودة والتكافل بين المسلمين بعضهم وبعض ، على اختلاف اصولهم والوانهـــم واوطانهم ، وروح التسامح والالفة بينهم وبين أبناء العقائد والديانات الاخرى، فلا تعصب ولا عنصرية ، ولا تمايز ولا أحقاد بل الكل فى حق الحياة والحرية سواء تحت ظلال الشريعة السمحاء .

ويرجع الفضل فيما ساد العالم الاسلامى من وفاق استمر أحقـــابا طوالا الى حرية العقيدة التى دعا اليها الاسلام ، وجعلها احدى القيم الكبرى التى أرساها احتراما لانسانية البشر ، ورفعا من اقدارهم وحماية لهم من الهوان ، ودفعا لهم الى المضى فى سبيل التقدم وعمران الكون .

ولم تكن هذه الحرية مبدأ نظريا فحسب بل كانت تطبيقا عمليا فى عهد رسول الحرية وخلفائه من بعده اهتدى به المسلمون عبر العصور المختلفة وسلمت أجيالهم المتتابعة بعضها لبعض هذا المبدأ العظيم امانة مقدســـة لا سبيل الى انتهاكها لانها من وحى الله ، ووثيقة حاسمة لا سبيل الى نقضها لانها من صميم الرسالة الخالدة .

وكانت آيات الكتاب الكريم وتعاليم الرسول ووصايا الخلفاء الى ولاتهم فى خطبهم ورسائلهم هى الضـــمانات الكفيلة لتحقيق مبدأ حرية العقيدة لمـــا لاحكامها من قدسية فى قلوب المسلمين وقوة اقناع فى عقولهم .

على أن هذه الحرية شأنها شأن سائر الحريات الاسلامية مشروطة بقيد لا مفر من الالتزام به ، وحد لا ينبغى تخطيه ، ذلك لانه لا يوجد حق مطلق

ولا حرية بغير حدود ، وانما تكافؤ بين الحقوق والواجبات ، والقيد الذى يرد على الحرية الدينية هو ذاته الوارد على غيرها بموجب أحكام الشريعة الاسلامية ، ونعنى به ، احترام حقوق الآخرين وحرياتهم وعدم الخروج على نظام الدولة الاسلامية وعقيدتها ، فالاسلام يضرب على يد العابثين بكيانه ، والمستغلين ما خلع عليهم من حريات لتحقيق أطماع ذاتية وانتهاج سلوك يمس سلامة المجتمع وآدابه العامة .

الحضارة الانسانية ثمرة التسامح الاسلامى :

وقد تمخضت الحرية الدينية التى آمن بها العرب وطبقوها عن حركة تفتح وتحرر كبرى ، اذا كانت حرية الفكر ديدنهم فى معاملاتهم مع غيرهم ، فلا يتميز بين البشر بسبب العنصر او الملة أو اللون ، وانما عدالة ومساواة تظل الجميع فى اطار الشرعية الاسلامية ، ولا مراء فى أن علماء أوروبا فى العصر الوسيط قد تعلموا حرية الفكر عن المسلمين . فكانت التربة الصالحة لنماء بذور الحضارة الغربية ، ولولاها لما استطاعوا أن ينتزعوا راية العلم من رجال الكنيسة المتعصبين المستبدين ويطهروا عقولهم من رواسب المعتقدات الخرافية القديمة ، ويؤمنوا بالعلم وقدرتهم على التحكم فى مصائرهم . كما تعلموا دقة البحث العلمى فتمكنوا من تحقيق كشوفهم العلمية . وقد اعترف المنصفون من المؤرخين الاوروبيين الذين يتحرون الموضوعية فى كتاباتهم وينأون عن التعصب بما كان عليه المسلمون من تسامح دينى وما اعتنقوه من تحرر فكرى وما نعم به المسيحيون فى أسبانيا من حرية . وفى ذلك يقول العلامة الاجتماعى جوستاف لوبون : « ان العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

وقد كان من اثر التسامح الدينى والتحرر الفكرى فى ظل الدولة الاسلامية فى شبه جزيرة ايبريا (أسبانيا والبرتغال) أن ذابت الفوارق بين العرب والاوروبيين ، وامتزج القيصران واندمجا بالتزاوج أو علاقات الجوار، مما أحدث أثره فى طبيعة الحضارة الاندلسية بحيث كانت أشبه ببوتقة انصهرت فيها عقليات شتى وثمرات ثقافات متباينة . وكان اهم مظاهر هذا الامتزاج والتزاوج اصطباغ اسبانيا بالصبغة العربية وهو ما يطلق بتعريب اسبانيا ، اذ اقبل العرب الفاتحون ـ أمراء وجنودا ـ على الزواج من الاسبانيات وأسلم كثير من الاسبانيين بعد أن لمسوا جو العقيدة الاسلامية ، وأصبح المستعربون شغوفين بالتراث العربى من شعر ونثر مما ظهر أثره فيما بعد فى الشعراء الدوبار . وقام هؤلاء المستعربون بنقل الحضارة العربية الى أسبانيا المسيحية .

وهكذا انقلب العرب الفاتحون على الاسبانيين ، لا بحد السيف وحده ، بل بروحهم ودينهم ولغتهم ، وكانت تزخر بالعلوم والمعارف التي افتقرت اليها اللغة اللاتينية .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

ام المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها

وردنا من الأخ نجيب صديق عمر رسالة حول ما جاء فى مقال (النبي فى حياته الزوجيـــة) فقد ذكر اسم السيدة أم سلمة بنت ابى امية المخزومى على انها السيدة ام سلمة بنت عبد الأسد ، وليس صحيحا هذا ، ولعل الكاتب قد خلط بين اسم أبى زوجها السابق واسم ابيها .

وقد نشرت المجلة فى العدد ١١٣ ص ١١٤ عن السيدة أم سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها نبذة وافية عن حياتها وهجرتها واستشهاد زوجها وخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها ، يمكن الرجوع اليها .

... ...

النهى عن المنكـــر

كثر فى هذه الأيام ظهور المنكرات علنا فى الطرقات فهل يستطيع الانسان أن يكون له دور فى القضـــاء عليها أو محاولة شرح مضارها مستمدا ذلك من تعاليم الاسلام ، وهل الأمة تتحمل شيئا فى هذا المجال .

محمد السعيد محمد على ــ دمشق

أولا ــ واجب الأمة كلها أن تنهى عن المنكر ، وتأمر بالمعروف ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، يقول الله تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** . (١٠٤ آل عمــران) . ويقـــول سبحانه : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** . (٧١ : التوبة) .

وقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه كيف يكون النهى عن المنكر وما هى وسائله التى تتناسب مع حجمه ، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك هو أضعف الايمان) (رواه مسلم والترمذى) .

توجيه نبوى كريم الى ما هو أحق أن يتبع وما هو أحق أن يكون عليه الناس من الشجاعة فى مواجهة الحق .

وهذه مسئولية الفرد تجاه الفرد وكذلك مسئولية الأمة كلها وواجبها فى اخراج جيل بعيد عن المنكر يترفع عن الدنايا ، ملتزم بتعاليم دينه متمسك بنهج نبيه ، سائر على هدى قرآنه ، وسنة الرسول الكريم ، فذلك من الزم الأمور التى يجب أن تعمل لها الأمة جاهدة فتهيىء جوا اسلاميا يعيش فيه الجيل الصاعد ولا تعوقه الخطايا .

ومن الأشياء الهامة فى تنشئة جيل مسلم أن تعمل الأمة على إظهار بشاعة الإثم والمعصية ، وتبين موقف الاسلام من الخلاعة والمجون والاستهتار بالقيم والمبادىء ، وتنكب الطريق السوى ، وأن تظهر الصورة البغيضة للمدنية الفاجرة التى تتمثل فى الرقص المختلط وغير المختلط وإدمان الخمور وأن تضرب على أيدى العابثين بقيم الدين الحنيف الذين يأتون ذلك على مرأى ومسمع ، وفى كل مكان لا يردعهم قانون ولا تردهم اخلاق .

كما انه من الواجب أن يأخذ المرء نفسه بالأخلاق الفاضلة ، فلا يكون ناهيا عن المنكر مرتكبا له ، لأن ذلك ادعى الى طاعته والاستفادة من نصيحته .

وانه لمن الخطأ أن يفهم الانسان من قول الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾** انه ما دام قد انتهى عن فعل المنكر فلن يضره ضلال غيره ، والواقع أن هذا الفهم خاطىء يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية **﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ﴾** وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده) (رواه أبو داود والترمذى) لأنه اذا ترك العنان لمرتكبى المنكر دون رادع ، تلوث المجتمع كله ، وسرت فيه عدوى الفاحشة ، وعمه أذاها ، وتطاول أهل الباطل على أهل الحق ، وعبثوا بالحياة وكسوها بظلام فسقهم .

ولا بد لأهل الحق من وقفة فى وجه هذا التيار الماجن حتى يردوه ويوقفوا زحفه المدمر فى مجتمع الاسلام . عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) رواه مسلم .

الدعاء

الأستاذ : صالح أحمد الراشد

ضراعة المؤمن لربه أمر من أوجب أمور الإيمـــــان لما فيـــه من ادامة الصلة به سبحانه وتعالى ولما يحمل من معانى الانابة والاخبات لجــلال وجهه الكريم ، ولئن اعتبر الفقهاء أن الوضوء سلاح المؤمن لانه طهارة من الاحـــداث وتزكية القلب ونظافة البدن ولئن ذهب المحدثون الى أن الاسناد سلاح المــؤمن عصمة من الوقوع فيما لا يحمد وخشية مخالفة أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم لئن كان ذلك عند أهل الفقه والحديث فان داعية القول فى مجال الصلـــة بالله تبارك وتعالى يمكن أن تفصح عن أن الدعاء سلاح المؤمن . والحق ان كانت الشجرة لا تنمو الا فى تربة طيبة وأن تسقى بالماء فان الايمان شجرة يعد الدعاء من اساسيات غراسها ونمائها لانه (هو العبادة) كما قال رسولنا الــكريم صلى الله عليه وسلم ولما يحتله من مكانة فى رسوخ الايمان وبين مباحث الاســـلام فان طرق كل ناحية من نواحيه تتطلب تفصيلا وبيانا يجعلنا فى مجال بحث له لا صياغة موضوع ، لذلك حفاظا على الافادة من تكامل جوانبه والالمام به بصورة شاملة فاننا نطرحه فى بينات من القول تكشف عما يزخر به من معان عظيمـــة غارسة ــ باذن الله ــ لجانب الصلة برب العباد جل وعلا فذلك الغاية والمبتغى .

فضل الدعاء : للدعاء فضل كبير فى استقامة المسلم على منهج ربه بحيث يكون دائم الصلة بالخالق العظيم وبفاطر السموات والارض وقد جاءت الآيات أما بصراحة بما فيه من فضل أو ما يستنتج منها ، كذلك كثرت الأحاديث الدالة على كبير الأجر والثواب ، أما الآيات فهاك بعضا منها :

قال الله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » البقرة آية ١٨٦ .

وقال « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » سورة غافر آية ٦٠ .

وقال « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » سورة النمل آية ٦٢ .

وهذه أمثلة من آيات فضل الدعاء فيها استجابته سبحانه لعباده المؤمنين وأن الدعاء سبيل الهداية والرشاد وأن الدعاء طمأنينة وامن للخائف والمضطر ، وهناك آيات اخرى كثيرة تبشر الداعين والمستغفرين ربهم بجنات النعيم ورضوانه

سلاح المؤمن

ومغفرته الواسعة ورحمته الشاملة لانهم علموا بأن لهم ربا يغفر الذنب فأنابوا اليه مخلصين . أما الأحاديث ففيها ادعية من جوامع الكلم مبينة لواسع فضل الله العظيم وثواب المنعم الجليل الذى لا ينفد له عطاء فمن ذلك الحـــديث عن طارق بن أشيم رضى الله عنه قال كان الرجل اذا اسلم علمه النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات : اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى » رواه مسلم وفى رواية طارق الأخرى « فان هؤلاء تجمع لـــك دنياك وآخرتك » .

ونلحظ رضوان الله سبحانه فى أدعية كثيرة للمصطفى صلى الله عليــه وسلم كان يقولها أثناء الليل والنهار منها عن عبد الله بن غنام البياضى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما اصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر : فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يمسى : فقد أدى شكر ليلته » رواه أبو داود ، وعن ابن عباس : « من قال اللهم انى أصبحت منك فى نعمة وعافيـــة وستر فأتم علىّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ، ثلاث مرات إذا أصبح واذا أمسى : كان حقـــا على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته » رواه ابن السنى . وعن ابى سلام خادم النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال إذا أصبح واذا أمسى : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه » رواه داود ، وهكذا نجـــد أن هنـــاك أدعية فى الاستعاذة بالله سبحانه من كل ضار ومؤذ حشرة او حيوان أو انسان أو غير ذلك تقال صباحا ومساء منها : « بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » إذ ما قالها لم يضره شىء ، ومنها : « أعوذ بكلمـــــات الله التامات من شر ما خلق » ومن عظيم الدعـــاء ما رواه البخارى بعنـــوان ســـيد الاستغفار وهو عن شداد بن أوس رضى اللـــه عليـــه عن النبـــى صـــلى الله عليـــه وسلم قال : « ســـيد الاستغفار : اللهم أنت ربى لا إله إلا انت خلقتنى وانا عبـــدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك

من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها موقنا بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها موقنا بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » ولا تقف فضائل الدعاء عند حد ففى كل شأن من شؤون المسلم ذكر ودعاء واستعانة برب العباد لانه سبحانه القادر على كل شىء ولانه تصير اليه الامور .

كيفية الدعاء وأوقاته : ان صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بربه سبحانه تبين لنا أوضاعه عليه الصلاة والسلام حال الضراعة والانابة وقد جاء عن الصحابة رضى الله عنهم حقيقة الكيفية فى الدعاء لما رأوا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نظر كتاب أخيه بغير أذنه فانما ينظر فى النار ، سلوا الله ببطن أكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » اخرجه أبو داود ونرى ان هذا الحال العام فى الدعاء فقوله صلى الله عليه وسلم (سلوا الله ببطن أكفكم » ليس فيه تحديد وقت معين أو حالة معينة وإنما تلك الطريقة فى كل وضع وصورة . الا انه قد جاءت كيفيات اخرى فيها رفع اليدين اضافة الى مسح الجسد فعن عائشة رضى الله عنها قالت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما فقرأ فيهما : « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات رواه البخارى . كذلك من كيفية القيام بالدعاء ما جاء من دعائه عليه الصلاة والسلام حال معركة بدر الكبرى رافعا يديه ملحا بالدعاء حتى أن بردته تكاد تسقط وتأخذ أبو بكر رضى الله عنه الخشية عليه من أن يصاب بشىء من الجهد والتعب . الا أن هذه الكيفيات فى عمومها مجمعة على رفع اليدين كبيان لحال التأدب والخشوع والانابة لله رب العالمين ولاظهار حقيقة التوسل الصادق فالطلب يكون بمد اليد وغاية الطلب يكون بهذه الصورة التى نزداد بها اطمئنانا ما دامت قد جاءت عن معلمنا وسيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام أما ما زاد على رفع اليدين أو المبالغة فى رفعهما أو مسح الوجه وغيرها من تفصيلات فلعلها تدل فى مباحث الفقه من حيث الاحكام فى الاستحباب وتدخل فى مباحث الحديث من حيث صحة الاحاديث التى حملت زيادة تلك المعانى وأيا ما كان علينا أن نقف وندرك حقيقة التوسل المجمع عليه شرعا من كمال التضرع برفع اليدين وتطبيق الآداب المشروعة فى صلة مع العلى الكبير .

ومن حيث أوقات الدعاء فانه صلة دائمة بالرب جل وعلا الا أن هناك أوقاتا تكون أدعى للاجابة حيث يظهر فيها قرب رحمة الله وجلاله أو لما لهذه الاوقات من أهمية يجب أن يحرص عليها المسلم ومن الاوقات التى ترجى فيها الاجابة :

١ ــ الدعاء عند النداء ــ عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء (أى الاذان) اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة أت محمدا الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة رواه البخارى فى صحيحه .

٢ ــ بين الآذان والاقامة ــ عن أنس (رضى الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة . قيل ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال سلوا الله العافية . فى الدنيا والآخرة » أبو داود .

٣ ــ فى السجود ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم .

٤ ــ جوف الليل وبعد الصلوات ــ عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع ؟ قال « جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات » رواه الترمذى وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا الى سماء الدنيــا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيــه ومن يستغفرنى فأغفر له » رواه البخارى وغيره .

٥ ــ وقد جاءت أحاديث صحاح فى الدعوة عند المرض والكرب والحرب ونزول المطر واستجابة دعوة المظلوم والساعة التى فى يوم الجمعة حيث لا يوافقها عبد مسلم ويدعو فيها الا غفر له واستجيب دعاؤه .

ونلحظ فى هذه الاوقات تنوعها واختلاف ظروفها مما يدل أن المسلم عليه ان يكون حريصا فى صلته بربه دوما صباحا ومساء وما بينهما من أوقات .

آداب ومقتضيات الدعاء : ان التأدب فى أخذ الامور والتعامل معهــا شأن أهل الاستقامة والسلوك الصحيح ، والمسلم الحق مطبوع بطابع الرزانة والوقار فى أعماله وهو هنا ــ لا شك ــ اكثر وعيا والتزاما بأداب سؤال ربه والتوسل اليه جل وعلا ، ومن الاداب التى جاءت فى السنة المطهرة ما نذكر من أحاديث :

١ ــ رفع اليدين حال الدعاء وهذا قد مر فى السطور السابقة فيما ذكرناه عن ابن عباس وهو كثير فى كتب السنن والصحاح انظر مثلا فى الجامع الصحيح للبخارى باب رفع اليدين فى الخطبة وباب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة .

٢ ــ حضور القلب وتيقن الاجابة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » الترمذى .

٣ ــ استفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وأن تتخلله الصلاة والسلام على رسول الله ويختم بها كذلك فعن فضالة بن أبى عبيد (رضى الله عنه) قال سمع رسول الله رجلا يدعو فى صلاته ولم يصل على النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : عجل هذا ثم دعاه فقال : « اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء) أخرجه أصحاب السنن .

٤ ــ ان يختم الدعاء بآمين فعن أبى زهير النميرى رضى الله عنه قــال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد الح فــى المسألة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال : « أوجب إن

ختم » . فقيل بأى شيء يختم يا رسول الله ؟. قال « بآمين » . وانصرف فقيل للرجل يا فلان . قل آمين ، وابشر » أبو داود .

٥ — الهدوء وعدم رفع الصوت بالدعاء فعن أبى موسى رضى الله عنه قال كنا فى سفر فجعل الناس يجأرون بالتكبير . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أيها الناس أرفقوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم ، والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » الخمسة الا النسائى .

٦ — أن يختار جوامع الكلم اى الدعوات الجامعات للخير فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك » رواه أبو داود .

٧ — التكرير ثلاثا فى الدعاء والاستغفار فعن أبى مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا .

تلك بعض الآداب التى يجدر بالمسلم أن يلتزمها فيحقق المعنى الوافى للدعاء ويطمئن الى الاثار التى تجلب نتيجة الخشوع والانابة لربه سبحانه ، الا أنه أضافة الى ما يتأدب به المسلم فى صلته الكبيرة برب العباد هناك مقتضيات تزيد فى معنى الأوبة والتوسل وسؤال الرب المنعم تبارك وتعالى وتشمل صفاء الاسلام ونوره الوضاء بين المسلمين بالذات المتحابين منهم فى طاعته جل وعلا ومن هذه المقتضيات : دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب فعن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل » رواه مسلم .

ومنها أن يدعو لمن صنع اليه معروفا فعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صنع اليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » الترمذى . وفيها — وهو أمر مهم جدا — أن لا يتعجل الاجابة فهو قد أوكل أمره الى الله سبحانه ونفذ ما أمر به البارىء جل وعلا فى قوله : « ادعونى أستجب لكم » فان لم تكن الاجابة عاجلا أو آجلا فقد ذخر أجره عند ربه الذى لا تضيع عنده سبحانه الودائع لأنه رحيم سميع مجيب الدعاء ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل : يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى » متفق عليه وسلم الاستعجال « قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت فم أر يستجيب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » . اللهم انا نعوذ بك من ترك الدعاء . ومنها أن لا يدعو باثم أو قطيعة رحم لأن الدعاء لا يكون الا فى الخير ولأن قطع الارحام مما يخالف تعاليم الاسلام وفى ذلك عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة

الا أتاه الله اياها أو صرف من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحـــم » الترمـــذى .

ونجد فى كتب الفقه كثيرا من المسائل المتعلقة بالدعاء وقد جمع ابن تيمية رحمه الله فى مجموع فتاويه حديثا متناثرا يمكن أن يجمع بعضه بعضا فيكــون وافى الصورة عن الدعاء وكل ما يحتويه من معنى وآداب وتحديد أوقات وما ينجم عنه من آثار يكون فيها صفاء النفس وتزكية القلب وأخلاص العمل للحق تبارك وتعالى . وأكثر ما جاء الدعاء فى فتاويه ما نجده فى الجزء الاول حيث أعتبره ركنا من أركان العبادة التامة وعلق عليه بعدم الشرك وعدم جواز سؤال غير الله وفى الجزء الثانى والعشرين حيث الدعاء فى الصلاة وأهتم كثيرا بالدعاء باسماء الله الحسنى وصفاته سبحانه وتعالى .

نماذج الدعـــاء :

أ ــ من القرآن الكريم : نجد فى كتاب الله العزيز كثيرا من دعوات الانبيـــاء والصالحين كنوح وابراهيم وزكريا وأيوب وآسيا امرأة فرعون وهناك آيات كثيرة تشير الى هذه الادعية أضافة الى توجيه الله الرحيم بعباده الى دعوات ينقطعون فيها اليه ومن هذه الآيات :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » البقرة/٢٠١

« ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » آل عمران « ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » الحشر/١٠ .

ب ــ من الحديث الشريف : جاءت أحاديث كثيرة فى الدعاء نجد لها أبوابا خاصة فى كتب الحديث بل نجد كتبا قد أفردت فى هذا الموضوع وكثير من دعـــاء الرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة تعليم لنا لنتأسى به عليه الصلاة والسلام ذلك لانه أوتى جوا مع الكلم ومن دعواته صلى الله عليه وسلم بعضا مما نذكره :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقــول « اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » رواه مسلم .

وهكذا نجد ضرورة الدعاء لانه شعور العبد واقراره بكمـــال الله سبحانه فى صفاته فيدعوه العبد بطلب العفو والمغفرة والرحمة لانه الغفور الرحيم ويدعوه بطلب الرزق لانه الرزاق ويدعوه بالعافية وتيسير الاحوال والتوفيق لانه المنعم المتفضل الموفق والميسر الذى بيده كل شىء ومن هنا فالدعاء ســـلاح المؤمن وكيف لا يكون كذلك وهو مقياس للصلة برب العباد وهو سبيل الانقاذ من الموقف الرهيب العظيم يوم الحشر حيث أن المصطفى صلى الله عليه وسلم يسجد عند عرش ربه ويدعو بدعوات راجيا الرحمن الرحيم انهاء الموقف المزعج المريع وبذلك تتجلى للمؤمن حقيقة الدعاء وأثره فى حياته وسلوكه فاللهم أجعلنا من الداعين لك الراجين ثوابك وعفوك اللائذين بكنفك ففى دعائك الرحمة والعفو والمغفرة والسلامة فى الدنيا والفوز بالآخرة ، اللهم آمين .

كتاب الشهر

التسعير في الإسلام

تاليف الاستاذ البشرى الشوريجى

عرض ونقد : الاستـــاذ محمـــد الصفطاوى

ما كتبه المؤلفون وعلماء الاسلام حول ما هية الاقتصاد الاســـلامى ومراحله وتطور نشأته لا يعدو أن يكون شذرات متفرقة ومقالات متناثرة رغم خصوبة الاسلام وسيولته فى هـــذا المجال . ومن هنا ستظـــل المكتبة الاسلامية فى فراغ حتى ينشط الباحثون من العلمـــاء فى كشف النقاب عن خصوبة الاسلام فى هذا المجال .

وبين يدى الآن كتاب « التسعير فى الاسلام » دراسة وتأصيل لقضية التسعير الجبرى فى الفقه الاسلامى وهو وثيق الصلة بهذا الموضـــوع لمؤلفه الاستاذ البشرى الشوريجى وكيل النائب العام ورغـــم اختصار هذا الكتاب حيث يقع فى ١٥٥ صفحة من القطع الكبير الا انه كما قال المؤلف نفسه صورة هدانى ربى الى التقاطها من خفايا الفقه الاسلامى واعاننـــى على ذلك بحث متأمل دؤوب فى بطون كتب الثقات من أعلام هذا الفقه فى القديم والحديث .

عـــرض المـــؤلف للنصـــوص ثم استخلص منها الفكرة بقدر استطاعته ثم قسمه الـــى مقدمـــة وفصلين وخاتمة .

بين فى المقدمة أن التعامل بيـــن الناس سيظل قائما استجابة لدواعى الحياة بالفطرة والضرورة ودون تقيد بوقت أو مكان وحيث انه من مسلمات المنطق انه لا يطيب للمرء أن يشترى شيئا بأكثر من قيمته أو يبيعه بأقـــل

من قيمته حيث أن القيمة نفسها شيء نسبى يتفاوت بتفاوت الزمان والمكان وقوة الحاجة الى الشيء المطلوب .

لذا كان خيرا للمجتمع أن تكون قيم الاشياء محددة معينة واقرب الى الثبات والاستقرار . ثم بين أهمية التسعير الجبرى (رغم كونه قيدا تفرضه الدولة على حرية التعامل بين الافراد) لكنه من قبيل الضرورات اللازمة لعدالة المعاملات ولسلامة الحركة التجارية فى المجتمع بل هو من قبيل الواجبات الاولية التى يتعين على الدولة الوفاء بها منعا للاستغلال والجشع والاحتكار .

ثم عاد فبين أهمية البحث نفسه لانه تناوله من الناحية الفقهية فى الوقت الذى صارت فيه مبادىء الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع فى مصر والكويت وبعض البلاد الاسلامية .

وفى الفصل الاول ذكر المؤلف أن قضية التسعير فى الفقه الاسلامى يتجاذبها مذهبان :

مذهب يقول بمنع التسعير اطلاقا لفكرة الحرية والتراضى فى المعاملات واستنادا الى المفهوم المتبادر من بعض احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن ذكر الأدلة مستوفاة مستخلصا آراء الفقهاء عاد فذكر (المذهب الثانى) القائل بجواز التسعير ناقش فى هذا المذهب الأدلة التى استند اليها القائلون بالجواز ثم عقد مقارنة جوهرية بين المذهبين خلص منها الى ترجيح الرأى الثانى وذلك لان العمدة فى المذهب القائل بالمنع هو الاستناد الى رفض الرسول عليه الصلاة والسلام للتسعير .

فحينما غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أصحابه يا رسول الله لو سعرت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر وانى لارجو ان القى الله عز وجل ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمتها أياه فى دم ولا مال » . رواه أحمد وأبو داود وغيرها .

وحيث أن هذا الحديث ليس نصا فى المنع لان رسول الله لم يقل لا تسعروا بالنهى الصريح لذا كان الحديث محلا للاجتهاد فاذا أضفنا الى ذلك بساطة الحياة فى عهد الرسول وضعف النشاط الاقتصادى وقوة الوازع الدينى وتحقق التكافل الاقتصادى تلقائيا ثبت ترجيح المذهب القائل بالجواز .

ثم عاد المؤلف فبين فى المطلب الثانى من الفصل الأول أدلة تقوى هذا المذهب قال : ان الاحتكار محرم فى الاسلام بنصوص صريحة حاسمة يقول رسول الله فيما رواه عمر . « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » رواه أحمد وغيره .

والتسعير لازم لمقاومة الاحتكار وعلاجه فهو يرد على المحتكر قصده السيء فيقضى بنزع ما أحتكره ومصادرته ويسمح بمعاقبته جزاء عدوانه على المصلحة واضراره بحقوق المجتمع (وهذا مذهب الجمهور) .

ثم يربط المؤلف بين الاحتكار والتسعير بقوله : فاذا جاز نزع ملكية المحتكر جبرا عليه ، ومصادرتها تيسيرا على الناس فى الحصول على ما يحتاجون . افلا يجوز من باب أولى فرض قيود على حريته فى تقدير أثمان ما يعرضه للبيع أو ما يمتلكه للتجارة (وهو معنى التسعير) .

بل إن التسعير ادنى درجة من مصادرة أصل الملكية لانه تحديد للسعر مع بقائه على ملك صاحبه .

وما زال المؤلف يتابع الحديث على وجوب التسعير مستدلا بأنه سد للذرائع ، فما يؤدى الى الحرام يكون بدوره حراما فيمنع ثم يسوق الحديث الذى روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم: « الحلال بين والحرام بين وبينها أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد أستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » متفق عليه .

هذا وقد اجمع الفقهاء على أن كل ما فيه مصلحة للناس أو دفع مضرة عنهم يكون واجبا شرعا ، ولا شك أن التسعير قيد من قيود التجارة العادلة فهو سياسة لتحقيق المصلحة للجمهور ودفع ضرر الغلاء المثقل عنهم .

واذا لم يوجد نص صريح يقطع بتحريم التسعير أو النهى عنه فى القرآن أو فى السنة واذا لم توجد علة شرعية تدعو الى ذلك فالاجتهاد بالمصلحة مجمع عليه وهى تقضى بالتسعير ثم حاول المؤلف ان يدفع بعض شبهات قد يفهمها البعض فقال :

وأما لفظ بعضهم بأن التسعير حرام فهو إما راجع الى خطئه فى فهم المراد بالتسعير كسياسة شرعية واعتقاده بأن التسعير دائما مظلمة .

أو الى ظنه خطأ ان حماية الملكية فى الاسلام مطلقة من كل قيد وان الناس دائما مسلطون على أموالهم فى حرية لا حدود لها مع ان التسلط على المال رهن بعدم الاضرار بالآخرين .

أو بما رآه البعض من ترك الأخذ بالاستحسان والمصلحة فى الفقه الاسلامى ولكن اذا ثبت أن هذا المنع انما كان لغاية سامية هى منع الافراط فى القول فى دين الله بغير علم فاذا انتفى هذا القيد ثبت قول الجمهور بالمصلحة المرسلة والاستحسان .

ثم بين المؤلف فى الفصل الثانى انه وقد رجح فى الفقه الاسلامى

شرعية التسعير الا أنه ليس واجبا فى كل الاحوال ذلك لانه ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ثم عاد فبين الاحوال التى يجب فيها التسعير وذلك عندما يحتاج الى السلعة وعندما يتواطأ البائعون ضد المشترين أو العكس .

هذه الحالات ذكرها المؤلف على سبيل المثال لا الحصر لان القاعدة العامة أنه كلما كان مصالح الناس ومنفعتهم العامة فى التسعير تعين اتخاذه .

وفى المطلب الثانى بين اختلاف الفقهاء فى تحديد موضوع التسعير .
هل المطعومات هى التى تكون محلا للتسعير أو ينسحب ذلك على المكيل والموزون واللحوم والبقول والفواكه ؟

وبعد أن ذكر آراء الفقهاء فى هذا الموضوع قال : ومن العدل (وهو قوام المعاملات فى الاسلام) الا يمتنع التسعير عن سلعة ما طالما أن حاجة الناس اليها طعاما كانت هذه السلعة أو ثيابا أو غير ذلك لا تندفع (كما يقول ابن تيمية) الا بالتسعير .

ثم بين فى المطلب الثالث كيف رسم الفقه الاسلامى سياسة التسعير لان تقدير السلعة تقدر على العدل لاوكس ولا شطط على أن يستعان بأخذ رأى التجار . ثم قال : والتسعير يضعه ويراقبه فى المجتمع الاسلامى ولى الحسبة أو المحتسب ويقدر الجزاء على مخالفته فى صورة ما يراه من التعزير ملائما ومحققا لايلام المتهم وردعه .

ثم قال فى خاتمة الكتاب : إن التنظيم الاسلامى لمسائل الاقتصاد والتجارة والمعاملات بصفة عامة بلغ الغاية فى الدقة والحكمة والابداع . والاسلام فى تنظيمه لهذه الشئون انما يطبعها بطابعه الروحى النبيل ويمزجها بما يلائم الاهتمامات الفطرية للانسان السوى من ايمان وعقيدة وهذا ما يكفل نجاح التشريع الاسلامى .

وقد اجمع الباحثون المنصفون على ان أرقى المذاهب والفلسفات تنتهى فى تطورها الى ما قررته الشريعة الاسلامية من مبادىء العدل والانصاف منذ أربعة عشر قرنا وموقف الفقه الاسلامى من مسألة التسعير الجبرى برهان على ذلك .

وبعد :

فالكتاب رغم اختصاره عرض لقضية التسعير عرضا مدعما بالأدلة مقرونا بالواقع ، أحاديثه مخرجه ، ومراجعه اشار اليها وهذا جهد يشكر عليه المؤلف .

فهل لنا ان نقول : إنه اثرى المكتبة الاسلامية بهذا المؤلف . ؟

عموما شكر الله لهذه الأيدى التى امتدت الى تراثنا الاسلامى فأخرجت لنا هذه القطوف الدانية .

من القصص الإسلامي

الراعي الأسود

للأستاذ : حسين الطوخى

● انتهى التفكير بمحمد صلوات الله وسلامه عليه بعد صلح الحديبية، الى ضرورة القضاء الأخير على شوكة اليهود فى شبه الجزيرة العربية .

صحيح أن صلح « الحديبية » أمنه من قريش ومن الجنوب كله ، لكنه عليه الصلاة والسلام لا يأمن من ناحية الشمال أن يستعين هرقل قيصر الروم ، ولا يأمن من ناحية الشرق أن يستعين كسرى ملك الفرس ، بيهود خيبر ، وأن يحرك اى منهما فى نفوسهم ثاراتهم القديمة ، فيذكروا اخوانهم فى دينهم من بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وقد أجلاهم عن ديارهم بعد أن حصرهم بها ، وقاتلهم فيها ، وقتل منهم مئات وآلاف ، وسفك دماءهم جزاء لما اقترفوه من آثام فى حق المسلمين .

واليهود اشد من قريش عداوة للنبى محمد عليه الصلاة والسلام ومن معه من المسلمين ، لانهم أحرص منهم — من قريش — على دينهم ولأن فيهم ذكاء وعلما اكثر مما فى قريش . كذلك يملك اليهود فى شبه الجزيرة العربية وفى غيرها الكثير من المال والفضة والذهب ، ويتقنون

صناعة السلاح ، ويتاجرون فى كل شىء يملكونه او يقع تحت ايديهم ، حتى الأعراض والذمم والضمائر يدخلونها الى اسواق تجارتهم ويساومون عليها بما يحقق لهم أوفر المنافع وقضاء المصالح ..

لذلك أصبح من العسير على الرسول أن يوادعهم بصلح كصلح الحديبية ، وأن يطمئن لهم بعد أن سبقت بينه وبينهم خصومات ووقعات لم ينتصروا عليه فى واحدة منها ..

ما أجدر اليهود اذن ان يثأروا لأنفسهم اذا هم وجدوا من ناحية «**كسرى**» مددا او من ناحية «**هرقل**» مؤازرة وحفزا ..

كان عليه الصلاة والسلام على يقظة تامة ووعى كامل وهو يخطط للقضاء على اليهود وكسر شوكتهم ، فلم يكن يستهين بشىء مما يملكونه وما يقع تحت نفوذهم ..

لم يغب عن فطنة الرسول القائد ، ان اليهود حينما تجمعوا فى « خيبر » بعد اجلائهم وطردهم من المدينة ، غدوا من اقوى الطوائف الاسرائيلية بأسا ، وأوفرها مالا ، واكثرها سلاحا ومنعة وحصونا ..

فى تلك الايام الباهرة ، بعد انقضاء قرابة ستة عشر عاما على نزول الاسلام ، أيقن المسلمون بأنه طالما بقيت لليهود شوكة فى شبه الجزيرة ، ستظل المنافسة بينهم وبين الدين الجديد حائلا دون تمام الغلبة للمسلمين .

وقر فى قلب الرسول وفى ذهنه ، انه لا بد من القضاء على شوكة هؤلاء اليهود قضاء أخيرا لا تقوم لهم من بعد ببلاد العرب قائمة ابدا ..

ولابد كذلك من المسارعة فى ملاقاتهم قبل أن يحكموا تدبيرهم ، ويجهزوا صفوفهم ، ويرتبوا أمورهم لوقعة اخرى قريبة يتوجسون فيها ويوقنون بأن « محمدا » عليه الصلاة والسلام لن يسكت عليهم ، ولن يكتفى بأن اخرجهم من المدينة ، وكأنهم يسمعون المسلمين والعرب وهم يرددون : ليس يكفى ان تقطع راس الافعى ، وانما ينبغى أن تتبع رأسها الذنب ..

فى تلك الأيام الباهرة والرسول القائد المحارب يخطط لغزو خيبر بمشاورة صحابته ، اخذ يتخير افذاذ رجاله واعوانه لهذه الغزوة ويدقق فى اختياره ، مرتكزا على حذره ويقظته ، مستلهما بُعد نظره وحكمته..

حين أمر المسلمين بالتجهيز لغزو « خيبر » طلب الا يغزو معه الا من

شهد الحديبية ، أو أن يخرج معه من يحب الخروج ، غازيا متطوعـــــا لا يرجو من الغنيمة شيئا . .

الا ما اعظم الغاية وما اسمى الهدف . .

الا ما أعظمه واشرفه من قائد تجرد من سفاسف الدنيا ونعومة الحياة الرخية ليفارق المدينة بعد خمسة عشر يوما من عودته من « الحديبية » ولما تزل على وجهه ووجوه صحابته واعوانه وعثاء الصحراء ومشقة الطرق الجرداء . .

أيامئذ ، لم يخرج المسلمون مع قائدهم الحربى يبتغون حيـــازة ارض يغتصبونها بلا حق ، أو يستعمرون بلادا جورا وعسفا ، أو يطمعون فى وسام يلحقهم ، أو منصب ينتظرهم اذا عادوا ، انما كان خروجهم مـــع النبى القائد ــ وقد وهبوا للموت أنفسهم قبل الحياة ــ من اجل نصرة دين حنيف قويم هو أرقـــى وأعظم دين يكرم به الانسان فى الدنيا وفـــى الآخرة .

وقفت قريش ، ووقفت شبه الجزيرة العربية كلها تتطلع الى هـــذه الغزوة الجبارة الجريئة المتحدية ، حتى لقد كان من قريش من تراهنوا على نتائجها ، واختلفوا فيمن تتم الغلبة لطرف من الطرفين .

كان الكثيرون من قريش ــ وهم الحاقدون من أصحاب مراكز القوى التى أطاح بها النبى القائد ــ يتوقعون أن تدور الدائرة علـــى المسلمين لما عرف من قوة حصون خيبر ومنعتها وقيامها فوق الصخور والجبال ، ولطول ممارسة اهلها للحرب والنزال .

انطلق المسلمون بقيادة الرسول القائد فى الف وستمائة محارب من الأشداء ومعهم مائة فارس ، وكلهم واثق بنصر الله ، وقطعوا مراحل الطريق ما بين المدينة وخيبر فى ثلاثة أيام لم تكن خيبر تحسهم اثناءها ، وان هو الا ان طلع فجر اليوم الرابع ، حتى كان جيش المسلمين قـــد وقف أمام حصونهم المنيعة .

وبينما عمال خيبر يخرجون الى مزارعهم يسحبون وراءهم ماشيتهم واغنامهم ، اذا بجيش المسلمين امامهم يسد عليهم منافذ الطريق ، فمـــا لبثوا ان ولوا الأدبار يتصايحون : هذا محمد والجيش معه ! وقـــال الرسول حين سمع قولهم : الله أكبر خربت خيبر ! انا اذا نزلنا بساحة

قوم فساء صباح المنذرين .

وعلى الفور وزع الرسول القائد قواته من حول الحصون ، وحدد لكل قائد كتيبة واجبه وخطة عمله واهدافه . .

تحدد لأبى بكر حصن ((**ناعم**)) ليفتحه فقاتل ورجـــع ولم يفتـــح الحصـــن .

وبعث الرسول عمر بن الخطاب فى اليوم التالى فكان حظه مثل حـــظ ابى بكر . .

فدعا الرسول اليه على بن ابى طالب ثم قال له : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك .

ومضى « على » بالراية ، فلما دنا من الحصن ، خرج اليه أهلـــــه فقاتلهم ، وضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده ، فتناول « على » بابا كان عند الحصن فتترس به واتخذه درعا له ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن ، ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليهـــا الى داخل ابنية الحصن المنيع .

وتوالى بعد ذلك فتح حصونهم واحـــدا اثر آخر . ســـقط حصن ((**القموص**)) ثم حصن ((**الصعب بن معاذ**)) ثم حصن ((**الزبير**)) ثـــم حصن ((**الوطيح**)) ثم حصن ((**السلالم**)) وكان الحصنان الأخيران آخـــر حصونهم قوة ومنعة ، ووفرة مال ومئونة وسلاح .

وانهار سلطان اليهود السياسى بتمام انتصار المسلمين عليهم فى خيبر ، ولم تعد لديهم من قوة أو شكيمة يتعرضون بهما للمسلمين بعـــد هذه الغزوة الباهرة التى كتب الله فيها النصر المؤزر للمسلمين . .

وآن للنبىعليه الصلاة والسلام أن يأخـــذ حظه من الراحة فى ذلك الغروب الأخير من أيام المعركـــة ، فانتحى وصحابته مكانا تظلله اشجار خيبر ، ويفوح من زهرها أرج طيب عذب ، وأخذ عليه الصلاة والسلام يتبادل وصحابته حديث السمر والذكريات مرها وحلوها ، بينما قادة الألوية يحصون شهداء المسلمين ويشرفون على دفنهم حيث ينزلون منازل الصديقين والأبرار . .

وبينما النبى فى سمره ومن حوله صحابته ، لمحوا شبحا يتمايل مـــن بعيد يمنة ويسرة ، ويتقدم الى المكان متردد الخطى ويكاد أن ينكفىء على وجهه من فرط ما يعانى من إعياء وهزال .

وأراد نفر من الصحابة أن يقوموا اليه فيقتلوه خشـــية أن يكون خدعة من خدع الأعداء ، لكن النبى عليه الصلاة والسلام نهاهم عـــن قتله وطلب أن يترك وشأنه حتى يتبين لهم قصده ومأربه ..

ولما أصبح الرجل على قيد خطوات من الرسول وصحابته من حوله ؛ سمعوه يسأل :

— أين بالله ذلك الرجل .. نبى العرب الذى تتحدث الناس عنه " يقولون انه هنا فى خيبر ..

ساعتئذ ، أشار الرسول الى الرجل أن يتقدم ليرى ما يسأل عنـــه رأى العين .

كان الرجل حبشيا أسود اللون ، شائه الخلقـــة ، أشعث الرأس وتفوح من أدرانه رائحة نتنة كريهة تجزع منها النفس والعين والأنف حتى أخذ الصحابة يسدون أنوفهم ويلوحون بأيديهم تقززا ونفورا ..

قال الرجل : يا رسول الله ، إن أسلمت فما الذى ينالنى من أمر هـــذا الدين الذى تدعو الناس اليه ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : تكون لك الجنة .

قال الرجل : إذن فاعرض على الاسلام ..

قال النبى : قل ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

ردد الرجل ما قاله النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم عاود حـــديثه مع النبى فقال : فكيف أصنع مع صاحب الغنم وهى أمانة فى عنقى وهى للناس ، وفيهم فقراء يقتاتون من حليبها ويبيعون من نسلها ما يحفظ عليهم حياتهم ..

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : نرد اليك غنمك لترجع الى أصحابها .

وصحب الرجل حارس من حراس الماشية التى غنمها المسلمـــون وأخذ الراعى الأسود يشير الى غنمه حتى استوفى عددها كاملة غيـــر منقوصة ، وساقها الى مقربة من مكان النبى .

قال الرسول : أهذه غنمك كاملة ؟ قال الراعى : بلى يا سول الله

قال الرسول : اضرب فى وجهها فإنها سترجع الى صاحبها .

فقام الأسود فأخذ حفنـــة من حصباء فرمى بها فى وجهها وقال : ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك .

ساعتئذ تحركت الغنم مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى بلغت أطلال حصن صغير تخرب اغلبه ، ولاذت به قلة من اليهود تركهم النبى لما راى اغلبهم اضعف من ان يفعلوا شيئا ..

وفى صباح اليوم الجديد ، خرجت كتيبة من جيش النبى لتطهر أحد جيوب المقاومة فى طريق عودة المسلمين الى المدينة ، وكان من بين جنودها راعى الغنم الاسود ..

ودارت معركة ضئيلة بين فلول اليهود اليائسين وجنود النبى المنتصرين تم القضاء فيها على ذلك النفر القليل من اليهود المعاندين .

وكانت ارادة الله ان يصاب الراعى الاسود بسهم لم يعرف راميه فأصابه فى مقتل وخرصريعا لساعته وهو لم يسجد لله سجدة واحدة .

وحمل جنود الكتيبة جثمان الراعى الاسود الى حيث النبى ومعه نفر من صحابته ، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام اعرض عنه ولم ينظر اليه ، بل كانت عيناه تتطلعان الى بضع سحابات بيضاء تروح وتغدو فى الأفق البعيد .

وسأل الصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه وقد ابلى بلاء حسنا ؟

قال الرسول : أرى معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له : ترب الله من ترب وجهك ، وقتل من قتلك .

وساعة أن حمل جثمان الراعى الاسود الى مرقده الاخير فى قبر حفر له الى جوار شهداء المعركة ، انبعثت من جسده رائحة زكية ، وكان هناك نور أبيض يلوح من داخل القبر ...

المراجع :

١ ـ « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل
٢ ـ السيرة الحلبية
٣ ـ شرح المواهب للزرقانى
٤ ـ البداية والنهاية لابن كثير .

الفتاوى

السؤال : ما حكم صلاة من يقتل العقرب وهو فى الصلاة .. ؟

الجواب : الاسلام يوجب الدفاع عن النفس أمام اى عدوان سواء كان هذا العدوان من انسان او حيوان . ولا شك ان العقرب من الحشرات الخبيثة التى يجب قتلها ، والمصلى فى هذه الحالة مخير بين أمرين : إما ان يقطع صلاته ويقتل العقرب ثم يستأنف الصلاة من جديد وبذلك افتى بعض الفقهاء .

وإما أن يقتله وهو فى الصلاة فلا يقطع صلاته بل يستمر فى اتمامها وبذلك أفتى البعض الآخر من الفقهاء ، واستدل القائلون بهذا الرأى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقتلوا الاسودين فى الصلاة الحية والعقرب) رواه أحمد وأصحاب السنن والحديث حسن صحيح وهذا من يسر الدين وسماحة الشريعة الاسلامية .

السؤال : ما الحكمة فى القراءة الجهرية فى المغرب والعشاء والفجر والسرية فيما عدا ذلك ؟

الجواب : الاصل فى الجهر والاسرار ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالقراءة فى الصلوات كلها فى بدء الدعوة وكان المشركون يؤذونه ويقولون لاتباعهم اذا سمعتموه يقرأ فارفعوا أصواتكم بالاشعار والاراجيز وقابلوه بكلام اللغو حتى تغلبوه فيسكت وكانوا يسبون من انزل القرآن ومن انزل عليه ومن نزل به فأنزل الله تعالى فى سورة الاسراء « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** » فكان بعد ذلك يخافت فى صلاة الظهر والعصر حتى لا يتعرض للايذاء ويجهر فى المغرب لاشتغالهم بالاكل وفى العشاء والفجر لنومهم واما الجهر فى الجمعة والعيدين لانه أقامهما بالمدينة .

وقد روى عن ابن عباس : لا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل وانه وان كان الحال قد تغير بالنسبة للسبب الذى من أجله كانت السرية والجهرية وذلك لقوة شأن المسلمين فان النبى صلى الله عليه وسلم مع قوة المسلمين فى عهده قد استمر على الصلاة الجهرية فى وقتها والسرية فى وقتها ولعله رأى فى النهار صخبا ولغطا وفى الليل هدوءا وتذكيرا للمسلمين فأصبح ذلك سنة فعلية استمر عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وعلينا أن نتبعه فيها .

السؤال : الاستماع الى الأغانى حلال أو حرام ؟

الجواب : الغناء منه ما هو حلال لا بأس بالاستماع اليه ، ومنه ما هو حرام يجب الابتعاد عنه ، فمن النوع الحلال ما كان بانشاد شعر لا فجور فيه ولا يدعو

الى معصية وبصورة ليس فيها تخنث او تكسر وليس فيها اظهار لما أمر الله بستره وذلك مثل ما كان العرب يستعملونه فى حداء الابل فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستمع الحداء ويطلب من احد الصحابة ان يحدو بهم فى السفر .

ومن الغناء المباح غناء المراة لزوجها وأولادها ومنه الغناء فى الاعيـــاد والعرس وقدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة بحيث لا يصاحب هـــذا الغناء شىء من المحرمات .

أما اذا كان الغناء يغرى بالفتنة ويستثير الغريزة ويطغى فيه الجـانب الحيوانى على الجانب الروحى إما عن طريق موضوع الأغنية أو كلماتها المثيرة أو عن طريق الاداء وذلك بالتكسر والتميع والحركات الفاتنة فالاستماع الى هذا اللون من الغناء حرام ، وفتح لباب الفتنة على الدين والخلق — كما يحرم الغناء اذا اقترن بمحرمات أخـــرى كأن يكون فى مجلس شرب أو تخالطـــه خلاعـــة أو فجور من النوع الذى توعد رسول الله صلى الله عليـــه وسلم اهله وسامعيه بالعذاب الشديد حين قال (يشرب ناس من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها يضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل الله منهم القردة والخنازير) رواه ابن ماجة وابن حيان فى صحيحه وقد يكون المـــراد بالمسخ هو مســـخ النفس والروح فيحملون فى صورة الانسان نفس القـــرد وروح الخنزير .

السؤال : ما حكم تقصير الشعر للمراة ؟

الجواب : تقصير المراة شعرها بحيث يكون خفيفا ليسهل عليها العنايـــة به او بقصد التجمل لزوجها لا حرج فيه ما دامت لم تقصره بقصد التشبه بالرجال لأن المراة لا يحق لها أن تتشبه بالرجـــال ، أما تقصيره على الطريقة الخاصـــة بالنساء فهو جائز على أصل الاباحة على شرط الا يقوم بالتقصير رجل ، وقد ورد فى صحيح مسلم أن نســـاء النبى صلى الله عليـــه وسلم (كن يأخذن من رءوسهن حتى تكون كالوفرة) والوفرة : الشعر المحاذى لشحمة الأذن .

السؤال : سمعت رجلا كان يجلس فى المسجد الحرام يقول وهو يشير الى الكعبة : (والكعبة المشرفة ما حصل منى كذا) فما حكم هذا القسم ؟

الجواب : الحلف بغير الله حرام ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقد ورد فى حديث رواه مالك والبخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجة . عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ، من كان حـــالفا فليحلف باللـــه أو ليصمت » .

السؤال : ماتت امراة وتركت زوجا وابوين فقط فما نصيب كل ؟

الجواب :

للزوج : النصف ، وللأم ثلث الباقى وللأب ما تبقى بعد ذلك . وهـــذا راى الجمهور وهو الأصح .

قالت صحف العالم

المهام الصحية فى الحكومة النبوية

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (حضارة الاسلام) السورية مقالا مطولا عالج فيه الكاتب المهام الصحية فى العصر النبوى .. وأبان ان الاسلام قد عنى عناية بالغة بالصحة والحفاظ عليها .. وأنه قد سن من القوانين والتشريعات والمبادىء ما يحفظ على الأمة شبابها وصحتها .. والاسلام بذلك يكون قد حقق قبل عدة قرون ما تنادى به منظمات الصحة العالمية فى عصرنا هذا ..

ففى مجال التخطيط الصحى الوقائى يقول الكاتب :

لقد خطط الاسلام لنشر التعاليم الصحية وتطبيقها على اتباعه وتخطيطا يجعل المسلم المتدين المتمسك بشرع الله تعالى مطبقا لها ومتقبلا الوصايا الصحية المبنية على ما جد من أبحاث واكتشافات تطور فن الصحة وترقيه .

واليكم أهم الأسس فى ذلكم التخطيط :

١ — الاهتمام بالنظافة والطهارة فى الجسم والملبس والمسكن والطريق لان الطهارة والنظافة من سيماء الجمال والكمال ، ولأن الاقذار والنجاسات هى المصدر الرئيسى للجراثيم عوامل الأمراض ولذا اشترط الاسلام الطهارة لصحة الكثير من عباداته ، وجعلها بابا من ابواب المغفرة الالهية ، وصدق الله العظيم : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

٢ — سن تشريعات من شأنها وقاية المياه من التلوث . من هذه التشريعات:

١ — النهى عن ادخال المستيقظ يده فى الاناء قبل أن يغسلها .

٢ — تنظيم استعمال اليدين بابعاد اليد اليمنى عن مجالات الأقذار والتلوث وان كان التطهير يشملها .

٣ — والنهى عن التنفس فى اثناء الشرب وعن النفخ فيه .

٤ — الأمر بتغطية الاناء وربط السقاء .

٥ — النهى عن الأغتسال فى الماء الراكد .

٦ — النهى عن التبول والتبرز فى الماء وقرب الموارد .

٧ — الحكم بنجاسة سؤر الكلب والتشديد فى تطهير ما ولغ فيه أو تنجس به وقد جعل الاسلام اقتناء الكلاب للضرورة وفى أضيق الحدود . وفى ذلكم سبق علمى حيث لم يدرك سره الا بعد مضى أكثر من عشرة قرون أى بعد اكتشاف سؤر الكلب وما تنجس بالكلب المصاب بديدان (الشريطية المكورة المشوكة) هما السبب فى أصابة الانسان بداء الكيس المائى (أو الكلبى) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طهور اناء احدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب) وقال عليه الصلاة والسلام : (من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم) .

٣ ـــ تحريم الخبائث من المطعومات والمشروبات كالميتة والـــــدم ولحم الخنزير والخمر .

ولقد أشار القرآن الكريم الى أن تحريم الخبائث هو من مهمات رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، وذلك فى قوله تعالى : (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وان الطب الحديث يؤيد ذلك التحريم ويوضـــح اضرار تلـــك المحرمات بصحة الانسان . ولبيان ذلك مقالات خاصة .

٤ ـــ تحريم الفواحش :

قال تعالى : (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) فحرم بذلـــك الاتصالات الجنسية غير المشروعة ما جرى منها علانية وما جرى سرا وما كان فى عالم الحس والظاهر وما كان مستترا فى النية والضمائر ، وذلك لأن العفة صفة خلقية راقية وطريق محفوظ تقى من الأمراض الزهرية ومن التدنى الخلقـــى والفساد الاجتماعى كما تقى من تحطيم كثير من الأسر .

٥ ـــ دمج بعض المناهج الصحية فى صلب العبادات أو اشتراطها لهـــا كاشتراط الطهارة لصحة كثير من العبادات . بل انا لنجد فى العبادات عـــلاوة على الفوائد الروحية والاجتماعية فوائد صحية غير الطهارة ، مثلا نجد فى الصلاة رياضة غريزية وأوضاعا صحية قويمة ، ونجد فى الصيام حمية وقائية لجميع من فرض عليهم وحمية علاجية لبعضهم .

٦ ـــ اثارة الاهتمام بالصحة والعافية والحرص على ما ينفع :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا) وقال عليه السلام : (المـــؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ..)

٧ ـــ بث الوعى الصحى فى المجتمع :

وذلك بالارشاد والتنبيه والتعليم . واشير هنا الى ان الارشاد الصحى فى الاسلام السائد فى العالم اجمع زمن الوحى الكريم ، وكان من تعاليم رســــول الاسلام صلوات الله عليه ما هو ابداع لم يسبق لمثله . ثم جـــاء العـــلم الحديث بعد اكثر من عشرة قرون مؤيدا تلك الارشادات ، مثيرا فى المطلـــع اعجابا بما يراه من سبق علمى دال أيضا على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله حقا ، وما اكثر الادلة والبراهين على ذلك ، وصدق الله العظيم : (وما ينطق عن الهوى أن هو الا وحى يوحى) .

بأقلام القراء

القـــرآن اول من نبه الى سكينة النفس

حول سكينة النفس وأثرهـــا على الانسان فى صـــحته وعمـــله ، وكيف أن صاحبهـــا بمناى عن الاضطراب العصبى ، سعيدا فى كل أحواله . . راضيـــا كل الرضا بما قسم الله له . .

كتب القارىء الفاضل مصطفى محمد الفار : يقـــول : ــ

لقد اثبت اتساع آفاق العلم فى العصر الحديث ان كل ما جاء به التقدم الفكرى فى العلوم له اصل فى القرآن الكريم ، وانه حتى ما استحدث من علوم فى الآونة الأخيرة قد جاء بها القرآن موجها النظر اليها ، او هادفا بآياته اليها او موضحا اساسها ، وهكذا يتحقق وجه من اوجه الاعجاز القرآنى الا وهو الاعجاز العلمى ، واذا كان علم النفس يعتبر من ضمن العلوم الحديثة التى لاقت اهتماما بالغا فى العصر الحديث لصلته بالجسم والروح ، فان القرآن الكريم قد جاء بما يمكن ان يكون القواعد الاساسية لهذا العلم .

فالآية الرابعة من سورة الفتح نصها (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) .

وفى سورة التوبة يقول القرآن الكريم فى الآية السادسة والعشرين (ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) .

وتتكرر الآيات التى تبشر من وهبهم الله سكينة النفس حتى انها بعد الموت ترجع الى ربها راضية مرضية كنص الآية السابعة والعشرين من سورة الفجر التى تقول (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) .

هذه الآيات ومثلها تقرر ان سكينة النفس احدى هبات الله التى يهبها لمن شاء من عباده المؤمنين لتزيدهم إيمانا . .

والمؤمن هو الذى آمن بالله حق الايمان ، فان اصابه خير اطمأن به وشكر الله عليه ، وان اصابه الشر صبر ولم يجزع منه ودعا الله ان يخفف عنه ويرى ان كل ما فى الوجود من الله والى الله ، يؤمن بأن رزقه وعمره واولاده انما هى أمور ارادها الله فلا يزلزله الشر ولا يطغيه الفرح . هذا المؤمن وقد وهبه الله سكينة النفس اصبح متمنعا على القلق ، بعيدا عن الاضطراب العصبى الـــذى يسببه الفرح أو الحزن ..

هذا المؤمن وقد وهبه الله سكينة النفس لا يعانى الخوف ابدا .. ذلك الذى انتشر فى العصر الحديث انتشارا مروعا وتعددت اسبابه ، واشكاله فالخوف من الموت .. ومن المرض .. ومن الجنون .. ومن المجهول .. أيا كان المجهول . !!

ويعتبر القرآن الكريم أول كتاب فى العالم نبه الأذهان الى سكينة النفس واهميتها ونتائجها وجعلها من سمات المؤمنين .

وقد كتب عنها فى السنوات الأخيرة عشرات الكتب بعد ان اصبحت النفس موضع اهتمام الاطباء والعلماء .

١ ــ اثبت الأطباء ان الأمراض التى ليس لها سبب عضوى ، سببها النفس بل واخطر من ذلك ان معظم الامراض العضوية سببها كذلك النفس ، وقد أمكن للأطباء ان يربطوا بين مظاهر الامراض والقلق النفسى ، فوجدوا أنه حتى أمراض ضغط الدم والشلل ، والذبحة ، والموت المفاجىء لها صلة بالحالة النفسية .

٢ ــ وليت أمر النفس وسكينتها يقف عند حد مرض الانسان وشفائه .. بل يقرر علماء الاجتماع أن حوادث العمل واصابات العمال انما ترجع الى النفس الحائرة ، وان صاحبها اقل انتاجا فى عمله ، واكثر تعرضا للخطر من جراء اصابات العمل التى هو سببها . ولذلك فان المؤسسات والشركات تهتم بمقابلة موظفيها وعمالها قبل تعيينهم وتعرضهم على علماء النفس ليختاروا من بينهم أكثرهم سكينة فى نفسه ، وأقلهم قلقا ، وهكذا تفتح سكينة النفس أمام صاحبها وسائل العمل .

اما فى مجال التجارة فكلنا يعلم كم من تاجر فقد سكينة النفس ففقد عملاءه وفقد ماله .. فليس هناك من يحتمل ان يناقش من يعانى قلقا أو اضطرابا ، وليس هنالك فى الحياة من يمكنه أن يعيش منفردا ..

من هنـــا نرى ان سكينة النفس هى خير عطاء من الله لعباده وقـــد سبق القرآن العلم بعشرات المئات من السنين فى بيان فضلها ، وكيف أن الله قد وهبها للأخيار من عباده ، لتنجيهم من كل شر فى الحياة ، وتهيىء لهم السعادة والصحة ، ولذلك فإنه وهبها للمؤمنين عندما أخلصـــوا للرسول فى بيعتهم له كنص الآيـــة الثامنة من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

أعلام الإسلام

إعداد : فهمى الامام

عبد الله بن رواحة

حياته ملحمة من ملاحم البطولة والتضحية والجهاد .. كان رضى الله عنه سهما فى صدر الكافرين والمشركين .. قاتلهم بالكلمة الصادقة .. فكان لها وقع أليم فى نفوسهم ورماهم بسيفه ورمحه دفاعا عن الاسلام والمسلمين وحتى تكون كلمة الله هى العليا .. وقدم نفسه رخيصة فى سبيل الله .. فاستحق البشارة فى قوله تعالى : **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** .

فليكن للمجاهدين ضد الباطل فى كل عصر قدوة حسنة فى عبد الله بن رواحه رضى الله عنه .

اســــمه : عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو .. ينتهى نسبه الى الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخــزرجى .

أمــــه : كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة خزرجيــة ايضــا .

كنيتــــه : أبا محمد .. وكان يكنى بأبى رواحه .. واحيــانا : بأبى عمرو .. وهو ليس له عقب .

مكانتــه : صحابى جليــل من الأمراء والشــعراء .. كان يكتب فى الجاهليــة .. وكان رضى الله عنه من السابقين الأولين من الأنصار فهو أحد النقباء الاثنى عشر ، وشهد العقبة مع سبعين من الأنصــار ، وآخى النبى بينه وبين المقداد .. واستخلفه النبى على المدينة فى احدى غزواته .. وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم .

صـــــــفته : روى عن امراته أنها قالت : كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك .

روايته للحديث : كان رضى الله عنه راويا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم وقد روى عنه ابن عبـاس ، واسـامة بن زيد ، وأنس بن مالك .

فى عمرة القضاء : لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة معتمرا كان ابن رواحة بين يديه ينشد قائلا :

خـلوا بنى الكفـار عن سـبيله
اليـوم نضـربكم عـلى تأويله
ضربا يزيـل الهـام عن مقيـله
ويذهل الخليـل عن خليلـه

فقال عمر : يا ابن رواحة أفى حرم الله وبين يدى رسول الله تقول هذا الشعر ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خل عنه يا عمر فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

غـــــزواته : شهد بدرا .. وهو الذى جاء ببشارة النصر فى وقعة بدر الى المدينة ، وشهد أحداً والخندق والحديبية .. فلم يتخلف رضى الله عنه عن غزوة فى سبيل الله .. وكان أحد الأمراء فى موقعة مؤتة .. (وهى قرية على مشارف الشام) وفى هذه الموقعة أبلى المسلمون بلاءً حسنا .. فقد قال رسول الله للجيش الخارج الى الجهاد : (أمير الناس زيد بن حارثة، فان قتل فجعفـر بن أبى طـالب ، فان قتل فعبـد الله ابن رواحـة) .

وناداهم المسلمون وهم يشيرون اليهم : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم الينا صالحين .

فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسـأل الرحمـن مغفـرة
وضربة ذات فرع تقـذف الزبـدا

أو طعنــة بيــدى حران مجهــزة
بحــرية تنفــذ الأحشاء والكبـــدا
حتى يقـال اذا مروا على جـدثى
أرشده الله من غـاز وقد رشـدا

سـلاح المؤمن : وسار الجيش المسلم حتى وصل قريبا من مؤتة .. فلما علم بعدد الروم وعتادهم .. قالوا نرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نستشيره فانهم يفوقوننا عددا وعدة . فقال عبد الله بن رواحــة :

يا قوم ، والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبـون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، اما ظهور أو شهادة .

وفــاته : دارت الحـرب .. وحمى الوطيس .. واشتد القتـال .. فاستشهد زيد بن حارثة .. وحمل الراية بعده جعفر بن أبى طالب .. وظل يقاتل حتى نال الشهادة فى سبيل الله .. ثم جاء عبد الله بن رواحة .. فدفع بنفسه فى أتون المعركة .. لا يبالى بشىء ولا يهاب الموت فى سبيل الله ..

وأخـذ يقول :

أقسـمت يا نفسـى لتنزلنـه
لتنزلن أو لتكرهنــه
ان أجلب النـاس وشدوا الرنة
مالى أراك تكـرهين الجنــة
قد طـال ما قد كنت مطمئنـة
هـل أنت إلا نطفـة من شـنة

ثم نال الشهادة فى سبيل الله ..

فرضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخبار العالم الإسلامي

إعداد : فهمى الامام

الكويت :

● قام سمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية وخاصة للجمهورية الفرنسية على رأس وفد كويتى ضم عددا كبيرا من المرافقين .

● سيقوم سمو الأمير المعظم بزيارة المملكة المغربية الهاشمية بناء على دعوة من الملك الحسن .

● زار البلاد الرئيس محمد انور السادات على راس وفد مصرى فى الفترة الواقعة بين ١٢ و ١٤ من مايو .. وذلك فى بداية جولته التى شملت بالاضافة الى الكويت : العراق والاردن وسوريا . وقد اجتمع سيادته الى سمو أمير البلاد المعظم .. وتباحثا فى القضايا التى تهم البلدين ..

● قام سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد بزيارة رسمية على رأس وفد كويتى كبير .. شملت دول الخليج العربى .. فزار دولة البحرين ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، ودولة قطر .. وتباحث مع المسؤولين فيها فى الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تهم منطقة الخليج العربى ..

● قام بزيارة الكويت العقيد موسى تراورى رئيس جمهورية مالى ، وقد اجتمع الى سمو أمير البلاد المعظم .. وتناولت المباحثات العلاقات بين البلدين ووسائل تدعيمها .



سمو أمير البلاد المعظم وهو يودع الرئيس أنور السادات لدى مغادرته البلاد ، بعد زيارة للكويت دامت ثلاثة أيام .



سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد وصاحب السمو أمير دولة البحرين فى قصر الرفاع .



رئيس دولة الامارات العربية المتحدة يتحدث الى سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء قبيل مغادرة سموه مطار أبو ظبى متوجها الى دبى ضمن برنامج زيارته الرسمية لدولة الامارات العربية المتحدة .

● وافق مجـــلس الوزراء على مشروع قانون بانشاء وكالة الانبــاء الكويتية الجديدة ، وســـتكون فى شكل مؤسسة عامة .

● صرح وزير العدل والاوقاف والشؤون الاسلامية السيد عبد الله المفرج بأنه بصدد طرح مناقصـــة انشاء ٤٠ بيتا للأئمة ، وأنه سيتم انشاء مساجد جديدة ، وصـــيانة المساجد الحالية ، وســـوف يعيد النظر فى مشروع الموسوعة الفقهية، وسيتم اصدار ملحق خاص بالشباب لمجلة الوعى الاســـلامى . وقال الوزير : ان مجلس الوزراء وافق على دعم جديد للصندوق الطبى لغير الكويتيين بمبلغ ٢٠ الف دينار .



● قام الاستاذ يعقوب غنيم وكيل وزارة التربيـــة بزيارة دار القرآن الكريم التـــابعة لوزارة العـــدل والاوقاف والشؤونا لاســـلامية للوقوف على سير الدراسة فىالدار وكان يرافقه الاســـتاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة المساعـــد للشئون الادارية والشيخ حسن مناع مدير الدار . .

● طالب احد اعضـــاء مجلس الأمة الكويتي ببناء ستة مساجد فى منطقة الرقة توزع على القطـــع الست التى تتكون منها المنطقة .



قام سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمـــد بزيارة صـــاحب السمو الشيخ خليفة بن حمـــد آل ثانى بمكتبه بقصر الدوحـــة حيث سلم لسموه رسالة من حضرة صاحب السمو امير دولة الكويت المعظم .



احتفل مؤخرا بتخريـــج دفعة جديدة مـــن خريجى الكلية العسكرية وذلك برعاية صاحب السمو أمير البلاد المعظم . ويبدو فى الصورة سمو الأمير والى جانبـــه سمو ولى العهـــد رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس الامة والمستشار الخاص لسمو الأمير .

السعودية :

● عقد مؤتمر قمة مصغر فـــى الرياض بدعوة من الملك خالد بـــن عبد العزيز وبحضور الرئيس انور السادات ، والرئيس حافظ الاسد .

● أعلن الملك خالد والرئيـــس السادات والرئيس الاسد تصميمهم على عدم السماح بأن يعود الوضع

فى المنطقـــــة الى حالة اللا حرب واللا سلم التى كانت سائدة قبـــل حرب رمضان .

● اعلن الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد النـــائب الاول لرئيس الوزراء ان العرب اتخذوا لـكافه الاحتمالات عدتها .

● اتفقت السعودية ومصر ودولة الامارات وقطر على اقامة مؤسسة مشتركة براسمال مليون دولار وذلك لتطوير الصناعات ـ بما فى ذلـــك صنع الاسلحة ـ وســيكون مقر المؤسسة فى القاهرة .

مصر :

● سيبقى فضيلة الشيخ عبـــد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر فى منصبه بعد بلوغه الخامســـــة والستين .. وذلك تقديرا لخدماته الدينية والعلمية .

● استقبل الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الاوقاف وشؤون الازهر بعثة الشؤون الاسلامية بماليزيا التى زارت القاهرة لدراسة نظم الاوقاف والدعوة الاسلامية .

● يجـرى الازهر امتحـــــانات مسابقة البعثات الى الدول العربية والاسلامية لشغل مراكز التـــدريس والوعظ الشاغرة فيها ، وتقـــدم للمسابقة ٧٠٠ مدرس فى مختــلف العلوم و ٢٠ واعظا ، ويمتحـــن المتقدمون فى القرآن الكريم والمواد العامة .

● تابع شيخ الازهر انشـــاءات جامعة الازهر بطنطا ، بلغت تكاليف انشائها نحو مليون جنيـــه ، ومن المقرر ان تبدا الدراسة ـ باذن الله ـ بكليتى الشريعة واصول الدين .

● قررت الجمعية العـــــامة للمحافظة على القرآن الكريم اقامة مؤتمر قرآنى كبير تدعو اليه كبـــار العلماء والهيئات القرآنيـــة ورجال الدولة والدول الاســـــلامية ورجال الاعلام .

● تبحث وزارة السياحة تكوين شركة دولية مســـــاهمة لبواخر السياحه الاســـلامية تتولى اعداد وتجهيز ٤ بواخر ضخمة ـ كمرحلة أولى ـ تخصص لنقل الحجاج وتنظيم الرحلات السياحية لاشهر المعـــالم الاسلامية ، وخدمة مسـلمى دول ساحل غرب افريقيـــا والامريكتين واوروبا ودول شرق آسيا .

أبو ظبى :

● اقر المجـــلس الاعلى لدولة الامارات المتحدة توحيد القـــوات الدفاعية للامارات فى جيش اتحادى واحد ، يكون له الحق فى حيـــازة الاسلحة الجوية والبرية والبحرية .

● اصدر الشيخ زايد بن سلطان قرارا بانشاء مجمع سكنى منفصـــل للعزاب العرب والاجانب العاملين فى (ابو ظبى) ، ويبلغ عدد العـــزاب الذى يســـــتوعبهم المجمع ٤ آلاف عازب .

لبنان :

● شنت اسرائيل اعتـــــداءات متكررة على جنوب لبنان .. وقامت بخطف عدد من الاهالى الامنين .. كما استخدم فى اعتداءاتها الطائرات والدبابات .

فلسطين :

● هاجم الفدائيون الفلسطينيون مبنى الكنيست الاسرائيلى ، كمـــا شنوا هجوما جريئا على مبنـــــى لضباط المخابرات الاسرائيليـــــة ، وكبدوا العدو خسائر فادحة .

مَواقيت الصَلاة حَسَبَ التوقيت المحَلي لـدَولـَة الكوَيت

أيام الأسبوع	جمادى ٢ ١٣٩٥	يونيو ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
ثلاثاء	١	١٠	٣٠٤	٨ ٢٧	١٠ ٢	٥ ١	٨ ٣٦	١ ٣٣	٣ ١٣	٤ ٤٨	١١ ٤٧	٣ ٢٢	٦ ٤٦	٨ ١٩
اربعاء	٢	١١	٣٠٥	٢٦	١	١	٣٥	٣٣	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
خميس	٣	١٢	٣٠٦	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
جمعة	٤	١٣	٣٠٧	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
سبت	٥	١٤	٣٠٨	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٣	٤٨	٢١
احد	٦	١٥	٣٠٩	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٣	٤٨	٢١
اثنين	٧	١٦	٣١٠	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٩	٢٣	٤٨	٢١
ثلاثاء	٨	١٧	٣١١	٢٣	٩ ٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٨	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
اربعاء	٩	١٨	٣١٢	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
خميس	١٠	١٩	٣١٣	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
جمعة	١١	٢٠	٣١٤	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣
سبت	١٢	٢١	٣١٥	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
احد	١٣	٢٢	٣١٦	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
اثنين	١٤	٢٣	٣١٧	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
ثلاثاء	١٥	٢٤	٣١٨	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
اربعاء	١٦	٢٥	٣١٩	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥١	٢٥	٥١	٢٤
خميس	١٧	٢٦	٣٢٠	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥١	٢٥	٥١	٢٤
جمعة	١٨	٢٧	٣٢١	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٤	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
سبت	١٩	٢٨	٣٢٢	٢٤	١٠ ٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٤	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
احد	٢٠	٢٩	٣٢٣	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
اثنين	٢١	٣٠	٣٢٤	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥٢	٥٢	٢٥	٥١	٢٤
ثلاثاء	٢٢	يوليو	٣٢٥	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
اربعاء	٢٣	٢	٣٢٦	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
خميس	٢٤	٣	٣٢٧	٢٦	١	١	٣٥	٣٣	١٧	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
جمعة	٢٥	٤	٣٢٨	٢٦	٢	١	٣٥	٣٣	١٧	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
سبت	٢٦	٥	٣٢٩	٢٧	٢	١	٣٥	٣٣	١٨	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
احد	٢٧	٦	٣٣٠	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٣	١٩	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
اثنين	٢٨	٧	٣٣١	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٣	١٩	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
ثلاثاء	٢٩	٨	٣٣٢	٢٩	٤	٢	٣٦	٣٢	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٣
اربعاء	٣٠	٩	٣٣٣	٣٠	٥	٣	٣٧	٣٢	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢

« إلى راغبى الاشتـــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت – لبنان أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع – ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجاني – ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز – ص.ب : (٢٨٠) .

المغرب : الدار البيضاء – السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز – ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية : جدة : مكتبة مكة – ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة – ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية – ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة – ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام – مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة – ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مكتبة دار الحكمة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمـــن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيا ١٠ قروش ● تونس ١٢٥ مليما ● الجزائر دينار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعدن ٧٥ فلسا
● لبنان وسوريا ٥٠ قرشا ● مصر والسودان ٤٠ مليما

بسم الله الرحمن الرحيم

فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

سورة البقرة ((آية ١٥٢))

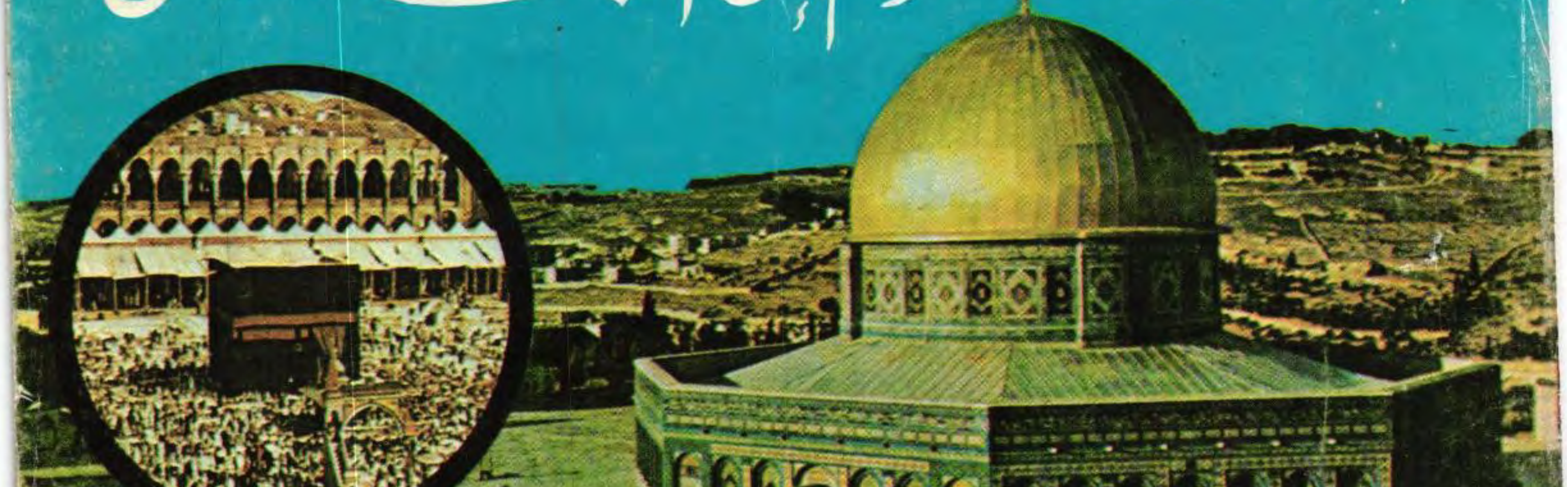
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

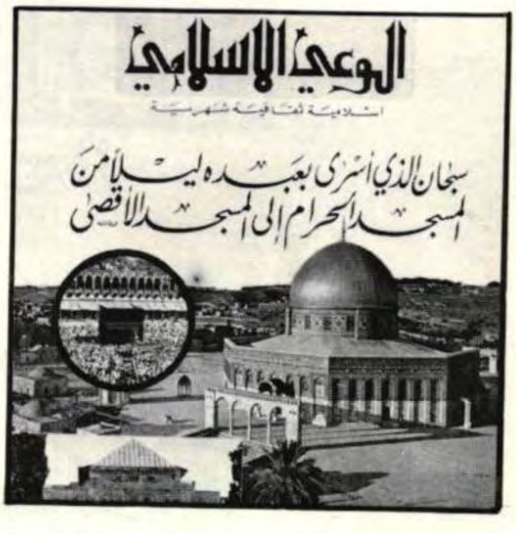
١٢٧

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى



العدد الاول من « براعم الايمان » هديتك مع هذا العدد

اقرأ في هذا العدد



« سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . »

(الاسراء — ١)

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العدد : ١٢٧

غرة رجب ١٣٩٥ هـ — يوليو ١٩٧٥ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامى — وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ — كويت — هاتف : ٤٣٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

من معاني التربية في الاسراء والمعراج

حادث الاسراء والمعراج من حادثات الاسلام العظيمة المؤكدة صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم والدالة على قدرة الخـــالق جل وعلا ، ونحن حين تمر بنا الذكرى تفوح شذا لا ينتهى بانتهائها وانما يظل مستمرا في فواح عابق حتى عودة الذكرى مرة أخرى من جديد ، وهكذا دواليك ، ذلك لأن احداث الاسلام تمثل طبيعته واستمراره ، وهذا ما نلمسه حال دراستنا لهذا الحادث العظيم ، حيث اننا نجده زاخرا بمعان تربوية تعمر بها نفوس الناس ، وتصفو بها حياتهم ، ونحن قبل استجلاء مواقف تلك الذكرى نذكر ما رواه ابن اسحاق .. قال :

« ان ابا جهل ـ لعنه الله ـ رأى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام وهو جالس واجم (ساكن) . فقال له هل من خبر ؟ فقال : نعم ! فقال : وما هو ؟ فقال : (انى أسرى بى الليلة الى بيت المقدس) . قال : نعم ! قال : أرايت ان دعوت قومك لك لتخبرهم بما اخبرتنى به ؟ قال نعم ! فاراد ابو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم ، فقال ابو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا في انديتهم . فقال : اخبر قومك بما أخبرتنى به ، فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وســلم خبر ما راى ، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة فصـــلى فيه ، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيبا واستبعادا لخبره ، وطار الخبر بمـــكة وجاء الناس الى أبى بكر رضي الله عنه فاخبروه أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا .. فقال : انكم تكذبون عليه وقالوا : انه ليقول . فقال : (ان كان قاله فلقد صدق) » .. !

ونقف عند ابن اسحاق عند هذه النقطة لنرى أن الاسراء حقيقة واقعة كما جاء في القرآن الكريم وقد كانت حدثا هاما في تاريخ الاسلام والمسلمين .. فكشفت عن صدق الايمان في قلوب المؤمنين حقا وابانت عن حقيقة المنافقين والكافرين ، وكان الهدف هو توكيد الصلة بالله سبحانه وتعالى حيث فرضت فيها الصلاة ، وهي عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، ونستفيد من حادث الاسراء والمعراج ما يجب أن يتصف به المؤمن من الايمان بالغيب والتسليم بقدرة الله التي لا تحدها حدود ، فهذا ابو بكر رضي الله عنه عند ساعة الخبر يقول : ان كان قاله فلقد صدق . انه الايمان الحق عندما يسكن القلب أما الذين في قلوبهم مرض فقد انكشف أمرهم وزاد عدد المنكرين والمتشككين الا أنه صلى الله عليه وسلم صمد مستعينا بالله موقنا بانه أمر الله سبحانه ، ولا بد من الوقوف عنده وتبليغه للناس ، كما وقد كان في ذلك امتحان للذين اسلموا من قريش واختبار لهم من حيث تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عرفوا عنه من قبل كامل صفات الخير ، فكان ذلك تمحيصا لنفوس هؤلاء ، وغرسا لفضيلة الصدق ، ثم لابتلائهم وثباتهم ، وهذه بعض المعاني التي نحرص في التربية على تطعيم الناس بها ، وتقويم سلوكهم بناء عليها .

والذي يؤكد ذلك ما جاء في قصة الاسراء من رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم المشاهد عن يوم القيامة تذكيرا بانه مصير الانسان الأخير، وان الاسلام يربط الدنيا بالآخرة ، ويجعل الآخرة هي مقياس للعمل .

وكان الله سبحانه أراد أن يمحص قلوب المسلمين ، فكانت هذه الحادثة امتحانا لهم ، لتكون صفوة الخير هي الرائدة لبناء مجد الاسلام العظيم .

وهذه المعاني التربوية هي التي يجب ان يتربى عليها النشء فانه لا حياة لأمة بدون صدق واخلاص وصلابة في الراى وثبات في المواقف ، وصبر على المحن ، وقد ظهرت هذه الخلال جميعها في حادث الاسراء والمعراج .

لذلك فقد كان من توفيق الله سبحانه وتعالى أن تصدر وزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية ملحق (الوعي الاسلامي) الخاص بالنشء باسم (براعم الايمان) موافقا تلك المناسبة الكريمة . فهنيئا للنشء الحبيب الذي يتربى على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويترعرع في احضان الايمان بالله سبحانه وتعالى .

والله ولي التوفيق .. ؛؛؛

رئيس التحرير
بدر سليمان القصار

من معجزات الاسراء

من مفردات الحديث :

الحجر : بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ــ ما حواه الحطيم ، وهو البناء المستدير في جانب الكعبة الشمالي

جلا : بالجيم وتخفيف اللام ــ أو تشديدها ــ اي اوضح واظهر من الجلو وهو الكشف الظاهر ، والجلاء : الامر الجلي ومنه جلا الخير اذا وضح وظهر .

طفق : جعل يفعل الشيء : اي شرع فيه ــ وبابه طرب ــ ومنه قوله تعالى : **(وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة)** (الاعراف ــ ٢٢)

بيت المقدس : هو المسجد الاقصى ، سمي بذلك لبعد المسافة بينه وبين مكة التي بها المسجد الحرام حيث مبدأ الرحلة وهوالذي ذكره الله في القرآن الكريم فى قوله تعالى : **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** (الاسراء ــ ١) وهو يقع في مدينة القدس من بلاد فلسطين واسمها القديم « ايلياء » وهو اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، واحد المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ، وهو ثاني مسجد وضع في الارض ، فقد جاء في الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الارض فقال : « المسجد الحرام » قلت ثم اي ؟ قال : « المسجد الاقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون عاما » والذي بنى المسجد الاقصى . هو يعقوب بن اسحاق عليهما السلام بعد بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، الكعبة بأربعين عاما ، وجدده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام .

الشرح والبيان :

اختار الله تعالى من عباده رسلا ومبشرين ومنذرين ، وفضل الله

للشيخ احمد البسيوني

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لما كذَّبتني قُرَيشٌ قُمْتُ في الحِجْرِ ، فَجَلاَ اللّهُ لِيَ بَيْتَ المَقْدسِ ، فطفقْتُ أُخبِرُهمْ عَن آياتِهِ وَأَنا أَنظُرُ إِليْهِ »
(رواه البخاري)

بعض هؤلاء الرسل على بعض، ورفع بعضهم درجات وجعل خاتمهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومنحه من كرمه وفضله ما لم يمنحه لرسول قبله ، واعطاه من درجات الرفعة والتكريم ما لم يعطه لاحد من خلقه ، فهو نبي امي لم يجلس الى معلم ولم يقرأ في صحيفة ولم يخط بيمينه ولكن الله تعالى هو الذي تولى تأديبه وتعليمه (**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما**) (النساء ١١٤)
ولقد كرم الله هذا النبي العظيم في كل شيء ، كرمه في خاصة نفسه (**الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك**) (الانشراح ـــ ١ ـــ ٤)
وكرمه الله في رسالته فقد ارسل كل نبي قبله الى قومه خاصة وارسل هو ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ الى الناس عامة (**وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) (سبأ ـــ ٢٨) . . . وكرمه الله في الكتاب الذي انزل عليه (**انهذا القرآن يهدي للتيهي اقوم**) (الاسراء ٩) **(واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم**) (الزمر ٥٥) وكرمه الله في امته على امتداد تاريخها الطويل على هذه الارض ، (**كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) (آل عمران : ١١٠)
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا) (البقرة : ١٤٣)
وكرمه الله في أصحابه الذين التفوا حوله وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه (**محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم**) (الفتح/٢٩) (**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه**) (الاحزاب/٢٣)

وكما كرمه الله في الدنيا فجعله سيد الوجود ، كرمه في الآخرة فضمن له ولأمته العاقبة في ارجي آية ذكرت في القرآن ، **(ولسوف يعطيك ربك فترضى)** (الضحى/٥٠) وجعله سيداً لموقف يوم الحساب . فقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه ، متحدثا بنعمة الله عليه : « انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، بيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي ، وانا اول شافع واول مشفع ، ولا فخر » رواه الامام احمد في مسنده والترمذي وابن ماجه . « انا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وانا أول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم عن انس وصححه .

ومن كرامة الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « الاسراء والمعراج » تلك الرحلة القدسية ، الارضية السماوية ، التي أراد الله بها افساح صدره وتثبيت نفسه ، وتبديد الهموم التي احاطت به ، وايناس وحشته حين تنكرت له الدنيا ، وكأن الله تعالى دعاه الى هذه الرحلة ليقول له : ان ضاقت في وجهك الارض ، فهذه ابواب السماء تفتح لتسمع في كل منها « مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح » وان اعرض عنك البشر ، فهذه ملائكتي تحف بموكبك وتحتفي بمقدمك ، وان انفض الناس من حولك ، فهؤلاء الأنبياء جميعا يصلون خلفك ! ان قدرتي هذه ، التي خرقت لك بها قانون الزمن ، وقانون المسافة ، وقانون السماء والجو ، هي التي ستفسح المحال أمام دعوتك ، فتنطلق في رحاب الحياة ، ويومئذ يجيئك نصر الله والفتح ، وترى الناس يدخلون في دين الله افواجا ..

لقد اسرى الله بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وهو معدن الانبياء من لدن ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمع له الأنبياء كلهم في ساحة هذا المسجد الذي بارك الله حوله ، فأمهم في دارهم ومحلتهم ، فدل على انه الامام الأعظم ، والرسول المقدم — صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين —

ثم عرج الله بنبيه الى السموات العلا ، وهناك بلغ مستوى رفيعا لا يطار اليه بجناح ، ولا يسعى اليه بقدم . وفي ذلك تثبيت لفؤاد الرسول الكريم ، وقوة له على الوقوف في وجه اعدائه ، وحفاوة كبرى بوضع أساس ركن عظيم من أركان الاسلام ، هو فريضة الصلاة ، التي كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ، وهكذا أراد الله أن تشرع الصلاة في السماء ، لتكون معراجا يسمو بالمصلين الى آفاق عالية ، فلا تنحط هومومهم الى شهوات النفس ، واعراض الدنيا ، فالصلاة تغسل ظاهر الانسان وباطنه ، بما تنهى عن الفحشاء والمنكر .

ولما كانت صبيحة هذه الليلة المضيئة ، تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابنة عمه « أم هانيء » بنت ابي طالب بما رأى ، فقالت له : لا تحدث الناس بهذا الحديث فيكذبوك ويؤذوك فقال : « والله لأحدثنهم به» فما كان لأصحاب الدعوات ، وحملة الرسالات ، أن يخيفهم وعيد ، أو يثنيهم تهديد عن تبليغ ما يحملون من أمانة الله الى الناس . وما كاد صلى الله عليه وسلم يغدو الى المسجد ، ليخبر الناس بالخبر ، حتى مر به أبو

جهل فقال له كالمستهزيء : هل كان من شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : وما هو ؟ قال «اسري بي الليلة » قال : الى أين؟ قال « الى بيت المقدس » . قال : ذهبت وعدت في ليلة واحدة ، ثم اصبحت بين ظهرانينا ؟قال : « نعم » فلم يشأ ابو جهل أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث ، اذا دعا قومه اليه ! ثم قال : ارايت ان دعوت قومك تحدثهم بما حدثتني ؟ فقال الرسول : « نعم » فانطلق ابو جهل يعدو وهو يصيح : يا معشر بني لؤي ، فانفضت اليه المجالس حتى حضروا عنده ، فقال للرسول : حدث قومك بما حدثتني به ، فحدثهم ، فكانوا ما بين مصفق استهزاء ، وبين واضع يده على رأسه تعجبا وانكارا ، وارتد بعض من لم يثبت الايمان فى قلوبهم ، واضطرب الناس فى فتنة محيرة ، وقال بعضهم: ان هذا والله الأمر البين ! والله ان العير لتسير شهرا من مكة الى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، افيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة ؟!

وسعى جماعة الى ابي بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع الى مكة فى ليلته ! فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فوالله اني لأصدقه في أبعد من ذلك ، انه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء الى الارض ، في ساعة من ليل أو نهار ، فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ! ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، احدثت قومك انك اتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : « نعم » انك رسول الله ! فقال الرسول لأبي بكر : « وانت يا أبا بكر ــ الصديق ــ وجعل الرسول الكريم يحدث أبا بكر بما رأى وأبو بكر يقول : صدقت ،أشهد فمن يومئذ سمي « الصديق » وان موقف الصديق هذا ، ليدعو الى مزيد من التأمل وامعان الفكر ، ذلك أن أبا بكر كان قد آمن بالله وبأن محمدا رسول الله ، وبحكم هذا الايمان ، اصبح ملتزما بكل ما يترتب عليه ، ومن هنا ندرك ان القوم لما حدثوه بأن صاحبه يقول : انه ذهب الى بيت المقدس وعاد فى ليلته ، قال لهم : اقال ذلك ؟ قالوا : نعم . فقال : « ان كان قاله فقد صدق » ومعنى هذا أن مناقشة أبي بكر ، لم تكن للأمر فى ذاته ، وانما في « هل قاله رسول الله أم لم يقله » ؟ فما دام قد قاله ، فلا بد أن يكون صادقا ، ان الامر اذا امر ايمان ، فلا مجال لعرض الامر على العقل ، لأن الايمان قد تم على أساس من العقل والاقتناع ، فما جاء بعد ذلك فهو منبثق عن هذا الايمان وتابع له ، ومن هنا نرى أن الله تعالى حينما يكلف عباده ، يناديهم بعنوان الايمان فيقول : (يا أيها الذين آمنوا . .) ثم يأمرهم بعد ذلك او ينهاهم ، فهذا النداء الحبيب ، مفتاح عجيب ، يفتح قلب المسلم ووجدانه ، وبه تتحرك كل الحوافز الايجابية لتصنع المجتمع الاسلامي ، وعلى وقع هذا النداء ، انقادت قلوب واستقامت نفوس ، وامتد نور الاسلام شرقا وغربا ، وانحسر طوفان الجاهلية ، وبدلت الأرض غير الأرض ، وتلك اكرم ثمرات الايمان في بناء أروع حضارة عرفها الانسان !

اذا فمناط التكليف ، الايمان بالمكلف ، فمـــا دام العقل قـــد اقتنع بـــأن هناك الها ، فليس بعد ذلك الا الطاعة والاذعان ، سواء اهتدى المكلـــف الى الحكمة من التكليف ، أم لم يهتد .. **((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهـــم حرجـــا ممـــا قضيت ، ويسلموا تسليما))** (النساء : ٦٥)

وكان في القوم غير أبي بكر ، ممن يعرف بيت المقدس ، فطلبوا مـــن النبي صلى الله عليه وسلم أن ينعته لهم ، وفي رواية ذكرهـــا الامام ابن كثير في تفسيره قال : « فقال رجل منهم : انا أعلم الناس ببيت المقدس ، وكيف بناؤه وهيئته ، وكيف قربه من الجبل ، فـــان يـــك محمـــد صادقـــا فسأخبركم ، فجاء ذلك المشرك فقال : يا محمد ! انا اعلـــم النـــاس ببيت المقدس ، فأخبرني كيف بناؤه ؟ وكيف هيئته ؟ وكيف قربه من الجبل ؟ قال : فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده ، فنظر اليه كنظر أحدنا الى بيته ... وفي بعض روايات الحديث يقول صلى الله عليه وسلم : « فذهبت انعت ، فما زلت انعت ، حتى التبس علي بعض النعت » وهنا مرت لحظة رهيبة ، احس رسول الله فيها انه يجتاز امتحانا عسيرا ، فقد دخل المسجد ليلا ، ولم يفحصه فحصا دقيقا ، يعينه على وصفه لهم كما يريدون ولكن الله تعالى ، لم يترك نبيه تغشاه الحيرة ، ويساوره القلق وتوجه اليه النظرات الشامتة وقد عجز عن الاحاطة بالوصف ، فتداركتـــه عناية الله الذي أمره ان يبلغ ما انزل اليه من ربه ، ووعده بأن يعصمه من الناس ، وليست العصمة من القتل فحسب ولكنها أيضـــا مـــن المـــواقف الحرجة التي تهتز بها مكانته في نفوس الناس ، يقول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « فجيء بالمسجد وأنا انظر اليه ، حتى وضع دون دار عقيل فنعته ، وأنا أنظر اليه » !

وقيل : ان الله تعالى ، كشف الحجب بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بيت المقدس حتى رآه .. وقيل انه مثل قريبا منه ، وما دام الامـــر معجزة ، فقد تم كل شيء بقدرة الله ، الذي لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء ، **((انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون))** (يس : ٨٢) .

وهكذا دخلت هذه الرحلة القدسية التاريخ من أوسع ابوابه ، واحتلت منه أعز مكان ، وأصدقه ، وكان لها من الثمرات ، ما ازداد به الاسلام في قلوب الناس رسوخا ووضوحا ، فقد اتاح الله لرسوله الكريم ، الاطلاع على مظاهر قدرة الله الباهرة ، وهذا له اثره الحاسم في توهين كيـــد الكافرين ، وتحقير عداوتهم ، والايمان بظهور الحق ، وان عاقبته النصر ، وعاقبة الباطل والخسران والخذلان وبذلك امتلأ قلبه صلى الله عليه وسلم ثقة في نصر الله له ، وازدادت عزيمته وصلابته في مواجهة قوى البغي ، والصبر على مشاق الدعـــوة .

وبهذه الرحلة ميز الله الخبيث من الطيب ، فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وتصديقا ، واما الذين في قلوبهم مرض ، فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون .

وفى تحديد بدء الرحلة ونهايتها ، ما يدل على حكمة عليا للقدر الأعلى فى التخطيط لها ، فقد جعل الله مبدأ الاسراء من المسجد الحرام ، ونهاية الرحلة المسجد الأقصى ، ولم تبدأ من المسجد الحرام ، الى السموات العلا وسدرة المنتهى ، وهذا التخطيط الالهي ، ينطوي على حكمة عالية ، ذلك أن النبوات ظلت دهورا طويلة متصلة فى بني اسرائيل ، وظل بيت المقدس مهبط الوحي على أنبيائهم ، ومشرق أنواره على الأرض ، فلما خاس اليهود بعهد الله وتخلوا عن أحكام السماء ، حول الله النبوة عنهم الى الابد ، فقد انتقلت من ذرية اسحاق ، الى ذرية اسماعيل .. ولعل هذا يكشف السر فى الربط بين الآية التي تحدثت عن الاسراء فى أول سورة « الاسراء » وبين الحديث بعدها عن كتاب موسى الذي جعله الله هدى لبني اسرائيل ، وقضاء الله اليهم في هذا الكتاب ، ليفسدن في الارض مرتين وليعلن علوا كبيرا .. ثم الاشارة بعد ذلك الى أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ... كل هذا يدل على أن ميراث النبوات قد انتقل الى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وأن دينه آخر الاديان وأن كتابه آخر الكتب وأنه خاتم المرسلين ... وصلاة الرسول الكريم اماما بالأنبياء ، ترجمتها الربط بين دعوات التوحيد وأماكن العبادات في جميع الديانات ، ووصل الحاضر بالماضي ، وبيان للناس أن الاديان المنزلة من الله على رسل الله، يصدق بعضها بعضا ، وأن الأنبياء أخوات علات ، أبوهم واحد وامهاتهم شتى ...

وفى مظاهر الترحيب بالأمين صلى الله عليه وسلم فى كل سماء ، والتحيات المتبادلة بينه وبين اخوانه من الرسل الذين سبقوه ، ما يؤكد وحدة هدفهم ، وأن ما أنزل عليهم جميعا قد خرج من مشكاة واحدة ، فالرسل من نوح الى محمد عليهم الصلاة والسلام ، كانوا دعاة الى الاسلام فى اصوله وجوهره ، وأن الاختلاف بين الشرائع ينحصر فى جزئيات تختلف باختلاف الأمم ، بحسب ما يصلحها ، كما قال تعالى : (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**) (المائدة : ٤٨) وكما قال سبحانه : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) (الشورى : ١٣) فأنبياء الله جميعا ــ على اختلاف ازمانهم ــ كانوا بناة لصرح الانسانية ، وقد تتابعت جهودهم المخلصة ، تنسق اللبنات فى بيت الفضيلة ، ومكارم الاخلاق ، حتى وضعت اللبنة الاخيرة بمحمد خاتم النبيين ، وبه تم البناء ... يقول النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فى حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم : « مثلى ومثل الانبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟! فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

من مصادر التشريع الإسلامي :

دكتور محمد سلام مدكور

احكام الشريعة الاسلامية منهـــا ما ورد بها نص صريح قطعي فى ثبوته ودلالته فلا يكون موضع نظر واجتهاد ، ومنها ما ورد بها نص ظنى ، أو لم يرد فيها بذاتها نص ، ولا بد للمجتهد من اعمـــــال النظر للتعرف عليها ، فاذا ما اتفق المجتهدون على استنباط الحكم كان ذلك اجماعا منهم عليه . والاجماع : هو المصدر الثالث من المصادر المتفق على أصـــــل حجيتها عند جمهرة المسلمين ، وقد اختلفوا في تعريفـــه تبعا لاختـــــلاف مفهومه عندهم .

فالاجماع عند جمهرة الاصوليين : اتفاق مجتهدى الأمة الاسلامية فى عصر بعد عصر الرسالة على حكم شرعى عملى . فلا بد على هـــذا لتحققه : من أن يجمع المجتهدون فلا عبرة لغير المجتهدين ، وأن يتفقـــوا جميعا فى مختلف مواطن الأمة الاسلامية واماكن تواجد المجتهدين ، وأن يكون ذلك بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم اذ هو بما يوحى اليه من ربه مصدر التشريع ، وأن يكون المجمع عليه حكما شرعيـــا قابلا للاجتهـــاد .

ومن العلماء من يرى أن الاجماع يتحقق باتفاق أكثر المجتهدين حتى لو خالف الأقل منهم ، ويرى مالك أن الاجماع يتحقق باتفاق فقهاء المدينة لأنها دار الهجرة وموطن الصحابة وأهلها اعلم بالوحى ، كما يرى البعض أن الاجماع يتحقق باتفاق فقهاء بعض الأمصار ، ويرى الظـــاهرية أن الاجماع يتحقق باتفاق الصحابة ولا يتحقق بعد عصرهم ، بينما الشيعة يرون أن الاجماع يتحقق بموافقة اتفاق مجتهديهم لقول الامام المعصوم .

الأجماع

انواع الاجماع :

١ ــ قد يكون الاجماع **قوليا** ، ويتحقق هذا بالتكلم من الكل صراحة بما يفيد اتفاقهم مجتمعين كانوا أو منفردين .

٢ ــ كما يكون الاجماع **عمليا** ، ويتحقق بالعمل من الكل فيما كان من باب العمل كعملهم فى المضاربة والمزارعة ، فاذا وقع منهم ذلك كان اجماعا على شرعية ما عملوه . وهذان النوعان (القولى ، والعملى) هما الأصل فى الاجماع .

٣ ــ وقد يكون الاجماع **سكوتيا** كما يرى الامام احمد وأكثر الحنفية وبعض الشافعية وقد عزى لأكثر المالكية . ويتحقق ذلك بقول بعض المجتهدين أو عملهم فى مسالة يتعلق بها حكم شرعى عملى مع سكوت الباقين بعد علمهم ، وقدرتهم على ابداء الراى دون خشية الضرر ، وبعد مضي فترة كافية للتأمل والنظر ، وبشرط أن يكون السكوت مجردا عن ما يدل على الموافقة او المخالفة . ويرى أكثر الشافعية وبعض الحنفية أن هذا النوع ليس باجماع ، لأن السكوت كما يحتمل الموافقة يحتمل المخالفة ، والاحتمال يسقط به الاستدلال على ما هو مقرر عند الاصوليين .

سند الاجماع :

يرى جمهور الاصوليين أن الاجماع عموما لا بد له من سند ، ثم يصير الاجماع نفسه دليلا مستقلا يكفينا مؤنة معاودة النظر فى الدليل

الذى استند اليه الحكم المجمع عليه . اذ بالاجماع اصبح الحكم ملزما ولا يجوز اعادة النظر فيه ولا مخالفته بعد أن كانت المخالفة للسند جائزة اذا كان السند ظنيا ، كما أن تفاوت الآراء واختلاف المناهج تمنع عادة الاتفاق من غير وجود دليل يقتضيه ، كما أن الدليل هو الطريق المرشد الى الحق فاذا تصورنا الاتفاق من غير دليل فانه يقع على خطأ والأصل أن الأمة لا تجتمع على خطأ . كما ورد فى الحديث الشريف .

ثم يذهب اكثر القائلين بضرورة السند للحكم الاجماعى الى ان السند يصح أن يكون قطعيا من نص قرآنى او حديث متواتر ، كما يصح أن يكون ظنيا كخبر الواحد والقياس ، وما كان ظنى الدلالة من النصوص . ومن الاجماع المستند الى القرآن اجماع الفقهاء على حرمة التزوج بالجدة مستندين الى قوله تعالى : ((**حرمت عليكم أمهاتكم**)) (النساء : ٢٣) . فقالوا : ان المراد تحريم جميع الاصول على الفروع ، والجدة اصل كالأم . ومن الاجماع المستند الى السنة حكمهم للجدة فى الميراث بالسدس اذ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « اطعموا الجدات السدس » ، ومن الاجماع المستند الى قياس : تمام البيعة لأبى بكر قياسا على استخلاف النبى صلى الله عليه وسلم له فى الصلاة اذ قالوا : رضيه النبى لأمر ديننا افلا نرضاه لدنيانا .

والفقهاء الذين يرون : المصالح المرسلة حجة ، يرون صلاحيتها لأن تكون سندا للاجماع وقالوا : ان اجماع الصحابة على جمع القرآن فى مصحف واحد كان سنده : المصلحة ، وقالوا : ان الحكم المجمع عليه المبنى على المصلحة يتغير تبعا لتغيرها ولذا فان سعيد ابن المسيب ، وغيره افتوا بجواز تسعير السلع محافظة على اموال الناس ومصالحهم وذلك رغم اجماع الصحابة من قبل على ترك التسعير .

ولكن فريقا من الفقهاء كداود الظاهرى ، والشيعة يرون ان سند الاجماع لا بد ان يكون قطعيا ، وعلى هذا فلا يكون الاجماع الا مؤكدا لهذا الدليل القطعى . وذلك كالاجماع على اصل وجوب الصلاة والصوم والزكاة ، والاجماع على حرمة التزوج بالجدة . وذلك استنادا الى قوله تعالى : ((**واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**)) (البقرة : ١١٠) . وقوله : ((**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**)) (البقرة : ١٨٥) . وقوله : ((**حرمت عليكم امهاتكم**)) (النساء : ٢٣) . اذ المراد تحريم جميع الاصول ، واذا حرمت الأم فبالاولى تحرم الجدة .

والاجماع كما يرى اكثر الاصوليين منعقد على الحكم المستفاد من الدليل لأنه المقصود بالنظر . اما الدليل نفسه فلا يتغير وصفه بسبب الاجماع فاذا كان ظنيا بقى كما هو من حيث الحجية ، وتكون فائدة الاجماع فى معرفة الدليل نفسه وسقوط البحث عنه ، ومعرفة كيفية دلالته على الحكم ، وحرمة مخالفته بعد الاجماع .

على ان من الفقهاء من يرى انه لا ضرورة أن يكون للاجماع سند شرعى ، وأجازوا ان يصدر الاجماع من المجتهدين بتوفيق الله لهم لاختيار الصواب ، ويكون ذلك بخلق علم ضرورى فيهم ، وقالوا : لو لزم للاجماع سند لكان السند نفسه هو الحجة ولا فائدة من الاجماع ، كما ان الاجماع قد حدث فعلا فى صحة عقود المعاطاة من غير أن يكون هناك سند لهذا الحكم ..

ولا يسلم ــ فيما نرى ــ هذان الدليلان من المناقشة . أما الأول فقد قلنا : انه بالاجماع صار الاجماع نفسه السند وحرمت مخالفته بعد ان كانت مخالفة السند الظنى قبل الاجماع جائزة فى بعض ما يدل عليه ، وأما الثانى فليس هناك دليل على انه لم يكن هناك مستند للاجماع على صحة عقود المعاطاة ، ومع هذا فكون بيع التعاطى مجمعا عليه محل نظر لمخالفة الشافعي له .

حجية الاجماع :

يرى جماعة من المعتزلة ومن الشيعة ان الاجماع لا يعتبر حجة لاستنباط الاحكام لأن الله يقول : **« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء »** (النحل : ٨٩) فلا حاجة للاجماع ، على ان الاجماع على فرض امكان حدوثه فانه لا يكون حجة الا بعد ثبوته وتحققه وهذا غير ممكن لأن اتفاق العلماء لا يتأتى الا بعد علمهم ووصول الحكم اليهم جميعا ، والعادة تمنع ذلك لتفرقهم وانتشارهم فى الامصار وعدم حصرهم .

والجمهور من الفقهاء على ان كلا من الاجماع القولى والعملى حجة ، ويستدلون على حجيته بأدلة منها :

١ ــ قوله تعالى : **« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم .. »** (النساء : ١١٥) فالآية جمعت فى الوعيد بين مشاقة الرسول وبين اتباع غير سبيل المؤمنين فيكون اتباع سبيل المؤمنين حجة .

٢ ــ واستدلوا من السنة بالأحاديث التى تدل على عصمة الامة من الخطأ اذا اجتمعت على أمر ، فقد روى عن الرسول عليه‌السلام انه قال : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » ، كما روى أنس عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « ان الله تعالى اجار امتى ان تجتمع على ضلالة » رواه ابو داود . وقوله فيما رواه ابن عمر : « ان الله لا يجمع أمتى على ضلالة » رواه الترمذى . وغير ذلك من الاحاديث

المروية فى هذا المعنى ، وهى وان كانت اخبار احاد الا انها فى مجموعها تفيد معنى متواترا .

٣ ـ وقالوا : ان اتفاق جميع المجتهدين فى الأمة على راى واحد يدل على انه عين الحق فيجب اتباعه في كل عصر الا اذا كان اجماعهم مستندا الى مصلحة وتغير وجه المصلحة .

اما الاجماع السكوتى فيستدل القائلون بحجيته بأن المعتاد تولى كبار المجتهدين أمر الفتيا ، ولما يعرف بها باقى المجتهدين فانهم اما أن يخالفوا ويعلنوا ذلك ويقوم حول المسألة جدل علمى ، واما أن يقروها وفى هذه الحالة لا ضرورة للاعلان اذ السكوت فى موضع البيان بيان كما يقرر الاصوليون ، وسكوت المجتهد عما أعلنه غيره بعد علمه به وقدرته على اظهار الراى لا يكون الا عن موافقة اذ الساكت عن الحق شيطان اخرس .
ويقول القائلون بعدم حجية الاجماع السكوتى مطلقا وهم : ابن ابان من الحنفية ، والباقلانى من الاشعرية ، وكذا الظاهرية ، وقد عزاه الباقلانى الى الشافعى وقال : انه آخر أقواله ، وكذا القائلون بأنه يكون حجة ظنية وقد نقل ذلك عن الشافعى ، وهو قول الكرخى من الحنفية والجبائى من المعتزلة ، وهو اختيار ابن الحاجب والآمدى . يستدل هؤلاء جميعا بأن السكوت كما يحتمل الموافقة فانه يحتمل التأمل ، ويحتمل التوقف ، والاحتمال يسقط به الاستدلال كما هو معروف فى القواعد ، ويدل لهم ايضا ما حدث من مشاورة عمر اصحابه فى مال فضل عنده من الغنائم فأشاروا عليه بتأخير قسمته وامساكه الى وقت الحاجة ، وكان على رضي الله عنه بين الحاضرين وسكت ولم يتكلم بشيء فسأله عمر رضي الله عنه فقال : أرىأن يقسم بينالمسلمين، وروى فى ذلك حديثا ، فعمل عمر بما قال علي . ولم يجعل سكوته دليلا على الموافقه حتى سأله والامام علي جوز لنفسه السكوت مع انه يرى خلافما يرون ولو كان السكوت يعتبر اقرارا لما ساغ للامام على أن يسكت عن حكم يرى أنه مجانب للصواب . وفضلا عن ذلك فان الاصل انه لا ينسب لساكت قول كى لا نحمله تبعة راى لم يظهر موافقته عليه .

نوع حجية الاجماع :

القائلون بحجية الاجماع عموما يتجه جمهورهم الى ان حجيته قطعية تفيد اليقين لا مجرد الظن، وينبغىان يلاحظ أن الاجماع القطعى يجب أن يكون ثابتا بطريق قطعى اى نقل نقلا متواترا ، والا كانت دعوى الاجماع ظنية فى ثبوتها .
لكن كثيرا من الاصوليين يرون ان حجية الاجماع ظنية لأن النصوص القرآنية التى تدل على حجيته كلها تحتمل التأويل ، وأما الأحاديث فكلها

أخبار آحاد ، وما دامت حجية الاجماع ظنية فان الحكم المجمع عليه بناء على هذا لا يكون مقطوعا به .

الاجماع المركب :

اذا انقسم المجتهدون الى فرقتين واجمعت كل فرقة على رأى فى مسألة مخالف لما اجمع عليه رأى الفرقة الاخرى . فكأن المجتهدين جميعا فى هذا العصر لم يخرجوا عن هذين الرايين . فهل يعتبر هذا اجماعا على عدم جواز احداث رأى ثالث .. ؟

اكثر الاصوليين على عدم جواز احداث رأى ثالث لأن هـــذا من الفريقين بمثابة اجماع على عدم جواز هذا الرأى الثالث . ويرى البعض جواز ذلك لأن الاجماع الملزم هو ما اتفق فيه جميع المجتهدين على رأى واحد ، وهناك من فصل وقال : اذا كان الرأى الثالث يرفع ما اتفق عليه الرأيان السابقان فلا يصح . فمثلا توريث الجد مع الاخوة انتهى الامر فيه فى العصور الاولى الى احد قولين : احدهما ان الجد يأخذ حكم الأب فيرث بالعصوبة كل الباقى ويحجب الاخوة . الثانى : أن الجد يشارك الاخوة فى الارث . فكأنهم جميعا يتفقون على توريث الجد ، وينحصر الخـــلاف فى مقدار ما يستحقه . فاذا ظهر بعد ذلك قول بأن الاخوة ترث كل الباقى ولا شيء للجد فانه لا يصح لمخالفته الاجماع على توريث الجد .

اما اذا كان الرأى الثالث لا يرفع ما اتفقوا عليه صح العمل به لأنه لم يخالف اجماعا ، فمثلا تركة يراد توزيعها بين اب وام وأحد الزوجين . فان الرأى فى تقسيم التركة استقر فى العصر الاول على اتجـــاهين : احدهما ان الأم لها ثلث كل التركة ، والثانى : ان الأم لها ثلث الباقى بعد نصيب أحد الزوجين . فالقول بعد ذلك بأن لها ثلث الباقى بعد نصـــيب الزوج ، وثلث التركة كلها بعد نصيب الزوجة لا يرفع شـــيئا مما اتفق عليه ، ويكون موافقا لكل فريق فى مسألة .

هل الاجماع يرفع الخلاف السابق .. ؟

اذا وقع خلاف فى مسألة بين الصحابة ، ثم جاء من بعدهم التابعون فاجمعوا رأيهم على حكم فيها فهل يكون اتفاقهم اجماعا ملزما فلا تجوز مخالفته للأخذ بأحد الآراء السابقة المخالفة لما اتفقوا عليه .. ؟

يرى البعض ان مثل هذا لا يعتبر اجماعا رافعا للخلاف السابق لأن من خالف فى العصر السابق لم يبطل قوله بموته . اذ رأيه معتبر لدليله لا لشخصه ، والدليل باق وعلى هذا فهؤلاء يشترطون لاعتبار الاجمـــاع عدم وجود خلاف سابق فى المسألة ، ويرى البعض انه يصير حجة لا تجوز

مخالفته فيمنع الاخذ بأحد الاراء السابقة لأن الأدلة على حجية الاجماع جاءت مطلقة ولم تفرق بين اجماع سبقه خلاف واجماع لم يسبقه خلاف ، وقالوا : ان الدليل الذى كان يستند اليه المخالف فى العصر السابق ارتفعت حجيته بالاجماع اللاحق .

انكار الحكم المجمع عليه ، وما قيل فى قبوله النسخ :

الحكم الثابت بالاجماع القطعى الذى اشتهر وصار معلوما بالضرورة كالعبادات ، وحرمة الزنى : انكاره كفر ، أما فيما عدا ذلك مما فيه خفاء فان منكره ليس بكافر مثل الاجماع على أن لبنت الابن السدس مع البنت تكملة الثلثين ، وهو القدر المخصص لارث البنتين فاكثر .

أما بالنسبة لقبول الاجماع للنسخ ، فانه يرتبط بما قيل من ان الاجماع يتحقق فى حياة المجتهدين انفسهم أو بعد انقراضهم لجواز عدول احدهم عن رأيه . فمن قالوا : ان الاجماع يتحقق ويصير ملزما فى حياة المجتهدين انفسهم فانه لا يصح عندهم اعادة النظر فيه ولا العدول عنه ، وعلى هذا فلا يكون قابلا للنسخ مطلقا . لا فى عصرهم ولا بعد عصرهم الا اذا كان سند الاجماع المصلحة ويكون قد تغير وجهها ، ومن قالوا : انه لا يتحقق الا بعد انقراض المجتهدين انفسهم الذين اجمعوا على هذا الحكم يرون أن من حق هؤلاء المجتهدين اعادة النظر فيه ونقضه ، ويكون ذلك بمثابة نسخ له . وينبغى لنا أن نلاحظ على ذلك فأى اجماع هذا الذى نسخ ما داموا يرون أن الاجماع لا يتحقق الا بعد انقراض المجتهدين .. ؟!

امكان الاجماع ووقوعه :

اختلف العلماء فى امكان الاجماع والاحتجاج به . فجمهور الفقهاء على أنه يمكن الاحتجاج به ان امكن الاجماع فى ذاته ، وامكن العلم بوقوعه فعلا ، وصح النقل ، وتواتر خبر حدوثه . بينما يذهب فريق من الشيعة ومن المعتزلة الى انه من غير الممكن الاحتجاج بالاجماع لتفرق المجتهدين فى الامصار ، واستحالة خطور مسألة معينة بخواطرهم جميعا فى زمن واحد . والافتاء فيها من الجميع بحكم موحد ، وحتى على فرض امكان ذلك فان العلم به غير ممكن اذ لا يمكن معرفة اشخاص جميع المجتهدين فى بقاع الأرض ، فقد يخفى بعض المجتهدين على الباحث فى المدينة الواحدة ، واذا فرض امكان معرفة اشخاصهم فمن غير الممكن تعرف حقيقة آرائهم ، فضلا عن عدم امكان نقله عند التعرف عليه نقلا متواترا ، كما انه لا يمكن التيقن بعد ذلك من اصرار كل واحد منهم على رأيه حتى تم الاجماع .

ما نراه بالنسبة لامكان الاجماع ووقوعه :

ونحن اذا استسغنا القول بامكان الاجماع الذى هو اتفاق جميع المجتهدين من الامة الاسلامية فى عصر أبي بكر وعمر ، فاننا لا نستسيغ القول بامكان تحققه على وجه يفيد طمأنينة النفس بعد أن تفرق الصحابة فى الامصار وبعدت بينهم الشقة ووجدت الانقسامات الناجمة عن الفتنة ، وبالاولى فاننا لا نستسيغ القول بوقوعه فى عصر التابعين ومن بعدهم ، على أنه لم يذكر أحد حكما شرعيا عمليا ثبت بالاجماع وحده بعد عصر الصحابة ، فضلا عن امكان وجود المخالف الذى عرفت مخالفته لكنها لم تشع بين الناس وماتت لغلبة الراى الشائع .

وحتى فى عصر الصحابة ، رضوان الله عليهم ، بل وفى خلافة الخلفاء الراشدين فان الاجماع بهذا الاصطلاح الذى هو اتفاق جميع المجتهدين فى الأمة .. لم ينعقد فعلا . اذ الوقائع التى حكم فيها الصحابة واعتبر الفقهاء حكمهم فيها من قبيل الاجماع . ليست فى الحقيقة من قبيل الاجماع ، وانما هى من قبيل الاجتهاد الجماعى . اذ كان اتفاقا من الحاضرين من اولى العلم والراى على حكم فى الحادثة المعروضة فهو حكم صادر عن شورى الجماعة .

ومما لا ريب فيه أن رؤوس الناس وخيارهم الذين كان يجمعهم ابو بكر وقت عرض الخصومة ، ما كانوا جميعا رؤوس المسلمين وخيارهم فى مختلف البقاع ، اذ كان منهم عدد كبير فى مكة والشام واليمن وفى ميادين الجهاد ، ولم يرد مطلقا أن أحد الخلفاء اجل الفصل فى المسألة المعروضة حتى يقف على راى جميع المجتهدين فى مختلف البلدان ، بل كان يمضي الخليفة ما اتفق عليه الحاضرون لانهم جماعة وراى الجماعة مقدم على راى الفرد لانه أقرب الى الحق . وهذا ما سماه الفقهاء اجماعا وهو فى الحقيقة ليس من الاجماع بالاصطلاح الاصولى ، وانما هو كما قلنا من قبيل الاجتهاد الجماعى . وهكذا بالنسبة لما نقلته كتب الفقه على انه اجماع فما هو فى الحقيقة الا حكم صادر عن اتفاق الحاضرين ومشورتهم . فكان حكما جماعيا بالنسبة لفقهاء هذا البلد أو تلك المنطقة فى ذلك العصر .

ونحن لا ننقص من قيمة الاجتهاد الجماعى ، بل نحن ندعو اليه ، فقد كان سنة السلف الصالح كما أنه أقرب الى الحقيقة غالبا .

وفى بيان الفرق بين الاجماع والاجتهاد الجماعى ما ييسر على الناس أمورهم ويبصرهم بأحكام دينهم ، اذ يجوز النظر فى الاحكام التى صدرت عن اجتهاد جماعى ومخالفتها باجتهاد آخر ما لم يتصل بها حكم حاكم قائم ، كما أنها لا تكون ملزمة لكافة المسلمين فى كل عصر كما هو الشأن بالنسبة للاجماع الملزم .

دروس من الاسراء

للاستاذ : محمد المجذوب

١ — موضوع الاسراء والمعراج من كنوز السيرة التى شاء الله أن لا تنفد عجائبها ، وأن تتجدد ابدا عبرها، فالمضمون الواحد تعالجه الاقلام النافذة فلا تستوفي منه الا ما يواجهها مما يتصل بحاجة البيئة ومفاهيمها المتطورة ، وتبقى اسراره الاخرى بانتظار المدارك الجديدة التي يتعذر سبقها الا في نطاق محدود .

ولا جرم .. فالسيرة النبوية هي مجال التطبيق الاول لحقائق القرآن ، وهي من اجل ذلك خالدة بخلوده ، منتظمة في موكبه ، تنتظر دائما وابدا الموهبة التي تحسن عرضها بلغة عصرها . ومن هنا جاء توافر الانتاج الفكري في قضية الاسراء والمعراج ، اذ كثر متناولوهما ، فتعددت طرقهم بين التحقيق والتلفيق ، والخيال والموضوعية .. ولكل وجهة هو موليها ، وفهم خاص هو آخذ به .

واسرع لأقول : اننى من أجل ذلك لن أقف بحثي على كيفية الاسراء والمعراج واحداثهما ، لان كثيرين سيتولون ذلك فيما اتوقع ، وأوثر لحديثي أن يكون في حدود العبر التي أحسبها بعض الأهداف الكبرى في هذين الحدثين العجيبين .. وذلك لاعتقادي أن كل حدث صح خبره من وقائع السيرة النبوية هو محط تعبئة لا مندوحة للمسلم من الوقوف عليها ، لتجديد طاقته الروحية التي بها وحدها يحقق وجوده،ويتبين حدود مسؤوليته

في تنازع البقاء ، وبخاصة بازاء التيارات الحاقدة التي تلح على فصله عن ذلك الماضي ، الذي على مقدار ارتباطه به يتوقف استمراره ويتأكد انتصاره .

٢ ــ قبل ربع قرن القي علي هذا السؤال : تبدأ سورة الاسراء بتمجيد الله واسرائه برسوله صلى الله عليه وسلم ، وبيان الحكمة من هذه الرحلة ثم تنتقل فجأة الى رسالة موسى عليه السلام وما يتصل ببني اسرائيل ؟.

ولقد تفطن بعض المفسرين الى الرباط الخفي بين هاتين النقطتين ، وحاولوا الكشف عن ذلك على تفاوت في وضوح الرؤية وتحديد الغاية .. وفي يقيني أن استبانة هذا السر وابراز مكنوناته مطلب على جانب عظيم من الأهمية ، من حقه أن يرهف عزيمة المسلمين ويزودهم بالكثير من اسباب الصبر والنصر ..

لقد شاءت حكمة الله أن ينشيء للجنس البشرى مناطق سلامة يفيىء اليها كلما حزبته هموم الحياة ، فحالت بينه وبين الامن الروحي ، الذي لا يستكمل انسانيته بغيره .. فكان المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله ، فأحاطه بالخير والنعم ، وجعله منطلق الدعوة الى توحيده وعبادته الخالصة ، يقوم بها النبيون والربيون .

وفي واد غير ذي زرع من مكة المكرمة أرسى لهذه الانسانية قواعد البيت الحرام ، لتتعارف في ظلاله على طاعة الله ، فتسترد في هاتين المثابتين ما ذهلت عنه من أواصر القربى ، ووشائج التعاطف، وروح الاستقرار. وعهد سبحانه برعاية كل منهما الى طائفة من عباده ، فوكل أمر المسجد الاقصى الى انبيائه وانصارهم من بني اسرائيل ، يعمرونه بالعبادة ، ويتولون مجاوريه بالهداية، ويفصلون بينهم بحكم الله . واختار سبحانه لولاية بيته الحرام ذرية من نبييه الاكرمين ابراهيم واسماعيل ــ عليهما السلام ــ يكرمون الوافدين اليه ، ويوفرون الامن لكل مقبل عليه ..

ولكن سرعان ما نسي بنو اسرائيل عهد ربهم في رعاية مسجده ، فاذا هم يقتلون أنبياءه ، ويغدرون بعباده ، وينشرون على الارض المباركة ظلمات البغي ، على حين ظل سدنة البيت الحرام وافين بعهد الله موقرين بيته ، قائمين بخدمة ضيوفه ، حارسين لسلامتهم ولامن هذا البيت العتيق .. حتى شاء الله تحقيق موعوده ببعثة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، بعد أن استشرى الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ، وتقلصت أنوار الهداية عن أرجاء الارض ، فلم يبق فيها من يهتم بها ، الا بقية ضئيلة من أهل الكتاب تناثروا في الابعاد ، حيث لا يسمع لهم كلام ، ولا يستطيعون ضرا ولا نفعا . .وبهذه البعثة الخاتمة

تدارك الله عباده بواسع رحمته ، فاذا هم في أول الطريق اللاحب الى الالفة الجامعة ، التي قدرها من الازل تحت قيادة الصادق الامين وسيد الاولين والآخرين .

وفي ليلة الاسراء المباركة تم بناء هذه الوحدة العالمية ، لاول مرة في تاريخ الانسان ، منذ أن افترق جنسه الى شعوب وقبائل .. وقد تجلى ذلك في الجمع بين البيت الحرام والمسجد الاقصى تحت لواء هذا الرائد الاعظم الذي اختارته العناية الالهية لهذه المهمة . ومن اجل ذلك جمع الله له اخوانه النبيين ليؤمهم في صلاة جامعة، تؤكد العودة بالانسانية الى وحدتها المقررة ، وتضع في يد الامة المسلمة من جميع الالوان ولاية المسجدين جميعا ، لتكون امة الدعوة العالمية الى التي هي اقوم .

ثم جاء المعراج الى الملأ الأعلى تكملة رائعة للمسيرة الانسانية الجديدة ، اذ كان بمثابة اعلان بليغ لاتجاه هذه المسيرة نحو السماء ، وبذلك انتهى عهد الضياع البشري ، وتعينت الغاية العليا من الحياة والحضارة ، ليحيي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ..

وفي حسباني أن في هذه الحقائق المنظورة من خلال آيات الاسراء ما يصلح لان يكون الجواب المقنع على ذلك السؤال القديم .

٣ — على أن ثمة اخرى تثيرها الآيات ، من شأنها أن تدفع المفكر المؤمن الى استكناه اجوبتها أيضا ، لان فيها ما يمس واقعه الفاجع مع هذه النفس اليهودية التي تصورها الآيات أنموذجا صارخا للالتواء والتعقيد .

« **وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** » (من ١ — ٨ : الاسراء) .

فها هنا انذار رباني يوجهه الله الى بني اسرائيل في بعض أسفاره المنزلة على بعض أنبيائهم حول عهدين من المعاصي الكبرى ، يقترفونها فيستحقون عليها نكاله الهائل . فهو يحذرهم تلك الموبقات ، ويرشدهم الى سبل الخلاص منها والى سننه الذي لا يحابى محسنا ولا مسيئا .

اما أولى المرتين فقد اتفق المفسرون المؤرخون على حصولها، وان اختلفوا في تعيينها ، وذلك لتعدد المفاسد التي أستحق القوم عليها العقاب الكبير ، ولعل أهمها واحقها بالتعيين حملة « نبوخذ ناصر » التي دمرت ملكهم ، وأهرقت دماءهم ، واسترقت بقاياهم لعشرات السنين .. ولكن الاختلاف على تحديد الثانية ، وقد ذهب بعض المفسرين الى انها قد مضت كأختها على يد الرومان .. ويرى آخرون ان الثانية هذه غير محصورة في ذلك

الانتقام الروماني على وجه القطع ، لان مفاسد بني اسرائيل مستمرة على وجه الدهر ، ومستمرة عقوباتها الالهية ، تحقيقا لقوله تعالى : **((.. وان عدتم عدنا))** فلا يستثنى منها وقائع قريظة والنضير وقينقاع وخيبر ، ثم ماتلاهن من كوارث جروها على أنفسهم في اوروبة ، حتى انتهت بمئات الالوف منهم الى افران هتلر ، وفي راي هؤلاء أن المرة (الاخرة) لم تخص بالذكر في كتاب الله الا بما تتميز به من الحسم الذي يشبه الاستئصال ، اذ سيكون فيها القضاء على طاقتهم الشريرة كافة ، فلا يستطيعون بعدها الى فتنة سبيلا ، وقد يؤيد هذا المفهوم كونهم في مفاسدهم التالية لحملة « نبوخذ ناصر » كانوا عالة على غيرهم ، لا يقدرون على شيء الا بحبل من الله وحبل من الناس ، على حين يصفهم القرآن العظيم اثناء المرتين او اخراهما بالتفوق الذاتي الذي يرتفع مده الى قمة الطغيان ، حتى لا يفي بتصويره الا قوله تعالى **((... ولتعلن علوا كبيرا))** ومعلوم انهم لم يبلغوا قط هذا المستوى خلال عشرين قرنا قبل قيام اسرائيل .. اذ اصبح لهم كيان مزود بكل وسائل التدمير والارهاب والاستعلاء ، فضلا عن سيطرتهم الفكرية على منابع القوة في الشرق والغرب ، وبخاصة في نطاق المال والسياسة والمذاهب الفكرية والاجتماعية الهدامة .

وبسبب ذلك نميل الى اعتبار (الاخرة) من المرتين هي التي نعاصرها اليوم ، ونعيش مآسيها في العدوان الذي لا يقيم وزنا للعواقب ، وفي التدمير الخلقي والروحي الذي لا يتورع عن سلب الانسانية ، في كل مكان ، كل مقومات السلامة والاستقرار .. وهذا يقتضي بديهيا أن يكون مدلول (الأرض) في كل من المرتين مقيدا بحدود الواقع التاريخي ، فاذا كانت في الافساد الاول مقصورة على الارض المقدسة ، التي انحصر اثرهم فيها وحدها ، فميدانها في الافساد الثاني يشمل كل جانب امتدت اليه سموم هذا الثعبان اللعين من أجزاء الكرة الارضية .

٤ ـ والآن ، ونحن بازاء الثقل الاكبر من أوزار هؤلاء المفسدين في الارض ، يجدر بنا أن نتساءل : الى أي مدى كتب علينا أن نسهم في تأديبهم هذه المرة (الاخرة) ؟؟

وقبل الاجابة على ذلك نركز البصر على قوله تعالى في آخر السورة : (**وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا**) وعلى الرغم من اغفال الكثيرين من المفسرين ربط ما بين هذه الاية وسابقتها في مقدمة السورة : **(فاذا جاء وعد الاخرة ..)** لا نشك في أنهما تستهدفان الفرض الواحد ، والذين ذهبوا بمعنى (**الاخرة**) في كلتيهما واحدة ، هي ثانية المرتين ، والذين ذهبوا بمعنى **(الاخرة)** الى مقابلة الدنيا لا سند لهم من أثر أو وحي ، وانما هو الاجتهاد المأجور .

هذا الى ان في الفقرة الاخيرة زيادة تسترعي أعمق الانتباه . ففي قوله تعالى : (**جئنا بكم ...**) ايذان قاطع بأنهم سيساقون بتقدير محكم من مختلف الانحاء الى مكان معين . وفي التعبير بـ (لفيف) توكيد لذلك ، اذ يشير

بصراحة الى تجميعهم اثر حصول الافساد الاخر .. ومع أن الآية لم تحدد موضع التجميع باللفظ فهو ملحوظ بالمعنى من اللفظ المجاور (الارض) الذي لا مجال للتردد في أن المراد به هو الارض المقدسة ، التي أمروا باستيطانها لاقامة شعائر الله ، وتحقيق القيم العليا التي يحب سبحانه أن تعمر بها الحياة ، والتي تحقق بسابق علمه انهم سيفسدونها بسوء سلوكهم وبتمردهم على انبيائهم ..

واذا كان الامر كذلك لم يبق من شك في أن مهمة الانقاذ ، انقاذ الانسانية من رجس هذه الثعابين ، واقعة على عاتق المسلمين وحدهم ، وان موعد المعركة الفاصلة معها متوقف على وصول هذا التجمع الى حدود الانفجار .

وطبعي اننا لا نسجل سبقا علميا اذا قلنا أن علماء السنة على علم بهذه الملحمة الحاسمة منذ أربعة عشر قرنا ، وانهم يملكون المخطط الكامل عن تفاصيلها الكبرى ، وذلك منذ اليوم الذي أبلغهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انه .. (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم .. يا عبد الله .. هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله . الا الغرقد فانه من شجر اليهود) (١) ..

والحديث من أنباء الغيب اخرجه مسلمفى صحيحه عنأبى هريرة رضي الله عنه فلا مرية في صحته ، ويحسن بأهل الاسلام أن يمعنوا الفكر فى اشاراته ، التي قد يكون فيها الغريب عن مصطلحات زمنهم ، ولكنها ذات أهمية بالغة بالنسبة الى معركتهم المقبلة المحتومة مع هذا العدو الخبيث .

ان ها هنا أخبارا قاطعا بملحمة لا مناص منها بين المسلمين واليهود ، تفسره كلمة (يقاتل) التي تصور المشاركة المتقابلة ، ثم يأتي النصر الحاسم الذي يسجله فعل الغلبة بقوله.. (فيقتلهم المسلمون) ويعقب ذلك تجسيم الهزيمة الواقعة في العدو وبصورة الاختباء وراء كل مظنة للقوة والنجاة من حجر وشجر، ويلحق بالحجر كل ما يتألف منه كالحصون والخنادق والبيوت والصخور . .ويلحق بالشجر كل ما يتخذ للوقاية والتضليل والكمون . ويبقى موضوع (القول) الذي يصدر عن الحجر الشجر : ما هو .. وما صفته ؟ .. وهو تعبير يتسع لاكثر من تفسير . فالقول يطلق على اللفظ الذى ننشئه من أنفسنا ، والذى ننقله عن غيرنا ، ومن ذلك قوله تعالى فى وصف كلامه العزيز : « **انه لقول رسول الكريم** » ويحتمل معنى الاشارة كما في الحديث (وقال باصبعه هكذا) اي اشار . وعلى هذا فقول الحجر والشجر يحتمل أن يكون كلاما يخلقه الله فيهما لارشاد المسلمين الى مكامن عدوهم في تلك المعركة ، فيكون ذلك من التكرمة الربانية لعباده المؤمنين ، كتنزيله الملائكة بنصرتهم حين يشاء.. ويحتمل أن يكون من نوع الاشارة اللاسلكية او الصوتية التي يحدثها الرادار

ونحوه ، يوجهه الخبراء الى الاماكن المختلفة فيستكشف ما خلفها ، فيكون ذلك مساعدا على تتبع العدو . أما استثناء الغرقد من ذلك التجاوب فلعله حاصل من تحصين اليهود اياه بعواكس معطلة لعمل هذه الاجهزة . وطبعي انه لا سبيل الى القطع بهذه التعليلات ، لأن الأمر متعلق بغيب لا يحيط به الا الله ، ولكنها محاولة لتقريب المعاني البعيدة والذي نريد التنبيه اليه هنا هو : ما يحمله الحديث الشريف من انذار للمسلمين بهذه الملحمة الهائلة ، والملابسات التي تكتنفها ، والنهايات التي ستصير اليها ، ليكونوا على بينة من مسؤولياتهم الآتية ، وعلى أهبة لتحقيق واجباتهم بازائها ، لكي يستحقوا النصر الموعود .

وبقيت هنالك نقطتان ، أولاهما : أن مجرد نداء الحجر والشجر بكلمة (يا مسلم) . (يا عبد الله ..) دليل كاف على أن جنود الاسلام يومئذ سيكونون من النوع الذي يستحق الاضافة الى الله . ولن يستحق المحاربون هذا التكريم الا أن يكونوا مصفين من كل عصبية جاهلية ، مخلصي العمل لله وحده ..

أما الثانية : فهي أن الخبر النبوى يعرض العدو معرفا بأل ، وفي هذا التعريف الاستغراقي ما يشد الانتباه ، ويفسح مجال الاحتمال بأنه اشارة الى تجميع يجعل اليهود صالحين لكسر شوكتهم وتحطيم قوتهم .

واذا صح هذا التأويل ، ولا مانع منه ، فلن يكون ثمة تجمع لهذه الشراذم السامة أصلح من تجمعهم القائم في فلسطين .. وبالتالي لن تكون هناك فرصة للقضاء على شرورهم ، وانقاذ البشرية من فواجعهم أصلح من هذه المناسبة . ولا حاجة للظن أن نتيجة الملحمة هي استئصال الجنس اليهودي فان التعبير بقوله صلى الله عليه وسلم (فيقتلهم المسلمون) قد يراد به الاثخان دون الاستئصال .. وذلك كقول عمرو بن سالم الخزاعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

ولو كان القتل شاملا لخزاعة لما بقي منهم هذا المخبر ، ولو كانت نهاية الملحمة استئصال اليهود لما أخبر صلى الله عليه وسلم في حديث آخر بأن عشرات الالاف من يهود أصفهان سيتبعون المسيح الدجال فيما بعد .

وبعد .. فهذه بعض العبر التي رأيت أن اقف عليها حديثي منموضوع الرحلة النبوية المباركة .. فهل تجد الآذان الصاغية ، والقلوب الواعية ، والهمم العالية ..؟!

ذلك ما أرجوه ، والله حسبي ، ولا حول ولا قوة الا به .

حكمة تتابع قصتي ولادة يحيى وعيسى في القرآن الكريم

للأستاذ محمد عزة دروزة

ان قصتى ولادة يحيى وعيسى عليهما السلام فى القرآن الكريم ذكرتا متتابعتين فى سور مكية ومدنية . ففى سورة مريم المكية وهى اولى السور نزولا التى ذكرت فيها القصتان هذا الفصل الطويل :

« كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا . اذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب انى وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا . قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا . فخرج على قومه من المحراب فاوحىاليهم ان سبحوا بكرة وعشيا . يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا . واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا . قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنتنسيا منسيا . فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلي واشربي وقري عينا . فاما ترين من البشر احدا فقولىانى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا . فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا اخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا . فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اين ما كنت واوصانى

بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حيا » (مريم/١ : ٣٣) .

وذكرت القصتان متتابعتان فى هذه الآيات من سورةالأنبياء المكية : **« وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيراتويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين . والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين »** (الأنبياء / ٨٩ : ٩١) .

ثم ذكرت القصتان متتابعتان فى هذا الفصل من سورة آل عمران المدنية : **« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء . قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار . واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون . اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيأة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الأكمه والأبرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »**

(آل عمران / ٣٣ : ٥١) .

وفى كل من السور الثلاث قدمت قصة ولادة يحيى على قصة ولادة عيسى عليهما السلام كما هو واضح .. وفى سورتى مريم وآل عمران عطفت الثانية على الاخرى كأنما مقصود فيهما ـ والله أعلم ـ ربط احداهما بالاخرى ، أيضا .

ولقد أعقبت قصة ولادة عيسى عليه السلام فى سورة مريم بهذا الفصل : « **ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم** » (مريم / ٣٤ : ٣٧) .

وأعقبت القصة فى سورة آل عمران بهذا الفصل أيضا : « **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم . ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** » (آل عمران / ٥٨ : ٦٤) .

والتعقيبان هما فى صدد عيسى دون يحيى عليهما السلام كما هو ظاهر . ويلهم ذلك أولا : انه لم يكن مراء وخلاف فى كون ولادة يحيى عليه السلام معجزة ربانية وان المراء والخلاف هو فى صدد عيسى عليه السلام فقط . وهذا ظاهر نصا فى التعقيبين أيضا . وثانيا : أن القصتين والتعقيبين قد نزلا فى مناسبة حجاج بين النبى صلى الله عليه وسلم وبعض النصارى . وهذا ملموح من نصيهما . وهناك رواية وثيقة يرويها المفسرون : أن فصل آل عمران نزل فى مناسبة مناظرة جرت بين النبى صلى الله عليه وسلم ووفدين من رجال الدين من نصارى نجران واليمن . وثالثا : ان الفصلين والتعقيبين يلمحان أن المراد فيهما اقامة الحجة على النصارى . فهم لا يختلفون فى أن ولادة يحيى عليه السلام كانت معجزة ربانية ولا يرتبون على ذلك أن يكون له صفة الوهية . وأن هذا الامر هو نفسه بالنسبة لعيسى عليه السلام فقد ولد بمعجزة ولا يقتضي أن يترتب على ذلك له صفة الوهية . وهكذا تكون الحجة ملزمة . وفى فصلى آل عمران ومريم حكاية أقوال عيسى عليه السلام فهو عبد الله ونبيه وقد آتاه الله الكتاب . وأنه ولد كالناس وسيموت كالناس وسيبعث كالناس . وأن الله ربه ورب الناس . وأن على الناس أن يعبدوا الله وحده وأن هذا هو الصراط المستقيم والقول الحق، وفى تعقيب آل عمران حجة أخرى فالنصارى يعرفون أن الله خلق آدم من تراب فقال له كن فكان لأن ذلك

جاء فى أسفار يقدسونها وأن مثل عيسى هو مثل آدم قال له كن فيكون . وقد تكررت هذه الجملة فى التعقيبين . وقد أمر الله النبى صلى الله عليه وسلم بأن يتحدى الذى يحاجج فى ذلك بالابتهال الى الله بأن يجعل لعنته على الكاذبين . وروايات المفسرين الوثيقة تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم اقترح ذلك على وفد نجران فأبى . وقال له الست تقول ان عيسى كلمة الله القاها الى مريم وروح منه . قال النبى صلى الله عليه وسلم : بلى . فقال الوفد هذا حسبنا ولا نحب أن نباهلك .

وعلم الله تعالى انهم ارادوا بقولهم اقامة الحجة على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه يعترف بأن عيسى كلمة الله وروح منه وهذا يعنى فى نظرهم اعتراف ما بصفة الوهية له فانزل آية آل عمران هذه : ((**هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله ..**)) الخ (آل عمران : ٧) كأنما اراد الله تعالى ان يرد عليهم حجتهم ويقول انهم يتبعون المتشابه دون المحكم . والمحكم هو أم الكتاب . وهو يقرر أن عيسى ولد بمعجزة وانه بشر كسائر البشر وانه يعترف بعبوديته لله وكونه نبيا وحسب وان الله تعالى واحد احد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وسبحانه أن يكون له ولد أو شريك أو مساعد أو أن ينتقل روحه الى خلق من خلقه

وأن تعبيرات (كلمة الله وروحه) (ونفخنا فيها من روحنا) هى من المتشابهات التى أريد بها التعبير عن الاعجاز الربانى فى ولادة عيسى حسب كلام الناس ومفهوماتهم فلا يصح أن تغطى على المحكم من القرآن الذى هو ام الكتاب وانه لا يفعل ذلك الا الذى فى قلبه زيغ ويبتغى الفتنة وحسب .

وفى القرآن آيات تذكر أن الله عز وجل نفخ فى الانسان من روحه حين خلقه كما نرى فى آية سورة السجدة هذه : ((**ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**)) (٨ ، ٩) . وفى سورة (ص) استعمل التعبير مع ذكر آدم صراحة ايضا . ولم يقل النصارى ولا غيرهم ان ذلك يعنى صفة الوهية فى آدم او فى الانسان . وانما هو تعبير عن الاعجاز الربانى فى خلق الانسان الأول .

ومن الجدير بالذكر أن انجيل لوقا وهو من الاناجيل الاربعة التى يعترف بها النصارى ذكر قصة ولادتى يحيى وعيسى عليهما السلام فى سياق واحد مع قصد التدليل على قدرة الله . فكما أن الله خلق يحيى بمعجزة فهو قادر على خلق عيسى بمعجزة أيضا . وهذا هو الفصل الذى جاء فى الاصحاح الأول من ذلك الانجيل « كان فى أيام هيرودوس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة ابيان وامرأته من بنات هرون واسمها اليصابات . وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا

لوم . ولم يكن لهما ولد اذ كانت اليصابات عاقرا . وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما ـ اى طعنا فى السن ـ فبينما هو يتكهن فى نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهان أصابته القرعة ـ على عادة الكهان ـ أن يدخل الى هيكل الرب ويبخر . وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا فى وقت البخور فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لـ كابنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرحوابتهاج ويفرح كثيرون بمولده لانه يكون عظيما أمام الرب ولا يشرب خمرا ولا سكرا ويمتلىء من الروح القدسي وهو فى بطن أمه . ويرد كثيرين من بنى اسرائيل الى الرب الههم . وهو يتقدم أمامه بروح ايليا وقوته ليرد قلوب الآباء الى الابناء والعصاة الى فكر الأبرار . ويعد للرب شعبا مستعدا . فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا فانى شيخ وامرأتى قد تقدمت فى أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف أمام الله وقد أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وها أنك تكون صامتا فلا تستطيع أن تتكلم الى يوم يكون هذا لانك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى أيامه . وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من ابطائه فى الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل وكان يشير اليهم وبقى صامتا . ولما تمت خدمته مضى الى بيته . ومن بعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته فاختبأت خمسة أشهر قائلة : هكذا صنع بى الرب فى الأيام التى نظر الي فيها ليصرف عنى العار بين الناس .. وفى الشهر السادس أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله الى مدينة من الجليل تسمى ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم . فلما دخل اليها الملاك قال السلام عليك أيها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت فى السماء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت فى ما عسى أن يكون هذا السلام فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم فانك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع .. وهكذا سيكون عظيما وابن العلى يدعى . وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه ويملك على آل يعقوب الى الأبد . ولا يكون لملكه انقضاء . فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلا . فأجاب الملاك وقال لها أن الروح القدسي تحل عليك وقوة العلى تظللك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله .. وها ان اليصابات نسيبتك قد حبلت هى أيضا بابن فى شيخوختها وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوة عاقرا . لأنه ليس أمر غير ممكن لدى الله . فقالت مريم ها أنا أمة الرب فليكن لى بحسب قولك وانصرف الملاك من عندها » (انجيل لوقا ، الاصحاح الأول / ٥ : ٣٨)

ويمضي الفصل فى حكاية ولادة يحيى ثم عيسى عليهما السلام ..

والفصل متطابق نصا وقصدا ومدى مع تقريرات القرآن فى

سورتى آل عمران ومريم . بقطع النظر عن خلافات جزئية أسلوبية . ففيه قصة يحيى أولا ثم قصة عيسى عليهما السلام . وفيه تدليل على قدرة الله على ولادة عيسى بمعجزة كما كان الأمر بمعجزة ولادة يحيى عليهما السلام . وليس فيه اى شيء يفيد صفة لاهوتية لعيسى عليه السلام بسبب ذلك وجملة (ابن الله يدعى) هى من قبيل التكريم . وفى الأناجيل وصف متكرر معزو الى عيسى عليه السلام أن الله الذى فى السموات ابوه وابو الناس جميعا (ابى وابيكم) و (اباكم الذى فى السموات) ومن هذا القبيل جملة (الروح القدسي تحل عليك) وجملة (قوة العلى تظللك) فالجملتان لتطمين فزع واضطراب مريم عليها السلام . وللتنويه بمعجزة الله فى حبلها بدون مس رجل .. وفى الأناجيل عبارات كثيرة معزوة الى عيسى عليه السلام فيها اعتراف بربوبية الله والوهيته واستحقاقه وحده للسجود والعبادة وبأنه ابن البشر وبأن الله ارسله الى الناس الخ .. وكل هذا متطابق مع تقريرات القرآن .

هذا ، وواضح أن قصة ولادة يحيى وعيسى عليهما السلام فى القرآن هى كسائر القصص القرآنية أريد بها تدعيم المحكم القرآنى والرسالةالنبوية وأن بعض عباراتها من المتشابهات التى تتحمل تأويلات عديدة ويكون الضابط لها المحكم القرآنى على ما شرحناه فى مقال سابق نشرته الوعى عن القصص القرآنية ومداها .

ومن واجب المسلم أن يقف عندما جاء فىالقرآن دون تزيد ودون تخمين وأن يكل تأويل ما لا يعيه عقله الى الله وأن يقول : **« .. آمنا به كل من عند ربنا .. »** (آل عمران : من الآية ٧) وأن يستشف الحكمة فيما اقتضت حكمة التنزيل ايحاءه بالأسلوب الذى جاء به .

والحمد لله رب العالمين .

العقوبة

العقوبة في الاسلام (٢)

للأستاذ توفيق على وهبه

تعريف العقوبة :

العقوبة هى ما يوقع على فاعل الفعل غير الحسي وهى أثر أعقب الفعل ، واختصت العقوبة والعقاب بالعذاب ، وعاقبه بذنبه معاقبة وعقابا : أخذه .

وقد ورد لفظ عقاب ومشتقاتها فى القرآن الكريم ٢٦ مرة ويعرف الماوردى العقوبات بأنها : زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر لما فى الطبع من مغالبة الشهوات الملتهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة ، فجعل الله تعالىمن زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذرا من الم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا ، وما أمر به من فروضه متبوعا فتكونالمصلحة أعم والتكليف أتم ، قال الله تعالى :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الأنبياء : ١٠٧) يعنى فى استنقاذهم من الجهالة وارشادهم من الضلال ولكفهم عن المعاصي وبعثهم على الطاعة واذا كان كذلك فالزواجر ضربان حد وتعزير .

ويقول ابن تيمية : « العقوبات الشرعية انما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الخلق وارادة الاحسان اليهم . ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الاحسان اليهم والرحمة بهم كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض » .

والعقوبات اما محددة كما هو الحال فى جرائم الحدود والقصاص واما غير محددة كالتعزيرات وهى تحدد حسب كل جريمة وحالة كل مجرم وظروف وأسباب الجريمة .

والعقوبة تطهير للانسان من الذنب الذى اقترفه بارتكابه للجريمة ولذلك فهى تمنع عنه عقاب الله يوم القيامة لأن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يوقع على الانسان عقوبتين على ذنب واحد ، فاذا عجل بمعاقبة الجانى فى الدنيا نجا من عذاب يوم القيامة ، واذا استطاع الهروب والافلات من العقاب فى الدنيا ولم يتب من جرمه استحق عقاب الله سبحانه وتعالى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يمكن لانسان مهما كان أن يهرب من عقاب الله .

ان عدالة الله سبحانه وتعالى اقتضت ان يجازى كل انسان على عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر .

روى عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبايعونى على الا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فأخذ به فى الدنيا فهو كفارة وطهور ، ومن ستره الله فذلك الى الله عز وجل ان شاء عذبه وان شاء غفر له » (رواه البخارى ومسلم) .

ولقد شدد الشارع فى عقوبة بعض الحدود لما لها من أهمية بالغة فى حفظ النسل والدين والعقل والمحافظة على كيان المجتمع ، والقصد من تشديد العقوبة ليس هو عقاب الجانى بقدر ما هو زجر وتخويف للناس حتى لا يقترفوا هذه الجرائم ، فالانسان اذا عرف شدة العقوبة فكر مرات ومرات قبل أن يقدم على ارتكاب الجريمة .

لقد وضع الله سبحانه وتعالى معادلة للجريمة فالسارق الذى يروع أمن الناس ويهدد حياتهم لا تقطع يده مقابل الاشياء المسروقة فقط ، ولكن لما بثه فى المجتمع من ذعر وخوف واضطراب .

وهكذا فالشارع يراعى فى العقوبات أن تكون رادعة زاجرة للمحافظة على أمن الناس وسلامتهم ــ فمن علم أنه اذا قتل نفسا بغير حق يقتل بها يرتدع عن القتل ــ وهكذا فى جميع العقوبات المقررة .

ان من ينظر الى العقوبة يجد ان المشرع قصد ان يفوق ألمها ما حصل عليه الجانى من فوائد من جراء جريمته .

عموم العقوبة :

العقوبة فى الشريعة الاسلامية عامة توضع لتطبق على كل من يقترف الجرم المعاقب عليه دون النظر الى شخصه أو مركزه الاجتماعى أو عمله فهى تطبق على الغنى والفقير والحاكم والمحكوم ، لا فرق بين انسان وآخر .

وان كان الأمر كذلك بالنسبة لعموم العقوبة الا انها تنصف بالنسبة للرقيق فعقوبة الرقيق نصف عقوبة الحر ، وهذه أيضا عامة بالنسبة لجميع الرقيق دون النظر الى وضع أسيادهم الاجتماعى فكل من يرتكب جريمة تطبق عليه العقوبة المقررة لها .

لا شفاعة فى الحدود :

من المبادىء المقررة أن الجرائم التى فيها اعتداء على حق من حقوق

الله والتعدى على حدوده ، لا تجوز الشفاعة فيها لما روى ان اسامة ابن زيد جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ليشفع فى المراة المخزومية التى سرقت فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم شفاعته وقال صلى الله عليه وسلم « يا اسامة أتشفع فى حد من حدود الله ؟ » ثم قام فاختطب فقال : « انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » !! (رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه) .

اما الجرائم التى يكون الاعتداء فيها على حق من حقوق العباد فتجوز فيها الشفاعة ويكون العفو من صاحب الحق على خلاف بين الفقهاء فى ذلك .

شخصية العقوبة :

العقوبة فى الاسلام شخصية لا توقع الا على الجانى نفسه ولا يجوز تطبيقها على انسان آخر بدلا عنه لقوله سبحانه وتعالى : **« ولا تزر وازرة وزر أخرى »** (الاسراء : ١٥) ولقوله صلى الله عليه وسلم « الا لا يجنى جان الا على نفسه » (رواه الترمذى وابن ماجه) .

وهذه القاعدة مطلقة اى ان العقوبة لا بد ان توقع على الجانى نفسه . قال الشافعى : « والذى سمعت والله اعلم فى قوله عز وجل : **« ألا تزر وازرة وزر أخرى »** (النجم : ٣٨) الا يؤخذ احد بذنب غيره وذلك فى بدنه دون ماله فان قتل ، او كان حدا ، لم يقتل به غيره ، ولم يحد بذنبه فيما بينه وبين الله عز وجل لان الله جزى العباد على اعمالهم انفسهم وعاقبهم عليها . وكذلك اموالهم لا يجنى احد على احد فى مال الا حيث خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن جناية الخطأ من الحر على الآدميين على عاقلته . فأما سواها فأموالهم ممنوعة من ان تؤخذ بجناية غيرهم » .

ومفهوم كلام الشافعى رضي الله عنه ان العقوبة شخصية فيما عدا الدية اذا لم يستطع الجانى دفعها كانت عاقلته هى المسؤولة عنها .

فالاسلام لا يسمح ان يضيع دم انسان هدرا ، ولا يمكن ان تقيد فيه جريمة قتل ضد مجهول وتحفظ لأن القتيل الذى لا يعرف له قاتل تتكفل الدولة بدفع ديته لانه لا دخل لأهل المجنى عليه فى عدم معرفة القاتل والدية تعويض لهم عن قتيلهم الذى لم تستطع الدولة معرفة شخصية قاتله ليقتص منه ولى الدم .

اسباب اختلاف العقوبات :

يرجع اختلاف العقوبة الى اختلاف الجرائم نفسها، ووضعها من التقسيم السابق بيانه من كون الحق فيها خالص لله او للعبد ، او كان الحق غالبا لله او للعبد فالعقوبة محددة بالقدر الكافى لردع الجانى ومنع غيره من ارتكاب مثل هذه الجريمة .

انقضاء العقوبة :

تنقضي العقوبة باحدى الطرق الآتية :

١ ــ تنفيذ العقوبة .
٢ ــ موت الجانى .
٣ ــ عفو المجنى عليه فى الجرائم التى تقبل العفو حيث أن جرائم الحدود لا تقبل العفو ولا الصلح ولا الشفاعة .
٤ ــ الصلح فيما عدا الحدود .
٥ ــ التقادم وقد اختلف الفقهاء فى تحديد مدة التقادم فمنهم من قال انها ستة شهور ومنهم من ترك ذلك للقاضي حسب ظروف كل قضية .
٦ ــ التوبة على خلاف بين الفقهاء فى ذلك وسنتحدث عن التوبة فى مقال آخر ان شاء الله تعالى .

البحث الثانى
العقوبة فى القانون

تعريف العقوبة :

العقوبة هى الجزاء الذى يفرضه القانون على مرتكب الجريمة ، فالعقوبة أثر حتمي للجريمة ، فاذا لم تكن ثمة جريمة فلا عقوبة ، ويحدد القانون الافعال المعاقب عليها باعتبارها جريمة ولا توقع العقوبة الا بناء على حكم قضائى ، فبعد ارتكاب الجريمة تتولى هيئة خاصة نيابة عن المجتمع (النيابة العامة) رفع الدعوى الجنائية ضد المجرم وتحريكها أمام القضاء حتى الفصل فيها ثم تتولى تنفيذ العقوبة على المتهم .. ولا يجوز للنيابة العامة التنازل عن الدعوى ، كما أنه لا يجوز لمن لحقه الضرر من الجريمة أن يتنازل عنها ، لأن القانون يعتبر كل جريمة اعتداء على حقوق تهم المجتمع ككل ، ولا يحق لأحد التنازل عن توقيع العقاب المقرر لهذه الجريمة على الجانى .

تطور فكرة العقوبة :

تطورت العقوبات تطورا كبيرا الآن . ففى العصور الاولى والوسطى كان يسود نظام الانتقام الشخصي او الجماعى ، اذ يقوم كل فرد بتوقيع العقاب الذى يراه على من يرتكب عملا ضده لا يرضاه ، وقد اتسمت العقوبة بالقسوة والشدة ، وكانت تتخذ صورا عديدة لايلام الجانى أشد الايلام .

ولكن مع تطور الانسان تطورت فكرة العقوبة حتى أصبحت فى العصر الحديث وسيلة تقويم واصلاح للمجرم قبل أن تكون ايذاء وايلاما لجسمه ، لأن من الافضل للمجرم وللمجتمع أن يعود المجرم الى مجتمعه بعد انقضاء العقوبة ليشارك فيه بالعمل النافع بدلا من الحقد عليه ومحاولة الانتقام منه .

بل لقد ظهرت بعض النظريات التى تدعو الى الغاء نظام العقوبة نهائيا والاستعاضة عنها بتدابير وقائية . ولم ترق هذه النظريات للمفكرين والقانونيين فظهرت نظريات أخرى تدعو للأخذ بنظام وسط بين ما كانت عليه العقوبة فى القديم من شدة وعنف ، وبين الدعوة الى الأخذ بالتدابير الوقائية فدعت الى الأخذ بنظام العقوبة الاصلاحية

السابق الاشارة اليها والتى يكون من شأنها عقاب المجرم من جهة ، واصلاحه وتأهيله للمساهمة فى النشاط الاجتماعى بعد قضاء فترة العقوبة من جهة اخرى .

أهداف العقوبة :

الهدف الاساسي للعقوبة هو مكافحة الجريمة ، والقضاء عليها او التقليل منها ، وحماية المجتمع من اخطار المجرمين حتى يستتب الامن والاستقرار فى ربوعه والمفروض في العقوبة أن تكون عادلة بمعنى أن تتساوى مع الجرم الذى اقترفه الجانى فاذا كانت الجريمة اعتداء على أمن وسلامة المجتمع وعلى النظام القانونى القائم فان العقوبة هى الرادع للجناة ولكل من تسول له نفسه الاعتداء على المجتمع ، فالمجرم الذى يعلم ان العقوبة الرادعة تنتظره اذا ما ارتكب الفعل الاجرامى ، وانها فى شدتها تساوى ما تنشره جريمته فى المجتمع من خوف وفزع لفكر كثيرا قبل الاقدام على عمله الاجرامى .

فاذا كانت العقوبة شرا يلحق بالجانى ، فان هذا الجانى نفسه قد سبق له ان الحق شرا مماثلا أو يزيد فى شدته بالمجتمع ولذلك وجب عقابه دفعا لشره بالشر الذى يناله من جراء عقابه .

فاذا لم يعاقب المجرم فانه سوف يستمرىء حياة الاجرام والكسب السهل غير المشروع ، ليس ذلك فحسب بل ان ذلك قد يدفع كثيرين غيره الى سلوك نفس المسلك ان عقاب المجرم ردع له ومنع لغيره من القيام بأى عمل اجرامى ايا كان نوعه خوفا من توقيع العقاب عليهم ..

الضمانات الاساسية التى يقوم عليها تشريع العقوبات :

هناك مبدآن أساسيان تأخذ بهما التشريعات الجنائية حتى تحقق العقوبات اغراضها وهما :

١ ـ مبدا شخصية العقوبات :

تأخذ التشريعات الحديثة بمبدا شخصية العقوبة ، اى انها لا توقع الا على الجانى نفسه فلا يجوز ان توقع على اى انسان آخر مهما كانت صلة القرابة بينه وبين الجانى .. ويتأكد القاضي من مسؤولية المتهم عن الجريمة التى اتهم بها قبل اصدار الحكم بادانته .. كما تتأكد سلطات التنفيذ من ان الشخص الذى سوف تنفذ عليه العقوبة هو نفسه الذى ادانه القضاء وحكم بعقابه .

٢ ـ المساواة فى العقوبات :

وهذا المبدا معناه سريان قواعد القانون على كل الناس دون تفرقة فيما بينهم ، فأى عقوبة وضعها القانون لجريمة ما ، توقع على كل من يرتكب هذه الجريمة .

وهذه المساواة القانونية التى تضعها التشريعات لا تمنع القاضي من أن يوقع عقوبات مختلفة على عدة اشخاص لارتكابهم جريمة واحدة مراعاة لظروف كل منهم أو لدوافع وظروف ارتكاب الجريمة

نفسها ، فاذا كان القانون يضع حدا ادنى وحدا أعلى لجريمة ما ، فللقاضي سلطة تقديرية فى الحكم بالحد الاعلى او الحد الأدنى المقرر طبقا لما يراه سواء لمراعاة صالح الجانى او مراعاة الصالح العام .

فالعقوبة التىيقررها القاضي لا بد وأن تتناسب وخطورة الجانى والدافع على الجريمة .

ولقد سبق أن رأينا ان الشريعة الاسلامية تأخذ بهذين المبدأين : شخصية العقوبة ، والمساواة فى العقوبات ، وكان للشريعة الغراء فضل السبق فى ذلك يقول سبحانه وتعالى : **« ولا تزر وازرة وزر أخرى »** (الاسراء : ١٥) .

اقسام العقوبات :

تنقسم العقوبات الى ثلاثة اقسام :

١ — عقوبات اصلية .
٢ — عقوبات تبعية .
٣ — عقوبات تكميلية .

أولا — العقوبات الاصلية :

هى العقوبات التى يضعها القانون كجزاء اساسي للجريمة ويحكم بها على من تثبت ادانته بارتكاب الجريمة ، ولا توقع هذه العقوبات الا اذا حكم بها القاضي على المتهم .

وبجانب هذا النوع من العقوبات توجد عقوبات ثانوية أخرى منها ما هى تبعية للعقوبات الاصلية ومنها ما هى تكميلية والعقوبات الاصلية فى القانون المصرى هى الاعدام — والاشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة والحبس والغرامة ومراقبة الشرطة فى بعض الجرائم .

ثانيا — العقوبات التبعية :

وهى العقوبات التى لا يتصور ان تكون جزاء اساسيا للجريمة ولكنها تتبع الجزاء الأصلى ولا تحتاج الى نطق القاضي بها بل تنفذ كأثر للعقوبة الأصلية ومثال العقوبات التبعية الحرمان من الحقوق والمزايا التى تقررها المادة ٢٥ من قانون العقوبات المصرى التى تنص على ان :

« كل حكم بعقوبة جناية يستلزم حتما حرمان المحكوم عليه من الحقوق والمزايا الآتية :

أولا : القبول فى اى خدمة فى الحكومة مباشرة او بصفة متعهد او ملتزم ايا كانت أهمية الخدمة .

ثانيا : التحلى برتبة او نيشان .

ثالثا : الشهادة امام المحاكم مدة العقوبة الا على سبيل الاستدلال .

رابعا : ادارة أشغاله الخاصة بأمواله مدة اعتقاله ويعين قيما لهذه الادارة تقرره المحكمة فاذا لم يعينه عينته المحكمة المدنية التابع لها محل اقامته فى غرفة مشورتها بناء على طلب النيابة العمومية أو ذى مصلحة فى ذلك ، ويجوز للمحكمة ان تلزم القيم الذى تنصبه بتقديم كفالة ويكون القيم الذى تقرره المحكمة او تنصبه تابعا لها فى جميع ما يتعلق بقوامته .

ولا يجوز للمحكوم عليهأن يتصرف فى أمواله الا بناء على اذن من المحكمة المدنية المذكورة وكل التزام

يتعهد به مع عدم مراعاة ما تقدم يكــون ملغى من ذاته وترد اموال المحكوم عليه اليه بعد انقضاء مدة العقوبة او الافراج عنه ويقدم لـه القيم حسابا عن ادارته .

خامسا : بقاؤه من يوم الحـكم عليه نهائيا عضوا فى المجـالس الحسـبية او مجالس المديريات او المجالس البلدية او المحلية او اى لجنة عمومية .

سادسا : صلاحيته ابدا لأن يكون عضوا فى احدى الهيئات المبينـة بالفقرة الخامسة او ان يكون خبيرا او شاهدا فى العقود اذا حكم عليه نهائيا بعقوبة الاشغال الشاقة » .

تلك هى العقـوبات التبعيـة المنصوص عليها بالاضافةالى مراقبة الشرطة فى بعض الجرائم .

ثالثا ــ العقوبات التكميلية :

وهى نوعان : عقوبات وجوبية وعقوبات جوازية ..

والعقوبات الوجوبية يجب علـى القاضي النطق بها ، فان لم يحكم بها كان الحكم مخالفا للقانون ويجـب الطعن فيه لتعديله . اما العقـوبات الجوازية فللقاضي الحق فى الحكم او عدم الحكم بها فان حكم بهـا نفذت ، وان لم يحكم بها لم تنفـذ وكان حكمه صحيحا لأن القـانون خيره فى الحكم وعدمه طبقا لـما يتراءى له .

ومثال العقـوبات التكميلية الوجوبية مصادرة الاشياء اذا كان « يعد صنعها او اسـتعمالها او حيازتها او بيعها او عرضها للبيـع جريمة فى ذاته » .

وكذا من العقوبات الوجوبيـة العزل من الخدمة طبقا للمـادة ٢٧ عقوبات ومثال العقوبات التكميليـة الجوازية المصادرة اذا كان محلهـا اشياء (تحصلت) من الجريمـة واسلحة وآلات استعملت او كـان من شأنها ان تستعمل فى ارتكاب الجريمة وتعد مراقبة الشرطة فـى الحالات التى تقررها المواد ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧ مـن قانون العقوبات عقوبة تكميلية جوازية

من هذا العرض السريع للجريمة والعقوبة فى الشريعة والقانون نرى بوضـوح مدى سـمو التشريع الاسلامي ومسـايرته للفطـرة والطبيعة البشرية مما ادى بالبعض الى المطالبة بادخال جرائم التعـزير ضمن قوانين العقوبات ومنحالقاضي سلطة واسعة فى تطبيق العقـوبة المناسبة طبقا لظروف كل جريمـة وكل جانى بما يوفر المساواة الحقة وينأى بالقاضي عن ان يكون مجـرد آلة جامدة توزع عدالـة ظاهرية بتوقيع جزاء واحد على مجـرمين تبـاينت ظروفهم وشـخصياتهم وبواعثهم وغاياتهم وخطورتهم .

واننا لا نطالب فقط بتطبيق بعض العقوبات دون بعض ، ولا تطبيـق العقوبات الاسـلامية فقط ، بل نطـالب بتطبيق كامل للشريعـة الاسلامية فى جميع نواحى الحيـاة حتى يصبح المجتمعالاسلامى مجتمعا انسانيا كاملا وفاضلا وحتى نكـون بحق كمـا قال المولى عز وجل : ((**كنتم خير امة اخرجت للنـاس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**)) (سـورة آل عمران : ١١٠) صدق الله العظيم .

مصايد الشيطان

التي قذف بها ضعاف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون . قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين »** (التوبه : ٢٣ و ٢٤) .

الأولياء جمع ولي ، كتقي واتقياء ، من الولاية ، وهى الموالاة والنصرة ، الله ولي الذين آمنوا : أى ناصرهم ومتولي امورهم .

والاستحباب : الاستحسان القوى ، والميل الشديد .

والظلم : وضع الشيء فى غير موضعه ، ومجاوزة الحق الى غيره ، يقال فى القليل والكثير من التجاوز ، ولهذا يستعمل فى الذنب الكبير والصغير . فالشرك بالله اشد انواع الظلم : **« ان الشرك لظلم عظيم »** (لقمان : ١٣) .

والعشيرة : الجماعة من أقارب الرجل الأدنون ، وهو فى الأصل مؤنث العشير ، وهو الذى يعاشر الرجل ويخالطه .

والاقتراف : من الصيغ الدالة على الاجتهاد والطلب ، أصله من القرف ، بسكون الراء ، وهو قشر اللحاء عن الشجر ، ثم استعير للاكتساب حسنا كان او غيره ، وهو فى الاساءة أكثر استعمالا ، قال تعالى : **« سيجزون بما كانوا يقترفون »** (الأنعام : ١٢٠) .

والتربص : الانتظار بالشيء ، سلعة كانت يقصد لها غلاء ، او امرا ينتظر حصوله او زواله : **« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »** (البقرة : ٢٢٨) .

والفسق : الخروج ، يقال فسق فلان اذا خرج عن حجر الشرع ، أصله من قولهم فسق الرطب اذا خرج عن قشره ، ووصف الانسان بالفاسق لم يعرف فى كلام العرب قبل مجيء القرآن ، وقيل ، لم يسمع الفاسق فى وصف الانسان

...ان الثمانية

الإيمان في قاع جهنم!

للشيخ : عبد الجليل عيسى

في كلام العرب ، وانما قالوا فسقت الرطبة عن قشرها ، والفسق يقع بالصغير والكبير من الذنوب ، لكن تعورف فيما كان كبيرا ، فالفاسق أعم من الكافر ، يطلق على الكافر كما في قوله تعالى : **« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا »** (السجدة : ١٨) وقوله تعالى : **« ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »** (النور : ٥٥) . وقد يوصف به المؤمن المذنب **« والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون »** (النور : ٤) . واذا قيل للكافر الأصلي : فاسق فلأنه خرج عن حكم ما ألزمه العقل ، واقتضته الفطرة .

المعنى :

كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بعض قبائل العرب حول مكة عهد فنقضوه ، وجراهم على ذلك بعض مرضى القلوب من الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، سنة ثمان ، فلما كانت سنة تسع ، ارسل النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه أميرا للحج ، وبينما أبو بكر في طريقه الى مكة اذ انزل سبحانه اول سورة براءة ، ينذر فيها المشركين بالحرب لنقضهم العهد ، فأرسل صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه يؤذن بها في الناس يوم الحج الأكبر (يوم النحر) بمنى : **« ان الله برىء من المشركين ورسوله »** (التوبة : ٣) . ولعل الله تعالى علم ان في نفوس جماعة من المؤمنين كرها لقتال من بقي من المشركين بعد فتح مكة ، لخفاء حكمته عليهم ، ولأمنهم من تفوقهم ، او لرجاء ايمانهم ، وكان بينهم من المنافقين ومرضى القلوب من يزين لهم ذلك ، فقال سبحانه مزيلا هذه الوساوس التي خالجت بعض الصدور : **« ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين »** (التوبة : ١٣) فأمر صلى الله عليه وسلم بتطهير

جزيرة العرب من شراذم الشرك التى لا ترقب ذمة ولا ترعى عهدا ، اذ بقاؤها على هذا الحال وراء ظهور المؤمنين شر كامن ، لا يلبث أن يبرز أنيابه اذا سنحت الفرصة ليطعنهم من الخلف ، ويشيع حولهم الفتن ، ويخــلق الأكاذيب التى تعوق جيش المؤمنين ، وتمكن منه أعداءه ، وفى هذا على الأمة بلاء عظيم ، وفساد كبير ، ثم ان فى الأمر بالعودة الى قتال الكفار اختبارا وتمحيصــا ، وكشفا عما انطوت عليه قلوب كثير من المؤمنين ، فأمرهم بالقتــال وهو كره لهم ، وقال : **« أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة »** (التوبة : ١٦) . أى أصدقاء من المشركين يسرون اليهم بالمودة .

أعلن الله نبذ عهودهم ، وآذنهم بعود حال القتال بعد ان ثبت ، كمـــا سبق ، أنهم لا عهود لهم يوفون بها ، ولا ايمان يبرونها ، وانما يعقدونها عند الخوف ، والشعور بالضعف ، وينقضونها عند الشعور بالقوة ، والقدرة على الفتك ، ومثل هؤلاء لا يؤمنون الا بالقوة ، ولا يذعنون الا للسيف ، قال سبحانه **« يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »** (التوبة : ٧٣) عند ذلك عز على بعض المسلمين قتال أقربائهم من المشركين ، ففتح بذلك باب لدسائس المنافقين ، وتبرم ضعفاء الايمان ، ومما حملهم على هذا التبرم من هذه القطيعة، غير ما تقدم ، عوامل عدة ، منها نعرة القرابة بينهـــم وبين بعض المشركين ، ومنها عصبية النسب ، ورحمة الرحم ، اذ كان لا يزال لكثير منهم أولو قربى من المشركين يكرهون قتالهم ، ويتمنون أيمانهم ، ثم لهم بعد ذلك مصالح كثيرة يخافون فواتها .

لما جال كل ذلك فى نفوسهم ، بين الله لهــم فى هذه الآيات ان ما ذكر آنفا من فضل الايمان والهجرة ، وما بشروا به من رحمة من الله ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، كل أولئك لا يتم الا بترك ولاية الكافر ، وايثار حب الله ورسوله ، والجهاد فى سبيله ، على حب الوالد والولد ، والأخ والزوج ، والعشيرة والمال والسكن ، فقال سبحانه : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخــذوا آباءكم واخوانكم أولياء »** (التوبة : ٢٣) أى لا يتخذ أحد منكم أحدا من الكفار ابا كان أو أخا وليا له ، يخاله ، ويصادقه ، ويجعله بطانة له فى منزلة تجعله عرضة لمعرفة اسرار المؤمنين ، ومايستعدون به لقتال المشركين : **« ان استحبوا الكفر على الايمان »** أى اختاروا الكفر مؤثرين له على الايمان ، ثم انه تعــالى بعد ان نهى عن مخالطتهم وولايتهم ، وكان لفظ النهى يحتمل أن يــكون لنهى التنزيه وان يكون للتحريم ، ذكر سبحانه ما يدفع هذا الاحتمال بأقوى اسلوب ، اذ صرح بالصلة الدالة على موطن الخطر ، وبصيغة تفيد حصر الظـــلم فيمن يفعل ذلك ، فقال : **« ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »** أى الظـــالمون لأنفسهم ، ولأمتهم ، العريقون فى الظلم ، الراسخون فيه ، حيث وضـــعوا الولاية موضع المقاطعة ، ووضعوا المودة موضع العداوة ، ثم لما نهى سبحانه عن التعرض لهذا الشر ، انتقل الى بيان ما من شأنه أن يكون سببا له ، وحاملا عليه بأســلوب آخر ادخل فى النفس ، وأرعى للوعى ، فقال : **« قل ان كان**

آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم » الى آخره، وجه سبحانه الخطاب فى النهى عن الجريمة الاولى وهى ولاية المؤمن للكافر ، وجهه بنفسه الى المؤمنين مباشرة ، وبعنوان صفة الايمان ، الداعية لسرعة الامتثال بالبعد عما نهى عنه ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم فى أمر الجريمة الثانية ، وأن يتولى صلى الله عليه وسلم توجيه الوعيد عليها على فرض وقوعها منهم ، فقال قل لهم يا محمد ان كان آباؤكم الى آخره ، ولم يعطفها على ما قبلها حتى يكون خطابا منه تعالى لهم بعنوان صفة الايمان ، لأن مضمون الشرطية وصفة الايمان لا يتفقان ، ولذا عبر بأداة الشرط التى من شأن شرطها أن يكون مشكوكا فى وقوعه ، أو من شأنه الا يكون ، وذكر الأبناء والأزواج هنا دون آية النهى عن الولاية ، لأن من شأن الانسان أن يتولى ويناصر فى شؤون الحرب وما يجر اليها من هو فوقه كالأب ، أو مثله كالأخ ، دون من هو دونه ، ومن شأنه أن يكون تابعا له كابنه وزوجه ، وقد كان من عادة العرب أن يتفاخروا بالآباء ، ويعتزوا بما لهم من مجد قديم ، فكانوا يفاخرون بآبائهم فى أسواقهم ، وفى معاهد حجهم ، قال تعالى : **« فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا »** (البقرة : ٢٠٠) فالعربى يشرف بشرف أبيه ، ويحتقر بضعته ، فاذا أهين والده ارتجفت أعصابه ، وغلى الدم فى رأسه ، فلا تهدأ ثائرته حتى ينتقم له ، أو يموت دون ذلك ، وكان من لطف الله أنه لم يعلق العقاب على أصل محبة الرجل لأهله ، لأن هذا طبيعى ، والتكليف بالتخلى عن الطبعى تكليف بما لا يطاق ، وهو سبحانه لم يكلف الناس بما لا يطيقون ، لذا علق العقاب على تغليب محبة الأهل والعشيرة على محبة الله ورسوله والجهاد فى سبيله ، وهذا شيء يمكن الابتعاد عنه لمن رزق التوفيق من الله .

ثم انه تعالى ذكر الأمور الداعية لمخالطة الكفار ، وهى اربعة :

أولها : القرابة ، وذكر منها أربعة اصناف على التفصيل ، وهم الآباء ، والأبناء ، والاخوان ، والأزواج ، ثم بقية الأقارب بلفظ واحد يتناول الجميع ، وهو لفظ العشيرة ، وهم كل من يعاشر الانسان ويخالطه من الأقربين اليه .

وثانيها : الميل الى امساك الأموال المكتسبة لأنها أعز على النفس من الأموال الموروثة .

وثالثها : الرغبة فى تحصيل المال بالتجارة .

ورابعها : الرغبة فى المساكن . وكانت على هذا الترتيب لأن أعظم الاسباب الداعية الى مخالطة الكفار هى القرابة ، ثم انه يتوصل بتلك المخالطة الى بقاء الأموال الحاصلة ، ثم الى اكتساب الأموال التى هى غير حاصلة ، وفى آخر المراتب الرغبة فى البناء ودور السكن ، ثم بين سبحانه ان رعاية الدين والمحافظة على سلامة الامة والوطن خير من رعاية جملة هذه الأمور كلها ، وفى تخصيص الجهاد بالذكر بعد ذكر الله ورسوله دون سائر امهات الدين ، اشعار بأنه الركن الأول الذى تستند اليه كل أمور الدين والدولة ، وأنه اذا أهمل شأنه ، وفرط فيه المؤمنون حقت عليهم الذلة ، وذهبت ريحهم ،

فلا يكون لهم بعد ذلك دين ولا دولة : **« فتربصوا حتى يأتى الله بأمره »** هــذا تهديد شديد يهز النفوس هزا عنيفا ، ويقصيها عن أسبابه ، اذ كان من أمر الله ومن سنته فى خلقه ، أن منفرط فى الجهاد والاستعداد له ، وشغلته شهواته الفانية ، وانصرف الى متع الحياة الزائلة ، وفضلها على طاعة الله ورسوله ، وعلى الجهاد فى سبيله ، من كان هذا شأنه ، فسنة الله معه أن يذهب دولته ، وأن يذيقه الخزى فى الحياة الدنيا ، والعذاب الاليم فى الاخرى .

عبرة وتذكرة

بمثل هذه الآيات بصر سلفنا الصالح بأسباب العز والسعادة ، وفقهوا منها ما صعدوا به الى قمة المجد فى اقصر وقت ، وكونوا امة قوية علا سلطانها سلطان اقوى دولتين كانتا تتنازعان السيادة ذلك الحين ، سمعوا قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أوليـــاء تلقون اليهم بالمودة »** (الممتحنة : ١) فسارعوا الى الامتثال فى السر والعلانية .

قال عبد الله بن الزبير : قدمت قتيلة مطلقة أبى بكر فى الجــاهلية وأم ابنته أسماء ، وهى لا تزال على الشرك ، قدمت المدينة تريد زيارة ابنتها أسماء بنت أبى بكر ، زوج الزبير بن العوام ، تحمل اليها هدية ، تريد من ابنتها الصلة والبر ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها ، أو تدخلها بيتها ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله سبحانه : **« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »** (الممتحنة : ٨ ، ٩) .

فأذنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقبل هديتها ، وان تثيبهــا عليها ، وان تدخلها بيتها ، فبرتها واحسنت اليها ، فعلم الناس أن الاحسان الى الذين لا يقاتلون ، كالنساء والاطفال والضعفاء من الاقـــارب جائز ، وأن الموادة المنهى عنها هى أن تصادق عدو دولتك المحارب لها ، الذى يكيد لهــا ليفسد عليها أمرها ، مثل هذا لا يجوز أن تتخذه بطانة لك ، ولا أن تطلعه على اسرار امتك ، لأنه يود لك ولأمتك الهلكة .

سمع المؤمنون الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على بذل المــــال للجهاد ، فتسابقوا ، حتى كان من بينهم من خرج عن نصف ماله ، ومنهم من خرج عن ماله كله ، لانهم فهموا أن المال مع الذلة والضعف رق وعبودية ، وأن بذل المال فى سبيل عزة الامة وكرامتها يعود بالعزة والمال معا ، رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه عنايته لعز الدولة وقوتها وشرفها ، يقدم ذلك كله على اشباع البطون ، وملء الجيوب .

احتاج جيش المؤمنين يوما الى المئونة والعدد ، فأمر صلى الله عليــه وسلم بتوجيه كل موجود الى تجهيز الجيش واعداد رجاله ، حتى أكلوا فى هذا

الحال الخبز من دقيق غير منخول ، فتوهم بعض العلماء أن دين الله وشرعه الخالد ألا يؤكل الدقيق الا بنخالته ، والصواب أن ذلك كان لحاجة الجيش ، وحاجته مقدمة على كل ما عداها ، أما اذا انتهت هذه الحاجة فدين الله يسر ، وشرعه رحيم : **« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »** (الأعراف : ٣٢) .

ســـمعوا الرســـول صلى الله عليه وســـلم ، يحث على الدخول فى عداد جيش لغزوة بعيدة ، فسارع الجميع حتى الغلمان والفقراء الـــذين لا يملكون ما يحملهم ، وكان من الغلمان الذين ردهم صلى الله عليه وســـلم لصغر سنهم ، عبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج ، وقال الله تعـــالى فى الفقراء الذين تطوعوا ولم يجدوا ما يركبون ، وذهبوا اليه صلى الله عليـــه وسلم يطلبون ما يحملهم عليه ، فاعتذر بعدم الوجدان : **« ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون »** (التوبة : ٩٢) علموا رضي الله عنهم أن الأمة اذا استولى عليها الوهن ، وقذف فى قلوب ابنائها كراهية الموت ، وحب الحياة الذليلة ، فخافت الجهاد ، واستخذت أمام عدوها ، ان هى الا حية لا سم فى راسها ، فأصبحت قطعة من حبل تلهو بها العجائز ، ويلعب بها الأطفال .

علموا ان الحرب شر ، ولكن طالما اتى الخير من الشر ، فقد ثبت بالتجربة ان للحروب على ما فيها من عدوان وشرور فوائد عظيمة فى ترقية الأمم ، ورفع شأنها ، خصوصا اذا التزم فى الحرب ما قرره الاسلام ، من اقرار الحق ، وابطال الباطل ، ومراعاة قواعد العدل ، واحترام العهود ، وتحريم الخيانة ، وتقدير الضرورات بقدرها ، وكل هذه آداب جاء بها الاسلام ، وشهد بهـــا كبار علماء الغرب حتى قال احدهم ، ما عرف التاريخ حاكما أعدل من العرب ولا أرحم منهم .

علموا رضي الله عنهم أنه لا خير فى أمة لدنة مترهلة ، غارقة فى الترف والنعيم ، تأكل كما تأكل الأنعام ، والذل مثوى لها .

علموا أن طريق المجد ليس ممهدا بالديباج والحـــرير ، بل هو ملىء بالصخور والأشواك ، لكنه متعة روحية ، تليق بالانسان ، وليس متعـــة مادية ، لا تليق الا بالحيوان واشباه الحيوان .

علموا ان الرجل العظيم هو الذى يرى أن كرامته فى كرامة أمته ، وعزه فى عزها واستقلالها ، طليقة فى ميدان الحياة الدولية ، لا سلطان لأحد عليها الا سلطان مصلحتها ، ولو كان هو بعد ذلك يفترش الغبراء ، ويلتحف السماء ، ويطعم الدخن والشعير ، اما الذى يقبل أن يكون عبدا لغيره ، مســـلوب الارادة ، يجرى الى خلف ما يريد ، فهو مهما خب فى الديباج وملأ خاصرتيـــه لحما وشحما كبش ضحية ، وعير اثقال .

وبعد فانه لا بد للأمة التى طال قبرها تحت تراب الخمول من هزة عنيفة ، تنفض عنها ما علق بها من أوساخ الجمود ، وتميز الخبيث من الطيب ، فيصفو جوهرها ، ويتوهج معدنها .

اليهود

خلق الله الانسان ، واسكنه الارض ، واسبغ عليه نعمه : ظاهرة وباطنة ، فالانسان عبد لله ، الذي خلقه وسواه ، ونفخ فيه من روحه .
وشاءت حكمة الله ، أن لا يكون الانسان وحده فى هذه الحياة : يتعثر فى دروبها ، ويضل فى متاهاتها ، من غير مرشد يرشده ، او هاد يهديه ، ويأخذ بيده .

لذلك أرسل الله له الرسل ، مبشرين ومنذرين ، ليبينوا له طريق الخير حتى يسلكه ويسير فيه ، ويوضحوا له طريق الشر ، حتى ينأى بنفسه عن السير فيه ، وبذلك يحظى برضا الله سبحانه وتعالى ، فيسعد فى الدنيا والاخرة .

والانسان قد تتغلب عليه شهواته، وتنحرف به نزواته ، فيبتعد عن هدى الله عز وجل ، وهو لا يبالي بفعل المعصية : يتعدى حدود الله .. ينتهك الحرمات ، ويفسد فى الارض.
وكان الاجدر بالانسان : ان يتذكر عبوديته لله ، فلا يخالف أمره ، ولا يحيد عن الصراط المستقيم ، الذي رسمه الله له .

ويضم تاريخ البشرية : أمثلة كثيرة ، يبدو فيها انحراف الانسان ، وخروجه عن طاعة مولاه ، وانغماسه فى الضلال من بعد ما تبين له الحق ، الذي لا شك فيه ولا ارتياب .

واذا أجلنا الطرف ،نستعرض حياة الناس وتاريخهم ، على وجه الارض فسوف نجد أنفسنا في دهشة : اما مقوم غمرتهم نعم الله وآلاؤه ، فكفروا بها ، ولم يؤدوا حقها : قوم استمرءا العصيان وعاشوا فيه ، وتجرءا على فعل المنكر ، حتى شاع بينهم ، واشتهروا به ، لدرجة أنهم : **« كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه »** (المائدة / ٧٩) .

وكانوا يفكرون فى الطرق ، التي توصلهم الى اغراضهم الخبيثة ، ومقاصدهم الدنيئة ، حتى ليخيل للرائي انها اخذت الشكل الذي شرعه الله ، ولبست رداءه ، وما هي في

المعتدون في السبت

للدكتور نجاشي على ابراهيم

الحقيقة الا احتيال وخداع ، لكي يفعلوا الحرام .

فيوم السبت كان معظما عندهم ، يتفرغون فيه للطاعة والعبادة ، وقد نهاهم الله : عن العمل ، او الصيد فيه ، فأمامهم بقية أيام الاسبوع ، يستطيعون ان يعملوا فيها كما يشاءون

وقد كان هؤلاء اليهود : يقيمون فى قرية قريبة من ساحل البحر ، كما انهم كانوا يعيشون فى زمن داود عليه السلام .

وقد اراد المولى ان يختبرهم ، ليتبين منهم صدق الايمان ، ومدى استجابتهم لاوامر الله ونواهيه ، فنهاهم الله عن صيد السمك فى يوم السبت ، الذي امروا بتعظيمه ، والتفرغ للعبادة فيه .

وقد كانت هذه فرصة لهم ، لينالوا رضا الله عز وجل ، ويحظوا فيها بالثواب الجزيل .

فماذا فعلوا ؟ .. هل التزموا شرع الله عز وجل ؟
لقد كانوا فى الواقع : موضع اختبار ، وكان الاختبار شديدا ، بسبب فسقهم ، وخروجهم عن طاعة الله ، وانحرافهم عما أمروا به .

ان ايام الاسبوع كلها ، ما عدا يوم السبت : كانت تمر عادية ، بالنسبة لاعمال الصيد ، ليس فيها ما يستلفت النظر ، او يستوقف البصر ، فالصيد فيها كما اعتادوا : يحتاج الى مجهود يبذل ، لأن السمك مستقر في اماكنه ، أو متنقل هنا وهناك ، دون ان يظهر للناس ، اما فى يوم السبت ، فلم يكن الامر هكذا .

لقد كانت الحيتان فى يوم السبت ، تأتي ظاهرة على سطح الماء ، يراها الواحد منهم ، متتابعة كثيرة ، مثل الكباش البيض السمان : **« ويوم لا يسبتون لا تأتيهم »** .

وهنا فعلا يعظم الاختبار ، ويشتد البلاء ، لان وسائل الاغراء متوافرة ،

ويمكن ان يزل الانسان بسببها ، ولكن المعصوم من عصمه الله تعالى .
والانسان اذا وضع قدمه : على اول طريق المعصبية والانحراف ، وسار فيه ، فانه قد يصل الى الاغراق في المعصية ، ويكون حاله كحال الرجل السفيه ، الذي عبر الخوارزمي عن لسانه فقال :

وكنت امرءا من جند ابليس فارتقى
بي الدهر ،حتى صار ابليس منجندي
فلو مات قبلي كنت احسن بعده
طرائق فسق ،ليس بحسنها بعدي

وقد كان هذا هو حال اليهود ، فالحيتان كانت تظهر لهم : يوم السبت ، فينظرون اليها ويشاهدونها، وهي تعلو سطح الماء متتابعة ، وتظل هكذا على هذه الصورة ،حتى ينقضي يوم السبت .

فاذا انقضى يوم السبت ، ذهبت الحيتان ، واختفت عن الانظار ، ولم تظهر الا في يوم السبت المقبل
وتبدأ الخطوة الاولى : فى طريق المعصية بالاحتيال ، وذلك بعد ان استقر في نفوسهم ، نتيجة لوساوس الشيطان وهواجسه : أنهم لو حبسوا الحيتان ، ولم يأخذوها فى يوم السبت : فلا بأس بذلك ، ولا غبار عليه .. فاذا مضى يوم السبت : اخذوها وانتفعوا بها ، لانهم انما نهوا عن الاخذ فى ذلك اليوم ، الذي حرم الله عليهم الصيد فيه .
وهذا التفكير الشيطاني ، هو الذي دفعهم الى الحيلة : فاحتالوا لفعل ما نهاهم الله عنه ، وحرمه عليهم ، فاتخذوا حياضا ، وحفروا حفائر على ساحل البحر ، وساقوا اليها الحيتان التي كانت تتسابق ، للوقوع فى هذه الحياض ، وتلك الحفائر ، وقد تم ذلك في يوم السبت .

فاذا انتهى يوم السبت ، وأقبل يوم الاحد : أتوا هذه الحياض ، وتلك الحفائر : فأخذوا ما فيها من حيتان .
فاليهود فى تصرفهم هنا ، انما باشروا سبب الصيد المؤدي الى تحصيل الحيتان واخراجها من الماء ــ لا ــ نفس الصيد ، لان حقيقة الصيد : اخراج الحوت من الماء ، وتحصيله عند الصائد ، وسبب الشيء غير الشيء ، فالسبب هو الذي يتوصل به الى الشيء ، ويتوسل به فى تحصيله ، وهذا هو الذي فعله المعتدون في السبت .

وحسبوا انهم بهذا الاحتيال : قد استجابوا لتعاليم الله ونفذوها ، ولم يفعلوا محرما ، وان هذا التصرف القبيح ، قد انطلى على الله الذي : « **يعلم خائنة الاعين ، وما تخفى الصدور** » .

واستمروا على هذه الطريقة ، وهذا الاحتيال فترة من الزمان ، حتى هانت المعصية أمام عيونهم ، وسرت في نفوسهم مسرى الدم ، فتجرءوا على يوم السبت نفسه ، وقالوا فى تبجح واضح : ما نرى السبت الا قد حل لنا ، ثم اصطادوا فيه بعد ذلك ، واكلوا وباعوا : غير عابئين بشرع او دين .

فكان تصرفهم اول الامر : بطريق الحيلة والخداع ، ثم انتهى بهم المطاف : الى فعل الحرام مباشرة ، دون واسطة .

وهكذا طرقوا باب الاحتيال ، ودخلوا فيه ، فانتهكوا حرمات الله ، وتعدوا حدوده : بصورة ملتوية ، ووسيلة خفية ، ثم اوصلهم هذا الاحتيال فى النهاية : الى فعل الحرام، عيانا جهارا ، دون خوف او وجل .

ولما بدا ارتكاب هذه المعصية الكبرى ، من الذين لم يرعوا حدود الله ، ولم يبالوا بما فعلوا : استنكر فريق من أهل القرية ــ هذا العمل القبيح ــ ونهوا المعتدين عن المضي فى فعلهم الخبيث ، وهو الاصطياد فى يوم السبت ، وأمروهم بالكف عن ذلك ، لان عملهم هذا يعتبر معصية لله عز وجل .

ولكن الموعظة لم تجد آذانا صاغية، ولا قلوبا مؤمنة خاشعة ، فقد استمر المعتدون فى عدوانهم ، وهنا تعجب قوم آخرون ،حينما شاهدوا العصاة لم يؤثر فيهم وعظ الواعظين ، ونهى الناهين ، وقالوا يلومونهم : **((لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا))** (الاعراف / ١٦٤) .

فقال الواعظون : ان موعظتنا لهؤلاء العصاة المعتدين : معذرة الى ربكم ، لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : شيء واجب علينا ، فموعظتنا لهم : عذر لنا عند الله ، حتى لا ينسب الينا تقصير ، او سكوت على منكر ، وقد يكون فى وعظنا لهم نفع ، فيتقوا الله ، ويتركوا ما هم عليه:من الاصطياد في يوم السبت

وكان لا بد من عقاب المعتدين ، فان الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل ، واذا حل عقاب الله ، فانه سبحانه يأخذ : الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون .

واذا كان الله قد عاقب العصاة المعتدين ، فهل نجا من العذاب من سكت وقال : **((لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا))** الاعراف / ١٦٤ .

يقول عكرمة : ان ابن عباس ــ قال ــ اسمع الله يقول : **((فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس**)) الاعراف/١٦٥ .. فلا ادري ما فعل بالفرقة الساكتة .. ثم جعل ابن عباس يبكي .

قال عكرمة ــ فقلت لابن عباس ــ جعلني الله فداك ، الا تراهم قد أنكروا ، وكرهوا ما هم عليه وقالوا: **((لم تعظون قوما الله مهلكهم)) ...** وان لم يقل الله انجيتهم : لم يقل اهلكتهم .

فأعجب ابن عباس بتفسير عكرمة وتوضيحه ، وارتضاه منه ، ثم أمر ابن عباس ــ لعكرمة ــ ببردين وهو يقول : نجت الساكتة

وبذلك يكون العذاب : قد حل بالفرقة التي ارتكبت الخطيئة وحدها، دون غيرها ، ونجت فرقتان :

ــ الفرقة الناهية .

ــ والفرقة الساكتة

ومما يجدر بنا ان نذكره : ان المحتالين حينما استمروا فى عصيانهم واعتدائهم ، ولم يرض أهل القرية عن هذا العمل الخبيث قالوا لهم : لا نساكنكم فى قرية واحدة .

ثم قسموا القرية بجدار يفصل بينهم ، واصبح الناس كلهم فى قسم من القرية ، ولهم باب خاص بهم ،

يدخلون ويخرجون منه .

أما المحتالون المعتدون ، فأصبحوا يسكنون القسم الآخر ، ولهم أيضا باب خاص بهم ، يستعملونه في الدخول والخروج .

وتمضي الايام ، تتلوها الايام ، واذا بالمحتالين ذات يوم : لم يخرج منهم احد كما اعتادوا ، وقد تعود جيرانهم الذين في القسم الآخر : أن يشاهدوهم خارجين ، بين فترة وأخرى .

وفجأة لفت انظارهم ، عدم خروجهم ، فتعجبوا لذلك وقالوا : ان لهم لشأنا ، لعل الخمر قد غلبتهم .
ولم يطل بهم تعجبهم ، فقطعوا الشك باليقين ، وعلوا الجدار الذي يفصل بينهم ، ليبصروا الحقيقة ، وليعرفوا السر في عدم خروجهم .

وهالهم ما أبصروا ورأوا ، وكأنهم في حلم ثقيل ، وهم يشاهدون المعتدين قد مسخوا قردة ، ففتحوا عليهم الباب ، ودخلوا اليهم ، فصارت القردة يعرفون أنسابهم من الناس ، ولم يعرف الناس أنسابهم من القردة ، فجعلت القردة ، تأتي أنسابهم من الناس ، فتشم ثيابها ، فيقول لهم اهلوهم : الم ننهكم ؟

فتشير القردة برأسها ، وتحركها أسفا وحزنا ، فذلك قول الله تعالى :
((**فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا**))
لهم كونوا قردة خاسئين)) الاعراف /١٦٦ .

والمراد بالامر — في قوله تعالى : « كونوا قردة » .. هو الامر التكويني ، لا القول التكليفي ، لانهم لا يقدرون على تحويل أنفسهم قردة ، اذ ليس ذلك في استطاعتهم ، ولا داخلا تحت قدرتهم .

قال قتادة : لما عتوا عما نهوا عنه — مسخهم الله — فصيرهم قردة تتعاوى ، بعدما كانوا رجالا ونساء .
ويقول ابن عباس : اصبح القوم وهم قردة صاغرون ، فمكثوا كذلك ثلاثا ، فرآهم الناس ، ثم هلكوا ، وهذا ما عليه الجمهور .

وعلى الرغم من ذلك ، فان مجاهدا رضي الله عنه : يرى ان المسخ لم يكن حقيقيا ، وانما هو مسخ معنوي ، فصورة المحتالين المعتدين ، لم تتغير ولم تتحول ، وانما مسخت قلوبهم فقط .

ويتلقف صاحب المنار — قول مجاهد — ويتعلق به ، ويعض عليه بالنواجذ ، ويرى ما ارتآه : من ان المسخ لم يكن حقيقيا ، وانما هو مسخ يقصد به مجرد التمثيل ، والتهويل والاغراب ، حتى يتم الغرض من هذه العقوبة ، التي انزلها الله بالمعتدين ، والتي قال عنها رب العالمين : ((**فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين**)) البقرة/٦٦

وما ذهب اليه صاحب المنار : محل نظر ، فان مسخ القلب عقوبة مشتركة بين عصاة جميع الامم ، وعادة الله سبحانه وتعالى — في النبوة الاولى — ان يجعل عقوبة الدنيا للعصاة ، على اقبح وجه وأفظعه وليس هناك عقوبة ادهى وأمر : من تبديل الصورة الانسانية الحسنة ، الى صورة أخس الحيوانات ، واقبحها

شكلا وطبعا ، وهي صورة القردة .
فالعظة والعبرة : فى المسخ الحقيقي ، لا فى المسخ المعنوي ، ولذلك نرى أبا الفداء اسماعيل حقى ، يعقب على راى مجاهد فيقول : وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين

بل ان ما قاله مجاهد : مخالف لظاهر ما دل عليه كتاب الله عز وجل ، فان الله سبحانه وتعالى قد اخبر في كتابه انه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .. كما اخبر عنهم انهم قالوا لنبيهم : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون .. كما أخبر عنهم أيضا : انهم عبدوا العجل ، فجعل الله توبتهم قتل انفسهم .. الى غير ذلك من الامور ، التي وقعت منهم ، وعاقبهم الله عليها .

فكيف يسوغ لانسان أن يقول : ان الله لم يمسخهم قردة ، بعد ان اخبر الله سبحانه وتعالى بأنه : جعل منهم القردة والخنازير ؟

ولماذا نصرف اللفظ : عن معناه الحقيقي الذي وضع له ، ونتعسف فى التأويل دون مبرر ؟

ان الله سبحانه وتعالى : قد اخبر عن اليهود ـــ بأمور كثيرة ـــ فى كتابه العزيز ، فمن انكر شيئا منها : طولب بالدليل على انكار ما انكره ، اذ كيف يقبل الانسان بعض ما اخبر الله به ، ويرفض بعضه الآخر ؟

فالمسخ اذن كان مسخا حقيقيا ، وان هؤلاء المعتدين قد تحولوا : الى قردة ، بأمر الله عز وجل ، فأمره سبحانه بين الكاف والنون : « **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون** » يس/٨٢ .

وهكذا عاقب الله : المحتالين على حيلتهم التي ارتكبوها ، لانهم تنكبوا الطريق السوى ، فاتخذوا الحياض ، وامسكوا فيها الحيتان يوم السبت ، ثم اخذوها بعد ذلك ، وقد نهاهم الله عن الصيد فى هذا اليوم .

ولكنه التفكير الشيطاني المنحرف ، هو الذي دفع بهم الى هذا المنزلق ، حتى وصل بهم الامر ، الى فعل الحرام ، والمجاهرة به ، دون خوف او خجل .

فلا عجب ان انتهى بهم الحال : الى ما صاروا اليه : « **وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد** » . (هود/١٠٢) .
هودا / ١٠٢ .

آيات وعلامات

د. محمد ابراهيم الجيوشي

تأتي ذكرى الاسراء والمعراج هذا العام ، وما يزال البيت الـذى بارك الله من حوله اسيرا فى قبضـة الاعداء ، يوشح الأسى قبابه ويلف الوجوم مآذنه ، وتأكل الحسرة قلوب المسلمين من حوله .

وما اجدر العرب والمسلمين فى هذه الذكرى ان يقفوا وقفـة حازمة يحددون فيها الهدف ، ويعقـدون العزم ، ويطرحون التردد ، ويصممون على التضحية ويبيعون نفوسهم لله ، ويسلكون سبيلهم الى البقعة المباركة، ويطهرون عتبات المسجد الاقصى وما حوله بدمائهم وارواحهم حتى يفكوا اساره ، ويطهروا رحابه ، ويطوفوا بساحاته .

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبـه الدم

والمتأمل لحادث الاسراء والمعراج، والمتتبع لمقدماته وما جرى بين يديه ، والمستعرض لنتائجه وآثاره يقف أمام

على طريق الإسراء

درس بالغ ، وعبرة ناطقة وضعها الله امامنا مثلا حيا فى حياة نبينا صلى الله عليه وسلم لنقفو اثره ، ونحذو حذوه ، ونسير على خطاه ، فيستنير امامنا الطريق ، وتتضح المعالم ، وتتهادى الصعاب ، ويأتى الله بالفتح او امر من عنده .

وليس حادث الاسراء والمعراج عند ذوى البصائر مجموعة من الاحداث الخارقة للعادة، جرت للرسول صلوات الله عليه وسلامه ، يقف المرء امامها مشدوها يسرح خياله وراء مداها المنطلق فى اطراف الارض او المتسامى الى السماء فقط ، ولكنه الى جانب ذلك وقفة للتأمل والاعتبار فى قدرة الخالق وعظمته فى تأييد أنبيائه ، وتثبيت رسله فى الوقت العصيب الذى بدا فيه ان كل مصدر من مصادر القوة والمنعة فى الارض قد تلاشى ، وأن كل من هناك ليسوا الا اعداء يتأهبون للانقضاض والفتك بكل ما تمثل فيهم من حقد وتعصب وجاهلية .

انه امتحان واختبار فى وقت الشدة للمؤمنين حتى يتبين من الذى لا تهزه الشدائد، ولا ينال منه تكالب الاعداء، ولا يجد الشك الى قلبه من سبيل ، ليكون على اهبة كاملة لتلقى ضربات اقسى ، والتعرض لامتحان أشد هولا وعسرا .

وفى حادث الاسراء والمعراج من قبل ذلك ومن بعده آيات وعلامات للمسلمين على مدى التاريخ وانطلاق مساره تدفع اليأس ان يتسلل الى قلوبهم حينما تطبق الخطوب ، ويشتد البلاء ، ويوشك ان ينقطع الرجاء ، وفى تفاصيل مقدمات الاسراء شرح وبيان لما قدمناه فقبل ان يسرى الله بنبيه من البيت الحرام الى المسجد الاقصى تعاورته احداث ثلاثة تلا بعضها بعضا كان لها فى نفسه صلوات الله عليه وسلامه ابعد الاثر ، فقد

توفى عمه أبو طالب الذى كان يحميه من عنت قريش ، ويذب عنـه أذى سفهائها وجباريها وتبع ذلك بأسابيع وفاة زوجه الوفية المحتسبة الصابرة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنهـا التى كانت له خير معين ومؤازر منذ اللحظة الاولى لدعوته المباركة ، اذ آمنت به حين كذبه الناس ، وواسته بمالها حين حرمه الناس ، وكان لفقد عم النبى وزوجه اثر بالغ فى نفسه عبر عنه بوصفه للعام الذى فقدهما فيه بأنه عام الحزن .

وكان موت أبى طالب فرصـة لقريش أن تمعن فى ايذائها وعدوانها حتى قال صـلوات الله عليـه : « ما نالت مني قريش حتـى مات ابو طالب » .

وتراءى المستقبل فى مكة مظلما محفوفا بالمخاطر ، فاتجه صـلوات الله عليه الى البحث عن مجتمع آخر يؤمن بدعوته ويحمل رسالته ويحمى دينه فاتجه الى الطائف مؤملا أن يجد فى استجابة أهلها وحسن لقـائهم ما يعوضه عما فقـده فى مكة من الحماية والمواساة ، ولـكن رحلة الطائف لم تحقق الهدف المنشود بل زادت الجروح جرحا ، وضمت الى الأعداء عدوا جديدا ، بدأ رده على دعوة الرسول بالرفض القبيـح والامعان فى السـخرية والاستهزاء الذى بدا فى رد رؤسائهم على النبى صلوات الله عليـه مما روته كتب السير ، وأضافوا الى ذلك عمـلا صغيرا يترفع كبار النفوس عن الاقدام عليه وتأبى تقاليد الرجولة أن تقره ذلك انهـم عمدوا الى سـفهائهم وصبيانهم يغرونهم بالرسول الكريم ، وأخذوا يقذفونه بالاحجار على جانبي الطريق وهو عائد من هذا اللقـاء غير الكريم مع هؤلاء اللئام من أهل الطائف حتى جرت الدماء على قدميه مما أصابه من أحجار هؤلاء السفهاء وحاول زيد عبثـا أن يكف شرهم أو يحمي رسول الله من أحجارهم .

وما خلص رسول الله من مشارف المدينة وانقطع سيل الاحجـار حتى آوى الى ظل حائط (بستان) لرجلين من قريش يفكر فى مستقبل الدعوة التى كلفه الله بتبليغها ، ويستعرض ما مر به مع هؤلاء الذين لم يتركوا قبيحا الا قالوه، ولا سيئة الا فعلوها، فاتجه الى ربه يناجيه ــ ويعلن انه لا يبالى بهذا ولا بأكثر منه اذا كان رضى الله معه ــ « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك »(١) .

وفى هذا الموقف الذى تنهد منه الجبال يكون اتجاه الرسول الى ربه يريد أن يتحسس مواضع رضـاه ، ويتأكد أنه بمنأى من غضبه حينئذ لا يبالى بمن يعاديه من أهل الارض لأن الله منجز لا محالة وعده ومظـهر دينه ، ولذلك حينما جاءه ملك الجبال

على اثر ذلك يقول : « يا محمد قد بعثنى الله ، ان الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثنى اليك ربك لتأمرنى ما شئت ان شئت أن تطبق عليهم الاخشبين والجبلين »(٢) .

ولكن رسول الله لا تأخذه شهوة الانتقام ولا تستبد به سورة الغضب، بل يتذكر دائما أنه انما أرسل رحمة للعالمين فيقول : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا »(٢) .

وانتشرت اخبار رحلة النبى الى الطائف وسبقته نتائجها الى مكة ، ولم يستطع أن يدخل مكة الا فى جوار المطعم بن عدى ، فى هذه الظروف الحالكة وانقطاع الامل من كل نصير فى الارض جاء حادث الاسراء والمعراج من مكة الى بيت المقدس ليؤكد فى روع النبى رعاية الله له وحمايته لدينه ونصرته لرسوله على الرغم من قلة الاعوان وذهاب الحماة ، واستكلاب الاعداء :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » (١ ـ الاسراء)

وما اكثر الشبه بين ما نحن فيه الآن وبين الظروف التى مرت برسول الله صلوات الله عليه قبل الاسراء ، وعلى العرب والمسلمين ان ينظروا الى حادث الاسراء من هذا الجانب ، وأن يملأ الايقان قلوبهم أنهم ان صدقوا الله فان الله لا محالة ناصرهم ، وآخذ بناصيتهم الى الخير والعزة والنصر ، ولكن ذلك لا يكون بالتمنى والاقوال ، بل لا بد من الايمان بنصر الله وتحقيق وعده ، واذا صح هذا الايمان فان علاماته تبدو فى التضحيات التى تبذل من نفس ومال ، والتعبير عن ذلك بالاعمال التى تكون ترجمة صادقة للايمان الذى يعمر القلوب فان الايمان والعمل صنوان فى كتاب الله :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهمأمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »

(٥٤ : النور) .

هذه سنة الله مع المؤمنين العاملين .

ومما يتصل بهذه السنن الكونية الا ينتظر المسلمون حتى يهاجمهم عدوهم فى بلادهم فيلحق الدمار بها ويبعث الرعب فى نفوس أهلها ، فما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا بل عليهم ان يبادروا أعداءهم ويأخذوا عليهم طرائقهم ، وصدق الله العظيم

« ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (٢٣ : المائدة) .

(١) ابن هشام د ٥ ص ٣٠ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٢) البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير د ٣ ص ١٣٧ ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة ، والسلفية ومكتبة الخانجى .

ومانينطق

زعـــم بعض الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلـــم جـــاء ليصلح للناس امور دينهم ، فكل ما يتصل بالدين فهو وحده وحي من عنـــد ربه ، وكل ما جاء في امور لا تتصل به فهو راي من عنده ، كآراء البشر ، ويجوز عليه الخطا والصواب ، وضربوا لذلك مثلا : فزعموا ان الـــرسول صلى الله عليه وسلم في اول اعوام هجرته ، راى الانصار يؤبرون نخيلهم فياخذون حبوب اللقاح من ذكر النخل لينقلوها الى الاناث من النخيل . وزعموا انه قال لهم : « لعلكم لو لم تصنعوا لكان خيرا » وزعموا انهـــم اطاعوه ، فلم يحصلوا على ثمار نخيلهم في ذلك العام ، فسالوه فقال لهم : « انتم اعلم بامور دنياكم » .

والروايات المنسوبة اليه في هذا الصدد كثيرة ، منهـــا انه قـــال : « انما انا بشر ، اذا اخبرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، واذا اخبرتكـــم بشيء من رايي فانما انا بشر » . وفي اخرى : « واذا اخبرتكم بشيء من امور دنياكم فانما انا بشر وانتم اعلم بامور دنياكم » . وفي ثالثة : « ان كان ذلك ينفعهم فليصنعوه (أي التابير) فانما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به » .

وتقبل بعض المسلمين هذه الروايات دون مناقشة ، فبنوا عليهـــا حكمهم السابق ، وعمموها فيما تحدث به النبي صلى الله عليه وسلم مـــن علوم الدنيا : في الطب والفلك والفلاحة وغيرها فقال « ابـــن خلـــدون » في مقدمته في باب « علم الطب » : « والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل (اي مبنى على التجربة القاصرة) وليس من الوحي في شيء ، وانما هو امر كان عاديا للعرب . ووقع في ذكر احوال النبي صلى الله عليـــه وسلم من نوع احواله التي هي عادة وجبلة ، لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلـــم بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعليم الطب وغيره من العاديات ، وقد وقع له في شان تلقيـــح النخل ما وقع ، فقال : انتم اعلم بامور دنياكم . فلا ينبغي ان يحمل شـــيء من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة علـــى انه تشريع ،

عن الهوى..

للأستاذ : أحمد الناجي

فليس هناك ما يدل عليه ، الا اذا استعمل على جهة التبرك ، وصدق العقد الايماني ، فيكون له اثر عظيم في النفع ، وليس ذلك الطب المزاجي ، وانما هو من آثار الكلمة الايمانية (الطب الروحي) كما وقع في مداواة المبطون بالعسل ،، .) مقدمة ابن خلدون طبعة بولاق ص ٤٦٧ والمبطون : المصاب فـي بطنـــــه) .

فترى ان ابن خلدون ذكر صراحة ان ما جاء في احاديث الرســول صلى الله عليه وسلم خاصا بعلوم الدنيا من فلاحة وطب وفلك ونحوه ، فليس من الشريعة في شيء . وجاراه في ذلك بعض اساتذة الاجتماع ، كالدكتور ((علي عبد الواحد وافي)) فكتب مقالا في مجلة لواء الاســلام ، العدد ٩ السنة الرابعة والعشرين في يوليو سنة ١٩٧٥) فذكر حادثة تأبير النخل وبنى عليها ان الناس اعلم بامور الدنيا واعرف بمصالحهم ، وان الرسول فيما يحدث من امور الدنيا يخطيء ويصيب كسائر البشر . فقال . ((ويستفاد من قول ابن خلدون : ان ليس كل ما يحدث عــن الرســول صلى الله عليه وسلم يكون بوحي من السماء ، ويكون من صميم رسالته ، وانه لا يكون كذلك الا اذا اتصل بامر من امور الدين ، اما اذا اتصل بأمر من امور الدنيا فانه يكون تعبيرا عن رايه الخاص ، وخبرته ومعلوماتــه ، ويكون شانه شان ما يصدر عن غيره من البشر)) .

ثم عدد الكاتب بعض علوم الدنيا فقال : ((هي مسائل العلــوم والفنون والصناعات كمسائل الفلك والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات والجغرافيا والجيولوجيا والطب ، والهندسة والحرف والصناعات بمختلف فروعها ، وما الى ذلك . فهذه هي التي اطلق عليها الرسول امور الدنيا ، والذي اخبرنا انه اذا تحدث فيها ، فانما يتحدث برايه ومبلغ علمــه ، وتجاربه . وانه يخطيء في صددها ويصيب)) .

واننا نرى في قول ابن خلدون ومن تابعه جراة على مقام النبي الكريم الذي لا يخطيء ولا ينطق عن الهوى ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم

أذا حدث اصحابه فيما يصلح امور دينهم او دنياهم ، فانما يحدثهم وهو على بينة من ربه ، ولا يقول الا صوابا . أما ما ينسب اليه من الخطا فهو بريء منه ، ولا يؤخذ حجـــة عليه .

فلو انه أفتى الانصار برأي أفسد عليهم ثمار نخيلهم كمـــا تزعـــم الروايات ، لاشتهر هذا الامر ، وتلقفته اليهود ، فاذاعته لتنال من النبـــي صلى الله عليه وسلم ومن رسالته ، وكانت حريصة على ذلك . ولحدثت المجاعة في السنوات الاولى من اعوام الهجرة وخلدتها كتب التاريخ ، فطعام اهل المدينة ومحصولهم الزراعي كله من النخيل وما تحمل من الثمـــرات ، ولكنا لم نسمع حديثا عن هذه المجاعة في العام الاول من الهجرة او بعده . ولم نسمع خبرا واحدا من اليهود عن فتوى الرسول في ذلك الشان ، ومـــا جرت من خـــراب وجـــدب .

لذلك كله استبعدنا تلك الفتوى المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة . اما قوله : « انتم اعلم بشئون دنياكم » فيحتمل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها حينما سألوه ما يفعلون في امـــر ما ، قد يكون تابير النخل أو سواه ، ونرى هذا القول موافقا لقوله تعالـــى : فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (النحل/٤٣) .

فنحن لا ننفـــي هذا الحديث الموافق للكتاب ، وانما ننفي الأسباب الموضوعة والمدسوسة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جعلوه اساسا لعدم تقبل كثير من أحاديث الرسول التي اصلح بها دنيا الناس .

فأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التـــي جـــاءت في الطب والفلك ونحوها مما ثبت عنه ، نرى انه ما نطق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على بينة من ربه لا عن علم قاصر كعلم العرب يحتمـــل الخطأ أو الصواب .. كما زعم ابن خلدون ومن تابعه . ولا تزال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع دهشة علماء الدنيا مع تقدم العلوم كحديث الحجر الصحي اذا تفشى الطاعون في قولـــه : « اذا سمعتـــم بالطاعون في ارض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع بأرض وانتم فيها فـــلا تخرجـــوا منهـــا فـــرارا منـــه » متفـــق عليـــه ، وكحـــديث . « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمـــات يقمـــن صلبه ، فان كان لا بد فاعلا فثلث طعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » رواه الترمذي وغيره ، وكحديث : « الحمى من فيـــح جهنم ، فأبردوها بالماء . رواه البخاري واحمد » وكحديث العسل الذي داوى به بطـــن الممعود ، تصديقا لقوله تعالى في النحل : **« يخرج من بطونها شراب مختلف الوانـــه فيه شفاء للناس »** . النحل/٦٩

فهذه الاحاديث وامثالها صدقها وآمن بها الطب الحديث بعـــد تقدم

علومه ، وعجب الاطباء كيف اهتدى الرسول لها في وقـت كان الطب فيه شعوذة وخرافة . وحمل هذا بعض العلماء على أن يؤمنوا بصاحبهـا ويوقنوا أنه رسول علمه الله ما لم يعلم . وكحديث كسوف الشمس يوم موت ولده ابراهيم ، حيث خطب الناس فقال :

« ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت احد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله ، فاذا رأيتم ذلك فصلوا حتى ينكشف ما بكم » متفق عليه .

فهذا القول لا يقوله انسان في ذلك العصر الا اذا كان مؤيدا من ربـه فقد كان الناس يومئذ يرهبون الشمس والقمر ويخشونهما فـي أوقـات الكسوف خاصة فيتقربون بالعبادة والتضرع .

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم بما يبطل ذلك الوهم من نفوسهم ، وينفي أن للكسوف علاقة بموت ولده .

وقد كتب العلماء والاطباء كتبا كثيرة في النواحي العلمية التي جاء بها الاسلام .

—●—

فهذه جملة من احاديث الرسول في علوم الدنيا ، تشهـد بأنه حين قالها ما قالها الا وهو مؤيد من ربه ليهدي الناس الى ما فيه صلاح دنياهم واذا صلحت دنياهم صلحت آخرتهم .

ولا ينبغي لمسلم ان يقول : ان هذه الاحاديث تحتمل الخطأ والصواب بل هي صواب دائما لانها تنبع ممن لا ينطق عن الهـوى .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقـول الا حقا كما ورد في الاحاديث الصحيحة ، فهو في حال الجد اولى بأن يقول حقا .

وانما الخطأ يعتري بعض الروايات التي تنسب الى الرسول الكريم وهو بريء منها ، فقد دس عليه الكثير من الاحاديث الموضوعة ليشكـك أعداء الدين في صدق كلام المعصـوم .

ومن الخطأ ان نسلم بتلك الروايات وأن نشكك في صدق الرسول ، ونزعم أن تلك الاحاديث قالهـا عن تجربـة قاصرة ، أو رأي خـاص ، وشتان ما بين قولنا هذا وبين قول ابن خلدون ، فنحن ننزه الرسـول عن ان يقـول خطأ في دين أو دنيا . فذلك ما لا يستطيعه ، فقد فطـره ربه على الصواب دائما ، وانه ليمده بالرأي والقول حتى لا يخطيء ابـدا وحسبه أن يقول الله له : ((**فانك باعيننا**)) سورة الطور / ٤٨

ومن كان كذلك فهو « ما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى » .

تاريخ العلوم الإسلاميّة والعربيَّة

٣

للدكتور

احمد الحجي الكردي

٤ ـ الدور الرابع : عصر الخلافة العباسية :

بدأ هذا الدور بسقوط دولة بني امية واستيلاء العباسيين على الخلافة ونقل مقر الخلافة من دمشق الى بغداد ، وذلك في عام ـ ١٣٢هـ ـ ، واستمر الى سقوط بغداد عام (٦٤٢) هـ .

ويعتبر عهد العباسيين العهد الذهبي للثقافة الاسلامية ، وبخاصة النصف الاول منه الذي انتهى بوفاة الخليفة المعتصم بالله . فقد شهدت الثقافة الاسلامية والعلوم الاسلامية نهضة واسعة في هذا العهد ، وكان ذلك ناتجا عن أستقرار الدولة من الناحية السياسية استقرارا وفر للعلماء الوقت والراحة والتفرغ للعلم . فازدهرت كل العلوم الاسلامية والعربية ازدهارا كبيرا ، وانتشرت انتشارا واسعا ، وظهرت المدارس العلمية لمختلف العلوم في شتى الامصار، واصبح لهذه المدارس رواد وتلاميذ ساعدوا على حفظ هذه المدارس وهذه العلوم الى يومنا هذا . كما نشطت حركة الترجمة في هذا العصر وبخاصة في عهد الخليفة المأمون الذي نقل في عهده الى العربية الكثير من كتب علوم الاغريق وغيرها ، ونتج عن ذلك حضارة اسلامية رائعة كانت المنطلق للعالم كله ، وبخاصة العالم الغربي الى النهضة الحديثة التي يقطف العالم ثمارها اليوم . وذلك أمر شهد به الاعداء قبل أن يدعيه الاصدقاء . ولا زالت بعض كتب الطب والفلسفة والرياضيات التي خلفها علماء الاسلام مرجعا في كثير من جامعات العالم المتمدين الى اليوم .

وقد امتاز هذا العصر عن العصر الاموي بظهور الكتب والمصنفات العلمية في مختلف العلوم ، فبينما كانت العلوم عامة تتناقل في العصر الاموي مشافهة بين العلماء والطلاب في اكثرها اصبحت في هذا العصر مصنفات وكتبا يدونها العلماء ويتناقلها الطلاب ويتدارسونها ويفيدون منها ؛ ثم ينقلونها الى من خلفهم ليستفيدوا منها ويزيدوا عليها وهكذا دواليك .

كما امتاز هذا العصر بتقعيد المذاهب العلمية في التفسير والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم الاخرى . فبينما كانت هذه المذاهب العلمية نبتة صغيرة لما تستو على سوقها بعد في العصر الاموي اصبحت الان في عهد العباسيين شجرة كبيرة مستقرة ، ثابتة الاركان ، واضحة المعالم ، محدودة الحدود ، مثمرة اينع الثمر .

وبذلك نستطيع ان نعتبر العصر الاموي عصر الاعداد والتهيئة العلمية للنهضة التي ظهرت في العصر العباسي .

واذا أردنا القاء الاضواء اكثر من ذلك على النهضة العلمية في هذا العصر وبيان الخطوات التي قطعها كل علم فانها على النحو التالي :

اولا : علم التفسير في العصر العباسي .

فاننا نرى في علم التفسير ظهور عدد كبير من العلماء المتخصصين فيه وظهور عدد كبير من المصنفات في هذا العلم الجليل ، كما ظهرت مذاهب واتجاهات عدة في التفسير اهمها :

١ ـ التفسير بالماثور :

وذلك يعني الوقوف في معنى الآية الكريمة عندما ورد في تفسيرها في القرآن الكريم والسنة المطهرة دون الزيادة عليه . ومن أهم المفسرين في هذا المذهب .

أ ـ الامام الطبري ، وهو الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي عام ٣١٠هـ . وتفسيره المسمى (جامع البيان في تفسير القرآن) أقدم واوسع التفاسير واجلها ، حيث بلغ ثلاثين جزءا كبيرا ، ولا زال المفسرون ممن جاء بعده عالة عليه الى يومنا هذا اذا استثنينا كتاب (مجاز القرآن) الذي الفه (ابو عبيدة معمر بن المثنى) المتوفي عام ٢٠٩هـ . فانه متقدم عليه ، وان كان ليس مثله في السعة والفائدة .

ب ـ الامام البغوي ، وهو الامام ابو محمد الحسن بن مسعود بن محمد الفراء البغوي المتوفي عام ٥١٦هـ . وله تفسير اسمه (معالم التنزيل) وهو تفسير متوسط في حجمه كبير في فائدته .

٢ ـ التفسير بالراي :

وهو يعني بذل الجهد في تحليل الآية الكريمة عربيا على ضوء ما جاء من شرح لها في الكتاب والسنة دون الوقوف عندما ورد في تفسيرها من النصوص . وليس معناه ـ كما يظن خطأ ـ ترك النصوص والعدول عنها الى الراي المجرد . فان هذا ضلال حاشا أن يفعله مسلم بله عالم تقي .

ومن اشهر المفسرين في هذا المذهب :

أ ـ الامام الرازي ، وهو الامام فخر

الدين محمد بن الحسين بن الحسن الرازي المتوفي عام ٦٠٦/هـ. وتفسيره المسمى (مفاتيح الغيب) من أهم كتب التفسير بالراي ، وهو تفسير جامع كبير يقع في اثنين وثلاثين جزءاً كبيرا ، يستعرض فيه آراء العلماء فى الآية الواحدة ويرتبها ترتيبا مدرسيا مفيدا يسهل الوصول الى المعنى المراد .

ب ــ الامام الزمخشري ، وهو الامام ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري المتوفي عام ٥٣٨/هـ. وتفسيره المسمى بــ (الكشاف) من أعظم كتب التفسير لولا ميل مؤلفه الى مذهب المعتزلة وانزلاته في بعض متاهاتهم . والزمخشري هذا يعني في تفسيره بالتحليل اللغوي والفقهي مما يدل على طول باعه في هذه العلوم .

٣ ــ التفسير الاشاري :

وهو يعني بتفسير آيات القرآن الكريم بغير المعنى الظاهر المتبادر من الفاظه بالاعتماد على اشارات خفية تظهر لارباب السلوك والتصوف وكثيرا مايتعذر الجمع بين هذا المعنى والمعنى الظاهر المتبادر .

هذا وقد وقف العلماء من هذا الاتجاه في التفسير مواقف متعددة ، وكان جمهورهم على رفضه والابتعاد عنه ومنعه .

ومن أهم المفسرين في هذا المذهب :

أ ــ ابن عربي وهو الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى المتوفى فى دمشق سنة ٦٣٨/هـ. وتفسيره هو (ايجاز البيان) وهو تفسير مخطوط لم يطبع ، وأما التفسير المطبوع المسند اليه فهو للكاشي وليس له .

ب ــ الامام التستري ، وهو الامام ابو محمد سهل بن عبد الله التستري المتوفي سنة ٢٨٣/هـ. وتفسيره المسمى باسمه هو تفسير لبعض آيات القرآن الكريم فقط ولا يستغرق القرآن كله .

٤ ــ تفسير آيات الأحكام

وهو يعني افراد الآيات القرآنية التي جاءت متعلقة بالتشريع بالدراسة دون غيرها ، ثم سبر أغوارها واستنباط الاحكام منها ، وهذا الاتجاه اقرب الى مسلك الفقهاء منه الى مسلك المفسرين ، ومن اشهر علماء هذا الاتجاه :

أ ــ الامام الجصاص ، وهو الامام ابو بكر احمد بن على الرازى المتوفي سنة ٣٧٠/هـ. وكتابه اسمه (احكام القرآن) ، وقد عرض فيه كل آيات القرآن الا انه لم يعن الا بتفصيل آيات الاحكام دون غيرها .

وقد افاض في شرحه لهذه الآيات حتى عد من أعظم المراجع في بابه ، وهو في ثلاثة اجزاء كبيرة .

ب ــ الامام ابن العربي ، وهو الامام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى الاندلسي المتوفى سنة ٥٤٣/هـ. وهو بطبيعة الحال غير ابن عربي صاحب تفسير (ايجاز البيان) الذي مر

ذكره . وكتابه المسمى (احكام القرآن) كتاب جليل في بابه لا يستغني عنه طالب العلم ، وقد نحى فيه المؤلف منحى التفصيل والاستغراق في تفسير آيات الاحكام وتفنيدها ومناقشتها وهو مطبوع في اربعة اجزاء كبيرة .

ثانيا ــ علم الحديث الشريف فى العصر العباسي :

واما علم الحديث الشريف فقد كان العصر العباسي بالنسبة اليه العصر الذهبي ، حيث عني العلماء والمحدثون بجمع الاحاديث وتنقيتها مما علق بها من الضعيف والمكذوب ، ثم تصنيفها في مصنفات . وقد اختلف علماء الحديث في كتابتهم له وتصنيفهم فيه الى طرق متعددة أهمها :

١ ــ كتب الصحاح :

وهي تعني بجمع الاحاديث الصحيحة التي استجمعت كل شروط الصحيح التي وضعها لها هؤلاء المؤلفون ، وترك ما عدا ذلك . ثم كتابة هذه الاحاديث الصحيحة حسب ابواب الفقه التي تعالجها ، كباب الطهارة وباب الصلاة .. وهكذا .

ومن اشهر العلماء الذين كتبوا على هذه الطريقة .

ا) الامام البخاري :

وهو الامام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفى البخارى المتوفى سنة ٢٥٦/هـ. وكتابه المسمى بـ (صحيح البخاري) أهم كتب الحديث قاطبة واصحها ، حتى ان العلماء قالوا عنه (هو اصح كتاب بعد كتاب الله تعالى) . وقد نال هذا الكتاب اهتمام العلماء به على مر العصور فشرحوه وعلقوا عليه . ومن أهم شروحه شرح الامام ابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢/هـ. والمسمى بـ (فتح الباري) وهو مطبوع في ثلاثة عشر جزءا كبيرا . وشرح الامام بدر الدين العيني المتوفي سنة ٨٥٥/هـ. والمسمى بـ (عمدة القارى) وهو فى أحد عشر جزءا كبيرا .

ب) الامام مسلم :

وهو الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي سنة ٢٦١/هـ. وكتابه اسمه (صحيح مسلم) وهو أعظم واصح كتاب في الحديث بعد صحيح البخاري ، الا انه يزيد على صحيح البخاري بحسن تنسيقه وندرة المكرر فيه .

٢ ــ كتب السنن :

وهي تعني بجمع الحديث كله صحيحه وضعيفه الا المكذوب منه او المتهالك ، ثم الاشارة في اكثر المواضع الى درجة الحديث من الصحة . وهذه الكتب ترتب الحديث على ابواب الفقه مثل كتب الصحاح السابقة ولا تختلف عنها الا في الاشتمال على الاحاديث الضعيفة في كثير من الاحيان .

ومن اشهر العلماء الذين كتبوا على هذه الطريقة :

أ) الامام الترمذي :

وهو الامام ابو عيسى محمد بن

عيسى بن سورة الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩/هـ. وكتابه اسمه (سنن الترمذى) وهو كتاب جليل القدر كثير النفع .

ب) الامام النسائي :

وهو الامام ابو عبد الرحمن احمد ابن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣/هـ. وكتابه اسمه (سنن النسائي) وهو كتاب قيم ونفيس أيضا .

٣ ـ كتب المسانيد :

وهي تعني بجمع الحديث الصحيح والضعيف دون الهالك والمكذوب ، ثم ترتيبها حسب رواتها من الصحابة دون النظر الى موضوعها . فيذكر أبو بكر مثلا ثم تذكر بعده كل الاحاديث التي رويت من طريقه ثم عمر وهكذا ..

واشهر من الف في الحديث على هذه الطريقة هو الامام احمد بن حنبل الشيباني امام المذهب الحنبلي المتوفي سنة ٢٤١/هـ. وكتابه اسمه (مسند الامام احمد) وهو من اشهر كتب الحديث واوسعها ، ضمنه مؤلفه ما يزيد على ثلاثين الف حديث اختارها من نحو سبعمائة الف حديث . وهو مطبوع في ستة اجزاء كبيرة .

٤ ـ كتب المختارات :

وهي الكتب التي تعني باختيار احاديث معينة من الكتب السابقة في موضوعات معينة خاصة ، أو تعني بجمع احاديث عدد معين من الكتب السابقة ، وجل هذه الكتب تقف عند الاحاديث الصحيحة والحسنة دون الاحاديث الضعيفة .

ومن اشهر المؤلفين على هذه الطريقة .

ا) الامام ابن الاثير :

وهو الامام مجد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦/هـ. وكتابه اسمه (جامع الاصول من احاديث الرسول) ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد جمع فيه احاديث الموطأ للامام مالك ، وصحيحي البخاري ومسلم ، وسنن ابي داود والنسائي والترمذي ، وذلك بعد تجريدها من اسانيدها الا اسم الصحابي الاول . وهو كتاب عظيم القدر كثير النفع ، جمع فيه كتبا فى كتاب واحد ، وقد زاد في تسهيله للطلاب والعلماء حذف الاسانيد منه وحسن ترتيبه على حروف المعجم .

ب) الامام المنذري :

وهو الامام زكي الدين عبدالعظيم ابن عبد القوى المنذرى الشامى المتوفي سنة ٦٥٦/هـ. وكتابه اسمه (الترغيب والترهيب) جمع فيه الاحاديث المرغبة في اعمال الخير والمرهبة من افعال الشر والاثم ، وقد رتبه على ابواب الفقه بعد حذف الاسانيد عدا الصحابي الاول . والتزم المؤلف فيه ذكر درجة الحديث عندما يروي عمن لم يلتزم الصحيح . وقد طبع الكتاب في اربعة اجزاء طبعات عدة . وهو كتاب لا يحسن

أن يخلو منه بيت طالب العلم .

٥ ــ كتب احاديث الاحكام :

وهذه الكتب تعني بجمع احاديث الاحكام فقط دون غيرها . ومن ثم شرحها واستنباط الاحكام منها .
ومن أشهر من كتب على هذه الطريقة :

ا) الامـام المقدسي :

وهو الامام تقي الدين ابو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المتوفي سنة ٦٠٠/هـ. وكتابه اسمه (العمدة في الاحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام) . وقد جمع فيه أمهات أحاديث الاحكام مما اجمع عليه الامامان البخاري ومسلم . والكتاب مطبوع في مجلد واحد عظيم النفع .

ب) الامام ابن تيمية :

وهو الامام مجد الدين عبد السلام الحراني المتوفي سنة ٦٥٣/هـ. وكتابه اسمه (المنتقي من اخبار المصطفى) وقد جمع فيه أحاديث الاحكام من صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند احمد والسنن الاربعة ، ثم رتبها على أبواب الفقه . ولذلك فهو عظيم الفائدة . والكتاب مطبوع في مجلدين كبيرين، وقد شرحه العلامة الشوكاني في ثمانية مجلدات مطبوعة في شرح اسمه (نيل الاوطار) وهو كتاب قيم ونفيس .

٦ ــ كتب علوم الحديث :

هذا وقد صنف في هذا العصر الى جانب كتب الحديث كتب لنقد الحديث ودراسة رجاله واسانيده ، وبها استطاع العلماء المحافظة على الحديث الشريف نقيا بعيدا عن الزيف والكذب . وهذه الكتب منها ما يبحث في أحوال الرجال الذين نقلوا الحديث وتراجمهم واسمائهم ، ومنها ما يبحث في علل الحديث وهي العيوب الخفية التي تقدح في صحة الحديث . ومنها ما يبحث في مصطلح الحديث . واهم هذه الكتب التي الفت في هذا العصر :

أ) فى أحوال الرواة وتراجمهم واسمائهم :

١ ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب : للامام ابى عمر يوسف ابن عبد الله بن عبد البر القرطبي المتوفي سنة ٤٦٣/هـ. وهو مرتب على حروف الهجاء وجامع لاكثر الصحابة من رواة الحديث . ومطبوع فى مجلدين كبيرين .
٢ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة : للامام عز الدين ابي الحسن علي بن محمد (ابن الاثير) المتوفي سنة ٦٣٠/هـ. وهو جامع لاكثر الصحابة أيضا ومطبوع فى خمسة مجلدات .
٣ ــ الكنى والاسماء : للامام أبي بشر محمد بن أحمد الدولابى المتوفى سنة ٣٢٠/هـ. وهو مطبوع في جزئين .
٤ ــ الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الاسماء والكنى

والانساب : للامام ابي نصر علي بن هبة الله بن مأكولا البغدادى المتوفى سنة ٤٨٦/هـ. وهو مطبوع فـي مجلدين .

٥ ــ الانساب : للامام ابي سعد عبد الكريم بـن محمد بـن منصور التميمي السمعاني المتوفي سنة ٥٦٢/هـ. وهو كتاب كبير الحجم غزيـر الفائدة طبع منه في الهند الى الآن ستة اجزاء متوسطة ، ولما ينته طبـع آخره بعد .

٦ ــ الضعفاء : للامام محمد بـن اسـماعيل البخارى المتوفى سـنة ٢٥٦/هـ. وهو مطبوع في جزء متوسط ذكر فيه مؤلفه اسماء الضعفاء فقط من رجال الرواية ورتبها على حروف الهجاء .

٧ ــ الضعفاء والمتروكون : للامام أحمد بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣/هـ. وهو مرتب علـى حـروف الهجاء ايضا ومقتصر على الضعفاء من الرواة خاصة ، وهو مطبوع فى جزء متوسط .

٨ ــ الجرح والتعديل : للامام عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٢٧/هـ. وهو من أجمع كتـب هذا الفن ومطبوع في تسعة اجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة .

ب) فى علل الحديث :

علل الحديث : للامام عبد الرحمن ابن أبى حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٢٧/هـ. وهو من أجمع كتب هـذا الفن ومطبوع فى مجلدين .

د) مصطلح الحديث :

١ ــ المحدث الفاصـل بـين الراوي والواعي : للامام ابي محمـد الرامهرزى الحسن بن عبد الرحمن ابن خلاد المتوفى سنة ٣٦٠/هـ .

٢ ــ معرفة علوم الحديث : للامام أبي عبد الله محمد بن عبد اللـه الحاكم النيسابورى المتوفى سـنة ٤٠٥/هـ. وقد جمع فيه مؤلفه اثنين وخمسين نوعا من علوم الحديث وهو مطبوع .

٣ ــ الكفاية في علوم الروايـة : للامام ابى بكر احمد بن على المتوفى سنة ٤٦٣/هـ . والمشهور بالخطيب البغـدادى وهو مطبوع فى مجلد واحد قيم .

٤ ــ علوم الحديث : للامام أبـي عمرو عثمـان بن عبد الرحمـن الشهرزورى المشهور بـ (ابن الصلاح) المتوفى سنة ٦٤٣/هـ . وهو من اجمع وأدق كتب هذا الفن ، وهو مطبوع فى مجلد متوسط الحجم .

هذه نبذة مختصرة عن أهم المصنفات في الحديث الشريف وعلومه مع القاء ضوء خافت على تطور هذا العلـم فى هذا العصر ذلك التطور الذى تابع سيره عبر العصور المتتالية كمـا سوف نرى .

بريد الوعي الاسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

بين الامام النووى والظـــاهر بيبرس

جاء فى موضوع « بين الامام النووى والظاهر بيبرس » المنشـــــور فى العدد (١٢٤) ربيع الثانى ١٣٩٥ هـ من المجلة أن الذى حاول تكملة « المجموع فى شرح المهذب » بعد الامام النووى رحمه الله هو اسماعيل الحسيانى . وهو رأى السيد كاتب المقال .

وقد جاءنا من الدكتور غريب جمعة من الاسكندرية التصويب الآتى :

الذى حاول تكملة المجموع بعد الامام النووى هو شيخ الاسلام تقي الدين على بن عبد الكافى السبكى والد تاج الدين السبكى . صاحب طبقات الشافعية الا أنه أدركته المنية بعد الرد بالعيب من كتاب (البيوع) ثم قيض الله لهـــذا الكتاب الكاتب المعاصر محمد نجيب المطيعى فأكمله من حيث وقف الامام السبكى أى من باب (المرابحة) من كتاب البيوع ثم نهج منهج الامام النووى من حيث ذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والكلام عن الحديث ودرجتــــه وعلله الخفية والظاهرة ثم الكلام عن الجرح والتعديل ورواة الحديث وائمة المذاهب ثم مفردات الفصل من كلام أبى اسحاق الشيرازى ثم الخـــــوض فى أحكام الفروع ومدارس المذهب الشــــــافعى من خراســـــانيين وبصريين ومصريين وبغداديين .. الخ . ثم تكلم على مذاهب المسلمين باستقصاء وتحقيق غبطة عليه كبار علماء المسلمين .

وبلغ حجم الكتاب عشرين جزءا منها تسعة للامام النووى واثنـــان للامام السبكى والباقى للمطيعى . هذا ما اطلعت عليه والله تعالى أعلم .

حول معنى كلمة (أمة)

وردت كلمة (أمة) فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، فهـــل يختلف معناها فى كل موضع عن الآخر أرجو الايضاح وشكرا .

سالم عبد الرحمن — الاردن

- **الأمة : كل جماعة يجمعهم امر : اما دين واحد ، او زمان واحد ، أو مكان واحد قال تعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » اى فى الايمان .**
- **وتطلق (أمة) على الشخص الواحد اذا كان يقوم مقام جماعة قال تعالى : «ان ابراهيم كان أمة » .**
- **وقد تأتى بمعنى الدين ، قال تعالى : « انا وجدنا آباءنا على أمة » .**
- **وتأتى بمعنى الحين ، قال تعـــالى : « وادكر بعد أمة » . اى بعد حين .**

الق

عبر التاريخ



القدس

اعداد : عبد الستار محمد فيض

استطاع اليهود فى السابع من شهر يونيو عام ١٩٦٧ ميلادية ان ينتزعوا من العرب مدينة القدس ، وان يرفعوا رايتهم البغيضة على قبة مسجد الصخرة المشرفة، وان يدنسوا قدسية اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . متحدين بذلك الأمة العربية والاسلامية فى ارجاء الأرض عامة ، أجل لقد تمكنوا من الاستيلاء على مدينة القدس الخالدة على مرأى ومسمع من مائة مليون عربى وخمسمائة مليون مسلم .

وما كادت القدس وما حولها من الضفة الغربية ، تسقط فى أيدى الغزاة اليهود ، حتى امتدت الألسنة الشامتة الحاقدة التى اخرجتها من جحورها الرؤوس المضللة بالمزاعم الصهيونية الباطلة ، والقلوب المضطربة على رواسب الحقد الأسود التى خلفتها الحروب الطاحنة بين الشرق والغرب عبر التاريخ ، امتدت هذه الألسنة تجهر بحق اليهود فى العودة الى القدس بدعوى انهم بناتها الأولون . غير أن التاريخ الصادق الأمين الذى لم تصل اليه يد التزوير اليهودى، تدحض مزاعم اليهود المتطاولين على الحق ، وتعيد الصواب الى العقول التى اخذت بزيف الدعاية الصهيونية . ان التاريخ يثبت بما لا يدع مجالا للشك ان القدس وفلسطين بأسرها كانت قبل خمسة آلاف عام عربية ، وستظل كذلك ، تخفق فى سمائها أعلام العروبة والاسلام ..

وفيما يلى نقدم لكل عربى ومسلم ولكل انسان شريف يقدس الوطن ويحرص على الحرية والكرامة عرضا سريعا لتاريخ مدينة القدس التى بناها العرب عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وخسروها عام ١٩٦٧ بعد الميلاد* .

بناة القدس :

يسجل التاريخ أن الكنعانيين وهم قبائل عربية نزحت من شبه جزيرة العرب استوطنوا فلسطين حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وهى البلاد الممتدة رقعتها من نهر الأردن شرقا الى البحر الأبيض المتوسط غربا . ومن بين القبائل الكنعانية استوطن (اليبوسيون) المنطقة المحيطة بالقدس وقد قام أحد ملوكهم ويدعى (ملكيصادق) الذى عرف بالعدل ومحبة السلام ، بتخطيط وبناء مدينة ملكة ، فى المكان الذى تقوم فيه القدس فى الوقت الحاضر ، وكانت المدينة تعرف باسم (يبوس) ثم جاء من بعده (سالم اليبوسي) فأطلق عليها اليبوسيون اسم (سالم) نسبة الى ملكهم الذى كان محبا للسلام . وبعد أن ادخل على المدينة تحسينات كبيرة أطلق عليها اسما كنعانيا هو (أورسالم) أى مدينة السلام .

القدس تحت حكم الفراعنة :

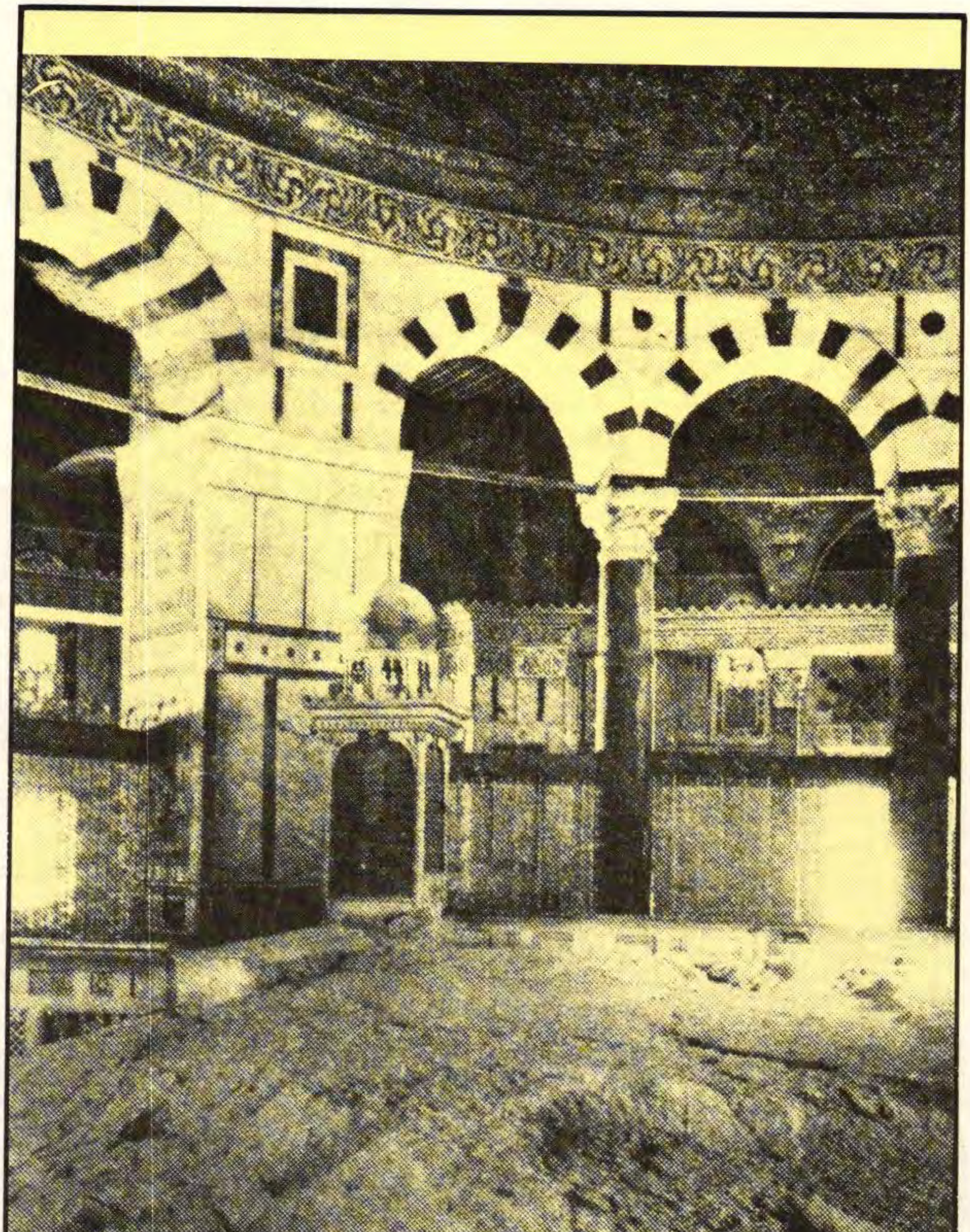
وفى عام ١٤٧٩ قبل الميلاد استولى فرعون مصر (تحتمس الثالث) على مدينة (أورسالم) فى نطاق فتوحاته،شمالى مصر الا أن المصريين لم يحاولوا تمصير المدينة ، فقد كانوا على علاقة طيبة باليبوسيين ، واكتفوا بأخذ الجزية من سكانها ، وبتعيين حاكم عليها . وعرفت المدينة فى ذلك العهد باسم (يابيش) حينا ، وباسم أورسالم حينا ، آخر .

فشل اليهود فى احتلال القدس :

وفى عام ١٢٥٠ قبل الميلاد خرج بنو اسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام ، بعد أن كانوا قد نزحوا اليها من فلسطين التى أقاموا فيها فترة قصيرة ، عاشوا خلالها فى الخيام ، وعلى رعى المواشي ، باحثين عن منابت العشب ومساقط المياه . ولم يتجاوز عدد النازحين الى مصر سبعين نسمة هم أبناء (اسرائيل) الأرامن الأصل ، الذى لم تكن له صلة بفلسطين بل كان طارئا عليها .

وتاه بنو اسرائيل فى صحراء سيناء مدة أربعين سنة وحاولوا دخول فلسطين عبر نهر الأردن .. وبعد وفاة موسى عليه السلام تولى زعامة اليهود (يوشع بن نون) الذى تمكن من احتلال مدينة أريحا عام ١١٨٩ قبل الميلاد فأحرقها عن آخرها ، وقتل سكانها رجالا ونساء، واتجه نحو (أورسالم) لاحتلالها ، لكن محاولته باءت بالفشل بالنظر الى استبسال العرب اليبوسيين فى الدفاع عنها ومات (يوشع بن نون) قبل أن يرى احتلال هذه المدينة الجبارة .

ورغم أن (يهوذا) اليهودى تمكن من احتلال (أورسالم) بعد وفاة (ابن نون) ومن احراقها وقتل الالوف من سكانها فان اليهود فشلوا فى الاحتفاظ بالمدينة أمام



منظر داخلي للصخرة المشرفة فى القدس .

هجمات اليبوسيين المتوالية ، مما اضطر اليهود الى الجلاء عنها .

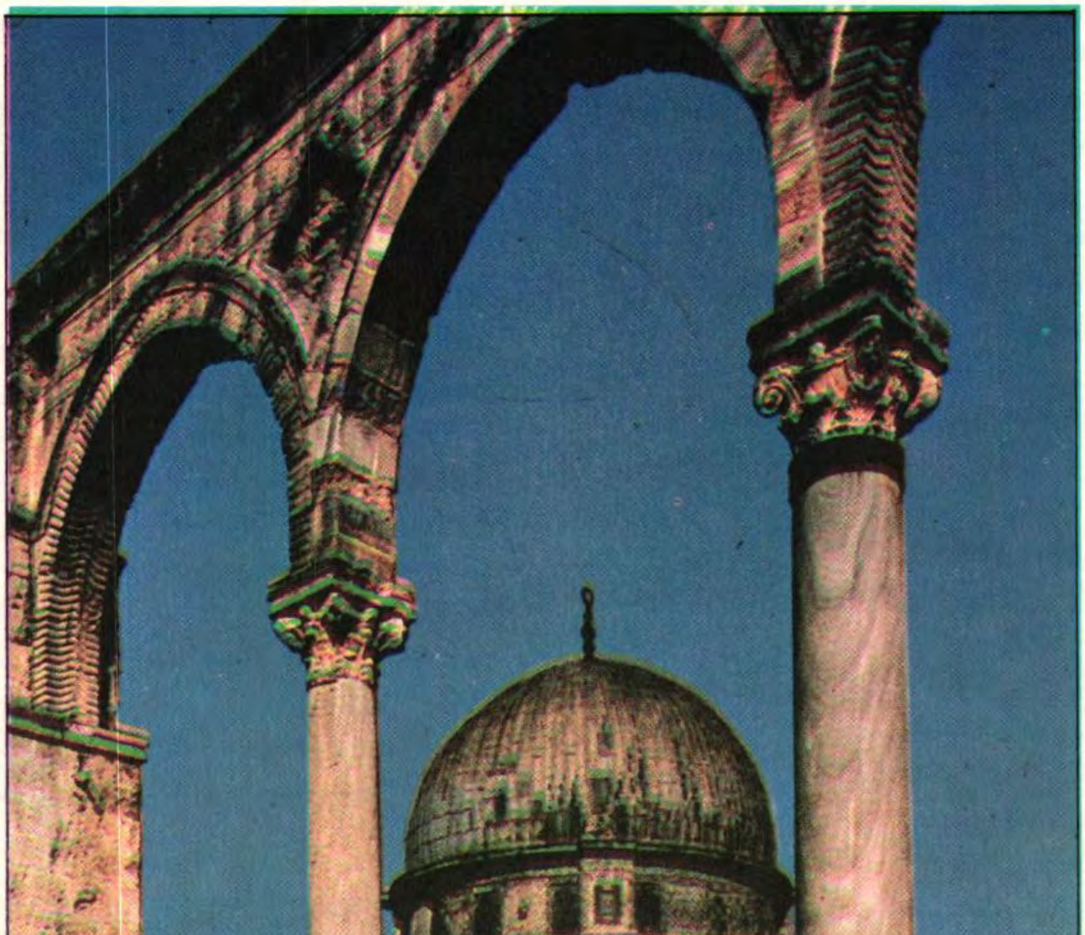
الملك داود :

وظل اليهود يقيمون فى منطقة الخليل ، يسكنون الخيام ويلبسون الجلود ، الى أن قام ملكهم داود عام ١٠٤٩ قبل الميلاد بمهاجمة (أورسالم) فصده اليبوسيون العرب أول الأمر ، الا أنه عاود الهجوم على المدينة وتمكن من الاستيلاء على نبع الماء الوحيد الذى يعتمد عليه سكانها فسقطت المدينة فى يده عام ١٠٠٠ قبل الميلاد . وكان سقوط المدينة نقطة تحول كبيرة فى حياة اليهود ، الذين تحولوا من حياة البداوة الى حياة الحضارة التى كان يعيشها اليبوسيون والكنعانيون .

وفى عهد الملك سليمان بن داود انشىء الهيكل الذى عرف بهيكل سليمان على أكمة (موريا) فى مدينة (أورسالم) التى يدعى اليهود زورا وبهتانا أن اسمها عبرى . فى



مدينة القدس والمسجد الاقصى



قبة الصخرة المشرفة

حين أنه اسم كنعانى عربى حرفه اليهود بحيث أصبح (أورشاليم) .

استيلاء الأشوريين على المدينة :

عندما نشب الصراع على سيادة المنطقة بين المصريين فى حوض نهر النيل وبين الأشوريين فى بلاد ما بين النهرين ، انحاز اليهود الى المصريين فنقم عليهم الأشوريون ، وجردوا عليهم حملة عسكرية قوية بقيادة (سنحاريب) ملك اشور الذى حاصر (أورسالم) واستولى عليها عام ٧٠١ قبل الميلاد وفرض على اليهود جزية كبيرة ، حتى أن اليهود اضطروا الى قشر الذهب عن أبواب الهيكل وجدرانه وتسليمه الى الأشوريين .

السبى البابلى :

ولما غدا الكلدانيون سادة بابل بعد الأشوريين ، انحاز اليهود الى مصر مرة أخرى ، فقام ملك الكلدانيين (نبوخذ نصر) بمهاجمة (أورسالم) واستولى عليها عنوة عام ٥٨٧ قبل الميلاد فقتل عددا كبيرا من اليهود .. وساق البقية الباقية منهم أسرى الى بابل ، بعد أن هدم الهيكل والأسوار المحيطة بالمدينة وتركها قفرا يبابا .

كورش والقدس :

بعد مرور سبعين عاما على تدمير القدس ونفى اليهود الى بابل ، استولى الفرس على بلاد النهرين ، بعد أن تم لهم القضاء على حكم الكلدانيين ، فتنفس اليهود الصعداء واستطاعوا بما جبلوا عليه من مكر ودهاء وتحايل التأثير على (كورش) أحد ملوك الفرس لاعادة قسم منهم الى (أورسالم) عام ٥١٧ قبل الميلاد ، واعاد اليهود بناء الهيكل والأسوار المحيطة بالمدينة ، غير أن المدينة هذه لم تستعد سابق عهدها . وبقيت ذليلة بائسة .

وفى عام ٣٢٠ قبل الميلاد هاجم المدينة (بطليموس الأول) ونكل باليهود وأذلهم . وفى عام ١٦٨ قبل الميلاد استولى على (أورسالم) (انطوخوس الرابع) ملك السلوقيين، وقد تمرد اليهود على حكمه . وتمكنوا بمساعدة (المكابيين) فى شمالى البلاد من استعادة المدينة ، التى بقيت فى حوزتهم حتى عام ٦٣ قبل الميلاد .

الحكم الرومانى :

فى عام ٦٣ قبل الميلاد استولى القائد الرومانى (بومبيوس) على المدينة وهدمها . ثم جاء الحاكم الرومانى (هيرودوس) وجعل المدينة عاصمة له ، وكان معروفا بحبه للانشاء والتعمير ، فسارع الى اعادة بناء المدينة ، وأقام حولها الأسوار ، وأقام ثلاثة حصون شامخة ، وأعاد بناء الهيكل المهدم .

وفى عام ٦٦ بعد الميلاد تمرد اليهود على الحكم الرومانى فما كان

من القائد الرومانى (تيطس) الا أن جرد على المدينة حملة عام ٧٠ بعد الميلاد ، فاستولى عليها واحرقها عن آخرها ودمر الهيكل وشرد اليهود فى ارجاء المعمورة .

القــدس تحت الحكم الوثني

وفي عهــد الامبراطور الرومانــي (هادريان) اعاد الرومان بناء المدينة على أساس جعلها مدينة وثنيــة ، فأقاموا فيها هيكلين ، الأول (لجوبتير) في مكان هيكل سليمان والثانـــي (لفينوس) في مكان كنيسة القيامــة الآن وأطلق الرومان على المدينة اسم (الياكابيتولينا) ومنع اليهود مــن دخولها حتى أنهــم فرضوا عقــوبة الاعدام على كــل يهــودي يدخلها ، وتقلص ظل اليهود عن المدينة .

القدس في ظــل المسيحية

وعندما اصبحت المسيحية الديــن الرسمي للامبراطورية الرومانيـــة عام ٣٢٥ ميلادية . أمر الامبراطور (قسطنطين) باعادة بناء (ايليـــا كابيتولينا) وازالة الآثار الوثنية منها وبناء كنيسة القيامة ، وهكذا كان من المقدر لمدينة (ايليا) أن تحتل مركزا مرموقا في التاريخ .

وفي عام ٦١٤ ميلادية سقطـــت (ايليا) بيد جحـــافل الفرس بقيادة (كسرى الثاني) الذي قام بهـــدم كنيسة القيامة .



أهالي القدس يسارعون فى اطفاء الحريق الذي افتعلته السلطات اليهودية المحتلة في المسجــد الاقصى المبارك .

الاسراء والمعــراج

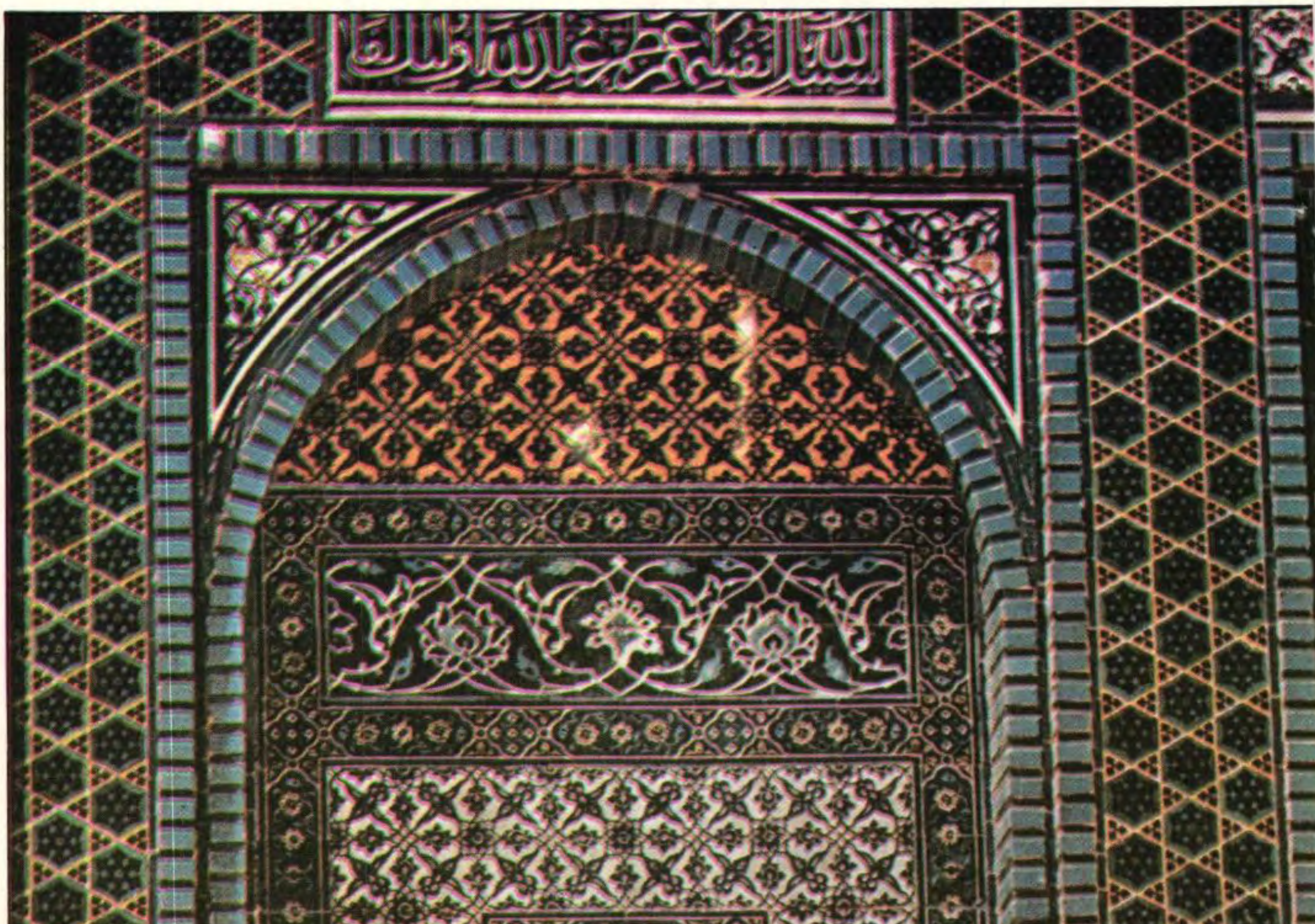
وكانت معجــزة الاسراء بالنبــي العربي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى بالقدس حيث عرج به الى الســـموات العلا . وكانت هذه المعجزة الالهة الخارقــة ايذانا بربط قلوب العرب والمسلمين ومقدراتهم ومصائرهم بالقدس التــي بارك الله ما حولها .

دخلت هذه المدينة تحت الحكــم الاسلامي عام ٦٣٦ ميلادية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وأصبحــت تعرف منذ ذلك الحين بمدينة القدس أو بيت المقدس .

وقد أبى (صفرونيوس) بطريرك المدينة أن يسلمها الا لخليفةالمسلمين بنفسه ، فحضر عمر بن الخطاب وتم



ساحة المسجد الاقصى وقبة الصخــرة .



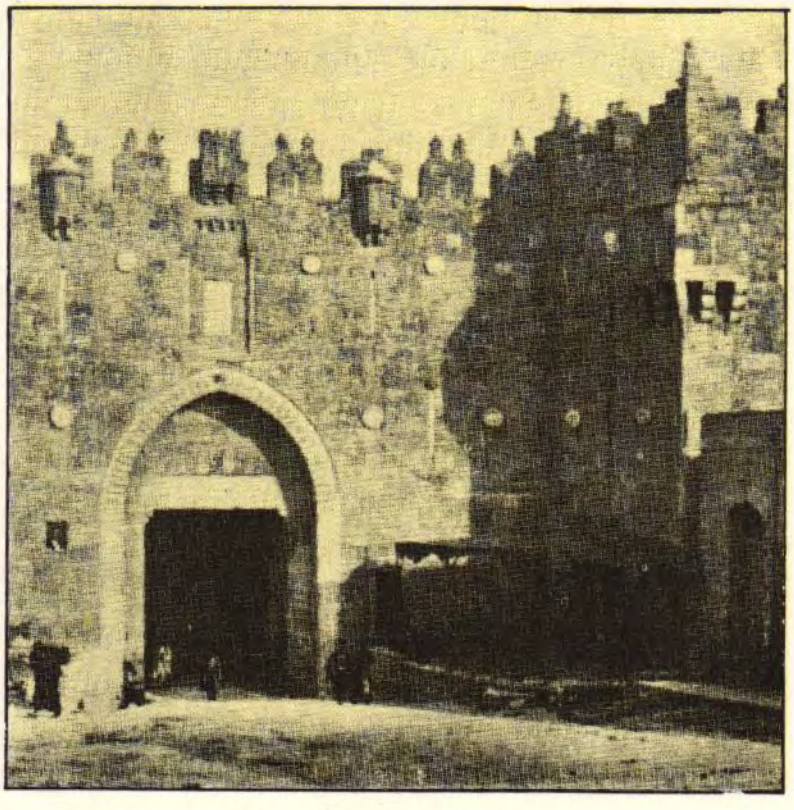
منظـــر فني رائع لأحد جـــدران المسجـــد الاقصى بمدينة القدس

تسليم المدينة ، وكتب لهم عمر وثيقة الأمان التي عرفت (بالعهدة العمرية) ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها .

انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايليا أن يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية . ومن أحب من أهل ايليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم فمن شاء منهم قعد .. وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله .. فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمةالخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

كتب سنة ١٥ للهجرة وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية ابن أبى سفيان .

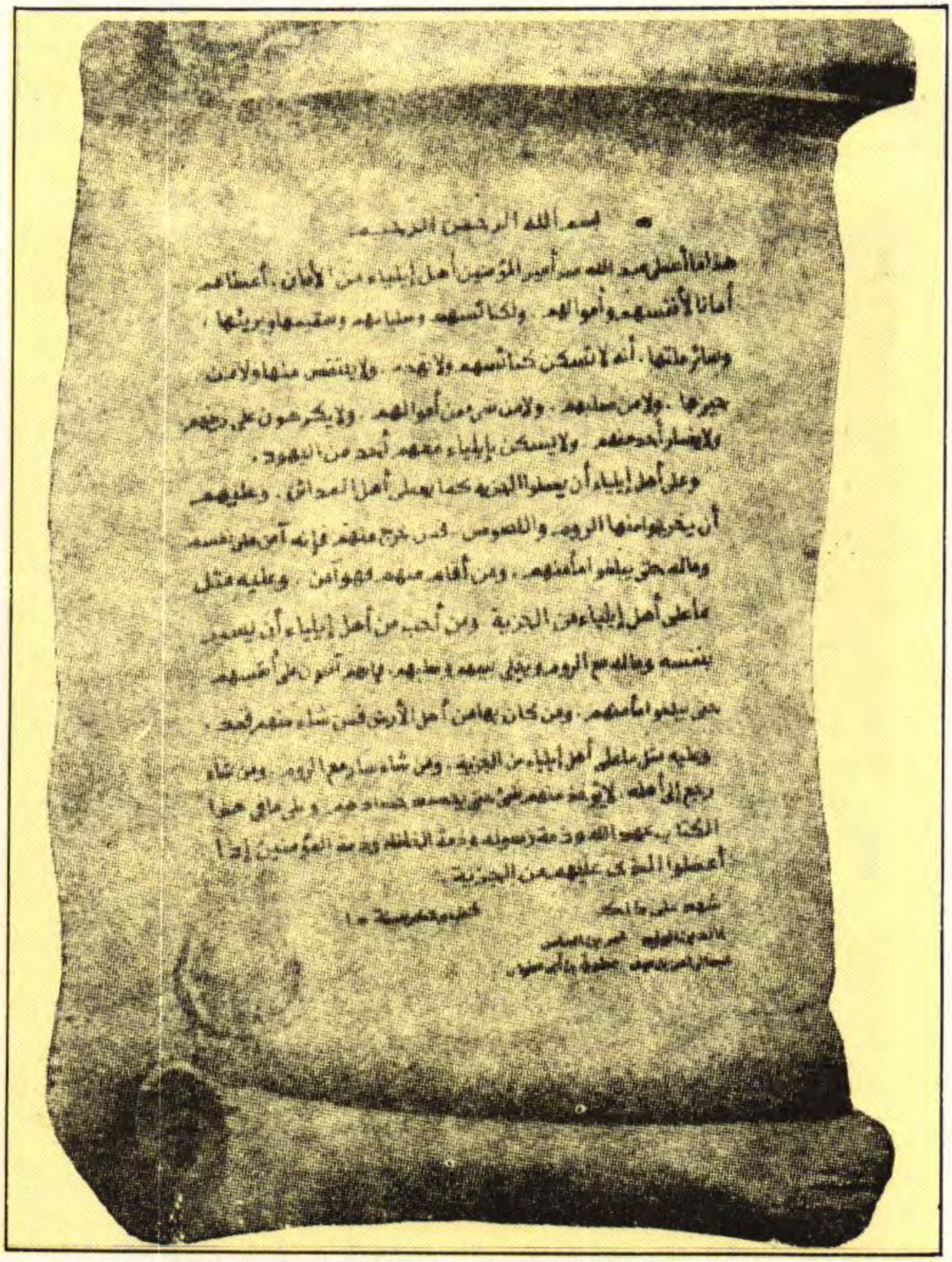


باب النصر الذي دخل منه صلاح الدين مدينة القدس ويعرف بباب العمود .

بنـــــاء المسجد الأقصى :

وزار الخليفة العادل بعد ذلـــك حرم المسجد الأقصى ، وكان المكان خرابا ، تجمعت فيه الاقذار ، فجعل يأخذ التراب بيديه وتبعه الصحابـــة الذين كانوا معه ، وراحوا ينظفون المكان ، حتى برزت الصخرة المشرفة فأمر عمر ببناء مسجد على هـــــذه الصخرة وتم بناؤه عام ٦٣٧ ميلادية.

ومن مآثر عمر بن الخطاب ، انه لما دخل المدينة زار كنيسة القيامة ، وحدث ان حان وقت الصلاة وهـــو بداخلها فأشار عليه البطريـــــــرك صفرونيوس أن يصلي فيها . لكـــن عمر أبي أن يفعل ذلك وخرج مـــن الكنيسة ، وصلى على مقربة منهـــا


بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم
أمانا لأنفسهم وأموالهم . ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ،
وسائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم . ولا ينتقص منها ولا من
حيزها . ولا من صليبهم . ولا من شيء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم
ولا يضار أحد منهم . ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .
وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن . وعليهم
أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه
وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن . وعليه مثل
ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير
بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم
حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد .
وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم . ومن شاء
رجع إلى أهله . لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا
الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا
أعطوا الذي عليهم من الجزية .
شهد على ذلك
خالد بن الوليد عمرو بن العاص
عبد الرحمن بن عوف معاوية بن أبي سفيان
كتب وحضر سنة ١٥

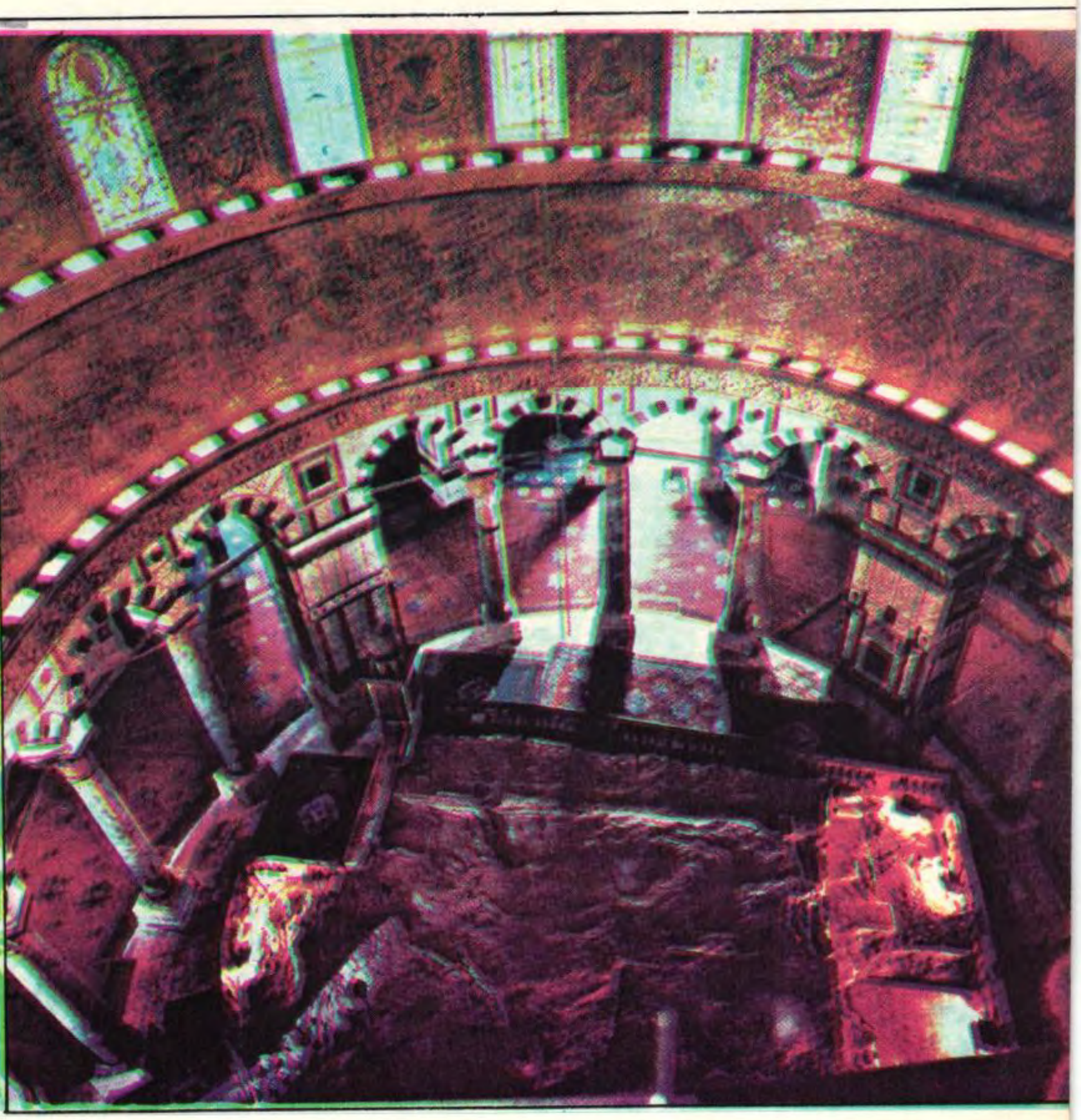
الوثيقـــة العمرية .

خشية أن يتخذ المسلمون صلاتــه داخل الكنيسة ذريعة لوضع يدهــم عليها .

وعندما قام خليفة المسلمــــين بالناس مصليا في القدس خطب قائلا:

« .. يا اهل الاسلام . ان الله تعالى قد صدقكم الوعد ونصركـــم وأورثكم البلاد ، ومكن لكـــم فـــي الأرض ، فلا يكونن جزاؤه منكـــم الا الشكر . واياكم والعمل بالمعـاصي فانه كفر بالنعم ، وقلمـا كفر قوم بما أنعم الله عليهم ، ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط الله عليهم عدوهم » .

ومنذ الفتح الاسلامي للقـــدس ، بقيت القـــدس في أيـــدي العـــرب والمسلمين ، عدا فترة الاحتـــلال الصليبى الغربى الذى ابتـــدأ عام ١٠٩٩ م وانتهى عام ١١٨٧ م ففـــي عام ١١٨٧ **تمكن السلطان صلاح الدين** الأيوبي من فتح مدينة القدس التـــي بقيت تحت الحكم العربى حتى عام ٥١٧ م حينما استولى عليها الاتراك العثمانيون الذين استمر حكمهم حتى

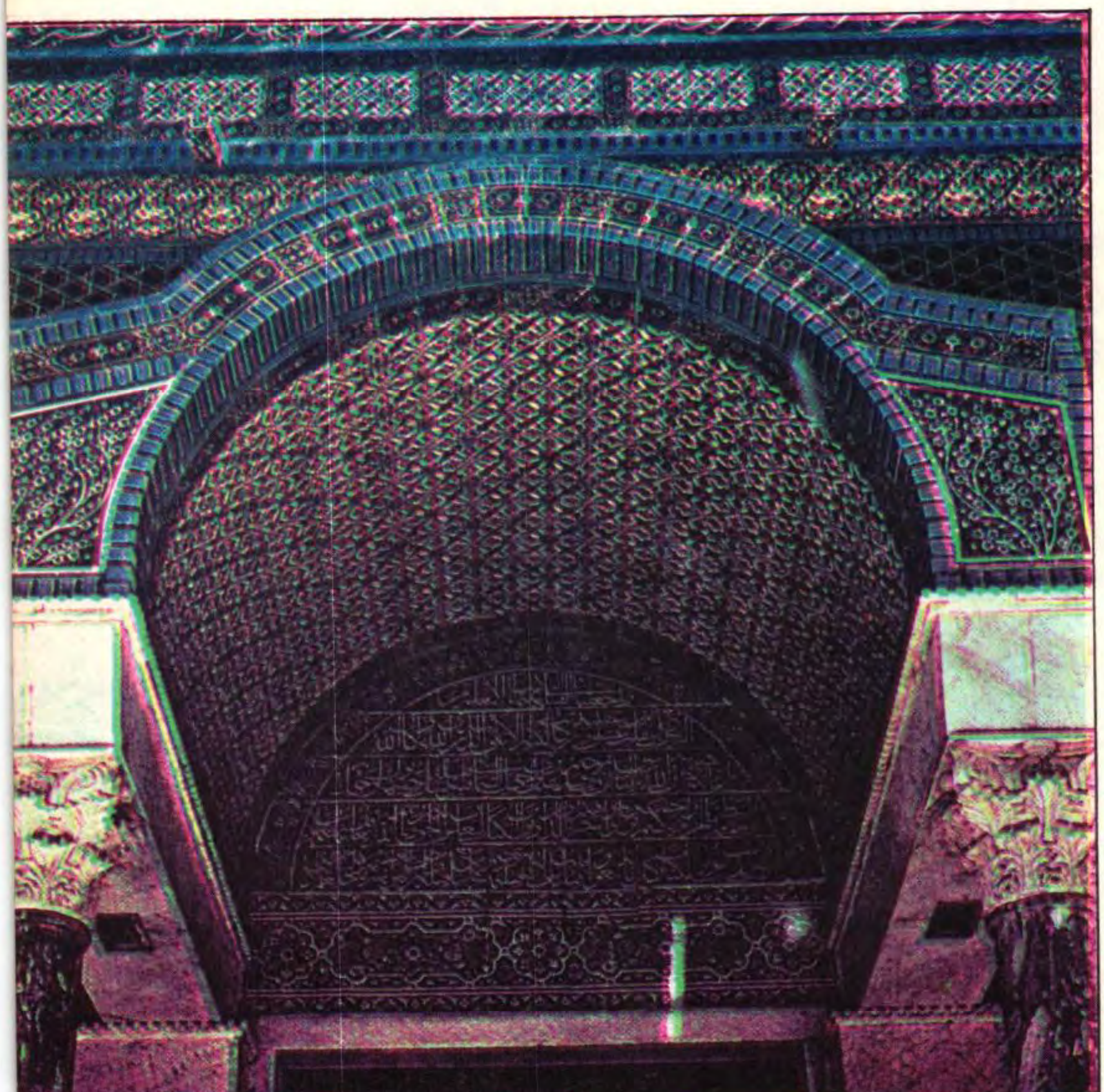


صورة بديعة لجانب من القسم الاسفـــل لقبة مسجد الصخرة المشرفة ويـــرى في اسفل الصورة جزء من الصخرة التـــي بدأ منها المعـــراج الشريف .

عام ١٩١٨ م وعندما احتلت الجيوش البريطانية فلسطين في نهاية الحرب العالمية الاولى ، وبقيت القدس وسائر فلسطين تحت الحكم البريطاني طيلة ثلاثين عاما وضعت فيها البلاد في ظروف سياسية واقتصادية ادت الى انشاء الوطن القومي اليهودي فالدولة اليهودية .

وفي ١٥ مايو عام ١٩٤٨ جلت القوات البريطانية عن البلاد وسلمت المراكز الاستراتيجية فيها الى العصابات الصهيونية مما سهل لليهود احتلال مدينة القدس .

ان هذه الحقائق والوقائع التاريخية تثبت أن اليهود عندما جاءوا الى فلسطين في المرة الاولى من بلاد ما بين النهرين وفي المرة الثانية من مصر وفي المرة الثالثة من جميع أنحاء العالم . لم يجدوا فلسطين والقدس خالية من السكان بل كانت آهلة باصحابها ، رافلة بالحضارة والمدنية وأن وجودهم في البلاد كان طارئا ولفترات متقطعة ولم يتركوا فيها آثارا تذكر . وقد بقيت البلاد محافظة على صبغتها العربية طوال الوقت ●



أحد جدران مسجد الصخرة المشرفة فى القدس الخالدة وهو تحفة فنية رائعة .

المسلمون في قبرص

كانت قبرص وما تزال تشغل العالم بأحداثها .. منذ أن وقع الانقلاب على حكومة الأسقف مكاريوس ، فقد نجح بعض الضباط اليونانيين في الاستيلاء على السلطة وأعلنت (القوات الوطنية!) أن مكاريوس قد قتل ، وأن الجيش قد استولى على الحكم ، وأعلنوا تشكيل حكومة جديدة .. وكان الهدف ضم الجزيرة الى اليونان .. ثم تبين أن مكاريوس ما يزال حيا .. وهرب من الجزيرة .. وفى هذه الأثناء قام ضباط الانقلاب وأعوانهم من اليونانيين باضطهاد المسلمين الأتراك .. وقتلهم .. بل وكانت هناك مذابح جماعية للمسلمين .. ومقابر ضمت العشرات من جثث الأبرياء .. وعندئذ تدخلت القوات التركية لتدفع عن المسلمين القتل والاضطهاد والظلم .. وحتى يعود السلام الى الجزيرة .. وعاد مكاريوس رئيسا للجزيرة .. وبقيت القوات التركية مسيطرة على ثلث الجزيرة حامية لأهلها المسلمين الأتراك .. ثم ما تزال المباحثات والمناقشات حول الجزيرة ومستقبلها تشغل بال العالم ..

وقد اغتنمنا فرصة زيارة الاستاذ حسين محمد أتيشن ــ رئيس الجمعية الاسلامية التركية فى قبرص ــ للكويت فأجرينا معه هذا الحوار حول المسلمين في الجزيرة وشؤونهم وشجونهم .. وضيفنا عضو فى لجنة



اعداد : فهمي الامام

المحادثات بين القبارصة الأتراك واليونانيين التي شكلت لدراسة المشاكل الانسانية .

● قال سيادته : ان الهدف من جولتي فى العالم العربى المسلم هو الاتصال بالمنظمات الاسلامية لشرح أوضاع المسلمين فى الجزيرة القبرصية ، والالتقاء ببعض الشخصيات الاسلامية .. من أجل دعم مسلمى قبرص ومساندتهم ، وقد بدأت جولتى بزيارة الكويت وبعدها سأزور السعودية ، ومصر ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، لأشرح لاخواننا العرب المسلمين أوضاع مسلمى قبرص .

● وحول عدد المسلمين فىالجزيرة قال محدثى :

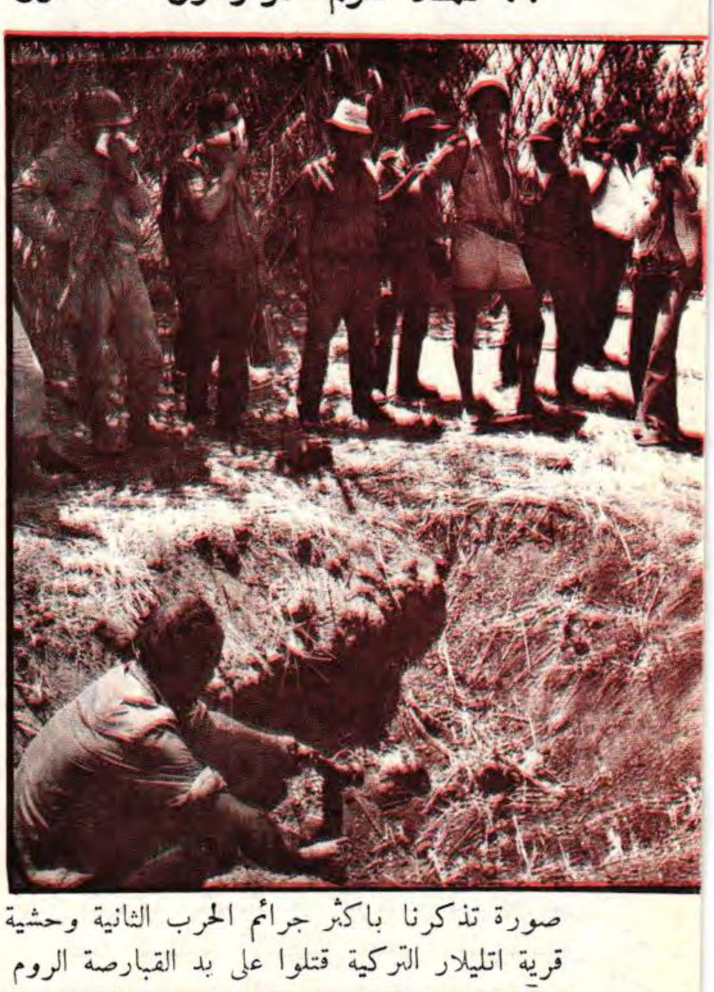
فى القرن الثامن عشر .. كانت نسبة المسلمين ٨٠٪ من سكان الجزيرة .. ثم أخذت تتناقص حتى وصلت الى ٢٠٪ فقط .. وأسباب ذلك يمكن أن نجملهما فيما يلى :

أولا : استأجرت انجلترا الجزيرة عام ١٨٨٠م نتيجة ظروف كانت تمر بها الدولة العثمانية آنذاك .

ثانيا : حاول الانجليز عام ١٩١٤م الحاق الجزيرة بمستعمراتهم .. وقد تم لهم ما أرادوا وسمحوا بهجرة اليانانيين اليها بل وشجعوا ذلك (نلاحظ الشبه بين الوضع فى قبرص حيث شجع الانجليز هجرة اليونانيين اليها ، وبين الوضع في فلسطين حيث

مكنوا اليهود من السيطرة عليها) .
ثالثا : قام الانجليز واليونانيون باضطهاد المسلمين .. ووقعت مذابح ومجازر منذ عام ١٩٣١م ..
وبسبب الاضطهاد والظلم هاجر عدد من المسلمين الى تركيا .. ومن هنا أخذ عددهم يتناقص فى الجزيرة .
رابعا : ثم اتسعت عمليات الاضطهاد للمسلمين من الانجليز واليونانيين فى عام ١٩٥٨م ونشأت منظمة (أيوكا) الارهابية .. والتى ما فتئت تنادى بضم قبرص الى اليونان بعد استقلالها .

خامسا : نالت الجزيرة استقلالها عام ١٩٦٠م .. وحكمها المطران مكاريوس . .وفى عهده وقعت ضغوط اقتصادية هائلة على المسلمين .. فمثلا حرم المزارعون المسلمون



صورة تذكرنا باكبر جرائم الحرب الثانية وحشية . اشلاء ٥٧ شخصا من اهالى قرية اتليلار التركية قتلوا على يد القبارصة الروم و دفنوا فى حفرة جماعية .

الأتراك من السماد .. فضعفت أرضهم ، وضيق عليهم الخناق فى مجال التعليم ، والتجارة .. حتى أضحى المسلم فقيرا وجاهلا .. أما اليونانيون فهم أغنياء الجزيرة والمتسلطون عليها .. ومن هنا هاجر الكثير من الأتراك المسلمين الى تركيا .. وتناقص عددهم فى الجزيرة ..

● وماذا عن نشاط المسلمين والجمعية التى ترأسونها فى قبرص ؟

ان المسلمين فى الجزيرة يحافظون على شعائرهم الدينية .. فالمساجد عامرة بالمصلين ، ويقوم الائمة والعلماء بدورهم فى بث الوعى الدينى بين المسلمين .. وتمدنا تركيا بالأئمة والعلماء وهناك بعثات طلابية الى تركيا للدراسة فى المعاهد الدينية فيها .. وحتى يعودوا الى الجزيرة ائمة وعلماء عاملين فى سبيل رفعة الاسلام والمسلمين .

وللجمعية نشاط ملحوظ فى قبرص يتلخص فى :

١ ــ دعوة بعض العلماء والمفكرين لالقاء محاضرات دينية على مسلمى الجزيرة .. خصوصا العلماء الأتراك .

٢ ــ دعوة بعض الشخصيات غير الاسلامية والتى تهتم بالدراسات القرآنية فربما كان ذلك أجدى لدعوة غير المسلمين الى الاسلام .

٣ ــ قيام الجمعية بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال .. والقاء دروس دينية مناسبة عليهم .

٤ ــ اصدار جريدة (النظام) .. وهي جريدة نصف شهرية .. تهتم بالشؤون الدينية ومعالجة القضايا المعاصرة عن طريق الثقافة

والعلم والمعرفة .

٥ ـ الاشراف على المكتبات الاسلامية .. وتشجيع النشء المسلم على ارتيادها ، والتزود من المراجع المتوافرة فيها .

● وما المشاكل التي يواجهها المسلمون في الجزيرة الان ؟.

بعد القلاقل الأخيرة في الجزيرة .. وما تبع ذلك من تدخل القوات التركية لانقاذ المسلمين .. هاجر الأتراك الجنوبيون الى الشمال .. وكان علينا أن نلبي احتياجاتهم ومطالبهم .. وننشىء مساجد في الأماكن الجديدة التي يتواجدون فيها ونحاول أن نجمع شملنا من جديد .

ولقد فقدنا نصف مكتباتنا الاسلامية .. والتي تقع تحت سيطرة اليونانيين . ثم اننا ما زلنا نعيش آثار المذابح التي قام بها القبارصة اليونانيون ضد القبارصة الأتراك ، وما المقابر الجماعية التي اكتشفت أخيرا الا دليل واقعي على الاجرام اليوناني .

● ثم أبدى ضيفنا رغبته في الاتصال ببعض القادة الاسلاميين في الوطن العربي لشرح آلام المسلمين في الجزيرة واحتياجاتهم .. وحتى يصبح المسلمون ـ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وأكد ضيفنا أن شمس الاسلام ستبزغ على الجزيرة كلها بعد غياب امتد طويلا وسيتولى المسلمون قضيتهم بأيديهم . وما النصر الا من عند الله .



بعد تجربة جميع الوسائل السلمية لم تبق غير وسيلة واحدة وهي طريق القوة العسكرية

مائدة القارئ

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين » (٥١ : المائدة) .

— • —

عن ابى ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الارض .. ؟ قال : « المسجد الحرام » . قلت : ثم أي .. ؟ قال : « المسجد الاقصى » . قلت كم بينهما .. ؟ قال : « أربعون عاما » (رواه البخارى ومسلم) .

— • —

القول اللين ..

تقدم رجل من هارون الرشيد وكان يطوف حول الكعبة . وقال له : يا امير المؤمنين : أريد ان اكلمك فى هذا الموقف بكلام فيه خشونة فاحتمله . فقال الرشيد : لا .. لا .. فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني ليكلمه .. فقال : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى » (٤٤ : طه) .

— • —

انك لست منهم

لما نزل قوله تعالى « ان الله لا يحب كل مختال فخور » (١٨ : لقمان) . اغلق ثابت بن قيس باب داره ، وجلس يبكى ، حتى عرف الرسول بأمره فدعاه وسأله ، فقال ثابت : يا رسول الله ، انى أحب الثوب الجميل ، والنعل الجميل ، وقد خشيت أن اكون بهذا من المختالين .

فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم ضاحكا راضيا :

« انك لست منهم ، بل تعيش بخير ، وتموت بخير ، وتدخل الجنة » .

— • —

الحرب أجدى

والنـــاس ان ظلموا البرهان واعتســـفوا
فالحـــرب أجدى على الدنيـا من السـلم
والشر ان تلقه بالخـــير ضـــقت به
ذرعا وان تلقـــه بالشر ينحســـم

—•—

بين الغلام والخليفة

جاء وفد الحجازيين لتهنئة عمر بن عبد العزيز بالخلافة ، فتقدم غلام للكلام . فقال عمر : ليتقدم من هو أسن منك . فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين ، انما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ثم قال : ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان فى الأمة من هو أحق بمجلسك منك ، فقال عمر : صدقت ، قل ما بدا لك .

—•—

الدولة العادلة والدولة الظالمة

قال ابن تيمية فى أول رسالة الحسبة :

« ان الناس لم يتنازعوا فى ان عاقبة الظلم وخيمة ، وعاقبة العدل كريمة ، ولهذا يروى أن الله ينصر الدولة العـادلة وان كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة وان كانت مؤمنة » .

—•—

تداولوا فى ..

يقال : اجتمع أعضاء مجلس الادارة وتداولوا فى جدول الأعمال .

والصواب أن يقال : تداولوا جدول الأعمال ، دون حرف الجر (فى) لأن (تداول) فعل يتعدى بنفسه لا يحتاج الى حرف جر .

قال تعالى : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (١٤٠ : آل عمران) اى نصرفها فنجعل الدولة لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى .

أصالة الأخلاق الإسلامية

للدكتور عبد الفتاح عاشور

رات الانسانية — فى فترة مشرقة من حياتها — صنفا من الناس لكنه نوع فريد متميز عن سائر الناس .. يمشي على الارض لكنه فى طهر الملائكة .. يفيض خيرا على العالمين .. تتمثل فيه الامانة والرحمة والمودة واللين والقناعة والزهد فى أعراض الحياة .. ويتجسم فيه كل خلق كريم لا يميل مع الهوى ولا ينحرف مع الاباطيل .. ما سر هؤلاء .. ؟

انهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. ان قوة أخلاق هؤلاء وعظمتها نابعة من قوة عقيدتهم وصلابتها ..

ولقد بقى الزاد الذى تزود منه هؤلاء المتقون ثرا غنيا .. وبقى المورد الذى وردوه نبعا صافيا نقيا .. نعم بقى القرآن الكريم وبقيت السنة المطهرة رائدا الحياة الى طريق الله .. لكن المنتسبين الى الاسلام غفلوا عن انفسهم فمرضت ولم تستطع أن تجد حلاوة هذا الزاد ولا أن تستسيغ هذا النبع الصافى فأصبحت حياتهم خواء !!

واضحت العبودية لله كلمة تقال، لا خلقا نابعا من الاحساس بالصلة الوثيقة بين المؤمن وخالقه .. وأصبح الاسلام عادة ، وما فيه من مراسم العبادة وأشكال القربات لله تقليدا للسابقين خاليا من الروح منقطع الصلة عن الفكر المستقيم .

وليت المجتمعات الاسلامية عرفت داءها فرجعت تداويه بدوائه الناجع .. ليتها عادت الى قيم دينها وما فيه من عزة ورفعة !! لكنها — للأسف — فتحت عينيها فهالها ما رات فى العالم الغربى من الوان الحضارة المادية والرقى الاجتماعى ورات فى القوم اعظم ما سمعت اليه الانسانية فى تاريخها الطويل : من الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ، والنزاهة فى المعاملة ، واللطف الذي هو عنوان الصغير والكبير ، والنظام والدقة فى كل شيء .. الى غير ذلك من مظاهر الاخلاق العالية والقيم الرفيعة .. وخيل الى الناس ان هذا الذى يرون هو الواحة الخضراء التى يجب أن تأوى اليها البشرية ..

ونقل المسلمون ما استطاعوا من معاملات القوم ونظامهم وقانونهم وحضارتهم المادية ، ورفضوا — عن عمد أو جهل — مبادىء القرآن وحضارته ونظامه وقانونه)، وعاشوا فى ظلام الوهم والشك ، وجرفهم تيار الفساد الذى استشرى خطره وانتشر ضرره واطبق على العالم فى شرقه وغربه ، وسيطر على الناس واستولى على القلوب .. وتنادى ◀

الجميع ــ على اختلاف أديانهم ونحلهم وأجناسهم ومراتبهم ومنازلهم : هل من حاد يدلنا على الطريق .. ؟ هل من علامات نيرات يصل اليها المركب الضال الحائر ؟؟

ولم يستطع المظهر البراق الخادع ان يزيف الحقيقة طويلا ، وثبت أن اخلاق اوروبا ومن سار فى ركابها : كمن اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم .

ثبت زيف هذه الاخلاق وفساد معدنها وخبث طويتها وانحراف غايتها ..

اذ لو تساءلت : على اى أساس اقيمت هذه الاخلاق .. ؟ ولاى غاية تقصد .. ؟ لعرفت مدى التخلف والتحلل الاخلاقى ، وأن هؤلاء فى حاجة الى من يدلهم على الطريق ، وان ما عندهم من اختراعات سهلت للناس حياتهم وجملتها ما كانت ولن تكون سببا لاسعاد المجتمع وطمأنينة القلب والشعور بالرضا والأمن والسلام ، بل انقلبت مخترعاتهم وسائل هدامة مدمرة للانسان ولحضارة الانسان .. !!

على أى أساس اقيمت اخلاقهم ؟ ولاى غاية تقصد ؟ لعل فى الاجابة على هذا التساؤل ما يبين الهوة الواسعة بين اخلاق وأخلاق .. اخلاق كان من نتائجها ما نرى من سلب الشعوب حقها فى الحرية والحياة ، واعتداء على الآمنين ، وابادة للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وأخلاق اعطت للانسان والمجتمع الانسانى أصدق ما تمنى واكرم ما أراد وفتحت له الطريق فشعر بقيمة استخلافه عن الله ، وحقق وجوده كأرفع مخلوق كرمه ربه واعلى قدره واسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها وسخر له الكائنات فى الأرض والسماء والبحار والأنهار والليل والنهار .

على اى مبدأ اقيمت أخلاقهم ؟ وما غايتها ؟؟ ان أساسها المنفعة ، وغايتها تحقيق هذه المنفعة عن أى طريق : فالصدق خلق محمود اذا ما أدى الى الكسب الاجتماعى والمادى ، والأمانة خلق جميل اذا ما كانت وسيلة لزيادة الثروة والربح ، وهذا التعاون والنظام والدقة فى كل شيء أمام الحفاظ على كيان مجتمعهم حتى يقف قوة تستطيع أن تنقض على من تشاء فى كل وقت .

فاذا ما فرض قانون المنفعة التخلى عن الصدق والأمانة والقيم الانسانية العالية وجدت القوم خونة ينقضون العهود والمواثيق ، وكاذبين ينشرون الفساد فى الأرض باسم النزاهة والبحث العلمى والخدمة الانسانية ، وما هذا الا (الطعم) يوضع للسمك الحائر فى خضم الحياة ، التائه بعيدا عن ربه ، فيأكلونه لحما وعظما ويسلبون الشعوب الآمنة أمنها وحريتها واستقرارها ، وما هذه المصانع والمبانى الضخمة ، وما تلده الحضارة الا بناء اقيم على بحار من دماء الأبرياء والشهداء فى أنحاء الأرض .. !!

فهل تلك الأخلاق تسعد الانسانية ؟ وهل ما تعج به هذه المجتمعات من الوان التحلل الخلقى يمكن أن يقام عليه بناء انسانى سليم ؟ وهل تنتظر الانسانية من هؤلاء خيرا يرفعها من وهدةالشقوة والحيرة .. ؟ أو أنها ستعيش

مذعورة خائفةأمام قنابلهم ومدمراتهم وما اخترعوه من وســـائل الابادة الجماعية للانسان أينما كان ، وكأن حقدا دفينا على كل البشر ســيطر عليهم فانطلقوا مدمرين مخربين !! فاذا ما وجدوا القوة الرادعة عادوا الى المداهنـــة والمراوغة والوعود الكاذبة والتظاهر بأنهم دعاة أخلاق وسلام ، وانهم الأمناء الصادقون ، والبررة الأوفياء، والحافظون لحقوق الانسان فى الحياة الحرة الكريمة ، وسرعان ما ينهار ذلـــك كله أمام الأطماع والشهوات ، وهذا منطـق طبيعى .. اذ كيف نأمل من قـوم اقاموا تعاملهم مع النـــاس على أساس من المنفعة والانتهازية سوى هذا الدمار الشامل الذى لا تحميـه عقيدة رادعة ، ودين يربط الانسان بأخيه الانسان رغم اختلاف الالوان والأجناس والأديان .. ؟

وليس هناك من وجه للمقارنة بين أخلاق غير المسلمين فى الشـرق والغرب تلك التى بنيت على هــذا الاساس المنهار وأخلاق الاســـلام دين الفطرة النقية الطاهرة .. لأن الشقة بين هذه وتلك بعيدة .. بعيدة .. أصيبت الانسانية من جراء من دان بغير الاسلام بتلك النكســات الموجـــعات وعرفت من الأهوال الوانا ، ومن الجبروت أشكالا ومن الضغائن والدماء المراقة ظلمـــا وعدوانا ما لم تعرفه فـي تاريـــخ وجودها فى هذه الحياة .. وتذوقت طعم السلام بدخول حملة النور من أتباع محمد صلى الله عليه وســلم واستراحت من عناء الضـــلال والظلام وانفتحت عيناها على الضياء الهادى ، فدخل من دخل فى الاسلام عن حب واقتناع دون رهبـــة أو خوف ، وبقى من بقى على دينــه محاطا بالحماية والحفاظ على نفسه وعرضه وماله فى ظل هؤلاء البررة الصادقين الأوفياء ، ورأت الانسانية شيئا جديدا لم تعهده فى حياتها من قبل .. رأت قوما زهدوا فىأعراض الحياة ونظروا الى اخوانهم من بنى الانسان فوجدوا قياصرة وأكــاسرة وحكاما ظالمين يحولون بين اخوتهـم فى الانسانية والحياة التى يجب أن يحياها البشر فباعوا أرواحهم فداء لتحرير اخوتهم واسقطوا معـــاقل الظلم فى كل مكان وفتحوا الطريق أمام الانسان ليرى بنفسه هذا الدين وكيف يبعث الحيـــاة فى الأموات فيتحركون فى قوة يعمرون وجـــه الأرض كما أراد الله وأمر ، فبدت الانسانية فى مظهرها ومخـــبرها وحدة متماسكة تجمع بينها الفــكرة وتحفظها قوة الاسلام وعقيدةالمؤمنين به .. يقول الاســتاذ مسينون : للاسلام ماض بديع فى تعـــاون الشعوب وتفـــاهمها ، وليس من مجتمع آخر له ــ مثلا ــ ما للاسلام من ماض كله نجاح فى جمع كلمــة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتبـــاينة على بساط المســـاواة فى الحقوق والواجبات .. ولقد برهنت الطوائف الاسلامية الكبرى فى أفريقيا والهند الشرقية والجماعات الصغيرة منهم فى الصين واليابان على أن الاسلام يستطيع أن يوفق بين العناصر التى لا سبيل الى التوفيق بينها .

فاذا ما أريد احلال التعاون محل الخلاف بين المجتمعات فى الشـــرق والغرب فان وساطة الاســـلام ضرورية لا غنى عنها فهو وحـــده

الكفيل بحل المشكلة التى تواجـــــه أوروبا فى علاقتهـــا مع الشرق .. فاذا اتحدا عظم الأمل فى أن تكـــون النتيجة ســـــلاما ، أما اذا رفضت أوروبا معاونةالاسلام والقت بنفسها فى أحضان خصومه فان العاقبة لا يمكن ان تكون الا نكبة لهما معا(١) .

وهذه أخلاق الاسلام شـــــامخة باسقة الأغصان .. تراها منثورة فى كتاب الله الخالد تدعو الى أرفع خلق وأنبل قصد ، تدعو الىالصفح الجميل الـــذي لا عتــــاب فيــه : « فاصفح الصفح الجميل » (٨٥ : الحجر) .

والى مقابلة السيئة بالحســـنة ، وهذا أعظم ما وصلت اليه الانسانية فى تاريخها من كرم الخلق ، والقرآن — فى تربيته — لا يوجه بذلك أمرا كسائر الأوامر انما يفتح أعمـــــاق النفس ويأخذ بقيادها الى الاستجابة لندائه . فيقارن بين الحســـــــنة والسيئة ويبين عاقبـــــة العفـــــو والاحسان فى واقع الحياة ويجعـــل من تمسك بذلك رفيع القدر صاحب حظ عظيم ، جاهد نفسه وشيطانه وانتصر عليهما فاستحق رضوان الله .. يقول القرآن : « ولا تســـتوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٣٤ ، ٣٥ : فصلت) .

وتدعو أخلاق القـــــرآن الى بر الوالدين : وتستثير عطف الأبنـــــاء ومودتهم ببيان حال العجز والـــكبر والاحتيـــاج .. وتعرف الأبناء كيف تكون مودة آبائهم وأمهاتهم .. وذلك اذ تقول الآيات : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شـــــــيئا وبالـــوالدين احســـــانا .. » (٣٦ : النساء)

« وقضى ربك ألا تعبـــدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربارحمهما كما ربيانى صغيرا، ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا » (٢٣ — ٢٥ الاسراء) .

وهل رايت دعوة الى الادخـــــار والاقتصاد أثمرت ثمرتها وآمن بهـــا الأفراد كدعوة القرآن أتبـــاعه الى ذلك .. ؟

انظر اليه وهو يجعل المبـــذرين اخوان الشياطين ويصـــــور حال المسرف أو المقتر والكل يلومه وهو يتجرع كأس الحسرة والعجـــــز : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (٢٩ : الاسراء) .

وهذه دعوته الى الثقـــة فى الله والامتناع عن قتل الأولاد لأن الله هو الرزاق .. وكما رزق الآباء فسيرزق الأبناء : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (٣١ : الاسراء) .

« ولا تقتلـــوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم .. » (١٥١ : الانعام) .

ومجتمع الاسلام مجتمع عفيـــف طاهر بعيد عن دنس الشهوات .. وهو يعلم أن طريق الزنا كله فحش وضياع وهو طريق سيىء لا يوصل الى خير .. انهذا المجتمع يستجيب لنداء الله الذى نهاه عن الاقتراب من تلك الجريمة البشعة فقال : « ولا

تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا .. » (٣٢ : الاسراء) .

وكيف يقارف فرد فى هذا المجتمع المسلم تلك الجريمة وقد تعلم العبودية لله وحده .. وعباد الله العارفون به لا يتعدون حدود الله « ولا يزنون .. ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما .. » (٧٠ : الفرقان) .

كما أن أخلاق القرآن تقوم على حرمة النفس البشرية والمحافظة عليها ، وحين يفلت الزمام فيقع اعتداء عليها تمسك هذا الزمام وتجعل للدم الذى أريق احترامه وتقديره وتوقع على الجانى العقوبة التى يستحقها وتحول بذلك بين استنزاف الدماء واثارة البغضاء .. يقول القرآن : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا .. » (٣٣ : الاسراء) . ويقول : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما ، ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما » (٩٢ ، ٩٣ : النساء) .

واذا كان القرآن قد حرم الاعتداء على النفس الانسانية فانه قد جعل من أخلاقه تقدير حاجة الضعاف وعدم الاعتداء على حقوقهم ، وحين يربى أجيالا على مثل هذه الصفة يضع لها الدعائم القوية ويستجيش مشاعر الانسان فى حب البقاء الذى يراه متمثلا فى أبنائه .. لذلك ينهى عن الاقتراب من مال اليتيم .. الا اذا كان فى ذلك حفظا لماله وتثميرا له .. « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده .. » (٣٤ : الاسراء) .

ويذكر الانسان بأولاده وأنه ربما كانوا أيضا يتامى .. فمن لهم .. ؟؟ « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا .. » (٩ : النساء) .

ويجعل أكل مالهم نارا فى البطون وطريقا لعذاب السعير : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .. » (١٠ : النساء) .

والوفاء بالعهد مظهر لكل من دان بالاسلام ، والقرآن حين يدعو الى ذلك يربط الانسان بخالقه ويذكره بالمسؤولية أمام ربه : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون » (٩١ و ٩٢ :

النحل) « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » (٣٤ : الاسراء) .
ومن الوفاء بالعهد : الوفاء بالكيل، والوزن بالقسطاس المستقيم ، فذلك برهان على حسن الطوية وعنوان على مدى التزام مبادىء القرآن : اذ ان من خاف أن ينقص حبات من كيل أو دراهم من وزن لا يمكن أن يفرط فى تعاليم دينه وقرآنه .. يقول القرآن : « وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير واحسن تأويلا .. » (٣٥ : الاسراء) .
والويل كل الويل لمن طفف : « ويل للمطففين .. الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟؟ » (من ١ — ٦ سورة المطففين) .
واخلاق القرآن تصل الى قمة السمو البشرى حين تجعل كل عضو من اعضاء الانسان محاسبا عما عمل ، ومن هنا كان لا بد للمسلم من التثبت واليقين والعلم قبل الاقدام على اى امر : « ولا تقف ما ليس لك به علم .. ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » (٣٦ : الاسراء) .
وهذا خلق التواضع يقدمه كتاب الله فى هذه الصورة المشرقة التى تذكر الانسان بضعفه وعجزه ، وأن هناك فى هذا الكون ما هو اعظم منه وأقوى : « ولا تمش فى الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » (٣٧ : الاسراء) .
بر الوالدين ، والعطف على البائسين ، والاعتدال فى الانفاق ، والثقة فى فضل الله ورزقه ، والابتعاد عن الفواحش ، ورحمة الضعفاء واليتامى ، والبعد عن الاستغلال ، والوفاء بالعهود ، والعلم قبل العمل ، والتواضع ، وغير ذلك من أخلاق الاسلام التى لا يسعها هذا المقال سردا للآيات وبيانا لما تحمل من معانى السمو والرفعة .. انما هي اشارات على الطريق تبين عمق الأخلاق الاسلامية واصالتها وأنها منهج متكامل يرتفع بالانسانية الى المستوى الربانى الرفيع .
وهذه وصايا لقمان لابنه توجيه الهى الى ثبات تلك الاخلاق وامتداد جذورها فى أعماق الوجود الانسانى ، وأن المؤمن فى التزامه بها يحس أن هذا ما تعارف عليه الانبياء وأصحاب الرسالات وأتباعهم فيشعر بأصالته وقوة الحق الذى بين يديه .. والقرآن الكريم يدعو الى التحلي بهذه الأخلاق والوفاء بها بعزم وقوة .
أرايت اخلاق القرآن .. ؟ هل هناك ما يقاربها .. ؟ ان الميزان الذى أقيمت عليه لا يخطىء أبدا ، وهذا سر سموها وعظمتها .. يقول العقاد — عليه رحمة الله : مصدر الأخلاق الجميلة هو : عزم الأمور . كما سماه القرآن الكريم ، وهو مصدر كل خلق جميل حثت عليه شريعة القرآن الكريم ، فالشخصية الانسانية فى الجمال الاخلاقى كلما ارتفعت فى الاستعداد (للتبعة) ومحاسبة النفس على حدود الأخلاق وليس للتفاوت فى جمال الخلق مقياس أصدق من هذا المقياس ولا

أعلم منه فى جميع الحالات ، وفى جميع المقابلات بين الخصال المحمودة أو بين أصحاب تلك الخصال ، فالصبر ، والصدق ، والعدل ، والاحسان ، والمحاسنة ، والأمل ، والحلم ، والعفو ، هى مثال الكمال الذى يطلبه لنفسه من يزع نفسه ويختار لها احسن الخيرة ، ويأبى لها أن تهبط بها مكانا دون مكان الجميل الكامل من الخصال ومن الفعال : « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » (من سورة الشورى) « فاصبر على ما يقولون .. » .

« وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق .. » (٨٠ : الاسراء) .

« .. والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (١٧٧ البقرة) .

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (٩٠ : النحل) .

« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا .. إعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » (٨ : المائدة) .

« .. لا تقنطوا من رحمة الله » (٥٣ : الزمر) .

فهل تسعد الانسانية بغير تلك الأخلاق .. ؟

وهل يستطيع أحد أن يضع أخلاق النفعيين والملحدين والمعتدين والآثمين موضع المقارنة مع أخلاق القرآن الا أن يبين الفرق الشاسع بين أخلاق .. وأخلاق .. ؟

---

(١) اركان الاسلام الخمسة واثرها فى حياة الافراد والجماعات د. يحيى الدرديرى ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

على هامش

وحدى مع الليل بل وحدى مع الأرق ... حيران انزف آلاما على الورق
اقلب الفكر تحت الليل مرهفة ... فى صمته اننى .. فى جنحه حدقى
لا شيء فى شاطىء الأفق البعيد سوى ... نجم بعيد تبدى راعش الألق
طال السفار به مثلى .. وافزعه ... ظل الدجى فاحتمى فى خيمة الأفق
كانه بل كانى زورق نزق ... رمى به قدر فى لجة القلق
ناء عن الشط موهون الشراع ولم ... تعد بمجدافه الواهى سوى رمق
ايان يرسو ؟ وهذا الليل فى حنق ... لفت عباءته الشطآن بالغسق
واين منه صباح بات ينشده ... وراح يرصده فى ظلمة الطرق ؟
يا رائد الفجر آن الفجر فى سنة ... فان توانيت لم ينهض ولم يفق
عبىء له العزم واهتف ملء مسمعه ... لا بد لليل مهما طال من فلق

— • —

فى خاطر الليل فى مسرى كواكبه ... خط الزمان عريق الذكريات به
سفرا ترى الكون سطرا من صحائفه ... وتبصر المجد فصلا من جوانبه
كان السنا كلما فى عين قارئه ... كان السنا قلما فى كف كاتبه
تلك النجيمات .. تروى عن ملاحمه ... عبر السنين وتحكى عن تجاربه
وقائع .. وقف التاريخ يكبرها ... بل يكبر الحق فى عليا مواكبه
فى ليلة لو اراد الدهر مفخرة ... كانت ــ وما برحت ــ اسمى مناقبه
طاف الهدى بحواشي الليل مغتبطا ... يرقرق النور للهادى وصاحبه
هذا نبى الهدى تاه (البراق) به ... وذاك (جبريل) حاد فى ركائبه
حتى احتوى (المسجد الاقصى) رحالهما ... فاديا للمصلى بعض واجبه
كان الملائك جندا فى حراسته ... والأنبياء ضيوفا فى مآدبه

الاسراء

للاستاذ محمد التاجى

حاشى لذكراك يا اسراء نسيان ... فانت انت لسفر الحق عنوان
ذكراك بالأمس كانت فى فمى نغما ... واليوم .. ذكراك آهات وأشجان
فى اضلعى ثورة ضجت فضج دمى ... حقدا .. وثار وراء الصدر بركان
سهم أصاب من العلياء مقتلها ... غدرا .. ودمع بجفن الحق هتان
لكل فاجعة فى الدهر سلوان ... وما لفاجعتى فى (القدس) سلوان
هذى مآذنه خرساء ذاهلة ... فلا اذان . .ولا فى الناس آذان
بكى المصلى جباه الساجدين به ... وناح فى جانب المحراب قرآن
بيت مشى امس فى ساحاته (عمر) ... فكيف يمرح فيه اليوم (ديان)
الويل للشرق ان لانت سواعده ... او عاثه دون نصر (القدس) خذلان
دع كل صوت سوى الهيجاء ناحية ... فكل صوت سوى الهيجاء بهتان

— ● —

لا كنت يا شرق يوما للكرام حمى ... ان انت لم تنفجر فى غضبة حمما
ان انت لم تدع الأجواء صاعقة ... والأرض نارا ولجى البحار دما
تابى العروبة ان تلقاك منتسبا ... لها .. ولم تنزل الأهوال مقتحما
هذا عرينك .. لكن اين هيبته .. ؟ ... والليث ليث فتيا كان ام هرما
فيم الوجوم .. تقدم غاضبا حنقا ... عبرالخطوب .. وزمجرصاخبا عرما
كالسيل منطلقا كالويل مستبقا ... كالليل محتدما كالنار ملتهما
على الليالى على الأيام فى ثقة ... نقل خطاك .. والا فابتر القدما
هى الوغى .. قد رضينابالوغىحكما ... حتى نرى حائط الطغيان منهدما
حتى نرى القدس حرا فى عروبته ... وينصر الحق حول القدس مبتسما

قصة مسرحية :

القتل

الزمان : الثلاثاء لسبع عشرة مضت من جمادى الاولى ٧٣ هـ .
المكان : مكة . بيت عبد الله بن الزبير ، الداعيةالى نفسه بالخلافة .
المنظر : ساحة بيت . شيخان على اريكة ، واجمان ، مكتئبان .

— • —

ابو سعد : تسع سنوات ، منذ أن دعا عبد الله بن الزبير الى نفسه بالخلافة على المسلمين ، والتحديات ، والحملات الضارية المكثفة ، تلاحقه بلا هوادة .. واخيرا ها هو (الحجاج) يشدد على مكة الحصار ، و .. ولكن ذلك كله : لا يوهن من عزم عبد الله ، ولا يثنيه عن صموده .

(تسقط عليهما — من عل — حجارة ثقيلة ..)

(يهبان فزعين اتقاء الاصابة ..)

ابن رباح : يا للهول ! .. استأنف جند الحجاج تذف المنجنيق ، من اعالى جبال مكة .. ! ماذا لو سمع ابن الزبير لراينا ، وعمل بنصحنا .. ؟ يعز والله علينا ان نعود الى القوم ، بغير القرار الوحيد ، الذى يرقبون .. ! سنقول لهم اننا اخفقنا فى اقناعه بالعدول عن هذا العناد . وليس من أمل فى أن يؤدى اصراره هذا الى شيء .. !

(يدخل حمزة وخبيب ، ابنا عبد الله بن الزبير)

(.. يحييان الشيخين ..)

حمزة : ماذا انهى اليهما فى قراره الأخير .. ؟

خبيب : اخبرنا برايه النهائى .. فقد حم القضاء ، حتى لم يعد يجدى فيه دواء ..

ابن رباح : الاباء ، الاباء .. !

ابو سعد : لا تراجع ، لا تخاذل ، لا انثناء .. ! هاكما نص القرار .. !

حمزة : ان منظرا اليما : ابكانا — انا واخى — منذ قليل ..

خبيب : اجل .. الحجارة تسقط على ابى ، وهو فى سجدة الصلاة ، دون أن يعيرها ادنى انتباه ..

(يسمع بكاء طفلة من الخارج ، ويدخل رجل)

(وطفلته الباكية فى يده ، صائحا بحدة وانفعال)

أحسن !

للأستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

الرجل : الغوث يا ابن الزبير ! .. (يتلفت حوله ، ثم يعود الى الصياح) اين هو ؟! .. اما لهذا الضيق ، والبلاء المستفيض ، من آخر .. ؟!

صوت عبد الله : يا هـــذا ! .. (يدخل) .. ماذا ارى ؟! .. كفـــى يا صغيرتى عن هذا البكاء ..

الرجل : الحصار يا عبد الله ، اكل الأخضر واليابس . انى خلفت ورائى ام هذه البائسة : تحتضر وهى تتضور جوعا ! .. ف .. من اجلنا ، هلا قبلت الـ .. ! اقبل الرضوخ ، و ...

عبد الله : (يقاطعه صارخا) خسئت ! .. بئس ما قلت ! .. لسنا نريد هذه النغمة المتخاذلة تتفشى بيننا ، يا هذا ! .. الا فليسمع الحجاج الثقفى ، وطارق بن عمرو ، وليهنآ بتواكل وهوان بعض النفوس ! .. (ينادى جانبا) .. أماه .. يا أم عبد الله ..

(تدخل امه .. اسماء بنت أبى بكر)

الأم : اناديتنى يا عبد الله ؟

عبد الله : أمى ! .. ان الخور ، كما ترين ، يتسرب الى مزيد من الناس ! .. خذى يا أماه هذا الرجل وابنته .. اطعميهما واجزلى عطاءهما ، وليتولنا الله برحمته ..

الأم : تعاليا معى ، واعتصما بالصبر .. (يخرجون) .

عبد الله : (للشيخين) وانتما !! .. لا تزالان هنا !! .. اما ســـمعتما قرارى ؟! .. ففيم بقاؤكما ؟!

حمزة : دعهما يا أبت قليلا .. نحن أبقيناهما ، لنتحدث ثانية فيما جاءا من اجله ..

خبيب : حقا ..

عبد الله : ماذا ؟! .. ما الذى يعنيه هذا ؟! .. هل وصل مد الخـــور والنكوص اليكما ، انتما ايضا ؟! .. كانت كلمتى هى : الصمود . الدفاع للنهاية ، ولنمت كراما ..

أبو سعد : يا ابن الزبير ثق من ولائنا لك ، وتعضيدنا اياك .. ولـــكن

فلتعلم أن بقية الجنود يرون الكف عن قتال لم يعد ثمة طائل وراءه .. !

ابن رباح : فقط هم ينتظرون قرارا منك بذلك ، ليتوقفوا عن المقـــاومة اليائسة باذنك . بحكم ينطق به لسانك .

عبد الله : ليقطع لسانى ، ان هو نطق بشيء كهذا .. !

حمزة : اننا منتصرون يا أبى ، اذ : ما النصر ان لم يكن هو البذل ، فى سبيل الكرامة والعزة، بما فوق طاقة البذل .. ؟ قاومنا وصمدنا بما فوق الجهد والطاقة .. ان صمودنا الباسل لكل هذه الجحافل ، وتحملنا آثار الحصـــــار الفادحة ، طوال الشهور السبعة : ليس بسيطا ، ولا هو بالشيء الهين . ان عبد الملك بن مروان يمد الحجاج بالمدد ، تلو المدد ، دون توقف ، وبغــــير حساب .. !

خبيب : حين تغلب الحجاج على عمى (مصعب) ، فقتله وابنه : انكسرت شوكتنا ، التى كانت تخز الحجاج ، وتعرقل زحفه !

عبد الله : يالبئس ما تسمع أذناى ! .. أى ابن انت ؟!

أبو سعد : اصـــغ الى صـــــوت العقل يا عبد الله .. ذلك كل ما فى استطاعتنا قوله ! .. هيا بنا يا ابن رباح .. !

(يخرج الشيخان)

عبد الله : (لولديه) صارحانى .. ماذا تريان أنتما ؟!

حمزة : الرأى ما ترى يا أبتاه ..

خبيب : بل الرأى ما يفرضه الموقف العصيب ..

عبد الله : هل نسيتما كيف قاتل عمكما (مصعب) ، حتى آخر قطرة من دمه ، على الرغم من أن موقفه كان ــ هو الآخر ــ عصيبا ؟!

حمزة : ما نسينا ، ولكن ..

عبد الله : .. ولكن ، تؤثران السلامة مع الهوان ! .. لقد حاول عبد الملك ابن مروان أن يجعل أخى ــ مصعبا ــ يتخلى عن دعوته لى ، ولوح له بـــكل المغريات .. فرد عليه مصعب فى حسم وشموخ : « بل السيف بيننا » وواصل القتال . هكذا يكون سلوك الرجال .

خبيب : لم ننس .. فقط .

عبد الله : ان (مصعب) الأبى . لم يتوقف عن القتال ، حتى بعد أن قتل ابنه عيسى . لم يكف حتى بعد أن ضاقت حوله الدائرة ، وقال له عبد الملـــك بنفسه : « انه يعز علي أن تقتل يا مصـــــعب ، فاقبل أمانى ، ولك حكمك فى المال والولاية » ! .. أذهلت عبد الملك بسالة عمكما ، مصـــــعب ، أخى .. وأشار اليه فى ساحة الوغى ، قائلا فيه بكل الاعجاب : هكذا كما قال الشاعر :

ومدجج كره الكمـــــــاة نزاله
لا ممعن هربا ولا مســــــتسلم

نسيتما ذلك ، وغيره ، وأصابكما داء البوار ، والانهيار .. !

حمزة : ولكن يا أبى ..

عبد الله : مهلا .. ان ابن مروان بعد أن أسقط ــ بكثرته ــ (مصعب) فى الميدان : فارسا صنديدا شهيدا ، نزل اليه ، يحتوى رأسه النبيل بين يديه ، ويخاطبه باكيا : « كانت والله الحرمة بيننا قديمة ، ولكن هذا الملك عقيم » ! ،

ثم علا نشيجه وهو يهدهد الرأس الكريم ، المخضب بالدم الغالى الزكى ، محييا بقولته الشهيرة : « متى تلد قرشية مثلك » ؟ . هكذا يا ولدى يكون الموت فى مفهومنا . الموت فى عرفنا ينبغى أن يكون ، رفيعا ، باسلا ، ناصعا . فى أوجز نعت : موتا عربيا ، وكفى .

خبيب : لكن الحصار طال .. وتفاقم .

عبد الله : لنحسم هذا الموقف . من جانبى لن اتراجع .. وانى لتواق انى لقاء الموت فى ميدان الشرف .. فقررا لنفسيكما ما تشاءان .

حمزة : حاشا يا أبت أن ..

عبد الله : اذهبا . انى آذن لكما : ان تتخذا الوجهة التى تروقكما .

(يخرجان باكيين . تتعالى الصيحات ، والهتافات الحماسية المدوية)

(فى الخارج . تسقط حجارة جديدة اشد عنفا وكثـــافة . تدخل أم)

(عبد الله : اسماء ، ذات النطاقين . تقف قباله . يحدقان فى بعضهما)

(البعض قليلا فى صمت بليغ . ثم) :

الأم : عبد الله ! .. اجمع شتات نفسك ، وقرر ـ لآخر مرة ـ ما تراه .. اشتدت ضراوة الهجوم ، وتخلى عنك الكثيرون ، فماذا أنت فاعل .. ؟

عبد الله : أماه .. خذلنى الناس ، حتى ولدى ، واهلى ، فما رأيك ؟

الأم : انت يا عبد الله أعلم بنفسك .. « ان كنت تعلم أنك على الحق ، واليه تدعو ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك » .

عبد الله : ذلك ماأعلمه يا أماه ..

الأم : وان كنت انما أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ! .. كم خلودك فى الدنيا ؟ .. القتل أحسن .

عبد الله : لا أخشى الموت الشريف يا أماه .. انى ـ صدقينى ـ لأعشقه واهواه . أخشى ، فحسب ، أن يمثلوا بى بعد قتلى ، ويصلبونى !

الأم : يا بنى .. « ان الشاة لا يضيرها سلخها ، بعد ذبحها » !

عبد الله : أرحت فؤادى المكدود ، يا أمى العزيزة . انى ما احببت الحياة ، علم الله ، الا : نبيلة ، نقية ، كريمة . الا ما أشهى الموت ، واعذبه ، فى حومة الصدام ، تحت راية الحق .

الأم : فاخرج ، وانظر ما يصير اليه أمرك .

عبد الله : ها انذا يا أماه أخطو على الطريق : راضيا ، هانئا ، مشتاقا . سألقى الموت بالشكل اللائق بابنك ، وبكل ذى مبدأ ورسالة . سأموت الآن كما ينبغى أن يموت عربى ، فلا تدعى لى الدعاء يا أمى .

الأم : لا ادعه لك ابدا ..

ينحنى مقبلا يدى أمه ، ثم يشد قامته ، ويخرج بثبات ، شامخ الهامة ، رافع الرأس مسرع الخطو ، مشرق الجبين . تشيعه الأم الجليلة بحنـــان واعجاب ، ثم ترفع عينيها وكفيها الى السماء ، وهى تقول بهدوء ، وايمان ، ويقين ..

اللهم سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فيه ثواب الصابرين الشاكرين .

(ستار)

الفتاوى

التشاؤم

ان لى صديقا يجاورنى في السكن وكثيرا ما تحدث لى حوادث ضارة بى وبأسرتى عندما يزورنا أو يطلع على ما نشتريه من أطعمة أو أمتعة وأصبحنا نتشاءم منهفما رأى الشرع فى ذلك ؟

الجواب :

التطير والتشاؤم ببعض الأشخاص أو الأمكنـــة أو الأزمنة مـــن الأوهام التى راجت سوقها قديما ولا تزال رائجة عند بعض الجماعات والأفراد . وكان فرعون وقومه اذا أصابتهم سيئة يطيرون بموسى ومن معه ، وكثيراً ما كان الكفار حينما ينزل بهم البلاء يقولون لرسل الله اليهم (انا تطيرنا بكم) وكان جواب هؤلاء المرسلين (طائركم معكم) أى سبب شؤمكم مصاحب لكم وهو كفركم وعنادكم وعتوكم على الله ورسله ، اعتقادات شتى جـــاء الاسلام وأبطلها وردهـــم الى النهـــج العقلى القويم وقال (لا عدوى ولا طيره) واثبت ان هذا التشاؤم قائم على غـــير أساس من العلم أو الواقع الصحيح وانه انسياق وراء الضعف وتصديق للوهم والا فما معنى أن يصدق انسان عاقل أن النحس في وقت معين أو مكان معين أو رقم معين أو ينزعج من صوت طائر أو حركة عين أو سماع كلمة ؟ فلا ينبغى أن تظلم جارك واعلم أن كل شيء من عند الله وبيد الله وان التشاؤم لا يجيزه ولا يقبله العقل .

الصـــوم

كيف يقدر زمن الصوم فى البلاد التى يطول نهارها ويقصر ليلها ؟

الجواب :

اختلف الفقهاء فى التقدير فى البلاد التى يطول نهارها ويقصر ليلها . والبلاد التى يقصر نهارها ويطول ليلها على أى البلاد يكون ؟

فقيل يكون التقدير على البلاد المعتدلة التى وقع فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على أقرب بلاد معتدلة اليهم كما جاء فى كتاب فقه السنة .

أوراق اليانصيب

ما رأى الشريعة الاسلامية فى أوراق اليانصيب التى يخصص ريعها للعمل الفدائى ؟ وهل يصح تخصيص ريع تذاكر الاحتفالات للعمل الفدائى ؟

الجواب :

معلوم أن اليانصيب وسائر ألعاب الحظ والصدفة التى يقصد بهـــا

الحصول على الربح محرمة شرعا وهى من اكل أموال الناس بالباطل ، والعقد الذى يقع عليها عقد لاغ لا يعتد به شرعا ، والمال الذى يخسره المشتركون يحق لهم المطالبة به واخذه ومن اخذ من الربح شيئا حرم عليه ووجب رده الى أصحابه .

وذهب الفقهاء الى أن اليانصيب حرام حتى ولو كان الغرض منه تمويل مصلحة عامة او مؤسسة خيرية أو لتمويل الجهاد فان كل طيب لا يقبل الا الطيب وقد أمرنا الله بالأنفاق فى سبيله من طيبات ما نكسب .

واذا كان اليانصيب لونا من الوان القمار والميسر فما يأتى عن طريقه يعتبر محرما شرعا ، وقد قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ..**) .

هذا ولكثرة ما عانت اوروبا وامريكا من مفاسد نظام اليانصيب بدأت منذ القرن التاسع عشر في محاربته وتضييق دائرته واعتبرته عملا غير قانونى مهما كان الغرض منه .

اما الاحتفالات والمباريات التى يخصص ريعها للعمل الفدائى فلا حرج فيها وذلك بشرط أن يكون ذلك الاحتفال مباحا فى الشرع كمباريات كرة القدم أو السباحة أو نحو ذلك ..

نحن ندعو الله بأسمائه فهل يجوز أن ندعوه بصفاته ؟

الجواب :

قال تعالى : (**.. قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فلله الأسماء الحسنى**) . (١١٠ ــ الاسراء)

فالله اسم لذاته ، والرحمن صفة من صفاته ، والله بين لنا ان نسأله بأسمائه أو بصفاته .

وقال تعالى : (**.. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**) (١٨٠ ــ سورة الاعراف) .

وذكر البخارى ومسلم فى حديثهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن من الأسماء الحسنى السميع والبصير والرحمن وهى صفات من صفات الله .

وأسماء الله تدل على مجرد ذاته كالله ، أو بأعتباره الصفة كالعالم والقادر .

وخير جواب على هذا السؤال ما قاله العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله :

(أسماء الله هي أسماء ونعوت (صفات) . فانها دالة على صفات الكمال ، فلا تنافى فيها بين العلمية والوصفية . فالرحمن اسم له ، ووصف له ، ووصفه لا ينافى اسميته . فمن حفث هو صفة جرى تابعا على اسم الله كقوله تعالى (**بسم الله الرحمن الرحيم**) **ومن حيث** هو اسم ورد في القرآن غير تابع مثل (**.. الرحمن علم القرآن**) .

واتضح لك أخى السائل بأن الصفات جزء من الأسماء ويجوز أن نسأل الله بأسمائه وصفاته .

بأقلام القراء

« حقــوق الابنــاء عــلى الآبــاء »

الاسلام حريص على سلامة المجتمع الاسلامى وتحصين بنائه ، والاسرة (الزوج والزوجة والأولاد) ــ الذين يعيشون تحت سقف واحد ــ احــدى اللبنات الأساسية لهذا البناء ، واذا سلمت اللبنات وكان اتصالها ببعضهــا سليما منسقا مضبوطا منسجا قوى البناء وصحت الصيانة واحتمل البناء البقاء وقاوم أنواء الدنيا . .

ولهذا اعتنى الاسلام بالاسرة وافرادها واهتم بحقوقها وواجباتها ، وقد بين القرآن الكريم ووضحت السنة النبوية الشريفة بنصوص مستفيضة جدا حقوق الآباء على الابناء ، وكانت بالنسبة للأبناء على الآباء موجزة ، ولعــل السبب فى هذا ــ والله أعلم ــ أن عطف الاب على أولاده خير ضمــان لبره لهم وعنايته بهم ، وبره ليس فى حاجة شديدة للضغط عليه ــ والولد بالنسبة لأبيه ليس كذلك ولله فى خلقه شئون .

وترتب على هذا أن حقوق الابناء على الآباء لا تحظى بكثير من معرفة الناس لقلة الكلام عنها ثقة فى عطف الآباء واكتفاء به .

لذلك أعتقد أن الكلام عن حقوق الأولاد على الآباء ليس من الكلام المعاد كثيرا بل فيه الكثير مما لا يعرفه غالبية الناس .

وأول هذه الحقوق هو اختيار الرجل لأم ابنائه عند اختياره لزوجته التى ستلد له البنين والبنات والتى ستشرف على بيته فأثر الام فيه وفى الاسرة عظيم لا يخفى . .

ولذا حرص التوجيه النبوى الكريم على ارشاد الرجل للأم الصالحــة للابناء حين يقدم على الزواج فقال صلى الله عليه وسلم (تنكح المرأة لمالهــا وجمالها وحسبها ولدينها ، فعليك بذات الدين تربت يداك) رواه أحمد وغيره وانما أكد الحض على اختيار المرأة المتدينة لانها فى البيت حصن للفضيلة فيه وارشاد حى للابناء ترضعهم العفة من فضيلتها وتغذيهم من أخلاقها التــى

رسمها الدين ورضيها الله تعالى وتكون لهم ــ وخاصة لو كان منهم بنات ــ الاسوة الصالحة والقدرة الحسنة والمثال الطيب .

ويجب ان يعلم أن المحاسن والعيوب الخلقية وبعض الامراض تورث ، وقانون الوراثة أمر مقرر ومشاهد ، فاذا احتاط الوالد حين زواجه واختار الام الصالحة يكون قد ادى حقا أوليا عليه لأولاده ومن حقوق الابناء على الآباء حسن التربية والمحافظة على الطفل منذ كان جنينا ، فيبذل له عن طريق أمه كل ما يستطيع من بر وخير مادى ومعنوى ونفسى فالجنين يتأثر وهو فى بطن أمه بحالها وخلقها ومزاجها .

ثم حين يولد يختار له اسما حسنا مقبولا عند الناس يوحى بمعنى كريم ولا يثير السخرية من صاحبه

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سأل انسانا عن اسمه وكـــان قبيحا يغيره له ويقول : لا بل كذا ، مختارا له اسما جميلا مناسبا .

وعلى الوالد أن يعلم ابنه ويزوجه اذا بلغ ــ يقول صلى الله عليه وسلم (حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأن يزوجه اذا أدرك ويعلمه الكتاب) رواه أبو نعيم والديلمى ، وتزويج الرجل لابنائه تقليد شرقى اسلامى كـــان دائما حصنا للفضيلة ولصلاح الشباب وحاميا له مما اسمته التربية الحديثة بالعقد النفسية وحيرة الشباب أمـــام متطلبات المدنية الحديثة فى الزواج من تكاليف يعجز الشاب عن آدائها ولا يكلف الله الشاب بها ولا تمهل الطبيعـــة الشاب حتى يستطيع آدائها بل يبقى عاجزا مكتوف العقل لا البدن تتقاذفه الشهوات والاهواء والشياطين .

وحتى العزة تغرس فى نفوس الابناء وهم صغار يرويها الوالد بتوجيهه لاولاده وأدبه لهم وتعويدهم عليها ــ والمثل الاعلى فى هذا ما روى أن النبى الكريم كان جالسا وأمامه تمر الصدقة فجاء الحسن بن على رضى الله عنهما وهو طفل فمد يده وأخذ تمرة وضعها فى فمه ولمحه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (كخ كخ ــ أرم بها ، أما علمت انا لا نأكل الصدقة . .) رواه الشيخـــان .

وعلى العموم على الوالد أن يبر ابنه بكل ما يحتمله معنى البر ــ فقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قال من أبر ؟ ــ فقال : ــ بر والديك ــ فقال : ليس لى والدان ، فقال بر ولدك ، كما أن لوالدك عليك حقا ، كذلك لولدك عليك حقا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ الا قد بلغنا وأدينا؟ اللهم فاشهد . .

عبد الرحمن عبد اللطيف

قالت صحف العالم

الاســـــلام والمراة ..

يحتفل العالم هذا العام بالعام العالمى للمراة واخذت معظم دول العـــالم تكرم المراة .. ولكن .. هل دار بخلدك يا سيدتي مدى تكريم الاسلام للمراة ؟ اتدرين ما قدمه هذا الدين القيم من خدمات للمراة .. ؟ ان الدول التى تحاول أن تنسب لنفسها التقدم والحضارة لم تقدم للمراة .. لا قديمـــا ولا حتى فى العام الذى تحتفل فيه بالمراة ما قدمه الاسلام الحنيف .. وحتى لا يكون كلامنا بدون دليل .. نطوف معا فى رحلة صغيرة نرى فيها معا ما قدمه الاسلام للمراة فى مختلف مراحل حياتها ..

ولنبدأ الرحلة من اولها .. نرى المراة طفلة .. كانت البنت قبل الاسلام تدفن حية ، فجاء الاسلام وحرم الواد : « واذا الموؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » ولم يحرم الاسلام الواد فقط بل كرم الرسول عليه الصلاة والسلام البنات فجعل تربيتهن طريقا الى الجنة فيروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : « من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة قيل يا رســـــول الله فان كانتا اثنتين ؟ فأجاب الرسول : وان كانتا اثنتين وراى بعض القوم أنه لو قال واحدة لقال واحدة » . وانظروا معى الى الحديث الشريف الآخر الذى جعل من يضحك انثى فكأنه بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار .

هذا بالنسبة للمراة فى مرحلة الطفولة فماذا عمل لها الاسلام شابة .. اختا أو زوجة .. ؟ وماذا قدم لها .. ؟ بعد أن كانت تباع وتشترى كالســـلعة دون أن يكون لها راى فى حياتها جعلها الاسلام شريكة للرجل واوصى بهـــــا خيرا وجعل اساس العلاقة بين الرجل والمراة (العلاقة الزوجية) جعل اساسها المودة والرحمة : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليهـــا وجعل بينكم مودة ورحمة » . وقال صلى الله عليه وسلم : « خيركم .. خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » . وقال فى حديث آخر : « استوصوا بالنســـاء خيرا » . ونأتى معا لنهاية الرحلة فنرى ما قدمه الاسلام للمراة كهلة .. وأما .. ولنرى وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه حين جاء يسأله : من أحق الناس بحسن صحبتى .. ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : امك ، قال : ثم من ؟ قال : امك . ويسأله الصحابى المرة الرابعة فيجيب الرســـــول الكريم : ابوك . ثم نرى الرسول الكريم وقد جاءه رجل يشكو اليه سوء خلق امه فقال له الرسول : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشـــهر ، فأعاد الرجل قوله : انها سيئة الخلق . فقال الرسول : لم تكن سيـــئة الخلق حين أرضعتك حولين ؟ فأعاد الرجل قوله مرة ثالثة : انهـــا سيئة الخلق . فقال الرسول : لم تكن سيئة الخلق حين اسهرت ليلها واظمأت نهارها من اجلك .

فقال الرجل : لقد جازيتها . فقال الرسول : ما فعلت بها ؟ قال : حججت بها على عاتقى ، فقال الرسول : ما جزيتها ولو بطلقة من طلقات الولادة .
هذا تكريم الاسلام للمرأة فى كافة مراحل حياتها .. فهل فعل العالم (المتحضر) ما فعله الاسلام منذ ما يقرب من ١٤٠٠ سنة .. ؟!

عن مجلة (الرسالة الاسلامية)

— • —

فمن أجدر به يا ترى .. ؟

النوع البشرى كله يترقب منقذا يتولى انقاذه من العذاب والشقاء ..
عذاب الفوضى والتمزق والعداوات والحزازات ، والمؤامرات والغارات ، وغمط الحقوق والتقاعس عن أداء الواجبات ، وفقدان الشعور بالمسؤوليات .
وشقاء الفقر والغنى ، والجوع والتضخم ، وأخطار الحرمان والخذلان ، والجور والعسف والطغيان وشقاء الجنس واللون والدم واللغة والاقليم .
هذا العذاب وذلك الشقاء هما العاملان الاساسيان فى تدهور الانسان ، وفى تفسخ الأخلاق ، وفى تسفل الأهواء والرغبات ، وفى تحلل الرجولة والفتوة ، وفى اسفاف المجتمع وأفراده الى آخر درجة من البهيمية والوحشية .
وكل ما يشكو الانسان اليوم من اختلال الموازين فى الحياة ، وكل ما يواجهه من أزمات ومشكلات ويعانيه من آلام ونكبات ، انما مرد كل ذلك هو الخواء الذى أحاط به اليوم ، وهو خواء القلب والضمير ، والوجدان ، خواء الروح والعقل والشعور ، ذلك الذى اذا أصاب الجسم الصحيح والقلب النزيه والضمير الشفاف عمل فيه عمل السوس ، ونخره من كل ما يتحلى به من صحة وشفافية ونزاهة وألصق به أدواء منوعة ، لا يكاد يبرأ منها ما لم يضح فى سبيل ذلك بكل رخيص وغال ، وما لم يبذل فيه كل ما يملكه من امكانيات وطاقات ، وبشرط أن يعاهد ضميره أنه لا يتعدى حدوده ومعالمه وسيرجع الى انسانيته وأخلاقه ، ويعرف حقوقه وواجباته ، ويعود الى رشده وصوابه .
لقد أفلتته العروة الوثقى ، فتمزقت قواه وتبعثرت طاقاته التى وضعته فى محبس أو رمته طرائق قددا ، فلم يملك أمره وارادته ، وجهل قيمته وميزاته ، وغدا طوع الرياح ورهن الخسائر والأرباح من غير أن تكون أمامه الغاية المثلى التى خلق من أجلها ، والهدف الذى أخرج لتحقيقه ، ونسى عمله ووظيفته ، ونسى ربه ومنته عليه ، فأنساه الله نفسه ، وجعله لا يهتدى الى طريق الحق واليقين ، وانما يتأرجح بين النفس والشيطان فمرة يطيع نفسه وتارة يخضع للشيطان فيهوى به الى مهوى سحيق من الهلاك ، حيث الشقاء والنار ، والعذاب والدمار .
النوع البشرى كله ينتظر ذلك المنقذ الحكيم الذى يتولى انقاذه من هذا العذاب وذلك الشقاء ، فمن أجدر بذلك يا ترى .. ؟! ومن يتسلم زمام القيادة ويعيده الى منصبه الذى خلق له ، ووظيفته التى قدرت له .. ؟

عن مجلة الرائد الهندية

أعلام الإسلام

عبد الله بن عمر

هو ابن خليفة .. جاءت اليه الدنيا صاغرة فرفضها ..
وهو التقي .. الزاهد .. الورع .. وهو العالم العامل بعلمه ..
وهو المجاهد فى سبيل الله حين يدعو الداعى الى الجهاد ..
فهو القدوة للعلماء المجاهدين .. ولن تخيب أمة فيها مثل عبد الله ابن عمر ..

اسـمه : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوى .

امـه : زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . من المهاجرات .. تزوجها عمر رضي الله عنه فولدت له عبد الله ، وحفصة ــ أم المؤمنين ــ وعبد الرحمن الأكبر .

مولده : ولد فى السنة الثالثة من البعثة .. أى قبل الهجرة بعشر سنين (٦١٣ م) .

اسلامه : أسلم فى مكة مع والده الفاروق عمر .. رضي الله عنهما . وكان عبد الله ما يزال دون الحلم .

هجرته : هاجر الى المدينة المنورة وهو ابن عشر سنين .. فنشأ وترعرع فى ظل مجتمع اسلامى فاضل .

جهاده : كان تواقا منذ نعومة أظفاره الى أن يكون المجاهد فى سبيل الله .. وهو يضرب لنا المثل والقدوة لما يجب أن يكون عليه المؤمن من شجاعة واقدام .. وحب للشهادة فى سبيل الله ، عرض عبد الله على النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فاستصغره ورده ، ثم عرض عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مرة اخرى يوم احد فاستصغره ورده كذلك ، ثم أجازه النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق .. وكانت سنه خمس عشرة سنة ، ولم يتخلف عن السرايا فى عهد رسول الله ، ثم غزا أفريقية مرتين : الأولى مع ابن أبى السرح ، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هجرية .

روايته للحديث : كان راويا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن أبى بكر ، وعمر وعثمان ، وأبى ذر ، وعائشة أم المؤمنين ، وروى عنه من الصحابة : جابر ، وابن عباس وغيرهما ،

إعداد : فهمى الامام

ومن كبار التابعين : سعيد بن المسيب ، ومسروق ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وغيرهم .

مكانته : رأى فى منامه رؤيا ، فقصتها أخته حفصة — زوج النبى — على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » .. فكان بعد لا ينام من الليل الا قليلا .

وقال أبو سلمة فيه : كان عمر فى زمان له فيه نظراء ، وكان ابن عمر فى زمان ليس له فيه نظير .

تقواه : قيل لنافع : ما كان ابن عمر يصنع فى منزله .. ؟ قال : الوضوء لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما .

وكان رضي الله عنه كثير الاتباع لآثار النبى ، شديد التحرى ، والاحتياط فى فتواه ، وظل يفتى الناس ستين سنة ، وبعد وفاة النبى لم يترك الحج ، وكان يقف بعرفة حيث كان يقف النبى .. وكان أعلم الناس بمناسك الحج .

هو والخلافة : جاءه نفر بعد مقتل عثمان رضي الله عنه يعرضون عليه أن يبايعوه .. قال : وكيف لى بالناس .. ؟ قالوا : تقاتلهم ونقاتلهم معك . فرفضها .. وكان شعاره :

من قال حي على الصلاة أجبته .

ومن قال حي على الفلاح أجبته .

ومن قال حي على قتل أخيك المسلم واخذ ماله ، قلت : لا .

وفاته : كف بصره فى آخر حياته ، وهو آخر من توفى بمكة من الصحابة .

فقد انتقل الى جوار ربه سنة ٧٣ هجرية .. وقد تجاوزت سنه الثمانين سنة .

وكان قد أوصى بأن يدفن فى الحل ، غير انه لم يمكن تنفيذ وصيته من أجل الحجاج . ودفن بذى طوى فى مقبرة المهاجرين .. فرضي الله عنه وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

نتيجة امتحانات
دار القرآن الكريم

اعلنت نتيجة امتحانات دار القرآن الكريم التابعة لوزارة العـدل والأوقاف والشؤون الاسلامية للعام الدراسي ٧٤/٧٥ ، وكانت النتيجـة كالآتى :

الفترة الصباحية

الصف الأول : نسـبة النجاح : (٥٤ر٥٪) .

الأول : عبد الستار عبد الفتاح
الثـانى : عمر بن الحاج اسماعيل
الثـالث : سعيد سعيد مسعود .
الرابـع : عمر يوسف القراعين .
الخامس : على ابراهيم محمد .

الصف الثانى : نسـبة النجاح (٥٥٪) .

الأول : محمود ابراهيـم أبو الشوارب .
الثـانى : ياسين درويش محـمد
الثـالث : أنيس صالح حسـن
الرابـع : سليمان محمد جوده .
الخامس : عوده محمد عوده نصر .

الصف الثالث : نسـبة النجاح (٨٣ر٥٪) .

الأول : سيد على محمد .
الثـانى : محمد محمود الملاح .
الثـالث : على عبد الفتاح نصار
الرابـع : محمود اسماعيل محمد
الخامس : مصطفى عبد الرحمـن

الصف الرابع : نسـبة النجاح (٨٧٪) .

الأول : وليد ابراهيم عبد الكريم
الثـانى : أحمد أحمد الصالح .
الثـالث : عبد الملك السيد حسن الشافعى .
الرابـع : يوسف مصطفى أبو كبر
الخامس : فريز عوض النوبانى

الفترة المسائية

الصف الأول : نسـبة النجاح (٦٢٪) .

الأول : عبد الجليل عبد الوهاب
الثـانى : محمد احمد عبد الباقى
الثـالث : ناصر اسماعيل ناصر .
الرابـع : حسن عبد الكريم جاد .
الخامس : حلمى عبد الله سلامة .

الصف الثانى : نسـبة النجاح (٨٧٪) .

الأول : عبد العال البوطى عبد
الثـانى : عبد الجبـار فارس
الثـالث : فواز يوسف الحسينى
الرابـع : صالح اسماعيل أحمد .
الخامس : أحمد محمد عبد السلام

الصف الثالث : نسـبة النجاح (٧٦٪) .

الأول : محمد يوسف ابراهيم .
الثـانى : محمد رشدى محمد .
الثـالث : محمود حسين الحـاج
الرابـع : سليمان‌سليمان محمد .
الخامس : عبد الوهاب محمد على

الصف الرابع : نسـبة النجاح (٨٠٪) .

الأول : احمد على أحمد عثمان
الثـانى : أحمد سليمان أحمـد
الثـالث : محمد حسين عبدالحميد
الرابـع : محمد موسى عيـاد
الخامس : رشيد طاهر ياسين .









الكويت

● قام حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح يرافقه وفد حكومى بزيارة رسمية لفرنسا يومى ٢٦ ، ١٩٧٥/٥/٢٧ . ويرى فى الصورة الرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان يتحدث الى صاحب السمو الأمير المعظم وهما فى قاعة الاستقبال بمطار أورلى بباريس ..

● قام صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود ولى العهد والنائب لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية السعودى بزيارة رسمية للبلاد تلبية لدعوة من أخيه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الجابر ، ويرى هنا سمو أمير البلاد المعظم وضيفه الكريم يتبادلان الأحاديث الودية .

● احتفلت كلية الشرطة بتخريج الدفعة الخامسة من الطلبة الضباط وفى الصورة سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الجابر وضيفه سمو الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود وهو يسلم شهادة التخرج لأحد الخريجين .

● وصل الكويت حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين ملك الأردن فى زيارة للبلاد ، وقد جرى لجلالته استقبال حافل كان فى مقدمة المشتركين فيه حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم وسمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء ..

وقد تناولت المباحثات التى جرت بين سمو أمير البلاد وجلالة ملـك الأردن العلاقـات بـين البلدين ، واستعراض شامل للموقف العربى الراهن ، والوضـع فى الجبهـة الشرقية .

● استنكر رئيس مجلس الأمة السيد خالد صالح الغنيم وأعضاء المجلس الموقر موقف ستة وسبعين عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركى من قضية فلسطين وانحيازهم للعـدو بطلب المزيد مـن الدعم العسكـرى والاقتصادى .

● أعلن سعادة وزير التربية جاسم المرزوق في مؤتمره الصحفى مؤخرا بأن الوزارة بدأت فى تنفيذ خطـة لتعـميم المساجد في جميع المدارس ، وان هدف الخطة هو انشاء مسجد فى كل مدرسة ، وتقرر ان يراعى وجود مسجد فى تصميم كل مدرسة تنشأ حديثا .

● عاد الى الكويت من أوغندا مديـر الشئون المالية بالوزارة السيد يوسف محمد العوضى ممثل الكويت الدائم لصندوق التضامن الاسلامى بعد ان حضر دور الانعقاد الثانى للصندوق الذى عقد فى كمبالا يوم٩/٦/١٩٧٥ .

● قررت الوزارة افتتاح دورة صيفية فى عدة مساجـد بمختلف مناطـق الكويت ابتـداء مـن ٢١/٦/١٩٧٥ لتدريس القرآن والتفسير والحديث والعقيدة والفقه .

● أصدرت الوزارة قرارا بتشكيـل لجنة تتولى اعادة تطويرجهازها الفنى الخاص بالقضايا الاسلامية والدينية ولجعل المسجد المنطلـق الاساسى لنشر هذه الرسالة بين جمهـور المسلمين ..

● تبرع سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر بمبلغ ستة آلاف دينار لمراكز تحفيظ القرآن التى تقيمهـا كل عام جمعية الاصلاح الاجتماعى .

والتبرع كله ســيوزع جوائز تشجيعية للعشرة الأوائل من الذكور والعشر الأوائل من الاناث ، مكافأة لهم على اقبالهم على كتـاب الله وحفظه واتقان تلاوته .

● طلبت ادارة الانشاءات بوزارة الأشغال العامة من وزارة العـدل والأوقاف والشؤون الاسلامية ايفاد مندوب عنها لمراجعة شعبة المنشآت العامة فى الوزارة لاستلام أربعـة مساجد فى البدوية والصـباحية وساوى والسرة ، بعد أن أصبحت جاهزة للاستعمال .

● تقيم وزارة العـدل والأوقـاف والشؤون الاسلامية فى السابـع والعشرين من شهر رجب الحالـى احتفالها بمسجد السوق الكبـير بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج .

مصر

● أقر مجلس الشـعب المصرى توصية خاصة بالغاء الأفلام الخليعة وكل خروج على الأدب واعادة النظر فى أجهزة الرقابة وكيفية تشكيلها .

● تم الاتفاق بين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهر والدكتور محمد حسن فايد رئيـس جامعة الأزهر على انشاء دراسات عليا فى الاعلام الدينى والسـياسي والوسائل الحديثـة لنشر الدعوة الاسلامية محليا وخارجيا ولمواجهة انحرافات الشباب وخروجهم عـن مبادىء الاسلام الأساسية

تركيا

● يعقد المؤتمر العام للاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية دورة جديدة فى الفترة ما بين ٥/٧ يوليو ١٩٧٥ فى استانبول وستشترك فى المؤتمر المنظمات الاسلامية فى العالم الاسلامى ..

● ناشد الأتراك المقيمون فى اليونان اخوانهم فى تركيا أن يمدوا اليهم يد المساعدة للتخلص من الارهاب الكبير والاضطهاد الذى يعيشون فيه فى اليونان .

باكستان

● افتتح المؤتمر الاول لادخال اللغة العربية فى باكستان الذى تنظمه جامعة كراتشى اعماله بكلمة القاها فخامة الرئيس الباكستانى فضل الهى شودرى دعا فيها الى ادخال اللغة العربية الى باكستان وقال : ان هذه اللغة هى أساس الوحدة بين مسلمى العالم .

فرنسا

● قررت بلدية مدينة « مانوسك » فى الجنوب الفرنسى بناء مقبرة خاصة للمسلمين ، وتخطيطها على الطريقة المتبعة فى التقاليد الاسلامية من افراد مكان للمصلى ، وابعاد المقبرة عن العمران وتوجيه القبور نحو القبلة وفصل كل قبر عن الآخر . وتجرى الآن الاشغال الهندسية لتخطيط هذه المقبرة بعد موافقة امام جامع باريس .

الجزائر

● تبنت الجزائر برنامجا جديدا لانهاء الازدواجية فى اللغة الذى ورثته عن ماضيها الاستعمارى ، وستعرب جميع الشوارع واللافتات والصحف وستعتمد اللغة العربية فى جميع الوثائق الرسمية والمراسلات .

● سيعقد فى مدينة تلمسان فى الجزائر الملتقى الاسلامى التاسع خلال شهر يوليو المقبل ومن المتوقع أن يناقش الملتقى هذا العام عددا من الموضوعات الفكرية والتاريخية المتعلقة بالعالم الاسلامى .

وقد دعى للاشتراك فى هذا الملتقى عدد من رجال الفكر الاسلامى لمناقشة الموضوعات المطروحة كما يتابع هذا الحوار الفكرى عدد من الشباب الجامعى الذين يحضرون من الجزائر ومن الأقطار الأخرى .

ايطاليا

● ينظم المعهد الاميركى للدراسات الباكستانية فى الولايات المتحدة الامريكية مؤتمرا علميا لدراسة التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العالم الاسلامى وكيفية الاستفادة منها لاعادة بناء المجتمعات الاسلامية بشكل يكفل لها الاستفادة من الظروف المعاصرة .

وقد دعيت الى المؤتمر شخصيات فكرية تمثل عددا من الجامعات فى البلاد العربية والاسلامية وبعض الجامعات الامريكية والبريطانية ومن المقرر أن يعقد المؤتمر خلال شهر أغسطس المقبل فى مدينة (ميلانو)

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	رجب ١٣٩٥	يوليو ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
خميس	١	١٠	٣٣٤	٨ ٣١	١٠ ٥	٥ ٣	٨ ٣٧	١ ٣٢	٣ ٢١	٤ ٥٦	١١ ٥٣	٣ ٢٧	٦ ٥٠	٨ ٢٢
جمعة	٢	١١	٣٣٥	٣١	٦	٣	٣٧	٣٢	٢١	٥٦	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢
سبت	٣	١٢	٣٣٦	٣٢	٧	٤	٣٨	٣٢	٢٢	٥٧	٥٤	٢٨	٥٠	٢١
احد	٤	١٣	٣٣٧	٣٣	٧	٤	٣٨	٣١	٢٣	٥٧	٥٤	٢٨	٤٩	٢١
اثنين	٥	١٤	٣٣٨	٣٤	٨	٤	٣٩	٣١	٢٤	٥٨	٥٤	٢٨	٤٩	٢٠
ثلاثاء	٦	١٥	٣٣٩	٣٥	٩	٥	٣٩	٣١	٢٤	٥٨	٥٤	٢٨	٤٩	٢٠
اربعاء	٧	١٦	٣٤٠	٣٧	١٠	٥	٣٩	٣١	٢٥	٥٩	٥٤	٢٨	٤٨	١٩
خميس	٨	١٧	٣٤١	٣٨	١١	٦	٤٠	٣١	٢٦	٥ ٠٠	٥٤	٢٨	٤٨	١٩
جمعة	٩	١٨	٣٤٢	٣٩	١٢	٦	٤٠	٣١	٢٦	٠٠	٥٤	٢٨	٤٨	١٨
سبت	١٠	١٩	٣٤٣	٤٠	١٣	٧	٤١	٣٠	٢٧	١	٥٤	٢٨	٤٧	١٧
احد	١١	٢٠	٣٤٤	٤١	١٤	٧	٤١	٣٠	٢٨	١	٥٤	٢٨	٤٧	١٧
اثنين	١٢	٢١	٣٤٥	٤٣	١٤	٧	٤٢	٣٠	٢٩	٢	٥٤	٢٨	٤٦	١٦
ثلاثاء	١٣	٢٢	٣٤٦	٤٤	١٥	٨	٤٢	٢٩	٣٠	٢	٥٤	٢٨	٤٦	١٥
اربعاء	١٤	٢٣	٣٤٧	٤٦	١٦	٨	٤٣	٢٩	٣١	٣	٥٤	٢٨	٤٥	١٤
خميس	١٥	٢٤	٣٤٨	٤٧	١٧	٩	٤٣	٢٩	٣٢	٣	٥٤	٢٨	٤٥	١٤
جمعة	١٦	٢٥	٣٤٩	٤٩	١٩	١٠	٤٤	٢٩	٣٣	٤	٥٤	٢٨	٤٤	١٣
سبت	١٧	٢٦	٣٥٠	٥٠	٢٠	١٠	٤٤	٢٩	٣٤	٥	٥٤	٢٨	٤٤	١٢
احد	١٨	٢٧	٣٥١	٥١	٢١	١١	٤٥	٢٨	٣٤	٥	٥٤	٢٨	٤٣	١١
اثنين	١٩	٢٨	٣٥٢	٥٣	٢٣	١٢	٤٥	٢٨	٣٥	٦	٥٤	٢٨	٤٢	١٠
ثلاثاء	٢٠	٢٩	٣٥٣	٥٤	٢٤	١٢	٤٦	٢٨	٣٦	٦	٥٤	٢٨	٤٢	١٠
اربعاء	٢١	٣٠	٣٥٤	٥٦	٢٦	١٣	٤٧	٢٨	٣٧	٧	٥٤	٢٨	٤١	٩
خميس	٢٢	٣١	٣٥٥	٥٧	٢٧	١٤	٤٧	٢٧	٣٨	٨	٥٤	٢٨	٤٠	٨
جمعة	٢٣	اغسطس	٣٥٦	٥٨	٢٨	١٤	٤٨	٢٧	٣٨	٨	٥٤	٢٨	٤٠	٧
سبت	٢٤	٢	٣٥٧	٩ ٠٠	٢٩	١٥	٤٩	٢٧	٣٩	٩	٥٤	٢٨	٣٩	٦
احد	٢٥	٣	٣٥٨	٢	٣١	١٦	٤٩	٢٧	٤٠	١٠	٥٤	٢٨	٣٨	٥
اثنين	٢٦	٤	٣٥٩	٣	٣٢	١٦	٥٠	٢٦	٤١	١٠	٥٤	٢٨	٣٨	٤
ثلاثاء	٢٧	٥	٣٦٠	٥	٣٣	١٧	٥١	٢٦	٤٢	١١	٥٤	٢٨	٣٧	٣
اربعاء	٢٨	٦	٣٦١	٧	٣٤	١٧	٥٢	٢٦	٤٣	١١	٥٤	٢٨	٣٦	٢
خميس	٢٩	٧	٣٦٢	٩	٣٦	١٨	٥٣	٢٦	٤٤	١٢	٥٤	٢٨	٣٥	١
الجمعة	٣٠	٨	٣٦٣	١٠	٣٧	١٩	٥٣	٢٥	٤٥	١٢	٥٤	٢٨	٣٥	٠٠

« الى راغبى الاشتـراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلـــى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت ـــ لبنان ـــ أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبـــار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخـــرطوم : دار التوزيـــــع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبـــة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـــرب : الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبـــة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) .
الريـــاض : مكتبـــة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـــة ـــ ص.ب : (٧٦) .
الطائـــف : برحـــــة نصيف / مكتبة جـــدة .
مكة المكرمة :
المدينـــة المنـــورة : مكتبـــة ومطبعـــة ضيـــاء .

البحريـــن : المكتبـــة الوطنيـــة : شـــارع بـــاب البحريـــن .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسســـة العـــروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مكتبـــة دار الحكمـــة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة . ص.ب : (٦٥٨٨) .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمـــن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا ● ليبيـــا ١٠ قروش ● تونـــس ١٢٥ مليمـــا ● الجـــزائر دينـــار وربع ● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعـــدن ٧٥ فلســـا ● لبنـــان وســـوريا ٥٠ قرشـــا ● مصـــر والســـودان ٤٠ مليمـــا

قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد

المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى

محمد موذن ١٣٩٥ هـ

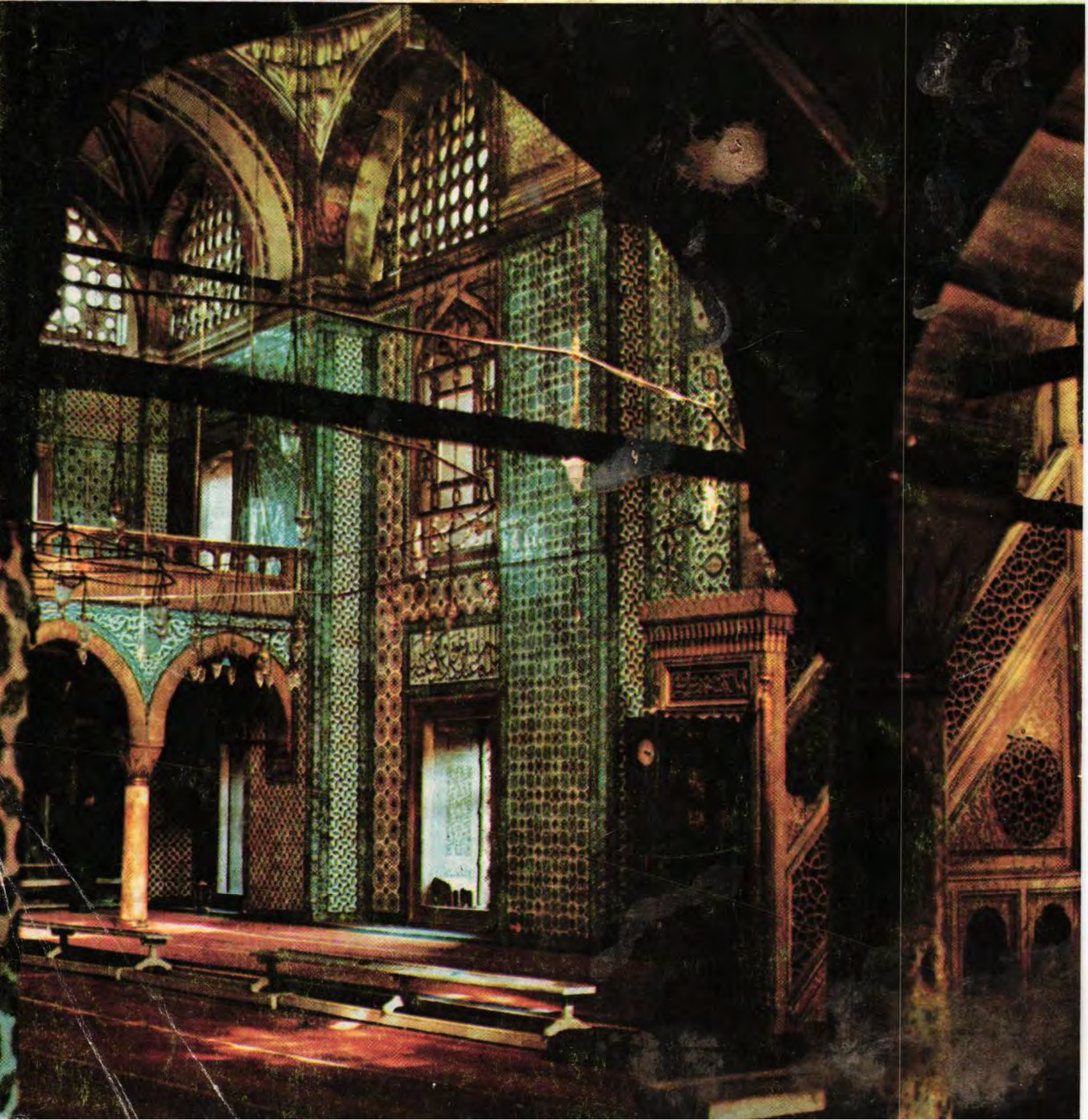
متفق عليه

مطابع دار السياسة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الحادية عشرة ـ العدد ١٢٨ ـ غرة شعبان ١٣٩٥ هـ ـ اغسطس ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



روعة الفن المعماری الاسلامی ، وجمال الخط العربی ، ودقة النقوش تبدو واضحة على منبر وجدران أحد المساجد فی تركيا ..

(انظر صفحة ٦٨)

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافيـــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــــدد : ١٢٨

غرة شعبان ١٣٩٥ هـ ـ اغســطس ١٩٧٥ م

هــدفها : المزيـــد من الوعی ، وايقــاظ الروح ، بعيـدا عن الخلافــات المذهبيـــة والسياسيـــة

تصدرها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلاميـة بالكويـت فـی غـــرة كـــل شهـــر عـــربی

عنـــــوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامی ـ وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ـ كويت ـ هاتــف : ٤٣٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من وحي النبوة

أحداث في شعبان..

للشيخ أحمد البسيونى

عَن الْبَرَاءِ بنَ عَازِبٍ رضي الله عَنْهُ قَالَ :«كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وَسَلَّم صَلى نَحْـوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَـةَ عَشَرَ شَهْـراً ، وَكَـانَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليهِ وَسلم يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ الَىَ ٱلكَعْبَةِ ، فَأَنزَلَ ٱللهُ عزَّ وجَلَّ : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَاءِ) فَتوَجَّهَ نَحْوَ ٱلكَعْبَةِ وَقَالَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ، وَهُمُ ٱلْيهُودُ : (مَاوَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلتَّي كَانُوا عَليهَا قُلْ لله ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَـاءُ إلىَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فَصَلىَّ مَعَ ٱلنَّبِىِّ صَلىَّ ٱللهُ عليهِ وَسَّلمَ رَجُلٌ ثُمّ خَرَجَ بَعدَ مَاصَلَّى ، فَمَرَّ عَلىَ قَوْمٍ مِنَ ٱلأَنْصارِ فِى صَلاةِ ٱلعصرِ نَحوَبَيْتِ ٱلمَقْدِسِ ، فقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلىَّ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عليَه وَسَّلمَ ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحوَ ٱلكْعبَةِ فَتحرَّفَ ٱلقَوْمُ حتَى تَوَجَّهوا نَحوَ ٱلكَعْبَةِ»

عندما بدأت الدعوة الاسلامية تواجه الدنيا بحركتها الاسلامية ، تتابعت الأحداث تجرى على مسرح التاريخ . وكأنها تسابق الزمن ، فكانت السنوات الاولى من عمر الاسلام ، مشحونة بالأعمال الفذة ، التى غيرت مجرى التاريخ ، وصححت الأوضاع ، ووضعت التخطيط الكامل للدولة الجديدة ، فلا تكاد تجد شـــهرا عربيا من شهور العام ، الا وهو يحمل ســـمات واضحة ، لأحداث ضخمة ، يحتفظ بها ، لتكون نصيبه من (رصيد) الذكريات الخالدة .

وشهر (شعبان) من الشهور الحافلة بالأمجاد الاســـلامية ، التى تتميز بطابع فريد ، هو طابع التحول من الضعف الى القوة ، ومن المهادنة والموادعة، الى المصاولة والمدافعة ، شهر ترى فى أحداثه الكبرى ، مدى الانطلاق الذى حطم القيود ، وأزال السدود ، وأفسح الطريق أمام القافلة الاسلامية ، لتندفع صوب غايتها العليا . .

واننا نضع بين يدى القارىء ، أهم أحداث هذا الشهر ، الذى ترفع فيه الاعمال الى الله عز وجل . .

تحويل القبلة

على أرجح الأقوال التى دارت حول تحـــــويل القبلة ، أن هذا الحـــدث الخطير ، وقع فى منتصف شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة ، مال الى هذا القول جمهرة من مؤرخى السيرة ، منهم محمد بن جنيد وجزم به فى الروضة .. وقيل أن التحويل وقع فى نصف رجب من السنة الثانية للهجرة ، والأول أرجح . وهذا الحادث أعظم ما وقع فى هذا الشهر وارتبط به ، وقصة تحويل القبلة تتصل اتصالا وثيقا بأصول الاسلام ومبادئه ، وتشير الى سياسة الاسلام الحكيمة فى قيادة الأمم ، ودعوتها الى الاقتناع بهذا الدين ، والايمان به .

فقد فرضت الصلاة بمكة ، ليلة الاسراء والمعراج قبل الهجـــــرة بقليل ، والمرجح انه حين افترضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أمته ، كان يصليها مستقبلا الكعبة ، ولم يزل يصلى اليهـــــا طول مقامه بمكة ، على ما كانت عليه صلاة ابراهيمواسماعيل عليهما الصلاة والســـــلام .. وتقول رواية أخرى ، انه حين افترضت الصلاة على النبى صلى الله عايه وسلم ، أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان بمكة يصلى بين الركنين ، فتـــكون الكعبة بين يديه ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الى المدينة ، تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه الى بيت المقدس ، وقد كان أنبياء بنى اسرائيل يصلون اليه ، وكانت صخرة المسجد الأقصى المعروفة قبلتهم ، وجاء التوجه الى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، سياسة اسلامية رشيدة ، وتحقيقا لمبدأ الاسلام الذى يفرض على أتباعه أن يصدقوا بكل كتاب نزل ، وأن يؤمنوا بكل رسول سبق **((آمن الرســـــول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله))** (البقرة آية ٢٨٥) .

وذلك لأن المسلمين اذا اتجهوا فترة من الزمن الى المسجد الأقصى ، الذى يتجه اليه اليهود والنصارى ، كان هذا متفرعا عن الأصل الكبير الذى ينتسب اليه المسلمون والكتابيون جميعا ، هذا الأصل هو ابراهيم عليه الصـــــــلاة والسلام ، فهو أبو اسماعيل جد العرب ، وابو اسحاق جد بنى اسرائيل جميعا ، فمما اختص الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته ، أن الله جمع له بين القبلتين .

وقد استقبل النبى صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بعد ما هاجر الـــى المدينة ، ستة عشر شهرا ، وقيل سبعة عشر شهرا ، ولكن اليهود لم يتحركوا خطوة واحدة نحو الاسلام ، بل ظلوا جامدين فى مكانهم ، مصرين على عنادهم واستكبارهم على الحق ، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء والابتهال الى الله تعالى ، أن يوجه الى الكعبة التى هى قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام ، فأجيب الى ذلك ، وأمر بالتوجه الى البيت الحرام ، وهى القبلة التى يهواها ويرضاها ، فهى قبلة ابراهيم ، والتوجه اليها أدعى الى ايمان العرب لأنها رمز مجدهم ، ومناط فخرهم وعزهم ، والعرب عليهم المعول فى ظهور هذا الدين ،

لأنهم كانوا أكمل الأمم استعدادا لحمل تعاليم الاسلام ، ونشرها فى آفاق الدنيا ، فذلك قول الحق تبارك وتعالى :

((قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)) (البقرة ١٤٤) .

فكان هذا أمرا من الله تعالى بتحويل القبلة الى الكعبة بعد أن وضحت الحكمة من أمر الله للمسلمين ان يتجهوا فى صلاتهم فترة من الزمن الى بيت المقدس .

« فالمسلمون حين توجهوا الى قبلة اليهود والنصارى بالمدينة ، انما كان ذلك دعوة منهم لأهل الكتاب ليشاركوا فى هذا الميراث الروحى ، الــذى هو قسمة بينهم جميعا ، فلما أبوا أن يفيئوا الى الاسلام ، ويشاركوا فى هــذه الوراثة ، تحول المسلمون الى الكعبة لأن الذى بناها ابراهيم ـ عليه الصــلاة والسلام ـ وهم ورثته من بعده ، ورثوا عهد الله وفضله ، فمن حقهم أن يرثوا البيت الذى بناه ، وأن يتخذوه قبلة لهم وذلك لتتميز للمسلمين كل خصــائص الوراثة : حسيها وشعوريها ، وراثة الدين ، ووراثة القبلة ووراثة الفضل من الله جميعا » .

والذى رجحه الواقدى وابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب يزور ـ أم بشر بن البراء بن معرور ـ ليعزيها فى وفاة ابنها بشر ، فصنعت له طعاما ، وكان وقت الظهر قد حان ، فصلى عليه الصلاة والسلام بمن حضر من أصحابه ركعتين ، ثم أمر باستقبال الكعبة فى ركوع الثالثة ، فاستداروا الى الكعبة بأن تحول الامام من مكانه الى المؤخرة ، ثم تحول الرجال حتى صاروا خلفه ، وتحولت النساء حتى صرن خلف الرجال وقد سمى هذا المســجد (مسجد القبلتين) فخرج رجل ـ هو عباد بن بشر ـ ممن كان قد صــلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ـ وجاء فى رواية يقول فيها (عمارة بن أوس) فيما رواه ابن مردويه : « بينما نحن فى الصلاة نحو بيت المقدس ونحن ركوع ، اذ نادى مناد بالباب أن القبلة قد حولت الى الكعبة قال : فأشهد على امامنا انه انحرف هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة » .

وأما أهل قباء فلم يبلغهم خبر التحويل الا فى صلاة الفجر ، فى اليــوم التالى ، فقد ورد فى الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح ،اذ جاءهم آت فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها، وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة » ، وفى هذا دليل على أن الناســخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به ، وان تقدم نزوله وابلاغه ، لأنهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء .. !

وهنا لغط اليهود ، ودفعتهم السفاهة فى الراى ، والســطحية فى الحكم ، الى أن يتساءلوا : **((ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها))** ؟! وهم بهذا التساؤل ، قد أعلنوا عن انفسهم أنهم لم يدركوا شيئا من حكمة الله فى توجيه المسلمين الى الكعبة ، وكيف يدركون الحكمة وهم سفهاء .. ؟! ان السفاهة قد

غشت على ابصارهم وبصائرهم ، فلم يروا الا ظاهرا من الأمر ، أما حقيقتـــه وسره ، فهم أبعد الناس عن الوصول اليه ، ولهذا لم يوجه الرد اليهم مباشرة ، ولم يرد الجواب مطابقا لسؤالهم ، وانما جاء الرد عليهم فى صورة تقرير لقاعدة أساسية ، تنهض عليها العقيدة الاسلامية « **قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » فالجهات كلها لله ، والأمكنة والأزمنة مخلوقة مملوكة له ــ سبحانه ــ واذا فكل مكان أراده مصلى ، وكل متجه أمر بالتوجه اليـــه قبلة ، فلا داعى للعجب أن يولى الله بعض عباده قبلة هنا أو هناك فلله المشرق والمغرب ، وأينما تولوا فثم وجه الله . كما قال تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله ..** » (١٧٧ البقرة) . يقول الامام ابن كثير فى تفسيره : « فالشأن كله فى امتثال أوامر الله ، فحيثما وجهنا توجهنا ، فالطاعة فى امتثال أمره ولو وجهنا فى كل يوم مرات الى جهات متعددة ، فنحن عبيده وفى تصرفه ، ونحن خدامه حيثما وجهنا توجهنا وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبلة ابراهيم خليل الرحمن ، وجعل توجههم الى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له ، أشرف بيوت الله فى الأرض ، اذ هى بناء الخليل عليه السلام ولهذا قال : « **قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشـــــــاء الى صراط مستقيم** » .

وكلام ابن كثير هذا يصور الايمان فى أكمل صوره ، ويكشف عن حقيقته وجوهره ، فطبيعة الايمان تفرض على المؤمن الانقياد لأمر الله ، سواء أدرك الحكمة من هذا الامر أم لم يدركها .. لقد نزل تحريم الخمر والكؤوس مترعة على أكف القوم ، والشفاه فى حنين اليها ، والأكباد متعطشة اليها ، فاذا بالقرآن يصيح بالقوم فى آخر مراحل تحريم الخمر : « **يأيها الذين آمنوا انما الخــمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** » (٩٠ ، ٩١ المائدة) فصاح القوم . انتهينا يا ربنا ثم أخذوا يحطمون كؤوس الخمر ويريقونها على الأرض ، ويخرجون بدنانها الى طرق المدينة وسككها فتسيل بالخمر وتظل رائحتها مسيطرة على جو المدينة أياما . وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر ! ولم يكن ســـــهلا أن يستسلم القوم كذلك لتحريم الربا وكان متغلغلا فى مجتمعاتهم ، ســـــاريا فى دمائهم ، يستعملونه أضعافا مضاعفة ، ولو صدر ألف قانون وضعى يحـــرم الربا على الناس ما استجابوا ، ولكن سر الله الخالد الذى استودعه أحكامه ، جعل القوم ينقادون لأمر الله ، ويصغون الى النداء العالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** » (١٣٠ آل عمران) ان هذه الاســـتجابة لم تنشأ عن سطوة القانون ، ولكنها نشأت عن خشية الله ، وتلبية لدواعى الايمان .. وكما تألق الايمان فى صدور الرجال فانقادوا لحكم الله طائعين ، تألق كذلك فى دنيا النساء المسلمات حين سارعن الى امتثال أمر الله فى تحديد لباس المرأة .. تقول صفية بنت شيبة : بينما نحن عند عائشة قالت : فذكرنا نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة رضى الله عنها : ان لنساء قريش لفضلا ، وانى والله

ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا ايمانا بالتنزيل ! لقد أنزلت سورة النور ومنها قول الله تعالى : ((**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**)) (٣١ : النور) فانقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم فيها ، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته ، وعلى كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها — بكسر الميم : كساء من صوف أو خز تأتزر به المرأة — فاعتجرت به ، تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتابه ، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات كأن على رءوسهن الغربان .. !!

وتتوالى الأحداث فى هذا الشهر الكريم ، ترفع لواء الحق والنصر فى غزوات أخذت مكانتها فى التاريخ ، ومن هذه الأحداث :

غزوة بدر الثانية :

وفى شعبان من السنة الرابعة للهجرة ، كانت غزوة بدر الثانية ، ذلك أن أبا سفيان قد نادى عند منصرفه من (أحد) ان موعدكم بدر العام المقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليهوسلم لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينك موعد . وخرج أبو سفيان للوفاء بالموعد الذى ضربه ، لكنه خرج متثاقلا يخشى أن يلتقى بجيش الحق فى قتال لم يتخذ له أهبته ، لذلك لم يكد يقترب من (الظهران) حتى بدا له أن يرجع فصاح بقومه : يا معشر قريش ، انه لا يصلحكم الا عام خصيب ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وان عامكم هذا عام جدب ، وانى راجع فارجعوا .. ثم عاد القوم منسحبين من المعركة المنتظرة ! أما المسلمون فقد زحفت كتائبهم لملاقاة المشركين فى شجاعة وحماسة حتى وصلوا الى ماء (بدر) وسيوفهم تتحرق شوقا الى معانقة الرقاب المشركة . وظلوا ثمانية أيام معسكرين حول ماء (بدر) يعلنون وفاءهم بكلمتهم . واستعدادهم لخوض المعركة التى يثأرون بها من أعدائهم . ولما طال انتظارهم وهم يترقبون مقدم أهل مكة ، عادوا الى المدينة أعزة أقوياء ..

غزوة بنى المصطلق :

وفى شهر شعبان من السنة الخامسة ، وقعت غزوة (بنى المصطلق) فقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق وهم فرع من خزاعة يجمعون الجموع لحرب المسلمين وعلى رأسهم قائدهم (الحارث بن أبى ضرار) فأسرع النبى صلى الله عليه وسلم بالخروج اليهم ليأخذهم على غره ، فلما التقى بهم قاتلهم أشد قتال فانهزموا بعد أن قتل منهم عشرة ، ولم يقتل من المسلمين الا واحد ، أصابه رجل من الأنصار وهو يحسبه — خطأ — من الأعداء ، ولم يجد بنو المصطلق مفرا من التسليم تحت ضغط المسلمين القوى السريع ، فأخذوا جميعا أسرى ، هم ونساؤهم ، وأبلهم ، وماشيتهم ، وقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم(جويرية بنت الحارث) سيد بنى المصطلق بعد أن قضى عنها كتابتها فقد وقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها ، وعند ذلك قال

المسلمون : أصهار رسول الله لا ينبغى أسرهم فى أيدينا ، فأسرعوا الى اطلاق سراحهم اكراما لصهر رسول الله اياهم ، وقد أعتق فى زواج جويرية مائة اهل بيت من بنى المصطلق . فكانت عائشة رضي الله عنهــــا تقول عن جويرية : « ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها » !! ولهذه المعاملة السمحة اسلم بنو المصطلق فازداد بهم الاسلام قوة ومنعة .

غزوة الغابة وتعرف بذى قرد★ :

وفى شعبان من السنة السادسة للهجرة وقعت غزوة ذى قرد ، وسببها أن عيينة بن حصن أغار فى خيل من عطفان وفزارة على لقاح (النوق الحلوب الغزيرة اللبن) لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عشرين ، فخرج سلمة ابن الأكوع الأسلمى ومعه غلامان أحدهما لعبد الرحمن بن عوف ، والآخر لطلحة ابن عبيد الله ، وجد فى السير حتى لحق بهم متوشحا قوسه ، وكان راميا ، فجعل يرميهم بالنبل وهو يقول اذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع .. ! وحمــل عليهم ومعه الغلامان حتى فر القوم ، وألقوا كثيرا من الرماح والبرد ، ليخففوا رحالهم ، وينجوا بأنفسهم ، ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوع خرج من المدينة وهو يقول : « الفزع .. الفزع ! يا خيــــل الله اركبى ! » نادى بذلك كما نادى فى غزوة بنى قريظة ، ولما تلاحق القوم ، كان سلمة قد استنقذ أكثر اللقاح . وقد سر الرسول الكريم بما فعل سلمة ، فأردفه خلفه وهو راجع الى المدينة ، وأعطاه سهم الراجل والفارس جزاء ما أبلى بلاء حسنا فى سبيل الله .

وبعد ،

فهذه صفحة مشرقة لأحداث شهر شعبان ، تكشف لنا عن منزلته بين الشهور ، وتبين لنا الحكمة فى أن الله جعله شهرا ترفع فيه الأعمال الى الله عز وجل ، فقد كان شهر عمل وجهاد فى سبيل بناء المجتمع الاسلامى ، واذا أيقنت النفوس المؤمنة أن أعمالها ترفع الى ربها فى شهر شعبان ، نظرت الى هذا الشهر على أنه شهر ابتلاء وتمحيص ، فتصدق فى القول ، وتخلص فى العمل .. وهو أيضا شهر معلم يمنح المسلم دربة على استقبال تحمل تكاليف الصوم فى رمضان ، والنهوض بتبعات شهر القرآن ، فقد روى النسائى من حديث أسامة قلت : يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشـــــهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال لرب العالمين ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

فالى العمل الدائب فى طاعة الله ، ونصرة الحق ، والتزود من العلم ، والحفــــاظ على ديننا وعزتنا ، فمن أمضى يومه فى غير فرض اداه ، أو حق قضاه ، أو علم اقتبسه ، أو مجد أسسه ، فقد عق يومه .

★ الغابة : الشجر الملتف ويقال لهاالاجمة بفتح الهمزة والجيم . وقــرد بفتح القاف والراء موضع على ميلين من المدينة على طريق خيبـر .

معادلة صعبة

للشيخ : بدر المتولى عبد الباسط

كم فى الحياة من معادلات يظنها الناس صعبة الحل ولو عرفوا قانون حلها لتغير رأيهم ولكن الكثيرين يعزفون عن معرفة هذا القانون ، بل منهم من يعرف القانون ويأبى أن يطبقه اما بحكم ما الف من قوانين واما خوفا على رزق او جاه .

وهذه المعادلات كثيرة في حياتنا في الحساب والجبر وفى تشريعاتنا وفى حياتنا الاجتماعية .

والمعادلة التى اعنيها — هى — المقارنة بين تشريع الله — تعالى — المنزه عن الاهواء والأغراض وبين التشريعات الوضعية المستحيلة من هنا ومن هناك هى معادلة واضحة الفساد ، فشتان بين تشريع العليم الخبير الذى لا يحابى احدا ولا يخشى احدا وبين تشريع — مهما احسنا الظن في واضعه — فهو لا يسلم من هوى أو خوف او رغبة او رهبة .

ووجه الصعوبة فى هذه المعادلة أن دعاة الأخذ بالتشريع الالهى ودعاة الاعتماد على التشريع الوضعى على طرفى نقيض ، كل منهما يتهم الآخر بأشنع التهم .

فدعاة الأخذ بالتشريع الالهى يتهمون الآخرين بالمروق والالحاد وبأنهم اتباع الأجانب من الشرق

أو الغرب فى أفكارهم .

ودعاة الاعتماد على التشريــــع الوضعى يتهمون الآخرين بالجمــود وبأنهم يريدون أن يبسطوا سلطانهم ونفوذهم على الأمة باسم الدين وأن يقيموا من أنفسهم أوصياء علـــى الشعوب ، وأن يمنعوا مسيرتها نحو الرقى والمدنية ، الى غير ذلك مـــن التهم التي تكال من هؤلاء وأولئك .

ومن أعجب العجب أن الجميـــع يتفقون على مبدأ واحد ــ هو ــ أن الأصل فى التشريع أيا كان مصدره أن يراعى فيه جلب المصلحة ودفـــع المفسدة ، ولو أنصف القائمون بالأمر فى تطبيق هذه القاعدة ما كان هناك معادلة صعبة أو شبه صعبة ، فان الأمر اهون مما يظنوه .

ومما ييسر على المجتمع التمييـــز بين المنافع الحقة والمنافع المتوهمـــة وبين المفاسد الراجحة والمفاســـد المرجوحة أن تراعى هذه المبادىء .

أولا : أنه قد جرت سنة اللـــــه ــ تعالى ــ أن يختلط الخير بالشر فى هذه الدنيا فالخير المحض والشـــــر المحض ان لم يكونا مستحيلين فـــى هذه الحياة فلا أقل من ان يكونــــا نادرين ندرة تصل الى الاستحالـــة وان طبيعة الانسان انه ان احب أمرا لا يرى الا جانب الحسن فيه ، وان كرهه لا يرى الا جانب الشر فيه .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدى المساويا

والانسان في كل عصر وفى كـــل مجتمع ــ هو ــ الانسان والتقـــدم الحضاري المادى لم يستطع ان يحد من طبيعة الانسان أو يهذب مـــــن غريزته ، فها هى أمم بلغت من هذه الحضارة الذروة قد أباحت الشذوذ الجنسي والاجهاض لغير حاجة اليـــه فى انقاذ حياة الأم واباحت نظــــام الحليلة بينما حرمت تعدد الزوجـــات الى غير ذلك مما يصعب عده مـــــن المفارقات العجيبة مما يؤكد ما ذهبنا اليه من ان الأعتماد على مقاييسنـــا خطأ اى خطأ فان العقل البشرى قادر على أن يلتمس المسوغات لكل مـــا يتفق مع اهوائنا .

اذا عرف هذا فان السلامـــة أن يكون ميزان المقارنة بين المنفعـــة والمفسدة هو ما شرعه الله تعالـــى المنزه عن الأهواء والأغراض فهناك منافع اعتبرهـــا الشارع الحكيـــم واجرى عليها احكامه والغى ما قـــد تضمنه من مفاسده المرجوحة كتشريع الزكاة والحـــج والصـــوم والزواج بشروطه والقصاص والحدود .

وهناك منافع الغاها الشارع ولم يقم وزنا لما قد تضمنه من منافـــع كتحريم الخمر والميسر : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر مـــن نفعهما** » . (البقرة : ٢١٩) .

وكتحريم الربا : « **وما ءاتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربـــوا عند الله** » . (الروم : ٣٩) .

وهناك مصالح سكتعنها الشارع فلم يعتبرها ولم يلغها وذلك كتنظيم الدواوين ووضع قواعد للمـــرور ، ووضع معايير لمن يتولى وظيفـــة أو عملا عاما أو خاصا .

فأما النوع الأول من المصالح فلنا ان نعتمد عليه بـــل يجب علينـــا أن نراعيه في تشريعاتنا .

واما النوع الثانى فلا يجوز أن نقيم عليه نظاما ولا ان يكون له حظ مـــن تشريعاتنا اللهم الا أن نؤكد خطـــره ،

ومهما لاح لنا من بريق منافعه فلا يخدعنا هذا البريق فان ضرره أكثر من نفعه والله أعلم بمصالح عباده من انفسهم .

وأما النوع الثالث فهو فى مجال الاختيار على أن يكون الاختيار من اهل الاختصاص فى كل شاق من شؤون الحياة ، وان نحمى هؤلاء من عوامل الرغبة والرهبة قدر الاستطاعة ، فاذا ظهر خطأ فى التطبيق بادرنا الى الاصلاح من غير تردد فان مثل هذه التشريعات ليست تنزيلا من التنزيل .

ثانيا : أن يعلم الجميع أن الاسلام لا يعرف فكرة رجل الدين الذى يملك حق التشريع فيقول هذا حلال وهذا حرام : « **ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** » . (النحل / ١١٦) .

بل الاسلام يعرف مبدأ الاختصاص فى كل شىء : « **فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** » (سورة النحل / ٤٣) .

وشتان بين رجل الدين وعالم الدين .

فرجل الدين ـ عند من يقول به ـ يملك سلطة التشريع فان قال هذا حلال كان حلالا وان قال حرام كان حراما ، ورجال الدين ـ فى نظر هؤلاء ـ ارباب أو شبه أرباب ولا يملك أحد التعقيب على آرائهم .

أما عالم الدين ـ فى نظر الاسلام ـ فهو متخصص فى معرفة الحلال من الحرام من أدلة الشرع ولكل مسلم أن يناقشه الحساب مهما كان مركزه على شريطة أن يكون الحساب بين هؤلاء وأولئك معتمدا على أدلة الشرع لا تحكيما للأهواء .

ثالثا : أن يتسع صدرنا للخلافات المبنية على أدلة شرعية معتبرة فاختلاف أنظار العلماء فى الأدلة الشرعية الظنية رحمة بهذه الأمة .

هذه حلول للمعادلة الصعبة بين علماء الشريعة ورجال القانون، والتى صورها البعض أو شاءوا أن يصوروها بالصعوبة بل بالاستحالة حتى رأينا البعض يصور المجتمع الذى يعيش فى ظل تشريع اسلامى صحيح مجتمع متأخر يقطع الأيدى ويرجم الزناة الخاطئين ويجعل من الجلد وسيلة واحدة للتأديب .

كلا ياقوم : عودوا الى تشريع ربكم فهو أولى بالاتباع من تشريعات مستوردة من الشرق أو الغرب .

والله الهادى الى سواء السبيل .

من مصادر التشريع الإسلامي

السُّنة النبويَّة

للدكتور : محمد سلام مدكور

السنة عند الفقهاء هى الفعل الذى دل خطاب الشارع على طلبه طلبا غير جازم فيثاب المرء على فعله وان كان لا يعاقب على تركه ، ويرى الحنفية أنها قد تكون مؤكدة وهى ما واظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعلها ولم يتركها من غير عذر الا بضع مرات . ويرون أن المكلف وان كان لا يعاقب على تركها فانه يعاتب ، وقد تكون السنة غير مؤكدة وتسمى بالسنة التنزيهية . وهى ما لم يواظب الرسول صلوات الله عليه على فعلها وانما تركها كثيرا من غير عذر . وهذه لا عقاب ولا عتاب على تركها وان استحق فاعلها الثواب .

والسنة عند الأصوليين : ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحكام الشريعة ــ غير القــــرآن ــ من قول أو فعـــــل أو تقرير . وهو ما نقصده بالبحث هنا .

وهى بيان للقرآن ، وتفصيل لمجمله ، وتوضـــــيح لمبهمة . فهى والقرآن امران متلازمان لأن الله سبحانه كما أمر رسوله بتبليغ ما أنزل اليه من ربه وذلك فى قوله جل شأنه : **« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته »** (المائدة / ٦٧) فانه أمره أيضا ببيان ما يحتاج الى بيـــان وذلك فى قوله : **« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للنـــــاس ما نزل اليهم »** (النحل / ٤٤) ولهذا نجده عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الحاكم عن أبى هريرة : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » .

ومن تعريف السنة عند الأصوليين يبين أنها ثلاثة أنواع :

١ ــ **قولية** : وهى ما يعبر عنها الأصوليون بالحديث أو الخبر من كل ما صدر عن الرسول عليه السلام من قول يتعلق بتشريع الأحكام غير القرآن .

٢ ــ **فعلية** : وهى ما صدر عن الرسول من أفعال بقصد التشريع مثل وضوئه وصلاته وحجه وغير ذلك من الأفعال المتعلقة بالأحكام التكليفية .

٣ ــ **تقريرية** : وهى أن يسكت صلوات الله عليه عن انكار فعل أو قول صدر فى حضوره أو غيبته وعلم به أو يوافق عليه ويظهر استحسانه . مثل ما رواه البخارى من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها يسلفون

فى الثمار السنة والسنتين ، والرطب ينقطع فأقرهم على ذلك — وكذا اقراره — كما يروى عن أحمد فى مسنده — معاذ بن جبل على ما قاله من أنه يجتهد برايه اذا لم يجد نصا فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ، اذ سر الرسول منه وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله » .

الأحكام التى جاءت بها السنة :

١ — **السنة قد ترد مؤكدة للقرآن :** وهذا النوع كثير . ومنه الأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين والنهى عن الشرك وعن شهادة الزور وعن سائر الموبقات . ويكون كل حكم من هذا وأمثاله ثبت بدليل من الكتاب واكده دليل آخر من السنة . ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه : « .. واستوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان أعوج شيء فى الضلع أعلاه . فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيرا » فذلك جاء تأكيدا لقول الله سبحانه : **« وعاشروهن بالمعروف »** (النساء / ١٩) .

٢ — **وقد ترد السنة مفسرة للقرآن :** وهذه تكون مبينة لمجمل الكتاب كالأحاديث التى بينت مواقيت الصلاة وعدد ركعاتها ومقدار نصاب الزكاة وشعائر الحج وغير ذلك مما ورد مجملا فى القرآن .

كما ترد أحيانا السنة المفسرة مقيدة لمطلق القرآن او مخصصة لعامه ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بالنسبةللوصية : « الثلث والثلث كثير .. » فقد قيد الفقهاء الاطلاق الوارد فى قوله تعالى : **« من بعد وصية .. »** (النساء / ١١) بهذا الحديث . ومنه ايضا قوله صلى الله عليه وسلم عن البحر فيما رواه ابن ماجه عن أبى هريرة « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » فقد خصص الفقهاء به النص القرآنى الوارد بصيغة العموم فى تحريم الميتة وهو قول الله جل شأنه : **« حرمت عليكم الميتة .. »** (المائدة / ٣) .

٣ — **وقد تكون السنة مكملة :** أتت بحكم سكت عنه القرآن فيكون هذا الحكم ثابتا اصالة بالسنة وذلك مثل ما روى فى الفرائض عن قبيضة بن ذؤيب قال : جاءت الجدة الى أبى بكر فسألته ميراثها فقال : « مالك فى كتاب الله شيء وما علمت لك فى سنة رسول الله شيئا . فارجعى حتى اسأل الناس » . فسأل . فقال المغيرة بن شعبة : « حضرت رسول الله اعطاها السدس » . فقال أبو بكر : « هل معك غيرك » ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال مثل ما قال المغيرة . فأنفذ لها أبو بكر . قال : ثم جاءت الجدة الأخرى الى عمر فسألته ميراثها فقال : مالك فى كتاب الله شيء ولكن هو ذلك السدس فان اجتمعتما فهو بينكما وايكما خلت به فهو لها . فميراث الجدة أو الجدات انفردت به السنة . ومن هذا ايضا تشريع الشفعة وتشريع خيار الشرط . وهكذا الكثير من الأحكام التى جاءت بها السنة استقلالا . دون أن يرد بها القرآن .

والبيان بالسنة المؤكدة والمفسرة موضع اتفاق . أما البيان بالسنة المكملة فمن الأصوليين من قال به ايضا لقولهم : أن السنة تستقل بتشريع الأحكام ، وانها تأتى بأحكام زائدة ، ويستندون الى ما جاء فى القرآن من وجوب طاعة الرسول استقلالا . الذى يشير اليه تكرار الأمر بالطاعة بالنسبة للرسول فى قوله سبحانه : **« اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم »** (النساء / ٥٩) فهو يشير الى أن طاعة الرسول واجبة فيما يأتى به ولو لم

يكن واردا فى القرآن .

لكن فريقا آخر من الأصوليين : يرى أن الزيادة التى جاءت بها السنة لم تستقل السنة فى الواقع باثباتها لأنها لا بد أن تكون متفرعة على أصل قرآنى عام . أو راجعة الى وحدة القصد أو راجعة الى اشاراته .

وعلى هذا فلا خلاف فى الواقع فى وجوب الاعتداء بالزيادة التى جاءت بها السنة ، وانما الخلاف فى الطريق الذى تثبت به هـــذه الزيادة . هل هو السنة استقلالا أم أخذا من القرآن .. ؟

حجية السنة :

لا خلاف فى أن السنة مصدر تشريعى ، وأنها المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن . ولذا فهى واجبة الاتباع فى المذاهب الاســـلامية كلها . فقد أمرنا سبحانه بطاعة الرسول فى عدة آيات من القرآن ومن ذلك قوله جل شأنه : « **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » (الحشر / ٧) يقول الامام الشافعى رضي الله عنه فى كتاب الأم : « لم أسمع أحدا نسبه النـــاس أو نسب نفسه الى علم يخالف فى أن الله فرض اتباع أمر الرسول . ولأنه لا يلزم قول الا بكتاب الله وسنة رسوله ، وأن ما سواهما تبع لهما » .

ويقول ابن حزم فى كتابه الأحكام فى أصول الأحكام : يقول الله سبحانه فى وصف الرسول عليه الصلاة والسلام : « **وما ينطق عن الهــوى ان هو الا وحي يوحى** » (النجم / ٤٢٣) فصح لنا بذلك أن الوحي قسمان : أحدهما وحي مؤلف تأليفا معجزا وهو القرآن الكريم . والثانى وحي مروى منقول غير مؤلف ولا معجز النظم ولا متلو لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن الرسول . والله تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم كما أوجب طاعة سابقه .

ويدل أيضا على وجوب اعتبار السنة مصدرا للتشريع . ان الله سبحانه أمر المسلمين اذا تنازعوا فى أمر أن يردوه الى الله ورسوله اذ يقـــول فى سورة النســـــاء : « **فان تنـــازعتم فى شيء فردوه الى الله والرســـــول** » (النساء / آية ٥٩) ، ويقول فى نفس السورة : « **ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » (آية ٨٣ / النساء) ، وكذلك فانه لم يجعل للمؤمنين الخيرة اذا قضى الله ورسوله أمرا اذ يقـــول جل شأنه فى ســـــورة الأحزاب : « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » (الأحزاب / ٣٦) .

وعلى هذا كان الصحابة فى عصره ومن بعده . فانهـــم تمثلوا بأوامره ونواهيه وما أحله وما حرمه دون أن يفرقوا بين حكم صـــدر فيه نص قرآنى أيضا وحكم اقتصر مصدره على السنة وحدها . وهذا اجماع منهم على أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم متى صح نقلها يجب اتبـــاعها مؤكدة كانت أو مفسرة أو منشئة لأنهم التزموا بالسنة بأنواعها .

كما يدل على حجية السنة عموما قوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدهما أبدا : كتاب الله وسنة نبيه » والأدلة على حجية السنة كثيرة ، حتى أصبحت حجيتها مستقرة فى النفوس لا تحتاج الى اقامة البرهان .

وانما تأخرت مرتبة السنة فى الحجية عن القرآن . لأن القرآن مقطوع بتبليغه لنا جملة وتفصيلا . بينما ما يروى لنا من السنة مقطوع بصدوره عن الرسول صلى الله عليه وسلم جملة لا تفصيلا ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر معاذ بن جبل على ترتيبه للمصادر التى يأخذ منها أحكامه عندما قال له الرســـول « بم تقضي ان عرض لك قضاء ؟ » فقال : « أقضي بما فى كتاب الله فان لم أجد أقضي بما فى سنة رسول الله . فان لم أجد أجتهد » .. فقد جعل معاذ السنة بعد القرآن فى الاحتجاج ورضي النبى صلى الله عليه وسلم منه ذلك .

وعلى هذا اذا تعارض نصان من الكتاب والسنة فيما يظهر لنا . وفق بينهما ان أمكن والا قدم النص القرآنى فى الاستدلال يقول الشوكانى فى كتابه ارشاد الفحول : « ان ثبوت حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف فى ذلك الا من لا حظ له فى دين الاسلام » .

ويقول الامام الشافعى العربى القرشي : « اذا بين الرســـول آية فى الكتاب فمن الله بين ، وحكم الله هو ما فى الكتاب على ما بين الرسول . كما أنه ليس للمسلم أن يخرج عن بيانه الذى بينه الرسول . لأن النص وبيانه من عند الله .. » .

ويروى أنه قيل لبعض السلف الصالح : « لا تحدثونا الا بالقرآن فقال : والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن » .

والسنة العقلية من ناحية الاحتجاج بها . فانهـــا ان كانت من الأمور العادية التى لا تتعلق بالتشريع فانها تدل على اباحة الفعل ، وان كان صلى الله عليه وسلم فعله جاء بيانا لحكم . فحكمه التكليفى يؤخذ من الحكم نفسه الذى بينه الفعل . ويعلم أن الفعل جاء لبيان حكم . أما بتصريح الرسول بذلك ، أو بأن تكون فى القرآن آية مجملة تفتقر الى البيان ولم يجىء بيانها الا بفعله عليه الصلاة والسلام ، أما اذا وقع منه الفعل المتعلق بالتشريع ابتداء بأن لم يكن بيانا لمجمل ولا امتثالا لنص آخر . فمن المالكية من قال : أنه يفيد الوجوب وقال آخرون منهم ومن الحنفية والشافعية : ان حكم هذه الأفعال متوقف على دليلها الذى يمكن الاستدلال به . وقال سائر الشافعية والظاهرية : انه فقط يندب التأسي به فيها . أما ما صدر عنه صلوات الله عليه على أنه خاص به فليس من قبيل التشريع العام .

لكن ابن حزم الظاهرى له اتجاه خاص فى دلالة الســـنة على الأحكام ويرى أن الذى يدل منها على الوجوب انما هو السنة القولية فقط . لأن الأقوال وحدها هى المعرفة للشرائع . لأن الرسول صلى الله عايه وسلم مأمور بالتبليغ بمقتضى قوله سبحانه : **((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته))** (المائدة / ٦٧) والتبليغ انما يكون بالأقوال .

أما السنة التقريرية فلا تفيد عند ابن حزم الا مجرد الاباحة لأن الرسول لم يأمر بها ولم ينه عنها ولو كان موضوعها مطلوب الفعل أو الترك لأمر به أو نهى عنه . فلم ينتج سكوته الا مجرد اباحة الفعل .

وأما السنة الفعلية فان ابن حزم يرى أن حكمها أن يقتدى بالرسول فيها على سبيل الندب والاستحباب وهو دون الايجاب . اذ لو كانت السنة الفعلية

يترتب عليها الوجوب لما قال الله سبحانه : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »** (الأحزاب / ٢١) وانما كان يقول : لقد كان عليكم .. اذ الوجوب لا يعبر عنه بلكم وانما بعليكم .. فالايجاب عند ابن حزم لا يستفاد الا من الأمر القولى .

ولا يكون الفعل عند ابن حزم دالا على الوجوب الا اذا كان تنفيذا لأمر من القرآن أو اقترن الفعل بأمر منه قولى مثل قوله : « صلوا كما رايتمونى أصلى » وقوله : « خذوا عنى مناسككم » .

شبه حول حجية السنة :

هناك من دفعهم الهوى الى المخالفة فى حجية السنة وشبه التبس عليهم أمرها ، أو لدافع خبيث يضمرونه من وراء ذلك . وقد يكون من الصالح الاشارة الى ما أثاروه من شبه وما يمكن أن يرد به عليها :

١ ـ قالوا : ان الله سبحانه يقول : **« ما فرطنا فى الكتاب من شيء .. »** (٣٨ / الأنعام) بحيث أصبح كل شيء يتطلبه الانسان من الأحكام قد جاء به القرآن فلا حاجة مع هذا الى ما وراءه من السنة . والا كان نفى التفريط غير صحيح . كما قال جل شأنه : **« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء »** (النحل / ٨٩) . فهذا اخبار منه سبحانه بأن الكتاب قد تكفل ببيان كل شيء .

والواقع ان الآية الأولى السياق فيها يدل على أن الكتاب فيها ليس القرآن وانما هو اللوح المحفوظ لأن نص الآية : **« وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء »** (الأنعام / ٣٨) . أى أن أحوال كل ما دب على وجه الأرض موجودة فى اللوح المحفوظ .

وعلى افتراض أن الكتاب يقصد به القرآن . فان حمل عموم النص على الظاهر هنا غير مراد . لأن كثيرا من الأمور الدنيوية لم تذكر فيه ، على أن ما ذكر فيه يحتاج الى بيان ، والمبين هو السنة لقوله تعالى : **« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »** (النحل / ٤٤) . ويمكن أن يقال أن الآيتين تشير الى أن القرآن مشتمل على كل شيء من الأصول العامة التى ترشد الى معرفة استنباط الأحكام وتكون طريقا لها .

٢ ـ وقالوا : لو كانت السنة حجة لتكفل الله بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن فى قوله سبحانه : **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** (الحجر / ٩) .

ودفع هذه الشبهة أن المراد بالذكر فى الآية ما يعم الكتاب والسنة اذ السنة أيضا من عند الله بمعناها وأحكامها والرسول ما ينطق فى أحكام التشريع عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . وقد حفظت السنة فعلا بتدوينها من العصور الاولى وتمحيص رواياتها ، وتفرغ كثير من العلماء فى صدر الاسلام للعناية بها .

٣ ـ وقالوا : ان الرسول عليه السلام منع كتابة السنة وأمر بكتابة القرآن . بل أمر صلى الله عليه وسلم بمحو ما كتب منها والتزم الصحابة بذلك ، فقد روى انه قال : « لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ،

وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » كما أن أبا بكر جمع الناس فى خلافته وقد كثر الحديث بينهم فقال : انكم تحدثون عن رسول الله احاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه .

والواقع — على ما بيناه تفصيلا فى كتابنا المدخل للفقه الاسلامى — أن النهى كان خاصا بكتاب الوحى كى لا يختلط بالقرآن غيره بدليل أن الرسول عليه السلام أذن لمن سأله فى الكتابة وقال : « أكتب عنى ولا حرج فوالله ما خرج مني الا الحق » على أن الأمر بالتحديث عنه مع عدم الكذب دليل على حجية السنة . كما أن موقف أبى بكر وغيره كان من باب الاحتياط وخلاف الاشتغال بالسنة عن القرآن . والا فاذا كانت السنة ليست حجة وان الصحابة فهموا ذلك فكيف يتفق هذا مع أخذهم بها وتركهم لما يصلوا اليه باجتهاداتهم اذا ما علموا فى المسألة سنة والأمثلة على ذلك كثيرة . كما أنه كيف يتفق هذا مع مشورتهم على عمر بكتابتها حين استشارهم فى ذلك .

حجية السنة من ناحية الرواية :

السنة من ناحية الثبوت باعتبار وصولها الينا . أما أن تكون متواترة او أخبار آحاد :

١ — **المتواتر** : ما تواترت روايته جماعة عن جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر التدوين . فلا بد فيه من أن تتوافر له كثرة الطرق فى جميع الطبقات ، وأن تحيل العادة تواطؤا هذه الكثرة على الكذب . والتواتر فى السنة الفعلية يتحقق ولا ريب . أما فى السنة القولية فانه يندر وجود الحديث المتواتر بلفظه وان كان كثر التواتر المعنوى . والسنة المتواترة تفيد اليقين والأخذ بها محل اتفاق فى الواقع .

٢ — **أخبار الآحاد** : وهى ما رواها عن الرسول صلى الله عليه وسلم عدد من الصحابة لا يبلغ حد التواتر وتبقى روايته على هذا الوصف حتى عصر التدوين دون أن يشتهر كما يرى غير الحنفية ، أما الحنفية فقد قسموه الى قسمين : مشهور ، وآحاد . وعلى كل فأخبار الآحاد تفيد غلبة الظن .

أ) المشهور : وهو ما رواه عن الرسول عدد من الصحابة لا يبلغ حد التواتر بحيث لا يمتنع عادة تواطؤ افراد هذا الجمع على الكذب . ثم يرويه بعد ذلك جمع من جموع التواتر فى العصر الثانى ويشيع وينتشر وتستفيض روايته وهكذا حتى عصر التدوين ويمثلون لذلك بالحديث الذى رواه عمر بن الخطاب عن رسول الله : « انما الأعمال بالنيات » وحديث : « بنى الاسلام على خمس » وحديث « لا ضرر ولا ضرار » وكتب الفقه الحنفى فى الواقع بالاخبار التى استدلوا بها أو خصصوا بها عام القرآن وقيدوا بها مطلقه وقالوا انها أخبار مشهورة .

والمسند المشهور مصدر تشريعى وهو وان لم يفد اليقين فانه يفيد عندهم طمأنينة قوية ، ولذا فانهم كما قلنا خصصوا به عام القرآن وقيدوا به مطلقه .

ب) خبر آحاد : وهو ما لم تتوافر فى روايته شروط التواتر والشهرة أى أن الذين انفردوا بروايته فى عصر الرسول لم يبلغوا حد التواتر ولم يشتهر فى العصر التالى وبقيت روايته على مثل هذا الحد حتى عصر التدوين وهو بالاتفاق لا يفيد اليقين وانما يفيد الظن .

ويختلف الفقهاء فى درجة الأخذ بأخبار الآحاد والاحتجاج بها وتقديمهـا على غيرها من الأدلة التى تلى السنة فى المرتبة . والحنفيه وان كان عرف عنهم التشدد فى الشروط التى يجب توافرها لاعتبار اخبار الآحاد فانه يجب ان يلاحظ أنهم اخرجوا من دائرته ما اشتهرت روايته فى العصر التـالى على ما بينا .

ويتفق الجميع للعمل بأخبار الآحاد أن يكون الراوى موثوقا به ، ويتحقق ذلك بأن يكون وقت الأداء بالغا عاقلا مسلما عدلا ضابطا لما يرويه . واشترط الحنفية فوق ذلك شروطا اخرى .

١ ــ ان لا يعمل الراوى بخلاف ما يرويه . لأن عمله بخلاف ما يرويه مع الثقة به دليل على انه قد صح عنده ما ينسخ ما رواه ولهذا لم يقبلوا ما رواه أبو هريرة : « اذا ولغ الكلب فى اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب » اذ قد صح أن أبا هريرة اكتفى بالغسل ثلاثا .

٢ ــ أن لا يكون الحديث فى أمر تعم فيه البلوى لأن مثـل ذلك يقتضي تواتر الدواعى على نقله بطريق التواتر أو الشهرة لكثرة وقوعه وحاجة الناس فيه الى البيان ولذا فانهم لم يعملوا بحديث رفع اليدين فى الصلاة عند الركوع لعدم اشتهاره مع وجود المقتضى لهذه الشهرة .

٣ ــ أن لا يكون الحديث مخالفا للقياس والأصول الشرعيـة اذا كان الراوى غير فقيه . ولذا فانهم لم يأخذوا بحديث ابى هريرة « لا تصروا الابل والغنم فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ان رضيها أمسكها وان سخطها ردها ورد معها صاعا من تمره » فرد صاع من تمر بدل اللبن ــ وهو مثلى ــ مخالف للقياس وللقواعد العامة اذ المثلى ينبغى أن يضمن بمثله .

أما المالكية فلا يشترطون شيئا فوق الثقة بالراوى الا أن يكون الخـبر موافقا لما عليه أهل المدينة لأن عملهم بمنزلة روايتهم عن رسول الله ورواية جماعة احق أن يعمل بها عند المخالفة من رواية فرد عن فرد ولذلك لم يعملوا بخبر البيعان بالخيار ما لم يتفرقا .

واكتفى الشافعى باشتراط أن يكون السند صحيحا بأن يكون متصلا ، والرواية ثقة معروفا بالصدق ، عاقلا لما يرويه . وترتب على اشتراطه اتصال السنة رفضه الخبر المرسل . وقال الشيعة : لا يعمل به الا اذا كان راوية احد ائمتهم . ولم يشترط الظاهرية ولا احمد بن حنبل فى رواية عنه شيئا أكثر من أن يكون الراوى ثقة وأن يكون الحديث غير ضعيف .

وعلى كل فالفقهاء متفاوتون فى الأخذ بأخبار الآحاد . فمنهم من احتاط وحكم القواعد العامة المرعية فى التشريع ورد مخالفها من ذلك . ومنهم من كان احتياطه فى عدم التهجم على الحديث بمجرد مخالفته للأصول العامة ، وعلى كل فالجمهور على أن خبر العدل الثقة يعمل به اذا حفت به القرائن .

الحديث المرسل :

الحديث المرسل عند الفقهاء والأصوليين وجماعة من المحدثين ما انقطع اسناده على أى وجه كان انقطاعه فهو عندهم بمعنى المنقطع لا فرق ، وقال كثير من المحدثين : لا يسمى الحديث مرسلا الا اذا أخبر فيه التابعى عن رسول الله مباشرة . فلا يعتبر حديث الصحابى مرسلا ولو سقط أحد رواته عن الرسول بأن كان سمعه من صحابى آخر رواه عن الرسول . وهو ما يطلق عليه عند الآخرين (مرسل الصحابى) وما اكثر مراسيل ابن عباس .

والأصوليون والفقهاء يقيدون مراسيل الصحابة اتفاقا يقول صاحب مسلم الثبوت : ولا اعتداد بمن خالف فى مرسل الصحابى لأنه انكار للواضح . اما مرسل التابعى . فالامام ابو حنيفة والامام مالك يعملان به ايضا كمرسل الصحابى ووافقهم الامام احمد فى احدى روايتين عنه . أما الامام الشافعى فانه لا يأخذ بمرسل التابعى الا اذا انضم اليه ما يقويه كأن يكون قد عمل به بعض الصحابة ، أو روى مرسلا من طرق اخرى أو كان من مراسيل سعيد ابن المسيب .

رواية الحديث بالمعنى :

لا شك أن المحافظة على رواية الحديث بلفظه هو الأصل لأنه الأدق ، كما أن ما كان من جوامع الكلم نحو حديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وما كان فى معناه خفاء لا بد فيه من روايته بلفظه دون تغيير فيه .

ويختلف الفقهاء بعد ذلك فى رواية الحديث بالمعنى . فالأئمة الأربعة على الجواز مطلقا حتى مع تذكر الراوى للفظ ، وانما اشترطوا لذلك أن يكون الراوى عالما بمدلولات الألفاظ من جهة اللغة ومن جهة الشرع اذ قد يحتمل أن يكون اللفظ واردا على المعانى الشرعية ، كما اشترطوا أن يكون عالما بمواقع الكلام بحيث يكون البدل مساويا للفظ الرسول فى فهم المراد منه .

يدل على ذلك ما روى أن عبد الله بن سليمان بن اكثمه الليثى قال : قلت يا رسول الله : انى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أرويه كما أسمع منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا . فقال : « اذا لم تحلوا حراما ولا تحرموا حلالا واصبتم المعنى فلا بأس .. » .

والأحاديث الكثيرة التى تتفق فى مدلولها وتختلف فى منطوقها والتى رواها الصحابة تدل على استعمالهم لهذا الترخيص الذى أباحه لهم الرسول دفعا للحرج .

ومنهم كابن سيرين والرازى من الحنفية من منع ذلك مطلقا خشية الوقوع فى الخطأ ، وأيدوا هذا بما روى عن الرسول من أنه قال : نصر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه .

وبين هذين الاتجاهين اتجاهات أخرى . فمنهم من أجاز الرواية بالمعنى لمن نسى اللفظ فقط ومنهم من قال بالعكس لأن الحافظ للفظ يستطيع التصرف باتيان المرادف والمساوى بخلاف الناس .

التعزير بأخذ

١ — يعتبر التعزير فى الشريعة الاسلامية من أهم وسائل مكافحة الجريمة وأنجعها فى تعقب أفانين المجرمين ، لما فى طبيعته من المرونة التى تمد القضاة والحكام بما يتطلبه القمع والمنع والتأديب فى المجتمع ..

وهو فى الوقت نفسه دليل قائم على واقعية الشريعة ومسايرتها تطور الحياة ، وواقع الأحياء ، وعلى غناها الذاتى بالمبادىء التشريعية ، والقواعد التنفيذية .

واذا كان الحد فى لسان الفقه : عقوبة مقدرة تجب حقا لله تعالى . فان التعزير : عقوبة غير مقدرة ، أو هو كما يقول الفقهاء : تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود .

٢ — وبين الحد والتعزير فروق كثيرة ، من حيث الاثبات والتقادم والتقدير والعفو ، ومن حيث الدرء بالشبهة ، والنظر الى شخص الجانى ومبلغ الجناية ، وغير ذلك مما تتناوله احصاء وتفصيلا كتب الفقه، وعلى التخصيص منها : فروق القرافى(١) .

٣ — ولا تكاد تحد أنواع التعزير، فمن العتب الى اللوم الى التوبيخ ، ومن الحبس الى الضرب ، ثم من التغريب الى التغريم ، ثم الى بيع ما يمتلكه المعتدى .. الخ .

وأدناها نظرة شزر من الحاكم . وربما وصل أعلاها عند بعض الفقهاء — كالحنفيين — الى القتل سياسة، عقوبة لبعض الجرائم التى تهدد كيان الأمة ، وتفرق كلمتها ، وتهز نظام الاسلام العام فيها ، وذلك : كالتجسس لصالح العدو ، والدعوة الى البدع الهدامة ، وتشكيك المسلمين فى دينهم .. وما الى ذلك .

ومن خير ما أثر فى هذا الصدد قول عمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه : « سيحدث للناس أقضية ، بقدر ما أحدثوا من الفجور »(٢) .

٤ — وربما وقع الخلاف فى بعض أنواعه شرعية ومقدارا(٣) ، ومن أكثرها احتداما التعزير بأخذ المال ،

المال

للدكتور محمد فوزى فيض الله

والجزاء النقدى فى الاصطلاح القانونى ، ونعرض هنا بشىء من التفصيل الذى يتسع له مثل هذا المقال ، للمذاهب الفقهية فى هذا الضرب من التعزير ، مع توجيهها ، والمقارنة بينها ، كيما نصل الى الرأى الذى يبدو فيه الحق ، ثم نشفعه ببعض التطبيقات الفروعية .

٥ ــ أ) فمذهب أبى حنيفة ومعه محمد ، ومالك والشافعى ــ فى الجديد ــ وأحمد ــ فى رواية عنه ــ المنع من التعزير بأخذ المال .

ب) ومذهب أحمد ــ فى المشهور عنه ــ والشافعى فى القديم ، واختيار ابن القيم ، جوازه .

جـ) والمروى عن أبى يوسف جوازه أيضا ، خلافا لأبى حنيفة وصاحبه . ومع هذا فقد وجد من فسر هذه الرواية عنه من متأخرى الحنفيين : بأن يأخذ الحاكم مال المعتدى ، ليحبسه عنه فترة ، زجرا له ، ثم يعيده اليه اذا استقام ، ولا يضعه فى بيت المال ، فان لم يستقم تصرف فيه(٤) .

٦ ــ ويمكن أن نذكر من أدلة الأولين المانعين ما يأتى :

أ) ان التعزير ، مهما تعددت صوره وألوانه ، لا يخرج عن معنى العقوبة ، ومن شرط العقوبة المماثلة بالنص ، ولا مماثلة بين الحاق الأذى بالآخرين ، وارتكاب المنكر ، وبين المال .

ب) ان الرواية المنقولة عن أبى يوسف ضعيفة ، ولو سلمت فهى مؤولة ــ كما ذكرنا ــ بالحبس المؤقت ، ومع ذلك فلا تجوز الفتوى بها ، لما فيها من تسليط الظلمة على أموال الناس فيأكلونها(٥) .

جـ) ان التعزير بأخذ المال كان فى صدر الاسلام ، ثم نسخ ، فانسد بذلك مجال تطبيقه ، ويتزعم هذا الوجه الطحاوى من الحنفية .

د) يضاف الى ذلك ان أخذ مال الآخرين ممنوع فى الأصّل ، الا أن يستند الى سبب شرعى ، من بيع

أو هبة أو نحوهما ، وذلك مفقود هنا(٦) .

٧ ـ ويمكن أن تناقش هذه الأدلة بما يأتى :

أ) ان اشتراط المماثلة فى العقوبات ، هو فى التعويضات المالية ، وفى القصاص والجروح ، مما تتأتى فيه مراعاة المثلية وتفيد ، أما حين تتعذر المماثلة ، فلا مناص من اللجوء الى الأرش وحكومة العدل . الا ترى أن الانسان يجبر بالابل فى الدية ، مع انها ليست من جنسه ولا من جنس أعضائه(٦) .

بل حيث لا تفيد المماثلة نفسها يعدل عنها ، كما فى صور الاتلافات المالية ، فليس من الحكمة ولا من المصلحة اتلاف مال المتلف ، نظير ما اتلفه للمتلف عليه ، والا لتفاقم الضرر ، بل الحكمة فى أخذ مال المتلف ، واعطائه المتلف عليه . كما انه ليس من المعقول ولا من المقبول ان تمس كرامة المؤذى ، بمثل ما مس به كرامة غيره ، والا كان ذلك اشاعة للفاحشة بين الناس ، وتثبيتا لها فى أنفسهم . وانما المفيد عقابه بما يؤدبه ، ويردع غيره .

ومراعاة لهذا المقصد السامى من تشريع العقوبة فى الشريعة الاسلامية ، وهو تنظيف المجتمع المسلم من لوثات الأذى بزجر الجانى ، وردع سواه ، فوض التعزير نوعا ومقدارا الى رأى الحاكم ، ليتخذ الوسيلة المجدية فى القمع والتقويم .

وهذا تفسير الخلاف السائد بين الفقهاء فى جواز زيادة التعزير بالجلد على عشر جلدات ، وزيادة التعزير بالجلد على الحد ، مع النهى الوارد عنهما فى حديث : « لا يجلد أحد فوق عشر جلدات ، الا فى حد من حدود الله » متفق عليه . وحديث : « من بلغ حدا فى غير حد فهو من المعتدين » رواه البيهقى . وقد ذهب اليه مالك محتجا ببعض الآثار ، ومنعه غيره .

ب) أما أن الرواية المنقولة عن أبى يوسف ضعيفة ، وأنها مؤولة . فقد تقوت الرواية ببعض الفروع التى افتى بها المتأخرون من الحنفيين أنفسهم ، ومنها ما نقله ابن نجيم عن الخلاصة ، فقد جاء فيها ما نصه : « سمعت من ثقة أن التعزير بأخذ المال ، ان رأى القاضي ذلك أو الوالى ، جائز . ومن جملة ذلك : رجل لا يحضر الجماعة ، يجوز تعزيره بأخذ المال »(٧) .

وبهذا يستغنى عن تأويل الرواية المذكورة بالذى قرره المتأخرون وأصحاب الفتاوى .

أما أن الرواية ضعيفة ، فان القول الضعيف فى المذهب يجوز العمل به اذا أقره حاكم المسلمين ، وقراره يرفع النزاع ، ويجوز العمل بالقول الضعيف بناء على ذلك ، باعتباره محققا لمصلحة ، أو دافعا لمفسدة . بل ان « القول الضعيف عندما يختار للعمل به لمصلحة من مصالح الأمة ، لا يبقى ضعيفا ، بل يصير راجحا »(٨) .

وأما أن فى ذلك تسليطا للظلمة على أموال الناس ، فهذا المحذور منتف في أيامنا لأن القاضي يحكم بالعقوبة المالية ، وتشرف المحاسبة

على تنفيذها ، وتدخل الخزينة العامة رأسا(٩) .

ج) أما النسخ فلم يقم عليه دليل ، بل قام الدليل على نقيضه ، فاستجازه عملا عمر وغيره من الخلفاء الراشدين ، الذين يمثلون عصر الاحتجاج ، من غير انكار ولا مخالفة من احد . وسنرى له عما قليل بعض التطبيقات العملية .

د) هذا الى أن أخذ أموال الآخرين ليس مقصورا على العقود الرضائية، فهناك تضمينات الاتلافات المالية ، والديات ، وأروش الجراحات ، وكلها أسباب شرعية لأخذ مال الآخرين، فكذلك التغريمات او التعزيرات المالية .

٨ — ومن أهم حجج المجيزين ما يأتي :

أ) أن عمر — رضي الله عنه — اضعف الغرم على سارق ما دون النصاب .

ب) ذكر ابن القيم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « عزر بحرمان النصيب المستحق من السلب ، وأخبر عن تعزير مانع الزكاة بأخذ شطر ماله ، وعزر بالعقوبات المالية فى عدة مواضع ، وعزر من مثل بعبده ، باخراجه عنه ، واعتاقه عليه ، ولم يعرف أنه عزر بدرة ولا حبس ولا سوط ، وانما حبس فى تهمة ، ليتبين حال المتهم »(١٠) .

جـ) روى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « فى كل ابل سائمة ، فى كل أربعين ابنة لبون ، لا تفرق ابلها عن حسابها ، من أعطاها مؤتجرا فله اجرها ، ومن منعها فانا آخذوها وشطر ابله ، عزمة من عزمات ربنا — تبارك وتعالى — لا يحل لآل محمد منها شيء »(١١) .

د) ثبت أن عمر — رضي الله عنه — عزر من أسقط عنه الحد، وغرمه ضعف المسروق . فذكر ابن القيم — رحمه الله — هذا الأثر :

« عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن حاطب ، أن غلمة لحاطب بن ابى بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فأتى بهم عمر ، فأقروا . فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب ، فجاء ، فقال له : ان غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة ، وأقروا على أنفسهم . فقال عمر : يا كثير بن الصلت : اذهب فاقطع أيديهم . فلما ولى بهم ، ردهم عمر ، ثم قال : أما والله ! لولا انى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم ، حتى ان أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه ، حل له ، لقطعت أيديهم . وايم الله ، اذ لم أفعل لأغر منك غرامة توجعك . ثم قال : يا مزنى ! بكم أريدت منك ناقتك .. ؟ قال : بأربعمائة . قال عمر : اذهب فأعطه ثمانمائة »(١٢) .

هـ) كما قد يستدل لهؤلاء ايضا — على التوسع — بما روى من تحريق عمر المكان الذى يباع فيه الخمر ، وتحريقه قصر سعد بن أبى وقاص ، لما احتجب فيه عن الرعية، وصار يحكم فى داره ، وهذا لأن تحريق المال على صاحبه ، ليس أكثر من أخذه منه تغريما وتعزيرا فى منكر أو ايذاء لغيره ، ففى كليهما حرمانه منه . واستيهاننا هذا الدليل واستضعافه ، من حيث أن المانعين

من التعزير بأخذ المال ، كالحنفية والمالكية ، يجوزونه ، ولعلهم يرونه ازالة للمنكر ، لا تعزيرا ماليا ، بينما لا يرى الشافعية التعزير باتلاف المال .

وبينما استجاز الحنفية ــ مثلا ــ تهديم البيت على الفساق ، وتكسير ادنة خمورهم ، منع الشافعي من تحريق الرحال ، والمعاقبة في الأموال ، وقرر أن الله جعل الحدود على الأبدان لا على الأموال . ولهذا اعتذر عن الأخذ بحديث تحريق بيوت تاركي الجماعات ، وحمله أتباعه على انه من باب ما لا يتم الواجب الا به . في حين استدل به المالكية وغيرهم على جواز العقوبة بالمال(١٣) .

٩ ــ من هذا العرض الخفيف لمذاهب الفقهاء وأدلتهم ، يتجه القول ــ فيما يبدو ــ بجواز التعزير بأخذ المال ، وتفويضه من حيث المقدار الى رأى الحاكم ، دون تحديد .

وانما شغل الفقهاء بتحديد ما يوجب التعزير :

أ) فقال ابن القيم : « اتفق العلماء على أن التعزير مشروع في كل معصية ليس فيها حد ، بحسب الجناية في العظم والصغر ، وحسب الجاني في الشر وعدمه »(١٤) .

ب) ويؤخذ من كتب الشافعية نحو ذلك ، فيعزر في كل معصية لا حد لها ولا كفارة ، سواء أكانت حقا لله تعالى أم لآدمي(١٥) .

جـ) ويؤخذ من كتب الحنفية ان كل من ارتكب منكرا ، أو آذى غيره بغير حق ، بقول أو فعل أو اشارة ، يلزمه التعزير(١٦) .

١٠ ــ ومن تطبيقات ذلك : السب الذى لا قذف فيه ، والتزوير ، وشهادة الزور ، والضرب بغير حق ، وكذا الايذاء بأى وجه ، بما يمس الشخص في دينه ، أو يخدش عرضه ، أو يجرح كرامته .

فمن فروع الفقهاء في هذا ، وفيما نحن بصدده ، وهو التعزير المالي :

أ) أن من قال لغيره : يا يهودى ، او يا نصرانى ، أو يا مجوسي ، فلا حد عليه ، ويعزر(١٧) .

ب) لو ضرب شخص آخر اسواطا ، ولم يكن لها اثر ، لا شيء في ذلك . وقال ابو يوسف : عليه أرش الألم ، وهي حكومة عدل(١٨) . وهذا هو التعزير المالى ، نصا .

ج) ولو جرحه وبرىء ، ولم ينقص اصلا ، يعزر فقط ، الحاقا للجرح باللطم والضرب ، للضرورة . وقيل : يفرض القاضي شيئا باجتهاده .. ورجحه البلقيني ، واعتمده البجيرى(١٩) . وهذا الفرع كسابقه نص في التعزير بأخذ المال .

١١ ــ هذا ، وربما كانت العقوبات البدنية التعزيرية ، من الحبس والضرب والهجر والتأنيب ، ذات اثر بليغ في النفس ، زجرا واصلاحا ، حينما كانت القيم الانسانية ذات بال وشأن في نفوس الناس ، وحينما كان للأخلاق الصف الأول في المجتمعات الاسلامية . أما وقد انتكست هذه المجتمعات كغيرها ، وصدرت فيها الاعتبارات المادية ، حتى كان لها الصف الأول، وأصبحت الهدف الحيوى الأول ، فينبغي أن تتغير اساليب التعزير، وأن تتخذ من الصور أليقها حيال التأديب والتقويم .

بناء على ذلك ، وفي زماننا هذا ،

يكون التعزير بأخذ المال — كما يعبر الفقهاء — أو بفرض الغرامة — كما يعبر القانونيون — فى الأضرار الأدبية المعنوية ، أمرا مطردا مع تسلط المادة ، وسيطرتها ، ومنعكسا مع تقلص القيم الخلقية .

بل وربما صح القول : ان فى هذه الأضرار والايذاءات المنكرة ، يجتمع حقان : حق الله فى نظافة المجتمع وطهارته ، وحق العبد فى الكف عن ايذائه . فليكن حق الله بالتعازير العقابية الواقعة على الجسم والنفس ، بحسب الأحوال . وليكن حق العبد بفرض الغرامة المالية له على من آذاه . ولكل منهما أثره فى الزجر والتأديب، فيتخير الحاكم منهما الأبلغ فى الأثر، والأعمق فى العبر .

هذا مع العلم بأنه لا تلازم بين هذين الحقين ، بمعنى أن اسقاط المعتدى عليه حقه ، لا يستلزم اسقاط حق الله، بل يبقى هذا قائما، باسم (حق السلطان) وذلك للتقويم والتهذيب الاجتماعى(٢٠) ، وهذا أظهر وجهين عند المالكيين(٢١) ، واستجاز الحنفيون عند الحاكم أيضا ، اذا تحقق انزجار المعتدى ، ورأى ان العفو عنه أصلح له(٢٢) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) الفرزدق للقرافي ١٧٧/٤ — ١٨٣ وهامش تهذيب الفرزدق ٢٠٤/٤ — ٢١٠ .. (٢) معين الحكام للطرابلسي ٢١٧ .. (٣) الهداية للمرغيناني ٨٧/٤ وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدرديري ٣٥٤/٤ — ٣٥٥ والميزان للشعراني ١٦٧/٢ — ١٦٨ .. (٤) رد المحتار ١٧٨/٣ — ١٧٩ وحاشية الشلبي على تبيين الحقائق للزيلعي ٢٠٨/٣ ومعين الحكام ١٩٠ والبحر الرائق لابن نجيم ٤٤/٥ وحاشية الشرقاوي على شرح التحرير ٤٤٨/٢ وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدرديري ٣٥٥/٤ وفى الاخير نظر حيث ذكر الاجماع على المنع .. (٥) قواعد الاحكام للعز بن عبد السلام ١٧٤/١ .. (٦) رد المحتار ١٧٨/٣ .. (٧) البحر الرائق ٤٤/٥ ومجموعة رسائل ابن نجيم الرسالة الثالثة عشرة ملحقة بحاشية الحموي على الاشباه والنظائر ٤٧ .. (٨) بحوث في التشريع الاسلامي للشيخ محمد مصطفى عبدالرزاق ٢٩ .. (٩) حاشية المدخل الفقهي العام للاستاذ مصطفى الزرقا ٦٣٨/١ .. (١٠) أغاثة اللهفان ٣٣٢/١ والطرق الحكيمة ٢٤٥ — ٢٤٦ .. (١١) اغاثة اللهفان .. (١٢) اعلام الموقعين ٣٢/٣ .. (١٣) فتح الباري ١٣٠/٢ .. (١٤) معين الحكام ١٩٠ والاحكام السلطانية للماوردي ٢٢٧ .. (١٥) حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب ٢١٧/٤ .. (١٦) الدر المختار ورد المحتار ١٨٢/٣ — ١٨٥ .. (١٧) حاشية الشعبي على تبيين الحقائق ٢٠٨/٣ والشرح الكبير للدرديري وحاشية الدسوقي ٢٣٠/٤ .. (١٨) الدر المختار ٥٧٦/٥ — ٥٧٧ .. (١٩) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب بهامش حاشية البجيرمي ١٦١/٤ .. (٢٠) الاحكام السلطانية للماوردي ٢٢٧ .. (٢١) تهذيب الفرزدق ٢٠٥/٤ .. (٢٢) رد المحتار ١٨٦/٣ — ١٨٧ .

الكلمة

مِن المنظُور الاسلامي

للأستاذ : محمد احمد العزب

ترى .. ماذا تكون هذه الحياة لو لم تكن الكلمة ؟ اغلب الظن أنها تكون دمية خرساء تخمش وجهها بيديها ، وتطمس في احداقها النور والدفء ومعنى أن تكون ما هي الآن !!

فالكلمة هى الوسيلة الاولى لالتقاء الأفراد والأجناس على معنى الزمالة والحب ، هي التى جمعت آدم الوجود بحوائه فبنيا هذا الاجتماع الشاهق الذي نعيش بنبضه وخفقاته حتى الآن ، وتركا لنا منه هذا الكم الهائل من العواطف النظيفة المتعالية التي تتوهج ذاتيا في اعماق اعماقنا فتورق بالحب وتثمر ملايين الملايين من أطفال الوجود .. وتتوهج ابداعيا فتعطى مثل هذا التاريخ الفنى الذى نراه فى أدب العواطف الثرة منذ فجر الكتابة والرواية حتى اليوم وهو تاريخ عظيم بكل المقاييس ! وهي التي أخرجت الانسان من كهفه الأول حيث عاش في هذا الكهف محاصرا بالخوف من الأشياء والأحياء ، وحيث كان يتوهم في كل حركة عدوانا وفي كل آخر عدوا ، وفي كل مظهر من مظاهر الكون قضية صماء غير قابلة للفهم وغير قابلة للاحتواء ، فلما احتوى الكلمة بدد غواشي الخوف ، وادال في نفسه للحب من العدوان ، وجعل من مظاهر الكون قضية ناطقةبآلاف الأسرار والمعطيات فطور ذاته ووجوده ، واعطى الحياة امكانية ان تتفوق على نفسها ابدا وان تنمو في كل الاتجاهات مزيدا من النمو ، وغير قليل من الاندفاع ! وهى التي بنت الحضارة بالفهم ، وشيدت المدنية بالعلم ، واحالتصخر الوجود الى جنات بهذا اللقاء البشري على معنى التعاون وتبادل الخبرات ، انت تعطيني في هذا المجال واذا اعطيك في هذا المجال ، ومن احتكاك هذه العطاءا تالمتكاملة تنبثق اعظم خطوات التطور الاقتنائي في حياة البشر ، وتتبوأ الحضارة عرشها السامق ، فتتدفق الحياة بالخير الناهض على العلم وبالحق المدعوم بالفهم ، وبالجمال المؤطر بالحب ، ويصبح الوجود مثابة للناس وامنا وتتعاطى الجماهير أزهار السلام !.

والكلمة هى ناقلة التراث الحضاري من جيل الى جيل ، فيأخذ الجيل الخالف من هذا التراث بقدر ما يحتاج وتحتاج المرحلة التى يعيشها على الارض ، ثم يضيف الى كم التراث الذي احتواه والى نوعه معا ما تعين المرحلة على اضافته واعطائه ، واضعا في حساباته دائما أن الجيل الحاضر ينبغي أن يسلم الشعلة الى الجيل الآتي وهي أروع ايماضا واسطع توهجا ، واضوأ ضوءا أو مساحة ضوء اذا شئنا أن نقول ! وهنا لا بد أن نفطن الى شيء صميمي ، هو ن قضية التراث الحضاري التي تأخذ الكلمة على عاتقها عبء نقله وتطويره عبر آلاف

من الأجيال ينبغي أن تفهم على نحو صوابي ، فليست الحضارة هي حضارة الكلمة وحدها ، وليست هي حضارة العلم وحده ، وليست هي حضارة الروح فحسب ، وليست هي **حضارة المادة ثم لا شيء .. انها** حضارة هذه الأنماط جميعها ، فالحضارة الفكرية ، والحضارة العلمية ، والحضارة الروحية ، والحضارة المادية ، تشكل جميعها حضارة واحدة بلا فصام ، أعنى أن حضارة واحدة من هذه الحضارات في غياب الحضارات الاخرى لا يمكن ان تكون الحضارة الانسانية الراشدة والمأمولة ، وانما تظل تصرخ باحتياجها اللازب الى غيرها من الأنماط حتى تتكامل وتكتمل ... أن الفصام الجاهل بين حضارة المادة وحضارة الروح هو افدح ما يعاني منه الفكر العقائدي ، ولو اننا وعينا جيدا معنى (خلافة) الانسان لله في الأرض لما طاف بخيالنا يوما أن صداما من أي لون يمكن ان ينشا بين حركة الروح وحركة المادة ، أو بين طبيعة الفكر المجرد وطبيعة العلم التطبيقي ، ان هذه المجالات المتكاملة تشكل في نهاية المطاف معنى الحضارة في نسقها الشمولي ، وهو ما تحمل الكلمة عبء التبشير به أولا ، ثم عبء الفتح ثانيا ، ثم عبء نقله من جيل لى جيل آخر الأمر ، حتى تظل الشعلة باقية ومتوهجة ، ويظل المسار الانساني مندفعا فيعروجه ، محققا معنى وجوده على الأرض ، ناهضا بأعباء التطور ومتصديا للدفاع عنها حتى يسدل على ضوء الوجود آخر ستار.

والكلمة هى صلب كل الرسالات والاديان ودعوات المصلحين .. هى التوراة ، وهى الانجيل ، وهى القرآن وهى كلما خلف الانبياء والهداة والمصلحون على قمم الحياة من مشاعل فكرية مضيئة .. ان الفكر البشري ليقف مذهولا اذا هو حاول أن يتأمل معطيات انجاز الكلمة من خلال القرآن والانجيل والتوراة ، وما احدثت هذه الكتب من تحولات تاريخية في الذهنية الانسانية من جهة ، وفي التطور الحضاري من جهة ثانية ، وفي شكل العلاقة القائمة بين الانسان والكون آخر الأمر .. ان مضمون هذه الكتب السماوية وما ينحنى عليه هذا المضمون من تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وأخلاقية وعقائدية هو شكل من أشكال فعل السماء في الارض ، والكلمة وحدها كانت حاملة هذا المضمون الالهي البشري في آن ، فأحدثت بذلك أعظم ثورة في تاريخ المسيرة الانسانية ولا تزال .. اننا مدينون للكلمة بشكل الحياة التى نعيشها اليوم ، وبشكل الحيوات الاخرى التي عاشها والتى سيعيشها كذلك اسلافنا واخلافنا بلا تحديد ، لأن حيوات السالفين في نسقها الذي شكلته الكلمة كانت رافد حياتنا نحن ، وبهذه الصلة العضوية بين انماط الحيوات السالفة والآتية والخالفة ، يمكن ان نفهم مشروعية الكلمة وصميمية وجودها في وجود الوجود .. لو اننا نحينا الكتب السماوية وامتدادها الفكري والحضاري والعقائدي جانبا ونظرنا الى التطور الانساني بغيرها ماذا!

كان يمكن أن يكون : لعرفنا أن حجم الخصب الذي اعطته هذه الكتب هو بعينه حجم هذا التطور ، لأن الانسان عاريا من حراسة القيم والقضايا والأساسيات التي جاءت بها الكتب السماوية لم يكن ليكون شيئا على الاطلاق .. ان حقول الاقتصاد والسياسة والاجتماع والاخلاق والعقائد غاصة باشعاعات هذه الكتب ، وبدونها كان يمكن أن تظل جديبة قاحلة ، ترتد في منطلقاتها ومصباتها جميعا من النقيض الى النقيض ، لان من طبائع الاشياء أن ينسخ الفكر البشري عطاء الفكر البشري بلا توقف ، ربما ليفرض حلوله ، وربما ليرضى غروره ، وربما لينتصر لوجهة على وجهة ، وهكذا تظل قضية الاجتماع الانساني ممزقة بين أطراف النقائض ، قابلة للضياع فى أبد الحوار .. ولكن هذه القضية نفسها (أعنى قضية الاجتماع الانسانى) تظل فى ضوء التشريع السماوى على قرارها الأول ، فاتحة صدرها لمزيد من الحوار والحركة ، ولكن فى اطار من أساسياتها الثابتة وليس قفزا بالسيوف على هذه الأساسيات .. وهكذا تستقر وتعتدل الموازين !!

والكلمة الحرة بطبيعة تكوينها البدئى ، اعنى انها لا تستمد حريتها من رافد خارجى ، فالسيف لا يستطيع أن يمنع الذهن الانساني من تدوير الكلمات فى خاطره ، أن هذا الذهن الانسانى ليملك من الأجنحة ما يضرب به فى كل آفاق السماوات ، والذين يكبلون الكلمة باسم هذه أو تلك من المواضعات يخطئون أفدح الخطأ ، لان من المواضعات ما ينبغى على الكلمة أن تشهر في وجه السيف ، حتى حق الخطأ يجب أن نمنحه للكلمة بلا خوف ، لأن من الخطأ يتولد الصواب ، ولأن الرأى النقيض يعطيك من امكانية الحركة اضعاف ما يعطيك الرأى الصديق ، أن الرأى الصديق لا يزيد على أن يعطيك مزيدا من المسلمات ، ولكن الرأى النقيض يعطيك امكانية فهمه ، وامكانية الحوار معه ، وامكانية احلال البديل .. ان الكلمة الحرة .. أو الكلمة الحرية ، هى التى وقفت فى وجه الطغيان فما استطاع أن يقتلع الجذور من الأرض ، وهى التى واجهت الارهاب فما استطاع أن يخرس الأصوات فى حومة الجدل ، وهى التى زاملت الانسان في محنة تصديه لكل التجاوزات فخرج من كل اولئك ظافرا غير مقهور .. ولو اننا القينا نظرة على مسار الحركة الانسانية فى التاريخ لعرفنا أن انسان هذا التاريخ البطولى هومن كان يتعزى عن فقدانه حريته بالكلمة ، كان سقراط يستقبل الموت باسما تحت راية الكلمة ، وكانت الكلمة جناحيه اللذين يحلق بهما فوق السجن فى كل الفضاءات العريضة الملونة !!

فى ضوء هذا المفهوم الشمولى للكلمة .. ما هى الكلمة اذن من المنظور الاسلامى ؟ وما هى أبعادها الحقيقية من هذه الوجهة ؟

لا بد أن نقرر منذ البدء انها كل هذه الأشياء التى أسلفنا ، وشىء آخر يعطيها على الصعيد الاسلامى

خصوصية بارزة ..
أعنى انها وسيلة الالتقاء بين الجنسين ..
وهى ناقلة التراث الحضارى ..
وهى صلب كل الرسالات والأديان ودعوات الاصلاح ..

وهى حرة بطبيعة تكوينها البدئى حتى لتمتزج بالحرية امتزاجا وجوديا غير مبتوت ..

ثم هى (من المنظور الاسلامى) وضعية متميزة تحمل خصائصها الدالة ، وملامحها الفارقة .

ولعلنا من خلال استقصاء مقارب لورود الكلمة فى القرآن من جهة ، ولتأمل طبيعة هذا الورود فى القرآن من جهة أخرى ، نستطيع أن نضع تحت أعيننا ملامح الكلمة كحقيقة موضوعية من المنظور الاسلامى، وقد نستدرك على الفور ملاحظين أن ورود الكلمة فى القرآن قد يجىء نصيا وقد يجىء ضمنيا ، وهى من الوجهة النصية او من الوجهة الضمنية تعطى دائما حقيقتها ، وتضع لنفسها ذاتية متفردة تكاد تجعلها مثالا من الكمال الخاص الذى لا يندرج تحته ما سواه مما عسى أن يكون هابطا او خابطا او عشوائيا ... وربما نستدرك كذلك ملاحظين أن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم فى تحركه بالكلمة وفى تحركه مع الكلمة يضع لها هو الآخر بوحى من القرآن شروطها التاريخية التى تجعل منها كيانا موضوعيا متفجرا بالحيوية والحركة والنقاء واعتناق كل الكون ، والتنائى بها دائما عن أن تكون اطارا مجوفا بلا مضمون ، أو شعارا منفصلا فى حركة وجوده عن الواقع ، أو سلاحا لختل الأشياء والمعانى والارتماء بها فى ليل المجاهيل ..

فالكلمة (كما يصورها القرآن الكريم) تلخيص لتراسل السماء والأرض فى بواكير الوجود لاستنقاذ أبى البشرية آدم عليه السلام : **« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم »** !!
(سورة البقرة : ٣٧)

وهى اجمال لفلسفة الاسلام كدين شمولى تكاملت حلقاته وتتامت : **« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته »** (سورة الأنعام : ١١٥) !
وهى هتاف الانضواء تحت فهم كلى للحقائق الكبرى : **« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »** (سورة آل عمران : ٦٤) !

وهى سلاح جمعى ذو حدين .. مضىء ومعتم : **« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار »** (سورة ابراهيم : ٢٤ : ٢٦) !

وهى بدء لا ينتهى ، ومداد لا يجف ؟ : **« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد**

كلمات ربى ولو جئنا بمثلـه مددا » (سورة الكهف : ١٠٩) !

وهى ميـزان الحـق وسيـف العدالة : **« ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون »** !

وهى طائر أبيض الجناحين قادر أبدا على اختراق الآفاق والسموات : **« اليه يصعد الكلم الطيب والعمـل الصالح يرفعه »** (سورة فاطر : ١٠)

وهى قـدس اقـداس يتسامى للانتماء اليه الأنبياء : **« انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمتـه القاهـا الى مريـم »** (سـورة النساء : ١٧١) .

الى مثل هـذا الحـد تتوهـج (الكلمة) فى القرآن العظيم الذى هو الوعاء الحقيقى للمنظور الاسلامـى فيما نعنى بمصطلح المنظور ، وليس هذا كل ما ورد فى القرآن الكريم من حديث عن الكلمة ، وتحديد لمفهومها الحقيقى ، فلقد تحدث عنها فى مواطن كثيرة من حيث هى افضاء هادف أو من حيث هى افضاء غبى ، مرة بهذا المنحى النصى المعجز الرائع ، ومرة أخرى عن طريق المنحى الضمنى الذى يضع الكلمة حرفا على شفاه البشر ، أو سلاحا فى أيديهم ، أو رسالـة منوطة بهم .. **« ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم »** (سورة القلم : ١٠ ، ١١).. **« يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم . ولا تجسسوا . ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه . واتقـوا الله ان الله تواب رحيـم »** (سورة الحجرات : ١٢) .. **« يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علـى مـا فعلتـم نادمـين »** (سـورة الحجرات : ٦) ان الكلمة هنا توشك أن تكون انسانها القائل ، فـاذا استحالت كذبا فانسانها هماز مشاء بنميم وهو أخلق بالطرد والعصيان ! واذا اغتابت فانسانهـا آكل جيـف ووحشى ، وهو واحد من الخارجين عن سواء الفطرة واطارها النظيف ! واذا تسرعت فأدانت بمجرد الظن ، فانسانها جاهل وهو أقمن قمين بأن يظل عاضا على أصابع الندم !!

ان هذه الحملة الضارية على سوء سلوك الكلمة تؤكد ان الأبعاد المضيئة التى يضعها المنظور الاسلامى للكلمة لا يمكن أن تكون أبعادا غير انسانية المنطلق والقرار ، انها قد تكون وسيلة الحب الجامـع بـين آدم الوجود وحوائه ، ولكنها تضع هذا الحـب على مستوى النقاء وليس علـى مستوى العهارة ... وقد تكـون ناقلة التراث الحضارى ، ولكنهـا تنتخب من هذا التراث ما ينفع الناس ويمكث فى الارض وليس تحتطب كل ما تلقى بلا تفريق .. وقد تكـون صلب كل الرسالات والأديان ودعوات الاصلاح ، ولكنها ترفض أن يحرف الدين عن أصله ، أو الرسالة عـن مناطها ، أو الدعوة عن تعلية الحياة .. وقد تكون حرة حرية قبلية ترجع الى لحظة ميلادها البدئى ، ولكنهـا تضع هذه الحرية القبلية فى اطـار

من التناغم الكلي مع الحقيقة الشاملة ، فلا ترضى أن يكون جانب من القضية مضيئا بينما يزحف الظل على جانب آخر .. وهذا هو الفرق .. أن الكلمة (من غير المنظور الاسلامى) تبحر مع الحب حتى تلامس العهارة .. ومع التراث الحضارى حتى تنحنى لهذيان الرافضين .. ومع كل الأديان حتى تقدس المدخول وغير المساوى ... ومع الحرية حتى تتاخم الفوضى وتلتحم بها بلا حدود .. أما من المنظور الاسلامى فانها تعرف كيف تضع الاشياء فى مناطاتها الحقيقية ، الحب بناء وليس تدليا ، والتراث حضارة فهم وليس حضارة اعتباط ، والدين وحى الهى وليس تحريفا بشريا ، والحرية التزام وليس تسيبا بلا قوانين !! من هنا كان ترشيد النبى للكلمة موصولا وغير محدود ، وكانت أيضا حملته الضارية على كل ما يضع الكلمة فى غير مناطها الطبيعى يقول صلوات اللهوسلامه عليه : « ان احبكم الى ، واقربكم منى فى الآخرة ، احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الى وابعدكم منى فى الآخرة ، أسواكم أخلاقا ، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون » (رواه أحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه) ـ والثرثار كثير الكلام الذى يصطنع العبارة ويتعاظم بها تكبرا على الناس ـ .. « لا يدخل الجنة نمام » (متفق عليه) « لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا ، فانى احب أن أخرج اليكم وانا سليم الصدر » (رواه أبو داود والترمذى) !! « ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » (متفق عليه) !! وهكذا تواصل هتافات الترشيد والتحذير وتأطير الكلمة باطار من الطهر الذى لا يدنس نفسه ، حتى تكون الكلمة على مستوى أن تكون اطارا موضوعيا للقرآن الذى هو محور الحركة فى الاسلام بدءا وتناميا وانتهاء ..

وإذن .. فالكلمة (من المنظور الاسلامى) كلمة مسؤولة ..

هى مسؤولة عن تعلية التعبير عن كل ما يجيش فى أعماق البشر من هواتف الطبيعة ونوازع الضرورة ، وخوالج الوجدان .. لأن تعلية التعبير هى المقدمة الحقيقية لتعلية الحقائق المعبر عنها ..

وهى مسؤولة عن توظيف التراث الحضارى فى تطوير الحياة والأحياء وليس فى تدمير الحياة والأحياء ، أن التراث ليس صنما يتعبد له وثنيون ، ولكنه ايقاع فكرى وحضارى ينبغى أن يتنامى جانبه الرسالى ، وان تتوارى جوانبه الخرافية ..

وهى مسؤولة عن الحفاظ على الرسالات والأديان فىاطار منطقتها الالهى ، حتى لا يكون خلط ما هو أرضى محدود بطاقة البشر . وبين ما هو سماوى منتم الى وحى السماء، فتكون فتنة على الأرض ، وتشتبك القوى المتعارضة فى صراع دموى يشوه من طبيعة هذا الجمال المخلوق الوادع القسمات !!

وهى مسؤولة عن الحرية مسؤوليتها عن وجودها البدئى ، لأن

اى عصر عبودى يمكن أن يطفىء على الأرض كل المصابيح ، وأن يتـــرك البشر فى فوضى من الذل والخرس واطراق الجباه ، وأن يمسح بيـد البطش على كل التاريخ المضىء الذى يثرى جوانب الكو ن، ويطور نواميس الفهم لحقائق الأشياء !!

وهى مسؤولة عن دوام التواصل بين السماء والأرض ، فبالكلمة نحن نتعبد لله ، وبالكلمة نحن نفهم عـن كتابه الخالد . وبالكلمة نحن نمدد من رقعـة الضـوء الايمانى فى كـل المناخات !!

وهى مسؤولة عن وجود وجودها نفسه ، فالكلمة تحيا فى الكلمـة ، وانسان هذا الكون يرفض أن يحيا خارج خارطة الكلمة ، لأنه يرفض أن يكون شيئا يضاف الى جبال الأشياء !

ان (مسؤوليه) الكلمـة تعكس فلسفة وضعيتها الفريدة الفذة « من المنظور الاسلامى » لأنها تلقى علـى كاهلها عبء التزام عقائدى يضـع الكون فى أحداثه كأنه مسؤول فيـه عن خفقة الضوء ، ونبضة الخصب ، وحركة الفرد ، واندفاع المجموع ، وقيم الحضارة ، ونقاء التواصل ، وبنائية المقولات !!

هذه هى الكلمة « من المنظـور الاسلامى » .. وهذا هو حجمهـا الهائل من هذه الوجهة .. فهـل نستطيع أن نكون علـى مستـوى الفروسية حين تكون الكلمة سيفا ؟ أم اننا ما نزال نرى فى السيف مجرد حشد من الأسماء تنام هامدة علـى صدر قاموس من القواميس ؟؟؟

الانبيـــاء للهـدايـــة ...

كتب احد الولاة الى الخليفة عمر بن عبد العزيز ان الجزية نقصت فى بيت المال ، لكثرة الداخلين فى الاسلام ، ويستأذنه فى ابقائهـا مـع ان الاسلام يوجب رفع الجزية عمن اسلم ، فقال عمر :

قبح الله رايك ، ما بعث الله محمدا جابيا ، بل هاديا ...

تساؤلات الشباب!

للاستاذ : انور الجنـــدي

تدور فى نفوس شبابنا وفى أذهانهم وعلى السنتهم كلمات حائرة وتساؤلات مستفهمة ، عن كثير مما يقراون فى كتابات مترجمة تملأ الاسواق والمكتبات جاءت من بلادها وتعرضت لقضايا اممها ، ولكنها في نطاق الرواية انما تمثل فكرا عالميا يستوحي النفس الانسانية ويستعرض مشاعرها فالى أى حد يستطيع هذا الفكر ان يطابق النفس العربية المسلمة ، قبولا او رفضا ، وكيف يجد هذا الشباب السبيل الى الاقتناع بأنه إنما يستعرض نفسا مختلفة في دوافعها وعقائدها ومشاعرها عما يراه فى مجتمعه ويعيشه فى حياته .

إن هذه الكلمات أحيانا تدير الرؤوس وتلهب العواطف ، وتدفع الى غايات واهواء وتصور الحياة بصورة قلقة وهي تلتقي مع الشباب المسلم العربي فى مطالع العمر ، وفى سن المراهقة ووسط اجواء حافلة بالصورة العارية والقصة المكشوفة ، والفيلم الماجن ، والمسرحية الصارخة ومن خلال مجتمع مضطرب فيه الملابس الكاشفة والصدور العارية ، والكلمات الجريئة والزحام الشديد ، والاختلاط الغريب وكل ما يقرا او يسمع يعين على الغواية ويدفع الى التقليد ويجريء على التجربة ومن وراء ذلك نتائج قاسية خطيرة .

ان هذا الشاب الريفي المليء

بالحياء والخلق ، قد جاء الى المدينة ووقع على (كامى وسارتر وفرويد) ومنورائهم عشرات الكتب والقصص ووجد من يروج لهذا كله ويعرضه فى فصول وكتابات وفى مسرحياتوشعر وقصص ، وهو يريد أن يعرف : هل هذا كله يمثـل انفسنـا ، اليسـت النفس الانسانية واحدة ؟ هل نحـن فى حل من أن ننطلق وراءه فى دعوته الى الانطلاق حيث لا توجد حـدود توقف ولا ابواب تحول ؟ ثم هـو لا يلبث أن يجد الكاتب من صميم بلده ودينه ، صورة طبق الأصل بل ربما أشد عنفا من هذا الكاتب الغربي ، فهذا الذي يفترض ان المجتمع كلـه قد دخل دائرة الرغبة واللذة ، وان هذه الظاهرة التي لا تعدوا واحدا فى المائة فى مجتمعاتهـا قـد أصبحـت تستوعب المجتمع كله ، وان النـاس لا يلتقون الا ليتحدثوا فى هذا الأمر، بل انهم لبسخرون من اولئك الذين ما زالوا مقيديـن بقيـود الديـن والأخلاق !

هذه هي القضية التـي تتطلـب ايضاحا ، وتسأل عن حل ، وتتطلع الى معرفة وجه الحقيقة . ومنالحق انها قضية ، بل هي معضلة مـن معضـلات عصرنا وأزمة من أزمات المجتمع الاسلامى فى العصر الحديث.

ولكنه لكي نستطيع أن ننظر في الأمر علينا أن نعرف أبعاد القضيـة وخلفياتها وتاريخها ، فى العلاقة بين مجتمعنا الاسـلامى العربى وبين مجتمع الغرب ، وبين الظروف التـي حكمت بأن يسيطر الغرب عن طريق الاستعمار على هذه الأرض فيعمل على فرض مفاهيمه وأفكاره ونظرياته فى الاجتمـاع والأخـلاق والنفس والتربية ايمانا منه بأن هذه الامـة لا تقاد الا من حيث تجرد أولا من عقائدها ومفاهيمها وأن تحتوي في دائرة فكر الغرب نفسه حتـى يسلس قيادها وتكون تابعة راضية بتبعيتهـا .

ومـن هنا كانت تلك الدعوة الى وحدة الفكر البشرى ووحدة الحضارة ووحدة النفس الانسانية ، ومـن ذا الذي يستطيع ان ينكر هذا كله لقـد كان ذلك صحيحا ولكن بني البشر لم يقبلوا هذه الوحدة حين أنشـأوا فكرا بشريا مختلفا عن الفكـر الرباني الذي هدتهم اليـه الاديـان ورسالات السماء . ومن هذا وقـع الخلاف فقد ذهبت النفس الانسانية وراء أهوائها وعمدت الى الضوابط التيأقامتها الأديان بالحدود والأخلاق حماية للكيان الانساني نفسه مـن الانهيار ، فحطمتها باسم التحـرر من القيود . ثم حين ذهبـت وراء مطامعها الى التماس متع الحيـاة على النحو المسرف المندفع دون تقدير لحقالناس جميعا فىهذه المعطيات . ثم حادت عن فهم رسالة الانسان فى الحياة ومسئوليته والامانة التـي وكلت اليه فأرادت ان ترى الحيـاة متعة خالصة تجري وراءها ، وان الخطأ والفساد « جبرية » للمجتمع لا حساب للفرد عنها ، وانه ليـس وراء هذه الحياة حياة وأن المـوت بالمرصاد من وراء الحروب والذرة ، فليندفع الناس الى الحياة يقتحمون متعها قبل أن تزول .

ومن اجل أن تحقق النفس الانسانية اهواءها فقد كان عليها ان تبرر ذلك

بالعقل والفلسفة ، فتقطع علاقتها الكاملة بالمسئولية فتنكر ما وراء الواقع المحسوس ، وتعلن كما فعل « نيتشة » « موت الاله » وترى الدين (أفيون الشعوب) وتحتقر الاخلاق وتراها ضعفا وذلة ، وهكذا جاءت الفلسفة المادية لتحرر الانسان من تبعته ومسئوليته وامانته ، ولتطلقه وراء لذاته اهوائه ومطامعه : ومن هنا كانت فلسفة اللقمة (الماركسية) وفلسفة الجنس (الفرويدية) وبينهما تعيش النفس الانسانية ومن هذه المفاهيم يصدر كامي وسارتر وعشرات من كتاب القصة والمسرحية والشعر .

هذه النفس الانسانية ليست هي النفس المسلمة التى ما تزال تؤمن بالله وتؤمن بمسئولية الانسان في الحياة وجزائه الاخروي ، وامانته وتؤمن بالضوابط والحدود والاخلاق التي تصنع الاطار الذي يتحرك فيه ، ولهذا فان ذلك كله غريب عليها . معارض لها ، وهي حين تقرأ ما يكتب هؤلاء ، انما تحس بالدهشة والدهشة مزيج من الخوف والشوق أما الشوق فيصدر عن هذه النفس الشابة فى سن المراهقة المتطلعة الى اللذات والرغائب ، اما الخوف فيصدر عن ذلك الاحساس الداخلي بالايمان بالله والجزاء والحساب . وهي بين ذلك تتدافع وتتراجع ولكنها لا تسقط الا اذا فقدت عنصر الايمان الذي كونته الاسرة وصنعه الاب والام .

ولقد تتراوح النفس المسلمة بين الخطأ والصواب ، والضلال والهدى ولكنها اذا ما عرفت الحقيقة التي هي كامنة فى الأعماق ، عادت الى طبيعتها واصالتها وفطرتها .

هذا هو سر القلق الذي يملأ مشاعر شبابنا حين يقرأ عبارات لكامى أو سارتر أو فرويد تخالف فطرته الاسلامية الأصيلة ، غير انه نتجية عجزه عن معرفة « خلفيات » هؤلاء الكتاب يظن أنهم يكتبون بحسن نية والواقع غير ذلك .

فهم أولا يصدرون عن مجتمع مختلف عن مجتمعنا . ومن خلال رد فعل لتحديات لم نمر بها ، ذلك أن الفكر الديني الغربي الذي فرضته تفسيرات المسيحية ، وهو ليس مفهوم الدين الحق المنزل ، وانما من عمل القائمين عليها قد أوجد « سوء فهم » للعلاقة بين الانسان والحياة والانسان والمراة .

ومن هنا ظهرت بادرات الرهبانية التي أنكرت التعامل مع المجتمعات كلية والتى افترضت فى المراة جنسا غريبا نجسا يحسن تجنبه والانصراف عنه .

هذه القضية : كان لها أبعد الأثر فى تدمير المجتمع الغربي وسقوط الحضارة ، حتى جاء الاسلام وبلغت أشعته اوربا وأعادت مفهوم الارادة الانسانية والعمل ، وكان للعلوم الاسلامية اثرها فى النهضة الغربية الحديثة ، ومن ثم بدأ التحول أيضا فى مفهوم المراة لتي كرمها الاسلام وأعاد لها اعتبارها غير أن المجتمع الغربى فى اندفاعاته الخطيرة قد تجاوز حدود الاعتدال وانتقل من الثورة على المراة الى (ثورة الجنس) كما يطلقون عليها الآن ، وجاءت آراء الفلاسفة الماديين دافعة الى الانطلاق والتحرر من كل القيود وجاءت نظرية

فرويد الذي رد كل تصرفات الانسان الى الجنس وهدد البشرية كلها بخطر الامـــراض العصبيـــة اذا تـــرددت فى الانطـــلاق .

وهكذا نرى أن المجتمع الغربى له خلفيته فيما نراه اليوم من كتـــابات وفلسفات وقصص ، انما هي تطبيق للقاعدة المعروفة : رد فعل مساو فى القوة ، مختلف في الغاية ، فقد عاشت اوربا قرونا تحت مفهوم كراهيـــة المراة ونجاستها وعادت اليوم الـــى مفهوم الانطلاق فى العلاقة بها الى أبعد الحدود واخراجهـــا من كل الأوضـــاع الســـليمة للأسرة ، واغرائهـــا بالعرى والاباحة ، ودفعها الى المواخيروشواطىء البحار وساحات الرقص واللعب ، تلـــك قضية الغرب وحده ، وماكان لنا فيها من مشاركة ، ولم تكن هذه القضية واردة في مجتمعنا الذي كرم المـــراة واعلى شانها واقام الاسرة وحماهـــا بالشرف والعرض والكرامة والـــذي لم يقع في مشكلة الكبت أو التحلل .

غير ان للقضية بعدا آخـــر ، هـــو دوافع التلمودية الصهيونية ، هـــذه الدوافع التي أعلت من شأن الجنس والمادة وجعلت لذلك كله قوانـــين وفلسفات ومناهج عقلانية ، حتـــى تبرر وجوده والاستمرار فيه ومـــن هنا نرى ان فلاسفة الجنس كلهـــم من اليهود والدعاة الى تحطيم نظام الأسرة ، وتحطيم الـــدين ، وتدمير الأخلاق ، وافساد المجتمعات :

دوركايم وسارتر وليفي بريـــل وماركوز بالاضافة الى فرويد وماركس هذه الخلفية جديرة بأن تـــكون فى نظر شبابنا وهم يسألون عن هـــذا الركام المتدفق على اللغة العربيـــة والذي يدير الرؤوس لانه مكتوب على ورق لامع وغلاف انيق ، وثمـــن رخيص ، ولأنـــه يتصـــل بالنفوس الشابة قبل ان تكتمل قدرتها علـــى الفحص ، وتجربتها التي تعرف بهـــا الزيف والصواب ، فضلا عن القصور الشديد الذي يواجهه مجتمعنا عـــن وضع كتب طيبة طلية في اسلـــوب عصري عن معضلات النفس والحياة في ايدي شبابنا تطرح أمامهم وجهـــة نظر الاسلام التى تلتقى دائمـــا مع العصر والبيئة ، ولا تجمد او تتخلف .

ومن الحق ان يقال ان هـــؤلاء الشباب الذين تلمع اسماؤهم اليوم فى ميدان القصة أو الشـــعر والذين يجرون وراء هذه المدرسة انما بدأوا حياتهم في فراغ وتساؤل ، فلما لـــم يجدوا أمامهم في فكرهم الاسلامي ما يجيب على أسئلتهم ، وجدوا كتابات نيتشة وماركس وفرويد يسيرة بفضل أمثال سلامة موسى وفبلكس فارس وغيرهم فتقبلتها نفوسهم لأنها كانت تحس بالفراغ بينما قصرت بيئاتهـــم وبيوتهم عن أن تمد لهم يـــد المعونة بالايمان والعلم الصحيح .

واذا كان لنا ان نقول شيئا لأبنائنا الذين يتساءلون عن هذه الفلسفات المطروحة تحت اســـم (النفـــس الانســـانية) فانما نقول لهم ان كل ما يبـــرق امام انظارهم ليس ذهبا ، وان الأسماء اللامعة لا تخدعهم ، وأن أحدا لم يستطع حتى الآن ان يقـــول للنفس الانسانية الحق ويكشف لهـــا عن جوهرها ، وهداها ، وطريقهـــا وأمانتها الا هذا الكتاب المنزل بالحق : « القرآن » .

ان على شبابنا ان يعلم ان كل من يعطيه الرغبات المطلقة ، والكلمات البراقة ، والأهواء الشائقة ، ومطامح الغرائز والشهوات ، انما يضلله ويسمم فكره ، ذلك أن حقيقة العطاء انما هي ايمان بمسئولية الانسان في الحياة ، في سبيل اقامة المنهج الرباني الذي يحقق الأمن النفسي والسعادة الحقة .

أما هذا العطاء البشري الذي يقدمه فرويد وسارتر فانه لا يحقق السعادة ولا الامن النفسي ولكنه يحقق القلق والتمزق والضياع والغثيان ، ذلك لأنه يفصل الانسان عن نفسه ، ويمزق وجوده ، ويقضي على تكامله ، ويعلي من شأن جانب فيه على حساب جانب آخر ، وذلك هو خطر المادية وأهوائها : وهو الطابع الصريح الواضح الآن للأدب الوجودي عامة ، هذا الاحساس بالخوف والمتمثل في أن الانسان وحده في هذه الدنيا ، وذلك الخوف من الموت ، وتلك المشاعر القلقة المضطربة ، انما مصدرها الحقيقي هو انفصال الشخصية ، وانكار الايمان بالله ، ذلك أن الانسان في تكوين ذاته نفس وجسد وعقل وقلب ومادة وروح ، فاذا جاءت الفلسفات المادية لتقول ان الانسان نفس وعقل ومادة فقد شطرت الانسان وأعلت منه جانبا وتجاهلت الجانب الآخر ، هذا الجانب لا يموت ولكنه يظل يرسل أحاسيسه ويملأ صاحبه غما وقلقا واضطرابا ، لأنه جانب موجود وله حق الحياة وتلك هي أزمة الحضارة والانسان المعاصر .

أما المسلم فان موقفه من ذلك يختلف تماما ، فالمسلم يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى خلقه من طين ثم نفخ من روحه فهو متكامل التشكل : مادة وروحا ، لا سبيل الى اعلاء جانب منه على الآخر ، بل هو في الحقيقة حين يؤمن ينتقل من المادة الى الروح فيكون قادرا على البذل والعطاء ، وتلك هي قدرته على التسامي من الفردية الى الغيرية ، ولكنه في مفهوم الاسلام أيضا له حق الحياة والمتاع بها دون انفصال عنها أو عزلة عن المجتمع ، فهو متكامل جامع ، وهو في فهمه للحياة وتحركه فيها انما يجمع دائما بين الزمني والروحي والمطلق والنسبي ، واللانهائي والمحدود ، يجمع بين معطيات الدنيا وخلود الاخرة .

تلك مقدمات يسيرة بين يدي تساؤلات الشباب في مواجهة الفكر البشري من فلسفات ومفاهيم .

مائدة القارئ

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثـــل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صـــلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » .

الآية ٢٦٤ من سورة البقرة

الغيبة ..

عن ابى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما الغيبة .. ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذكرك أخاك بما يكره ».. قيل : أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول .. ؟ قال : « ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته » .

رواه مسلم

الفـــاحش ..

واذا الفاحش لاقى فاحشـــــا ... فهنـــاكم (وافق الشن الطبق)
انمــا الفحش ومن يعتـــاده ... كغراب الســـوء ما شاء نعق
أو حمار الســـوء ان أشبعته ... رمح النــــاس وان جاع نهق
أو غلام الســوء ان جوعتـــه ... سرق الجار وان يشـــبع فسق

دعاه للنزول ..

شاع قولهم : دعوته للنزول .. والصواب : دعاه الى النزول .. قال تعالى : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » الآيتان ٤٥ و ٤٦ من ســـــورة الأحزاب .

بين الترك والتوفيق

قال رجل لعبد الله بن المبارك اوصني . قال : اترك فضول النظر توفق للخشوع ، واترك فضول الكلام توفق للحكمة ، واترك فضـــول الطعام توفق للعبادة ، واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك ، واترك الخوض فى ذات الله توق الشك والنفاق .

عمر المختـــار

قاد جيشا وطنيا فى ليبيا ضد الطليان المستعمرين .. واستمرت المعارك بينه وبينهم وفى يوم ١١ من سبتمبر ١٩٣١ م وقع أسيرا بيــد الأعداء بعد معركة ضارية استشهد فيها وجرح من معه من المجاهدين .

وقال مخاطبا الأعداء : « ان القبض علي ووقوعى فى قبضة الطليان انما حدث تنفيذا لارادة المولى عز وجل ، وانه وقد أصبحت الآن أسيرا بأيدى الحكومة فالله سبحانه وتعالى وحده يتولى أمرى ، واما انتم فلكم الآن وقد أخذتمونى أن تفعلوا بى ما تشاءون ، وليكن معلوما انى ما كنت فى يو ممن الأيام لأسلم لكم طوعا » .

ثم نفذ حكم الاعدام شنقا بالشيخ المجاهد فى مدينة (سلوق) وله من العمر ٦٩ عاما .

الحياء من الله

كان الفضيــل بن عياض يقول : يا مسكين : ! تغلق بابك ، وترخي سترك ، وتستحي من الناس، ولا تستحي من الملكين اللذين معك ، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك ،ولا تستحي من الجليل ـسبحانهـ وهو لا تخفى عليه خافية !!

قــال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : «ميدانكم الأول أنفسكم، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر ... وان خذلتم فيها كنتــم عن غيرها أعجز .. فجربوا معها الكفاح أولا » .

المصلحة عماد التشريع

للدكتور : وهبة الزحيلى

كلما امعن الباحث المتخصص نظرا، واوغل فى فهم أحكام الشريعة، وكلما تأمل المنصف المتجرد الحاذق فى التعرف على الحكم التشريعية ، ايقن دون أن يساوره اى شك ان مبنى شريعة الله قائم اساسا وغاية على الخير والرحمة والعدل والمصلحة ، وان البناء التشريعي برمته فى الاسلام ، يقوم على رعاية مصلحة الفرد والجماعة ، بتوازن دقيق لا ظلم فيه لجانب على آخر ، وأن غاية الشرع هو اسعاد الناس وتحقيق المصلحة ، وحيثما وجدت المصلحة ، فثم شرع الله .

وأما الجاحد لذلك فهو مكابر مغالط ، أو مفتون مخاتل ، أو قاصر النظر محجور الراي عن الاحاطة والشمول ، وكذا المتنكر عمدا لأحكام الشرع المجافى لها ، المبتعد عن تطبيقها والاعتماد عليها فى وضع القوانين النافذة ، هو عدو نفسه والانسانية ، وحجر عثرة فى سبيل تقدم الأمة المسلمة ، أو قرين الشياطين ، وحليف المستشرقين الماكرين الذين مهدوا لاقامة الاستعمار ، واشادوا اصنامه بأيديهم ، وأطالوا عمره في ديار العرب والاسلام !

ماذا يريد واضع القانون المتجرد غير تحقيق مصالح امته ان اخلص لها ، وكان عالما بالشريعة ، او متعلما منها ؟! .. أما ان كان جاهلا بها — والجهل غالبا عنده سبب الجفاء والبعد عنها — فلماذا لا يفوض الراى لأهل الشريعة ان كان أمينا على العلم والوطنية ، وشعارات القومية والتحرر والحضارة الحديثة ؟! ثم انه فى الحقيقة لا يعدو ان يكون مترجما لما عند الآخرين من قوانين ، فهو عبد لهم بدون أجر ، وتاجر وسيط مفلس بدون مغنم : **« كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »** . (١٤ : المطففين) .

ولست اريد لهذا وامثاله التذكير بوجود مبدأ المصالح المرسلة ضمن ادلة التشريع ، فقد درسه فى كليات الحقوق ، ولكنى اود هنا ان انتبع جزئيات مجموعات الأحكام التشريعية لاقامة دليل مفصل على التزام الشريعة بمراعاة مبدا المصالح الخاصة والعامة فى الدنيا والآخرة ، وحرصها على درء المفاسد والمضار فى الحقيقة والواقع ، لا بمجرد النظرة العجلى ، وتقدير المصلحة الوقتية ، والتأثر بالنزوة الطائشة الفارغة المحتوى ، والتمسك بما يزيف من مصالح اضطرارية تلائم بحسب ما يزعمون حال العصر

والزمان ، وأوضاع الحياة ، ومتطلبات المعيشة ..

لقد أعلن القرآن الكريم بكل صراحة غاية رسالة الاسلام بأنها الرحمة المهداة ، والرحمة أدق وأشمل وأرفع من كلمة **(المحبة)** ، فقال تعالى قاصرا على الرحمة مهمة رسول الاسلام عليه أزكى الصلاة والسلام : **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** (١٠٧ الانبياء) والرحمة لا تقوم فى الاسلام الا على العدل والحق ، قال الله عز وجل : **« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق . ليظهره على الدين كله . ولو كره المشركون »** (٣٣ ـ التوبة) **« انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا »** (١١٩ البقرة) . ورسالة الحق هى رسالة الأنبياء جميعا : **« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات . وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط »** . (٢٥ الحديد) . والمصلحة الحقيقة هى رائدة الحق . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لا ضرر ولا ضرار» (رواه ابن ماجه والدار قطنى وغيرهما) في الاسلام . وقال أيضا : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (رواه البخارى ومسلم) . وقال الله تعالى : **« يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور . وهدى ورحمة للمؤمنين »** (٥٧ يونس) **« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »** (٨٥ البقرة) .

فمن الأمور الثابتة فى الشريعة الاسلامية بالاستقراء والتتبع أن الأحكام الشرعية كلها شرعت لتحقيق مصالح الناس ، اما لجلب المنفعة لهم ، أو لدفع المفسدة والضرر عنهم.

وهذا واضح فى جزئيات الأحكام الدينية والدنيوية كلها ، كاباحة الفطر فى رمضان للمريض والمسافر والحامل والمرضع ، وحكمته دفع المشقة عنهم ، وكاستحقاق الشفعة للشريك والجار لدفع الضرر عنهما ، وكايجاب الصلاة للنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفريضة الحج للتعارف والتآلف ومختلف المنافع ، وكتشريع الجهاد لرد العدوان ودفع الظلم ، وكفرض الزكاة لصيانة المال وسد حاجة المحتاجين ، ودعم التضامن بين فئات المجتمع . وهكذا لا نجد حكما شرعيا الا وكان الباعث عليه هو رعاية المصالح ودرء المفاسد . وقد تضافرت أقوال العلماء على تقرير هذا المبدأ ، فقال العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام : « التكاليف كلها راجعة الى مصالح العباد فى دنياهم وأخراهم ، والله غنى عن عبادة الكل ، ولا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين » . وجاء في مسلم الثبوت : « ان الأحكام معللة بمصالح العباد تفضلا منه تعالى على عباده » .

وقال الشاطبى فى الموافقات : ان وضع الشرائع انما هو لمصالح العباد فى العاجل والآجل معا ، واعتمدنا فى ذلك على استقراء وتتبع الأحكام الشرعية، فوجدنا انها وضعت لمصالح العباد ، فان الله تعالى يقول فى بعثة الرسل : **« رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »** (٦٥ النساء) **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** . (١٠٧ الانبياء) . وقد علل ذلك سبحانه وتعالى بنفسه ، فقال بعد آية الوضوء فى تشريع رخصة التيمم للمريض والمسافر : **« ما يريد**

الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » (٦ المائدة) . وقال فى الصيام : **« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »** (١٨٣ : البقرة) وفى الجهاد : **« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا »** (٣٩ الحج) وفى القصاص : **« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب »** (١٧٩ البقرة) وفى تقرير مبدأ توحيد الاله : **« ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين »** (١٧٢ الأعراف) .

ولابن القيم فى أعلام الموقعين كلمة رائعة مشهورة فى هذا المضمار تبين قيام الشريعة كلها على الخير واليسر والمصلحة والعدل ، قال : « ان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ا فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة ، وان أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه ، وحكمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم اتم دلالة واصدقها » .. الخ .

ومقياس تقدير المصلحة او المنفعة عند وضع ميزان الخير والشر ، ليس هو العقل والهوى الشخصى ، كما يخيل لواضعى القوانين والفلاسفة الذين هم بحكم ضعفهم وعجزهم الظاهر يتأثرون بمعايير ضيقة قاصرة على بيئة وزمان معين ، ويهتمون فقط بالقيم الماديه المحضة وبارضاء الغوغائية ، وباقرار الواقع الحاضر ، ولو كان فيه مخالفة صارخة للدين والأخلاق والمثل العليا .

ليس العقل هو معيار المصلحة اذا ، وانما المعيار الصادق فى اعتبار المصلحة والمفسدة ، هو تقدير الشارع الحكيم ، لا ما يتخيله الناس بحسب اهوائهم واغراضهم ، فان الناس يهدفون أحيانا الى مراعاة مصالحهم الخاصة ، ونبذ المصالح العامة ، أو جعلها في مرتبة ثانوية تراعي في حدود ضيقة . فاذا قام التشريع وفقا لمعايير الناس ، انقلبت الأوضاع ، وعم الفساد ، وساءت الأحوال ، أو كان التشريع دائما قلقا مضطربا عرضة للتغير والتبدل ، بل وتأثرت المصالح الخاصة نفسها تبعا لذلك . واذا سادت النزعة الجماعية ايضا في التشريعات ، ذابت مصالح الأشخاص ، واصبح الانسان عبدا للدولة ، وآلة مادية للانتاج والتصنيع والزراعة فقط ، دون ملاحظة مشاعره وعواطفه الانسانية: **« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن »** (٧١ المؤمنون) فكان من رحمة الله بالناس في التشريع أن قصد حفظ التوازن بين مصالح المجتمع ومصالح الأفراد ، حتى ولو أهدرت مصلحة الفرد احيانا ، وفي ذلك الخير كله ، عملا بالقواعد الشرعية المعروفة وهي :

المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة ، يتحمل الضرر الخاص لمنع الضرر العام . التصرف على الرعية منوط بالمصلحة اي المصلحة العامة .

والمصالح التي يمكن أن تكو نحكما ومرجعا فى التشريع هى المشابهة للمصالح المعتبرة شرعا وهى الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينات .

والضروريات : هى التى يتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية ، بحيث اذا فقدت ، اختلت الحياة فى الدنيا ، وضاع النعيم ، وحل العقاب فى الآخرة ، وهى خمس تعرف بالأصول الكلية أو الكليات الخمس الضرورية : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسب ، والمال .

والحاجيات : هى التى يحتاج الناس اليها لرفع الحرج عنهم فقط ، بحيث اذا فقدت وقع الناس فى الضيق والحرج ، دون أن تختل الحياة ، مثل تشريع عقود البيع والايجار والشركة وسائر العقود المعروفة ، وأنواع الرخص الشرعية من قصر الصلاة وجمعها للمسافر ، واباحة الفطر فى رمضان للحامل والمرضع والمريض المزمن والشيخ الفانى ، وسقوط الصلاة عن الحائض والنفساء ، والمسح على الخفين حضرا أو سفرا ، وتسليط الولى على نكاح ابنته الصغيرة لحاجة اختيار الكفؤ ، ونحو ذلك .

والتحسينات : هى المصالح التى يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق ، مثل الطهارات بالنسبة للصلوات ، وأخذ الزينة من اللباس ، ومحاسن الهيئات والطيب ، وتحريم الخبائث من المطعومات والرفق والاحسان ، وصيانة المرأة عن مباشرة عقد نكاحها، باقامة الولى مباشرا له عند جمهور العلماء وما أشبه ذلك .

واذا استعرضنا أنواع الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات والعقيدة ، نجدها كلها تبغى تحقيق مصلحة الانسان . ومن قصور الادراك أن نعتبر الاعتقاديات والعبادات أمورا تعبدية بحتة لا نفهم وجه المصلحة فيها ، فهى كلها تقوم على منافع للناس عاجلة أو آجلة . كل ما فى الأمر أنه لا يقاس عليها ، ولا تثبت بالقياس أو الاجتهاد والعقل ، وانما طريق معرفتها هو الله سبحانه وتعالى ، اذ لا يتمكن العقل وحده من ادراك أوجه العبادة التى يريدها الله على نحو معين . أما المعاملات ففيها يجرى القياس ، ومن هنا قال علماء الأصول باعتماد المصالح المرسلة فيها دليلا للتشريع .

أما الأحكام الاعتقادية المتعلقة بالايمان وايجاب الاعتقاد السليم فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره بمنظارنا الظاهر للأمور ، ففيها الخير كله العائد لمصلحة العبد بضمان النجاة فى عالم الآخرة ، والقدر لا شر فيه فى الواقع ، وبتوفير السعادة الحقة والعيش الهانىء المطمئن ، والاستقامة الجالبة للثناء والخير فى عالم الدنيا . قال تعالى : ((**وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وكان عرشه على الماء ، ليبلوكم أيكم أحسن عملا**)) ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**)) (٥٦ الذاريات) ((**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**)) (٢ الملك) .

واحكام العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذر ويمين ونحوها ، لتنظيم علاقة الانسان بربه : طريق لغرس اصول الأخلاق

وأصح القيم ، والوفاء بالعهد ، واقامة الرقيب ، وتقوية الوجدان المذكر فى كل حين بضرورة استقامة السلوك والتصرف فى الحياة . ودعم العلاقات الاجتماعية القائمة على التعاون والتضامن والتراحم بين الناس ، والأخذ بيد الضعيف ، ودعم حكم ولى الأمر العادل ورفده بما تحتاجه الدولة من نفقات فى سبيل الصالح العام ، ودفع العدوان وحماية البلاد .

والطهارات المطلوبة للعبادة فى المكان والثوب والجسد ترتد آثارها على النفس الانسانية بالقوة والصحة والراحة والتخلص من الوان الأذى والأضرار .

واحكام المعاملات هى لخير الانسان ، سواء فى جانبها السلبى أم فى جانبها الايجابى . أما فى الجوانب السلبية اى فى دائرة الحرام والمكروه ، فلا ممنوع فى الاسلام الا بسبب شره وضرره وفساده . فتحريم الاعتداء على الحقوق ، واكل اموال الناس بالباطل ، وحظر القمار ، والربا ، والغش ، والغبن ، والاستغلال ، والاحتكار ، ونحوها يحمى الانسان من كل الوان الشر والنزاع ، ويوفر له الاطمئنان والسلامة والاستقرار . وتحريم المطعومات والمشروبات الضارة كالخمر والخنزير وتناول الخبائث هو لحماية الجسد من المؤذيات التى تكدر العيش ، وان لم يظهر اثرها فى الحال . وتحريم القتل ، والزنا ، واكل مال اليتيم ، والغصب ، والانتحار ، وكل أنواع الفواحش الظاهرة والباطنة ، وبخس الكيل والميزان ، وكل مظاهر الظلم ، والظلم ظلمات يوم القيامة وهو وسيلة الخراب والدمار والعصف بوجود الظالم من أساسه .

وأما جانب المعاملات الايجابية فقد اقيمت على اساس عام هو الرضا لقوله تعالى : « **يايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن تكون تجارة عن تراض منكم** » (٢٩ النساء) ولقوله عليه الصلاة والسلام : « انما البيع عن تراض » (رواه ابن ماجه عن ابي سعيد) لكن هذا الرضا مقيد بنظام الشرع ، فلا يعتد بتراضى المتعاقدين على ارتكاب محظور حرام كالقمار والزنا والقتل . وفى ضمن نظام الشرع الذى اريد به حماية الناس من جور أنفسهم على انفسهم ، يكون للتراضى أثره الأساسى فى تكوين العقود وايجاد التصرفات المحققة لصالح الناس .

فاذا وجد عيب من عيوب الرضا وهو الاكراه ، والخلابة (الخديعة) والغلط ، واختلال التنفيذ ، فسد العقد لعدم تحقيقه مصلحة المتعاقدين ولاقامة التوازن المطلوب بينهما .

وزيادة في التأكد من توفر الاتفاق الكامل بين المتعاقدين يعتبر العقد حتى بعد وجوده ، اما غير لازم بطبيعته كالايداع والاعارة والوكالة والتحكيم والاجارة والمزارعة ، واما لازما سلب لزومه بأحد الخيارات العقدية كخيار الرؤية وخيار العيب ، وخيار الشرط ، تأكدا من رضاء العاقد وتحقق رغبته وتبين أمره بمنع الغبن ودفع الضرر .

وتيسيرا على الناس اعتبر الأصل فى العادات المتعلقة بالشؤون الدنيوية ومنها المعاملات هو

الاباحة ، فلا يحرم منها الا ما ورد النص بحظره ، وأجاز فقهاء الحنابلة من العقود والشروط العقدية ما لم يجزه غيرهم ، فأجازوا كل شرط يشترطه أحد العاقدين الا اذا كان مخالفا لمقتضى العقد والغرض الأساسى منه ، أو كان مخالفا لحكم الله ورسوله . ومع كل هذا التسامح لا يأخذ فقهاؤنا بمبدأ سلطان الارادة المقرر فى القوانين على اطلاقه ، احتفاظا بهيمنة الشرع على كل تصرف ، وامعانا فى الحفاظ الدقيق على ما تتطلبه العدالة والمصلحة الأكيدة ، واحترام نظام الشريعة ، فاعتبرت العقود أسبابا « جعلية شرعية » وليس بذاتها ناقلة للحق .

من ذلك يتبين أن أساس تنظيم المعاملات فى الشريعة هو المصلحة سواء أكانت تبرعات أو معاوضات مالية أو اطلاقات أو اسقاطات أو تقييدات أو توثيقات . فعقود التبرعات كالهبة والصدقة والوصية يراد بها فتح منافذ الخير والترغيب فيه حتى بعد الموت . وعقود المعاوضات سواء أكانت مبادلة مال بمال كالبيع والقسمة ، أو مبادلة مال بمنفعة كالايجار أو مبادلة منافع كالزواج الذى لا بد فيه من ايجاب وقبول ، ولا تصح فيه المعاطاة يقصد بها رعاية حاجيات الناس الفطرية — الاجتماعية .

والاطلاقات كالوكالة والاذن بالتجارة للصغير المميز ، وتولية عمال الدولة يقصد بها تأمين مصلحة المحتاج لخبرة غيره أو التدرب على شئون الحياة ، أو توفير الخدمات العامة من ادارة الدولة للرعية .

والاسقاطات سواء أكانت ببدل كالخلع ، أم بغير بدل كالعفو عن القصاص لوجه الله تنشد التوصل الى مصلحة عاجلة أو آجلة .

والتقييدات كعزل الوكلاء والولاة والقضاة هى لوضع الحد اللازم للنيابة عن الغير ، منعا من تجاوز السلطة وحماية الحقوق .

والتوثيقات أو عقود الضمان مثل الرهن والكفالة والحوالة غرضها كما هو واضح التوصل الى استيفاء الحق وضمان سلامته وسداده .

وفى نطاق التقييدات نلحظ ظاهرة هامة ، وهى وجود النزعة الجماعية فى الفقه الاسلامى بدليل منع عقود الغرر والاستغلال كالقمار والسباق والرهان ، والعقود المشتملة على الجهالة فى المحل أو الأجل أو الثمن أو الشروط التوثيقية ، وبدليل منع التعسف فى استعمال الحق ، ورعاية حقوق الجوار ، والاعتراف بالملكية الجماعية وتقييد حقوق الأفراد رعاية لمصلحة الجماعة فى الملكية ونحوها من الصناعة والفلاحة ، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة كتحريم الاحتكار ، واباحة تسعير السلع والحاجيات ، ونزع الملكية للمنفعة العامة كتوسعة مسجد أو طريق ، وبيع مال المدين جبرا عنه وفاء لدينه ، وطرح ضرائب جديدة على الأغنياء سدا لحاجة بيت المال ، وحجر السفيه والمدين ، وتضمين الصناع ما يتلف بأيديهم ، والزام الصناع والزراع وأرباب المهن الحرة كالنقل والطب والهندسة والصيدلة بأسعار معينة ، رعاية لمصالح الناس العامة ، ونحو ذلك .

وتبدو رعاية المصالح والنزعة

الجماعية بشكل أوضح فى نطاق الفقه الاسلامى العام أكثر من الفقه الخاص ، ففى الأحكام الجنائية (جرائم وعقوبات) حرص واضح على حفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم وتحديد علاقة المجنى عليه بالجانى وبالأمة ، فاعتبرت الحدود ما عدا حد القذف المختلف فيه من حقوق الله تعالى اى الحق العام . وأجيز التعزير ــ بالرغم من أنه فى الغالب حق للعبد ــ على كثير من الجرائم بسبب انتهاك الحرمات الدينية رعاية لحق الله او صالح الجماعة ، وشرع القصاص توفيرا لحياة المجتمع . واعتبر القصد من العقاب هو اصلاح الجانى وزجر المجتمع ، فكانت العقوبات قليلة محدودة ، ودرئت الحدود بالشبهات ، وفضل العفو على العقوبة ، كما فضل ستر العاصى على كشف معصيته .

وفى أحكام الاجراءات أو المرافعات المتعلقة بمرفق القضاء العام والشهادة واليمين ونحوها من طرق الاثبات اتجاه أكيد بارز لاقامة العدالة الوطيدة بين الناس . وفى تقرير مبدأ قضاء الحسبة وولاية المظالم مفخرة تدل على حماية الحقوق العامة ومنع تسلط الولاة والظلمة على حقوق الناس الخاصة .

وفى أحكام الدستورية المتعلقة بنظام الحكم وأصوله وتحديد علاقة الحكام بالمحكومين مثل رائع لرعاية مصلحة الجماعة بايجاب الشورى واقامة صرح العدالة والمساواة بين المواطنين وتقرير حقوقهم واحترام الكرامة الانسانية .

وفي الأحكام الدوليةالمتعلقة بمعاملة الدولة الاسلامية مع غيرها من الدول ، أو معاملة غير المسلمين القاطنين فيدار الاسلام أسمى صفات الانسانية الحقة والعدالة والوفاء بالعهد ، وتوطيد السلم والأمن ، واعلاء كلمة الله بجهاد المعتدين الظالمين ، وبه تظهر مدى ضرورة توفير العزة والكرامة للمسلمين الى الأبد . فكان تشريع الجهاد فرضا دائما محققا للعزة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال ، لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل ، والايمان بالأقدار » والكلمة الأخيرة فى الحديث ضربة رد قاصمة على أولئك الذين يزعمون أن الاسلام سبب فى قبول المسلمين للاستعمار والذل والعبودية بسبب التوكل والتسليم للقدر .

وفى الأحكام الاقتصادية والمالية المتعلقة بحقوق الأفراد المالية والتزاماتهم فى نظام المال ، وحقوق الدولة وواجباتها وتنظيم موارد بيت المال (**الخزينة**) ونفقاتها : مثل مشرف للعلاقة بين الأغنياء والفقراء القائمة على التراضى والمحبة والدوافع الذاتية ، وبين الدولة والأفراد لتأمين متطلبات البلاد والنفقات العامة ، مما هو معروف من ايجاب الزكاة ، والخراج ، والضرائب ونحوها ، دون اعنات ولا اكراه ولا عسف ولا ظلم .

ففى هذا كله بيان اعتماد المصلحة اساسا فى التشريع ، وبخاصة مصلحة أو منفعة الجماعة ، وتقديمها على مصالح الأفراد الخاصة .

عبد الله

قائد بطل وقف حياته على جهاد أعداء الإسلام

للأستاذ احسان صدقى العمد

الابطال

مواكب المجاهدين :

يزخر تاريخنا الاســـلامي منذ بدء الدعوة وحتى يومنا هذا بالعديد من القادة الأفذاذ ، والآلاف المؤلفة من الأبطال الذين وقفوا حياتهم علـــى جهاد اعداء الاســـلام وضربوا أروع الأمثلة على الاستبسال والتضـــحية والفــداء فى سبيل هذا الهــــدف الاسمي . وترجع أسباب هذه الوفرة الملحوظة فى أعداد المجاهدين الأبطال بين الامة الاســـلامية الى طبيعة الاسلام نفسه ، وما يفرضه علـــى المسلمين من واجب الجهاد فى سبيل الله ، المتمثل فى الدفـــاع عن ديار الاســـلام ومقاتلة اعدائه وكسر الحواجز المادية التى تحـــول دون وصول الرسالة الاسلامية بســـلام الى جميع الناس ليتخذوا منها بعد البلاغ المبين الموقف الذى يريدون فى حرية تامة ودون أى ضغط أو اكراه .. وما دامت هذه رسالة الاســـلام وهذه دعوته فسيظل تاريخه يشهد مواكب المجاهدين الابطـــــال الذين ينذرون انفســــهم للذود عن حياضه والانتصار لرسالته .

عبد الله البطال :

ومن هؤلاء المجاهدين ، البطـــل الاسلامى المعروف عبد الله البطال ، الذى يعتبر واحدا من ابرز القـــادة المسلمين الذين تصدوا لجهاد الروم البيزنطيين فى هضاب آسيا الصغرى ووهادها زمن الدولة الاموية . وقد لقب عبد الله هذا بالبطال لأنه أظهر الكثير من صفات البطولة والاقدام فى محاربة الروم ، كمـــا لقب بالامير ، ويبدو أن لقبه البطال قد غطى على نسبه واصله فجعلت معظم المصادر

لا تذكره الا بعبد الله البطال ، الا أن ابن أعثم الـكوفى يذكر أن اسـمه عبد الله بن عمرو ويورد بيتين من الشعر على لسان البطال يستدل منهما على أن اسم جده علقمه اذ يقول :

قل للأمير ذى الفعال مسلمه
وابن الكرام السـاده المكرمه
ومقعص الابطال يوم الملحمه
انى انا البطال جدى علقمه

وقد ورد فى كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق أن اسم أبيه (حسين) وليس عمرو كما يذكر ابن أعثم . ويرجح فى ضوء هذه الأسماء أن ينتمى البطال الى أصل عربى وان كانت بعض هذه المصادر تذهب الى انه كان من موالي بنى أميه ، ولكن حسبه انتسابا الى الاسلام وأمته . والراجح ايضا أن عبد الله البطال كان من قادة بنى أميه وامرائهم المشهورين فى منطقة الجزيرة والثغور الشامية حيث كان يرابط فى انطاكيه ويشن منها الحملات على الروم البيزنطيين .

اشتهار أمر البطال :

وأول اشارة للبطال كقائد حربى معروف فى بلائه مع الروم وردت فى أواخر عهد عبد الملك بن مروان ، الذى أعد جيشا كبيرا بقيادة ابنه مسلمة لملاقاة حملة بيزنطية جهزت لاستعادة بلاد الشام من أيدى المسلمين . وقد أوصى عبد الملك ابنه مسلمة أن يعتمد فى حربه مع الروم على عبد الله البطال لأنه كما وصفه الخليفة الأموى بطل شجاع مقدام . ولا شك أن عبد الملك انما أراد بهذه الوصية أن يحث ابنه على الاستفادة من خبرة البطال فى قتال الروم .

وبالفعل فقد جعل مسلمة عبد الله البطال على مقدمة جيشه الذى ضم حوالى ثمانين الفا من جنود الامصار والأقاليم بالاضافة الىالمطوعة وكانت مقدمة الجيش التى يقودها البطال تضم عشرة آلاف من المسلمين الأشداء ، وقامت بمهمات استطلاعية ضرورية للقتال . بل كان لها شرف السبق الى مصادمة العدو واختبار قوته .

ويحدثنا ابن أعثم الـكوفى فى كتابه الفتوح وغيره من المؤرخين ، عن الشجاعة النادرة التى أبداها البطال وغيره من المجاهدين المسلمين فى المعارك المتصلة التى خاضوها فى آسيا الصغرى ضد الروم البيزنطيين فى حصونهم ومعاقلهم وحصار مدنهم ، ومنها طوانه وعمورية والنقفورية والقسطنطينية، فقد تمكن بايمانه وجرأته من قتل صاحب عمورية وأن يمهد السبيل الى فتحها . كما ثبت مع مسلمة وخيرة جنده فى وجه جحافل الروم التى كان يقودها نقفور الذى يمت بصلة مصاهرة الى قيصر الروم ، حتى اذا قتل نقفور فى المعركة سارع البطال وجماعته من المسلمين الى مدينة النقفورية وعاجلوا أهلها قبل أن يلتئم شملهم ، ولحق بهم جيش مسلمة فأتم فتح المدينة .

وواصل جيش مسلمة تتقدمه طلائع البطال السير الى مدينة السماوة ومنها الى بلدة أخرى يقال لها المسيحية ، حيث دارت معارك

ضارية بين المسلمين والروم قتـل فيها محمد بن عبد العزيز بن مروان ابن عم مسلمة بن عبد الملك . وقد اغتم المسلمون غما شديدا لمقتـل محمد بن عبد العـزيز على يد افريطون صاحب السماوه ، فانبرى لنزاله البطال وهو يرتجز ويقول :

على مليك صـمد منعام
فجاهدى يا نفس لا تلامى
بكل عضب باتر حسـام

ثم حمل عبد الله بن عمرو البطال على افريطون وتمكن من قتله ، فأثر ذلك على معنويات الروم فانكسروا وولوا الأدبار وسلموا بلدة المسيحية .. ومن هذه البلدة واصل المسلمون تقدمهم الى مدينـة بدروق فانبرى صاحبها البطريق ليوس لقتالهم فى ثمانين الفا من الروم . وقد كتب الله النصر للمسلمين على الروم وقتـل ليوس فى المعركة على يد البطـال الذى قال فى ذلك :

لقد علم الروم الأراجس أننـا
قتلنا لدى الهيجاء منها رئيسـها
تركنا ليوسا فى القتـام مجدلا
فقبح ربى ذو الجلال ليوسـها
ونحن أبدنا فى العجاج كمـاتهم
ونحن هزمنا جيشها وخميسـها
ونحن اذا ما الحرب شبت وأرهجت
نخوض لظاها عنوة ووطيسـها

حصار القسطنطينية :

اجتازت حملة مسلمة بن عبد الملك وفيها البطال البر الآسيوى وعبرت المضيق الى البر الأوروبى وشرعت فى محاصرة القسطنطينية تمهيـدا لفتحها . وبنى مسـلمة قاعدة عسكرية للقوات الاسـلامية أطلق عليها اسم مدينة (القهر) اشارة الى انها ستقهر عاصمة الدولة البيزنطية . وتحدثنا المصادر أن مسلمة « أمر أصحابه بالغرس فغرسوا الأشجار من الكرم وانواع الفـواكه وعزموا على المقام هناك اقامة من لا يريد الرجوع الى بلاد الاسلام أبدا حتى يفتح الله عليهم حاضرة الروم » . وقد دارت بين الجانبين خلال فتـرة الحصار مواقع كثيرة أبلى فيهـا المسلمون بلاء حسنا . ويحدثنا ابن اعثم : ان بطريقا من بطارقة الروم يقال له بوقاس خرج فى احـدى المواقع من صف الروم فجعل يحمل على المسلمين فلا يلحق به احد الا قتله . فتحاماه النـاس وخافوه وحادوا عنه لما يرون من بأسـه وشدته ، فنظر اليه البطال بن عمرو فتهيأ للحملة عليه وجعـل يرتجز ويقول :

يا لك يوما ما رأينـا قبله
فيما مضى من الحروب مثله
يوما عبوسا قد أرانا حمله
وقد أتى بوقاس يبدى جهله
هذا لأنى قد أردت قتـله
أن الجهاد قد عرفنا فضله

ثم حمل عليه البطال وتمكن مـن قتله فولت الروم الأدبار فأخذهـم السيف حتى الحقوهم بمدينتهم ورجع المسلمون مظفرين حتى دخلوا مدينة القهر .

رفع الحصار عن القسطنطينية وعودة الحملة :

ويبدو أن مدة حصار المسـلمين للقسـطنطينية قد طالت دون أن يتمكنوا من اقتحام أسوار المدينـة

القوية . كما أن الأحوال الجـــوية القاسية وصعوبة تدفـق الامدادات عليهم من بلاد الشام ، قد جعـلت الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك فى بعض المصادر وعمر بن عبـد العزيز فى البعض الآخر يأمر مسلمة برفع الحصار والعودة بالمسلمين الى بلاد الشام بعد جهاد استمر أربعـة عشر عاما على ما يذكره ابن أعثـم الكوفي ، الذى يضيف سببا آخـر لعودة الحملة يتعلق بتخوف سليمان من ازدياد نفوذ يزيد بن المهلب فـى خراسان وعزمه على توجيه أخيـه مسلمة الى ذلك الاقليم .

وهنا تختلف الروايات فى الكيفية التى تم بها انسحاب المسلمين ويشير بعضها الى أن مفاوضات جرت بين مسلمة وليون قيصر الروم حول هذا الموضوع ، الا أن تفاصيل هـــذه المفاوضـــات تبدو أحيانا غريبـة لا يطمئن اليها الباحث تماما . من ذلك ما قيل من أن مسلمة بن عبـد الملك رفض قبـــول شروط ليـون الشخصية قبل أن يبر بيمينه ويدخل القسطنطينية . وتذهب الرواية الى أن ليون وافق على دخول مســلمة العاصمة لوحده ليبر بقسمه وأعطاه أمانا على ذلك . وقد قبل مســلمة هذا العرض شريطة ألا يغـلق باب العاصمة وأن يقف عليه عبـد الله البطال فى أصحابه مستعدا لاقتحام المدينة اذا غدر الروم بمسلمة ،الذى أقبل على البطـــال قبيـل دخوله القسطنطينية قائلا : « انى داخل هذه المدينة وقد علمت أنها دار النصرانية وقصبتها وعزها ، وما أريد بدخولى اليها الا عز الاسلام واذلال الـكفر ولست أدرى ما يكون من الحدثان ، فانظروا اذا صليتم العصر ولم أخرج فاقتحموا المدينة بخيلكم ورجلكم .. والأمير من بعدى عمي محـمد بن مروان فاسمعوا له وأطيعوا ، ثم كبر مسلمة تكبيرة عاليـــة ودخل قسطنطينية » وتكتمل الرواية بخروج مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية فى الوقت المناسب ، وتقديم ليـون الأموال التى صالح مسلمة عليهـا مع تعهد الروم بعدم هدم مسـجد المسلمين فى مدينة القهر . ثم دعا مسلمة البطال وأمره بالاشراف على عبور المسلمين المضيق عائدين الى بلادهم . وفى الطـريق جاءهم نعي سليمان وتولي عمر بن عبد العـزيز الخلافة . وطلب عمر من مسلمة القدوم عليه فى دمشق . وقد واجه المسلمون خلال حملة مسلمة بن عبد الملك كثيرا من الصعاب واستشهد منهم طوال مدة الحملة التـى أربت على بضع عشرة سنة حوالى خمسين الف شهيد اذ خرجت الحملة وهـى تضم ثمانين الفا ولم يعد منها الى دمشق سوى ثلاثين الفا ، ويبدو أن عبد الله البطال لم يعد مع مسلمة الى دمشق وظل يرابط مع المسلمين فى الثغور الشامية . اذ لا نلبث أن نسمع عن تقدمه الغزوات العديدة التى قادها معاوية بن هشـام بن عبد الملك ضد الروم . وقد أسهبت المصادر فى ذكر صور فريدة مـن شـجاعته واقدامه ومنازلته قادة الروم وفتحه المدن والحصون .

استشهاد البطال :

وظل على هذا الحال يشارك فى الصوائف ويتقدم الغـــزوات حتى

استشهد عام ١٢٢ هـ على ما يذكره الطبرى وان كانت سنة وفاته موضع اختلاف بين غيره من المؤرخين .

ويذكر لنا ابن كثير قصة استشهاد هذا البطل الاسلامى بقوله أن ليون (ليو الثالث) ملك الروم خرج من القسطنطينية فى مائة ألف فارس ليغزو بهم المسلمين فلما بلغ الخبر عامل ثغر ملطيه مالك بن شبيب أشار عليه البطال بالتحصن فى مدينة حران حتى يصل المدد من الجيوش الاسلامية فأبى عليه ذلك ، وخاض مع البطال والمسلمين المرابطين فى الثغر قتالا ضاريا ضد جموع الروم انتهى باستشهاد البطال ومالك وأعداد أخرى من المسلمين .

ويضيف ابن كثير أن ليون أدرك البطال وهو فى الرمق الأخير فاستدعى أطباءه ليداووه ، الا أن جراحه كانت قاتلة فسأله ليون عن حاجته فطلب البطال أن يتولى الأسرى المسلمون الذين فى قبضة ليون غسله والصلاة عليه ودفنه .

ففعل ليون ذلك وأطلق الأسرى تكريما لشجاعة البطال وبطولته .

الأساطير التى حيكت حول البطال :

ولا نعجب اذا رأينا كثيرا من القصص والأساطير تحاك حول شخصية البطال بعد استشهاده ، ذلك أن الناس وخصوصا فى العصور الوسطى دأبوا على اكبار الأبطال وتضخيم سيرهم لتطابق المثل العليا التى يتمنونها ويحلمون بها . وقد يضيق المجال عن سرد هذه القصص والأساطير التى تتحدث كلها عن بطولات البطال الخارقة ، وحذر كثير من المؤرخين المسلمين من هذه الأساطير والقصص الموضوعة عن سيرة البطال ، ومن هؤلاء ابن كثير والذهبى وابن تغرى بردى . بل ان قصة البطل التركى الاسطورى سيد بطال غازى التى تمجد جهاده فى سبيل الله تستند الى شخصية المجاهد الاسلامى التاريخية عبد الله البطال الذى وقف حياته على جهاد الروم أعداء الاسلام ، ونشر الرعب الحقيقى سنوات طويلة فى آسيا الصغرى حتى قدر لها أن تدخل فى دوحة الأمان والاسلام على أيدى الأتراك العثمانيين الذين حققوا الهدف الأسمى للبطال ولآلاف المسلمين الذين استشهدوا فى تلك البلاد الاسلامية العزيزة .

تاريخ العلوم الإسلاميّة والعربيّة

٤

للدكتور

احمد الحجي الكردي

ثالثا ـ علم الفقه فى العصر العباسي :

يعتبر العصر العباسي بحق العصر الذهبى للفقه الاسلامى ، فقد تعددت فيه قواعده ، واتضحت مذاهبه ومدارسه ، وكثر دارسوه وعلماؤه ، حتى غدا صرحا شامخا يفاخر به المسلمون الدنيا فى كل عصر ومصر .

وقد ظهر فى هذا العصر ائمة اعلام فى مختلف العواصم الاسلامية اسسوا مذاهب فقهية متميزة ، من أشهرهم الامام سفيان بن عيينه فى مكة المكرمة ، ومالك بن انس الاصبحى فى المدينة المنورة ، والحسن البصرى فى البصرة ، وابو حنيفة النعمان بن ثابت وسفيان الثورى فى الكوفة ، والاوزاعى فى الشام ، ومحمد بن ادريس الشافعى والليث بن سعد فى مصر ، واسحق ابن راهوبه فى نيسابور ، وابو ثور واحمد بن حنبل وداود الظاهرىوابن جرير الطبرى فى بغداد وغيرهم .

الا ان كثيرا من هذه المذاهب اندثر عبر التاريخ وانطفأت شعلته وخفيت معالمه الا ما جاء منه عرضا فى مصنفات علماء المذاهب الاخرى التى خلدها التاريخ لنا . والسبب الرئيسي فى اندثار هذه المذاهب فيما اظن ، ميل اكثر علمائها الىالاشتغال بالحديث الشريف واشتهارهم به مما كان له الاثر الاكبر فى تركيز جهود طلابهم على ما عندهم منالحديث دون غيره من الفقه ، هذا الى جانب قلة طلاب بعضهم مما لم يتح معه نقل آرائهم الى من بعدهم ، كما حدث للامام الاوزاعى ، فقد قال عنه ابو حنيفة « كان اماما جليلا الا ان طلابه اضاعوه » .

هذا واشهر المذاهب الفقهية التى وصلت الينا بالرواية الصحيحة المتواترة عن واضعيها هى المذاهب الاربعة المشهورة وهى المذهب الحنفى ، والمذهب المالكى ، والمذهب الشافعى ، والمذهب الحنبلى .

وانني سوف القى الضوء الاولى على هذه المذاهب بتعريف بسيط بمؤسسيها وطلابها واهم المراجع العلمية التى حفظت لنا عنها فى هذا العصر .

ا) المذهب الحنفى :

اسس هذا المذهب الامام الأعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى . وهو فارسي الأصل ، ولد فى الكوفة من اعمال العراق عام ٨٠ هـ ، وتوفى فى بغداد عام ١٥٠ هـ . ولذلك فانه عاصر اواخر عهد الأمويين وأوائل عهد العباسيين .

اخذ ابو حنيفة العلم عن شيوخ عدة من اشهرهم حماد بن ابى سليمان تلميذ ابراهيم النخعى وارث علم عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل الذى عرف بالفقه والفتوى .

وقد أخذ عن أبى حنيفة العلم رجال كثيرون يجل عددهم عن الحصر ، الا أنه تفوق منهم أربعة بلغوا مرتبة الاجتهاد وهم :

١ ــ الامام أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصارى المتوفى سنة ١٨٣ هـ . وهو احظى تلاميذه عنده ، وقد تولى امامه حلقته من بعده ، كما تولى القضاء للرشيد مدة حياته وكان قاضي قضاة الدولة الاسلامية ، وقد ترك لنا ابو يوسف مصنفات كثيرة فى الفقه والأصول والحديث اهمها كتاباه ، الخراج والآثار .

٢ ــ الامام محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٩٨ هـ ، وهو ثانى تلاميذ ابى حنيفة بعد أبى يوسف ، كان صغيرا عند وفاة ابى حنيفة لم يجاوز الثامنة عشرة من عمره ، ولهذا فانه اتم علمه على ابى يوسف حتى عد من شيوخه ، وقد تولى القضاء للعباسيين من بعده .

وقد حفظ لنا محمد هذا المذهب الحنفى فى ستة مصنفات دون فيها كل آراء علماء المذهب ، عرفت بكتب ظاهر الرواية وهى : الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، والسير الكبير ، والسير الصغير ، والأصل ــ المبسوط ــ والزيادات .

وقد جمع بعد ذلك الامام الحاكم الشهيد أحد علماء الحنفية هذه الكتب الستة فى كتاب جامع سماه (الكافى) . وقد حظى هذا الكتاب باهتمام الفقهاء وعنايتهم به ، فشرحوه وفصلوا احكامه واستنبطوا منه ، واشهر شروحه (المبسوط) لشمس الائمة السرخسي ، وهو مطبوع فى ثلاثين جزءا كبيرا .

٣ ــ الامام زفر بن الهزيل بن قيس التميمى المتوفى سنة ١٥٨ هـ . وهو ثالث ائمة المذهب الحنفى بعد الصاحبين ابى يوسف ومحمد ، اشتهر بحدة الذهن ، ودقة القياس، وشدة الورع ، وقد دعى للقضاء للعباسيين مرارا فأباه ، فناله من ذلك الاباء بلاء شديد احتمله واحتسبه عند الله تعالى .

٤ ــ الحسن بن زياد اللؤلؤى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ . وهو رابع هؤلاء الائمة بعد زفر ، وقد اشتهر بالتقوى والورع والتفرغ للحديث الشريف .

هذا وقد انتشر المذهب الحنفــي انتشارا واسعا فى الدولة الاسلامية فى زمن قضاء أبى يوسف ومحــمد بعده ، وفى زمن الدولة العثمانيــة التى كانت تعتبر المذهب الحنفــي المذهب الرسمى للدولة . ولا زال هذا واسع الانتشار فى العــالم الاسلامى الى اليوم ، وهو المذهب الرسمى لأكثر الدول الاسلامية .

ب) المذهب المالكى :

اسس هذا المذهب الامام مالك بن انس الاصبحي عالم دار الهجرة الذى ولد فى المدينة المنورة عام ٩٣ هـ . وتوفى فيها عام ١٧٩ هـ .

أخذ مالك العلم عن عــــدد من التابعين ، منهم أبن هرمز ، ونافع مولى عبد الله عمر الصـــحابى الجليل ، والزهرى ، وربيعة الرأى وهو أشهر شيوخه . وقد ترك مالك لنا مؤلفات قيمة أهمها (الموطأ) .

وقد اخذ العلم عنه عدد من العلماء أشهرهم :

١ ـــ عبد الرحمن بن القاســـم المتوفى سنة ١٩١ هـ . وهو أعلــم أصحاب مالك واحبهم اليه .

٢ ـــ عبد السلام بن ســـعيد التنوخى المعروف بـ (ســحنون) المتوفي سنة ٢٤٠ هـ . وقد صــنف المدونة الكبرىالتى هى أصح ما روى عن مالك ، فحفظ بذلك أكثر مذهبه .

٣ ـــ عبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ هـ . وقد اشتهر بالورع والزهــد واعتزال القضــاء رغم عرضه عليه .

هذا وقد افاد من مالك عدد غير قليل من الأئمة الاعلام منهم الامامان أبو يوسف ومحمد تلميذا أبى حنيفة، والامام الشافعى الذى تتلمذ عليــه تسع سنين فى أول نشـــأته فى المدينة ، ثم تتلمذ بعدها على الامام محمد فى بغداد سنتين بعد وفـــاة مالك فجمع بذلك بين فقه المدينــة وفقه العراق ، رضي الله تعـــالى عنهم أجمعين .

وقد انتشر المذهب المالكى فى كثير من أصقاع العالم الاسلامى وبخاصة فى بلاد المغرب العربى ، ولا زال كذلك الى يومنا هذا .

جـ) المذهب الشافعى :

مؤسس هــذا المذهب هو الامام محمد بن ادريس الشافعى القــرشي المطلبى ، يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف .

ولد الشافعى فى غزة أو عسقلان من أعمال فلســطين عام ١٥٠ هـ . وتوفى فى مصر عام ٢٠٤ هـ . وقد نبغ مبكرا وتصدى للفتيا والتدريس فى مكة ولما يبلغ سن الحلم بعد .

طاف الشافعى فى حياته بعدد من الامصار الاســـلامية منها بغداد ومصر واليمن، والف كتبا عدة جمعت آراءه ومذهبه ، منها : الحجـــة ، والأم ، والرسالة .

أخذ الشافعى العلم عن عدد من كبار علماء عصره منهم سفيان ابن عيينـــة ، ومالك بن أنس ، ومحمد ابن الحسن .

كما أخذ العلم عنه خلق كثير من أشهرهم :

١ ـــ الحسن بن على الكرابيسي، أخذ العلم عنه فى بغداد وتوفى عام ٢٦٤ هـ .

٢ ــ اسماعيل بن يحيى المزنى ، أخذ العلم عنه فى مصر وتوفى عام ٢٦٤ هـ . وقد ترك لنا مصنفات عدة أهمها مختصره الشهير باسمه ، والجامع الكبير ، والجامع الصغير وغيرها .

٣ ــ يوسف بن يحيى البويطى ، أخذ العلم عنه فى مصر ، وهو من أحب تلاميذه اليه ، وقد كانت له امامة حلقة الشافعى بعده بوصية منه ، توفى عام ٢٣١ هـ .

٤ ــ الربيع بن سليمان المرادى ، أخذ عنه العلم فى مصر ، وتوفى عام ٢٧٠ هـ . عن عمر يقارب المئة سنة .

وكان أكثر الناس مجالسة للشافعى ، وقد روى عنه أهم كتبه، ومنها : الأم والرسالة .

هذا وقد انتشر المذهب الشافعى فى أكثر البلاد الاسلامية ، وبخاصة المشرق العربى والاسلامى ، الى جانب المذهب الحنفى .

د) المذهب الحنبلى :

اسس هذا المذهب الامام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلى الشيبانى ، الذى ولد فى بغداد عام ١٦٤ هـ . وتوفى ٢٤١ هـ .

اشتهر الامام أحمد بالحديث قبل أن يشتهر بالفقه ، وقد خلف لنا كتابه (المسند) وهو من أجمع كتب الحديث واكثرها نفعا .

وقد امتحن أحمد فى عهد المعتصم بالله بن الرشيد وسجن حتى نحل جسمه لمخالفته مذهب الاعتزال فى خلق القرآن .

أخذ أحمد العلم عن الشافعى عندما قدم بغداد ، كما تفقه بعدد كبير من العلماء .

وأخذ عنه العلم عدد من العلماء منهم :

١ ــ أسحق التميمى المعروف بـ (الكوسج المروزى) الذى توفى بنيسابور عام ٢٥١ هـ .

٢ ــ الاثرم أبو بكر أحمد بن محمد ابن هانىء الطائى الخراسانىالمتوفى عام ٢٧٣ هـ .

وقد انتشر المذهب الحنبلى فى كثير من البلاد الاسلامية ، واهمها السعودية ، وفلسطين ، وسوريا ، الا انه اقل انتشارا من المذاهب الثلاثة الاولى التى تقدم ذكرها على كل حال .

هذه نبذة عن كيان المذاهبالفقهية التى تأسست فى هذا العصر ثم انتشرت فى أرجاء العالم الاسلامى وتقبلها الناس جميعا وتلقوها بالاعجاب والاكبار . وهنا لا بد من الاشارة الى أن هذه المذاهب بقيت الى اليوم المذاهبالمعتمدة لدى جميع المسلمين فى أرجاء الأرض الى جانب بعض المذاهب الاخرى التى لم يرتضيها ويتقبلها الا فئة معينة من المسلمين دون غيرهم كالمذهب الجعفرى والمذهب الزيدى الذين انتشرا بين الشيعة فقط ، والمذهب الاباضي الذى انتشر بين الخوارج فحسب .

هذا وكل عمل العلماء المتأخرين بعد تأسيس هذه المذاهب كان دراسة هذه المذاهب والقياس عليها والترجيح بين آرائها والتدليل للأقوال التى وردت فيها وما الى ذلك . وقد ألف العلماء من مقلدى هذه المذاهب فى ذلك فى هذا العصر

كتبا عدة تعد الى الآن موسوعات الفقه الاسلامى التى تمدنا بالعلم والمعرفة ، ولولاها لضاع المسلمون فى متاهات الجهل والضلال .

وأهل هذه الموسوعات الفقهية التى صنفت فى هذا العصر :

١ ـ كتب فى الفقه الحنفى :

١ ـ المبسوط : لشمس الأئمة السرخسي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ . وهو الكتاب الذى شرح فيه كتاب الكافى للحاكم الشهيد الذى جمع بدوره كتب ظاهر الرواية للامام محمد بن الحسن الشيبانى ، وقد تقدمت الاشارة اليه .

وهذا الكتاب هو بحق موسوعة الفقه الحنفى .

٢ ـ تحفة الفقهاء : للامام علاء الدين السمرقندى المتوفى سنة ٥٤٠ هـ . وهو كتاب مطبوع فى ثلاثة أجزاء متوسطة ، سهل العبارة ، حسن الاسلوب ، كثير النفع .

٣ ـ بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع : للامام علاء الدين الكاسانى المتوفى سنة ٥٨٧ هـ . وهو تلميذ الامام السمرقندى صاحب التحفة ، ويعد كتابه هذا بمثابة شرح لكتاب التحفة ، وهو مطبوع فى سبعة أجزاء كبيرة تعنى كل العناية بالأدلة العقلية والنقلية للمذهب ، مع مناقشة ادلة المذاهب الاخرى المخالفة ، وبخاصة ادلة المذهب الشافعى .

٢ ـ كتب فى الفقه المالكى :

١ ـ المدونة الكبرى : للامام سحنون بن سعيد التنوخى تلميذ الامام مالك المتوفى سنة ٢٤٠ هـ . وقد رواها عنه الامام عبد الرحمن ابن القاسم ، وقد حوت المدونة فقه الامام مالك ، وتقدمت الاشارة اليها .. وهى الآن مطبوعة فى ثمانية اجزاء كبيرة .

٢ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد : للامام محمد بن أحمد بن رشد القرطبى المتوفى سنة ٥٩٥ هـ .. وهو كتاب مختصر يجمع أصول المسائل الفقهية بعبارة موجزة جامعة ، تحتاج الى شرح مفصل .. وقد طبع فى جزئين متوسطى الحجم .

٣ ـ كتب فى الفقه الشافعى :

١ ـ كتاب الأم : وهو من تأليف الامام الشافعى نفسه ، ولكن الذى رواه عنه هو تلميذه الربيع المرادى كما تقدم ، وأكبر الظن أن الربيع زاد عليه أشياء مما كان سمعه من الشافعى . وهو الآن مطبوع فى سبعة أجزاء متوسطة .

٢ ـ المهذب : للامام أبى اسحق ابراهيم بن على الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وهو متن متوسط الحجم مطبوع فى جزئين وقد بدأ بشرحه الامام النووى فى كتاب سماه (المجموع)، ثم عاجلته المنية فى عام ٦٧٦ هـ . قبل الانتهاء منه .

٤ ـ كتب فى الفقه الحنبلى :

١ ـ متن الخرقى : وهو متن صغير الحجم كثير النفع قام بشرحه الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد

(ابن قدامه) المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ . فى كتاب كبير سماه (المغنى) ، وقد طبع فى عشرة اجزاء طبعات عدة وهو بحق موسوعة الفقه الحنبلى ، بل موسوعة الفقه الاسلامى كله ، لأنه يتعرض فى كل المسائل الى آراء الفقهاء الآخرين بأمانة ونزاهة ويذكر أدلتهم ويقارن بينها بحصافة وعمق .

٢ — متن المقنع للامام موفق الدين بن قدامه المتوفى سنة ٦٢٠ هـ .. وهو مجلد متوسط الحجم عنى بشرحه بعد ذلك العلامة شمس الدين المقدسي كما سوف يأتى .

٣ — متن الاقناع للامام على بن عبد الله بن نصر الزاغونى المتوفى سنة ٥٢٧ هـ . وهو مطبوع فى مجلد واحد .

رابعا — علم اصول الفقه :

بزغ نجم علم اصول الفقه بمعناه العلمى المدرسي مع نمو حركة تقعيد الفقه فى أول هذا العصر . فقد كان فى العصر الاموى كما تقدم مجرد قواعد متناثرة تأتى على السنة الفقهاء اثناء مناقشاتهم واستنباطاتهم ، أما الآن فقد اصبح علما قائما بذاته له كتبه ومصنفاته . وأول من صنف فى هذا العلم هو الامام ابو حنيفة النعمان الا أن كتابه لم يصل الينا وضاع فى مسوداته . ثم الامام ابو يوسف تلميذه ، لكن كتابه لم يبلغنا كذلك . وأول كتاب وصل الينا فيه هو (الرسالة) للامام محمد بن ادريس الشافعى ، ثم تتابع العلماء بعده يكتبون ويصنفون فى هذا العلم حتى استوى على سوقه واضحى برجا شامخا يضبط قواعد الفقه ويزنها بميزان ذهبى مستمد من الكتاب والسنة وعلوم اللغة العربية ، وضوابط العقل الحصيف والمنطق السليم .

وقد يتساءل الانسان عن سبب تأخر نشوء هذا العلم رغم الحاجة اليه ، والجواب أن الصحابة والتابعين كان لهم من صحبتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقرب عهدهم به وسلامة لغتهم ما يغنيهم عنه ، ولكن عندما فسدت اللغة وابتعد الناس عن عصر النبوة ظهرت الحاجة لهذا العلم فاتجه العلماء عندها الى انضاجه والكتابة فيه .

وأهم واشهر المؤلفات الأصولية التى ظهرت فى هذا العصر بعد الرسالة لاشافعى :

١ — كتاب الأصول للامام أبى الحسن الكرخى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ .

٢ — كتاب الأصول لأبى بكر الرازى المعروف بالجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ هـ .

٣ — تأسيس النظر للامام الدبوسي المتوفى سنة ٤٣١ هـ .

٤ — البرهان لامام الحرمين الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

٥ — المستصفى للامام أبى حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .

خامسا — علوم اللغة العربية فى العصر العباسي :

لقد شهد العصر العباسي نهضة كبيرة فى علوم اللغة العربية اعتمدت على ما كان العلماء بدؤوه فى العصر الأموى بعد أبى الاسود الدؤلى .

فقد ظهرت فى هذا العصر مصنفات كثيرة جمعت مفردات اللغة العربية ونسقتها على طريقة المعـاجم ، وشرحتهـا بما يوضح معانيهـا واستعمالاتها ، كما ظهر علماء افذاذ درسوا هذه المفردات وتفحصـوها وخرجوا من ذلك بقواعد وضـوابط نحوية تحفظ لهذه اللغة صـفاءها ونقاءها من خطر اللحن الذى حـف بها ، والفـوا فى ذلك الـكتب والمصنفات الهامة التى بقيت وستبقى معينا لا ينضب واصلا لا يستغنى عنه اى دارس لقواعد اللغة العربية .

كما ظهر ايضا الي جانب هـذه الدراسات النحوية دراسات لغـوية تسبر غور اللفظ اللغوى لتفتش عما يكنه من معنى ، ثم تربط هذا المعنى بصورة اللفظ وموسيقاهوهو ما عرف بعلم فقه اللغة . وسوف اذكر الآن أهم ما صنف فى هذه العلوم اللغوية الثلاثة : المعاجم ، والقواعد ، وفقه اللغة .

ا) المعاجم :

١ ـ الصحاح للامام ابى النصر اسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ . وهو من أقدم وأدق المعاجم العربية ، ومرتب ترتيبا الف بائيا . ومطبوع فى سـتة أجزاء كبيرة . وقد اختصره فيما بعد العلامة محمد بن أبى بكر بن عبد القـادر الرازى المتوفى سنة هـ . فى كتاب من جزء واحد متوسط الحجم سماه (مختار الصحاح) وهو كتاب مطبوع طبعات عدة ، كثير النفـع جليل القدر لا يستغنى عنه طالب علم بله طالب علوم العربية .

٢ ـ المخصص للامام ابى الحسن على بن اسماعيل الاندلسي المعروف بـ (ابن سيده) المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .. وهو كتاب عظيم القدر كثير النفع الا انه غير مرتب على الطريقـة الالف بائية ، بل مقسـم الى كتب وأبواب حسب المعنى الذى تنتمـى اليه الكلمة ، وقد طبع هذا الكتـاب وذيل بفهارس تفصيلية تسهل الرجوع اليه والاستفادة منه .

وان هذا الكتاب يعتبر من معاجم العربية كما يعتبر من مصنفات فقه اللغة ايضا نظرا لافاضته فى معانى الالفاظ والغوص فيها الي الأعماق .

٣ ـ أساس البلاغة للامام أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . وهو كتـاب عمدة فى بابه مرتب علـى أحرف الهجاء ، يمتاز عن غيره من المعاجم بالتعرض للمعانى المجازية لكل لفظ يذكره . وهو مطبوع فى مجلد واحد كبير عدة طبعات .

٤ ـ العين للامام الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى سنة ١٧٥ هـ . وهو أقدم معجم للعربية الا ان بعض العلماء يشك فى نسبته اليه ، وقـد طبع منه الجزء الاول فقط لأول مرة بتحقيق الدكتور عبد الله درويش .

ب) القواعد :

تضم القواعد علمى النحو الذى يبحث فى حركـة آخر الـكلمة ، والصرف الـذى يبحث فى بنيـة الكلمة .

وقد ترعرع هذان العلمـان فى العصر الأموىبدءا من عهد الراشدين على يد أبى الاسود الدؤلى كمـا

تقدم ، الا أن ازدهارهما واكتمالهما كان فى أوائل العصر العباسي .

فقد أخذ هذا العلم عن أبى الأسود الدؤلى تلامذة أفذاذهم : عنبسة الفيل ، وميمون الأقرن ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر . وقد تابع هؤلاء التلامذة طريق شيخهم أبى الأسود ، فعملوا فى تقعيد اللغة واستنباط القواعد والضوابط منها .

وجاء بعد هؤلاء طبقة ثالثة من العلماء من تلامذتهم ساروا على نهجهم وتابعوا طريقهم ، ومن اشهر علماء هذه الطبقة أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ . وابن أبى أسحق الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ هـ . ثم جاءت طبقة رابعة وخامسة من تلامذتهم أيضا على رأسها يونس المتوفى سنة ١٨٢ هـ . والاخفش المتوفى سنة ١٧٧ هـ . والخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة ١٧٥ هـ . وتلميذه سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ .

وهكذا تتابع العلماء فى التأليف والتصنيف والتقعيد والضبط الى أن تم بناء صرح النحو والصرف لهذه اللغة ، مما حفظ نقاءها وصفاءها .

وانه لا بد من الاشارة هنا الى أن هذا العلم نشأ وترعرع فى مدينة البصرة من أعمال العراق ، فقد حل فيها أبو الاسود الدؤلى ونشر علمه الذى تسلسل من بعده فى تلامذته البصريين وهكذا الى أول المئة الثانية للهجرة عندما انتقل من البصرة الى الكوفة أبو جعفر الرؤاسي تلميذ أبى عمرو بن العلاء ونشر علمه فيها . وقد تخرج به جماعة من علماء الكوفة الذين كان لهم أكبر الأثر فى حفظ العربية وعلومها الى جانب اخوانهم البصريين وعلى رأسهم الكسائى والفراء .

وبذلك نرى أنه قد تأسس فى علوم العربية مدرستان احداهما فرع عن الاخرى هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، وقد كان لكل من هاتين المدرستين علماء ومصنفات وأقوال ومخالفات لبعض آراء علماء المدرسة الاخرى بما يسمح بفصلهما عن بعضهما واعتبارهما مدرستين متميزتين .

هذا ويعتبر بحق سيبويه امام مدرسة البصرة ، والكسائى امام مدرسة الكوفة .

ومن أشهر المصنفات العربية التى ظهرت فى هذا العصر :

أ) كتاب الفيصل للامام أبى جعفر الرؤاسي مؤسس مدرسة الكوفة ، وهو قاصر على الموضوعات التالية : التصغير ، الأفراد والجمع ، والوقف والابتداء ، معانى القرآن .

ب) كتاب معانى القرآن للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

جـ) كتا بالحدود للفراء نفسه .

د) كتاب سيبويه للامام سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ . وهو اشهر كتاب فى قواعد اللغة العربية على مر الدهر ، وقد سمى عند النحويين بـ (الكتاب) لشهرته والوثوق به . وهو مطبوع فى جزئين كبيرين .

جـ) فقه اللغة :

١ — الخصائص : للامام أبى الفتح عثمان بن عمرو المشهور بـ (ابن جنى) المتوفى سنة ٣٩٢ هـ .. وهو من أقدم كتب فقه اللغة

التى وصلتنا .

٢ ــ فقه اللغة وسر العربيـة للامام أبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . وهو من أكثر كتب هذا الفن فائدة .

هذه نبذة صغيرة عن تطور العلوم الاسلامية والعربية فى هذا العصر ــ العباسي ــ الذى يعتبر بحـق العصر الذهبى لهذه العلوم .

وهنا لا بد من الاشارة قبل اختتام هذا الفصل الى تلك النهضة الكبيرة التى شهدها العصر العباسي فـى مختلف العلوم الاخرى كالتـاريخ ، والفلسفة ، والطب ، والهندسـة ، والحساب ، والفلك ، وغيرها مـن العلوم الـكثيرة التى ظهـرت أو نضجت فى هذا العصر العظـيم ، والتى كان العامل الاكبر فى انضاجها هو حركة الترجمة التى حدثت فـى هذا العصر من اللغات السريانيـة والهندية والاغريقية وغيرها الـى اللغة العربية ، تلك الحركة التى قام بها عدد كبير من العلماء العـرب والأعاجم المسلمين، بل غير المسلمين أحيـانا ممن توطنوا فى الدولـة الاسلامية .

وقد شجع العباسيون المترجمين على نقل علوم الأقدمين اليهم واجزلوا العطاء للمترجمين ، وبخاصة الرشيد وابنه المأمون الذى كان يعـطى المترجم وزن كتابه فضة .

وقد اخذ علماء المسلمين هـذه العلوم المختلفة فدرسوها وافـادوا منها ثم نقحوها ونقـدوها وزادوا عليها وخلفوا لنا بعد ذلك تراثـا ضخما من الكتب والموسـوعات العلمية الكبيرة فى مختلف هـذه العلوم، وقد أصبحت هذه الموسوعات نواة الحضارة الحديثة فى أوروبا ، وبقيت تدرس فى جامعاتها ردحـا طويلا من الزمن . ومن أشهر الذين نبغوا فى هذه العلوم حتى عرفـت بهم وعرفوا بها : ابن سينا الـذى بلغ انتاجه العلمى نحو مئتين وستة وسبعين كتابا ، وابن الهيثم وقـد بلغ انتاجه نحو مئتى كتـاب ، والبيرونى والرازى والكندى ، وقد بلغ انتاج كل منهم ما يزيد علـى مئتى كتاب ، وكذلك الجاحظ الذى بلغ انتاجه ما يزيد على ثلاثمـائة وخمسين كتابا فى مختلف الفنـون والعلوم .

ولا بد من الانتباه هنا أيضا الى أن دور المسلمين فى هذه العلوم لم يكن دور الناقل فحسب ، فقد كان المسلمون ناقلين وناقدين ومتخيرين، ولا يمكن أن يخفى على باحث مخلص ما أضافوه وعدلوه من العـلوم والنظريات القديمة بل ما ابتـكروه واستحدثوه أيضا فى مختلف هـذه العلوم . حيث تركوا لنا تراثا حضاريا وعلميا ضخما هو شاهد عدل على قدرة الاسلام على بناء المجتـمع الفاضل .

من المناجاة الالهيّة

بأسمائك الحسنى

للأستاذ العوضي الوكيل

بأسمائك الحسـنى دعوت ، فلقنى
رضاك ، وهيىء لى المراشد فى عمرى
شفعت العطايا من يديك بشـكرها
واتبعتها ــ ما عشت ــ بالحمد والشكر
وان تعط أو تمنع فانى بشـكر ما
صـنعت منيب مخبت آخـر الدهر
وبالقلب من عرفان ذاتك روضـة
مدرجة الأعشـاب ، عاطرة الزهر
سقتها من الحب المصـفى جداول
تجافين عن عينى ورقرقن فى فـكرى
اذا هتف الطـير الصـدوح بدوحها
سرى النسم ممزوجا باغنية الطـير
ولألأ نور الفجـر حتى كـانه
دعاء نضـير الهمس معشوشب النبر
الهى ، الا عنـك بانت رواحلـى
وسر الهوى سرى ، وجهر الهوى جهرى
الهى هب لى من سـناك مشـاهدا
تخالجنى من حيـث أدرى ولا أدرى
لئن كنت فى بيـد فذكرك واحتى
وان عشت فـى فقر فذكرك لى وفرى
وأسـتقبل الدنيـا فالقـاك دونها
واستدبر الدنيـا فتصخب فى صدرى
واشهد منها مشهدا بعد مشـهد
فيهـتز وجدانى بنـائلك الغمر
وان أتخـذ ذخرا لنفسي فى الدنا
فان يقينى وحـده فى الدنا ذخرى

تركيا المسلمة

بين الأمس واليوم



بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته رضوان الله عليهم يوم الخندق ــ حين ضرب الصخرة العظيمة التى أعيت المسلمين بمعوله ــ فبرق له فى كل مرة برق أضاء له قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، والقصور الحمر فى الروم ، وقصور صنعاء .

وقد أخبر جبريل عليه السلام رسول الله ان امته ظاهرة على هذه المدن .

وحين فتحت هذه الأمصار فى زمن عمر وعثمـــان وما بعده قال ابو هريرة رضي الله عنه :

« افتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس ابى هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد اعطى محمد عليه السلام مفاتيحها قبل ذلك » .

وشاء الله ان تقوم للاسلام دولة وارفة الظل قوية الباس ، شديدة المراس ، تجمع كلمة اهله ، وتضم تحت لوائها أممه وشعوبه .

ويأبى لها علو الهمة الا ان تغزو المسيحية فى عقر دارها ، فتفتح القسطنطينية . ويمتد سلطانها فى قلب أوربا حتى يصل الى فينا .. تلك هى دولة العثمانيين المسلمة .





● مسجد السلطان أحمد

تركيا بين الأمس واليوم

كان لسقوط الخلافة العباسية اثره على مجتمع المسلمين وفى نفوسهم ، فقد انحلت عرى وحدتهم وجرفتهم التيارات القوية من كل جانب . واعتقد الفازون من التتار لمدينة الخلافة أن ضرباتهم القويةالتى جعلت بغداد تخر صريعة أمام زحفهم الهائل قد حققت أغراضها ، ولكن هيهات هيهات ، فالله ناصر دينه وحافظ لأمة قرآنه ، وان كره الكارهون (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

ومعلوم ما للخلافة الاسلامية من اهمية ومكانة فى نفوس المسلمين ، وما لها من أثر فى قوة وصلابة مجتمعهم أمام كل التيارات الوافدة ، فهى رمز التجمع ، وهى أصدق تعبير لما جاء به الاسلام من مبادىء قويمة ، فى ظلها يكون التطبيق والتنفيذ لما يجب أن يكون عليه المسلمون ، وبها حكم الصدر الأول ، فكان المجتمع الأمثل الذى خلا من الأثرة والطمع والحرص على الزائل من المتع ، تسود فيه المثل الخلقية العليا ، وتزدهر فى ظله الفضيلة ، فتقل الجنايات ، وتتحسن العلاقات بين الأفراد .

لكل هذه الفضائل كان الحرص على الخلافة شديدا ، وسيظل أمل الملايين من امة الحق ما بقىالزمان .

الخلافة فى آل عثمان :

العثمانيون هم أبناء قبيلة (قابى خان) وينتمون الى عثمان بن آرطغرل الذى ولد فى ٦٥٦ هـ الموافق ١٣٥٨ م ، وقد وضع عثمان اسس الدولة التركية ، وجاء ابنه اورخان فجعل منها دولة قوية الأركان ترتكز على دعائم وأسس ادارية وحربية حديثة ، وظلت تسير فى خطى ثابتة نحو القوة والثبات دون حائل ، وقد صنع منها الايمان قوة تأبى الاستسلام تعى قدرها ، وتؤدى دورها الطليعى المنوط بها .

ولم يكن لسلطانهم في باديء الأمر طمع فى الخلافة ، واكتفى السلطان سليم بلقب خادم الحرمين الشريفين ، وسلطان البرين وخاقان البحرين .

وبعد أن أتم السلطان سليم فتح مصر اخذ معه آخر الخلفاء العباسيين الذى فرضمن من فروا من العباسيين أمام غزو التتار لمقر الخلافة ، فعاش في ظل العثمانيين بضع سنين حتى تنازل عن الخلافة الاسمية التى سقطت حقيقة بسقوط بغداد، ثم عاد الى مصر ليقضي بقية عمره لا يسمع عنه شىء ، وبموته انتهى سلطان العباسيين روحيا ، وبقى طريق الخلافة مفتوحا على مصراعيه أمام العثمانيين .

وان المتتبع لتاريخهم يجدهم قد حملوا القابا كثيرة ليس فيها لقب الخليفة الا في عصر سليمان القانونى، ثم توارثوها كما فعل الأمويون والعباسيون . والسؤال الذى يلح دائما : أى الأمرين كان أفضل ؟ :

الاحتلال الأوروبى الصليبي أم الدخول تحت لواء العثمانيين باسم الاسلام .

الحقيقة انه لا يجوز أن يكون هناك افتراض بهذا المعنى ، فالتركى مسلم صادق يلتزم بتعاليم الدين عن ايمان عميق ، عمقه وجوده الدائم مستنفرا في سبيل الله أمام ضربات

أعدائه من جيرانه فى أوروبا وروسيا .

هل يجوز الغــاء الخلافة ؟ :

لا يجوز أن تلغى مهما كان السبب بل تقوم ، فهى رمز التجمع الـــذى يطلبه المسلمون ، وليس المراد دعـــم مركز الخليفة من الناحية السياسية، بل الهدف هو تركيز مفهوم الخلافة ، حتى تصبح هيئة لها شأنها يـــرى الناس في ظلها الأمن ، ويستعيــد الاسلام بها مجده ، متمثلين بعصــر الخلافة الرشيدة .

هذه هي الخلافة التى نريدهـــا ونحرص عليها .

لقد كانت الدولة العثمانية هـــى الأمل لو بقيت متماسكة ، ولم تجتمع عليها كـــل القوى ، ونالـــت عطف المسلمين ، ويقال : « كان من دعاة الاصلاح مـــن يرى أن الجامعـــة الاسلامية بزعامة الدولة الاسلامية الكبرى هى القوة التى بقيت لأمـــم الاسلام فى عصر الاضمحلال ، لقـــد



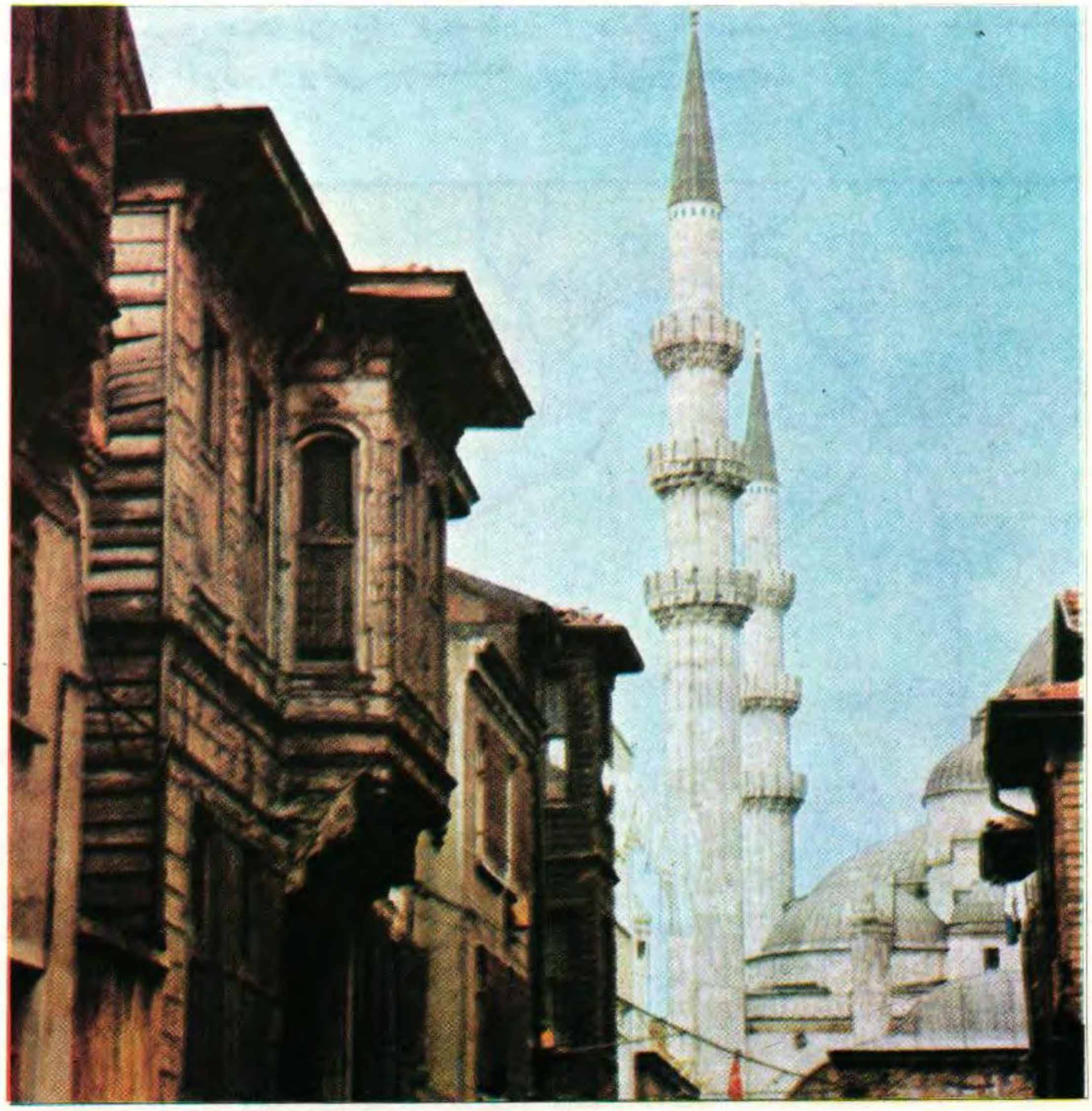
● المسجد الازرق

أعوزتهم قوة المال والعتاد ، وقوة العلم والصناعة ، وقوة السياسية والسيطرة الدولية فلا أقل من قوة التضامن والاتحاد » وتحت راية الاسلام فقط دون غيرها يتم ذلك **« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »** .

نعم كان دخول العرب فى الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن السادس الميلادى ضرورة تاريخية حتمت انتقال السلطة في الوطن الاسلامى كله الى أكبر قوة عسكرية من أبناء الاسلام لوقوفها أمام الخطر الصليبي بأكبر قدر من الوحدة الاسلامية .

وقد كان هناك أمثلة تؤكد سلامة هذا المنهج ، فقد سارعت الجزائر باختيارها وانضمت الى الدولة العثمانية لتكمل الالتفاف حول راية واحدة .

وقد كان للدولة العثمانية فضل تأخير الاحتلال الاجنبى للعالم



● مسجد السليمانية

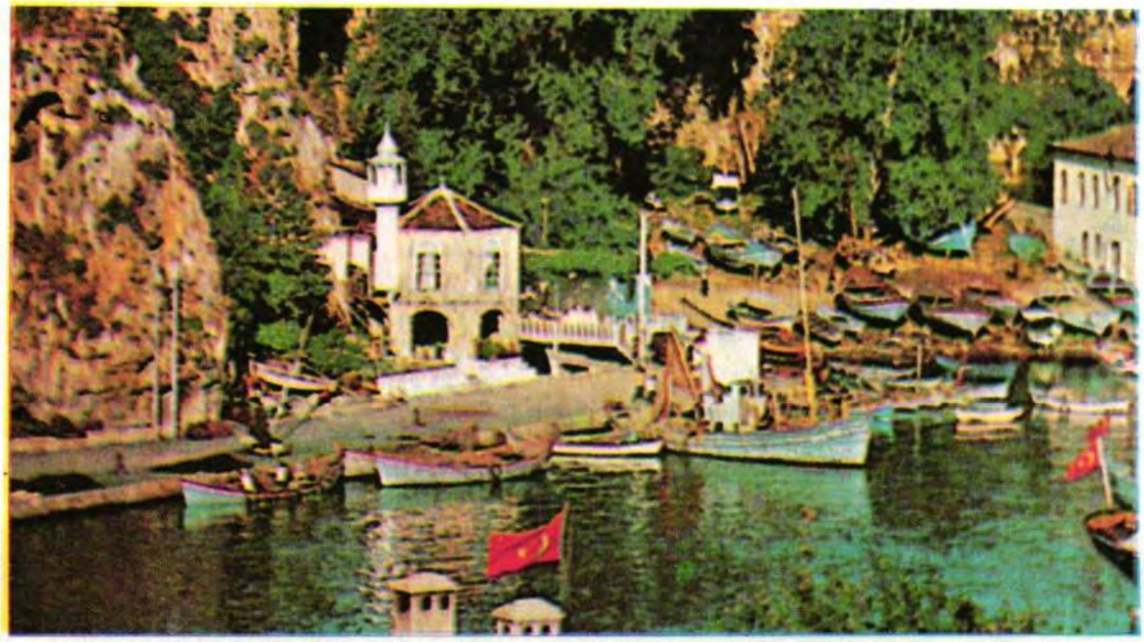
الاسلامى فترة طويلة ، وكادت أن تنهى المسألة الشرقيــة الى الأبد ، وهذا ولا شك ينفى كل ما حدث فى تركيا الدستورية ، وسوف ينقشع الضباب عن شعب تركيا المســـلم الذى صمد أمام الغزوات الالحادية والفكرية المشبوهة باسم الحـــرية والتقدم .

فتح القسطنطينية :

كانت القسطنطينية أمل الفاتحين، وحلما راودهم خلال القـــرنين الأول والثانى الهجرى بعد أن رد عنهـــا قادة الاسلام الأول ، وهى بجـــانب ذلك كانت موطن المؤامرات والدس والكيد ضد المسلمين ، واليها يلجأ الحاقدون على الاســــلام واهله ، المتربصون به الدوائر ، فكان لزاما على المسلمين فى كل العصـــور أن يحرصوا على فتحها ، وكسر شوكة أعداء الله فيها ، وهاديهم فى ذلــك حديث رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير اميرها ولنعم الجيش ذلــك الجيش) رواه أحمد فى مسنده .

وقد كان عبء هذا الاستيلاء على هذه العاصمة العنيدة قد وقع علـــى عاتق العثمانيين الذين اشتد ساعدهم وقوى بأسهم .





مسجد صغير على ميناء انقاليا .

محمد الفاتح :

تولى السلطة وكان أول برنامج يشغله هو الاستيلاء على القسطنطينية ، وبدأ الاستعداد لهذه المهمة فحشد مدفعية هائلة، وجنودا مهرة خاضوا غمار الحروب وتمرسوها ، وبدأ الحصار وطال ، وعلى الرغم من أن أمل النجدة والنجاة لدى البيزنطيين ضئيل ، الا أنه لن يؤتى ثماره المرجوة ما دام البحر مفتوحا والأتراك لم يصلوا اليه بعد .

وخطر للسلطان أن تتسلل سفنه الى شاطىء يبعد عن منطقة القتال، ثم يدفعها جنوده على الواح خشبية مطلية بالزيت والدهون عبر ستة أميال ، ثم تعود الى البحر داخل منطقة السلاسل المانعة التى أقامها البيزنطيون لتكون حائلا دون تقدم البحرية العثمانية ، انه لمجهود عظيم حقا . (انظر الخريطة) .

الحرب النفسية :

استعد الجنود للهجوم الأخير ، وكان قد أمرهم محمد الفاتح بالصوم قبله ، تطهيرا لنفوسهم وتقوية لعزائمهم وارادتهم .

وكانت ضربة قوية للمدافعين عن المدينة وجهت من كل صوب ، وفعل محمد الفاتح كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقد أشعل النيران أمام الخيام فتحول الليل الى نهار وبث بهذا الرعب فى نفوسهم فكانت حربا نفسية ناجحة، ودخلوها من كل ركن ، واتجهوا صوب (أيا صوفيا) كنيستهم الرئيسية وأمر السلطان بانزال أجراسها ، وتسلق المؤذنون قبابها ونادوا : الله أكبر . الله أكبر . ثم نودى للصلاة ، وبعد ذلك أمر بتحويل نصف الكنائس الى مساجد، وترك الباقى للمسيحيين لاقامة شعائرهم ، وصارت (أيا صوفيا)

من اكبر المســـاجد فى المدينـــة ، وأصبحت القسطنطينية بعد ذلــك عاصمة الدولة الاســلامية وحاضرة الخلافة فيما بعد .

وقد كان لهذا السقوط صداه فى جميع انحاء العالم ، وأعلن محــمد الفاتح عند دخوله المدينـــة زوال الدنيا القديمة ، ومجىء العـــالم الحديث لعظم شأن الفتح ، وبعــد اثره ، وسيظل اسمها مقرونا باسم فاتحها العظيم .

ثم طويت صفحات محمد الفاتح بموته الذى كان أمنية العـــالم الصليبى ، والذى اعتبر موته يوما يحتفل به .

الصليبيةالحاقدة والماسونيةالملحدة :

عندما واجهت أوربا الــدولة العثمانية كانت فى الحقيقة تواجـه الاسلام فى دولته الكبرى ، وقــد غلب عليها طابع الحقــد والأنانيــة



● ساحة المسجد الاعظم

والعداء لهذه الدولة الفتية ، وعملت منذ اللحظة الاولى على الكيد لها ، والعمل ضدها طوال عمرها ،وكذلك كانت روسيا تسلك نفس الاسلوب، وتؤلب دول البلقان على الحكم التركى ، وتمدهم بالسلاح .

وهناك أمثلة حية على هذا التربص ، وذلك الحقد الدفين فقد هاجمت مجموعة من أساطيل دول أوروبا الاسطول التركى فى ليبانه باليونان فى سنة ٩٧٩ هـ الموافق ١٥٧٠ م وحطمته وكان بحارته فى أجازة ، فهللت كل أوروبا وأعتبرت ذلك نصراً ، وقال القديس بطرس بهذه المناسبة :

« آن الانجيل قد عنى دون جوان نفسه حينما بشر بمجىء رجل من الله يدعى (حنا) ودون جوان هذا هو أمير الأساطيل المتحدة التى فاجأت الأسطول التركى فى ليبانه ،



● روائع الفن الاسلامى على أحد جدران مسجد تركى

بل ويعتبرونه منقذا للمسيحية من الخطر ، ويقول عبد الله النديم : لو كانت الدولة العثمانية مسيحية

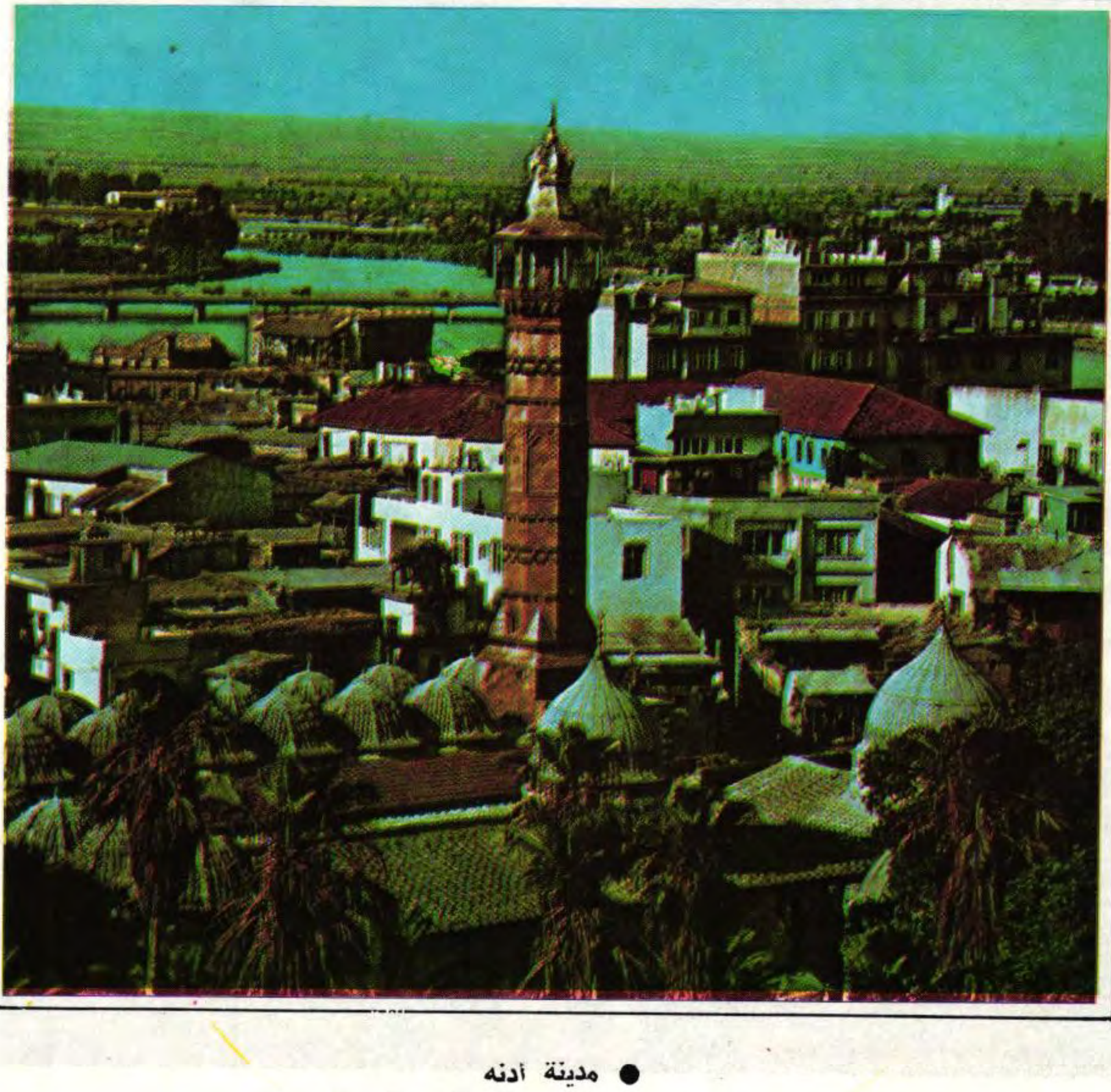
الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة ، ولكن المغايرة الدينية ، وسعى أوروبا فى تلاشي الدين الاسلامى أوجب هذا التحامل الذى اخرج كثيرا من ممالك الدولة » .

وهى فى الحقيقة مسألة النزاع المستمر بين الصليبية الحاقدة على الاسلام ، والاسلام الذى سادت روحه المتسامحة كل الأديان .

والمراقب للأحداث يرى أن الروح الصليبية لم تتخل عن أوروبا المسيحية ، وقد أصبحت الفرصة مواتية لكى يكيل الغرب ضربات قاصمة للعدو الأبدى فى نظره وهو الاسلام .

وقد شجعه على ذلك تقدمه الصناعى الهائل أمام ركون المسلمين الى الدعة والتأخر .

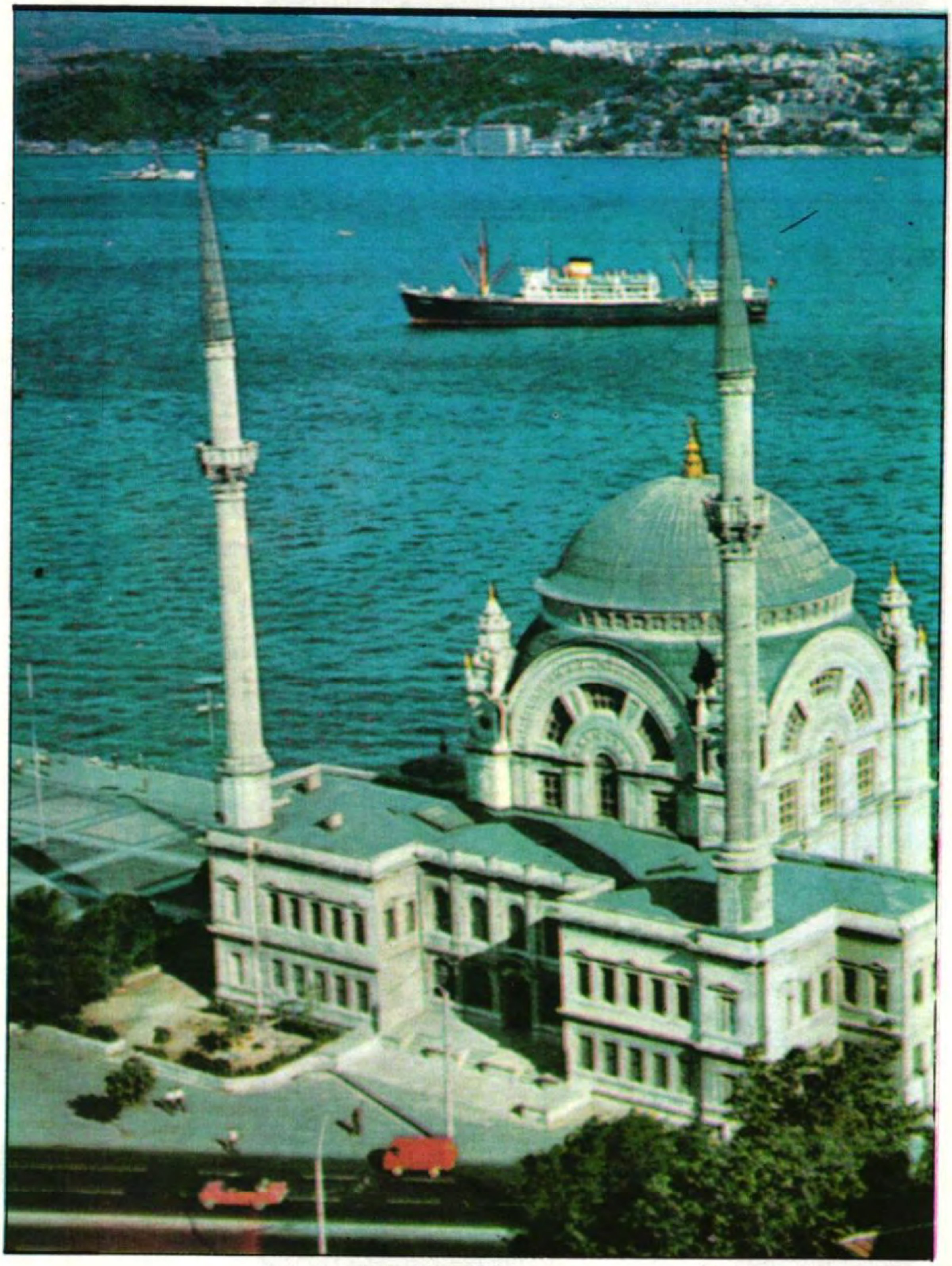
لقد ساعد هذا التقدم الرأسمالية الغربية التى لم تقم الا على



● مدينة أدنه



السلطان عبد الحميد.



● مسجد ضلمه باشا

الاستعمار ، والعالم الاسلامى كان مادة الاستعمار .

وعلى أية حال فقد وضع الطوق حول رقبة العالم الاسلامى باحكام ، حتى قضى على خلافتهم العثمانية التى كانت أمل العالم الاسلامى ، وبعدها لم تكن هناك عقبة ، فتسلط العالم الغربى على تركة الخلافة بقسوة وشراسة وبروح صليبية لا تعرف الرحمة .

وكذلك كانت الماسونية الملحدة ومن اهم اهدافها تكوين حكومة لا تعرف الله ، فى جمهورية لا دينية عالمية ، ومحاربة الأديان ، والحفاظ على الدول اللادينية العلمانية ، وفي سبيلذلك تستسيغ الارهاب ومحاربة الأخلاق والفضيلة ، وكان لها دور بارز فى هز كيان الخلافة فى تركيا ، وتشجيع حركة التمرد على الخلافة .

السلطان عبد الحميد واثره على الخلافة

أراد السلطان عبد الحميد في بداية حكمه كسب ود أوروبا ، ولكنه علم بأن النية مبيتة لاقتسام الدولة العثمانية ، ولذلك كان سريعا في اتخاذ طريق مضاد ، فدعا الى الجامعة الاسلامية باسم الخلافة وغاية أمله من هذه الدعوة جمع المسلمين في قوة واحدة فى وجه التعصب الصليبي ، ومن والا هم من اليهود ، واعتبر أن العمل مفتاح النجاح فبدأ نشيطا ، ولذلك استطاع أن يترك انطباعات لدى العامة ان الانضواء تحت شعار الخلافة العثمانية أمام الغرب المسيحي هو الحل ، وليس غيره ، وانطلاقا من هذه القاعدة منع دخول اليهود فلسطين ، واتخذ منهم موقفا صلبا حازما بدافع من عقيدته ووعيه ، فقد اصدر سنة ١٨٨٨ فرمانا بمنع الهجرة الجماعية الى فلسطين ، وعدم السماح لهم بالبقاء بعد زيارة أماكنهم المقدسة أكثر من ثلاثة اشهر ، وبلغ من حرص السلطان ما رواه كتاب « خطر الصهيونية على الاسلام والمسيحية » يقول الكاتب (في سنة ١٩٠٠ دخل قره صوه أفندى على السلطان عن طريق الفريق عارف بك ، وابلغه أنه موفد من قبل الجمعية الصهيونية ، وأنه قادم يطلب اليه اعطاء الجمعية تلك الأراضي الواقعة فى المثلث القائم ما بين يافا وغزة والبحر الميت مقابل خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية تدفعها الجمعية الصهيونية هدية الى الخزينة السلطانية الخاصة ، وعشرين مليونا تعرضها الجمعية على الحكومة دون فائدة لمدة تعينها الحكومة ، فغضب السلطان وطرده من مجلسه) وتدور الأحداث ويأتى قره صوه هذا ليبلغ السلطان عبد الحميد قرار طرده ، ليفضح بذلك المخطط ، وعلاقة جمعية الاتحاد والترقى بالمنظمات اليهودية .

وصورة أخرى تؤكد هذه العلاقة ، فناحوم أفندى حاخام اليهود في تركيا كان هو الوسيط بينالحلفاء ومصطفى كمال أتاتورك .

مصطفى كمال اتاتورك :

وضح من خلال الأحداث أن اليهودية والصليبية والماسونية كانت

وراء حركة أتاتورك .
وهو من قبائل الدونمة ، وهـــذه القبائل من اليهود أعلنت اسلامهــا ظاهرا ، وظلت على يهوديتها .
وقد تربى أتاتورك فى رعاية هذه القبائل .
ومن اليوم الأول لنجاح حركتة ضد السلطان العثماني ، وهو عازم على انهاء الخلافة الاسلامية وضرب كل الدعوات المضادة بيد من حديد ، وبدأ عهده بترجمة القرآن الكريم الى اللغة التركية وألغى وزارة الأوقـــاف ونظام الوقف ، والمحاكم الشرعية وقوانينها ، وأمر برفع الحجاب .



● مئذنة مسجد تبدو فى احد شوارع أنتاليا

وألغى تعدد الزوجات . وأخلى جامع أيا صوفيا وغالب المساجد واعتبرها من الآثار القديمة ، ودعا الى لبس القبعة حتى تكتمل صورة التركي تشبها بالغربي ، وحذف من الدستور أن دين الدولة الاسلام ، وألغى تدريس العلوم الدينية . وجعل تلاوة القرآن في المساجد بالتركية ، وحول الأذان من العربية الى التركية وحرم الزى الدينى على العلماء ، وأعلن المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث وغير الحروف العربية باللاتينية وألغى الخلافة . واستبدل بالشريعة الاسلامية القوانين الغربية .

شروط الاستقلال :

وكانت هذه التغييرات السبب المباشر في استقلال تركيا ونجاح المفاوضات مع الحلفاء ، بعد الحرب العالمية الأولى حيث انه كانت قد احتلت بعض أجزاء من تركيا .

وقد احتج بعض النواب الانجليز على اعطاء تركيا الاستقلال فأجابه وزير الخارجية (القضية أن تركيا قد قضى عليها ولن تقوم لها قائمة لأننا قضينا على القوة المعنوية فيها : الخلافة والاسلام) .

لقد خاب ظنه فالاسلام له قوة ذاتية تبعث الحياة بسرعة في ابنائه . ليهبوا ، وليس أمامهم الا أن يسود الاسلام ويعم نوره .

تركيا المستقبل :

لقد أصبح من المؤكد تحول الشعب التركى المؤمن ، وصحوته الوثابة ، وقد انقض فكسر الاغلال التى قيد بها ابان حكم أتاتورك . وذلك للاصالة الايمانيةالعميقة التى غرست فى نفوس المسلمين في تركيا طوال حقبة من الزمن ليست قصيرة . فالذين ارتضوا الدين عن يقين عرفوا أن الاسلام هو القوة . وفيه عزهم الذى يرفع اسمهم ، وهو الذى يبرر وجودهم .

وقد بات من الملامح الواضحة تحول تركيا ، والعودة الى التوحيد ، وهو الباعث لكل ألوان الحياة فيها .

عاد الأذان بالعربية فأعطى الناس دفعة قوية على الطريق ربطتهم بماضيهم ، وتبع ذلك جعل التعليم الدينى ذا نصيب في الدراسة ، كذلك شمل هذا التحول وسائل الاعلام والثقافة فنشطت حركة ترجمة الكتب الاسلامية الى التركية ، وانتشرت المعاهد الدينية ، وكثر اقبال الناس على حفظ القرآن الكريم ، وعمرت المساجد بالمصلين ، وترى كثير من النساء بزى الاسلام .

وقد زاد هذا التحول فرفعت صورة أتاتورك ، ووضع مكانها صورة الخليفة العثمانى عبد الحميد .

انها لصحوة متوثبة فى وجه دعاة الالحاد والعلمانية ، باسم الاسلام . فى بلد الخلافة العثمانية ، وسوف تكتمل الصورة ، لتكون الاطار الذى يحيط الحياة هناك بسياج متين من الايمان برسالة السماء تجعل من الصعب النيل منه ، ومن صلابته، وقد بدا ذلك واضحا في تحرك القوات التركية لحماية المسلمين في قبرص فهل من مزيد .

نقد ابن

للأسرائيليات

٥

كثير

للأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

ان الاسرائيليات التي شوهت آثارنا الاسلامية ، وغزت عقول كثير من الناس ونالت من عقيدة التوحيد، لا تقل خطرا عن الغزو العسكرى ، ان لم تتفوق عليه في تشويه الفكر ، وتثبيط الهمم ، وزلزلة النفوس والعقائد .. !

لقد كان العرب، قبل نزول القرآن امة لا وزن لها ، ولا يأبه بها ، ولا يقدر لها حساب بين الأمم .

وحين تتابع الوحي القرآني بمنهجه الرباني في التربية اصبحت امة لا مثيل لها في العالم ، واضحى شبابها من طراز فريد أجبر التاريخ على ان يحني هاماته له .. !

هذا ، يوم كان مصدر التلقي الوحيد هو القرآن ، والسنة المطهرة .

لكن الخط البياني لامة القرآن ، حين زاغت الأبصار ، وطفت الاسرائيليات ، واصبحت مصدرا من مصادر التلقي ، انحدر الى الصفر او كاد .. !

وقد قيض الله لامتنا علماء مخلصين بررة ، ادركوا مدى خطورة هذا الغزو الفكرى المبكر، والروايات الاسرائيلية الدخيلة ، فهتكوا حجبها الكثيفة التي غشيت العيون ، وبددوا

ظلماتها التى رانت على القــلوب ، وحذروا من مصير يجعل الأمة فى ذيل قافلة البشرية ، بعـــد أن كــانت تتصـــدرها وتوجهها الى الهـدى الراشد . . .

وفى المقالات السابقة رأينا أنه قد أثر عن بعض الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ اسرائيليات تتفــاوت كثرة وقلة . . وكانت طرق التلقى ، اما عن سماع أهل الكتاب الذين أسلموا، أو تناول كتبهم ، أو قد يتوافق قول الصحابى مع الرواية الاسرائيلية ، أو قد ينسب الى الصـــحابى ــ افكا وزورا ــ روايات هو منها براء كما نسب الى ابن عباس تفســـير بأكمله ولم يثبت عنه الا شبيه بنحو مائة حديث كما قال الشافعى ــ رضي الله تعالى عنه . . !

ولنتتبع مع ابن كثير بقيــة نقده للروايات الاسرائيليـــة المأثورة أو المنسوبة الى بعض الصــــحابة والتابعين .

اسرائيليات عبد الله بن عمرو :

جمع عبــد الله بن عمرو ــ يوم اليرموك مجموعة ضــخمة من كتب أهل الكتاب ، حملها معه فى زاملتين كبيرتين واليهما يرجع ما روى عنه من اسرائيليات .

١ ــ روى البيهقى فى بناء الكعبة فى كتابه (دلائل النبوة) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو بن العــاص موقوفا قال فيه : « بعث الله جبـــريل الى آدم وحــواء ، فأمرهما ببناء الكعبة ، فبناه آدم ، ثم أمر بالطواف به ، وقيل له انت أول الناس ، وهذا أول بيت وضـــع للناس . .

قال ابن كثير : فانه ــ كما ترى ــ من مفردات ابن لهيعة وهـــو ضعيف والأشبه ــ والله أعلم ــ أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزاملتين اللتين اصابهما يوم اليرموك » .

٢ ــ قال محمد بن اســـحاق عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن ابى بجير قال : سمعت عبد الله ابن عمرو يقول : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال : هذا قبر ابى رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهــذا الحرم فدفع عنه ، فلما خرج اصابته النقمة التى اصابت قومه بهذا المكان فدفن . وآية ذلك انه دفن معــه غصن من ذهب ان أنتم نبشتم عنــه أصـــبتموه . فابتدره النــــاس فاستخرجوا منه الغصن .

وهـــكذا رواه أبو داود عن يحيى ابن معـــين عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه عن ابن اســـحاق به .

قال شيخنا أبو الحجاج المزى ، وهو حديث حسن عزيز . قلت : تفرد بوصله بجير بن أبى بجير هذا، وهو شيخ لا يعرف الا بهذا الحديث . . قال يحيى بن معين : ولم أسمع احدا روى عنه غير اســـماعيل بن أمية . قلت : وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم فى رفع هذا الحديث وانما

يكون من كلام عبد الله بن عمرو ، مما أخذه من الزاملتين . قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك : وهذا محتمل والله أعلم .

٣ ــ روى ابن جرير عن عبد الله ابن عمرو قال : يهبط الله ــ عز وجل ــ حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون الف حجاب ، منها النور والظلمة، فيضرب الماء فى تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب . قال ابن كثير : « هذا موقوف على عبد الله ابن عمرو من كلامه ، ولعله من الزاملتين ، والله أعلم » .

٤ ــ روى الطبرانى عن عبد الله ابن عمرو قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا طلعت الشمس من مغربها خر ابليس ساجدا ينادى ويجهر الهى . مرنى أن أسجد لمن شئت ، قال فتجتمع اليه زبانيته فيقولون كلهم : ما هذا التضرع ؟ فيقول : انما سألت ربى أن ينظرنى الى الوقت المعلوم . وهذا الوقت المعلوم . قال : ثم تخرج دابة الارض من صدع فى الصفا قال : فأول خطوة تضعها بانطاكيا فتأتى ابليس فتلطمه » .

قال ابن كثير : « هذا حديث غريب جدا . وسنده ضعيف . ولعله من الزاملتين اللتين اصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك . فأما رفعه فمنكر والله أعلم » .

أنس بن مالك :

روى أنس بن مالك ــ رضي الله تعالى عنه ــ بعض الأحاديث التى تثير فى النفس الشك والريبة ، اذ تحمل فى طياتها غرابة ونكارة ومن ذلك :

١ ــ ما رواه الامام أحمد فى سنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين الفا لا حساب عليهم ، ويبعث منها خمسين الفا شهداء ، وفودا الى الله ، وبها صفوف الشهداء ، رءوسهم مقطعة ، تثج أوداجهم دما يقولون : « **ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد** » (آل عمران/١٩٤) فيقول الله : « صدق عبدى ، اغسلوهم بنهر البيضة ، فيخرجون منها نقاة بيضا . فيسرحون فى الجنة حيث شاءوا » .

قال ابن كثير : وهذا الحديث يعد من غرائب المسند . ومنهم من يجعله موضوعا ، والله أعلم .

٢ ــ روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حديثا قال فيه : « حدثنا منصور بن أبى مزاحم ، حدثنا خالد الزيات ، حدثنى داود أبو سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصارى عن أنس ابن مالك ــ رفع الحديث : قال : « المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة لوالده او لوالديه ، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه ، فاذا بلغ الحنث اجرى الله عليه القلم ، وامر الملكان اللذان كانا معه ان يحفظا وان يشددا . فاذا بلغ أربعين سنة فى الاسلام أمنه الله من البلايا الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فاذا

بلغ الخمسين ، خفف الله حسابه . فاذا بلـــغ ستين رزقه الأنابة بما يحب . فاذا بلغ السبعين احبه أهل السماء . فاذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عنه ســيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشــفعه فى أهل بيته ، وكتب أمين الله ، وكان اسير الله فى أرضه ، فاذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، كتب الله له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير ، فاذا عمل سيئة لم تكب عليه » .

وعقب ابن كثير على هذا الحديث فقال : « هذا حديث غريب جدا ، وفيه نكارة شديدة ، ومع هذا فقــد رواه الامام احمد بن حنبل فى مسنده موقوفا ومرفوعا ، وذكر الروايتين ، وكذلك الحــافظ ابو بكر البزار ، واثبت روايته » .

٣ — وفى تفسير قوله تعالى : **« ان فيها قوما جبارين »** (المائدة / ٢٢) روى ابن ابى حاتم عن انس بن مالك رواية غريبــة عن طول هؤلاء الجبارين .

على بن أبى طالب :

١ — ذكر أبو جعفر بن جرير فى تفسير قوله تعالى : **« ويسألونك عن الروح »** (الاسراء / ٨٥) أثرا عن على بن ابى طالب ، رضى الله تعالى عنه قال فيه : « الروح ملك من الملائكة له سبعون الف وجه ، لكل وجه منها سبعون الف لسان ، لكل لسان منها سبعون الف لغة ، يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة .. » !

قال ابن كثير : « وهذا اثر غريب عجيب ، والله أعلم » .

٢ — روى ابن مردويه عن على ابن أبى طالب — رضي الله تعــالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لعن الله الزهرة ، فانها هى التى فتنت الملــكين ، هاروت وماروت » قال ابن كثير : وهــذا أيضــا لا يصح ، وهو منكر جدا والله .

عبد الله بن مسعود :

قال ابن جرير فيما يرويه عن ابن مسعود عند تفســير قول الله عز وجل **« يوم يقوم الروح »** (النبأ / ٣٨) : « الروح فى السماء الرابعة، هو اعظم من الســموات ، ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة ، يخلق الله تعــالى من كل تســبيحة ملكا من الملائكة ، يجىء يوم القيامة صــفا وحده » .

قال ابن كثير : « هذا قول غريب جدا » .

وذكر ستة اقوال فى تفســير الروح فى هذه الآية ، وتوقف ابن جرير فى تفسيرها .

واختار ابن كثير انهم بنو آدم .

ابو هريرة :

حاول بعض صغار المســتشرقين النيل من الصحابى الجليل ابى هريرة — رضي الله تعالى عنه — والحط من قدره ، والتشــكيك فى مروياته . وقد تبعهم في ذلك بعض المستغربين واثاروا ضجة مفتعلة حوله ، والف

بعضهم كتبا ضـــمنوها مفتريات لا أصل لها ، وشبهات لا وزن لها !!
حقيقة روى عن أبى هريرة بعض الغرائب والروايات المنكرة ، التـى قد يكون سمعها من مسـلمة أهل الكتاب ، أو اطلع عليها في كتبهم . وقد فعل غيره من الصحابة مثــل ذلك وقد تكون نسبت اليه ــ زورا وبهتانا ــ كما نسب الى ابن عباس تفسير بلغ حجمه اربعمائة صفحة من القطع المتوسط ، ولم يثبت عنه من الروايات الصحيحة الا ما يقـارب المائة حديث .. !!

ومناقشـــة هذه المفتريات التى لفقت لأبى هريرة لها مكان آخر .
ومن الروايات الغريبة التى ذكرها ابو هريرة ، ورجح ابن كثير انه قد يكون تلقاها عن كعب الاحبـــار : ما روى فى تفسير قوله تعـالى : **« فما اسـطاعوا أن يظـــهروه ، وما استطاعوا له نقبا »** (الكهف / ٩٧) ، عن أبى هريرة عن رســول الله صلى الله عليه وســلم قال : « ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم ، حتـــى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليــهم : ارجعوا فستحفرونه غدا ، فيعودون اليه كأشد ما كان حتى اذا بلغت ، مدتهم وأرادوا الله أن يبعثهم علــى الناس حفروا ، حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا ان شــاء الله فيستثنى ، فيعودون اليه ، وهو كهيئته حين تركوه ، ويخرجون على الناس فينشفون الميــاه ، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم ، فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم . فيقـــولون قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل الســـماء ، فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهـــم فيقتلهم بها» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذى نفس محمد بيده ان دواب الأرض لتسمن وتشــكر شكرا من لحومهم ودمائهم » .

قال ابن كثير : ورواه أحمد أيضا عن حسن هوا بن موسى الأشـــهب عن سفيان عن قتادة به . وكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : حدث أبو رافع ، واخرجه الترمذى من حديث أبى عوانة عن قتادة ثم قال : غريب لا يعرف الا من هذا الوجه . واسناده جيد قوى، لكن متنه فى رفعه نكارة ، لأن ظاهر الآية يقتضي أنهـــم لم يتمكنوا من ارتقائه ، ولا من نقبه لأحكام بنائه وصلابته وشدته ، ولكن هذا قد روى عن كعب الاحبار انهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه الا القليل ، فيقولون غدا نفتحه . فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه الا القليل ، فيقولون كذلك ، فيصبحون وهو كمـــا كان فيلحســـونه ويقولون غدا نفتحه ، ويلهمون ان يقولوا : ان شاء الله ، فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه وهذا متجه . ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فانه كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة ، فتوهم بعض الرواة انه مرفوع فرفعه والله أعلم .

وذكر ابن كثير ما يؤيد نكارة هذا المرفوع . فقد روى الامام احمد ، والبخارى ، ومسلم عن زينب بنت جحش ــ رضي الله تعالى عنها ــ قالت : استيقظ النبى صلى الله عليه

وسلم ، من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول : « لا اله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب .فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » - وحلق قلت : يا رسول الله : انهلك وفينا الصالحون ؟! قال : « نعم اذا كثر الخبيث » .

سعيد بن المسيب وعكرمة والقرظى :

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى **((ارم ذات العماد))** (الفجر / ٧) : « ومن زعم أن المراد بقوله : « ارم ذات العماد » مدينة دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روى عن القرظى أو غيرهما ففيه نظر .. فانه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد انما هو الاخبار عن اهلاك القبيلة المسماة بعاد وما احل الله بهم من بأسه الذى لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو اقليم .

وانما نبهت على ذلك ، لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها « ارم ذات العماد » مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وأن حصباءها لآلىء وجواهر ، وترابها بنادق المسك .. وأنها تنتقل ، فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد » !

قال ابن كثير : فان هذا كله من خرافات الاسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذاك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم فى جميع ذلك .

« وذكر الثعلبى وغيره أن رجلا من الأعراب ، وهو عبد الله بن قلابة . فى زمان معاوية ذهب فى طلب أباعر له شردت فبينما هو يتيه فى ابتغائها اذ طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها ، فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التى تقدم ذكرها ، وانه رجع فأخبر الناس ، فذهبوا معه الى المكان الذى قال فلم يروا شيئا » .

وعلق ابن كثير على هذه الرواية فقال : « وقد ذكر ابن أبى حاتم قصة ارم ذات العماد ههنا مطولة جدا . فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها ، ولو صح الى ذلك الاعراب فقد يكون اختلق ذلك ، أو انه أصابه نوع من الهوس والخيال فأعتقد أن ذلك له حقيقة فى الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته » !

أبو العالية :

ذكر أبو جعفر الرازى عن أبى العالية أنه قال فى قوله تعالى : **((رب العالمين))** (الفاتحة / ٢) : « الانس عالم ، والجن عالم ، وما سوى ذلك ثمانية عشر الف أو أربعة عشر الف عالم — وهو شك — الملائكة على الارض ، وللأرض أربع زوايا ، فى كل زاوية ثلاثة آلاف عالم ، وخمسمائة عالم ، خلقهم الله لعبادته » .

قال ابن كثير : « وهذا كلام غريب يحتاج مثله الى دليل صحيح » .

أبو جعفر الباقر :

روى ابن أبى حاتم عن أبى جعفر

محمد بن على قال : « السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه ، وكان له فى كل يوم ثلاث لمحات فى أم الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم ، وما كان فيه من الامور فأسر ذلك الى هاروت وماروت ، وكانا من اعوانه ، فلما قال تعالى : **« انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء »** ، قالوا ذلك استطالة على الملائكة .

قال ابن كثير : هذا اثر غريب ، وبتقدير صحته لأبى جعفر محمد بن على بن الحسن الباقر فهو نقله عن اهل الكتاب ، وفيه نكارة توجب رده » .

عبد الله بن يحيى بن أبى كثير :

روى ابن أبى حاتم عن عبد الله بن يحيى بن أبى كثير قال : سمعت أبى يقول : ان الملائكة الذين قالوا : **« اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »** . كانوا عشرة فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم .

قال ابن كثير : « وهذا ايضا اسرائيلى منكر » .

عكرمة مولى ابن عباس :

روى عبد الرزاق عن عكرمة مولى ابن عباس أن موسى ــ عليه السلام ــ سأل الملائكة هل ينام الله ــ عز وجل ــ فأمر الملائكة أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه، ففعل ثم اعطوه قارورتين فأمسكهما ، ثم تركوه ، وحذروه أن يكسرها ، فجعل ينعس وهما فى يده ، فى كل يد واحدة . قال : فجعل ينعس وينبه وينعس وينبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما .

وعلق ابن كثير على هذا فقال : « وهو من اخبار بنى اسرائيل . وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من امر الله ــ عز وجل ــ وأنه منزه عنه » .

عقبة بن عامر :

وفى تفسير قوله تعالى : **« ويسالونك عن ذى القرنين »** (الكهف / ٨٣) قال ابن كثير : « قد أورد ابن جرير ههنا ، والأموى فى مغازيه ، حديثا اسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ذى القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء ، فكان فيما أخبرهم به انه كان شابا من الروم . وانه كان نبى الاسكندرية ، وانه علا به ملك الى السماء ، وذهب به الى السد ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب !! وفيه طول ونكارة ، ورفعه لا يصح . واكثر ما فيه من اخبار بنى اسرائيل . والعجب كل العجب ان أبا زرعة الرازى ــ مع جلالة قدره ــ ساقه بتمامه فى كتاب (دلائل النبوة) وذلك غريب منه » .. !

وبعد ، فهذا ما يسره الله لنا عن نقد ابن كثير للاسرائيليات .

لكن قد يقول قائل : الم يذكر ابن كثير نفسه فى تفسيره اسرائيليات وروايات غريبة قبلها ولم ينقدها !

وموعدنا ــ للاجابة عن هذا السؤال ــ المقال القادم ان شاء الله .

بريد الوعي الاسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

المرأة .. فى ظل الاســـلام

هل نالت المرأة فى عصر الحضارة الغربية كل ما تريد .. وهل كان هــذا خيرا لها .. ؟

صلاح عامر ــ الاردن

على الرغم من سيطرة الحضارة الغربية ، واكتساحها لكل معالم الحياة العصرية ، ونزوح كل القيم الا المكتسب من الحضارة الغربية ، وغيبـــة كل الشرائع الا ما شرعه ، وسنه أرباب الثقافة الوافدة ، وما زالت روح الجاهلية تجثم بكل اشكالها على مجتمع الانسان ، وتشوه عالمه ، وتشده من الفضيلة الى الرذيلة ، باسم الحضارة .

وقد زعموا أن الحضارة الحديثة قد منحت الانسان حق الحياة الحرة الكريمة ، وهيأت له وسائل العيش فى ظل الحرية ، ودون سيطرة ، وعلى الأخص المرأة ..

وبقليل من التأمل نرى ، أن المجتمع الغربى بعد الثـــورات المتكررة ، والدعوات الكثيرة المنبعثة من هنا وهناك فى كل انحاء أوروبا ، والعـــالم الغربى ، وفى أزهى عصور الحضارة نجد أن المرأة قد نالت قسطا قليلا جدا من حقها الذى تدعيه ، وأصبحت فى مجتمعها الغربى بسبب العرى والتفسخ والانحلال الذى كان نتيجة حتمية لفقدان القيم ، والمثل ، وانفلاتها من الأخلاق ، أصبحت متاعا مشاعا ، تحت شعار حريـــة المـــرأة .

فبعضهم يجعل الميراث فى الأسرة الواحدة ذكورا واناثا لأكبر وارث ذكر ، وآخرون يرون أن أى تعاقد مع المرأة خاص بالمال لا بد فيه من اذن الولي ، أو اذن الزوج لزوجته فى مالها الخاص بها ، ونرى أن تهاون الأسرة الغربية فى الحفاظ على المرأة ، واعطائها حقها دون تمييز بين ما هو صالح لها ، وما يفسدها كان سببا من الأسباب المباشرة فيما وصلت اليه المرأة من سوء ، فقد خرجت تبحث عن السعادة التى افتقدتها فى أسرتها ، لتمنح نفسها الأمن الذى تتصوره ،

أما الاسلام فقد منحها كل الحقوق التى تجعل منها امرأة اذا نظر اليهـــا زوجها سرته ، وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضها ، وان أمرها أطاعته لكى تحيا الأسرة كلها فى جو من الود والوفاء ، وتتحقق الضـــمانات لـــكل أفرادها .

وقد حافظ الاســـلام على مال الزوجة سواء كان موروثا أم اخذته من زوجها ، ويظل مالها مستقلا عن مال زوجها ، بعيدا عن سيطرته ، ولا يحق له أن يأخذ منه شيئا الا باذن منها ورضاها .

يقول الله تعالى : « **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا** » ويقول سبحانه : « **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا** » وقد وضح ان الرجل لا يجوز أن يأخذ من مال زوجته الذى اخذته منه ، فكيف يجوز أن يأخذ من مالها الخاص بها .

ان هذه المنزلة من المساواة لم تصل اليها أو الى شيء قريب منها اى امة لم تعتنق الاسلام .

وكل القوانين الغربية تقريبا قاصرة عن تحقيق شيء من هذا .

وانظر معى الى هذه الفقرة من القانون الفرنسي المدنى « المرأة المتزوجة حتى ولو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا ان ترهن ولا أن تمتلك بعوض او بغير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية » .

ولقد عرف أن كل القوانين الغربية تفقد المرأة فى ظلها شخصيتها بمجرد الزواج وتلحق باسم زوجها ، ومن العجيب أن النساء يعتبرن انتسابهن الى ازواجهن مدنية ، ونسين ان الاسلام قد أعطاهن هذا الحق مساواة للرجل ، فأين انتن من المساواة ، وقد حرصتن كل الحرص على ذوبان شخصيتكن فى الرجال .

هذه هى المرأة فى ظل الاسلام، وتلك حقوقها كاملة تغدو وتروح تحت ظلها فى حرية لا تفقدها انسانيتها ولا تذهب وقارها، تحفظ عليها حقها فى الحياة، وهى ليست من المتاع ، ولا أدوات الزينة ولكنها عنصر هام فى اخراج جيل مؤمن واع ، وقد صدق الشاعر حين يقول :

الأم مدرسة اذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

وقد وضح أن المرأة لم تنل فى عصر الحضارة الا ما دفعها اكثر الى عدم الالتزام بقيمنا الاسلامية ، وقد تركت مختارة كل ما يرفع من شأنها ، ويحفظ عليها انسانيتها ، ويجعلها محل تقدير ذويها .

تعقيب ..

وردت الينا هذه الرسالة من القارىء الاستاذ محمد عبد العاطى حسن ــ القاهرة ــ ونحن ننشرها فيما يلى :

« لى ملاحظة حول ما جاء فى مقال الاستاذ حسن فتح الباب « التسامح الدينى والتحرر الفكرى فى الاسلام العدد ١٢٦ ص ٧٩ الوعى الاسلامى

وذلك عندما استشهد بالآية الكريمة « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان** » (الحجر : ٤٢) فى معرض حديثه عن عدم الوساطة بين الفرد وربه عز وجل .

والآية الكريمة بعيدة كل البعد عن هذا المعنى ، ويدل على ذلك ما ورد قبلها وبعدها من آيات فى نفس السورة .

أما المعنى الذى قصد اليه السيد الكاتب فيمكن الحصول عليه فى آيات كثيرة من الكتاب العزيز . لذا أردت التنويه » .

كتاب الشهر

نظام الحكم في الإسلام

تأليف : الدكتور فاروق النبهان

عرض وتلخيص : الشيخ عبد الله سالم

اللقاءات المتكررة خلال الفترة الاخيرة مع الدكتور الفاضل محمد فاروق النبهان أتاحت لي مزيدا من المعلومات عن جهوده المتواصلة وأبحاثه القيمة فى المجال الاسلامي العلمي ، فالرجل من النوع المخلص الدؤوب .. مخلص للفكر الاسلامي كل الاخلاص ، ومجد مثابر كثير العطاء والانتاج .

ولقد كنت قبل سنوات اربع قرأت له كتابا قيما اسماه « الاتجاه الجماعي فى التشريع الاقتصادي الاسلامي » وهو عبارة عن بحث في معالم الفكر الاقتصادي فى الاسلام ، وخرجت بنتيجة وانطباع فيما بيني وبين نفسي عن الكتاب ومؤلفه ... كتاب قيم غني بالمادة العلمية ، اشبع الموضوع الذي هو بصدده بحثا واستدلالا ، بعد ان الم فيه المؤلف بالنظريات الأساسية التي تتعلق بالملف الاقتصادي فى الاسلام كنظرية الحق ، ونظرية الملكية ، وموضوع حدود تدخل الدولة فى المعاملات المالية والاقتصادية كما يرى الاسلام ويرسم من خلال نظرته الشاملة الى الوجود والحياة فى هذا الكون .

ولست بصدد تعريف هذا الكتاب وانما الشيء بالشيء يذكر ، فالذي اريده هو افساح المجال لأقدم للقاريء الكريم سفرا جليلا آخر خطه يراع الاستاذ النبهاني !.

الكتاب وليد جديد لم تتلقفه المكتبات بعد ، وانما قامت بطبعه جامعة الكويت التي يعمل فيها

المؤلف ، وتم طبعه بناء على توصية اللجنة العلمية المتخصصة والمؤلفة من الاستاذ الدكتور محمد سلام مدكور ، والاستاذ الدكتور زكي الدين شعبان وبعد الطبع تداولته الجامعة مع الجامعات الاخرى التي ترتبط فيما بينها بروابط علمية ، كما تم توزيع نسخ منه على بعض الشخصيات المهتمة بهذه الأبحاث .

« نظام الحكم فى الاسلام » هذا هو اسم الكتاب الذي يقع في اكثر من سبعمائة صفحة ، والذي استهدف المؤلف الماجد من ورائه « لابراز جانب مشرق من جوانب تراثنا العظيم ، فحاول فيه اكتشاف بعض الزوايا التي تتعلق بالنظام السياسي الذي رافق تلك النهضة » وليبين كيف « اصبحت مفاهيم العدل والحرية والمساواة في نظر الفكر السياسي الاسلامي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعاني الخلقية المطلقة التى لا تخضع للمصالح الشخصية التى تتلاعب فى هذه المفاهيم » .

« وقد اخترت هذا الموضوع بالذات لانه امتداد للبحث الذي كنت اعددته عن الاقتصاد الاسلامي نظرا للترابط الوثيق بين الفكر السياسي والفكر الاقتصادى ولتأثير كل منهما في الآخر » .

وأول ما فى الكتاب باب تمهيدى تناول فيه الدكتور النظرية السياسية والدستورية فى الفكر المعاصروقسمها الى ثلاثة فصول بحثفيها موضوعات الدولة وما يتعلق بها من خصائص ونظريات والدستور وما يرتبط به من دراسات والحومة وما يلحق بها من تقسيمات .

وهذا الباب التمهيدى هو توطئة للبحث كله ، ولكن لا بد منه لاعطاء القارىء نظرة شمولية عامة حول التراكيب السياسية والدستورية فى المجتمعات البشرية سواء منها ما كان جماعيا أم فرديا ، وافق هوى الناس أم لم يوافق ، قديما كان مصدره أم حديثا . .

واذا ما خلصنا الى الباب الاول والذي يبحث فيمعالم الفكر السياسي والدستوري فى الاسلام نجد أنفسنا فى لجة البحر وقلب الموضوع الاساسي .

فالفكر السياسي والدستورى لا بد من أن يتمثل فى دولة والدولة لا بد لها من تاريخ نشأة ، أما تاريخ نشأة الدولة الاسلامية فيرجع بنا الدكتور الى البيعة الثانية للعقبة ، وهي ان لم تكن تمثل نقطة البداية فى تاريخ الدولة الاسلامية الا أنها بالتأكيد نقطة البداية نحو صفحة جديدة « للتاريخ الاسلامي » .

ولا تتوافر عناصر الدولة الا عندما « هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه الى يثرب وادركته صلاة الجمعة فى الطريق ولأول مرة وقف الرسول ومن معه يصلون الجمعة ، وهنايتوفر للدولة الاسلاميه جميع العناصر الأساسية التي يجب توافرها فى بناء الدولة الحديثة : «الاقليم والسكان والتنظيم والسلطة» ولقد أصدر الرسول صلوات الله عليه اثر وصوله المدينة أول ميثاق للحكم فيها .

ولئن نشأت الدولة برئاسة الرسول الكريم فان وفاتهعليهالصلاة والسلام لا بد أن تثير موضوع من سيتحمل مسؤولية الامة بعده ، ولكن المسلمين لم يطل خلافهم حتى

استقر رأيهم جميعا على أبى بكر ، صاحب الرسول ورفيقه وأحب الناس اليه ، وكان من بعد الخليفة الأول أبي بكر أن وافق المسلمون عن اقتناع تام على ترشيح عمر للخلافة ، وهو الذي يعتبر العضد الهام للرسول وسيفه المدافع عن الاسلام فى حياته ، ولما طعن عمر وقبل أن يفارق الدنيا أوصى باختيار شخص يخلفه من بين ستة هم خيار الامة ليس فيهم ابنه وهكذا تمت ألبيعة لعثمان صهر النبي على ابنتيه زينب وام كلثوم ، وعندما قتل عثمان آل الأمر الى علي ابن عم الرسول وذلك فى ظروف تميزت بكثرة الانقسامات والخلافات التي أدت الى ظهور معاوية الذي استمال بعض الأمصار الى جانبه .. والذي وطد حكمه بعد مقتل علي .

وبظهور معاوية على المسرح السياسى تغير شكل الخلافة من اختيار وترشيح ومبايعة حرة الى وراثة وقسر وشدة استمرت خلال حكم بنى أمية وتميزت ببعض المظاهر الشكلية المجلوبة من بعض الاطراف المفتوحة ثم لما انهار الامويون وبرز العباسيون حافظ هؤلاء على وراثية الخلافة وشكلياتها .

ولما كان التعرض لفلسفة الاسلام السياسية وهى كالروح المنبثة فى الجسد ، جسد الدولة الاسلامية ، ضروريا جدا فلقد قسم المؤلف هذا الفصل الى مبحثين : مبحث الكيان الروحي للدولة الاسلامية وتناوله من ناحيتين هما تنظيم الاسلام الصلة بين الفرد والمجتمع وارتباط العقيدة والتعاليم الخلقية بالمباديء السياسية والمبحث الثاني حول دعائم النظرية السياسية فى الاسلام وفيه ذكر ان هذه الدعائم هى : الالوهية ، والتوحيد ، والرسالة والخلافة ، ووضح كلا منهما توضيحا وافيا ، خاصة فيما يتعلق بالخلافة ففيها فند الدكتور ألنبهان آراء الشيخ علي عبد الرزاق الذي لخصها « بأن الدين الاسلامى برىء من تلك الخلافة التى يتعارفها المسلمون » وكان تفنيده ممتازا مشبعا بالأدلة والبراهين .

وعلى هذا المنوال يتسلسل هذا الكتاب القيم : يشتمل على أبواب رئيسية تضم عددا من الفصول التي تنقسم الىمباحث بينما المباحث تتفرع الى مطالب ..

وطبعى أنى لا أستطيع استعراض كل هذه الأبواب والفصول والمباحث نظرا لكثرتها وتشعبها ، ولكن المرء يستطيع عوضا عن ذلك ان يتناول بعضها ، وأن يقف مع بعض ألفقرات ألحساسة ألهامة ليستبين منها الرأي الصائب والسديد .

فالخلافة وهى من أهم المباحث يقسمها المؤلف الى قسمين : الخلافة الحقيقة « التي تمثل المفهوم الاسلامى للحكم على وجهه الصحيح تنحصر فى الخلافة الاولى فى عهد الخلفاء الراشدين وفى هذه الفترة لم يكن النظام السياسى الاسلامى يعترف بفكرة الملكية أو الخلافة الموروثة بل نجد كراهية لهذا الشكل من الحكم » ويمثل باختيار الصحابة لأبي بكر ثم لعمر من بعده ويدلل على صدق هذا « أن معاوية بن أبي سفيان عندما أراد ان ينقل الخلافة الى ولده يزيد وجد صعوبة بالغة ولقي مقاومة عنيفة من أهل الحل والعقد من المسلمين .

أما الخلافة ألتاريخية فهي التي ظهرت فى العصر الاموي ثم في العصر العباسي وما تلاه . ويتعرض المؤلف لمفهوم الدستور فى الاسلام فيبين أن كلمة دستور لم تستعمل قبل فى كتب المسلمين بالمعنى المتعارف عليه اليوم ، وهذا لا يمنع من استعمالها مع الاشارة الى ان فكرة ألدستور فى الاسلام تختلف كليا عن فكرة الدستور فى الفكر السياسي المعاصر ، فالدستور هو مجموعة القواعد الرئيسية المنبثقة عن المصادر الأساسية فى الشريعة الاسلامية أو هو نفس النصوص التشريعية وتنقسم هذه القواعد الى قسمين الأول ما كان منها ثابتا لا يجوز الانصراف عنه ، ولكنه على كل حال يتمتع بميزات ثلاثة هي الثبات والمرونة والعموم مما يتيح مجالا واسعا امام المجتهد ، وهي تشمل ما ورد من الاسس والمبادىء بشكل مباشر فى كل من القرآن والسنة والثاني ما كان غير ثابت وهو يشمل الاحكام المستنبطة عن طريق الاجتهاد ولا تكتسب صفة الالزام فيجوز فيها لولي الأمر أن يختار منها ما يراه مناسبا .

وكلا القسمين ، وباعتباره دستورا الهيا يمتاز بسمو عال يفوق به كل الدساتير الوضعية ، فكل ما خالفه منها باطل وغير واجب التنفيذ ، وتستطيع أية هيئة مكلفة بتطبيقه أن ترفض محتجة بمخالفته للأحكام الأساسية فى الشريعة واذا ما استعرضنا تقسيم الدكتور ألفاضل للقواعد الأساسية للحكم ندرك عمق النظر ، فهو يضع نقاطا ثلاثة هي : عدم الفصل بين الدين والدولة ليكون الحكم اسلاميا فعلا يتمثل الاسلام فى كل شؤونه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والسلمية والحربية والدولية ، ومراعاة الشورى في الحكم التي هي مبدأ من اهم المبادىء الدستورية والقواعد الاساسية في الحكم الاسلامي اخذا من توجيه الله لنبيه **((وشاورهم فى الأمر))** (من آية ١٥٩ آل عمران) ومن وصفه للمؤمنين المخلصين **((وأمرهم شورى بينهم))** (من الآية ٣٨ من سورة الشورى) وتحقيق المساواة بين المواطنين سواء فى المنافع الاجتماعية أو فى التكاليف المادية .

أما الأهداف الرئيسية للحكم في الاسلام فيجملها الدكتور بأنها تتركز حول كفالة الحريات العامة الشخصية منها والفكرية والاقتصادية ، وتحقيق العدالة الاجتماعية فى ايجاد توازن مادي بين طبقات المجتمع وفى توفير الفرص للجميع وفى اقامة العدل حكما وقضاء ، وآخر الأهداف وأهمها هو تنفيذ احكام الشريعة الاسلامية وحمايتها واعطائها صفة الالزام .

وفى الباب الثاني من الكتاب يتعرض المؤلف لمصادر الفكر السياسي والدستوري فى الاسلام ، فيسرد الأدوار التاريخية التي مر بها التشريع الاسلامي أثناء تطوره ابتداء من عصر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ومرورا بعصر الصحابة ثم عصر التدوين ثم عصر الجمود والتقليد ثم أخيرا التشريع فى العصر الحديث وهذه المصادر تقسم الى قسمين : النصوص الثابتة القطعية وتشمل القرآن والسنة وهي نصوص ملزمة والاجتهاد وهو يشمل اكثر المصادر الاخرى .

أما القرآن فيعتبر « المصدر الاول للاحكام فى التشريع الاسلامي وقد تناول الاسس العامة والمبادىء الكلية للشريعة الاسلامية ، والقرآن بالنسبة للتشريع الاسلامى كالدستور بالنسبة للتشريع الوضعى » ومنهج القرآن فى التشريع بشكل عام « التدرج والتقليل من التكاليف ، ومسايرة التشريع لمصالح الناس » .

وكذلك بالنسبة للسنة النبوية الثابتة « فقد اجمع المسلمون منذ صدر الاسلام حتى العصر الحديث على وجوب الأخذ بالسنة واعتبارها مصدرا رئيسيا من مصادر التشريع » .

وينتقل بعد ذلك المؤلف الى الاجتهاد فى التشريع الاسلامى ، وأنا اعتبر هذا البحث من المباحث الهامة والحساسة نظرا لخطورته وأهميته وآراء الدكتور التي يركز عليها دائما كلما سنحت له الفرصة .

فالاجتهاد فى معناه اللغوي بذل الجهد فى تحقيق أمر من الامور ، والاجتهاد فى معناه الأصولى هو بذل الفقيه جهده العقلى فى استنباط حكم من دليله .

« والمعروف أن النصوص التشريعية قد تدل على المراد منها دلالة مباشرة ، وفى هذه الحالة لا مجال للاجتهاد ، وقد تدل على حكم آخر بطريقة غير مباشرة وفى هذه الحالة يعتمد المجتهد على اجتهاده ، ولذلك لا بد من الاعتماد على الاجتهاد فى فهم النصوص التشريعية ، سماوية كانت أم وضعية » .

ويضيف « لم يختلف العلماء فى ان الاجتهاد المرتبط بالنصوص الشرعية من حيث الثبوت أو الدلالة أو من حيث البيان والتوضيح لتلك النصوص حجة يجب العمل بمقتضاه » .

ومع ذلك ينبه على أنه « لا يعتبر الاجتهاد أمرا يسيرا ، ولا يجوز أن يصدر الا عمن توافرت فيه شروط الاجتهاد ليكون هذا الاجتهاد مقبولا لدى العلماء وهذه الشروط هى : أن يكون المجتهد عالما بعلوم اللغةالعربية من نحو وصرف ، وأن يكون عالما بعلوم القرآن ، وأن يكون عالما بالحديث وعلومه وقواعد المصطلح ، وأن يكون عالما بقواعد أصول الفقه ثم أن يكون عنده ملكة فقهية تساعده على فهم مقاصد الشارع » .

ونحن اذا ما افضينا مع المؤلف الى الباب الثالث من الكتاب والذى يدور حول السلطات العامة فاننا نتلمس فيه روح التفهم العميق « يختلف مفهوم السلطة التشريعية بين الفكر السياسي الاسلامى والفكر السياسي المعاصر لأن مفهوم التشريع فى الفقه الدستورى الحديث يتمثل فى وضع القواعد القانونية بواسطة السلطة العامة المختصة بخلاف مفهوم التشريع فى الاسلام فيقتصر على استنباط الأحكام من النصوص الثابتة ، وينحصر هذا الحق فى فئة العلماء المجتهدين » .

ومما يورده « ومن الطبعى أن الاجتهاد الفردى ليست له قوة ملزمة ما لم يصدر عن سلطة مختصة تملك حق الالزام ، ويكون الاجتهاد ملزما ايضا اذا كان اجتهادا جماعيا توافرت فيه جميع شروط الاجماع ، لأن الاجماع مصدر من المصادر الشرعية المعتبرة ، وتعتبر اجتهادات الخليفة — بحكم اختيار الامة له — ملزمة

بشرط أن تتوفر فى هذا الخليفة الشروط التى تمكنه من الاجتهاد الصحيح المنبثق عن المصلحة العامة والتى لا تتعارض مع نص من النصوص الثابتة » .

اما السلطة التنفيذية ، وهى الجناح الثانى لبحث السلطات ، فيوضح لنا الدكتور النبهان ملخصا عنها « تشتمل السلطة التنفيذية على مباحث عدة ، ومن أهم هذه المباحث : الخلافة . وتمثل الخلافة رئاسة الدولة فى الدولة الاسلامية ، وقد بحث علماء الفكر السياسي فى الاسلام موضوع الخلافة وأفاضوا فى مباحثها المختلفة من حيث نشأة الخلافة وحكمها وشروط الخليفة وكيفية تولى الخلافة وواجبات الخليفة وحقوقه وعزل الخليفة والاسباب التى تبيح عزله أو الثورة عليه ، كما بحثوا موضوع البيعة وكيف تتم هذه البيعة وشروط أهل الاختيار » .

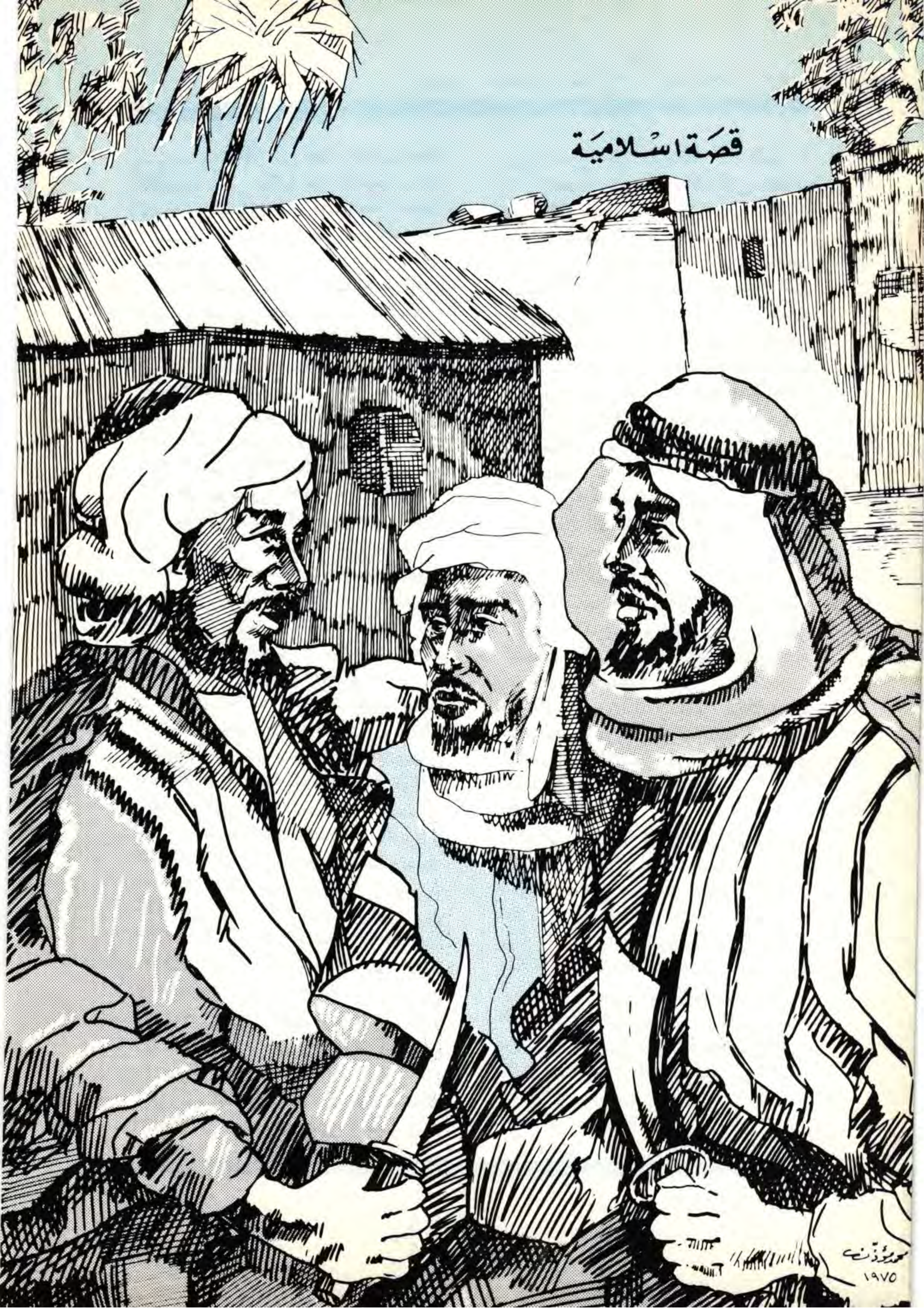
« ولم يكتف العلماء المسلمون بدراسة موضوع الخلافة ، وانما توسعوا فى دراسة كل ما يتعلق بموضوع السلطة التنفيذية كولاية العهد والوزارة والامارة ، ولقد نالت المباحث المتعلقة بالوزارة قسطا وافرا من دراستهم حيث تعرضوا لاقسام الوزارة : وزارة التفويض ووزارة التنفيذ والفروق بينهما وشروط كل منهما، كما قسموا الامارة الى أقسام مختلفة بحسب الصلاحيات الممنوحة للأمير وتشمل الامارة العامة والامارة الخاصة ، كما فرقوا بين الامارة على البلاد والامارة على القتال » .

ويأتى الحديث آخر الكتاب مفصلا وشيقا عن القضاء الذى « لعب دورا بارزا فى تاريخنا الاسلامى » « والقضاء هو السلطة التى تفصل فى المنازعات التى تقع بين الافراد وتحكم بينهم بالحق والعدل » .
ويستطرد المؤلف قائلا : « ولا تعتبر سلطة القاضي السلطة الوحيدة التى تمثل النظام القضائى فى الاسلام وانما هنا كسلطات أخرى تختلف عن القضاء العادى من حيث الاختصاص، وتدخل ضمن مفهوم السلطة القضائية فى الاسلام ، وتشمل هذه السلطات : ولاية المظالم ، وولاية الحسبة » .

« فولاية المظالم هى السلطة القضائية العليا التى تنظر فى المظالم الواقعة على الافراد من ذووى النفوذ والسلطان فى الدولة » « أما ولاية الحسبة فهى الولاية التى تقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لضمان تطبيق أحكام الشريعة ولحماية المصالح الجماعية » .

« ويعتبر بحث الحسبة من المباحث الجميلة والطريفة ، وقد كتب عدد من العلماء الأقدمين فى موضوع الحسبة والوظائف التى يقوم بها المحتسب » .

والى هنا — عزيزى القارىء — آتى الى نهاية المطاف فى رسم صورة عجلى ومصغرة قدر الامكان لهذا السفر العظيم الذى احتل مركزا من مراكز الصدارة فى المكتبة الاسلامية الخالدة ، فقد أوضح بحثا من أهم الأبحاث الحيوية التى تهم كل فرد مسلم ، وقام بجمعه من بطون الكتب المتناثرة بالاضافة الى ما تبناه المؤلف الكاتب فيه من آراء قيمة لا بد أن يبقى أثرها فى النفس بينا فعالا .


قصة اسلامية
١٩٧٥

المعذبون في سبيل الله ..

للاستاذ يوسف صالح يوسف

كانوا ثلاثة .. نزل كل منهم عن ظهر حصانه،حدقوا حولهم فى البيوت المزروعةعلى جانبى الطريق الترابى، جميعها موصدة الأبواب ، حتى هذا البيت الذى يقصدون .

اصدر واحد تغطى وجهه ملامح الرئاسة أمره بالطرق على البـاب الخشبى . تقدم انحلهم جسما فطرق بخفة ، طرق من جديد ، ثم تحولت الطرقات الواهنة الى قرقعات عنيفة .. نظر الى زميليه ، علتهم الدهشة الممزوجة بالسخط . حدقوا من جديد حولهم فى البيــوت المزروعة على جانبى الطريق ، اطلقوا فيضـا من سهام نظراتهم الفاحصة الى الطرف الجنوبى من الطريق حيث يمتد بعيدا فى عمق مكة . لم يبصروا احــدا ، فاستبد بهم السخط ، وتملكهم حب الشر .

قال صاحب الرئاسة بنبرة تكشف عن مدى غضبه :

ــ يا للعجب ! خباب ليس هنا ؟

قال الثانى يدارى غضب رئيسه :

ــ أين ذهبفى مثلهذه الساعة ؟ انه لا يكاد يفارق داره وعمله .

قال الثالث وهو يتكىء على حجر كبير قائم الى جانب سور البيت :

ــ انى ارى ان ننتظر ريثما يعود، فاذا كانت السيوف جاهزة اخذناها ، والا .. فاننا سنذيقه طعم العذاب .

قال صاحب الرئاسة وهو يهــز راسه اعجابا :

ــ حسنا .. لنجلس ريثما يعود خباب .

وكان القمر ينشــر اطراف ردائه الاصفر الباهت ، كما كانت جــذور الهدوء تتغلغل باصرار فى ثنايا هذه الزاوية من زوايا مكة . ان تعــب النهار يفرض على الانســـــان ان يستسلم للنوم المبكر حتى يريح خلايا جسده المنهك . ان ليل مكة يسخر

من أى انسان يجرؤ على الخروج فى مثل هذه الساعة الا من أسعفتهم الشجاعة وكانوا عائدين من اجتماع أو داهمهم الليــل وهم فى طريق عودتهم من ظاهر مكة .

انقضى من الليل ثلثــه أو يزيد ، نسمات خفيفة باردة تنساب هادئة من جهة الغرب ، ونباح كلاب يعلو بين الفينة والاخرى عن بعد ، لعلها تتحدى رهبة الليل ، أو أشــياء تتراءى لها ..

قال صاحب الرئاســة بغضب ممزوج باليأس :

ــ آه .. لقد طال بنا الانتظــار فى هزيع الليل .

قال الثانى بنبرة تنم عن التعب :

ــ انه لما يزيد فى حيرتى ، أمر هذا العبد خباب ، اين يكون فى مثل هذه الساعة .. ؟

قال الأول وقد احتد وهاج :

ــ الويل كل الويل له ان لم تكن السيوف جاهزة ..

وعاد الصــمت من جديد ليكون غرفتهم الوحيدة . مرت الدقائق تحمل فيها من الغضب والســخط الشيء الكثير . تناهى الى مسامعهم صوت خطوات وهمهمة آتيتين من الطرف الجنوبى . حدقوا بعيدا حيث مصدر الصوت ..

قال نحيل الجسم فرحا :

ــ انه لا بد خباب .

قال الثانى فرحا :

ــ ومن يكون غير خباب . انــه دائم الحركة . سريع الخطوات .

بينما وقف صاحب الرئاسة محتدا يلملم أطراف ردائه :

ــ أجل .. انه خبــاب عبد أم أنمار .

كان خباب يقترب مسرعا ، يغمره فرح غامر ، حياهم ، فردوا علــى تحيته بغضب .

قال الثانى وهو يتفحص خباب :

ــ أين كنت فى مثل هذه الساعة يا خباب .. ؟

قال صاحب الرئاسة وقد ضــاق ذرعا من طول الانتظار :

ــ ما لنا ولهذا ، هل أتممت صنع السيوف يا خباب .. ؟

ابتعد خباب عنهم صوب بــاب البيت وكأنه لم يستمع منهم كلاما ، فتبعه صاحب الرئاسة محتدا حيث أمسك بأعلى كتفه :

ــ انى أسألك يا خباب : هــل أتممت صنع السيوف .. ؟

قال خباب وهو يزيح عن كتفــه يد صاحب الرئاسة :

ــ يشغل فكرى ما هو افضل من السيوف وصناعتها . حقا ان أمره لعجب .

قال نحيل الجسم مستنكرا :

ــ أى أمر يا رجل .. ؟ نحــن نسألك عن سيوفنا ، هل أتممــت صنعها .. ؟

قال خباب فرحا :

ــ ليتكم رأيتموه وسمعتم كلامه .

قال الثانى بخبث :

ــ وهل رأيته أنت وســمعت كلامه .. ؟

أجاب خباب مقتربا من الرجــل الثانى :

ــ من تعنى .. ؟

قال الثانى :

ــ اعنى ، هذا الذى تعنيه ..

قال خباب بصوت عالتخالطه رنة فرح دفين :

ــ أجل ، لقد رأيته وســمعته ،

رأيت الحق يتفجر من جوانبه والنور يتلألأ من بين ثناياه .

قال صاحب الرئاسة بشدة وعيناه تقدحان بالسخط والغضب :

ــ من هذا الذى تتحدث عنـــــه يا عبد أم أنمار .. ؟

أجاب خباب بهدوء وثبات وهـــو يدور بناظريه بين الثلاثة :

ــ ومن سواه .. ؟ من سواه فى قومكم يتفجر من جوانبه الحق ويخرج النور من بين ثناياه ..

قال نحيل الجســــم باندهـــاش عظيم :

ــ أراك تعنى محمدا .. ؟

أجاب خباب بفرح عظيم :

ــ أجل ، انه هو رســـول الله الينا ، ليخرجنا من الظلمات الــــى النور .

أطبق صاحب الرئاسة على خباب ممسكا بكتفيه بشدة ، ثم أردف قائلا كبركان ثائر :

ــ الويل لك يا عبد أم أنمار ، لقد أسلمت واتبعت دين محـــمد ؟ الآن ســـأريك . يجب أن تكفر بمحمد وتؤمن باللات والعزى .

لطم صاحب الرئاسة خبابا على خديه بشدة ، تناوب الثلاثة تعذيب خباب ، ألقوه أرضا ، قطع الرجل النحيل قطعة جلدية شدت الى سرج حصانه ، وانهال يسوم خبابا سوء العذاب، انهارت كل الأصوات ما عدا صوت الضحكات الثملة المجنونة من أفواه أحفاد الشيطان ، لكن أنينـــا خافتا كان يردد باعياء :

ــ الله .. محـــمد .. الله .. محمد ..

قال صاحب الرئاسة وقد شـــعر بالنشوة :

ــ ادع ربك لينقذك ان كان حقا موجودا كما تدعى .

قال خباب والكلمات تتقطر مـــن حلقه :

ــ انها ضريبة لا بد منها .. هذا العذاب ضريبة الايمان .. لن يصل الى الايمان الا من صبر على هـــذا العذاب ..

وانهال صاحب الرئاسة يوســـع خبابا ضربا بعصاه الخيزران ، بينما ارتفع صوت خباب يردد اسم الله .

انقضى من الليل نصفه ، لم يدر خباب ماذا قال بعد هذه الكلمات، كل ما يذكره ، أنه أفاق من غيبوبته بعد ساعات ليرى معذبيه قد ذهبوا .. ودمه النازف يضمخ ثوبه وجسده .

حدقت عيناه الواســـعتان فيما حوله ، تحامل على آلامه ، اتكأ على جدار بيته ، اســـتغرق فى تأملات واسعة ، وتفكير عميق ، فتح باب الدار ، جلس فى جوف غرفتـــــه الطينية ، يضمد جراح جسده ، وكان يتمتم قائلا :

ــ انه لأحب الى نفسي الف مرة ، أن أعذب طيلة حياتى ، على أن اعذب لحظة واحدة فى نار جهنم ، ليس هذا بالعذاب ، انما العذاب يكمن فيما بعد يوم الحساب .

علت وجهه ابتسامة خفيفة ، رفع يديه ، ردد اسم الله .. قفزت من عينيه دمعتان ، تناهى الى مسامعه صوت حوافر خيـــــل قادمة ، تلاه صوت طرقات عنيفة على باب داره ، تمتم قائلا : انها ضريبة الايمان ، لا بد من عذاب الدنيا ، لينقذنا الله من عذاب جهنم ، واستغرق من جديد ، يروض نفسه لاستقبال تعذيب جديد، وآلام جديدة .

قالت صحف العالم

ما هو العلم فى مفهوم الاسلام .. ؟

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الاعتصام القاهرية :

الاسلام هو دين الحقيقة ، دين الايضاح الذى يهتم كثيرا بأن يكون الايمان به عن عقيدة وبصيرة واقتناع ، وقد سلك للوصول الى هذا الغرض سـبلا شتى ، وجعل من العلماء أئمة وقادة وهداة مهديين ، وقد اثنى عليهم رب العزة ثناء كثيرا فى القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى : **« يرفع الله الـذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات »** .

وعلماء الاسلام هم النور والنبراس الذى به يقتدى المسـلمون ، وهم الأعلام التى ترفرف عالية خفاقة ترفع كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله .. فالاسلام دين منطق وعقل منذ اللحظة الاولى ، واول ما يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل يطلب منه أن يقرأ فيقول : **« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »** .

فالعلم هنا شرط للوصول الى الله ، والعالم هو الذى يستطيع أن يسلك .. والاسلام فتح المنافذ المسدودة التى اغلقتها الديانات الاخرى ، وجعل شرط الايمان التفكر فى آيات الله ، ولفت النظر الى سير السابقين وما آلوا اليه ، ووضعها موضع البحث لكى يظهر الحق من الباطل ، وفى ذلك يقول عز وجل فى محكم آياته : **« آلر . تلك آيات الكتاب المبين . انا انزلنا قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »** . **« نحن نقص عليك أحسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين »** .. ولسنا نقول شيئا جديدا اذا قررنا أن الاسلام بهذا السلوك الالهى سبق المناهج الحديثة التى تضـع الأصول العريضـة والتفاصيل الكثيرة للبحث العلمى كى تصل الى الحق .

ومن أبرز خصائص الاسلام توثيقه للعلاقة بين حقيقة الدين من ناحيـة والكون الكبير الذى نعيش فيه من ناحية أخرى ، فالنظر الى ملكوت الله ايمان والعمل فى جنباته عبادة .

ولا ريب أن المدخل الصحيح الى هذه القوى المتاحة والخيرات المشاعة انما هو العلم ، العلم الذى يفتق الأذهان ، ويجلوا الظلمات ويميط اللثام عن وجه الحق فى كل افق قريب أو بعيد .

ومن ذلك نرى أن الاسلام كدين سماوى ختم الله به الديانات والعقائد السماوية قد حث وركز الى حد كبير على ضرورة التسلح بالعلم والاهتمام به كشرط ضرورى لقيام العقيدة الصحيحة . وفرق المولى عز وجل بين الـذين يعلمون والذين لا يعلمون واكد انهم لا يستوون فكلاهما يختلف عن الآخر رحابة وضيقا اتفاقا مع روح الدين واختلافا .

فى تكريم الأمومة ..

كتب الشيخ الصاوى شعلان تحت عنوان « حكومة الأم ودولة الأمومة » :
ان المتاعب التى تصيب الطفل تقع فى قلب أمه ، فاذا يكفى لحظة كانت لها عذاب يوم كامل ، وفى ذلك امتحان ثباتها وابتلاء صبرها . فهى الجنــــدى المتطوع فى ميدان البر والحنان ، انها شخصية المكافح الصامت المجهول الذى لا ينتظر الأجر ، ولا ينشد التهنئة عند النصر .

لما أراد الله نجاة موسى عليه السلام وحمله التابوت فى اليم الى القصر الفرعونى الباذخ ، لم يغن الطفل قصر فرعون من فيه من المراضع والولائد وآلاف الجوارى عن أمه التى ارشفته القطرة الاولى من رحيق حنانها ، وهكذا احتاجت مملكة فرعون الشاسعة الى مملكة الأم الصغيرة فجاءت أخته تقول : **« هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟ »** فرده الله الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن .

وقد امتن الله على الكليم بنعمة رده الى امه ، اكثر مما امتن عليــــه باقامته بين عظمة الملك وجنان القصور ، فى مهـــود النعم الوثيرة والآلاء الوفيرة . ولعل الأعوام القلائل التى أمضـــاها الكليم فى وكر الامومة وعش حنوها الهنىء ، كانت خيرا له من فردوس يحرم فيه عطف الأم الرءوم .

فلتعلم كل أم أن اللحظة من زمان أمومتها غير مقدرة بثمن ، اذ هى أثمن من اللآلىء والجواهر ، وهى تملى الكلمات البارزة فى قائمة حياة طفلها وتضع سجل الحساب لمستقبل رجولته ، ولقد اثبتت الحوادث الناطقة أن ما يصـــيب الكون من الفشل والعثار ، وما يرتكب من الجرائم الدامية فى حياة الرجال والنساء ، انما هو نتيجة الجهل والاهمال من الأمهات اللواتى كان واجبهن يقضي عليهن أن يوجهن اقدام الطفولة فى مطلع فجر الحياة البـــاكرة الى الصراط المستقيم نحو المثل الأعلى والهدف الرفيع كما شهد التاريخ بأن الذين أناروا سبل الحياة بشعاع العبقرية والنبو غ، وهدوا الانسانية فى خطـــاها الى الخير والحق والجمال مدينون بمبادئهم وخطواتهم لتوجيه الأمهات الصالحات ، اللائى كانت معارفهن الاولى بمثابة الينابيع الرئيسية لنجاحهم وشهرتهم .

تلك رسالة (الأم) البارة بوطنها ، فهى التى تستطيع بروحها الطاهرة أن تطارد المخاوف وتجبر العظم الكسير وتنهض القدم العاثرة ، وتشفى القلوب المحطمة ، وفى انسام يدها الرحيمة واشعاع ابتسامتها المشرقة وسحر كلماتها العذبة تتوافق الانغام الشجية لنشيد السعادة الدائمة على طول السنين ، وهى على الدوام منبع دائم للايحاء نحو الشجاعة والأمل .

ومهما ارتقى الانسان الى تذليل العقبات ، وبلوغ أوج الشهرة والثراء ، ومهما سبح فى لجج من نعيم الحياة وهناءتها ، فهو مدين لأول انسان علـــم قدميه كيف تخطوان ، وعلم يديه كيف تعملان ، وأرشد عقله الى نور العرفان وانطق لسانه بالكلمة الاولى يوم نطق اللسان .

عن مجلة منبر الاسلام المصرية

الفتاوى

من فتاوى الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر :

لعب الكرة على نقود

السؤال :

ما رأى الدين اذا أقيمت مباراة بين فريقين فى لعب كرة القدم على أن يدفع كل لاعب مبلغا معينا من المال من كل فريق « أى أن اللعب على نقود » والفريق الذى سيفوز فى المباراة يكون المبلغ كله من نصيبه يوزعها على أفراد فريقه بالتساوى وهل اذا كان شخص يملك كرة لنفسه وطلب الفريقان منه الكرة ليلعبوا بها مقابل مبلغ معين أى ايجارا للكرة وهذا المبلغ يدفع من المبلغ الكلى الذى حصله الفريق الفائز ، هل ايجار الكرة فى هذا حرام أو حلال .. ؟

الجواب :

لا يجوز لعب الكرة على نقود لأن هذا نوع من الميسر (قمار) والميسر محرم بصريح القرآن الكريم ، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** » (المائدة / ٩٠ ، ٩١) .

أما تأجير الكرة للعب بها فهى حلال بشرط الا يكون اللعب قمارا لأن تأجيرها وصاحبها يعلم أن اللعب على نقود اعانة على محرم والاعانة على الحرام حرام والقاعدة الشرعية تنص على أن ما أدى الى الحرام فهو حرام وأخذ الأجرة من المال الحرام (مال القمار) حرام أيضا لأنه مال خبيث فلا يجوز تناوله ، ولا الانتفاع به .

الحلف بالله .. ؟

السؤال :

حلفت بالله الا أبيع الملابس أبدا والآن أحب أن أعود الى بيع الملابس .. فما حكم الشارع فى ذلك .. ؟

الجواب :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « من حلف على شيء ورأى غيره خيرا منه فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » .

فللسائل أن يعود الى بيع الملابس وغيرها من التجارة المباحة شرعا ثم يكفر عن يمينه عملا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن الفقهاء من يرى وجوب التكفير أولا ثم اتيان العمل المحلوف عليه لرواية « من حلف على شيء ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه ثم ليأت بالذى هو خير » ، والكفارة كما هو معروف اطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم الحـالف أهله أو كسوتهم فان لم يجد فعليه أن يصـوم ثلاثة أيام . قال تعـالى : **« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايـانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون »** (المائدة / ٨٩) .

العلاقة بين الزوج وزوجته ..

السؤال :

لى أخت طالبة باحدى الكليات خطبت لأحد ضباط القوات المسـلحة ، وبعد عدة أشهر من الخطبة طلب الضابط أن يتم عقد الزواج حتى يدخل البيت ويخرج بدون حرج ، ولم تمض أسابيع على تمام العقد حتى جدت مشكلة بينهما فقد طلب الزوج أن يخرج مع عروسه وحدهما لزيارة اخوته وان يجلس معها فى حجرة واحدة والباب مغلق قائلا أن هذا من حقه .

وأطلب توضـيح العلاقة بين الزوج وزوجته التى لم يدخل بهـا بعد وهل يحق له أن يخرج معها وحدهما وأن يجلس معها فى حجرة واحدة .. ؟

الجواب :

اذا صح عقد الزواج وتم بين الطرفين فانه يستتبع حقوقا لكلا الزوجين على الآخر ومن حقوق الزوج على زوجته أن يستمتع بها اذا استوفى الشروط المطلوبة لذلك ، والشريعة الاسلامية لا تحرم على الزوج الخروج مع زوجته أو الخلوة بها حتى وان لم يتم الدخول .

غير أن العرف قد جرى فى بعض البيئات الاسلامية بأن هناك ليلة خاصة للزفاف وهى المسماة بليلة الدخلة ، وانه اذا حدث بين الزوج وزوجته مباشرة زوجية (أى دخول قبل ليلة الزفاف) فان ذلك قد يؤدى الى مشاكل قد تسيء الى سمعة الزوجة والأسرة ، وخصوصا اذا حدث خلاف بينهما وأدى هـذا الخلاف الى طلاق قبل الدخول لذلك فاننا نرى أنه ينبغى على الزوج احترام هذا العرف وان كانت الشريعة الاسلامية تبيح له الخلوة والخروج وغير ذلك .

بأقلام القراء

صلاحية الشريعة الاسلامية للوفاء بحاجات البشر
للدكتور : عبد الكريم حسن العيلى

الحقيقة التى لا مراء فيها أن تطبيق مبادىء الشريعة الاســـلامية ليس رجعية متخلفة ، ولا جمودا على القديم . تلك دعوى داحضة.ذلك أن الاسلام ــ وقد جاء نظاما خالدا منذ بعث به النبى محمد صلى الله عليه وســـلم حتى تقوم الساعة ــ لم يكن ليتناول تنظيما مفصلا لكل دقائق الحكم وشئون الحياة بفروعها المختلفة ، والا ما كان هناك مجال لمسايرة التطور فى أحوال الناس ، والتغير فى الظروف والاختلاف فى العادات .

لذلك وضع الكتاب والسنة المبادىء الكلية لنظام الدولة الاســـلامية ، تاركين الفروع والتفاصيل لظروف كل عصر ، وعرف كل أمة ، درءا للمشقة على الناس ، وتلافيا لجمود القواعد ، ودفعا للمســـــلمين الى مواكبة ركب الحضارة فى كل زمان ومكان ، ورفعا للحرج عنهم وذلك تنفيذا لقول النبى الكريم : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » (رواه مسلم) .

كل ذلك فى مجال نظام الحياة والمعاملات ، أما العبادات والعقـــائد والتكاليف الشرعية فهى مما يخرج عن هذا النطاق ، اذ أنها أمور ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان أو المكان أو باختلاف الأمة .

ومن أمثلة المبادىء الكلية التى شرعها الاسلام فى مجال الحكم :

١ ــ مبدأ العدل : فقد جاء مبدأ عاما مجردا تلتزم كل حكومة اســـلامية بتطبيقه ، ولا تستطيع الخروج عنه فلا تختص به فردا دون فرد ، ولا تنفذه فى طائفة دون أخرى ، ولا تطبقه فى بلد دون بلد .

بل يستوى فيه الناس أجمعون ، مسلمهم وغير مسلمهم ، أبيضـــــهم واسودهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صديقهم وعدوهم وقد جاءت النصوص الـــكلية آمرة بذلك يقول الله تعالى :

« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (النساء : ٥٨) .

« ولا يجرمنكم شنـــآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (المائدة : ٨) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (رواه البخارى ومسلم) أما وسائل تنفيذ العدل ، كتنظيم هيئات القضاء ، وتعدد درجات التقاضى ، وتقرير الفصل بين سلطة القضاء وسلطة الادارة وتحديد اجراءات التداعى ، فذلك مما يخص به اولو الأمر فى كل بلد وفى كل عصر وفقا لعادات الناس واعرافهم وطبقـــــا لما تستلزمه حاجاتهم ومصالحهم وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان الناس قد أحدثوا فأحدثنا . ويقول الامام مالك بن أنس رضي الله عنه

يحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من فجور .

٢ — **ومبدأ المساواة** : جاء به الاسلام عاما مطلقا ، يطبق على المستوى الانسانى كله . فلا تمايز بسبب جنس ولا تفاضل فى لون ، ولا تفاخر بنسب « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (الحجرات : ١٣) .

« الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » .

٣ — **ومبدأ الشورى** : شرعه الاسلام لأتباعه ليأخذوا حياتهم به ، وليطبقوه فى كافة شئونهم ، ويقيموا عليه نظام حكمهم يقول الله تعالى لنبيه الكريم : « **وشاورهم فى الأمر** » (آل عمران : ١٥٩) ويصف المؤمنين بقوله : « **وأمرهم شورى بينهم** » (الشورى : ٣٨) . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستشير الصحابة فيما يعرض له من أمور فتارة يستشير خواص الصحابة وحينا يستشير عامة الناس ، وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم انه كلما حزبه أمر كان يجمع صحابته ويقول : « أشيروا على أيها الناس » .

وفى مجال المعاملات ، حيث تدرك العقول وجه المصلحة ووجه الضرر فيها اكتفى الاسلام بتحديد القواعد الكلية بشأنها بالأمر بالوفاء بالعقود والنهى عن الغبن والاحتكار وتحريم الربا .

قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** » (المائدة : ١) وقال « **وأحل الله البيع وحرم الربا** » (البقرة : ٢٧٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يبع أحدكم على بيع أخيه » . وقال : « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » (رواه أحمد والحاكم) .

وفيما دون ذلك يكون للأفراد أن يحددوا شروط المعاملات ووسائل التجارة وطرق تنفيذ العقود ، اعمالا لمبدأ حرية الارادة وسبيلا الى اكتشاف الأصلح ، فالمسلمون عند شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما .

تلك أمثلة للأمور التى عالجها الاسلام بأحكام كلية تاركا التفاصيل لاجتهاد أولى الأمر والفقهاء وأصحاب الرأى فى الأمة الاسلامية يقررونها حسبما تمليه عليهم مصالحهم ومدنياتهم وأعرافهم وذلك ربطا بين القديم بسموه وشموخه وبين الجديد بتجاربه ومبتكراته فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، ولذلك كانت المصادر الفرعية للتشريع ، ومنها القياس والاستحسان والمصالح المرسلة لتحقيق مصالح الناس ، فما شرعت الاحكام الا لتحقيق هذه المصالح فكما يقول الآمدى : أن الأحكام انما شرعت لمقاصد العباد وليس ذلك لمنفعة عائدة الى الله تعالى بل لمنفعة الناس وقد قال الله تعالى : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (الأنبياء : ١٠٧) وقال : « **ورحمتى وسعت كل شيء** » (الأعراف : ١٥٦) . فلو خلت الأحكام من حكمة عائدة الى الناس لكانت نقمة لا رحمة وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار » (رواه ابن ماجه والدارقطنى) فلو لم يكن التكليف قائما على مصالح تعود الى العباد لكان ضررا محضا فما شرع الله حكما فى الاسلام الا لكفالة أمر ضرورى للناس أو لرفع الحرج عنهم ، أو لتكميلهم وتجميل حياتهم ، وهذه هى عناصر مصالحهم .

أعلام الإسلام

عبد الله بن عباس

حديثنا فى هذا العدد عن شخصية فذة فى الاسلام .. كان رضي الله عنه فقيها .. وعالما .. بل كان ترجمان القرآن .. واعتمد كثير من المفسرين على آرائه فى التفسير .. وكان رضي الله عنه شديد التاسي بالرسول صلى الله عليه وسلم .. آخذا نفسه بالسير على منهاجه .. فمن يكون عبد الله بن عباس .. ؟

اسمه : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي .

امه : ام الفضل .. لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير .. هلالية .

صلته بالرسول : ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مولده : ولد وبنو هاشم والمسلمون محاصرون فى شعب ابى طالب .. وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

صفته : قال عنه ابو بكرة : قدم علينا ابن عباس البصرة وما فى العرب مثله حسنا وعلما وثيابا وجمالا وكمالا .
وقال ابن مندة : كان ابيض طويلا .. مشربا بصفرة .. جسيما وسيما .. صبيح الوجه .. له وفرة .. يخضب بالحناء .

مكانته : صحابى جليل .. نشأ وترعرع فى الاسلام .. ولازم الرسول صلى الله عليه وسلم .. وكان حبر الامة وعالمها الورع .. دعا الرسول صلى الله عليه وسلم له قائلا : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل .

روايته للحديث : ثبت عنه أنه كان يسأل عن الحديث .. فاذا بلغه الحديث عن رجل يأتى باب داره فى وقت القيلولة ويفترش رداءه أمام الباب ، وقد تسفى عليه الريح التراب منتظرا خروج راوى الحديث حتى يسأله .. فاذا ما خرج الرجل قال : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك .. ؟ هلا أرسلت الي فآتيك .. ؟ فيقول ابن عباس : لا .. انا احق ان آتيك فأسألك عن الحديث .
وهكذا يضرب لنا ابن عباس المثل والقدوة لما يجب ان يكون

اعداد : الاستاذ فهمى الامام

عليه طالب العلم من صبر على المشاق .. وتحمل للمصاعب .. وتقدير للمعلم .. ولابن عباس فى الصحيحين (١٦٦٠) حديثا .

تواضعه : روى عن الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه ، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله . فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقبل زيد بن ثابت يده ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

تفسيره للقرآن : روى عنه كثير من المفسرين .. بل ينسب اليه كتاب فى تفسير القرآن جمعه بعض اهل العلم من مرويات المفسرين عن ابن عباس .

ومما يروى أن رجلا سأل ابن عمر عن قوله تعالى : « كانتا رتقا ففتقناهما » . فقال : اذهب الى ذلك الشيخ فسله . ثم تعال فأخبرنى ، فذهب الى ابن عباس فسأله فقال : كانت السموات رتقاء لا تمطر ، والارض رتقاء لا تنبت ، فشق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات .

فرجع الرجل فأخبر ابن عمر ، فقال : لقد اوتى ابن عباس علما صدقا .

غزواته : غزا افريقية مع عبد الله بن أبى سرح سنة ٢٧ من الهجرة .

ولايته : ولاه علي كرم الله وجهه البصرة .. وكان على الميسرة يوم صفين .

وفاته : كف بصره آخر حياته .. وسكن الطائف ، وتوفى بها سنة ثمان وستين من الهجرة ، وكان عمره ٧١ عاما .. وروى المدائنى عن حفص بن ميمون عن أبيه : توفى عبد الله بن عباس بالطائف فجاء طائر أبيض فدخل بين النعش والسرير فلما وضع فى قبره سمعنا تاليا يتلو : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

رحم الله عبد الله بن عباس وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

اخبار العالم الاسلامي

الكويت

● قام سعاده وزير خارجية الجمهورية التركية السيد احسان صبري بزيارة لدولة الكويت فى الفترة من ١٨ الى ٢٠ يوليو ١٩٧٥ وذلك تلبية لدعوة من معالى وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الصباح ، وقد استقبل الضيف الكريم والوفد المرافق له بحفاوة ومودة تعكسان روح الاخوةالتقليدية القائمة بين البلدين وشعبيهما .

● عقد مجلس الامة جلسته الختامية لدور الانعقاد العادى الأول من الفصل التشريعى الرابع فى الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الأربعاء ٧٥/٧/١٦ برئاسة سعادة رئيس المجلس السيد خالد صالح الغنيم ، والقى بعض السادة الأعضاء كلمات مختلفة بمناسبة انتهاء الدورة .

● أوفدت الكويت السيدين علي خليفة الصباح وكيل وزارة المالية ومساعد يوسف الحمد الى الرياض لحضور الاجتماع الاول لمجلس محافظى البنك الاسلامى للتنمية ، وسيعلن رسميا خلال الاجتماعات عن افتتاح البنك الاسلامى الذى تساهم فى رأسماله ٣١ دولة اسلامية .





● وصل الى الكويت وفد يمثل مسلمي كندا يضم ستة أشخاص برئاسة رئيس جمعية المسلمين الكنديين السيد قديربيج وهو من أصل باكستانى ، وقد حل رئيس واعضاء الوفد ضيوفا على وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية التى أعدت لهم برنامجا يتيح لهم الاطلاع على معالم النهضة التى تشهدها الكويت ، بجانب زيارتهم لعدد من المرافق الدينية فى البلاد .

السعودية

● افتتح فى جدة مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى احتفال كبير برعاية الملك خالد بن عبد العزيز ، واشترك فى المؤتمر ٤٠ دولة بينها العراق الذى يشترك لأول مره ، وضم جدول أعمال المؤتمر ٣٣ بندا مختلفا تتعلق بشئون المسلمين فى جميع انحاء العالم ، وبعض المشاريع الاسلاميةالكبرى .

● اعلن فى جده أمين عام المؤتمر الاسلامى السيد حسن التهامى أن منظمة التحرير الفلسطينيه وافقت لأول مره على انشاء كتائب من المتطوعين من العالم الاسلامى كله لدعم العمل الفلسطينى ، والمشاركة فى معركة تحرير الاراضي المحتلة ، وفى طليعتها الأماكن المقدسة فى مدينة القدس .

● قدمت رابطة العالم الاسلامى خمسين الف دولار استرالى لمساعدة الجالية الاسلامية بولاية فكتوريا باستراليا لبناء مركز اسلامىهناك ، وقد سلم المبلغ الى الجمعية الاسلامية العضو في مؤتمر المنظمات الاسلامية العالمية .

● تم الاتفاق فى الجلسة الاخيرة التى عقدها المؤتمر الاسلامى السادس فى جدة على عقد الدورة السابعة للمؤتمر فى اسطانبول بتركيا فى العاشر من شهر مايو عام ١٩٧٦ م .

لبنان

● اعلنت الرابطة النسائية الاسلامية فى طرابلس عن افتتاح دورة صيفية مجانية للاناث لتعليمهن القرآن وسائر العلوم الشرعية .

ليبيا

● شكلت الحكومة الليبية لجنة عليا لحظر التعامل بالربا فى البنوك الليبية ، وقد وضعت اللجنة مشروع قرار ينص على تطهير جميع معاملات البنوك من الفوائد الربوية، كما ستقدم اللجنة مشروعا لنظام مصرفى اسلامى تمهيدا لوضعه موضع التنفيذ .

● أصدر مجلس قيادة الثورة الليبى قانونا ينص على معاقبة كل موظفعمومى مارس الرشوة بجميع أنواعها بالسجن مدة لا تقل عن عشر سنوات وبغرامة تعادل ضعفى ما ارتشى به .

مصر

● تبحث لجنة التعليم والبحث بمجلس الشعب اقتراحا بانشاء شهادة تسمى « اتمام حفظ القرآن الكريم » كما تناقش اللجنة اقتراحا بشأن تحويل كلية البنات الاسلامية الى فرع لجامعة الأزهر وتحويل شعبها الى كليات .

تركيا

● أعلن بيان حكومى أن مجلس الوزراء اتخذ قرارا بالاستيلاءالفوري على جميع القواعد والمنشآت العسكرية الأمريكية الموجودة فى الأراضى التركية . وقال البيان ان القوات التركية ستضع يدها على هذه القواعد والمنشآت ، البالغ عددها ٢٤ قاعدة ومنشأة .

وهذا هو الوضع الصحيح .. فأرض العالم الاسلامى ليست مركزا لمثل هذه القواعد الاستعمارية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت .

ايام الاسبوع	شعبان ١٣٩٥	١٩٧٥ اغسطس	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
سبت	١	٩	٣٦٤	٩ ١٢	١٠ ٣٨	٥ ١٩	٨ ٥٤	١ ٢٥	٣ ٤٦	٥ ١٣	١١ ٥٣	٣ ٢٨	٦ ٣٤	٧ ٥٩
احد	٢	١٠	٣٦٥	١٣	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥	٤٦	١٣	٥٣	٢٨	٣٣	٥٨
اثنين	٣	١١	١	١٤	٤١	٢١	٥٥	٢٥	٤٧	١٤	٥٣	٢٨	٣٣	٥٧
ثلاثاء	٤	١٢	٢	١٦	٤٢	٢١	٥٦	٢٤	٤٨	١٤	٥٣	٢٨	٣٢	٥٦
اربعاء	٥	١٣	٣	١٨	٤٣	٢٢	٥٧	٢٤	٤٩	١٥	٥٣	٢٨	٣١	٥٥
خميس	٦	١٤	٤	١٩	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤	٤٩	١٥	٥٣	٢٧	٣٠	٥٤
جمعة	٧	١٥	٥	٢١	٤٦	٢٣	٥٨	٢٤	٥٠	١٦	٥٢	٢٧	٢٩	٥٣
سبت	٨	١٦	٦	٢٢	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤	٥٠	١٦	٥٢	٢٧	٢٨	٥٢
احد	٩	١٧	٧	٢٤	٤٩	٢٥	٩ ٠٠	٢٣	٥١	١٧	٥٢	٢٧	٢٧	٥٠
اثنين	١٠	١٨	٨	٢٦	٥١	٢٦	١	٢٣	٥٢	١٧	٥٢	٢٦	٢٦	٤٩
ثلاثاء	١١	١٩	٩	٢٨	٥٢	٢٦	١	٢٣	٥٣	١٨	٥٢	٢٦	٢٥	٤٨
اربعاء	١٢	٢٠	١٠	٣٠	٥٤	٢٧	٢	٢٣	٥٤	١٩	٥١	٢٦	٢٤	٤٧
خميس	١٣	٢١	١١	٣١	٥٥	٢٨	٣	٢٢	٥٤	١٩	٥١	٢٥	٢٣	٤٥
جمعة	١٤	٢٢	١٢	٣٣	٥٧	٢٩	٣	٢٢	٥٥	٢٠	٥١	٢٥	٢٢	٤٤
سبت	١٥	٢٣	١٣	٣٥	٥٩	٣٠	٤	٢٢	٥٦	٢٠	٥١	٢٥	٢١	٤٣
احد	١٦	٢٤	١٤	٣٧	١١ ١	٣١	٥	٢٢	٥٧	٢١	٥٠	٢٤	١٩	٤١
اثنين	١٧	٢٥	١٥	٣٩	٢	٣١	٦	٢١	٥٧	٢١	٥٠	٢٤	١٨	٤٠
ثلاثاء	١٨	٢٦	١٦	٤١	٤	٣٢	٦	٢١	٥٨	٢٢	٥٠	٢٤	١٧	٣٨
اربعاء	١٩	٢٧	١٧	٤٣	٥	٣٣	٧	٢١	٥٩	٢٣	٤٩	٢٣	١٦	٣٧
خميس	٢٠	٢٨	١٨	٤٥	٧	٣٤	٨	٢٠	٤ ٠٠	٢٣	٤٩	٢٣	١٥	٣٥
جمعة	٢١	٢٩	١٩	٤٧	٩	٣٥	٨	٢٠	١	٢٤	٤٩	٢٢	١٤	٣٤
سبت	٢٢	٣٠	٢٠	٤٨	١٠	٣٥	٩	٢٠	١	٢٤	٤٩	٢٢	١٣	٣٣
احد	٢٣	٣١	٢١	٥٠	١٢	٣٦	١٠	٢٠	٢	٢٥	٤٨	٢٢	١٢	٣٢
اثنين	٢٤	سبتمبر	٢٢	٥١	١٣	٣٧	١٠	٢٠	٢	٢٥	٤٨	٢١	١١	٣١
ثلاثاء	٢٥	٢	٢٣	٥٣	١٥	٣٨	١١	١٩	٣	٢٦	٤٨	٢١	١٠	٢٩
اربعاء	٢٦	٣	٢٤	٥٥	١٧	٣٩	١٢	١٩	٤	٢٦	٤٧	٢٠	٩	٢٨
خميس	٢٧	٤	٢٥	٥٧	١٩	٤٠	١٢	١٩	٥	٢٧	٤٧	٢٠	٨	٢٧
الجمعة	٢٨	٥	٢٦	٥٨	٢١	٤١	١٣	١٩	٥	٢٧	٤٧	١٩	٧	٢٦
سبت	٢٩	٦	٢٧	١٠ ٠٠	٢٢	٤١	١٣	١٩	٦	٢٨	٤٦	١٨	٥	٢٤

« الى راغبى الاشتــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلــى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت ــ لبنان ــ او بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبــار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخــرطوم : دار التوزيـــع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبـــة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنســا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبــــة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الريــاض : مكتبــــة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيــة ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائـــف : مكة المكرمة : برحـــة نصيف / مكتبة جـدة .
المدينــة المنــورة : مكتبــة ومطبعـــة ضيــاء .

البحريــن : المكتبـــة الوطنيـــة : شـــارع بــاب البحريــن .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسســة العــروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مكتبـــة دار الحكمــــة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكـويت : مكتبة الكـويت المتحـــدة . ص.ب : (٦٥٨٨) .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

ــ الثمــن ــ

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيـــا ١٠ قروش ● تونــس ١٢٥ مليما ● الجـــزائر دينــار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعــدن ٧٥ فلســا
● لبنـــان وســـوريا ٥٠ قرشـا ● مصـر والســـودان ٤٠ مليمـا

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

محمد موزن ١٣٩٥

آية ٢٩ من سورة الفتح

مطابع دار السياسة

هدية العدد: رسالة الصيام والزكاة ـ براعم الإيمان
عدد ممتاز

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الحادية عشرة ـ العدد ١٢٩ ـ غرة رمضان ١٣٩٥هـ ـ سبتمبر ١٩٧٥م



اقرأ في هذا العدد



« خيركم من تعلم القرآن وعلمه »

حديث شريف

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافيـــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــــدد : ١٢٩

غرة شعبان ١٣٩٥ هـ ـــ سبتمبر ١٩٧٥ م

هــدفها : المزيـــــد من الوعى ، وايقـــاظ الروح ، بعيــدا عن الخلافــات المذهبيـــــة والسياسيــــة

تصدرها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلاميـــة بالكويـــت فـــى غـــــرة كــــل شهـــــر عــــربى

عنـــــوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامى ـــ وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ـــ كويت ـــ هاتـــف : ٤٣٨٩٣٤ ـــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

المعاني الجهادية في رمضان

يقول البارىء سبحانه فى محكم كتابه : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » . . . وتأمل الآية الكريمة يقدم لنا فائدة عظيمة ويشير الى مدلول كبير قد لا نتنبه اليه نتيجة تزاحم المعانى المستفادة من هذه الكلمات البينات ، وذلك المدلول هو اعطاء رمضان صبغة شمول الاسلام بنزول القرآن فيه ، والقرآن دستور الحياة بجوانبها المختلفة ومن هنا رمضان مدرسة تربى روح المسلم وتشيع فى نفسه الطمأنينة والأمان وتزود فكره بالفطانة والاشعاع ومعرفة الأخلاق معرفة عملية وبذلك يزكو المسلم طيب النفس مرتاح البال رحب الصدر ، اذن فهو مدرسة تنهل منها المعانى الخلقية والسلوكية والمعانى الفكرية والمعانى الجهادية ومعانى الجهاد تلك هى المعانى التى يجدر بالمسلم ألا يغفل عنها مهتما بالنواحى الأخرى فقط فالاسلام كل لا يتجزأ ذلك أننا بالنظر الى التاريخ الاسلامى نشهد أن كثيرا من الفتوحات قد تمت فى هذا الشهر الكريم وكأنها توفيق والهام من الله جل وعلا لنفوس المسلمين لاستقبال الفيوضات الربانية واستلهام مشاعر الخير من شهر رمضان وحين نتتبع السير التاريخى للفتوحات نلحظ أنه ما من عهد الا وقد انتهت فيه للعالم الاسلامى بركات من وافر الخير الكثير ففى حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم حدثت غزوة بدر الكبرى وفتح مكة وكل منهما لها كبير الأثر فى اشعاع الحياة الاسلامية وتقوية العزائم ورص الصفوف.وفى عهد

صلاح الدين تمت المعارك الصليبية وهى كسر لشوكة كادت أن تميت العـــالم الاسلامى وفىعهد المماليك رأينا قطز فارسا مغوارا يقابل التتار وهم كالاخطبوط كاد أن يلتهم عالم المسلمين وعليه فانه قد فتحت كثير من الممالك داخلـــة تحت لواء الاسلام كالأندلس ورودس وغيرها .

أخى القارىء ما نود أن نقف عليه هو أن رمضان مدرسة لتربيـــة النفس فى شتى جوانبها ، والجهاد كما رأينا قد تم كثير من أحداثه فى هذا الشـــــهر المبارك وفى ذلك دليل على ما للصوممن أثر فى رفع الروح المعنوية وتقـــوية العزيمة والارادة وهى متطلبات الجهاد وخير مثال على ما ذكرنا عندما أمر محمد الفاتح (السلطان العثمانى) أمر جنوده بالصوم قبل المعركة الفاصلة بينه وبين البيزنطية تطهيرا لنفوسهم وتقويه لعزائمهم وارادتهم .

كذلك لا ننسى بأن للصوم فوائد عديدة تذكر كلما تذكرنا هذا الشهر الكريم كأن يقوى الصوم الارادة ويعين على الصحة البدنية وشحن النفس بالروحانية وهى معان مكرورة كثيراً ما تردد على لسان كل متحدث فى الصوم الا أننا كما أسلفنا نلفت النظر الى الاعتناء بالناحية الجهادية كناحية أساسية مما يزودنا بها هذا الشهر الكريم حتى يشعر المسلم بالعزة والكرامة دوما مستغلب على نزعات النفس وما فيها من ضعف مصارعا الصعاب صلبا أمام الأحداث كذلك المجتمع المسلم والعالم الاسلامى بأجمعه مما يعطينا الآن نزعة خير دافقة للوقوف صفا أمام عدونا الضاربأو ساطنا وعدونا اللدود لما يحمل من حقد وغدر ألا وهو ((اسرائيل)) وما لها من عداء ازاء بلاد العروبة والاسلام .

فنسأل الله أن نكون ممن ينهل من رمضان روح الجهاد فرمضان فى طابعه شهر جهاد ومجاهده للنفس من غوائل السوء والشيطان فاللهم اجعلنـــا من المتأدبين والمتربين على معانى الجهاد ومن الناهلين لفيوضات رمضان فنخرج منه ونحن أصلب عزيمه وأزكى نفسا وفوق كل ذلك أكثر طاعة وقنـــوتا لرب العالمين .. اللهم آمين .

المشرف على المجلة

بدر سليمان القصار

من وحي النبوة

إني صائم

للشيخ احمد البسيوني

لكل شيء في هذه الحياة ايحاء وذكرى ايحاء يبعث في النفس شعورا خاصا ويثير في الوجدان معاني مختلفة ، تتصل بمصدر الايحاء وتنبثق عنه ، وذكرى تعود الى الماضي ، وتدعم الحاضر وتلقي الضوء على طريق المستقبل وهي في جميع اتجاهاتها مثمرة نافعة **(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)** (٥٥ : الذاريات) فلأسماء الأشخاص ، ولأسماء الأماكن ، ولأسماء الأزمنة ، ايحاءات وذكريات توقظ الشعور ، وتنبه الوعي ، وتستلفت التاريخ ، وهذا ما حدا بالأمم الواعية الى اتخاذ أماكن الذكريات وأزمانها ، وابطالها ، مواسم وأعيادا يحتفلون فيها بأمجادهم ، ويحركون بها تاريخهم ، ليتلاقى مع حاضرهم في تجاوب وتناسق وهذا اقوى ما يحملهم على السداد ، ويوجههم الوجهة الراشدة فيما يريدون لأمتهم من خير ..

ومع اختلاف كبير بين الأمة الاسلامية وغيرها ، في منهج حفاوتها بذكرياتها ، والغاية المرجوة من هذا فاننا نقرر في هذه المناسبة ، أن رمضان وان كان اسما زمنيا لشهر معين من شهور السنة القمرية ، الا أن له ايحاء متميزا لدى المسلمين تهتز له مشاعرهم ، وينتشي به وجدانهم وتسمو به نفوسهم الى افاق عليا من الكرامة والعزة . وتتشعب ايحاءات رمضان في النفس المؤمنة ، كلما اتسعت دائرة المعارف الانسانية عن هذا الشهر الكريم ، واهتدت العقول الى العديد من خصائصه ومزاياه ، والى الكثير من احداثه وآثاره ..

فرمضان شهر كريم على الله ، رفع الله منزلته وسما بقدره ، فقد ذكرت الشهور القمرية مجملة في القرآن الكريم ، ذكرعددها ، والأشهر الحرم منها ، ولم تذكر اسماؤها **(ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم)** (٣٦ التوبة) أما رمضان ، فهو الشهر الوحيد الذي ذكره الله باسمه وسجله في آية من كتابه الكريم فقال

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ

متفق عليه

تعالى : (**شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) (١٨٥ : البقرة)

واذا كان الله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، فقد اختار الله شهر الصوم وفضله على سائر الشهور ، ومنحه مزايا تسمو بالصائم وترقى به درجات عند الله .. واذا كان الحديث لا يتسع للأحاطة بجميع فضائل رمضان ، فحسبنا أن نقف عند معالم ، نراها واضحة على طريق الصوم ، تشير الى فضله وخيره منها

رمضان شهر الله :

الصوم عبادة لا تقع الا خالصة لوجه الله ، فكل عمل للانسان يمكن أن يتسرب اليه الرياء الا الصوم ، ولذلك اضافه الله تعالى الى ذاته الكريمة ، ووعد بالجزاء عليه جزاء أوفى ... بعيد المدى لا يحيط به حد ولا يضبطه عد . وهل يكون من الكريم الا الكرم ؟ وهل يقع عطاؤه الا فياضا غدقا ؟ لنتأمل معا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل في الحديث القدسي : (كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لي وأنا اجزي به) (متفق عليه) وحسب الصوم شرفا ان يكون في هذا الأفق الوضيء الرفيع .. ! اضافه الله تعالى الى نفسه تشريفا وتخصيصا ، كاضافة المسجد والكعبة تنبيها على شرفه لانك اذا قلت « بيت الله » بينت بذلك شرفه على البيوت ، وكل طاعة لا يقدر المرء أن يخفيها ، وان أخفاها عن الناس لم يخفها عن الملائكة ، والصوم يمكن ان ينويه ولا يعلم به بشر ولا ملك ، فلا يعلم به الا الله الذي يعلم السر وأخفى .. ويقول ابن الأثير في شرح هذا الحديث :

« أحسن ما سمعت في تأويل هذا الحديث أن جميع العبادات التي يتقرب بها الى الله من صلاة وحج ، وصدقة ، واعتكاف ، وتبتل ودعاء ، وقربان وهدى ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، قد عبد بها المشركون ما كانوا يتخذونه من دون الله أندادا ،

ولم يسمع أن طائفة من طوائف المشركين وأرباب النحل في الأزمان المتقدمة عبدت آلهتها بالصوم ، ولا تقربت اليها به ، ولا عرف الصوم في العبادات الا منجهة الشرائع ، فلذلك قال الله عز وجل : **(الا الصوم فانه لي وانا اجزي به)** اي لم يشاركني فيه أحد ، ولا عبد به غيري ، فأنا حينئذ أجزي به وأتولى الجزاء عليه بنفسي ، لا اكله الى ملك مقرب أو غيره على قدر اختصاصه بي » .

شهر القرآن :

فالقرآن الكريم هو الميزة العظمى التي يتميز بها هذا الشهر ، ونزول القرآن في ليلة القدر من ليالي رمضان ، سما بتلك الليلة ، ورفع منزلتها الى آفاق عالية ، فهي ليلة الشرف ، والليلة المباركة ونيلة قدرت فيها علىضوء القرآن الكريم ، مصالح الناس ومقومات سعادتهم في الدنيا والآخرة **(فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا اناكنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم)** (٤ ـ ٦ : الدخان) فهي ليلة يكتنفها الخير الدافق ، ويملأ لحظاتها السلام الغامر ، وتتابع فيها أفواج الملائكة من مغرب الليلة الى فجرها ، ويتوج هذا الموكب المضيء الروح جبريل عليه السلام ، يتنزلون من السماء الى الأرض باذن ربهم ، يحملون كل امر يزكي النفس ويطهر الوجدان ، وكل دعاء طهور للمؤمنين الذين استجابوا لله وللرسول حين دعاهم لما يحييهم . وما أروع تصوير القرآن لليلة القدر في سورة القدر : **(انا أنزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر) .**

شهر لا يعلى عليه :

فالعبادة في شهر القرآن لا ترجح عليها عبادة، فهو شهر مبارك الثمرات ميمون الغدوات والروحات ، أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار

يصنع من البشر ملائكة:

فان المسلم حين يتحرك بعقيدته الايمانية في مجال الصوم فيصوم لله ، ايمانا به ، واحتسابا لوجهه الكريم يصير بشرا ملكا ! فان فضائل الصوم تأخذ مسيرتها في نفس الصائم لا متناثرة ، متباعدة ولكن متعانقة متشابكة . يمتزج بعضها ببعض في تتابع وانسجام حتى تشكل في النهاية أروع صورة للانسان الكامل ، يخالط الناس ويأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فهو هنا بجسمه وسلوكه ولكنه هناك في الملأ الأعلى مع الملائكة في عالمها الأمثل الأفضل . فالصائم المتحفظ لا يلم بذنب ، فان الصوم يغسله من ذنوبه ، فيعود كيوم ولدته امه ! يقول صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (متفق عليه) وهو أن يصومه على التصديق والرغبةفي ثوابه ، طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه ، ولكن يفرح بالشهر ، ويغتنم طول أيامه لعظم الثواب .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، واغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » (رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم) ... أرأيت الى الصوم الكامل ، وهو يصنع من الصائمين ، رجالا بررة ، تجد الجنة فيهم حشدا هائلا من أهلها وساكنيها ، فتفتح

أبوابها استعدادا لاستقبالهم ، ولا تجد النار من يدخلها فتغلق أبوابها ويعجز الشياطين عن ممارسة نشاطهم في البيئة الصائمة ، فكأنهم لبطلان سعيهم قيدوا بالسلاسل والأغلال وهل للشياطين عمل في عالم الملائكة .؟!

الدعاء فيه مستجاب :

والنفس الزكية بالصوم لا يحجب دعاؤها ، فان رفعت الى الله دعاء تفتحت له أبواب السماء . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة ، وتفتح لها أبواب السماء ويقول : وبعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » رواه أحمد وغيره . وأكثر أوقات الصيام وأرجاها قبولا للدعاء ، لحظة الافطار ، فقد روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد » وكان عبد الله اذا افطر يقول : « اللهم اني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ،أن تغفر لي »وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند فطره : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى » وروى مرسلا : انه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت » .

الصوم زكاة :

لكل نعمة من نعم الله زكاة ، فاذا كثرت دراهمك وبلغت النصاب ، وجبت زكاة المال ، واذا أغلت أرضك ، واثمر زرعك وجبت زكاة الزرع ، واذا نمت ثروتك الحيوانية وتتابع نتاجها فبلغ حد الفريضة ، وجبت زكاة الأنعام ، وكما أن للمال زكاة ، وللزرع زكاة ، وللأنعام زكاة فللصحة والعافية زكاة ، وزكاتها الصوم ، وصنائع المعروف ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصيام والصوم نصف الصبر » (رواه ابن ماجه)

الصوم باب من أبواب الجنة :

ان الصائمين بصومهم الحق ، اختصوا ربهم بالعبادة ركعا سجدا صائمين ايمانا واحتسابا ، واذا كان الجزاء في عدل الله تعالى من جنس العمل ، فان الله جل شأنه ، يكرم الصائمين يوم القيامة ، ويجعل لهم بابا خاصا بهم من أبواب الجنة ، لا يدخل منه أحد غيرهم . ولما كان أشد ما يعاني الصائمون من صيامهم ، الظمأ وحرارة العطش ، فان الله تعالى سمى بابهم الى الجنة «الريان» فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال : أين الصائمون ؟ لا يدخل منه أحد غيرهم ، فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » (رواه البخاري ومسلم) والصوم مدرسة يدخلها الصائمون شهرا في كل عام ، يتلقون في رحابها دروسا عالية غالية في التربية الأخلاقية ، والسلوك الاجتماعي ، ويتدربون فيها على كبح جماح النفس ، والبعد بها عن النقائص والرذائل . ومدلول « الصوم » في اللغة العربية يعطي هذاالمعنى ، فهو في أصله : كف وامساك ، وقد تحدث القرآن الكريم عن الصوم بمعناه اللغوي وهو

الصمت والكف عن حركة الكلام قال تعالى « **اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم أنسيا** » (٢٦ : مريم) وبهذا يتضح أن معنى الصوم في اللغة والشرع متقاربان ، حتى يوشكا أن يتعانقا ، فللصوم حكم كثيرة بالغة طواها القرآن الكريم — على كثرتها — في كلمتين في آية الصوم ، جمع الله فيها كل ما يرجى للصائم من ألوان الخير والهدى والبر : (لعلكم تتقون) والتقوى هي الكف عما يغضب الله ، والامساك عن المحرمات وان الصائم حين يتخلص من رغبات النفس ، وشهوات الجسد في نهار رمضان ، يصح صومه ، أما حين يتجنب المزالق الخلقية ، ومهاوى الرذيلة ، من الدس ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والتجسس ، والخوض في اعراض الناس ، فان صومه يتصف بالكمال والجمال ، ويرجح في ميزان الثواب والفضل ..

والحديث الشريف الذى توجنا به هذا المقال ، يوجه المؤمن في يوم صومه الى ما ينبغى أن يتجمل به الصائم ، فلا يرفث ، والرفث : أصله الكلام الذى يدور حول الجماع وما يتصل به ، ثم أريد به كل فحش من القول ، ولا يصخب، والصخب : الصياح والضجيج ، والجلبة ، وهى أمور تدل على السفه والطيش وذهاب الوقار ، مما ينبغى أن يتنزه عنه الصائم الكريم ، وترك هذه المنكرات ، ليس قاصرا على يوم الصوم ، ولكنه تدريب للمسلم على تزكية نفسه في ظل الصوم ، ليعتاد ذلك في أوقاته كلها ، والصائم الذى لا يلتزم بخلق الصوم ، ليس له من صيامه الا الجوع والعطش فعن ابى هريرة رضي الله عنه فيما رواه البخارى وأبو داود واللفظ له قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .. يقول الامام الصنعاتى فى كتابه — سبل السلام — عند الكلام على هذا الحديث : « الحديث دليل على تحريم الكذب والعمل به وتحريم السفه على الصائم ، وهما محرمان على غير الصائم أيضا ، الا أن التحريم في حقه آكد كتأكد تحريم الزنا من الشيخ ، والخيلاء من الفقير ، والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم — فليس لله حاجة — ارادة بيان عظم ارتكاب ما ذكر ، وأن صيامه كلا صيام ولا معنى لاعتبار المفهوم هنا ، فان الله لا يحتاج الى أحد فهو الغنى سبحانه » — ذكره ابن بطال — وقيل : ان معناه : ثواب الصيام لا يقاوم فى حكم الموازنة ما يستحق من العقاب لما ذكر ، هذا . وقد ورد فى الحديث الآخر « فان شاتمه أحد أو سابه فليقل : انى صائم ، فلا تشتم مبتدئا ولا مجاوبا » الا ما أروع قول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « فليقل .. انى صائم .. انى صائم .. » !!

انه توجيه نبوى كريم ، جاء فى صورة الأمر المؤكد ، يرشد الصائم الى التزام منهج الصوم وخلق الصائم وهذه العبارة : « انى صائم » بمثابة صمام الأمان من آفات اللسان وخطر الجوارح ... انها وقاية للصائم ، تكبح جماح شهواته قولا وعملا ، وما يزال هذا الهدى المحمدى بالصائم ، حتى

يجعله عبدا ربانيا يعيش فى ذروة الكمال الانسانى ، فهو فى ضوء هذا الدستور الحاسم « انى صائم » يصبح من عباد الرحمن **(الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)** (من الآية ٦٣ سورة الفرقان) ومن الذين قال الله تعالى فيهم : **(واذا سمعوا اللغوا أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)** (٥٥ : القصص) ومع القول الحق : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** (١٩٩ : الأعراف) .

انى صائم ..

ان هذا القول الذى يخاطب به الصائم نفسه ، هو بمثابة جرس يدق فى داخل النفس الصائمة ، ينبه شعور صاحبها الى انه صائم ، ويوقظ وجدانه ليكون على حذر من أن يلم بسوء أو يجهر به ، فلا يخوض مع الخائضين ولا يجهل مع الجاهلين .. !

انى صائم ..

ان هذا القول الذى يخاطب به الصائم نفسه ، هو بمثابة الضوء الأحمر، على طريق السائر فى عبادة الصوم ، يحذره من خطر يوشك أن يقع فيه ، وذلك حين يسفه على من سفه عليه ، أو يسب من سبه ، أو يعتدى على من اعتدى عليه ، وكيف يفعل هذا وهو صائم .؟!

وبعد ،

فليت المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، يفقهون حقيقة الصوم ، ويسيرون فى ضوئه ، ويفسحون المجال لهذه العبادة المضيئة ، لتأخذ طريقها الى واقعهم ، فتصلح ما فسد ، وتقوم ما اعوج ، وتشد بالقوة والعزة أركان مجتمعهم .. !

اننا أمة شعارها **« والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون)** (٣٩: الشورى) **« ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل)** (٤١ : الشورى) . ومعنى هذا الشعار القرآنى ، أن الايمان يفرض على المؤمنين الذين استجابوا لربهم ، أن يقاتلوا دون مكانتهم التى رفعهم الله اليها ، وأن يفرضوا أنفسهم على هذه الحياة ، وأن يكرهوا عدوهم على أن يحسب حسابهم ، وأن يزن رضاهم وسخطهم ، ولا يكونوا كالأمة الهابطة التى عناها الشاعر بقوله :

ويقضي الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأذنون وهم شهود !

على المسلمين أن يجعلوا من هذا الشعار العزيز **(والذين اذا أصابهم البغي وهم ينتصرون)** منطلقا الى العمل البناء .. ومن هنا أصبح لزاما علينا أن نتخذ لأنفسنا خطة ايجابية فى مواجهة الغزو الثقافى ، والتيارات الفكرية الهاجمة علينا ، وأن نقوى خطوط دفاعنا لتكون منيعة قوية تصد غارات الحاقدين .. ولا بد أن نصوم عن التخاذل والغفلة ، ونتحرك وبسرعة لنحق الحق ونبطل الباطل **(يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »** (٣٢ ، ٣٣ التوبة) .

الخصائص العامة للاسلام : ٣

الانسانية

للدكتور يوسف القرضاوى

تحدثنا فى عددين سابقين من (الوعى) عن الخصيصة الاولى للاسلام ، وهى (الربانية) واليوم نتحدث عن خصيصة اخرى من خصائص الاسلام العامة ، وهى (الانسانية) .

فالاسلام يمتاز بنزعته الانسانية الواضحة الثابتة الأصيلة فى معتقداته وتوجيهاته ، أنه دين الانسان .

بين الربانية والانسانية :

وربما خيل لكثير من الناس — لأول وهلة — ان هناك تناقضا بين اثبات خصيصة (الربانية) وخصيصة (الانسانية) فى وقت واحد .

فالظاهر والمفهوم والمفترض فى أذهانهم أن ثبوت احدى الخصيصتين ينفى الأخرى ، ويطردها ، شأن كل متضادين لا يجتمعان . فاذا وجد الله لم

يبق مكان للانسان .. !

واذا كنا قد قلنا فى خصيصة (الربانية) : أنها تعنى — من ناحية — ربانية الغاية والوجهة ، على معنى ان حسن الصلة بالله تعالى وابتغاء مرضاته هو غاية الانسان وهدف الاسلام .

كما تعنى — من ناحية أخرى — ربانية المصدر والمنهج ، على معنى أن الاسلام منهج الهى ، صاحبه وشارعه هو الله وحده ، وانما الرسول مبلغ عنه — فمعنى هذا أن لا موضع للانسان .

واين يكون مكان الانسان ما دام الله هو الغاية ، ومرضاته هى الهدف والوجهة وما دام الله ايضا هو واضع المنهج الى تلك الغاية .. ؟

ان اثبات قدر الله يلغى دور الارادة الانسانية ، واثبات شرع الله يلغى دور التفكير الانسانى . وماذا يبقى للانسان اذا الغى دوره اراديا ، وفكريا ؟ وهل الانسان الا ارادة وفكر .. ؟!

هذا ما يخالج تفكير بعض الناس ، الذين يفهمون قدر الله وشرعه ، ودور الانسان معهما ، ذلك الفهم المغلوط ، معتمدين على النظرة (الجبرية) للقدر ، والنظرة (الظاهرية) للشرع ، وكلتاهما خاطئة كما سنبين بعد .

ليس الانسان ندا لله :

على أن الخطأ الأول والاساسي فى موقف هؤلاء هو : النظر الى الله والانسان كأنهما ندان متقابلان ! وهؤلاء ينسون ما هو الاله ؟ وما هو الانسان ؟

والحقيقة التى لا ريب فيها أن الله هو صاحب هذا الكون وربه ومدبره **(قل أغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء)** الأنعام/١٦٤ .

والانسان هو مخلوق حادث من مخلوقات الله جل شأنه ، ولا يتصور أن يكون المخلوق ندا للخالق ، ولا الحادث مضاهيا للأزلى ، ولا الفانى كفوا للأبدى الباقى : **(قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد)** الاخلاص .

ان الانسان مخلوق لله ، ولكنه مخلوق ذو مكانة خاصة ، وله شأن ودور فى هذا الوجود . والذى منحه هذه المكانة ، وجعل له هذا الشأن والدور هو خالقه ذاته ، هو الله تبارك وتعالى .

فلننظر للانسان اذن على هذا الأساس ، وبهذا المنظار .

انه مخلوق ، ولكنه اكرم المخلوقات على الله تعالى ، وهو الوحيد من بينها — على كثرتها — الذى اختاره الله ليكون خليفته فى الأرض ، وكرمه بالعقل ، وهداه السبيل وعلمه البيان ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما .

لا تناقض بين الربانية والانسانية :

اذا عرفنا ما ذكرناه من حقائق ، اتضح لنا :

ان الاسلام مع ربانيته فى غايته ووجهته ، هو انسانى ايضا فى الغاية

والوجهة . ومن هنا نقول : ان للانسان مكانا أى مكان فى غايات الاسلام العليا ، وأهدافه الكبرى ، مع تقرير غايته الربانية وابرازها وتثبيتها . اذ لا تنافى بين الغاية الربانية والغاية الانسانية ، بل هما متكاملتان .

أجل ، لا تنافى — فى نظر الاسلام — بين الربانية والانسانية ، فتقدير انسانية الانسان هو من الربانية التى قام عليها الاسلام .

فالله هو الذى كرم هذا الانسان ، ونفخ فيه من روحه ، وجعله فى الأرض خليفة وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

واذا كان مصدر الاسلام (ربانيا) فان (الانسان) هو الذى يفهم هذا المصدر ، ويستنبط منه ، ويجتهد على ضوئه ، ويحوله الى واقع تطبيقى ملموس .

واذا كانت الربانية هى غاية المجتمع المسلم ، كما هى غاية الفرد المسلم ، فان مضمون هذه الغاية هو سعادة الانسان ، وفوزه بالنعيم المقيم فى جوار رب العالمين .

واذا كانت الربانية هى رسالة المسلم ، فان اهداف هذه الربانية هى تحقيق الخير للانسان والسمو به ، والحيلولة بينه وبين الانحراف والسقوط .

والمعانى الربانية التى توجه المسلم ، من الايمان والتوحيد والانابة والرجاء والخوف .. الخ . هى فى حقيقتها معان انسانية ، لأنها جزء من كيان الانسان كما فطره الله ، وهى سر من أسرار قوله تعالى : **(ونفخت فيه من روحى)** الحجر/٢٩ .

وفكرة الاسلام : ان الانسان لا يستطيع ان يكون ربانيا حقا ، دون أن يكون انسانيا ، كما لا يستطيع أن يكون انسانيا حقا ، دون أن يكون ربانيا .

ان الربانية — باعتبارها غاية ووجهة — تقتضي اخلاص النية والعمل والوجهة لله وحده . وجعل رضوانه ومثوبته نهاية المقصد ، وغاية السعى وراء كل حركة وكل قول أو عمل .

ولكن المقصود بهذا كله هو تحرير الانسان ، واسعاد الانسان ، وتكريم الانسان وحماية الانسان ، والسمو بالانسان .

فهذه كلها أهداف وغايات يحرص الاسلام عليها ، ويسعى اليها ، ويعمل بكل وسيلة على بلوغها والاجتهاد فى تحقيقها .

ايجابية الانسان أمام القدر الالهى :

والذى يراه الدارس للاسلام أن اثبات القدر الالهى لا ينفى ايجابية الانسان فوق هذه الأرض ودوره فى هذا الكون .

فان الله الذى خلق الانسان هو الذى منحه العقل ، ومنحه الارادة ، ومنحه القدرة ، فهو بالعقل يفكر ، وبالارادة يرجح ، وبالقدرة ينفذ . وهذه كلها منح من الله للانسان . فهو قادر بقدرة الله ، ومريد بارادة الله . وهذا معنى **(وما تشاءون الا ان يشاء الله)** الانسان/٣٠ فالانسان يشاء : لأن الله شاء له أن يشاء . ومعنى : « لا حول ولا قوة الا بالله » أى ان الانسان له

حول وقوة ، يجلب بهما النفع ، ويدفع بهما الضرر ، ولكن حوله وقوته ليسا من ذاته ، بل حوله وقوته بالله ، ومن الله .

وعلى هذا الأساس أمر الله الانسان ونهاه . وبعث له الرسل ، وأنزل عليه الكتب ووضع نصب عينيه الثواب والعقاب . ولولا أن الانسان ذو ارادة وقدرة ، ما كان لتحميله أمانة التكاليف معنى . ولا كان لثوابه وعقابه مما يوافق العدل الالهى ، والحكمة الالهية ، ولا كان هناك معنى لاستخلافه فى الأرض ، واستعماره فيها **(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)** هود/٦١ . أى طلب اليكم عمارتها .

ان الانسان مخلوق لله ، ولكنه مخلوق متميز بمواهبه وملكاته وقواه الروحية والعقلية والمادية ، التى أهله الله بها ليحمل مسؤولية الخلافة وأمانة التكاليف ، وهى أمانة بلغت من العظم والثقل مبلغا عبر عنه القرآن بهذه الصورة الفنية البليغة حين قال : **(انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان)** الأحزاب/٧٢ .

ان الانسان مخلوق مكلف مسؤول ، وعليه أن يكدح حتى يلقى ربه ، فيجزيه بكدحه ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . ولهذا وجه الله اليه الخطاب بقوله : **(يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه)** الانشقاق/٦ .

ولا ينبغى للانسان أن يغره شيء أو يخدعه خادع عن ربه وماله عليه من حق ، وان كان نفر من بنى الانسان للأسف غرتهم الحياة الدنيا ، وغرهم بالله الغرور ، واستحقوا أن يناديهم ربهم بهذا النداء العاتب **(يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك)** الانفطار/٦ — ٨ .

بين العقل الانسانى والوحى الالهى :

واذا كان الاسلام منهجا الهيا وضعه رب الناس للناس ، فليس معنى بالسلبية المطلقة تجاهه ، فليس له الا التلقى والتنفيذ والتسليم ، دون أن يقول : لم ؟ أو كيف ؟ اذ لا تكافؤ بين الوحى الالهى والعقل الانسانى ، فاذا قال الوحى كلمته ، فليس على العقل الا الاذعان والتسليم .

وهذا فى الواقع غير سليم .

فان القدر الالهى لم يلغ دور الانسان وفاعليته فى الكون ، مع وجود يد الله تعالى فيه ، ومع انعدام التكافؤ بين الارادة الالهية ، والارادة الانسانية . وبين قدرة الخالق ، وقدرة المخلوق .

وكذلك لا يلغى الوحى الالهى دور العقل الانسانى وايجابيته فى فهم الوحى ، والاستنباط منه والقياس عليه ، وملء ما سكت عنه من فراغات تشريعية .

ان وجود النص الالهى المقدس ، ليس عائقا للعقل عن التحليق والابداع ، فقد ترك الوحى للعقل مجالات عديدة يثبت فيها ذاته ، ويبرز قدراته .

لقد ترك الوحى للعقل أمورا كثيرة فى مجالات متعددة :

أ) ترك للعقل فى مجال العقيدة أن يهتدى الى أعظم حقيقتين فى هذا الوجود :

الحقيقة الاولى : وجود الله ووحدانيته ــ فوجود الله ــ كما تهدى اليه الفطرة السليمة ــ يقتضيه كذلك النظر الصحيح ، والعقل الصريح ، ولا غرو اذا أقام القرآن الأدلة من الكون ومن النفس على وجود الله سبحانه وتعالى : **(ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)** آل عمران/١٩٠ .

(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) الطور/٣٥ ، ٣٦ .

ويتبع ذلك الأدلة العقلية التى ذكرها القرآن على وحدانية الله بقــوله تعالى : **(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فســـــبحان الله رب العرش عما يصفون)** . **(أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم)** الأنبياء/٢٢ ، ٢٤ .

وفى موضع آخر يقول :

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معــه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المؤمنون/٩١ .

الحقيقة الثانية : ثبوت الوحى والنبوة والرسالة . فالعقل هو الذى يثبت امكان ذلك ووقوعه بالفعل ، وان هذا الشخص المعين رسول من عند الله .. العقل هو الحكم الأول والأخير فى هذه القضية ، ولا مدخل هنا للاســـــتدلال بالنقل ونصوص الوحى : اذ كيف يستدل بما لم يثبت بعد .. ؟ ولهذا قال علماء الاسلام : ان العقل أساس النقل ، ذلك أن العقل ــ بعد اقتناعه بوجوده تعالى وكماله سبحانه ــ يعلم أن من تمام حكمة الحكيم ورحمة الرحيم الا يترك عباده سدى ، والا يدعهم فى بحر لجى من الجهالة والعمى والغي ، وهو قادر على أن يهديهم ويخرجهم من الظلمات الى النور عن طريق تبليغه عنه .

والعقل بعد أن يعلم ذلك ــ لا يسلم لكل من ادعى أنه رسول من الله ، بل يطالبه بما يثبت صحة دعواه وأنه لا يمثل نفسه ، وانما يمثــل ارادة الله الذى أرسله ، فيطالبه بالآية المعجزة التى لا يقدر عليها الا الله تعالى .

والعقل هو الذى يميز بين الآيات المعجزة الحقيقية التى لا تظهر الا على أيدى رسل الله حقا وبين مظاهر الخفة والشــــعوذة التى تظهر على أيدى السحرة والدجالين .

والعقل هو الذى يعرف وجه دلالة المعجزة الخارقة على صدق من أظهرها الله على يديه ، وأنها تصديق من الله فى دعواه ، فهى بمثابة قوله : (صدق عبدى فيما يبلغ عني) والله تعالى لا يصدق الكاذب ، لأن تصديق الكاذب كذب ــ والــكذب محال على الله تعالى . كل هذه مقدمات عقلية محض ، ولولاها ما ثبت الوحى أصلا ، ولا قام الدين راسا .

والعقل ينظر فى سيرة كل شخص يدعي الرسالة ويتأمل فى صـــــفاته وأخلاقه ، واقواله وأعماله ، ومدخله ومخرجه ، ليعرف منها : هل هو أهل لاصطفاء الله أو ليس كذلك فيرفضه ويعرض عنه ، ومن أجل ذلك احتكم القرآن

فى اثبات صدق رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) الى العقول المفكرة وحدها ، فقال فى صرامة ووضوح : **(قل انما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنةان هو الا نذير لكم بين يدىعذاب شديد)** سبأ/٤٦ .

وقال يخاطب الرسول : **(قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون)** يونس/١٦ .

ب) وترك للعقل فى مجال التشريع أن يجول ويصول فى فهم النصوص ، فيفرع على الأصول ، ويقيس على الفروع ، ويستنبط الأحكام ، ويكيف الوقائع، ويرعى القواعد فى جلب المصالح ، ودرء المفاسد ورفع الحرج ، وتحقيق اليسر وتقدير الضرورات بقدرها واعتبار العرف ، ورعاية ظروف الزمان والمكان .

ولا عجب ، ان اختلفت المشارب ، وتعددت المذاهب ، وتنوعت الأقوال ، وخلف لنا العقل الاسلامى فى ضوء الوحى ، ثروة فقهية طائلة ، لها مكانها الرفيع فى تراث الفقه العالمى .

جـ) وترك للعقل فى ميدان الأخلاق أن يصدر حكمه وفتواه فى كثير من الأعمال ، التى يلتبس فيها الخير بالشر ويشتبه الحلال بالحرام ، ولم يغفل شأنه — بجانب الوحى — كمصدر للالزام الأدبى ، ومقياس للحكم الخلقى .

فان الشريعة نفسها ، بعد أن بينت الحلال الصريح ، والحرام الصريح ، تركت المنطقة التى تختلط فيها الأوصاف ، ويشتبه فيها الحكم وفوضت لكل امرىء أن يستفتى فيها قلبه ، ويتحرى فيها طمأنينة نفسه ، آخذا بالأحوط والأسلم . هكذا قضى الرسول الحكيم حيث يقول : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه » الحديث رواه البخارى وغيره . ويقول : « استفت نفسك وان افتاك المفتون » حديث حسن رواه البخارى فى التاريخ عن قبيصة .

د) ثم ترك الوحى للعقل بعد ذلك أن يجول فى آفاق هذا الكون العريض ما شاء ، صاعدا الى الأفلاك وهابطا الى الأرض ، ومتأملا فى النفس **(قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض)** يونس/١٠١ . **(وفى الأرض آيات للموقنين • وفى أنفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات/٢٠ ، ٢١ .

ترك له أن يكتشف من ظواهر هذا الكون ما استطاع ، وأن يسخر من قواه ما قدر عليه ، فكل ما فيه سخره الله لمنفعته **(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** الجاثية/١٣ . **(وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار • وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار • وآتاكم من كل ما سألتموه)** ابراهيم/٣٢ — ٣٤ .

هـ) ترك له أن يبتكر ويخترع فى وسائل الحياة وأمور الدنيا ما شاء ، ما دام ملتزما حدود الحق والعدل « أنتم اعلم بشؤون دنياكم » **(ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ .

و) ترك للعقل أن يستفيد من تجارب الآخرين ، وينتفع بتراث السابقين ، ومعارف اللاحقين **(فاعتبروا يا أولى الأبصار)** الحشر/٢ **(أفلم يسيروا فى**

الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الحج/٤٦ . **(أئتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين)** الأحقاف/٤ . **(فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)** النحل/٤٣ .

وبهذا كله يتبين أن الوحى الالهى لم يشل الفكر الانسانى ولم يجمده ، بل كان له هاديا ومعينا فى بعض المجالات ، وترك له الحرية الكاملة والاستقلال المطلق فى مجالات أخرى ، وانها لكثيرة ورحيبة .

القرآن : كتاب الانسان

واذا نظرنا الى المصدر الأول للاسلام وهو القرآن كتاب الله ، وتدبرنا آياته ، وتأملنا موضوعاته واهتماماته ، نستطيع أن نصفه بأنه (كتاب الانسان) .

ان كلمة الانسان تكررت فى القرآن ٦٣ ثلاثا وستين مرة . فضلا عن ذكره بألفاظ أخرى مثل « بني آدم » التى ذكرت ست مرات . وكلمة « الناس » التى تكررت ٢٤٠ مائتين وأربعين مرة فى مكي القرآن ومدنيه .

ولعل من أبرز الدلائل على ذلك أن أول ما نزل من آيات القرآن على رسول الاسلام — محمد صلى الله عليه وسلم — خمس آيات من سورة العلق ذكرت كلمة « الانسان » فى اثنتين منها ، ومضمونها كلها العناية بأمر الانسان) .

هذه الآيات هى : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/١ — ٥ .

دلالة الآيات الأولى من الوحى :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » . .

ان هذه الآيات الكريمة التى تكتب فى أقل من سطرين ، والتى بدأ بها الوحى الالهى تاريخا جديدا للبشرية ، تعبر أوضح التعبير عن نظرة الاسلام الى الانسان وعلاقته بالله تعالى ، وعلاقة الله تعالى به . انها خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ولكل انسان يفهم الخطاب من بعده .

الانسان فى هذه الآيات مأمور أن يقرأ ، والقراءة هنا رمز لكل عمل نافع يقوم به الانسان ، وانما خص القراءة بالذكر ، لأنها نقطة الانطلاق للانسان ، ومفتاح رقيه ، ولأن العمل فى الاسلام يجب أن يقوم على العلم ، والعلم مفتاحه القراءة .

وأمر الانسان بالقراءة معناه قدرته على ان يفعل ، وقدرته على أن يترك أيضا ، وهذا يعنى اثبات مسئوليته ، ودور ارادته . فالآلة لا تؤمر ولا تنهى .

ولم يؤمر الانسان هنا بمجرد قراءة ، بل بقراءة مقيدة « باسم ربه » الخالق . والقرآن هنا حريص على التعبير عن ذات الله سبحانه وتعالى فى

هذا المقام باسم « الرب » مضافا الى ضمير المخاطب وهو الانسان . وذلك لما يوحى به اسم الرب من معانى التربية والرعاية والترقية فى مدارج الكمال ، وما توحى به الاضافة والخطاب من القرب والاختصاص والتكريم .

وقد تكرر اسم الرب هكذا مرتين ، مع وصفه مرة بالخـــالقية ، ومرة بالأكرمية « وربك الأكرم » فعلاقة الانسان ليست بمجرد رب ، ولا برب كريم فقط ، بل برب أكرم ، بل بالرب الأكرم على الاطلاق . لأنه يعطى بغير حساب ، وبغير عوض ولا مقابل .

وذكر القرآن من دلائل اكرميته تعـــالى : انه **(الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** فالله تعالى بالنسبة الى الانسان « معلم » والانسان متعلم ما لم يكن يعلم ، هذه ميزته : استعداد للتعلم بالقراءة والكتابة بالقلم .

هذا أول نص نزل به الوحى الالهى على محمد صلى الله عليه وسلم . وهو نص فريد ورائع حقا . فقد حرص على تأكيد أمور معينة من أول لحظة . منها :

١ ـــ ان الانسان مخلوق مكلف .
٢ ـــ العناية بشأن الانسان حيث ذكره مرتين .
٣ ـــ أول ما أمر به الانسان القراءة .
٤ ـــ تعظيم شأن القراءة حيث أمر بها مرتين .
٥ ـــ أول أداة ذكرها الوحى : القلم .
٦ ـــ أول ما وصف الله به نفسه : الرب ـــ الخالق ـــ الأكرم ـــ المعلم .
٧ ـــ أول ما وصف الله به الانسان : القدرة على التعلم .

محمد الرسول الانسان :

واذا نظرنا الى الشخص الذى جسد الله فيه الاسلام ، وجعله مثالا حيا لتعاليمه ، وكان خلقه القرآن ـــ نستطيع أن نصفه أيضا بأنه « الرســـــول الانسان » وسيرته ليست سيرة اله ، ولا بعض اله ، ولا ملاك متجـــــرد من اللحم والدم ، بل هى سيرة النبى الانسان .

والقرآن الكريم حريص كل الحرص فى شتى المناسبات على تأكيد انسانية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، بمثل قوله تعالى : **(قل انمـــا انا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد ..)** الكهف/١١٠ .

ويرد على المشركين المتعنتين من مقترحى الآيات الكونية ما يتصور منها وما لا يتصور ، مثل أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا ، او تكون له جنة من نخيل وعنب أو يسقط السماء عليهمكسفا ، او يأتى بالله والملائكة قبيلا ، الخ . هذه السلسلة من المقترحات السخيفة العجيبة ، فيطلب من الرسول أن يرد عليهم بهذه الكلمة الموجزة **(سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا)** الاسراء/٩٣ .

ولما استبعد بعضهم أن يكون الرسول بشرا مثلهم ، يمشي على الأرض ، وافترضوا أن يكون الرسول ملكا ينزل من السماء ، رد عليهم القرآن فقال : **(قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)** الاسراء/٩٥ .

لنتحرك من داخل

ان العالم الاسلامي يواجه اخطار استعمار معقد ، يتحرك في أبعاد متعددة فهو استعمار تباشره مختلف دول العالم ومن ورائها مختلف مذاهبها السياسية والاجتماعية وهو استعمار سياسي وعسكري وفكري ثم هو استعمار استيطاني في بعض المراكز الحساسة : مثل فلسطين وارتيريا والخليج العربي .

وفي مقدمة صور الاستعمار : الامبريالية الغربية ، والصهيونية العالمية ، والشيوعية الملحدة . ويمر العالم الاسلامي منذ عام ١٩٤٨ بأزمة حقيقية هي أزمة اقامة اسرائيل في قلب الأرض العربية وتحدياتها وتوسعاتها خلال عشرين عاما على نحو حقق لها السيطرة على القدس وبيت المقدس عام ١٩٦٧ وما تزال مطامعها تصور لها التطلع الى ما بين النيل والفرات والامتداد الى خيبر وغيرها في الجزيرة العربية .

ومن خلال هذا الموقع الخطير الذي سيطرت عليه اسرائيل ومن ورائها الاستعمار الغربي ، بالتنسيق مع القوى الأخرى العالمية المختلفة تواجه الأمة العربية ازمة خطيرة لا مثيل لها ، فهي ازمة صراع فكري وسياسي ، وانقسام من نفوذ الدول الكبرى ، وخلاف في المناهج الاجتماعية وانظمة الحكم ، وهي في الصورة المواجهة تبدو متحدة في مواجهة الخطر الصهيوني ولكنها تختلف فيما وراءه من نفوذ الدول الكبرى ، وتختلف في اساليب المقاومه بين الحلول السياسية ، والحلول العسكرية وقد بدا بعد نكسة ١٩٦٧ روح جديدة فيها كثير من الاتجاه نحو القوة والجهاد والاستعداد العسكري والتقدم الحربي ولكنها في داخل المجتمعات العربية تعاني نوعا خطيرا من التحلل والانحراف وغلبة طوابع الكشف في أزياء المرأة وازدياد اشارات الطراوة في ازياء الرجال مع تربية السوالف والاسراف في الانحراف نحو « الهيبزة » والتقارب بين مظاهر الرجال الى النساء باطالة الشعور والتقارب بين مظاهر النساء الى الرجال بملابس تجعل المراة تبدو في هيئة الرجل . !

ان هناك تقاربا بين فلسفات الاستعمار والسيطرة بين مختلف الدول ، وقد واجه العالم العربي صورتها ممثلة في الاحتلال البريطاني والاحتلال الفرنسي وهو الاستعمار الأوروبي ، ثم جاءت بعد ذلك مرحلة النفوذ الأمريكي ثم النفوذ الشيوعي ، ومن خلال ذلك تبدو صورة الاستعمار الصهيوني الذي يحمل فلسفة مختلفة

قيمنا ومفاهيمنا

للاستاذ انور الجنـدي

فحيث يقول الاستعمار الغربي انه يرمي الى دعم رسالة الرجل الابيض في تمدين العوالم المختلفة . ومسئوليته في ذلك نجد الاستعمار الصهيوني يقدم على فلسفة مختلفة تماما ، تحمل طابع الأدعاء بميراث قديم وتحمل طابع نبوءة الأساطير في العودة الى أرض الميعاد ومن ناحية الشكل فقط كان اختلاف مناهج الفلسفة الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا ، وبينهما وبين الاستعمار الأمريكي الذي لا يقدم على الاحتلال العسكري بقدر ما يقدم على الاحتلال الاقتصادي ، نجد الصهيونية العالمية تحمل اقسى مناهج الاستعمار واسوأ اساليبه ، وهي فلسفة تقوم على اساس نسف جميع المدنيات والحضارات وازالة الأديان السماوية واتخاذ اسرائيل نقطة لتحقيق الامبراطورية اليهودية التي تجتاح الامبراطوريات وترث الأديان والحضارات ، وتحق السيطرة وما تزال دعوى السيطرة العالمية هدفا ومطمحا للحضارة الغربية وللدعوة الشيوعية والحركة الصهيونية ، كل منها يريد أن تكون له زعامة السيطرة العالمية وما زالت هذه القوى تتصارع عليها .

وترمي خطة الغزو كله « ويمثل الغزو الاسرائيلي الآن مطامعها وواجهتها ، ويخفي مطامعه في وراثتها جميعا » الى عملية تحطيم ذاتيه الامة العربية .

وتقوم اليوم قوى فكرية كبيرة بهذه الدعوة بالاضافةالى الغزو الاجتماعي المتمثل في تحطيم مقومات الأخلاق والأديان والقيم الأسرية والعلاقات بين الرجل والمراة .

والغزو الفكري اليهودي هو القوة الفعالة لتمزيق النفس العربية والعقل العربي والى تحقيق الغزو الاجتماعي وفق فلسفة فكرية تقوم على ظهور التحلل والتحرر واخراج الامة العربية عن اطاراتها الأصيلةوقيمها الأساسية ودعاة الغزو يصرحون بذلك الآن دون موارية ويصورون الموقف تصويرا زائفا حين يدعون ان وسيلة التحرر من النفوذ الاجنبي انما تكمن في أن تتغرب الامة العربية تغربا كاملا وتخرج عن مقوماتها الاجتماعية والدين والأخلاق وتندمج اندماجا كاملا في فكر الغرب وقيمه ، عندئذ ينتهي الصراع بين الاستعمار وبين الأمة العربية بالاستسلام والذوبان والاحتواء وذلك ما يريده أصحاب النفوذ الاستعماري .

اما المقاومة والمواجهة ، والدعوة الدائبة الى المحافظة على المقومات الأساسية للأمة العربية لتعرف

ذاتيتها وتتحرك من داخل وجودها ، وتفكر من خلال مفاهيمها ، فان هذا هو الخطر الــذي يقاومــه النفــوذ الاستعماري ويقاومه بشدة . وهذا الاستمساك بالقيم والمقومات الاصيلة هو ما يوصف بالأيدلوجية الغيبيــــة ويتهــم بالأسلــوب الخرافــــي أو العشوائي الى غير ذلك من اتهامات مضللة ، لا أســاس لهــــا مــن حــق أو صــدق !

ان مطلب دعاة التغريب أن ننطلق من داخل فكر الغرب وأن نخرج من قيمنا وان نستسلم استسلاما كــاملا لمناهجه وفلسفاته ، وهذا أمر مــن الاستحالة أن يحدث لأسباب عديدة .

أولا : لأن هذه المناهج الغربية لم تحقق للغرب نفسه ما يطمع اليه من بناء الأيدلوجية التــي يجــد فيهــــا الاستقرار والطمأنينــة ، ســـواء الطمأنينة الاجتماعيـــة المعاشيـــة أو الطمأنينة الروحية . ومن العسير أن تخرج هذه الأمة من مناهجها الــى مناهج امة اخرى لم تثبت في بيئتهـــا أي صلاحية لها فكيف الآخرين .

ثانيا : ان امة لها عراقة الأمــة العربية تاريخا وقيما ومنهج حياة ، من العسير أن تتخلى عن ذلك كله في ظل تحديات نكسة من النكســـات العابرة في طريقها الطويل الضخم .

ثالثا : ان الدعوة الى علمنة الذات العربية باخراج الجيل الجديد مــن اطارات الدين دعوة مدمرة لكيـــان الأمة وشخصيتها ولن يتم ذلــك الا تحت الضغط ، ولكنــه سيكـــون معارضا لطبيعة الأشياء مضادا لسنن التطور ، مخالفا لأعمق أعماق هذه الأمة في مزاجها النفسي .

ذلك لأن هذه الأمة قد تشكلت والدين يوجه سلوكها وحياتهــا ، الديـــن بمفهومه الاسلامي وليس بمفهومـــه الغربي . أما العلم فهو ثمـــرة مـــن ثمار الاسلام الذي دعا الى البرهان في المعرفة وأعان على ابداع المنهــج العلمي التجريبـــي .

وليست الدعوة الى العلم بمفهوم الاسلام الا دعوه الحق في التحرر من أخطار الاستعمار الاستيطاني ، ولكن الدعوة الى العلم ، بمفهوم التغريب انما هي دعوة الى اسباغ مفهوم العلم على الفلسفات ، وهي محاولة مضللة فليس العلم هو الفلسفـــة وليســت الفلسفه هي العلم ابــدا .

العلم هو ثمرة التجربة العلميـــة العملية المحسوسة ، اما الفلسفة فهي النظريات الاجتماعية والسياسيـــــة والاقتصادية ، وهي ليست علما لأنها قابلة للخطأ والصواب والفكر المتصل بالانسان ومجتمعه ونفسيته ومعاشه لا يمكن اخضاعه لمقاييس العلم لأنه يتصل بالنفس الانسانية التـــي تختلف في كــل شيء وكل عصر والتـــي لا يمكن أن تقاس بالمقاييس أو تكشف عن طريق الأنابيب .

رابعا : ان أي امة لن تستطيع أن تنتصر بعد هزيمة أو تخرج من نكبة بخروجها من ذاتيتها وقيمها بل على العكس من ذلك فان أي هزيمـــة أو نكبة تحيق بأمة ما ، فانما يكـــون مصدرها هو تخلف هذه الأمة عـــن ذاتيتها والخروج عن مقومات فكرها . ولن يكون نصرا واستعادة لوجــود الا من خلال اعلاء هذه القيم واتخاذها أساسا لحركة المواجهة والمقاومة .

ولقد جربت الامة العربية ذلك من قبــل ، وتاريخها حافل بمواقـــف الانتكاس والعودة ، وأمامها صورة واضحة صريحة لتجربة سابقة على نفس الأرض وبمعالم مشابهـــة هي

تجربة الغزو الصليبي الذي كان يحمل منهجا ايدلوجيا فلسفيا يقول بأنه انما يريد أن يحرر قبر المسيح ، واليوم يحمل الغزو مفهوما ايدلوجيا فلسفيا يقول بأنه انما يريد ان يحرر هيكل سليمان ، فالصورة واضحة هي غزو الامة العربية من وراء ادعاء فكري تاريخي خادع ، ولكنه غزو لاخراج هذه الامة من وجودها واسلامها الى السيطرة الكاملة بالذوبان في اتون عالم الغرب .

ان مصدر هزيمة ١٩٦٧ هو نفس مصدر هزيمة ١٩٤٩ ، أن اليقظة الذى انتجتها الصدمة لم تحرر النفس العربية تحررا كاملا من التبعية الفكرية والاجتماعية للغرب ، ذلك أن الغرب حين امسك الأمة العربية في دائرة التغريب وسجنها في فكره وجعلها تتحرك من داخل مفاهيمه، قد حال بينها وبين ان تواجه الخطر مواجهة صحيحة واقعية ، وحيث استطاع العدو الصهيوني أن ينمو من خلال التزامه مقومات فكره ودينه عجزت الأمة العربية المحبوسة في سجن الفكر الغربي أن تتحرك الا وفق قوالب الغرب المضللة فلا ترى حقيقة امرها ولا تستمد من فكرها الأصيل الاستجابة الحقيقية لأزمتها .

ان على الأمة التي تسقط في ازمة ضخمة مثل أزمة الامة العربية بالسيطرة الصهيونية والاستعمارية. أن تجد قدرتها على الخروج من قوالب الغرب وسجون فكره الى أصالة فكرها وتلتمس الحلول الحقيقية من جوهر قيمها وثمرات ذاتيتها وأن تسمع الى صوت الأصالة الداخلي العميق وتنصرف عن الصوت الغريب التي مهما بدا ناعما و باسما فهو يخفي الحقد والغل والتعصب :

(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء في افواههم وما تخفى صدورهم أكبر) (آل عمران ١١٨) .

وليس ذلك الا معنى التضليل في التوجيه : **(وأن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)** (الانعام ١١٦) فليس على الأمم في الأزمات الا أن تبحث في اعماقها ، وتسمع الى داخلها ، الى صوت الفطرة ، صوت الحق القادم من أعماق الذاتية ومن عماق المزاج النفسي الاجتماعي العميق الجذور .

واذا كان العلم هو مصدر الهزيمه فان فكرنا لا يدفعنا الى شيء كما يدفعنا الى العلم ولكنه ليس كعلم الغرب له مظهره ، ولكن له طابع اسلامي أصيل ، يتجه الى الحق ويبعد عن الظلم .

لقد دعانا ديننا الى الحيطة والحرص والوقوف على الحدود ، وان نأخذ حذرنا ، وأن نستعين بالقوة وان نعدها .

١ ــ **(ولياخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)** (النساء ١٠٢ .

٢ ــ **(واعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ..)** الانفال / ٦٠ .

فلنلتمس اصولنا وقيمنا فى ديننا فهو الضوء الكاشف والمصدر الأول والأخير لكل نصر وحق واتجاه صحيح **(يايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ، ويهديهم اليه صراطا مستقيما)**النساء ١٧٤ ، ١٧٥ .

مُلاحَظاتٌ في استراتيجيةِ الصِّراع

للدكتور عماد الدين خليل

ما الذي يطلبه القرآن الكريم من القواعد كيلا تلعب (عليها) و (بها) القوى المستبدة ، والنفوس المريضة والاهواء الظالمة ؟

انه — في البداية — يطلب من المؤمنين جميعا ان يامروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ما وسعهم الجهد وما استطاعوا الى ذلك سبيلا، عليهم أن (يتحركوا) أن (يردوا) على الظلم ، ان (يرفضوا) الانتماء اليه او قبوله كمسلمة لا تقبل نقضا ولا جدلا .. ان بمقدورهم — كذلك — ان يغادروا المواقع التي يسود فيها الطغيان لكي لا يسهموا في الجريمة ، بشكل او بآخر ، يغادرونها الى أي مكان ، فارض الله واسعة **(ان الذين توفاهم الملائكة ، ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا)** (النساء ٩٧ ، ٩٨) وينعي في آية ثانية على الذين آثروا السكون على الحركة ، واختاروا الالتصاق بالظلم والعمل تحت يديه على رفضه والانشقاق عليه **(وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال)** (ابراهيم ٤٥) . وفي آية ثالثة يبرز هدف الهجرة (الحركية) التي يدعو لها القرآن واضحا نقيا : ان الانسان المؤمن يجب الا يعبد الا الله .. هذا هو دوره الحقيقي في العالم ، بل هذا هو مبرر وجوده في الكون .. وعبادة الله — كما سبق ان بينا — ليس في ان نتصل به في شعائرنا اليومية أو الموسمية فحسب بل ان نرتبط به في كل فاعليات حياتنا وأن نتوجه اليه في كل خطوات وجودنا الداخلي والا ناخذ ونتلقى الا منه ، ولا ننتمي ونخضع الا له ...

فاذا ما سعت القيادات الجاهلية الطاغية ان تزيف هذا الدور البشرى الأصيل ، فتصد القواعد المؤمنة عن التوجه الى خالقها توجها سليما كاملا اصيلا من اجل ان تلتصق بها وتمارس خدمتها ، فان على هذه القواعد ان ترفض : **(اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء)**(الاعراف ٣) .. وان عليها ان تتحرك وتهاجر اذا اقتضى الأمر: **(يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون)** (العنكبوت ٥٦) .. الهجرة التي تعقب عودة واعية مسلحة الى مناطق الطغيان لوقفه قبل ان يقود بقية الناس الى الدمار : عودة قوية الى معاقل الكفر لضرب المتآمرين على الحق الذي بطشوا باهله فاخرجوهم من ديارهم وجردوهم من اموالهم بغير رحمة او عدل (**قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**) (التوبة ١٤).

.. ولنا في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابرز دليل .

وفي آية حاسمة اخرى ينبه القرآن الكريم القواعد المؤمنة الى حقيقة على درجة كبيرة من الخطورة لكي يكونوا على وعي تام بها ، وعلى حذر كامل منها في الوقت نفسه ، ذلك ان الفتنة التي تتمخض حتما عن ممارسة الطغيان وانحراف القيادات عن امانة المهمة التي عهدت اليها لن تنزل على رءوس هذه القيادات فحسب .. انها ليست ممارسة (هندسية) لكي تجيء منطبقة تماما على مساحة

محدودة سطحية قلقة .. ولشد ما لعب هذا التقابل الاخلاقي دوره في التاريخ وغطى مساحات واسعـة لا تبررها بأية حال النظرة الماديـة الضيقة او المثالية الفضفاضة .

ان مقياس التفوق الحضـاري لا يكمن في حجم الانتاج بقدر ما يكمـن في مدى (اخلاقية) الجماعة المتحضرة وسعيها لخدمة الأهداف الانسانيـة الشـاملة ... واننا بمجرد ان نلقي نظرة سريعة على حضارتنا الاسلامية في عصور تألقها ، ونقارن ذلـك بمعطيات الحضارة المعاصرة ، على المستوى الانساني ، سنضع ايدينا على قيمة هذا المقياس ، وأهميتـه القصوى .. ان الحضارة المعاصرة تتجاوز ، حتى علـى مستوى الفكر والفلسفة ، حدود الموضوعية الشاملة وتهبط كثيرا عن اخلاقيات الانسان ، بما هو انسان ، فتحصر أهدافهـا ومعطياتها في نطاق دولة أو عـرق معين أو طبقة معينة كما هو الحال عند ماركس ، ورفاقه ، اوعلى احسن تقدير في اطار وحدة حضارية معينـة كما هو الحال عند توينبي .. هـذا بينما تطرح الحضارة الاسلاميـة وحدها شعاراتها الانسانية الشاملة الرحيبة المنبثقة عن قيم الحق التـي صاغهـا القرآن :

(ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هـو أقرب للتقوى) (المائدة ٨) . **(واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)** . (الانعام ١٥٢) .

الصدق الأمانة ، تحمل المسئولية الشجاعة ، الصبـر ، الاخـلاص ، التضحية ، الايثار ، مقاومة اغراءات الشهوة ، التجرد ، الصمود ، التزام الحق والعدل بمقاييسهما الموضوعية لا المنفعية .. الى آخره .. ويطرح ـ القرآن ـ بالمقابـل النقـائض السالبه لهذه الأخلاقيات كالكـذب والغش والتزوير والتهرب والجبـن والجزع والأثـرة والانسيـاق وراء اغراءات الشهوة والمنفعية .. .. الـى آخـره .. .. داعيـا المسلمين افـرادا وجماعـات الـى مكافحتها دون هوادة ، واستئصالها من أعماق نفوسهم وامداء علاقاتهـم الاجتماعية رابطا اياهـا بمسألـة الصراع الدائم الذي لا يكف بـين الانسان والشيطان .. بين الخـير والشر .. من أجل أن يمنح الانسان المسلم قاعدة واسعة لتصور الموقف وايمانا عميقـا بضرورة المقاومـة ، واستجاشة كل طاقاته من اجـل الانتصار ، الذي مهما كان جزئيا فانه في النهاية سيضيف قوة الى الرصيـد الأكبر في صراع الخير ضـد الشر ، والانسان ضد الشيطان .

وتكاد المسألة تبـدو في المجتمـع المسلم ، او في أي مجتمع ، اشبـه بمعادلة رياضية واضحة ، كلماتجاوز الانسان والمجتمع ، في حضارة مـا درجة اكثر في سلم القيم الخلقيـة ، كلما تقدم خطوات الى الأمام وامتلك مزيدا من ضمانات الديمومة والتطور .. وبالعكس يجيء الرجـوع ، او السكون ، أو التفتت والانهيـار بالاشاحة عن هذه القيم واسقاطهـا في ميادين الذات والمجتمع واحدة بعد اخـرى ..

لقد كان خليفة المسلمين الأول ، ابو بكر الصديق واضح الرؤية عندما خاطب منتخبيه في كلمته الاولى لهم : (انه ما شاعت الفاحشة في قوم قط الا ضربهم الله بالذل) . وواضـح الرؤية أيضا عندما أردف : (وانه ما ترك قوم الجهاد قط الا عمهم اللـه

بالبلاء) وهذا ينقلنا الى الالتزام الآخر .. (الجهاد) .

والجهاد كما هو معروف ، وكما اكدنا اكثر من مرة ، والذي يرد هو الآخر في عدد كبير من الآيات لا نجد ضرورة للاشارة اليها هو حركة المسلمين الدائمة في العالم لاسقاط التيارات الجاهلية الضالة واتاحة حرية (الاعتقاد للانسان حيثما كان هذا الانسان ، بغض النظر عن الزمن والمكان والجنس واللون واللغة والثقافة والانتماء .. انه — في الحقيقة — مبرر وجود الجماعة الاسلامية في كل زمان ومكان ومفتاح دورها في الارض ، وهدفها العقيدي ومعامل توحدها ، وضامن ديمومتها وتطورها .. وبدون هذه الحركة الجهادية يسقط هذا المبرر ويضيع المفتاح وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الوحدة والتماسك والاستمرارية والبقاء .

ان الجهاد كهدف ايماني حركي دائم اشبه بمعامل عقائدي — اجتماعي يشد افراد المجتمع الواحد بعضهم الى بعض ويوجههم صوب بؤرة واحدة ، ويدفعهم الى تجاوز السكون والتحرك الدائم الى اهداف ابعد فأبعد ، وهذا — بطبيعة الحال — يجيء بمثابة ضمان اكبر لوحدة الجماعة المسلمة وتماسكها واستمرارها وصيرورتها التحريرية المبدعة .

وعلى العكس ، ما ان تفتر روح الجهاد في نفوس المسلمين ، افرادا وجماعات وقيادات وقواعد حتى تتفكك عرى وحدتهم ، وتتعدداهدافهم وتميل تجربتهم الاجتماعية الى التباطؤ فالسكون وتتساقط مواقعهم الامامية ، وبدلا من أن يسددوا ضرباتهم الى القوى الجاهلية ، ويمتلكوا زمام المبادرة الاستراتيجية في العالم ، اذا بهم يتلقون الضربات من هذه القوى ، ويتراجعون صوب المواقع الدفاعية في الخطوط الخلفية.

والنبي صلوات الله عليه وسلامه يقول فيما رواه أبو داود باسناد صحيح : « جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم » ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني في الكبير عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليهوسلم قال : « ثلاثة لا ينفع معهن عمل ، الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف » فهي الهزيمة — اذن — على كل المستويات السياسية والعسكرية والاستراتيجية والعقائدية والحضارية في نهاية المطاف .. واننا لننظر الى تاريخنا فنرى في هذا الالتزام الكبير الآخر ، معادلة رياضية اخرى ، فحيثما سادت روح الجهاد مجتمعا اسلاميا ما ، تمكن من حماية وجوده ، وتعزيز وحدته وضمن استمرار وازدهار عقيدته وابداعه الحضاري واتساع ميادين نشاطه في العالم ، وحيثما افتقدت هذه الروح الجهادية وطمس عليها في مجتمع آخر حيثما فقد مبرر وجوده ، وتمزقت وحدته ، وتباطأت اندفاعاته العقائدية ، واضمحلت منجزاته الحضارية وتقلص دوره في العالم وآل أمره الى التدهور والسقوط .. وان تاريخنا المعاصر ليقدم لنا عشرات الأمثلة التطبيقية على صدق هذه المحاولة .. لقد كان أبو بكر — مرة اخرى — واضح الرؤية عندما قال مخاطبا منتخبيه (انه ما ترك قوم الجهاد قط الا عمهم الله بالبلاء)!

المواقع التي يحتلها الطغيان ، لأنها تجربة اجتماعية والتجربة الاجتماعية تجيء دائما متداخلــة المساحــات ، متشابكة الممارسات ، مرتبطـــــة الوشائــج ، بحيث يصعب تفكيكهــا وتجزيؤها بأسلوب رياضي صارم .. وان مسئولية الطغيان لا تقع — كما يؤكد القرآن دائما — علــى عاتق القيادات ، وانما تتحمل القواعـــد نصيبا كبيرا منها لسكوتها واقرارها وعدم رفضها ومقاومتها وتحركها ..

لهذا كله ، فان الفتنة أو العقاب الذي سينجم عن ممارسة الطغيان والظلم ســوف ينزل علــى رءوس الجميع مدويا ، مزلزلا ، شامــلا ، لا يعرف (احدا) في البنية الاجتماعية التي يمارس فيها الانحراف ظالما كان أم مظلوما ، ولم يكن العقاب او تكن الفتنة في يوم من الايام قاصرة حبيسة في نطاق الظالمين وحدهــم .. ان القرآن الكريم يحذر القواعد المؤمنة ويمنحها الوعي الكافــي كذلــك : **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للــه وللرسول اذا دعاكم لمــا يحييكــم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون • واتقــوا فتنــة لا تصيبــن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب)** — (الانفال ٢٤ ، ٢٥) .

وآيات القرآن الكريم ، خلال هذا — تترى ، مانحة القواعــد المؤمنة مزيدا من المواقف التي تمكنهم مــن عملية المجابهة الحركية هذه ، وهم مطمئنون الى صلابة الأرضية التــي يتحركون عليها .. ان القرآن يدعونا على المستوى النفسي الداخلـــي (العمودي) لأن نمارس باستمــرار اخلاقية أو (عملية) التغيير الذاتــي لكي نكون قادرين دائما على المجابهة مستعدين ابدا لكشف المواقــــف اللااخلاقية وتعريتهــا وعزلهــا **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مــا بأنفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)** (الرعد ١١) **(ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم)** (الانفال ٥٣) .

كما يدعونا على المستوى الجماعي الخارجي (الافقي) الى أن نتمســك بالوحدة والا نمارس تفكيك وحدتنــا هــذه بالانشقاقــات والمنازعــات **(واعتصموا بحبل الله جميعــا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفــا حفرة من النار فأنقذكم منهــا كذلــك يبين الله لكم آياته لعلكــم تهتدون • ولتكــن منكــم امــــة يدعــون الــى الخــير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئــك هم المفلحون • ولا تكونوا كالذيــن تفرقوا واختلفوا من بعد ما جــاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيــم)** (آل عمران ١٠٣ — ١٠٥) . **(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعــوا فتفشلوا وتذهب ريحكــم واصبــروا ان الله مع الصابرين)** (الانفال ٤٦) .

كيف تستطيع الجماعــة المؤمنــة ان تحفظ وحدتها من التفكك والتمزق والدمار ؟ ان القرآن يطرح أمامنــا التزامين اساسيين ، لا لضمان هذه الوحدة وبقائها فحسب ، بل لتنميتها وتوسيعها عمقيا وعموديا لتحويلهــا الى (صيرورة) دائمة نحو الأحسن والارقى في ممارساتها وفي معطياتها علــى الســواء .

الالتزام الأول التزام اخلاقي ، يرمي

الى تكوين اخلاقية خاصة بالجماعة المؤمنة تنبثق في اعماق الفرد لكي ما تلبث أن تعطي لونها للعلاقات الاجتماعية كلها واذا كنا قبل قليل قد تكلمنا على اخلاقية التغيير الذاتي ، وهي جهد نفسي ارادي دائم لحماية قيم المجتمع المسلم وتنميتها فاننا هنا نشير الى هذه القيم نفسها التي تمثل مراكز الثقل في حضارات الامم ، وشحنات الدفع في مسيراتها وتكاد علاقتها الضرورية للنمو الحضاري تبدو طردية باستمرار على مستوى الكيف والكم .. فكلما التزمت جماعة بما يزيد من القيم الأخلاقية ، وكلما سعت الى صقل هذه القيم ، وتأصيلها في أعماق البنية الاجتماعية ، كلما تمكنت من حماية وحدتها ومن تأخير عمرها الحضاري وابعاد شبح التدهور والسقوط بالتالي .. وكلما بدات جماعة ما بالتخلي عن هذه الالتزامات ، واطراحها جانبا ، وعدم السعي لبلورتها وتعميقها في الممارسة الجماعية ، كلما عرضت وحدتها للتفتت ، وآذنت نشاطها ومعطياتها الحضارية الشاملة بمصير سيء قريب .

اننا نرى اليوم بأم أعيننا كيف أن بقايا القيم الاخلاقيه التي يتميز بها رجل (العالم المتقدم) ومجتمعاته من صدق وامانة وتحمل للمسئولية وشجاعة واخلاص وصبر وتضحية ومن رفض للكذب والغش والخيانة والتهرب والجبن والجزع والاثرة ، هي التي تلعب دورها الواضح على المستوى العملي (البراغماتي) في تفوق هذا الرجل وذلك المجتمع في عالم لم يعد يعترف — على المستوى النظري — بالاخلاقيات — مما يشير الى مدى الثقل الواقعي لهذه القيم وارتباطها العضوي بأية ممارسة حضارية .

ان القرآن الكريم يطرح سلما من القيم الأخلاقية ، كثير الدرجات بعيد الامتداد ، من خلال مئات الآيات المنبثة هنا وهناك ، والتي لا يسعنا الاشارة اليها ، والتي تجيء في معظم الأحيان ملامسة لواقعة تاريخية قريبة أو بعيدة ، معلقة عليها ، مستمدة منها قيما جديدة .. وذلك من اجل أن ترتبط (القيمة) الخلقية ارتباطا شرطيا في ذهن المسلم ونفسه وتزداد توغلا في اعماقه ، وتأصلا في علاقاته مع المجتمع الذي يتحرك فيه .

ولا جدال في أن القيم الأخلاقية المنبثقة من الرؤيا الايمانية والحس الديني تكتسب موضوعية في ميدان العلاقات وعمقا في ميدان الذات لانجد عشر معشارهما في الأخلاقيات الوضعية المبنية على الموقف المصلحي والتبرير البراغماتي (العملي) .. انها آنذاك سوف تفقد موضوعيتها وشموليتها ، وتقع في أسر التحيز والنسبية ، فتحور وتزيف حينا ، من أجل أن تلائم مصلحة ما أو منفعة معينة وتلغي أو تستبعد ، حينا آخر لأنها لا تنسجم أساسا ومتطلبات الموقف النسبي ..

هذا الى أن هذه القيم ستفقد بعدها العمقي ، وتغدو أكثر قلقا واهتزازا الأمر الذي يفقدها قوتها الالزامية ، وثباتها وديمومتها .... واننا بمجرد القاء نظرة على التاريخ البشري ، سنتبين بوضوح هذا الفرق الحاسم بين قيم اخلاقية دينية موضوعية شاملة عميقة متأصلة ، وقيم أخلاقية وضعية نسبية

الإسلام دين المستقبل

للاستاذ : عزت محمد ابراهيم

ما اكثر ما يبلغ أسماعنا — بين الآونة والآخرى — نبا عن اعتناق واحد او اكثر لدين الاسلام فى أوروبا أو أمريكا او غيرهما من البلدان التى تدين بغير الاسلام ، ولا يكاد يبلغ سمعى نبا من ذلك الا واقف عنده مستانيا متاملا يكاد أن يستغرقنى التفكير والتامل .

فمثل هؤلاء الذين يعيشون وسط خضم من حضاره قد غلبت عليها الماده ، وتهاويل من أضواء تخطف البصر ، وتعشى الاعين ، وتخدع النفس عن ايمانها ، حين ينكرون ويتنكرون لكل ذلك ، ويلجاون الى الاسلام في بساطته ، فانهم يستحقون منا التبجيل والاحترام ، بالقدر الذى يدعونا الى التامل والتفكير .

فلم يكن اسلامهم بغيه منفعة ، وهم يعيشون وسط كثرة كثيرة لا تؤمن به ، بل لعل الأمر أن يكون على النقيض من ذلك ، فقد يلقون العنت والحرب العوان التي لا هوادة فيها من ذويهم وبنى جلدتهم ، ولكنهم — اذ هداهم الله للايمان — لا يعباون بكل ذلك ،٠ولا يقيمون له وزنا أو اعتبارا .

وظاهرة أخرى تلفت النظر فى هؤلاء الذين يسلمون ، تلك هى انهم من النخبة الصالحة المستنيرة ، وليسوا من أوشاب الناس وأخلاطهم، وهم من الذين رأوا الخيرة في الاسلام عن درس واستقصاء ، وبصيرة واستنارة ، ومقارنة متمهلة ادت كلها الى يقين واحد هو افضلية الاسلام وجدارته براحتهم النفسية ، وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم .

وربما خامرنى شك فى حقيقة اسلام من يدخل دين الاسلام وهو يعيش في بلد اسلامى ، قد يرى فيه عونا له على شق طريقه ، أو تهيئة أسباب معيشته بين أهله ، أو غير ذلك من أسباب جلب النفع ودفع الضر . واقول يخامرنى شك ، لاننى ادع النية وصحتها لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولكن لايخامرنى شك — أو هو الشك الهين اليسير — فى صحة اسلام من يسلم في غير ديار الاسلام، ومن غير دوله .

وهكذا كان حالى فى اسلام محمد اسد ، وعبد الكريم جرمانوس ، ومريم جميلة ، وفاطمة تزفسكن ، وغيرهم ممن لا اذكرهم ، أو ممن لا يتسع المقام لذكرهم .

واختار من بينهم اثنين ، تحدث الدكتور عبد العزيز عزام عن احدهما في كتابه .. الاسلام والفكر العالمى .

وكتاب الدكتور عزام مجموعة من فصول تحدث فيها عن خواطر اسلامية ليس بينها كبير ارتباط بالعنوان الذى اختاره له ، ولكنها تمتاز بالبساطة المحببة ، وما فى اسلوب صاحبها من حرارة ايمان وصدق عاطفة .

اما هذا الذى اسلم فهو صاحب مصنع صغير تعرف عليه الدكتور عزام أثناء تجواله فى مدينة «طوكيو» فى احدى سياحاته .

وكان صاحبه هذا منكرا للبعث ، لا يرى فى انتهاء حياه الانسان الأولى ، الا انتهاء أبديا لها ، لا عودة فيها .

وكان الدكتور عزام يزور ساحة القصر الامبراطورى اليابانى ، وهو

يرى الناس يحجون اليه ، ويقومون بانشاد الأدعيه والطقوس التى لا يفهمون منها شيئا ، حين لفت صاحبه نظره الى فرن كانه السعير ، تحرق فيه جثث الموتى ، فلا يبقى منها شيء الا حفنه من تراب توضع فى اناء للذكرى .

ومن هذه النقطه كانت بدايه الحديث وبدايه النقاش ، فيساله اليابانى عن عقيدته فى البعث وعن ايمانه به ، ولا يكتم عنه ما فى نفسه من انكار لها ، فالاجسام — فى حسبانه — تتحول الى رماد يستخدم فى سماد الأرض فتتغذى عليه النباتات ، وتدخل عناصره فى عناصرها ، ويتغذى الحيوان بالنباتات ، فتدخل عناصرها فى عناصره، ثم يتغذى الانسان بالحيوان والنباتات فيكون منها عناصره ، وهذا التداخل فى العناصر — هو فى حسبان اليابانى — ما يحول دون البعث ، ويجعل امره صعب التصديق .

ويكون من حسن حظه ان يوجه حديثه هذا الى رجل متخصص فى الكيمياء فيستطيع أن يقف منه موقف الند للند ، ويقابل حديثه مقابلة الحجة بالحجة والدليل بالدليل .

ويقول الدكتور عزام لصاحبه — أول الأمر — ان ما أنكرت من أمر البعث قد أنكره قبلك ، وقبل مئات السنين من نزل عليهم القرآن الكريم اول مرة ، فقالوا عن محمد عليه الصلاة والسلام :

(أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) .

(من ٣٥ — ٣٧ المؤمنون) ثم يعود لمناقشة ما أتى من موضوع فيقول :

« اننا معشر الكيماويين لا نهتم بمظاهر المادة اهتمامنا بحقيقة تركيبها ، فلا بد أن نعرف العناصر المؤلفة للمادة وعدد الذرات من هذه العناصر ، وطريقة اتصال هذه الذرات بعضها ببعض ، فلا يكفينا مثلا أن نعرف أن الماء هو سائل لا لون له ولا طعم ويغلى في درجة مائة ، بل لا بد ان نعرف أن الماء مكون من عنصرين أحدهما (الأكسجين) والآخر (الايدروجين) ، وأن عدد ذرات الأول واحد ، وعدد ذرات الثانى اثنان ، ثم ان ذرة الأكسجين متصلة بذرتى الأيدروجين ، فان أكثر ما يهم الكيماوى هو هذا (التصميم الذرى) ، على غرار التصميم الهندسي ، وهو الذى يبين عدد الذرات التى تتركب منها المادة ، وكيفية اتصال هذه الذرات بعضها ببعض .

اما عن العناصر نفسها فهى منتشرة فى كل مكان ، وهى التى تتحلل الى ذرات ، **اما الذرات نفسها فلا تتغير ولا تتبدل ، وهى مصنوعة أزلا وتستمر كذلك** » .

وضرب له مثلا طفلا يبنى بيتا من مكعبات خشبية ذات رسوم مختلفة يكون منها الشكل الذى يريده ، فالذرات تشبه قطع الخشب الثابتة ، والمتغير هو الرسم ، وانهدام البيت لا يعنى فناء القطع الخشبية ، كما لا يعنى فناء الجسم نهاية الذرات المكونة له ، فهذه باقية لا تتلاشى ولا تضيع ولا تفنى .

أو كما يقول الدكتور عزام بلغة الكيماويين :

« أما الذرات التى منها يتكـون الجسم فهذه موجودة بكثرة هائلة فى الطبيعة وفى كل مكان ، وهى واحدة لا تختلف مهما اختلفت مصادرهـا المأخوذة منها ، فالكربون مثلا الذى مصدره الحجاره هو الكربون الذى مصدره الماس ، او الكربون الـذى مصدره النبات او الانسان ، والذرات لا تتغير بالتحلل ، والذى يهم الصانع هو التصميم الذرى فقط ، **وهذا ما يعرفه الذى صممـه وخلقـه أول مرة** » ..

ثم أخذ يبين له من أمر نظـام هذا العالم الدقيق ما لا يمكن معـه الا أن يكون له خالق عظيم مدبـر يسيـر كل شىء بامـره ، وحسب مشيئته ، فهذه بذور النباتات توضع فى تربة واحده ، وتسقى بماء واحد، فيكون منها نبات مختلـف ، فبذرة العدس لا تنبت فولا ، وبذرة الفول لا تنبت عدسا ، وبذرة العدس لا تنتج شعيرا ، ولا الشعير ينتج قمحـا ، مصداقا لقوله تعالى :

(ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنـا بـه ثمرات مختلفـا ألوانها) (فاطر الآية ٢٧)

(هو الذى أنزل من السماء مـاء لكم منه شراب ومنه شجر فيـه تسيمـون . ينبت لكم بـه الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمـرات أن في ذلك لآيـة لقـوم يتفكرون) (النحل الآية ١٠ ، ١١) .

(وفى الأرض قطـع متجاورات وجنات من أعنـاب وزرع ونخيـل صنوان وغير صنوان يسقى بمـاء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلـك لآيات لقـوم يعقلون) (الرعد الآية : ٤) .

فاذا كانت البذرة التى توضع فـى التربة تقوم بكل هذه العمليات ، **أفلا يدفعنا ذلك الى تدبر ما فى أمرها ،** والا يكون ما فيها **من قدره عظيمـة** كما يتفق مع **اقـوال الكثيرين ممـن** على المقيام بهذه العمليـات المتكررة دليل على عظمة الخالق الذى اودعها قدرته ، **فلا تخطىء بذرة واحدة مـع** تكرار ملايين السنين ، **فتنتج بذرة** القمح عنبا ، **او شعيرا أو قمحا !!.**

.. **(ان فى ذلـك لآيه لقـوم يتفكرون)** النحل الآية : ١١ .

واقتنع صاحبه الذى كان يظـن اول الأمر ان الجسم المحترق تتلاشى اجزاؤه وعناصره ، فلا تكون لـه عودة ، **ولا يكون له من الموت بعث .**

وكان اقتناع هـذا اليابانى بصحـة عقيدة البعث **هو اقصى ما يطمع فيه** الدكتور عزام ، ولكن الله هيـأ على يديه خيرا حين طرق صاحبه بابـه على غير موعد ليقول له :

ـ لقد اسلمت .

ويردد الدكتور عزام **قول الله عز وجل :**

(فمن يرد الله أن يهديه يشـرح صدره للاسلام) الأنعام آية :١٢٥ .

وادع اليابانى المسلم لأتحدث عن ثانى الاثنين وهى الآنسة **(مونيكـا** تزفسكن) ، **والتى أصبح اسمها بعد** الاسلام (فاطمة تزفسكن) **، وهى** تشيكوسلوفاكية فى شرخ الشباب وغضاضة الاهاب .

وقـد **اجـرت احدى المجـلات الاسلامية مع الآنسة فاطمة مقابلـة** صحفية لخصت فى اجاباتها علـى **اسئلة المجلـة طريقـة معرفتهـا** بالاسلام .

وفى اجاباتها على هذه الأسئلة نعرف انها **قد توصلت الى معرفـة** الاسلام عن طريق الدراسة المقارنة

للفلسفات والديانات المختلفة ، ثم كان لاتصالها بالطلبة المسلمين الذين يدرسون في أوروبا تأثير ما فى تهيئة السبيل أمامها ، وان لم يكن هو كل الدافع اليها فى ذلك ، وهى تذكر هؤلاء المسلمين بصراحة فتقول :

« لم تكن انطباعاتى المبدئية ممتازة بحال من الأحوال ، وتعطل طريقى الى المعرفة كثيرا لان المسلمين الذين عرفتهم كانوا اما ينتمون الى الاتجاه القديم الذين يأبون معه اي جديد ، واما ممن كانوا لا يعرفون الاسلام على حقيقته ، وبالرغم من ذلك فقد كنت أعجب بمستواهم الخلقى المرتفع بصفة عامة » .

ثم هي تتحدث عما جذبها الى الاسلام فتقول « ان تعاليمه كانت تخاطب عقلها وفطرتها ، وان نظامه الاجتماعي السليم قد أثار انتباهها بما فيه من مساواة كاملة بين الأجناس ، ومن تلك الحرية التى يتيحها الاسلام لأهله ، والاعتراف بالحياة الدنيوية التى لم يحرم فيها الاسلام على معتنقيه ما أحل لهم من طيباتها ، والاجتهاد من طلب العلم الذى جعله الاسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وانه دعا الى طلبه والسعى فيه وتكبد المشاق فى تحصيله ، ثم المكانه الرفيعة للمرأة المسلمه التى حرص الاسلام على أن يكون لها دورها الفعال فى الحياة العامة ، تسهم فيه بقدر طاقتها واستعدادها مما يدفع عجلة الحياة الى الامام » .

وبالاضافة الى ما تحدثت به الآنسة فاطمه عن اسلامها ، تناولت ايضا بالحديث حال المسلمين ، والعمل على نشر الاسلام ، فكان مما قالته فى ذلك :

« ان أبسط وسيله يستطيع ان يستخدمها العامل أو الطالب المسلم هى أن يعطى مثالا طيبا ، وبالمظهر اللطيف والحسن المهذب المتسامح والمواظبة على تاديه الفرائض الدينيه يستطيع أن ينقل الى غير المسلمين المحيطين به صوره حسنه عن الاسلام » .

وأود هنا ان أقول تعقيبا على كلامها ان المسلم في ديار الغرب هو المرآة التى يرى فيها الغربيون الاسلام ، فان حرص على صقل نفسه رأى فيه الناس ما يحبون ، والا رأى فيه الناس صورة لا ترضيه ولا ترضى دينه ولا ترضى ربه .

أما عن امكانية انتشار الاسلام في الغرب فتقول الآنسة المسلمة :

« ان للاسلام الآن فرصة عظيمة فى العالم لأنه يتضمن جميع الصفات التى يطلبها دين عالمى ، ويستطيع أن يرضى المطالب الروحية والمادية لانسان هذا العصر » .

وهو قول يتفق مع قول برنارد شو : ان الاسلام هو دين المستقبل ، تجردوا من نزعات الاهواء والأغراض .

هو دين المستقبل باعتراف الغربيين ممن هم على غير دين الاسلام ، فضلا عن المسلمين المدفوعين بالعاطفة ، المنساقين وراء حبهم لدينهم واعزازهم له .

وهو دين المستقبل لانه دين الفطرة الذى جاء لخير البشرية جمعاء لا فرق بين أسودها وأبيضها .

وهو دين المستقبل لبساطته ووضوحه وتعاليمه التى لا يستغلق فهمها على أى انسان فى أى زمان ومكان .

يقول آلان مورهيد فى معرض

حديثه عن الاسلام فى افريقيا أواخر القرن التاسع عشر :

« كان الاسلام قد تغلغل فى أفريقيا الوسطى اذ ذاك ، واجتذب أبناء القبائل البدائية ، فقد كان بوسع ابسط العقول فهمه واداء فرائضه بسهولة ، ولم تكن تعاليمه عسيرة ، ولا طقوسه متسمة بالتكلف والمظاهر ، بل انها لم تكن تتطلب قساوسة وكنائس ، وانما كان بوسع الفرد أن يتعبد اينما شاء ، فى كوخ أو فى العراء ، وحيدا أو مع بقية القبيلة ..

وما أكثر ما حاول الاستعمار وحاولت الارساليات التبشيرية نشر المسيحية فى أفريقيا ، ولقد جاهدت فى ذلك جهاد المستميت ، وبذلت النفس والنفيس ، وأنفقت الطائل من المال ، وباءت من كل ذلك بالخسران المبين ، والفشل الذى ينضح بالمرارة فى مثل قول قائلهم عن جهد احدى الارساليات فى أفريقيا . وكانت النتيجة اننا لم نفلح فى تنصير فرد واحد » .

واليوم يمكن ان يقال : ان أفريقيا على وجه الاجمال قد أصبحت قارة مسلمة ، وما يمضى يوم بغير أن يحمل نبأ جديدا عن دخول الناس فى دين الله أفواجا : أغنياء وفقراء ، سادة ومسودين، حكاما ومحكومين.

وندع أفريقيا مولين وجهنا شطر أوروبا ، فنجد فى فرنسا على سبيل المثال ما يقرب من المليونين من المسلمين ، قليل منهم فرنسيون ، والكثرة الكثيرة منهم من العرب العاملين فى فرنسا، ونجد فى انجلترا مليونين وفى المانيا الغربية ثلاثة ملايين من شتى الأجناس يعملون فيها في شتى المرافق ، وهؤلاء جميعا خليقون بأن يكون لهم اثر ملحوظ فى نشر الاسلام فى تلك الاصقاع ، اذا كانوا قدوة حسنة لسواهم ، واذا كانوا مرآة صقيلة تعكس على صفحتها حسنات الاسلام ومزاياه ، فلا يقال اليوم ما قيل بالأمس : ان الاسلام محجوب بأهله . وأسوق دليلا على ذلك ما قاله جنرال (جوردون) المشهور فى تاريخ السودان السياسي :

« انني أحب المسلم ، فهو يخجل من ربه ، وحياته نقية طاهرة الى حد كبير » .

وما قال جوردون ما قال الا بعد ملاحظة ودراسة لسلوك المسلمين الذين عاشرهم وعرفهم عن كثب معرفة وثيقة ، فكانت منه تلك الشهادة .

وهى شهادة تعدل المئات من شهادات غيره ، لانه لم يكن من المفرطين فى دينه ، ولا المدبرين عن تعاليمه ، وانما كان من المعدودين فى عداد المتعصبين لعقيدتهم ، المتفانين فى الاخلاص لها ، حتى لقد قيل فيه أن الخلوة مع التوراة كانت هى هوايته الملحة طيلة حياته ..

فاذا جاءت شهادته فى الاسلام بعد ذلك على هذا النحو ، فهى الشهادة الجديرة بالتقدير والاعتبار .

وبعد : فالاسلام دين المستقبل ، والمستقبل لهذا الدين ، وما أشبه ذلك من العبارات والأقوال ، هى كلمات وعبارات قيلت بالأمس وتقال اليوم ، ويأتى وجه كل نهار بالدليل تلو الدليل على صدقها وصوابها ، وبطلان كل رأى يناهضها أو يحاول الانتقاص منها .

لقاء طيب مع السيد

عبد الله ابراهيم المفرج

وزير العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية

أجراه : الاستاذ بدر سليمان القصار

هذا هو شهر رمضان المبارك

شهر « الوجود الحقيقى » للمسلمين حيث نزل فيه القرآن المجيد .. مصدر حياة المسلمين ونبع سعادتهم وهدى سعيهم .. وطهارة نيتهم .. وقبلتهم الثابتة فى العقيدة والعبادة والتشريع والسلوك .

واذ نرسل تهانينا للاخوة المسلمين فى كل مكان بهذا الشهر الكريم .. نقدم لهم ـ عبر لقاء طيب مع السيد وزير العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية هذا الحديث الذى اجريناه مع السيدا لوزيروتناول جملة من القضايا والموضوعات التى تعالج أوضاع المسلمين وشؤونهم المختلفة ..

السيد الوزير

يسر مجلة (الوعي الاسلامي)أن تجري معكم هذا الحوار على صفحاتها حول عدد من القضاياالاسلامية ـ على المستوى المحلي ، وعلى المستوى العالمي .

ولئن صيغت هذه القضايا في شكلأسئلة ، فلكي تكون مفاتيح ومداخل الى الموضوعات التي يتطلع قراء(الوعي) الى معرفة وجهة نظركم فيها .

فأمتنا وهي تحاول أن تبني نفسهاوتنهض نهضة صحيحة انما تبتغي من يرسم لها خريطة السير من أجل أنتكون المسيرة سليمة الخطى واضحة الهدف .



● السيد وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية فى مكتبه بالوزارة .

ـ اغتبط المسلمون حين علموا أن مشروع موسوعة الفقه الاسلامي التابع للأوقاف والشؤون الاسلامية بوزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية ، قد استؤنف العمل فيه بتوجيهاتكم ... فهل تسمحون بإطلاع القراء على ما يزيدهم غبطة من أنباء هذا المشروع الحيوي المهم .؟

● لا شك أن استئناف العمل بمشروع الموسوعة الفقهية من أعز الآمال لدى المسلمين .. ونحن نؤمن بأن الشريعة الاسلامية فيها الغناء عما عداها من النظم والقوانين والتشريعات .. بل فيها أيضا اغناء لكافة النظم والقوانين . ولكن هذا لا يتحقق الا بتضافر الجهود وحشد الطاقات العلمية وقد بدأنا بحمد لله بالتشاور مع اخواننا في مختلف أنحاء العالم الاسلامى الذين يهمهم هذا الأمر وأخذت الردود تصل الينا تباعا ، وفيها من الايجابية والتشجيع ما يدعونا الى التفاؤل .

ولقد شرعنا فعلا فى دراسة ما وصل الينا ، وفى انتظار ما لم يصل حتى نخرج المخطط المتكامل للمشروع من حيث منهجه وعناصر العمل فيه وذلك من خلال تصور وجهد اسلامى مشترك لمثل هذا العمل الجليل الذى

يعتبر ابرازه واجبا اسلاميا سنبذل جهدنا في سبيل تحقيقه واخراجه بعون الله .

ـ التراث الاسلامي قد اقتحمته ـ عبر شتى العصور ـ سلبيات مختلفةالحجم والنوع كالأحاديث الموضوعة في السنة ـ وكالاسرائيليات ، وكالبدع والخرافات في العبادة والاعتقاد والذكر والسلوك .

فهل ترون تنقية هذا التراث وتقديمه من جديد فى ضوء معايير الكتاب والسنة .. وكيف يمكن أن يتم ذلك .؟

● نعم .. قد دخلت التراث الاسلامى سلبيات مختلفة ، كالاسرائيليات والخرافات ، والوزارة جادة ما وسعها العمل على تنقيته من كل ما يشوبه من هذا الدخيل .. ومن خطواتنا العملية في هذا السبيل :

١ ـ مشروع موسوعة الفقه الاسلامى .

٢ ـ طبع كتب التراث الاسلامى وتوزيعها على نطاق واسع .

٣ ـ شراء وتوزيع كثير من الكتب الاسلامية التى ألفها علماء معاصرون خالية من كل دخيل مدسوس ومهتمة بالقضايا الاسلامية الحاضرة .

٤ ـ مجلة الوعى الاسلامى نفسها : وهى رسالة حية للتعاليم الاسلامية الصحيحة تستهدف مناقشة كل ما ليس من الاسلام وابراز محاسن الدين وعرضها بأسلوب عصرى مناسب ، والرد على الاسئلة والفتاوى التى تعالج مشاكل الناس .

٥ ـ التوعية الدينية التى يقوم بها علماء من الائمة والوعاظ الذين يلقون الدروس اليومية الى جانب خطب الجمعة التى تعالج مشاكل المجتمع وتلقى الضوء على القضايا المعاصرة ، الى جانب المحاضرات في المناسبات المختلفة وكذلك اهتمام الوزارة بالاحتفال بالمناسبات الدينية واستخلاص العبر منها ، ومحاربة المفاهيم الخاطئة التى ورثها كثير من الناس عن الأجيال السابقة .

ـ في هذا الشهر المبارك نزل القرآن الكريم وقد وجد هذا الكتاب من عناية المسلمين ما لم يجده كتاب آخر .

وفى هذا العصر هل تستطيع الوزارة أن تواصل جهاد المسلمين فى خدمة كتاب الله جل شانه ، فمثلا : انشاء كلية خاصة على مستوى جامعي تتخصص في القرآن وتعنى بحفظه ودراسة علومه فى التفسير والتجويد والبيان .. الخ .

فالأمم الأخرى تعطي كتابها الأول بالنسبة لها أهمية تتناسب مع قيمته ، فهناك مثلا كليات لعلوم التوراة ـ وكليات انجيلية وكليات للنظريات الماركسية .

فهل يمكن انشاء (كلية القرآن الكريم) ؟.

● أن ما لدينا فى الوقت الحاضر من دراسات خاصة بالقرآن ومنها ما يعنى بتحفيظ وفهم معانيه الأولية (كدار القرآن الكريم) التى تتبع الوزارة ويقوم بالتدريس فيها علماء متخصصون .. وكذلك بعض الدراسات الخاصة بالقرآن الكريم فى بعض كليات جامعة الكويت فضلا عما سبق أن تخرج من الائمة الذين تلقوا دراسات طيبة عن القرآن وعلومه فى معهد الامامة والخطابة .. كل تلك لا أظنها تغنى عن انشاء كلية خاصة ، ولكنها تعتبر جهودا متواضعة ونواة لانشاء كلية على مستوى جامعى للدراسات القرآنية مع ايماننا أيضا بأن إفراد كلية خاصة للدراسات القرآنية لا تعنى تفريغ بقية الكليات الأخرى من الدراسات الاسلامية وانما لا بد أن ينشأ أجيالنا في مختلف الدراسات في ظل المبادىء



● السيد الوزير أثناء حديثه مع السيد بدر القصار رئيس التحرير .

المستمدة من تربيتهم وتثقيفهم بثقافة اسلامية سليمة .

ـ لقد يسر الله لكم أن تجمعوا بين أمر وزارة العدل وبين وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حتى تتاح الفرصة لتغطية نقص القوانين بتشريع اسلامي .

والآن تكاد الآراء تجمع على أن (ضعف القوانين) في البلاد هو أحد أكبر اسباب انتشار الجريمة وتفاقمها .

فهل ترون أن الالتزام في المحاكم بتشريع اسلامي رادع يؤدي الى الحد من الجريمة .. كما وكيفا . ؟

● دولة الكويت دولة اسلامية وهى ملتزمة بأحكام الدين الاسلامى فى عقيدتها وسلوكها ، والتشريع الاسلامى مصدر أساسي تأخذ منه أحكامها وفقا لدستورها .

ولقد أنهى مجلس الامة الكويتى هذا العام دورته بتوصية مؤكدة للحكومة بضرورة الاخذ بأحكام الاسلام



● لجنة مشكلة من علماء الوزارة لامتحـــان الأئمة والخطباء لمعرفة مستواهم الثقافى والعلمى

فى كافة التشريعات ، وهـــــذا بلا شك تأكيد لمدى تمسك أمتنا بدينها وايمانها بعقيدتها ، ولن ندخر وسعا فى وضع هذه التوصية موضـــــع التنفيذ بعون الله وتوفيقه .

علما بأننا على يقين تام بأن الالتزام بأحكام الدين وآدابه يحد من انتشار الجريمة بأشكالها المختلفة بل انـــه يضفى كثيرا من الفضائل على الامة التى وصفها البــــارىء جلت قدرته بقوله سبحانه : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .**

ـ كيف تنمى أموال الأوقاف وتستثمـر فى مجالات أكثر نفعا للاسلام والمسلمين . ؟

● أموال الأوقاف بنوعيها الأهلى والخيرى مرصودة للخير دائما وهـــى عنوان من عناوين البر والاحســـان والتعاون فى تاريخ الأمة الاسلامية ، ونحن نراعى فى تنميتها ســـــبل الاستثمار الشرعى ، وفى انفاقهـــا أوجه الصرف الشرعية بشتى أبوابها الرحبة كبناء المساجد مثلا ومعـــاهد التعليم وارسال البعوث لنشر الدعوة وتوزيع الكتب الاسلامية وانشاء بنك اسلامى للقروض الحسنة ومعـــونة المحتاجين من المسلمين ، ومعـــونة الجاليات الاسلامية فى البـــــلاد الاجنبية .

ـ فى الصراع القائم بين الاسلام وغيره من المذاهب والأديان يلاحـــظ أن وعـــاة المذاهب والأديان الأخرى مـــزودون بوسائل حديثـــــة لا يملكها دعاة الاسلام مما يجعل الصراع غـــير متكافىء فى مجال الوسائل فهل فى النية اعداد



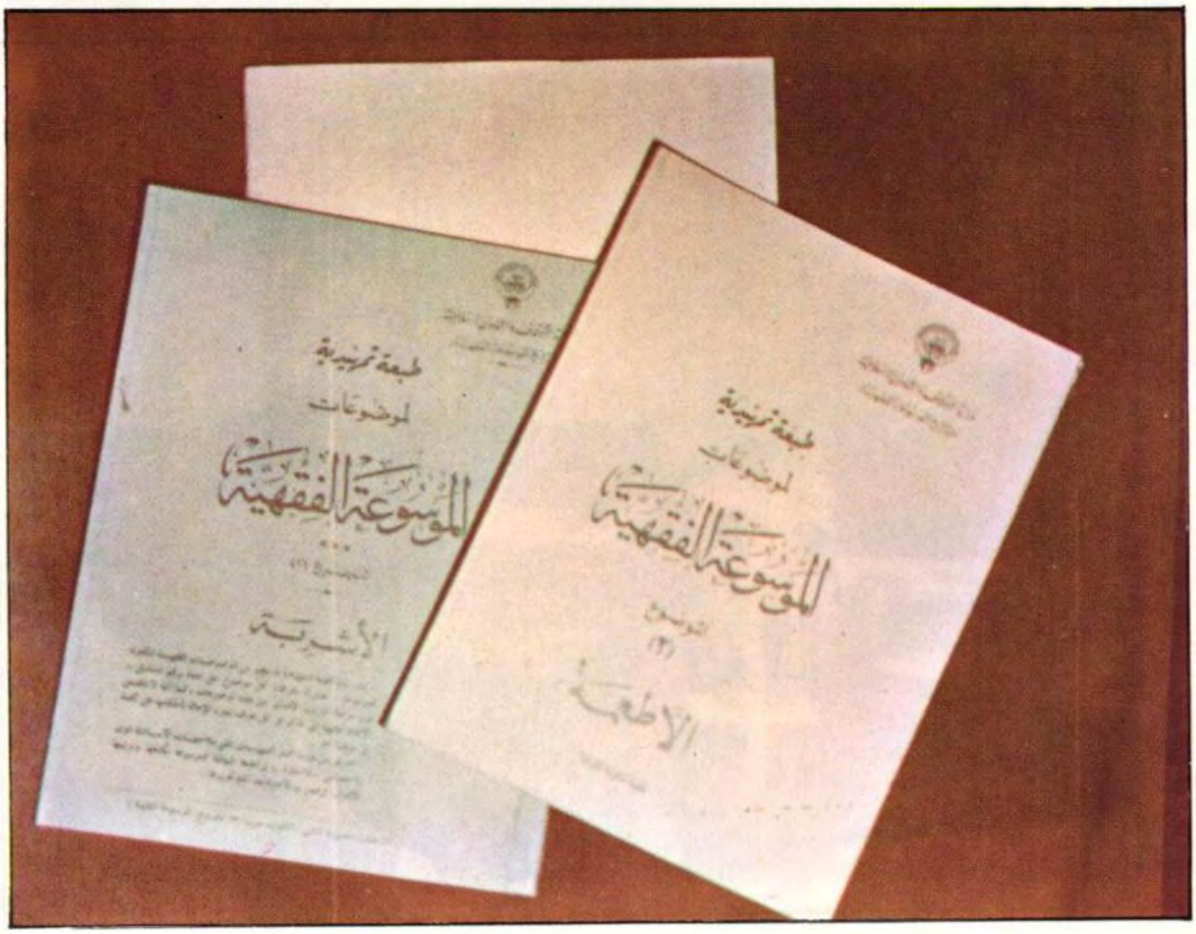
● أحد الأئمة أمام لجنة الامتحان .

دعاة اسلاميين مزودين بكل انواع المهارات والوسائل الحديثة فى الدعوة كاللغات ، وتقديم الخدمات الاجتماعية ، والصحية ، والاقتصادية ؟

● لا شك أن وسائل الدعوة بوجه عام تطورت بتطور العلوم والتقدم الحضارى، والدعاة الى الأديان الأخرى استفادوا من هذه الوسائل الى حد كبير لاعتبارات مختلفة من بينها أن دولهم هى التى كانت تزودهم بكل الامكانيات كطلائع للاستعمار وتثبت نفوذهم فى هذه البلاد .

والدعوة الاسلامية لم تكن لغرض من هذه الأغراض المذكورة ، فهى دعوة خالصة لله من اجل نشر العقيدة والآداب الدينية ، وكان يقوم بها الأفراد والجماعات بدافع دينى محض ، ولذلك لم يكن لديها من الامكانيات المادية والوسائل والأساليب الحديثة ما تلاحق أو تسابق به الدعوات الاخرى .

ونحن نؤمن بأن الدعوة الاسلامية ينبغى ان يوجه اليها اهتمام المسئولين فى كل بلاد العالم الاسلامى للوقوف أمام المد الالحادى والاستعمارى وأن تستعمل كل الوسائل الحديثة لتنشيط هذه الدعوة التى أخذت تنتشر بفضل الله ولأنها تتلاءم مع الفطرة الانسانية بشكل أذهل كثيرا من المناوئين لها وحيرهم فى أسباب ذلك مع كل ما يعانيه دعاتها من مشاق فى الوسائل والامكانيات ، ولذا فان توفر المناخ العالمى لنجاح هذا الدين مدعاة لمزيد



● بعض منشورات « الموسوعة الفقهية » في **الأطعمة والأشربة** .

من الجهد المنظم المشترك ، ولعل في ظاهرة المؤتمرات الاسلامية التي بدأت منذ فترة وجيزة ما يمنحنا من الأمل بأن تنتهي في برنامج أعمالها ومشاريعها الى تحقيق مثل هذه الغاية .

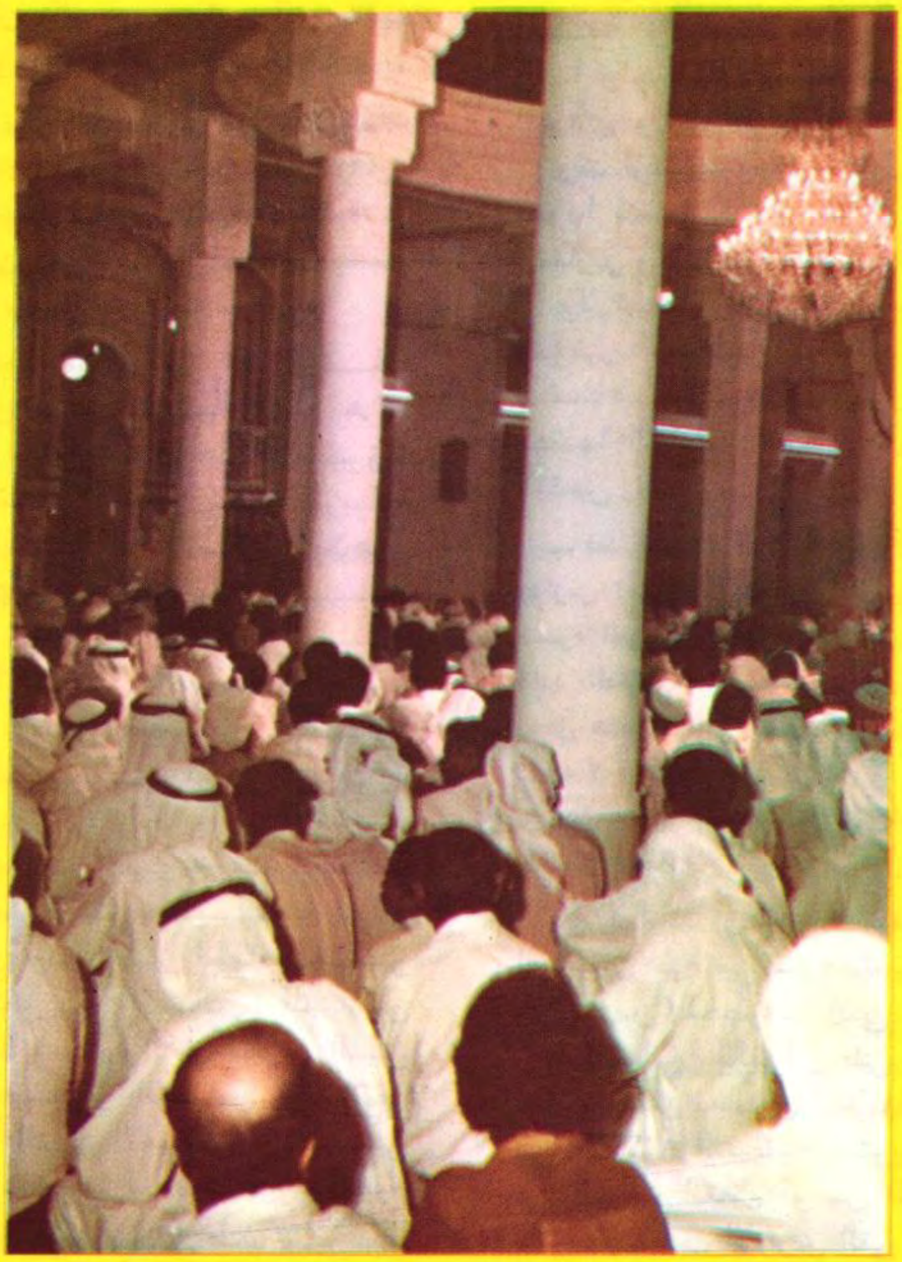
ـ ظاهرة الدخول في الاسلام تتوسع بشكل ملحوظ . في اليابان وأوربا وأمريكا وافريقيا . وثمة مثلان الاول : أن مئات اليابانيين دخلوا الاسلام بالجملة . والثاني : انه باسلام رئيس جمهورية الغابون السيد عمر بانجو أسلم معه ألوف من الغابونيين .

ودخول هذه الجموع في الاسلام ينشيء أوضاعا جديدة في حياتهم .. أوضاعا مليئة بالأسئلة والمواقف التي تحتاج الى هدى ديني. ألا تعتقدون أن ذلك يقتضي ابتعاث دعاء ممتازين لتثبيت المسلمين الجدد على اسلامهم ولحل مشكلاتهم الجديدة الناجمة عن مرحلة التحول والانتقال .؟

● المسلمون الجدد في مثل اليابان وجابون وغيرهما تجب رعايتهم ودوام الاتصال بهم لتثبيت قلوبهم على الايمان وتفهيمهم أحكام الدين وذلك عن طريق بعث الدعاة المتازين ان أمكن أو على الأقل ارسال الكتب الدينية المؤلفة باللغات التي يستطيعون القراءة بها أو دعوتهم وتعريفهم ببلادنا .

وأرى أن هذ هالمهمة مهمة الدول الاسلامية كلها ، وان من الخير أن تسهم كل دولة بما لديها من امكانية في تعزيز مكانة هؤلاء وعونهم وجمع شملهم وتنظيمهم .

كما انه لا بد ايضا من تخصيص



● مسجد السوق الكبير يغص بالمسلمين الذين يتوافدون لسماع المواعظ الدينية من علماء الوزارة في المناسبات الاسلامية .

منح دراسية من المعاهد والجامعات الاسلامية لبعض الطلاب الداخلين فى الاسلام حديثا ليعودوا بعد تعليمهم دعاة ومرشدين لاخوانهم فى بلادهم، واعتقد ان تأثيرهم سيكون اكبر لأنهم أدرى بقومهم وطرق علاج مشاكلهم .

ــ اول قرار اتخذه مؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية الذي انعقد عام ١٩٧٣ م نص على انشاء صندوق للدعوة الاسلامية .

فهل تكون هذا الصندوق وما هو حجم امواله .. وأوجه تصريفها ؟

● اتخذ مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م قراراً بانشاء هذا الصندوق، واثر انفضاض المؤتمر بسنة تقريبا ، انعقد مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور الذى انتهى بالموافقة على انشاء صندوق التضامن الاسلامى الذى أصبح الآن بفضل الله حقيقة واقعة شاركت الكويت فيه بتبرع مقداره مليون ونصف دولار فى بداية انشائه .

كما تبرعت الحكومة الكويتية مؤخرا بمبلغ قدره مليونا دولار للصندوق وذلك اثر انتهاء مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى السادس الذى عقد بجدة والذى تطرق الى موضوع صندوق التضامن الاسلامى ومناشدة الدول الاسلامية الى الاسهام فيه بما له من خير ونفع للعلم الاسلامى .

ومن ثم رؤى أن يكون هذا الصندوق بديلا أو تأكيدا للفكرة التى انتهى لها مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية خصوصا وان الهدف واحد تماما .

ــ الأقليات المسلمة أو الأكثريات المسلمة المضطهدة فى كثيرمن البلدان .. هلهناك جهاز ثابت للتعرف على احوالها وزيارتها على الطبيعة وتقديم العون لها فى ضوء دراسات ميدانية لمشكلاتها وأحوالها .؟

● لا شك اننا نتابع اخبار المسلمين فى العالم ، بالطرق المختلفة ، ولسنا بعيدين عنهم ، وهذا واجب كل مسلم على المستوى الفردى والجماعى .

وقد أرسلت بعض الدول الاسلامية وفودا لتقصي أخبار هؤلاء ، وقدمت التقارير واقترحت الحلول لمشاكلهم .

ولا شك أن الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى بمختلف أجهزتها ستساهم بمثل هذه الأمور التى يحتمها الواجب لتلافى مثل هذا النقص .

ــ لقد أحسنت الوزارة صنعا فى انشاء مدارس (مراكز) لتحفيظ القرآن الكريم خلال فترة الصيف . وبما أن القرآن الكريم هو المدد الدائم لحياة المسلمين فهل هناك اتجاه لجعل هذه المدارس تعمل على امتداد العالم كله ؟

وهل يمكن التنسيق مع الجهات التي تقوم بنفس المهمة ؟

● لا شك أن تجربة تحفيظ القرآن للراغبين فيه فى فترة الصيف هى خطوة من الخطوات التى تؤدى الى ربط المسلمين بالقرآن على مدى العام كله ، ونحن نعلم أن التلاميذ والطلاب فى الأجازة الصيفية الطويلة يعانون من الفراغ القاتل أو من الترفيه بالوسائل الأخرى التى يخشى أن تؤثر تأثيرا سيئا عليهم .

فكان من الحكمة أن نساعدهم على استغلال وقت فراغهم فيما يملأ نفوسهم ايمانا ونورا ويزيد عقولهم ثقافة وعلما .

ونظرا الى أنهم فى أثناء الدراسة مشغولون بعلومهم ولا يجدون الوقت الكافى لحفظ القرآن فاننا جعلنا هذه

الدراسة صيفية فقط ، مع العلم بأننا نقبل فى « دار القرآن الكريم » من يريد من الطلاب أن يحفظ القرآن فى غير فترة الدراسة فى المدرسة ، وذلك فى القسم المسائى المفتوح لكل الراغبين فى حفظ القرآن من الطلاب والعمال والموظفين وغيرهم مع اعطائهم مكافآت تشجعهم على مداومة الدراسة .

ونرجو أن نوفق للتنسيق بين عمل الوزارة والهيئات الأخرى فى تنظيم هذه الدراسات .

ـ لقد أفاء الله على الكويت بالمال ـ ولله الحمد ـ وهذه النعمة اقتضت الشكر المتمثل فى تقديم مساعدات للعالم الاسلامي ، سواء المساعدات المالية أو الثقافية .

فهل هناك سياسة لتعزيز هذه المعونات وزيادة حجمها بما يتناسب مع امكانيات الكويت ؟

● تنطلق الكويت فى تقديم عونها الى اخوانها المسلمين من ايمانها بواجبها فى معونة البلاد الاسلامية، وللمعونة سبل شتى منها ما يتم عن طريق بعض المؤسسات الكويتية



● أحد علماء الوزارة يلقى كلمته في وفود المسلمين أثناء الاحتفال بذكرى الاسراء والمعراج

كصندوق التنمية والهيئة العامة لمساعدات الخليج والجنوب العربى ولجنة المعونات الاسلامية بوزارة العدل .. الخ . ومنها ما يتم مباشرة بقرار من مجلس الوزراء الموقر .

وهى تقدم دائما من خلال هذا الاطار كما أنها تتطور بشكل جلى ونأمل أن تتطور فى حجمها وأنواعها ووسائلها بما يحقق من ورائها ما ننشده من توثيق للتعاون وترسيخ للتضامن ودعم لوحدة الاحساس والمشاعر وترجمة للمنهج المرسوم فى القرآن الكريم :

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

ــ تركز جزء كبير من الصراع فى العالم ــ فى اجهزة الاعلام كوسائل للتاثير وترويج الأفكار ، فما هو دور الاعلام الاسلامي في هذا المجال ــ



● « دار القرآن الكريم » من منجزات الوزارة

وكيف يمكن للتلفزيون والاذاعة والصحافة والمسرح أن تخدم قيم الاسلام فى هذا العصر ؟

● لا ينكر احد الدور الكبير الذى تقوم به أجهزة الاعلام المختلفة فى ترويج الأفكار والتأثير على العقائد والسلوك ومن ثم فلا بد من استغلال هذه الأجهزة كوسيلة للاعلام الاسلامى .

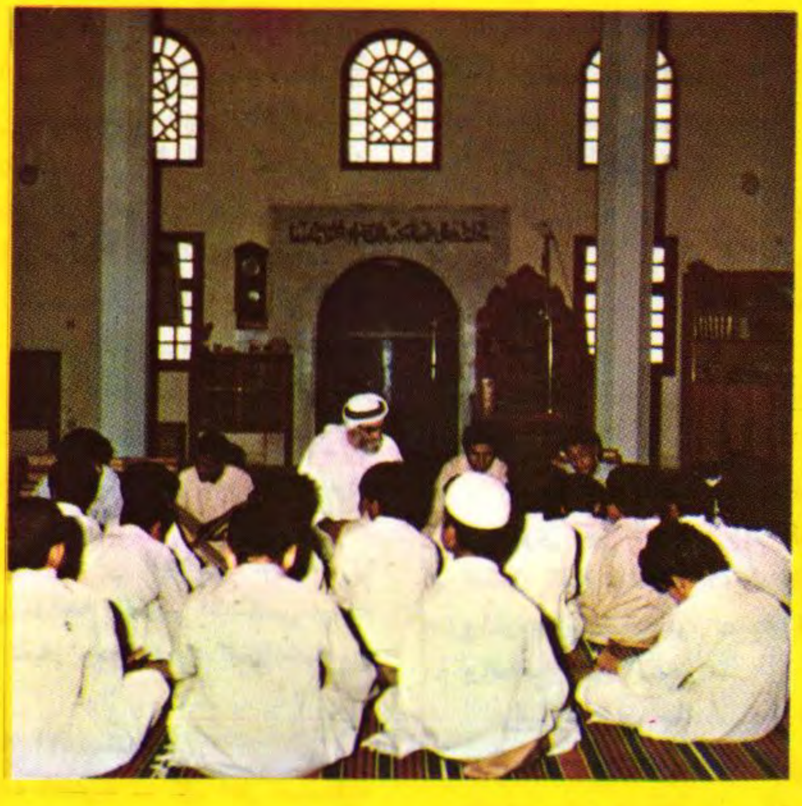
ففى مجال الصحافة لا بد من ترويج الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية ذات الاتجاه الاسلامى السليم وكذلك تمكين الدعاة ودعمهم للقيام بواجبهم فى التوعية الصحيحة وذلك بأن تخصص على الأقل برامج لهذه التوعية الدينية فى الاذاعة المسموعة والمرئية ، بل يجب أن تزاد هذه البرامج وتزود بالموضوعات القيمة والمتحدثين الواعين .

ولا يكفى هذا ، بل يجب ألا تكون هناك برامج مضادة تسير فى واد آخر غير الوادى الاسلامى ، اذ أننا بغير ذلك سوف نعيش فى تناقضات واضحة من خلال عمليات الهدم والبناء المتسلسل ومن ثم سنظل فى مكان لن نبرحه على أحسن الفروض .

ــ المفترض أن تتكامل أجهزة التربية والتوجيه فى مجتمع واحد ويتم التنسيق فيما بينها لكي ينشيء التوجيه الموحد مواطنا متحد الفكر والسلوك .

فما هو تصوركم لصيغة التنسيق بين دور وزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية وأدوار وزارة التربية ووزارة الاعلام ؟.

● اذكر أن وزارة التربية أقامت منذ أكثر من سنتين مؤتمرا للتعاون بين البيت والمدرسة ، وهذا المؤتمر صورة لما ينبغى أن تنتهجه اجهزة التوجيه وكل المؤثرات على سلوك الناس .



انشأت الوزارة مدارس (مراكز) لتحفيظ القرآن الكريم خلال فترة الصيف .

ووزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية حريصة على التعاون مع وزارة التربية ومع وزارة الاعلام ولقد بدأنا فعلا بتشكيل بعض لجان التنسيق المشتركة لتحقيق هذا الغرض مع الوزارات المعنية وسوف تنتهى هذه اللجان من تقديم تقاريرها التى على ضوئها سوف تنطلق ببعض الخطوات التنفيذية المشتركة فى هذا المجال من خلال دراسة واقعية موضوعية فى اطار القيم الاسلامية .

ـ المسجد فى المجتمع الاسلامي ادى دوره عندما توفرت له هذه الشروط ـ حرية الداعية والامام حتى يتمكن من أداء رسالته على أكمل وجه وأن يصدع بالحق فى عزة وقوة (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) .

ـ عمق ثقافة داعية المسجد

ـ تقواه لله واستقامته .

فهل توفرت هذه الشروط حتى يؤدي المسجد دوره فى المجتمع الراهن .. وذلك مع حسبان شرط جديد هو : تحسين مستوى الأئمة والوعاظ ماديا : فى الدخل ، السكن ، والرعاية الصحية ، توفير التعليم لأولادهم . أسوة بكثير من موظفي الدولة فى أكثر من جهاز ومرفق ؟

● لا ينكر أحد دور المساجد فى تقويم الأفكار وتهذيب السلوك ، والدعاة الى الله فى المساجد لهم كامل الحرية فى نقد الأفكار والسلوك المنحرف ، ما داموا ملتزمين منهج الاسلام فى قوله سبحانه : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)** .

ونحن نختار دعاة تتوفر فيهم

الثقافة الصحيحة ، مع التقوى والاستقامة ، ونتابع نشاطهم دائما بما يؤكد أننا ساهرون على مصلحة الدعوة ، بل ونعد لهم دورة ثقافية تنشيطية تعينهم على أداء واجبهم ، ونحن لا نبخل أبدا على الدعاة بما يرفع مستواهم المادى ، فقد اعددنا لهم مساكن مناسبة بأجور زهيدة ، ويسرنا لهم تعليم أولادهم ، وهم متمتعون بالرعاية الصحية وكل ما يساعدهم على الاستقرار والاستمرار فى اداء واجبهم على أتم الوجوه .

ـ وحدة المسلمين هي الحل الجذري للمشكلات التي تواجه العالم الاسلامي وثمة صيغ مطروحة لقيام وحدات أو اتحادات من نوع آخر :

أ ـ الصيغة الاقتصادية .

ب ـ الصيغة القارية ـ كل أهل قارة يتجمعون فى منظمة خاصة بهم .

جـ ـ الصيغة القومية أو التجمع على أساس قومي .

د ـ الصيغة الاسلامية العقائدية التي تجمع بين المسلم النيجيري والمسلم الكيني والمسلم الجزائري والمسلم المصري والمسلم الماليزي . فما هي أفضل الصيغ وانسبها فى تقديركم؟

● اعتقد ان الوحدة فى العقيدة التى تجمع بين المسلمين فى سائر أرجاء العالم هى خير وسيلة لقيام الوحدات الأخرى .

ذلك ان الاسلام دين متكامل ونظام شامل ، فاذا توحدت العقيدة توحد السلوك وتوحد النظام الاقتصادى الاسلامى ، الذى يأخذ صورا تتناسب مع البيئات والظروف مع المحافظة على الاخاء الاسلامى العام .

والأمة الاسلامية ليس لها حدود تفصلها عن بعضها ، والقارات كلها على اتساعها اذا ربطت بين المسلمين فيها وحدة العقيدة كانت كما يقول الحديث الشريف : « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء » .

قال تعالى : **(ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** .

وقال تعالى : **(انما المؤمنون اخوة)** .

وقال تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** .

ـ بما أن الدعوة تتطلب دعاة مهرة متفوقين بمستوى فهم الاسلام وفهم العصر ـ أفلا يمكن انشاء كلية جامعية لاعداد الدعاة والأئمة والموجهين ، ليغطوا حاجة الدعوة فى الكويت والخليج على الأقل .

وأن تخصص هذه الكلية (٥٠) منحة دراسية سنويا مثلا لأبناء شرق آسيا ، وافريقيا يتدربون عن طريقها على الدعوة ثم ينطلقون بالدعوة فى مجتمعاتهم .

فهل نقرون هذه الفكرة مبدئيا حتى تتاح الفرصة لطرح المشروعات التفصيلية لتنفيذها ؟

● لا شك أن هذه الفكرة يجب رعايتها ودراستها فى ظل التنسيق الثقافى القائم بين دولة الكويت ودول الخليج العربى الشقيقة فى اطار الاتفاقيات الثقافية المبرمة ، وهى بلا شك فكرة وجيهة وجديرة بأن تنال حقها من الدراسة والاهتمام لأننا على يقين من أن مثل هذه الفكرة تراود أذهان كافة الاخوان فى هذه المنطقة ونتمنى من الله أن نراها حقيقة واقعة ومنارة للاسلام على ساحل هذا الخليج .

ونتمنى في نهاية لقائنا مع السيد الوزير أن تتاح لنا فرص نجري فيها مثل هذه المقابلة مما يعود بالنفع على المسلمين .

تهنئة

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك،

يطيب لوزارة العدل،

والأوقاف والشؤون الإسلامية

أن تهنئ

المسلمين جميعاً في كل البلاد الإسلامية

بشهر الصوم

داعية أن يعيده الله على الأمة الإسلامية

وقد تحقق لها النصر على أعدائها



كلمة

لشهيد

للاستاذ : محمد الخضرى عبد الحميد

مثلما تنبعث فجأة فى أفق ساكن وادع : دقات بعيدة كانت واهنة خافتة ، فتدنو وتعلو ويصبح لها طنين وأزيز .. احدث اصداء تلك الكلمات تعلو تدريجا، ويستبين مدلولها ، فيصير كأنه قرع طبول ملحاحه ، يزداد على مر الوقت عنفا ، ويطرد دويا حادا .. كانت كلمات الشهيد (عروة) تنبعث وتعلو ، فتضطرب لها الآذان ، وترتجف لوقعها الرهيب الرنان — فى كافة انحاء (الطائف) — الفرائص والأبدان .. !

وشيئا فشيئا .. زحف الوجوم والكآبة ، يوشحان بظـــلالهما القاتمة الكالحة كل الهامات والقسمات .. وراح الناس فى تلك الرقعه المحصـــورة المنعزلة : يهيمون فى الدروب والطرقات .. ذاهلين ماخوذين .. وكلما التقت وجوه القوم بعضها بالبعض : تتسع الأحداق فى الأحداق ، وتتقلص الشـــفاه قبالة الشفاه .. وتصدر اصوات أنين داخلى ، لا يكون آلا حينما تمور الدخائل بمشاعر يأس كثيف هائل .. ثم يمضي كل الى حال سبيله ، ولا كلمات .. !!

كان اذ ذاك قد اخذ موقف المسلمين يزداد وضوحا .. هناك جند الحق ، لا يحفلون باى معرقل أو مثبط يثقون بالله ورســوله ، ويؤمنون بان النصر آخر الأمر لهم ، لأنهم طليعة الأمة التى هى خير امة اخرجت للناس ، .. اما فى (الطائف) فقد كانت كلمات الشهيد — بدورها — تزداد هى ايضا : جلاء واشراقا .. ومن ثم كان ذلك الهم الشامل ، واليأس الجماعى العـــارم ..

وهكذا راح البعض يتمتم فى كرب للبعض الآخر : « كان الشهيد عروة على حق .. وكلماته لم تكن ــ اذن ــ الا الصدق ، كل الصدق » .. !

لكن الشهيد الذى مات بايديهم ــ وهم اهله وعشيرته ــ قتلوه ، وها قد صدق مع ذلك حدسه ، وصح قوله .. فيا ليت السهام الدامية الأثيمة ، التى رموه بها عدوانا وظلما ، لمتنطلق من اقواسها ، و .. ولكن ما جدوى (ليت !) الآن ، و (عروة بن مسعود) قال قولته الخيرة الحكيمة ، فى آنها وحينها ، فلم يسمع لها احد ، وهيهات ان ينفع ندم بعد ارتكاب جرم كهذا ، هيهات .. !

تنصرم ساعات النهار ، ثقيلة بطيئة مقبضة .. وتعود الكلمات تجلجل وتدوى .. تقرع الآذان قرعا .. تصك بعنف تلك الأفئدة التى كانت غافية سكرى ، وها هى ذى ــ بالحسرة والأسى ــ تصحو ، فتدرك .. فتحار ماذا تفعل وبم تشير .. ! فقط تذهل ، وتجزع من سوء المآل وهول المصير .

ويتذاكر القوم ما كان من قبل ، وما انتهى اليه الحال اليوم ، بين التاوهات الحزينة ، وسعير كلمات التانيب ، وعبارات التملص والتنصل ، نتراشق بها ــ فى دوامات الهلع ــ كل فئة من الرجال تلتقى ، عرضا او بتدبير ، مع فئة اخرى .. !

.. وتدور حلقات الرجال والفتيان ، حول الدور وعلى نواصي الطرقات ، فى تطواف متتابع مذعور لا غاية محددة له .. فاذا اقتربت طائفة من اولئك الهائمين على وجوههم من مربض (اللات) ــ وثن الطائف ، آخر ما تبقى من

وتحت شجرة ذابلة جرداء .. يصرخ فتى بحماس فيمن تحلق حوله من بضعة نفر واجمين ، يسمعون صامتين :

ــ « وماذا بعد اللوم ، والتراشق بالتهم ؟! الا فالعمل العمل يا قوم .. لو ان (عروة) يحيا بين ظهرانينا ، لأشار عليكم بهذا الذى اقول .. الاسلام منتصر ايها الناس ، شئنا ذلك ــ نحن المناوئين له ــ ام لم نشا .. فلندع الضلال ، ولنهجر (اللات) الى رحاب الواحد الأحد ، الذى نصر محمدا ، واعزه ، ومكنه من الفوز والغلبة ، وآزره بالفتح المبين » .

كان خطيبا جريئا .. ! فعلى اية حال : لو ان مثله جرؤ ، فنطق بحرف مما قال قبل حصار المسلمين للطائف .. لكان مصيره ــ بالحتم ــ اشد سوءا من مصير شهيد ثقيف (عروة بن مسعود) .. فلقد كان (عروة) رجلا سليم الفطرة ، نقى السريرة ، واثقا من ان قومه على ضلال ، فاراد للقوم ولنفسه الهداية .. لحق بـ (محمد) اثناء انصرافه من حصار الطائف ، واعلن عنده اسلامه .. واعلن امام النبى انه راجع الى (الطائف) يدعو آله وعشيرته فيه الى الاسلام .. واشفق النبى عليه ، بما له من حصافة وبعد نظر ــ صلوات الله عليه ــ ونظر اليه باسما وهو يقول له : « انهم قاتلوك » .. ! ولكن الرجل على الرغم من ذلك ، ظل متوهما ان كافة الناس ، هناك فى الأهل والعشيرة ، بمثل قلبه الطيب ، وجبلته الصافية .. فاستبعد ان يحدث شيء من ذلك .. ومن ثم عاد يزف الى مستقبليه هناك : نبا اسلامه ، ويدلهم على ان الاسلام هو طريق الخلاص مما هم فيه يرسفون .. فهل اطاعوا واستجابوا ؟ كلا ، وانما الذى تحقق فى الواقع هو ــ تماما ــ ما توقعه (محمد) صلى الله عليه وسلم الخبير بنفسية البشر حينما يكون الضلال متغلغلا فيهم حتى الأعماق !

.. قاموا في وجهه قومة رجل واحد .. واخذوا ــ الأقرباء قبل الغــــرباء ــ يرمونه بالنبل ، حتى اصابه سهم نافذ ، فسقط مضرجا في دمائه ، ولم يرث احد للنهاية التى انتهى اليها ، بل وقف على راسه احد الشامتين فيه ، ويدعى (وهب بن جابر) يهتف بالشهيد ، ساخرا ، متشفيا : « ما ترى فى دمك » ؟! .. فيرمقه (عروة) باسما ، ويجيبه في سكينة وثبات ، وانفاسه تنسرب من اهابه الطاهر فى اعقاب الكلمات : « كرامة اكرمنى الله بها .. وشـــــهادة ساقها الله الي ، فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل ان يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم » .

— ● —

كان الرسول قد حاصر (الطائف) ، ثم فك الحصار الى ان تنتهى الأشهر الحرم .. لكن ثقيفا وكل بنى الطائف : ظنوا أنه النصر ! .. وان : لا حرب ! .. وان الفضـــل كل الفضل لحصـــونهم المنيعة ، ولبركات (اللات !) وثنهم الشهير ، وان الاسلام الذى نشر الوية نوره على كل الآفاق : (ربما !!) يكون عجز عن اقتحام بضعة حصون !!

سرعان ما تبخر الوهم الزائف .. وكانت الصحوة على الواقع الــكئيب المرير ! .. فان الاسلام ــ فى الحق ــ لا يبغى توسعا ، ولا يخوض الحرب من اجل الحرب ، ولهذا فالشرف والعقيدة هما ــ فى المعسكر الرائد ــ عدة الجند والقائد ، جميعا .. وهكذا رات ثقيف انها منعزلة عن جاراتها .. جزاء وفاقا لـ (سوء التقدير) الذى بنت عليه (استراتيجيتها) ! .. تنعم البــــلدان والأمصار بنور الاسلام يغمرها ويهديها وها هى ذى غارقة فى عار الوثنيـــــة وحدها .. ماذا تفعل وقد ضاقت حلقات العزلة عليها .. ؟ كسدت تجارتها ، وساد القحط والبوار فى ربوعها ، و .. وما العمل فى (نور الاسلام) هذا ، الذى لا يخفت مطلقا ولا يخبو،بل ينتشر ، ويستمر يضيء ، ويســــطع باطراد مذهل على كافة الأرجاء خارج حدودها .. ؟! لم يعد لهــــا بقاء ــ اذن ــ ولا وجود ، ما لم تثب الى رشدها ، فتبدأ تسعى الى ذلك المنهل وذاك الموئل .. والا فالمصير الرهيب ، لا محالة ، آت .. !!

— ● —

انحدرت الشمس نحو المغيب .. ومع توالى كر الساعات .. كـــانت الأفواه تردد كلمات شهيد ثقيف ــ عروة ــ الذى قضى سعيدا نشـــوان ، بموته على الحق ، والقوم ممن خلف وراءه (يحيون) حقا ، ولكن على ضلال .. فلعلهم أن يتدبروا ــ بعد ــ حسن مسلكه ، ثم لعلهم ان يحذوا حذوه .. هكذا كان قد أسلم لله روحه ،يردد والدم الزكى يحيط برأسه النبيل كالهالة الوضيئة : « كرامة اكرمنى الله بها .. وشهادة ساقها الله الي » .

ولم تكد تغيب شمس ذلك اليوم .. حتى كانت الأصداء المدوية قد تكشفت ضجيجا هائلا افزع زعماء ثقيف ، ودفعهم دفعا الى عقد ندوة سريعة ، لعلها ان تسفر عن رأى صائب موحد يجدون به مخرجا . ووسط العيون الشاخصة ، والآذان المرهفة المتوترة ، وبين لفح الأنفاس التى تتردد بصعوبة فى الصدور المكروبة .. تكلم الزعماء من أمثال (عمرو بن امية) و (عبد يا ليل بن عمرو)

وبعد نقاش وجدل ، اتفق المؤتمرون فى النهاية ــ وبالاجماع ــ على راى .

— • —

فى المدينة كان (محمد) عليه الصلاة والسلام يتدارس ، مع صحابته البررة ، احوال وشئون مجتمعه الظافر الجديد .. يتحدث آنا مع (بلال) وآنا مع (ابى بكر) او المغيرة بن شعبة .. يتكلمون فى الصوم ، وفضل الشهر الكريم ، فقد كان الوقت رمضان ، السنة التاسعة للهجرة ، ثم تعرض سيرة شهيد الايمان (عروة بن مسعود) ، فيبتسم النبى العظيم اعجابا وترحما وهو يقول : « ان مثله فى قومه ، كمثل صاحب ياسين فى قومه » .. ولا يبدو من خلال ما يدور من احاديث شتى ، ما ينم عن ان (ثقيفا) بموقفها العجيب هناك فى الطائف ، راضية بالعزلة والبقاء على الشرك ، تشكل امرا ذا خطر .. ان هى الا وثبة مؤمنة خاطفة وينتهى امرها ، ذلك اذا ظلت تصر على المضي قدما فى عنادها وضلالها .

ويستأذن ابو بكر خارجا .. ولكن ما تكاد اطراف الحديث تعود لتلتئم مرة اخرى .. حتى يندفع (ابو بكر) عائدا .. يمرق داخلا والبشر يطفح من قسمات وجهه السمح الوسيم وعلى الفور ينبىء محمدا صلى الله عليه وسلم ، ان هناك على الأبواب : وفدا جاء ضيفا عليه .. على راس الوفد (عبد ياليل بن عمرو) الذى طلب مباشرة سرعة المثول بين يديه .

— • —

ويلمح النبى من بين رجال الوفد المقبل : رجلا من الاحلاف ، وثلاثة من بنى مالك .. فيطرق باسما وقد ادرك ما وراء هذا (التشكيل) من معان ! .. لم يرد اى منهم ان ينفرد ــ هذه المرة ــ بالأمر ، حتى لا يلقى مصير (عروة) ، الذى أعلن فيهم كلمة الحق لولا انه كان وحده .

الذين يحيون فى ضلال ، ويظلون فى غيهم سادرين .. يخيل اليهم ــ طالما لم تتفتح للايمان الحقيقى قلوبهم ــ ان الحياة المثلى هى حياتهم .. وحتى اذا اضطروا ، لسبب ما ، الى تغيير نمط تلك الحياة .. فان بقايا الضلال : تفسد عليهم متعة الهداية .. ما لم يتم الله نعمته عليهم ، وتذوب تلك البقايا المترسبة فى افئدتهم .. وعندئذ ما اسرع ان تزكوا نفوسهم ، وتزهر اعماقهم ، وتصير كالتربة الخصيبة الطيبة ، التى تعطى الثمر يانعا ، جنيا .. فهــا هم اولاء (الضيوف) الذين جاءوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان .. يعلنون اسلامهم فى شهر العبادة والايمان .. ولا يكاد (الحوار) يدور ، فيما يتلو اشهار الاسلام من تفاصيل ، حتى يعودوا ــ بحــافز من تلك الرواسب المتبقية هناك فى قيعان الجوانح ــ يشفقون على مصير الوثن المسكين الذى كانوا يعبدونه ، والمسمى بـ (اللات) !

.. سالوا الرسول ان كان يمكن ان يترك لهم (اللات) سنتين ؟ سنة ؟ شهرا ؟ .. ولكن الرسول ــ فى حســم حازم ــ يرفض ، ويابى .. فنزلوا عند حكم الاسلام .. « لا اله الا الله ، وحده ، لا شريك له » . و .. ولكنهم ــ كذلك ــ ما ان تلقوا تعاليم الصلاة والصوم ، وشرعوا فى ادائها .. حتى دهشوا ــ هم انفسهم ــ مما حدث لهم .. ! لقد صفت ارواحهم ، فســمت

الشعائر بهم .. اذن لقد أراد الله ــ أخيرا ــ أن يتم نعمته عليهم .. اذ ها هي ذي بقايا أدران الجهالة والضلالة تنقشع وتتبخر تماما من قلوبهم .. واذا بهم احرص من كثيرين من المسلمين على الاستمساك بدينهم الأسمى ، الذى افاء الله به عليهم .

ويجيء (بلال) اليهم بطعام الافطار ، الذى ارسله النبى اليهم ، فاذا هم مشغولون عنه بالصلاة والتسبيح والتهجد ، لا يمدون الى الطعام يدا ! .. ويدهش بلال وهو يسمعهم يقولون : « ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد » ! .. فيطمئنهم مؤكدا : : « ما جئتكم حتى اكل رسول الله ، عليه الصلاة والسلام » .. ويلتقم من الجفنة لقيمات ، كى يقتدوا به ، ويتاكدوا ! .. كذلك فى السحور .. يقبل عليهم (بلال) والطعام معه .. فيرى الضيوف المدهشين لا يابهون لطعام ولا يحفلون به ، وانما ببساطة وفى زهد صادق يقولون : « انا لنرى الفجر قد طلع » ! .. لولا ان يطمئنهم بلال ، وقد ازدادت دهشته من اولئك الضيوف الذين خالطت بشاشة الايمان قلوبهم .. الذين جاءوا الى الرحاب المؤمن .. ضالين تائهين ، فاذا هم ــ وقد مس الايمان الصادق وجدانهم ــ يمسون من تقاة الزاهدين .. يطمئنهم بلال وهو يعود الى التوكيد بأن الوقت لم يفت بعد ، ويلح عليهم فى تناول طعام السحور الحاحا .. !!

— • —

آن للوفد ان يعو د... سعيدا بما انار الله به حناياهم من نور الايمان .. مفعم القلوب عرفانا للنبى الكريم وشكرا .. فلكم كان معهم كريما بارا ، ولكم اعطاهم من فيض رحابه الطهور جودا وسماحة ، وعزة وهدى ، و (امثلة سلوكية) تبهر الأعين وتخلب الألباب ، وتنجذب المهج والأرواح الى مراقيها الفارهة الشاهقة ، انجذابا .. !

عاد الوفد وقد زاد اثنان فى الاياب .. « ابو سفيان بن حرب » و « المغيرة بن شعبة » ، مندوبين عن نبى الهدى والرفعة ، لهدم آخر وثن بقى من أوثان الكفر والجهل .

وفى ذلك اليوم الرائع الخالد من ايام رمضان ، بينما كان المغيرة يردد بملء الفم كلمات الشهيد العزيز ، وهو فى قمة السعادة بمهمته .. « كرامة أكرمنى الله بها » ، وذراعاه ترتفعان تهويا بكل العزم القوى على الوثن الاخير .. نظرت عيناه وهما تدوران متفرستين ، فى وجوه واسارير القوم من حوله ، لعل احدا ــ كما حدث قبلا ــ يثير اعتراضا او يبدى استياء .. لكن كل الاسارير المتهللة ، والحناجر المتاهبة حماسا وغبطة ، كانت تلتف حوله ، تهتف عاليا وباقصى ما اوتيت من طاقة : « الله اكبر .. الله اكبر » .

— • —

مع آيات الله الكونية

مصابيح السماء

للاستاذ محمود محمد صدقي

بسم الله الرحمن الرحيم

ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين

سورة الملك آية ٥

مقدمة

اذا كان علم الفلك يفخر بانجازاته الضخمة في مجال الكون المنظور بفضل الامكانيات العلمية العظيمة مثل المراصد الكبرى ومراصد اللاسلكي التي خاضت في غمار الكون واكتشفت الكثير من خباياه . فأن الآية الكريمة التي صدرنا بهذا المقال والتي سندرس بعض غرائبها وحقائقها هي بحق احدى آيات السماء التي تظل اعناقهم لها خاضعين بتوافقها العجيب بين الواقع الكوني والحق القرآني ... الا ان ذلك التوافق ليس كل شيء بل هو قشور دون اللباب وهو الأرض الصلبة التي يمكن للعقل الأنساني أن يرتقي عليها ليفسر من آياتها عجبا وليجلى من دررها وجواهرها .... فان اكتشافات علم الفلك الحديث ترتكز على آلية الكون ولذلك كانت دراسات علم الفلك ترتكز على الآلية او المادية كذلك وجعلت من علم الفلك احاجي ومعضلات رياضية . ولذلك كان الكون العظيم في نظر اكابر رجالات الفلك كالعجلة الدوارة الهائمة في الفضاء الذي لا غور له بلا غاية لان تلك الأجرام السماوية في اهواء دائم . ولذلك صدرت جميع النظريات الفلكية والأبحاث الرياضية الفلكية وهي تنظر الى الكون على انه مجرد أجرام او كرات من نيران تدور حول بعضها البعض آليا ... وانه معرض لقوانين ازلية ثابتة لا تتغير تعمل دون وعي أو ارادة موجهة وتدفع بهذه الكرات السماوية دفعا بلا غاية .. فلا حكمة في هذا الكون ولا ابداع يجعل منه كما جميلا يدل على المشيئة والغاية كما أن انسان هذه الارض هوفلتة من فلتات الطبيعة العمياء . وما اجرام هذا الوجود الا خراب يباب !

ولكن تلك الكشوف العلمية المتلاحقة ستمدنا بالدليل الواضح على أن العلم المادي ما هو الا شطحات في الظلام .. ولكنه في الطريق الى غاية لا مرد لها . فقد كشف ان الكون يتدرج ويتزايد ويتعاظم بقواه .. بل ويتسامى ويرتقي في مواقعه

ووجهته وما دام قد ظهر له الكون على هذه الصورة وانه وجود متدرج في الارتقاءات والمقامات فقد حق عليه القول بأن وراء هذا النظام كله قوة الهيةحكيمة تأخذ بناصيته وتدفعه لمستقر له لا يحيد عنه ولا يميد .. وان نظام الارتقاء الذي قد رآه العلم الحديث هو القانون العلوي الذي جمع أشتات هذه العوالم في معراجه ووحدته . واذا يحكم الله آياته ويقول **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)** (فصلت /٥٣) ولا نذهب بك بعيداً فنقول بأن اعجاز تلك الآية الكريمة لا يقدر الا بتلك الندوات والمؤتمرات العلمية الكبرى لتجعل لذلك الكتاب الالهي هيمنته العالمية وحجيته في الخافقين .. وتبشر هذه الآية بعلم باهر ومستقبل زاهر لو كانوا يعلمون .. ولذلك قد وجبت تعبائات عالمية لتوفي حقائق هذه الآية ولا نهاية . ..

ها انت أيها الانسان ترى الشمس سراجا وهاجا يشع بأسطع الأضواء على أرضنا الصغير .. فكانت تلك الأشعة الشمسية قوام الحياة على سطح هذا الكوكب . وتضيء الشمس لعوالم عديدة .. منها تسعة كواكب و ٣١ قمرا سيارا و ٣٠٠٠٠ كويكبا ومايزيد عن ١٠٠٠٠٠ مذنبا .. وتكون جميع هذه الأجرام النظام الشمسي . وبذلك تكون الشمس السراج الوهاج الذي يضيء باشعاعاته عبر الفضاء الى تلك العوالم المنبثة في فيافي الفضاء والسابحات دأبا حول الأم وهي الشمس .. ولولاها لكانت هذه العوالم خرابا أو عدما محضا ..

واذا تأملنا فيلفظ مصابيح لتكشفت لنا حقائق باهرات .. فلقد قالت الآية بأن النجوم المنبثة في أغوار هذا الفضاء هي شمس عظيمة تضيء لبلايين البلايين من الكواكب والسيارات .. فهي تحاكي الشمس السراج الوهاج .. وتشع بضيائها على تلك الأجرام السماوية الدائرات حولها .. واذا كان العلم لم يستطع اكتشاف مثل هذه الكواكب البعيدة عن نظامنا الشمسي .. فانه من معنى الآية تتكشف لنا ومضات عن تلك الأجرام النيرات .. بل ولا بد ان تكون أبهى نورا وسناء عن كواكب الشمس ، كما انها تعالتبعضها فوق بعض درجات تبعا لمراكزها الشمسية .. .. وليس ذلك فحسب بل ان تلك الأجرام ــ قياسا على كواكب المجموعة الشمسية تدور حول شموسها لتتلقى منها النور والحرارة والحياة .. .

ولذا قد احتسبوا عدد الشموس الفرادى التي تماثل شمسنا في نظام المجرة حوالي خمسة عشر الف مليون شمسا .. وان كانت الشموس التي تدور حول مركزالمجرة تقدر بـ ١٠٠٠٠٠ مليون شمسا أو نجما .. واما المجاميع الشمسية التي تحاكي مجموعتنا الشمسية وتوجد في ألوف المجرات الاخرى فيقدر ما عرف منها بحوالي مائتي الف مليون مجموعة شمسية . وما خفي كان اعظم .

واذا تأملنا في الآيات الكريمة مرة اخرى لتبين لنا من لفظ مصابيح أن هناك نجوما ثانوية تتلقى منها النور والضوء .. وليس ذلك فحسب بل أن تلكم المصابيح السماوية تزين السماء الدنيا بأضوائها الساطعة ..

اذ أن السماء بحر أثيري تكتنفه الظلمات من كل حدب وصوب ..
واذا تأملنا في لفظ مصابيح مرة اخرى فسنعرف أن مصابيح هي جمع تكسير . اي أنها شموس أو نجوم متماثلة ومتشابهة في خصائصها وطبائعها لأنها من صل نجمي واحد لا يتعدد .. اذ لو كانت هذه المصابيح ناشئة من العدم لاختلفت ولتنافرت ولانعدمت بينها الوحدة الكونية وما صح أن يطلق عليها لفظ « مصابيح » .. بل هي بالاحرى اجرام منعدمة الصلة بين بعضها البعض وانعدمت بينها سمات التشابه والتماثل حتى ولو كان الصانع واحدا وتقول جميع النظريات الفلكية الحديثة بنشوء مجرات الكون من العدم البحت وتخلقها بالغاز الكوني المنتشر لانهائها في أعماق هذا الفضاء اللانهائي .

المصابيح في رحاب المجرة

اننا لجد نجوما كالضباب تتراءى لنا في السماء ليلا .. وكأنها تكون حزاما سماويا هائلا يخترق السماء منشمالها الغربيالى جنوبها الشرقي ولكن ذلك الضباب سرعان ما يتحلل بأعظم المراصد الى نجوم كبرى تزين السماء بأضوائها البهية ... وهي « مصابيح » وهاجة تضيء لبلايين الكواكب والسيارات التي تكاثرت كثرة فائقة بمجال المجرة العظيم . ولا شك أن المجرة لها نواتها أو شمسها العظمى .. ولكننا لانستطيع أن نراها لاكتناف السدم الظلمانية اياها .. ولكن تدور النجوم حول ذلك المركز فنستشف الكثير من اسراره لأنها تدل عليه وتجعلنا نقدر له قدره .. فها هي بلايين النجوم قد اتخذت لها طرائق حول ذلك المركز .. ويدور كل منها حوله دورنه الكونية في ملايين السنين . فهل انحرف أيها عن مساره .؟ كلا ذلك لأن هناك نظاما يأخذ بمجامع القلوب وينسق ما بين اشتات البلايين من النجوم في دقة بالغة ووحدة لا تنفصم ــ كدولاب واحد يجمع في نطاقه كل هاتيك الأجرام .. وقبلما نضرب لك أمثلة من « مصابيح » المجرة سنبين لك حقائق عامة عن هذه المصابيح أو النجوم ..

ان النجوم تتخذ لها الوانا بهية في السماء فبعضها زرقاء وهي النجوم العملاقة التي تشتد درجات حرارتها الباطنة الى ٥٠ مليون درجة مئوية .. وبعضها يكون أحمرا وهي النجوم الحمراء العملاقة المنخفضة الحرارة وان كانت النجم منها تشع من الحرارة قدر ما تشعه الشمس آلاف المرات .. وبعضهانجوم صفراء وهي النجوم المتوسطة مثل الشمس وبعضها يتخذ اللون الأبيض وهي النجوم القزمة مثل النجم قنطورس واذا كانت الشمس قد قدرت قدرتها الشمعية أو (طاقتها الضوئية) بـ ٣ مسبوقة بـ ٢٧ صفرا ــ الا انها اتخذت وحدة لقياس اضواء ولمعان النجوم الاخرى .. وسنضرب لك فيما يلي بعض الأمثلة من نجوم المجرة لتكون نماذج « لمصابيح » المجرة بصفة عامة .

فهناك الشموس الفرادى في نظام التتابع الرئيسي وتبلغ ٢٠ مليون شمسا . .وان كانت المجرة لا تخلو من الوف الملايين من الشموس في نظمها النجومية الاخرى .. فتدور الشمس مع مثيلات لها حول مركز

أعظم منها .. ويطلق على مدة دوران الشمس حول مركزها السنة الشمسية .. كما أن مثل هذا المركز قد يدور مع نجوم اخرى مماثلة له في الرتبة حول نجم آخر أعظم وأبهر .. وبالتالي يدور مثل هذا النجم مع رفيقات له حول مركز أعلى .. وهكذا الى ان يحل العجز بمخيلتنا ..
وهناك ما لا يقل عن ٧٠ مليون نجما اسمها الحشود التابعة .. والوان نجومها العملاقة هي الألوان البيضاء .. وتقل فيها درجة الحرارة الى مدى عظيم . ولقد اكتشفوا هذا العام حقلا نجميا بواسطة معهد التكنولوجيا في كاليفورنيا .. اذ وجد أن هذا الحقل يبعد عن الشمس ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية وقالوا أن سحابة هذا الحقل تتكون من الغبار الكوني ومن غاز يسمى و ٣ . ولكن هناك نجم ضخم يهيمن على هذه السحابة قد يبلغ حجمه قدر المجموعة الشمسية كلها أو يزيد ويشع اشعاعات اقوى من اشعة الشمس ٣٠٠٠٠ مرة .. ومع ذلك فان درجة حرارة هذا النجم لا تزيد عن ١٧٠ درجة فهرنهيت . فهي قليلة جدا بالنسبة لدرجة حرارة سطح الشمس البالغة ٦٠٠٠ درجة مئوية ومن النجوم المزدوجة في المجرة نجم الشعري اليمانية وهو يبعد عن الأرض ٩ سنوات ضوئية ويفوق الشمس ٢٧ مرة في لمعانه . وقالوا ان نجم الشعري هو ألمع نجوم كوكبة الكلب الأكبر .. ويدور معنجم الشعري رفيق له خافت الضوء للغاية وتقل قدرته الشمعية عن قدرة الشمس ٤٠٠ مرة .. وقالوا ان درجة حرارة سطح الشعري تبلغ ١٠٠٠٠ كما تبلغ سرعته الاشعاعية ٥ كيلو في الثانية .. وقدرت كتلته بـ ٢٥٠٠٠٠ مرة قدر وزن الأرض وما دام نجم الشعري هو أبزغ النجوم التي ترى بالعين المجردة فانه يدل في نفس الوقت على ما فوقه من نجوم أكثر لمعانا وضوءا وتتخذ لها مواقع في سلم المجرة وهكذا تتجلى آيات من الآية الكريمة **« وأنه هو رب الشعري »** (النجم / ٤٩) ولنتأمل نجما آخر هو نجم ب الكلب الأكبر .. واطلقوا عليه رائد الشعري ولكنه يفوقه لمعانا الى درجة كبيرة اذ يقدر لمعانه بـ ٢٠٠٠ شمسا ويبعد هذا النجم عن الأرض بـ ٣٦٢ سنة ضوئية ..
وهناك نجم القرينة الذي يفوق الشمس لمعانا بـ ١٥٠٠ شمسا ويبعد عنا ١٠٠ سنة ضوئية .
ونجم الفرس الأعظم (ب) الذي يقدر قطره بقطر الشمس ١٦٢ مرة ويفوق الشمس لمعانا بـ ٦٠٠ مرة. وهناك النجم ب قنطورس الذي يفوق ضوءه ضوء الشمس ٣٠٠٠ مرة . وهناك نجم الذئب الذي يبعد عنا ٣٨٠ سنة ضوئية ويفوق ضوءه ضوء الشمس ١٠٠٠ مرة . وهناك السماك الأعزل الذي يقع في كوكبه العذراء ويبعد عنا ٢٣٠ سنة ويفوق ضوءه ضوء الشمس ١٥٠٠ مرة والنجم ألف الصليب في كوكبة (١) الصليب ويبعد عنا ٢٥٠ سنةضوئية ويفوق ضوءه ضوء الشمس ١٦٠٠ والنجم منكب الجوزاء الذي يبعد عنا ٥٠٠ سنة ضوئية ويفوق ضوءه ضوء الشمس ١٨٠٠ شمسا .والنجم رجل الجبار يفوق ضوءه ضوء الشمس ٤٠٠٠ شمسا ويبعد عنا

٨٠٠ سنة ضوئية ..

ومن الحشود الكريمة حشد هركيوليز وهو من أضوأ هذه الحشود ويبدو للعين المجردة كأنه كرة من نور ساطع .. ولكن اذا حل بأكبر المراصد فأن نجومه الزرقاء والحمراء العملاقة ستبدو على مسافات سحيقة بين بعضها البعض وتقدر بـ ٥ سنوات ضوئية – وهناك الحشد الكرى سنتوري به ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ نجما عملاقا ذو أضواء ساطعة .

وقد شبهوا الحشود الكرية كأنها عقود من الدر وهي تزين جيد المجرة حول مركزها العظيم المختفي عن الانظار ..

في رحاب الكون العظيم المجرادت

اذا تأملنا في لفظ « مصابيح » مرة اخر ىفاننا سنجد اللفظ يعني المصابيح الأسطع أو شموس المجرات الكبرى – أي مراكزها – وهي الأصول التكوينية لبلايين البلايين من النجوم الجزئية والكواكب والسيارات التي قد تملأ المجرات عامة ... ولا يعني اللفظ بطبيعة الحال تلك النجوم التابعة والا تساوت الكليات مع الجزئيات في الميزان الكوني .. وليس هذا من العدل الالهي في شيء .. وانما خص بالذكر تلك المصابيح الأسطع لأنها هي الأعظم شأنا والأعلى موقعا ومقاما وأكثر اثرا وخيرا في المجالات المجرية .. وسنضرب لك بعض أمثلة عن المجرات التي انتشرت في الكون بكثرة بالغة .

فمن المجرات الجميلة في السماء سحابتا مجلان الكبرى والصغرى وهما من المجرات غير المنتظمة الشكل وتظهران في السماء كسحائب مضيئة وكنقط منعزلة في الطريق اللبني لمجرتنا درب التبانة .. ويبلغ قطر السحابة الاولى حوالى ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية وتبعدان عن الأرض بحوالي ٤٣٢٠٠٠ سنة ضوئية . والسحابتان مستديرتان بوجه عام .. وتتزاحم الحشود النجومية الفائقة اللمعان بالنسبة لمركز السحابة الأولى وهو فائق اللمعان وتتزاحم هذه الحشود بالقرب منه . ونحن يمكننا دراسة نجوم السحابة الكبرى أكثر مما يمكن دراسته في أي مجرة اخرى .. ومن هذه الحشود توجد النجوم العمالقة الزرقاء والحمراء ، وتتلألأ هذه النجوم بألوان براقة وساطعة .. كما توجد بالسحابتين سدائم مضيئة وتجري المجرتان بسرعة ١٥٠٠ ميلا في الثانية ضمن مجموعة المجرات المحلية ..

ومن المجرات الجميلة في السماء المجرة ق·ح·ح· ٤٥٩٤ وهي من أضوأ مجرات السماء وأكثرها التماعا .. وتحتوي هذه المجرة على ما ينوف عن ١٠٠٠ تجمع كري .. ويحتوي كل تجمع على ما لا يقل عن مليون نجما وتتباعد هذه المجرة عن مجموعة المجرات المحلية بسرعة ٨٠٠٠ كيلو / ثانية . وهي على شكل قبعة في السماء ..

ومن المجرات العملاقة م ٨٧ وتوجد بهذه المجرة العظيمة الوف التجمعات الكرية ذات الضوئية واللمعان ، وهي مصدر قوي للموجات اللاسلكية .. ولقد قالوا أن هذه المجرة من أكثر المجرات البيضاوية لمعانا في السماء .

ولقد قالوا أن هناك مجـــــرة بيضاوية اخـــرى اسمهـــا ن.ج.س ٤٨٨٦ ذات لمعان فائق اذ تبلغ طاقتها الضوئية في السماء وهي على بعد قـــدره ٩٠ ليون سنة ضوئيـــــة حوالي ١٠٠ بليون مرة قدر ضوئيـــة الشمس . وتفوق مجـــرة اندروميدا ضوءا ولمعانا بحوالي ١٠ مرات .ومن المجرات الجميلة التي تعتبر بمثابـــة مدن نجومية في السماء ــ المجـــــرة ن.ج.س ٤٦٤٧ والمجرة م ٦٠ وهي وحدات في مجموعة العذراء على بعد حوالي ٣٠ مليون سنة ضوئية ..

تجمعـــــــات المجـــرات

ويعنـــي لفظ مصابيح كذلك أسطع المصابيح في تجمعات المجرات الكبرى في السماء . فلتنظر الدنيا الـــى ذلك المعنى الذي حوى جمالا تالحقـــائق .. اذ أن كل تجمع يحتوي بطبيعـــة الحال على أعظم مجرة في نطاقـــــه تحتوي على أسطع مصباح نجمـــي بها .. وسنضرب لك مثالين لمثل هذه التجمعات التي صارت تنتشر فــــي السماء وتتميز بسناءات أضوائها ..

فهناك تجمع السرطان .ويبعد عنا بحوالي ٥٠ مليون سنة ضوئيـــــة ويحتوي هذا التجمع على حوالي ٣٠٠ مجرة معظمها ذات اشكال لولبية .

كما أن هناك تجمع الراعـــي الذي يبعد عنا ٤٤٠ مليون سنة ضوئية .. وهو يحتوي على حوالي ٥٠٠ مجرة بيضية الشكل . كما أن هذا التجمع يجري في الثانية الواحدة ٢٩ الف كيلو .. ومن ابدع المعاني في لفظ مصابيح ذلك النكـــرة المتألـــق اعجـــازا .. فالمجرات ومجاميع المجـــرات بـــل ومجاميعمجاميع المجرات ليست ثابتة على حال واحد . فقد تفنـــى بعض التجمعات وتتخلق بعض التجمعـــات وهذا من آثار الفاعلية الالهية فـــي الكون العظيم .. كما تحدث نفـــس الظاهرة بالمجرات وبقية اجـــــرام السماء . وقد اكتشفـــوا كذلك أن تجمعات المجرات تنضم الى تجمعات اكبـــر منها . فيحتوي التجمع الواحد على عشرات التجمعات .. فانظـــر رعاك الله الى هذه الحقائق الساطعة في لفظ « مصابيح » .. فلا تخلـــو مثل هذه التجمعات الكبرى من مجرة تبذ غيرها من مجرات مثل هــــذا التجمع ضوءا وتتفخم سناء . وليس ذلك فحسب .. بل تحتوي مثل هذه المجرة على مصباح نجمي يكـــون هو أبهر النجوم بين نجوم جميع مجرات مثل هذا التجمع ..

وقد اكتشفوا أن الكون كله يمكـــن ان يكون كـــلا مجريـــا واحـــدا .. فيحتوي على جميع هذه التجمعـــات المتعاظمة بأضوائها وقواها ومواقعها فتتألق في ذلك الكل المجري وحـــدة كونية شاملة لكافة مجرات السمـــاء الدنيا . فتعلو جميع مجرات الكـــون المنظور مجرة تكون هي الفريدة بـــين جميع المجرات .. فتتألق بأسطـــــع ضوء .. وتتجملبأبهر زينة في السماء الدنيا بل تكون انموذجـــا للمجـــرات جميعا . ويوجد بهذه المجرة مركـــز نجمي يكون في المقام الاسمي بالوجود الفيزيقي .. بل ويكون السبـــــب النجمي الأول الذي انفتقت منه جميع مصابيح السماء الأولى .. فكـــانت هي الكليات التي تفتقت منها نجـــوم المجرات كافة وتحددت لها معالـــــم مواقعها عدلا فسبحان منبيده ملكوت كل شـــيء . ..

البنـــــاء الكـــــوني

اذا تأملنا اضواء النجوم والشموس بصفة عامة فاننا نجدها تشع بمختلف الاشعاعات التي قد تكون اشعاعات صاعقة ماحقة .. وهذه الاشعاعات تكون احدى ظواهر القوى التيتنبعث من تلك الأجـرام .. ومـن هـذه الاشعاعات التي تتألق من أضـواء النجـوم أو مصابيـح السماء أشعة جامـا والاشعـــة السينيـــة والأشعـــة الكونيـــة وأشعـــة بيتا والفا والأشعـــة دون الحمـــراء وأشعة اكس والأشعـــة فـــوق البنفسجية والأشعة أو الموجـــات الاذاعية .. كما أمكن لعلـم الفلـك الحديث أن يكتشف اضواء العناصـر التي قد تكون المواد التكوينية في هذه النجـوم كافة ...

ولكن تحدث ببواطن تلك المصابيح (المصابيح الكلية والمصابيح الجزئية) اي الشموس والنجوم تفاعلات نووية كبرى . تكون سببا في اشتداد قوى الحرارة داخل هذه الاجرام واحداث التوهجات التي تكون أقدار النجوم من اللمعـان والضوئيـة . ولكـن التفاعلات النووية هي ذات درجـات الحرارة الضخمة التي قد تبلغ فـي النجوم العملاقة من ٥٠ مليـون أو يزيد من الدرجات المئوية . وقد تندفع مواد النجوم وذرا تـالعناصر بهـا وهي في حالات انصهار متباين القوى بقوة الحمل وبقوة الاشعـاع حتـى تبلغ اسطع النجوم والشموس .. فتكون براكين نجوميـة متأججـة وتفجيرات كبرى تسبب اندلاعـات ضخمة والسنة لهبية مزمجرة ترتفع الى ملايين الأميال في السماء . فتكون قوى جبارة في السماء . وهي احدى القوى الرجومية التي تتفجر من هذه النجوم وتكون أعمدة تتلظى نيرانـا حامية وتكون امواجا كالجبال تلقـي بنيرانها الهادرة في فيافي السمـاء كأنها المردة العملاقة تشق طرائقهـا لتنفث عن مكنون غضبها .. ولكـن هـذه الألسنة اللهيبيـة والرجـوم الصاعقة تكون القوى النجوميـة المنبثة بين أجرام السماء السماء كافة ..ولكن وراء ذلك كله توجد زينـات النجوم اللهيبية وهي بدائع الرحمات التي بثت بين عوالم النور .. ولايمكن أن يتألف الكون من قوى فحسب أو رحمات فحسب .. والا كان وجودا مجردا من حكمة . ولكن يتعالـى الرب جل جلاله بعظائم حكمه وعظائم رحماته وخـيره ..

الخلاصـــــة

يمكن أن تكون الآية الكريمة خـير دعوة عالمية .. ويمكن أن يقوم بهذه الدعوة صفوة العلماء والمثقفـين المسلمين . فتكون دعوتهم أولا دعوة مطلقة على الصعيد الدولي ثم تكون بعد ذلك دعوة قائمـة على السجال والجدال بالتي هي أحسن في أعظم الندوات والمؤتمرات العلمية العالمية .. فلماذا لا تكون الأمة الاسلاميـة كلها هي الداعية لذلك الحق ؟ ولماذا لا تعلن دعوة السلام العالمية لترفـع العقول والأبصار الى ذلك الافـق الأعلى الحافل بأعظم ابداعات اللـه في عوالمه التي لا نحصيها عدا ؟ ... انني أرى أن السلام العالمي المنشود لا يمكن أن يقوم على أسنة الرمـاح وأسلحة الموت والدمار .. ولكـن يكون حقا في ذلك الأفق الرحيب تحت أضواء الكتاب الالهي الخالد .. والله يهدي للتي هي أقـوم .

في رحاب القرآن

للاستاذ عمر بهاء الدين الاميري

أمّ الكتاب

كان الموقد يتربع زاوية الغرفة ، مفتوح الحضن نحونا ، وكنا من حوله نصف قوس ، نتأمل تبارق السنة اللهيب في جوفه ، تتصاعد من اغصان العفص ، تمتد بها ايدينا مرة بعد مرة ، فتفضفض ، ويهيج منها شرار ، وهي تنشر بيننا اريجا بهيجا .

انها ليلة من ليالي رمضان ، وقد انتهينا لتونا من صلاة العشاء ، فشملت قلوبنا اشراقة رضا وطمأنينة اسلام ، ونفوسنا فيها سهوة شرود تلم بها ذكريات وشجون ... تأمل حزين .. وحنين وأنين .. شطر الأسرة بعيد عنا ، وشطر عزيز طواه الردى ، قال لي : ما هي « ام الكتاب » يا ابي ؟. وقد سمعت قول الله تعالى في القرآن : **« يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ... »** .

قلت : الذي اذكره انها الفاتحة ، وأن هناك من يقول : انها اللوح المحفوظ ، ولعلها ما قدره الله سبحانه في علمه من اقدار كل شيء .

قال اخوه : وما التحقيق ؟! فقلت: نسأل وننظر ..

واجابني صديقي بالهاتف بعد دقائق من بحث : نحن نقرا : يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وام الكتاب على ما ذكره القرطبي « الحمد » فاتحة الكتاب ، وعدد لها اثنى عشر اسما ،

وذلك على خلاف ابن سيرين فهي عنده أصل ما كتب من الآجال وغيرها. وقيل : أم الكتاب : اللوح المحفوظ الذى لا يتبدل ولا يتغير . وسئل عنها ابن عباس فقال : علم الله ، ما هو خالق ، وما خلقه عاملون .. وقال الحسن ــ كما رواه ابن كثير ــ الآيات المحكمات هن أم الكتاب .

وقلت لولدى وقد طلبا مزيدا من البيان : انتظرا وسأحدثكما ان شاء الله وليس ما يمنع فى ظنى أن يراد بأم الكتاب ما ذكر جميعا، ولا تعارض بين ذلك ، فلكل تعبير فى محله معناه ودلالته .

وقمنا لفترة ، وخيالها يمزج انفاسى بزفرة شوق وافتقاد ، الا ما أحوجنى اليها الآن ... وكم كانت لى معها خلوات ، أمد لها يدى فتقبل على ، وتعاطينى منها ما اشاء . أمس صدرها فتفتح ثغرها ، فأرشف وأرشف .. انها مكتبتى هناك ، فيها ما لذ وما عز ، وما دسم وما ابتسم .. نماء وامتداد من الأجداد الى الأحفاد ..

وعدت اليهما بالحديث :

« الحمد لله رب العالمين ، أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثانى ، والقرآن العظيم .. والذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل ، ولا فى الزبور ، ولا فى الفرقان مثلها وانها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته » (رواه الترمذى) .

فتساءلا : ألا تستطيع أن تقرب الى أذهاننا بعض معانى أم القرآن ، فاننا نرددها ــ دون سواها ــ فى كل ركعة من ركعات الصلاة ؟

قلت : حقا ، قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب . » (رواه الجماعة) .

ورحت أنظر فى التفاسير أستزيد منها وأستفيد :

سأل عمر رضى الله عنه : قد علمنا سبحان الله ، ولا اله الا الله ، فما الحمد لله ؟ فأجاب علي كرم الله وجهه : كلمة رضيها الله لنفسه وأحب أن تقال . وقال الضحاك : الحمد لله رداء الرحمن . وعن الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لو أن الدنيا بحذافيرها فى يد رجل من أمتى ثم قال : الحمد لله ، لكان الحمد لله افضل من ذلك . » وقد قال : « افضل الذكر لا اله الا الله ، وافضل الدعاء الحمد لله » . كما روى عنه عليه الصلاة والسلام : « اذا قلت الحمد لله رب العالمين ، فقد شكرت الله فزادك .. » .

الا رحم الله ابن كثير ما أجل تفسيره .!

وفى سنن ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم : أن عبدا من عباد الله قال : يا ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فعضلت بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا الى الله فقالا : يا ربنا ان عبدا قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها . قال الله : وهو أعلم بما قال عبده : ماذا قال عبدى ؟ قالا : يا رب انه قال : لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها .

وفى المنار : « الرب » السيد المربى الذى يسوس مسوده ويربيه ويدبره . و « العالمين » الكائنات الممكنة ، وما جمعت العرب لفظ

العالم هذا الجمع الا لنكتة تلاحظها فيه ، هي أنـــه لا يطلق على كائـــن وموجود كالحجر والتراب ، انمـــا على كل جملة متمايزة ، لأفرادهـــا صفات تقر بها من العاقل الـــذي جمعت جمعه ، ان لم تكن منـــه ، فيقال عالم الانسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ، ونحن نرى أن هذه هي التي يظهر فيها معنى التربيـــة الذي يعطيه لفظ « رب » لان فيها مبدأها ، وهو الحياة ، والتغذي ، والمتولد ، وهذا ظاهر في الحيوان .

وكان السيـــد « جمـــال الدين الأفغاني » يقول : الحيوان شجرة قطعت رجلها من الأرض ، فهـــي تمشي ! والشجرة حيوان ساخـــت رجلاه في الأرض ، فهو قائـــم في مكانه يأكل ويشرب ، وان كـــان لا ينام !

قال ابني :

ــ الا يذكرنا هذا القول ، ببديع خلق اللـــه في « الاسفنـــج » ثابت الجذور في البحر ، اذا اقتلعه انسان سال له دم ، يتنفس ويتكاثر ، ويعيش على نحو مزيج بين الحيوان والنبات ؟

ــ وتابعت حديثي : ... والسيد « رشيد رضا » يقـــول : المـــراد بالعالمين ، اهل العلم والادراك مـــن الملائكة والانس والجن . على أن هناك من يراها تشمل خلق اللـــه جميعا ، أخذا من الآية القرآنية : **« قال فرعون وما رب العالمـــين . قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين »** (الشعراء : ٢٣ / ٢٤) ويتراءى لي ان بالامكان ان يقال : ان **(العالمين)** هي عوالـــم الغيب وعوالم الشهادة . و«الرحمن» من اسماء الله الحسنى التي اختص بها ، وقد يقال للانسان « رحيم » ولا يقال « رحمن » .

ويتراءى لي أيضا ، أن بالامكان أن يقال أن « الرحمانية » من صفات الله جل جلاله لرحمتـــه في (عالم الغيب » يوم القيامة والحســـاب . و « الرحيمية » من صفات اللـــه سبحانـــه في رحمته بعبـــاده فـــي « عالم الشهادة » يقول تعالى فـــي الأولى : **« يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا »** (النبأ : ٣٨) . ويقول **« الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يومـــا على الكافريـــن عسيـــرا »** (الفرقان : ٢٦) ويقول في الثانية : **« نبيء عبادىء أني أنا الغفـــور الرحيم »** (الحجر : ٤٩) ويقول جل وعلا فيهما **« هو الله الذي لا الـــه الا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم »** (الحشر : ٢٢) . ورحمة الله على اي حال ، كما حدث عنها تبارك شأنه : **« وسعت كـــل شيء »** (الأعراف : ١٥٦) .

و **(يوم الدين)** ، يوم الحساب ، والله مالكـــه وملكه ، قطـــع عـــن خلقه فيه ، ما كان لهم في الحيـــاة الدنيا ــ بأمره ــ من حول وطـــول يقول الله سبحانه : **« لمن الملك اليوم لله الواحد القهار »** (غافر : ١٦) وعن النبي صلى الله عليه وسلـــم قال : « يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، اين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

قال ابني :

ــ **« اياك نعبد واياك نستعين »** واضح لا يحتاج الى شرح .

ــ قلت : بل في التدبر تتفتـــح لاولي الأبصار آفاق من المعانـــي كثيرة .. حتى ان « ابن القيم » رحمه

الله ، سمى احد كتبه المشهورة : « مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين » ... والذي يهمني أن الفت النظر اليه ، صيغة « اياك » التى تتقدم الفعل فهى تفيد هنا التخصيص بمعنى : لا نعبد الا اياك ، فهى تبرؤ من الشرك . ولا نستعين الا بك ، فهى تبرؤ من اى حول وقوة .

قال أخوه :

— ولماذا يجعل القارىء لنفسه صيغة الجمع ، فيقول « نعبد » و « نستعين » وليس : اعبد واستعين ؟. مع انه فرد ، والمقام لا يناسبه تعظيم النفس ، بل التذلل لله ؟.

فأجبته :

— انه لسؤال جدير ، ومع أن بعض المفسرين أن العبد بوقفته بين يدى ربه ، وتجرده فى عبادته ، والاستعانة به ، يعظم قدره ، فيستحق صيغة التعظيم ، فانه يتراءى لى أن مغزى ذلك ابلغ واحكم : انه اشارة الى تضامن المسلمين المؤمنين العابدين ، واتحاد قلوبهم فى قلب واحد ، واستحالة كيانهم الى كيان واحد ، بحيث لا يجد الفرد منهم نفسه الا مع مجموعته ، فيتحدث كل فى قراءته وعبادته عن حال تلك المجموعة : **« اياك نعبد واياك نستعين »** .

وثمة معنى أدق وارق : ان العبد لا يرى نفسه — وهو يعلم منها عيوبها وذنوبها — فى مقام جدارة القبول والمثول بين يدى الله ! فهو يضيف عمله وعبادته الى مجموعة المؤمنين المسلمين العابدين ، وفيهم الابرار الاتقياء ، والأخيار الأولياء ، ليقبل معهم جملة . وقد يكون من اللطائف أن يستشهد هنا بما فى أحكام البيع ، فان المبيع اذا كان « معيبا » فى بعض أجزائه ، فالمشترى بالخيار ، يرده جميعا ، أو يقبله جميعا ، والله قد « اشترى من المؤمنين أنفسهم » ورحمته تسمو عن رفض عبادتهم وعملهم لخلل ونقص يكونان فى بعض افرادهم ، فهو يقبلها ويقبلهم جميعا ، ولا يردها ويردهم جميعا .

و **« اهدنا الصراط المستقيم »** واضح أيضا ، على أن فيه مجالات قول كثيرة ..

فهداية رب العالمين للعالمين مراتب : هداية الفطرة ، وهداية الغريزة ، وهداية العقل ، وهداية الفتح ، وفى كل أمثلة وشروح .

ومثل الهدايات الالهية — على ما ذكره تفسير المنار — كمثل البذرة والشجرة العظيمة ، فهى فى بدايتها مادة حياة ، تحتوى على جميع اصولها ، ثم تنمو بالتدريج حتى تسمق فروعها بعد أن تعظم دوحتها ثم تجود بثمرها ، والفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن ، وكل ما فيه تفصيل للاصول التى وضعت فيها » والصراط هو الطريق الواضح ، وعن « مجاهد » : ان الصراط المستقيم هو الحق .

— وانت يا بنى ، ما هو تعريف المستقيم فيما تحفظ ؟

قال :

— فى الهندسة ؟ .. هو أقصر خط يصل بين نقطتين .

قلت :

— فالصراط المستقيم ، هو الذى لا اعوجاج فيه ، ويوصل بين نقطتى « الحياة » و « النجاة » بأقصر مسافة ، وأدنى مشقة ، وأقل زمن ،

انه الطريق الى الله جل وعلا ، كما رسمه هو لعباده ، فاذا لاح لهــم ابتداع طريق سواه ، اختلفت فــى ذلك مذاهبهم ومسالكهم واذواقهم ، وقد يتشتت أمرهم جماعة وفرادى ، فتطول المسافة .. وتكثر المشقة .. ويزداد الزمن ، ومن يدرى بعــد ذلك ، يصلون أم لا يصلون ؟. قال الله سبحانه : **« وان هذا صراطى مستقيمــا فاتبعــوه ، ولا تتبعــوا السبل ، فتفرق بكم عن سبيله »** ..

وقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « ضرب الله مثلا صراطــا مستقيما ، وعلى جنبتى الصــراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ، ادخلوا الصراط جميعا ، ولا تعوجوا . وداع يدعو من فوق الصراط ، فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب (أى من ستورها المرخاة) قال : ويحك لا تفتحــه ، فانــك ان تفتحه تلجه ! فالصــراط : الاسلام والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحه : محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط : واعــظ الله فى قلب كل مسلم » . (رواه احمد) .

« صراط الذين انعمت عليهم »

قال :

ــ كيف نرجو اتباع صراط مــن تقدمنا ، وعندنا شرع لم يكن عندهم ، وهو يصلح لزماننا وما بعده ؟..

قلت :

ــ يا ولدى : « الصراط » هــو الاسلام ، و « الاسلام » هو دين الله ، وهدى الانسانية ، وشريعة الانبياء والمرسلين ، منذ خلق اللــه البشر ، ودين الله فى جميع الامــم واحد : **« ان الدين عند الله الاسلام »** (آل عمران : ١٩) .

وشريعتنا المحمدية فيها الأصــل الأصيــل ، وفيهــــا الصقــــل الأخـــير لقواعـــد الانطـــلاق الانسانى ، فى سبيل تدعو « الــى الله على بصيرة » والبصيرة تقتضى النظــر السديد فى الزمان والمكان .

فالذين انعم الله عليهم مــن قبل ، وينعم عليهم من بعد ، وندعوه ــ جلت قدرته ورحمته ــ ان ينعم علينا معهم ، اسرة فى الخير واحدة صراطها واحد ، ذرية بعضها مــن بعض ، شجرة مباركة ، اصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

ودعوت : اللهم يارب العالمين .. إهدنا الصراط المستقيم ، صــراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضــوب عليهم ، ولا الضالين ...

وردوا معى :

ــ آمين .. آمــين ..

ثم تساءلا :

ــ وما معنى آمين ؟..

قلت :

ــ اللهم استجب لنا ، ولا تخيب دعاءنا ورجاءنا ، والرسول صلــى الله عليه وسلم يقول : آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين .

حدث في رمضان

تحقيق الاستاذ : احمد احمد جلباية

شهر رمضان ، شهر العزة والنصر ، ينتصر فيه المؤمنون الصائمون على انفسهم ، فينتصرون على اعدائهم فى جميع معاركهم ، فالايمان بالله ، اقوى اسلحة النصر « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (٤٧ : الروم) ولقد كانت الأمة الاسلامية عبر تاريخها الطويل ، وكانها على موعد مع القدر فى رمضان .. ففى هذا الشهر المبارك ، وقعت أهم أحداث هذا التاريخ الظافر .. ومن صفحات الماضي الزاخر بالأمجاد الخالدة ، نقدم فيما يلى سجلا لأبرز الأحداث التى شاء القدر الأعلى أن يربطها بشهر الصوم ، وان يكون مسرحا لها على وجه الحياة :

- **ففى رمضان اتصلت الأرض بالسماء باول خيط من النور ، ومست وجهها اولى قطرات الوحى المبارك ، فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج .**

فقد ابتدأ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو فى غار حراء باول آية من هذا الكتاب العزيز ، تامر بالقراءة ، وتدعو الى العلم وتسمو بالمعرفة ، وتغالى بقيمة العلماء : « اقرا باســـم ربك الذى خلق • خلق الانسان مـنعلق • اقرأوربك الأكرم • الذي علـمبالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » (١ ـــ ٥ : العلق) .

- وفى السنة الثانية للهجرة ، وقعت فى رمضان غزوة بدر الكبرى ، لسبع عشرة ليلة خلت منه ، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة ، لثمان ليال خلون من رمضان ، علىما ذكره ابن هشام ، وكان فـــي هذه الغزوة أول انتصار حاسم للاسلام على قوى الشرك والباطل ، وتولى الله تبارك وتعالى قيادة هذه المعركة « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهـــم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (١٧ : الأنفال) واصدر الله جل جلاله أمره الى كتائب الملائكة لتشهد المعركة تثبيتا للمؤمنين ، وســـحقا للكافرين .. « إذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربـــوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (١٢ : الأنفال) .
- وفى رمضان من السنة نفسها ـــ الثانية للهجرة ـــ فرضت زكاة الفطر ، وهى فى حقيقتها انتصار للايمان على النفس الانسانية وحبها للمال .
- وفى رمضان من السنة الخامسة كانت الاستعدادات لغزو الخندق حيث وقعت في شوال من نفس العام ، وقد انتصر المسلمون فـــي هذه الغزوة وتسمى ايضا (غزوة الأحزاب) « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » (٢٥ : الأحزاب) وكان دخول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الأربعـــــاء ، يوم منصرفه من الخندق ، لسبع بقين من ذى القعدة (شرح المواهب) .
- وفى يوم الحادى والعشرين من رمضان ، من السنة الثامنة للهجرة ، انعم الله على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله ، وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين (عسفان) و (أمج) افطر . واقام رسول الله صلىاللهعليه وسلم بمكة بعد فتحها ، خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، قال ابن اسحاق : « وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان » .
- وفى رمضان من العام نفسه ـــ الثامن للهجرة ـــ بعث الرسول عليـــه الصلاة والسلام عدة سرايا لهدم الأصنام الشهيرة حينئذ ، فبعث خالد بن الوليد لهدم (العزى) ، وعمرو بن العاص لهدم (سواع) ، وسعد بن زيد الأشهلى لهدم (مناة) فادى كل منهم مهمته بنجاح .
- وفى السنة التاسعة من الهجرة شهد شهر رمضان بعض احداث غزوة (تبوك) وعاد رســـول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة فى رمضان نفسه .
- وفى رمضان من السنة التاسعة ايضا قدم وفد الطائف الى المدينـــــة ،

واعتنقوا الاسلام على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فادوا الفرائض وصاموا رمضان مع المسلمين فى المدينة .

- وفى الشهر نفسه من العام التاسع كذلك قدم وفد ملوك (حمير) يعلنون اسلامهم ، فاكرم الرسول الكريم وفادتهم ، وكتب لهم كتابا حدد فيه الحقوق والواجبات ، ويعتبر هذا الكتاب وثيقة هامة من وثائق التاريخ المتمدن .
- وفى العام العاشر من الهجرة ، وفى رمضان منه ، بعث الرسول عليه الصلاة والسلام الامام عليا كرم الله وجهه فى سرية من المسلمين الى بلاد اليمن ، وقد حمل الامام معه كتابا نبويا الى اهل اليمن ، وخاصة قبيلة همدان التى أسلمت جميعها فى يوم واحد ، وصلوا جميعا خلف الامام على .
- وفى رمضان سنة ٥٣ هجرية فتح العرب جزيرة (رودس) .
- وفى رمضان سنة ٩١ هجرية نزل المسلمون الى الشاطىء الجنوبى لبلاد الأندلس وغزوا بعض الثغور الجنوبية .
- وفى رمضان سنة ٩٢ هجرية ، انتصر القائد المسلم طارق بن زياد على الملك (رودريك) فى معركة فاصلة .
- وفى رمضان سنة ١٢٩ هجرية ظهرت دعوة بنى العباس فى خراسان بقيادة ابى مسلم الخراسانى .

وفى رمضان سنة ١٣٢ هجرية تم سقوط الدولة الأموية واستيلاء ابى العباس السفاح اول خليفة عباسي على دمشق .

- وفى رمضان سنة ٣٦١ هجرية تم بناء الجامع الأزهر بالقاهرة للعبادة وتدريس العلوم العربية والشرعية .
- وفى رمضان سنة ٥٨٤ هجرية كان صلاح الدين الايوبى قد احرز انتصارات كثيرة على الصليبيين حتى استخلص منهم معظم البلاد التى كانوا قد استولوا عليها ، فلما دخل رمضان أشار رجال صلاح الدين عليه ان يرتاح فى شهر الصوم ، ولكنه تخوف من انقضاء الأجل قائلا : « أن العمر قصير ، والأجل غير مامون » وواصل زحفه حتى استولى على قلعة (صفد) الحصينة في منتصف رمضان .
- وفى رمضان سنة ٦٥٨ هجرية ، هزم المماليك جيوش التتار فى (عين جالوت) واوقفوا زحف الدمار التتارى نهائيا على باب مصر ، وكان التتار يستهدفون القضاء الشامل على العالم الاسلامى ..
- وفى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هجرية تحطمت الاسطورة الاسرائيلية على ارض سيناء وفى سمائها ، وفى المرتفعات السورية ، وتجلت قوة العقيدة الاسلامية فى المجاهدين المسلمين تساندهم وحدة الأمة الاسلامية واجماعها الرائع على تحقيق النصر ، وتشد أزرهم قوة الله القاهر ، وبذلك تهاوت طائرات العدو ، وانهار خط (بارليف) وعبرت الجيوش الظافرة (قناة السويس) واندفعت تدمر حصون العدو بينما يرتج الفضاء بهذا الهتاف الربانى المنتصر (الله اكبر) .

مائدة القارئ

أدب الصوم ..

اذا لم يكن فى السمع مني تصامم — وفى بصرى غضوفى منطقى صمت
فحظى منصومىهوالجوعوالصدى — وان قلت انىصمت يوما فما صمت

مقارنة ..

قارن الطبيب المؤرخ الأمريكى « فكتور روبنصون » بين الحالة الصحية وغيرها فى الأندلس وفى أوروبا خلال فترة تاريخية واحدة فقال :

« .. كانت أوروبا فى ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة .. !

وكانت أوروبا قذرة ، بينما شيدت قرطبة الف حمام .. !

وكانت أوروبا غارقة فى الوحل ، بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع ..

وكانت سقوف القصور فى أوروبا مملوءة بثقوب المداخن ، بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة .. !

وكان أشراف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم ، بينما كان أطفال قرطبة الاسلامية يذهبون الى المدارس .. !

وكان رهبان أوروبا يلحنون فى تلاوة سفر الكنيسة ، بينما معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع فى ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة !! » .

سمو وخلق حسن

مر ابو الدرداء يوما على رجل قد اصاب ذنبا ، والناس يسبونه فنهاهم عن ذلك وقال لهم : ارايتم لو وجدتموه فى حفرة الم تكونوا مخرجيه منها ؟ فقالوا بلى .. فقال : فلا تسبوه اذن . واحمدوا الله الذى عافاكم قالوا افلا تبغضه ؟ قال : انما ابغض عمله . فاذا تركه فهو اخى .

من عيون الشعر

وما من كاتب الا سـيبلى
ويفنى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غـير شيء
يسرك فى القيامة ان تراه

الطريق الى الله

خلاصة الطريق الى الله همـا أمران : الطاعة والذكر ، أما الطاعة فتزول بالمعصية ، وأما الذكر فيختل بالغفلة ، ولذلك يجب على المرء أن يرى من واجبه ادامة الذكر والطاعة وتجنب المعصية والغفلة ..

فوائد الصمت

قال الحكماء : فى الصمت سبعة آلاف خير ، وقد اجتمع ذلك كله فى سبع كلمات فى كل كلمة منها الف — أولها — ان الصمت عبـادة من غير عناء — الثانى — زينة من غير حلي — الثالث — هيبة من غـير سلطان — الرابع — حصن من غير حائط — الخامس — الاستغناء عن الاعتذار الى أحد — السـادس — راحة الكرام الكاتبين — السابع — ستر لعيوبه .

ويقال : الصمت زين للعالم وستر للجاهل .

ما أعظمه من أدب .. !

لما نزل قول الله تعالى : ((**يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصـواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضـكم لبعض أن تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون**)) اغلق « ثابت بن قيس » عليـه داره وطفق يبكى ، وافتقده الرسول صلى الله عليه وسلم فسأل عنه ثم أرسل من يدعوه ، وجاء ثابت وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب غيابه . فأجابه : انى امرؤ جهير الصوت وقد كنت أرفع صـوتى فوق صوتك يا رسول الله ، واذن فقد حبط عملى وانا من أهل النار .

وأجابه الرسول الكريم : انك لست منهم ، بل تعيش حميـدا ، وتقتل شهيدا ويدخلك الله الجنة .

وقد استشهد فى موقعة اليمامة رضي الله عنه وارضاه .

إسرائيليات وغرائب

ليس فى التفاسير المأثورة ــ التى تحت أيدينا ــ ما فضح الاسرائيليات او الغزو الفكرى المبكر ، وكشف عن افكه وكذبه ، وابان عن سوء أثره ، وشروده واضلاله ... كتفسير ابن كثير !! وحق للشيخ احمد شاكر ــ رحمه الله ــ أن يدعوه « عمدة التفاسير » !!

ان الحافظ ابن كثير ــ كما راينا فى المقالات السابقة ــ قد حقق ــ وهو الخبير بأسس علم الجرح والتعديل ــ كثيرا من منكرات أهل الكتاب الدخيلة ، وكثيرا من الروايات الاسرائيلية الخسيسة ، اذ كانت تحمل فى طياتها فكرا مدسوسا يعكر الفكر الاسلامى الرائق ، وتطوى فى متونها خرافات تكدر المنهج الربانى الناصع !!

لقد كان الهدف الأساسى من ترويج هذه الاسرائيليات ، والنفخ بقوة لاشاعتها : زلزلة عقيدة التوحيد فى نفوس المسلمين ، وتثبيط عزماتهم ، وتشويه فكرهم ، ليلتبس عليهم الحق بالباطل . « **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق ، وأنتم تعلمون** » ؟؟! (آل عمران : ٧١) .

وتفسير الحافظ ابن كثير تفسير تعليمى تربوى عظيم ، نقد كثيرا من الاسرائيليات والروايات الغريبة ، ويجب ان يأخذ حقه من العناية والاهتمام .

ولا ادرى لاى سبب قدمت تفاسير تعج بكثير من الاسرائيليات والمنكرات ــ كتفسير النسفى الذى يدرس حتى كتابة هذا المقال فى معاهدنا الدينية !! ــ واخرت تفاسير اخرى كتفسير ابن كثير الذى ينقدها ويهدمها !! .

ويكفى الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير فخارا أنه حذر كثيرا من الاسرائيليات ، ونبه طويلا على خطرها وايغالها في الضلال والاضلال ... فان فاتته ــ بعد ذلك ــ بعض الاسرائيليات المعدودة فان ذلك لا يضيره ، بل ولا يغض من قدره أن كان عنوان هذا المقال « اسرائيليات وغرائب فى تفسير ابن كثير » بعد أن كان من قبل « نقد ابن كثير للاسرائيليات » . وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه !!

يذكر ابن كثير نقلا عن ابى حاتم عن زيد بن اسلم عن ابيه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « لما حمل نوح فى السفينة من كل زوجين اثنين قال اصحابه : وكيف تطمئن المواشى ومعها الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمى . فكانت أول حمى

في تفسير ابن كثير

للاستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

نزلت في الارض . ثم شكوا الفأرة فقالوا : الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحي الله الى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفـأرة منها » .

من المآخذ التى نسجلها على ابن كثير أنه ضمن تفسيره بعض الروايات الغريبة ، والاسرائيليات المنكرة ، التى مرت بدون نقد أو تمحيص ، وقد كان من عادته ان يلوم غيره من المفسرين اذا ذكر رواية غريبة ولم ينبه عليها ويتعجب منه . ومن ثم فان القاعدة تنسحب عليه ايضا .

فمن المستحيل أن يقبل عقل سليم هذه الخرافات التى تصطدم مع الوحى الآلهى ، ولا تتلاءم مع الاتساق القرآنى . ان الله ــ جل شأنه ــ خلق كل شىء بحكمة وقدر ، وجعل خلقه موافقا للنواميس الكونية التى أودعها فى الكون ، وليس من الحكمة ولا من تقدير الله أن يعطس الأسد فتخرج منه الهرة !!

فكيف يتجرأ زيد بن اسلم ــ او أبوه ــ فينسحب هذا الافك الفاضح الى الصادق المصدوق ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟؟!! .

وانما تروج هذه الأساطير عند السحرة وأندادهم ، ولا مجال لها فى دين العقل الراشد ، وفكر الاسلام الناصع !!

اننا ننزه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن هذه الخرافات ، ونقول مقالة ابن كثير نفسه في مثل هذا المواطن ، والعجب كل العجب ان يذكر ابن كثير هذه الرواية ولا ينبه على ضعفها مع جلالة قدره وعلمه !!

٢ ــ وروى ابن كثير عن زيد بن أسلم ــ ايضا ــ رواية اسرائيلية منكرة عند تفسير قوله تعالى : **« الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه .. »** (سورة البقرة : ٢٥٨) قال فيها : « .. وبعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالايمان فأبى عليه ، ثم دعاه الثانية فأبى عليه ثم الثالثة فأبى وقال : اجمع جموعك، وأجمع جموعى ، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، وأرسل الله عليهم بابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم ، وتركتهم عظاما بادية ودخلت واحدة منها فى منخرى الملك، فمكثت فى منخرى الملك اربعمائة سنة عذبه الله بها ، فكان يضرب

برأسه بالمرازب فى هذه المدة حتى أهلكه الله بها » !!

بعوضة تدخل منخرى الملك ، وتمكث أربعمائة سنة !! ويضرب بالحديد فى رأسه طوال هذه المدة ثم يهلك بعد ذلك !!

لم ؟!

أكانت منخرا الملك سردابا طويلا مظلما ، ورأسه قدت من صخر لا يؤثر فيه الا الحديد ؟!

ان من المؤسف حقا أن تشيع هذه الأباطيل بين المسلمين ، ومن الأكثر أسفا أن يقوم بعض القائمين على ارشاد الأمة ووعظها حتى الآن بترسيخ هذا الضلال فى عقول أبنائها ، وتمكينه من فوق منابر مساجدها !!

وفى ذلك ضياع للوقت ، وتشتيت للفكر ، والهاء عن أمر الرب .

وغفر الله لابن كثير حين غفل عن نقد هذه الرواية .

٣ ــ ذكر ابن كثير عن محمد اسحاق أن « اسافا ونائلة » كانا بشرين فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين ، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس ، فلما طال عهدهما عبدا ، ثم حولا الى الصفا والمروة ، فنصبا هنالك ، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما » .

وهى رواية موغلة فى الشرود والضلال ، وروح الخرافة تتلبسها ، لكن الحافظ ابن كثير سكت ، ولم ينبه على اختلاقها وكذبها .

وفى تفسير قوله تعالى : « **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » (سورة الأعراف : ٢٠١) ذكر ابن كثير رواية عن الحافظ ابن عساكر فى ترجمته لعمرو بن جامع جاء فيها : ان شابا كان يتعبد فى المسجد ، فهويته امرأة فدعته الى نفسها فما زالت به حتى كاد يدخل معها المنزل ، فذكر هذه الآية : « **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » فخر مغشيا عليه ثم أفاق ، فأعادها فمات . فجاء عمر فعزى فيه أباه وكان قد دفن ليلا فذهب فصلى على قبره بمن معه ، ثم ناداه عمر فقال : يا فتى « **ولمن خاف مقام ربه جنتان** » (سورة الرحمن : ٤٦) . فأجابه الفتى من داخل القبر ، يا عمر قد أعطانيهما ربى فى الجنة مرتين .

وواضح أن رد الفتى من داخل القبر ــ بعد موته ــ من الأمور المستحيلة . وأن هذا مقحم على الرواية ــ ان صحت ــ . لقد قال الله عز وجل لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم : « **وما أنت بمسمع من فى القبور** » (سورة فاطر : ٢٢) وقال أيضا : « **انك لا تسمع الموتى** » (سورة النمل : ٨٠) فكيف يسمع الفتى نداء عمر ويجيبه وهو ميت ؟!

٥ ــ ونقل ابن كثير عن أبى حاتم فى تفسير قوله تعالى : « **ربنا أطمس على أموالهم** » رواية قال فيها : حدثنى محمد بن قيس أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس على عمر بن عبد العزيز حتى بلغ « **وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا** » الى قوله « **ربنا اطمس على أموالهم** » الآية . فقال عمر : يا أبا حمزة اى شىء الطمس ؟ قال : عادت أموالهم كلها حجارة ، فقال عمر بن عبد العزيز لغلام له

ائتنى بكيس . فجاءه بكيس فاذا فيه حمص وبيض قد حول حجارة » !!

ونحن نستبعد جهل عمر بن عبد العزيز بمعنى الطمس ، ثم لم يطمس البيض والحمص فى عهد خامس الخلفاء الراشدين ، والامام الزاهد العابد ؟!

٦ — وفى الآية نفسها ذكر ابن كثير عن ابن جريج — وهو من مسلمة أهل الكتاب — أنه قال فى قوله تعالى « **قد اجيبت دعوتكما فاستقيما** » (سورة يونس : ٨٩) : ان فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .

وقال محمد بن كعب وعلى بن الحسين : اربعين يوما .

والفرق بين الروايتين كالفرق بين طفل يقال عنه انه ولد من أربعين يوما ، ويقال عنه ايضا انه ولد من أربعين سنة !!

٧ — وقد ينقل ابن كثير بعض الروايات الغريبة ولا يعلق عليها فى موضعها .

ففى تفسير قوله تعالى : « **هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات** » (سورة البقرة : ٢٩) يحكى عن السدى فيما يرويه ابن مسعود وأناس من الصحابة ، أن الله — تبارك وتعالى — كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء ، فلما اراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء . ثم أيبس الماء فجعله ارضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين ، فى الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت ، والحوت هو الذى ذكره الله فى القرآن الكريم « **ن والقلم** » . والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر الملك والملك على صخرة ، والصخرة فى الريح ، وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت ، فالجبال تفخر على الأرض !!

وفى تفسير قوله تعالى : « **ن والقلم** » يذكر رواية عن البغوى وجماعة من المفسرين جاء فيها : « ان على ظهر الحوت الذى يحمل الأرضين السبع (!!) صخرة سمكها كغلظ السموات والأرض وعلى ظهرها ثور له أربعون الف قرن ، وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن !

وهذه خرافات وأساطير لا أدرى كيف ساغ لدى بعض المفسرين أن يضعوها بجوار آيات الله البينات ، وأن يسودوا بها عقول المسلمين وقلوبهم ؟!

ان البغوى والسدى وابن أبى حاتم والنسفى وغيرهم ضمنوا تفاسيرهم روايات كهذه الخرافات او أنكر ، بلا نقد ولا تعليق ، بل هناك كتب يجب أن يهال عليها التراب ، وتقبر الى الأبد ، وعلى رأسها كتاب « قصص الأنبياء المسمى بالعرائس » للثعالبى !!

وقد استغل من يحرفون الكلم عن مواضعه الحروف الهجائية المذكورة فى أوائل السور وفسروها تفسيرا لا أصل له فى عقل سليم ، ولا نقل صحيح !! فعلام استند هؤلاء فى أن (ن) حوت صفته كذا ، وغلظه كذا ، ويحمل الأرضين السبع وما فيهن وما بينهن .. ؟!

ا ن المرء ليخجل — حياء واسفا — من ذكر كتب التفسير لهذه الأساطير المضحكات المبكيات ، والتى كانت من الدعائم القوية التى أخرت العالم الاسلامى عدة قرون .

وقد اتخذ الحافظ ابن كثير منهجا محددا فى تفسير الحروف الهجائية التى تبدأ بها بعض سور القرآن وملخصه : انها ذكرت لبيان اعجاز القرآن ، وان الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبو نبها . وسار على هذا النهج فى جميع السور التى تبدأ بهذه الحروف .

وطبقا لهذا المنهج ينكر ابن كثير ما ذكره بعض السلف فى تفسير قوله تعالى **(ق)** اذ قالوا : ق جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له جبل قاف . فيقول : « وكأن هذا — والله اعلم — من خرافات بنى اسرائيل التى أخذها عنهم بعض الناس .. وعندى أن هذا وامثاله واشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم » ..

وهى رواية تشبه الروايتين السالفتين ، بل هما اشد نكارة ، فلأن ينكرهما ابن كثير من باب أولى .

ومن ثم فاننا لا نعد هاتين الروايتين اللتين لم يعلق عليهما فى مكانهما من بين مآخذه .

٨ — ومن الأحاديث التى تحمل فى طياتها غرابة وقبلها ابن كثير ما ذكره فى تفسيره لأول سورة « براءة » قال : « قال الترمذى ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن أبى جعفر وابن أبى عدى ، وسهيل بن يوسف قالوا : حدثنا عوف بن أبى جميلة ، أخبرنى يزيد الفارسي ، أخبرنى ابن عباس قال : قلت لعثمان بن عفان : « ما حملكم أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى ، والى براءة وهى من المئين وقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك ؟ » . فقال عثمان : « كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مما يأتى عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان اذا نزل عليه الشىء دعا البعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وخشيت أنها منها وقبض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يبين لنا انها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها فى السبع الطوال .

وكذا رواه الامام أحمد وابو داود والنسائى ، وابن حيان فى صحيحه ، والحاكم فى مستدركه من طرق أخر عن عوف الأعرابى به . وقال الحاكم : « صحيح الأسناد ولم يخرجاه » .

وعلق ابن كثير على هذا الحديث فى ذيل التفسير فقال : « نفهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات فى السور امر توقيفى متلقى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه » .

وهذا أمر يدعو الى الدهشة والعجب . اذ كيف يقبل ابن كثير

ـ أو غيره ـ هذه الرواية على ما فيها من ضعف ؟! وكيف يفهم أن ترتيب السور من عثمان بن عفان ؟! وكيف يدعي مسلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبض ولم يبين مكان هاتين السورتين من القرآن ويفرق بينهما ؟!

وفي الحديث ما يقرر أن الأنفال من أول ما نزل بالمدينة . فكيف كان يتلوها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طوال فترة المدينة ؟ ثم أين وضع الرسول هاتين السورتين حين كان يعرض القرآن على جبريل في شهر رمضان مرة كل عام ، ومرتين في العام الذى انتقل فيه الى الرفيق الأعلى ؟!

يقول الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ تعليقا على هذه الرواية : « ولأجل هذه الرواية ذهب البيهقى الى أن ترتيب جميع السور توقيفى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا الأنفال وبراءة . ووافقه السيوطى . ويرد عليه أنه لا يعقل أن يرتب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميع السور الا الأنفال وبراءة ، وقد صح أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتلو القرآن كله فى رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحدة من كل عام . فلما كان العام الذى توفى فيه عارضه القرآن مرتين . فأين كان يضع هاتين السورتين فى قراءته ؟ التحقيق أن وضعهما فى موضعهما توقيفى وان فات عثمان أو نسيه . ولولا ذلك لعارضه الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن . كما روى عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره فى الأقطار .

وهذا الحديث قال الترمذى حسن لا نعرفه الا من حديث عوف (ابن أبى جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس . ويزيد الفارسي هذا غير مشهور ، اختلفوا فيه هل هو يزيد ابن هرمز أو غيره . والصحيح أنه غيره ، روى عن ابن عباس ، وحكى عن عبد الله بن زياد ، وكان كاتبه ، وعن الحجاج بن يوسف في أمر المصاحف . وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه . وقال أبو حاتم : لا بأس به . اهـ ملخصا من تهذيب التهذيب .

فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التى انفرد بها مما يؤخذ به فى ترتيب القرآن المتواتر » .

اننا نؤكد ـ بيقين ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد انتقل الى الرفيق الأعلى تاركا لنا القرآن مرتبة آياته وسوره ترتيبا توقيفيا ، بحيث لم يدع آية واحدة فى غير موضعها فضلا عن السور وترتيبها . وهذا مما أجمعت عليه الأمة منذ الرعيل الأول من الصحابة والتابعين. ولذا فاننا نرفض أية رواية تصطدم مع هذه الحقيقة المشهورة ، اذ فى اصطدامها عدم بيان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أنزل اليه من ربه حين أمره فقال ـ عز وجل ـ **« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »** (سورة النمل : ٤٤) .

ونحن نشهد ، ويشهد المسلمون أجمعون بأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة على تمامها وكمالها ، فجزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمته .

وصلى الله ـ تعالى ـ عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

المخلفون

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

اذا كان القرآن الكريم قد عنى العناية المثلى بأمر الجهادوالمجاهدين، وبالدعوة الى قتال المعاندين والمفسدين ، وخصص من آياته البينات ، ومواعظه البالغات جانبا هاما وخطيرا لعلاج ذلك الواجب المقدس وبيان ماله وما عليه من حكم واحكام ، فانه على الجانب الآخر ، قد اهتم اهتماما بالغا بشأن القعود عن المعارك ، والتخلف عن واجب الجهاد ، والفرار من لقاء الأعداء بدون عذر مقبول ، أو سبب يعتد به ، واعتبر ذلك نفاقا وكفرا ، أو فسقا وفجورا ، وعده من أكبر الكبائر ، واشنع الرذائل ، واسوأ الموبقات فى القرآن الحكيم : **(يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** (١٥ ، ١٦ الأنفال) وفى الحديث الشريف « ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » (رواه الطبرانى عن ثوبان مرفوعا) .

وليس كل الخارجين الى ساحة الوغى مجاهدين ، كما انه ليس كل القاعدين عنها متخلفين ولا هاربين ، ومرجع هذا أو ذاك ، الى النية التى يعتمل بها الفؤاد ، وتختلج بها جنبات النفس ، فهى الحكم الفيصل فى هذا المقام ، وهى المرجع الأول والأخير فى الثواب أو العقاب عليه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن

كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » (متفق عليه) .

ويحدثنا التاريخ عن رجال ذوى بأس شديد ، وشجاعة نادرة رآهم المسلمون يصولون ويجولون فى ميدان المعارك وكأنهم البرق القاصف أو الريح العاصف ، ومع ذلك حكم عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم من أهل النار ومنهم (قزمان) الذى حارب مع مواليه من بنى ظفر ، لا لجنة ولا نار ، ولا لعقيدة أو دين ، وانما مجاراة لقومه على احسابهم ، وخوفا أن تستولى قريش على مصدر قوته وقوت مواليه ، وقد اعترف بذلك لأبى الغيداق رضى الله عنه حين هنأه وبشره بموقفه فى القتال ، وقتله تسعة من الأعداء يوم احد . فرد عليه : انى والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت الا حفاظا أن تسير قريش الينا حتى تطأ سعفنا — اى نخلنا — وردد مثل هذا على مسمع سهل بن سعد رضى الله عنه قائلا : ما قاتلت الا على احساب قومى ولولا ذلك ما قاتلت . وهكذا تحققت نبوءة النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، وأخباره عنه بظهر الغيب وحكمه عليه (بأنه من أهل النار) ذلك لأن المجاهد الحق ، والمقاتل الصدق هو من خلصت سريرته لوجه ربه فى القتال ، ولم يبتغ من ورائه الارضاه ، ولم يعلق آماله الا على نصرة دينه وحماية مقدساته ، واعلاء كلمته ، ويربأ بنفسه عن المطالب الدنيا .

ونقول مثل هذا فى شأن المخلفين الذين قصرت هممهم ، عن اللحاق باخوانهم الصاعدين الى منازلة الأشرار ، ومصاولة الفجار ، ومدافعة أهل الظلم والبغى من الكفار ، وقد ذكر المخلفون فى غير موضع من القرآن الكريم وفى أكثر من آية ، وعرفوا بأنهم الذين استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم حين دعا داعى الجهاد ، وأذن مؤذن الرحيل للمعركة، فأذن لهم الرسول وخلفهم فى المدينة، ومثلهم الذين تكاسلوا ركونا الى الراحة ، وايثارا للعافية ، أو الذين لم يلبوا الدعوة ولم يقدموا المعذرة ثم جاءوا فى النهاية يبكون ويتباكون ، ويلقون بمعاذير أوهى من خيوط العنكبوت ، أو يعترفون بواقع أمرهم ، وحقيقة نواياهم ، وهؤلاء الوان شتى :

١ — المخلفون لعذر قاهر ، وسبب ظاهر يحول بينهم وبين القيام بواجب الجهاد والجلاد ، وهم أشد ما يكونون شوقا اليه ، ورغبة فيه ، ومن هؤلاء الأعمى والأصم والأعرج والمريض والضعيف ، ومن لا يجد مئونة تؤهله ، أو وسيلة تحمله وقد رفع الله تعالى عنهم الحرج وأعفاهم من المسؤولية ورخص لهم فى المقام حيث هم ، ناصحين لله وللناس ، عاملين على دعم الجبهة الداخلية ، وتأمين الصفوف الخلفية ، كل على قدر طاقته ، وفى حدود وسعه وفى ذلك يتحدث القرآن الكريم : **(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ...)** (٦٠ : النور) وفى آية أخرى : **(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد**

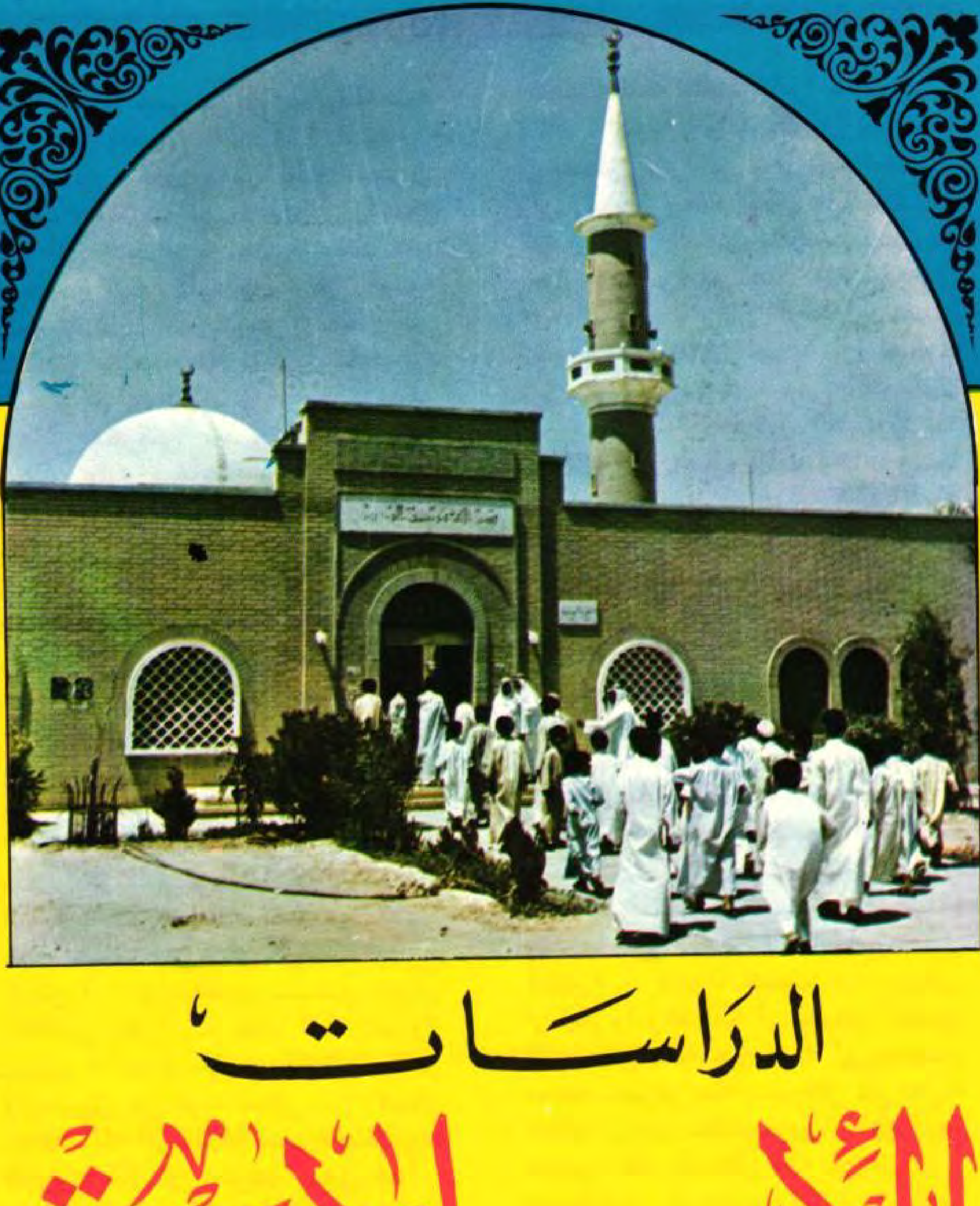
ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) (٩١ ، ٩٢ التوبة) والنصح للـــه ورسوله يتمثل فى الايمان الكامـــل والطـــــاعة عن حب واذعان لله ولرسوله . ومعنى ما على المحسنين مـــن سبيـــل : اى ان المعذوريـــن الناصحين لا جناح عليهم فى التخلف ، ولا طريق للعاتب اليهم ، والذيـــن لا يجدون ما ينفقـــون : هم الفقـــراء عموما ، وكانوا فى معركة تبـــوك قبائل جهينة ومزينة وبنى عذرة ، وأبا موسى الأشعرى وأصحابه . .

٢ ـــ المخلفون الذين تخلفوا امـــا باذن من الرسول عليـــه الصـــــلاة والسلام كعثمان بن عفان رضى الله عنه ، الذى احتبس عن معركة بدر لتمريض زوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وقد قبرت يوم جاء الخبر بنصر الله فى بدر ، وكان ذلك باذن من الرسول، ولذلك ضرب له الرسول بسهمـــه وأجره فى بـــدر ، ومثلهم الذيـــن استخلفهم الرسول فى بعـــــض الغزوات لينوبوا عنه فى الامامة أو الولاية أو نحو ذلك ، أو قعدوا عـــن الغزو عنحسن قصد كجهلهمبالمعركة وعدم توقعهم لها ، وقد حدث هـــذا لكثير من المسلمين يوم بدر ، فقـــد حسبوا ان الرسول لا يلقى حربـــا ولا قتالا ، وانما خرج لعـــير قريش وأمرها اهون من أن يجهز له جيش أو تدار له معركة فقد قال لهـــم عليه الصلاة والسلام فى مستهلها : « هذه عـــير قريش فيها أموالهـــم فاخرجوا اليها لعلالله ينفلكموها » وهؤلاء قد قامعذرهم مقام دورهم فى القتال، وقال فيهمالنبى صلىاللهعليه وسلم : « ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ، ولا قطعتم واديا الا كانـــوا معكم ، حبسهم المرض ، وفى رواية الا شركوكـــم فى الأجـــر » (رواه مسلم) .

٣ ـــ المخلفون من اهل النفاق والتردد الذين عاشوا مع المسلمين على حرف فان أصابهم خير تقاسمـــوه ، وان مسهم مكروه تحاشوا عنه وهـــؤلاء كانوا يلجئون الى الحيلة المكـــر ، والخداع والتضليـــل ، حينما يأزف الترحل للحرب وتدنو ساعة الالتحام مع الأعداء فمنهم من ينتحل للرسول الأعذار الملفقة ، والتعلات الكواذب فيأذن لهم . ومنهم من كره الخروج وقت القيظ اللافح ، والحر الشديد وقالوا : لا تنفروا فى الحر ، كمـــا حدث فى غزوة تبوك وقد رد اللـــه عليهم عذرهم بقوله : **(نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)** (من آية ٨١ التوبة) قال فى الكشاف : هـــذا استجهال لهم لأن من تصون عـــن مشقة ساعة ، فوقع بسبب ذلـــك التصون فى مشقة الأبد ، كان اجهل من كل جاهل ، ومنهم من كان ينسحب من صفوف الجيش في أدق الظروف ، واحلك الساعات ، ليوقع الوهـــن والتخاذل فى بقية الجيش ، كمـــا انسحب عبد الله بن أبى بن سلول راس المنافقين بنحو ثلث الجيش يوم أحد قائلا : ما ندري عـــلام نقتل انفسنا ؟! ومحتجا بأن الرسول ترك رأيه وأطاع غيره . وقد انزل الله فيه وفيمن انسحب معه : **(وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفـــر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون**

بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) (١٦٧ التوبة) ومنهم من اعتذر بعذر أقبح من الذنب ، واقرب الى الاستهتار والتهكم منه الى التحرج والمعذرة ، كما قال الجد بن قيس للرسول صلى الله عليه وسلم : قد علمت الأنصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات بنى الأصفر (اى الروم) ، ولكن اعينك بما لى فاتركنى .. وقد رد القرآن الكريم عليه سفاهته وتفاهة علته مبينا انه وقع فى الخطيئة من حيث يدرى أو لا يدرى وذلك فى قوله تعالى : (**ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**) (٤٩ : التوبة) أى سقط فى فتنة التخلف عن واجب الدفاع ، ومعرة الجبن والنكوص والفرار من القتال . وقد رد عليه نفقته بقوله : (**قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين**) (٥٣ التوبة) وقد تبرأ الله تعالى من كل هذا الصنف على تباين الوانه ، وتنوع مشاربه ، وأسقطهم من ديوان المقاتلين بالمرة ولم يقبل اعذارهم ولا توبتهم ، وحكم عليهم بالنفاق والكفر والفسوق فى قوله تعالى : (**فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**) . (٨٣ ، ٨٤ التوبة) ، وقال فى آية أخرى : (**لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين**) (٦٦ : التوبة) ولقد حاولوا بالخديعة ان يحدثوا ثغرة فى كلام الله تعالى وأن يغيروا وعده الحق فاستأذنوا الرسول فى اللحاق بالجيش المحارب بعد أن حرموا من هذا الشرف بقول الله السابق ، ولكن الرسول فطن لهذه الحيلة وقال لهم: « لن تتبعونا ولن تكونوا معنا » ، وفى ذلك يقول الله تعالى : (**سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا . قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما**) (١٥ ، ١٦ الفتح) . والمعنى : سيقول المخلفون اذا ذهبتم لتأخذوا مغانم خيبر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غزاها وفتحها فى السنة السابعة من الهجرة : دعونا نتبعكم .. يريدون أن يغيروا وعد الله أن يعوض الجيش الذى كان معه حين أراد أن يعتمر فمنعه مشركو مكة — وكان فى قدرته فتحها — من مغانم خيبر .. قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل ، فسيقولون بل تحسدوننا ، بل كانوا لا يفهمون الا فهما قليلا .. وهؤلاء القوم ذوو البأس الشديد ، هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب .. وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن مشركى العرب والمرتدين لا يقبل منهم الا الاسلام أو

البقية ص (٩٨)



الدراسات
الإسلامية
الصيفية

- الدراسات ربطت حاضر المسجد بماضيه وأعادته لسابق مجده
- بدأت الدراسات فى ستة عشر مســجدا بمختلف مناطق الكويت
- ألف وثلاثمائة وسبعون طالبا انتظموا فى الدراسات الصيفية

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهــم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشــــيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنـــــده » (رواه مسلم) .

وعلى ضوء هذا الحديث الشريف ، وهذا الهدى النبوى الكريم ، سارت وزارة العدل والأوقاف والشــئون الاسلامية بدولة الكويت فى تنفيــذ رسالة المسجد .

وكان هذا الحديث منطلقا الــى التفكير فى العودة بأبنائنا الى بيوت الله ، يجدون فيها ما لا يجدونه فى غيرها من اشراقات روحية ، وانوار ربانية ، وصفاء للنفوس ، وسكينة للقلوب .

ان الحياة خارج المسجد تكاد تكون مزيجا من ضـــجيج الآلة ، وصراع المادة . وفى زحام الناس حولهــا وتقاتلهم عليها يفقد الانسان كثيرا من سعادته الحقيقية ، وراحته النفسية ويرجع آخر النهار منهوك القوى ، مبهور الأنفاس ، متوتر الأعصاب ، ثقيل الرأس بالهموم والمخـــاوف ، والقلق والاضطراب .

اما المسجد فهو بيت الله ، يذكر فيه اسمه وحده ، وتتجه اليه القلوب وحده ، وتعنو له الجبـــاه وحده ، فلا تفكير فى سواه ، ينسى الانسان فيه همومه واحزانه ، وابناءه وخلانه، وبيعه وشراءه ، ووظيفته وتجارته : **(يسبح له فيها بالغدو والآصـــال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكـــاة يخافون يوما تتقلب فيه القـــلوب والأبصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضـــله والله يرزق من يشاء بغير حساب)** ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ من سورة النور .

ولقد كان المســـجد قديما مكانا للعبادة ، ودارا للفتيا ، وســـاحة للشورى ، وقاعة للقضاء ومدرسة للتعليم ، ودارا للتربية ، ومنطلـــقا للجيوش . فرات الوزارة أن تربط حاضر المسجد بماضيه ، وتعيد اليه سابق مجده ، وتصـــله بمجريات الأمور والأحداث ، وواقع الحيـــاة والناس .. ولقد مضى على المسجد زمان كان فيه منفصلا كل الانفصال



● أحد المعلمين يلقي درسه .

● شرح من المعلم
وانصات من الطلاب

عن حياة المسلمين وأحوالهم . وكان الناس يدخلونه لأداء عبادة سريعة ثم يفرون منه ، لا يجدون فيه أسـباب السكينة والرحمة ، ولا يجدون فيه ما يشجعهم على البقاء فيـه فترة أطول . وكان الشباب يمرون أمامه وكأنه ليس لهم ، وانما هو لكبـار السن ومأوى العاجزين .

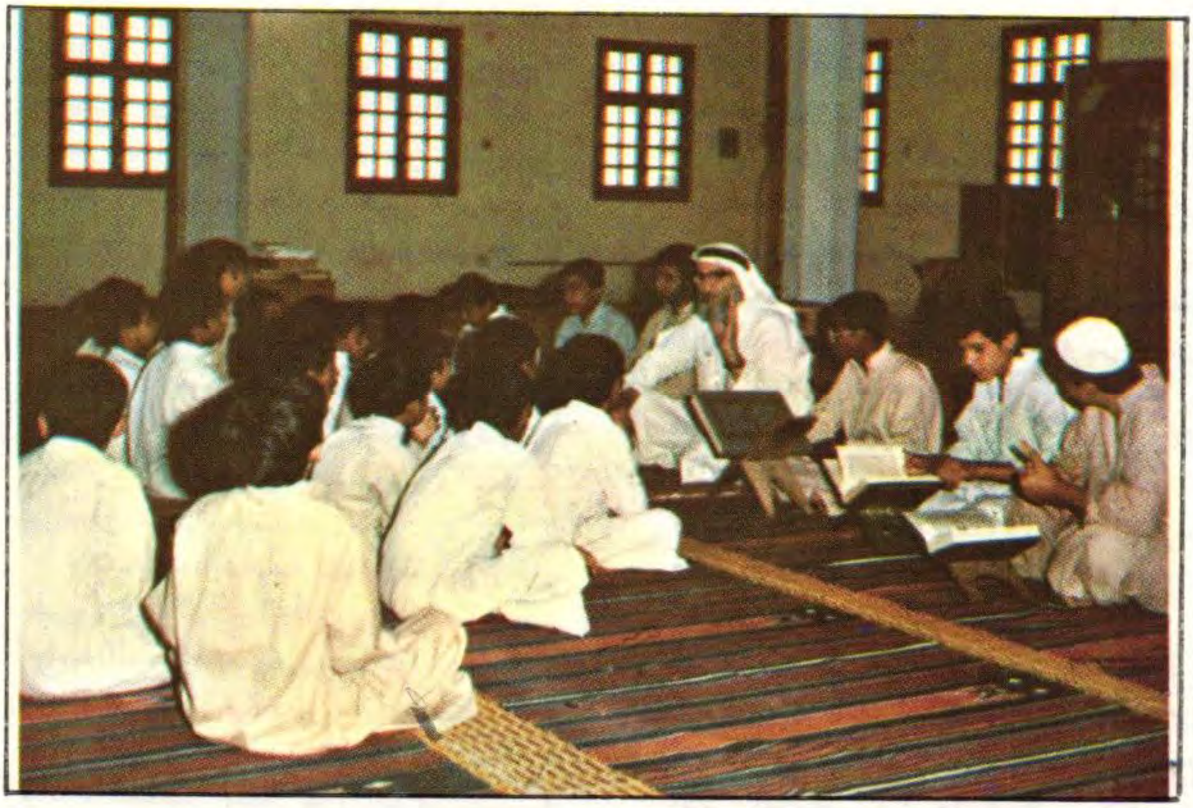
فما فعلت الوزارة لترد النـاس الـى دين الله وبيت الله ؟ رات أن تختار لبيوت الله من يسـتطيعون النهوض بهذه الأمانة فى صـدق واخلاص ، ومن يصـلحون لامامة الناس علما وعملا ، وكانوا محـل ثقة واطمئنان ، ومن قضى فى هذه الوظيفة فترة طويلة اتقن فيها أساليب التربية الاسلامية وطبقها على نفسه أولا ، ومن له حظ وافر من الناحيـة العلمية حتى يستطيع أن يجيب على أسئلة الناس وأن يحل مشاكلهم .

وقامت بتوزيعهم على المنـاطق المختلفة ، حتى يكون فى كل منطقة عالم يعتبر مرجعا للنـاس فى كل أمورهم .. وانتظمت حلقات الدرس فى كل مسجد ، وفى كل يوم ، وفى شتى المعارف ، ومن أقصى البلاد الى أقصاها .

وأبناؤنا الطلبة فى هذه الظـروف قد يكونون فى شغل عنها أثناء العام الدراسي بما يثقل عليهم من واجبات وما ينتظرهم من امتحانات لم تترك لهم فرصة التزود من هذا الخير العميم .

حتى جاءت فترة الصيف ، وأغلقت المدارس أبوابها ، التماسا للراحـة واستعدادا للعام الجديد .. أغلقت المدارس أبوابها فلا بد أن تفتـح المساجد أبوابها لأكبـادنا التى تمشي على الأرض .

انهم يشعرون فى فترة الصـيف بفراغ هائل بعد شهور مزدحمـة بالأعمال ، فاذا لم يجدوا متنفسهم فى بيوت الله ضـاقت بهم الحيـل ،



وانتابتهم السآمة والملل .

اذا لم يجدوا الأيدى الرحيمة التى تربت علىأكتافهم وتهديهم ستستقبلهم ايد خبيثة تضلهم .

اذا لم يجدوا أبواب الخير مستعدة لاستقبالهم فسيجدون **غيرها تفتح** لهم طريق . **العبث والفساد ، واللهو واللعب .**

اذا لم نشـــغلهم **بكتــاب الله سيشغلهم قرناء السوء ودعاة الشر بالقصص الدنيئـــة ، والأفكـــار المسمومة .**

اذا لم نحصنهم فى هذه الفـترة الحرجة من حياتهم بالايمان الصادق، والعلم النافع ، وجدت الجـــراثيم الكافرة ، والعلل المستعصية الطريق الى قلوبهم . وبعدئذ لا ينفـع علاج ولا تستقيم تربية .

وخير الحديث كتاب الله ، كتـــاب هداية : **(ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)** ٩/سورة الاسراء .. وهو شفاء للناس ورحمـــة : **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمةللمؤمنين)** ٨٢/الاسراء . وهو تبيان لكل شيء : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيان لكل شيء وهدى ورحمـــــــة)** ٨٩/النحل ، فلنجربه شـــفاء للصـــــدور ، وهداية للنفوس . فاذا لم نصل الى الغاية تماما ، فحسبنا أننا جنبنـــا أبناءنا مزالق الشر وغوائل الفتن .

عندنا الأساتذة ، وعندنا الطلبة ، فلماذا لا يعود المسجد مدرسة تتنزل عليها السكينة وتغشاها الرحمـــة ، وتحفها الملائكة .. ؟ ان تلاوة القرآن والعمل بما فيه تجارة رابحة ، ولا بد أن يستفيد منها المسلم مهما كان : **(ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقنـــاهم سرا وعلانية يرجون تجـــارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شـــــكور)** ٢٩ ، ٣٠/ من سورة فاطر . فلتكن تلاوة القـــرآن

تجارتنا مع الله .

فكرت الوزارة فى فتح المســـاجد للطلبة ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، ولكن التلاوة لهـــا احكام ، والدراسة لها قواعد . من هنا كان منهج الدراسة قائما على أمرين : حفظ ما تيسر من القرآن وتجويده . وفهم المواد الدينية فهما يعين طلابها على العمل الصحيح .

وأعد المنهج على هذا الأساس فى حفظ أجزاء من القرآن وفهمها ، وفى الفقه والتفسير والحـــديث والعقيدة والمعلومات العامة .

ونشطت الدعاية لهذا المشروع عن طريق الاذاعة والتلفزيون والمساجد، عقب الصلوات وفى خطب الجمعة .

وجاء فيما قاله بعض الخطبـــاء : « حرصا على أبنائنا من الضياع ، وأداء لحقهم علينا من التربيـــــة الاسلامية ، ووقاية لهم من العبث ، وحتى يكونوا فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل الا ظله من أجل ذلك كله قررت وزارة العــــدل والأوقاف والشئون الاسلامية أن تهيىء لأبنائنا المناخ الصالح ، وان تحمل عن الآباء بعض هذا الحمل الثقيل ، فأنشأت فى كثير من مســـــاجدها مدارس لتحفيظ القرآن ودراسة العلم اعتبارا من صباح ١٩٧٥/٦/٢١ ، وبقى على الآباء أن يساعدوا الوزارة على أداء هذه الرسالة » .

وفعلا بدأت الدراسة فى الموعد المذكور ، فى اثنى عشر مســــجدا على الوجه الآتى :

مسجد ضاحية الشامية .
مسجد ضاحية الخالدية .
مسجد ضاحية الروضة .
مسجد ضاحية القادسية .
مسجد يوسف القناعى بالنزهة .
مسجد الشويخ ب .
مسجد الامام مالك بالدعية .
مسجد عبد الله بن عمر بالجهرآء
مسجد مشــــارى الروضــــان بالفحيحيل .
مسجد راشد العليان بكيفان .
مسجد الامام النووى بالفروانية .
مسجد ضاحية خيطان .

وفى خلال الاسبوع الأول انهالت الطلبات على الوزارة لانشاء مزيد من المدارس فى منــــاطق جديدة . واستجابت الوزارة لهذه الطلبـــات وأنشأت المدارس الآتية :

مسجد الشراح السوق بالسالمية .
مسجد ضاحية الرميثيةبالرميثية .
مسجد حمد البراك بحولي .
مسجد ضاحية الفنطاسبالفنطاس

وابتدات الدراسة فىهذه المساجد يوم ١٩٧٥/٦/٢٨ . وبهذا أصــبح عدد المدارس ١٦ مدرسة . وبلــغ عدد الطلاب المسجلين فيهـــا ١٣٧٠ طالبا . منهم ٦١٥ طالبا من المرحلة الابتدائية ، والباقون وعددهم ٧٥٥ طالبا من المرحلتين المتوســـطة والثانوية .

وفى جولة لمندوب المجلة داخـــل هذه المساجد كان له لقاء مع الطالب الكويتى بدر فرح السابح من الذين اقبلوا على هذه الدراسات الصيفية الطالب عن هذه الدراسات :

فى مسجد ضاحية الروضة يقـــول

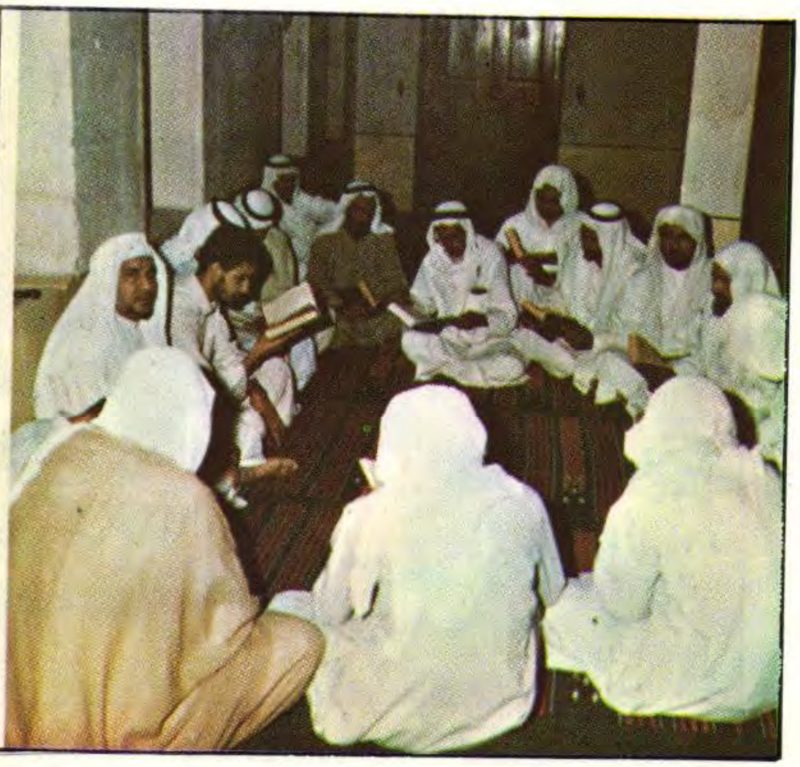
ـــ استمعت الى خطبة الجمعـــة فنبه الخطيب الى موضوع الدراسات وجدول مواعيدها ، ثم شاهدت على شاشة التلفزيون اعلانا مفصلا عن الدراسة وموادها . فالتحقت بمسجد ضاحيةالروضة فوجدت فىالدراسات راحة نفسية وفائدة دينية تعود على الانسان بالفائدة اكثر مما يعـــود به اللعب والراحة وأنا اشعر بسعادة عظيمة وتامة عند ذهابى الى المسجد

وقد تعودت على أن أستيقظ لصلاة الفجر فان لـ م أتمكن استيقظت قبل طلوع الشمس فأصلى ثم أتناول طعام الافطار وأتجه الى المسجد حوالى الساعة الثامنة حيث أجد أبوابه مفتوحة ومعد لاستقبال الطلاب الدارسين . وأنا فخور بحفظى لقدر كبير من القرآن لم أكن أستطيع أن أحفظه بدون معلم ومحفظ ، كذلك استفدت كثيرا من دروس التفسير خاصة وانها تناولت بعض السور التى حفظناها فصارت محفوظة ومفهومة ، ومن المذكرات التى أعتز بها مذكرات الفقه والعقيدة وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن الدراسة كانت تنقصها دروس السيرة النبوية ، كما كان ينقصها تنظيم الحضور والغياب ، ولم تكن هناك كتب يمكن أن نستغنى بها عن كتابة المذكرات التى أرهقتنا وضيعت علينا بعضا من الوقت .

ويقول الطالب اليمنى أمين محمد :

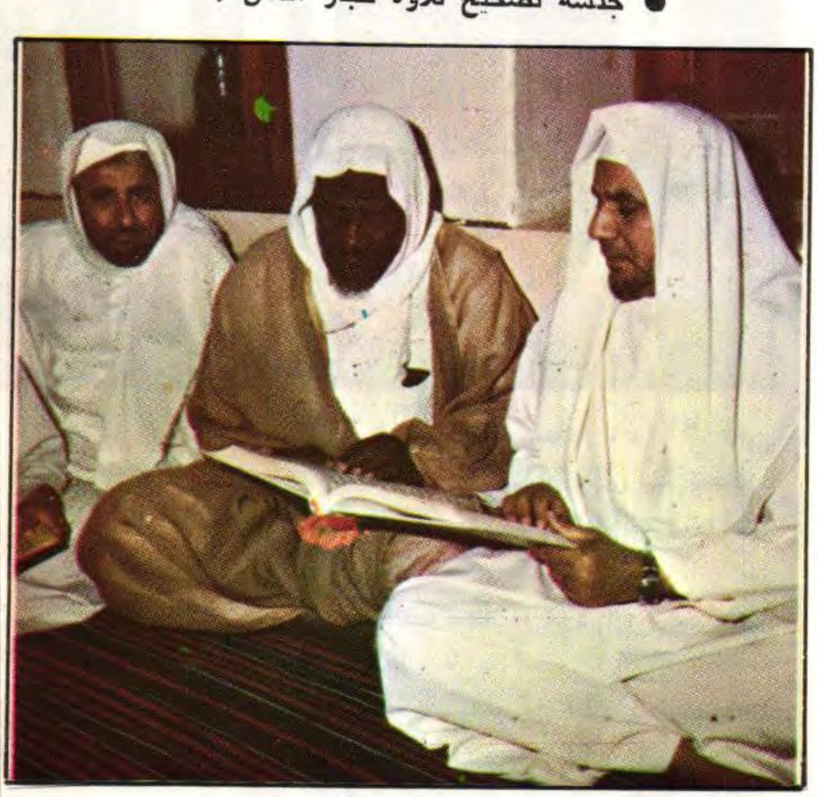
ـ حضرت الى هذه الدراسة لأنها منفعة لى ولمستقبلى ، فأنا قد حفظت سورا كثيرة من القرآن والآن وأنا أصلى أقرأ من القرآن الذى حفظته فأشعر بالسعادة ، كما أن هذه الدراسة تفيدنى فى وقت الفراغ ، وتبعدنى عن العبث والشيطان ، وقد تعلمت أشياء نافعة فى دروس الفقه، ولو لم أحضر الى هذه الدراسات لما عرفت شيئا من ذلك ، كما حفظت بعض الاحاديث النبوية حفظا جيدا ، وقد أملى علينا المعلم شرحا سهلا لكلمات الأحاديث ومعناها الاجمالى وما يؤخذ منها ..

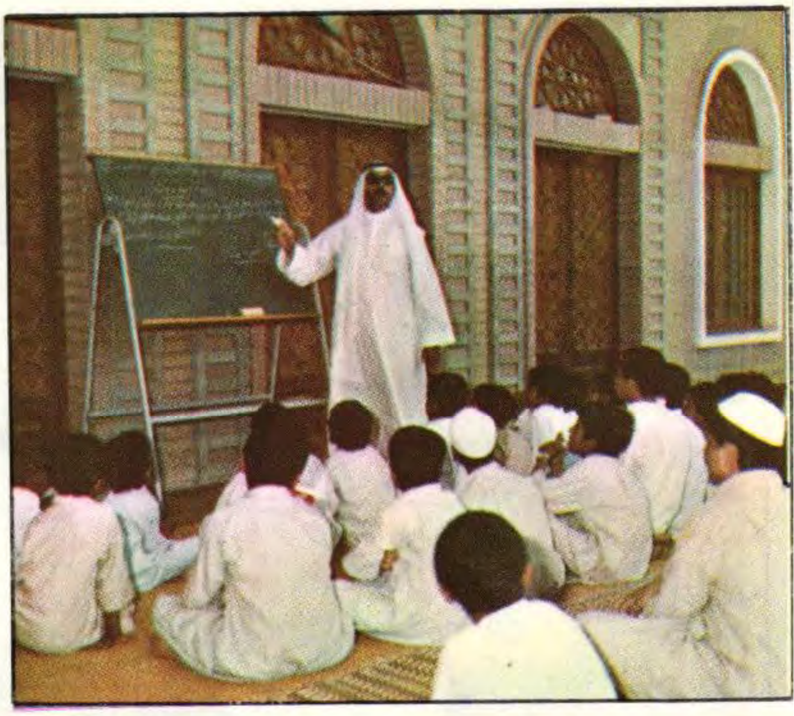
ومن الدروس التى حرصت عليها واعتززت بها دروس العقيدة التى تأثرت بها كثيرا وأنا أستمع اليها من المعلم وما أحزننى الا أن الدراسة



● اقبل على مسجد الجهراء كبار السن ايضا

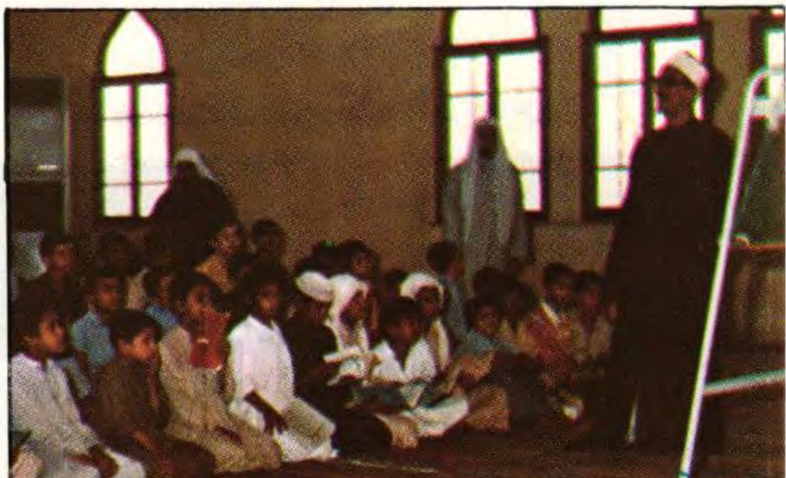
● جلسة تصحيح تلاوة لكبار السن .





● شرح على السبورة في مسجد الرميثية .

● في مسجد الفروانية جلس الطلاب منصتين.



أوشكت على الانتهــاء .. الا انى سأعد الدفاتر والأقلام وكل ما يخص هذه الدراسات لأتمم ما بدأته فى هذا العام .

أما الطالب صلاح فهد ابراهيـــم العبيد فيقول :

ـ عندما علمت أن المســـاجد ستفتح صباح كل يوم للدراســـات الصيفية فرحت كثيرا وقررت أن أكون من أوائل الدارسين وفى الصـــباح توجهت وكلى ســـعادة وأمل الى مسجد ضاحية الروضـــة بدافع من نفسي وعن طيب خاطر بل وبفـــرح وابتهاج ، وعندما وصلت الـــى المسجد وجدت عددا من الشـــباب المسلم قد سبقنى الى المسجد ، وكان فرحى بهم عظيما ، وتمنيت لى ولهم التوفيق .

ويقول السيد جاسم محمد خميس

ـ أن هذا المشروع على كل حال مشروع نافع وعظيم ويكفى أنه أثار منافسة شريفة بين الشباب فى عمل ينفعهم فى الدنيا والآخرة ، الا أن لى ملاحظات بسيطة لو نظر اليها فى الأعوام القادمة لكان خيرا باذن الله، فقد سمعت من ابنى راشد أن كثيراً من الطلاب قيدوا أسماءهم ثم قصروا فى الحضور والعناية بالدراسة ، فلو كان هناك حصر للغياب ومكـــافأة للحاضرين لحرص عليها عدد أكبر ، ثم عندما اقتربت الدراسة من نهايتها اختار المدرس والمحفظ خمسة ليدخلوا المسابقة النهائية للتصفية فلو فرضنا أن مسجدا به أكثر من خمسة ممتازين فما ذنب الذين لم يؤخذوا ؟ كـــان الأولى فى نظرى أن يعطى الجميـــع فرصة الاختبار ويكون شاهدا على نفسه بالتقصير أو فرحا بنتيجة أدائه لواجب .

واحب تسجيل شكرى للسيد الأستاذ وزير العدل والأوقاف والشـــئون الاسلامية ، وجميع أخوانه الـــذين يتعاونون معه على حفظ مسيرة الأمة على طاعة الله ورسوله والعمـــل الدائب على أن يقوم أركان مجتمعنا على العلم والايمان .

— ● —

وظلت هذه المدارس تؤدى دورها مدة شهرين . ولما احتفلت وزارة الاعلام يوم اسراء الرسول ومعراجه الموافق ٧٥/٨/٥ بمهرجان ترتيل القرآن قدمت هذه المدارس ستة من ابنائها ، فازوا جميعا بجوائز تقديرية من صاحب السمو نائب أمير البلاد المعظم وولي عهده الأمين وجوائز أخرى من وزارة الاعلام . وهؤلاء الطلبة هم :

١ ـ أسامة على حسين العمر ـ من مسجد يوسف القناعى بالنزهة .
٢ ـ بدر منور حمدان محمد ـ من مسجد الامام النووى بالفروانية .
٣ ـ راشد مبارك البحر ـ من مسجد ضاحية الرميثية .
٤ ـ ضيف الله حميدى القحصي ـ من مسجد عبد الله بن عمر بالجهراء
٥ ـ عيد هدروس راشد ـ من مسجد الشويخ ب .
٦ ـ عبد الله مبارك الحقان ـ من مسجد ضاحية الفنطاس .

وفى ختام الدراسة رشحت كل مدرسة الخمسة الاوائل منها لاجراء التصفية النهائية واختيار العشرة الأوائل على جميع المناطق . وعقدت لجان الاختبار فى مسجد راشد العليان صباح يوم الاثنين ٧٥/٨/١٨ . وهذه هى النتيجة النهائية وهؤلاء هم العشرة الأوائل :

١ ـ حسام الدين محمود حسن .
٢ ـ خالد عيسى عبد الرحمن .
٣ ـ صالح مطلق صالح .
٤ ـ اشرف محمد رشاد الدين .
٥ ـ عبد الرحيم فايز عبدالرحيم .
٦ ـ علي محمود عطا .
٧ ـ محمود محمد محمود .
٨ ـ سليمان احمد السعيد .
٩ ـ راشد سعد العليمى .
١٠ ـ سمير يوسف حماد .



● السيد الوزير يلقي كلمته فى احتفال جمعية الاصلاح الاجتماعي .

وفى يوم الاحد ١٦ شعبان ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٧٥ م احتفل بتوزيع الجوائز على هؤلاء العشرة فى قاعة المعاهد الخاصة تحت رعاية السيد وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية وافتتح الحفل بتلاوة آيات من كتاب الله ، ثم القى السيد الوزير الكلمة الآتية :

الحمد لله الذى بعث رسوله الأمين بكتابه المبين ، هدى ورحمة ونورا للعالمين .

أيها الاخوة الكرام ،

انه مما يسعدنا أن نلتقى اليوم ، وفى هذه المناسبة الطيبة ، مع شبابنا الذين انضموا الى مراكز الدراسات الاسلامية التى نظمتها خلال هذا الصيف وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية .. نلتقى معهم



لنحتفل بتوزيع الجوائز على المتفوقين منهم .

ونحن نشعر بشيء من الرضـــا والسعادة أزاء ما حققتهءهذه التجربة، ذلك أن من أبرز مظاهر نجاحهــا تلك الأفواج المبـــاركة التى أقبلت عليها ، وانتظمت طيلة هذا الصيف فى سلكها .

لقد كان شبابنا حقا فى هذهالمراكز يعيشون فى جو يعبق بروائح الايمان فى بيوت الله ، وبين كتاب الله ، وحول عقيدة الاســـلام ومنهجه : (وأن هذا صراطى مســـتقيما ، فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل ، فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصـــاكم به لعلكم تتقون) .

وانه لما يزيد نفوســـنا رضا ، ويملأ قلوبنا غبطة ، وتفـــاؤلا ، أن يتكرر فى هذا اليوم ، احتفال للمرة الثالثة ولذات المناسبة وخلال شهر واحد فقط ، اذ سبق أن احتفلنا مع اللجنة العليا للترويح السياحى فـى مهرجان تلاوة القرآن الكريم ، كما شاركنا جمعية الاصلاح الاجتمـاعى حفلها لتوزيع الجـــوائز على أوائل الدارسين بمراكزها لتحفيظ القــرآن الكريم .

وفى هذا اليوم ، الذى نختتم فيه هذه الاحتفالات ، التى نكرم بهـــا الدارسين لكتـــاب الله ، يتـــأهب المسلمون فى مختلف أنحاء الدنيا ، لاستقبال شهر الصيام : (شـــهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للنـــاس ، وبينات من الهـــدى والفرقان) .

ونحن هنا ، يسرنا أن نعيش مع هذه الاحتفالات ، وهذا التـــكريم لدارسي كتاب الله فى موعد يقترب من تاريخ التنزيل ، ونسأل الله أن يكون فى هذا خير حافز لنا جميعا على استمرار مسيرتنا مع كتـــاب الله ، وفى رحاب بيـــوت الله ، والالتزام



● السيد الوزير والسيد الوكيل المساعد أثناء احتفال جمعية الاصلاح الاجتماعي .

● السيد الوزير يسلم الجوائز فى احتفال جمعية الاصلاح الاجتماعي

بمنهجه وحدوده .

كما نسأله ، أن يوفقنا الى أن ننطلق من تجربتنا تلك ، الى مزيد من العمل المنظم الدائم الذى يحقق للمسجد مكانته ودوره ضيله العام فى التعليم والارشاد والتوجيه .

ولا يسعنا فى هذه المناسبة ،ونحن نكرر مباركتنا وتهانينا لكل من انضم الى هذه المراكز من الدارسين والمتفوقين ، الا أن نشكر كل من سارك فى الاعداد والتدريس والاشراف على هذه الدراسات ، سائلين المولى ، جلت قدرته ، أن يوفقنا للاهتداء بكتابه الكريم ، والاقتداء بسيرة رسوله خاتم النبيين ، فى ظل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وولي عهده الأمين .

والسلام عليكم ورحمة الله .. »»

ثم وزعت مكافآت مالية جوائز لأوائل الفائزين .

لقد كان هذا المشروع باكورة مصغرة ونرجو أن ينمو شيئا فشيئا . ولقد تم بسرعة عجيبة شأن كل جديد ، ولذلك يحتاج الى ما يأتى :

● زيادة هذه المدارس حتى تشمل جميع المناطق .

● زيادة عدد المدرسين فى المسجد الواحد ، وتقسيم الطلاب الى صفوف حسب استعدادهم وأعمارهم .

● أن تبدأ الدراسة يوميا فى وقت مبكر بدلا من التاسعة والنصف .

● اعتماد مكافأة شهرية للطلبة أسوه بدار القرآن الكريم ، تشجيعا لهم على الاقبال على هذه الدراسة، ويحسن اعداد سيارات لنقلهم كما هو معمول فى بعض الجمعيات .

● اعتماد عدد من المفتشين لمتابعة العمل فنيا .

● اعادة النظر فى المنهج وتوزيعه على مدى أوسع ولسنوات قادمة .



● السيد الوزير وبصحبته السيد الوكيـــل يقومان بتوزيع جوائز اوائل الفائزين للدراسات الصيفية التابعة للوزارة .

● اجراء مسابقة اول الفـــترة الصيفية لتوزيع الطلبة بمقتضاها على صفوف تتناسب مع ما حفظـــوه من قبل حتى يكون استيعابهم فـــــى ازدياد .

● تفتح ادارة المساجد صـــدرها لجمـــــيع الاقتراحات التى يراها المصلحون .

ونسال الله سبحانه ان يجعــــل القرآن العظيم ربيع قلوبنـــــا ونور صدورنا ، وان يجزى كل من اسهم فى هذا العمل الكبير عن الاســــلام والمسلمين خير الجزاء .

ومما هو جدير بالذكر أن جمعية الاصلاح الاجتماعى قامت بدور عظيم فى هذا المجال ، فمنذ سنة ١٩٦٨ وهى تقيم سنويا مراكز لتحفـــيظ القرآن الكريم وصل عددها الى ٢١ مركزا للشباب و ٦ مراكز للبنـــات موزعة على مناطق الكويت المختلفة وقد بلغ عدد المنتسبين هذا العـــام ٤٥٤٩ طالبا وطالبة .

وقد حاز نشاط الجمعية رضـــاء المسئولين فى الكويت ، فقد تبرع سمو الشيخ جابر الأحمد ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بمبلغ ٦٠٠٠ ستة آلاف دينار تشجيعا للمجيدين من حفظة القرآن الكريم .

وقد تم توزيعها فى نهاية الدورة على النحو التالى :

- ٣٠٠ الاول على مستوى الدولة .
- ٢٠٠ الثانى على مستوى الدولة .
- ١٥٠ الثالث على مستوى الدولة .
- ١٠٠ الأول على مستوى المركز .
- ٧٥ الثانى على مستوى المركز .
- ٥٠ الثالث على مستوى المركز .
- — الرابع جواجز تشجيعية .
- — الخامس جوائز تشجيعية .

وتقديرا للمجيدين والمتفوقين من الطلبة والطـــــالبات فى الدورة ، وتشجيعا للجميع ، فقد أقامت جمعية

الاصلاح الاجتماعى حفلها الختامى لدورة التحفيظ ، بقاعة الاحتفالات بالجمعية .. وقد تم ذلك على يومين متتالين .. الاربعاء ٧٥/٨/١٣ للبنين ، حضر الحفل الأستاذ عبد الله ابراهيم المفرج وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية حيث قام مشكورا بتوزيع الجوائز على المتفوقين من الطلبة ..

وقد استهل الحفل بتلاوة قرآنية من أحد الطلبة .. ثم القى وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

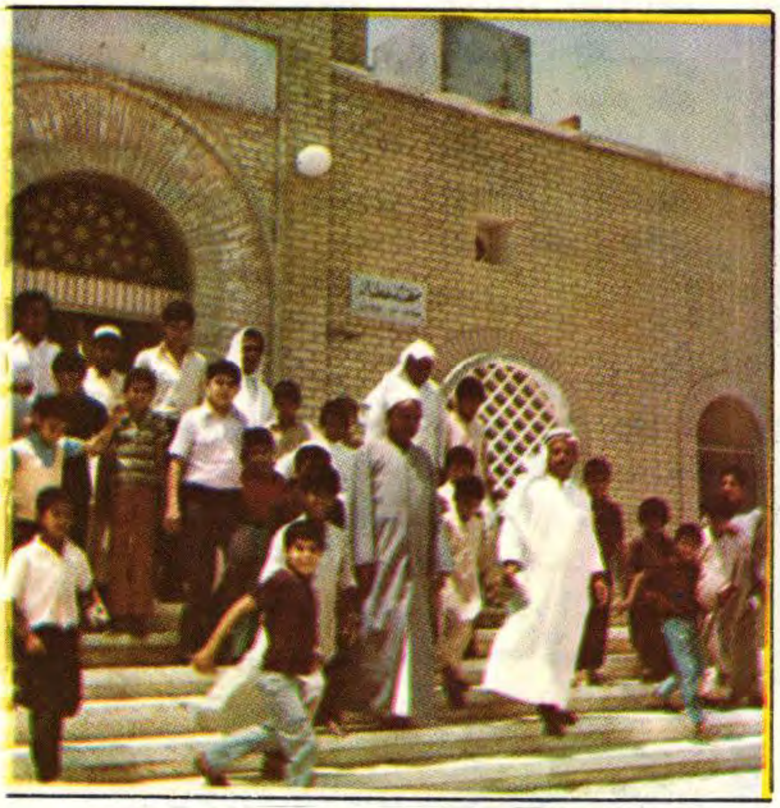
الحمد لله جلت قدرته والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم أنبيائه الذى بعثه رحمة للعالمين بكتابه المبين . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

وبعد أيها الاخوة الكرام ،

يسعدنا فى هذه الامسية المباركة، أن نشارك جمعية الاصلاح الاجتماعى احتفالها لتكريم الفائزين بحفظ وتلاوة القرآن الكريم ، ممن انضموا الى مراكز تحفيظ القرآن الكريم التى افتتحتها جمعيتكم الموقرة خلال هذا الصيف ، والتى اجتذبت بفضل الله وبما بذل من جهود مخلصة صادقة هذا الحشد الكبير من الطلاب والطالبات .

ولسنا هنا بصدد تقييم مثل هذه التجربة الرائدة المثمرة اذ يكفيها تفوقا أن يكون موضوعها كتاب الله الكريم (كتاب أنزلناه اليك ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) .

كما أن أهدافها أن تحقق قول الله تعالى : (ان هذا القرآن يهدى للتى



● انتهى الدرس فى مسجد خيطان .

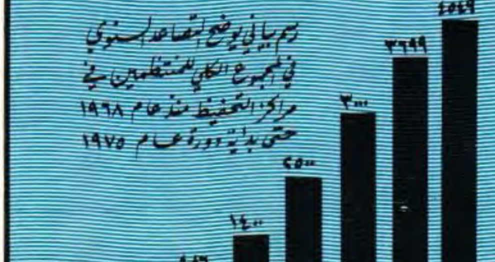
هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) .

نعم ان هذه المراكز فى عملها خلال هذا الصيف ، بمثابة المناهل العذبة النقية ، التى ارتشف منها روادها ما يروى غليلهم وينقى عقيدتهم وقلوبهم ويرسخ ايمانهم ويقوى عزائمهم ويقوم ألسنتهم ويعينهم على أداء واجبهم ، بأعمالهم وأقوالهم فى حاضرهم ومستقبلهم .

واذا كنا هنا نسجل بكل تقدير هذه المبادرات الكريمة لجمعية الاصلاح الاجتماعى على جهودها وصمودها فاننا نضرع الى الله أن يوفق العاملين المخلصين فى كل ما من شأنه أن يعزز الايمان فى القلوب والنفوس ويبرز آثاره فى السيرة والسلوك . ونحن على يقين بأن هذا الجيل الجديد الذى نرعاه اليوم فى



● مجموعة من طلاب مراكز جمعيـــة الاصلاح الاجتماعي .



مثل هذا الحفل سوف يكون بحول الله عددا جديدا يجسد الصورة التـــــى حددها القرآن الكريم لدور عباد الله المؤمنين فى قوله تعالى : (ولتــكن فيكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

أيها الاخوة الكرام ،

اننا اذ نكرر اعترافنا بفضـــل هذه الجمعية فى هذا المضـــــمار ونؤكد تقديرنا لجهودها الايجابية فى خدمة هذه الامة لا يسعنا الا أن نؤكد لكم مباركة الحكومة وعلى رأسها ســـمو نائب الأمير المفـــدى ولي العــــهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد لمثل هذه النشاطات الجليـــلة المثمرة التى عبر سموه عن تشجيعه وتقديره للقائمين عليها والمشـــتركين بها بتقديم هذه الهدايا التى نحتفـــل بتوزيعها فى هذه الليلة المباركة .

واننا هنا اذ نتقدم بالشكر لسمو نائب الأمير المفدى ولجمعية الاصلاح الاجتماعى ، نضرع الى الله أن يوفق أمتنا للسير فى هدى القرآن الكريم فى ظل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



رسم بياني للمقارنة بين عدد البنين والبنات

وفى نهاية الحفل قام الســـــيد الوزير بتوزيع الجوائز على المتفوقين فى الدورة .

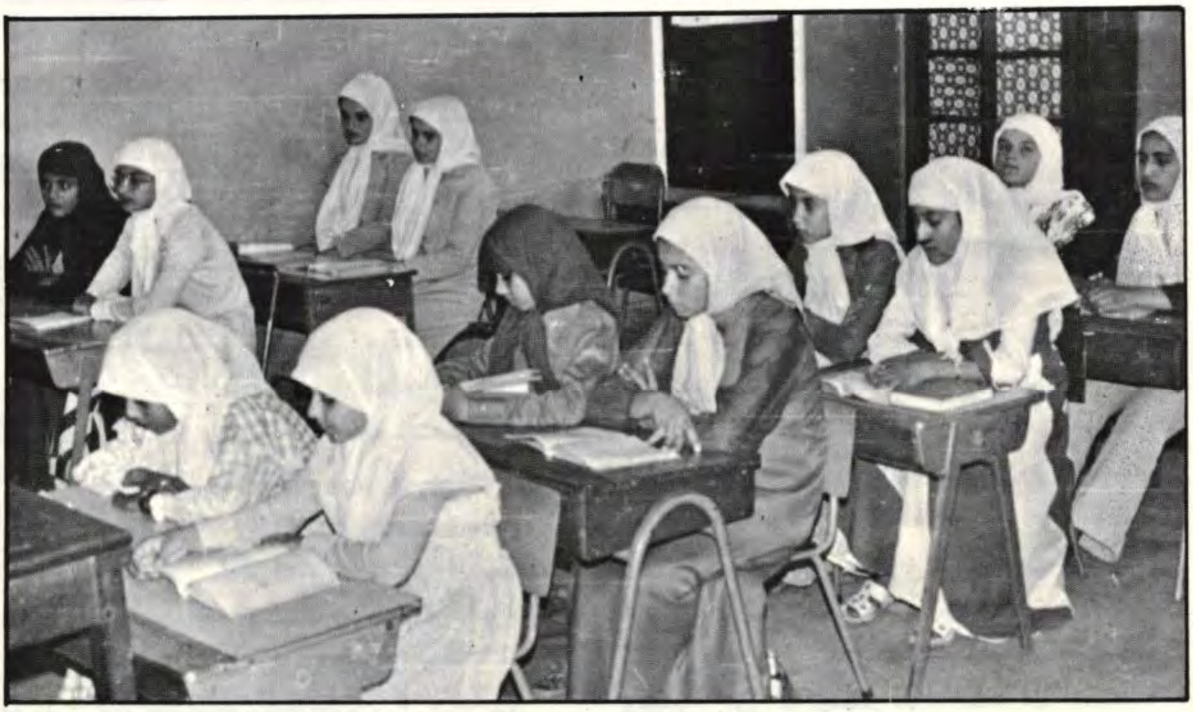
وفيما يلى أسماء المتفوقين الأوائل فى مراكز البنين والبنات ..

الثلاثة الأوائل على جميع المراكز :

١ ــ صالح سيد محمد العطاس من مركز مدرسة عبد الرحمن الدعيج بالصباحية .

٢ ــ مبارك سلط الدوسرى من مركز مسجد الوفرة .

٣ ــ زهية شبيب صقر من مركز مدرسة الفحيحيل المتوسطة للبنات .



● طالبات مراكز الاصلاح الاجتماعي .

حفل البنات :

وفى اليوم التـــالى الخميس ٧٥/٨/١٤ احتفلت مراكز البنات فى مقر الجمعية ما بين المغرب والعشاء .. وتضمن البرنامج قراءة قرآنيــة كريمة من الطالبة مها محمد ، من مركز الفحيحيل ، ثم نشيد فى حماك ربنا من طالبــات المركز نفســـه ، وأعقب ذلك نشيد دينى « الله الله يا كريم » .. لطالبات مركز زبيدة بنات .. ثم ألقت الطالبة منى ناصر من مركز الأمة كلمة دعت فيهـــا زميلاتها بالتمســـك بتعاليم الدين الحنيف .. وأثنت على القـــائمين بالأمر فى جمعية الاصلاح الاجتماعى لما يبذلونه من جهـد طيب فى نشر التعاليم الاسلامية .

ثم قدمت طالبات مركز زبيـــدة تمثيلية تحت عنـــوان « موعد فى الجنة » .. ظهر فيها تمســـك المسلمين الأوائل بدينهم رغم تعرضهم لصنوف التعذيب المختلفة ..

واختتم الحفل بتوزيع الجوائز على المتفوقات من الطالبات .

حفلات المراكز :

وفى صباح الخميس احتفلت جميع المراكز (بنين وبنات) كل فى مكانه بتقديم الشهادات والجوائز لبقيـــة المتفوقين وقدم الطلبة والطـــالبات الكلمات المناسبة .. وعروضا طيبة من جهدهم الاسلامى .

كما قدموا مســـابقات محلية .. وهذا مما يدل دلالة صادقة علـــى التقدم الملموس ، وعلى انتشـــار الوعى الاسلامى فى صفوف شبابنا المسلم .. الذى نرجو له من الله السداد والتوفيق .

السيف وكان يشيع فى هذا الصنف الحلف بالله زورا وكذبا لتبرير تخلفهم وقد حكى ذلك القرآن الــــكريم : « **يحلفون بالله لكم ليرضوكم واللــه ورسوله أحق أن يرضوه أن كانوا مؤمنين** » . (٦٢ : التوبة) .

٤ ــ المخلفون الذين وقعوا فى حبائل الشيطان فزين لهم القعود عن المعركة كسلا وحبا فى الراحــــة وأيثارا للعافية ولكن بدون أن يخالط ذلك تردد فى العقيدة ، ولا نفاق فـــى الايمان ، ولكنه التراخى وحده هــو الذى شل حركتهم وثبط همتهم وكانوا اربعة : أبو خيثمة ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع العامرى ، وهلال ابن أمية الواقفى ، وهذان الأخيران ممن شهد بدرا .

فأما أبو خيثمة فقد تدارك أمـــره قبل فوات الأوان وصحا ضميره من غفلته حين رأى نفسه فى يوم قائظ بين امرأتين جميلتين له فى بستـــان ظليل وماء نمير فقال : ما هذا بالنصف .. رسول الله بين الضح والريح ، وأنا هنا فى مالى مقيم ؟! وانطلـــق يطلب الرسول حتى أدركه حـــين نزل بتبوك فأفلت من المؤاخذة ، وخرج عن دائرة المخلفين .

وأما الثلاثة الآخرون فقد استمرأوا القعود حتى فات الأوان ، ثم استيقظ ضميرهم يؤنبهم حتى ربطوا أنفسهم فى سوارى المسجد ، وضاقـــت الدنيا عليهم بما رحبت ، وضاقـــت عليهم انفسهم ، وظنوا أن لا ملجـــأ من الله الا اليه ، فلما عاد الرسول بركبه وجيشه المنتصـــر ، دعـــا الناس الى مقاطعتهم والتخلى عنهم ، فاجتنبهم المسلمون وتغيروا لهـــم وتحاشوا الحديث معهم ثلاثين يوما ، ثم طلب الرسول اليهم اعتزال نسائهم بلا طلاق ، وما تكاملت عليهم خمسون ليلة حتى كان الندم والأسى قد بلغ بحيث لم يبق في قوس الصبر منزع ، وهنا علم الله توبتهم، وحسن أوبتهم، وصادق ندمهم ، وأساهم ، فأنزل عليهم الرحمة ، والبسهم ثوب التوبة، وافاض عليهم نعمة العفو والرضوان، حين أنزل قوله تعالى : « **لقد تـــاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة ..** » الى قوله تعالى : « **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا أن الله هــــو التواب الرحيم** » (١١٨ : التوبة) .

وبعد : فان التخلف عن واجـــب القتال حين تدعو الحاجة اليه لانقاذ العقيدة والمقدسات وحماية أوطـــان المسلمين ، واعلاء دين الله ، جريمة لا تغتفر ، وكبيرة من أكبر الكبائر فى الاسلام ، تحبط العمل ، وتزيـــف الدين وتصم صاحبها بوصمة النفاق والفسق والفجور ، ولن يعفى المرء فيها الا الأعذار المقبولة ، والأسباب الخارجة عن الوسع والطاقة ، وما دام المسلم مستعدا للمعركة ، قادرا عليها مدعوا لها فعليه أن يلبى النداء ويبذل الأرواح والدمـــاء ، ولا يضن بالتضحية والفداء ، من اجل دينـــه ووطنه وعقيدته ، واعلاء كلمة ربـــه وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « مثل المجاهد فـــى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يغفر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله » (متفق عليه) .

رمضان

شهر القرآن والبر والمغفرة

للاستاذ : محمد نعيم عكاشة

الصيام من احب العبادات الى الله تعالى .. وقد اعتبروه ربع الايمان . لقوله صلى الله عليه وسلم « الصوم نصف الصبر » .. وقوله : « الصبر نصف الايمان » .. وقد روى فى المباهاة بالصائم ان الله تعالى يقول : (انظروا يا ملائكتى الى عبدى ترك شهوته ولذته ، وطعامه وشرابه من اجلى » (حديث قدسي) . وقيل في قوله تعالى : **« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون »** (السجدة : ١٧) كان عملهم الصيام لانه قال : **« انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب »** (الزمر : ١٠) والصابرون : الصائمون في اكثر الأوقات ..

وورد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخص شهر رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور فكان يكثر فيه من الصدقة والاحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة ، والذكر ، والاعتكاف .. « كان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان ، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس ، واجود ما يكون فى رمضان » .

كما ان الصوم يتميز عن غيره من سائر العبادات ، وهو ما عبر عنه بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : « الصيام لى وأنا أجزى به » وذلك لانه يقع فى القلب ولا يكون الا بالنية التى تخفى عن الناس ولا يطلع عليها احد غير الله فاضافة سبحانه وتعالى الى نفسه باعتباره سرا بين العبد وربه يفعله خالصا له ، ويعامله به طالبا لرضاه ..

فرض الصوم على المسلمين ..

وقد فرض الصوم على المسلمين في الآيات الخمس (١٨٣ — ١٨٧) من سورة البقرة المدنية مثلما كان مفروضا على اهل الملل السابقة حيث كانت تتعبد به الأمم القديمة حتى الوثنية منها باعتباره من أقوى العبادات .. فقد كان معروفا عند قدماء المصريين ، وانتقل منهم الى اليونان ثم الرومان ، ولا يزال الوثنيون حتى وقتنا هذا يؤدون نوعا خاصا من الصيام .

وورد في التوراة والانجيل مدح الصوم ، وفرض على اليهود فى بعض الأيام ، واشهر صوم واقدمه عند النصارى هو الصوم الكبير الذى يسبق عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى ، وكان يصومه عيسى والحواريون ، والتشبيه انما هو فى الفرضية لا فى الصفة ولا فى العدد ..

ومن حيث صيام رمضان فقد بين الله لنا الحكمة فى كتابته على الناس ببيان فائدته الكبرى ، وهى اعداد نفس الصائم لتقوى الله بترك شهواته الطبيعية المباحة ، الميسورة، امتثالا لأمر ربه ، واحتسابا للاجر عنده ، فتتربى بذلك ارادته ، وتقوى نفسه .. كما يتناول هذا المعنى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة ..

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن الصيام الذى كتبه علينا معين محدد، فقال : « **أياما معدودات** » (البقرة /١٨٤) أى معينات بالعدد أو قليلات، لأن القليل يسهل عده . روى عن مقاتل أن كل معدودات فى القرآن أو معدودة ، دون الأربعين ، ولا يقال ذلك لما زاد ، والمراد بهذه الأيام المعدودات هى أيام رمضان — اختار ذلك ابن عباس والحسن رضى الله عنهما — .

وبنزول آيات الصيام الكريمة صام الرسول صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون شهر رمضان فى العام الثانى من الهجرة ، وكان أول يوم فيه يوافق أول شهر برمهات القبطى والسادس والعشرين من شهر فبراير الميلادي . وذكرت بعض كتب أهل السيرة أن أيامه فى تلك السنة كانت كاملة العدد كما دون ذلك الحاسبون قال البيضاوي فى قوله تعالى : « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** » (البقرة : ١٨٣) ، يعنى الأنبياء

والأمم من لدن آدم عليه السلام ، وفيه توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل ، وتطييب للنفس .

وقال الجصاص في أحكام القرآن: ان قوله تعالى : **« كما كتب على الذين من قبلكم .. »** (البقرة : ١٨٣) يحتمل ثلاث معان كل واحد منها مروى عن السلف ، قال الحسن والشعبي وقتادة : انه كتب على الذين من قبلنا ــ وهم النصارى ــ صيام شهر رمضان أو مقداره من عدد الأيام ، وقال ابن عباس والربيع ابن انس والدى : كان الصوم من العتمة الى العتمة ، ولا يحل بعد النوم مأكل ولا مشرب ولا منكح ثم نسخ .

وقال آخرون : معناه أنه كتب علينا صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام ، ولا دلالة فيه على مساواته فى المقدار ، بل جائز فيه الزيادة والنقصان .

وقال أبو السعود : المراد بالمماثلة اما فى أصل الوجوب ، واما فى الوقت والمقدار .

والخلاصة عند جمهور العلماء أن ليس المقصود من الآية **« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »** (البقرة : ١٨٣) ان من قبلنا كانوا يصومون ما نصومه اليوم ، بل القصد من ذلك هو بيان أن فريضة الصوم عامة ، ولكل أمة أيام معينة تصومها . قال تعالى : **« ولكل أمة جعلنا منسكا .. »** (الحج : ٣٤) وقد خص الله الأمة الاسلامية بصوم شهر رمضان باعتباره الشهر الذى أمر فيه رسوله بالبلاغ ، ونزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد الشهر وجب عليه صومه .

ومن أعظم فضائل الصوم انه يتميز عن غيره من بقية العبادات بخاصة لا توجد في سواه ، وهى أنه ينسب الى الله تعالى ، وانه يعطى عليه من الثواب بغير حساب ولا تقدير ، ويشهد لهذا قول الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم : « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، الا الصيام فانه لى ، وأنا اجزى به) .

شهر رمضان .. فى الجاهلية

كان شهر رمضان معظما فى الجاهلية عند كثير من قبائل قريش ، خصوصا المتألهين ، أى الذين يعتقدون فى وجود الاله وان كانت مضر تعظم رجبا لأنه شهر حرام لا قتال فيه ، وقد كانت تصومه وتبر فيه ، ولذلك سماه رسول الله شهر مضر .

ويروى أهل السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحنث (يتعبد) شهرا من كل سنة فى غار حراء ، كما هو مبسوط فى سيرة ابن اسحاق وغيره .

ويقول صاحب السيرة الحلبية : ان غار حراء كان يتحنث فيه أهل الجاهلية الذين يروضون أنفسهم على الأخلاق القديمة وهم المتأهلون منهم ، وأول من تحنث بحراء عبد المطلب ابن هاشم ، كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ، ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة ابن نوفل ، وابى أمية بن المغيرة .

وكان عليه الصلاة والسلام يجاور

ذلك الشهر . يطعم من جاءه من المساكين ، لأنه من نسك قريش فى الجاهلية ..

.. وتعظيمه فى الاسلام

أما تعظيمه فى الاسلام فقد ازداد بعد أن ذكر اسمه صراحة في القرآن دون بقية الشهور ، وأن الله سبحانه جعله شهر الصوم الذى فرضه على عباده ، يقول سبحانه : **« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. »** (البقرة : ١٨٥) .

وكذلك حفاوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهر رمضان ، واعتباره شهر القرآن .. ففيه نزل القرآن الكريم ، وفيه كانت انتصارات الاسلام الأولى ، وفيه يستجاب لكل مسلم صائم .

هدى الرسول في رمضان ..

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم فى رمضان الاكثار من أنواع العبادات .. ففى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس. وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة فى رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .. اخرجه الامام أحمد بزيادة فى آخره وهى « لا يسأل عن شىء الا أعطاه » .

الجود : هو سعة العطاء وكثرته ، والله تعالى يوصف بالجود ، وفى الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله جواد يحب الجود كريم يحب الكرم » ..

وفيه أيضا من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه ، قال : « .. يا عبادى لو أن اولكم وآخركم وحيكم وميتكم ، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد ، فسأل كل انسان منكم ما بلغت أمنيته ، فأعطيت كل سائل منكم ، ما نقص ذلك من ملكى الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ، ذلك بأنى جواد واجد ماجد أفعل ما أريد » .

فكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان عن غيره من الشهور ، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا ، فان الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة .

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر من قراءة القرآن فى رمضان ، ففى الصحيحين عن ابن عباس : « كان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل استمع ، فاذا نطق جبريل قراه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأ » فدل حديث ابن عباس هذا على استحباب مدارسة القرآن فى رمضان ، والاجتماع عليه ، وعرض القرآن على من هو احفظ منه ..

وفي حديث آخر عن ابن عباس ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل كانت ليلا ، وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة

القرآن فى رمضان ليلا ، حيث تنقطع فيه الشواغل ، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر .

وكان من هديه « انه صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة فى قيام رمضان بالليل أكثر من غيره ، وقد صلى معه حذيفة ليلة فى رمضان فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران ، لا يمر بآية تخويف الا وقف وسأل ، فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذنه بالصلاة » . أخرجه الامام أحمد والنسائى .

وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يقوم بها فى بقية الشهر . منها أحياء الليل ، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، شد مئزره وأحيا ليله ، وايقظ أهله »

قال ابن القيم : وذلك لأنه لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره الى الله تعالى متوقفا على جمعه على الله ولم شعثه ، باقباله بالكلية على الله تعالى فان شعث القلب لا يلمه الا الاقبال على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب ، وفضول مخالطة الأنام ، وفضول الكلام ، وفضول المنام ، مما يزيده شعثا ، ويشتته فى كل واد ، ويقطعه عن سيره أو يضعفه أو يعوقه ـ اقتضت رحمة الله العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم فى الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة عن سيره الى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة . .

ولما كان مقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى ، والاقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته ، وان هذا المقصود يتم مع الصوم ـ فقد شرع الاعتكاف فى افضل أيام الصوم ، وهو العشر الأواخر من شهر رمضان ، ولم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اعتكف مفطرا قط ، بل قد قالت عائشة رضى الله عنها : « لا اعتكاف الا بصوم » . . وهو القول الراجح الذى عليه جمهور السلف أن الصوم شرط فى الاعتكاف .



إلى رحاب الرضوان في جنة النعيم

للشيخ عبد الله النورى

فجعنا منذ فترة بوفاة شيخ جليل وعالم فقيه فى الدين هو فضيلة الشيخ عبد الوهاب الفارس وهو المعروف بصلاحه وورعه وتقواه . فقد كان رحمه الله على جانب كبير من الورع والتقــوى متخلقا بأخلاق السلف الصالح .

فقيها فى مذهبه ، شديد التمسك بفقهه ، لا يحابى ، ولا يجــامل فى الدين ، ولا يداهن ، ولا يبيع الدين بالدنيا ، ولا تأخذه فى كلمــة الحق لومة لائم .

كان جودا اذا وجد رحيما بالضعفاء كريما عليهم ينفق ما يجده ، يعطى لله وفى ذات الله حتى لا تعلم شماله ما أنفقته يمينه .

ولد رحمه الله فى أواخر عام ١٣١٩ ﻫ فى الكويت من عائلتين كريمتين . فكان جده لأبيــه الشيخ محمد الفارس العالم التقي الورع الحنبلى أستاذ فقهاء الــكويت والزبير وكان جده لأمه محمد السميط من العائلة المعروفة فى الكويت والزبير .

وفى سنة ١٣٣٨ ﻫ توفى أبوه عبد الله بن عبد العزيز بن الشيخ محمد الفارس وخلفــه سادس اخوته وهم أربعة ذكور وابنتين فرعا اخوته وهو لم يخط الثامنة عشرة من عمره ولم تقصر رعايته لهم عن طلب العلم والتفقه فيه . وكان يختلف الى علماء ذلك اليوم وكان أكثرهم اتصــالا به المرحوم الشيخ عبد الله الخلف العالم الجليل فقيد الكويت سنة ١٣٤٩ ﻫ .

وكان الشيخ عبد الله الخلف لم يأل جهدا فى تعليمه وكان يحبه لأنه يرى فيه الاخلاص ، فى الطلب والتفانى فى رعاية القصر من اخوته .

وفى حوالى سنة ١٣٤٥ ﻫ توفى المرحوم ابن مانع أمام مسجد الفهد فأجمع جماعته على ان لا يؤمهم بعده الا الشيخ عبد الوهاب الفارس فكان اماما لهم فى مسجد الفهد حتى لقى ربه .

حج المرحوم أول مرة فى سنة ١٣٥٠ ﻫ والحج يومئذ على ظهور الجمال . والعلماء يومئذ فى مكة والمدينة كثيرون ولهم حلقات دروس ووعظ فى الحرمين الشريفين فكان يمضي نهاره متنقلا من حلقة الى حلقة يعى من مشايخها كل ما يسمع وكنت مع الحجاج فى ذلك العام .

وبعد قفولنا من الحج فى أواخر محرم سنة ١٣٥١ هـ قررت أنى أعيد على الشيخ عبد الوهاب قراءة نيل المآرب فى شرح دليل الطالب للشيخ عبد القادر الشيبانى .

ولما عرضت عليه رغبتى رحب بها رحمه الله فكان منذ ذلك اليوم صديقى وأستاذى .. وكنت آنئذ معلما فى المدرسة المباركية ومسجد الفهد فى طريقى اليها فكنت أحضر قبل صلاة العصر كل يوم مع الأخ المرحوم الشيخ محمد الشايجى الذى لم يواصل الدرس وقد وفقنا الله لاكماله قبل رمضان سنة ١٣٥١ هـ فكانت مراجعة مباركة موفقة بفضل الله .

فى سنة ١٣٦٤ هـ عرض عليه رئيس المحاكم – يومئذ الشيخ عبد الله الجابر الصباح – القضاء وكأنى أراه الآن وقد جمع اليه ثيابه وهو يستغفر الله ويستعيذ به ويرد على الرئيس قائلا :

ـ لا يا شيخ لا يا شيخ ، أرجوك اعفينى من هذا المنصب فأنا غير لائق به لأنى سريع الغضب ..

ولا أظن رفضه هذا الا نزاهة وبعدا عن مزالق القضاء .



وفى أواخر رجب سنة ١٣٨٠ هـ أول يناير سنة ١٩٦١ م ذهبنا بطريق الجو سوية الى القدس لزيارة المسجد الاقصى وأمضينا هناك وقتا طيبا فى رفقة سعيدة .

وفى صباح يوم السبت ١٧ رجب سنة ١٣٩٥ الموافق ١٩٧٥/٧/٢٦ نعت الاذاعة نبأ وفاته فكان لهذا النعي الأثر البالغ فى قلوب عارفيه .

انتقل رحمه الله قبيل شروق شمس ذلك اليوم على أثر وعكة خفيفة أحس بها قبيل صلاة الجمعة ولم تمنعه عن أدائها ولا أداء الفرائض بعدها ، وشيع الى مثواه الأخير ضحوة ذلك اليوم تشييعا يليق بصلاحه وتقواه .

اللهم اغفر لشيخنا عبد الوهاب وارحمه رحمة واسعة تبلغه بها منازل الصالحين الأبرار من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وختاما أسأل الله أن يجعل فى عاقبه خير خلف لخير سلف وأن يلهم آله وذويه الصبر ويعظم لهم الأجر .

تاريخ العلوم الإسلامية والعربية

٥

للدكتور

احمد الحجي الكردي

العصر الوسيط مصطلح يطلقه كثير من العلماء والباحثين على الفترة التى تلت سقوط بغداد عام ٦٤٢/هـ. حتى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى .

ونحن لا نريد أن نناقش هؤلاء العلماء فى دقة هذا المصطلح الآن لئلا يشغلنا ذلك عما نحن بصدده من رصد الحركة العلمية فى هذه الفترة ، ولأنه لا يهمنا التسمية التى تطلق على هذه الفترة بقدر اهتمامنا بحركة تطور العلوم الاسلامية فيها .

لقد حققنا في العصر العباسى أن العلوم الاسلامية وصلت فيه الى الذروة فى كافة مجالاتها واقسامها ، وقلنا ان العصر العباسى هو العصر الذهبى بالنسبة الى هذه العلوم ، وحق كل ما قلناه ، فان القرون التى تلت ذلك العصر لم تكد تزيد عليه كما ولا كيفا ، ولكنها عملت فقط على بلورة تلك العلوم وتشذيبها وعقد المقارنات بينها ، ثم التصنيف فيها وتبويبها وتقريبها الى ذهن الطلاب بالشروح المفصلة والموسوعات الجامعة الفضفاضة .

والسبب فى ذلك عندى هو وصول تلك العلوم الى الذروة فى العصر العباسى وعدم حاجتها للزيادة بعد ذلك الا من حيث التبويب والتصنيف وهو الامر الذى تم فى هذا العصر ، يضاف الى ذلك شعور العلماء ببعض الفوضى السياسية والظلم والعنت فى أكثر بلدان العالم الاسلامى مما حد من نشاطهم العلمى وقصر همهم على الوقوف عندما تقدم من العلوم دون الزيادة عليها ، وان ذلك ليظهر جليا فيما سوف نستعرضه من الكتب التى تعتبر شروحا أو حواشى

أو تقريرات أو تعليقات على الكتب العلمية الاولى التى تقدم بيانها .

ولكن هذا ليس معناه بحال ان العلم وصل فى هذا العصر الى طريق مسدودة وقف عندها ، فان هنالك جهودا كبيرة صرفت وعقولا عظيمة عملت ، وانتاجا وفيرا تم انضاجه ، بل معناه أن الحركة العلمية اخذت طريقا افقيا بدلا من الطريق العمودى الذى كانت عليه .

وفيما يلى ادراج لأهم الكتب والمصنفات التى برزت فى هذا العصر فى مختلف العلوم الاسلامية والعربية .

١ ـ كتب التفسير فى العصر الوسيط :

أ) الجامع لأحكام القرآن : للعلامة ابى عبد الله محمد بن أحمد بن ابى بكر بن فرح الانصارى الخزرجى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١/هـ. وهو من اوسع كتب التفسير وادقها واكثرها عناية بالأحكام ، وهو مطبوع فى عشرين جزءا كبيرا ، وقد قدم المؤلف فى الجزء الأول مقدمة هامة جدا بين فيها تعريف التفسير وانواعه ومصادره وطرقه وما يتعلق بذلك .

ب) أنوار التنزيل : للعلامة القاضى ناصر الدين ابى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥/هـ. وهو تفسير مقتضب مطبوع فى جزئين متوسطى الحجم الا انه عمدة المفسرين والعلماء لدقته واحتوائه على المعانى الغزيرة فى العبارات القليلة ، وكثيرا ما تعرض لنكات بلاغية وعلمية غفل عنها غيره.

جـ) مدارك التنزيل : للعلامة حافظ الدين عبد الله بن احمد النسفى المتوفى ـ سنة ٧٠١/هـ. ـ وهو كتاب متوسط الحجم طبع في مجلدين متوسطين ، يقارب في حجمه تفسير البيضاوى السابق ، كما يقاربه فى افادته . وهو تفسير شائع الصيت لدى العلماء والطلاب لصغر حجمه وسهولة عبارته .

د) لباب التأويل فى معانى التنزيل : للعلامة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى المعروف بالخازن المتوفى سنة ٧٤١/هـ. وهو تفسير متوسط الحجم مطبوع فى سبعة اجزاء جامعة مفيدة .

هـ) تفسير القرآن العظيم : للعلامة عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمرو ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤/هـ وهو مطبوع فى اربعة اجزاء ، تعد من أمهات كتب التفسير لاحتوائها على الأحاديث الشريفة التى توضح وتفسر الآيات الكريمه .

هذا وكتب التفسير كثيرة بعد هذه الكتب الا أن أكثرها مأخوذ بعضه من بعض ومعتمد بعضه على بعض ، فما من هؤلاء المؤلفين احد الا وهو تلميذ لمؤلف آخر او شيخ له ، وهكذا فانك تجد المعنى الواحد يتكلم عنه المفسر ثم ينتشر بين المفسرين حتى تكاد لا تفقده فى تفسير من هذه التفاسير ، ولكن هذا لا يغض من قيمة هذه التفاسير ، ولا يحول دون امتياز كل منها باسلوب خاص وعناية خاصة واهتمامات معينة ، فالفقيه تجده يكثر ويتفنن في استنباط الاحكام ، واللغوى تجده يتفنن ويبدع فى اظهار روعة الاسلوب ودقة التعبير وهكذا ...

٢ ــ كتب الحديث الشريف في العصر الوسيط :

لقد تشعب علم الحديث كما تقدم في العصر العباسي ، وكثرت المصنفات فيه ، وقد تابع الحديث سيره في هذا العصر ايضا واستمر العلماء في التأليف والتصنيف فيه وان كانوا شانهم شأن العلماء الاخرين عالة على كتابات من سبقهم يعملون فيها تبويبا وتنقيحا ومقارنة ونقدا ..

أ ــ كتب الحديث الشريف :

١ ــ رياض الصالحين : للعلامة أبي بكر محي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦/هـ. وهو مطبوع في مجلد كبير جامع لعدد كثير من الاحاديث الشريفة الصحيحة التي تعنى بتربية النفس من جميع نواحيها ، ولهذا الكتاب شهرة كبيرة بين العلماء والطلاب والعامة حتى لا يكاد يخلو بيت مسلم منه .

٢ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للعلامة نور الدين على بن ابي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧/هـ. جمع فيه من الاحاديث ما زاد على الكتب الستة : صحيحي البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة والترمذي ، مما هو مذكور في مسند احمد وغيره من كتب الحديث المعتمدة . وقد بين بعد كل حديث درجته من الصحة والضعف ، والعلل التي تعترضه وهو مطبوع في عشرة اجزاء متوسطة .

٣ ــ أحكام الاحكام شرح عمدة الأحكام : للعلامة تقي الدين بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢/هـ. شرح فيه كتاب عمدة الأحكام للمقدسي ، وهو كتاب قيم مطبوع في جزئين .

٤ ــ بلوغ المرام من ادلة الأحكام: لشيخ الاسلام احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ /هـ. جمع فيه (١٥٩٦) من أحاديث الأحكام ، وهو مطبوع في مجلد متوسط الحجم نال عناية العلماء والمحدثين فأكثروا فيه الشرح والتفصيل وممن عنى بشرحه العلامة محمد بن اسماعيل بن صلاح الامير الكحلاني الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢/هـ. وهو مطبوع في اربعة اجزاء طبعات متعددة .

٥ ــ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من احاديث سيد الأخيار : للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥/هـ. وهو شرح لكتاب المنتقى لابن تيمية الذي تقدم ذكره في العصر العباسي . وهو كتاب قيم لا غنى لطالب العلم عنه ، ومطبوع في ثمانية أجزاء متوسطة .

ب) كتب التراجم :

١ ــ تجريد أسماء الصحابة : للعلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨/هـ. وهو مطبوع في جزئين .

٢ ــ الاصابة في تمييز الصحابة : للعلامة شهاب الدين أحمد بن على الكناني بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢/هـ. وهو أجمع ما صنف في هذا الفن خاصا بأسماء الصحابة دون غيرها ومطبوع في خمسة اجزاء ومرتب على احرف الهجاء .

٣ ــ تذكرة الحفاظ : للعلامة

محمد بن احمد بن عثمان الذهبي صاحب كتاب التجريد السابق ، يذكر فيه الصحابة ومن بعدهم الى القرن السابع الهجرى ، مرتبا إياهم طبقة بعد أخرى مبتدأ بطبقة الصحابة ثم التابعين ثم تابعى التابعين وهكذا . وهو مطبوع فى أربعة اجزاء .

٤ ـ تهذيب التهذيب : للحافظ ابن حجرالعسقلانى صاحب الاصابة، وقد استوفى تراجم جميع الرجال . ومطبوع فى اثنى عشر جزءا .

٥ ـ المشتبه في اسماء الرجال : للحافظ الذهبي صاحب التذكرة ، وهو مرتب على حروف المعجم ومطبوع فى جزئين .

جـ) كتب علوم الحديث :

١ ـ الباعث الحثيث : للعلامة ابن كثير صاحب التفسير المتقدم ، وهو مطبوع فى مجلد واحد متوسط الحجم ، يضم أهم قواعد علوم الحديث بايجاز واقتضاب .

٢ ـ تدريب الراوى فى شرح تعريب النواوى : للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١/هـ. شرح فيه كتاب التقريب للنووى ، وهو مطبوع فى جزئين .

د ـ كتب الفقه فى العصر الوسيط :

لقد تابع العلماء والفقهاء فى هذا العصر من جهود من سبقهم فىالبحث والتنقيب عن الحكم الشرعى الا ان جل عمل الفقهاء فى هذا العصر كان التنقيب فى كتب المتقدمين وتنقيحها والزيادة عليها أو الحذف منها أو الترجيح بين الأقوال التى احتوتها . ومن ثم كثرت الشروح والحواشى والتقريرات على كتب المتقدمين . ولكن هذا لا يعنى بحال ركود حركة الابداع فى الفقه بل هنالك كتب قيمة ظهرت وتعد بحق قمة فى علم الفقه الا انها قليلة اذا ما قيست بكتب الأقدمين الى جانب انها معتمدة كليا على آراء السلف واستدلالاتهم.

ولقد كان لهذه المؤلفات والشروح التى ظهرت فى هذا العصر فى علم الفقه أكبر الأثر فى تنقيح هذا العلم وتبويبه والافادة منه ، ولولاها لبقى الفقه في مسوداته الاولى بين تصانيف المتقدمين مشوشا تصعب الاستفادة منه على الوجه الأكمل .

واهم واشهر هذه المصنفات التى وجدت فى هذا العصر :

آ) كتب الفقه الحنفى :

١ ـ الهداية شرح بداية المبتدى ، وبداية المبتدى كتاب مختصر عظيم الفائدة كثير النفع الفه العلامة على ابن أبي بكر المرغيناني المتوفي بعد المائة السادسة للهجرة . ولكنه بعد ما الفه درك انه ضيق العبارة فشرحه فى أربعة اجزاء متوسطة الحجم وسماه الهداية ، فحل بذلك الغازه وفك عقده وسهله للعلماء والطلاب .

٢ ـ فتح القدير للعلامة الكمال ابن الهمام المتوفى سنة ٨٦١/هـ. ، وهو شرح على كتاب الهداية المتقدم، وهو شرح قيم مطبوع فى ثمانية اجزاء بسط فيها المؤلف الأدلة النقلية ، والعقلية، كما تعرض لأقوال

المذاهب الأخرى وبخاصة المذهب الشافعي ، وعقد المقارنة بينها ، وقد كان ينتهى الى ترجيح أحد المذاهب الأخرى على المذهب الحنفى فى بعض المسائل اذا ما انتهى به الدليل الى ذلك وفاء بالأمانة العلمية.

هذا الى جانب أن للهداية شروحا وحواشى أخرى غير فتح القدير واغلبها مطبوع على هامش الهداية مع فتح القدير .

٣ ـ حاشية رد المحتار على شرح الدر المختار على متن تنوير الأبصار للعلامة محمد أمين بن عمر عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢/هـ. وهى حاشية جليلة جامعة لمختلف اجزاء المذهب الحنفى المبعثرة فى مؤلفات علمائه ، وهذه الحاشية هى شرح لكتاب الدر المختار للعلامه الحصكفى المتوفى سنة ١٠٨٨/هـ. الذى هو بدوره شرح هام لمتن تنوير الأبصار للعلامة شمس الدين التمرتاشى المتوفى سنة ١٠٠٤/هـ.والكتاب مطبوع فىخمسة أجزاء طبعات عدة ، ويكفينا اشادة بقدر هذا الكتاب أن قال عنه أحد كبار العلماء : لو ضاعت كتب الحنفية كلها لأغناهم عنها ابن عابدين .

ب) كتب الفقه المالكى :

١ ـ متن سيدى خليل للامام خليل ابن اسحاق بن موسى الجندى المتوفى سنة ٧٧٦/هـ. وهو أم كتب المالكية فى هذا العصر . وقد حظى هذا الكتاب المختصر بعناية لم يحظ بها مختصر قبله ، حيث كثرت شروحه وكان أهمها :

أولا : مواهب الجليل : للعلامة محمد بن محمد المغربى المشهور بالحطاب المتوفى سنة ٩٥٤/هـ. وهو مطبوع فى ستة اجزاء ، ويعتبر من أهم وأشهر شروح متن سيدى خليل .

ثانيا : الشرح الكبير : للعلامة احمد بن محمد بن ابى حامد العدوى الشهير بالدردير المتوفى سنة ١٢٠١ /هـ . وهو مطبوع في اربعة اجزاء كبيرة وهو اسهل شروح متن سيدى خليل واكثرها انتشارا .

ثالثا : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للعلامة محمد بن احمد ابن عرفه الدسوقى المتوفى سنة ١٢٣٠/هـ. وهى حاشية هامة جدا لا يستغنى الطلاب عنها فى مراجعتهم للشرح الكبير المذكور،وهى مطبوعه في هامشه .

رابعا ــ منح الجليل : للعلامة محمد بن احمد عليش المتوفى سنة ١٢٩٩/هـ. وهو مطبوع فى مجلدين كبيرين .

جـ) كتب الفقه الشافعى :

١ ـ المجموع شرح المهذب : للعلامة يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦/هـ. وهو شرح لمتن المهذب للامام الشيرازى ، ويعد بحق موسوعة الفقه الشافعي ، الا أن مؤلفه عاجلته المنية قبل اتمامه وقد طبع فى تسعة أجزاء، وجاء بعده العلامة تقى الدين السبكى المتوفى سنة ٦٥٧/هـ. وتابع الطريق فى اتمام شرح المهذب وكتب فيه ثلاثة أجزاء ثم عاجلته المنية قبل اتمامه أيضا، وقد طبعت هذه الاجزاء الثلاثة والحقت بشرح النووي .

٢ ـ المنهاج : للعلامة النووى صاحب المجموع المتقدم، وهو مختصر

صغير كثير الفائدة ، حظى بشرح العلماء له واهتمامهم الكبير به ، ومن اشهر شروحه ، نهاية المحتاج للعلامة الرملى المتوفى سنة ١٠٠٤ /هـ. وتحفة المحتاج للعلامة ابن حجر الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٣/هـ. ومغنى المحتاج للعلامة الخطيب الشربيني ، المتوفي سنة ٩٧٧/هـ رحمة الله عليهم ، وكل هذه الكتب مطبوعة ومتوفرة .

٣ ــ الأشباه والنظائر : للعلامة جلال الدين السيوطي ، المتوفي سنة ٩١١/هـ. وهو مطبوع فى جزء متوسط الحجم .

د ــ كتب الفقه الحنبلى :

١ ــ كشاف القناع : للعلامة منصور بن ادريس البهوتى المتوفى سنة ١٠٥١/هـ. وهو شرح على متن الاقناع للعلامة على بن عبد الله الزاغونى وقد تقدم ذكره .

٢ ــ الفتاوى الكبرى : للعلامة أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) المتوفى سنة ٧٢٨/هـ. وهو مطبوع .

٣ ــ الفروع : للعلامة محمد بن مفلح المقدسى المتوفى سنة ٧٦٢/هـ وهو مطبوع ايضا .

٤ ــ الشرح الكبير : للعلامة شمس الدين عبد الرحمن بن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٨٢/هـ. وهو شرح لمتن المقنع الذى تقدم ذكره ومطبوع مع المغنى على متن الخرقى فى عشرة اجزاء فى طبعة جيدة جدا .

٤ ــ كتب اصول الفقه في العصر الوسيط :

أ) قواعد واحكام فى مصالح الأنام : للعلامة عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠/هـ. وهو مطبوع فى مجلد واحد .

ب) أصول الفقه : للعلامة ابن تيمية صاحب الفتاوى الكبرى وهو مطبوع .

جـ) الموافقات فى أصول الشريعة : للعلامة أبى اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ /هـ. وقد نحى فيه مؤلفه منحى جديدا خالف فيه من سبقه ، مما جعل المشتغلين بهذا العلم يزدادون به تعلقا وتقديرا . وهو مطبوع فى اربعة اجزاء .

د) مسلم الثبوت : للعلامة محب الله بن عبد الشكور المتوفى سنة ١١١٩/هـ. وهو مطبوع فى جزئين فى هامش المستصفى للغزالى .

هـ) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول : للعلامة محمد ابن على بن محمد الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ /هـ. وهو مطبوع فى جزء متوسط جامع لمختلف أبواب الاصول فى عبارة مقتضبة .

٥ ــ كتب علوم اللغة العربية في العصر الوسيط :

آ) كتب فقه اللغة :

المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١/هـ. وهو كتاب قيم يعتبر مرجعا

أساسيا فى فقه اللغة . وهو مطبوع فى جزئين .

ب) كتب القواعـد :

لقد ظهـر في هذا العصر عالمـان جليلان احتلا المكانة الاولى فى علم قواعد اللغـة العربيـة حتى غطى ذكرهما وآثارهما على من عداهما من العلماء الكثيرين ، وهما العلامـة جمال الدين عبد الله بن يوسف بـن أحمد الشهـير بـ (ابن هشـام) المتوفى سنة ٧٦١ /هـ. والعلامـة عبد الله بهاء الدين الشهير بـ (ابن عقيل) .

وقد ترك هذان العالمان لنا مـن المصنفات ما يعتبر الى اليوم المرجع الهام فى هذا العلم .

ومن أشهر آثارهما .

أ) شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك : وهى منظومة شعرية جمعت خلاصة قواعد العربية نحو وصرفا ، ألفها العلامـه ابو عبد الله محمـد جمال الدين بنمالك الطائى الاندلسى المتوفى سنه ٦٧٢/هـ. وقد شرحها ابن عقيل شرحا مختصرا وافيا حل فيه معانى أبياتها ، وفتح القواعـد المكنونه فيها ، وقد طبع هذا الشرح مع الالفية فى جزئين مرات عـده وافاد الطلاب منه فوائد كبيرة .

ب) أوضح المسالك الى الفية بن مالك : للعلامة ابن هشام ، وشرح آخر لطيف لألفية بن مالك السابقة .

جـ) مغنى اللبيـب عـن كتب الأعاريب : للعلامة ابن هشام ، وهو كتاب فى جزئين كبيرين ، تناولـه العلماء بعد ابن هشام بالدراسـة والشرح والتفصيل ، وتداوله الطلاب وأفادوا منه كثيرا حتى عد فـى قمة كتب القواعد . وقد طبع طبعـات عدة . ومن أكثر شروحـه ذيوعا ، حاشية العلامة الأمير ، وحاشيـة العلامة الدسوقى عليه .

د) شذور الذهب : لابن هشام ، وهو كتاب جامع لقواعد العربية فى أسلوب سهل مقتضب وقد ألفـه ابن هشام متنا صغيرا ثم شرحه بنفسه ، وهو مطبوع فى مجلد واحد .

هـ) قطر الندى وبل الصدى : لابن هشام وهو كتاب مقتضب صغير فى النحو يبتديء الطلاب به دراستهـم عادة .

الداعية الإسلامي
الفكرة والنموذج

للأستاذ حلمى محمد القاعود

١ ــ الداعية الاسلامي بالمعنى المتكامل يكاد يكون مفقودا . ولسنا ندرى سبب ذلك تماما . فالساحة الاســــلامية ملأى بالذين يلوكون كلاما مكرورا محفوظا دون أن يحتوى على ذرة من الحيوية والحرارة ! وكلامهم انشاء مل الناس سماعها وما عادوا يستسيغون تكرارها على آذانهم . والســـــاحة الاسلامية تغص بالمصابين بانفصام الشخصية بين القول والفعل ، والــــكلام والسلوك . . ومن ثم فقد عزف الناس عن خطبهم ومقالاتهم لأنهم يفتقدون شرط الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة . والساحة الاســـلامية ملأى بالذين يضيعون جهودهم فى التشنج والانفعال دون ادراك لطبيعة القضايا التى يعالجونها أو يتحدثون فيها أو يحكون عنها . والساحة الاسلامية تضج بالمفرغين والــذين لا يملكون حق الكلام فى الاسلام وقضاياه ، ولكنهم بحكم ظروف القهر والمحنة مقدمون رغم انف الناس ! لقد اعطوا الرخص اللازمة واحتلوا مقــــاعدهم **« وكان الله بكل شيء عليما »** .

ومن هنا فالساحة الاسلامية تفتقر الى هذا الداعية الاسلامى الذى تتدفق الحيوية فى كلماته والحرارة في سلوكه ، والذى يصل كلامه من فمه الى قلب الجمهور مباشرة ودون وساطة ويتصل قوله بفعله وكلامه بعمله ، فهو على النهج سائر وعلى الطريق قائم ، قد جمع الى القدوة الطيبة شرف الأســـوة الحسنة ، وفوق هذا كله وضع الحق فى نصابه ، وتسلح لذلك بالبحث المستمر والدرس الدائب والثقافة الرفيعة الرحبة والفهم المستنير فلم يصرفه شـــاغل

ما عن جلال الدعوة وعظم شأنها .

لقد ووجه الاسلام بعد ضعف أهله وذويه مواجهة ضارية تناولت كل ذرة فى كيانه الكبير ، وكانت وما زالت الأسلحة التى يواجه بها من أمضى الأسلحة وأكثرها فتكا ، لأن أعداءه نظروا اليه نظرة جادة حملت معنى ما تنطوى عليه قيمه من تهديد لوجودهم القائم على الظلم والطاغوت والاستبداد والاقطاع .. ومن ثم شرعوا كل أسلحتهم الماضية والفتاكة لمواجهته وتدميره ان استطاعوا ، وقد تحقق لهم كثير من الكسب بلا شك حين سيطرت الصليبية الغربية على العالم الاسلامى ومزقته اربا ، وقطعته دويلات هزيلة لا حول لها ولا طول ، ونشرت بين اناسه أفكارا وقيما غريبة : ميعت شخصيتهم ، وأذابت كيانهم ، وحولتهم الى تابعين أذلاء ، ومقلدين مقيدين ، وعالة على الحضارة الراهنة ، وعبئا على التاريخ فى العصر الحديث .. !

٢ — وكان المفروض أن يكون المسلمون قد تجاوزوا فى أيامهم الراهنة محنة القصور الذاتى الطارئة ، وانتقلوا الى مرحلة المشاركة الانســـانية فى صنع الحضارة العالمية المعاصرة .. ولكن نجاح أعدائهم النســـبى قد أخر مسيرتهم وعطل حركتهم عن الركب الانسانى ، وبدلا من أن يوجهــوا ذاتهم وينقبوا داخلها ويبحثوا عن جوهرها ، ويتعرفوا على مناطق القوة فيدعموها ، ومناطق الضعف فيعالجوها ، بدلا من ذلك عزلوا أنفسهم عن الحياة وشغلوها بقضايا جزئية وتناسوا جوهر الموضوع ، وعاشوا مع الأسى والنواح والتشنج والصياح ، بينما أمم أخرى صنعت منها المحنة أمما عظمى وقوية وجديرة بكل تقدير مهما كان رأينا فى منهجها أو عقائدها .. !

ان دولة مثل (اليابان) بدأت السير على طريق الحضـــارة بعد أن بدأ (محمد على) فى اقامة النهضة الحديثة بمصر .. ولكن الفارق اليوم شاسع جدا ، اذ وصلت اليابان — رغمالدمار الذى لحقها فى الحرب العالمية — الى مرحلة الدولة المتقدمة التى تنـــافس الولايات الامريكية المتحدة والاتحـــاد السوفياتى والمانيا الغربية . ووصول اليابان الى هذه المرحلة لم يأت اعتباطا أو عبثا ، ولم يكن نتيجة السير فى ركاب الدول الغربية انبهارا بها وافتتانا ، وانما كان بالدرجة الاولى بعثا لمكنون الشخصية اليابانية بعقائدها وعاداتهـــا وتقاليدها العريقة وروحها المتوثبة ، وانتصارا لذاتهم القادرة على الفعل والعطاء والاستمرار فى هذا العطاء ، مع الانتفاع بكل العناصر الخارجية التى تضيف الى شخصيتهم وتمنحهما مزيدا من العمق والازدهار .. وما زال اليـــابانيون يحتفظون بنظـــام الأسرة ويقدســـون الامبراطور ، وما زالت المرأة تخلع حذاء الرجل ! لقد اقتحموا عقبة التخلف دون خوف من زراية أو خجل من واقع أو معرة من عرف وعقيدة .

٣ — ونحن المسلمين نملك كثيرا من المقومات والطاقات ، ولا نقل بحال من الأحوال عن أولئك اليابانيين وغيرهم ممن استيقظوا بعد رقدة العدم ، وبعثوا من الأحداث الدنيوية أحياء يؤثرون فى العالم ويهزونه بكل قوة واقتـــدار .. ولا أود أن أتحدث عن ماضينا رغم نصاعته واشراقه وقوته ، ولن اتكلم عما فعله أجدادى الذين كانوا لا يملكون من حطام الدنيا شيئا ورغم ذلك استطاعوا

بناء حضارة خالدة ونشروا السلام في ربوع العالم وهدموا صروح الطاغوت وحرروا الشعوب وعمروا الأرض عمارة المؤمنين الأتقياء الورعين بفضل عقيدتهم السمحة وقوة يقينهم الذى لا يتضعضع .. لن أقول شيئا عن هؤلاء الذين أشعوا وأضاءوا وأناروا وعلموا .. ولكن الذى أريد قوله هو أننا فى واقعنا المعاصر ما زلنا نملك أسس النهضة الاسلامية الحقيقية والمأمولة : فلدينا العقيدة والانسان ، وعندنا الطاقة والاستعداد . ولكن الذى ينقصنا كمجموعة اسلامية تمثل القوة الثانية عدديا فى العالم بعد المجموعة المسيحية ، أننا لا نفهم واقعنا بمقوماته وامكاناته فهما جيدا ومنطقيا .. لماذا .. ؟

لعل لذلك أكثر من سبب ، والسبب الأساسي فى داخلنا نحن . بين خلايانا وتحت الجلد .. انه افتقاد الرغبة المدعمة بالفعل للنهوض ! لو وجدناها ـ كمجموع ـ لاستطعنا أن نقهر القهر ، ونغزو التخلف ونقطع دابر الطغيان ونزيل آلام الأمس ونفتح طريق الغد لأمة مسلمة قوية ينظر اليها الناس بالاحترام اللازم والتقدير الواجب . يقول الحق تبارك وتعالى : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »** (الرعد آية ١١) ويقول **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »** (التوبة الآية ١٠٥) . وكما نرى فى الآية الثانية ونفهم من الآية الاولى أن هناك أمرا الهيا صريحا لضرورة العمل .. العمل المسئول من اجل الدنيا والآخرة والدين والدولة والفرد والمجموع ، وهو بالضرورة يقوم على الرغبة الصادقة والنية الخالصة واليقين الثابت . وانطلاقا من هنا فان العمل الاسلامى يخطو بالجماعة الاسلامية خطوات مباركة لأن العاملين عندئذ ، وهم مجموع المسلمين ، يتحركون على أساس العقيدة السمحة وعطائها السخى . لا يكلون ولا يفترون ، لا يخجلون من كونهم مسلمين ولا يعترون من دينهم الحنيف .. !

٤ ـ ولعل جانب القصور الذى أجهض كل الحركات الطامحة للنهضة الاسلامية فى العصر الحديث يتمثل فى أن تلك الحركات كانت وما زالت يتنازعها تياران :

التيار الأول : ويعنى بتطوير البلاد الاسلامية تطويرا صوريا يعتمد على تغيير أنماط الحياة من عادات وتقاليد ولباس وطريقة سلوك وما يستتبع ذلك من استحضار الوسائل المادية المعينة على ذلك . وهذا التيار كان بالضرورة معاديا للاسلام والمسلمين لأنه خلا من الفكرة الاسلامية كأساس حيوى اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا .. ثم لكونه موجها فى معظم الأحيان من قبل جهات أجنبية استعمارية أو من هيئات محلية تمثل الشعوبية المعاصرة فى أقبح صورها وأحطها ! وللأسف فان هذا التيار بما حمله من بريق مزيف قد بهر بشكله الخارجى كثيرا من المسلمين ، وان أنكره بعضهم فى حينه .

اما التيار الثانى : فقد اعتمد على بعث الشخصية الاسلامية وتجديد الفكر الاسلامى .. ونستطيع هنا أن نلاحظ أن كثيرا من أنصار هذا التيار لم يفهموا معنى البعث ، وبالتالى لم يفهموا الواقع المحيط بهم داخل الارض الاسلامية وخارجها على السواء . وكان قصورهم واضحا فى التركيز على بعض

القضايا الجزئية واغماض أعينهم عن الواقع الاسلامى فى اطاره الشامل والعام .

ان أسلوب الغزو الفكرى الحديث يعتمد مثلا على اشغال المفكر الاسلامى أو الداعية بأمور سطحية وتافهة ليشغله عما يجرى حقيقة وعما يحدث بالفعل، وليبدد جهده هدرا ووقته سدى .. ونستطيع أن نرى فى قضية (زى المرأة) كمثال كل ذلك . ان هذه المسألة ترتبط أساسا بقضية كلية هى اسلام المرأة وتدينها أو تمسكها بالدين ، وجوهر الحكم القائم ، وطبيعة الواقع الاجتماعى وارتباطه بالاسلام أو ابتعاده عنه .. الخ . هذه القضية كانت وما زالت تستنزف الكثير من الجهد والوقت فى حين أن تربية المرأة اسلاميا ، وقبلها تربية الرجل وتأصيل العقيدة فى وجدانه ستحل المشكلة دون عناء .. اذ أن المرأة المسلمة حقا سوف تلتزم بدينها كاملا ولو كره المفسدون فى الأرض ، وسوف تنفذ تعاليم الدين كاملة وتتجنب ما يحرمه هذا الدين .. كذلك الرجل المسلم يقينا فانه سينفذ ما أمرت به الشريعة ويبدأ بنفسه وبيته ولو كره المجرمون .. ولا يمكن لعاقل أن ينتظر من انسان مفرغ من الدين والقيم والمثل أن يفهم لماذا هذا حرام وذاك حلال .. !

ان حل القضايا الكلية من جذورها سوف يتبعه بالضرورة حل القضايا الجزئية ! وهذا ما افتقده أصحاب النظرة الجزئية والمحدودة .

هناك فريق آخر شذ عن هذا التيار وان كان ينتمى اليه أساسا ، اعتمد فى نظرته الى البعث الاسلامى على نظرة شاملة وكاملة ، اذ رأى أن الاسلام كمنهج حياة متكاملة كل لا ينفصل بين دين ودولة أو دنيا وآخرة أو عقيدة دينية وأفكار اقتصادية واجتماعية .. انه كل ذلك جميعا ، وبناء عليه فان من متطلبات هذا البعث وجود المسلم الحقيقى فكرة وسلوكا ثم انطلاق نحو اقامة مجتمع اسلامى عادل ونظيف تسود فيه شريعة الله ويسمو فيه نظام التكافل الاجتماعى ،والاخذ بأسباب الحياة المادية للارتقاء وبناء القوة الاسلامية المعتمدة على الامكانات الهائلة بشريا واقتصاديا وتقنيا .

وللأسف فان هذا الفريق الأخير قليل جدا وصوته لا يصل الى كل الأسماع . ولسنا ندرى سر ذلك على وجه اليقين ، ولكن المؤكد أن السيادة القائمة فى مجال الدعوة ما زالت معقودة للذين لا يفيدونها فى كثير أو قليل ، ناهيك عما يعود على الاسلام من أثر تصرفاتهم من انطباعات خاطئة ومفاهيم رديئة تتنزه عنها شريعة الله الغراء .

٥ — ان نظرة فاحصة الى اسلوب التبشير ، وطرق محاربة الاسلام ، وغزو الدماغ الاسلامى لا بد أن تجعلنا نفكر كثيرا فى الاسلوب والمنهج الذى نتبعه فى ايصال الدعوة الاسلامية الى الناس مسلمين وغيرهم ، ذلك أن هذا العصر الذى ذابت فيه الحدود الجغرافية والزمنية بين الدول وبعضها ، وتقاربت الأفواه من الآذان بتطور المواصلات والاتصالات يجعل من الضرورى أن يفكر الداعية الاسلامى كثيرا قبل أن يقدم على أى خطوة كى يكون لكلماته التأثير اللازم ولسلوكه الأثر الحميد . والحق سبحانه وتعالى يقول : **« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى »** (يوسف آية ١٠٨) ولعل

البصيرة فى زمننا تمثل للدعاة المسلمين أن يكونوا قدوة منتقاة ، أقوياء العقيدة ، رسخاء اليقين ، على علم ووعى ومعرفة بواقعهم والواقع المحيط بهم تاريخا وحاضرا وغدا منتظرا .

ومن ثم فاننا نر ىأن اعداد الداعية الاسلامى اعدادآ علميا أصبح يفرض نفسه فرضا ، وهو اعداد يتطلب أن يكون الدعاة من خيرة الطلاب : شفافية روح ، وبسطة جسم ، وقوة فكر ، ونصاعة بيان ، وعلو همة ، وعزة نفس ، مزودين بثقافة راقية والمام شامل بأكثر من لغة أجنبية ليفهموا الآخرين ويدخلوا الى افهامهم .

٦ ـ ولو سأل الداعية نفسه لماذا يقوم المبشرون بدراسة الدين الاسلامى والأدب العربى وفروع الابداع والفكر الأخرى الذى أنتجته القرائح والعبقريات الاسلامية فى كافة العصور .. لو سأل داعيتنا نفسه هذا السؤال لأدرك أن التخطيط وفهم الأفكار الاخرى لا بد منهما للداعية كى يكون على مستوى المسئولية التى تفرضها الدعوة الاسلامية على القائم بها .

ان التخطيط ضرورة للعمل المنظم والانجاز الملموس وتوفير الوقت والجهد، وفهم الأفكار الاخرى يسهل للمرء معرفة مواضع الضعف والمواضع المتبعة فيها فيستطيع الداعية أن يرتب فكره وجهده ليتواءم مع الظروف التى تقابله ، وبغير ذلك فان اى جهد يبذل يكون عرضة للاهدار والضياع !

٧ ـ من هنا نفهم مثلا لماذا كان تأثير (محمد اقبال) قويا وعظيما ، ولماذا كان فكر (مالك بن نبى) له أهميته لدى المتلقين ، ولماذا يهتم الناس بما يقوله ويكتبه (عيسى عبده) ، ونستطيع أيضا أن نفسر ظاهرة الاقبال الشديد على مؤلفات الكاتب الاسلامى الشهير (وحيد الدين خان) .

بالطبع فان هناك نماذج متعددة لا نستطيع تفسير ازدهارها ورسوخها وشموخها الا بتفانيها فى خدمة الدعوة وفهمها لأصولها والأخذ بالأسباب التى تجعل الصلة بينهم وبين المدعوين دائمة لا تنفصم ..

وبعد ،

فان تكوين الداعية الاسلامى ليس أمرا بسيطا أو هامشيا ، بل انه ضرورة للنهوض من رقدة العدم وقيادة الانسانية بقيمنا الشريفة الى بر السلام والأمان . وعلينا أفرادا وجماعات وهيئات أن نسهم فى بعث أمتنا ، وتوفير السبل الممكنة واللازمة لهذا البعث . وعلى الله قصد السبيل .

قالت صحف العالم

نشرت مجلة المجتمع الكويتية كلمة حول صدور العدد الأول من (براعم الايمان) الملحق بمجلة الوعى الاسلامى تحت عنوان (اهلا ببراعم الايمــان) نقتطف منها ما يلى :

فى هذه الأيام يبدى العالم كله اهتماما خاصا «بالطفل» وذلك بمناسبة احتفال عالمى تنظمه المؤسسات والمنظمات الدولية يخصص للطفل .

والواقع أن الدول النصرانية والشيوعية .. والمنظمات الصهيونية قــد خططت لتوجيه الطفل منذ زمن بعيد .

بينما لا نجد مثل هذا الاهتمام بالطفل فى العالم الاسلامى ..

صحيح أن المسلمين يرددون كثيرا : أن الاسلام قد اعتنى بالانسان من المهد الى اللحد .

وهذا حق .

لكن المسلمين لم يتبعوا القول العمل فأهملوا الطفل فى المهــــد . ولم يرعوه فى مراحل نموه الاولى فكانت النتيجة ظهور أجيال مشــــلولة روحيا وعقائديا .. فى نفسها وكيانها فجوات كبيرة دلف منها العدو بتأثيراته وثقافاته فكاد أن يطمس التميز الحضارى الخاص للأمة .

ان الأطفال .. عالم قائم بذاته .. فى اهتماماته ونموه ونشاطه وميوله ونظرته وتصوراته وخيالاته .. الخ .

وهذا العالم الخاص اقتضى علما خاصا ودراسة خاصة ومتابعة خاصة . ورعاية خاصة عبر الثقافة والتربية والتوجيه المصبوبة فى الصورة المناسبة ، والكلمة المناسبة . واللعبة الهادفة . والقدوة الجاذبة الى الحق والخـــــير والجمال .

وأثناء اشتداد الحاجة الى « ثقافة خاصة » للطفل المسلم نهضت مجلة « الوعى الاسلامى » ـــ مشكورة ـــ لتسد ثغرة من الثغرات الكثيرة فى دنيــا ذرارى المسلمين .

فأصدرت ملحقا خاصا بالأطفال تحت عنوان « براعم الايمان » صدر اول عدد منه فى غرة رجب الحالى .

وقد حملت صـــورة الغلاف رمزا مرتبطا برجب أى بمناســــبة الاسراء والمعراج فى ٢٧ رجب .

ساحة مسجد الصخرة مع صورة غلام مجاهد يحمل مدفعا رشاشا .

فالمعراج بالرسول صلى الله عليه وسلم بدأ من المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله فى فلسطين . والمسجد الاقصى ـــ وله توابع وملحقات ـــ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وبهذه القيم العقائدية تقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطــــاب ففتح بيت المقدس . ولما احتله الصليبيون جاهد صلاح الدين الأيوبى لتحريره ، فحرره .

ومن ثم ينبغى ربط القدس بالجهاد . وهذا هو أحد أبناء فلسطين يحمل المدفع رمزا لهذه المعانى . وان القدس لن تحرر بالتنازلات الذليلة والحلول الاستسلامية ، وانما تحرر بالعقيدة والجهاد .

ان هذه المجلة الوليد قد ملأت فراغا ولبت حاجة ملحة ..

واذ يعبر المسلمون عن شكرهم لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ليتمنون « لبراعم الايمان » النجاح الذى يمكنها من منافسة بل التفوق على المجلات الأخرى المهتمة بنفس الموضوع .

كتبت مجلة الشهاب اللبنانية كلمة عن « الاسلام » جاء فيها :

يحلو للبعض أحيانا أن يبتدعوا فى الاسلام ما لم يأذن به الله .. كما يحلو للبعض الآخر أن يأخذوا جانبا من التشريع الاسلامى تاركين الجوانب الأخرى .

وموقف الاسلام واحد من كلتا الحالتين .. وهو أنه يرفضهما ويعتبر القائمين بهما متعدين على حق الله فى التشريع ، حيث أن التشريع حق الله وحده (**شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**) .

ان هذه الجهات بدعوتها الجزئية للاسلام ، أو بتطبيقها الجزئى لبعض تشاريعه ، اما أنها جاهلة بروح الدين الاسلامى ، وبأن الاسلام لا يمكن ، بل لا يجوز الا أن يؤخذ جملة واحدة ويطبق كذلك .. ذلك أن أخذ جزء من الاسلام هو كفر بالأجزاء الأخرى ، والكفر بأى جزء من الاسلام كفر بالاسلام كله .. ذلك أن عظمة المنهج الاسلامى وقدرته وقوامته فى تناوله وتطبيقه ككل .. واما أنها مدسوسة على الاسلام وتمثل أسلوبا جديدا ماكرا فى الحرب عليه والاساءة اليه .. والحركة الاسلامية لهذا اللون من المكر بالمرصاد .. ؟

وفى رأينا أن الدعوة الى الاسلام تقتضي الحكمة ، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم ، وبالاسلوب الذى يؤثر فيهم ويجتذبهم الى الاسلام .. وعرض أية جزئية من الاسلام كوسيلة للاقناع بالاسلام ككل من الحكمة المطلوبة فى قوله تعالى : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**) وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » شريطة أن لا يقتصر فى الدعوة على جانب من الجوانب وتعطل الجوانب الأخرى .. وانما تكون الدعوة الى الاسلام ككل هى الأصل الذى يراد الوصول اليه من طرح الجزئيات ..

أما اقتصار الدعوة الى الاسلام على نطاق الاقناع النظرى والفكرى والتشريعى دون الدعوة الى الالتزام الفعلى بمبادئه فانها مرفوضة من الاسلام رفضا باتا .. فالايمان بالاسلام يقتضي الالتزام به قبل الدعوة اليه : (**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عندالله أن تقولوا ما لا تفعلون**)

« ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

ان فى العالم اليوم عشرات الدول استعارت من التشريع الاسلامى بعض جزئياته ، وان فيه آلاف العلماء والمستشرقين لديهم قناعات بالنظم الاسلامية .. ولكن يبقى هؤلاء وأولئك خارج دائرة الايمان الحقيقى بالاسلام والالتزام الفعلى بمبادئه .. ذلكم أن الايمان الحقيقى والالتزام الفعلى بالاسلام يقضيان التزامه ككل والدعوة اليه ككل .. ؟

الفتاوى

للشيخ عطية صقر

نيـــة الصيام

السؤال :

نسيت نية الصيام بالليل ، ثم تذكرت بعد الفجر اننى لم انو ، فهل يصح صومى .. ؟

الجواب :

النية للصوم لا بد منها ، ولا يصح بدونها ، واكثر الائمة يشترط ان تكون لكل يوم نية ، واكتفى بعضهم بنية واحدة فى اول ليلة من رمضان عن الشـــهر كله .. ووقتها من غروب الشمس الى طلوع الفجر . فاذا نوى الانسان الصيام فى اية ساعة من ساعات الليل كانت النية كافية ، ولا يضره أن يأكل أو يشرب بعد النية ما دام ذلك كله قبل الفجر . روى أحمد وابو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » .

ولا يشترط التلفظ بالنية ، فان محلها القلب ، فلو عزم بقلبه على الصيام كفى ذلك . حتى لو تسحر بنية الصيام ، أو شرب حتى لا يشعر بالعطش فى أثناء النهار كان ذلك نية كافية . فمن لم يحصل منه ذلك فى أثناء الليل لم يصح صومه . وعليه القضاء . هذا فى صوم رمضان ، أما صوم التطوع فتصح نيته نهارا قبل الزوال .

اخذ الحقنــة

السؤال :

انا مريض مضطر لاخذ الحقن فى فترات قريبة ، ولو صمت رمضـــــان واخذت الحقنة فى النهار هل يبطل صومى .. ؟

الجواب :

أفتى العلماء بأن الحقنة فى العضل أو الوريد لا تبطل الصوم ، وقالوا : انها دخلت الجسم من منفذ غير مفتوح طبيعيا ، أما الحقنة الشرجية فهى تبطله، غير أن بعضهم قال : انها تبطل الصيام على كل حال ، واشترط بعضهم الآخر وصولها الى المعدة . بمعنى أنها اذا لم تتجاوز الأمعاء فلا يبطل بها الصيام .

تنظيف الاسنان

السؤال :

اوصانى الطبيب بتنظيف اسنانى بالمعجون فى فترات متقاربة ، فهل يبطل صومى اذا قمت بذلك فى نهار رمضان .. ؟

الجواب :

ما دام لم يدخل شيء من المعجون الى الجوف فلا يبطل الصوم ، وعليك أن تبالغ فى اخراج كل أثر من المعجون الموجود فى الفم حتى لا يبتلع مع الريق .

بلع البلغم

السؤال :

هل يفطر الصائم اذا بلع البلغم .. ؟ واذا كان يفطر فكيف يفعل لو تعذر عليه بصقه وهو فى الصلاة مثلا .. ؟

الجواب :

اذا خرج البلغم من الصدر ولم يصل الى الفم فلا يبطل الصوم ببلعه اتفاقا . أما اذا وصل الى الفم ثم بلعه فان صومه يبطل كما رآه الشافعية . ذلك انه شيء دخل الى الجوف من منفذ مفتوح . وقال بعض العلماء : ان بلع البلغم فى هذه الحالة لا يبطل الصوم ما دام لم يتجاوز الفم ولم يخرج من الشفتين .

وعلى هذا يجب عليه أن يبصقه فى أى شيء كالمنديل مثلا . واذا اضطر فى الصلاة الى البصق جاز له ذلك اذا تم بحركة خفيفة لا تبطل الصلاة .

هذا ، وقد قاس بعض العلماء البلغم على الريق العادى الموجود بصفة دائمة فى الفم ، فقالوا : ان بلعه لا يبطل الصوم كابتلاع الريق تماما .

صلاة التراويح

السؤال :

ما هو هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وهدى الخلفاء الراشدين فى صلاة التراويح ، هل كان عدد ركعاتها عشرين ام اقل ام اكثر .. ؟

الجواب :

روى البخارى وغيره عن السيدة عائشة رضي الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة ، يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعا فلا تســأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثا .

وقولها « يصلى أربعا » لا ينافى أنه كان يسلم من ركعتين ، وذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى » . وقولها « يصلى ثلاثا » معناه أنه يوتر بواحدة والركعتان شفع ، روى مسلم عن عروة عن السيدة عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل احدى عشرة ركعة ، يوتر منها بواحدة . وجاء فى بعض الطرق لهذا الحديث : يسلم من كل ركعتين .

وروى ابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما عن جابر رضي الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم ثمانى ركعات والوتر ، ثم انتظروه فى القابلة فلم يخرج اليهم .

هذا هو ما صح من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يصح عنه شيء غير ذلك . لكن صح ان الناس كانوا يصلون على عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم عشرين ركعة ، وهو رأى جمهور الفقهاء من الحنفية الحنابلة وداوود . قال الترمذى : واكثر اهل العلم على ما روى عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عشرين ركعة . وهو قول الثورى وابن المبارك والشافعى . وقال : هكذا أدركت الناس بمكة يصلون عشرين ركعة ، وذهب مالك الى أنها ست وثلاثون ركعة غير الوتر .

قال الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية : وذكر ابن حبان ان التراويح كانت أولا احدى عشرة ركعة ، وكانوا يطيلون القراءة ، فثقل عليهم ، فخففوا القراءة وزادوا فى عدد الركعات . فكانوا يصلون عشرين ركعة غير الشفع والوتر بقراءة متوسطة . ثم خففوا القراءة وجعلوا الركعات ستا وثلاثين غير الشفع والوتر . ومضى الأمر على ذلك .

هذا ، وقد قال الحافظ فى الجمع بين الروايات : ان ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ، فحيث تطول القراءة تقلل الركعات ، وبالعكس . وبه جزم الداوودى وغيره .

ثم ذكر الحافظ أن اهل المدينة كانوا يصلونها ستا وثلاثين لمساواة اهل مكة ، فانهم كانوا يطوفون سبعا بين كل ترويحتين ، فجعل أهل المدينة مكان كل سبع أربع ركعات .

صوم بلا صـــلاة

السؤال :

تناظر بعض الناس فى الرجل الذى يصوم شهر رمضـــــان ، ومع ذلك لا يؤدى الصلاة . هل يصح صومه بدون الصلاة ، ام لا بد لصـــحته من اداء الصلاة ايضا .. ؟

الجواب :

الصلاة والصيام كل منهما عبادة مستقلة ، لا تتوقف صحة احدآهما على صحة الأخرى . فمن صام ولم يصل فصـــومه صحيح آن اســـــتوفى أركانه وشروطه المعروفة ، لكن عليه اثم ترك الصلاة . فالحسنات التى يحصل عليها من الصيام وغيره توزن أمام السيئات التى حصل عليها من ترك الصلاة ومن المحرمات الأخرى . وهناك تكون المقاصة ، فان رجحت حسناته نجا ، وان رجحت سيئاته استحق العقاب اذا شاء الله أن يعاقبه ولم يغفر له .

ويجب التنبه الى أن ذنب ترك الصلاة كبير جدا ، فهى عمود الدين ، من هدمها فقد هدم الدين ، واذا كان تركها جحوداً أو استهزاء فذلك كفر لا يغفره الله أبدا « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وليكن معلوما أيضا أن العبادات كلها متكاملة فى خلق شخصية المسلم ، فالتقصير فى احداها نقص فى الشخصية ، والمسلم المتهاون فى بعض التكاليف الأساسية مسلم غير كامل ، ولا يحقق الخير المرجو للمجتمع .

زكاة الفطر

السؤال :

هل يجوز اخراج زكاة الفطر قبل يوم العيد ، وهل يجوز تاخيرها عن يوم العيد .. ؟

الجواب :

يجوز اخراج زكاة الفطر من أول يوم فى رمضان على ما رآه الشافعية ، ويجوز أن تؤدى قبل العيد بيوم أو يومين عند بعض الأئمة . ففى البخارى عن ابن عمر قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر .. الى أن قال :وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين .

ولا يجوز تأخيرها عن يوم العيد . والأفضل آخراجها قبل صلاة العيد ، لما روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة . قال ابن عباس : فمن أداها قبـــل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات . وفى حديث الدارقطنى : اغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم . أى اغنوا الفقراء عن الطواف والسعى فى الأسواق ونحوها لطلب الرزق فى هذا اليوم ، وهو يوم العيد . وذلك باعطائهم الزكاة أول اليوم .

بريد الوعي الاسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

أحداث لها شأنها .. فى الاسلام

صدر كتاب ينكر المعراج ، ويدعى مؤلفه أن الاسراء ثبت بالقرآن ، والمعراج ثبت بالسنة وهذا يدل على أنه لم يقع اذ لو كان وقوعه ثابتا لتحدث القرآن عنه .
وهل الاسراء والمعراج حدثا فى ليلة واحدة وكانا بالروح والجسد أو بالروح فقط ومناما .. ؟

كامل حمدى عبد الكريم ـ مصر

ثار حول هذا الموضوع جدل طويل ، جديد وقديم ، جديد مع كل عصر ، وكلما عنت للقوم ميول ، أو طرأت عليهم أحداث ، أو غمرتهم جحافل الكتب من مؤلفات غربية ملحدة منكرة ، أو شرقية تابعة مقلدة ، ومنهج مستقى من مصادر المستشرقين الغامزين للاسلام ، الحاقدين على عالميته .

وقديم قدم حدث الاسراء والمعراج ، وقد سبق هذا الحدث العظيم بحدث اعظم منه وهو البعثة النبوية الكريمة التى طرحت على الكفار مفاهيم تقطع الطريق على الالحاد ، ولكن القوم كانوا يمقتون الدعوة ، وأعقب الاسراء والمعراج الهجرة الى آفاق أرحب وقوم أكثر تقبلا ونصرة للحق ، وهذه الأحداث تلاحقت وأكدت عظمة صاحب الدعوة ، وقوة الدعوة وصلابتها ، وعمق ما تدعو اليه ، ويقين صاحبها من سلامة ما يدعو اليه ، والقرآن يقول فى الاسراء : **(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** الاسراء/١ ، وهى رحلة من بيت الله الحرام الذى جعله الله امنا للناس ، أول بيت وضعه الله لعبادته، الى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، وهذا فيه دلالة منطقية على عموم رسالة الاسلام وشمولها كل الرسالات والديانات السابقة اذ لا معنى لجعل المسجد الأقصى نهاية المطاف الأرضي للرسول صلى الله عليه وسلم فى رحلة لها هذا الجانب الهام في الدعوة ، وهذا الحدث من معجزات الرسول التى وقعت مخالفة للسنن الكونية ، فقطع المسافات الطويلة بهذه السرعة ، والارتفاع فوق طبقات الهواء التى لا يعيش فوقها انسان غير معهود فى مألوف العادات ، وكل هذا تم بقدرة الله التى لا يعجزها شيء .

فثبوت الاسراء يستمد قوة حدوثه من الله سبحانه ، ولا يليق ان نقف موقف المناقش ، أو الباحث عن دليل ، وكان ذلك بالروح والجسد معا اذ لو كان ذلك مناما لما ناقش الكفار ذلك أو انكروه ، وموقفهم فى حد ذاته دليل واضح على أنه كان بالروح والجسد ، وهذا هو محل الانكار والاستغراب ، مع أنه صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى ذلك قد اكده بأشياء ملموسة محسوسة اخبر الرسول بها ، وأمكن التحقق منها ، كاخباره عن

عيرهم ، وموعد وصولها ، ووصفه المسجد الأقصى مع انهم متـأكدون انه لم يشاهده قبل ذلك .

اذا علمنا وسلمنا ان الله قد خرق له القانون ، وسار الى الأقصى فى جزء من ليلة ، ووضح ان ذلك أمر عادى من الله له ، عرفنا أن المعراج كذلك ممكن الوقوع ، والرسول صعد بهالى السماء والحال هنا مغاير لحال الاسراء ، فالرسول فىالاسراء استطاع ان يصف للناس ما رأى، وما يمكنأن يروه ، وقد وقع فعلا ، ولكنه فى المعراج لو وصف ما رأى لا يمكن التحقق منه ، فليس هناك من صعد الى السماء حتى يصدق ما يسمع ، ولذلك كان وصف المعراج محدودا بالقدر الذى يسمح به منطقنا ، أو تتصوره عقولنا ، واقرأ أوائل سورة النجم ان شئت .

وهناك قد تحول الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا آخر ، يؤكد هذا كونه قاب قوسين أو أدنى وهذا مقام لا يستطيع الوصول اليه انسان عادى ، ولا يمكن لبشر أن يدركه ، انه لسمو بالرسول ، وتعظيم لشأن ما أوحى به اليه فى هذه الرحلة وهى (الصلاة) ، وعروج بالرسالة المحمدية ، واثبات لشمولها كل الرسالات ، واحتوائها كل الشرائع .

ويقول المفسرون حول ثبوت المعراج : ان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته الحقيقية فى السماء عند سدرة المنتهى رؤية عينية بصرية ، وكان قد رآه قبل ذلك فى ابان الوحى ويؤكد هذا المعنى قول الله سبحانه **(ما زاغ البصر وما طغى)** ، وليس هناك فرق زمنى بين الاسراء والمعراج ، فهما قد حدثا فى ليلة واحدة ، وذلك ما عليه جمهور المسلمين من السلف والتابعين .

وقد وضح الآن أن الاسراء والمعراج ثابتان بالكتاب ، وكذلك ثابتان بالسنة الصحيحة المتواترة ومعلوم أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع ، ومصدرها الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى ، وحتى لو لم يكن هناكدليل على ثبوت الاسراء والمعراج الا السنة ، لكان ذلك كافيا ولا يجوز أبدا أن يكون هناك شك ، فالسنة أبانت ما خفي على الناس من القرآن ، ووضحت ما دق عن الفهم والله سبحانه وتعالي يقول : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** من هنا تستمد السنة بقاءها ، ومن أجل هذا يجب أن يؤخذ ما صح منها بالتسليم ، وثبوت المعراج بالسنة كما يدعى المؤلف لا يقدح فى صحة وقوعه ، ولا يدفعه للانكار ، ولكنها نفوس مريضة ، عميت عن الحق فلم تر نوره ، ودعنا نناقش مسألة كون الاسراء والمعراج كان بالروح فقط ، وكان مناما ، الست معى فى أن رؤيا الأنبياء حق ، وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي اللهعنها تقول : (انه صلى الله عليه وسلم ما رأى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح) ، ولقد ثبت تحقق الرؤيا ، وحدوث مدلولها فى فتح مكة ، انظر معى قول الله سبحانه : **(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)** .

بعد هذا يجب ان يلقى هؤلاء أقلامهم ، وينصاعوا لكلمة الحق ، ومنطق العقل ، ويريحوا أنفسهم والناس مما لا يعلمون .

بأقلام القراء

من نفحات القرآن الكريم

اذا وددنا أن نتناول بالحديث الوان النثر . نراه ابتعادا عن موطن الحق أن نمضي في الحديث دون أن نقيمه أساسا على الدور الذي لعبه القرآن الكريم في اللغة كأداة للتعبير وفي الأسلوب . كان العرب قد بلغوا شأوا رائعا في الفصاحة وفي البيان . وكان المنطق لديهم ، بعد مراحل طويلة من التجارب والصقل قد اكتملت أركانه . فلم يعد ابن شبه الجزيرة العربية في حاجة الى معجزات السحر وغيرها ليؤمن . وكان العرب قد نبغوا في الوصف وفي التعبير . وكان الشعر اسلوبهم في محافلهم العامة والخاصة .

من هذا نرى أن العربي قد تهيأ نفسيا وذهنيا لاستقبال دعوة الرسول الكريم . صلوات الله عليه وسلامه .

ولما كانت اللغة العربيةالتعبير الأسمى عن حضارة العرب، اتجهت سياسة الاصلاح الكامنة في دعوة النبي الكريم ، بقوتين او بسلاحين : اللغة وفي مضمونها يدخل الأسلوب ليؤكد ضآلة الانتاج العربي وتفاهته بالمقارنة اليه الأمر الذي دعا بالفعل الى بلبلة فكرية لدى العرب ، ونبههم الى الأسلوب الجديد وما ينطوي عليه من معنى . والقوة الثانية ، أو السلاح الثاني ، تمثل في أن الاسلام لم تكن الدعوة اليه على انها دين وحسب ، ولكن ايضا على انها اسلوب متكامل الأركان لحياة انسانية كريمة وكان من السماحة بحيث انه لم ينكر الحضارات التي قامت في منطقة الشرق الأدنى ، بل انه قد احتواها في اعماقه ومازج بينها وبين مبادئه ، وصهر الاثنين معا صهرا تمخضت عنه حضارة قائمة بذاتها ، لها طابعها الذي تتميز به ، ولها شخصيتها المستقلة . وكان نزول القرآن الكريم على أساس الوقائع والأحداث والتدرج في التكاليف والفرائض .

ويرى العلماء أن القرآن قرآن بمجموع الفاظه ومعانيه . والتعبير عن معانيه في صور أعجز البشر محاكاتها في فصاحتها وبلاغتها ، لذلك عنى المسلمون بحفظه جد العناية ، وقراوه بلغة قريش المنزل بها . فكان ذلك تصديقا لقوله تعالى : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) (الحجر /٩) . . وكان لحفظه قائما بصورته طوال هذى القرون اثر عظيم عاد على اللغة وادبها بالكثير البالغ من النفع فيها :

١ ــ خلود اللغة وحفظها من الانقراض كما انقرض غيرها من اللغات

القديمة التي تعد الآن لغات اثرية .

٢ ــ توحيد لهجات اللغة في لهجة قريش ، افصح اللهجات العربية .

فكان من ذلك التئام لصدوعها ، وجمع لشتيت قبائلها في لغة العبادة والقراءة والكتابة ولغة القرآن الكريم .

٣ ــ توسيع نطاق اللغة بالتوسع في استعمال بعض الفاظها لتتسع للمعاني الدينية والفقهية ، مما سمي بالألفاظ الاسلامية : كلفظ المؤمن والكافر والمنافق ، والصلاة والصوم والزكاة ...

٤ ــ تهذيب الفاظها واساليبها وذلك بكثرة ترديد المسلمين لآيات القرآن الكريم على السنتهم في الصلاة والعبادة ، وطول درسهم له وتفهمهم اياه واستنباط احكام دينهم وشريعتهم منه . وترتب على ذلك هجر كثير من الألفاظ المعيبة واستبدالها بألفاظ القرآن الكريم العذبة السائغة . كما عدل عن الأساليب القديمة المعقدة والمتداخل بعضها في بعض ، الى الأساليب السهلة الممتنعة .

٥ ــ جعل اللغة العربية لغة رسمية عامة لجميع الممالك التي افتتحها المسلمون ، لأن جمهرتهم أسلموا واندمجوا فى العرب ، فاضطروا الى هجر لغاتهم الأصلية وتعلم العربية للتفاهم مع اوليائهم من العرب ، وتفهم القرآن والسنة الشريفة لأخذ احكام دينهم .

ومن ناحية اخرى ، نرى ان شدة حرص المسلمين على تفهم القرآن من حيث معرفة الفاظه والوقوف على معانيها الوضعية والمجازية واساليبه المختلفة وكفاياته الدقيقة ، حملتهم ان فرضت عليهم تتبع الفاظ اللغة العربية الفصيحة من العرب الموثوق بخلوص عربيتهم ، فكان من ذلك أن تجرد الوف من الرواة يجمعون اللغة وشعرها وحكمها وامثالها ووصاياها وخطبها ، حتى أسجاع كهانها ، فجمعوا من ذلك مئات من الكتب والرسائل وتألفت بذلك مادة الأدب القديم التي صارت فيما بعد اساسا للآداب العربية في موضوعاتها واغراضها ومعانيها واخيلتها وتصوراتها .

كما ان الشعراء والكتاب والخطباء اخذوا يتأثرون بعبارات القرآن الكريم في الفاظه واساليبه ، ويقتبسون آياته فيما يقولون ، ويستشهدون بها في وعظهم ومحاوراتهم وجدلهم ، كما اخذوا يتأثرون بصور بيانه الرائع واساليبه البديعة واستخرجوا منها ما سموه بالمحسنات البديعية .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، وهذي قصص يسوقها القرآن الكريم للعبرة والذكرى تحمل المسلمين على درس تاريخ العرب البائدة والأمم القديمة السامية وغير السامية ، مما جعل التاريخ العربي ذا فنون وشعب كثيرة العدد والمباحث . بل وهذى العلوم اللغوية والأدبية والشرعية التي اكسبت الآداب العربية عظمة ورفعة ما هي الا من ايادي القرآن الكريم عليها : **(افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)** (النساء / ٨٢ ..) .. لان ما في القرآن مصور بصورة فوق طاقة البشر من الاحكام والبلاغة وانتفاء التناقض والاختلاف ، لايضارع أسلوبه أسلوب قبله ولا بعده من كلام البشر .

احمد ابراهيم البشبيشي

اخبار العالم الاسلامي

اعداد : فهمى الامام

الكويت :

● طالب سمو نائب الأمير المعظم ولي العهد الشيخ جابر الأحمد فى اجتماع عقده مع وزير الشـئون الاجتماعية والعمـل ، ووزير الاسكان ، ورئيس المجلس البلدى ، ورئيس مجلس ادارة الشركةالكويتية للتجارة الوطنية العقارية ببنـاء مجمعـات من المساكن الصـحية تخصص لساكنى العشيش وتقرر أن تقوم البلدية بتخصيص المواقع اللازمة لهذه المساكن .

● صرح وزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله بأن الكويت قررت تعزيز قواتها المسلحة حتى تتمكن من الاشتراك فى المعركة ضد العدو الصهيونى وأكد أن الـكويت أوصت على كميات كبيرة من الأسلحة من الولايات المتحـدة وفرنسـا وبريطانيا .

● وافقت الـكويت على دعوة الأردن الى عقد اجتمـاع طارىء لوزراء الخارجية فى الدول الاسلامية لبحث الاعتداءات الاسرائيلية علـى الحرم الابراهيمى الشريف فى الخليل، جاء ذلك على لسان الشيخ صـباح الأحمد وزير الخارجية فى الكويت .

● استدعت وزارةالعدل والأوقاف والشئون الاسلامية عددا من العلماء والقارئين للقرآن الكريم لاحياء شهر رمضان المعظم فى الكويت بالقـاء الدروس والمحـاضرات الدينية فى مساجد الـكويت وتلاوة القـرآن الكريم .

● ستبدأ الدراسة فى دار القرآن الكريم التابعة للوزارة يوم السـبت ١٣/٩/٧٥ م ، وكان الاقبـال من الراغبين على الالتحاق بدار القرآن — فى الفترتين المسائية والصباحية — عظيما .

السعودية :

● قام الرئيس جعفر نميرى على رأس وفد سودانى بزيارة المملـكة العربية السعودية واجتمع الى الملك خالد والمسئولين السعوديين ، ودار التشاور بينهما من أجل خير الأمة الاسلامية ومصلحة الشـعبين السعودى والسودانى .

● توجه الأمير سلطان بن عبـد العزيز وزير الدفاع والطيران الـى القاهرة على رأس وفد عسـكرى لحضور الاجتماع الذى يعقد هنـاك لمواصلة البحث فى مشروع الهيئـة العربية للتصـنيع الحربى والذى تشترك فيه كل من المملكة ومصـر ودولة الامارات العربية وقطر .

● افتتح الملك خالد بن عبد العزيز مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية يوم السبت الثالث من رجب ١٣٩٥ هجرية وأكد اهتمام المملكة بقضـية التضامن الاسلامى ودعم القضـايا

الاسلامية فى جميع أنحاء العالم وتوحيد صفوف المسلمين وتحقيق العزة والخير لهم .

● بعث معالى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي خطابا الى سعادة سفير فرنسا لدى المملكة ضمنه شكر وتقدير الرابطة على المبادرة التى قامت بها حكومة فرنسا بموافقتها على افتتاح مسجد للمسلمين فى مطار (أورلى) الدولى ، وقد أرسلت الرابطة مجموعة من نسخ القرآن الكريم ومجموعتين من ترجمة معانيه باللغتين الفرنسية والانجليزية مع مجموعة من الكتب الاسلامية هدية من الرابطة لمكتبة مسجد مطار أورلى .

● تلقت رابطة العالم الاسلامى دعوة لترشيح عدد من الداعيات لحضور مؤتمر النساء المسلمات فى الهند بمناسبة السنة الدولية للنساء والذى سيعقد فى الفترة من ١٥ الى ٣٠/١٠/٧٥ م فى بومباى .

● أعلن بيان صدر عن لجنة القدس المنبثقة عن مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى عن عقد دورة طارئة لوزراء خارجية الدول الاسلامية فى نيويورك فى سبتمبر القادم واتخذت التوصيات اللازمة لتقديمها الى الدورة بشأن الاعتداءات الاسرائيلية على الحرم الابراهيمى فى مدينة الخليل المحتلة .

القاهرة :

● وجه الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر نداء الى العالم يستنكر فيه تهويد الحرم الابراهيمى الشريف فى الخليل فى فلسطين المحتلة وقد بعث شيخ الأزهر هذا النداء الى ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية والى السكرتير العام للأمم المتحدة والأمين العام للجامعة العربية والأمين العام للمؤتمر الاسلامى بجدة ورابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

العراق :

● أدخل مجلس الثورة العراقى تعديلا فى قانون العقوبات ينص على أن كل من يساند أو ينشر المبادىء الصهيونية بما فى ذلك مبادىء الجمعية الماسونية ، وكذلك كل من ينتمى الى هذه الجمعية أو يقدم اليها مساعدة مادية أو معنوية يتعرض لعقوبة الاعدام .

و « الوعى الاسلامى » تهيب بالمسلمين فى كل مكان أن يتخذوا موقفا حاسما من الماسونيين وأن يحاربوا مبادئهم الهدامة بكل طريق وبشتى السبل .

سوريا :

● تم الاتفاق بين سوريا والعراق حول اقتسام مياه نهر الفرات نتيجة لوساطة السعودية الموفقة .

بنجلاديش :

● وقع انقلاب عسكرى فى بنجلاديش أطاح بالشيخ مجيب الرحمن أذاع ذلك راديو بنجلاديش وقد قام بالانقلاب القوات المسلحة بزعامة خندقار مشتاق أحمد وزير التجارة .

● أصدرت حكومة بنغلاديش مرسوما يقضي بانشاء مؤسسة اسلامية فى دكا بهدف المحافظة على القيم الاسلامية ونشرها ، وسيناط بالمؤسسة انشاء المساجد والأكاديميات الاسلامية وادارتها ، ووضع أبحاث وكتب عن تاريخ الاسلام وفلسفاته، وثقافته وقوانينه،

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت.

ايام الاسبوع	رمضان ١٣٩٥	سبتمبر ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
احد	١	٧	٢٨	١٠ ٢	١١٢٤	٥ ٤٢	٩ ١٤	١ ١٩	٤ ٦	٥ ٢٨	١١٤٦	٣ ١٨	٦ ٤	٧ ٢٣
اثنين	٢	٨	٢٩	٣	٢٥	٤٣	١٤	١٩	٧	٢٨	٤٦	١٧	٣	٢٢
ثلاثاء	٣	٩	٣٠	٥	٢٦	٤٣	١٥	١٩	٧	٢٩	٤٥	١٦	٢	٢١
اربعاء	٤	١٠	٣١	٧	٢٨	٤٤	١٥	١٩	٨	٢٩	٤٥	١٥	٠٠	١٩
خميس	٥	١١	٣٢	٩	٣٠	٤٥	١٦	١٨	٨	٣٠	٤٥	١٥	٥ ٥٩	١٨
جمعة	٦	١٢	٣٣	١١	٣٢	٤٦	١٦	١٨	٩	٣٠	٤٤	١٤	٥٨	١٦
سبت	٧	١٣	٣٤	١٣	٣٤	٤٧	١٧	١٨	١٠	٣١	٤٤	١٣	٥٧	١٥
احد	٨	١٤	٣٥	١٥	٣٦	٤٨	١٧	١٨	١٠	٣١	٤٤	١٣	٥٦	١٤
اثنين	٩	١٥	٣٦	١٧	٣٨	٤٩	١٨	١٨	١١	٣٢	٤٣	١٢	٥٤	١٣
ثلاثاء	١٠	١٦	٣٧	١٩	٣٩	٥٠	١٨	١٨	١٢	٣٣	٤٣	١١	٥٣	١١
اربعاء	١١	١٧	٣٨	٢١	٤١	٥١	١٩	١٨	١٣	٣٤	٤٢	١١	٥٢	١٠
خميس	١٢	١٨	٣٩	٢٣	٤٣	٥٢	١٩	١٨	١٤	٣٤	٤٢	١٠	٥١	٩
جمعة	١٣	١٩	٤٠	٢٥	٤٥	٥٣	٢٠	١٨	١٤	٣٤	٤٢	٩	٤٩	٧
سبت	١٤	٢٠	٤١	٢٧	٤٧	٥٤	٢١	١٨	١٥	٣٥	٤١	٩	٤٨	٦
احد	١٥	٢١	٤٢	٢٨	٤٨	٥٤	٢١	١٨	١٥	٣٥	٤١	٨	٤٧	٥
اثنين	١٦	٢٢	٤٣	٣٠	٥٠	٥٥	٢٢	١٨	١٦	٣٦	٤١	٨	٤٦	٣
ثلاثاء	١٧	٢٣	٤٤	٣٢	٥٢	٥٦	٢٣	١٧	١٦	٣٦	٤٠	٧	٤٤	١
اربعاء	١٨	٢٤	٤٥	٣٤	٥٤	٥٧	٢٣	١٧	١٧	٣٧	٤٠	٦	٤٣	٠٠
خميس	١٩	٢٥	٤٦	٣٦	٥٥	٥٨	٢٤	١٧	١٧	٣٧	٤٠	٦	٤٢	٦ ٥٩
جمعة	٢٠	٢٦	٤٧	٣٨	٥٧	٥٩	٢٤	١٧	١٨	٣٨	٣٩	٥	٤١	٥٨
سبت	٢١	٢٧	٤٨	٤٠	٥٩	٦ ٠٠	٢٥	١٧	١٩	٣٨	٣٩	٤	٣٩	٥٦
احد	٢٢	٢٨	٤٩	٤٢	١٢٠٠	٠٠	٢٥	١٧	٢٠	٣٩	٣٩	٣	٣٨	٥٥
اثنين	٢٣	٢٩	٥٠	٤٤	٢	١	٢٦	١٧	٢١	٤٠	٣٨	٣	٣٧	٥٤
ثلاثاء	٢٤	٣٠	٥١	٤٥	٤	٢	٢٦	١٧	٢١	٤٠	٣٨	٢	٣٦	٥٣
اربعاء	٢٥	١ اكتوبر	٥٢	٤٧	٥	٣	٢٦	١٧	٢٢	٤١	٣٨	١	٣٥	٥٢
خميس	٢٦	٢	٥٣	٤٩	٧	٤	٢٧	١٧	٢٢	٤١	٣٧	٠٠	٣٣	٥٠
الجمعة	٢٧	٣	٥٤	٥١	٩	٥	٢٧	١٧	٢٣	٤٢	٣٧	٢ ٥٩	٣٢	٤٩
سبت	٢٨	٤	٥٥	٥٢	١٠	٥	٢٧	١٧	٢٣	٤٢	٣٧	٥٨	٣١	٤٨
احد	٢٩	٥	٥٦	٥٤	١٢	٦	٢٨	١٧	٢٤	٤٣	٣٦	٥٨	٣٠	٤٧

« الى راغبى الاشتــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلــى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت ــ لبنان ــ أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهــدين :

مصــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبــار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخــرطوم : دار التوزيـــــع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبــــة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــــدة : مكتبــــة مكــــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الريـــاض : مكتبــــة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيــة ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائـــف :
مكة المكرمة : برحــــة نصيف / مكتبة جــدة .
المدينــة المنــورة : مكتبــة ومطبعــــة ضيـــاء .

البحريــن : المكتبـــة الوطنيـــة : شـــارع بـــاب البحريـــن .

قطــــر : الدوحـــة : مؤسســـة العـــروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مكتبـــــة دار الحكمـــــة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة . ص.ب : (٦٥٨٨) .

ونوجه النظرالى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

ــ الثمــــن ــ

- الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
- ليبيـــا ١٠ قروش ● تونـس ١٢٥ مليما ● الجـــزائر دينـــار وربع
- المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعـــدن ٧٥ فلســا
- لبنــــان وســـــوريا ٥٠ قرشــا ● مصـر والســـودان ٤٠ مليمــا

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر

ليلة القدر خير من ألف شهر

تنزل الملائكة والرّوح فيها بإذن ربهم من كلّ أمر سلام هي حتى مطلع الفجر

مطابع دار السياسة

اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف :

مجموعة من طلاب المعهد الدينى بالكويت داخل أحد الفصول وهم ينصتون بشغف الى درس من دروس العلم .
(أنظر صفحة ٦٨)

اسلامية ثقافية شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــدد : ١٣٠

غرة شوال ١٣٩٥ هـ ــ اكتوبر ١٩٧٥ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

عنـــوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامى ــ وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتف : ٤٣٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

أخى المسلم ،

يصافح يدك هذا العدد من المجلة فى يوم عيد الفطر المبارك موفدا من وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية ، ليقدم لك التهنئة الخالصة بنجاحك الباهر فى امتحانك الصعب الذى اجتزت عقباته المعدودات بصيام رمضان .

وبحق أنت جدير بالتهنئة ، فلست اقل ممن جرت سنة الناس بتهنئتهم وتكريمهم لنجاح فى امتحان مدرسي او تبريز فى جهد علمى ، أو لتقديم خدمات اجتماعية مرموقة ، او لبطولة فى معركة حربية ، تقام لها مهرجانات ضخمة توزع فيها الجوائز وتمنح الأوسمة .

نعم أنت أيها المسلم فى يوم العيد لست أقل من هؤلاء ، فقد كنت فى رمضان فى امتحان صعب فى الصبر والتحمل ، والاخلاص والمراقبة ، والعفة والنزاهة ، وقوة الارادة ومضاء العزيمه ، فنجحت فى الامتحان ، وصمدت صمد المؤمنين الصادقين .

وكنت فى رمضان رجل خدمات أجتماعية ، هزتك عاطفة الرحمة فامتدت يدك بالبر تسر به قلب المحتاج ، وتأسو جراح النفس الدامية بالأحزان ، وامتلأ قلبك بشعور الاخوة الانسانيه ، فكففت عن الشر ، وصنت جوارحك عن الايذاء .

وكذلك كنت بطل معركة ، نعم كنت بطل معركة ضارية ، وقفت فيها بعقلك وروحك ودينك فى مواجهة النفس والشهوات ونزعات الشيطان . فنجوت من الشباك الخفية التى نصبت لك ، وحطمت الأسلحة التى شهرت فى وجهك ، وخرجت من المعركة فائزا منصورا .

فأنت أيها الصائم جدير بالتهنئة فى هذا اليوم على نجاحك العلمى ، وانسانيتك الرحيمة ، وشجاعتك البطولية .

ان اجتماع العيد هو المهرجان الاسلامى الذى توزع فيه المنح والجوائز على الأبطال ، توجه الدعوة لحضوره على يد ملائكة كرام صباح يوم العيد ، منادية ، كما فى حديث ابن عباس : « اغذوا الى رب كريم يقبل القليل ويعطى الجزيل ويعفو عن الكثير » . فاذا اكتمل الحضور بدئت مراسم التوزيع بهذا النطق الالهى الكريم « يا ملائكتى ، ما جزاء من وفى عمله » فيقولون : يا الهنا وسيدنا ، يوفى أجرته . فيقول سبحانه « أشهدكم يا ملائكتى اننى قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضاى ومغفرتى » ثم يلتفت الله سبحانه بالخطاب الى الحاضرين ويقول : « يا عبادى سلونى ، فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم شيئا فى جمعكم لآخرتكم الا أعطيتكم ، ولا لدنياكم الا نظرت لكم ، فوعزتى لأسترن

عليكم عثراتكم ما راقبتمونى ، وعزتى وجلالى لا أخزيكم ولا أفضحكم .. انصرفوا مغفورا لكم ، قد أرضيتمونى ورضيت عنكم .. » الى آخر الحديث الذى يقبل فى مثل هذه المواطن .

أخى المسلم ، لقد كان رمضان فترة استعداد لامتحان آخر تؤدى فيه شعيرة من شعائر الاسلام ، وهى الحج ، وقد بدأت رحلتك اليه من يومك هذا ، والحج تكليف بدنى ومالى يحتاج الى مجاهدة نفسية ، تملى على صاحبها الصبر والتحمل ، وتدفعه الى الجود والعطاء ، وهو فى اجتماعه الضخم الذى ضم ممثلين للعالم الاسلامى كله ، يحتاج الى تكيف نفسي وخلقى ليواجه به الحاج تلك العادات المختلفة والأذواق المتباينة ، مع ما يكتنفها من جو مشحون قد تتوتر فيه الأعصاب من الزحام الشديد والتنافس على اغتنام الفرص للتزود من روحانية البيت ومشاعر الحج ، وأساس هذا التكيف ما يشير اليه قوله سبحانه : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وكأنى بك أيها المسلم تنتقل من امتحان الى امتحان ، ومن معركة الى معركة ، وحياتك كلها جهاد وكفاح ، وهى فى حاجة الى نفس تتطوع من الظروف والأحوال التى تساعد على الوصول الى الغاية من حسن الخلافة فى الأرض ، وليس كالعبادات ما يصقل النفس ويهيؤها لأداء هذه المهمة على وجهها الأكمل .

انها العبادات بل التكاليف الالهية كلها خير ما يهدى الحائر ويساعد على الفوز فى معارك الحياة ، مصداقا للعهد الأول الذى أخذه الله على آدم حين اهبطه الى الأرض : « فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » ذلك العهد الذى نذكره أكثر من مرة فى صلاتنا اليومية : « اياك نعبد واياك نستعين » نعبدك أنت وحدك لحاجتنا اليك فى هدايتنا ، ونستعين بك وحدك على متاعب الحياة .

هنيئا لك أيها المسلم بما أحرزت من نجاح وجائزة ، ورجاء منك أن تحتفظ بتقدير الله لك فتوفى بالعهد فى مسيرتك الطويلة ، ودعاء لك بالتوفيق فيما انت بسبيله دائما من امتحانات تتلوها امتحانات ، والله يهدينا جميعا سواء السبيل .

المشرف العام على المجلة

عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس
وكيل الوزارة المساعد

من وحي النبوة

من ثمرات الايمان

للشيخ احمد البسيونى

لا شيء في هذا الوجود يعـــدل الايمان بالله ، انه منحة غالية وهبة ضخمة ، وان الحياة لتغدو جحيمـا لا يطاق ، حين تنفصل عـن هـذا الايمان ، انه توام وجودها ، وسر عظمتها وارتقائها ، وهو الذي يقود مسيرتها الى السكينة والايمان ، وهو الـذي يقيها مـن الضـلال ، ويعصمها من الزلل ، ويهديها سواء السبيل ، وليس الايمان بالله كلمة يقولها اللسان ، ولكنه منهج رباني متكامل يهذب سلوك الفرد ، ويصلح حياة الجماعة ، ويمنح الانسانية انبل زاد ، واكرم عطاء .. ويوم تنحرف البشريه عن منهج الايمـان وتنقطع صلتها بوحي السماء ، يوم تضل وتزل ويسيطر عليها الغرور وتسبح في جو من الزور والأباطيل ، ويومها لا ترى الا شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي راي برايه ! وهل بعد هذا من ضلال ؟! (**فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين •**) ٥٠ القصص (**افرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون •**) ؟ (٢٣ — الجاثيه) .

وبعقيدة الايمان تتحرك كل

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قَالَ:

"مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيكرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ فليكرِمْ ضَيْفَهُ"

(رواه البخاري ومسلم)

الحوافز المثمره لدى المسلم ، فينطلق الى ميادين الخير ، يسهم فيها ببذل وتضحية ، ويخف الى اداء كل واجب يكلف به ، او يطلب منه ... ومن هنا نرى ان الله تبارك وتعالى اذا ساق الى عباده امرا ، او وجه اليهم نهيا ، فانه ـ جل شأنه ـ يصدر الأمر بهذا النداء الجليل ... (**يايها الذين آمنوا ...**) ثم تتوارد التكاليف بعد ذلك في سهولة ويسر .. فهذا النداء الحبيب ، مفتاح عجيب يفتح قلب المسلم ووجدانه ، فيخشع وينقاد ، ويطيع ربه عن حب ، ورضا واذعان .. فالايمان بالله مرتبط لا محالة باليوم الاخر ، فهذه الدنيا ليست هي الاولى والآخرة ، والا لضاعت حقوق ، واهدرت قيم ، وتلاشت واجبات ، وتساوى المتقون بالفجار ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ (**افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون.**) (١٨ ـ السجدة) فلا بد من حياة اخرى بعد هذه الحياة توفي فيها كل نفس بما كسبت (**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب .**) (١٧ ـ غافر) .

والايمان باليوم الاخر ، صمام امان لهذه الحياة والا لسادت الفوضى ، وطغى الظلم ، وانقلب الناس على هذه الارض وحوشا يبتلع كبيرهم صغيرهم ، ويفتك اقواهم باضعفهم .. انه اقوى حافز للهمم لتنشط الى

خير العمل وعمل الخير **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا •)** ١١٠. الكهف ، وعقيدة البعث لمسة للقلوب المؤمنة ، لا تغفل معها ، ولاتنام بعدها انها تلقى فيها اليقظة الدائمة ، والحركة الدائبة ، والوعي الساهر ليتزود المؤمن بخير الزاد ، التقوى **(يايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون •)** ١٨ : الحشر ومن هنا نرى ان الرسول الكريم ، جعل الايمان بالله واليوم الآخر ، منطلقا الى الفضائل ومكارم الأخلاق فربط بينه وبين الكلمه الطيبة الخيرة او الصمت الحكيم ، كما ربط بينه وبين الاحسان الى الجار ، واكرام الضيف .

فليقل خيرا أو ليصمت :

ان نعم الله على الانسان كثيرة ، ومن اجل هذه النعم ، نعمة البيان بها كرم الله الانسان وفضله على سائر خلقه **(الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان •)** (١ ــ ٤ / الرحمن) وللكلمة وزنها وخطرها بها يترجم اللسان عما يجول في النفس ، ويتردد في الصدر ، وبها ينقل المرء ما في خاطره الى غيره ، فيأمر ، وينهي ، ويعبر عن شعوره واحاسيسه .

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

واذا كان الانسان لم يخلق الا للعبادة **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون •)** ٥٦/ الذاريات . فوظيفة اللسان من هذه العبادة ، الذكر والتوبة والاستغفار .. واذا كان الانسان عضوا في الجماعة ، يأخذ منها ويعطيها ويكملها ويكتمل بها ، فان واجبا عليه أن يسهم في اقامة جهدا في توجيه أهله واخوانه وكل من تربطهم به صلة الى كل بر ومعروف .. واصلاح الحياة ، يتطلب توجيه مسيرتها الى السداد ، ودعم أركانها بالكلمة الهادية الواعية ، لتأخذ سيرها الآمن ، وقرارها المطمئن وهذا يتطلب من كل عضو في الاسرة البشرية أن يكون صادق الرغبة صافي النصح ، عفا في كلامه ، فلا يكذب ، ولا يسب ، ولا يغتاب ، ولا ينم ، ولا يخوض مع الخائضين في لغو ضائع وهذر آثم ، فما ركب الله اللسان في الفم الا ليدور بكل ما يفيد ويصلح **(لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما•)** ١١٤/ النساء والكلمة الطيبة تضفي على الحياة بهجة ، وتملأها نورا وطمأنينة ، انها ثابتة راسخة في اداء رسالتها على هذه الأرض تضرب جذورها في أعماق الحياة ، لا تقوى عليها أعاصير الباطل ، وهي سامقة عالية ، لا يستطيع الشر أن يتطاول عليها في فضائها الرحب ، او يزاحمها في افقها العالي .. وهي مثمرة دائما ، لانها تسقى بماء الايمان ، فتبقى ابدا متجددة مثمرة **(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون •)** ٢٤ و ٢٥ / ابراهيم . وما أبلغ قول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه: « فليقل خيرا أو ليصمت » أمر بقول الخير ، وبالصمت عما عداه . وكل كلام يتكلم به الانسان ، فهو

له ان كان خيرا وعليه ان كان شرا . والكلام ضرورة من ضرورات الحياة، فالكيس من دان نفسه ، وتخير من الكلام احسنه ، واعرض عما سواه قال رجل لحكيم : أوصني .. قال : لاتتكلم . قال : مايستطيع منعاش في الناس الا يتكلم ! قال : فان تكلمت فتكلم بحق أو اسكت .. وقال سميط ابن عجلان : ياابن آدم ، انك ما سكت فأنت سالم ، فاذا تكلمت فخذ حذرك ، اما لك ، واما عليك .. وليس معنى هذا أن الاسلام يؤثر الصمت على الكلام ، فتصبح حياة الناس سلبية انعزالية ، يطبق عليها صمت رهيب ، تغوص في اعماقه منافع لا بد منها لدنيا الناس ، فللكلم الطيب مجاله الفسيح ، وآفاقه المترامية . فقد تذاكر قوم عند الأحنف بن قيس ، ايهما أفضل الصمت أو النطق ؟ فقال الأحنف : النطق افضل ، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه ... وكما قال سليمان ابن عبد الملك : الصمت منام العقل ، والنطق يقظته ... ألا ما اكثر الكلام الضائع في حياتنا ! وان من الناس ناسا يتصدرون المجالس ويجعلون منها منابر اعلام لهم ، يتدفق الكلام من اشداقهم ، متتابعا مسترسلا ، فيضعف الفكر الصائب عن ملاحقة الحديث ، فيقل الصواب ، ويكثر الزلل ، وعامة مجالس الناس — الا من عصم الله — مجالس لاغية لاهية ، يسيطر على جوها ريح الغيبة والهجر من القول ، فهي مجالس عفنة ، تنأى عنها النفوس البريئة لأنها خالية من ذكر الله ، فقد خرج الامام أحمد وابو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه ، الا قاموا على مثل جيفة حمار ، وكان لهم حسرة ! » ولو ادرك الناس خطر الكلمة لعملوا لها ألف حساب « ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار » رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له) وان أخطر ما في الأمر ، ان عامة الناس يستهينون به ، فلا المتحدث منهم يحسب أن كلامه مسجل عليه وهو مسئول عنه ﴿ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ ١٨/ق ولا المستمع منهم يجد بأسا اي بأس ، في ان يفتح اذنيه لتستقبلا الوانا من الكلام حسنه وقبيحه ، صدقه وكذبه ، ومن هنا يأمر الرسول الكريم بالصمت ان لم يستطيع المسلم ان يقول خيرا ، ولكن ما هذا الخير الذي امر المسلم بأن يقصر عليه كلامه كله ؟ ولماذا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم التكلم به أو الصمت ، هو واجب المؤمن ووظيفة اللسان ؟ ان هذا وثيق الصلة برسالة المؤمن في هذه الحياة وغايته منها . وهل للمؤمن رسالة الا الخير ؟ وهل يتغيا المؤمن في هذه الحياة شيئا غير استقامة القلب واليد واللسان .؟

وان مجالات الخير التي يعمل فيها اللسان لكثيرة ، فالصلح بين المتخاصمين ، وارشاد الضال ، والدعوة الى الحق ، ونشر العلم ، من خير الكلام والمشاركة في الحديث الجاد والاعراض عن اللغو ، من خلق المؤمنين ﴿ واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ ٥٥ / القصص . وترك

الجدال ، والتخلي عن المزاح السمج امارة الحكمة فقد ينساق المرء في حديث ماجن كاذب ليضحك به جلساءه ، وهو لا يدري انه يهوى بحديثه هذا أبعد ما بين السماء والأرض ! فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له ! » رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود وغيره : « انا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وببيت في أعلا الجنة لمن حسن خلقه » وكما قال المعصوم صلى الله عليه وسلم : « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» رواه الامام أحمد ، ومن مظاهر هذه الاستقامة أن يصون المرء لسانه عن الكلام فيما لم يسأل عنه ، أو يؤخذ رأيه فيه ، « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي وان يوجزفي كلامه ، ويقتصر على حاجته « طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله ، وامسك الفضل من قوله » رواه الطبراني . وللكلام الطيب ، والعبارة المهذبة ، اثرها القوى على النفوس وتحريك اقفال القلوب قال تعالى : ((وقولوا للناس حسنا) من الآية ٨٣ / البقرة . (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) من الآية ٥٣ الاسراء . والمؤمن عف طاهر لا تبدر منه لفظة نابية ، فى جميع احواله ، ومع صنوف الخلق اجمعين فقد روى مالك انه بلغه عن يحيى ابن سعيد أن عيسى عليه السلام مر بخنزير على الطريق ، فقال له : انفذ بسلام ! فقيل له : تقول هذا لخنزير ؟ فقال : اني اخاف أن أعود لساني النطق بالسوء ! والايمان يفرض على المؤمن أن يضبط نفسه ، ويكظم غيظه أمام الكلمة النابية ، والمنطق السفيه ، فلا يقول الا خيرا فقد روى أبو داود عن سعيد بن المسيب قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في اصحابه وقع رجل بأبي بكر فآذاه ، فصمت عنه ابو بكر ، ثم آذاه الثانية ، فصمتعنه ، ثم آذاه الثالثة ، فانتصر ابو بكر رضي الله عنه لنفسه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال ابو بكر : اوجدت علي يا رسول الله ؟ قال : لا ولكن نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك . فلما انتصرت ، ذهب الملك وقعد الشيطان ، فلم اكن لأجلس اذ قعد الشيطان ! » .

هذا ونحب أن نشير الى خطر الكلمة أو الصورة في أجهزة الاعلام والصحافة ودور النشر ، فقد عانى المجتمع الاسلامي من هذا اشد البلاء فمع ما تؤديه الصحافة للشعوب الاسلامية ، وللعالم اجمع ، من خدمات ثقافية جليلة فهي كما يصفها الشاعر :

لسان البلاد ونبض العبا
د وكهف الحقوق وحرب الجنف
تسير مسير الضحى في البلا
د اذا العلم مزق فيها السدف

نرى بعض الصحف والاذاعات المسموعة والمرئية ، تعرض على الناس مواقف جنسية أو اجرامية مثيرة ، أو تنشر صورا عارية تحرك في نفوس الفتية والفتيات رغبات

جامحة لمقارفة السوء أو مخالطة الرذيلة ، وتجنح أحيانا الى تعقب الجرائم والاسهاب في الاعلان عنها ووصف بعض الحوادث الخلقية بأسلوب يجعل من المجرمين ابطالا ومن التدلي والسقوط شموخا ورفعة مما يحرك نزوات الشباب فتنطلق عاتية مدمرة !!

نريد استخدام الكلمة والصورة في دعم القيم الأخلاقية ، واعلاء الغرائز فذلك أعون على انتصار الفضيلة واشاعة الطهر وادعى لسلامة المجتمع ونهضته .

فليكرم جاره :

ربط الله بين الناس بروابط شتى ليكن ذلك مبعث توادهم وتراحمهم .. فهناك رابطة الانسانية العامة التى تجعل من البشر جميعا أسرة كبيرة ، تجمعهم بنوة واحدة ، ورحم واصلة وهذا يفرض عليهم أن يعيشوا متراحمين لا متزاحمين ، ومتعاونين لا متعادين **(يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** ١٣/الحجرات .

وكان الرسول الكريم يقول فى دعائه — كما رواه أبو داود — « اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه . انا اشهد أنك الله وحدك لا شريك لك .. وأنا اشهد أن العباد كلهم أخوة » .. ثم تأتى رابطة الايمان ، وهى أكرم رابطة ، واعز صلة ، تجعل من المؤمنين على اختلاف ازمانهم والوانهم واوطانهم ، اخوة متحابين فى الله ، متعاونين على ما يصلح دينهم ودنياهم **(انما المؤمنون اخوة)** ١٠/الحجرات .. ويقول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البخاري .

ثم رابطة القرابة من النسب . تجمع الآباء والأبناء والآخوة والاعمام والأخوال ، فى عقد منتظم الحباب ، موثق الصلات **(قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين)** ٢١٥/البقرة . وفى الحديث الشريف : « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » متفق عليه .. ثم تأتى رابطة الجوار ، واثرها فى الحياة العامة كبير ، فلا غنى للجار عن جاره ، فقد يكون قريبك من النسب بعيد الدار ، نائى المزار ، لا يخف لنجدتك ، أما جارك الأدنى ، فهو تحت سمعك وبصرك ، وفى متناول يدك ومن هنا أوصى الاسلام برعاية الجار والاحسان اليه وجعل ذلك من علامات الايمان بالله واليوم الآخر .

ورعاية الجار أو الاحسان اليه ، تكون بزيارته اذا مرض ، والسؤال عنه اذا غاب ، وتقديم المعونة اليه اذا احتاج ، والمبادرة الى نجدته كلما الجأته ضرورة .. ومواساته اذا نزلت بساحته مصيبة . كما تكون بتلبية دعوته ، ومشاطرته افراحه ، والاهداء اليه . والمؤمن الحق ، هو الذى يرعى حق الجوار استجابة لنداء الايمان ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة واخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذى بسند صالح : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » وحسب الاحسان الى الجار شرفا ، أن الله تعالى قرنه بعبادته فقال سبحانه : **(واعبدوا**

الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتـــــامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصـــــاحب بالجنب وابن الســــبيل وما ملكت ايمـــانكم) ٣٦ / النساء .

واذا كان الجوار أمرا تقتضـــــيه طبيعة الحياة ، فان حظ الناس مـــن جيرانهم مختلف ، فمنهم من يســـعد بجاره سعادة موصولة ، لا يعدل بها شيئا . ومنهم من يشقى به شـــقاء يود لو افتدى نفسه منـــــه فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه : « اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة ، فان جار البـــادية يتحول » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وان الاحسان الى الجار ، دليـــل على اكتمال الايمان فى نفس المؤمن .. والاساءة اليه دليل على نقـــص الايمان أو ذهابه ! فقد جاء فى حديث رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيـــده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمـــن جاره بوائقه ، قلت يا رسول الله وما بوائقه ؟ قال: غشمه وظلمه » رواه أحمد وغيره . وان المعاملة الحسنة لجارك يثقل بها ميزان حسناتك ، ويرفعك الله بهـــا درجات ورب كلمة نابية تؤذى بهـــا جارك يحبط بها عملك ، وتسوقك الى النار ! فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « قال رجل يا رسول الله ، ان فلانة تذكر من كثرة صلاتهـــا وصدقتها وصيامها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلســـــانها ، قال : هى فى النار ! قال يا رسول الله ، فان فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها قال : هى فى الجنة » رواه احمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الاســـناد — والأثوار : جمع ثور وهي القطعة من الأقط وهو « الجبن » الذى يتخذ من مخيض لبن الاغنام — . ولقد أخبر الرسول الكريم مؤكدا بالقسم المكرر أن الذى يؤذى جاره لا حـــظ له من الايمان ، فقد روى البخارى عن أبى شريح الكعبى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن . قيل يا رسول الله لقد خاب وخسر من هذا ؟ قال : من لا يأمن جـــاره بوائقه ، قالـــــوا وما بوائقه ؟ قال : شره » .

فليكـــرم ضيفـــه :

والايمان بالله واليـــــوم الآخر ، يفرض على المؤمن أن يكرم ضيفه ، واكرامه الترحيـــب به ، وايواؤه ، وتقديم ما عسى أن يكون فى حاجة اليه من مأكل أو مشرب أو غير ذلك مما يوفر له الراحة والاطمئنـــــان . واكرام الضـــيف خلق الأنبيـــــاء والمؤمنين ، فقد حكى القرآن عـــن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، انه رحب بضيوفه — وكانوا ملائكة فـــى صورة بشر — ولم يكن يعلم حقيقة أمرهم . ويبدو فى هذا اللقـــاء كرم ابراهيم وسخاؤه ، وارخاصه للمال فى سبيل اكرام الضيف . فما يكاد هؤلاء الأضياف يدخلون عليـــــه ، ويلقون عليه السلام ، ويرد عليهـــم تحيتهم ، حتى يذهب مسرعا الى أهله

اى زوجه « سارة » فراغ الى أهله اى ذهب فى خفية عن الضيوف حتى لا يشعرهم بأنه يعد لهم طعاما وهذا شأن الكرماء .. ذهب ليهيىء لهم الطعام وهو لا يعرف من هم .. ؟ ولا من أى البلاد جاءوا .. ؟ ولكنه كرم النبوة ينطلق على سجيته ، لا تحركه معرفة شخصية ، أو منفعة خاصة أو بغية الثناء وحب المحمدة ، ولكن قصده وغايته وجه الله **(انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)** ٩/الدهر . ويجىء بالطعام وفيرا يكفى عشرات من الرجال .. جاء بعجل سمين عظيم اللحم ، حنيذ مشوى على الحجارة المحماة بالنار ، وهو انظف المشويات من اللحوم . مع انهم كانوا ثلاثة كما جاء فى بعض روايات التفسير ، وهؤلاء يكفيهم كتف من هذا العجل السمين ولكن ليأكلوا هم ، ويأكل بعدهم الفقراء والمساكين : **(هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم قال : الا تأكلون)** ؟! ٢٤ — ٢٧ / الذاريات .

وكان نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلا ، ويفتح بابه لأضيافه فيجدون منه كريما أجود بالخير من الريح المرسلة ، وان لم يكن فى بيته ما يطعم به الضيف ، ندب من أصحابه من يقوم عنه بهذا الواجب الاسلامى . فقد روى مسلم وغيره عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى مجهود — اصابه جوع أضعف قوته — فأرسل الى بعض نسائه فقالت : لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ! ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك ، لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ! فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الانصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به الى رحله ، فقال لامراته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا الا قوت صبيانى ! قال فعلليهم بشيء فاذا أرادوا العشاء فنوميهم ، فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج واريه انا نأكل » .. وفى رواية فاذا أهوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفئيه قال : فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين ! فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما » زاد في رواية فنزلت الآية : **(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)** ٩/الحشر .

هذا منهج الاسلام فى تربية النفوس ، وأصلاح المجتمع ، وتوثيق روابط الالفة والتعاون بين الناس ، وتلك حضارة سامقة ، تتضاءل دونها حضارات الأرض .. انها الحضارة الاسلامية ، حضارة التقدم الانسانى والعالمى تهذب سلوك الانسان ، وتطلق يده فى بناء الحياة بمنهج الله .. الذى يهدى للتى هى أقوم .. القرآن الكريم .. المعجزة الخالدة التى أرسلها الله فى الناس لتصنع عالما ربانيا لا ترى فيه عوجا ولا تناقضا ، عالما متناسقا ، موحد القلب ، والفكر ، والشعور ، والعمل **(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)** .

الخصائص العامة للإسلام (٤)

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان

محمد مؤذن

للدكتور يوسف القرضاوى

ا) استخلافه فى الأرض :

لقد أعلن الاسلام كرامة الانسان ، فاعتبره خليفة الله فى الأرض ، وهى منزلة اشرابت اليها أعناق الملائكة ، وتشوفت اليها أنفسهم ، فلم يعطوها ، ومنحها الله للانسان (**واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ! قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟! قال : انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك ! لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم انبئهم بأسمائهم ، فلما أنباهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**) البقرة/ ٣٠ — ٣٣ .

لقد كرم الله الانسان بالخلافة فى الأرض ، وهيأه لها بالعقل والعلم الذى

تفوق به على الملائكة .

ب) خلقه فى احسن تقويم :

وأعلن الاسلام كذلك أن الله كرم الانسان بالصورة الحسنة وبالخلقة الحسنة ، كما قال تعالى : **(لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)** التين/٤ .
(وصوركم فاحسن صوركم) التغابن/٣ .
وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكرر هذا الدعاء فى سجوده : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

جـ) تمييزه بالعنصر الروحى :

وفوق ذلك كله كرمه بالروح العلوى الذى أودعه الله بين جنبيه . فهو قبس من نور الله ، ونفخة من روح الله ، استحق به أن تنحنى له الملائكة اجلالا واكبارا لمقدمه بأمر الله ، كما قال تعالى لملائكته : **(انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين)** ص/٧١ ، ٧٢ .
وهذه النفخة الروحية الالهية ليست خاصة بآدم أبى البشر ، كما قد يتوهم بعض الناس ، فان بنيه ونسله جميعا قد نالهم حظ منها ، كما قال تعالى بعد أن ذكر خلق آدم : **(ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)** السجدة/٨ ، ٩ .
فلم يكن هذا التكريم والاحتفال لشخص آدم عليه السلام ، وانما كان تكريما للنوع الانسانى فى شخصه . فان الله ميزهم بما ميزه من مواهب العقل والعلم والروح واستخلفهم كما استخلفه فى الأرض ، ولهذا أعلن القرآن كرامة البشر كافة حين قال : **(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء/٧٠ .
وهذا كله يثبت أن الانسان نوع متفرد متميز عن سائر الحيوانات ، فانها ـ وان شابهته فى عناصر تكوينها الطينى ـ تخالفه ويخالفها فى التكوين المعنوى ، اذ لم يكرمها الله بما كرمه من الروح والعقل ، لأنها لم تكلف ما كلفه من عمارة الأرض وخلافة الله فيها .
فهى مجرد أداة له فى مهمته ، ليسخرها فى حاجته .
ولا ريب أن ايحاء هذا المعنى فى نفس الانسان ، غير ايحاء الذين ينظرون اليه على أنه ليس الا حيوانا « تطور » وترقى حتى صار الى ما هو عليه الآن .

د) الكون مسخر لخدمة الانسان :

وكان من تكريم الله للانسان ـ فى نظر الاسلام ـ أنه جعل الكون كله فى خدمته ، وسخر لمنفعته العوالم كلها : السماء والأرض ، الشمس والقمر

والنجوم ، والليل والنهار ، الماء واليابس ، البحار والأنهار ، والنبات والحيوان والجماد ، كلها مسخرة لمصلحة الانسان وسعادة الانسان ، كرامة من الله له ، ونعمة منه عليه .

يقول تعالى مخاطبا بنى الانسان : **﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾** ابراهيم/٣٢ ـــ ٣٤ .

﴿ الله الذى سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الجاثية/١٢ ، ١٣ .

﴿ الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ لقمان/٢٠ .

وتسخير الكون للانسان يتضمن معنيين كبيرين :

أولهما : أن الطاقات الكونية كلها مهيأة ومبذولة للانسان ، فعليه أن يبذل جهده ويعمل فكره ، فى فتح مغاليقها ، واكتشاف مخبوئها ، ليستخدمها فيما يعود عليه بالخير والسعادة .

والثانى : أن الانسان هو واسطة العقد فى هذا العالم ، فلا يجوز أن يؤله شيئا فيه او يتعبد له ، رغبا أو رهبا . والذين عبدوا بعض مظاهر الطبيعة أو القوى الكونية فى العالم العلوى أو السفلى ، قلبوا الحقائق وحولوا الانسان من سيد سخر له الكون الى عبد ذليل ، يسجد لنجم أو شجرة أو بقرة او حجر من الأحجار .

هـ) حماية الانسان :

أكد الاسلام حرمة العرض والكرامة للانسان ، مع حرمة الدماء والأموال، حتى أن النبى صلى الله عليه وسلم أعلن ذلك فى حجة الوداع أمام الجموع المحتشدة فى البلد الحرام ، والشهر الحرام ، واليوم الحرام « أن الله حرم عليكم دماءكم واعراضكم وأموالكم » رواه مسلم . فلا يجوز أن يؤذى انسان فى حضرته ولا أن يهان فى غيبته ، سواء اكان هذا الايذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول . فربما كان جرح القلب بالكلام اشد من جرح الأبدان بالسياط او السنان .

ومن ثم حرم الاسلام اشد التحريم ان يضرب انسان بغير حق ، وأن يجلد ظهره بغير حد ، وأنذر باللعنة من ضرب انسانا ظلما ، ومن شهده يضرب ولم يدفع عنه ، وبهذا حمى بدن الانسان من الايذاء .

وحرم الاسلام الهمز واللمز والتنابز بالالقاب والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس ، وانزل الله فى ذلك آيات تتلى فى سورة الحجرات وبذلك حمى نفس الانسان من الاهانة .

ولم يكتف الاسلام بحماية الانسان فى حالة حياته ، فكفل له الاحترام بعد مماته ، ومن هنا جاء الأمر بغسله وتكفينه ودفنه ، والنهى عن كسر عظمه أو الاعتداء على جثته خلافا للأمم التى تحرق جثث موتاها .

وفى هذا جاء الحديث النبوى « كسر عظم الميت ككسره حيا » رواه أحمد .

وقال ابن حجر فى الفتح :

يستفاد منه أن حرمة المؤمن بعد موته باقية كما كانت فى حيـــاته .

وكما حمى جسمه بعد الموت حمى عرضه وسمعته أيضا ، لئلا تلوكها الأفواه . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تذكروا موتاكم الا بخير » رواه أبو داود الطيالسي .

تميز « الانسانية » فى الاسلام :

لا ريب أن هناك أديانا ونحلا ومذاهب وفلسفات تهتم بالانسان ، وتحرص على سعادته ، وقد تعلن وتفاخر بأنها « انسانية » .

ولكن العيب المشترك فى هذه الديانات والمذاهب انها لم تعرف الانسان معرفة محيطة به ، وانما نظرت اليه من زاوية معينة ، أو من جانب خاص ، غافلة عن الجوانب الأخرى ، برغم أهميتها فى وجوده ، فجارت على الانسان باسم الانسان .

ان بعض الأديان والفلسفات نظرت الى الجانب الروحى فى الانسان ، غير عابئة بجانبه العقلى ، وجانبه الحسي والمادى . بل ربما دعت الى تعذيب الجسم فى سبيل سعادة الروح .

وبعض المذاهب والفلسفات لم تنظر الا الى الجانب المادى فى الانسان ، ولم تبال بغيره ، ولم تعترف به ، فالانسان كائن اقتصادى ، أو حيوان منتج ، لا أكثر .

وبعض المذاهب والفلسفات « ألهت » الانسان ، واعتبرته كائنا مستقلا « يقوم وحده » مستغنيا عن الله فأساءت الى الانسان من حيث أرادت الاحسان اليه ، وجعلته « نباتا شيطانيا » خرج الى الوجود من غير زارع ، ولغير هدف ، الا أن ييبس ويصبح هشيما تذروه الرياح ، أو تأكله النار .

وبعض المذاهب ــ كالرأسمالية ــ تدلل الانسان الفرد ، وتطلق لــه العنان ، حتى يتحطم فى النهاية ــ باسم الحرية ــ دون أن تجعل للمجتمع حقا فى مراقبته ومحاسبته وتقويمه ، من أجل مصلحته هو فى النهاية ومصلحة المجتمع من ورائه .

وبعض آخر ــ كالشيوعية ــ يضغط على الانسان الفرد ، ويكبله بقيود شتى ، ويحرمه من كثير من الحريات ، وكثير من الحقوق الطبيعية ــ باســم المجتمع ــ حتى يكاد يسحقه سحقا .

أما الاسلام ، فقد تميز عن هذه الأديان والفلسفات بنظرته الشـــاملة المحيطة لماهية الانسان ، والنفاذ الى أغوار طبيعته ، والاعتراف بكل جوانبــه وخصائصه ، دون ميل أو شطط ، أو اهمال لناحية لحساب أخرى .

بين انسان المسيحية وانسان الاسلام :

ان الأديان السماوية كلها قد جاءت لتحرير الانسان واسعاده والسمو به ، ولكن أصابها الغلو أو التحريف والتزييف ، بما بدل جوهرها ، وأخرجها عن رسالتها . ونظرا لأنها كانت رسالات مرحلية موقوتة لم يكتب الله لها الخلود ، ولم يتكفل بحفظها ، كما تكفل بحفظ القرآن ، بل استحفظها أهلها ، فضيعوا وبدلوا .

وأبرز مثل لذلك المسيحية التى جاءت لانقاذ الانسان من سيطرة العقلية اليهودية فى ماديتها وشكليتها وعنصريتها . فلم تلبث أن حرفت بالحذف والزيادة حتى أصبحت – فى القرون الوسطى – غلا فى عنق الانسان ، وقيدا فى رجله .

اعتبرت الايمان ضدا للعقل . فكان شعارها : اعتقد وانت أعمى .

واعتبرت الجسم عدوا للروح ، فأهملت الأجسام ابقاء على الأرواح .

واعتبرت العمل للحياة منافيا للتعبد لله ، فابتدعت نظام الرهبنة ، والانقطاع عن الحياة .

واعتبرت الانسان ملوثا بالخطيئة من يوم يولد ، لأنها لازمة لوجوده ، ورثها من أبيه الأول .

وحجرت على الانسان ان يتصل بربه الا بوساطة كاهن بيده مفاتيح الجنة ، وملكوت السماء .

هـ) الغاء الوساطة الكهنوتية بين الله والانسان :

ذلكم هو انسان المسيحية فى صورتها التاريخية المعروفة ، أما انسان الاسلام ، فهو شيء آخر .

لقد كان من دلائل تكريم الله للانسان فى نظر الاسلام : أن فتح له باب التقرب اليه سبحانه وتعالى أنى شاء ، ومتى شاء ، ولم يحوجه الى وسطاء يتحكمون فى ضميره ويقفون حجابا بينه وبين ربه !! يقول الله تعالى مخاطبا **(قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا** لرسوله الكريم : **(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)** البقرة/١٨٦ . ويقول فى آية أخرى : **(وقال ربكم ادعونى استجب لكم)** غافر/٦٠ ، **(فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون)** البقرة/١٥٢ .

ويعلن الحديث القدسي أن من تقرب الى الله شبرا تقرب الله اليه ذراعا ، ومن تقرب الى الله ذراعا تقرب الله اليه باعا . رواه البخارى .

لا حاجة بالانسان اذن الى وساطة كاهن ، يصل عن طريقه الى الله – ولا يقبل الله منه عبادة بغير توسطه ، فليس فى الاسلام كاهن ولا كهنوت .

وبهذا يستطيع الانسان المسلم أن يقرع باب ربه متى شاء ، وأين شاء ، بعيدا عن سيطرة طبقة الدجاجلة المدعين للسمسرة بين الله وعباده .

وليس هذا لخاصة الأتقياء والصالحين ، دون العصاة والمذنبين .

كلا ، فان باب الله مفتوح على مصراعيه لكل من دعاه ورجاه ، ووقف على عتبته ضارعا مستغفرا ، وان اقترف قبـــل ذلك كبائر الاثم وفواحش الذنوب . يقول تعالى : (**والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**) آل عمران/١٣٥ .

وفى الحديث القدسي الصحيح « يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار ، والتجمل والاعتدال ، ونهاه عن المسكرات والمفترات وكل ما يضر تناوله ، وفاء وانا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم » رواه مسلم .

وفى القرآن الكريم : (**قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم**) الزمر/٥٣ .

و) الاعتراف بالكيان الانسانى كله :

وكان من تكريم الاسلام للانسان أن اعترف به كله كمـــا فطره الله : جسمه وروحه ، وعقله وقلبه ، ارادته ووجدانه ، فلم يغفل حق جانب من هذه الجوانب لحساب آخر . .

١ ــ ولهذا أمره بالسعى فى الأرض والمشي فى مناكبهـــا ، والأكل من بحظ جسمه .

٢ ــ وأمره بعبادة الله وحده ، والتقرب اليه بأنواع الطـــاعات ، من صلاة وصيام وصدقة وزكاة ، وحج وعمرة ، وذكر ودعاء ، وانابة وتوكل ، وخوف ورجاء ، وبر واحسان ، وجهاد فى سبيل الله ، وغير ذلك من الوان العبادة الظاهرة والباطنة ــ وفاء بحق الروح . .

٣ ــ وأمره بالنظر والتفكر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، وفى مصاير الامم ، وسنن الله فى المجتمعات ، كما أمره بطـــلب العلم ، والتماس الحكمة من اى وعاء خرجت منـــه ، وأنكر عليه الجمـــود والتقليد ، للآباء والكبراء ، كل ذلك وفاء بحق العقل .

٤ ــ ولفته الى جمال الكون بأرضه وسمائه ونباته وحيوانه ، وما زانه الله به من مظاهر الحسن والبهجة ليشبع حاسة الجمال فى نفسه ، ويشعر فى أعماقه ، بعظمة ربه الذى أحسن كل شيء خلقه . كما أنه أباح له التمتع بألوان من اللهو وترويح النفس ، دفعا للسآمة عنها ، فانها تمل كما تمل الأبدان، وتتعب كما تتعب ، وفى هذا رعاية لجانب الوجدان والعاطفة .

ز) تحرير الانسان من اعتقاد وراثة الخطيئة الاولى :

ومن كرامة الانسان فى الاسلام : انه أزال عنه وصمة التلوث بالخطيئة، التى يولد عليها كل انسان ، كما هى دعوى المسيحية ، التى زعمت أن خطيئة آدم ــ بالأكل من الشجرة المحرمة ــ ورثت لبنيه ذكورا وأناثا ، فلا يولد مولود الا وفى عنقه هذه الخطيئة ولا ينجو انسان من اثمها وتبعتها الا بكفارة وفداء ،

ولم يتحقق هذا الفداء الا بصلب المسيح فيما زعموا — ومن ثم كانت حتمية الايمان بالمسيح فاديا مخلصا .. !

أما الاسلام فقد الغى هذا كله ، واعلن ان « كل مولود يولد على الفطرة » رواه البخارى . غير ملوث بخطيئة ، او مثقل بذنب .

كما قرر الاسلام بوضوح وحسم مسئولية الانسان عن نفسه ، فلا يجوز فى منطق العدل الالهى أن يحمل الابن وزر أبيه ، أو الحفيد وزر جده : **(ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى)** الأنعام/١٦٤ .

على أن معصية آدم نفسها ، قد غسلتها التوبة ، وانتهى أمره بالاجتباء والهداية من ربه ، كما قال تعالى : **(وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)** طه/١٢١ ، ١٢٢ .

يقول الدكتور نظمى لوقا ، المسيحى المصرى فى كتابه « محمد : الرسالة والرسول » :

« أن أنس لا أنسى ما ركبنى صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى وما سيقت فيه من سياق مروع ، يقترن بوصف جهنم ، ذلك الوصف المخيف لمخيلة الأطفال وكيف تجدد فيها الجلود كلما اكلتها النيران ، جزاء وفاقا على خطيئة آدم بايعاز من حواء . وانه لولا النجاة على يد المسيح الذى فدى البشر بدمه الطهور ! لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين !

« وان انس لا انسى القلق الذى ساورنى وشغل خاطرى عن ملايين البشر قبل المسيح اين هم ؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة ؟!

« والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة ، الا من نشأ فى ظل تلك الفكرة القاتمة ، التى تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل افعال المرء ، فيمضي فى حياته مضي المريب المتردد ، ولا يقبل عليها اقبال الواثق ، بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .

« ان تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها ، ورفعها عن كاهل الانسان منة عظمى ، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه ، بل هو ولادة جديدة حقا ، ورد اعتبار لا شك فيه . أنه تمزيق صحيفة السوابق ، ووضع زمام كل انسان بيد نفسه » .

ليكن الحق شعارنا

للاستاذ : محمود عبد الوهاب فايد

الحق هو قوام الأمن ، ودعامة السلام ومبعث الاستقرار ومصدر الهناءة والالفة ، واساس الارتباط بين الحاكم والمحكوم وبين المحكومين بعضهم مع بعض ولما له من اثر ملموس بين مخلوقات الله ، وفي جميع مسالك الحياة ، كان عظيما في معناه ومرماه ، بل كان عظيما في لفظه ومبناه ولا عجب فهو يستمد عظمته من الله فهو اول من تسمى بالحق قال تعالى: **(فذلكم الله ربكم الحق)** يونس ٣٢ وقال : **(فتعالى الله الملك الحق)** المؤمنون ١١٦ ، وهو سبحانه يلتزم الحق في قوله قال تعالى : **(ان الحكم الا لله يقص الحق)** الانعام ٥٧ ، وقال : **(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)** الأحزاب ٤ ، وكذلك يلتزمه في دعوته قال تعالى : **(له دعوة الحق)** الرعد ١٤ ، ويلتزمه في وعده قال تعالى : **(فاصبر ان وعد الله حق)** الروم ٦٠ ويلتزمه في حكمه قال تعالى : **(والله يقضى بالحق)** غافر / ٢٠ .

ولكي نعرف مدى رعاية الله للحق يلزمنا أن نعلم ان المولى كشف لرسوله الحقيقة ، وابان له الحق في قضية لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم اطلاع عليها ، وكاد يجانب الصواب في حكمه لولا أن الله حماه .

روى أن طعمة بن ابيرق سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرق فيه ، وخبأها عند زيد ابن السمين وهو رجل من اليهود فاتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فطلبوها منه ، فأعطاها لهم وقال : دفعها الى طعمة ،فسالوا طعمة فأنكر واتهم اليهودي ، وسارع اهل طعمة بالذهاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم ، مؤكدين له براءته ، والصقوا تهمة السرقة باليهودي ، وقالوا : ان لم تفعل — يا رسول الله — هلك صاحبنا وبريء عدو الاسلام ، وكاد الرسول صلى الله عليه وسلم ينخدع بزخرف حديثهم ومعسول قولهم ، لولا أن الله انزل عليه القرآن ، يكشف الحقيقة ، وينصر الحق ويدفع البهتان ، قال تعالى :

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان

الله لا يحب من كــان خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفــون من الله وهو معهم اذ يبيتون مــا لا يرضى من القول وكان الله بمايعملون محيطا . هانتم هؤلاء جادلتم عنهــم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثــم يستغفر الله غفــورا رحيما . ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفســه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقــد احتمل بهتانا واثما مبينــا . ولــولا فضل الله عليــك ورحمتــه لهــمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليــك عظيما) النساء ١٠٥ — ١١٣ .

ان المتهم فى هــذه القضية يهودي من بين أولئك الذين شهد الله أنهــم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ولكنه بــريء .

والرسول صلى الله عليه وسلــم كاد ينخدع بملابسات هذه القضية اذ ليس فيها ما يدل على مقترفها فهل يدع الله نبيه يتورط في حكم جائــــر والوحي لا يزال يتنزل ؟ لا فقد سارع جبريل بوحي من الله يتلو على النبي صلى الله عليه وسلم تسع آيــات نزلت في حق يهودي ، لم ينزل مثلها فى حق صحابي !

هكذا يرعى الله الحق ، وهكــذا يكره الله الظلم ، ولا عجب ، فقــد قال تعالى فى حديث قدسي أخرجــه مسلم : (يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالمــوا) .

لقد بدأ الله بنفســه ، فالتـــزم الحق في قوله وفعله ، فى دعوتـــه وحكمه ليفرض علينا أن نسلك سبيله فلا نتهرب منه ولا نحيد عنه .

وأول الناس تأثرا واستجابة لله في دعوته الى الحق وحضه على العدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هو القائــل في حــديث رواه الشيخان : (أما والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له) ؟

لا عجب اذا رأيناه يتحرى الحق ، ويتوخى العدل ، وينفر من الظلم وان صغر ودق ، يستمســك بالحــق فى الرضا والغضب ، وتأمل معي هذه الواقعــه :

أخرج ابن سعد فى الطبقات ج ١ ص ١٦٣ :

عن الزهري أن يهوديا قال : مــا كان بقي شيء من نعت رسول اللــه صلى الله عليه وسلم فى التوراة الا رأيته الا الحلم وانى أسلفته ثلاثــين دينارا الى أجل معلوم فتركته حتــى اذا بقي من الاجل يوم أتيته فقلــت يامحمد اقض حقي فانكم معاشر بني عبد المطلب مطــل .

فقال عمر : يهودي خبيث . أمــا والله لولا مكانه لضربت الذي فيـــه عينــاك .

فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : غفر الله لك يا أبا حفص نحن كنا الى غير هذا منك أحوج ، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن الطلب!

قال : فلم يزده جهلي عليه الا حلما قال : يا يهودي انما يحل حقك غدا .

ثم قال : يا أبا حفص اذهب به الى الحائط الذي كان سأل أول يوم فــان رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا وزده لما قلت لــه كــذا وكذا صاعــا فــان لم يرض فأعطه ذلك من حائط كذا .

فأتى به الحائط فرضي ثمره فأعطاه

ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أمره من الزيادة قال : فلما قبض اليهودي ثمره قال : اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني قد كنت رأيت في رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر مالي فى فقراء المسلمين . فقال عمر: فقلت أو بعضهم فقال أو بعضهم) .

ما أجمل هذا الحديث وما أروعه !

انه يؤكد ان الدولة الاسلامية في عهد نبي الاسلام كانت تتكفل بحماية كل من يعيش فى ظلالها ، ويأوى الى كنفها ، على اختلاف دياناتهم ، تتكفل بحماية دمائهم وأموالهم وأعراضهم تتكفل بنشر الأمن والطمأنينة ، تتكفل برعاية الحق والتزام العدل والحفاظ على الحرية ، بين جميع افراد الرعية .

فها هو ذا نبي الله يحمي دم هذا اليهودي وكرامته ، ويحمي ماله ، ويأمر له بدفع غرامة مالية جزاء ازعاج عمر له .

وتأمل معي أيها القارىء الكريم هذا الموقف الرائع لنبينا الأمين الذي بعث رحمة للعالمين . كيف يطلب من عمر الذي اهتدى قبل على يديه ، أن يقدم النصح اليه ليعلمنا أن نشجع غيرنا على نصحنا ولو كان من تلاميذنا وأتباعنا .

وأخيرا تأمل معي ايها القارىء نتيجة هذه المعاملة الكريمة ،والأخلاق السمحة . لقد اجتذبت الى الاسلام يهوديا ، فأعلن ايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ونبيا .

(وبعد) :

فليعلم الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الأرض بغير الحق انهم لا يأمنون غدرات الزمان ، وتقلبات الأيام .

ليعلموا أن الظلم مرتعه وخيم ، وانه على الباغي تدور الدوائر ، وأن الله جل وعلا لا ينام وهو شديد الانتقام .

قال عليه الصلاة والسلام : (ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) أخرجه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أن لى مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني فأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كل عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله تعالى : **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين)** الأنبياء ٤٧ . فقال الرجل : يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء خيرا من مفارقتهم أشهدك انهم كلهم أحرار . (اخرجه أحمد والترمذي) .

هكذا ربى الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه ، رباهم على اعلاء شأن الحق وكراهية البغي ، أسأل الله أن يوفقنا لالتزام الحق قولا وفعلا ، وأن يهدينا بهداه ويرشدنا الى ما يحبه ويرضاه .

حرية الرأي في الإسلام

لقد ظهرت فى العالم العربى هذه الأيام ظاهرة لافتة للنظر ، وهى الهجوم على الاسلام او الدعوة الى توهين العقيدة الاسلامية ، والغريب فى هذا الأمر ان يقوم به مواطنون من داخل هذه الدول نفسها ، سواء اكانوا مسلمين أو غير مسلمين ينادون بدعاوى فجة ، وامور مبتدعة ، ينقلونها عن بعض المستشرقين والحاقدين على الاسلام ورسوله الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، بقصد اضعاف الاسلام والتشكيك فيه .

ولكن مهما حاول هؤلاء واولئك فلن يستطيعوا أن ينالوا من الاسلام شيئا وسيبقى الاسلام دائما قاهرا منتصرا ، وسوف تموت هذه الدعوات الخبيثة ، ويموت اتباعها ومروجوها غيظا .

ولقد قصدنا من كتابة هذا الموضوع بيان راى الاسلام فى هؤلاء .. وتنبيه المسلمين والحكومات الاسلامية الى ما يدبر ضد دينهم ، والانتهاكات الصريحة لمعتقداتهم دون ان يدفعوا عن انفسهم غائلة هذا الهجوم الضارى الشرس ..

انى ادق ناقوس الخطر ليستيقظ كل من اخذته سنة من النوم قبل ان يفوت الاوان .. !!

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين

سورة المائدة (٥٧)

للأستاذ توفيق على وهبة

ان حرية الانسان فى ابداء رايه ، او ما يعتقد انه الصواب ، من اهم الحقوق التى يقررها الاسلام ويكفلها لأفراد المجتمع ، ولا رقابة على الفرد او حجر عليه فى رأيه طالما كان الرأى خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى ، ولصالح المجتمع .

اما اذا تعدى الرأى حدوده بأن اعتدى على الدين او دعا الى توهين العقيدة الاسلامية او مس شخص الحاكم بدون وجه حق اعتبر ذلك جريمة يجب العقاب عليها ، لان الجانى نصب من نفسه مدعيا وقاضيا ومنفذا .

وجريمة الرأى ذات شقين :

ا) مجرد ابداء الرأى المنحرف سواء اكان ضد الحاكم او ضد الدين .

ب) تجاوز ابداء الرأى الى الفعل المنحرف بالاعتداء على شخص الحاكم بدون بينة ، كما حدث للخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن

عفان وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهم حيث قتلوا بأيد اثيمة غادرة حاقدة لم يكن لها من هدف الا الكيد للاسلام ومحاولة تقويض بنيانه .

أمثلة من الآراء المنحرفة ضد الحكام :

أ) يروى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد توزيعه الغنائم فى غزوة حنين وقال له : اتق الله يا محمد . فقال صلى الله عليه وسلم : « فمن يطع الله ان عصيته أيأمننى أهل الأرض ولا تأمنونى » ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم فى قتله ، فلم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ان من ضئضيء هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » .

وهكذا رفض الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ان يعاقب الرجل الذى اعتدى عليه بالقول ولكنه بين أن هذا الرجل وامثاله اذا اعتدوا على الدين أو دعوا الى توهين العقيدة الاسلامية فانه يقاتلهم ويأمر بقتالهم .

ب) وصل الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ثياب فقسمها بين المسلمين ، وكان بينها ثوب يمتاز بالجودة فرفض توزيعه عليهم حتى لا يغضب من لا يكون من نصيبه ، وطلب من القوم أن يرشدوه الى فتى من قريش نشأ نشأة حسنة ليعطيه اياه فأسموا له « المسور بن مخرمة » فدفعه اليه ، فنظر اليه سعد بن ابى وقاص على المسور ، فقال ما هذا .. ؟ قال : كسانيه أمير المؤمنين . فجاء سعد الى عمر فقال : تكسونى هذا البرد (الثوب) وتكسو ابن اخى مسورا افضل منه ، فقال : يا أبا اسحق انى كرهت أن أعطيه أحدكم فيغضب أصحابه فأعطيته فتى نشأ نشأة حسنة لا يتوهم فيها انى افضله عليكم ، فقال سعد : فانى قد حلفت لأضربن بالبرد — الذى اعطيتنى — راسك ، فخضع عمر براسه . وقال : راسي عندك يا ابا اسحق ، وليرفق الشيخ بالشيخ ، فضرب راسه بالبرد .

كان هذا الموقف السمح لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ممن اعتدى عليه ، لم يعنفه .. ولم يعاقبه ، بل رفق به ، ومكنه من راسه ليبر فى قسمه .. ولم يغضب عمر لنفسه !!

جـ) بدأ بعض أصحاب الهوى والغرض يطعنون فى الخليفتين الطاهرين النقيين التقيين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهما ورفع فى الجنة درجتهما فلم ينتقما منهم قط وكانا يستمعان الى النقد الخارج عن الحدود ، والذى لم يقصد منه الا التجريح والاهانة ولا يغضبان ولا ينتقمان بل كانا يصفحان عن المعتدين .

وحدث أن الامام عليا كرم الله وجهه كان يخطب على المنبر فهاجمه بعض مخالفيه ورموه بالكفر ، وقال نفر منهم لا حكم الا لله . فما كان منه الا أن قال : « كلمة حق يراد بها باطل . نعم . انه لا حكم الا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله ، وانه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل فى امرته المؤمن ، ويستمتع

فيها الكافر ، ويبلغ فيها الاجل ويبلغ فيها الفيء ، ويقاتل به العدو ، وتأمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر ، ويستراح من فاجر » .

د) يروى أن رجلا من الخوارج سب أمير المؤمنين على بن ابى طالب وهدد بقتله فنقل احد اصحاب الامام ذلك اليه فقال له : اشتمه كما شتمنى ، فقال : انه يريد قتلك . فقال : ولكنه لم يقتلنى . وترك الرجل .

ورغم ما فى هذا التصرف منعظمة وجراة وسمو فى الأخلاق ، الا أنه كان الأحرى بالامام أن يحتاط لنفسه عندما علم بعزم الرجل على قتله اذ أن حياته ليست ملكا له وحده بل من صالح المسلمين بقاء أمير المؤمنين ليقودهم ويصلح احوالهم . ولكنه كرم الله وجهه لم يأبه بذلك وترك الرجل ، ولم يأخذ الحيطة الواجبة ، أو الحراسة اللازمة للمحافظة على حياته ، ولم يعر انتباها لتهديد الرجل واكتفى بقوله : « ولكنه لم يقتلنى » اى أنه ما دام الرجل لم ينفذ جريمته فليس هناك ما يدعو الى عقابه .

هذه أمثلة قليلة وغيرها كثيرة مما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الأخيار الأطهار لم يعاقبوا على جريمة الاعتداء بالقول على شخصهم واعتبروا انفسهم مثل غيرهم منعامة الناس ، لا فضل لهم عليهم ، ولا حق لهم أكثر مما للناس من حقوق .. فمن سبهم عفوا عنه ولم يعاقبوه .

أما ما تقرره الحكومات والدول الحديثة من العقاب الصارم الذى يوقع على من يرتكب جريمة السب فى ذات الملك أو الرئيس واعتبار ذاته مصونة لا تمس ، عقوبات وضعية وصلت الى النظم الحديثة من قوانين العصور الوسطى التى كانت تعتبر ان الملك يحكم بالحق الالهى المقدس وانه يعلو جميع البشر الذين يحكمهم ولا يجوز الطعن فيه أو معارضته .

ولكن الاسلام لا يعرفهذه الجريمة ولم يحدد لها عقابا كما هو واضح من الوقائع السابقة .. ذلك هو الشق الأول لجريمة الراى حينما تكون موجهة ضد الحاكم ، اذا لم تستتبع بأفعال تمس شخصه ، فما موقف الاسلام من هذه الجريمة اذا كانت موجهة ضد الدين .. ؟

ان الاسلام يتعرض ـ كما قلنا ـ لحملات تضليل وتشويه شرسة منبعثة من داخل بلاد الاسلام من مسلمين وغير مسلمين ، وهذه الحملات يجب أن توقف فورا ، وان يخرس الضالون المضلون ، المرجفون الحاقدون الى الأبد .. ان الهجوم على الاسلام من أعدائه أمر مفهوم ومعلوم يحركه الحقد والضغينة اللذان يملآن قلوبهم وصدورهم .

أما الغريب حقا فهو ما نلحظه ـ احيانا ـ من هجوم خفى أو علنى من بعض المنتسبين الى الاسلام بالاسم والاسلام منهم برىء .

وقبل أن نبين رأى الاسلام فىهؤلاء نوضح ما يلى :

١ ـ تنص دساتير الدول العربية والاسلامية على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام ويستتبع ذلك أن يقوم كيان الدولة على أساس الدين الاسلامى ويجب أن تكون الشريعة الاسلامية هى الحكم بين الناس فى

تعاملهم وفى كل ما يخصهم من امور الدين والدنيا وأى مساس أو خروج عن تعاليم الاسلام يعد مساسا بالدولة نفسها وعدوانا على سلطتها ..

والنص على دين الدولة فى الدستور من النظام العام الذى لا يجوز مخالفته ، ويعاقب كل من يخالف النظام العام للدولة او يحاول الاعتداء عليه ، وعلى ذلك فكل اعتداء أو هجوم على الدين الاسلامى يستوجب عقاب فاعله بأشد العقوبات .. ولكنى لا ادرى لماذا تتراخى الحكومات عن معاقبة هؤلاء المجرمين والضرب على ايديهم حتى توقف عبثهم وتمنع نشر اباطيلهم .

وقد يقول قائل ان الدساتير تنص أيضا على حرية العقيدة ، ولكن حرية الاعتقاد المكفولة للجميع لا تمنح لأحد مهما كانت عقيدته أو شخصيته الحق فى مهاجمة دين الدولة الرسمى .

وتنص الدساتير كذلك على حرية الرأى ، وهذه الحرية مكفولة أيضا فى الحدود التى لا تسمح بالاعتداء على حق الغير .. فاذا ما جاوز الراى الحدود المطلوبة فاعتدى على الغير وجب وقفه فورا وعقاب صاحبه .

ان عمليات الهجوم التى منى بها الاسلام منذ نشأته وحتى الآن لم يكن الباعث عليها حرية الفكر او الاعتقاد، ولكن الواقع الحقيقى لكل هذا هو محاولة تقويض كيان الدولة والقضاء عليها اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا .

٢ ــ ظهرت فى أواخر عهد الخلفاء الراشدين دعاوى منحرفة وهدامة ضد الاسلام من الذين دخلوا الاسلام ظاهرا ، وكانوا فى الباطن يحاولون هدمه والقضاء عليه حتى يمكنهم اقامة دولتهم التى أبادها المسلمون .

ثم ظهر الخوارج والزنادقة الذين تمكنوا ان ينفثوا سمومهم وسط المسلمين ، وان يكونوا من أنفسهم قوة استطاعت محاربة الدولة العباسية ولكن المهدى هزمهم بعد حرب مريرة قاسية .

ومن هذا يتضح أن من اعداء الاسلام من يعتنقه ليندس فى صفوف المسلمين ثم يروج لدعاواه الباطلة ضد الاسلام ، وينشر الأباطيل والضلالات التى تقوض الدين وتنزعه من صدور أبنائه ، فيستطيع هؤلاء الأعداء ان يفتكوا بالمسلمين بعد ان يقضوا على الاسلام لعلمهم أن هذا الدين يجمل من المسلمين قوة واحدة ، ووحدة قوية تقف فى وجه من يحاول الاعتداء عليه أو على البلاد الاسلامية .

وكانت اولى جرائم الراى ضد الدين ما ظهر ايام خلافة الامام على ابن ابى طالب كرم الله وجهه من بعض الذين ادعوا انه اله أو حل فيه الاله ، وقد عاقبهم الامام بالقتل حيث اعتبرهم مرتدين عن الاسلام .

ولم يعاقب الامام على الراى اذا لم يكن كفرا ، او يؤد الى الكفر ، ولم يستتبع هذا الراى بفعل يمس شخص الحاكم او اشخاص المسلمين .

اما الخليفة الثالث عثمان بن عفان وامير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد ثبت انهما كانا يعاقبان على جريمة

الراى تعزيرا اذا كان الجانى يؤول الأحكام الاسلامية تأويلا خاطئا حيث اعتبراه قد اخطـأ فى الراى فيجب عقابه حتى لا يعود الى ذلك .

رأى الأئمة المجتهدين فى جرائم الراى :

١ — يرى الامام مالك وكثير من الحنابلة وبعض الشافعية قتل الداعى الى البدعة . يقول شيخ الاسـلام ابن تيمية : « جوز طائفة من اصحاب الشافعى واحمد وغيرهما قتل الداعية الى البدع المخالفة للكتاب والسنة ، وكذلك كثير من اصحاب مالك . وقالوا انما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفسـاد فى الأرض لا لأجل الردة » .

فالقتل فى راى هؤلاء ليس لأجل الراى بل لما يؤدى اليه من الفساد فى الأرض .

٢ — يرى الامام ابو حنيفـة ان عقوبة الداعى الى البدعة هى التعزير بما يمنع الشر وهو دون القتـل ما داموا لا يحملون السلاح ، اما اذا حملوا السلاح للقتال اعتبروا مقاتلين فعلا ووجب قتلهم .

هذا عن الشق الأول من جريمة الرأى ، أما الشق الثانى وهو اذا استتبع هذا الرأى فعلا يؤدى الـى المساس بشخص الحاكم فلا يوجد فى الاسلام وصف لهذه الجريمة يزيد عن الوصف العادى باعتبارها جريمـة اعتداء على النفس يجب فيهـا القصاص فاذا قتل الحاكم قتـل المعتدى اذا كان واحـدا ، أو قتلت الجماعة — اذا كانوا جمـاعة — قصاصا كما هو الحال فى جريمـة القتل العادية تطبيقا لقوله سبحانه وتعالى :

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحـر والعبد بالعبـد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) البقرة/١٧٨ .

اما اذا كان العدوان على ما دون النفس فيكون القصـاص من جنس الجريمة : العين بالعين والسن بالسن والأذن بالأذن وهكذا .

تلك هى جريمة الراى فى الاسلام اردنا بها كما قلنا تنبيه المسلمين الى ما يحاك ضد دينهم . فعلى الحكومات الاسلامية التصدى لهذه الفئة الضالة وردعها حتى لا يستشرى أمرها .. وأن تنفذ فيهم حكم الله بقتـل من يستحق القتل ، وعقاب من يستحق التعزير .

والى هؤلاء الذين ضـلوا ممن ينتسبون الى الاسلام ويهاجمون دين الله أتلو هذه الآيات البينات من كتاب الله سبحانه وتعالى عظـة وذكرى لعلهم يهتدون . وادعو الله مخلصـا أن يعودوا الى الصواب ويتبعـوا الطريق السوى ، ويتوبوا الى الله لعل الله يتوب عليهم :

(يا أيها الذين آمنـوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سـبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسـع عليم) المائدة/٥٤ .

العمل في الإسلام

٣٠

للدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

قدس الاسلام العمل وحض عليه ونهى عن الكسل وحذر من عواقبه .

والقرآن الكريم يدعونا للعمل ، ويحثنا على الاخلاص فيه ، فيخبرنا بان اعمالنا ستكون تحت رقابة المولى عز وجل ومحل عناية الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى مشهد من الناس جميعا :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة : ١٠٥

وقد استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من العجز والكسل فقال: (اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل ...) الحديث رواه مسلم وغيره .... والرسول عليه الصلاة والسلام لا يستعيذ بالله الا من أمر عظيم ، سيء الأثر فى حياة الأمة .

لذلك كان العمل للامم وللافراد من علامات قوتها ونجاحها ، وقد احب الله الاقوياء وجعلهم من الأخيار كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح (المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) .

واذا كان هذا هو موقف الاسلام من العمل ومبلغ حضه عليه فما هو تحديده لمفهوم العمل ؟ ان الاقتصاديين المحدثين يدور تحديدهم لمفهوم العمل على محور مادي اعطوا المنفعية فيه جل اهتمامهم مما جعله حركة ميكانيكية فارغة من القيم خالية من المثل والمعاني . ولكن نظرة الاسلام الى العمل اعم من ذلك واشمل فالاسلام يأخذ في الاعتبار الاول الامور الاتية :

أولا : ان العمل في مفهومه كما يشمل الأعمال البدنية في الزراعة، والعمارة والتجارة والصناعة مثلا يشمل ايضا الأعمال القلبية كالغضب والرضى ، والحب والكراهية ، والحقد وحب الخير للناس الى غير ذلك مما يقع في الشريعة الاسلامية تحت مسئولية الانسان ويستحق من اجله اما الثواب او العقاب ويتضمن مفهوم العمل في الاسلام ، كذلك الأعمال الفكرية والعقلية مثل اعمال التخطيط والتصميم ومثل التأمل والتفكير في ملكوت السموات والارض .

ثانيا : ان الاسلام يعتبر في تقويمه للعمل النية ، فاذا كانت النية فى العمل خيرة كان العمل خيرا وان كانت النية سيئة كان العمل شرا . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى) رواه البخاري وغيره .

وقد قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة : ٧و٨

ثالثا : ان عقد العمل في الاسلام وان تم بين صاحب العمل والعامل فان ميثاقا آخر اغلظ واوثق تم بين العامل وبين المولى عز وجل الذي

يراقب أعمال العباد ويحدد لها الجزاء ويكشف عن نواياهم ومكنون أسرارهم في أعمالهم مهما اظهروا خلاف ما يبطنون أو موهوا على الناس وأوهموهم بأنهم مخلصون فيما يعملون .

من هذا كله يتبين الفرق الواضح بين ما للنظرة الاسلامية من أثر في محيط المجتمعات الانسانية وبين ما للنظرة الاقتصادية الحديثة في ذلك .

فاذا كانت نتيجة الاقتصاد على الجانب الالحادي في تقويم العمل هي طبع المعاملات بين الناس بطابع المنفعية وحدها واقفار نفوسهم من القيم الروحية والمباديء الانسانيةفان نتيجة التعميم في مفهوم العمل واعتبار جانب النية الخيرة فيه انما هي طبع العلاقات والمعاملات القائمة بين الناس بطابع الفضيلة والواجب ، واحاطتها باطار من الأخلاقية الخيرة وبهذا تسود المجتمع الحياة المثالية الفاضلة والشعور الجماعي المبني على الحب والتراحم والتآخي والتعاون المتبادل قبل أن يبنى على المنفعة المادية أو المصلحة الشخصية .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله في الحديث الصحيح . (المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس انفعهم يترتب عليه من أثر في مضاعفة انتاجها ودعم نهضتها .

فالعمل الدائب المثابر يساعد على مضاعفة الانتاج ويسهم في دعم اقتصاديات الوطن وتحقيق الرفاهية والازدهار لأفراده وجماعاته .

لذلك حث الاسلام على اتقان العمل والمثابرة عليه وتحمل أعبائه ومشاقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » رواه البيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي الله عنها . وقد اكد المولى عز وجل هذا المعنى في قوله :

(انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا) الكهف /٧ وضمن لهم الأجر على الاحسان في العمل فقال : **(ان الله لا يضيع أجر المحسنين)** التوبة/١٢٠ . **(ان رحمت الله قريب من المحسنين)** الأعراف / ٥٦ والحث على اتقان العمل والاحسان فيه لا ينبغي أن تخفى علينا حكمته أو يخطئنا غرضه وغايته . وانما حث الاسلام على ذلك لأنه يحقق للفرد والجماعة الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة .

ويقول الحق جل وعلا في محكم كتابه :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) النحل : ٩٧

فجزاء اتقان العمل في هذه الحياة هو تحقيق الرفاهية والحياة الأفضل للعاملين ولغيرهم من أفراد امتهم وتحريرهم منكل قيد ظالم أو استغلال مستبد أما جزاء اتقان العمل في الآخرة فهو المثوبة من الله عز وجل باجزال العطاء لهم وبمنحهم من الرضوان والغفران ما يحقق لهم جزاءهم الأوفى لا من أبخس ما يعملون ولا من أوسطه ، وانما من أحسن ما كانوا يعملون .

اما اولئكم الذين لا يتحرون الاخلاص في العمل ولا يحرصون على اتقانه واحسانه بل على العكس من ذلك يسيئون فيه انما يكون جزاؤهم

من جنس اعمالهم ، حياة نكدة في الدنيا وعذاب ونكال من الله يوم القيامة . انهم مفسدون والله لا يحب المفسدين .

(أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون) العنكبوت / ٤ **(وجزاء سيئة سيئة مثلها)** الشورى / ٤٠ **(من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)** النساء / ١٢٣ .

هذا الوضع الذي أوضحه الاسلام يجعل العامل في عمله وسيلة من أهم وسائل الانتاج وعاملا من أهم عوامل الازدهار يعتبره في الوقت نفسه غاية للعمل تعود عليه ثمرته وينعم بخيره وبركته بما ينتفع به من خدمات يقدمها اليه المجتمع في مختلف شئون حياته.

واذا كان الاقتصاد الحديث قد عبر عن هذا المعنى بما يسميه (التكافل الاجتماعي) وادعى رجاله أنه من ابتكارهم فان الاسلام قد أدرك ضرورة هذا التكافل للمجتمعات وقرره منذ اربعة عشر قرنا تقريبا فأشار اليه القرآن الكريم في كلمات قصيرة واوضحه في عبارات مختصرة . انصتوا الى قول الله عز وجل .

(ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) الاسراء : ٧ **(من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها)** فصلت / ٤٦ **(فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)** الأنعام : ١٠٤ .

وفي نفس هذا المعنى يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم . (على كل مسلم صدقة قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق .. الحديث) رواه الشيخان وغيرهما .

فعلى العاملين في اي موقع من مواقع العمل أن يدركوا هذه الحقيقة وأن يؤمنوا بما يترتب عليها وبأن ما يقدمون من احسان في اعمالهم واخلاص في واجباتهم انما يقدمونه لأنفسهم . وعندئذ يخلص كل في عمله ويسعى الى اتقانه ويصل به أو يحاول على الأقل أن يصل به الى أعظم درجات من الكمال .

وعليهم كذلك أن يفهموا أن هذا وعلى الأخص في ظروفنا الراهنة من أفضل الجهاد في سبيل الله وفي سبيل الوطن .

(ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين) . العنكبوت / ـ ٦ .

حوافز العمل .. ورعاية العاملين :

اذا كان الاسلام يطالب العامل باتقان العمل ويحذره من الاهمال فيه فانه بجانب ذلك حرص الحرص كله على صيانة العامل من كل عبث وحمايته من اي ظلم يقع عليه أو حيف يحل به كما حرص على رعايته والعناية به .

ان العامل لا يمكن أن ينتج على وجه أكمل الا اذا كان صحيح الجسم سليم العقل حسن الخلق مطمئنا على مستقبله وعلى اجر عمله .

لهذا وجبت رعايته صحيا بحسن التغذية والعلاج وفكريا بالتعليم والتثقيف وخلقيا بالتربية والتهذيب والتوجيه والارشاد .

ولذلك أوجب الاسلام على صاحب العمل ان يفي للعامل بحقه كاملا غير منقوص ، وفور الفراغ من عمله مباشرة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(اعطوا الأجير اجره قبل أن يجف عرقه) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقد كتب

الامام علي رضي الله عنه الى أحـــد ولاته يقـــول له :

(اسبغ على عمالك الارزاق فـــان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفـــوا أمـــرك أو خانـــوا أمانتك) .

فرعاية حقوق العاملين حافز لهم على اتقان اعمالهم وضمان لاخلاصهم فيها ليستحقوا فوق ما يتقاضون من أجر مادى فىهذه الحياة وما أعد الله لهم من ثواب وأجر في الآخرة فهـــو سبحانـــه يقـــول :

(ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) يونس/٦١.

ومـــن أبرز ما يمتاز بـــه النظـــام الاسلامي عن نظم العمل الحديثة فيما يتعلق بحقوق العمال السمو بهم عن أن يكونوا مجـــرد آلات للأنتـــاج أو دواليب تدر الثروة والنفـــع علـــى أصحاب الأعمال . ان الاسلام يقـــرر أولا وقبل كل شيء انسانية العامل ويحفظ عليه كرامته لأن ذلك من أهم الحوافز له على اتقان العمـــــل والاخلاص فيه . ولذلك أوصـــــى الرسول صلى الله عليه وسلـــم باحترام انسانية العامل وبالعدل في معاملته والترفق به وعدم ارهاقه في العمل فقال عليه الصلاة والســـلام (اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحـــت أيديكم) . رواه البخارى وغيره .

ثم يقرر الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ذلك مبدأ من أهم المبادىء التى روعيت بعده بقرون في نظم العمـــل الحديثة وعرفت باسم تحديد ساعات العمل ، وهي حماية العاملين مـــن ظلم أصحاب العمل فيقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيـــح (ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فـــان كلفتموهم فأعينوهم) .

انظروا الى قوله عليـــه الصـــلاة والسلام (فان كلفتموهم فأعينوهم) وما ينطوي عليه من الاعتداد بانسانية العامل والاعتزاز بشخصيته ثـــم ما يفيده من توجيه كريم وتحذير حكيم . فلا ينبغي أن نشق عليهم أو نجعـــل العمل بالنسبة لهم نوعا من التعذيب والارهاق أو ضربا من العبوديـــة والاذلال . ولكن اذا اقتضت ظروف العمل تكليفهم ما يتجـــاوز طاقاتهم العادية لا لمصلحة شخصية تعـــود على صاحب العمل وحده ، وانمـــا لمصلحة عامة ينتفع بها المجتمع كله كتلك التى تقتضـــيها ظروف الحرب أو انشاء المشروعات العمرانيـــة العاجلة ... فعندئذ لا تتركوهـــم يتحملون عبء ذلك وحدهم . ولكـــن عليكم يا أرباب الأعمال أن تشاركوهم هذه المشاق وأن تتعاونوا معهم فـــي حملها ما دمتم قادرين عليه .. ... فسيشعر العامل عندئذ بأن مايحتمله من مشقة العمل وما يبذل من جهـــد مضـــاعف أو طاقات غير عادية ليس الا تعاونا مثمرا واحتراما متبـــادلا واخلاصا لله والوطن .

بهذا يضرب الاسلام أروع الأمثال فى تقرير افضل نظم العمل وارســـاء قواعد العلاقة بين المالك والعامـــل على أسس انسانية عادلة ومبـــادىء اخلاقية فاضلة .

« هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » الأعراف/٢٠٣ .

في نور القرآن الكريم

للاستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

لقد أضاف القرآن الكريم أمورا جديدة وأصيلة الى ما سبق تنزيله في الكتب السماوية المتقدمة عليه ، وهو عندما انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم جاء : « **مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » ٤٨ — المائدة ، والهيمنةمعناها ابعاد التأويل والبعد عما نسب كذبا وزورا الى الكتب السماوية السابقة من تفسيرات خاطئة : « **وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** » ٦٤ — النحل ، وقد وعد الله عز وجل بصون القرآن الكريموحفظه من اي تحريف أو تبديل ، او زيادة أو نقص .

أما الكتب السماوية الأخرى فقد دونها أناس وتركت لهم يصونونها ، فتناولتها أيديهم بالتحريف والتبديل ، حسب اهوائهم وأغراضهم ، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى : « **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ؟!** » ٧٥ — البقرة و : «**ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر منالذين قالوا آمنا بأفواههمولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولونان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا** » ٤١ — المائدة

والى جانب هدى القرآن الكريم المبدئي من ذكر الحقائق الدينية والأدبية توجد أهداف ثانوية الغرض منها تقوية الايمان بالله عز وجل وتقوية الأمل عند المؤمنين .

ومن العجيب أن نجد تفسير عالم الطبيعة الذي خلقه الله تبارك وتعالى ينطبق تمام الانطباق على أحدث ما توصل اليه العلماء والباحثون في نظام الكون ، وعلم التشريح ، وعلم وظائف الأعضاء ، وسائر العلوم الموضوعية الاخرى ، ونذكر على سبيل المثال بعض الآيات القرآنية الكريمة التي تشير الى المسائل العلمية ، لقد تحدث القرآن الكريم عن كروية الأرض بقوله : « **خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار** » ٥ ــ الزمر ، واثبت العلم الحديث كروية الأرض بشكل قاطع عن طريق الأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، مع أن القرآن الكريم قد قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

ويقول القرآن الكريم عن تكوين المطر : « **الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله** » ٤٣ ــ النور و : « **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون** » ٤٨ ــ الروم .

ويخبر عن تلقيح الرياح بقوله : « **وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين** » ٢٢ ــ الحجر .

ويتحدث عن الأصل المائي للكائنات الحية فيقول : « **وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** » ٣٠ ــ الانبياء . ويقول عن وجود زوجين في كل نوع من أنواع النباتات ومن المخلوقات الاخرى : « **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » ٣٦ ــ يس ، و : « **ومن كل شيء خلقنا زوجين** » ٤٩ ــ الذاريات ، ولم تكن هذه الزوجية أو الثنائية في هذه الكائنات معروفة بين الناس وقت نزول القرآن الكريم .

ويذكر القرآن الكريم حياة التعاون بين الجماعات في الحيوانات والطيور بقوله : « **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون** » ٣٨ ــ الانعام ، وعن حياة النحل : « **واوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون** » ٦٨ ــ النحل

ويذكر القرآن الكريم المراحل المتتالية المتتابعة لتكوين الجنين فيقول : « **يأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا** » ٥ ــ الحج و : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** » ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ــ المؤمنون .

والقرار المكين الذي ذكره القرآن الكريم هو الرحم ، وفي وصفه بأنه مكين اعجاز علمي دقيق يدركه ويفهمه الأطباء والدارسون لعلم التشريح ، فقد ثبت أن الرحم مجهز في تكوينه وفي خصائصه بما يمكن تمكينا تاما

لجرثومة اللقاح ، وذلك لأن الله عز وجل قد زوده بمخابىء عجيبة خلقت من أجل ذلك ، وهو يفرز مواد وظيفتها حفظ حياة الجرثومة ووقايتها والدفاع عنها ، ونجد هذا كله في تفسير كلمة « **مكين** » .

وفي قوله سبحانه وتعالى : « **ثم انشأناه خلقا آخر** » اعجاز ما بعده اعجاز ، فقد ثبت علما أن الجنين في أطواره الأولى ، اي في بداية تخلقه وتكوينه يكون على هيئة واحدة في الانسان والحيوان ، ثم يتحول بعد ذلك جنين الانسان الى الصورة البشرية عن طريق الانشاء والخلق الآخر .

وهناك اعجاز علمي آخر للقرآن الكريم ، فقد ذكر أن للجنين ثلاثة اغشية سماها « **ظلمات** » ، وهي التي تعرف الآن في علم الطب بالغشاء « المنباري » وغشاء « الخوريون » والغشاء « اللفائفي » ، ونجد الاشارة الى هذه الاغشية في قول الله عز وجل : « **يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك** » ٦ — الزمر ، وهذه الأغشية ترى وكأنها غشاء واحد بالعين المجردة ، ولا تظهر الا بالتشريح الدقيق .

ان ما اكتشفه العلم الحديث من الحقائق عن اطوار الجنين هو عين ما ذكره القرآن الكريم في هذا الشأن ، فهل كان يستطيع أمي في الجزيرة العربية ان يأتي بمثل هذه المعلومات من تلقاء نفسه ؟ أليس في هذا الدليل القاطع على أن القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى من وحي السماء وليس من صنع البشر ؟!

ولقد نص القرآن الكريم على أن الله تبارك وتعالى أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم بقوله : « **واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا** » ١٧٢ — الاعراف .

ان من المعروف أن الخصية موجودة في الجزء الاسفل من الانسان وليست في الظهر ، ولكن القرآن الكريم حين يتحدث عن خلق الانسان ونشأته وذريته ، فانما يتحدث عن « علم الأجنة » ، ويذكر الجزء المخصص للنطفة في جسم الجنين وهو أسفل الكليتين تماما في الظهر ، ومن هذا المكان يكون نمو الأعضاء المكونة للخصيتين ، وتظل تحت الكليتين في الظهر الى الأشهر الاخيرة من حياة الجنين في بطن أمه ، ثم تنحدر الى أسفل ، وتكون في مكانها الطبيعي المعروف عند الولادة ، ففي الآية الكريمة اشارة الى النقطة الأصلية التي تؤخذ منها النطفة ، وهي الظهر من غير شك ، ولم يتقدم علم التشريح في الأجنة الا في المائة سنة الأخيرة ، مما يثبت أن هذه الآية الكريمة معجزة من معجزات القرآن الكريم .

وقد تنبأ القرآن الكريم بما أيد المسلمين في آمالهم بصفة مستمرة ، فهذه الآيات الكريمة من سورة « الدخان » تتنبأ بما سوف تجتازه الدعوة الاسلامية من ادوار ، وبما سيكون عليه موقف أعدائها ، وما ستلاقيه على أيديهم ، وتذكر انهم في بادىء الأمر سيكونون غير مبالين ولا مكترثين بالدعوة ، ثم تتفتح عيونهم ويظهر اهتمامهم بها ، ثم يعلنون معارضتهم لها وعداوتهم ، كما ذكرت الآيات الكريمة ما سوف يحل

(بمكـــة) مـــن شقاء يصيب الناس بالذهول ، لدرجـــة أنهم لا يصدقون ما يرون ، ثم يبتهلون الى الله عز وجل بالدعاء لاذهاب هذا الشقــــاء عنهم ، ورفع الضرر الذي حاق بهم ، ثم يحـــدث ازدهار وكشف للبـــلاء فينسون ربهم ، ثم تحل بهم الهزيمـــة الساحقة في اول موقعة حربية بينهم وبين المسلمين ، يقول تبارك وتعالى : **« بل هم في شك يلعبون . فـــارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب اليم . ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون . انى لهـــم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون . يوم نبطش البطشـــــة الكبرى انا منتقمون »** من ٩/١٦ ــ الدخان .

وتتنبأ آيات أخرى بـــأن الاسلام سينتصر ، وستعلو رايته ، وسوف يسود أصحابه ويعجز خصومهم عن مقاومتهم ، ولن تستطيع أي قوة على وجه الأرض مهما بلغت ومهما أوتيت من ابادة الاسلام : **« ان تستفتحـــوا فقد جاءكم الفتح »** ١٩ ــ الانفال و : **« ان الذين كفروا ينفقون اموالهـــم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبـــون والذين كفروا الى جهنم يحشــرون »** ٣٦ ــ الانفال و : **« وعد الله الذين آمنوا منكـــم وعملوا الصالحـــات ليستخلفنهـــم فـــي الأرض كمـــا استخلف الذين مـــن قبلهم وليمكنـــن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم مـــن بعـــد خوفهم امنـــا يعبدوننـــي لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعـــد ذلك فاولئك هم الفاسقـــون »** ٥٥ ــ النـــور .

وقد تنبأ القرآن الكريم بـــــدوام الشقاق بين صفوف النصرانية بقوله **« ومـــن الذين قالـــوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهـــم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم اللـــه بما كانوا يصنعون »** ١٤ ــ المائدة .

والى جانب تحقق نبوءات القرآن الكريم فان احدا لا يستطيع ان يثبت تناقضا في هذه النبوءات في الماضي أو في الحاضر او في المستقبـــــل : **« لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــــه تنزيل من حكيـــم حميد »** ٤٢ ــ فصلت ، ولا يقدر احد علـــى أن يتقـــدم ضمانـــات ضـــــــد الزمـــن أو القضاء الا الله تبـــارك وتعالى رب الزمن ورب القضاء .

من هذه النقاط التي تعرضنا لها في هذا المقال يتبين لنا أن القرآن الكريم وحي من عند الله عز وجل ، وليس هناك احتمال ولو ضئيل على أنه من صنـــع البشر ، لأنـــه لا يوجد فيـــه انعكاس لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم الشخصية ، ولا أثر فيه للتعبير عن افراحه واحزانه الدنيوية في حياته اليومية ، ولا يوجد فيـــه تلميح لخصائص فـــرد او قبيلـــة او عنصر ، أو خصـــائص جويـــــة او جغرافية فيما عالجه من الموضوعات ، ولا يوجد فيه الا ما هو لازم لهدايـــة الانسانية وتهذيبها وتثقيفها ، وآياته مصحوبة بعلامات مرئية تدل على أنه وحي من عند الله عز وجل ، وهـــذا فضـــلا عن أسلوبه وتركيبـــه اللذين يعتبران من أكبر الأدلة على أنه من عند الله عز وجل ، وكذلك مبادئـــه وتعاليمه الدينية والأدبية ، كـــل ذلك فيه الدليل خير الدليل على أنه كتاب الله ، وليس مقتبسا من كتب أخرى.

ولذلك كان للقرآن الكريم في قلوب

المسلمين المنزلة العليا والمكانة الاسمى ، وليس مجرد كتاب عبادة وشعائر روحية فقط ، بل هو القانون الأساسي ومنبع العلم والمعرفة ، ومرآة كل العصور ، وسلوى الحاضر وأمل المستقبل .

والقرآن الكريم فيما أوجب وفيما حرم مثل أعلى لمن يريد الاستقامة وينشد السلوك القويم ، وهو منصف دائما في حكمه ، وهو قسطاس العدل وميزان الحق فيما يقره وفيما ينفيه ، ونجد في مباحثه الحجة الباهرة والبرهان الساطع ، وهو اعظم الكلام وأجمله تعبيرا فيما يقوله ، وهوأعظم ما يثير الحماس في النفوس ويشيع فيها الطمأنينة .

والقرآن الكريم هو اعظم مرجع للناس جميعا ، لأنه يعبر بطريق مباشر عن مشيئة الله تبارك وتعالى وارادته ، ونحن مكلفون بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر منا ما دامت طاعتهم تتفق مع أوامر الله عز وجل ولا تتعارض معها .

ولننظر الى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من آيات القرآن الكريم ، ان يده الشريفة لم تكن تمتد اليها بأي تبديل او تعديل ولو كان طفيفا ، وكان يفسرها تفسيرا دقيقا كما هو حال كل من يشرح كلاما ليس من عنده .

وحينما كان يؤجل تنفيذ احد الأوامر الالهية ولو لفترة وجيزة بقصد تهدئة نفوس المؤمنين ، او قطع الطريق أمام اعدائه فلا يقابل منهم بأدنى اعتراض ، كان الوحي ينزل عليه معاتبا اياه على ذلك ، وكان عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام يتقبل العتاب بالرضا والتسليم ، ويبقى عليه في نص الآية الى الأبد : **« واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا »** ٣٧ — الأحزاب .

واخرج البخاري عن انس رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة .

واخرج مسلم واحمد والنسائي قال : « لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد : اذهب فاذكرها علي ، فانطلق فأخبرها . فقالت : ما انا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي . فقامت الى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله فدخل عليها بغير اذن » ، وكان زيد بن حارثة من سبى الجاهلية اشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم وتبناه .

وهذا التسليم لأوامر القرآن الكريم والانقياد لله عز وجل قد سجله القرآن الكريم بقوله : **« قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين »** ١٦٢ — ١٦٣ الانعام .

تاريخ العلوم الإسلامية والعربية

٦

الدور السادس ــ العصر الحديث :

ان كانت العلوم الاسلامية فى العصور الوسطى قد أصابها شيء من الجمود والركود فى خط سيرها من الاتجاه نحو العمق الى الاتجاه نحو السطح ، فان الركود الذى أصاب هذه العلوم فى العصر الحديث كان أشد وأقسى ، فحد من نشاط سيرها فى أى اتجاه كان نحو العمق أو نحو السطح ، وجعلها ترقد فى بوتقة مظلمة لا ترى النور الا من نوافذ صغيرة قليلة لا تكاد تلقى الا بصيصا من الضوء الخافت على ذلك التراث الضخم فتحول دون موته وفنائه .

وأسباب ذلك كثيرة على رأسها ــ فى نظرى ــ الاستعمار السياسي والعسكرى والثقافى الذى سيطر على البلدان الاسلامية ردحا من الزمن فحجب عن أبصارها وميض تراثها العلمى الكبير ، وأورث فى نفوس بعض أبنائها احتقاره وازدراءه والتبرؤ منه (والانسان عدو ما يجهل) .

وقد تسبب عن هذا الاستعمار انخفاض مستوى التعليم عامة فى هذه البلاد وانخفاض مستوى الاهتمام باللغة العربية خاصة ،

للدكتور
احمد الحجي الكردي

حتى أنك لتكاد تطلق على كثير ممن يدعون العلم فى هذا العصر (عوام فى اللغة العربية) بل هم عوام فعلا لان لسانهم لا يطاوعهم على اساغتها فى كتاباتهم ومحاضراتهم ومحادثاتهم فيستبدلونها باللغة العامية المحلية التى يتقنونها ، ويعتبرون ذلك تقدما ونضجا وبعدا عن التزمت .

ومعلوم أن اللغة العربيةالفصحى هى طريقنا الوحيد الى نبش وفهم علوم من سبقنا واساغتها ثم الزيادة عليها ، فلما انخفض مستوى اللغة العربية انقطع الطلاب والعلماء عن تراثهم وانصرفوا عن الاهتمام به فبقى راقدا على رفوف المكتبات ينتظر اليوم الذى تصحح فيه المفاهيم وتزول قبضة الاستعمار فتمتد اليه الايدى الخبيرة للاستفادة والبناء .

وقد ساعد على تمركز هذا الركود فى ربوعنا ، وطول مكثه بيننا اتجاه كثيرين من قادة الفكر والعلم بيننا الى الاعجاب بالحضارة الاوروبية وما أبدعته من علوم ، واحتقار الحضارة الاسلامية وما خلفته من كنوز ، مما كان له اكبر الاثر فى انصراف الطلاب والمثقفين عن العناية بدراسة كنوزنا وعلومنا وتراثنا ، واتهامهم لهذه المصنفات والموسوعات العلمية الرائعة بالعقم والجمود والصعوبة والقصور وعدم مسايرة روح العصر ، وما درى هؤلاء أن القصور فى افهامهم لا فى هذه الكتب وان العقم فى طريقة تعلمهم وتعليمهم لا فى طريقة تأليف واعداد هذه المصنفات ، وان عليهم أن يكيفوا انفسهم وفقا لها ، وأن يحاولوا جهدهم تفهمها واساغتها ، لا أن يتركوها ليعفوا عليها التراب ثم يتهموها بالجمود والعقم . انه العقوق للسلف الصالح والصرح العلمى المشيد الذى ورثته هذه الامة العتيدة عن أجدادها .

ولكنه لا بد هنا من أن اعود الى ما كنت اشرت اليه فى اول هذه الكلمة من اننا لم نعدم فى هذا العصر نوافذ متفرقة يدخل منها النور الينا وسط ذلك الظلام الدامس الذى نعيش فيه ، فهنالك علماء افذاذ استطاعوا أن يبدعوا فى العلم ، وأن يتابعوا طريق السلف الصالح فى السير فيه ، الا أن هؤلاء قلة فى أكوام ادعياء العلم والمعرفة الذين لم ينالوا من الثقافة الاسلامية الا ما سمح لهم به المستشرقون ومن طعموا على موائدهم ، وقدموه لهم فى مؤلفات براقة مزورة تدخل الشكوك الى نفوسهم وتطبعهم بطابع

خاص ، يجعلهم يتنكرون لتراثهم وعلمهم . ويقعون فى الاخطاء ، ويتيهون فى متاهات تنحرف بهم عن خط اسلامهم .

وانني فيما يلي سوف أحاول استعراض بعض المصنفات العلمية التى استطاعت أن تحافظ على نقاء تراثنا، وتسعى جهدها لمتابعة السير فيه الى الامام ترتيبا ، وتبويبا ، وتخريجا ، وترجيحا ، وتبسيطا ، على سنن ما كان يفعله العلماء فى العصور الوسطى ، دون استقصائها ، وذلك مخافة الحيف أو الزلل أو الاطراء أو الغمط ، على ان جل هذه المؤلفات أيضا كان همه الاول التبسيط والتذليل لعلوم السابقين وجعلها تلائم طبيعة العصر ومستوى الثقافة فيه ، أكثر من الاهتمام بالابداع والبحث والزيادة على ما كتبه وأعده السلف الصالح .

وكم كان بودى لو يخصص هؤلاء العلماء بعض جهدهم للعمل على رفع مستوى الطلاب الى ذلك التراث الى جانب النزول بالتراث الى مستوى هؤلاء الطلاب . فان فى هذا الرفع وصلهم بتراثهم العتيد ، وفى ذلك التذليل قطعهم عنه واتخاذ واسطة بينهم وبينه هى الاستاذ أو الكتاب الحديث ، ولكن لعلي التمس لهؤلاء العلماء بعض العذر فى أن التبسيط بمقدورهم أما الارتفاع بمستوى الطلاب فانه فوق طاقتهم وخارج عن حدود وسعهم ، لانه بحاجة الى تضافر الجهود ومعاونة المسؤولين لتغير طبيعة المناهج العلمية والثقافية التى عليها العمل فى البلدان الاسلامية .

ولكنني على أى حال أرى أن بوسع العلماء عمل الكثير من أجل رفع المستوى . واول ذلك القيام بتحقيق كتب السابقين والتعليق عليها بما يجعلها قريبة محببة الى طلاب العلم ، وغير ذلك . وهو أمانة الله في أعناقهم ، عليهم أن ينهضوا بها ويقوموا بواجبها فىحدود طاقتهم وامكاناتهم .

كما انني أود أن أنبه الى خطر كبير وخطأ فادح تسير عليه جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية فى العالم الاسلامى ، وهو استبدال المراجع العلمية بالمذكرات الجامعية، حيث يعمد الاستاذ الى كتابة مذكرة يجمعها ويلفقها من عدد من المراجع ويقدمها للطلاب فى أسلوب سهل مبسط يغنيهم فى كثير من الاحيان عن الرجوع الى المراجع الأصلية فى المادة المدروسة ، ويؤمن لهم اكبر حجم ممكن من المعلومات فى أقل وقت وأسهل طريقة .

فان ذلك فى نظرى خطر فادح ينبغى التنبه له ، لأن العلم ليس بحفظ الجزئيات ، وان هذه الجزئيات هى أول ما يتبخر من الذهن عقب الامتحان بأيام ان لم يكن بساعات ، انما العلم هو اتساع المدارك والقدرة على المناقشة والتحليل والتركيب ، وهذا لا يتأتى بحفظ الجزئيات بأى طريق كان ، انما يحصل ببذل الجهد واستنفاد القدرات ، وبقدر الجهد المبذول يحصل النمو فى الحواس المدركة ، وهذه المذكرات المستحدثة توفر للطالب كثيرا من الجهد فتحرمه بذلك كثيرا من العلم . واننى فى هذا لا أدعو لتعقيد العبارات والايهام فى المصنفات ، وتحويلها الى الغاز ،

ولكنى أشير الى أن زيادة التسهيل تقضي على العلم وتستأصله .

هذا الى جانب أن هذه المذكرات تقطع الطلاب عن مراجعهم التي سوف يحتاجون اليها فى مستقبل أيامهم . وتتركهم حيارى أمام أى معضلة تصادفهم فى مستقبل أيامهم لم يكونوا قد درسوها فى مذكرة أستاذهم .

هذه لفتة نظر مخلصة أحببت أن لا تفوتنى وأنا أشير الى وضع الحركة العلمية فى عصرنا الحاضر، فانها أمانة فى عنقى بعد ما أدركت خطورتها على علومنا وجيلنا .

بعض المصنفات العلمية التى ألفت فى العصر الحديث :

١ ـ فى التفسير :

أ) تفسير المراغى : لفضيلة الشيخ أحمد مصطفى المراغى المتوفى منذ مدة غير طويلة وهو كتاب قيم سهل نحا فيه مؤلفه منحى مبسطا ، حيث أنه يذكر الآيات التى يريد تفسيرها متتابعة ثم يتبعها بشرح للكلمات الغامضة ، وبعدها بشرح اجمالى يبين الاطار الذى تدخل فيه هذه الآيات موضحا السياق ، وبعد ذلك يبتدىء بالشرح التفصيلى للآيات محل التفسير . وهو مطبوع فى ثلاثين جزءا متوسطا .

ب) تفسير المنار لفضيلة الشيخ محمد رضا تلميذ العلامة محمد عبده ، وهو شرح قيم مطبوع قسم منه فى ثلاثة عشر جزءا . وقد ضمنه مؤلفه آراء الامام محمد عبده كلها تقريبا ، ولذلك فان بعض الناس يعزوه اليه بدلا من رشيد رضا . وهو يمتاز بالتحليل الواسع والاستدلال المنطقى والفلسفى فى كثير من الأحيان .

جـ) التفسير الواضح لفضيلة الشيخ حجازى ، وهو من علماء الازهر المعاصرين ، والكتاب مطبوع فى ثلاثة مجلدات ، وقد انتهج فيه مؤلفه منهج تفسير المراغى المتقدم .

٢ ـ فى الحديث :

أ) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لفضيلة الشيخ محمد جمال الدين القاسمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ . وهو كتاب قيم فى علوم الحديث ومطبوع .

ب) منهج النقد عند المحدثين لفضيلة الدكتور الشيخ نور الدين عتر من العلماء المعاصرين ، وهو كتاب جامع لعلوم الحديث فى أسلوب جديد وتبويب حديث . وهو مطبوع فى مجلد متوسط .

جـ) التاج الجامع للأصول لفضيلة الشيخ منصور بن على ناصيف من العلماء المعاصرين وهو مطبوع فى خمسة أجزاء جمعت ما فى الكتب الخمسة : صحيح البخارى، وصحيح مسلم ، وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وسنن الترمذى ، بعد حذف أسانيدها وتبويبها تبويبا جديدا يسهل الرجوع اليها واستخراجها .

د) السنة قبل التدوين : لفضيلة الدكتور محمد عجاج الخطيب من العلماء المعاصرين وهو مطبوع فى مجلد كبير .

٣ ــ فى الفقه :

أ) التشريع الجنائى الاسلامى : لفضيلة الاستاذ عبد القادر عودة المتوفى منذ مدة قريبة وهو مطبوع فى جزئين متوسطين ، يعرض فيهما المؤلف أحكام الشريعة الاسلامية فى الجنايات الى جانب أحكام القوانين الوضعية فيها ، بأسلوب سهل مرتب مقارن .

ب) الجريمة والعقوبة فى الشريعة الاسلامية : لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة من العلماء الذين توفوا قريبا وهو كتاب على نحو الكتاب المتقدم الا أن لكل واحد من الكتابين ميزات تربط بينهما الحاجة لكل منهما ، وهو مطبوع فى جزئين الأول للجريمة ، والثانى للعقوبة .

جـ) المدخل الفقهى العام : لفضيلة الاستاذ مصطفى الزرقاء من العلماء المعاصرين ، وهو مطبوع فى جزئيين كبيرين عرض فيهما المؤلف الفقه الاسلامى فى أسسه العامة ونظرياته الكلية على نحو جديد مبدع ، أفاد منه الطلاب والعلماء فوائد جمة ، حتى أن بعضهم قال : لو لم يكن له غيره لكفاه . وهو كتاب لا يستغنى عنه طالب الشريعة والحقوق معا .

د) مدخل الى نظرية الالتزام العامة فى الفقه الاسلامى : لفضيلة الاستاذ الزرقاء نفسه ، وهو على نمط الكتاب الأول ويعتبر جزءا ثالثا له .

هـ) فصول من الفقه الاسلامى العام : لفضيلة الدكتور الشيخ محمد فوزى فيض الله من العلماء المعاصرين . وهو كتابجامعى مؤلف لطلاب السنة النهائية فى كلية الشريعة ، يضم فصولا متعددة من الفقه الاسلامى ، وهو مطبوع فى مجلد كبير ، نحا فيه مؤلفه منحى الفقه الاسلامى المقارن ، حيث أنه يعرض فيهالمذاهب الفقهية ويناقشها ويحلل أدلتها .

و) نظرية الضرورة : لفضيلة الدكتور الشيخ وهبه الزحيلى من العلماء المعاصرين وهو كتاب قيم فى بابه مطبوع فى مجلد متوسط يعالج فيه مؤلفه نظرية الضرورة معالجة مقارنة بين الفقه الاسلامى والقوانين الوضعية .

٤ ــ أصول الفقه :

أ) مذكرات فى أصول الفقه : لفضيلة الشيخ أبى النور زهير من العلماء المعاصرين ، وهو مطبوع فى ثلاثة اجزاء متوسطة تضم مختلف أبواب هذا العلم ، وهو عبارة عن اختصار واخترالبعض كتبالمتقدمين فى هذا الفن .

ب) أصول الفقه : لفضيلة الشيخ محمد الخضرى وقد توفى منذ سنين قليلة ، وهو كتاب قيم جدا ينحو فيه مؤلفه منحى علماء السلف فى تبويب وشرح فنون هذا العلم بعبارة فيها وضوح وسهولة . وهو مطبوع فى مجلد متوسط .

جـ) أصول الفقه : لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة ، وهو مطبوع فى جزء متوسط ، وقد حلق فيه مؤلفه في دراسة وتوضيح بعض النقاط على نحو فريد .

د) علم أصول الفقه : لفضيلة الشيخ محمد شاكر الحنبلى وهو من الذينتوفوا اخيرا وهو مطبوع في مجلد

متوسط جامع لاكثر أبواب هذا العلم بترتيب مدرسي سهل .

هـ) ضوابط المصلحة لفضيلة الدكتور الشيخ سعيد رمضان البوطى من العلماء المعاصرين ، وهو مطبوع فى مجلد متوسط يبحث فى المصلحة المرسلة ويفند أنواعها وأقسامها على طريقة مقارنة مستوعبة .

٥ — فى علوم العربية :

١ — المعجم الوسيط ، الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو مطبوع .

٢ — فى أصول النحو : لفضيلة الاستاذ سعيد الافغانى من العلماء المعاصرين ، عرض فيه لأمهات مسائل النحو ، كالاحتجاج فى اللغة ، والقياس ، والاشتقاق ، والخلاف بين النحاة بأسلوب علمى مبسط .. وهو مطبوع .

٣ — الموجز فى قواعد اللغة العربية : لفضيلة الاستاذ الأفغانى أيضا ، وهو كتاب جامع لقواعد النحو والصرف والاملاء بأسلوب سهل واضح مبسط معتمد على الأقوال الراجحة ، بعيد عن الخلافات النحوية التى كثيرا ما يشتبه أمرها على الطلاب فيضيعوا فى متاهاتها .. وهو مطبوع .

٤ — جامع الدروس العربية : لفضيلة الشيخ مصطفى بن محمد الغلايينى المتوفى سنة ١٣٦٤ هـ . وهو كتاب جامع لقواعد النحو والصرف والاملاء أيضا بأسلوب مدرسي مبسط ومطبوع فى ثلاثة أجزاء .

٥ — فقه اللغة : لفضيلة الاستاذ محمد المبارك من العلماء المعاصرين وهو مطبوع فى جزء متوسط .

٦ — البلاغة تطور وتاريخ : لفضيلة الدكتور شوقى ضيف وهو من أجمع ما صنف حديثا فى هذا الفن . ومطبوع .


مع الله

للشيخ : عبد اللطيف مشتهرى

ان معية الله سبحانه قوة وعزة وامان ، وان القلب الموصول به عز شأنه يستمد سكينته ورشـــــده من هدى السماء من كتاب الله عز وجل ــ القرآن الكريم ــ الذى انزله الله تبارك وتعالى ليؤدى مهمته فـــى العالم ، ورسالته بين الأحياء ، تلك الرسالة التى تتمثل فى الهـــداية الراشدة واليقظة الدائمـــة ، التى تخرج الناس من الظلمات الـــى النور ، وتهديهم باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد (**ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا**) ٩/الاسراء .

ولقد اطلق النبى صلى الله عليه وسلم صيحة فى ارجاء الدنيا وعلى مسامع نحو مائة الف من المسلمين ادوا معه حجة الوداع ، فقال :

« ايها الناس انى تركت فيـــكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا بعدى .. كتاب الله .. » وفى الحق ان محنة المسلمين تكمن فى انفصالهم عن كتاب ربهم ، وانعزال حياتهم عنه ، وأن هذه الأمة لن تعود الى مكانهـــا فى صدر القـــافلة البشرية الا اذا ارتبطت بكتاب الله ، تطبيقا لنظامه ، وتنفيذا لأحكامه ، وترسما لخطـــاه وسيرا على هداه ، ولن يجد العالم صوابه الا فى هذا الكتاب العزيز ، ويومئذ يعيش العالم مع انسانيته فى سلام ووئام ، وانى أقـــدم بين يدى كلمتى آيات من القرآن الكريم تمثـــل منهجا ربانيا ، يثير اشـــواق النفس المؤمنة ، لتتصل بالله تعالى عـــن طريق كتابه المجيد ، فتعود نفســـا مطمئنة ، تفيض على الجوارح ادبا عاليا ، وسلوكا مستقيما ، وبذلك تملأ الحياة خصبا واملا ، وتغدق عليها من الخير والبركة ما يجعلها حيـــاة رطبة الأنفاس ، فواحة العبـــير ، تتسم خطاها باليقين والصـــدق والوضوح (**يايها النـــاس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليـــكم نورا مبينا**) ١٧٤/النساء .

الله :

(**الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والـــذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطمع ان يغفـــر لى خطيئتى يوم الـــدين**) ٧٨ ــ ٨٢/ الشعراء .

الاخلاص الكامل لله :

(**قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا أول المسلمين**) ١٦٢ و ١٦٣/الأنعام .

خير قدوة :

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لــــكم ذنوبكم والله غفور رحيم) ٣١/آل عمران .
(لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليـــوم الآخر وذكرالله كثيرا) ٢١/الأحزاب .
ان سنة الله تعالى فى خلقـــه ، كسنته فى شرعه ، فكما أنه **(لا تبديل لخلق الله)** ٣٠/الروم . لا مبـــدل لكلماته ، فلو أن الخلق مجتمعين ، ولو كان بعضـــــهم لبعض ظهيرا ، حاولوا تغيير مسير الكواكب والنجوم ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين الســـماء والأرض ، أو حاولوا تحويل النهار الى ليل ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، كذلكم لو حاولــوا الاستعاضة عن هداية الله فى دينه ، بفلسفات عقلية ، أو مبـــادىء من صنع عقولهم ، لانقلبت محاولتهم الى عبث وضلال ، يجر الى فساد كبير والى اختلاف وتناقض **(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عنـــد غير الله لوجدوا فيـــه اختــلافا كثـــيرا)** ٨٢/النساء .
كذلك حقت كلمة ربك فيما خلق وفيما شرع ، وسيمضي كون الله فى نظامه الى أن يأذن خالقه بانهائه ، وستمضي شريعة الله ســـامية فى مبادئها ، متفردة فى سموها ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

التزام :

وما دام المسلم قد شهد بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورســـولا ، وما دام المسلم قد شهد ببصـــره آيات الله الكونية منبثة فى ملكه العظيم تنادى بوحدانيته وقدرته وعلمه وحكمتـــه وكماله المطلق ، وما دام هذا الاله برحمته قد أكرمنا عن طريق رســـوله الأعظم ببيان ما علينا أداؤه لجنـــابه تعالى فى هذه الدار ، حتى أصـــبح سبيل الله المستقيم على يد هـــذا الرسول الكريم واضحا كالمحجـــة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ، أقول : ما دام الأمر كذلك ، وحجة الله قد قامت على عبـــاده فلنلتزم سبيل الله ، وليكن هدفنـــا فى كل ما نأتى ونذر وجه الله العلى الأعلى ولنلتزم فى طريقنا الى الله أمرين مهمين هما ركنا كل عمل صالح ، وبدونهما يرد الله العمل علـــــى صاحبه :

اولهما : الاخلاص لله تعالى بعيدا عن الرياء وحب المحمدة والشـــهرة فالله لا يقبل من العمل الا ما ابتغى به وجهه ، يقول صلى الله عليـــه وسلم : « اذا جمـــع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليـــوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقـــى وابن حبان فى صحيحه .

وثانيهما : الصـــواب ، فلا بد أن يقع منا العمل موافقا لما نص عليـــه الكتاب والسنة بعيدا عن الابتـــداع والهوى . وهذان الركنان الأساسيان فى العمل هما مضـــمون قول الله تعالى **(انا لا نضيع أجر من احسن عملا)** ٣٠/الكهف . قال مجـــاهد : أحسن العمل أى أصوبه وأخلصه ، واتضح هذا المعنى فى آخر آية فى سورة الكهف اذ قال ســـبحانه :

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا (صائبا) **ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)**. ١١٠/الكهف وقد زاد النبى صلى الله عليه وسلم هذين الركنين وضوحا فى قوله « ان الله يحب أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه ، قالوا : وما اتقانه يا رسول الله ؟ قال : يخليه من الرياء والبدعة » رواه البيهقى . الرياء ضد الاخلاص ، والبدعة ضد الصواب فالتقت كلمات من كان خلقه القرآن بكلمات من أنزل القرآن عز سلطانه .

اتباع :

لقد كان المثل الأعلى فى اخلاص العمل لوجه الله ، وفى ايقاعه ، صوابا ، هو محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وبهذا صح أن يكون هو المسلم الأول والمؤمن الأول والعابد الأول ، ثم هو القدوة الأولى للبشرية جمعاء سابقها ولاحقها ، فأما سابقها ففى قوله تعالى : **(الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون)** ١٥٧/ الأعراف .

وأما لاحقها : ففى آخر آية صدرنا بها هذا المقال ، ويسبقها مباشرة آية تقرر فى صراحة أن محبة الله ليست شعارا يعلن ولا لافتة تكتب ، وانما هى التزام بالخط الذى رسمه هذا الرسول العظيم باذن من ربه **(وداعيا الى الله باذنه)** ٤٦/الأحزاب . ومحبة الله كذلك اتباع عملى لهذه القدوة التى صنعها الله على عينه ورباها فأحسن وأكمل تربيتها **(واتبعوه لعلكم تهتدون)** ١٥٨/ الأعراف .

دراسة :

وأن من يمعن النظر فى سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتتبع مسالكها ومجالاتها فى القول والعمل وسائر الأحوال ، يجد أنه كان قطعة مجسمة من الاخلاص المحض لله تعالى لا تمر عليه لحظة أو يتغير عليه حدث فى الزمان أو المكان الا ويحدث لله تعالى فيه ذكر يناسبه ، حتى يكون الزمان والمكان ومن يعايشهما فى طاعة الرحيم الرحمن .

والعجيب أن هذا الرسول القدوة لم يدع حركة للمسلم من ساعة يقظته من النوم الى حين عودته للنوم الا وشرع له فيها عبادة قولية أو عملية توثق صلته بخالقه تعالى ، ولا يمر على المسلم آية من آيات الله فى الأنفس أو الكون الا وشرع له من أجلها قولا أو عملا يرضي الله ، سواء أكانت تلك الآيات يومية أو أسبوعية أو سنوية أو مفاجئة لا ميقات لها .

ومعنى ذلك بصريح العبارة أن نبى القدوة لا يريد للمسلم التابع له أن يكون موقفه مع أحداث الزمان أو المكان غافلا أو سلبيا ، بل يجب أن يكون ايجابيا يقظا واعيا منسجما مع كون الله ، معظما لمبدعه عابدا له وقانتا .

نماذج من ايجابيات المسلم مع الكون والنفس :

قال الامام ابن القيم : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق ذكرا لله تعالى ، بل كان كلامه كله فى ذكر الله وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرا منه لله ، واخباره عن أسماء الرب وصـــفاته وأحكامه وأفعاله ووعيده ذكرا منـــه له ، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيـــده وتحميده وتسبيحه ذكرا منـــه له ، وسؤاله ودعاؤه أياه ورغبته ورهبته ذكرا منه له ، وسكوته وصمته ذكرا منه له بقلبه ، فكان ذاكرا لله فى كل أحيانه ، وعلى جميع أحواله ، وكان ذكره لله يجرى مع أنفاسه قاعـدا وقائما وعلى جنبه ، وفى مشـــيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنـــه واقامته » زاد المعادج ٢ ص ٤ .

(١) عند النوم :

كان من هديه صلى الله عليه وسلم — ولنا فيه الأسوة الحسنة — أن ينام على جنبه الأيمن مستقبلا القبلة واضعا يده اليمنى تحت خده متطهرا من الحدثين الأصغر والأكبر داعيـا الله تعـــالى بدعوات كلها دروس وبركات ، ومن هديه فى هذا قوله :

« اذا جاء احدكم فراشه فلينفضه ثلاث مرات وليقل : باســـمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصـــالحين » أخرجه الستة عن أبى هريرة .. فى الحديث الاحتياط والأخذ فى الأسباب بتنظيف الفراش ، ثم التسليم المطلق للمحيي المميت سبحانه الـــذى منح الحركة لعبده ثم قهره بالنوم والموت ، فباسمه تعالى يرقد ، وباسمه يصحو وهو فى الحالتين يسأل ربه ان أماته أن يغفر له وان رده لحياته الرتيبة أن يصونه من المخالفات .. وهناك كثير مما يقال عند النوم كلـــه عبر ودروس ومناجاة وتوبة وتلاوة وذكر لله حتى يختم عمل النهار بخـــير ما تختتم به الاعمال .

(٢) عند الأرق او الرؤيا المفزعة :

« أعوذ بكلمات الله التـــامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » وكان ابن عمر يعلمها من بلغ من عياله ، ومن لم يبلغ منهم كتبها فى ورقة وعلقها فى عنقه — رواه أبو داود والترمذى والنسائى — ولما شكا خالد بن الوليد الى النبى صلى الله عليه وسلم من الأرق وأنه لا ينـــام ، قال له : اذا أويت الى فراشك فقل : « اللهم رب السموات الســـبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشـــياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم أو أن يبغى على ، عز جارك وجـــل ثناؤك ولا اله غيرك لا اله الا أنت » رواه الترمذى . وفيه التضرع الى رب الكون كله سمائه وارضه وشياطينه ورياحه أن ينجيه من شر ما خلق وأن يقبله الله فى جواره حتى ينيم عينيه ويهدىء ليله .

وحتى عند الرؤيا المفـــزعة أمره « أن يبصق عن يساره ثلاثا متعوذا بالله من الشيطان الرجيم وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » رواه مسلم . وشـــكا اليه زيد بن ثابت الأرق

فعلمه أن يقول : « اللهم غارت النجوم وهدات العيون وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، يا حي يا قيوم اهد ليلى وانم عينى . فقالها فأذهب الله ما كان يجد » رواه ابن السنى عن زيد بن ثابت .

وفى هذه الأدعية والمناجاة استعانة بمن لا يغفل ، وتذكر لغور النجوم وهداة العيون من الله الذى أخمدها بعد حركة وأراحها بعد عناء، ثم أمر بالبصق عن يساره مع التعوذ من الشيطان ، وهذا فيه تنبيه على تجنب ما يصنعه الشيطان مع المرء فى يقظته حتى يمثل له في منامه فزعا ورعبا سواء أكان تخمة فى طعام أو تشاغلا بالشهوات الحيوانية أو الغضبية أو شبهات من أفكار السوء والضلال والهوى .

وهناك أذكار وأدعية أخرى لمن شرح الله صدره فى هذا المقام .

٣ ــ عند اليقظة من النوم :

(الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور) رواه البخاري (الحمد لله الذى رد على روحى وعافاني فى جسدي واذن لي بذكره) رواه ابن السني عن أبي هريرة . اعتراف كامل بأن ارجاع الروح الى حالتها هو منة من الله وأنه أشبه بالبعث بعد الموت كما أعلن صلوات الله وسلامه عليه ذلك لقريش يوم أن دعاهم للاسلام على جبل الصفا قائلا (واعلموا أنكم تموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون) ثم هو يشكر ربه الذي رد اليه مع الروح عافية بدنه وألهم قلبه الاتصال بالله الذي أيقظه حتى لهج لسانه بذكره .

٤ ــ مصدر النعم :

عندما يحل عليه نور الصباح أو ظلام الليل ويتذكر آلاء الله على عباده ينطق لسانه بهذا الثناء :

(اللهم ما أصبح أو ما أمسى بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر) رواه ابن السنى عن عبد الله البياضي . وأخبر أن من قالها فقد ادى شكر يومه او شكر ليلته وصدق الله العظيم **(وما بكم من نعمة فمن الله)** ٥٣ : النحل .

وكان يقول أيضا : (اللهم انـي اصبحت منك او امسيت في نعمة وعافية وستر فأتمم على نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة) ٣ مرات . وأخبر أن من قالها كذلك أتم الله عليه نعمته . رواه ابن السني عن ابن عباس . وفي هذه الأذكار والأدعية تقرير من المسلم انه مهما كان عمل العبد في كسب خيراته أو كان تعاون الناس سببا في هذا فان محرك الأسباب لتتلاقى مع مسبباتها وخالق القوى وملهم العقول رشدها هو الله سبحانه فمنه البداية واليه المرجع والنهاية ــ ثم ان المسلم يعترف بأن ربه ذا الجلال والاكرام أفاء عليه مع النعم صحة في البدن وعافية في الروح ، وهدوءا في النفس مع الستر أمام الخلق فهو يرجو الله ان يديم عليه هذه النعم ولا يسلبها منه ومن دعائه المأثور فى هذا : (أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك) (الكلم الطيب) .

٥ ــ سائر الأحوال :

من يطالع كتب الأدعية والذكر النبويين مثل (الاذكار للنووي والكلم

الطيب ورياض الصالحين ، والترغيب والترهيب للمنذري وتيسير الوصول والجامــع للأصــول وزاد المعــاد) وعشرات غيرها مما تعرض لتتبــع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في كــل أحواله وجد أحاديث كلهـــا مسندة وصحيحة فيمثل ما يلي كأمثلة

أ : عند خروجه من المنزل

يعلن صلته بالله وبالخلق في هذه الكلمات (بسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله لا حول ولاقوة الا بالله ، اللهم اني أعوذ بك أن أضل او اضل او ازل أو ازل او أظلم او أظلم او أجهل أو يجهــل علي اللهم اني أعوذ بكان أقترف على نفسي سوءا أو أجره الى مسلم) .

واعتقد صادقا ان هذه الكلمات لــم تدع شيئا مما يجب على المسلم ان يعامل الله به ، أو يعامل المخلوقين ، الا حددته بوضوح ، فهو مع الله ، يتحرك باســـمه وهو مؤمن به ، معتصم بحبله ، متوكل عليه ، متبريء من حوله وقوته الى حول الله وقوته وهذا صريح اليقين والايمان ثم هــو مع الخلق يتعوذ باللــه أن يضــل في نفسه أو يضلله الغير او يزل أو يأتيه الزلل من غيره او يظلم هو أحــدا أو يظلم من أحد ، ان يحمق على احد او يحمق احد عليه ، أو يرتكب ســوءا أو يتسبب فيه لأحد ، فهل تـــرى لجلب الخير او درء الشر بعد هذه السياسة الاسلامية من بقية ؟

ب : (فاذا سار الى بيت من بيوت الله لأداء الصلاة) .

فاسمع منه هذا الاعلان الخالص: (اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق الراغبين اليك وبحق ممشاي هــذا اليك ، فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، ولكني خرجــت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتــك، فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .)

جـ : (فاذا هم بدخول المسجد) :

فاسمعه يقول : بســـم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك . وعنــد خروجه : يستبدل كلمة رحمتـــك بفضلك ، لأنه انتهى من حق الخالــق وعاد الى ابتغاء الرزق والسعي على المعيشة : **(فاذا قضيت الصــلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** ١٠/الجمعة .

د : (ثم هو أمام مظاهر الكون) يقظ متفتح يسبح بحمد من أبـــدع الكائنات وخفض الأرض ورفـــع السموات ، فعند رؤيــة الهلال أول الشهر يستقبله قائلا : (اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامـــة ورشد آمنت بالذي خلقك ، الحمدلله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهــر والاسلام ، ربيوربك الله ، هلال خير كذا) فهل رايتتوحيدا مثلهذا ؟ وهل رأيت زعيما في الدنيا يعلن في مستهل كل شهر سياسته في حياة السلـــم والسلام والأمن والايمان ؟ حتى انه قدم الأمن على الايمان ، والسلامـــة علىالاسلام ، لأنه لا دين في جو كله قلق واضطراب وفتن واحقـــاد : **(فليعبدوا رب هذا البيت الـــذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)** ٣ و ٤/قريش .

واذا ما هبت الريح قال : (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحـــا ، وأسألك خيرها وخير ما أرســلت به ، وأعـــوذ بك من شرهـــا وشر ما أرسلت به) وسبحان الله حتى في الدعاء يذكرنا بما في القـــرآن

(وكان خلقه القرآن) والقرآن فرق بين كلمة ريح وكلمة رياح ، فكلمة الرياح تذكر في معرض البشرى بالمطر وكلمة الريح في معرض الغضب والتدمير قال تعالى : **(ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته)** ٤٦ : الروم وقال تعالى : **(انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر)** ١٩ : القمر .

(واذا لقي العدو) نادى : يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اللهم اني أدرأ بك في نحورهم واعوذ بك من شرورهم ، اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، هازم الأحزاب أهزمهم وانصرنا عليهم .

(واذا ناله كرب) دعا ربه (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين) **(لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين)** الأنبياء/٨٧ .

وعند الخوف من العدو (حسبنا الله ونعم الوكيل)

وعند نظره الى السماء وخاصة بعد اليقظة من نوم الليل **(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ..)** الآيات الأربع ١٩١ — ١٩٤ آل عمران

هذا فضلا عما شرعه الاسلام للمسلم في صلواته اليومية والأسبوعية والسنوية ، ومايسبقها ويلحقها ، من أدعية وذكر وفضلا عن بقية أركان الاسلام ، وما فيها من اتصال القلوب بعلام الغيوب وما ورد في نصوص الدين من ترغيب في التلاوة والذكر بجميع أنواعه والاستغفار وأعمال البر .

ان استيعاب اتصال قلب المسلم بربه في كل مكان وزمان يحتاج الى مجلدات — ولكنها الاشارات العابرة لنقرر بعدها في خلاصة :

(أن هذا الكون كله مخلوق من أجل الانسان ، وقد سخر الله له ما في السموات وما في الأرض ، جميعا منه وذلك ليستدل بعظمة الكون على عظمة من كونه ، وبما أن الكون كله يسبح بحمد بارئه ويخضع لمشيئته فيما خلق لأجله فابن آدم أولى وهو المقصود من هذا الكون المسخر له **خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** ٥٦ الذاريات ، فلنؤد رسالتنا في هذه الحياة على نور من الله . والله المستعان .

مائدة القارئ

اعــداد : فهمي الامام

الاعـــدال

اخرج البخاري ومسلم عـــــن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :
« يا ايها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ، وان احب الأعمال الى الله ما دام وان قل » .

السراج المنير ..

قال تعالى : « يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيـا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا . »

الأحزاب ٤٤ ـ ٤٧

محبــة اللــه

يقول ابن تيمية :
« انما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما احبه اللـه ورسولـه ، ويبغض ما ابغضه اللـه ورسوله ، ويوالي أولياء الله تعالى ، ويعادي أعداء الله تعالى ، هذا هو الـذي استكمل الايمان كما فى الحديث : « من احب لله ، وابغض لله ، ومنع لله فقد استكمل الايمان » .

الماسونية واليهودية

« الروح الماسونية هي ذاتها الروح اليهودية ، لا اختلاف في معتقداتها الأساسية ، فآراؤهما متماثلة ، وتستعملان اللغة ذاتها ، وتتبعان تقريبا نظاما واحدا ، والهدف الذي تسعى الى تحقيقه الماسونية هو نفسه الهدف الذي تتطلع اليه اسرائيل .. أن تصبح القدس بيت الصلاة العظيمة ورمزا للانتصار . » عن كتاب « الحقيقة الاسرائيلية » .

الاسلام والقرآن

ابن باديس عالم مجاهد جزائري ، ومصلح اجتماعي .. خطب في جماهير المسلمين مرة فقال : « انني اعاهدكم على انني اقضي بياضي على العربية والاسلام ، كما قضيت سوادي عليهما ، وانها لواجبات ، واني سأقصر حياتي على الاسلام والقرآن ، ولغة الاسلام والقرآن ، هذا عهدي لكم ، واطلب منكم شيئا واحدا وهو أن تموتوا على الاسلام والقرآن ولغة الاسلام والقرآن » .

اوائل

أول الغيث : قطر
اول النوم : النعاس
اول الفاكهة : الباكورة
أول صياح المولود : الاستهلال

اول الولد : البكر
اول الليل : الغسق
أول الجيش : الطليعة
أول الصبح : تباشيره

سياسة عمر المالية

قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وهو يحدد سياسته في المال : ألا واني ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث : أن يؤخذ بحق ، وأن يعطي في حق وأن يمنع من باطل ، ألا واني في مالكم كولي اليتيم : أن استغنيت استعففت ، وان افتقرت اكلت بالمعروف .

عقود التأمين

هذه عقود حديثة استحدثتها سوءات النظام الرأسمالى وأفتى كثير من علمائنا المعاصرين بحلها على اعتبار انها مما جرى به العرف واقتضته ضرورات التجارة والصناعة فى عصرنا الراهن والأصل فى الامور الأباحة فيقول الدكتور عبد الغنى الراجحى من كتابه « التجارة في ضوء القرآن والسنة » :

التأمين على البضائع المنقولة بأن يدفع صاحب البضاعة نسبة معينة من ثمنها للشركة المؤمن لديها لترعى سفرها ووصولها فان وصلت سليمة فلا شىء له وان حصل لها ضرر عوضته الشركة عن ذلك الضرر وبمقداره ، فاذا اعتبرنا ما يدفعه صاحب البضاعة من قبيل الجعل يدفعه للشركة أو الأجرة على عمل هو رعاية البضاعة والاشراف عليها واعتبرنا ما تدفعه الشركة ـ اذا اصيبت البضاعة ـ تعويضا لصاحبها لأنها مستحفظة ولم تحفظ كان ذلك أشبه بالحلال والمعاملات الاسلامية ، فكل من الجعل وضمان ما استحفظ عليه الانسان ، معاملة شرعية ، هذا اذا كان لشركات التأمين عمل فى حفظ البضاعة ورعايتها فان لم يكن لها عمل قط كان حكم ذلك حكم التأمين على المحلات التجاية والعمارات والسيارات وضد العجز والبطالة ونحو ذلك الذي يدفع فيه المؤمن لجهة التأمين مبلغا شهريا او سنويا على انه اذا لم يحصل للمؤمن عليه شىء من الاضرار فلا شىء للمؤمن الذى دفع المبالغ ، وان حصل عوضته الشركة ، فاذا حمل دفع المؤمن على انه تبرع محض وتعاون وتشجيع للجهة او الشركة المؤمن لديها على ما تقوم به من التعويض فى بعض الحالات واعتبرنا ما تدفعه الشركة او جهة التأمين تبرعا محضا ومساعدة للمنكوبين المستحقين للتعويض فلعلنا لا نجد دليلا على تحريم ذلك ولا يخرجه معنى الالتزام والتعاقد عن كونه تبرعا وتعاونا ومساعدة ، فمعنى الالتزام هنا هو حصول الرضا بهذا الاتفاق المبنى على التعاون .

وقد لجأت الناس والشركات والمصانع والتجار للتأمين على سلعهم وأموالهم ليأمنوا الكوارث المالية الفادحة نظير ما يدفعونه للشركات من مال لا يذكر بجانب الخسارة اذا نزلت بأى فرد منهم وشركات التأمين

في ضوء الإسلام

للاستاذ عبد السميع المصري

تجمع مبالغ طائلة من اقساط التأمين المختلفة وتربح من عمليات التأمين بعد دفع ما قد يحدث من خسائر .. وعملية التأمين يتم فيها التعاقد بالرضى التام وهى تخدم الصالح العام وتحفظ للناس ثرواتهم وتدرأ عنهم الكوارث كما تدر أرباحا لشركة التأمين فيكون هذا التأمين مباحا .

ومع ذلك يختتم الدكتور الراجحي حديثه عن التأمين بقوله : « ان طالب الحقيقة في امثال هذه المباحث يجد نفسه فى دوامة من وجهات النظر المتقابلة وعندما تبلغ المسألة هذا الحد من تعارض وجهات النظر بعد اعمال الفكر وبذل الجهد في طلب الدليل ، فعلى الانسان مخلصا لدينه وربه ان يلجأ الى قلبه ووجدانه الدينى ، يستفتيه ويستلهمه ، فما حاك فى صدره فهو اثم فليتركه ، وما اطمأن اليه القلب وسكنت نحوه النفس فلا بأس به فقد روى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه) وفي رواية ...

« البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب وان افتاك المفتون) وفى رواية .. (وان افتاك الناس وافتوك) وفى حديث الترمذى والنسائى انه صلى الله عليه وسلم قال (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) .

اما الأستاذ عبد الكريم الخطيب فيقول في كتابه « السياسة المالية فى الاسلام » بأن عمليات التأمين تقوم على دراسات وخبرات مضبوطة انتهت الى حقائق مسلم بها وقد اصبحت عمليات التأمين على الحياة مصدر ربح لا خسارة معه ابدا ولكن هل يحل للمؤمن المخاطرة بالتأمين ليكسب ورثته الف جنيه نظير قسط عشرة جنيهات ؟

ان في هذا بالنسبة للمؤمن اكل مال بغير حق — وذلك فى حالة وفاته قبل مدة التأمين — اما في حالة حياته الى انتهاء المدة فانه يأخذ المبلغ الذى دفعه .. واذن فلا مقامرة ولا ظلم ويمكن أن تكون عملية التأمين

على الحياة على النظام الذى يؤمن فيه على الحوادث .. اى انه لا يأخذ شيئا آذا لم يمت خلال المدة فان مات اخذ ورثته المبلغ المؤمن به .

ومثل هذا التأمين على الحوادث والمنازل ومحال التجارة والصناعة لأن الشركة اذا خسرت فى حالة، فأنها تكسب في مئات الحالات . وعلى ذلك فالتأمين عقد ليس فيه ربا ولا غرر لأن الشركة دائما رابحة وان بدا انها خسرت فى بعض الحالات ومن هنا لا يقال أن الشركة قد اكل مالها ظلما .

اما الشيخ على الخفيف فيخلص من بحثه الطويل في التأمين الى أن يقول : « ان ما قدمناه من الأسباب يستوجب ان يكون حكم التأمين شرعا هو الجواز وهى اسباب نجملها فيما يأتى :

١ ــ أولا : انه عقد مستحدث لم يتناوله نص خاص ولم يشمله نص حاظر والأصل فى ذلك الجواز والاباحة .

٢ ــ انه عقد يؤدى الى مصالح يستفيد الناس منها ولم يكن من ورائه ضرر واذا ثبتت المصلحة فثم حكم الله .

٣ ــ انه اصبح عرفا دعت اليه مصلحة عامة ومصالح شخصية والعرف من الادلة الشرعية .

٤ ــ أن الحاجة تدعو اليه وهى حاجة تقارب الضرورة ومعها لا يكون للأشتباه موضع اذا فرض وكان فيه شبهة .

٥ ــ أن فيه التزاما اقوى من التزام الوعد وقد ذهب المالكية الى وجوب الوفاء به قضاء .

ويقف فريق من العلماء المحدثين موقفا وسطا بين تحريم التأمين اطلاقا واباحته وهؤلاء يرون جواز التأمين الاجتماعى الذى تقوم به هيئة تعاونية من المستأمنين أنفسهم بناء عللى أنه قائم على التعاون بين أعضاء الهيئة وأن ما يدفعه كل منهم من الاقساط تبرع منهم وجهوه الىهذا الوجه من وجوه البر والخير على رضا منهم واختيار وليس فى ذلك معنى من معانى القمار أو الربا ولا الغرر أو الجهالة .

اما الفريق الذى يعارض عقود التأمين الحديثة فيذهب الى ذلك لأنه لا يجوز ضمان ما لا يدرى مقداره لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يحل مال مسلم الا عن طيب نفس منه) (رواه الامام احمد وهو حديث صحيح ومشهور) . وطيب النفس لا يكون الا على معلوم القدر .

كما لا يجوز ضمان مال لم يجب بعد كمن قال لآخر : « أنا اضمن لك ما تستقرضه من فلان او قال أقرض فلانا دينارا وأنا اضمنه لك » لأنه قد يموت القائل قبل تنفيذ الالتزام ولأن الضمان عقد واجب ولا يجوز الواجب في غير واجب .

وعلى ذلك فعقد التأمين فيه جهالة وغرر كما أن فيه ربا لان المؤمن على حياته يتقاضى مبلغه فى حال حياته مضافا اليه الفوائد .

ويقول الشيخ محمد بخيت في فتياه التى أصدرها فى التأمين انه عقد فاسد شرعا لأنه معلق على خطر يقع تارة وتارة لا يقع فهو قمار معنى .

ويقول المرحوم الشيخ احمد ابراهيم استاذ الشريعة بجامعة القاهرة فى التأمين على الحياة قد يموت المؤمن له بعد دفع قسط واحد من اقساط التأمين فتؤدى الشركة المبلغ المتفق عليه كاملا لورثته او لمن جعل له ولاية قبضه دون أن يكونذلك

في مقابله شيء أخذته الشركة الا قسطا ضئيلا وقد يكون المبلغ عظيما اليس في هذا مقامرة ؟ واذا لم يكن هذا من صميم المقامرة ففي اى شيء تكون المقامرة اذن ؟ على أن المقامرة حاصلة فيه من ناحية اخرى فان المؤمن له بعد أن يوفى جميع الاقساط يكون له مبلغ التأمين واذا مات قبل أن يوفيها كان لورثته .. أليس هذا قمارا ؟ اذ لا علم له ولا للشركة بما سيكون .

وهذا المعنى موجود ايضا في صور التأمين الأخرى فان الشركة لا علم لها قطعا بما سيقع فقد يقع الخطر فتلتزم بأداء مبلغ التأمين أو التعويض وهو لا يتناسب مع ما دفع من أقساط التأمين وقد لا يقع فلا تلزم بأداء شيء وقد سلمت لها أقساط التأمين دون مقابل وذلك فيه معنى المراهنة ذلك لان التزام الشركة معلق على خطر قد لا يقع وقد يقع ، فان وقع التزمت الشركة بأداء مبلغ التأمين أو بالتعويض وان لم يقع لم تلتزم الشركة بشيء من ذلك .

ويقول أصحاب هذه الرأى ايضا في بيان معنى المراهنة والمقامرة في التأمين ، أن هذا العقد لا يقوم الا على المراهنة والمقامرة فان ما يدفعه المستأمن ليس الا رسما يقامر به على ما أمن ضده من حريق أو تلف أو من موت ، وحدوث شيء من ذلك امر مجهول فان وقع ما قامر به عليه خسرت الشركة فدفعت له أضعاف الرسم المدفوع ، وان لم يقع خسر هو رسم المقامرة وهو قسط التأمين .

ويقول الأستاذ ابو زهرة في مجلة لواء الاسلام (مجلد سنة ١٩٥١) في الرد على من يحاولون الاعتساف في تأويل النصوص الشرعية « شريعة الله حاكمة لا محكومة وكل من يخضعها لأحكام العصور ويؤول نصوصها ليذللها لأحكام الزمان والمكان والأقوام من غير طرائق التأويل المستقيم، انما يجعل شرع الله هزءا ، وينزل به من عليائه ، ويجعله خاضعا لأغراض الناس ، ولو كانت ظالمة ، بل ولو كانت مشتقة من الأهواء والشهوات » الى أن قال : « فنحن نرى أن كل نص قطعى من الشارع يطوى في ثناياه المصلحة من غير ريب ، وأن المصلحة والعرف انما يلاحظان حيث لا يكون نص ، ولا يسوغ بحال من الاحوال أن يلغى النص أو يؤول أو تشوه معانيه أو تذلل ، ليكون متفقا مع ما يراه بعض الناس مصلحة ، وأن محاولة تذليل الشرائع لتوافق العصور . هو الذى افسد الديانات القديمة . في العقائد وفى الأحكام الفرعية » .

ويرى الشيخ محمد الغزالى فى التأمين : « أن الأمر لا يزيد عن كونه محاولة للربح ومتاجرة بالكلمات واستغلالا لتهيب الناس من غدهم المبهم ونلاحظ على هذه المعاملات مآخذ خطيرة :

١ — فما يدفعه الشخص للشركة أن أخذه بعد مضى المدة المنصوص عليها في العقد (التأمين على الحياة) أخذه مضافا اله ربح هو ربا لا شك ، وان لم تمض المدة بل أراد فسخ العقد انتقص منه كثيرا مما دفع وهذا لا يجوز .

٢ — المبلغ الذى يؤخذ حال الوفاة أو الاصابة ليست له صورة مقبولة فقها فى المعاملات الاسلامية بل هو استيلاء على أموال الغير وليس العميل هنا شريك فى الربح والخسارة حتى يقتطع من أرباح

الشركة هذا المبلغ ان احتاج اليه وليس غيره من العملاء المؤمنين متبرعا بما يدفع حتى يسوغ اخذ مالهم .

٣ ــ هذه الشركات مقطوع بأنها توظف كثيرا من اموالها في أعمال ربوية صريحة .

٤ ــ الخير الذى يصيب بعض الطوائف الفقيرة من هذه الشركات قريب من الخير الناشىء من مشروعات اليانصيب وأشباهها والواجب تغليب روح التدين وتمحيض الخير لأربابه ابتغاء وجه الله .

٥ ــ التأمين بهذا المعنى ذريعة لجرائم احتيال كثيرة ترتكب لاقتناص المبالغ الكبيرة المرصودة للحوادث المفاجئة .

ولا شك اننا سمعنا عن العصابات الكثيرة التى تنشأ لاجراء التأمين على حياة بعض الفقراء أو الذين يقعون تحت سطوة هذه العصابات ثم يقومون بقتلهم بعد دفع قسط أو قسطين لشركة التأمين ليستولوا على قيمة التأمين الذى ينص فى عقده على ان المستفيد احد أعضاء العصابة . وعن لصوص الموظفين الذين يسرقون ما بعهدتهم من سلع في مخازن الشركات ثم يفتعلون حريقا لاخفاء معالم الجريمة ما دامت السلعة مؤمنا عليها وستدفع الشركة التعويض وعن أصحاب المتاجر والمصانع الذين اذا كسدت بضاعتهم امنوا عليها بمبالغ أكبر من حقيقة قيمتها وافتعلوا جريمة الحريق ليتخلصوا منها ويقبضوا التعويض من شركات التأمين ليظلوا كما كانوا على رأس قائمة رجال المال والأعمال المتحكمين فى مصائر الرجال .

وما أصدق وصف التأمين بأنه « استغلال لتهيب الناس من غدهم المبهم » .. اجل ، هو استغلال ومتاجرة .. لقد تاجر اليهود فى كل شىء حتى أمن الناس .. أمن الناس فى حياتهم اخترعوا له مسألة التأمين كعقد جديد من عقود المعاملات الراسمالية ، والراسمالية كما قلنا هى النظام المبنى عليه الربا والذى يقف اليهود وراءه منذ فجر التاريخ .

ولتقريب القول من الاذهان سأضرب مثلا بالتجارة الدولية التى بلغت عام ١٩٦٨ مائتين وعشرة بلايين من الدولارات فاذا كان معدل التأمين ــ من نقل وحريق وسرقة وغيرها من الاخطار ــ على هذه التجارة يبلغ ٠٫٠٢ ٪ (اثنين فى الالف) لكان ما حصلته شركات التأمين من رسوم اربعمائة وعشر ملايين من الدولارات .

ولنفرض ان باخرة غرقت ــ رغم ندرة ما نسمع عن غرق البواخر في العصر الحديث ــ فهل بلغ التعويض عنها خمسة أو عشرة أو عشرين مليون من الدولارات ؟.

فبأى حق تأخذ هذه الشركات الراسمالية تلك المبالغ الجسيمة ..؟ وكيف استطاعت هذه الشركات أن تفرض هذه الضريبة الباهظة على التجارة العالمية .؟ الا اذا كان ذلك هو نفس الحق الذى يستحل به زعيم القبيلة الجعل الذى يفرضه على السفتجة ــ كلمة فارسية بمعنى الضمان ــ التى كان يكتبها لتاجر العصور الوسطى لضمان سلامة قافلته عند مرورها في منطقة نفوذ القبيلة فى الصحراء فكان قائد القافلة يقدم هذه السفتجة لقطاع الطرق فيسمحون له بالمرور فى سلام طالما هم اضعف قوة من قبيلة كاتبها وكان ذلك في زمن اختل فيه الامن وسادت شريعة الغاب وما قال احد بأن هذا الجعل حلال .

وإذا نظرنا الى طبيعة تكوين هذه الشركات ومكونات رأسمالها وطرق استغلالها وجدنا أن أهم هذه المكونات هي :

١ ــ جزء من أموال وثائق التأمين على الحياة يوجه الى بناء العقارات .

٢ ــ وجزء يوجه الى الاستثمار في السندات بمختلف أنواعها سواء على الحكومات أو الشركات لضمان ربح سنوي ثابت .

٣ ــ وتقوم هذه الشركات بعمليات الاقراض بضمان وثائق التأمين للمؤمنين أنفسهم بفائدة مقابل الاجل .

٤ ــ كما أنها تعطي فوائد على أقساط التأمين على الحياة للمؤمنين الذين يبلغون بأعمارهم استحقاق عقد التأمين .

٥ ــ رسوم التأمين ضد مختلف الأخطار من حريق وسرقة وحرب وغيرها وهي لا ترد .

وإذا كان التأمين بمفهومه الحديث ضرورة من ضرورات الوجود الاقتصادي المعاصر فلماذا لا تقوم الحكومة المصرية مثلا بالتأمين على قطاراتها التي تقدر بعشرات الملايين من الجنيهات ؟ ولماذا لا تقوم بالتأمين على مبانيها وهي بمئات الملايين ؟ وكذلك الاثاث الموجود بمباني الحكومة ومكاتبها لا يتم التأمين عليه ضد الحريق ولا السرقة ؟

لأن رسوم التأمين ستشكل عبئا كبيرا على ميزانية الدولة هي في غنى عنه لأن الخسارة المحتملة اثناء العام ستكون أقل من الرسوم المدفوعة ولا شك ولأن الخسائر سيتحملها أولا وأخيرا المواطن المصري دافع الضرائب أو صاحب السهم في شركة التأمين فيتساوى الامر اذن بين اجراء تأمين طرف شركاته أو لا تأمين أصلا .. بل الأصح هو عدم التأمين لأن عبء الحوادث أخف على الدولة من رسوم التأمين .

وهنا يبرز سؤال آخر : لمن اذن وجد نظام التأمين هذا ؟

هذا التأمين وجد أولا لمصلحة الفئة الرأسمالية المستغلة من أصحاب شركات التأمين وثانيا لدعم فئة أخرى من فئات الرأسمالية تحتكر التجارة والصناعة في مختلف بلدان العالم الرأسمالي . .

فشركات التأمين لا تسمح للصولجان أن يسقط من يد الاحتكارات العالمية بما تسارع بدفعه اليها في حالة حدوث أية كارثة كما تقوم المصارف الرأسمالية بدور لا يقل أهمية في دعم هذه الاحتكارات بما تقدمه لها من تمويل طائل لعملياتها الدولية والمحلية التي لا يستطيع التاجر العادي القيام بها .

ولو اننا أخذنا بنظام الاقتصاد الاسلامي متكاملا لأصبحت الدولة ــ دون ما حاجة الى تشريعات مستحدثة ــ هي صاحبة كل وسائل الانتاج الكبير في البلاد لأن الفرد في ظل هذا النظام اذا تمسك به واتقى ربه لن يتعمد مضاعفة ثروته من طريق حرام ومهما كان جهده الطيب فلن يحقق هذه الأرقام الخيالية التي تبلغها رؤوس الأموال الاحتكارية في العالم الرأسمالي .

والمجتمع الاسلامي الصحيح هو مجتمع التكافل والتعاون كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر » . (رواه الامام احمد في مسنده والامام مسلم ورواه البخاري ايضا في الأدب بلفظ : ترى المؤمنين) .

وكلنا يعلم أن عمر بن الخطاب قد فرض لكل مولود في الاسلام مرتبا من بيت مال المسلمين كما فرض لفقراء أهل الذمة — غير المسلمين — العاجزين عن الكسب والذين يظلهم المجتمع الاسلامى رواتب من بيت مال المسلمين وذلك يوم رأى يهوديا يتسول في المدينة .

« ويقرر فقهاء المسلمين ان الفقير العاجز اذا لم يكن له قريب غنى كانت نفقته من خزانة الدولة وينفذ ذلك بطريق ادارى ويزيد فقهاء الحنفية ان ولى الامر ان لم ينفذ ذلك كان للقاضي الحكم بتنفيذ هذا ويلزم حكمه بيت المال وهذا الحكم ينفذ فى بيت المال الخاص بالضوائع وهو ما يزال قائما .. والضوائع هى الاموال التى لا مالك لها والتركات التى لا وارث لها » وقد حث الاسلام على اقراض المحتاج قرضا حسنا سدا لحاجته وتنفيسا عن كربته وقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك الثواب العظيم والأجر الحسن ، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل قرض صدقة » رواه البيهقى والطبرانى باسناد حسن ، ويقول صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه « من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة » رواه مسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

ومن بين مصارف الزكاة « الغارمون » وهم المدينون في غير معصية الذين لا يستطيعون السداد ومثل هؤلاء التاجر الذى ضاعت تجارته في عرض البحر فنرى أن الاسلام قد جعل له حقا فى بيت مال المسلمين ، وقبل ان يكون هناك بيت مال وكان المجتمع الاسلامى مجتمعا فقيرا فى دور التكوين نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يلزم دائنى مثل هذا التاجر بالتنازل عن بعض ديونهم، فقد روى عن أبى سعيد الخدرى انه قال : « أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه فلم يبلغ وفاء دينه فقال الرسول عليه السلام لغرمائه « خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك » . وهو نفس ما تقضي به المحاكم التجارية في قضايا التفاليس اليوم .

بل ان التكافل الاسلامى يمتد الى ابعد من ذلك في تأويل معنى الغارمين فيشمل « الذين التزموا بدُيون للصلح بين الناس فيؤدى عنهم بيت مال الزكاة هذه الديون ولو كانوا قادرين على الوفاء لأن فى تعهد الشرع بسداد الدين عن المدينين تشجيعا على القرض الحسن لأنه لا يذهب دين على صاحبه بأفلاس أو نحوه ولأنه ان عجز عن الاداء فسيؤدى عنه من الزكاة » .

كما يقرر الفقهاء أن هناك واجبا عينيا فى مال الفرد وواجبا كفائيا فى مال الجماعة يرصدان كلاهما لتلافى العيلة ومحاربة النوائب ، والأمة المؤمنة العادلة هى التى تمشى فى ضياء من ايمان دينها وعدالة نظمها فلا يهون فيها رجل ولا يظلم فيها فرد ولا يغيم مستقبل ومثل هذه الأمة هى التى تحظى بأقساط وافرة من التأمين الشامل لكل صغير أو كبير من ابنائها **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)**

ولتحقيق هذا الامن للناس حتى يمضوا فى أعمالهم منتجين مطمئنين

لا ترهق تفكيرهم ظلال المستقبل المظلم تحاول حكومة مصر الان توسيع قاعدة المعاشات لتشمل جميع طوائف الأمة من عمال التراحيل الى اصحاب المهن الحرة من تجار ومحامين واطباء وغيرهم .

ونختتم هذا الباب بذكر ما حدث فى الجزيرة العربية عام الرمادة عندما نزل القحط بالجزيرة وعم الجوع فتضافر العالم الاسلامى كله لدفع غائلة القحط والجوع عن اخوانهم في الدين . فأى عقد من عقود التأمين يغطى مثل هذه الكارثة ؟ .

انه عقد الأمن الاسلامى الذى غطى اخطار الموت والعجز والشيخوخة واليتم وشمل المجتمع الانسانى كله الذى يستظل برايته بلطائف رحمته وجعل من هذا المجتمع اخوانا يتقاسمون كل خير ويتعاونون على البر حتى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الاشعريين اذا ارملوا في الغزو او قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كا نعندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » (رواه مسلم) ومعنى ارملوا : فرغ زادهم أو قارب الفراغ . وجعل مسئولية الحاكم عن الرعية مسئولية يفرق منها العادل عمر حتى ليقول « لو عثرت بغلة في العراق لسئلت عنها:لم لم اسو لها الطريق ؟ » فأين هذا من تعويضات شركات التأمين الملوثة بسوءات الراسمالية ؟

اخيرا اود ان انبه المخدوعين الذين يدعون ان عقد التأمين قائم على فكرة التعاون بين المستأمنين الى الحقيقة المرة فى امر شركات التأمين التي تغتصب ملايين الجنيهات سنويا من جيوب الناس في العالم وتفرض اتاوتها على شعوب العالم أجمع .

ان هذه الشركات رفضت اعادة التأمين على اقطاننا وبضائعنا منذ حرب السويس عام ١٩٦٧ حتى الان (٧٤) وهو نفس ما حدث خلال الحرب العالمية الثانية لأن هذه الشركات ابعد ما تكون عن فكرة التعاون او الاخاء الانسانى وكل همها هو اغتصاب اكبر قدر ممكن من اموال الناس تحت هذا الشعار الكاذب .

ولذلك اضطرت حكومة مصر الى العودة الى النظام الاسلامى الذى يقضى بتعويض الغارمين من بيت مال المسلمين وذلك عن طريق فتح اعتماد خاص لمقابلة اخطار الحرب الحق بميزانية الطوارىء لتدفع منه التعويض للمستأمنين .. فأى النظامين أولى بالاتباع ؟

ومن هنا يتضح أن الاسلام هو دين الله العام الخالد ، جاء لاصلاح الحياة وقيادة مسيرتها الى الأمان والسلام وقد حرص الاسلام على أن تقوم العلائق بين الناس على اساس من التراحم والتعاون لا على اساس من التزاحم على المادة واستغلال الانسان لاخيه الانسان . ولن تجد الانسانية صوابها ورشدها الا فى هذا الدين . ولن تجد اجمع لمناهج الاصلاح ، واحفظ للحقوق واشمل لانواع المعاملات السليمة الا فى الاسلام الذى تقوم تعاليمه برهانا على صدقه وصلاحه **(يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا)** ١٧٤ ــ النساء .

الفتاوى

للشيخ عطية صقر

اختلاف ثمن البيع

السؤال :

تاجر يبيع بثمن حاضر شكل ، وبالدين يبيع بثمن شكل ، فهل هذا حلال أم حرام .. ؟

جبريل محمد عبد القادر ـ الأردن

الاجابة :

لو عرض تاجر بضاعة بسعر حال كدينار مثلا ثم عرضها بسعر مؤجل كدينار ونصف مثلا ، فلا مانع من ذلك ابدا ، والمشترى حر يختار اى السعرين ، ولا يدخل ذلك فى باب الربا .

اليانصيب ..

السؤال :

هل اليانصيب الخيرى حلال أم حرام .. ؟

عطا عبد الله حسين المصرى ـ الأردن

الاجابة :

كل أنواع اليانصيب حرام ، بصرف النظر عن الجهة التى أصدرته والجهة التى تستفيد منه ، ومن أراد أن يساعد جهة خيرية فلتكن المساعدة بالتبرع لا باليانصيب الذى خربت به بيوت كثيرة لا تقصد منه المساعدة الخيرية ، بل تقصد الفوز بالورقة الرابحة .

التيمم مع وجود الماء

السؤال :

دخل شخص المسجد فوجد الامام فى آخر ركعة من صلاة الجمعة ، هل يحق له التيمم حتى يدرك صلاة الجمعة مع العلم بأن الماء موجود .. ؟

الاجابة :

التيمم من اجل ادراك الصلاة خوف خروج وقتها ، مع وجود الماء ، اختلفت فيه آراء الفقهاء ، فالشافعية لا يجيزونه مطلقا ، سواء أكانت الصلاة صلاة مكتوبة أم صلاة جمعة أم صلاة جنازة أم صلاة عيد أم صلاة غيرها . والحنابلة يجيزون التيمم لأية صلاة خوف خروج وقتها . والمالكية قالوا : يتيمم لما يخشى فوات وقته ولا يعيد الصلاة على المعتمد ، أما الجمعة ففى صحة التيمم لها قولان ، والمشهور انه لا يتيمم . والحنفية قالوا : لا يتيمم للنوافل غير المؤقتة ، أما النوافل المؤقتة كالرواتب وكذلك صلاة العيد وصلاة الجنازة فيتيمم لها ، والجمعة لا يتيمم لها مع وجود الماء ، بل يفوتها ويصلى ظهرا بدلها بالوضوء ، وكذلك الصلوات المكتوبة .

والخلاصة أن الذين يجوزون التيمم لادراك صلاة الجمعة هم الحنابلة فقط .

الزوجة والصلاة

السؤال :

لى زوجة آمرها بالصلاة ولكنها لا تصلى ، اما تكاسلا واما بحجة انها لا تعرف كيفية الصلاة ، فهل يحاسبنى الله عليها .. ؟

الاجابة :

الزوجة التى لا تصلى اذا ادعت جهلها بكيفية الصلاة وجب على زوجها أن يعلمها بنفسه أو بمن يراه ، أما المتكاسلة عنها مع علمها بكيفيتها فهى آثمة ، وعلى الزوج أن يأمرها ويشدد فى الأمر بكل الوسائل حتى تستجيب ، فان استجابت والا هددها بالهجر وعدم تلبية رغباتها الكمالية . فان أصرت هل يجوز له أن يضربها .. ؟ قال الامام الغزالى : له حملها على الصلاة قهرا . وقال ابن قدامة الحنبلى فى معجم الفقه : ان للزوج ضرب امراته على ترك الفرائض ، وان لم تصل احتمل الا يحل له الاقامة معها . لكن رأى بعضهم أن الزوج لا يملك حق تعزيزها على هذه الحقوق المتمحضة لله ، فذلك من اختصاص الحاكم .

فان أصرت على الرغم من كل الوسائل المتقدمة لم يبق الا الانكار بالقلب وعلامة صدقه أن يتغير سلوكه معها ، كعدم مباسطتها وعدم امتاعها بالكماليات . وهذا الموقف الايجابى قد يحملها على الصلاة ، وفى الوقت نفسه يدفع عنه وزر المشاركة فى ذنبها ، فان الراضي بالمعصية شريك فى الاثم .

غير أن اصرارها على عدم الصلاة لا يحتم عليه أن يطلقها ، فهو صاحب الشأن وله الخيار ، ان شاء أمسكها وان شاء طلقها ، والدين أباح للمسلم أن يتزوج الكتابية ويمسكها عنده على الرغم من عقيدتها الباطلة ، وليست المسلمة العاصية لربها بترك الصلاة بأسوأ منها مهما بلغ الحال .

حج المرأة بدون محرم

السؤال :

هل يجوز حج المرأة بدون محرم معها .. ؟
محمود حسن عبد القادر

الاجابة :

روى البخارى ومسلم قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا ، الا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها » .

قال النووى فى شرح صحيح مسلم : اختلف العلماء فى اشتراط المحرم فى الحج ، فاشترطه ابو حنيفة الا أن يكون بينها وبين مكة دون ثلاث مراحل ، وقال الشافعى فى المشهور عنه : لا يشترط المحرم ، بل يشـــترط الأمن على نفسها ، قال أصحابنا : يحصل الأمن بزوج أو محرم أو نسوة ثقات . وقال بعض أصحابنا : يلزمها ــ أى الحج ــ بوجود امرأة واحدة ، وقد يكثر الأمن ولا تحتاج الى أحد ، بل تسير وحدها فى جملة القافلة وتكون آمنة . والمشهور من نصوص الشافعى وجماهير أصحابه هو الأول . ا هـ .

بعد ذلك نوجه النظر الى أن من اشترط المحرم اشترطه لوجوب الحـــج عليها ، ولرفع الاثم والحرج عنها لسفرها بدونه ، لكنها لو خرجت للحج بدون المحرم فان حجها يصح متى استوفى أركانه وشروطه ، ويسقط عنها الفريضة ، وان كانت قد أثمت لخروجها بدون زوج أو محرم . والله أعلم .

الأكل من ذبيحة النذر

السؤال :

نذرت لله ذبيحة ، فهل يحق لى أن آكل منها أنا وعيالى والجيران ، وهل الأفضل أن أوزعها لحما غير مطبوخ أم أطبخ اللحم وأدعو له الفقراء والجيران والأرحام .. ؟ وهل يجوز الأكل من الضحيه المنذورة .. ؟
عبد الله محمد عبد الله ــ الأردن

الاجابة :

من نذر ذبيحة لله نذرا صحيحا لا يجوز له أن ينتفع بشيء منها مطلقا حتى جلدها ، بل يجب عليه أن يوزع ذلك كله للمستحقين من الفقراء والمســاكين ، والأولى أن يوزعه لحما غير مطبوخ ، وهم أحرار فى كيفية الانتفاع به . ويقال مثل ذلك فى الأضحية المنذورة .

افضل الكتب المنزلة

السؤال :

ما أحسن كتاب من الكتب المنزلة بعد القرآن .. ؟

الاجابة :

لا شك أن القرآن أفضل الكتب المنزلة لأنه مهيمن عليها جميعـــا ، ولأنه كتاب أفضل رسل الله ، وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الـــكتاب ومهيمنا عليه)** المائدة/٤٨ .

أما المفاضلة بين الكتب الأخرى فلم يرد فيها نص يعتمد عليه من قرآن أو سنة ، وهى كلها من عند الله،ولسنا مكلفين باعتقاد افضلية واحد منها ، فلنترك البحث فى ذلك ، ولنوجه اهتمامنا الى معرفة ما كلفنا به والاجتهاد فى تنفيذه .

بناء المسجد الأقصى

السؤال :

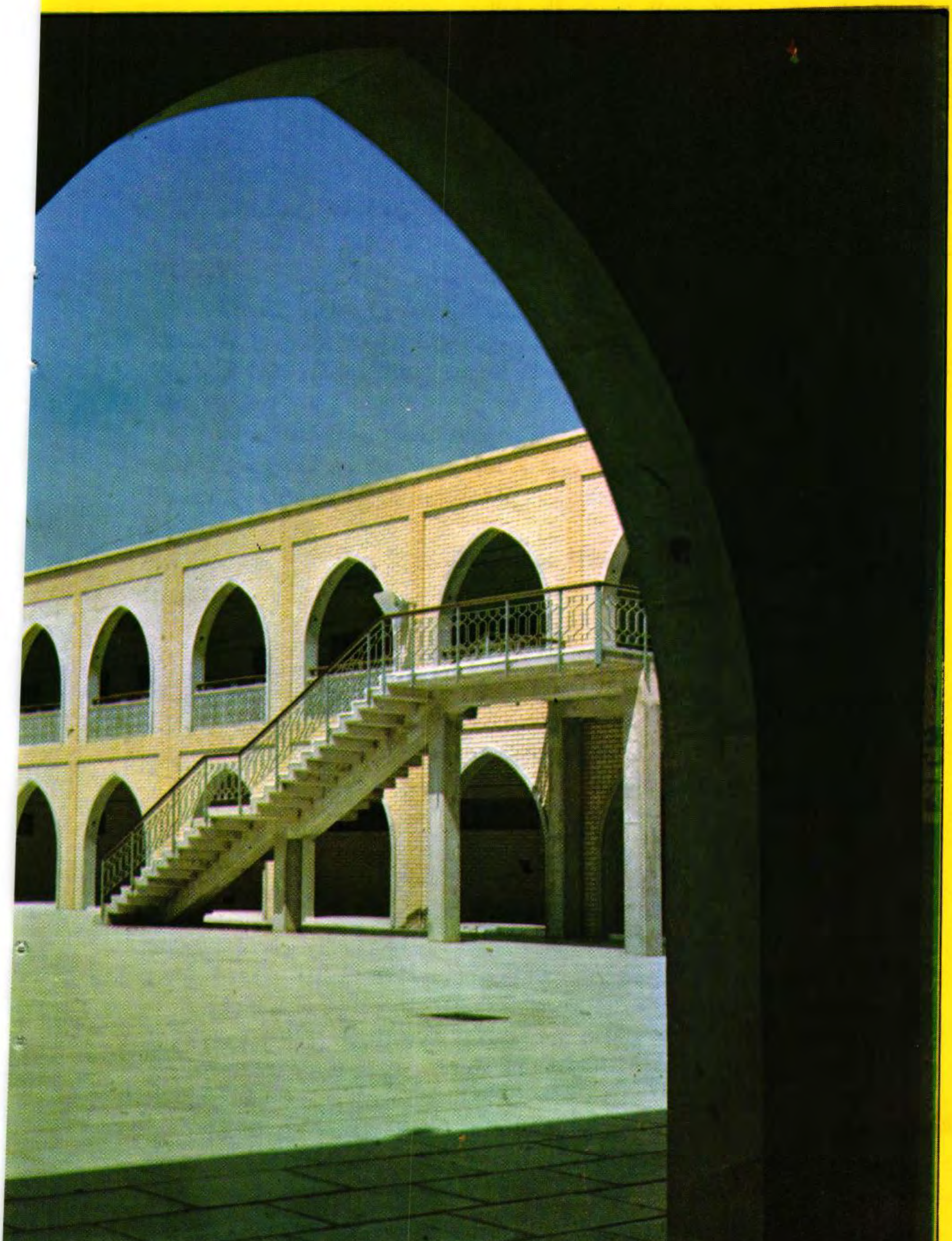
جاء فى سورة الاسراء : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المســجد الحرام الى المسجد الأقصى) ولكنى علمت أن الذى بنى المسجد الأقصى هو سليمان بن عبد الملك ، وهو خليفـــة من خلفاء الدولة الأموية ، فكيف أسرى بالرسول اليه وقد تم بناؤه بعده بسنوات طويلة .. ؟

اسماعيل درويش ــ الكويت

الاجابة :

جاء فى الصحيحين عن ابى ذر رضي الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الأرض فقال (المسجد الحرام) ثم قال له : ثم أى ؟ فقال (المسجد الأقصى) ثم سأله : كم بينهما ؟ فقال (أربعون عاما) .

قال العلماء : الذى بنى المسجد الحرام أو رفع قواعده هو ابراهيم عليـــه السلام ، أما الذى بنى المسجد الأقصى فهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، أى وضع أساسه ، وكان ذلك بعد بناء جده ابراهيم للمسجد الحرام (الـــكعبة) بأربعين عاما ، ثم توالت عليه أيدى التجديد ، وكان اشهر تجديد له ايام سليمان ابن داود عليهما السلام ، فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كان المســجد الأقصى موجودا ، وكان الاسراء اليه ، فالذى حدث لهذا المسجد بعد تأسيسه الأول هو تجديد فقط ، وما كان من خلفاء المسلمين وملوكهم كالوليد بن عبد الملك فهو على هذا النحو ، كما حدث ذلك أيضا للكعبة نفسها قبل البعثة وبعدها . راجع مقدمة ابن خلدون .

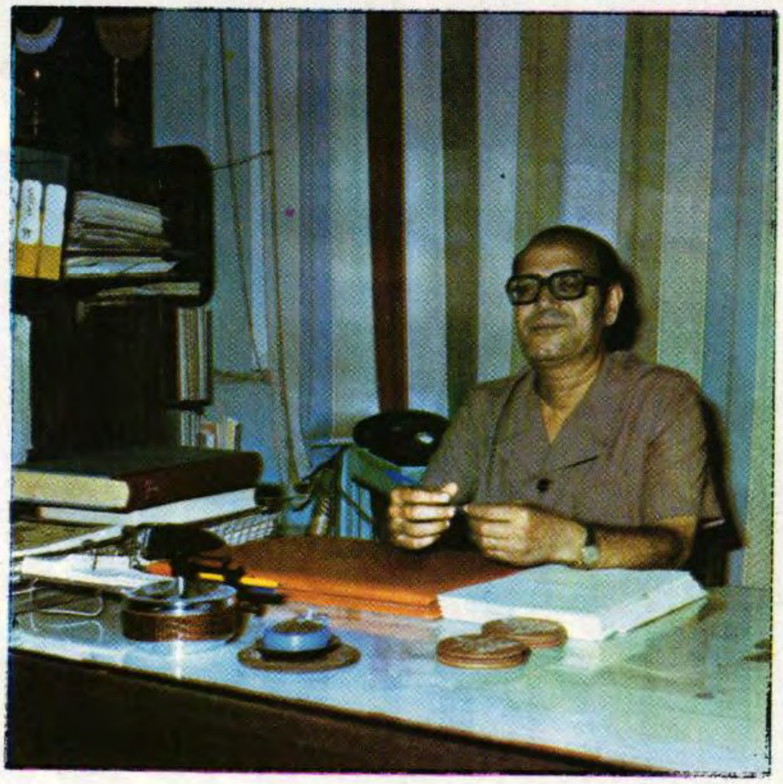


المعهد الديني بالكويت



اعداد : عبد الحميد رياض

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليـه وسلم قال : « ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكـلأ والعشب الكثير وكان منهاأجادب أمسكت الماء فنفع الله بهاالناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت طائفة منها أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به) متفق عليه .



الاســــتاذ عبد الرحمن سالم مدير المعهد الدينى

في عصرنا الحديث عصـر الـذرة والتكنولوجيا طغت الماديات بشكـل ملـك علـى النـاس ناصيـة الأمـر منهـم ، وتشغـل تفكيرهم ، فاصبح جـل همهـم أن يلحقـوا بركب الحضارة بشكل ، او بآخـر .

وبات معظم الناس في امة الاسلام وقد بهرهم التقدم ، وتشدهم السبق فظلوا جامدين متعجبين رضوا بـان يكونوا مع الخوالف ، وقد منحهم الله كل مقومات الحضارة لتكون لهم اليد الطولى في بناء الحياة، وظـن الذين يزيفون الحقائق ويطمسون المعالـم ويطفئون المشاعل ويثبطون الهمم أن بذورهم قد أوشكت أن تؤتي ثمارها وأن أبناء الاسلام قد جاوزوا الطريق أو حادوا عن دينهم وهو مصدر عزتهم ومبعث قوتهم .

ونقول للذين بهرهـم هذا التقدم أن الانهيار في الحضارة الغربيـة وشيك ، لأنها نمت بعيدة عن الايمان وتغذت بلبان الالحاد ، فلم تكـن الا تقدما ونهضة ، باعدت بين الانسان ومبدعه الذي وهب له العقل مـن نوره ، وكانت مرتعا خصبا لكـل نوازع النفس الشيطانية ، والمبادىء التي ضلت الطريق ، وتنكبت الجادة فكان أن عمت مذاهب شتى ، واخلاق لا عاصم لها من دين أو خلق .

وليس من سبيل يعيد للمسلمـين ما كان لهم من سبـق في كل مناحي الحياة الا ان يعودوا الى كتـاب ربهم ، فيتدارسوه بوعي ، ليكـون الهادي لهم ، كما كان لسلفهم ، وان يقبلوا على سنة رسولهم ، ففيهـا العلاج الناجع لكل الأمراض ، فلن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلـح بـه اولها .

من هذا النبع الصافي يرتـوي جيلنا الصاعد ونبني امة الحق على هدى من كتاب الله ، وسنة رسوله



الاستاذ أحمد عبد القادر
وكيل المعهد .

ونخرج أجيالا ، مؤمنين ، واعين، فاهمين لدينهم نقيم بهم خط دفاع قوي نصد بهم غارات الالحاد ، والزندقة الوافدة ، بكل أشكالها والتي وجدت في وطننا أرضا خصبة، وشبابا قد مزقه الضياع ، وشده الى هاوية التقليد الأعمى مصداق ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن » .

ان تثقيف الشباب بثقافة الاسلام هو طوق النجاة من هذا البلاء الذي احاط بنا ، وصرف أبناءنا عن دينهم وقطع صلتهم بماضيهم وامجادهم . لأن كل الثقافات الاخرى ثقافات طارئة دخيلة ، نتاج أمة لها مشاكلها الخاصة ، وبيئة تربت فى مادية صرفة او روحية صرفة ، وهي لذلك لا تناسب أمتنا التي لا تصلح الا بمنهج الله الذي يتمثل فى كتابنا الكريم ، وسنة نبيه العظيم ، ويأخذ امتداده على أرض مسلمة .

وحرى بنا أن نعيش مع هذا المنهج الذي ارتضاه الله لنا « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ولا شك أنه دين ومنهج حياة .

وفى جولتنا هذا الشهر نعيش بعض الوقت مع منهج الله ، في معهد ديني يهتم بتربية وتنشئة أجيال أتوا راغبين ، تدفعهم نية صادقة ، وثقة غامرة ، ورغبة صادقة في معرفة دينهم ، يستقونه من كتاب الله وهدى نبيهم .

وكان هذا اللقاء مع الاستاذ عبد الرحمن سالم مدير المعهد الديني بالوكالة وهو من مفتشي وزارة



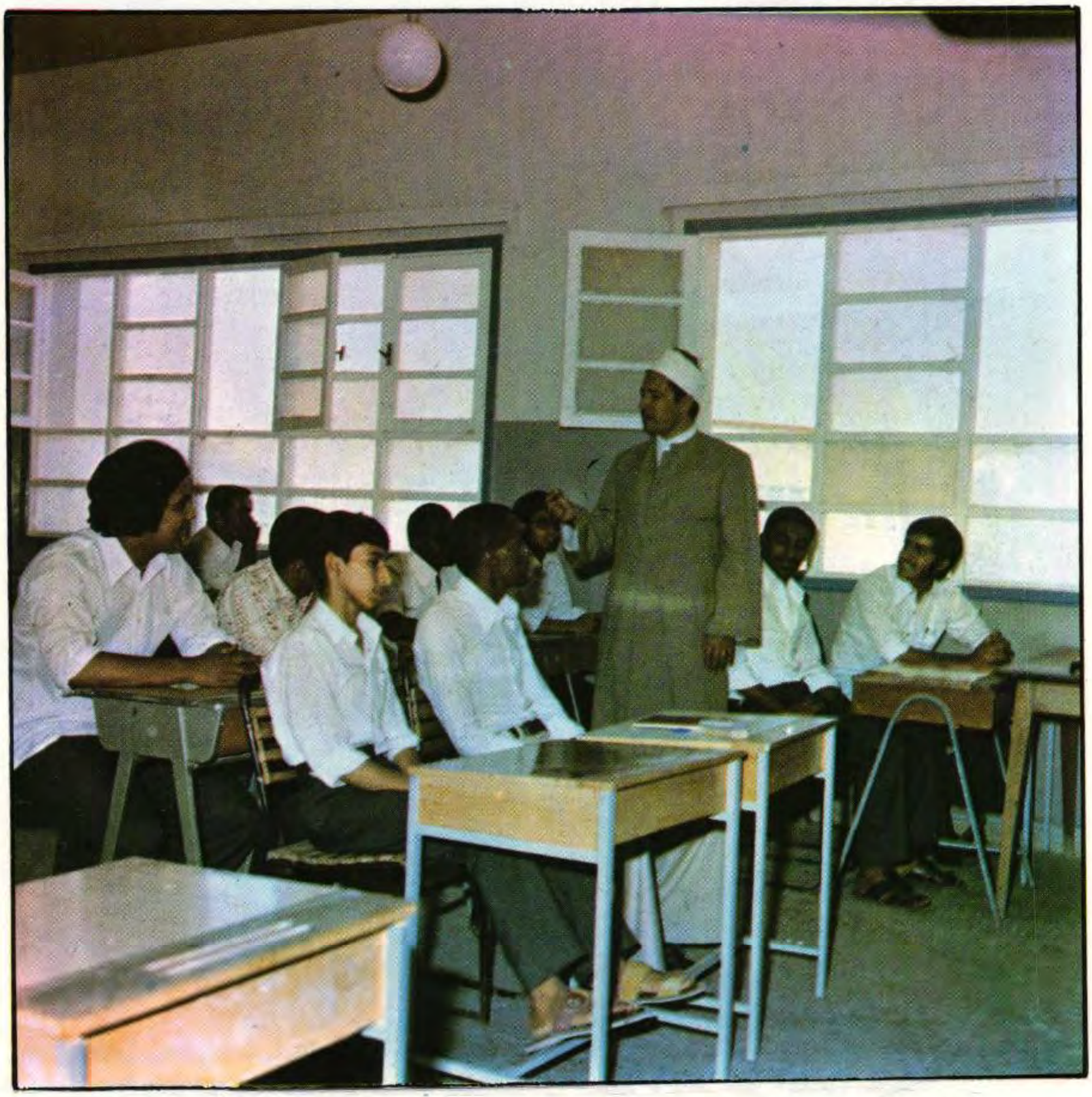
مكتبة ملائمة لحجم المعهد ورسالته يتزود منها الطلاب ما يعينهم على الدراسة .

التربية بالكويت وله نشاط علمي معروف فقد عمل ملحقا ثقافيا بلندن واستاذا للدراسات الاسلامية بجامعة مدراس بالهند .

والاستاذ أحمد عبد القادر وكيل المعهد الذي رافق مسيرة المعهد مدة طويلة ، وبذل جهودا مشكورة في خدمة العلم وله أثر واضح في تنظيم المعهد وحسن ادارته ، يميل بطبعه للاخلاص في عمله وسلوكه ، وهو من ابناء المعهد البررة به ، تعلو وجهه سيما الصلاح المتسم بالجد وهو من خريجي الأزهر الشريف (كلية أصول الدين) ودار هذا الحوار بيننا :

عن تاريخ انشاء المعهد ليكون الصرح المتين ، أمام كل التيارات والثقافات يقول مدير المعهد الاستاذ عبد الرحمن سالم .

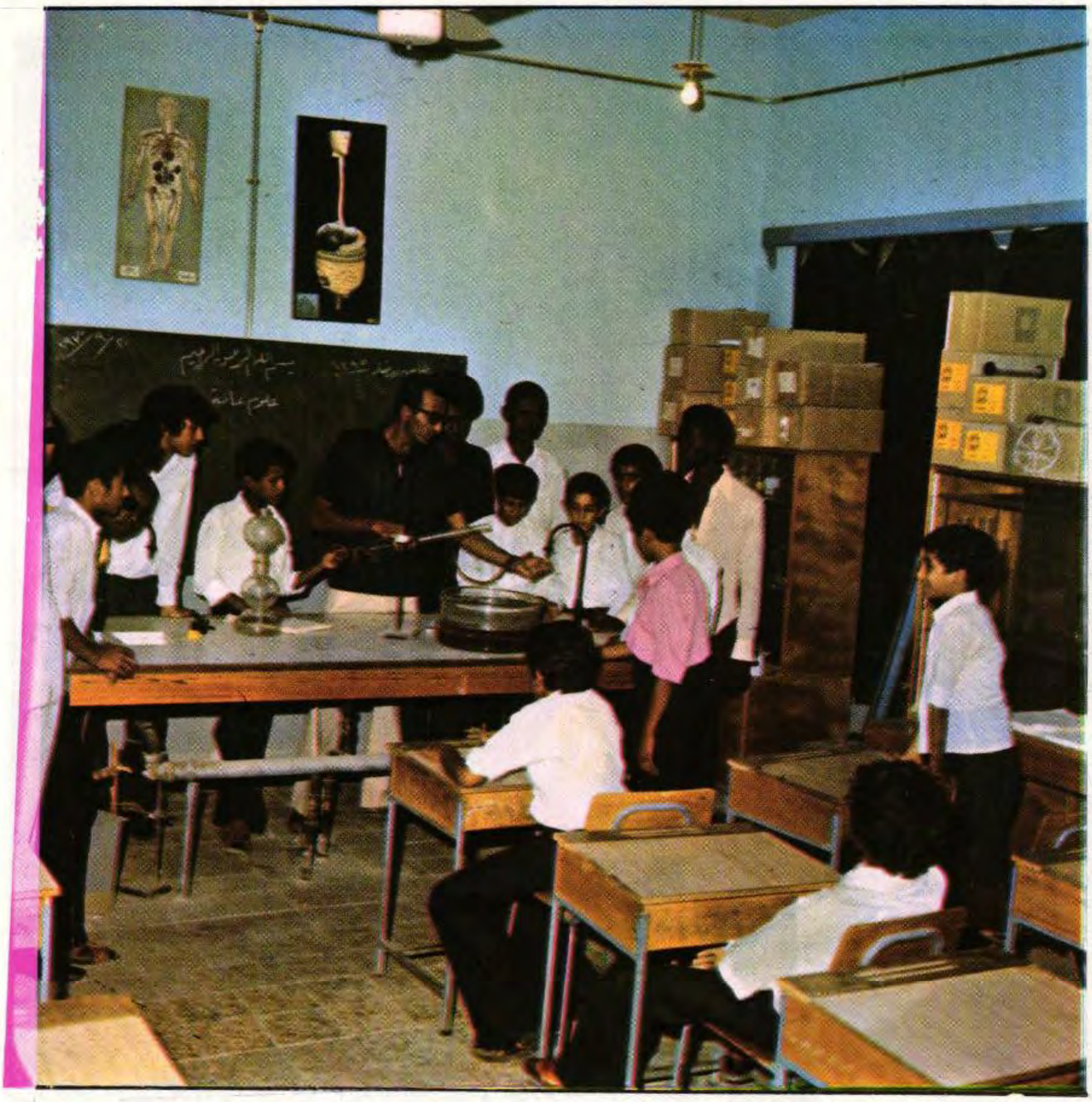
ان فكرة التعليم الديني بالكويت قديمة رافقت أجيالا مختلفة من رجالات الكويت ، وصبغتهم بصبغة



أحد أعضاء بعثة الازهر الشريف للمعهد فى درس من دروس العلم

الله ، وقد أدت المدرسة المباركية هذا الدور حتى اشتدت الحاجة بشكل أرحب الى دراسة منهجية متخصصة ، فكانت فكرة المعهد الديني ، وقد انشيءعام ١٩٤٧م على نمط المعاهد الدينية بالأزهر الشريف وظل مرتبطا به عن طريق البعثات التي تفد اليه من يوم انشائه الى اليوم ، وقد واكب مسيرته علماء اجلاء بذلوا جهودا مشكورة فى خدمة العلم والأجيال المسلمة .

ويفخر المعهد الديني بصفوة من أبنائه وخريجيه يديرون دفة الأمور فى مختلف وزارات الدولة في العدل والأوقاف والشئون الاسلامية ، والتربية ، واجهزة أخرى عديدة ، ومنهم وزراء سابقون وحاليون ، ولهؤلاء جهدهم المشكور في تطوير الحياة فى الكويت تطورا يسير مع النهضة دون الاخلال بالعادات والتقاليد الاسلامية الأصيلة لهذا الشعب المسلم .



العلوم الحديثة تساهم بقسط مناسب فى المعهد ، وقد جهز المعمل تجهيزا حديثا ليتلاءم مع دوره .

ونتوجه بالسؤال للأستاذ أحمد عبد القادر وكيل المعهد ليحدثنا عن مراحل التعليم بالمعهد وموادالدراسة فيه ، وأثر المواد الحديثة على الطالب فيقول :

يساير المعهد النهضة العلمية فى الكويت ، ويتفاعل مع اهداف التربية الحديثة ، والدراسة فيه على ثلاث مراحل : **(المرحلةالابتدائية، والمرحلة المتوسطة ، والمرحلة الثانوية)** ومدة كل منها أربع سنوات ، ويقبل الحاصلين على الابتدائية والمتوسطة ويجوز النقل اليه من المرحلة المتوسطة بالتعليم العام .

وتعتبر المرحلة الابتدائية (الرافد) والشريان الذي يغذي المرحلتين التاليتين بطلاب مزودين بقسط كبير من القرآن الكريم ، ومبادىء العلوم الشرعية .

ومنهج المعهد فى مرحلتيه (المتوسطة والثانوية) هو التفسير والحديث ، والفقه بمختلف المذاهب



الوكيل والسكرتير منهمكان فى عمل اداري داخل المعهد .

(المالكي ، الحنفي ، الشافعي ، الحنبلي) والمنطق .

وعلوم اللغة العربية (من نحو وصرف وبلاغة وعروض وأدب) بجوار العلوم الحديثة (فيزياء وكيمياء وتاريخ وجغرافيا ورياضيات وتربية فنية) واللغات الأجنبية (الانجليزية والفرنسية) والصبغة الغالبة في مناهج المعهد تركز على دراسة العلوم الشرعية والعربية دراسة مكثفة ، ولها نصيب كبير من الحصص بين مواد الدراسة ودراسة العلوم الحديثة مكملة فقط ، ومناهجها مبسطة .

هذا ولحفظ القرآن الكريم أثره البالغ فى نجاح الطالب ، والعون على متابعة الدراسة بالمعهد ، وهناك اساتذة متخصصون لتدريس أحكام التلاوة والتجويد .

والاهتمام بحفظ القرآن الكريم فى الحقيقة ، انما هو نابع من ان كل العلوم الشرعية تدور حوله ، وكذا العلوم العربية .

ولذلك تبقى مادة (حفظ القرآن الكريم) بين مواد الدراسة في جميع المراحل بجانب العلوم الشرعية والعربية والعلوم الحديثة .

ومن هنا كان الاتجاه السائد في حقل التربية هو التمكين لهذا المعهد من الانطلاقة الجادة من اجل أن تكون رسالته في خدمة الجماهير العريضة من المسلمين ، لا على مستوى الكويت أو الخليج فحسب بل على المستوى الاسلامي الشامل .

من المسلم به ان الشباب في حاجة ماسة للدراسة الدينية ، خصوصا وأن وسائل التعرف على الثقافة الغربية اصبحت ميسورة وسهلة ، فهل هناك دوافع ترغب الشباب في الاقبال على الدراسة الدينية ؟



مجموعة من الطلاب مع أستاذهم فى رحاب المعهد

حول هذا يقول الاستاذ عبدالرحمن سالم مدير المعهد بالوكالة :

هناك دوافع كثيرة ، فواقع البيئة مسلم مدرك واع ، واولياء الأمور مرتبطون بدينهم ، مدركون لأهمية الدراسة الدينية ، وهم يدفعون بأولادهم ليحققوا فيهم خلق القرآن .

وتقدم الدولة حوافز مادية فتمنح الطالب في المرحلة المتوسطة خمسة عشر دينارا ، وثلاثين دينارا فى المرحلة الثانوية ، عدا الكتب والباصات التي تقوم بنقلهم الى مبنى المعهد .

كما أن المجالات التى يؤهل الطلاب للالتحاق بها كثيرة ، كلية الشريعة والقانون ، والآداب ، كلية الشرطة ، الكلية الحربية ، بالاضافة الى كليات جامعة الأزهر بالقاهرة (النظرية والعملية) وكلية دارالعلوم هذا والوزارة بصدد تشكيل لجنة لتطوير الدراسة في المعهد بحيث تتفرع المرحلة الثانوية الى شعبتين :



المبنى الجديد وقد بنى على الطراز العربي الاسلامى الاصيل ليناسب دوره الطليعى فى حقل التربية .

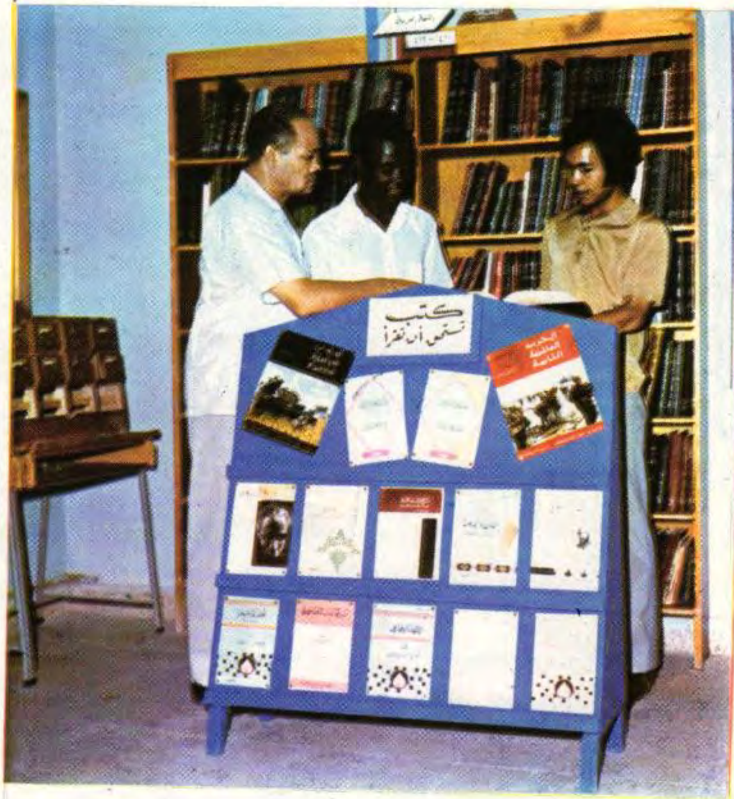
علمية وادبية .

كما لا يفوتني أن اقول إن بالمعهد العديد من الأنشطة المختلفة (ثقافية ورياضية) .

من المعروف ان الازهر يستقبل أبناء البلاد الاسلامية في مختلف معاهده العلمية ليكون الوافد اليه خير سفير للاسلام في بلاده ، فهل بالمعهد والدراسة فيه على غرار الدراسة بالأزهر وافدون لنفس الغرض ؟.

وعن هذا السؤال يحدثنا الأستاذ احمد عبد القادر وكيل المعهد فيقول :

المعهد الدينى منارة الكويت، وقبلة لاستقبال طلاب البعوث الوافدين من آسيا وافريقيا ، ويضم (قسم الاعداد) بالمعهد أكثر من (١٥٠) وافدا من جنسيات مختلفة تتكفل حكومة الكويت بتعليمهم ، واقامتهم والانفاق عليهم ، اسهاما منها في نشر الثقافة الاسلامية والتعاون الثقافي بين مختلف الأقطار وايمانا منها بأن الثقافة الاسلامية لا بد أن تسود ، وخصوصا في افريقيا ، وتمشيا مع هذا المنهج انشأت الحكومة مبنى جديدا للمعهد الديني يعد آية في البناء الهندسي العربي يتناسب مع أهمية وجلال رسالته ليبقى دائما الرافد الذى يمد هذا البلد بالمواطن الصالح الذى يجمع بين سمو الثقافة الدينية ، وتطور العلم ، ويضم في المرحلة الأولى جناحا للادارة ، وآخر للقسم المتوسط . وثالثا للقسم الثانوى ، ومكتبة ، ومعامل ، ومراسم وملاعب على أن تشتمل المرحلة الثانية على مسجد ومكتبة عامة ، ومساكن للطلاب الوافدين .



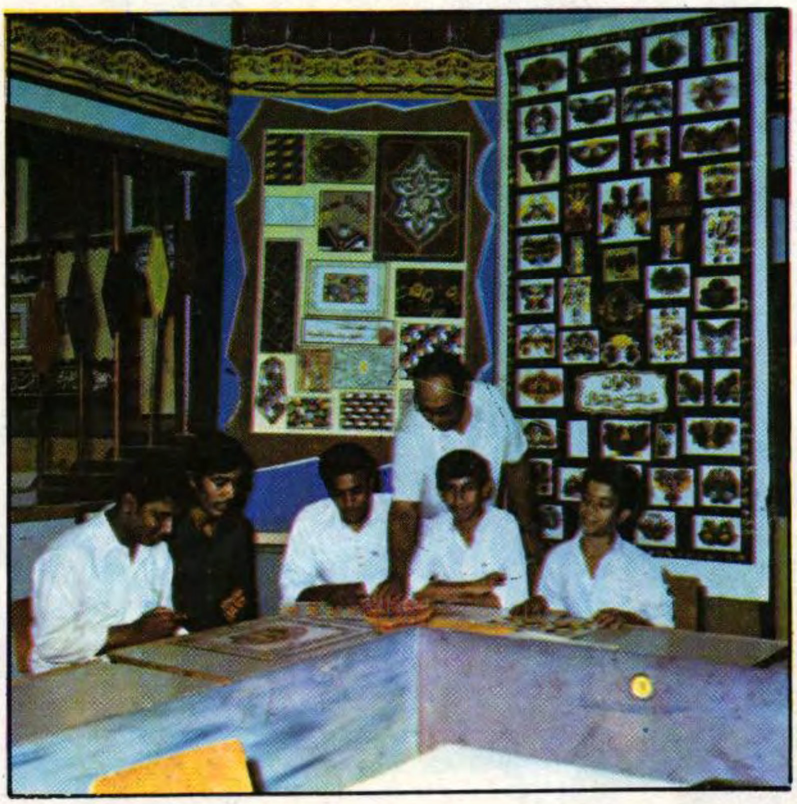
بعض الطلبة الوافدين وقد انهمكوا فى البحث فى المعاجم .

وبفضل الجهود المشكورة من الدولة ورعايتها للمعهد وحرصها على تنميته والنهوض به ، نرجو أن يظل هذا المعهد منارة مضيئة لطلاب العلم ، وأن يؤدى دوره المرجو فى خدمة هذا الوطن .

وبعد :

فانه لمن الواضح للمتتبع للتاريخ أن أمة الاسلام قد تعرضت لزحف كثيف من العالم الغربى المسيحى ونعطى مثلا على ذلك :

الحروب الصليبية ، وقد عقد قادة هذا الزحف العزم على الهدم والتدمير لينالوا من الاسلام وأهله ، وانتهى هذا الزحف بالاستيلاء على جزء من الأرض الاسلامية في فلسطين ، وقتل وتشريد مئات الآلاف من المسلمين لأنه جاء وقد انصرف المسلمون عن دينهم الذى نتج عنه تاخر تام في جميع ميادين الحياة ، فمن تخلف وجمود الى ركودوجهل ، ولكن الغازى لم ينل من غزوته هذه شيئا ، بل خاب أمله واندثر اثره ، وكذلك الزحف المغولى الذى عدا على الأمة وحطم دار الخلافة الا أن الغازي لم ينل ما يرجوه ، لأنه واجه الأمة مقاومته ووقفت فى وجهه فتنبه قادته والمدبرون له الى أن قوة هذا العالم تكمن في الدين نفسه ، فاتجهوا الى الاسلام وعملوا على نشر التعليم والتربية بكل الطرق ، وشجعوا نشر الثقافات التى لا تمت الى وطننا الاسلامى بصلة ، وخرج هؤلاء الحاقدون على الاسلام أجيالا تربت على موائدهم ، وكانت هذه الأجيال هى التى تولت التغيير والتبديل ، في كل ألوان الحياة ، وبدأت تتهجم بشكل مكشوف على عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا وأخلاقنا ، بل ديننا ، وانتشروا في كل مكان



التربية الفنية احـــدى المواد التى تشغل حيزا فى منهج المعهد منسجمة مع تعاليم الاسلام .

وخصوصا في الأجهـزة والمرافـق التعليمية ، وأنشأوا مدارس لتعليم الناشئة ، وعزلهم عن ثقافة أمتهـم المسلمة ، وابراز الثقافة الغربيـة بشكل جذاب ، واستطاعوا صـرف كثير من الناس عن التفكير وفق منهج القرآن .

وان خلاصنا اليوم يكمن في العودة الى ديننا ، ومحاربة الغزو الفكرى ، والاستعمار الثقافي، وتعميم الدراسة الدينية ، وتقديمها للناس في ثـوب نظيف ، ومنهج واضح ، وأسلوب قويم ليرتوي الظمأ ، وبذلـك نـرد الى حظيرة الايمان من شرد عنه ، وتسكت الأبواق الغربية في بـلاد الاسلام التي ملأت آذان الشعوب بالدخيل التافه ، وحرموها من المفيد النافع من تقدم صناعي ، وأبحـاث علمية ، وأتخموها بالأباطيل والأفكار الملحدة فقط ، فلم تجن الأمة مـن ورائهم الا الذل والفساد والتفكك .

والمعهد الدينى وأمثاله في البلاد الاسلامية أمل باق ، ومنهل صاف لمن يريد العلم ، وعنه يبحث لتتفتح الأفهام ، وتعي القلوب ، وتـزول الغشاوة عن الأبصار ، ونامـل أن يصبح هذا المعهد مؤسسة تربويـة اسلامية كبرى تخدم العالم الاسلامى كله ، وتمده بالعالم المتخصص فـى مختلف العلوم .

ويا حبذا لو أنشىء معهد للفتيات ، وأعيد القسم الابتدائى في المعهد ، وفتحت مدارس ابتدائية لتحفيـظ القرآن الكريم بالمحافظات .



قصة إسلامية

الشرطي الجديد

للأستاذ : عبد اللطيف فايد

على قدر الأمل فى الخليفة الجديد « عبد الملك بن مروان » كانت همته الى العمل .. لقد امتلأت كل النفوس فى الشام وفى مصر بالفرحة حين عهد اليه أبوه « مروان بن الحكم » بالخلافة من بعده ، فقد سبقته الى محافلها أخباره وصفاته وهو لا يزال شابا فى مقتبل العمر : فهو الناسك العابد ، وهو الحافظ لكتاب الله وسنة رسوله ، وهو الفقيه المحدث ، وهو الشاعر الأديب ، وهو الفارس الشجاع ، وهو العاقل الحكيم .

وعندما ولى الخلافة فى السنة الخامسة والستين من الهجرة كانت الدولة الاسلامية قد عدا عليها الاضطراب والتفكك ولم يمض على انتهاء عهد الخلفاء الراشدين أكثر من ربع قرن .

فالعراق تملأه الخلافات والتناقضات : للشيعة فيه حزب كبير وخطير وللخوارج حزبان .

والحجاز قد تمكن منه عبد الله بن الزبير الذى كان له فى العراق أيضا دعاة وأعوان .

وعلى الحدود بين العراق والشام قامت شبه دولة فى «قرقيسياء» ذات الحصون والأبراج يحكمها « زفر بن الحارث الكلابى » الذى تمرد على الخلافة الشرعية فى دمشق عقب هزيمة نكراء لحقتـــه فى « مرج راهط » على يد جند الخليفة السابق « مروان بن الحـــــكم » والد « عبد الملك » .

فى أول يوم تسلم فيه « عبد الملك » المسئولية الخطيرة نظر الى دولة المسلمين فساءه ما آل اليه أمرها .. ليس فيها سوى امارتين تحت لوائه هما « مصر والشام » .. أما بقية الدولة فالخلافات تمزقها والاحن تملأها ، وكل مدينة يقوم فيها من يدعو لنفسهأو لأحد ذويه .. والأخطار تهدد الدولة من شمال ومن جنوب ومن شرق ومن غرب .

ولم يدع « عبد الملك » فرصة لنفسه يستريح فيها .. وبدأ على الفور فى اخماد حركات صغيرة للتمرد قامت من حواليه ليتفرغ بعد ذلك للمهمة الكبرى فى توحيد الدولة ، ولم يتوان يوما عن التفكير والتقدير ، فأحكم خطته ، وأحسن تدبيرها ، حتى واتته الفرصة للعمل الكبير ، ليقضي على الخلافات التى مزقت الدولة الاسلامية ، ويوحدها كما كانت ، تحت لواء العزة بالدين ، والقوة بالحق ، والتآلف بالحب ، والنجدة بالمروءة .

بعد أربع سنوات كاملة من بداية حكمه وجد الوقت قد حان ليبدأ أول خطوة ايجابية على الطريق الصعب .. واختار أن يبدأ بحـــــرب « زفر بن الحارث الكلابى » **القائم** خلف الأبراج العالية والحصون المنيعة فى « قرقيسياء » .

واخذ يعبىء للموقعة جيشا قويا .. فهو ان تمكن من هذه المنطقة فقد سقطت فى يده العراق بكل خلافاتها ومتناقضاتها ، وعندئذ يستطيع ان يخلصها مما تعانى ، ثم يتوجه بعد ذلك الى الحجاز .

ولكن « عبد الملك » وهو يعلن التعبئة العامة فى روحاته وغدواته بين عسكره وجد فيهم تخاذلا وتباطئوا ، فكثير منهم لا يهرع الى القتال عند الاستنفار ، ولا يلحق بمسيرة أمير المؤمنين وهو ينطلق لاخماد الفتن فى بعض المناطق من الدولة ، مع أن الدين يأمرهم بقتال كل الذين يحاولون بمواقفهم هز بنيان الدولة واتساع الفتن والأحقاد فيها ..

وعبد الملك يعرف جيدا ان أمر العسكر يلزمه رجل يتفرغ له ، فأمور الدولة كثيرة ومتعددة ، وكل منها يحتاج الى من يديره .. وهو وحده لن يستطيع أن يقسم نفسه على كل هذه المهام بدقائقها وتفاصيلها .

فبعث الى مستشاره وأمين سره ورئيس شرطته «روح بن زنباع» ، وطلب اليه أن يحسم فى أمر العسكر المتباطئين .

قال « روح بن زنباع » للخليفة : **ان فى شرطتى شابا لو ولاه أمير المؤمنين أمر شرطة عسكره لأرحلهم برحيله ، وأنزلهم بنزوله ، وما جرأ واحد منهم أن يخالف أمره ، يقال له « الحجاج بن يوسف » أرى فيه يا أمير المؤمنين نجابة وذكاء ، وشجاعة وحسما ، لا يتراجع عن الحق حتى ينفذه ، ويدافع عن رأيه حتى ينصره .. وهو لهذا الأمر دون منازع .**

وخرج « روح بن زنباع » من مجلس الخليفة على الفور وهو يحمل أمره بأن يتولى « الحجاج بن يوسف » مسئولية الشرطى على عسكر الدولة .

وتلقى « الحجاج » الأمر ليبدأ فى التنفيذ من ساعته .. ومن فوق جواده طاف بكل معسكرات الجند ، يلقى عليهم اوامره باسم أمير المؤمنين ، ويتوعد من يتخلف عن السير فى جيش الأمير بالويل والثبور وعظائم الأمور .. فالأمر يتعلق بأمن الدولة ، وحمايتها واعادتها الى سابق مجدها ، ووحدتها ، وفتوحاتها وانتصاراتها ، ولا بد ان يفرغ كل فرد فيها الى الحرب والقتال .

وفى اليوم التالى كان الموعد ليأخذ الجيش طريق زحفه الى « قرقيسياء » .. وصدر الأمر الى كل المعسكرات أن يحتشد جنودها على أول الطريق خارج دمشق حاضرة الخلافة ..

وتفقد « الحجاج » تنفيذ هذا الأمر الخطير ، فوجد المعسكرات كلها قد انصاعت للنداء ، وخرجت تؤدى الواجب المقدس ما عدا معسكرا واحدا .. سأل عنه ، فقيل له انه معسكر اتباع « روح بن زنباع » مستشار أمير المؤمنين ، وامين سره ، ورئيس شرطته ، ولمكانة زعيمهم عند أمير المؤمنين لا يستطيع أحد أن يأمر فيهم أو ينهى ، فدعهم وشأنهم .

فأطرق « الحجاج » وقال : **« روح بن زنباع » ما هكذا تكون حاشية الأمير ، فهى أولى من غيرها بتنفيذ الأوامر ، وما استملح عامة الناس المخالفة الا لأنهم رأوا كبار عمال الدولة يخالفون ولا يحاسبهم أحد ، ويتصدرون المجالس والمحافل يدعون الناس الى العمل ولا يبدأون بأنفسهم ثم يتركون بدون عقاب .. والله لأجعلن من هذا النوع من الناس مثلة وعبرة ، ولو كانوا من حاشية أمير المؤمنين .**

وانطلق بجواده الى معسكر أتباع « روح بن زنباع » وعلى مشارف المعسكر ملأ أنفه رائحة شواء لحم الضأن وهم يتحلقون امام خيامهم يأكلون .. فنادى فيهم مستنكرا :

ــ أتأكلون الشواء هنا فى ظلال الخيام والجند يأخذ طريقه الى الحرب بقيادة أمير المؤمنين « عبد الملك بن مروان » .. ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين .. ؟!

فجاءه الجواب من أقرب خيمة اليه يهزأ به ، ويعيب أمه بأنهـــا كريهة الرائحة ، ويدعوه سافرا أن ينزل معهم الى الطعام .

فقال « الحجاج » : هيهات .. ثم أمر بهم من يستاقونهم مكتوفى الأيدى جماعات جماعات ، ويطوفون بهم فى العسكر ، والسياط تلهب ظهورهم .. ثم أمر بخيام « روح بن زنباع » فأحرقت بالنار .

ووصلت انباء هذه الجراة من « الحجاج » الى « روح بن زنباع » وكان هناك بعيدا بعيدا يتقدم مع الخليفة وهو يجهش بالبـكاء ودموعه تبلل لحيته ..

فسأله الخليفة عن سبب كربه المفاجىء ..

فقال : **يا أمير المؤمنين .. « الحجـاج بن يوســف » الذى كان بالأمس فى عديد شرطتى ، ضرب اليوم عبيدى ، وأحرق خيامى ..**

فأمر « عبد الملك » بالحجاج فأحضر اليه ..

فقال له : **ما حملك على ما فعلت .. ؟**

قال الحجاج : **جند يذهبون الى الحرب ، وآخرون ينعمون بالظـل ويأكلون الشواء !! لقد استنفرتهم مثل سائر الجند فلم ينفروا ، وما كانوا ليتباطئوا لولا قرب هذا الباكى منك .. ان شئت يا أمير المؤمنين عوضته عن خيامه .. أما ان تنقض عملى الذى قدمتنى له فهذا ما أنزه عنه أمير المؤمنين ، فانما يدى يدك وسوطى سوطك .. ولا يعفينى من الحق أن الذى قدمنى اليك هو أول الذين نزل بهم العقاب .**

فأقره « عبد الملك » .. وقربه منه ليكون سيف الدولة البتـار ، يخمد فيها الفتن ، ويوحد الامارات ، وتمتد على يديه الفتوحات هنـــا وهناك .

الأعياد في الإسلام

للشيخ/أحمد جلباية

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يفضل بعض الأيام والليالى والشهور على بعض ، وارشد عباده اليها ليتعرضوا فيها لنفحات الله ، بالجد فى العبادة والاخلاص فيها ، ليعظم ثوابهم من احسان الله ورضوانه ، والأعياد سنة فطرية ، جبل الناس عليها من قديم ، فكروا فيها وعرفوها منذ عرفوا الاجتماع والتقاليد والذكريات فلكل امة اعياد تظهر فيها زينتها ، وتعلن سرورها وفرحها .. والاعياد فى ادخالها البهجة على النفوس تعتبر بمثابة واحة فى صحراء العام تستجم فيها تلك النفوس من عناء الحياة ، وتسرى عن نفسها ما اصابها من جهد ومشقة وهى تقطع رحلتها الطويلة على هذه الارض .. وفى الجاهلية قبل الاسلام ، كانت للأمة العربية اعياد ولكنهم كانوا يملأونها باللهو واللعب ، ولما جاء الاسلام صحح اوضاع الأعياد ، وعدل مناهجها وجعلها تشير الى ذكريات نافعة وتدل على طريق الخير ، وتسوق النفوس اليه وتبث فى المجتمع مبادىء الحق والعدل والتراحم بين الناس ، روى النسائى وابن حبان بسند صحيح عن انس رضي الله عنه قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « قد ابدلكم الله تعالى خيرا منهما يوم الفطر والأضحى » . وفى رواية لابى داود عن أنس رضي الله عنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد للأنصار يومين يلعبون فيهما فقال : « ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر » .

وهكذا لم يحارب الاسلام فكرة العيد ، ولكن هذبها وسما بها ، ولم يرض الرسول الكريم أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، وذلك لتكون لهم الشخصية الاسلامية المتميزة ، لم يقبل صلوات الله وسلامه عليه أن تكون الأعياد المسلمة مرتبطة بآثارها الجاهلية ، وقائمة على أساسها ، فشرع للمسلمين عيدين مرتبطين بركنين عظيمين فى الاسلام : الحج والصوم .. واذا كانت الأمم تفرح فى أعيادها فرحا مطغيا ، وتلعب لعبا عابثا صاخبا ، وتلهو لهوا فاجرا ، ترتكب فيه الموبقات ، وتنتهك الحرمات ، وتسلب العقول بالشراب الآثم ، فان الأمة الاسلامية تفرح بأعيادها فرحا من طراز له جلاله ووقاره ، تفرح فرحا بريئا يفسح المجال للفطرة الانسانية لتأخذ امتدادها الطبعى المشروع فى مجال الحياة ، ويمد النفس بطاقة جديدة ، تعينها على عمل جديد ، فالأعياد فى الاسلام منطلق للعمل الدائب على طريق الكفاح والنضال ، والفرح فى أيامها فرح هادف معلم ، يحمل معنى ، ويشير الى غاية ، ويقرر مبدأ ، فهو فرح يؤكد فكرة ، أو يتوج نصرا .

وان اللعب المباح ، واللهو البرىء ، والغناء الحسن ، من شعائر الاسلام التى دعت اليها السنة المطهرة فى يوم العيد ، رياضة للبدن وترويحا عن النفس ، تقول عائشة رضي الله عنها فيما رواه أحمد والشيخان : « ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد ، فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لى منكبيه فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت » وكانوا يلعبون بالدرق والحراب ، والرسول الكريم يشجعهم وهو يقول : « دونكم يا بنى أرفده » وهو لقب الحبشة — والدرق جمع درقة وهى الترس الذى يتقى به المحارب السيوف والحراب والنبال — ورووا عنها أيضا أنها قالت : « دخل علينا أبو بكر فى يوم عيد ، وعندنا جاريتان تذكران يوم بعاث فقال أبو بكر : عباد الله أمزمور الشيطان ؟! — قالها ثلاثا — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وان اليوم عيدنا » ولفظ البخارى قالت عائشة : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث — وهو اسم حصن للأوس ، ويوم بعاث يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج — فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فأقبل عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال « دعهما » فلما غفل غمزتهما فخرجتا .. وتقول عائشة فى رواية أخرى انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة ! انى بعثت بحنيفية سمحة » وهكذا سمح الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالغناء فى بيته فى يوم العيد ليعلن عن سماحة الاسلام واتساقه مع الفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها ، ولا شك أن الغناء كان غناء هادفا يذكر أمجاد العرب ، وأخبار الفروسية والشجاعة فى القتال ، فيملأ النفوس حماسة وقوة ، ويكسب العزائم مضاء وتوثبا ، وقد وصف أبو بكر هذا الغناء بأنه مزمارة الشيطان ، باعتبار أنه يذكر بالخصومة التى كانت بين الأوس والخزرج فى الجاهلية ونظر اليه الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار ما انتهت اليه الأخوة

بينهما بعد أن أظلهما الاسلام برايته فهو من الغنـــاء البرىء الهادف ، وكذلك سمح الرسول الكريم باللعب فى ساحة المسجد يوم العيد .. ولكنه كان لعبا بريئا وضربا من التدريب والرياضة ، يمد البدن بالقوة والخبرة على استعمال السلاح ، وهكذا تلتقي فى الأعياد الاسلامية الروحانية المنطلقة الســـامية ، والمادية البريئة النافعة .

وقد توج الله شهر رمضان بعيد الفطر ، وجعل هذا العيد فرصة لاظهار السرور والشعور بالشكر لله على نعمة التوفيق لأداء فريضة الصـــوم ، وكما قرن الله الصوم بعيد الفطر ، قرن الحج بعيد الأضحى .. ففى الصوم تقشف وحرمان ، وحبس للنفس عما ألفت واعتادت من تناول الطعام والشراب ، فاذا استجابت لأمر الله وادت فريضة الصوم كاملة ، فرحت يوم العيد بأداء ركن عظيم من أركان الاسلام ، وبعودة الحرية اليها ، فهو فرح الانتصار على النفس ، وطاعة الله عز وجل ، وان هذا اليوم تسميه الملائكة — يوم الجائزة — روى الطبراني عن سعد بن أوس الأنصارى رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان يوم عيد الفطر ، وقفت الملائكة على أبواب الطـــرق ، فنادوا : اغدوا يا معشر المســـلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليـــه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد : الا ان ربكم قد غفر لـــكم فارجعوا راشدين الى رحالكم » .

والفرح فى عيد الأضحى ، مشاركة للحجاج فرحتهم بنعمة الله عليهم ، فقد دعاهم سبحانه لحج بيته الحرام ، فخفوا سراعا تلبية لهذه الدعوة الكريمة ، روى البيهقى عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ، ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا » .. وقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع منذنوبهكيوم ولدته أمه » وروى مالك والبخارى ومسلم وغيرهم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وبهذا يتأكد أن فرح المسلمين فى أعيادهم فرح بانتصارهم على جواذب الأرض ، وهواتف المادة ، فرح بانتصارهم فى المعركة الدائرة بين الخير والشر ، فرح بمبادىء تأخذ مكانها فى دنيا الناس ويمثل عليا تحيا عليها الجماعة الانسانية ، وتجد البشرية فى ظلها الأمن والخير والسلام .

ومن مظاهر الفرح فى عيد الفطر ، ادخال السرور على الفقراء والمساكين ، باعطائهم زكاة الفطر ، وسميت بذلك لأن سببها الفطر من رمضان ، وهى مقرونة بفريضة الصوم ، لأنها فرضت في السنة الثانية من الهجرة وهى الســـنة التى فرض فيها صيام رمضان ، وحكمة مشروعيتها ، انها طهرة للصائم من الخلل الذى يطرأ على صيامه ، وطعمة للمساكين ، وادخال البهجة والسرور عليهم وذلك

باغنائهم عن ذل الحاجة والسؤال فى يوم تعم الفرحة فيه المجتمع الاســـــلامى كله ، وهو يوم العيد . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « فرض رســـول الله صلى الله عليهوسلم صدقة الفطر ، طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، فمن اداها قبل الصلاة ، فهى زكاة مقبولة ، ومن اداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقة » ـــ رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

فالعيد يوم فرح عام ، وسرور شامل ، فينبغى أن يعم السرور أبناء المجتمع المسلم على جميع مستوياته ولن يفرح المســـــكين ويسر ، اذا راى الموسرين والقادرين يأكلون الوان الطعام، ويلبسون أحسن الثياب ، وهو لا يجد قوت يومه فى يوم عيد المسلمين ! فاقتضت حكمة الشارع أن يفرض للمسكين فى هذا اليوم ما يغنيه عن الحاجة وذل السؤال، ويشعره بأن المجتمع يحنو عليه ويعنى بأمره ، ولم ينسه فى أيام كلها فرح ومرح . ولهذا يقول النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « أغنوهم فى هذا اليوم » والحديث أخرجه البيهقى والدارقطنى عن ابن عمر وفى رواية : « اغنوهم عن طواف هذا اليوم » اى صونوا ماء وجوههم ، وكفوهم بالزكاة عن الطواف على بيوت الناس ، يسألونهم ما يسد عوزهم ، ولقد قلل الاسلام مقدار زكاة الفطر ، ودعا الى اخراجها مما يسهل على النـــــاس تداوله من غالب أقواتهم ، فهى صاع .. والصاع أربعة أمداد .. والمد حفنـــة بكفى الرجل المعتدل الكفين ، من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب او الأقط ـــ لبن مجفف لم تنزع زبدته ـــ أو الذرة أو الأرز أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا .. كما جعل الاسلام صدقة الفطر عامة على الرءوس والأشخاص من المسلمين ، لا فرق بين حر وعبد ، ولا بين ذكر وأنثى ، ولا بين غنى وفقير . فالفقير يدفعها لأنها تجب على الحر المسلم المالك لمقدار صاع يزيد عن قوته وقوت عياله يوما وليلة .. ويأخذها فى الوقت نفسه لأنه من مستحقيها بقول الله تعالى : (انما الصدقات للفقراء ..) ٦٠/التوبة . والحكمة فى توسيع دائرة هذه الصدقة ، ليشترك أكبر عدد ممكن من الأمة فى هذه المساهمة الكريمة ، وهذا التكافل الاسلامى الرائع فى يوم العيد .

ومن مظاهر الفرح فى عيد الأضحى ، سنة الأضحية وهى ما يذبح من الابل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق ، تقربا الى الله تعالى كمـــــا قال سبحانه : (انا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شـــانئك هو الأبتر) وثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ضحى ، وضحى المسلمون معه ، وفى حديث أنس الذى رواه البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ضـــحى بكبشين أملحين ـــ لونهما أبيض فيه سواد ـــ أقرنين ـــ لهما قرون ـــ ذبحهما بيده وسمى وكبر ، وقد بين الرسول الكريم فضلها فى قوله عليه الصـــــلاة والسلام فيما روته عنه عائشة رضي الله عنها : « ما عمل آدمى من عمل يوم النحر ، أحب الى الله تعالى من اهراق الدم ، وانه لتأتى يوم القيامة بقرونهـــا

وأشعارها وأظلافها ، وان الدم ليقع من الله بمكان ــ كناية عن سرعة قبول اضحية ــ قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بهـــا نفسا » رواه ابن ماجه والترمذى والحاكم وقال : صحيح الاسناد . ويسن للمضـــحى أن يأكل من الأضحية ، ويهدى الأقارب ، ويتصدق منها على الفقراء ، وذلك توسعة على المحتاجين الذين لا يملكون ما يشترون به اللحم ، والمسلم القادر على أن يضحى فلم يضح ، محروم من اتباع السنة ، ومحجوب عن مثوبة الله ورضوانه ، فعن ابى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وجد سعة لأن يضحى فلم يضح فلا يحضر مصلانا » رواه الحاكم مرفوعا هكذا وصححه وموقوفا .

وهكذا تصبح الأعياد فى نظر الاسلام لحظات قربى الى الله ، ومجالات خير للانسانية ، وأسباب تعين على توثيق الصلات بين الناس ، يتجلى فيهـــا التكافل الاجتماعى ، والتعاون فى أسمى وأكمل صوره ، فيها يتبادل الناس التهانى والتزاور ، وفيها يتعاطفون ويتراحمون ، وفيها يتخذون زينتهم ، ويأكلون من طيبات ما رزقهم ربهم ، ومن هنا يتصل الانسان بربه عن طريق العبادة وعن طريق المحبة والاخاء ، تطبيقا للمبدأ الاسلامى الذى ساقه الينا رسولنا الكريم فى قوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه . وقوله : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الحاكم عن حذيفة بن اليمان .

وجدير بالمسلمين أن يفقهوا معنى الأعياد ، وأن يدركوا أبعادها فى المجتمع المؤمن ، وأن يحافظوا على الشخصية الاجتماعية لأمتهم المسلمة ، فلا تنماع ولا تذوب فى شخصية غيرهم ، بتقليدهم فيما يحيون به أعيادهم ومواسمهم ، بل يحيونها بما شرع الله من الوان القربات والطاعات ، وبذلك يكونون كمـــا أراد الله لهم خير امة اخرجت للناس .

روح .. مباح

للاستاذ : عمر بهاء الدين الاميرى

اطلــق عنـــــانا يا زمان   فقد كفى كبــح الجمـــــاح
هذا الـــــذى يتجـــــاوز الأفـــــلاك يلتمس المـــــراح
هو فى الجنـــــاح ـ جنـــــاح طب القلب ـ مقصـــوص الجنـــــاح
« صدر » يحيط به « جهــاز »   لا يكـــــــل ولا يـــزاح
هو منـــــه بالأســـــلاك موصـــــول ومغـــــلول السراح
و « البطـــن » للوخـــزات من   « ابر الاماعة » مســـــتباح

• •

قالوا : عليل ، فابتســـــمت   ورحت أمعـــــن فى المزاح !
والعزم فوق ذرى النجـــــوم   ترووه همـــــم صـــــحاح
والهـــــم ـ يا للهـــم ـ فى   قلبـــــى له وخـــــز الرماح
قالوا : عليـــــل ، قلت : بل   والله تثخـــــننى جـــــراح

نظمت فى الغرفة ٤٢٨ من جناح طب القلب فى مستشفى ابن سيناء فى الرباط ، ليل الثلاثاء وفجر الاربعاء فى ٢٢ ـ ٢٣ من جمادى الاولى سنة ١٣٧٥ وفق ٣ ـ ٤ حزيران (جوان) ١٩٧٥ .

« فى جناح طب القلب ، من مستشفى ابن سيناء ، والشـــاعر موصول الصدر الى « جهاز المراقبة الالكترونى » باسلاك تغل حركته .. ويحقن فى « البطن » كل يوم مرات ، بابر لإماعة الدم ..
كان ، رغم علته ، يحملهم الاسلام .. ويعيش مع فلســطين .. ويود لو يخوض معركة « تحرير الصحراء المغربية » و « وادى الذهب » .
وكان ، وهو فى « الرباط » موزع النفس والفــكر ، بين اسرتــه المبعثرة ، وامته المتعثرة ، ودعوته المتناثرة ..
وهو لا ينسى خلال كل ذلك ، جماليته وشاعريته لانهما من سجيته ومزيته .. !
أما تعلقه بربه ، فهو حبة قلبه ، ومناط حبه ، لا يذكر معه داءه .. ويلتمس به شفاءه .. انه جوهر أشواقه .. واذواقه .. واشراقه » :

انا فى الجهـــــاد اخوض للايمــــــان معترك الكفـــاح
أنا فى « فلسطين » الطهـــور مع « الفداء » بكل ســـاح
انا نجـدة « الصحـــــراء » و « الوادي .. انا روح مبـــاح
لله ، لـــــلأمر الأجـــل ، له مطـــامحه الفســـــــاح
انا فـــى صراع الـــدهر أطلب للعـــلى ما لا يتـــاح
وعلى الدروب اشـــد « للـــدعوات » مشــــيتها والرداح
أنا للصــــــفي وللـــكيي ارادة الخـــي الصـــراح
الصـــبر ديدن مذهبـــي والصـــبر مفتاح الفـــلاح
احـــدو القوافـــل ، لا ابا متنـــاولي الغيـد المـــلاح
قلبى يهش مدى الحيـــاة فان رأى شرا اشـــــاح

●●

انا فى « الربـــاط » مرابـط ورؤاى تغرب فى النـــواح(١)
أنا فى « الرياض » وفى « دمشـــق » وليس عن « حلبى » براح(٢)

رَوح..مُباح

أنا فى امتــــدادات « الأذان »﴿ كــان فى نســــــبى « رباح »(٣)

ادعو الى الجلى واصـــــــعد فى ســـحائبها الســـداح(٤)

بين المشـــــــارق والمغــــارب خافق خفـــــق الرياح

قلبى العليـــل هنــــاك يكدح فى الهضـــاب وفى البطـــاح

قد يرتمى جســـمى ضـــنى والعزم لا يرمى الســـــلاح

●●

وانا ، على هــــذا ، اغــرد للجمـــال ، ولا جنـــاح

اهتز من ســــحر اللحـــاظ أميـل ما اهتز الوشـــاح

عــفء ، على ظمـــا ، وفى متنـــاولى الغيد الملاح

اهفو .. واحجـــم .. والتقى بين التبـــاس واتضـــاح

شـــعرى — وذوب حشـــاشتى شـــعرى — زئير فى نواح

اغفـــو على حلم الهـــوى والمجد فى عينى صـــاح

●●

كـــلا ! رويدك يا طبيـــــب — وقد سالت : اما استراح ؟

هل يســـتريح الحر يوقر صــــدره العبء الرزاح !(٥)

يـده مع المســـكين فى الأرضين ، تسلكه النجـــاح

وجنانه ، خفق المنى العليــــا بمنبـــلج الصـــلاح

ومدى تطلعـــه معـــارج من سنا ، فوق الطمـــاح !

هذا « كيـــــانى » يا طبيب له « ارتسام » و « ارتشـــاح »
فوق « الجهــاز » وفى « المخــابر » ، والعــلوم لها اقتراح
انا عنـــد راى الطب ، هـــات علاجك المجــدى القـــراح !

● ●

ماذا عـــلاجك يا طبيـب ؟! مؤرق ، والديك صـــاح
من قلبــه ــ المضـــنى الرهين بهمـــه ــ الاعيـــاء فاح
وبفـــكره ، عبر المـــدى يزجى الهدى ، وغـــدا وراح
والروح فى اســتشرافه العـــلوى ، جاز الـــكون .. ســـاح ..
ماذا علاجـــك ؟! والدنى ظلم ، وضـــاق بى البـــراح ؟(٦)
والحـــدس حدثني ، بغـــور الليـــل ، ان الفجـــر لاح
هل فى علاجـــك ما يغذ خطـــاى اســـتبق الصـــباح ؟!(٧)
الله ، جـــل جـــلاله روحى .. وريحانى .. وراح !

---

(١) تغرب فى النواح : تتباعد فى النواحى المختلفة .
(٢) بعض اولاد الشاعر فى الرياض والبعض يدرس فى دمشق واسرة الشاعر من حلب وفيهـا بعضها .
(٣) اشارة الى « بلال بن رباح » رضي الله عنه مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) السادحة : السحابة الشديدة التى تصرع ما يواجهها .
(٥) لم يقل : يوقر ظهره ، بل صدره اشارة الى انه يحمل اعباءه هما الى صدره وليس القاء على ظهره .
(٦) البراح : المدى الرحب .
(٧) يغذ : يستعجل ، من اغذ السير اذا اسرع .

عالمية

يختلف الاسلام عن غيره من الأديان السماوية بأنه دعوة عالمية للناس كافة بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لاخراج الناس من الظلمات الى النور .

ان رسالة الاسلام لم تكن خاصة بالعرب فحسب ، ولكنها للبشرية كلها على تباين لغاتها والوانها وعاداتها لقد جاءت هذه الرسالة لتخاطب في الانسان فطرة الله التي فطر الناس عليها .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة ونقل الرواة الثقاة عن الرسول احاديث جمة ، وفي هذه الاحاديث وتلك الآيات بيان صريح عن عالمية الاسلام وانه دعوة للناس كافة .

وفضلا عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن عالمية الاسلام فان هناك أمرين لو احاط بهما كل من يحترم عقله لآمن بأن محمدا آخر الأنبياء وان الاسلام رسالة الهدى والخير للبشرية قاطبة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

الأمر الاول : طبيعة المعجزة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم.

الإسلام

للدكتور محمد الدسوقي

الأمر الثاني : تعاليم الاسلام .

اما الامر الأول فان معجزة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم ، وهي خالدة حفظها الله من التغيير والتبديل وستظل كذلك الى يوم الدين (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) الحجر / ٩ .

وهذه المعجزة تختلف عن سائر معجزات الأنبياء الذين بعثوا قبل محمد عليه السلام من حيث ان معجزة القرآن تمتاز بانها معجزة عقلية ، وانها مع هذا معجزة غير شخصية بمعنى أن وجودها وبقاءها غير مرتبط بشخصية النبي او الرسول ، ومعجزات الأنبياء لم تكن كذلك ، فهي معجزات حسية مادية ، كما انها معجزات شخصية تظل آية على صدق النبي مدة حياته ، فاذا توفاه الله اصبحت هذه المعجزة خبرا يروى ، واثرا ينقل ، فمثلا كانت معجزة موسى عليه السلام العصا تنقلب حية فتلقف ما يافك به سحرة فرعون وكذلك كانت معجزته ان يخرج يده من جيبه فاذا هى بيضاء من غير سوء للناظرين ، فهي معجزة حسية تشاهد وترى ، وهي « معجزة شخصية » فبعد وفاة موسى اصبحت معجزته خبرا يروى . وكانت معجزة عيسى عليه السلام ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله ، فلما توفاه الله اليه او رفعه وطهره من الذين كفروا اصبحت هذه المعجزة خبرا يروى ، ولكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم ليست من جنس هذه المعجزات فهي عقلية غير حسية . وهي هذا القرآن الكريم المشتمل على الشريعة المحكمة ، وهى معجزة غير شخصية فهي باقية الى يوم الدين ، والناس بعد محمد صلى الله عليه وسلم يرون معجزته راى العيان كمن شاهدوا محمدا وخاطبوه واذا كانت الاجيال كلها ترى هذه المعجزة وتفهمها فهي حجة الله القائمة عليها فان ضلت فانها لا تضل عن جهالة ولا عن نقص في البينات ولا من شك في الامر ، بل عن عمى في البصيرة وتحكم في الهوى وسيطرة الأوهام .

←

فبقاء هذه المعجزة وخلودها وحفظها من التحريف والتبديل دليل على أنها معجزة الدهر وصوت السماء الى كل انسان على ظهر هذه الأرض حتى تقوم الساعة .

وقد سأل سائل اذا كان القرآن معجزة الدهر وحجة الله القائمة الى يوم الدين ، فان هذا القرآن قد نزل بلسان عربي مبين ، ومن آية الله فى خلقه اختلاف الألسن والألوان ، فكيف يتسنى لهؤلاء الذين لا يعرفون العربية أن يفهموا القرآن ليكون حجة عليهم؟

أن السبيل الى ذلك لا يكون بترجمة القرآن ترجمة حرفية الى مختلف اللغات البشرية ، فترجمة القرآن على هذا النحو مستحيلة لأن القرآن كلام الله بلفظه ومعناه ، وهو فى درجة من البلاغة ، والفصاحة أعجزت أرباب البيان عن أن يصلوا الى هدفهم ، واثبات زعمهم بأن القرآن أساطير الأولين اكتتبها محمد ومن ثم لن يستطيع انسان مهما أوتي من قوة البيان وفصاحته أن يترجم القرآن الى لغة غير عربية بحيث تصبح الترجمة بهذه اللغة كالقرآن فى لغة العرب اعجازا وفصاحة ، وما دام الأمر كذلك فان السبيل الصحيحة الى تقريب الاسلام الى غير العرب ان يوضع للقرآن تفسير موجز ، لا يخوض في المسائل الخلافية ثم يترجم هذا التفسير الى أمهات اللغات ويضاف الى هذا وضع مؤلفات مبسطة تعرض أحكام الأحكام في مختلف شئون الحياة وتترجم ايضا هذه المؤلفات الى اللغات الأخرى، وحبذا لو تعاونت الدول الاسلامية كلها على اصدار دورية شهرية باللغات الأجنبية تكون منبرا للفكر الاسلامي الذي يدعو للتي هي أقوم فهذه الدورية في العصر الحديث ضرورية لشرح الاسلام وخصائصه وما يدعو اليه .

وأما الأمر الثاني الذي يثبت عالمية الاسلام ، فهو تعاليم هذا الدين القويم ، فهذه التعاليم تخاطب الفطرة الانسانية ، وتنظر الى الانسان نظرة واقعية ، وتحترم العقل البشري ، وتؤكد المساواة بين الجميع ، وتكفل للناس السعادة في الدارين بما سنته من مبادىء ونظم صالحة لكل زمان وكل مكان ، وهي بهذا تنأى عن الاقليمية أو المحلية ، فهي انسانية عامة تلبي حاجات المجتمعات في جميع الأزمان والعصور ، وقد نشأت نظم وجدت مبادىء ، ولكنها اندثرت وأصبحت نسيا منسيا لأنها لم تحقق للمجتمع الانساني الاستقرار والأمان والاطمئنان ، بيد أن تعاليم الاسلام ظلت حية نامية على مر القرون والأحقاب لأنها لم تكن — كالقوانين الوضعية — منبثقة عن حاجة اقليمية أو ظروف طارئة ، ولكنها جاءت لتأخذ بيد المجتمع البشري قاطبة الى سبيل العزة والحياة الحرة الكريمة .

وقد يقول قائل ، اذا كانت تعاليم الاسلام كما أومأت آنفا ، فما بال الأمم الاسلامية اليوم ضعيفة ومتخلفة ولا حول لها ولا طول يدفع عنها الأخطار الجسيمة التي تهددها من كل جانب ؟ ..

والاجابة السريعة أن حال الأمم الاسلامية لا يرجع الى تعاليم الاسلام وانما يرجع الى المسلمين انفسهم فالمسلمون قد أتى عليهم حين من الدهر نسوا الله فأنساهم أنفسهم واهملوا دينهم وتعاليمه فأصابهم ما

أصابهم ولا سبيل لأن يكونوا كما وصفهم القرآن الكريم بأنهم خير أمة أخرجت للناس الا بالاعتصام بالاسلام وتعاليمه ، فهذا دين يدعو الى الوحدة والقوة ، وبهما معا يتحقق للأمة العزة والحياة الكريمة التي لا تعرف التخلف أو التوقف .

ونظرا لأن هناك فئة من المسلمين تأثرت بالفكر الغربي كل التأثير ، فانى أثبت فيما يلى نص قرار لمؤتمر دولي عقد فى باريس سنة ١٩٥١ م حول الاسلام وتعاليمه ، لعل فى هذا الاعتراف الدولى ما يحمل هؤلاء على أن يعيدوا النظر فى آرائهم حول دينهم ، وعلى أن يحاولوا دراسة هذا الدين من مصادرة الأصيلة فانهم بلا ريب سيجدون كل الخير فيما وضعه من نظم وقوانين .

يقول قرار المؤتمر الدولي : « ان المؤتمرين ــ وقد أبدوا الاهتمام بالمشاكل المثارة اثناء أسبوع القانون الاسلامي وما جرى في شأنها من مناقشات أوضحت بجلاء ما لمبادىء القانون الاسلامي من قيمة لا تقبل الجدال ، كما أوضحت أن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام القانوني الكبير انما تدل على ثروة من النظريات القانونية والفن البديع، وكل هذا يمكن هذا القانون من تلبية جميع الحاجيات العصرية ــ يبدون الرغبة في أن يواصل الاسبوع أعماله كل سنة ، ويكلف مكتب الاسبوع بوضع لائحة بالموضوعات التي يجب ــ عقب المناقشات التي جرت خلال الاسبوع ــ أن تكون موضع البحث اثناء الدورة القادمة ويرجون تأليف لجنة لوضع قاموس للقانون الاسلامي من شأنه أن يسهل الاقبال على تأليف القانون الاسلامي وأن يكون موسوعة للمعارف القانونية الاسلامية مرتبة حسب الأساليب العصرية » .

فبقاء المعجزة ، واشتمالها على التعاليم التي لا مثيل لها ، لأنها تمتاز بالوسطية ، ومراعاة الطاقة البشرية وتحري المصلحة وتقرير العدالة والمساواة بين الجميع ــ هذا كله دليل على أن دعوة الاسلام دعوة عالمية وأنها خاتمة الرسالات الالهية ومهيمنة عليها ، ولا ينكر هذا أويمارى فيه الا كل من ألغى عقله أو سيطر التعصب عليه ، وبغى علوا فيالأرض وفسادا .

وما دامت دعوة الاسلام عامة ، فمباديء هذه الدعوه تخاطب الفطرة البشرية ، وهي واحدة على مدى الأزمان وفى كل مكان ، ولذا لا يصح أن يقال انها خاصة بعصر دون آخر وبقوم دون قوم ، وبمكان دون مكان وانما هي للانسان حيث كان ، **(فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)** الروم / ٣٠ .

ولايمان المسلمين الأوائل بعالمية الاسلام حملوا أرواحهم على أكفهم وانطلقوا فى كل سبيل لتبليغ هذه الدعوة الى الناس جميعا دون اكراه أو قسر على الايمان بها لأنه لا اكراه فى الدين ، ولم يكن الجهاد في الاسلام لحمل الناس على الدخول فيه ، وانما كان وسيظل لدفع الاعتداء . وحماية الاهل والوطن وتحقيق الحرية الدينية للجميع فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ان الجهاد في الاسلام ليس وسيلة للاذلال أو نهب خيرات الشعوب واستعبادها ، ولكنه كما أوضحت للوقاية والحماية فالحق بلا قوة تدافع عنه وتمكن له لا يستطيع أن يعيش في دنيا الناس ، وآية ذلك أن المسلمين

في مكة تعرضوا لصنوف مختلفة من الأذى والاضطهاد وهم أصحاب حق ورسالة مقدسة ولكنهم لضعفهم وقلتهم لم يقدروا على مواجهة الشرك وحماقته ، فلما هاجر المسلمون الى المدينة وهناك تكونت الدولة، واصبح للمسلمين قوة كان الجهاد لدفع الظلم ونصر الحق ودحر الباطل **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير • الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)** . الحج / ٣٩ ، ٤٠ .

فالاسلام دين سلام ومودة ووئام والحرب فيه ضرورة تفرضها الظروف ولا مناص منها ليظل الحق ذا كلمة عالية وراية خفاقة وليست الحرب ولن تكون أداة لامتهان الانسان وفرض عقيدة عليه لا يريدها فما كانت القوة أبدا سبيلا لحمل الانسان على الايمان بالعقائد والمباديء لأن الايمان بها أساسه الاقتناع القائم على المنطق والوجدان ، ولا سلطان لأحد عليهما مهما كان .

يضاف الى ما سلف أن الحرب في الاسلام لها مبادئها الانسانية التي لم تصل البشرية ــ على الرغم من تقدمها الحضاري المذهل ــ الى بعضها ومن هذه المباديء عدم اتلاف الحيوانات والزروع والثمار وعدم قتل الشيوخ والنساء والصبيان ــ والأهم من هذا أن الحرب فى الاسلام لا تعرف الغدر ولا أخذ الناس على غرة وابادة المقاتل وغير المقاتل ، لأن هدفها تحطيم الطغاة والمفسدين احتلال الدول والسيطرة عليها واستغلال ثرواتها ، كما تسمى الحروب غير الاسلامية .

وما يقوله بعض المستشرقين ومن سلك سبيلهم من الباحثين من أن الاسلام دعوة قامت على السيف وانتشرت بالقهر والجبر لا صحة له ولا دليل عليه ، ويدحضه انتشار الاسلام في بلاد لم تطأها الجيوش الاسلامية ، وكان التجار والمهاجرون والرحالة هم حملة الاسلام اليها .

وجملة القول أن الجهاد في الاسلام رسالة انسانية ، ووسيلة لرد المعتدين ، وقمع الظالمين ، وتبليغ الدعوة الاسلامية الى الناس لا الزامهم بها .

وينبني على عالمية الاسلام محاربة هذا الدين للعنصرية والطائفية ، وكل المزاعم التي تجعل لأمة من الأمم فضلا على غيرها بسبب العرق أو الجنس ، ومناداته بالاخوة العامة والمساواة الانسانية الكاملة ،فالناس جميعا سواء يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح لا بأنسابهم والوانهم واجناسهم ، والايمان بهذا هو وحده سبيل الحياة الآمنة الكريمة ، وما جلب على البشرية قديما وحديثا الحروب المدمرة والخلافات المهلكة الا تلك الدعاوي الفاسدة ، دعاوي العنصرية واهدار الكرامة الانسانية ومن ثم ستظل البشرية تعاني من الاضطراب والتوجس من حرب عالمية تقضي على الأخضر واليابس ما دامت لا تعتصم بمباديء الأخوة والمساواة والاحترام المتبادل بين الشعوب وهي المباديء التي دعا اليها الاسلام ، وبدون هذه المباديء ستبقى البشرية على ما هي عليه من الصراع والخداع والقلق والاضطراب وصدق الله العظيم : **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)** الأنعام / ١٥٣

الإسلام يتحدى

تأليف : وحيد الدين خان
ترجمة : ظفر الاسلام خان
نقد : عبد الرحمن احمد شادى

الف المفكر الاسلامى الهندى وحيد الدين خان كتابه « الاسلام يتحدى » بعد فترة من البحث والدراسة والجهد المبذول ، لخدمة الاسلام طالت الى سنوات وترجمه الى العربية ابنه ظفر الاسلام خان . والكتاب يدافع عن قضايا الدين بلغة العصر ويحارب خصوم الايمان بأسلحتهم فيلجأ الى أساليب الاستدلال التى يعتمد عليها الملحدون لاثبات الحادهم .

ويقوم بنصيبه المحمود فى حرب الجدل التى لم يهدأ لها ضرام يوما من الأيام ، بين اهل الايمان ، واهل الالحاد ، ويكون أساسا لعلم توحيد جديد ، يتحرق المسلمون شوقا اليه ، خصوصا حين يتخذ الاسلام متبوعا لا تابعا ، واماما لا مأموما ، فلا يضطره المحامون عن الاسلام أن يدور حول المذاهب السائدة والفلسفات المنتشرة ، كما يدور القمر حول الأرض .

ان هذه المحاولات التى تجعل الأصل فرعا ، تضر الدين بدلا من أن تخدمه ، وتعمى العين بدلا من أن تكحلها ، ومن الأمثلة على ذلك ما فعلته طائفة من العلماء ازاء نظرية النشوء والارتقاء ص ١٩ من الكتاب ، وهو يروى ظمأ طال بالشباب الذى يريد أن يطمئن قلبه ، الى أن كلمة دينه العقلية هى العليا وكلمة المنكرين والجاحدين والملحدين العقلية هى السفلى ، ومن اجل هذا كان محتاجا الى روافع ومضخات تجعل الماء فى متناول كل فم .

لا بد أن يجد المفكر المسلم الذى يعنيه نشر الاسلام فى الأرض وسريانه فى آفاق جديدة لم يسر فيها

من قبل .. جوابا كافيا شافيا عن كل سؤال تطرحه الفلسفات السائدة فى كل عصر على بساط البحث ، واهمها فى قضيةالالحاد والايمان « الدارونية والفرويدية والماركسية » . فهذه المذاهب المعاصرة تجعل انكار الخالق، وجحود الرسل واليوم الآخر قضيتها الأولى فى هذا العصر .

والتصدى لهذه القضايا أولا بأول فرض كفاية على القادر ، قبل أن تأخذ طريقها الى العقول والقلوب والأذهان ، فتتمكن منها لأنها وجدتها فارغة ، خصوصا حين لا تجد بديلا يغنى غناء الأصل من التفكير السليم والمنطق السديد فى الكفة الأخرى .. كفة الايمان يلقف ما صنع سحرة الملحدين الذين يقودون قطعانا من البشر .

(والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر الساحر حيث اتى) طه / ٦٩ .

ولا ينفعنا فى الدنيا أن نباهى بالدور الذى لعبه أجدادنا وأسلافنا على مسرح الحياة ، ولا يشفع لنا عند الله : انما أصل الفتى ما قد حصل .

مثلنا حينئذ كمثل الأقرع الذى يباهى بشعر اخيه أو ابيه .. والسؤال الذى نسأله لأنفسنا هل نحن أهل لأن تعرض علينا الأمانة ، ونحمل تكاليف الرسالة بعد اسلافنا .. أم أننا كالأطفال الذين يعتمدون فى كل كبيرة وصغيرة على آبائهم ، حتى فى أشد المواقف هولا ، يقول القائل منهم نأتى بآبائنا ليحاربوكم .. ولم يسمع أحد فى المعسكر الآخر هذا الكلام .

والكتاب يترك القضايا التاريخية التى كونت علمَ الكلام القديم بعد أن فقدت أهميتها ..

وما أكثر الكتب التى لا تضيف ثروة جديدة الى المكتبةالاسلامية والعربية، وما هى الا تكرار أو سطو على كتب القدماء والمحدثين .. أو تكون الطرافة والابتكار فيها كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ..

أما (الاسلام يتحدى) فهو غنى بنفسه عن الانتساب الى هذه القائمة من الكتب ، ومؤلفه بعيد عن هذه الطائفة من المؤلفين .

ومن الظواهر المعروفة فى الهيئات والجمعيات الدينيه التناحر بين أفرادها ، يظن كل منهم أنه لن يرتفع الا على أنقاض الآخرين ، وهذا سوء ظن بالله ، ففضله وغناه الفياض لا يحد ولا يحصر ..

وهم أولى بالوحدة والالتفاف حول الأساس : (الكتاب والسنة) .

(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام/١٥٣ .

انهم معرضون لطوفان الالحاد الذى يهددهم أجمعين بالغرق ان لم يتعاونوا على صده ورده ، وهم يعرضون قضيتهم العادلة للخسران بهذا التناحر ، ووجودهم للزوال .. والعجيب أن أهل الباطل أكثر اصرارا وحرصا وجهدا واخلاصا لقضاياهم من أهل الحق ، وقد آن الأوان لاستعراض بعض ما جاء فى الكتاب، وهو يقع فى تسعة أبواب ذكر فى أولها قضية الالحاد كما يتصوره اهله بأمانة تامة .. والتحريف فى النقل بضاعة المفلسين الذين لا يجدون غنى فى نفوسهم يرجعون اليه فى الردعلى

الخصوم ، وذكر مقالات الكفار مع الرد عليهم منهج قرآنى وارد فى كثير من الآيات .

مثل قوله تعالى فى نهاية سورة يس : (**وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**) .

أما الباب الثانى فقد خصصه للرد عليهم بأسلوبهم فى عقر دارهم ..

يدعى معارضو الدين أن التطور قد بلغ قمته ، وأن الحقيقة هى ما يمكن فحصه وتجربته ، أما ما لا يخضع للفحص والتجربة فهو باطل ، وما دام الدين لا يخضع للفحص والتجربة فهو باطل ، واثبت « نيوتن » أن الكون مرتبط بقوانين ثابتة سميت قانون الطبيعة كالساعة التى رأيناها تصنع فى المصانع ، ولم نر الكون وهو يخلق ، فكيف نسلم بأن له خالقا .

وللرد عليهم نقول : ان العلم وصف لما يحدث ، دون أن يبين الحكمة فى حدوثه ، فالكتكوت يخرج له قرن قبيل الفقس لينقر به قشرة البيضة ، ثم يزول هذا القرن ، كذلك يتحول الغذاء الى دم ، ويصير الدم لبنا وينزل المطر من السماء ، وتسير النجوم فى أفلاكها دون أن تتصادم .

هل يمكن أن تكون الطبيعة والقوانين التى اكتشفوا خضوع المخلوقات لها .. قد خلقت نفسها على هذه الصورة من الدقة والحكمة والعقل والنظام أم تعين أن يكون لها خالق يتصف بهذه الصفات يسيرها الى أهداف معلومة ليحفظ الحياة على ظهر الأرض .. ؟

أما علماء النفس فيزعمون أن الدين نتاج اللاشعور الانسانى ، والرد عليهم سهل ، وهو أن كل كلام انسانى لا يخلو من الأخطاء والأكاذيب ، سواء كان مصدره الشعور او اللاشعور ، وما دام الكلام النبوى لم تقع فيه أخطاء رغم مرور هذه القرون الطويلة على صدوره ، والتى كانت كافية جدا لاظهار أخطائه ، لو كان فيه أخطاء فهو اذن غير صادر عن الشعور أو اللاشعور .

وهناك من يدعى أن الدين من خلق العوامل التاريخية ، وهى النظام البورجوازى الاستعمارى القديم الذى صنعته الظروف الاقتصادية ، والرد عليهم سهل ، كيف تمكن « كارل ماركس » أن يفكر ضد العوامل الاقتصادية الرائجة فى عصره .

وقد مر نصف قرن من التجربة فى روسيا ، ولم تتغير طبيعة الانسان تبعا لتغير النظام الاجتماعى

أما الباب الثالث : فقد صوب فيه المؤلف السهام الى التجربة والمشاهدة التى جعلوها عماد حياتهم ونفوا الدين من اجلها بذكر بعض التجارب الباطلة التى بنيت على المشاهدة ، وكانت الحقائق فيها ناقصة فجاءت النتيجة باطلة .

ألقى نحاس نعلا من الحديد فى الماء فغاصت ، وقد اقتنع الناس بهذه التجربة قرونا ، ولكننا لو وضعنا النعل فى طبق من الحديد لعامت .

ثم أصبحت البواخر الحديدية والمدن العائمة تعد بالألوف .

كانت المناظير الفلكية ضعيفة فيما مضى ، فلما تقدم العلم قويت حتى رأينا مئات من النجوم لم نرها من قبل ، وعرفنا عشرات الحقائق التى

كانت خافية علينا .

عرفنا قانون الجاذبية عن طريق الاستنباط وهو لا يخضع للتجـربة والمشاهدة ويستلزم منطق مفـكرى الدين جحود ونفى قانون الجاذبية .

وهناك حقائق لم تشاهد ولا سبيل الى انكارها . والايمـــان بالغيب بالنسبة للمؤمنين نوع من هذا .

أما الباب الرابع فهو اســتدلال بالطبيعة على الاله وبالأثر علـــى المؤثر وهو منهج قرآنى وارد فى كثير من الآيات مثل (**الله الذى خلـــق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهـار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار**) ٣٢ ، ٣٣ من سورة ابراهيم . (**وآية لهم الأرض الميتـة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنـــه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيـون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهـــم أفلا يشكرون**) وما بعدها من ٣٣ ــ ٤٤ يس . (**أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**) وما بعدها الآيات من ٥٨ ــ ٧٥ الواقعة .

ويبدأ المؤلف بنبذ نظرية الشك فى الوجود على أساس التفكير ، واثبات العـــالم الخارجى اعتمـــادا على الاصطدام به ، ومن المســتحيل أن تكون الطبيعة قد خلقت نفســـها ، لأنها ذات بداية ونهاية ، وكل ما كان كذلك يحتاج الى خالق ، تثبت الكشوف الفلكية الحديثة سعة هذا الكون ، واستحالة قيامه بنفسه ، والنظـام الذى نراه فى العوالم الكبرى موجود ايضا فى العوالم الصغرى .. فـــى عالم الدرة والخلايا العصبيه التـــى تعمل داخل الانسان تدل على الدقة ولو كبرت الأرض أو صغرت عما هى عليه الآن ، لاستحالت حياة الانسان فوقها .

ولو كان غلافها الجوى ألطف مما هو عليه لاقتحمت علينا النيـــازك والشهب الأرض وأحرقتنا .

ولو اقتربت الشمس منا لأحرقتنا، ولو ابتعدت عنا لقضى علينا الجليد .. وكل هذا يثبت العقل والحـكمة والروح وينفى الصدفة التى لا يمكن أن يكون لها دخل فى خلق هذا العالم الفريد .

وفى الباب الخامس : يثبت نهاية الكون بالموت للكائنات الحيـــة ، أما الكون فيكمن فيه سر فنائه الـــزلازل والبراكين ، واصطدام الـــكواكب ببعضها وفناء حرارة الشمس ، أما حياة الانسان بعد الموت ، وحفـظ اقواله وأفعاله فثابتة لأن من السهل تسجيل أصوات الأحياء ، ولو كانت لدينا آلة تميز بين أصوات الموتـــى لأمكن استحضار أصوات آبائنـــا وأجدادنا .. الذين غادروا هـــذا العالم .

وبالنسبة للأفعال فكل شيء تصدر عنه حرارة تعكس الأشكال وأبعادها، وأمكن اختراع آلة تصور الموجـات الحرارية التى تخرج عن اى كائن ، ثم تعطى صورة كاملة للكائن الـذى خرجت منه هذه الموجات ..

اننا محتاجون للآخرة من الجهـــة النفسية لنحقق أمانينا التى لم تتحقق فى الدنيا وهذه حاجة بشرية موجودة منذ الأزل وهذا دليل على أنها ليست من صنع المجتمع .

أما التقدم المادى الذى علقت عليه الآمال الكبيرة ، فلم يزد الانســـان الا خبالا وضلالا وظلما ، ولا بد من

يوم يجد فيه الظالم جزاءه ، ويمتاز فيه الخبيث من الطيب .

وليس أجدى على الانسان فى كفه عن الجرائم من الدافع الداخلى الذى ينهاه عن الاثم ويأمره بالخير .

وفى الباب السادس يثبت قدرة الله على الاتصال بمن اصطفاه من خلقه لهذه المهمة .. واستئناسا لذلك نجد اننا فى عصر العلم اصبحنا نستطيع سماع الأصوات البعيدة عنا وكأنها قريبة منا .

وسجلت بعض الآلات صدام الأشعة الكونية فى الفضاء ، وقد وهب الله بعض الحيوانات والحشرات قوة الاشراق التى تجعلها تسمع أصواتا صادرة من أماكن بعيدة ، وتجيب عنها ، وتوجد هذه الهبة ايضا فى معظم افراد الانسان ، فما هو وجه الغرابة فى الوحى الى الرسل ؟ ومما يثبت الرسالة ايضا أن يكون الرسول مثاليا بصورة غير عادية ، وهذا ما تحققه وقائع التاريخ فى ((**محمد بن عبد الله**)) فقد كان أمينا صادقا حليما كريما مؤثرا للناس على نفسه ويعفو عنهم عند قدرته عليهم .

وفى الباب السابع يبرهن على ان القرآن كلام الله ، بدليل الاعجاز ، والتحدى للبشر على مر العصور ، وصدق نبوءات القرآن ومقارنتها بنبوءات نابليون وهتلر وماركس الكاذبة .

وانه لم يمكن اثبات أخطاء علمية فى القرآن الكريم ، فدل على أنه لم يصدر عن بشر لأن كل بشر يخطىء ويصيب .

وفى الباب الثامن تبدو حيرة الانسان أمام القوانين التى صنعها بعقله يؤمن بها مرة ، ويلحد فيها مرة اخرى ، ويظل بين الايمان والالحاد محتاج لعملية ترقيع دائمة يحلل ويحرم ويجيز ويمنع حسب هواه ومن ذلك ما تعرضت له عقوبة القتل فى القوانين البشرية من الابقاء والالغاء .. لأنه اعتمد على عقله فقط ولم يلجأ الى التشريع الصادر عن الله .

وتتعالى الشخصيات التى صدرت القوانين باسمها عن الخضوع لها ، اما اذا كانت الشرائع منزلة من عند الله ، فليس هناك أحد يستنكف من الخضوع لها .

وفى الباب التاسع يثبت أن هؤلاء الذين أنكروا وجود الله ، قد جاءوا بآلهة اخرى لتحل محل الاله الذى أنكروه .

ومن هذه الآلهة العلم أو الزعيم أو المجتمع أو الحزب .. الخ .

ويشبههم مؤلف الكتاب بالطفل اليتيم الذى اتخذ من مصنوعات اللدائن آماله .

فهو يفتقد الاستقرار والطمأنينة والسكينة التى يمنحها الدين ، رغم ما وصل اليه من الثراء الفاحش وكبريات المناصب .

وقد دفع ربيبو الحضارة ثمن بعدهم عن الله فتفشت فيهم الأمراض النفسية .

وبعد فهذا كتاب ناجح استطاع فيه المفكر الاسلامى الهندى وحيد الدين خان المحامى عن الاسلام أن ينزل الملحدين عن عرش الفلسفة ، وان يغزوهم فى عقر دارهم ، ويثبت أخطاءهم بنفس المقاييس التى يستعملونها ، والحجج التى يلجأون اليها مما يعد فتحا فى عالم الفكر ، يزيد المؤمن ايمانا ، ولا يبقى للملحد أرضا يطمئن الى الراحة فى ثراها .

بريد الوعي الاسلامي

اعــداد : عبد الحميد رياض

يقـــولون ما لا يفعلـــون

قال علي كرم الله وجهه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة) رواه البخاري وأبو داود .

ما معنى هذا الحديث والى أي مدى ينطبق هذا الحديث في عصرنا هذا ؟

وليـــد ابراهيم أبو حجــير : العراق

هذا الحديث يشير الى الناس الذين يقل حرصهم على الدين ، وعـــدم اكتراثهم بالمأثور من الكتاب والسنة ، يخرجون من الدين لا يلوون على شـــيء منـــه ، ولا يتصلون به بسبب ، أو تربطهم به رابطة ، لا يلمون بالعلم الا قليلا ، ولا تعي قلوبهم مدلوله ، لم يرسخ الايمان في قلوبهم ، لأنه لم يجاوز حناجرهم ، فهم قوم يحسنون القول ، ويسيئون الفعل ، يقرءون القرآن كمثل الحمار يحمل أسفارا ، يدعون الى التمسك بكتاب الله وليسوا من ذلك في شيء ، وهـــم شر الخلق والخليقة ، يدعون أنهم المتمسكون ، ولكنهم في الحقيقة الخارجون ، وهم فتنة للمسلمين ، ولذلك يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم بالقضاء عليهم ، ليريح منهم الأمة ويقطع عليهم القول الذي لا يستند الى الدين .

يوصي أن يؤخذ على أيديهم قبل أن يجروا الناس الى الهاوية ، ويترددون بهم الى مزالق الشر والاختلاق والفرية على رسول الله وعلى المؤمنين ، وذلك ينطبق كثيرا على المتكلمين في الاسلام دون علم به ، الناطقين بالفقـــه وهم قد جهلـــوا أصوله ، المتحدثين في تفسير القرآن ولا يحفظون آية منه ، ولا يستطيعون تبين متشابهه ، بل لا يحسنون تلاوته ، وقد تربوا على موائد غيرهم بعيدا عن لغتنا وثقافتنا ، فتراهم وقد انصرفوا تماما عن أداء شعائر دينهم الذي باسمه يتحدثون وفي أصوله يخوضون ، ونسوا أو تناسوا أن التقوى هي أساس تحصيل العلم وبنيان العقل .

هذا الحديث يشمل المقيمين للندوات الدينية لغرض الكسب ، وليسوا من الاسلام في شيء ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، لأنهم اتخذوا الدين ستارا لأغراض مادية بحتة ، ولم تؤمن قلوبهم ، فهم على غير هدى ، وتراهم في كل زمان لهم أسلوب وحـــوار .

افتـــــراء اليهـــــود ؟

نشرت بعض المجلات العربية حول الذبيح هل هو اسماعيل أو اسحـــاق فمــن هــو الذبيح ؟
مع القاء الضوء على الآيات التي تحدثت عن هذا الموضوع .

علي المحمودي ــ البحــرين

هذا الموضوع روجت الكتب اليهودية حوله الأقاويل والادعاءات التي دعمتها بمنطقها ، والتي لا تستند الــى دليــل ، وتخـــالف المـــروى مـــن المعقـــول والمنقول ، وهي عملية يراد بها التشكيك في الثابت ، حول كون اسماعيل هـــو الذبيح لتؤكد ما تريد ، ولأن اليهود ينتسبون الى اسحاق والد يعقوب (اسرائيل) فاثبات أن الذبيح اسحاق قول يتمشى مع ما يريدون تحقيقه من الفضل والتضحية والفـــداء والحقيقة أن الذبيح اسماعيل لأنه المولود اولا قبل اسحاق بثلاث عشرة سنة ، وتؤكد التوراة كما ذكر ابن كثير أن سيدنا ابراهيم رأى فى المنام أن يذبح وحيده فلو كان المراد ذبح اسحاق وهو الثاني لما قالت التوراة وحيدك ، ولما كان فى التضحية كبير عناء فله ولد آخـــر .

والقرآن يقول عن اسماعيل (فبشرناه بغلام حليم) حليم لأنه أسلم نفسه للذبح في طاعة بينما يصف القرآن ايضا اسحاق بأنه نبي عليم فكيف يقول (فبشرناه باسحـــاق نبيا) ثم يأمر بذبحـــه .

والقصة كما يرويها القرآن بعد تعرض سيدنا ابراهيم للهلاك على يـــد قومه وبعد أن نجاه الله منهم **(وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين . ربي هب لي من الصالحين.فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني أني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقـــت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . أن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبـــح عظيـــم) .**

الواضح من الآيات السابقة أن الله بشر سيدنا ابراهيم بغلام حليم ، ولما كبر هذا الغلام رأى سيدنا ابراهيم فى منامه انه يذبحه ، فأطاع الغلام أمر والده دون اعتراض ، وهمالوالد أن ينفذ ما رأى دون تردد ، صدق من الغلام فى الطاعة ، وصدق من الوالد فى التضحية بوحيده ، وهو اسماعيل وترى ذلك واضحا فـــي قول اسماعيل الذي يحكيه القرآن **(يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين)** وترى التضحية واضحة من سيدنا ابراهيم والقرآن حول هـــذا يقول**(وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرأيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين)** . ثم يقول القرآن الكريم **(وفديناه بذبح عظيم)** وكانت بهذا الفداء لاسماعيل سنة النحر في الأضحى تذكيرا بهذا الحادث العظيم ، وبتلـــك الطاعة المثالية الفريدة ، وبعد هذا يظهر جليا أن الذبيح اسماعيل وليس اسحاق عليهمـــا السلام .

بأقلام القراء

قيمة العقل

الانسان هو الدرة اليتيمة فى عقد هذا الوجود .. هو السيد .. والعالم العلوى والسفلى مسخر له .. وله خلق بشهادة خالق الكل عز وجل فى كتابه الكريم : (**الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**) .. له ارسل رسله الكرام .. وعليه أنزل شرائعه الحكيمة ، وله خلق الأرض : سهلها ووعرها ، جبالها وبحارها ، معادنها ونباتاتها ، انهارها وحيواناتها .. وله خلق السموات وشمسها ، وقمرها وكواكبها .. واياه خاطب : امر ونهى ، وعد وتوعد .. وله يخلق الحياة بعد الموت ليجازيه بدار كرامته الجنة التى أعدها لأحبابه ، أو بدار اهانته النار التى اعدها لأعدائه .

وانما كان الانسان بهذا القدر السامى بعقله فقط ، لا بجسمه الحيوانى .. فان العقل هو الذى يفهم عن الله شرائعه ، ويفهم ما ينبغى لربه وما ينبغى لعباده ، ويفهم لماذا قبح القبيح وحسن الحسن .. ؟ وهو من الأشياء التى تشير اسماؤها الى معناها ، فانه سمى عقلا لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغى .. ولذلك اذا جن انسان رايته كالوحش يبطش بكل ما يقابله .. فالذى يدرك النافع فيقبل على عمله ، ويدرك الضار فينكص عن مباشرته انما هو العقل .

ومن الناس من يعتدى على العقل عدوانا يغضب ويؤلم حتى يضطره الى أن يفارقه زمنا ويتركه حيوانا من الحيوانات، وربما يفارقهالى غير رجعة ان اكثر عليه من ذلك العدوان .

هذا الاعتداء هو : شرب المسكرات ، فاذا شرب الانسان المسكر غاب عقله وبقى بلا عقل ، ومع هذا بيننا من لا يفارق المسكرات ليلا ولا نهارا بل ويفخر بتعاطيها .

والعجيب أن شارب المسكر يفهم أن ذلك هو التمدن والتقدم والتميز على سائر الناس ، ومن لم يكن فهو من طبقة الجامدينالقدامى . ولذلك فان كثيرا من بيوتنا ربما انقطع منها الطعام ولكن الخمر والمسكرات لا تنقطع ، يتعاطاها الرجال والنساء والأبناء والبنات ، لا تقدم اليهم مائدة الا والركن الأعظم فيها هذه البلايا دون خوف او استحياء .

وفى هذه الحالة يفقد اولئك المساكين أموالهم وعقولهم ووقارهم ودينهم وصحتهم بما احتسوا من كؤوس وبما تعاطوا من منكر :

١ ــ أما فقد اموالهم : فانهم يبذلون ثمن ما تناولوا من ذلك المسكر كلما

اتوه ، فاذا صار تناوله عادة كان نتيجته الخراب حتما .

٢ ــ واما فقد عقولهم : فهوشيء لا يحتاج الى بيان لأنه أمر مشــــــاهد ملموس .

٣ ــ واما ذهاب وقارهم : فما يكون منهم من رقص وعربدة ومشي فى الطرقات على غير هدى ، وكثيرا ما يهوى السكران الى الأرض ويســتدعى له رجال الاسعاف .. وفى البيت قد يذرعه القىء ، وقد يبول على ثيابه أو يلوثها وهو لا يعى ولا يشعر .. فأىوقار لانسان هو فى الخارج ضحكة لمشاهديه ، وفى الداخل سخرية لنسائه وبنيه .

٤ ــ واما فقد السكران دينه : فانه اذا ســـكر ذهب ما كان يعقله من المعاصي ، واذن لا يتوقى معصيته .. فاذا قيل لك انه قتل ، أو زنى حتى ببنته أو أمه ، أو سرق فصدق كل هذا ، بل اذا قيل لك انه نطق بعبارات فيها كفـر بالله تعالى فلا تكذبالخبر ، وأى مانع يمنعه من ذلك وقد ذهب المـانع .. ؟ لا تستبعد هذا وأكثر منه فالسكران يسعى بكل ما فى وســـعه ليقضي على انسانيته ويصبح بلا عقل .

ولذا فقد قال صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا أم الخبائث ، فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امراة فأرسلت اليه خادما : انا ندعوك لشهادة ، فدخل ، فطفقت كلما دخل بابا أغلته دونه ، حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر ، فقالت : انا لم ندعوك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام ، أو تقع على ، أو تشرب كأســـا من الخمر ، فاذا أبيت صحت بك وفضحتك .. فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال : اسقنى كأسا من الخمر ، فسقته كأسا من الخمر فقال : زيدينى ، فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس .. فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع ايمان وادمان خمر فى صدر رجل أبدا ، ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه » رواه البيهقى وابن حيان فى صحيحه واللفظ له .

٥ ــ واما فقد الصحة : فهذا شيء مشاهد بالعين فان من نظر الى بدن سكير طال عهد تعاطيه الخمر يجد أنها هدمته هدما ، وللأطباء آراء فى مبلغ تأثير المسكرات على الصحة يفزع من يعرفها ويفر من تناولها فرارا . وفى شركات التأمين على الحياة اصبحوا يعاملون أهل السكر معاملة تختلف عن معاملتهم للمعافين منه ، حيث دلت تجاربهم الطويلة الكثيرة على أن المرض فى السكيرين أكثر منه فى غيرهم .

ولما كانت الخمر تضيع العقول شرع الله تعالى حدا معينا يقام على من يثبت عليه شربها ليحرس به العقول ويحول بين الناس وبين ما يضيع عقولهم .

فالى عشاق المسكرات ورضع الزجاجات .. هذه دعوة حق للرجوع الى العقل والاسراع الى المتاب فورا من شرب كل مسكر ، وأى عاقل لا يفر رعبا من شقاء الدنيا والآخرة الى سعادة الدنيا والآخرة .

رزقنا الله الانابة اليه ، وعمل ما يرضيه ، والبعد عن كل ما يغضبه .. انه سميع مجيب .

للأستاذ عمر مصطفى أبو سيف

قالت صحف العالم

الكارثة الخلقية

تحدث المتحدثون ، وكتب الكاتبون ، عن الكوارث التى تصيب الناس .. وحصروها فى كوارث اقتصادية تتمثل فى المجاعات .. وكوارث طبيعية تتمثل فى الزلازل والفيضانات، وكوارث سياسية تتمثل فى سقوط الأنظمة واشتعال الحروب .. ونسى الكتاب أو تناسوا أساس الكوارث ورأس البلاء .. ذاك هو الكارثة الأخلاقية .

حول هذا الموضوع كتبت مجلة الغرباء التى تصدر عن جمعية الطلبة المسلمين فى المملكة المتحدة تقول :

الأخلاق هى التى تغير موازين المجتمع ، ومنها الاقتصاد ، فالأخلاق تسبق الأنظمة ، وليست الأنظمة أو الأوضاع هى التى تصيغ الأخلاق ، ولكننا نعترف كذلك أن قيام الأوضاع الاقتصادية السيئة وتحكمها فى المجتمع تزيد من الانحدار الخلقى وتعمق جذوره .

اننا نحن المسلمين نعتقد ان الأخلاق قيم ثابتة لا تتغير ، فالكذب مذموم منذ نشأت الخليقة ولا يكون الكذب محمودا الا عندما تنتكس الانسانية على راسها . ونقض العهد مذموم منذ عهد الى آدم ربه فنسى ، ولا يكون غير ذلك الا فى ظل الميكافيلية التىتبرر الغاية فيها الواسطة حيث لا يبقى عهد ولا ذمة ولا التزام ، والاعتداء على الآخرين مسألة مرفوضة منذ قال قابيل لهابيل « لأقتلنك » والصفح والسماح محمود منذ أن أجاب هابيل « لئن بسطت الي يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لأقتلك » . فالقيم الأخلاقية ثابتة لا تتغير الا اذا كان مستساغا أن يمشي المرء على راسه ويشمخ برجليه فى الهواء . ولا تكون القيم ثابتة الا اذا كان مصدرها جهة أعلى من الانسان ، واعلم منه بما يصلح به أمره .

ونحن المسلمين نعتقد أن الدين هو مصدر الأخلاق ولا يصح أى تفسير يخالف ذلك ، فلقد جاء الأنبياء ابتداء من عهد آدم عليه السلام بقيم أخلاقية تصلح العلاقات بين أبناء المجتمع الانسانى . وكل فرد يلتزم بالدين يمتلك من المعطيات الخلقية ما لا يملكها غيره ، واقول « يلتزم » تأكيدا حتى لا يحتج علينا من يتسمى بالدين أو يمارس مظاهر الدين ولا يملك الخلق الذى نتحدث عنه .

وقد يقال أن بعض الناس يحملون أفكارا ومبادىء مغايرة للدين ، ومع ذلك فانهم يتمسكون بكثير من القيم الخلقية ، وهذا صحيح الى حد ما ، ولكننا نختلف مع الناس فى فهم الأخلاق ، فالأخلاق معطيات متكاملة تنبع من مصدر واحد .. الا وهو الايمان بالله واليوم الآخر ، وما لم تكن المعطيات نابعة من هذا المصدر فانها محكومة بالتناقض كذلك فانها سرعان ما تختل وتتبدل ، فقد يكون الفرد صادق الكلمة ولكنه لا يتورع عن الربا أو شرب الخمر أو لعب القمار مما يعد فى نظر العقل والدين أدوات هدم فى المجتمع وتخريب للأسر ومسخ للأنساب ، وشرب الخمر تبذير للمال واذهاب للعقل يجر وراءه كل فعل خبيث ، والقمار سلب لأموال الآخرين يجر العداوة والبغضاء ، فما قيمة صدق الكلمة الى جانب هذا التخريب ؟ وهكذا يكون الأمر عندما لا يكون مصدر الأخلاق هو الايمان بالله واليوم الآخر .

وعندما يكون المجتمع مسلما فلا أحد يتحدث حينذاك عن الكارثة الاقتصادية ، كيف والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » وعندما يقرر المسلم أن المال مال الله ، وانما هو مستخلف فيه وممتحن ، فعليه أن يعطى كل ذى حق حقه ، ومن هذا المنطلق ولأول مرة فى تاريخ البشرية لا يجد عمر بن عبد العزيز من يحتاج الى المال فى رقعة الدولة الاسلامية ، وماكانت هناك كارثة اجتماعية أو خلقية كالتى تعصف بالغرب وتكاد تكتسح الشرق .

فالمجتمع النظيف الطاهر لا ينمو فيه الا الخير ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا ونحن المسلمين نعتقد انه لو تمسك الناس بحبل الله واتجهوا اليه لما سلط عليهم شيئا من هذه الكوارث : **(وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)** ان هذا قول الله ونحن نسلم به تسليما قاطعا .

فما تصاب الانسانية بالكوارث الا لبعدها عن الله ، ولعلها أشهر ما تكون فى ارض المسلمين ، فالمسلمون عرفوا الحق فأعرضوا عنه واختلط عليهم وركنوا الى الدنيا واهلها ، وخافوا الباطل واهل الهوى والسلطان والله تعالى يقول : **(أتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين)** .

(ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) .

عبد الله بن عبد الله

كان ــ رضي الله عنه ــ في الصفوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أبوه فكان راس النفــاق .. وزعيم طائفة من أخطر الطوائف التى حاربها الاسلام ، كان هو من الذين دافعوا عن الاسلام وحملــوا لواء دعوته .. وناصروا الرسالة والرسول . اما أبوه فكان يثبط همم المسلمين .. ويكيد لهم .. ويظهر الشماتة اذا ما أصاب المســلمين مكروه . كان هو كاتبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. مخلصا لدينه .. ولأمته .

أما أبوه فكان شوكة فى ظهر المسلمين .. وحربا عليهم .

ان حديثنا هذا العدد عن صحابى جليــل لم ينقص من قدره نفاق أبيه .. وان كان يؤلمه .. ذلكم هو عبد الله .

اســــمه : عبد الله بن عبد الله بن أبى بن مالك بن الحرث بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف أنصارى خزرجى .. وكان اســمه الحباب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله .

أمــــه : خولة بنت المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بــن عمرو بن مالك بن النجار من بني مغالة .

أبــــوه : عبد الله بن أبى .. وكان يعرف بابن أبى بن ســلول ، وسلول : امرأة من خزاعة هى أم أبى بن مالك . كــان من أشراف الخزرج : فقد اجتمعت الخــزرج علــى ان يتوجــوه ويسندوا اليه أمرهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم . فلما كان الاسلام وكان محمد صلى الله عليه وسلم ، وآل الأمر فى المدينة اليه ، أخذته العزة بالاثم فلم يخلص للاسلام واضمر الشر والنفاق .. وكان ممن تولى كبر الافك فى عائشــة أم المؤمنين رضي الله عنها كان يمثل أشد الطوائف خطرا على المسلمين .. فهو يعيش معهم .. ويتجسس عليهم .. ولم يكن يحمى المسلمين من شرهم الا الوحى الالهى .. نزل فيهم قوله تعالى : **(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)** .. وقال الله فى شأنهم : **(.. هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون)** .

إعداد : فهمى الامام

عبد الله وأبوه : لما عاد المسلمون من غزوة تبوك وكشف النفاق عن وجهه القبيح قال عبد الله بن ابى كما عبر القرآن الكريم : « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » . فقال ابنه عبد الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هو والله الذليل يا رسول الله وأنت العزيز .وقال : ان أذنت لي في قتله قتلته .. فقال الرسول : « لا يتحدث الناس انه يقتل أصحابه، ولكن بر أباك وأحسن صحبته » .
وفى الصحيحين والترمذى عن ابن عمر : لما مات عبد الله بن أبى جاء ابنه عبد الله الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اعطنى قميصك اكفنه فيه ، وصل عليه ، واستغفر له .
فأعطاه قميصه .. وقال : «اذا فرغتم فآذنونني» فلما أراد أن يصلى عليه جذبه عمر ، وقال : أليس قد نهى الله أن تصلى على المنافقين .. ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا بين خيرتين : أستغفر لهم أو لا أستغفر لهم » فصلى عليه فأنزل الله عز وجل : (ولا تصل على أحد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) . فترك الصلاة عليهم .

جهـــاده : أسلم عبد الله بن عبد الله وحسن اسلامه وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مع النـــبى : كان عبد الله ــ الصحابى ــ كاتبا للنبى صلى الله عليه وسلم مقربا اليه . لم يمنعه نفاق أبيه من أن يكون الصحابى المخلص لدينه .. من أجل الدين ولمصلحة الاسلام فهو على استعداد لقتل أبيه .. وفى غير هذا فهو الابن البار بوالده المحسن لصحبته .
ذاك هو خلق الاسلام .

اســتشهاده : استشهد عبد الله يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر رضي الله عنهما سنة ١٢ هجرية بعد حياة حافلة بالجهاد والذود عن حياض المسلمين . فرضي الله عنه وارضاه .

اخبار العالم الاسلامي

اعداد : ف.ع.م

الكويت

● يوجه سمو أمير البلاد المعظم رسالة تهنئة بالعيد الى الشعب الكويتي صبيحة اول أيام عيد الفطر المبارك . ومما يذكر ان سمو الأمير يقضي فترة استجمام فى فرنسا وسوف يعود الى الكويت سالما — بمشيئة الله — بعد عطلة عيد الفطر .

● يؤدي سمو نائب الأمير وولي العهد صلاة العيد في مسجد السوق الكبير ، ثم يستقبل وفود المهنئين بالعيد فى قصر السيف العامر ، ثم يقوم بعد ذلك بزيارة عدد من العائلات الكويتية جريا على تقاليد الكويت المألوفة في هذه المناسبات .

● عاد الى البلاد وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلاميه السيد عبد الله المفرج قادما من المملكه العربية السعودية بعد أن مثل الكويت فى مؤتمر « رسالة المسجد » الذي عقد هناك مؤخرا .

● وافق مجلس الوزراء على التبرع بمبلغ ٤٠ الف دينار ، لدعم المركز الاسلامي والمستشفى الخيري الذي يجري انشاؤه حاليا في عمان .

● سيحضر السيد عبدالرحمن عبد الوهاب الفارس — الوكيل المساعد بوزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية — مهرجانا تعليميا تقيمه ندوة العلماء بمناسبة مرور ٨٥ عاما منذ تأسيسها . .ويعقد المؤتمر في لكهنو يوم ٢٨ اكتوبر .

● سيقام في صالة كلية العلوم بالخالدية فى اول نوفمبر ولمدة عشرة أيام — المعرض الأول للكتا بالعربي .. ينظم المعرض المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وتشترك فيه ١٢ دولة عربية .

● عقدت لجنة شئون الحجاج اجتماعا ناقشت فيه مختلف الأمور المتعلقة بموسم الحج القادم وتوفير أفضل الخدمات الطبية والاجتماعية للحجيج .

● خصصت جامعة الكويت ما مجموعه ١٠٦ من المنح الدراسية للدول العربية والاسلامية والدول الصديقة وقد تم توزيع هذه المنح وفق جدول خاص بها .

السعوديه

● عقد مؤتمر اسلامي في المملكة العربية السعودية دعت اليه رابطة العالم الاسلامي — فى الفترة الواقعة ما بين ١٥ الى ٢٠ من رمضان الماضي — لبحث رسالة المسجد والعودة به الى دوره الحقيقي كجامعة ومؤسسة يمتد اشعاعها الى خدمة المجتمع وقد حضر المؤتمر عدد كبير من المسئولين عن النواحي الاسلامية

● تقرر تكييف الهواء داخل الحرم المكي ، وسيتم تركيب ١٤٠ جهاز تكييف في أروقة الحرم بطابقيه ، الى جانب ١٤٠ مروحةكبيرة سيتم تركيبها في سقف المسعى بين الصفا والمروة.

● ناشدت لجنة الحج العليا المواطنين السعوديين الذين سبق لهم الحج مرارا افساح المجال للحجاج الوافدين بترك الحج هذا العام حيث ان الحج يجب على المستطيع مرة واحدة في العمر وحتى يجد من لم يحج من قبل المجال لأداء الفريضة بيسر وطمأنينة .

● سيعقد فى السعودية مؤتمر قمة عربي مصغر يحضره الملك خالد ، والملك حسين ، والرئيس محمد أنور السادات ، والرئيس حافظ الأسد لدراسة الوضع الراهن في المنطقة ، وتوحيد الصف العربي .

مصر

● ينتظر الغاء قرعة الحج هذا العام والسماح بالسفر لكل الذين تقدموا بطلباتهم بعد ابعاد الذين سبق لهم أداء الفريضة .

● شارك فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود — شيخ الجامع الأزهر — والدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف وشئون الأزهر فى مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد في السعودية مؤخرا .

ابو ظبي

● أصدر الشيخ زايد رئيس دولة الامارات تعليمات الى وزارة العدل بتطبيق الشريعة الاسلامية على الجرائم الخلقية والتصرفات المخلة بالآداب ، على أن تعرض القضايا الخاصة بها على المحاكم الشرعية لتطبق بشأنها الحدود الاسلامية .

الأردن

● تسلم مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية في الأردن من المملكة العربية السعودية كمية من مصحف الجيب وذلك لتوزيعها على الجنود الأردنيين .

الفلبين

● أدمجت الفلبين احكام الشريعة لاسلامية في صلب قانونها المدني بهدف الارتفاع بمستوى الخدمات القانونية التي تقدم الى مسلمي الفلبين ، وحتى يعامل المسلمون بمقتضاها .

الايام الاسبوع	شوال ١٣٩٥	اكتوبر ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
اثنين	١	٦	٥٧	١٠٥٦	١٢١٤	٦ ٧	٩ ٢٨	١ ١٧	٤ ٢٥	٥ ٤٤	١١٣٦	٢ ٥٧	٥ ٢٩	٦ ٤٦
ثلاثاء	٢	٧	٥٨	٥٨	١٦	٨	٢٩	١٧	٢٥	٤٤	٣٦	٥٦	٢٧	٤٥
اربعاء	٣	٨	٥٩	١١٠٠	١٨	٩	٢٩	١٧	٢٦	٤٥	٣٦	٥٥	٢٦	٤٤
خميس	٤	٩	٦٠	٢	٢٠	١٠	٣٠	١٧	٢٧	٤٦	٣٥	٥٥	٢٥	٣
جمعة	٥	١٠	٦١	٣	٢١	١١	٣٠	١٧	٢٧	٤٦	٣٥	٥٤	٢٤	٢
سبت	٦	١١	٦٢	٥	٣٣	١٢	٣١	١٧	٢٨	٤٧	٣٥	٥٤	٢٣	٤١
احد	٧	١٢	٦٣	٦	٢٤	١٢	٣١	١٧	٢٨	٤٧	٣٥	٥٣	٢٢	٤٠
اثنين	٨	١٣	٦٤	٧	٢٦	١٣	٣١	١٧	٢٩	٤٨	٣٤	٥٢	٢١	٣٩
ثلاثاء	٩	١٤	٦٥	٩	٢٧	١٤	٣٢	١٧	٢٩	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٨
اربعاء	١٠	١٥	٦٦	١١	٢٩	١٥	٣٢	١٨	٣٠	٤٩	٣٤	٥١	١٩	٣٧
خميس	١١	١٦	٦٧	١٢	٣١	١٦	٣٢	١٨	٣٠	٤٩	٣٤	٥٠	١٨	٣٦
جمعة	١٢	١٧	٦٨	١٣	٣٢	١٦	٣٣	١٨	٣٠	٥٠	٣٣	٥٠	١٧	٣٥
سبت	١٣	١٨	٦٩	١٥	٣٤	١٧	٣٣	١٨	٣١	٥٠	٣٣	٤٩	١٦	٣٤
احد	١٤	١٩	٧٠	١٦	٣٦	١٨	٣٤	١٨	٣١	٥١	٣٣	٤٩	١٥	٣٣
اثنين	١٥	٢٠	٧١	١٨	٣٨	١٩	٣٤	١٨	٣٢	٥١	٣٣	٤٨	١٤	٣٢
ثلاثاء	١٦	٢١	٧٢	٢٠	٣٩	٢٠	٣٤	١٨	٣٢	٥٢	٣٣	٤٧	١٢	٣١
اربعاء	١٧	٢٢	٧٣	٢٢	٤١	٢١	٣٥	١٨	٣٣	٥٣	٣٢	٤٦	١١	٣٠
خميس	١٨	٢٣	٧٤	٢٤	٤٣	٢٢	٣٥	١٨	٣٤	٥٤	٣٢	٤٥	١٠	٢٩
جمعة	١٩	٢٤	٧٥	٢٥	٤٥	٢٣	٣٥	١٩	٣٤	٥٤	٣٢	٤٤	٩	٢٨
سبت	٢٠	٢٥	٧٦	٢٧	٤٦	٢٣	٣٦	١٩	٣٥	٥٥	٣٢	٤٤	٨	٢٧
احد	٢١	٢٦	٧٧	٢٩	٤٨	٢٤	٣٦	١٩	٣٦	٥٦	٣٢	٤٣	٧	٢٦
اثنين	٢٢	٢٧	٧٨	٣٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٩	٣٦	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥
ثلاثاء	٢٣	٢٨	٧٩	٣٢	٥١	٢٦	٣٧	١٩	٣٧	٥٧	٣٢	٤٢	٥	٢٤
اربعاء	٢٤	٢٩	٨٠	٣٤	٥٣	٢٧	٣٧	١٩	٣٨	٥٨	٣٢	٤١	٤	٢٣
خميس	٢٥	٣٠	٨١	٣٦	٥٥	٢٨	٣٧	١٩	٣٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٢
جمعة	٢٦	٣١	٨٢	٣٧	٥٦	٢٨	٣٧	١٩	٣٩	٥٩	٣٢	٤٠	٣	٢٢
سبت	٢٧	نوفمبر	٨٣	٣٨	٥٧	٢٩	٣٧	١٩	٤٠	٦ ٠٠	٣٢	٤٠	٣	٢١
احد	٢٨	٢	٨٤	٣٩	٥٨	٢٩	٣٨	١٩	٤١	١	٣٢	٤٠	٢	٢١
اثنين	٢٩	٣	٨٥	٤٠	١ ٠٠	٣٠	٣٨	١٩	٤٢	٢	٣٢	٣٩	٢	٢٠
ثلاثاء	٣٠	٤	٨٦	٤١	٢	٣١	٣٨	١٩	٤٢	٣	٣٢	٣٩	١	٢٠

« الى راغبى الاشتــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلـــى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت ــ لبنان ــ أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهــدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبـــار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخـــرطوم : دار التوزيـــــــع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبـــــة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنســـــا .

لبنـــــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبـــــــة مكـــــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الريـــاض : مكتبـــــــة مكـــــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـــة ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائـــــف :
مكة المكرمة : برحـــــــة نصيف / مكتبة جـــدة .
المدينـــة المنـــورة : مكتبـــة ومطبعـــــة ضيـــاء .

البحريـــن : المكتبـــــة الوطنيـــــة : شـــارع بـــاب البحريـــن .

قطـــــر : الدوحـــة : مؤسســـــة العـــروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مكتبـــــة دار الحكمــــــة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحــــدة . ص.ب : (٦٥٨٨) .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

ــ الثمـــن ــ

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيـــا ١٠ قروش ● تونـــس ١٢٥ مليمـــا ● الجـــزائر دينـــار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعـــدن ٧٥ فلســـا
● لبنـــان وســـوريا ٥٠ قرشـــا ● مصـــر والســـودان ٤٠ مليمـــا

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ

آل عمران « ٢٨ »

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الحادية عشرة ـ العدد ١٣٠ ـ غرة شوال ١٣٩٥ هـ ـ أكتوبر ١٩٧٥ م

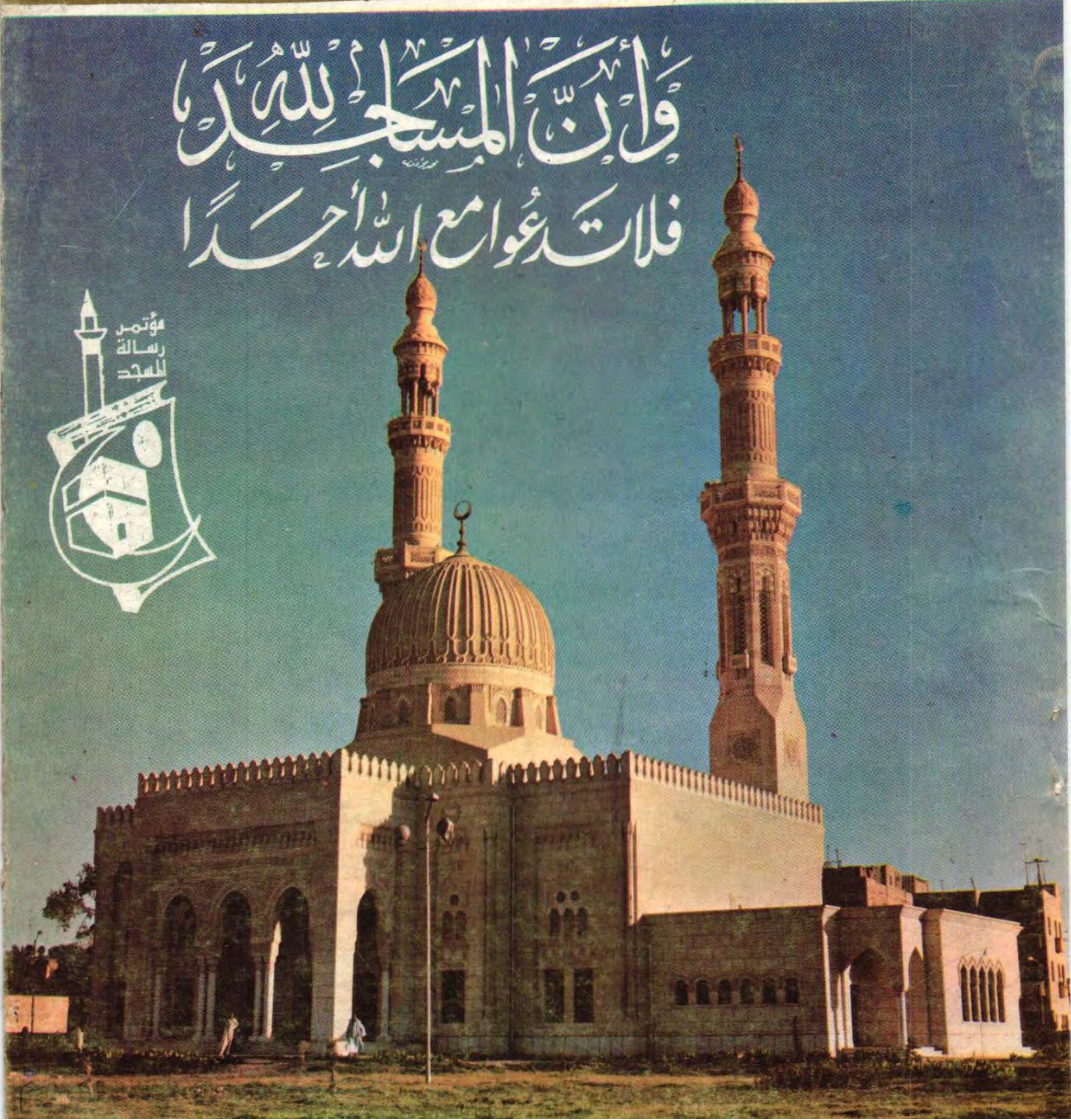


تهديك مع هذا العدد :
رسالة الحج ـ براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الحادية عشرة ـ العدد ١٣١ ـ غرة ذي القعدة ١٣٩٥ هـ ـ نوفمبر ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف :

« وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » ..
روعة الفن الاسلامى ممثلة فى مسجد مدينة الفيوم بمصر .

الوعي الاسلامي

اسلاميه ثقافيــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العـــدد : ١٣١

غرة ذى القعدة ١٣٩٥ هـ ــ نوفمبــر ١٩٧٥ م

هــدفها : المزيـــد من الوعى ، وايقــاظ الروح ، بعيــدا عن الخلافــات المذهبيـــة والسياسيــة

تصدرها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلاميــة بالكويــت فــى غـــرة كـــل شهـــر عـــربى

عنـــوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامى ــ وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتــف : ٤٣٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

منهج الدعوة في الإسلام

الدعوة الى الله مهمة جليلة وعمل ضخم ، يتطلب كفايات مؤمنة متميزة ، وينبغي أن توفر لهذه الرسالة العظيمة الامكانيات اللازمة ، وأن يجند لها نوعيات مختارة ، تتوفر لها الثقافة الواعيـــة ، والادراك العميق ، والاحاطة الشاملة بمتطلبات العصر ، والقدرة على حل مشاكله ، والفصل في قضاياه ، على ضوء الاسلام وتعاليمه .

والدعوة في جوهرها تقوم على بناء الانسان عقلا وفكرا وروحا .. بناء عقله بالعقيدة المستنيرة ، وفكره بالثقافة الراشدة ، وروحه بافساح المجـــال أمامها لترتوي من ورد الله العذب الطهور ..

ومن هنا تأتي صعوبة الدعوة ، لأن بناء الانسان ليس أمرا سهلا ، فهو كائن معقد ، تتصارع في داخله قوى مختلفة ، وتسيطر عليه رغبات ، وتتجاذبه شهوات جامحة ، وهو من أجل هذا كثير اللدد والخصومة كما حكى القرآن عنه في قول الحق سبحانه : (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) ٥٤/الكهف .. ومن هنا كانت مهمة الداعية من أشق المهام واصعبها ، لاسيما في هذا العصر الذي نعيش فيه ، فهو عصر يعاني جفافا روحيا وتكالبا على مادة الحياة ومتاعهـــا ،

ومن اجل هذا الصراع الرهيب على مطالب البدن ، فسد التصـــور ، وارتكس الفكر واضطربت الموازين والمقاييس ، حتى أوشك أن يصبح المعروف منكرا ، والمنكر معروفا .. !

وقد يكون الخطب هينا لو ان الاسلام كان فى مأمن من غارات الحاقدين ، وقذائف الأعداء .. ولكن الاسلام يتعرض لتيارات فكرية ضالة ، وغزو عقائدى خبيث ، فنحن أحوج ما نكون فى هذه الحرب المعلنة علينا من كل جانب ، الى تقوية حصوننا من الداخل ، وبناء خط دفاعى متين ، يصد الهجمات المتلاحقة ، التى لا تستهدف سوى القضاء على الاسلام . فلا بد من جهـــود مكثفة لتعميق الايمان فى القلوب ، وغرس مبادئه فى النفوس ، وتوثيق الصـــلة بين القول والعمل ، فان أخطر ما تصاب به المجتمعات الاسلامية ، ان تمتلىء حياتهـــا بالكلام مكتوبا كان أو مسموعا ، ثم هى لا تزال واقفة فى مكانها لا تتحرك خطوة نحو العمل الجاد ، والتطبيق المثمر لما بين يديها من وحى السماء (يايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقـــولوا ما لا تفعلون) ٢ و ٣/الصف .

فلا بد ان تقوم دعوتنا الى الاسلام على ركائز لا تميد ولا تهتز .. ولن يتم هذا الا بدعاة الى الله على هدى ووعى (أما أن نترك ميـــدان الدعوة هكذا بلا حراسة ، وأن نترك ابوابه مفتحة ليقتحمه كثيرون ممن لا يحسنون التوجيه ، وليست لديهم القدرة على قيادة الجماهير ، فهذا هو الذى عزل الاســـلام عن الحياة ، وحبسه فى دائرة المسجد لا يتعداه الى دنيا الناس) .. !

والقرآن الكريم يقيم لنا الأسس الصالحة التى تنهض عليهـــا الدعوة ، ويعطينا المبادىء التى تصنع الداعية ، الذى ينشىء الحياة الايمـــانية ، ويدعم القيم فى نفوس الناس ، ويعرض الاسلام عليهم عرضا يرغبهم فيه ، ويشوقهم اليه وذلك حين يضع أيديهم على منابعه العذبة الصافية ، وعنـــاصر الدعوة الناجحة التى اشار اليها القرآن الكريم : « الحكمة ، والبصـــيرة ، والعلم ، والعمل » .

يقول الله عز وجل : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

فى الآية الكريمة ارشاد من الله للدعاة بان يسلكوا فى دعوتهم سـبيل الحكمة ، والحكمة كلمة جامعة ، يدخل فى نطاقها مخاطبة النـاس على قدر عقولهم ، وفتح باب الأمل امام العاصين حتى لا ييأسوا من روح الله ، وتلوين الأسلوب ، وجمال العرض ، وعدم التطويل مخافة السآمة على المستمعين ، وان يتلطف الداعية فى النصح فلا يغلظ فى القول ولا يذكر اسـماء معينة ، ولا يجرح كرامة انسان بعينه .

ويقول الله تعالى على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسـلم وهو افضل من دعا الى الله على بصيرة :
(قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة) .

والبصيرة تعنى رقة القلب ، واشراق الروح ، وصفاء النفس ، والتجرد لله ، والاخلاص فى الموعظة . واذا كان العلم ممزوجا بالتقوى فان الداعيـة يتحدث بنور الله ، فتخرج موعظته من القلب فتقع فى القلب .

وكما ان الشمس ترسل الضياء بطبيعتها ، وتفيضه على الكون فى سهولة ويسر ، لا تتكلف فى ذلك عسرا ، ولا تبذل جهدا ، كذلك يتفجر العلم النافع من نبع التقوى ، فياخذ طريقه الى عقول الناس وقلوبهم ، فيقـع موقع الرضى والقبول فتنقاد له النفوس ، وتذعن له القلوب .
ويقول عز من قائل :
(فلنقصن عليهم بعلم) .

وهنا ياتى دور الدراسة الواعية ، القائمة على العلم الصحيح ، الخالى من الأساطير والقصص الردىء الذى اضافته الاسرائيليات فغير وجه الحقائق الاسلامية وكدر نبعها الصافى واذا كان الله تبارك وتعالى يتحدث الينا بالعلم ، ويدبر شئون الكون ومصالح العباد بالعلم المحيط بكل شيء ، فجدير بنا ان نتخلق بأخلاق الله الذى يقول سبحانه : (فلنقصن عليهم بعلم) وهذه الكلمة الجليلة « بعلم » تعنى التخصص الذى يجعل من الداعية رجلا مستنيرا واسع الأفق ، ملما بالقضايا المعاصرة ، يعالجها على ضوء الاسلام ، ويحل مشـاكلها بهدى السماء وتعاليم الأنبياء .. واذا كانت فروع العلم تقوم على التخصص والتعمق

في البحث والدراسة فكذلك شئون الدين من الفتـــوى ، والدعوة الى الله ، ينبغي ان يجند لها الخبراء العلماء ، بحيث لا يتناول شرح قضايا الاسلام وتقديمه للناس الا رواده العالمون باسراره وهذا كفيل بان يبعد عن مجال الدعوة كل دخيل عليها ، وغريب عنها .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى :
(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) ٣٣/فصلت .

وهنا ياتي عنصر التطبيق والعمل . فلا بد ان يكون المربي عاملا بمـــا يقول ، متحليا بما يدعو اليه من الفضائل ومكارم الأخلاق . فذلك يكسب دعوته ثقة الناس به ، ويعطي كلامه قوة تجمع الناس حوله وتشدهم اليه ، وان اخطر ما تصاب به الامم ان ينفصـــل فيها القول عن العمـــل ، فيرغب الدعاة في فضائل هم ابعد الناس عنها ، ويعرضون قضية هم لا يؤمنون بها ، ولا يقتنعون بجدواها . حينئذ تذهب صيحاتهم ادراج الرياح ، وتضيع جهودهم ســدى ، فليس من العقل او الحكمة ان نامر بما لم ناتمر به (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) ٤٤/البقرة .

ان الموعظة هي احسن كلمة تقال في الأرض ، وهي في مقدمة الـــكلم الطيب الذي يصعد الى السماء ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ، ومع التواضـــع لله الذي تتوارى معـــه الذات . فلا يفتر الداعي بمركزه ، ولا يتعالى على الناس بانه تصدى لارشادهم وقيادتهم ولكنه يعمل صالحا ويقول « انني من المسلمين » فهو واحد من الجماعة الاسلامية ، لا يدعي انه في مكان الصدارة او الرياسة وبذلك تصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شـــأن الا انه واحد من الناس مبلغ عن الله .

التحرير

من وحي النبوة



للشيخ احمد البسيونى

٨

عَن ابن عُمَر رضي الله عَنهُمَا
أن رَجلاً قالَ لرَسول الله صَلى الله عَليه وسَلم:
مَن الحاج ؟ قال : « الشعث التَفِل »، قالَ : فأيّ الحج أفضل ؟ قال : « العَجّ والثَجّ » قال : وما السَبيل ؟
قال : « الزادُ والراحِلة » . « رواه ابن ماجه بإسناد حسن »

من مفردات الحديث :

الشعث — بكسر العين — المتلبد الشعر ، البعيد العهد بتسريحه وغسله . قال في المصباح : شعث الرجل من باب تعب : تغير وتلبد شعره ، لقلة تعهده بالدهن ، ورجل أشعث ، وامرأة شعثاء .

والتفل — بفتح التاء المثناة فوق وكسر الفاء — هو الذي ترك استعمال الطيب .

والعج — بفتح العين المهملة ، وتشديد الجيم — هو رفع الصوت بالتلبية ، وقيل بالتكبير .

والثج — بالثاء المثلثة — هو سيلان دم الهدى والأضاحى وذلك بنحرها تقربا الى الله تعالى .

يقال : ثج الماء من باب رد ، اذا انصب بكثرة ، وثجه صبه كذلك ، والماء الثجاج ، المطر المنصب بغزارة وشدة .

الشرح والبيان :

الحج رحلة ربانية ، تهفو اليها القلوب في رغبة دافعة ، وشوق عارم ، ويحدوها الحنين الى منازل لها في النفوس منازل ! والى مواقف ترتبط بها ذكريات عزيزة كريمة ..

ولم يشرع الحج ، لمجرد الانتقال بالبدن من بلد الى بلد ، ولكنه سمو بالروح ، وارتقاء بالمشاعر ، وتفجير لأكرم العواطف وانبلها ، وتطبيق عملي لمبادىء الاسلام الخالدة ..

نعم .. ليس الحج رحلة سياحية، يراد بها الترفيه ، وارتياد أماكن للتعرف عليها ، وكشف مجهولها ، ولكنه مخطط سماوى ، الهدف منه ، تسوية الصفوف المبعثرة ، وجمع القوى المتفرقة ،وتنسيق الجهود المتنافرة ، وصيانة الحقوق المشروعة ، ورعاية المصالح المشتركة ، وربط المسلمين بتاريخهم المجيد ، يسعى المؤمنون الى ساحة الله وحرمه الآمن ، رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليعلنوا منهجهم في الحياة ، وليجددوا المعالم على طريقهم الى الله ، وليشهدوا منافع لهم .

والحجاج وفد الله ، أو ملائكته من البشر ، يمشون مطمئنين على هذه الأرض ، واذا انتظموا في هذا الموكب الجليل ، فلا رفث ولا فسوق ولا

جدال في الحج ، يتجردون من المخيط ، ليتجردوا من جواذب المادة، وهواتف النفس ، ونوازع الغرور ، ويطوفون حول البيت، ليترجمواعقيدة التوحيد الى عمل متحرك ، فهم يستقبلون بيتا واحدا ، ويعبدون ربا واحدا ، ويتبعون نبيا واحدا ، ويحكمون فيما بينهم دستورا واحدا فهم عند قول ربهم : **(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** الأنبياء /٩٢ . ويسعون بين الصفا والمروة ، ليجددوا ذكرى المؤمنة المهاجرة « هاجر » وهى تهرول بين الجبلين ، لتبحث عن الماء لولدها الظامىء « اسماعيل » ! معلنة للمؤمنين والمؤمنات ، أن الجهاد فى سبيل المبادىء ، من أقدس الواجبات ، وأن من توكل على الله ، فقد آوى الى ركن شديد ..

ويقفون بعرفة ، ليشهدوا أعظم مؤتمر اسلامى ، يسوده الحب والتآلف ، ويتم فيه التشاور والتعارف ، ويفيض منه المسلمون ، وقد تزودوا بزاد روحى ، يحملونه الى أطراف الأرض ، ويبلغونه قومهم اذا رجعوا اليهم ، ويرمون الجمرات، ليتدربوا — عمليا — على قهر الشيطان ، وسحق مكايده وهواجسه .. ومن ابرك صفات الحجاج ، التواضع ، وهضم النفس ، فالمقام مقام انكسار لله ، وخضوع لجلاله وعظمته، وليس مقام تعاظم وتطاول، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الحاج فقال : « الشعث التفل » ومعناه المتواضع ، الذي يترك الزينة ويبتعد عن الترف، غير مائل الى أسباب التفاخر والتكاثر والتجبر على خلق الله ، والناس في ملابس الاحرام سواسية ، لا ارتفاع لرأس ، ولا تمييز لوجه على وجه .. وكان الأنبياء والصالحون ، اذا وفدوا الى بيت اللهحجاجا ، يؤدون هذا النسك العظيم ، في تواضع وجنوح عن مظاهر الحياة !

فقد روى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : حج النبى صلى الله عليه وسلم على رحل رث ، وقطيفة خلق ، تساوى أربعة دراهم ، أو لا تساوى ! ثم قال : « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة» رواه الترمذى وابن ماجه . وروى الحاكم باسناد على شرط مسلم ، ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على وادى الأزرق ، فقال : « ما هذا » ؟ قالوا : وادى الأزرق .
فقال : « كأنى أنظر الىموسى عليه السلام مهبطا له جؤار الى الله بالتكبير » ثم أتى على ثنية فقال : « كأني أنظر الى موسى عليه السلام مهبطا له جؤار الى الله على ناقة حمراء جعدة خطامها ليف ، وهو يلبى ، وعليه جبة صوف » ! ..
وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد مر بالروحاء سبعون نبيا ، فيهم نبي الله موسى عليه السلام ، حفاة ، عليهم العباء ، يؤمون بيت الله العتيق » رواه أبو يعلى والطبرى .

فياليت الحجاج يعقلون معنى هذه الأحاديث ، فيكونون في حجهم متراحمين لا متزاحمين ، ومتعاونين لا متعادين ، ومتسامحين لا متخاصمين ، فليس أضيع لأجرهم عند الله من اللجاجة والجدل ، وبسط اليد واللسان بالسوء !! وقد وضع الله لحجاج بيته ، دستورا يهدى الى الرشد ، ويعصم من الزلل

يقول لهم مولاهم : **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب)** البقرة : ١٩٧ . والآية تقول : ان الحج يقع في اشهر معلومة لكم من عهد ابراهيم عليه السلام ، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن فرض الحج على نفسه في هذه الأشهر ، ودخل فيه ، فليراع آدابه ، فيتنزه المحرم عن مباشرة النساء ، وعن المعاصى ، من السباب وغيره ، وعن الجدل ، والمراء مع رفقته في الحج ، وعن كل ما يجر الى الشحناء والخصام ، حتى يخرج المحرم ، مهذب النفس ، زاده من رحلته الخير والتقوى ، وتلك شيمة المؤمنين العقلاء ..

ومن شعائر الحج ، رفع الصوت بالتلبية « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. ما اجمله من هتاف ! وما أروعه من شعار ! انه الشعار الذى يصحب الحاج في جميع مراحله ، اذا هبط واديا ، او ارتقى مكانا عاليا ، ويتجاوب الكون كله مرددا معه هذا النشيد العلوى ، فقد روى سهل بن سعد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من ملب يلبى ، الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر او مدر ، حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا عن يمينه وشماله » رواه الترمذى وابن ماجه .

والتلبية في حقيقتها ، هى النزوع بالنفس عن عالم الظلم والطغيان ، الى عالم العدل والاحسان ، وترجمتها ... يا رب : انا الواقف ببابك ، المستجيب لندائك ، المطيع لأمرك ، المقيم على عهدك ، فأنت الواحد الأحد ، رب النعمة السابغة ، والعزة السامقة ، والقوه القاهرة ، والسلطان النافذ في الأرض والسماء ، سبحانك لا اله الا انت .. وبهذه التلبية القدسية ، يتحول الناس من عبيد لشهواتهم ودنياهم ، الى سادة يملكون انفسهم ، فيملكون كل شىء ..

وعلى اجنحة هذا الهتاف الربانى ، يرتفعون الى آفاق عالية .. الى سماء الترفع عن المادة وظلمتها ، والنفوس وطغيانها ، واستغلال القوى للضعيف ، والغنى للفقير ، والاستكبار في الارض بغير الحق .. انهم بهذا اصحاب دولة يوم القيامة يشار اليهم يومئذ فيقال . **(اولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)** المؤمنون : ١٠ و ١١

عن ابى هريره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما اهل مهل قط ، ولا كبر مكبر قط ، الا بشره » قيل يا رسول الله : بالجنه ؟ قال : « نعم » رواه الطبرانى في الاوسط .

ومن مناسك الحج ، السخاء والجود ، وسيلان دم الهدى والأضاحي ، وهو ما عبر عنه الرسول الكريم بـ « الثج » وهو اراقة الدماء عند الذبح ، واهداء الابل او البقر الى البيت المعظم ، من شعائر الله ، لتذبح ، فياكل من لحمها السائل والقانع ، والمعتر الذى يتعرض لك لتعطيه ولا يسأل يقول تعالى : **(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا**

وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) الحج : ٣٦ .والذبح في أيام الحج توسعة على الفقراء ، وتخليد لذكرى فداء اسماعيل عليه السلام **(وفديناه بذبح عظيم)** ابراهيم /١٠٧ . ومن اسماعيل الذى أنجاه الله وفداه ، جاء النسل الكريم ، الذي انبثق عنه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، ففى نجاة اسماعيل ، نجاة خاتم النبيين ، بل نجاة الانسانية كلها ، ومن شكر هذه النعمة الكبرى، اراقة الدماء لاطعام الفقراء والمساكين ، وقد أمر الله الحجاج أن يعظموا شعائر الله ، وهى أوامر دينه في الحج ، ومنها ذبح الذبائح ، وذلك باستسمانها وغلاء اثمانها ، فذلك من علامات تقوى الله وتعظيم أمره **(ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق)** الحج ٣٢و٣٣فهذه الأنعام التى تتخذ هديا ينحر في الحج ، يجوز لصاحبها الانتفاع بها ، بأن يركبها ، أو يشرب البانها ، حتى تبلغ محلها — أى مكان حلها — وهو البيت العتيق، ثم تنحر هناك ، ليطعم منها البائس الفقير وقد كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغالون في الهدى ، يختارونه سمينا غالي الثمن ومن هنا يجىء التعبير القرآنى ، دالا على هذا المعنى ، فيقول الحق سبحانه : **(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ..)**وسميت بدنا ، لعظم ابدانها وضخامتها ، لأنهم كانوا يسمنونها ثم يهدونها الى البيت .. وقد أهدى لعمر رضى الله عنه ناقة غالية الثمن ، فأراد أن يبيعها ويشترى بثمنها نوقا أخرى أو بقرا للذبح ، فأنها تعطى لحما أكثر ، ولكن الرسول الكريم ، أمره أن يضحى بالنجيب ذاتها ، لنفاستها ، وعظم قيمتها ، ولا يستبدل بها نوقا كثيرة ، فالعبرة بالكيف ، لا بالكم ، فان ذلك من تقوى القلوب ..

روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « اهدى عمر نجيبا فأعطى بها ثلاثمائة دينار ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، انى اهديت الى نجيب فأعطيت بها ثلاثمائة دينار ، أفأبيعها واشترى بثمنها بدنا ؟ قال : « لا انحرها اياها » ! واراقة الدم بذبح الهدى أو الأضحية من أعظم القربات التى يمحو اللهبهاالخطايا ، ويرفع بها الدرجات ، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من محرم يضحى لله يومه ، يلبى حتى تغيب الشمس ، الا غابت بذنوبه ، فعاد كما ولدته أمه » رواه أحمد وابن ماجه . وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** آل عمران /٩٧ . فقيل له ما السبيل ؟ فقال « الزاد والراحلة » .

ومن هذا السؤال والجواب ، نستطيع ان نقرر عدة أمور ، نجملها فيما يلي :

اولا : الحج واجب على المستطيع في العمر مرة ، لحديث رواه الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قيل يا رسول الله : الحج كل عام ؟ قال : « لا ... بل حجة » قيل : فما السبيل ؟ قال : « الزاد والراحله » وفي روايه : « ان تجد ظهر بعير » ..

ثانيا : المستطيع ، هو الصحيح البدن ، الخالى من الموانع الشرعية ، المالك للزادوالراحله ، والمراد بالزاد ، نفقات السفر ، وبالراحله ، وسائل المواصلات ، بريه ، أو بحرية ، او جوية .

ثالثا : من لم يجد راحلة ، وكان قادرا على المشى ، مطيقا له ، ومعه الزاد ، او قدر على كسب الزاد فى طريقه بحرفة أو عمل أو تجارة ـ لا بسؤال الناس ـ وجب عليه الحج ، فقد قال رجل للضحاك : أكلف الله الناس أن يمشوا الى البيت ؟ فقال : لو أن لأحدهم ميراثا بمكة ، أكان تاركه ؟! بل ينطلق اليه ولو حبوا .. كذلك يجب الحج على من يطيق المشى اليه ، أما قرأت قول الله عز وجل : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا)** الحج/٢٧ . أى مشاة على أرجلهم، جمع راجل ـ والتكسب بالعمل والصناعة في موسم الحج عمل مشروع ، وهو ابتغاء من فضل الله ، فقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز أسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في المواسم ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنزلت الآية : **(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)** البقرة /١٩٨ . أى ليس عليكم حرج أن تبتغوا رزقا من ربكم بالتجارة في مواسم الحج ، وسئل عمر رضى الله عنه : هل كنتم تتجرون في الحج ؟ فقال : « وهل كانت معايشهم الا في الحج » ! هذا .. ولا يخفى أن الاستطاعة أمر نسبى ، يختلف باختلاف الناس ومستوى معيشتهم ، وما يتطلبه الحج من الصحة ، وقوة الاحتمال واطمئنان الشخص على نفسه ، وعلى من يتركهم من أسرته التى يعولها ، ويشترط فيوجوب الحج على المراة ، أن تأمن الفتنة على نفسها ، وذلك بوجود زوج أو محرم معها .. يقول صاحب المنار في تفسيره : « وأما استطاعة السبيل ، فهى عبارة عن القدرة على الوصول الى الحج ، وهى تختلف باختلاف الناس في أنفسهم ، وفي بعدهم عن البيت وقربهم منه ، وكل مكلف اعلم بنفسه » ..

فعلى كل مستطيع ، أن يبادر الى اداء هذا الركن العظيم ، قبل أن تفلت منه الفرصة ، فان الانسان لا يدري ما يعرض له ! ففى حديث رواه أبو داود : « من أراد الحج فليتعجل » وزاد أحمد فى رواية له : « فانه قد يمرض الصحيح ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة » !.

فمن أهمل او تكاسل ، فهو المحروم ! يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى وأحمد : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ، وذلك لقول الله تعالى في كتابه : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين)** آل عمران /٩٧ .. وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصرى قال : قال عمر بن الخطاب : « لقد هممت أن ابعث رجالا الى هذه الأمصار ، فينظروا كل من كان له جدة ـ أى له مال وهو قادر على الحج ـ فلم يحج ، فيضربوا عليه الجزية ، ما هم بمسلمين ، ما هم بمسلمين » !! والله الهادى الى سواء السبيل ، وهو ولى التوفيق .

الخصائص العامة للإسلام ٥

الإخاء والمساواة والحرية

للدكتور يوسف القرضاوى

هذه النزعة الانسانية الأصيلة فى الاسلام هى اساس هام لمبدأ الاخاء البشرى الذى نادى به الاسلام . وهى اساس هام كذلك لمبدأ المساواة العام الذى دعا اليه الاسلام .

وهى اساس هام كذلك لمبدأ الحرية الذى قرره الاسلام . اكد الاسلام الدعوة الى هذه المبادىء الانسانية الثلاثة ووضع الصور العملية لتطبيقها وربطها بعقائده وشعائره وآدابه ربطا محكما ، بحيث لا تظل مجرد امنية شاعرية تهفو اليها بعض النفوس ، او فكرة مثالية تتخيلها بعض الرؤوس ، أو حبر على ورق سطرته بعض الأقلام .

١ ـ مبدأ الاخاء الانسانى :

اما مبدأ الاخاء البشرى العام ، فقد قرره الاسلام بناء على أن البشر

جميعا ابناء رجل واحد وامراة واحدة ، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة ، والرحم الواصلة ، ولهذا قال تعالى فى اول سورة النساء : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تسـاءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً) النساء/١ .**

وما أحق كلمة « الارحام » المذكورة فى هذه الآية أن تفسر بحيث تشمل بعمومها الرحم الانسانية العامة ، لتتسق مع بداية الخطاب بـ « يأيها الناس » ومع ذكر النفس الواحدة التى خلق الله منها جميع الناس رجالا ونساء ، وهى نفس آدم عليه السلام وعطفها على لفظ الجلالة « الله » فى هذا المقام يدل على ان لهذه الأرحام شأنا اى شأن .

وقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقرر هذا الاخاء ويؤكده كل يوم ابلغ تأكيد واوثقه .

فقد روى الامام احمد فى مسنده عن زيد بن ارقم ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كان يقول دبر كل صلاة :

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، انا شهيد انك الله وحدك لا شريك لك » .

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك » .

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، انا شهيد ان العباد كلهم اخوة »

ورواه ابو داود .

بهذا الدعاء كان يناجى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ربه بعد كل صلاة وانه ليدلنا اوضح دلالة على قيمة الاخاء البشرى فى رسالة الاسلام .

١ ــ فهو ــ اولا ــ يعلن الاخوة بين عباد الله كلهم لا بين العرب وحدهم ولا بين المسلمين وحدهم ، مشيرا الى الجامع المشترك بينهم ، الموحد بين اجناسهم والوانهم وطبقاتهم وهو العبودية لله تعالى .

٢ ــ وهو ــ صلىالله عليه وسلم ــ يقرر ذلك فى صيغة دعاء يناجى ربه ويشهد بنفسه امامه سبحانه على حقيقة هذا المبدأ وصدقه ، اى أن تقرير هذا المبدأ ليس مجرد كلام للاستهلاك المحلى او للتضليل العالمى ، وانما هو حقيقة دينية لا ريب فيها .

٣ ــ انه قرن هذا المبدأ بالمبداين الاساسيين فى عقيدة الاسلام والدين لا يدخل احد هذا الدين الا اذا آمن وشهد بهما ، وهما : توحيد الله تعالى ورسالة عبده محمد ، وهذا الاقتران دليل على اهمية هذا المبدأ « الاخاء » لدى رسول الاسلام .

كما ان لهذا الاقتران دلالة اخرى فى تأكيد مبدأ الاخاء ، فان توحيد الله تعالى معناه اسقاط كافة المتألهين فى الأرض المتعالين على غيرهم من عباد الله وهذا اول ما يعمق اساس الاخوة بين الخلق .. كما ان الشهادة بأن محمدا عبد الله ورسوله ليس الها ، ولا نصف اله ، ولا ثلث اله ولا ابن اله ، ولا من سلالة الآلهة .. يؤكد مضمون الاخوة العامة ويثبتها .

٤ ــ ثم هو لا يكتفى باعلانه مرة فى العمر او مرة كل عام ، او حتى كل شهر او كل اسبوع بل يدل هذا الحديث أنه كان يكرر ذلك فى كل يوم ، وعقب كل صلاة ، اى خمس مرات فى اليوم والليلة وهذا دليل على مزيد العناية

والاهتمام .

٥ ــ انه جعل ذلك من الاذكار والأدعية التى يتعبد بها ، ويتقرب الى الله بتكرارها ، وربطه بالصلاة وختامها ، وهذا يضفى عليه قدسية ومنزلة فى قلوب المؤمنين لا تعدلها منزلة مبدأ يقرر بعيدا عن الله وعن هداه .

ويزداد هذا الاخاء توثقا وتأكدا اذا أضيف اليه عنصر الايمان ، فتجتمع الاخوة الدينية الى الاخوة الانسانية ، وتزيدها قوة على قوة ، واذا كان باب الايمان مفتوحا لكل الناس بلا قيد ولا شرط ولا تحفظ على جنس أو لون أو اقليم أو طبقة ، فان الاخاء الدينى المتفرع عن الايمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الاخاء العام ، بل يشد عضده ويقويه ويجعل له فى واقع الناس كتلة حية ملموسة تؤمن به وتطبقه ، وتدعو اليه ، وتدافع عنه ، فلا تنافى اذن بين الاخاء البشرى العام وبين الاخاء الدينى الذى نلمسه فى مثل قوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة) الحجرات/١٠ . وقوله صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه البخارى .

٢ ــ مبدأ المساواة العام :

وأما مبدأ المساواة العام الذى قرره الاسلام ونادى به ، فأساسه : ان الاسلام يحترم الانسان من حيث هو انسان لا من أى حيثية اخرى ، الانسان من أى سلالة كان ومن أى لون كان ، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر ، وبين قوم وقوم وبين لون ولون مسقطا كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية والقومية واللونية . يقول القرآن : **(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)** الحجرات/١٣ .

وقد خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس بمعنى هذه الآية فى حجة الوداع فى اوسط أيام التشريق فقال : « يأيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، الا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » رواه البيهقى وفى الحديث الآخر : « الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب » رواه أبو داود .

الانسان من أى وطن كان وأى بلد كان ، بلا فرق بين وطن ووطن وبين اقليم واقليم فالبلاد كلها أرض الله ، والناس كلهم عباد الله وبهذا تسقط كل الوان العصبية الاقليمية والوطنية التى تعلى أهل بلد على غيره .

الانسان من أى طبقة كان . دون تفريق بين طبقة وطبقة وبين فئة واخرى فكل الناس سواسيه وكل المؤمنين اخوة ولا اعتبار للغنى أو للفقير فى تقديم الناس أو تأخيرهم .. بل الواجب انزالهم منازلهم واعطاء كل ذى حق حقه دون نظر الى تلك الاعتبارات .

وبهذا تسقط الاعتبارات الطبقية التى أقام عليها بعض الناس فلسفتهم الحاقدة السوداء التى تبنى طبقة واحدة بهدم كل الطبقات .

بل الانسان من أى دين كان فان اختلاف الأديان لا يسقط عن المخالفين انسانيتهم ولا يخلعهم حتى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قام لجنازة ، فقيل له : انها جنازة يهودى فقال : « أليست نفسا ؟؟ » رواه البخارى .

قد يختلف الناس فى أجناسهم وعناصرهم فيكون منهم الآرى والسامى والحامى والعربى والعجمى . وقد يختلفون فى أنسابهم وأحسابهم فيكون منهم من ينتمى الى أسرة عريقة فى المجد ومن ينتمى الى أسرة صغيرة مغمورة فى الناس .

وقد يتفاوت الناس فى ثرواتهم فيكون منهم الغنى ومنهم الفقير ومنهم المتوسط الحال وقد يتفاوتون فى أعمالهم ومناصبهم ، فيكون منهم الحاكم والمحكوم ويكون منهم المهندس الكبير والعامل الصغير ، ويكون منهم استاذ الجامعة والحارس ببابها .

ولكن هذا الاختلاف أو التفاوت لا يجعل لواحد منهم قيمة انسانية اكبر من قيمة الآخر ، بسبب جنسه أو لونه أو حسبه أو ثروته أو عمله أو طبقته أو أى اعتبار آخر .

ان القيمة الانسانية واحدة للجميع . فالعربى انسان والعجمى انسان ، والأبيض انسان والأسود انسان والحاكم انسان والمحكوم انسان والغنى انسان والفقير انسان ، ورب العمل انسان والعامل انسان .. والرجل انسان ، والمرأة انسان .. والحر انسان والعبد انسان وما دام الكل انسانا ، فهم اذن سواسية كأسنان المشط الواحد .

ومن هنا اعتبر الاسلام الاعتداء على نفس أي انسان اعتداء على الانسانية كلها ، كما جعل انقاذ أى نفس انقاذا للجميع ، هذا ما كرره القرآن بوضوح : **(أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)** المائدة / ٣٢ .

شعائر الاسلام تثبت معنى المساواة :

ولم يكتف الاسلام بتقرير مبدأ المساواة نظريا ، وتثبيته فكريا بل اكده عمليا بجملة احكام وتعاليم نقلته من فكرة مجردة الى واقع ملموس . من ذلك العبادات الشعائرية التى فرضها الاسلام وجعلها الأركان العملية التى يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج .

ففى مساجد الاسلام ــ حيث تقام صلاة الجمعة ــ تأخذ المساواة صورتها العملية وتزول كل الفوارق التى تميز بين الناس ، فمن ذهب الى المسجد أولا أخذ مكانه فى مقدمة الصفوف وان كان أقل الناس مالا ، وأضعفهم جاها ، ومن تأخر حضوره تأخر مكانه مهما يكن مركزه ، ولو نظرت الى صف واحد من صفوف المصلين لراعك أن تجد فيه الغنى بجانب الفقير والعالم بجانب الأمي ، والشريف بجانب الوضيع والحاكم بجوار الخادم .. لا فرق بين واحد وآخر فكلهم سواسية أمام الله ، فى قيامهم وقعودهم وركوعهم وسجودهم .. قبلتهم واحدة وكتابهم واحد وربهم واحد ، وحركاتهم واحدة ، خلف امام واحد .

وفى الأرض المقدسة ـ حيث تؤدى مناسك الحج والعمرة ـ تتحقق المساواة بصورة أشد ظهورا ، وتتجسد تجسدا تراه العين ، وتلمسه اليد ، فقد يظل الناس فى صف الصلاة متمايزين بما يلبسون من أنواع الثياب التى تختلفباختلاف الأقوام أو البلدان أو الطبقات أما فى الحج والعمرة فان شعيرة الاحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين ان يتجردوا من ملابسهم العادية ويلبسوا ثيابا بيضاء ساذجة لم يدخلها التكلف والتصنع والتفصيل ، أشبه ما تكون بأكفان الموتى يستوى فيها القادر والعاجز ، والملك والسوقة ، ثم ينطلق الجميع ملبين بهتاف واحد « لبيك اللهم لبيك .. » مبتهلين الى رب واحد ، طائفين ببيت الحرام ، معظمين لشعائره لا فرق بين سيد ومسود ، ولا بين آمر ومأمور .

المساواة امام قانون الاسلام :

ومن المساواة العملية التى قررها الاسلام قولا ، وطبقها فعلا : المساواة أمام قانون الشرع وأحكام الاسلام .

فالحلال حلال للجميع ، والحرام حرام على الجميع ، والفرائض ملزمة للجميع ، والعقوبات مفروضة على الجميع ..

وحاول الصحابة أن يشفعوا أسامة بن زيد ـ حب رسول الله وابن حبه ـ فى امرأة من قريش ومن بنى مخزوم ، سرقت فاستحقت أن يقام عليها حد السرقة : قطع اليد فكلمه فيها أسامة ، فغضب صلى الله عليه وسلم غضبته التاريخية المعروفة حين اختطب : فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه . واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وانى والذى نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » الحديث رواه مسلم .

وفى عهود الخلفاء الراشدين رأينا كثيرا من الصور والامثلة لتطبيق مبدا المساواة بين جميع الناس ، دون تفريق أو تمييز . وحسبنا أن نشير هنا الى قصة جبلة بن الأيهم ـ الامير الغسانى ـ مع الاعرابى الذى شكا الى عمر أمير المؤمنين كيف لطمه جبلة بغير حق ، فلم يسع عمر الا أن يحضر جبلة ويطلب اليه أن يمكن الاعرابى ليقتص منه ، لطمة بلطمة ، الا أن يعفو عنه ويصفح ، وعز على الأمير الغسانى أن يفعل ذلك ، وقال لعمر بصراحة : كيف يقتص مني وأنا ملك وهو سوقة .. ؟

فقال عمر : ان الاسلام قد سوى بينكما .

ولم يسغ الأمير المسكين هذا المعنى الكبير وخرج من المدينة هاربا مرتدا عن الاسلام الذى يفرض المساواة بين الملك والسوقة أمام شرع الله . وغلبت عليه شقوته فكان من الخاسرين .

ولم يبال عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة لأن آرتداد رجل عن الاسلام اهون بكثير من التهاون فى تطبيق مبدأ عظيم من مبادىء الاسلام ، كالمساواة .. وخسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ .

ومما نشير اليه هنا كذلك : قصة عمر مع واليه على مصر : عمرو بن

العاص ، حين ضرب ابنه ابن القبطـــيمتطاولا عليه بأنه « ابن الأكرمين» وكيف سافر القبطى من مصر الى المدينة شاكيا الوالى ، وطالبا النصفة والعدل ، فما كان من عمر الا ان استدعى عمرا وولده وأمر ابن القبطي أن يضرب ابـــن عمرو كما ضربه ثم قال لعمرو كلمتـــــه الشهيرة : متى استعبدتم الناس وقـــد ولدتهم امهاتهم أحــــرارا . . . ؟

ومما يلفت الانتباه ويجدر بالتسجيل هنا ، موقف القبطى وســـــفره من مصر الى المدينة على بعد المسافة ، ومشقة الطريق ، وضعف الوسائل ، وقد كان هذا القبطى وألوف أمثاله يضربون ويعذبون ويضرب أبناؤهم وأهلوهم فى عهد الرومان فما يرفعون بالشكاية رأسا ولا يحركون ساكنا .

ترى ما الذى طرأ عليهم وما الذى غير من نظرتهم وجعلهم يحســــــون بالظلم ويشكون منه ويركبون الصعب فى سبيل الانتصاف لأنفسهم . . ؟ انه الاسلام بلا ريب . . الاسلام اشعرهم بكرامتهم الانســـــانية وأفهمهم أن لهم حقوقا يجب أن ترعى ، مثلما أن عليهم واجبات ينبغى أن تطلب ، وعرفوا أن هذه المباديء الانسانية الجديدة ليستحبرا على ورق ولا مجرد لافتات للدعاية وانما هى دين يجب أن يحترم وينفذ .

فلا عجب أن قطع الرجل الفيافى ، ليطالب بحقه ويسترد كرامته التـــى صانها له الاسلام . وفى عهد أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه سقطت درع له فالتقطها نصرانى ، فعرفها علي معه ، فقال : هذه درعى ولكن الرجل انكر وادعى انها ملكه . . فلم يملك امير المؤمنين الا ان يقول للنصرانى : بينى وبينك القضاء ، وذهبا الى القاضي شريح ، وبعد سماع الخصمين طلب القاضي من الخليفة بينة على دعواه أى شهود ، فلم يكن عنده . . فما كان من القاضي الا أن حكم للرجل النصرانى بالدرع بحكم وضع يده عليها .

ودهش النصرانى لهذا الحكم الذى لم يكن يتوقعه فقال : اشهد أن هذه احكام انبياء ، امير المؤمنين يذهب معى الى قاضيه فيحكم لى عليه ، وهو يعلم انه لا يكذب ، أما انى اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . . الدرع درعك يا أمير المؤمنين سقطت منك فأخذتها : قال أما قد أسلمت فهى لك ! أى نظام فى الدنيا يعامل رئيس الدولة كما يعـــــامل واحدا من الرعيـــة ، غير الاسلام . . ؟

كيف كانت المساواة فى امم الحضارة عند ظهور الاسلام :

ولا يقدر قيمة المساواة فى الاسلام حق قدرها ، الا من اطلع على تاريخ الامم عند ظهور الاسلام وكيف كان التمييز والتفاوت بين الناس ، يأخذ اشكالا حادة تهون معها كرامة الانسان ونكتفى هنا ببلدين شهيرين فى التاريخ ، هما فارس والهند .

ففى بلاد الفرس كانت الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجــــرى فى عروقهم دم الهى وكان الفرس ينظرون اليهم كآلهة ويعتقدون أن فى طبيعتهم شيئا علويا مقدسا ، فكانوا يكفرون لهم وينشدون الأناشيد بألوهيتهم ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر ، لا يجرى اسمهم على لســـــانهم

ولا يجلس احد فى مجلسهم ويعتقدون ان لهم حقا على كل انســـــان وليس لانسان حق عليهم .

وكذلك كان اعتقادهم فى البيوتات الروحية والاشراف من قومهم فيرونهم فوق العامة فى طينتهم وفوق مستوى الناس فى عقولهم ونفوسهم ويعطونهم سلطة لا حد لها ويخضعون لهم خضوعا كاملا .

يقول البروفسور ارتهر سين مؤلف تاريخ (ايران فى عهد الساسانيين) : كان المجتمع مؤسسا على اعتبار النسب والحرف وكان بين طبقات المجتمــــع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة ، وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقارا لأمير أو كبير وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذى منحه نسبة ، ولا يستشرف لما فوقه ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التى خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيعا وظيفة من وظائفهم وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا وكان لكل واحد مركز محدد فى المجتمع .

وكان فى هذا التفاوت بين طبقات الأمة امتهان للانسانية ، يظهر ذلك جليا فى مجالس الأمراء والأشراف ، حيث يقوم الناس على رؤوس الأمراء كأنهم جماد لا حراك بهم ويجلسون مزجر الكلب .

أما فى الهند فيذكر العلامة السيد ابو الحسن الندوى : أنه لم يعرف فى تاريخ أمة من الامم نظام طبقى أشد قسوة وأعظم فصلا بين طبقة وطبقة وأشد استهانة بشرف الانسان من النظام الذى اعترفت به الهند دينيا ومدنيا وخضعت له آلافا من السنين ولا تزال . فقبل ميلاد المســــيح بثلاثة قرون ازدهرت فى الهند الحضارة البرهمية ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندى وألف فيه قانون مدنى وسياسي اتفقت عليه البلاد واصبح قانونا رسميا ومرجعا دينيـــا فى حياة البلاد ومدنيتها وهو المعروف الآن بـ « منوشاستر » يقسم هذا القانون أهل البلاد الى اربع طبقات متميزة وهى :

١ — البراهمة : طبقة الكهنة ورجال الدين .
٢ — شترى : رجال الحرب .
٣ — ويش : رجال الزراعة والتجارة .
٤ — شودر : رجال الخدمة .

ويقول « منو » مؤلف هذا القانون :

ان القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه ، وشترى من سواعده وويش من أفخاذه والشودر من أرجله .. ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم . فعلى البراهمة تعليم « ويد » (الكتاب المقدس) أو تقـــديم النذور للآلهة وتعاطى الصدقات وعلى (الشترى) حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسة « ويد » والعزوف عن الشهوات .. وعلى « ويش » رعي السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة « ويد » والتجارة والزراعة وليس لشودر الا خدمة هذه الطبقات الثلاث ..

وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقا الحقتهم بالآلهة ، فقد قال : ان البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق ، وان ما فى العـــالم

هو ملك لهم ، فانهم افضل الخلائق وسادة الأرض ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر ــ من غير جريرة ــ ما شاءوا لأن العبد لا يملك شيئا وكل ما له لسيده .

وان البرهمى الذى يحفظ رك ويد « الكتاب المقدس » هو رجل مغفور له ولو اباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله ، ولا يجوز للملك حتى فى أشد ساعات الاضطراب والفاقة أن يجبى من البراهمة جباية أو يأخذ منهم اتاوة ، ولا يصح لبرهمى فى بلاده ان يموت جوعا ، وان استحق برهمى القتل لم يجز للحاكم الا أن يحلق رأسه ، اما غيره فيقتل .

أما الشترى فان كانوا فوق الطبقتين « ويش وشودر » ولكنهم دون البراهمة بكثير فيقول : « مينو » أن البرهمى الذى هو فى العاشر من عمره يفوق الشترى الذى ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده .

أما « شودر المنبوذون » فكانوا فى المجتمع الهندى ــ بنص هذا القانون المدنى الدينى ــ احط من البهائم واذل من الكلاب ! فيصرح القانون بأن « من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم اجر وثواب بغير ذلك » .

وليس لهم أن يقتنوا مالا أو يدخروا كنزا ، فان ذلك يؤذى البراهمة . واذا مد أحد من المنبوذين الى برهمى يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، واذا رفسه فى غضب فدعت رجله . واذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوى استه وينفيه من البلاد !! وأما اذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، واذا ادعى انه يعلمه سقى زيتا فائرا ، وكفارة الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء .

وقد نزلت النساء فى هذا المجتمع منزلة الأماء ، وكان الرجل قد يخسر امرأته فى القمار ، وكان فى بعض الأحيان للمرأة عدة ازواج ، فاذا مات زوجها صارت كالمؤودة لا تزوج ، وتكون هدف الاهانات والتجريح ، وكانت امة بيت زوجها المتوفى وخادم الاحماء ، وقد تحرق نفسها على أثر وفاة زوجها تفاديا من عذاب الحياة وشقاء الدنيا .

فليوازن المنصف بين هذا كله وبين ما جاء به الاسلام ، ليعرف الفرق بين الظلمات والنور .

محور الأخلاق

يتبين للدارس المنصف ان المذاهب الاخلاقية الوضعية لم يخل كل منها من ضيق وقصور . فاذا ما انتقل الى الأخلاق الاسلامية وجدها كالينبوع الثر الذي لا ينضب ، المتدفق الذي لا يغيض ، النقي الذي لا يترنق ، المسترسل الذى لا يتوقف المبرأ من العيوب والنقائص على تعاقب الازمان والأجيال .

فما هو هذا الينبوع ؟ انه الاسلام الذي لا يهدى الى الأخلاق الفضلى والمثل العليا سواه .

واذا كان الاسلام هو الينبوع ، فما المحور المركز الثابت الذي تستدير الفضائل كلها حوله فتجذبه اليه كما تدور الأرض حول امها الشمس ؟

انه التقوى . فماذا تعني التقوى ؟

١ — للتقوى دلالة دينية تشمل طاعة الله تعالى ، والرغبة في ثوابه وتشمل خشيته سبحانه والخوف من عقابه ، وهي بهذه الدلالة الشاملة المحور الذي تدور حوله الاخلاق الاسلامية .

هي الأساس الوطيد الذي لا يتبدل ولا يميد ولا يخضع للأهواء والمقاييس الفردية أو المقاييس العامة التي تتحول وتتغير .

هي المركز الذي تلتف الفضائل من حوله ، ويرنو اليه كل فرد برغبة وبرهبة ، ويدور في محيطه سواء

الإسلامية

للدكتور : احمد الحوفي

احقق له نفعا عاجلا ام لم يحقق ، بل انه يدور من حوله منجذبا اليه وان كان في دورانه ضرر محقق يمسه في نفسه او في ماله او في رغبة من رغباته .

وما من شك في ان الذي يتقي ربه يحبه ، ويطيعه ، ويعمل ما يستحق عليه ثوابه ، ويكف عما ينزل به عقابه فيحيا في طهارة نفس وصلاح عمل . وبراءة تدبير ، وثراء من الخير والحق وينفر من كل شر ويتحاشى كل رذيلة ونقيصة .

ولن يكون التقي — وهو يعلم ان الاسلام ينبوع الاخلاق وان التقوى محورها — الا كريما شجاعا عادلا امينا عفيفا صادقا وفيا رحيما غيورا متحليا بكل فضيلة ، مبرأ من الجبن والبخل والفجور والغدر والكذب ومن كل رذيلة .

٢ — ولقد ترددت كلمة التقوى ومادتها في القرآن الكريم بهذا المعنى تسعا وثلاثين ومئتي مرة ، منها امر صريح بالتقوى ثلاثا وثمانين ، ومنها كلمة تقوى تسع عشرة ، وكلمة تقي ثلاث مرات ، وكلمة الأتقى مرتين .

قال تعالى (**فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى**) النجم / ٣٢ ، والمعنى لا تنسبوا انفسكم الى طهارة العمل ، وزيادة الخير وكثرة الطاعات والبعد عن المعاصي ، فان الله يعلم الزكي منكم والتقي .

وقال سبحانه : « **وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى**) البقرة / ١٨٩

فقد كان ناس من الأنصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب ، فاذا كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ، منه يدخل ويخرج ، او اتخذ سلما يصعد فيه ، وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء ، فبين لهم سبحانه وتعالى ان البر ليس بتحرجهم من دخول الباب ، ولكن البر هو اتقاؤهم ما حرم الله . واجتنابهم ما نهى عنه .

وقال تعالى (**يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى**) المائدة / ٨ ، اي لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل ، فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم ، وتشتفوا ما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد ، وأمرهم سبحانه بالعدل لانه اقرب الى التقوى . والآيات في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى : (**للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري**

من تحتها الأنهار) آل عمران / ١٥ وقوله تعالى : **(ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)** الأعراف / ٩٦ وقوله سبحانه : **(وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا)** الزمر / ٧٢ وقوله تعالى : **(ان أكرمكم عند الله اتقاكم)** الحجرات /١٣ وقوله سبحانه **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة / ٢ .

٣ ــ ونستطيع أن نستنبط للتقوى ــ مع هذه الدلالة العامة التي تجمع كل فضيلة وتنفي كل رذيلة ــ معاني جزئية تتصل بها فضائل معينة :

أ ــ فالكرم متصل بها في قوله تعالى : **(فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى .)** الليل / ٥ ــ ٧ .

وفي قوله تعالى : **(وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتى ماله يتزكى .وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى)** الليل / ١٧ ــ ٢٠ .

ب ــ والشجاعة متصلة بها في قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين)** التوبة / ١٢٣ . وقوله سبحانه : **(يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)** آل‌عمران / ٢٠٠ فقد أمرهم الله بالصبر على الدين وتكاليفه أو بالصبر على الشدائد وأمرهم بمغالبة أعداء الله في الصبر على أهوال الحرب ، وبالاقامة في الثغور مرابطين فيها بخيلهم ، مترصدين للغزو والدفاع عن الوطن والدين .

جـ ــ والعدل مرتبط بالتقوى في قوله تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)** البقرة / ١٩٤ ، وقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)** المائدة / ٨ .

د ــ والعفة ذات علاقة بها في قوله تعالى : **(يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)** الاحزاب / ٣٢ فقد نهى الله تعالى نساء النبي اذا ما أردن التقوى عن الاجابة بكلام لين مريب حتى لا يطمع فيهن صاحب فجور ، وأمرهن أن يقلن قولا حسنا فيه الجد وقطع الطمع فيهن .

هـ ــ وللصدق صلة بها في قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** التوبة / ١١٩ .

و ــ والوفاء بالعهد شعبة من التقوى في قوله تعالى : **(فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما)** الفتح / ٢٦ فقد روى عن الحسن أن كلمة التقوى هنا هي الوفاء بالعهد ، واضيفت الكلمة الى التقوى لأنها سبب التقوى واساسها . وفي قوله سبحانه : **(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون)** الأنفال / ٥٦ .

ز ــ والرحمة غصن من دوحتها في قوله تعالى : **(وليخش الذين لو**

تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) النساء / ٩ وذلك أن الله تعالى أمر الأوصياء بأن يخشوا ربهم فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم ، كما يخافون على ابنائهم ويشفقون عليهم لو انهم تركوهم ضعافا .

ح ــ والعفو جزء منها في قوله سبحانه : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله)** الشورى / ٤٠ .

ط ــ والصبر جانب من جوانبها في قوله تعالى : **(وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)** ١١٦ ــ ١٢٨ النحل . فقد روى أن **المشركين مثلوا ببعض المسلمين يوم أحد ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة وقد بقروا بطنه ، ومثلوا به ، فقال :** « اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك » ، **فنزلت الآيات ، فكفر عن يمينه . وكف عما اراده . وفي الآية أمر من الله للنبي بالصبر ، وتأكيد أن الله ولي** المتقين الذين يحسنون ما يعملون وهم الذين يخشون ربهم ، وهم الذين يصبرون . **وفي قوله تعالى . (لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور)** آل عمران / ١٨٦ .

ى ــ والأمانة فرع من التقوى في قوله تعالى : **(فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه)** البقرة / ٢٨٣ . وفي قوله سبحانه : **(يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا)** البقرة / ٢٨٢ .

ك ــ وقوة العزيمة ومضاء الارادة مظهر من مظاهر التقوى في قوله تعالى : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم . ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)** الأعراف/١٩٩ ــ ٢٠٠ أي خذ ما عفا لك من أخلاق الناس وافعالهم ، وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ، ولا تطلب منهم ما يجهدهم ويشق عليهم ، وأمر بالمعروف والجميل من الأفعال ، ولا تكافيء السفهاء بمثل سفههم ، ولا تجادلهم ، بل احلم عليهم ، وأعرض عنهم . وروى جعفر الصادق : ان الله امر نبيه بمكارم الأخلاق ، وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية .

فان حملك الشيطان بوسوسته على خلاف هذا فلا تطعمه ، واستعذ بالله من وسوسته ، لأن المتقين اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه ، فأبصروا السداد ، وتغلبوا على الوسواس .

هكذا يتبين ان التقوى محور الفضائل كلها وان الفضائل تدور في فلكها الرحيب موصولة بها منجذبة اليها .

مصادر
التشريع الاسلامي

دلالة النصوص على الأحكام

للدكتور محمد سلام مدكور

كان جل فقهاء الصحابة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب، وقد نزل القرآن بلغتهم ، وجاءهم رسول من انفسهم يتكلم بلسانهم وعاصروه ، فكان من السهل عليهم ان يفهموا ما تحمله النصوص من أحكام بمقتضى سليقتهم، ومعاصرتهم لها ، وتعرفهم على مناسباتها ، وكانوا اذا تلوا نصوص القرآن أمعنوا فيها النظر حتى يتبينوا مراميها ، يقول ابن مسعود « كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن » .

لكن بعد ان دخل فى الاسلام كثير من غير العرب ممن تعلموا العربية وبرزوا فى الدراسات الاسلامية ، ولم تكن العربية لغتهم الأصلية احتاج الأمر الى وضع قواعد تبين طرق التعرف على الأحكام من حيث النظر فى الألفاظ ودلالتها ، ومراتب الأدلة ، وتعارضها ، ووجوه ترجيحها . وذلك أخذا من الطرق التى سلكها الشارع فى تقرير أحكامه ، والمقاصد التى يمكن التوصل بمراعاتها الى فهم الأحكام من النصوص على الوجه الصحيح ، ويكشف ما فيها من خفاء ، ويرفع ما بينها من تعارض فيمايظهر لهم . ولما كانت النصوص عربية فصيحة فقد عنى الأصوليون بالقواعد اللغوية عنايتهم بالقواعد الأصولية . ولعلاقة اللفظ بالمعنى عدة اعتبارات :

أ) فمن ناحية اعتبار المعنى الذى وضع له يكون خاصا وعاما وجمعا منكرا ومشتركا .

ب) ومن ناحية اعتبار المعنى الذى استعمل فيه يكون حقيقة ومجازا ، وصريحا وكناية .

جـ) ومن ناحية اعتبار خفاء المعنى وظهوره يكون واضحا وخفيا مع تفاوت مراتب كل منهما .

د) ومن ناحية اعتبار طرق دلالة النص . تكون دلالة منطوقة أو كما يقول الحنفية دلالة عبارة ودلالة اشارة ودلالة اقتضاء ، او تكون دلالة مفهوم موافقة

ويسميها الحنفية دلالة نص ، أو تكون دلالة مفهوم مخالفة ، وانا سنعرض هنا فكرة مبسطة لشيء من مباحث الألفاظ ودلالتها مع الاحالة الى كتب الأصـــول ومنها كتابى « أصول الفقه الاسلامى » .

أولا ــ من ناحية الخصوص والعموم :

أ) اللفظ ان وضع فى اللغة للدلالة على معنى واحد على سبيل الانفراد فهو ما سماه الأصوليون (الخاص) مثل محمد فى الدلالة على معنى واحد بالشخص ، ومثل رجل وامرأة فى الدلالة على معنى واحد بالنوع ، ومثل انسان للدلالة على معنى واحد بالجنس ، ومثل الاعداد ثلاثة وخمسة وماية ومثـــل رهط فانها موضوعة للدلالة على افراد متعددة محصورة بدلالة اللفظ نفسه .
واللفظ الخاص كما يكون من الأسماء الجامدة على ما ذكرنا فانه يكون من الألفاظ المشتقة كصيغ الأمر والنهى مثل : **(وكلوا واشربوا)** ، **(وأقيموا الصلاة) وآتوا الزكاة)** اذ المعنى فيها واحد وهو طلب الأكل وطلب الشرب وطلب اقامة الصلاة وطلب ايتاء الزكاة ، كما يكون اللفظ الخاص من الصفات التى لم تعرف بأل كاسم الفاعل مثل لفظ قاتلوا فى قوله تعالى : **(وقاتلوا المشركين كافة)** ، وكذلك فمن الفاظ الخصوص حروف الجر ، وحروف العطف ، وأسماء الظرف، وبعض كلمات الشرط كأن ولو ، ومنها أيضا النكرة فى سياق الاثبـــات كرجل ورجال فانها تدل على الوحدة الشائعة اذا كانت مفردة وتدل على ما فوقها من تثنية وجمع شائعين . فهى فى المثنى شائعة فى المثنيات ، وفى الجمع شائعة فى الجموع .

حكم الخاص :

واللفظ الخاص الوارد فى نصوص التشريع الاسلامى كتابا كان أو سنة يدل على المعنى الواحد الموضوع له على سبيل القطع . ما لم يمنع من ذلك دليل آخر يصرفه عن الموضوع له . فلفظ **(ثلاثة)** فى قوله **(فصـــيام ثلاثة أيام)** المائدة/٨٩ خاص ولا يمكن حمله على الأقل أو الأكثر . ولفظ نصف فى قوله سبحانه : **(ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد)** ولفظ نار فى قوله تعالى : **(يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم)** كلها الفاظ خاصة تفيد القطع فى المعنى الذى وضعت له،ولاعبرة بالاحتمال الذى لم يقم عليه دليل كاحتمال أن يكون المراد من لفظ نار فى الآية المذكورة غضب نمرود الحاكم . اذ لم يقم عليه دليل فلا يؤثر لذلك علىقطعية دلالة لفظ نار على اللهب المشتعل المحرق .
والخاص لا يحتمل البيان لأنه بين بنفسه لكنه يحتمل التأويل ، ولاحتماله التأويل فقد صرف الحنفية ، اللفظ الخاص عن معناه الحقيقى فى بعض النصوص لوجود قرينة تقتضي صرفه عن الحقيقة . فلفظ (شاة) فى قوله عليه السلام : « فى كل أربعين شاة ــ شاة » فالحديث يفيد الخصوص فى تقدير النصاب الذى تجب فيه الزكاة ، وفى العقد الواجب اخراجه . لكن الحنفية أولوا القدر الواجب هنا بما يعم الشاة وقيمتها .

وقد تكون صيغة الخاص مطلقة عن أى قيد يقلل من شيوعها ، كما تكون مقيدة بقيد لفظى يقلل من شيوعها . كأن تقيد لفظ مصرى بمسلم ، ولفظ عربى بكويتى ، ولفظ حيوان بمفترس . ومن ذلك قوله تعالى فى كفارة القتل الخطأ : **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة)** النساء/٩٢ ، فالقتل الذى تجب فيه الكفارة مقيد بكونه وقع خطأ فلا تجب الكفارة فى القتل العمد . والرقبة الواجب عتقها قيدت بكونها مؤمنة فلا تجزى الكافرة .

ومن الفاظ الخاص التى جاءت مطلقة ولم تقيد كلمة **(ايام)** فى قوله تعالى **(ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر)** البقرة/١٨٥ . فانها لم تقيد بكونها متتابعة ، ولفظ أزواج فى قوله تعالى **(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا)** البقرة/٢٣٤ . فقد جاء مطلقا من قيد المدخول بهن . فوجبت عدة الحداد على غير المدخول بها أيضا .

أما اذا وجد دليل يدل على تقييد المطلق ، ولو كان نصا آخر منفصلا فانه يتقيد به ومن ذلك تقييد لفظ وصية فى قوله تعالى (.. من بعد وصية ..) بحديث « الثلث والثلث كثير » وبحديث « لا وصية لوارث » . وللفقهاء تفصيل فى حمل المطلق على المقيد عند ورود نصين أحدهما مطلق والآخر مقيد بعد أن اتفقوا على أنه اذا كان السبب مختلفا فى النصين وكذا الحكم مختلفا فانه لا يحمل المطلق على المقيد ، كما اتفقوا على أنه اذا اتفق السبب والحكم فى النصين وكان الاطلاق والتقييد بالنسبة للحكم . فان المطلق يحمل على المقيد . أما اذا كان الاطلاق والتقييد بالنسبة للسبب فانه لا يحمل عند الحنفية ، كما اتفقوا على أنه اذا اتحد النصان فى السبب واختلفا فى الحكم فان المطلق لا يحمل على المقيد . أما اذا اختلف النصان فى السبب واتحدا فى الحكم فان المقيد الا لدليل خاص يقتضي الحمل . على ما بيناه تفصيلا بالمثال فى كتابنا أصول الشافعية يحملون المطلق على المقيد لكن الحنفية لا يرون حمل المطلق على الفقه الاسلامى .

ب) العام :

أما العام فهو لفظ فى أصل اللغة للدلالة على افراد غير محصورين على سبيل الشمول لهم والاستغراق كلفظ **(الرجال) (النساء) (المسلمات) (الجن) (الانس)** فانها كلها وضعت للاستغراق والشمول ما لم يصرفها عن ذلك صارف .

وصيغ العموم كثيرة : فمنها الجمع المعرف بأل الجنسية أو بالاضافة ما لم تصرفه عن العموم قرينة فلفظ **(المشركين)** فى قوله تعالى **(ان الله برىء من المشركين ورسوله)** التوبة/٣ ، ولفظ **(أولادكم)** فى قوله سبحانه **(يوصيكم الله فى أولادكم)** يدل على افادة العموم .

ومن صيغ العموم المفرد المعرف بأل الجنسية أو الاضافة ما لم تصرفه قرينة عن افادة العموم فلفظ (الانسان) فى قوله سبحانه **(والعصر ان الانسان لفى خسر ..)** ولفظ **(ماء)** ولفظ **(ميته)** فى قول الرسول عليه السلام عن البحر « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » كلها الفاظ تفيد العموم والاستغراق

والشمول ما لم يصرفها عن ذلك صارف .

ومن ذلك النكرة فى سياق النفى أو النهى أو الشرط . فلفظ **(بشر)** فى قوله تعالى : **(ما انزل الله على بشر من شيء)** نكرة وقعت فى سـياق النفى فتعم ، ولفظ **(أحد)** فى قوله سبحانه : **(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا)** نكرة وقعت بعد النهى فتعم ، ولفظ **(فاسق)** فى قوله تعالى : **(ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ..)** الحجرات/٦ ، نكرة وقع بعد الشرط فيعم كل فاسق .

ومن ذلك أيضا (النكرة) الموصوفة بوصف عام مثل **(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى)** فلفظ **(قول)** نكرة وصف بوصف عام فأفاد العموم .

ومن ذلك أسماء الشرط مثل **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..)** وأسماء الموصول مثل : **(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ..)** النساء/٢٢ ، وأسماء الاستفهام مثل : **(من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم)** الأنبياء/٦٢ ، ولفظ كل ، ولفظ جميع ، فان ما أضيف اليه كل منهما ، ولو فى المعنى ، يفيد العموم مثل **(كل نفس ذائقة الموت)** آل عمران/١٨٥ ، على ما هو مبين تفصيلا فى كتب الأصول .

وألفاظ العموم تفيد استغراقها لجميع الأفراد ، واذا قيل فى لفظ عام ان المقصود به الخصوص طلب الدليل على ذلك ، ولذا فان الصحابة فهموا من عموم قول الله سبحانه : **(يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)** أنه عام فى جميع الأولاد ، واتجهوا الى توريث السيدة فاطمة بنت النبى صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يصرفهم عن ذلك الا دليل آخر صارف وهو ما روى عن الرسول أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .

هذا وقد ترد بعض النصوص فى الكتاب موجهة للرسول دون ما يفيد أنه خاص به ، ولا أنه متناول لجميع الأفراد مثل **(يا أيها النبى اتق الله ولا تطـع الكافرين والمنافقين ..)** فان الخطاب وان كان موجها للنبى فى الصـورة ولم يتناول الأمة بلفظه الا أنه فى الواقع يتناولها شرعا . ضرورة الاقتـداء به والاهتداء بهديه .

كما يلاحظ فى نصوص السنة أن الرسول عليه السـلام قد يجيب أحد الأفراد على سؤال له . فان الاجابة تفيد عموم الحكم لتساوى الناس ما لم تقم قرينة تجعل الجواب خاصا . وكذلك فقد يرد فى القرآن حكم جوابا لسؤال أو استفتاء مثل حكم اللعان وحكم الظهار . فان كل ذلك يكون من قبيل ورود العام على سبب خاص . ولذا فان الأصوليين وضعوا قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ومن ذلك سـؤال أحد الصحابة عن حكم التوضؤ بماء البحر عند الحاجة للماء العذب للشرب . فقد فهم الفقهاء من حديث « هو الطهور ماؤه .. » عموم صحة الطهارة بماء البحر سواء كان محتاجا للماء العذب أو غير محتاج اليه وسواء كانت الطهارة لرفع الحدث الأصـغر أم كانت لرفع الحدث الأكبر .

والحنفية يرون أن دلالة العام من الكتاب والسنة المتواترة تكون قطعية على جميع أفراده اذا لم يدخله تخصيص الا اذا وجدت قرينة صارفة ، أما اذا دخله التخصيص فان دلالته على باقى أفراده تكون ظنية .

لكن جمهور الأصوليين من غير الحنفية يرون أن دلالة العام فى جميـع أحواله ظنية سواء دخله التخصيص أم كان باقيا على عمومه . اذ العام كثر

تخصيصه وشاع حتى **قال الأصوليون « ما من عام الا وخصص » بل نفس هذه** القاعده فى الواقع يدخلها التخصيص بمثل قوله تعالى : **(ولله ما فى السموات وما فى الارض)** وقوله : **(الله خالق كل شيء)** وما دام العام يكاد **لا يخلو من** مخصص فان هذا يورث شبهة قوية تمنع القول بقطعية افادته **الشمول** والاستغراق .

وعلى هذا فلفظ **(والسارق والسارقة)** ولفظ **(الزانية والزانى)** ولفظ (من) **فى قول الرسول** عليه السلام « من القى السلاح **فهو** آمن » **ولفظ (القاتل)** فى قوله « لا يرث القاتل » كلها تدل على جميع الأفراد دلالة **قطعية عند الحنفية** لعدم تخصيصها . لكن **الجمهور** يرون أن دلالتها على الشمول **والاستغراق ظنية** لاحتمالها التخصيص .

تخصيص العام ودليل التخصيص :

التخصيص هو ورود ما يدل على اخراج بعض ما يشمله اللفظ العام ويقصره على بعض أفراده ، وقد يكون التخصيص بالعقل اذا لم يكن هناك نص مخصص . فالعقل يخرج ذات الله من عموم قوله تعالى : **(الله خالق كل شيء)** كما يكون التخصيص بالعرف أيضا دون خلاف . أما التخصيص بالنص فهو موضع اتفاق أيضا ان كان النص المخصص مستقلا وغير متأخر فى النزول كقوله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** فلفظ البيع جاء عاما فيشمل كل معاوضة مالية . وعلى هذا يكون شاملا لعقد الربا . لأنه مبادلة مال بمال مع زيادة أحد البدلين . لكن هذا العموم قد خصص بدليل مستقل مقارن وهو قوله سبحانه **(وحرم الربا)** وما دام النص قد خصص فان دلالة العام على باقى أفراده تكون ظنية اتفاقا .

وكذلك قوله تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** فان لفظ **(من)** جاء عاما يفيد أمر كل من شهد الشهر بالصوم فيشمل المريض والمسافر لكن قد خصص هذا اللفظ بدليل مستقل مقارن وهو قوله **(فمن كان منكم مريضا او على سفر ..)** ولذا فانه بالاتفاق أصبحت دلالته على الشمول والاستغراق بالنسبة لمن عدا المريض والمسافر ظنية .

أما اذا كان النص المخصص متراخيا فى النزول كان ناسخا لا مخصصا ، واذا لم يكن مستقلا كالاستثناء والصفة والشرط كان عند الحنفية قصرا لا تخصيصا مثل قوله تعالى **(والعصر . أن الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا ..)** لكن الجمهور لا يشترطون شيئا من ذلك ويتوسعون فى التخصيص .

وتخصيص عام الكتاب والسنة المتواترة بالكتاب أو بالمتواتر من السنة جائز دون خلاف لتساويهما فى قطعية الثبوت . ومن ذلك قوله سبحانه **(ولله على الناس حج البيت)** فكلمة الناس بعمومها تشمل الصبى وغير العاقل كما تشمل المسلم والمشرك . وقد خص هذا العموم بما روى متواترا فى المعنى « رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يفيق » كما خصص بقوله تعالى : **(انما المشركون نجس فلا يقربوا**

المسجد الحرام بعد عامهم هذا) .

ويتفق الجميع على أن العام اذا كان فى نص ظنى الثبوت ، أو فى نص قطعى الثبوت لكنه خصص بدليل قطعى . فانه يجوز تخصيصه بعد ذلك بالنص الظنى . لأن العام بعد التخصيص تكون دلالته ظنية حتى عند الحنفية ومن ذلك قوله تعالى : **(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم ..)** الى قوله جل شأنه : **(واحل لكم ما وراء ذلكم)** فهذه العبارة **(ما وراء ذلكم)** جاءت عامة تشمل المشركة لعدم ذكرها فى المحـرمات المذكورات قبل . فجاء قول الله سـبحانه **(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)** مخصصا لهذا العموم لأنه مستقل وغير متأخر فى النزول فتبقى دلالة العام بعد ذلك ظنية . فيجوز تخصيصه بما هو ظنى . ولذا فانهم اتفقوا على تخصيصه بخبر الآحاد وهو ما روى أن الرسول قال « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها انكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » .

أما النص القطعى الثبوت قرآنا كان أو سنة متواترة . فلا يجيز الحنفية تخصيصه ابتداء بخبر الآحاد تبعا لقولهم ان دلالة العام قبل التخصيص قطعية بينما الأخبار ظنية ، على ان بعض الحنفية أجاز تخصيص عام القرآن والسنة المتواترة بالخبر المشهور ولو ابتداء اذ الحقوا المشهور فى هذا بالمتـواتر لأنه يفيد طمأنينة قوية . ولذا فقد خصصوا عموم تحريم الميتة الوارد فى قوله تعالى **(حرمت عليكم الميتة ..)** بحديث « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » لأنه حديث مشهور .

أما جمهور الفقهاء فتبعا لقولهم : ان دلالة العام ظنية فى جميع احواله فقد اجازوا تخصيص عام الكتاب والمتواتر من السنة بأخبار الآحاد ، ولا اثر لكون النص العام قطعى الثبوت هنا لأن الكلام يتعلق بالدلالة لا بالثبوت .

وبناء على خلافهم هذا . فقد حرم الحنفية اكل ذبيحة المسلم المتعمد ترك التسمية لعموم قوله تعالى **(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسـم الله عليه)** ولم يقبلوا تخصيص هذا النص بالخبر وهو « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسـم الله أو لم يذكر » .

بينما الشافعية ومن معهم يرون أن دلالة العام قبل التخصيص ظنية ايضا يخصون بهذا الخبر . ولذا فانهم يبيحون اكل ذبيحة المسلم ولو لم تقع التسمية . على تفصيل بينهم بيناه فى كتابنا « الاباحة عند الأصوليين والفقهاء » .

بقى أن نشير الى الجمع المنكر والمشترك :

الجمع المنكر : هو لفظ دل بوضعه على كثير غير محصور بدون استغراق لكل فرد من افراده يستوى فى ذلك أن يكون جمع مذكر سالم أو جمع مؤنث أو جمع تكسير من جموع القلة او الكثرة وذلك مثل مسلمون ومسلمات وفتية ورجال . والجمع المنكر ما دام يتناول كثيرا من الأفراد دون استغراق فانه يصلح لكل عدد على سبيل البدل ومن ذلك قوله تعالى : **(يسـبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ..)** .

وعلى هذا فالجمع المنكر لا يعتبر من قبيل الخاص لتعدد معناه الموضوع له ولا من قبيل العام لكونه غير مستغرق على تفصيل بيناه فى كتابنا أصول الفقه

الاسلامى ، كما بينا فيه الأقوال فى اقل ما تطلق عليه صيغة الجمع المنكر .
اما المشترك : فهو اللفظ الذى اشترك فيه معنيان فأكثر ووضع لكل واحد منهما وضعا مستقلا مثل لفظ (قرء) فانه مشترك لفظى وضع فى اللغة لافادة معنى كل من الطهر والحيض وكلفظ مولى فانه وضع للسيد كما وضع للعبد ومثل عين فانها وضعت لعدة معان بأوضاع متعددة .

واذا تحقق الاشتراك ولم تقم القرينة على تعيين احد المعنيين او المعانى . فان الحنفية وبعض الشافعية يرون انه لا يفيد العموم وعلى المجتهد ان يتلمس القرينة التى تدل على المعنى المراد . ويرى جمهور الشافعية عند انعدام القرينة وجوب حمل اللفظ على كل معانيه متى أمكن الجمع بينها اى انه يفيد العموم ومن ذلك كلمة (يسجد) فى قوله سبحانه **(ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر ..)** فانها بمعنى وضع الجبهة على الأرض وبمعنى الخضوع لسنة الله الكونية وكلاهما مراد ومن ذلك لفظ وبمعنى الخضوع لسنة الله الكونية وكلاهما مراد ومن ذلك لفظ الصلاة فى قوله الصلاة فى قوله تعالى : **(أن الله وملائكته يصلون على النبى)** فانها من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وكلاهما مراد . وهناك من الحنفية من قال ان اللفظ المشترك يراد كل واحد من معانيه فى النفى دون الاثبات على ما بيناه فى كتابنا أصول الفقه الاسلامى . وبينا أن بعض الشافعية يتجه الى أن المشترك من باب العموم . لكن بعضهم يمنعون ذلك كما منعه الحنفية أيضا .
الاسلامى . وبينا أن بعض الشافعية يتجه الى أن المشترك من باب العموم . لكن بعضهم يمنعون ذلك كما منعه الحنفية أيضا .

ثانيا — اللفظ من ناحية استعماله .. مجاز وحقيقة :

اذا كان اللفظ عند الاستعمال محتملا الحقيقة والمجاز . حمل على الحقيقة لأنها الأصل . ما لم توجد قرينة تصرفه عن الحقيقة الى المجاز . ونقصد بالحقيقة : استعمال اللفظ فى المعنى الذى وضع له لغة أو شرعا أو عرفا . ونقصد بالمجاز : استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بينه وبين المعنى الموضوع له مع وجود قرينة تمنع ارادة المعنى الحقيقى .

ويثبت للفظ المستعمل فى معناه الحقيقى المعنى الموضوع له كاملا فيفيد العموم ان كان عاما والخصوص ان كان خاصا والطلب ان كان أمرا والامتناع ان كان نهيا ويثبت للمجاز المعنى الذى استعير له اللفظ . فالمراد من قوله تعالى : **(أو جاء أحد منكم من الغائط)** الحدث الأصغر والمراد من قوله سبحانه : **(أو لامستم النساء)** الوطء كما يرى الجمهور . وكلاهما معنى مجازى .

ويرى الشافعية انه لا عموم للمجاز وانما يتناول اللفظ اقل ما يصح به الكلام اذ دلالة اللفظ على المعنى المجازى دلالة ضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها . أما الحنفية فانهم يعطون للمجاز حكم الحقيقة ، ولا يقصرون دلالة اللفظ المجازى على ادنى ما يتحقق به الكلام . اذ ان عموم اللفظ وخصوصه يستفاد من دلائل لا دخل للحقيقة أو المجاز فيها .

على أن اللفظ سواء كان مستعملا فى الحقيقة أو فى المجاز : اما أن يكون

صريحا يظهر منه المراد لكثرة استعماله فيه مثل تزوجت ومثل **(واسأل القرية ..)** فان الكلام صريح فى افادة المعنى الحقيقى فى الأول وصريح فى افادة المعنى المجازى فى الثانى وهو سؤال أهل القرية .

واللفظ الصريح يثبت مقتضاه بمجرد التلفظ به دون نظر لارادة المتكلم وقصده ولذا فان جمهور الفقهاء يوقعون الطلاق باللفظ الصريح دون توقف على القصد .

واما أن يكون اللفظ كنائيا . وهو ما استتر المعنى المراد منه سواء أكان اللفظ قد استعمل استعمالا حقيقيا كما فى قولك لآخر أمام الناس عن أمر لا تريد اظهاره لهم : لقد لقيت صاحبك وكلمته فى المسألة . أم كان مستعملا استعمالا مجازيا كقول الرجل لزوجته أنت حرة قاصدا بذلك الطلاق . والفاظ الكتابة يشترط الحنفية فيها النية أو دلالة الحال . أما غير الحنفية من المالكية والشافعية فيشترطون النية فقط وهى لا تعلم الا من جهته .

ثالثا — اللفظ من ناحية الوضوح والخفاء :

أ) ينقسم اللفظ من ناحية الوضوح والدلالة على المعنى بنفس الصيغة من غير توقف على أمر خارجى الى أربعة أقسام : ظاهر . ونص . ومفسر . ومحكم . وأكثرها وضوحا المحكم فالمفسر فالنص فالظاهر . وسنتكلم عنها بايجاز :

١ — الظاهر : اللفظ الدال بنفس الصيغة من غير توقف على أمر خارجى على معنى متبادر منه غير مقصود أصالة بسوق الكلام مع احتمال التفسير والتأويل وقبوله النسخ فى عهد الرسالة . مثل قوله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** فى الرد على من قالوا : **(انما البيع مثل الربا)** فالمقصود الأصلى نفى المماثلة بين البيع والربا . لكن المعنى المتبادر للذهن من نفس الصيغة هو حل البيع وحرمة الربا . فكانت دلالة هذه الآية على كل من الحل والحرمة من قبيل الظاهر . لأنه المتبادر للذهن من نفس الصيغة ، ولأن كلا من لفظى البيع والربا يحتمل التخصيص لأنه من الفاظ العموم ، كما أن هذا الحكم كان محتملا النسخ فى عصر الرسالة .

٢ — النص : وهو اللفظ الدال بنفس الصيغة على المعنى المقصود أصالة مع احتمال التأويل وقبوله النسخ فى عهد الرسالة مثل دلالة **(واحل الله البيع وحرم الربا)** على نفى المماثلة الذى سيق الكلام لبيانه أصالة ، ومثل حديث : « هو الطهور ماؤه .. » فى افادة جواز الوضوء من ماء البحر عند الحاجة للماء العذب .

هذا وكل من الظاهر والنص يعتبر دليلا شرعيا يجب العمل به ما لم تصرفه قرينة ، فان كان عاما بقى على عمومه ، وان كان مطلقا بقى على اطلاقه ما لم يصرفه عن الاطلاق دليل آخر فقوله تعالى : **(والمطلقات يتربصن بانفسهن ..)** ظاهر فى افادة عدم حل التزوج لها حتى تنقضي عدتها ، ونص فى وجوب العدة .

ولفظ المطلقات جاء عاما شاملا لكل مطلقة حتى ولو لم تكن مدخولة بها .

لكن بوجود دليل مخصص وهو قوله تعالى : **(اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهم من عدة تعتدونها)** .

٣ ــ المفسر : وهو ما دل بصيغته على المعنى المقصود الذى سيق لأجله الكلام لكنه لا يحتمل التفسير ولا التأويل وان كان قابلا للنسخ فى عهد الرسالة .
وقد يكون اللفظ مفسرا بذاته وهو ما كانت الصيغة دالة بنفسها على المعنى بوضوح كلفظ **(مائة)** فى قوله تعالى فى حد الزنى **(فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)** ، فانه دل بذات الصيغة على المعنى المقصود الذى سيق الكلام لأجله وهو بيان عقوبة الزنى ، دون حاجة الى تفسير ولا تأويل بالزيادة أو النقص ، ومع هذا فقد كان فى عهد الرسالة يقبل النسخ .

وقد يكون اللفظ مفسرا بغيره . بأن كانت الصيغة مجملة وورد من الشارع بيان فسرها وازال ما فيها من اجمال . ومن ذلك قوله تعالى : **(اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** وقوله : **(وأحل الله البيع)** فكل من لفظ الصلاة والزكاة والبيع جاء مجملا . وقد فسر ببيان من الشارع عن طريق السنة فأصبح لا يحتمل التأويل . ومن ذلك لفظ **(هلوعا)** فى قوله تعالى **(ان الانسان خلق هلوعا)** فهو مجمل يحتاج الى بيان ، وقد بينه الشارع بعد ذلك بقوله : **(اذا مسه الشر جزوعا)** ولذا سمى هذا النوع بالتفسير التشريعى .

٤ ــ المحكم : هو اللفظ الدال بصيغته على المقصود أصالة والمسوق له الكلام دون احتمال التأويل أو التفسير ولا قبول النسخ حتى فى عهد الرسالة ، لأن الحكم المستفاد منه اما أن يكون من الاحكام الكلية الأساسية المتعلقة بالعقائد كالوحدانية ، أو الأمور الخلقية الثابتة كالأمانة والعدل ، أو من الأحكام التكليفية الجزئية التى اقترن بها ما يدل على تأبيد الحكم ودوامه . كلفظ **(ابدا)** فى قوله تعالى فى تحريم التزوج بزوجات النبى من بعده : **(ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابدا)** وقول الرسول عليه السلام : « الجهاد ماض الى يوم القيامة » .

ولانتفاء احتمال التأويل فى المحكم أصالة ، وبعد البيان فى المفسر ، وعدم قبول المحكم للنسخ مطلقا حتى فى عهد الرسالة افترق كل من المفسر والمحكم عن النص والظاهر ، كما يبين انه عند التعارض يقدم المحكم فالمفسر فالنص فالظاهر .

ب) أما اللفظ باعتبار الخفاء فينقسم اللفظ الذى لا يفهم المراد منه الا بواسطة أمر خارجى الى خفى ومشكل ومجمل ومتشابه . الذى هو اكثرها خفاء .. واليك بيانها :

١ ــ الخفى : اللفظ الذى فى انطباق معناه على بعض افراده نوع خفاء ، ولم يكن الخفاء من نفس الصيغة وانما لعارض خارجى يورث شبهة فى دلالة اللفظ على معناه العام فلفظ **(السارق)** فى قوله سبحانه **(والسارق والسارقة)** واضح فى أخذ مال الغير خفية من حرز . لكن فى دلالة هذا اللفظ خفاء على كل من النباش الذى ينبش القبور لأخذ اكفان الموتى وغيرها ، والنشال الذى يأخذ ما مع الشخص المتيقظ فى غفلة منه . ولم يكن الخفاء ناشئا من نفس الصيغة ، وانما من اختصاص كل منهما باسم خاص فأورثت هذه المقابلة بين السارق والنشال والنباش شبهة فى انطباق معنى السارق عليهما واعطائهما حكمه ، واذا كان الفقهاء انتهوا بعد النظر والتأمل الى أن النشال سارق وزيادة

فيقام عليه حد السرقة فانهم اختلفوا بالنسبة للنباش اذ الخفى يحتاج لازالة ما فيه من خفاء الى نظر وتأمل .

٢ ــ المشكل : اللفظ الذى خفيت دلالته على المعنى المراد منه بسبب فى نفس اللفظ لاحتماله لأكثر من معنى ، ولا بد من وجود قرينة تبين المراد كلفظ (قرء) فهو مشترك ، ولذا أشكل الأمر على الفقهاء . فرجح الشافعية ومن وافقهم أن المراد به الطهربقرينة تأنيث العدد ثلاثة . فلا بد أن يكون العدد مذكرا وهو الطهر لا الحيضة .ورأى الحنفية أن المقصود الحيضة ، وغلبوا قرائن أخرى منها حديث « عدة الأمة حيضتان » وحديث « المستحاضة تدع الصلاة أيام اقرائها » ومنها أن العدة شرعت للتعرف على براءة الرحم من الحمل ، والذى يدل على ذلك هو الحيض لا الطهر ، كما أن لفظ ثلاثة خاص لا يقبل الزيادة ولا النقصان ولا يكون هذا الا اذا كان المراد بالقرء هو الحيض اذ الطلاق ما يكون فى طهر لم يمسسها فيه .

وقد يكون الاشكال بسبب تعارض ما يفهم من نص مع ما يفهم من نص آخر مع أن كلا منهما على حدة لا أشكال فيه . ومن هذا قوله تعالى : **(ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك)** مع قوله سبحانه : **(قل كل من عند الله)** فيجب على المجتهد أن يتوصل بالقرائن الى تأويل النصوص المتعارضة فى نظره بما يزيل التعارض ، وأن يتوصل أيضا بالقرائن الى تعيين المراد من اللفظ المشترك .

٣ ــ المجمل : اللفظ الذى لا يدل بصيغته على المراد منه ، ولا توجد قرائن تعين المراد ولا مجال للعقل فى ادراكه وانما يتوقف ذلك على بيان الشارع . ومن ذلك اللفظ الذى أريد منه معنى غير معناه اللغوى كالصلاة فقد نقله الشارع من معناه اللغوى الذى هو الدعاء الى معنى آخر اصطلاحى لا مجال للعقل أن يدركه الا عن طريق الشرع .

وحكم المجمل : التوقف فى تعيين المراد منه حتى يرد البيان من الشارع . فان كان البيان قطعيا ووافيا صار المجمل بهذا مفسراً ومن ذلك بيان الرسول للصلاة . وأن كان البيان بدليل ظنى فان اللفظ يبقى معه محتملا للتأويل فمسح الرأس فى الوضوء جاء مجملا فى مقدار ما يمسح وبينه الرسول بما روى عنه أنه توضأ ومسح ناصيته . لكن هذا الخبر ظنى فى ثبوته . فلا يمنع التأويل ولذا كان موضع نظر واجتهاد .

ولفظ **(الربا)** ورد مجملا فى القرآن وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيانه قوله : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والملح بالملح ، والتمر بالتمر مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد . فاذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » . فان هذا الخبر فضلا عن أنه ظنى فى ثبوته فانه لم يحصر الربا فى الأشياء الستة المذكورة ، ولم يبين أنه يشمل غيرها أيضا . فكان الربا المحرم برغم هذا البيان محتملا فى بعض صوره للتأويل والنظر على ما بيناه فى كتابنا مناهج الاجتهاد فى الاسلام حتى قال عمر بن الخطاب فيما روى عنه : قبض رسول الله قبل أن يبين لنا ثلاثا ولو علمتها لكان أحب الي من الدنيا وما فيها ، الكلالة والخلافة والربا .

٤ ــ المتشابه : اللفظ الذى لا تدل صيغته على المعنى المراد منه وتعذرت معرفته ولم توجد قرينة تعين على معرفتــه ولم يبينه الشـــارع وانما استأثر بعلمه مثل قوله تعالى : **(يد الله فوق أيديهم)** وقوله : **(الرحمن على العــرش استوى)** مما لا يرد فى آيات الأحكام ولا يتعلق بالتشريع وانما هو من مباحث علم الكلام .

وللعلماء فى المتشابه اتجاهان : الأول تفويض علمها لله ســـبحانه مع الايمان بها دون البحث عن التأويل ، ومع تنزيه الاله عن التشبيه ، الثانى : وهو اتجاه المعتزلة أن ظاهر هذه الآيات مستحيل ، وكل ما ظاهره مستحيل يجب أن يؤول الى معنى يحتمله ولو بطريق المجاز .

ومن النصوص المتشابهة يبين : ان المتشابه نوعان : متشـــابه اللفظ كأوائل بعض السور **(الم)** ، **(الر)** **(حم)** **(كهيعص)** ومتشــــابه المفهوم أن استحال ارادته مثل : الاستواء على العرش بالنسبة لله سبحانه .

رابعا ــ اللفظ من ناحية دلالته على المعنى :

حصر الشافعية ومن وافقوهم طرق الدلالة فى قسمين : **دلالة منطــوق** ودلالة مفهوم ، وقالوا : ان دلالة المنطوق هى دلالة اللفظ على حكم شيء ذكر فى الكلام .

أما دلالة المفهوم فهى دلالة اللفظ على حكم شيء لم يذكر فى الــكلام ولم ينطق به وهى عندهم نوعان :

١ ــ مفهوم موافقة : وهي دلالةالكلام على ثبوت حكم المنطوق للمسكوت عنه وهى ما سماه الحنفية بدلالة النص .

٢ ــ مفهوم مخالفة : وهو ما كان السكوت عنه مخــــالفا للمذكور فى الحكم .

والأصوليون فى جملتهم يستدلون بمفهوم الموافقة ، وبدلالة المنطوق مع اختلاف مناهجهم فيها . أما بالنسبة لمفهوم المخالفة فالحنفية يخــــالفون فى الجملة فى اعتباره دليلا بالنسبة للنصوص . فقول الرسول صلى الله عليــه وسلم « لى الواحد يحل عرضه ودمه » يدل بمنطوقه اتفاقا عى أن مماطلة الموسر فى أداء ما عليه بغير حق ظلم يقتضي معاقبته . أما المعسر فانه لا يســــتحق العقوبة على مماطلته عند الجمهور أعتبارا لمفهوم المخالفة . لكن الحنفية فانهم وان وافقوا على عدم استحقاته للعقوبة الا أنهم استندوا فى ذلك الى دليــل آخر هو قول الله سبحانه **(فنظرة الى ميسرة)** ولم يأخذوا الحــــكم عن طريق مفهوم المخالفة .

ومن ذلكايضا ما روى أن الرسولعليه الصلاة والسلام قال « فى الغنم السائمة زكاة » فانه يدل بمنطوقهاتفاقا على وجوب الزكاة فى الغنم السائمة . أما الغنم المعلوفة فقد رأى الشافعى ومن وافقه انها لا زكاة فيها أخذا بمفهوم المخالفة ، وقال الحنفية ايضا انه لا زكاة فيها لكن لا اخذا من مفهوم المخــالفة وانما باعتبار الاباحة الأصلية . فان الأصل عدم الوجوب ، والحديث أوجب فى السائمة فقط فبقى ما عداها على حكم الأصل على ما بيناه فى موضعه .

الجمع بين المصالح المادّيّة والحاجات الرّوحيّة

للدكتور محمد شوقى الفنجرى

المصالح المادية والحاجات الروحية

١ ـــ فى كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، فردية كانت او جماعية ، يقتصر النشاط الاقتصادى على تحقيق المصالح المادية ، سواء كانت هذه المصالح المادية هى تحقيق اكبر قدر من الربح كما هو الشأن فى الاقتصاد الراسمالى ، ام اشباع الحاجات العامة وتحقيق الرخاء المادي كما هو الشأن فى الاقتصاد الاشتراكى .

فالنشاط الاقتصادى ذو صبغة مادية بحتة ، وان اختلفت صورته باختلاف النظام المطبق راسماليا كان او اشتراكيا .

٢ ـــ اما فى الاقتصاد الاسلامى ، فان هذا النشاط الاقتصادى وان كان ماديا ، الا انه مصبوغ بطابع دينى أو روحى .

هذا الطابع الروحى قوامه الاحساس بالله تعالى وخشيته وابتغاء وجهه .

٣ ـــ واساس ذلك ان الفرد المسلم يشعر بانه لا يتعامل مع احد من الناس ، وانما هو يتعامل اساسا مع الله تعالى .

فاذا كانت الاقتصاديات الوضعية تقوم على اساس المادة ، وهى وحدها التى تصوغ علاقات الافراد بعضهم ببعض . فان الاساس فى الاقتصاد الاسلامى ، هو الله سبحانه وتعالى ، وان خشيته وابتغاء مرضاته والتزام تعاليمه هي التي تصوغ علاقات الافراد بعضهم ببعض .

ويترتب على ذلك عدة آثار ، ينفرد بها الاقتصاد الاسلامى نجملها فيما يلى :

اولا : الطابع الايمانى والروحى للنشاط الاقتصادى .
ثانيا : ازدواج الرقابة وشمولها .
ثالثا : تسامى هدف النشاط الاقتصادى .

ونعالج كلا منها فى فرع مستقل :

الفرع الأول
الطابع الايمانى والروحى للنشاط الاقتصادى

١ ـــ مادية النظم الاقتصادية الوضعية واثرها :

فى ظل النظم الاقتصادية الوضعية ، لا يتجاوز النشاط الاقتصادى حدود المادة . وخطأ هذه النظم انها تصورت الانسان مادة فحسب ، وأن حقيقة

العالم تنحصر فى ماديته ، وأن الكسب المادى أو الكفاية المادية هى كل حيـــاة البشر . ومن ثم كان هذا الفراغ الروحى أو ذاك الافلاس النفسي الذى تعانيه المجتمعات التى تدين بهذه النظم المادية .

ولا شك أن هذا الفراغ الروحىوذاك الافلاس النفسي ، تعانى منه بصورة صارخة المجتمعات الرأسمالية التى لا تستهدف الا تحقيق أكبر قدر من الربح ، مما أدى بالكثيرين الى الانحراف بمحاولة الحصول على المادة بأية وسيلة ، أو أن يتحولوا الى عبيد أو صرعى للمال ، والى كثير من المساوىء ، الأمر الذى دعا وما زال يدعو اشد أنصار هذا النظام بالمطالبة بضرورة ادخال تعديلات جذرية عليه .

أما المجتمعات الماركسية ، فانها رغم ما تبذله من محاولات مستمرة لرفع الايمان بالسياسة الاشتراكية الى مرتبة العقيدة الدينية ، الا أنها لم تحقق نجاحا، فقد بقيت هذه العقيدة مادية لا تشبع جوعا روحيا ولا تسد فراغ الحاجةالدينية . الأمر الذى ادى بهذه المجتمعات ، وعلى خلاف تفسيرها المادى للكون أن تخفف من حملتها ضد الدين وتسمح باقامة الشعائر الدينية ، بل ذهب بعضها كألمانيا الشرقية وبولندا والمجر الى أن ترصد لها اموالا فى ميزانيتها ، وفى ذلك كله عودة الى الدين واقرار بدوره فى ممارسة النشاط الاقتصادى .

٢ ــ كيف يكون النشاط الاقتصادي روحيا فى الاسلام ؟

فى ظل الاقتصاد الاسلامى ، فانه الى جانب ايمانه بالعامل المادى ، وأن النشاط الاقتصادى لا يمكن الا أن يكون ماديا ، غير انه لا يغفل الجانب الروحى فى الكيان البشرى .

وكل ما يفعله الاسلام بهذا الخصوص ، هو أن يتجه المرء بنشـــــاطه الاقتصادى الى الله تعالى ابتغاء مرضاته وخشيته . اذ يقول الله تعـــالى : **(ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات)** البقرة/١٤٨ ، ويقول **(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم)** الحشر/١٩ . ومن ثم نرى أن الســـنة المطهرة تقرر أن « العمل عباده » ، وقوله عليـــه السلام : « ان الله عز وجـــل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه »(١) . فالمناط هو النية ، اذ كما يقول الرسول : « انما الأعمال بالنيات » وقوله عليه السلام : « لا يقبل الله قولا الا بعمل ، ولا يقبل عملا الا بنية »(٢) . وهو ما عبر عنه الأصوليون بقولهم « الأمور بمقاصدها » .

ولا شك أن هذا التوجه بالنشاط الاقتصادى الى الله تعـــالى ، ليس مقصودا لذاته ، فالله تعالى لا ينفعه ولا يضيره أن يتجه اليه الناس بنشاطهم الاقتصادى أو لا يتجهون **(أن الله لغنى عن العالمين)** العنكبوت/٦ . وانما قيمة هذا التوجه انه حماية للفرد من نفسه **(أن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينـا لهم أعمالهم فهم يعمهون)** النمل/٤ ، وهو صمام أمان لسلامة النشاط الاقتصادى بل الوسيلة الفعالة لصلاح الفرد والمجتمع **(ذلك خير للذين يريدون وجه الله . وأولئك هم المفلحون)** الروم/٣٨ . وصدق الله العظيم **(يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)** فاطر / ١٥ ، وقوله تعالى **(لن ينـــال اللـــه**

لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقــوى منكم) الحج / ٣٧ .

٣ ــ ارتباط ما هو مادى وما هو روحى فى الاسلام :

ومؤدى ما تقدم ، أن ثمة عاملا مميزا في الاقتصاد الاسلامي ، هو الاتجاه بالنشاط الاقتصادى الى الله سبحانه وتعالى ، **مما يضفى على ذلك النشــاط** الطابع الايماني والروحي وشعور الرضا والاطمئنان .

وهنا تبرز نقطة هامة كثيرا ما تدق على الكثيرين ومنهم المتخصصون ، وهي **أن الاسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادى وما هو روحى ، ولا يفرق بين ما هو دنيوى وما هوأخروى.فكل نشاط مادى أو دنيوى يباشره الانسان ، هو فى نظر الاسلام عمل روحى أو أخروى ، طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى . فليس صحيحا أن هناكصراعا بين الدين والدنيا ، أو أن هناك مجالا لكل من النشاط الدنيوى والنشاط الاخروى ، فالاسلام لا يعترف بهذا الفصــل الميتافيزيقى بين الحاجات المادية أو الروحية ، وذلك التمييز المصطنع بين الأنشطة الدنيوية أو الأخروية الا على أساس مشروعية العمل وابتغاء وجه الله . ويحكى أن بعض الصحابة رأى شابا قويا يسرع الى عمله ، فقال بعضهم « لو كان هذا فى سبيل الله » فردعليهم النبى : « لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ،وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »(١) .**

أكثر من ذلك ، فان علامة الايمان الصحيح فى الاسلام ، هو العمل النافع والانتاج المادى الذى يعود بالصالح على المجتمع . فالله سبحانه وتعالى يقول : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/١٠٥ ، ويقول : **(لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)** النساء/١١٤ . ويردد عليه السلام أن السبيل الفعال للتقرب الى الله تعــالى والفوز برضاه هو بمحبة عباده ومساعدتهم ويقول : « خير النــــاس أنفعهم للناس » رواه أحمد عن جابر . وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى فقال له الرسول : « لا تفعل ، فان مقام أحدكم فى سبيل الله ــ أى فى سبيل المجتمع ــ أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما »(٢) . فالايمان فى الاسلام ليس ايمانا مجردا ولكن ايمان مجدد مرتبط بالعمل والانتاج ، ومرتبط بالعدل وحسن التــــوزيع ، ومرتبط بحسن المعاملة ومد يد المعونة للغير ، أي مرده في النهاية نفع المجتمع . ومن ثم كــان تأكيد الرسول دائما بأن « رهبانية الاسلام هى الجهاد فى سبيل الله »(٣) ، أى فى سبيل المجتمع ، مجتمع الانتاج والخدمات . بل قوله عليه السلام ، وفى رواية أخرى « هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم » رواه أحمد والبخارى .

فالروحانية فى الاسلام هى العمل الصالح بابتغاء وجه الله . ورحم الله عمر بن الخطاب حين قال : « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمدنا يوم القيامة » . ورحم الله جمال الدين الأفغانى حين كان يردد « أنا لا أفهم معنى لقولهم الفناء فى الله ، وانما الفنـــاء يكون فى خلق الله ،

بتعليمهم وتنبيههم الى وسائل سعادتهم وبما فيه خيرهم » .

الفرع الثانى
ازدواج الرقابة وشمولها

١ ــ الرقابة فى النظم الاقتصادية الوضعية :

فى ظل النظم الاقتصادية الوضعية ، الرقابة فى مباشرة النشاط الاقتصادى هى أساسا رقابة خارجية مناطها القانون .
فالرقابة فيها محدودة وقاصرة .

٢ ــ الرقابة فى الاقتصاد الاسلامى :

وفى ظل الاقتصاد الاسلامى ، فانه الى جانب رقابة القانون أو الشريعة ، يحرص فى الوقت نفسه على اقامة رقابة أخرى ذاتية أساسها فكرة الايمان بالله وحساب اليوم الآخر .
ولا شك أن في ذلك ضمانة قوية لسلامة السلوك الاجتماعي وشرعية النشاط الاقتصادى ، لشعور الفرد المؤمن بأنه آذا استطاع أن يفلت من رقابة ومساءلة القانون ، فانه لن يستطيع أن يفلت من رقابة ومساءلة الله تعالى . ومن هنا كان أساس المسئولية فى الاسلام أن « اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فهو يراك » ، وكان تأكيد الرسول عليه السلام بأنه « لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه بطوله أحمد والشيخان وغيرهما : فقه السنة حـ ٩ الطبعة الاولى ص ٤٠ .

٣ ــ الوازع الدينى وأثره :

ومؤدى ما تقدم ، أن ثمة عاملا مميزا فى الاقتصاد الاسلامى ، هو اعتداده بالوازع الدينى فى توجيه النشاط الاقتصادى ، باستشعار المسلم رقابة الله تعالى فى كل تصرف من تصرفاته ومسئوليته عنه أمام الله . ومن ثم يحرص الاقتصاد الاسلامى على تغذية هذا الشعور الدينى وتعميقه ، بحيث يلتزم المسلم تعاليم الاسلام الاقتصادية التزاما تلقائيا مبعثه العقيدة والايمان ، أى عن رغبة وطواعية واختيار بغير حاجة الى سلطان لانفاذه .
وهذا بعكس ما هو سائد فى النظم الاقتصادية الوضعية ، حيث لا تهتم بل ينكر بعضها الوازع الدينى فى توجيه النشاط الاقتصادى . ويبدو اثر ذلك فى محاولة الكثيرين فى ظل هذه النظم التهرب من التزاماتهم أو الانحراف بنشاطهم الاقتصادى ، كلما غفلت عين الدولة أو عجزت أجهزتها عن رقابتهم ومساءلتهم .

الفرع الثالث
تسامى هدف النشاط الاقتصادى

١ — في كافة النظم الاقتصادية الوضعية المصالح المادية مقصودة لذاتها :

فى كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، المصالح المادية سواء كانت فى صورة تحقيق أكبر قدر من الربح أو تحقيق الكفاية والرخاء المادى ، مقصودة لذاتها .

وقد أدى ذلك الى هذا الصراع المادى المسعور الذى تعانى منه المجتمعات الراسمالية ، والى اتجاه التحكم والسيطرة الاقتصادية الذى هو طابع المجتمعات الاشتراكية المادية .

وانه رغم ما حققه الاقتصاد المادى السائد فى العالم ، راسماليا كان أو اشتراكيا من مكاسب أو رخاء مادى ، الا أن هذه المكاسب وذلك الرخاء أصبح هو في ذاته مهددا بالضياع بحكم هذا الصراع العنيف الدائر بين ذات هذه النظم الاقتصادية المادية ، طالما أن المادة فيها مقصودة لذاتها .

٢ — فى الاقتصاد الاسلامى ، المصالح المادية مقصودة ولكن ليس لذاتها :

أما فى الاقتصاد الاسلامى ، فان المصالح المادية وان كانت مستهدفة ومقصودة الا أنها ليست مقصودة لذاتها ، وانما كوسيلة لتحقيق الفلاح والسعادة الانسانية . ذلك أنه بحسب التصور الاسلامى ، الدنيا هى مزرعة الآخرة ، والانسان هو خليفة الله فى أرضه **(انى جاعل فى الأرض خليفة)** سورة البقرة / ٣٠ .

ومن ثم فان المال فى الاسلام ، ليس غاية فى ذاته . والمسلم اذا كان مكلفا بطلب المال وتثميره وتنميته ، فهو لا يطلبه لذاته وانما باعتباره وسيلته الفعالة في رحلته الى الله تعالى ، وصدق الرسول عليه السلام : « نعم العون على تقوى الله المال » وصدق الله العظيم : **(ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)** لقمان / ٣٠ ، وقوله : **(هو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم)** الأنعام/١٦٥ ، وقوله : **(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)** المؤمنون/٨ ، وقوله : **(ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)** التكاثر/٨ .

ومؤدى ما تقدم ، أن ثمة عاملا مميزا فى الاقتصاد الاسلامى ، وهو أن المادة وان كانت فيه مطلوبة لقوله تعالى : **(فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة/١٠ ، وقوله تعالى : **(ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش)** الأعراف / ١٠ ، وقول الرسول عليه السلام : « طلب كسب الحلال فريضة » وقوله : من فقه الرجل رفقه فى معيشته » . الا أنها ليست مقصودة لذاتها لقوله تعالى : **(فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هي المأوى .)** النازعات/٣٧ — ٣٩ ، وقوله : **(وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)** آل

عمران/٨٥ ، وقول الرسول : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم » رواه البخارى وابن ماجه . وانما المال فى الاسلام مطلوب لذكر الله تعالى والتحدث بفضله ونعمته : **(وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** الجمعة /١٠ وقوله : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة)** القصص / ٧٧ ، وقول الرسول : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه احمد ، وقوله : « **لا بأس** بالغنى لمن اتقى » رواه ابن ماجه .

٣ ــ الهدف الأعلى من النشاط الاقتصادى :

كذلك فان من أهم ما يميز الاقتصاد الاسلامى أن الهدف **من النشاط** الاقتصادى هو تعمير الدنيا واحياؤها وأن ينعم الجميع بخيراتها ، **وليس هو** التحكم أو السيطرة الاقتصادية أو استئثار فئة أو دول معينة بخيرات الدنيا ، كما هو الشأن فى النظم الاقتصادية الوضعية راسمالية كانت أو اشتراكية .

فيجعل الاسلام ، الانسان هو خليفة الله فى ارضه ، وانه مطالب دائما بأن يرتفع الى مستوى الخلافة بتعمير الدنيا واحيائها وتسخير طاقاتها لخدمته والأجيال القادمة لقوله تعالى : **(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه)** الجاثية/١٣ . وقول الرسول : « ان الدنيا حلوة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون » رواه مسلم والنسائي ، بل لقد ذهب الرسول فيتصوره حرص الاسلام على الانتاج والتعمير قوله : « اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ــ أى شتلة ــ فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك اجر » رواه أحمد .

— • —

وخلاصة ما تقدم أن فى الاسلام سياسة اقتصادية ، لا تقتصر على المصالح المادية ولكنها تجمع بينها وبين الحاجات الروحية . ذلك أن هذه السياسة تقوم على اساس الاحساس بالله تعالى والمسئولية أمامه ، الأمر الذى يميز الاقتصاد الاسلامى بطابع انسانى وروحى مصدره ابتغاء وجه الله فى مباشرة النشاط الاقتصادى . هذا فضلا عن أنه يميزه بضمان وقوة تنفيذ تعاليمه الاقتصادية ، حيث أن الرقابة فيه مزدوجة ليست اساسها الشريعة فحسب وانما العقيدة أيضا ممثلة في فكرة الايمان بالله وحساب اليوم الآخر . هذا الى انضباط هدف النشاط الاقتصادى وسموه ، حيث أن المادة فيه ليست مطلوبة لذاتها ، وانما لفلاح الانسان وتعمير الدنيا وعموم خيراتها على الجميع .

ولا شك أن فى ذلك كله مساهمة فعالة ، فى القضاء على مختلف صور الاستغلال والانحراف ، وفى تهذيب نزعة السيطرة والصراع ، وفى حل مشكلة الاقتتال والحرب وفي النهاية ، أن يسود العالم أمله المنشود فى التعاون والمحبة والسلام .

حضارة الأندلس الإسلامية وفضلها على أوروبّا

للاستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

« لم تبخل الأمة الاسلامية على الغرب بعلومها وفنونها وآدابها وألوان بحوثها حتى أوصلته الى ما انتهى اليه الآن من تقدم ومدنية ، وحضارة ورقي » .

« ان الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ، ليس فيها شذوذ أو خروج من منطق التاريخ » .

ان الحضارة ليست نتاج جيل من الأجيال ، ولا ملك امة من الأمم وانما هي وليدة الحياة من وقت أن عرفت الحياة ، وهي ربيبة الحاجة من أول يوم أحس فيه الانسان وشعر بضرورة الحاجة .

لقد عاشت الوف من الأمم التي مرت بتاريخ الأرض تتوارث الحضارة أمة بعد امة ، لتنميها وتغذي روافدها ومن ثم تسلمها الى من يليها لترعى نماءها ، وظل هذا شأنها حتى انتهت مسيرتها الى ما نشهده اليوم من تقدم ومدنية ورقي .

وعندما جاء الاسلام كان له دوره الفعال في تطوير الحضارة ، وكون امة استطاعت في يوم من الأيام ان تضع يدها على كل مقدرات الحضارة في أكثر من نصف محيط الكرة الأرضية ، وعرفت كيف تستغل هذه الحضارة وتبني لمجدها صرحا منقطع النظير .

ولقد استطاعت الأمة الاسلامية بما بذل علماؤها وعباقرتها أن تمثل دور الاستاذية ، ولم تبخل على الغرب بعلومها وفنونها ، وآدابها والوان بحوثها ، حتى أوصلته الى ما انتهى اليه الآن من تقدم ومدنية وحضارة ورقي .

يقول تدري حافظ طوقان في كتابه « العلوم عند العرب » : ان الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ، ليس فيها شذوذ أو خروج من منطق التاريخ وقد قام أصحابها العرب بدورهم في تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والفهم .

واذا أردنا أن نعرف مدى تأثير مسلمي « الأندلس » في « أوروبا » ومقدار ما قدموه من علوم وفنون وآداب ومعارف ، انتقل الأوروبيون على ضوئها من ظلمات الجهالة ووحشية البداوة الى نور الحضارة ومدارج الرقي علينا أن نرجع الى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين لنجد مراكز الثقافة في « أوروبا » كانت عبارة عن أبراج يقطنها فئة من الناس يفخرون بأنهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة ، ولوجدنا أرباب العلم وقادة المعرفة كانوا من الرهبان المساكين ، الذين استبد الحمق والجهل بعقولهم ، واستولى عليهم الطيش والتعصب الأعمى الى درجة أنهم كانوا يقضون أغلب أوقاتهم في كشط كتب الأقدمين القيمة التي دونها العرب ووضعوا فيها خلاصة تفكيرهم وعصارة تجاربهم عدة قرون ، ليتكون عندهم بعد ذلك مجموعة من الصحائف والرقائق تفيدهم في نسخ كتب العبادة .

يقول جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » ما نصه : « ان همجية أوروبا ظلت واضحة مدة طويلة من غير أن تشعر بها ، ولم يبد عن بعض الأوروبيين بعض الميل الى العلم في القرن الحادي عشر والثاني عشر على الخصوص ، فلما ظهر أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عن عقولهم ولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم » .

ثم يرد على الذين ينكرون كل الانكار أن لمسلمي « اسبانيا » الفضل في تحضر « أوروبا » وفيما وصلت اليه من العلم والمعرفة ، فيقول : « ولم تكن الحروب الصليبية سببا في ادخال العلوم الى أوروبا كما يتردد على ألسنة الكاتبين

وانما دخلت العلوم أوروبا من اسبانيا وصقلية وايطاليا ، فمنذ سنة ١١٣٠م بدأ مكتب في طليطلة تحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون ، ينقل أهم كتب العرب الى اللاتينية ، فكللت أعماله في هذه الترجمة بنجاح » .

واستمر نشاط حركة الترجمة في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادي ، ولم يقتصر الغربيون على ترجمة نتاج العلماء العرب الى اللغة اللاتينية ، مثل أبي بكر الرازي ، الذي كان مصدرا رئيسيا من مصادر الكيمياء التي تطورت آفاتها بتطور الأيام ، وله بحوث هامة في مواد الجراحة الرمدية والولادة ، وأمراض النساء ، وقد ترجمت مؤلفاته الى اللغة اللاتينية ونشرت بعد ذلك الى مختلف اللغات الأوروبية .

وهو يعد بحق رائد الطب النفسي وكان يقول : « على الطبيب ان يرجي مريضه الشفاء ، حتى ولو كان ميئوسا منه ، فان مزاج الجسم نابع من مزاج النفس » ، والرازي هذا قالت عنه سيجريد هونكة : « هو الذي جعل الطب علما عربيا قائما بذاته ، بالضبط مثلما جعل أبقراط الطب اليوناني قائما بذاته » .

والخوارزمي الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي ، وهو فلكي ورياضي وجغرافي ممتاز ، وصف بأنه أعظم علماء عصره ، فهو يعد من أقدم من ألف في حساب « الجبر والمقابلة » واذا كان قد سبقه في هذا بعض من العلماء ، الا ان ما ألفه في هذا الموضوع ذاع وراج واشتهر شهرة واسعة ، وقد ترجم مؤلفه الى اللغة اللاتينية ، وظل يدرس في معاهد « أوروبا » الى عهد طويل ، وبترجمته عرفت « أوروبا » أرقامنا الحسابية ، ولم يكن لـ « أوروبا » قبل ذلك قاعدة منظمة لشكل الأرقام أو مراتبها ، و «أوروبا» اليوم تستعمل تلك الأرقام التي ورثتها منا .

والحق الذي يجب أن يقال هو ان نظريات الخوارزمي الرياضية قد احدثت من التأثير ما لم تحدثه بحوث اي عالم آخر في العصور الوسطى وقد شهد لكفاءته أكثر من عالم بالرياضيات في « أوروبا » .

وابن سينا الذي كان طبيبا ، وفيلسوفا ، وفلكيا ، ورياضيا ، وانسيكلوبيديا ، وقد ترك تسعة وتسعين مؤلفا في مختلف فنون المعرفة اشهرها موسوعته الطبية المسماة بـ

اشهرها موسوعته الطبية المسماة

بـ « القانون » وتعتبر من أعظم المراجع الطبية في الشرق والغرب وقد خصص جزءا كبيرا من كتابه هذا لدراسة النباتات في اطار حديثه عن الأدوية المفردة .

ولم يكن ابن سينا من المؤمنين بما يدعيه أصحاب الكيمياء ـ على حد تعبيره ـ من امكان تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة ، وكذلك لم يكن من المؤمنين بالتنجيم ، وأثر البروج والكواكب في حظوظ الناس ومستقبلهم .

وابن رشد الفيلسوف البارز ، الذي ضرب الرقم القياسي في حرية التفكير ، وترك أبعد الأثر في الفكر الأوروبي ، ويعتبر أكبر شارح لفلسفة « ارسطو » وأغلب الظن انه أعجب بفلسفة « ارسطو » اعجابا ملك عليه حواسه واستولى على

مشاعره ، الأمر الذي جعله يضع ثلاثة شروح على فلسفته ، ففسرها وشرح غامضها .

ويكفي ابن رشد جراة انه أطلق لتفكيره العنان ، فضرب مثلا فريدا في حرية الفكر ، ولم يهتم أو يبال بالتهم التي وجهت اليه ، ولكنه أعلن آراءه في صراحة تامة وجراة نادرة ، حتى اعتبره الغربيون اكبر مثل لحرية الفكر ، ويظهر أثر فلسفة ابن رشد واضحا في خروج كثير من الغربيين على تعاليم الكنيسة ، وتمسكهم بمبدأ حرية الفكر ، وتحكيم العقل على أساس من المشاهدة والتجربة .

ولقد اهتم أطباء « الأندلس » اهتماما كبيرا بالجراحة ، وبرز من بينهم من المشاهير الزهراوي ، الذي يعد من اكبر الجراحين العرب ، وقد الف كتبا قيمة وصف فيها آلات جراحية من اكتشافه ، ووصف الكثير من العمليات الجراحية وصفا دقيقا ، كالشق ، والكي ، والفصد ، وتفتيت الحصى ، ومن أشهر كتبه كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » في ثلاثة أقسام هي : الطب ، والأقربازين والكيمياء ، والجراحة ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر الميلادي ، واهتم الأطباء الغربيون بقسمه الجراحي ، ولقد استطاع أن يبين فيه بدقة المقطع الذي ينبغي أن تجري فيه عملية نزع الحصى في المثانة .

لم يقتصر الغربيون على ترجمة هؤلاء الأعلام العرب وأعمالهم ، بل نقلوا ايضا الى اللغة اللاتينية كتب « اليونان » التي كان المسلمون قد ترجموها الى اللغة العربية ، مثل كتب « جالينوس » و « أبقراط » و « افلاطون » و « اقليدس »وغيرهم ممن كان لهم اثر بالغ في الثقافة ، حتى لقد زاد عدد ما ترجم من كتب العرب الى اللغة اللاتينية على الثلاثمائة كتاب .

ومن هنا يتضح لنا أن القرون الوسطى لمتعرف كتب العالم اليوناني القديمة الا من خلال ترجمتها الى اللغة العربية ، وبفضل هذه الترجمة استطاع العالم الأوروبي أن يقرأ كتب « اليونان » التي ضاع أصلها ، مثل كتاب « أبولونيس » في المخروطات وكتاب « جالينوس » في الأمراض السارية ، وكتاب « أرسطو » في الحجارة .

ويعلن « جوستاف لوبون » اعترافه بفضل العرب على «أوروبا» فيقول : « واذا كان هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الامة ، لا رهبان العصور الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف بجميل صنعهم في انقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا .

وبينما كان العرب يصهرون افكارهم في تنمية التراث الفكري ، والانتاج العقلي لتزدهر الحضارة ، ويضيفون في كل يوم تقدما جديدا في ميدان الحضارة ومضمار الرقي ، الذي يعود على البشرية بالخير والرفاهية ، كانت « أوروبا » غارقة في بحار من الظلمات ، لدرجة أن وصل بهم الايمان بالخرافات الى حد أن اعتبروا الساعة الدقاقة التي أهداها خليفة المسلمين العباسي هارون الرشيد الى « شارلمان »

امبراطور « فرنسا » ضربا من السحر والشعوذة وعملا من أعمال الجن والشياطين .

وعندما فكروا في التخلص مما هم فيه من التأخر ، لم يجدوا أمامهم سوى بلاد « الأندلس » لقربها منهم فأخذ طلاب العلم ومريدو المعرفة يفدون على معاهد العلم في « الأندلس » ينهلون منها معارفهم ويكونون ثقافاتهم ، ونذكر منهم « جربرت » الذي صار « بابا » في عام ٩٩٦ ميلادية ، وعرف باسم « البابا سلفستر الثاني » ، واستفاد من علوم العرب كثيرا ، ولما أراد أن ينشر بين مسيحي « أوروبا » ما تعلمه اتهموه بأنه باع روحه للشيطان

ولقد تخرج على كتب العرب كثير من علماء « أوروبا » مثل « روجر بيكون » الذي كان مدينا لكتابات الحسن ابن الهيثم أشهر العلماء العرب في علم « الطبيعة » ، وهو الذي أثبت بالتجربة أن للضوء زمانا وسرعة ينتقل بها ، وهو الذي أبطل علم « المناظر » الذي وضعه اليونانيون ، وأنشأ « علم الضوء الحديث » بمعناه ومفهومه الحديث ، حتى أن أثر ابن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي ، لا يقل عن أثر « نيوتن » في الميكانيكا في القرن السابع عشر الميلادي ، و « البرت الكبير » الذي كان مدينا بفلسفته لابن سينا ، و « سان توما » الذي كان مدينا لابن رشد .

وقد بذل الاسبانيون من غير المسلمين أقصى ما في استطاعتهم في محاربة الثقافة العربية بحكم عداوتهم للاسلام والمسلمين ، واستمروا في عنادهم وغرورهم الى أن انهزموا أمام تيار هذه الثقافة الجارف ، بعدما تبين لهم مافي طبيعة الثقافة العربية من مطاوعة للمنطق وتجاوب مع روح التقدم والرقي ، فآمنوا بها واندفعوا يغترفون من عذبها ما روي ظماهم المكبوت ، وكملوا ما كانوا يشعرون به من نقص ، فكان من نتيجة ذلك أن غزت الثقافة العربية معاقل الثقافة اللاتينية ففزع المتعصبون للقديم ، وانهزموا أمام تيار المدنية الجديد ، وفقدوا كل أمل في التخلص من ثقافة العرب وطابعهم الجديد .

ويظهر هذا الفزع واضحا جليافيما كتبه كاهن « قرطبة » يشكو مر الشكوى من كونه لا يجد من أبناء جنسه من يعرف اللغة اللاتينية ليدرس بها الانجيل ، وسير الأنبياء والحواريين ، ويأسف أشد الأسف لأن أغلب الشبان المسيحيين من ذوي المواهب أصبحوا لا يعرفون سوى اللغة العربية التي يقرأون كتبها بنهم ويسعون للحصول عليها بشغف ، ويبذلون في سبيل اقتنائها وجمعها الأموال الطائلة ، ومن أجل ذلك اضطر القساوسة ورجال الكنيسة الى ترجمة الكتب الدينية الى اللغة العربية ، حتى لا يفوت هؤلاء الشبان الدين مثلما فاتتهم اللغة .

ومما ساعد على قيام هذه النهضة العظيمة في بلاد « الأندلس » تلك السياسةالتي اتبعها العربتجاه أهل اللغة في تعاملهم معهم ، وهي سياسة التسامح التي جعلت المستعمرين يقبلون على استعمال اللغة العربية، ويفضلونها على اللغة اللاتينية ، الأمر الذي أدى الى ايجاد مدرسة ضخمة من غير المسلمين يقوم أفرادها

بدور السفراء بين حضارة العرب وبين أهالي غرب « أوروبا » المتلهفين على تعرف علوم العرب ، المتشوقين الى أن ينهلوا من معارفهم

ان « أوروبا » عاشت عالة على نتاج القرائح العربية ، وظلت الكتب العربية المترجمة الى اللغة اللاتينية وخاصة الكتب العلمية تعد هي المصدر الوحيد الذي تقوم عليه الدراسة في جامعات « أوروبا » مدة تزيد عن خمسة قرون واستمرت « أوروبا » متأثرة ببعض العلوم العربية حتى القرن الثامن عشر ، وكانت كتب ابن سينا في الطب تدرس في جامعات « مونبلييه » بـ «فرنسا» بتوسع ، فقضت شهرته على شهرة « جالينوس » .

ولقد بلغ تأثير العرب في المواد التي كان يدرسها طلبة الجامعات في « أوروبا » درجة عظيمة من الاتساع بحيث شمل الكثير من المعارف التي وقف الأوروبيون عاجزين عن التقدم فيها ولو لخطوة واحدة واضحة ، ومثال ذلك علوم الفلسفة حيث ظل ابن رشد بفلسفته ومؤلفاته حجة بالغة في هذا الفن في جامعات « ايطاليا » و « فرنسا » حتى القرن الثامن عشر الميلادي .

ان مسلمي اسبانيا كانت لهم طرق واساليب أدت الى ضمان الحرية، وكفالة النظام ، وضبط الأمور ، ولم يكن المدار — في ذلك الوقت — في أنظمة الحكم متوقفا على المناصب والوظائف بل كان المعول كله على شعور كل فرد ممن يشغل هذه المناصب والوظائف واحساسه في القيام بواجبه .

ولذلك أنتجت انظمة الحكم عند مسلمي « اسبانيا » استقرارا ورخاء عما جميع مرافق الدولة ، وبدا على الناس كما ظهر على الدولة انها محكومة حكما صالحا في مقوماته وفي روحه ، لأن الدولة أعطت لأفرادها من الاستقرار النفسي والرفاهية ما استطاعوا ان يبرزوا به في ميادين الفكر والانتاج العقلي ، في كافة العلوم والفنون والآداب ، حتى صار لها بهذا التراث مكان الزعامة الفكرية في « أوروبا » التي لم تكن تعلم عن الحياة العقلية والأدبية والفنية شيئا

لقد قدمت « اسبانيا » المسلمة للعالم الأوروبي كل مقومات الحضارة وسلمت كل المعارف من نتاج القرائح العربية والنضوج اليوناني والروماني الى تلاميذها في « أوروبا » فانتفعوا بهذه العلوم وجنوا ثمارها .

واخذ الأوروبيون ينسبون لأنفسهم الفضل في العلم والمعرفة ، والسبق في ميدان الحضارة والتقدم ، الى أن كشف بعض المستشرقين المنصفين عن فضل المسلمين على « أوروبا » واعترفوا بما كان لهم من ماض مجيد وأياد بيضاء على الحضارة والرقي .

وعندما رجع المسلمون الى كتبهم القديمة وتراثهم المهجور وجدوه يحوي كل أصل من أصول الحضارة التي زعم الغربيون أنها من صنعهم ، واكتشف العلماء المسلمون أخيرا ان القانون الفرنسي الذي بلغ الذروة من التقدير العالمي ، انما هو في الأصل مأخوذ من تعاليم الاسلام ومبادئه السمحة ، ومنقول برمته عن مذهب الامام مالك — رضي الله عنه — لانه كان هو المذهب السائد في بلاد « الأندلس » ، ولم تستطع القوة ولا الجبروت طمس آثاره من النفوس ، وظل أمر سكان «الأندلس» على الرغم من خروج المسلمين منها

يسير على ما هو عليه أيام أن كانت البلاد تحت سيطرة ونفوذ الاســلام والمسلمين من ناحية العادات والتقاليد، وقد نقل الفرنسيون هذه العــادات والنظم والفوا منها قانونهم ، وعندما أراد العلماء أن يرجعوا الى الأصــل الذي أخذ منه الفرنسيون ، وجــدوا ان القانون الفرنسي مأخوذ من مذهب الامام مالك ــ رضي الله عنه ــ .

لقد قام العرب بدورهم خير قيام في تطويــر الفكر العلمي ، وهيــأوا الأسباب لظهــور الفكــر العلمــي والنهضة العلمية الحديثة ، ولــولا نتاج هذه القرائح العربية لتأخر سير المدنية عدة قرون ، يقول « فلوريان » في هذا الصدد منصفا العرب : « لقد عرف العــرب في العصر الاسلامــي بانكبابهم على الدرس وسعيهم فــي ترقية العلم والفن » .

ويقول « ويلز » مبينا كيف كـــان العرب ينشرون الحقائق العلميــة . « كانت طريقــة العربــي أن ينشر الحقيقة بكل استقامة وبساطــة ، وأن يجلوها بكل وضوح وتدقيق ، غير تارك منها شيئا في ظل الابهام ، فهذه الخاصة جاءتنا من العرب ، ولم تهبط على أهل العصر الحاضر من اللاتيني » .

ويعترف البارون « دي فو » بأن « الرومان » لم يحسنوا القيام علــى التراث الذي تركه اليونانيون ، وأن العرب كانوا على خلاف ذلك فقــد حفظوه وأتقنوه ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل تعدوه الى ترقية ما أخذوه وتطبيقه باذلين الجهد في تحسينــه وانمــائه حتــى سلمــوه للعصــور الحديثــة .

ويقول « سارتون » : « لو لم ينقل الينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ، لتوقف سير المدنية بضعة قرون فقد كانوا أعظم معلمين في العالــم فــي القرون من الثامن الى الثاني عشــر الميلادي » .

ويشير المستشرق الانجليزي « جيب » في كتابه « الاتجاهات الحديثة فــي الاسلام » الى الأسلوب التجريبــي الذي انتهجه العلماء العرب وأشاعوه في العالم فيقول : « ان تركيز الفكر على الحوادث الفردية أتاح لعلماء المسلمين ان يمضوا بالطريقة التجريبية الــى مدى أبعد بكثير ممن سبقهم من علماء اليونان والاسكندرية ، انهم الأصل في ادخال الطريقة التجريبية أو احيائها في أوروبا في العصر الوسيط » .

وختاما لهذا الموضوع نقول : ان الأوروبيين تناولوا مشعل العلــم والحضارة مــن أيــدي العــرب ، فاستضاءوا به بعد ظلمة ، وبلغــوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضياء العميم الذي انكشف به أحدث العلوم ولو لم يحمل العرب هذا المشعــل شرقا وغربا لكان من أعسر الأمــور أن يقدح الأوروبيون نوره من جديد

الشورى في الاسلام

جاء الاسلام بمبدأ الشورى اساسا للحكم ، وقاعدة للمجتمع ، فأمر الله رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام أن يشاور أصحابه ، وان يأخذ رايهم فيما يعرض من الامور . ولم ينزل فيه وحى من الله فقال تعالى : **(وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)** آل عمران/١٥٩ .

وقد جعل الله الشورى من لوازم الايمان ، حين عدها من الصفات اللاصقة بالمؤمنين المميزة لهم عن غيرهم فى قوله تعالى : **(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)** الشورى/٣٨ .

أما ما نزل فيه وحى من الله فهو خارج من نطاق الشورى . اذ لا مجال للراى فيه ، ويلتزم به المؤمنون، وتتقبل الشورى فقط فى حدود التنظيم لما نص عليه القرآن وبينته السنة ، وذلك يقتضي ان يكون اهل الشورى عليه وسلم يشاور أصحابه فى كل أمر يعرض وليس فيه وحي من الله، ففى غزوة بدر — حين تغير الموقف عن الوضع الذى خرج الرسول واصحابه من اجله ، فبعد أن كان الأمر ملاقاة تجارة قريش، والاستيلاء عليها — وذلك امر سهل المنال — اصبح ملاقاة جيش وفير العدد كامل العدة يتطلب جهادا مريرا ، وتضحية غالية — اخذ الرسول يستشير أصحابه، اعدادا لنفوسهم الى الوضع الجديد ، فقال : أشيروا علي ايها الناس ، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال واحسن ، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال واحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك ما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن : اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لقاتلنا معك من دونه حتى تبلغه . فدعا له الرسول بخير ، ثم قال : اشيروا علي ايها الناس — وهو يريد رأى الأنصار — لانهم يكونون الغالبية الكبرى فى جيشه ، وبيعة العقبة الزمتهم الدفاع عن رسول الله فى مدينتهم ، ورسول الله يتخوف ان يكون رايهم الا ينصروه واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما اردت ، فنحن معك ، الا ممن دهمه فى المدينة ، فقام سعد بن معاذ ، وقال : والله لكانك تريدنا يا رسول الله . قال : اجل .

اُعيد طبع هذه الصفحة بالعدد ١٢٢ (عدد ذو الحجة ١٣٩٥) ص ١٠٢ لخطأ مطبعي وقع عفوا فيصحح الربط

للأستاذ محمد الأباصيرى

فقال : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، الحل والعقد .

وقد كان رسول الله صلى الله فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى عدونا بنا غدا انا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك بنا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله . فسر رسول الله بقول سعد ثم قال : سيروا وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم .

وهذا صحابى جليل هو الحباب بن المنذر رضي الله عنه يشير بتغيير الوضع العسكرى للمسلمين فى بدر بعد أن علم ان الرسول لم ينزلهم المنزل الذى انزلهم فيه بوحى من الله، فقد قال الحباب لرسول الله — وقد راى ان الرسول أنزل جيشه بادنى ماء من بدر — : ارايت هذا المنزل ؟ امنزلا انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، ام هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ان هذا ليس بمنزل ، امض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فنعسكر فيه ، ثم نغدر ما وراءه من الآبار ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله : لقد أشرت بالرأى ، ثم امر بانفاذه . فلم يجىء نصف الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب ، وامتلكوا مواقع الماء .

وكما أخذ الرسول برأى الحباب فى هذا الامر اخذ برأى « سعد بن معاد » فى فكرة بناء عريش له فقد قال سعد للرسول : يا نبى الله ، الا نبنى لك عريشا تكون فيه . ونعد عندك ركائبك . ثم نلقى عدونا . فان أعزنا الله تعالى وظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا . فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن أشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم رغبة فى الجهاد ، ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك . انما ظنوا أنها العير يمنعك الله بهم . ويناصحونك ويجاهدون معك . فقال عليه السلام : « اويقضي الله خيرا من ذلك » ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان المعركة .

ولما اسفرت المعركة عن نصر حاسم للمسلمين، وقتل سبعون واسر سبعون من صناديد الشرك استشار الرسول أصحابه فيما يفعل بالأسرى فكانوا على رأيين ، راى ابداه ابو بكر رضي الله عنه قائلا : يا رسول الله هؤلاء اهلك وقومك قد اعطاك الله النصر والظفر عليهم ، أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما اخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا !

.. ورأى ابداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا : يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك واخرجوك فأرى أن تمكننى من فلان — لقريب له — فاضرب عنقه ، وتمكن حمزة من اخيه العباس . وعليا من أخيه عقيل ، وهكذا حتى يعلم الناس انه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين ، ما أرى ان يكون لك أسرى فاضرب أعناقهم ،

هؤلاء صناديدهم وائمتهم وقادتهم .. فاختار رسول الله ما قال أبو بكر وأخذ منهم الفداء ، وبعد ذلك نزل قول الله تعالى **(ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم)** الأنفال / ٦٧ — ٦٩ فكان ما نزل بيانا لما يجب أن يتخذ مع مجرمى الحرب وهو استئصال شأفتهم والقضاء عليهم تخليصا للحياة من شرهم لأنهم يسوقون أقوامهم الى العدوان ارضاء لمطامعهم الخاصة ، وأنه ما كان يصح للمؤمنين النظر الى عرض الدنيا من الفداء متناسين الجرائم التى اقترفها هؤلاء الأسرى قبل الاستمكان منهم ، ولكن الله قد سبق كتابه بالعفو عن الخطأ وباحلال الغنائم فعفا عنهم وأباح لهم الانتفاع مما أخذوا .

وفى غزوة أحد لما وصلت الأخبار لرسول الله باقتراب المشركين ونزولهم مقابل المدينة بذي الحليفة جمع أصحابه وأخبرهم الخبر وقال : — مستشيرا لهم — ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا فان هم اقاموا اقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم ، فكان مع رأيه عليه السلام شيوخ المهاجرين والأنصار ، اما الشباب — وخصوصا من لم يشهد بدرا — فأشاروا عليه بالخروج لملاقاة المشركين ، وما زالوا بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الأكثرون عددا ، والأقوون جلدا .

وفى غزوة الأحزاب — حين اشتد الحصار على المسلمين وزلزلوا زلزالا شديدا رأى عليه الصلاة والسلام أن يصنع شيئا يخفف به متاعبهم، ويمزق جمع الاعداء فدخل فى مفاوضات مع أهل غطفان واتفقوا على أن يرجع الغطفانيون ولهم ثلث ثمار المدينة ، وجاء الرسول بورقة المعاهدة قبل توقيعها وعرض الأمر على المسلمين ، فسأل سعد بن معاذ رسول الله هل للوحى دخل فى ذلك .. ؟ فقال الرسول لا « انه أمر صنعته لكم رجوت من ورائه الخير » ، فأخذ « سعد » ورقة المعاهدة ومزقها قائلا : « انهم لم ينالوا منا ثمرة الا قرى ، افبعد أن أعزنا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عنوة . لا والله » فلم يغضب الرسول عليه السلام ، وسر بذلك المسلمون جميعا .

وهذه الحادثة تضع تقليدا دستوريا مجيدا للمسلمين ، هو أن الحاكم ليس له أن يقطع برأى فى أمر هام ، ولا أن يعقد معاهدة تلزم المسلمين بأى الزام دون مشورتهم ، واستطلاع رايهم .

وقد ترك الاسلام للامة شكل الشورى ومداها ، لان الشكل متغير متطور ، للامة الراى فى تغييره وتطويره براى ذوى العلم والخبرة والبصر بالأمور ، وقد أمر الاسلام أن يكون فى الأمة جماعة دائمة تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وكل فرد من المسلمين يرى نفسه أهلا للقيام بذلك حق عليه أن يقوم به ، وهو مسئول مسئولية تامة عن صالح الأمة ، لا يخلصه من المسئولية الا القيام بها بصبر وأمانة، ولا يعفيه من الحساب عليها أى عذر مهما بلغ ، ومن هذه المسئولية يوجد التضامن الجماعى بين أفراد الأمة ،

وبين الأمة وحاكمها ، وتخمل الجماعة منتبعة فساد أمر الأمة مثل ما يحتمله الحاكم الذى جرى الفساد على يده ، بل ان مسئولية الجماعة اكبر واعظم .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة عظيمة فى الاخذ بمبادىء الشورى ، وكان يدعو اليها ويرغب فى الاستمساك بها ، فلما قال على رضي الله عنه : يا رسول الله ، الأمر ينزل فينا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيك منك سنة ... قال الرسول : « اجمعوا له العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم » .

ويشترط فيمن يستشار أن يكون عاقلا يمحص رأيه قبل ابدائه ، وأن يكون عالما أهل اختصاص فى الأمر الذى يستشار فيه حتى يصيب بعلمه وجه المصلحة ، وأن يكون على درجة من الأخلاق الفاضلة تعصمه من الغش، وتحمله على صدق النصيحة، فالمستشار مؤتمن ومن اشار على اخيه المسلم بأمر يعلم ان الرشد فى غيره فقد خانه .

والشورى تؤمن الأمة من نزعات الاستبداد الفردى فى الحكام ، وتحفظ المجتمع من آراء الشذاذ الذين يجانبون فى آرائهم وجه المصلحة ، وتفتح المجال أمام الآراء الصائبة والأفكار المستنيرة ، يقول الأستاذ الكبير المرحوم عباس العقاد فى كتابه (الديمقراطية فى الاسلام ص ١٧٥ طبعة دار المعارف) : « ان ديمقراطية الاسلام التى انشاها محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ديمقراطية خاصة لا لأنها تضيق عن غيرها من الديمقراطيات ، ولكنها خاصة لانها تخالف الديمقراطيات الاخرى فى نشأتها وغايتها ، وتتسع لاصول الحكم حتى تخرج بها من الصبغة المحلية الى الصبغة الانسانية ، بل الكونية فليس فى عقيدة المسلم نظام بين السموات والأرض لا يستقر على هذا الاساس :

اله رحمن رحيم ، يجرى الكون على سنن ، ويحاسب الخلق ببلاغ ونذير على رسالة أنزلها لهدايتهم ، وما هو بظلام للعبيد .

ونبى ليس بالمسيطر ولا المتجبر ولكنه بشير نذير ، وليس له من الأمر شيء ، والأمر بينه وبين امته على المشاورة ومكارم الأخلاق .

وامام يطيع قبل أن يطاع ، ويتولى الحكم من ايدى المحكومين .

وأمة هى المرجع فى كل سلطان وكل سياسة ، وكما تكونوا يول عليكم ، فهى المسئولة عمن يسمونهم فى عصرنا الحاضر بالمسئولين ، ليس لأحد حق العسف والطغيان ، وليس لاحد حق الفتنة والعصيان ولهم جميعا حق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا سيادة لنسب ولا لمال ولا لعلم ولا لانسان ولا لطائفة ، ولكنهم جميعا بنية واحدة تأخذ حياتها من كل عضو، وتمد كل عضو بحياته . ديمقراطية خاصة قامت على حق الانسان وتبعته امام ربه وضميره » .

وبالشورى تتألف القلوب ، وتصان العقول من الخطأ ، وينفتح امامها ما اغلق فهمه وابهم امره ، وهى حصن من الندامة ، وأمان من الملامة قال قتادة رضي الله عنه : « ما تشاور قوم يبتغون وجه الله الا هدوا لأرشد امرهم » وقال ابن تيمية : « ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين » .

مائدة القارئ

اعـــداد : فهمي الامام

أى العمل أحب الى الله .. ؟

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل احب الى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ فقال : « الجهاد فى سبيل الله » .

رواه الشيخان

وصية ..

عن ابى ذر الغفارى رضي الله عنه قال :
« اوصانى خليلى — رسول الله صلى الله عليه وسلم — باربع كلمات هن احب الي من الدنيا وما فيها : قال لى : يا ابا ذر : احكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، واخلص العمل فان الناقد بصير » .

لا تقولى هكذا يا أم سلمة

لما علمت أم سلمة بوفاة ابن عمها الوليد بن الوليد قالت : « غريب توفى فى بلاد غربة » واستأذنت الرسول فى بكائه فاذن لها فقالت :

يا عين فابكى للوليد بن الوليد بن المغيرة
كان الوليد بن الوليد ابا الوليد فتى العشيرة

فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تقولى هكذا يا ام سلمة » ولكن قولى :
« وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

قال تعالى : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) .

الزيادة لسبب

قال تعالى ــ فى سورة القصص عن موسى عليه السلام : (ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما) .
وقال تعالى ــ فى سورة يوسف عن يوسف عليه السلام : (ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما) فلم يذكر كلمة ((واستوى)) .
والسبب ــ كما قال المفسرون ــ انه تعالى اوحى الى يوسف فى صباه فلم يذكر كلمة ((واستوى)) بخلاف موسى عليه السلام . ولذا أثبتها فى الآية الاولى ، وحذفها من الثانية .

أنا جنتى

قال شيخ الاسلام ابن تيمية حين جاء الأمر بسجنه فى قلعة دمشق :
« انى كنت منتظرا ذلك ، وهذا فيه خير عظيم ، ما يصنع اعدائى بى ؟! ، انا جنتى ، وبستانى فى صدرى ، أين رحت فهى معى لا تفارقنى ، انا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، واخراجى من بلدى سياحة » . ولما دخل القلعة متوجها الى السجن ، ورأى الأسوار تمثل قول الله تعالى : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » .

نظرة صائبة

قال عمر رضي الله عنه :
الا لا يغرنكم صيام رجل ولا صلاته ، ولكن انظروا الى صدقه اذا حدث ، والى امانته اذا ائتمن ، والى ورعه اذا استغنى .

الحجاب ..

ما كان الحجاب مضروبا على المرأة نفسها ، بل على حدود من الأخلاق أن تجاوز مقدارها ، أو يخالطها السوء أو يتدسس اليها ، فكل ما ادى الى هذه الغاية فهو حجاب ، وليس يؤدى اليها شيء الا أن تكون المرأة امرأة فى دائرة بيتها ، ثم انسانا فقط فيما وراء هذه الدائرة الى آخر حدود المعانى .

من كتاب وحى القلم

بلى نذكر أمجادنا

للاستاذ عزت محمد ابراهيم

لعل الذين عنيتهم فى مقالى (هكذا يتساءلون) لا يسوؤهم ان اتحدث فى هذا المقال عن أمجاد ماضينا التليد ، وما احسب اننا سننكف عن ذكر هذا الماضى يوما ، ما دام لنا كتاب يتلى ، وعقيدة نحرص عليها ، وقبلة واحدة نولى شطرها وجوهنا ؛ بل ما بقيت فينا انفاس تتردد ؛ وعروق تنبض ، وما دامت فينا عقول تفكر ، وعواطف تجيش .

وما نذكر امجاد ماضينا تباكيا عليها ، ولا تحسرا على فوات زمانها ، ولكن نذكرها تأسيا واقتداء، وشحذا للهمة وطلبا للاسوة الحسنة .

وما أكثر ما كان لنا من أمجاد فى ساحات الوغى ، وبين صليل السيوف وقعقعة السلاح ، ولقد قوض اجدادنا دعائم دول، وتلو عروشا ، وتقهقرت أمام زحوفهم جيوش امبراطوريات حكمت مئات السنين ، وظنت انها باقية لا يزعزعها مزعزع ، وزعزعها

● ما نذكر أمجاد ماضـــينا تباكيا عليها ، ولا تحسرا على فوات زمانها ، ولكن نذكرها تأسـيا واقتداء ، وشحذا للهمة ، وطلبا للاسوة الحسنة ..
● ان الرجل الواحـد يعمر قلبـه الايمـان ، وهو أعزل من كل سلاح ، لهو خير وبركة من ثميله المزود بكل سلال ..
● هذا ماضينا صـفحة نقية فى البذل والتضحية ، فليكن لنا فيه أسوة حسنة ، وليكن كل مقاتل منا اليوم هو ابن زياد وابن نصير وابن سحيم والغافقى والساومى .. فاما الموت واما النصر ، والجنة تحت ظلال السيوف ، والموت فى شرف خير من الحياة فى ذلة وخنوع ..

وقضى عليها ، وشتت شملها اجداد لنا ، خرجوا من قلب الصحراء ، ليسوا بأصحاب العدد الوفير ، وقد كانوا يتصدون لجيوش تفوقهم عددا ، وليسوا بذوى العدة الكثيرة ، وقد كانوا لعدوهم من العدة ما يفوق كل ما كان لهم من عدة وعتـاد ، ولم يعرفوا للحرب خططا غير ابسـطها وايسرها ، وغير ما يستمدونه من وحى البديهة ، وفطرة الذكاء ، وقد كان لعدوهم فى الحرب خبرة ، ولهم فى فنونها قواعد وأصول .

كان أجدادنا بسذاجتهم وفطرتهم، ووحى بديهتهم فى كفـة ، وكان أعداؤهم بخبرتهم وفنـونهم وتيههم وعجبهم وخيلائهم بما يملكون فى كفة اخرى .

امن العجب اذن ان تشيل كفتهم وترجح كفتنا .. ؟

نجيب بالاثبات والنفى معا .

ونجيب اثباتا اذا نظرنا الى الامور النظرة المجردة التى ينظر بها جماعة الدارسين من اجانب ومستشرقين ، يستغربون ويستعجبون .

ونجيب نفيا اذا نظرنا الى الامور نظرة العقيدة والايمـان ، فنقول : لا وجه للغـرابة ، ولا محـل للاستغراب ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثـيرة باذن الله ، ولأن رجلا واحد يملأ قلبه الايمـان ، ويعمر فؤاده اليقين ، هو بمقام العشرات ممن تعدون وتحصون من بنى الخلق، ولأن الرجل الواحـد يعمر قلبـه الايمان ، وهو اعزل من كل سلاح ،

لهو خير وبركة من مثيله المزود بكل سلاح .

لنذكر من أمجادنا جيوش المسلمين تعبر البحر ، وتخترق جبال البرانس، وتقرع أبواب أوروبا ، ولنصغ السمع الى صيحة طارق بن زياد تتردد فى جنبات التاريخ حتى تبلغ كل مسمع : « البحر أمامكم والعدو خلفكم وليس لكم الا النصر أو الموت » . وقد كان النصر لهم حليفا ، ومن مات منهم فقد فاز باحدى الحسنيين .

ان قصة الفتح الاسلامى للأندلس لهى حقا قصة من قصص البطولة النادرة ، والجهاد الحق ، والاستماتة فى سبيل الله التى لا تعرف تهاونا ولا تخاذلا ، ولا رضا بغير النصر أو الاستشهاد .

وقد بدأت بداية هذا الفتح بكتاب من (موسى بن نصير) الى الخليفة الاموى (الوليد بن عبد الملك) ، يستأذنه فى فتح الاندلس ، فجاءه الرد أمرا باختبار حال البلاد بادىء ذى بدء ، والا يغامر بجند المسلمين فى حرب غير مأمونة العواقب ، وكان ذلك ديدن خلفاء المسلمين ، لا يلقون بالأجناد فى حرب ، أو يدفعون بهم الى قتال ، الا اذا عرفوا مبلغ مقدرتهم على الصمود فيها ، فاذا أقدموا عليها ، اقدموا اقدام الواثق المطمئن ، وما ردهم عنها راد، وما حال بينهم وبين التقدم فيها حائل، فاما النصر واما الموت ، ولا شىء بينهما .

وقد انتدب موسى بن نصير سرية استكشافية تعجم عدد قوة الفرنجة ، وتختبر مدى تماسكها وصمودها فى الحرب والقتال ، وأسند قيادة هذه القوة الى (طريف بن ملوك) ، ولم تكن تزيد عن أربعمائة راجل ، ومائة فارس ، تحملهم فى البحر أربع سفن .

وبهذه القوة الصغيرة ، وبهذا العدد الضئيل غنم (طريف) مغانم كثيرة ، وعاد الى ابن نصير ينبئه الخبر اليقين الذى يستطيع بعده المسلمون أن يمضوا فى الفتح — على بركة الله — غير هيابين ولا وجلين .

وبهذه القوة الصغيرة ، وبهذا العدد الضئيل ، اقتحم (طريف) جزيرة (بالوماس) التى تحمل اليوم اسمه (جزيرة طريف) ، كما يحمل جبل طارق اسم بطل فتح الاندلس طارق بن زياد . ولم يبق أمام ابن نصير الا أن يجهز جيشا يمضى الى شبه جزيرة ايبيريا ، منطلقا فى طريقه كالسهم ، لا يعرف تباطؤا ولا انحرافا عن غايته .

وكان قائد هذا الجيش هو ابن زياد ، ولا نقول انه كان جيشا عرموما أوله فى المغرب وآخره على مشارف شبه جزيرة ايبيريا ، وانما نقول ما أجمع المؤرخون على تعداده : سبعة آلاف مقاتل لا غير ، ولكنهم السبعة الآلاف الذين يقومون بمئات الالوف فى ميادين الوغى وساحات القتال ، هم أسد الشرى، وهم ليوث المعارك ، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم مؤمنون اشترى اللهأنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

ولم يكن يعرف قبل ذلك عن (طارق ابن زياد) خبرة فى حرب أو قتال ، ولم تؤثر عنه أمجاد فى ساحات الوغى وميادين النضال ، وانما هى الشدائد تخلق الرجال ، وانما هى المحن والبلايا تصقل مواهبهم ،

وتظهر المخبوء من كنوز قوتهم المدخرة التى تنتظر اللحظات الحاسمة ، وانما هو الايمان يفعل فى النفوس فعل الخوارق والاعاجيب .

واحتمى المسلمون فى جبل طارق يتحينون الفرصة المواتية لبدء القتال، ولم ينتظر (لذريق) ملك الفرنجة حتى يباغت بالحرب ، فهب لقتال المسلمين، وقاد جيشه قائده (بنشو) ، والتقى بجنود الموت عندهم أحب من الحياة ، وهو فخر عندهم يتناقله الابناء عن الآباء ، ويفتخرون به فى مواضع الفخر والاعتزاز . وأيد الله المسلمين بنصر من عنده فأفنوا جيش الفرنجة عن آخرهم الا واحدا هو الذى استطاع الفرار بنفسه والنجاة من موت محقق ، ذلك هو (بلياسن) ، فليس بغريب اليوم أن نسمع أن قواتنا قد قضت على فرقة للعدو عن آخرها ، أو أن فردا واحدا قد قضى على عدد من الدبابات ليس بالقليل ، فالذين يقضون على فرق العدو هم أحفاد أولئك الامجاد الميامين الذين قضوا على جيش (لذريق) ، وهؤلاء الاشبال من أولئك الضراغم .

والتقى المسلمون الاشاوس مرة أخرى بالفرنجة فى موقعة (البرباط) وقدر المؤرخون عددهم بمائة الف جندى ، ومهما اختلفوا فى تقدير العدد الصحيح ، فلم يختلفوا فى أنه كان أضعافا مضاعفة لعدد جيش المسلمين .

وطلب طارق المدد من ابن نصير فأمده بخمسة آلاف يقودهم (طريف ابن ملوك) وأراد (لذريق) أن يختبر مدى قوة المسلمين ، وهو يعرف عنهم القلة فى عددهم التى لا تكاد أن تكون شيئا بجانب جيشه اللجب ، فأرسل اليهم طليعة من الفرسان قابلها المسلمون بنفوس متعطشة للقتال ، وقلوب لا يعرف الخور أو الضعف اليها سبيلا ، وانقضوا على طليعة الفرنجة انقضاض الصاعقة ، فولت أمامهم الادبار ، ملتمسة لنفسها النجاة .

والتقى الجمعان فى شهر رمضان ـ بورك من شهر ـ من السنة الثانية بعد التسعين للهجرة ، وحمى بينهما وطيس القتال ، فدام يومين متتاليين ، ولم يلبث فرسان (لذريق) الذين فروا فى بدء المعركة أن عادوا الى الفرار أمام وطأة هجوم المسلمين ، وحملهم الشديد عليهم ، وساد الاضطراب فى صفوف الفرنجة ، وغنم المسلمون فى يومهم ذاك مغانم كثيرة ، أكثرها من خيل الفرنجة ، حتى ام يبق من المسلمين راجل الا وقد امتطى ظهر فرس يختال بها اختيال النصر والفوز المبين ، وفاض سيل المسلمين على بلاد الاندلس فملأوا كل ناحية من نواحيها ، واحتلوا كل ركن من أركانها ، ولم يبق أمام أعداء دين الله غير الجبال يلوذون بقممها خوف البطش والانتقام ، وغير الحصون والصياصى ، يتحصنون بها تحينا لفرصة أخرى ، وتهيئا لهجوم جديد .

وعبر طارق (طريق هانيبال) المعروف منذ عهد الرومان ، لم يرزأ فى جيشه ولا فى دماء المسلمين ، فقد كانت الطريق خالية قد فر منها حماتها فرار المذعورين الوجلين المرتعدة فرائصهم من خوف ومن فزع ، تاركين للمسلمين طليطلة يحتلونها بغير كبير عناء .

وفى طليطلة مغانم كثيرة ، وكنوز

لا حصر لها ، وذهب وجواهر ومائدة من زبرجد خالص أسهب المؤرخون فى وصفها ، وما كان كل ذلك بالذى يشغل طارقا وجنده عن غايته وهدفه ، وهما أغلى عنده من كل ذهب الدنيا وزبرجدها جميعه ، ولا نقولها قولا على عواهنه ، ولا يدفعنا الى ذلك حماسة تتأجج فى نفوسنا فحسب ، وانما نقول قولا له سند من تاريخ لا يكذب ولا يفترى ، ولا حاجة به أمام اجماع القول الى كذب أو افتراء : جاء فى (نفح الطيب للمقرى) أن موسى بن نصير قال لطارق :

— يا طارق ، لن يجازيك الوليد ابن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك الاندلس فاستبحه هنيئا مريئا .

ورد عليه طارق قائلا :

— والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم أنته الى البحر المحيط . ومضى طارق الى قصده متجها الى قرطبة عاصمة البلاد ، وهى اذ ذاك شديدة التحصين ، منيعة الحامية ، فتربص بها المسلمون يتحينون فرصة للانقضاض عليها ، وواتتهم الفرصة السانحة فى ثغرات من حصن عرفوها فاندفعوا منها كأنهم السيل الغاضب المزمجر يحطم كل ما أمامه من سدود وجسور وعقبات ، وما لبثت قرطبة أن سقطت فى أيديهم ، وأضحت الحامية كلها ما بين فار وقتيل ، وولى قائدها الادبار حتى وقع فى يد (مغيث الرومى) مولى (الوليد بن عبد الملك) ، وأحد قادة المسلمين فى الاندلس ، فلم يفلت من حد سيفه .

ويلحق ابن نصير بابن زياد ، يشد من أزره ، ويعاونه فى القضاء المبرم على القوط ومن يؤازرهم ، وينزل (موسى بن نصير) عند موضع قريب من جبل طارق فيسمى باسمه (مرسى موسى) ، ويغذ السير الى حيث يستطيع حماية خطوط مواصلات المسلمين حتى قرطبة استعدادا للزحف الى أشبيليه التى دام حصارها شهورا ، سقطت بعدها كما سقط غيرها من مدن وحصون وقلاع وحاميات .

ويسير موسى محاذيا لنهر صغير يحمل حتى اليوم اسمه (نهر موسى — فالموزا) وسط طريق رومانى قديم ، وحسب (لذريق) أن قد سنحت له سانحة للانقضاض على المسلمين وهم بعيدون عن امدادات تأتيهم فى وقت قريب ، فانقض بجيشه عليهم ، وثبت لهم المسلمون ثبات الجبال الرواسى حتى أفنوهم عن آخرهم ومعهم (لذريق) ملكهم وقد قتله (مروان بن موسى بن نصير) .

وكانت هذه آخر معركة حاسمة فى حرب المسلمين فى الاندلس ، لم يبق بعدها غير القضاء على الفلول والبقايا الهاربة فى النواحى والارجاء، فتتبعوها فى الشمال ، والشمال الغربى حتى لم يبق فيها نفس يتردد .

ولقد بقى المسلمون فى الاندلس ما بقوا جميعا ، وخرجوا منها عندما تفرقوا وتنازعوا واستعانوا بعدوهم على بعضهم البعض ، وهذه حقيقة ينبغى أن نعيها جيدا ، وأن نضعها نصب أعيننا فى كل حين .

وقد قلت فى سياق هذا الكلام ان الفطرة ووحى البديهة هما كل ما كان لقادة المسلمين فى كرهم وفرهم ، وما كانوا يرسمونه من خطط للحرب

والقتال .

ولكنها الفطرة والبداهة التى يقول عنها المؤرخون :

« لو أن مجلسا للحرب من كبار العسكريين اجتمع ليضع خطة لفتح البلاد ، لما وفق الى خير من ذلك » .

ولم تفتر المعارك فى الاندلس ، ولم يخمد لها لهيب ، وبعد ذلك بنيف وعشرين عاما تقع فيها معركة هى ايضا من دواعى فخرنا فى مواطن الفخر والاعتزاز ، وحسبك من اسمها (بلاط الشهداء) دلالة عليها .

واذا كان (طارق بن زياد) هو بطل فتح الاندلس ، فان عبد الرحمن الغافقى أثيرها أوائل القرن الثانى الهجرى هو بطل صنديد فى بلاط الشهداء الابرار ، وشهيد من شهدائها .

وكان المسلمون قد وصلوا فى زحفهم قريبا من نهر السين زمن (عنبسة بن سحيم) ، وكان على خلفة الغافقى أن يمضى مكملا ما حقق ، قارعا أبواب أوروبا قرعا شديدا ، مؤملا أن يحقق الله فتح بلاد الغال على يديه ، فاخترق بجيوشه جبال البرت فى شمال أوروبا ، وهاجم مدينة (آرل) واستولى عليها متوجها بعدها الى (دوقية أقطانية) الممتدة من جبال البرتات الى حدود اللوار ، والتقى بدوقها وجيوشه فى (بوردو) ، فهزمه شر هزيمة ، وشتت شمل جموعه حتى اضطر الى التقهقر تاركا للمسلمين (بردال) عاصمة بلاده ، وتقدم المسلمون الى مدينة (تور) ثانية مدن الدوقية ، وفيها وقعت واقعة (بلاط الشهداء) بين المسلمين و (دوق أقطانية) يؤازره (شارل مارتل) ، وقد جمع الفرنجة فى تلك المعركة كل ما استطاعوا من جهد وعتاد ، وانضم اليهم جنود من الالمان والسويق والسكسون ، وأرادوا بكل تلك الحشود أن يقتحموا خطوط المسلمين ، فكانوا يردون على أعقابهم المرة تلو الاخرى .

واذا كان المسلمون لم يحققوا ما أرادوا فى تلك المعركة على يد (الغافقى) ، فان (عقبة بن الحجاج السلومى) قد نهج نهجه فى حروب بلاد الغال ، متجها شمالا حتى استولى على (فالانس) وحتى فتح اقليم (بورجونيا) وامتدت جيوش المسلمين حتى استولت على (بيدمونت) شمالى ايطاليا .

وما يهمنا من (بلاط الشهداء) هو هذا البذل والفداء الذى يقل له النظير ، وهذا الاصرار والصمود الذى تهون امامه كل تضحية .

وهذا ماضينا صفحة نقية فى البذل والتضحية والحرب والقتال ، فليكن لنا فيه أسوة حسنة ، وليكن كل مقاتل منا اليوم هو ابن زياد وابن نصير وابن سحيم والغافقى والسلومى ، فاما الموت واما النصر ، ومرحبا بكل بلاط للشهداء ، والجنة تحت ظلال السيوف ، والموت فى شرف خير من الحياة فى ذلة وخنوع .

الفتاوى

التجـارة فى الحج ..

للشيخ عطية صقر

السؤال :

ما حكم الشرع فيمن ينتهزون فرصة الترخيص بالحج للقيام بصـفقات تجارية ، هل يجزى ذلك عن الفريضة .. وهل يثاب عليها .. ؟

الجواب :

ان مثل هذا السؤال وجه الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فقد روى أبو داود أن أبا امامة التيمى قال له : انى رجل اكرى في هذا الوجه ، اى أؤجر الرواحل للركوب فى الحج ، وان أناسا يقولون لى : انه ليس لك حج ، فقال ابن عمر : اليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار ؟ قال : قلت : بلى . قال : فان لك حجا . جاء رجل الى النبى صلى الله عليـه وسلم فسأله عن مثل ما سألتنى ، فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية : **(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)** فأرسل اليه وقرأ عليه هذه الآية ، وقال : « لك حج » .

وقد وجه مثل هذا السؤال ايضا الى ابن عباس رضي الله عنهما ، فقـال « اولئك لهم نصيب مما كسبوا » رواه البيهقى والدارقطنى .

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما ان ابن عباس قال : ان الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفه وسوق ذى المجاز ومواسم الحج ، فخافوا البيع وهم حرم ، فأنزل الله تعالى : **(ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم)** فى مواسم الحج .

وهذه التجارة التى نزلت من أجلها الآية الكريمة تدخل تحت عموم قوله تعالى : **(وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم)** فالمنافع اعم من ان تكون دينية او دنيوية ، على أن الرواج التجارى فى المنطقة المقدسة هو استجابة لدعوة ابراهيم **(فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .**

وبهذا يكون حج التجار مسقطا للفريضة عنهم ، وما دام الاسلام رخص فى التجارة فلا ينبغى أن نحكم بعدم استحقاق الأجر من الله على الحج فرحمتـه واسعة ، والرجاء فيه كبير . وان كان الأولى أن يكون القصد الأول من الحج هو اداء النسك .

الحج عن الغـــير ..

السؤال :

توجد ظاهرة واضحة فى موسم الحج ، وهى باب من ابواب التكسب وذلك بالحج عن الغير ، فما حكم هذا الحج وهل يسقط الفريضة عمن حج عنه .. ؟

الجواب :

أخرج الترمذى بسند حسن صحيح عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما أن امراة من خثعم قالت : يا رسول الله ، ان فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه .. ؟ **قال** « نعم » . وذلك فى حجة الوداع . كما روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امراة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أمى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها .. ؟ قال : « **نعم حجي** عنها ، أرأيت لوكان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ **اقضـــوا الله فالله أحق** بالوفاء » .

من هذين النصين ومن غيرهما قال العلماء : الحج عن الغير جائز ، بل يجب على من عجز عن الحج وكان مستطيعا ، كعارض مرض و شيخوخة أن ينيب غيره فى الحج عنه ، مثله مثل الميت الذى مات مستطيعا ولم يحج .

والحج عن الميت المستطيع واجب سواء أوصى أم لم يوص . غير أن مالكا اشترط أن يوصى ، وتخرج نفقات الحج عنه من الثلث . فاذا لم يوص فلا يحج عنه ، وحجته فى ذلك أن الحج عبادة غلب فيها جانب البدنية فلا تقبل النيابة ، والجمهور على القول الأول الذي لا يشترط الوصية . لكن يشترط أن يـكون النائب فى الحج قد أدى الفريضة عن نفسه ، والا وقع الحج عن النائب فقط . ودليله ما رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقى وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة . فقال « أحججت عن نفسك » ؟ قال : لا . قال : « فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة » .

هذا ، والذى يقوم بالحج عن الغير ، لا يشترط أن يكون من هؤلاء الذين خصصوا انفسهم لمثل هذا العمل ، بل يجوز أن يقوم به أى انسان آخر ، سواء تقاضى على ذلك أجرا أم لميتقاض . وغير صحيح ما يقوله بعض الناس : ان الوكيل في الحج يجب أن يتفق عليه من حين خروجه الى أن ينتهى من أعمـــال الحج . فان المهم هو القيام بالأعمال على أى وجه كان .

المراة وطواف الوداع

السؤال :

ما الحكم لو ان امرأة فاجاها الحيض بعد انتهاء أعمال الحج وهى مرتبطة بقافلة سترحل قبل طهرها ، هل عليها طواف الوداع .. ؟

الجواب :

روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : رخص للحائض أن تنفر اذا حاضت . وفى رواية قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، الا أنه خفف عن المرأة الحائض . على أن هذا الطواف للشخص العادى سنة عند الامام مالك ولا يجب بتركه شيء .

وعلى هذا يجوز للحائض ان ترحل مع الرفقـــة دون أن تؤدى طواف الوداع ، ولا يلزمها شيء من ذبح أو غيره .

النظافة فى الحج

السؤال :

هل صحيح أن الحاج ممنوع من الاستحمام والتطيب حتى لو تغيرت رائحته بالعرق ونحوه ، مع ان الاسلام دين النظافة .. ؟

الجواب :

روى البزار بسند صحيح أن عمر رضي الله عنـــه وجد ريح طيب من معاوية وهو محرم ، فقال له : ارجع فاغسله ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحاج الشعث التفل » والشعث من عليه اثر التراب من السفر ، والتفل البعيد العهد بالماء . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اما الطيب الذى بك فاغسله عنك ثلاث مرات » وقال فيمن مات وهو محرم « لا تخمروا راسه ولا تمسوه طيبا ، فانه يبعث يوم القيامة ملبيا » .

نعم الاسلام دين النظافة ، سواء اكانت تخلية ام تحلية ، تخلية بالغسل وازالة الزوائد التى تتجمع معها الأوساخ ، وتحلية بالطيب وســـائر الروائح

الزكية ونحوها .

ولكن الحاج فى اثناء احرامه ، وقد تكون مدته قصيرة جداً ، ممنوع من التحلية بالروائح الطيبة لأنها من باب الكماليات ، والحج يقوم على التجرد منها والوقوف اما مالله بأقل ما يستر العورة . .تشبها بما سيكون الناس عليه يوم يحشرون الى ربهم « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم » . وقد جاء فى الأحاديث أن الله يباهى الملائكة بالواقفين على عرفة ويقول « انظروا الى عبادى اتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق . . » .

اما التخلية عن الأمور التى تضر الجسم وتضر بالرفاق والمجتمع الكبير فان الاسلام اباح الاغتسال والتطهر اثناء الاجرام ، ومنع العطور التى هى زائدة عن النظافة العادية . وقد ورد أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل حمام الجحفة وهو محرم ، فقيل له : أتدخل الحمام وانت محرم . . ؟ فقال : ان الله ما يعبأ بأوساخنا شيئا . واخرج الجماعة الا الترمذى أن أبا ايوب الأنصارى كان يغتسل بصب الماء عليه والتدليك ، وقال : هكذا رأيته صلى الله عليه وسلم يفعل .

على ان الاغتسال والتطهر بوجه عام مشروط أو مندوب لعدة أعمال فى الحج ، فعن ابن عمر انه قال : من السنة ان يغتسل اذا أراد الاحرام ، واذا أراد دخول مكة . رواه البزار والدار قطنى والحاكم وصححه . وكذلك يسن الغسل للوقوف بعرفة .

والطيب جائز قبل الاحرام حتى لو امتد اثره الى ما بعد الاحرام ، ففى البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كأنى انظر الى وبيص الطيب ـ أى بريقه ـ فى مفرق رسول اللهصلى الله عليه وسلم وهو محرم . وعنها أيضا قالت : كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ، فننضح جباهنا بالمسك عند الاحرام ، فاذا عرقت احدانا سال على وجهها فيراه النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينهانا . رواه أحمد وأبو داود .

وجوز الفقهاء استعمال الصابون وغيره من كل ما يزيل الأوساخ اثناء الاحرام ، وعند الشافعية والحنابلة يجوز أن يغتسل بصابون له رائحة ، لأن المقصود به النظافة لا التطيب .

هذا ، وكثير من الناس الذين فهموا النصوص خطأ يمتنعون عن الاغتسال وتغيير الملابس ويؤثرون البقاء على ما هم عليه حتى بعد انتهاء أعمال الحج وانتظار العودة الى البلاد ، ويظنون ان ذلك من الدين ، مع ما قد يفوح منهم من رائحة كريهة ، وبخاصة فى أيام الحر . وهم بذلك يخلقون مجالا لبعض الأمراض ، الى جانب ايذاء الغير بروائحهم الكريهة .

حول مؤتمر رسالة المسجد

من توصيات المؤتمر :

- ●● انشاء مجلس أعلى عالمى للمساجد .
- ●● العناية بالشباب بما يتفق مع عمره وروح العصر .
- ●● العناية بالمرأة لتأخذ نصيبها من الثقافة الاسلامية .
- ●● انشاء معاهد متخصصة لتخريج الأئمة والدعاة .
- ●● ربط خطبة الجمعة بواقع الحياة العامة .
- ●● احياء روح الجهاد والقوة فى نفوس الامة .
- ●● بذل الجهود لتشكيل كتائب الجهاد الاسلامية .
- ●● انشاء صندوق تمويل للانفاق على شئون المساجد محليا .
- ●● اعتبار المسجد مركزا لحياة المجتمع الاسلامى .



اعداد : الاستاذ **بدر سليمان القصار**

● فى رحاب البيت العتيق الذى قال فيه عز وجل : (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) .

وفى شهر رمضان : (الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

فى هذا المناخ الايمانى الطيب انعقد فى مقر الأمانة العـامة لرابطة العالم الاسلامى أول مؤتمر لرسالة المسجد فى الفترة ما بين الخامس عشر والثامن عشر من شهر رمضان المبـــارك عام ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٠ ـــ ٢٣ من شهر سبتمبر ١٩٧٥ م .

وتجدر الاشارة الى ان مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية الذى عقد فى دولة الكويت ما بين ٢٣ ــ ٢٨ محرم ١٣٩٣ هـ الموافق ٢٦ فبراير ــ ٣ مارس ١٩٧٣ م أوصى فى البند السابع من باب الدعوة الاسلامية بما نصه :

« العودة بالمسجد الى سيرته الاولى ووضع اسلوب جديد لخطبة الجمعة ليقوم برسالته على أكمل وجه » .

وقد شهد مؤتمر رسالة المسجد ممثلو ثمانين شعبا ودولة هى : الأرجنتين ، الأردن ، أسبانيا ، استراليا ، أفغانستان ، ألمانيا الغربية ، الامارات العربية المتحدة ، أندونيسيا ، أوغندا ، ايران ، ايطاليا ، باكستان ، البحرين ، البرازيل ، البرتغال ، بريطانيا ، بلجيكا ، بنغلاديش ، بوتسوانا ، تايلند ، ترينداد ، تشاد ، تشيلى ، تنزانيا ، تونس ، جامبيا ، جزائر ريونيون ، جزائر القمر ، جنوب أفريقيا ، الداهومى ، رواندا ، روسيا ، زامبيا ، سنغافورا ، السنغال ، السودان ، سوريا ، سورينام ، سويسرا ، سيريلانكا ، الصين ، العراق ، عمان ، غانا ، غويانا ، غينيا ، الفلبين ، فلسطين فنزويلا ، فنلندا ، فولتا العليا ، قطر ، كندا ، كنغو ــ برازافيل ، كنغو زائير (كينشاسا) ، كوريا ، الكويت ، كينيا ، لبنان ، ليبيريا ، مالى ، ماليزيا ، مدغشقر ، مصر ، المغرب ، موريتانيا ، موريشيس ، النيجر ، نيجيريا ، الولايات المتحدة الامريكية ، الهند ، هولاندا ، اليابان ، اليمن ، يوغوسلافيا ، التبت ، المملكة العربية السعودية ، ولفيف كبير من الشخصيات الاسلامية .

وقد احتوى جدول أعمال المؤتمر على :

١ ــ رسالة المسجد فى العالم عبر التاريخ :

أ) رسالة المساجد فى عصور ازدهارها .

ب) أوضاع المساجد فى العالم فى العصر الحاضر .

٢ ــ المسجد محور للنشاط ومركز للتوجيه الروحى والفكرى للأمة :

أ) تطوير خطب الجمعة بحيث تتمشى ومتطلبات العصر وتحدياته مع ضمان انتشارها وحفظها .

ب) توسيع مجالات الخدمة التى يقوم بها المسجد فكريا وعلميا واجتماعيا مع تسخير كل الوسائل الاعلامية والتربوية الحديثة .

ج) ادارة المسجد والتنسيق بين اداراته على الصعيدين المحلى والعالمى .

٣ ــ حسن اعداد الأئمة ومساعديهم ورفع كفاياتهم ومكانتهم :

أ) وسائل اعداد الأئمة ومساعديهم ورفع كفاياتهم فكريا وعلميا وثقافيا .

ب) النهوض بمكانة الأئمة ومساعديهم اجتماعيا واقتصاديا .

٤ ـ التخطيط لبناء المسجد ومرفقاته :

أ) التخطيط لتعمير المساجد بين أوساط وتجمعات المسلمين فى المدن والقرى ، ووسائل صيانتها .

ب) المرافق الضرورية الملحقة بالمساجد وطرق الاستفادة منها .

وقد افتتح المؤتمر الأمير أحمد بن عبد العزيز (نائب أمير مكة) نيابة عن الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية ، حيث أشاد بالجهود المبذولة لاقامة المؤتمر ، وحيا المشتركين فيه وأظهر حرص المملكة العربية السعودية على كل ما يعود على الاسلام والمسلمين بالخير .

وفى بداية الجلسات ألقيت عدة كلمات من رؤساء الوفود تدور كلها حول رسالة المسجد وما كان له من شأن عظيم فى جميع العهود . وقد كان لكلمة رئيس وفد الكويت السيد / عبد الله المفرج وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية الوقع الطيب فى نفوس الحاضرين ، قال سيادته :

« نحمد الله على توفيقه الذى جمعنا فى هذا اللقاء الكريم ، بجوار بيته العتيق ، وفى هذا الشهر المبارك ، لنتدارس الآراء حول موضوع خطير ، اذا ما أحسن استغلاله ، وأخذ دوره وفهمت رسالته .

وبعد أيها الاخوة الكرام :

لا يسعنا ازاء الدعوة الكريمة التى سعدنا باستلامها من الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى وحرصنا على تلبيتها اقرارا منا بأهمية الموضوع وجدارته بل وأولويته بعقد مثل هذا المؤتمر الا أن نزجى خالص الثناء لرابطة العالم الاسلامى على كريم دعوتها وحسن استقبالها وضيافتها وأعدادها الموفق لهذا المؤتمر ، الذى مكن هذا الجمع المختار من العلماء والمسئولين أن يلتقوا ويتدارسوا ويتبادلوا الآراء حول رسالة المسجد ودوره .

واذا كان لنا أن نستدل من المقدمات على النتائج فاننا بكل اطمئنان على ثقة بما سيتمخض عنه هذا المؤتمر من نجاح ان شاء الله .

فشهر التنزيل ومهبط الوحى يمثلان أعلى منازل الزمان والمكان فى الاسلام وحينما ينعقد هذا المؤتمر فى ظل هذين الظرفين ولموضوع كان على عبر الاجيال الاسلامية جميعها موضع الاحترام والاجلال والتقديس ، لما له من مقام كبير فى النفوس وأثر عظيم فى الحياة

الاسلامية ، باعتباره المسجد بيتاً مقدساً لعبادة الله وحده ، كما أشار الى ذلك رب العالمين ، فى كتابه الكريم : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) فضلا عن كونه مركز القيادة والسيادة بما يدعو له وبما ينطلق منه ودارا للتربية والتعليم ومؤسسة للاعلام والتوجيه وخلية لاعداد المؤمنين .

واذا كان المسجد قد قام بمثل هذه الأدوار عبر العصور وشواهد ذلك يحفل بها تاريخنا ، بل أن خريجى المساجد بجهادهم وعلمهم هم الذين صنعوا أنصع صفحات هذا التاريخ الذى نعتز به ونفخر الآن .

اننا اليوم ونحن نبحث مثل هذا الموضوع لنجدد دور المسجد ورسالته أمامنا تجربة خصبة وتاريخ طويل يمكن أن نصنع حصيلته فى مواجهة واقع جديد نعيشه فى مجتمعاتنا الاسلامية اليوم ويتمثل فى عدد من المؤسسات التى نشأت استجابة للتطور واقتطعت من المساجد كثيرا من الاختصاصات أو فرغت المسجد فى كثير من الأحيان من أبرز مهامه ، وقصرته على دور العبادة فقط .

ان أول خطوة لا بد لنا من القيام بها بعد دراسة علمية شاملة فاحصة هى صنع جسور قوية لربط المسجد بحياتنا ، وربط حياتنا بالمسجد من خلال مختلف المؤسسات الاجتماعية والعلمية والثقافية لنحقق رسالة المسجد وسائر أهدافه السامية عن طريق تضافر الجهود والتكامل فى أداء الأدوار .

ونحن بدولة الكويت سوف نستهدى بما ينتهى اليه مؤتمركم من توصيات ونسأل الله أن يوفقنا لتطبيقها لندعم بها ما بدأنا به من اتجاهات يسرنا أن تجدوها بين أيديكم فى هذا المؤتمر الكريم لدراستها وابداء ملاحظاتكم ومقترحاتكم حولها .

وختاما نكرر شكرنا للأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى وسعادتنا بحضور هذا المؤتمر والمشاركة فيه والالتقاء مع هذه الصفوة الكريمة من الاخوان ، وأضرع الى الله أن يتم علينا جميعا نعمة الايمان ، ويوفق أمتنا الى سبيل الرشاد والسداد انه سميع مجيب ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وقد قام الوفد الكويتى بتقدم يم عدة اقتراحات من اهمها :

١ ــ اقامة اتحاد عام للعاملين بالمساجد فى البلاد الاسلامية يختار لها مركز مناسب مثل مكة المكرمة ، ولهذا الاتحاد العام اثره الفعال فى مناقشة المتغيرات الحديثة وربط الدعوة بها موضوعا واسلوبا .

٢ ــ تعيين الأئمة والوعاظ من ذوى المؤهلات العالية فى جميع المساجد .

٣ ــ اعداد مساكن للأئمة لكل العاملين فى المساجد .

٤ ــ عمل دورات تدريبية لجميع القائمين على شئون التوجيه الدينى لاطلاعهم على كل جديد فى الحقل الثقافى والسياسي والاجتماعى ورسم الطريق الأمثل المناسب لمتغيرات الحياة .

٥ ــ استغلال المسجد لمحو الأمية وهو أنسب مكان لمن فاتهم سن التعليم .

٦ ــ قيام الامام بالصلح بين المتخاصمين فى الأمور التى لا تحتاج الى تدخل القضاء فانهاء المشاكل عن طريق الدين له أثره فى عدم ترك آثار نفسية ضارة .

٧ ــ تعميم الأمكنة الخاصة بالسيدات والعناية بالدروس التى تلقى عليهن . من خريجات الكليات الاسلامية المزودات بالدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية .

٨ ــ توسيع حجم المكتبات الموجودة فى المساجد ، وتزويدها بالكتب الثقافية المختلفة .

٩ ــ نقل شعائر الجمعة بالتلفزيون لاعطاء صورة حية كاملة لما يجرى فى المسجد فى هذا اليوم العظيم .

١٠ ــ **اعطاء الامام مزيدا من الحرية ومن الحركة ليباشر نشاطه الواسع فى منطقته .**

هذا وقد تم فى أول جلسة للمؤتمر انتخاب الشيخ عبد العزيز بن باز (عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامى ورئيس الجامعة الاسلامية) رئيسا للمؤتمر وفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود نائبا كما تشكلت عدة لجان هى :

١ ــ لجنة رسالة المسجد .
٢ ــ لجنة التوجيه والاشراف على المسجد .
٣ ــ لجنة التخطيط الهندسي .
٤ ــ لجنة اعداد الأئمة والخطباء والدعاة .
٥ ــ لجنة خطبة الجمعة .
٦ ــ لجنة تمويل المسجد .
٧ ــ لجنة المسجد الأقصى .

التوصيات والقرارات :

وبعد أن تدارس المؤتمرون جدول اعمال المؤتمر رفعت اللجان توصياتها وانتهى المؤتمر الى عدة قرارات كان اهمها :

فيما يتعلق بموضوع رسالة المسجد :

● يجب أن يكون هناك وعي كامل بمفهوم المسجد ورسالته ، هذه الرسالة التى تقوم على أساس من هدى الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وصالح الأمة الاسلامية وهذا يجب امداد الانسان المسلم بما يقوى ايمانه ويثبت خطاه على طريقه : عقيدة وعبادة ومعاملة وخلقا وابعاد ما يحول دون تحقيق هذا الهدف من انحراف علمي او تشويه فكرى .

● ان البنيان الاجتماعى عرضة لتغييرات هى طبيعة الحياة ولذا كان على المسجد ورجالاته الاهتمام بملاحقة تلك التطورات لا تقليــــدا ومحاكاة وانما دراسة لبيان حقيقتها واختيار الصالح منها واصطناع الصيغة الملائمة لتقديمها الى جماهير المسلمين حتى لا يتأخر المسجد عن موكب التطور ولا ينعزل عن جماهيره .

● العناية بوضع مناهج اسلامية للدعوة تتلاءم مع واقع الحركة الاسلامية لكل منطقة ، فالأمر الذى لا شك فيه انه وان كان هناك القدر المشترك الذى لا بد منه فى عملية الدعوة الاسلامية الا أن هناك بلا شك فروقا بيئية وحضارية تلزمنا باتخاذ علاج معين وموقف خاص يهدف الى تقوية الدعوة وتنشيط سيرتها .

● مراجعة مناهج الدعوة بين الحين والآخر لاضـــــافة مزيد من الخبرات الميدانية التى تكونت للدعاة نتيجة ممارستهم لمهمتهم ميدانيا وعمليا فالكتب المؤلفة وان لم ينكر دورها فى ثقافة الداعية الا أن التجــــارب الميدانية لها آثارها التى لا تنكر فى هذا المجال والتى قد تؤيد نظرية أو توجب تعديل الأخذ بها .

● ضرورة التنسيق بين المسجد والوسائل الاعلامية والمؤسسات التربوية حتى تكون جميعها من وراء الهدف الموحد لخدمة عقيدة المسلم وتصحيح سلوكه حسب تعاليم الشريعة الاسلامية الغراء .

● ضرورة عقد مؤتمرات دورية لأئمة كل منطقة لتبادل الخــبرات والتجارب ودراسة المشاكل التى تعترض مهمة المسجد ووضع الحــلول المناسبة لعلاجها بما يتفق مع صالح الجماهير ضمن الاطار الاســـــلامى الصحيح .

وفيما يتعلق باعداد الأئمة والخطباء :

● انشاء معاهد متخصصة فى تخريج الأئمة والدعاة وفق مناهج يضعها الخبراء من الأساتذة وكبار الدعاة وذلك بناء على المشروع المقدم للأمانة العامة للرابطة .

● عقد دورات تدريبية اقليمية للاستماع من الأئمة الى ما صادفهم من مشكلات ومعاونتهم على حلها مع تزويدهم با يجدد ثقافتهم ومعلوماتهم .

● اعداد البحوث الواسعة والدراسات التوجيهية المتنوعة فى بيان واجبات الامام وانشاء مجلة متخصصة لمساعدة الائمة فى مهمتهم ومدهم بالبحوث التى تتصل بأعمالهم .

● احاطتهم علما بأحدث الوسائل فى خدمة الدعوة وتبليغ الكلمة بأحسن الوسائل .

وفيما يتصل بخطبة الجمعة :

● تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الاسلام ورد الشبهات والأباطيل



الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب أمير منطقة مكة المكرمة أثناء افتتاحه المؤتمر

التى يثيرها خصومه لبلبلة الأذهان بأسلوب مقنع حكيم بعيد عن المهاترات والسباب ومواجهة الأفكار الهدامة والمضللة بتقديم الاسلام الصحيح باعتباره منهج الأمة الأصيل الذى ارتضاه الله لها وارتضته لنفسها دينا مع ابراز خصائصه من الشمول والتوازن والعمق والايجابية .

● ربط الخطبة بالحياة وبالواقع الذى يعيشه الناس وذلك بالتركيز على علاج أمراض المجتمع وتقديم الحلول لمشكلاته مستمدة من الشريعة الاسلامية الغراء ، مع اعطاء عناية لشئون المرأة والأسرة المسلمة ، نظرا لما تتعرض له من فتنة يحرك تيارها أعداء الاسلام .

● احياء روح الجهاد والقوة فى نفوس الأمة ، واشعال جذوة الحماس لحماية حرمات الاسلام ومقدساته ، وأوطانه . وصون دماء المسلمين وأعراضهم واموالهم والدفاع عن عقيدة الاسلام وشريعته ، والعمل لازالة الطواغيت المعوقين لسير دعوته .

● يجب أن تنزه خطبة الجمعة عن أن تتخذ اداة للدعاية لشخص او حزب أو نظام ، وان تكون خالصة لله تعالى ولدينه ، وتبليغ دعوته واعلاء كلمته : **(وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)** .

● ينبغى ألا تفرض على الخطيب خطبة موجهة من قبل السلطات ، يرددها ترديدا آليا لا روح فيه ، وأن تترك له الحرية لاختيار موضوعه واعداده وأدائه بالطريقة التى يرضاها عقله وضميره ، وفقا لما درسه من كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

● على العلماء والدعاة الأكفاء أن يضعوا أمثلة رفيعة لموضوعات اسلامية متنوعة ، تشتمل على المواد الأساسية لبناء الخطبة ، فى صورة أدلة وشواهد من الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ الاسلامى ، والأقوال المأثورة ، والشعر البليغ لتكون فى أيدى الخطباء ، فى شتى الأقطار الاسلامية ، ليستعين بها من يحتاج اليها فى اعداد الخطبة .

● ينبغى الا يطيل الخطيب الى حد يثقل على المستمعين وينفرهم من سماع الخطبة ، والا يقصر الى حد يخل بموضوعه ويبتره .

فيما يتعلق بموضوع المجلس الأعلى العالمى للمساجد :

● حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها من أى انتهاك لحرماتها وأعادة المساجد التى حولت عن طبيعتهـــا الى أوضاعها الأصلية كمسجد أيا صوفيا وغيره .

● الحفاظ على الأوقاف الاسلامية واسترجاع ما عطل أو صودر منها وتنميتها .

● الدفاع عن حقوق الأقليات الاسلامية فى أداء شعائرهم الدينية فى المساجد وايقاف المضايقات التى يتعرضون لها .

● وضع الخطط العامة لاحياء دور المسجد فى التوجيه والتربية والتعليم ونشر الدعوة وتقديم الخدمات الاجتماعية .

● أصدار مجلة دورية باسم (رسالة المسجد) تعنى برفع كفاية الأئمة والخطباء الثقافية والفنية وتضع بين أيديهم نماذج رفيعة من الخطب والدروس المدعمة بالنصوص من الكتاب والسنة .

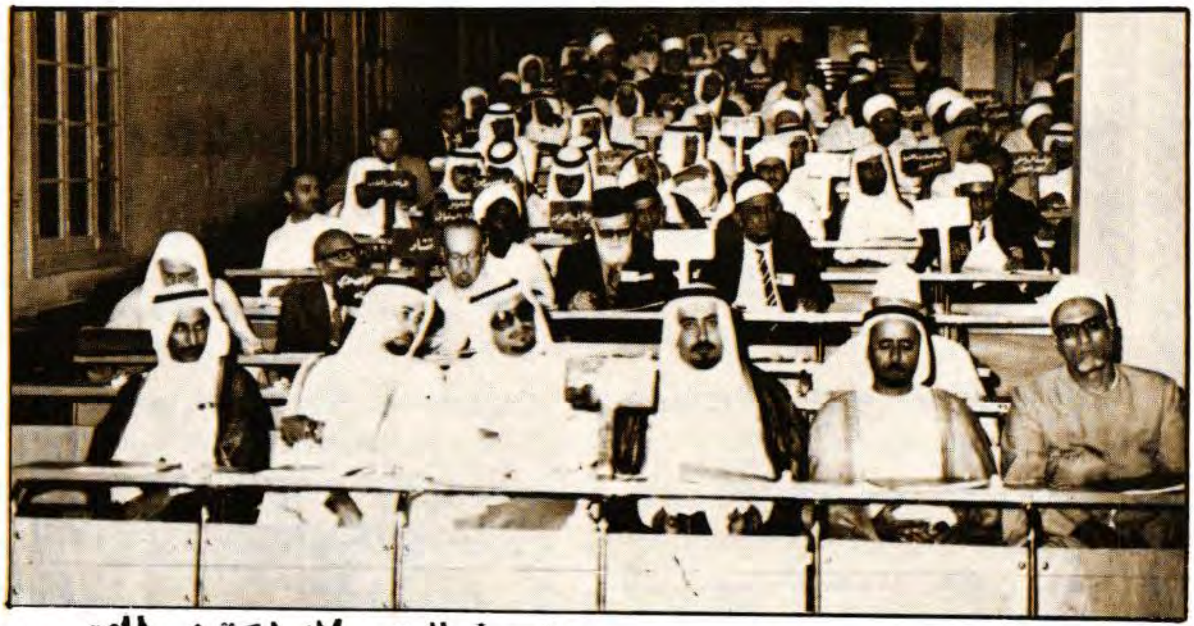
● أصدار المؤلفات والنشرات التى تشرح مبادىء الاســـــلام وتوضح مزاياه .

● أ) ضرورة تخصيص أذاعة من مكة المكرمة باسم (رســـالة المسجد) باللغات المختلفة وتكون قوية بحيث تسمع فى جميع أنحاء العالم .

ب) العمل على تخصيص ركن فى كل اذاعة اسلامية لرســـــالة المسجد .

جـ) العمل على ايقاف الاذاعات المسيحية الصليبية فى البـــلاد الاسلامية وتسليمها للمسلمين لنشر دعوة الاسلام .

● القيام بمسح شامل للمساجد فى العالم وتدوين المعـــلومات اللازمة عنها وضبطها فى سجل خاص وتفريغها فى كتب ونشرات دورية بين حين واخر .



منظر عام للوفود المشاركة فى المؤتمر .

● أختيار مجموعة من الدعاة القادرين على مهمة الدعوة والخطابة بعد أعدادهم للقيام بجولات توجيهية فى مساجد العالم الاسلامى .

● اقامة دورات تدريبية مستمرة لأئمة المساجد وخطبائها مركزية واقليمية تثرى ثقافتهم وترفع كفأيتهم .

● تشكيل هيئة أو مجلس ادارة لكل مسجد تتولى الاشراف المباشر على المسجد ومرافقه وملحقاته واداراته وتنظيم شئونه .

● دراسة الأفكار وأنماط السلوك التى تتعارض مع تعاليم الاسلام وتفنيدها .

تكوين المجلس :

فيما يتعلق بتشكيل المجلس الأعلى العالمى للمساجد يوصي المؤتمر بما يلى :

● يعين المؤتمر هيئة تأسيسية تضع النظام الأساسي للمجلس الاعلى العالمى للمساجد ، وتسمى أعضاء المجلس لفترة تحددها . ويكون أعضاء المجلس مسئولين أمامها .

● يكون لأعضاء الهيئة التأسيسية الحق فى اضافة أعضاء جدد اليها تختارهم ·

● ينشأ مكتب أمانة عامة فى رابطة العالم الاســــلامى للهيئة والمجلس ·

فيما يتصل بموضوع تمويل المساجد :

● المشروعات الاستثمارية التى يقوم بها صندوق التمويل بالطرق الشرعية لصالح المسجد .

● يتم انشاء (صندوق للتمويل) يتولى جمع هذه التبرعات والانفاق منها على شئون المسجد محليا .

● ينشيء المجلس الأعلى العالمى للمساجد (صندوقا) تكون مهمته التنسيق بين احتياجات المساجد فى أنحاء العالم .

● من الأهمية بمكان ان يتولى المجلس الأعلى العالمى للمســــاجد عملية تنسيق التبرعات لتعمير بيوت الله بحيث لا يتكرر التبرع لواحد منها بينما يبقى غيره فى اشد الحاجة ال ىالتمويل .

فيما يتصل بموضوع التخطيط الهندسي للمساجد :

● اعتبار المسجد مركزاً لحياة المجتمع الاسلامى حيث الواجبات الاجتماعية هى امتداد للواجبات الدينية . وعلى هذا الأساس يجب أن يكون المسجد فى قلب المدينة أو الحي بارزاً سواء كان فى القــرية أو الحي او مقر العمل .

● البساطة فى التصميم والتنفيذ ومراعاة البيئة التي يشيد فيهـــا المسجد مع استخدام الأساليب الحديثة فى مجالات الهندسة والتشييد .

● أن يصمم المسجد ليخدم مجموعة من الأغراض اللازمة لحيـــاة المسلمين .

فيما يتصل بموضوع المسجد الأقصى :

● العمل على تقوية روح الجهاد عند المسلمين ، وبذل الجهود فى سبيل تشكيل كتائب الجهاد الاسلامية لاستنقاذ المقدسات بالتعاون مع المجاهدين من اجل فلسطين .

● تشكيل لجنة دائمة تحمل اسم (لجنة المسجد الأقصى) يكون مقرها رابطة العالم الاسلامى ، وتكون مهمتهـــا متابعة تنفيذ هـــذه التوصيات .

كما أصدر المؤتمر فى نهاية جلساته ايضا عدة توصيات هامة منها :

● مطالبة الحكومات الاسلامية بتحكيم الشريعة الاسلامية وتطبيقها

فى جميع أمور الدين والدنيا **(ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)** .

● ان مؤتمر رسالة المسجد يتابع بقلق شديد الأحداث الدامية فى لبنان وبدافع من ايمانه برسالة الاسلام السمحة يتوجه الى جميع اللبنانيين بنداء أخوى لايقاف الاقتتال .

انطباعات السيد الوزير ..

ولما كان السيد الوزير يمثل دولة الكويت فى المؤتمر وقد ســـاهم مساهمة فعالة فيه فيطيب لنا أن نعرض انطباعاته حول المؤتمر وما توصل اليه وتطلعاته الى رسالة المسجد ..

المؤتمر بادرة كريمة والتفاتة طيبة لموضوع مهم وخطير ، جدير بأن يطرح أمام مؤتمر كهذا المؤتمر ، مثلت فيه كافة الوزارات المختصة بالعالم العربى والاسلامى بوزرائها والتقى فيه جمع كريم من مختلف المسلمين المهتمين بالقضايا الاسلامية ومن شتى بقاع العالم التى يتمثل فيها الوجود الاسلامى .

وطرح موضوع رسالة المسجد من خلال مختلف الجوانب وعلى ضوء الوثائق والدراسات التى أعدت من عدد من الشخصيات العلمية والجهات الاسلامية . وقد يكفى أن يكون هذا اللقاء وفر فرصة لهذا الجمع الكريم من المسلمين أن يلتقوا فى شهر التنزيل وبجوار بيت الله الكريم للتداول فى قضية دور المسجد ورسالته بل تجـــاوزها مع ما تنطوى عليه من شمول الى بحث قضايا عديدة تعلق بتوثيق التعاون الاسلامى ودعم التضامن بين سائر الأقطار الاسلامية . فضلا عن ذلك فان ما انتهى اليه المؤتمر من توصيات تدل على مدى الجهد المبذول والتطلع المأمول لوصف الدواء الناجع للخروج من الوضع الحـــالى للمسجد الى وضع يتفق مع رسالة المسجد والحياة المعاصرة .

وقد كان ه نأبرز انتائج الهامة هو ما انتهى اليه المؤتمر باقرار لجنة تحضيرية للمجلس الأعلى الاسلامى للمساجد .

تلك صورة اجمالية لما جرى فى المؤتمر عرضناها عليك ــ اخى القارىء ــ لتكون على بينة من أهمية المسجد ودوره العظيم فى تاريخ الأمة الاسلامية ، فلم يكن فقط لأداء الصلاة بل كانت تعقد فيـــه الوية الحرب وتعالج فيه المشاكل اليومية للمسلمين ولكى يعود للأمة الاسلامية مجدها لا بد أن يعود للمسجد دوره الـــكامل فى حياة المســـلمين وهذا ما نرجوه والله الموفق ●

مفاهيم خاطئة

يواجه الاسلام في هذا العصر تيارات عاصفة من المذاهب ، والآراء والفلسفات ، ترمي في محيط العالم الاسلامي بالمنحرف من الآراء ، والضال من المذاهب ، والفاسد من الفلسفات ، فتحدث في المجتمعات الاسلامية بلبلة في التفكير، واضطرابا في العقيدة ، وانحرافا في السلوك ، مما نشهد آثاره في كثير من شبابنا ، وخاصة اولئك الذين الموا بأطراف من الثقافة الغربية ، وخالطوا الغربيين في حياتهم زمنا طويلا أو قصيرا ، دون أن يكون عندهم زاد عتيد من اصول دينهم ، أو فهم صحيح لاحكام شريعتهم الاسلامية .

ولا ننكر أن في الغرب علوما زاخرة بشتى أنواع المعرفة الانسانية ، هي نتاج عقول ناضجة ، ومدارك واسعة كما لا ننكر ان في الغرب حضارة زاهية قامت على اساس من علم استطاع القوم به أن يكتشفوا كثيرا من خبايا الطبيعة واسرارها ، وأن يسخروا هذا في بناء ما اقاموا من حضارة ، وما أعلوا من صروحها

لا ننكر هذا ، كما لا ننكر على الذين يطلعون منا على هذه العلوم ، او يشهدون معالم الحضارة أن يعجبوا بها ، وأن يتطلعوا الى اليوم الذي يكون لنا فيه علم يناظر هذا العلم ، وحضارة تسامت هذه الحضارة أو تعلو عليها . . ولكن الذي ننكره من انفسنا ، هذا الخذلان ، وهذا الاستخذاء ، فنقف من علوم الغرب ، وحضارة الغرب موقف المستوردين لا المصدرين ، وموقف المستهلكين لا المنتجين ، فذلك من شأنه أن يعفي عقولنا من التفكير ، ويشل أيدينا عن العمل ، فنظل حيث نحن في مكاننا هذا لا نبرحه ، ولا نتزحزح عنه ،

عن الإسلام

الأستاذ : عبد الكريم الخطيب

آخذين موقف المتفرج في حلبة سباق ، يتبارى فيها الناس بكل ما أوتوا من قوة عقلية ومادية ، ليبلغوا هدفا ، يبنون به مجدا ، ويسخرون به قوة يملكون بها ناصية من نواصي الحياة .

ذلك الذي ننكره من انفسنا ، وننكره على شبابنا الذين بهرتهم مدنية الغرب وحضارته ، ثم رضوا أن يتزيوا بزي القوم ، ويأخذوا سمتهم في الجانب المادي من حياتهم ، دون أن يحدثوا في حياتهم المعنوية شيئا يحمد لهم في دينهم أو في دنياهم . .

انهم أشبه بالغراب الذي أعجبته مشية الطاووس ، وخيلاؤه ، فالتقط من ريش الطاووس المتساقط على الأرض ما غطى به جناحيه ، وزين به راسه ، حتى اذا رأى انه قد اشبه الطاووس ، جعل يمشي مشيته ، ويقلد حركاته ورقصاته ، وجعل يعاني من ذلك ما يعاني ، دون أن يدخل فيجماعة الطواويس ، ويحسب واحدا منها ، فلما أيأسه ذلك وأراد أن يعود ادراجه ، ويأخذ مكانه بين الغربان ، وجد نفسه غريبا بينها ، فلا كان طاووسا ، ولا كان غرابا !! .

تلك حال كثير ممن فتنوا منا بالغرب ، وبمظاهر الحياة البادية فيه ، فجعلوا يقلدون اهل اوروبا وأمريكا في هذه المظاهر ، كما يلبس الممثل على المسرح ثياب بطل من ابطال التاريخ ، ويتسمى باسمه ، ويخوض المعارك بسيفه ، ويهزم الجيوش تحت رايته ، حتى اذا ادى دوره على المسرح ، عاد الى حالة الأولى دون أن يكتسب شيئا مما كان فيه منذ لحظات ، وهو يزأر زئير

الأسد ، ويهجم هجوم النمر !!
ويذكرنى هذا بما يروى عن الشاعر الفاتك « تأبط شرا » اذ جاءه من فتن بشجاعته ، وما ذاع عنه بين الناس من تلك الشجاعة ، حتى لقد كان مجرد ذكر اسمه يثير الخوف والفزع عند سامعيه .
جاء الى « تأبط شرا » ــ هذا الانسان المفتون به ، وساومه على أن يشتري منه اسمه بعشر نياق وأن يعطى تأبط شرا اسمه بدون مقابل !! وعجب تأبط شرا لهذا العرض المضحك ، ولكنه ــ على سبيل المعايشة والسخرية ــ قبل من الرجل ، واسمه « أبو وهب » ــ هذا العرض ، وقال له : رضيت !! أنت منذ الآن تأبط شرا ، وأنا « أبو وهب » .. ونقده الرجل الثمن ومضى ، وهو عند نفسه الشاعر الفاتك ، ينادى في الناس : أنا تأبط شرا ، فكان الناس ينظرون اليه ، بين متهم له بالجنون ، وبين ساخر منه ، أو مشفق عليه . .
ولا تنتهي هذه المهزلة عند هذا . . وكيف ، و « تأبط شرا » شاعرا ، والموقف يستدعى شياطين الشعر كلها ؟

وانه ما يكاد الرجل يزايل موقفه مع « تأبط شرا » وهو يمشي في عجب وخيلاء ، حتى أتبعه تأبط شرا بهذه الأبيات مخاطبا بها زوج صاحبه ، وقد دخل عليها في صورة هذا الشاعر الفاتك . . يقول تأبط شرا :

ألاهل أتى الحسناء ان حليلها
تأبط شرا واكتنيت أبا وهب
هبيه تسمى اسمي وسميت باسمه
فاين له صبرى على فادح الخطب؟
وأين له بأس كبأسي وقوتي ؟
وأين له في كل واقعه ضربي ؟

فما رأيك في هذه الواقعة ؟ ان لك أن تسميها مهزلة تقع موقع المعابثة والمضاحكة ، اذ أنت التقيت بها متخففا من جد الحياة في ساعةمنلهو أو فراغ . . ولكنك اذا لقيتها فى حال من التدبر والتأمل ، رأيتها مأساة ، حيث يخف بها ميزان الانسان عند نفسه فيضمر وجوده ، وتذهب شخصيته ، ويهون عليه أن يبيعها باى ثمن ، وأن يملأ هذا الفراغ بأى شيء !! هنا تكون المأساة ، ويكون البلاء الذي يغتال الأفراد والجماعات على السواء . . ولسان الحال يقول :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس اهونا

اثار هذه الشاعر فى نفسى ما دار فى ندوة عامة ، اقيمت هنا في القاهرة، واحتشد لها عدد من المفكرين الذين يحتلون مكانة بارزة في المجتمع وقد كان يمكن التجاوز عما دار في هذه الندوة من قضايا ، لو انها لم تمس الصميم من الاسلام ، ولم تحرف فيه الكلم عن مواضعه ، كما أنه كان من الممكن غض الطرف عنها ، لو أن حديث الندوة كان محصورا بين الذين استمعوا الى ما دار فيها ، ولم ينشر فى الصحف ، ويحتل مكانا بارزا فيها ، ولكان مما يسوى به حساب هذه الندوة انها مجرد حديث عابر ، محصور في دائرة ضيقة لم يتجاوز بضع عشرات من الناس .
أما والحديث قد تناول قضايا اسلامية خطيرة تمس الصميم منه ، واما وهذا الحديث قد ذاع فى الناس ، وانتشر هذا الانتشار الواسع ، فان

السكوت على ما فيه من مغالطات ، وتحريفات ، هو سكوت على أمر منكر ، يوجب الدين على كل مؤمن ان يغيره بكل ما يملك من وسائل التغيير !!

ونكتفى في هذا المجال المحدود ، ان نقف عند بعض الأحكام التى صدرت في هذه الندوة من بعض المتحدثين فى تلك الندوة ، وتناولت بعض قضايا الاسلام : في محاولة جريئة لالباس هذه القضايا لباس العصر ، وتصويرها للناس على انها بنت الاسلام نسبا وصهرا ، وأن هذا الوليد اللقيط هو من أبناء الشريعة الاسلامية ابا واما !!

يقول احد اقطاب الندوة فى اطمئنان وثقة :

« ان قطع يد السارق في الاسلام كان حكما موقوتا في الاسلام ، وانه كان رخصة فى ظرف كان يعاصر الاسلام !! فى الأول لم يكن هناك سجون يودع فيها المسجونون ، ولذلك رأى ــ اى الاسلام ــ قطع يد السارق !! اما والمجتمع الاسلامى اليوم قد تحضر واصبح قادرا على اقامة السجون (كذا !!) اصبحت هذه الرخصة ــ اي رخصة القطع ــ كرخصة « وما ملكت ايمانكم » هذا ما افتى به هذا المتحدث بنسخ آية محكمة فى كتاب الله ، لا ينقص حكمها ما دام على هذه الارض مؤمن يدين بالاسلام .. والله سبحانه وتعالى يقول : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) المائدة / ٣٨

وننظر في الآية الكريمة ، فنجد انها تحمل أمرا قاطعا من الله الى المسلمين أن يقيموا حد الله تعالى ، على السارق والسارقة ، وذلك بقطع ايديهما .. ثم اكد الله تعالى هذا الأمر ببيان العلة الموجبة للقطع ، وهو النكال الرادع الزاجر لمن يعتدون على حرمات أموال الناس ، وأن هذا النكال ليس مما يقضي به الناس ويقدرونه : وانما هو مما قضى به الله تعالى ، وقدره بحكمته وعدله ..

افمثل هذا الحكم الموثق من الله تعالى يمكن ان يقبل تبديلا أو نقضا ؟ وامثل هذا الحكم يمكن أن يحتمل تأويلا فى منطوقه الصريح القاطع ؟ ان من يجرؤ على مثل هذا ، انما هو احد رجلين : رجل لم يقرأ كتاب الله ولميتدبر آياته ، ولم ينظر نظرا فاقها في الشريعة الاسلامية وأحكامها ، فأفتى بغير علم ، وما كان له أن يفتى فى دين الله بشيء لم يحط علما به ، ولم يكن أهلا له .. واما رجل مستخف بالدين ، يخوض فيه خوضا غير متأثم ولا متحرج ..

والرجل ــ في رأينا ــ مؤمن بالله، ولكن آفته هى الجهل بدين الله ، ومحاولته الغبية الجهول أن يسحب الشريعة الاسلامية على وجهها ، وأن يجرها جرا معفرة في التراب ، حتى تنقاد من مقودها حتى تدخل حظيرة الحضارة والمدنية ، ولو كانت جثة هامدة !!

والا فكيف يفتى هذا المفتى بأن قطع يد السارق كان رخصة فى أول الاسلام ، ثم يعلل لهذه الرخصة بأن المسلمين فى العصر الأول لم يكن لهم سجون ، فاضطرت الشريعة ازاء هذا العجز ان تجعل قطع اليد بديلا من السجن ، وأننا الان في هذا العصر ، وقد أصبحنا قادرين على اقامة السجون ، فقد زال حكم هذا الاضطرار ، وبهذا يعود الأمر الى طبيعته ، فيبدل قطع اليد للسارق ، الى عقوبة السجن !!

ولا يقف هذا المعنى عند هـــذا الحد من الجراة على شريعة الله ، واجراء احكامها على هواه .. فياتي بدليل على حجية فتواه ، فيقــول : والأمر فى قطع يد السارق ، مثل الأمر في « وما ملكت أيمانكم » وهو يعنى بهذا انه اذا كانت الشريعة الاسلامية قد قبلت الــرق في عصرهــا الأول ، وجعلت للرق احكاما ، فانه وقد زال الرق فيهذا العصر ، فان هذه الأحكام قد نسخت ، ولم يعد لها مكان فــى الشريعة الاسلامية . .فاذا قــال هذا المفتى بأن قطع يد السارق لم يعد له مكان اليوم فى دنيــا الحضــارة والمدنيــة ، فقــد لزم الشريعــة الاسلامية أن ترفعه من احكامها ، وان تاخذ السارق بما تأخذه بــه حضارة العصر ومدنيته !!

يا سبحان الله !! اهكذا يتبــدل هذا القانون السماوي ، الذي وضعه احكم الحاكمين ، رب العالمين ، كما تتبدل القوانين الوضــعية ، حسب ملابسات العــصر وظروفه ؟ ان ما بتلـــى فيكتــاب الله سيظل يتلى الـــى يــوم القيامة ، وإن ما يحمل القرآن الكريم من أحكام ستظل عاملة فى الحياة الى يوم القيامة ، مهمــا تبدلت احوال الحياة ، وتغـــيرت ظروف الناس .

ونسأل هـــذا المفتى : ما هى الرخصة في علمه هذا الذى استخرج منه فتواه ؟

وندع ما يقوله المفتى في هذا ، لنقول له : ان الرخصة لا تكون فــى العقوبات البدنية ، وفى اقامة حدود الله على العصاة ، وانما يكـــون التعزير بالجلد ، أو الحبــس ، أو الزجر ، كما يقول الرسول الكريم فيما يرويه الترمذي : « ادرءوا الحــدود عن المسلمين ما استطعتم .. » أما الرخصة فتكون في العبادات ، وفــى المطاعم ، للتخفيف ، لا للتشديد ، كرخصة الافطار للصائم ، فى سفر او مرض ، وكرخصة التيمم للمريض او المسافر ، وكرخصة أكل الميتة لمن لا يجد طعاما .. ونحو هــذا مما رفع به الله تعالى عن المسلمين الحرج ..

أفيصح — مع هذا — القول بان قطع يد السارق كان رخصــة من الرخص ؟ وهل قطع يد السارق يعد رخصة — على اى مفهوم — اذا كان السجن هو الأصل ؟ وهل الرخصة ملزمة للمسلم ان ياخذ بها ؟ انهــا ما سميت رخصة الا لانها ترخص فى امر ملزم ، ان شاء المسلم اخذ بها ، وان شاء ترك ، وان كان من الأفضل الأخذ بها ، لأنها رحمة من رحمـــة الله ، والرسول الكريم يقول : « ان اللــه تعالى يحــب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمـــه » رواه أحمد والبيهقـــي عن ابن عمر هذه واحدة :

واخرى ، هل يصح أن يفتي فــى قضايا الاسلام من لا يعرف الرخصة ، ولا يفرق بينها وبين العزيمة ؟

وثالثة : اذا قام لهذا المفتى عــذر « لجهله بالشريعة الاسلامية » — أفيجوز له ان يجهل تاريخ الفتـــرة الأولى للدعوة الاسلامية التى هزت اركان العالم كلــه ، وكانت مبــدا لتاريخ جديد ؟ ثم اذا جاز له ان يجهل تاريخ هذه الفترة المشرقة من الحياة ، ايليق به ان يجهل الأوليات مـــن الطبيعة البشرية ، منذ قـــام للبشر وجود اجتماعى ؟ ان هذا المفتى في كل شيء ، يقول بلسان العالم بكل شىء : « فى الزمن الأول لـم يكـــن

هناك سجون ، يودع فيها المسجونون .. ونقول لهذا العالم بكل شيء : هل خلا مجتمع بشرى فى اى زمان وفي اى مكان من السجون ؟ أم ان هذا العالم حسب العرب أمة لا تنتمى الى عالم البشر ، ولا تعيش عيشة الآدميين ؟ أم انه ظن أن العرب لا يستطيعون بحولهم وحيلتهم ان يقيموا سجنا ؟ ان ايسر شيء عليهم أن يتخذوا من كهوف الجبال سجونا والكهوف ــ بحمد الله ــ كثيرة في الجبال ، تشرف عليهم من كل مكان !

واذا لم يكن العرب فى جاهليتهم ــ وهذا مستحيل ــ لم يسمعوا عن السجون ، فقد تحدث بها القرآن الكريم اليهم في مواضع كثيرة منها ، وكشف لهم عن الوظيفة التى لها ، وانها مهيأة لعقاب من يرى الحاكم عقابهم بالحبس فيها ، فيقول تعالى على لسان امرأة العزيز تتوعد يوسف بالسجن : (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) يوسف /٣٢ .

ويقول سبحانه على لسان يوسف متحديا هذا الوعيد : (رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه) يوسف /٣٣ .

ويقول جل شأنه عن يوسف وقد دخل السجن : (ودخل معه السجن فتيان) يوسف /٣٦ .

ونسأل : ألم يعرف المسلمون من هذه الآيات : ما هو السجن ؟ وما وظيفته ؟ اظن لا أحد ينكر هذا ، حتى ولا هذا المفتى نفسه ، بعد ان استمع الى هذه الآيات ..

واذا كان ذلك كذلك ، فهل اذا كان من حكم الله تعالى فى السارق ان يسجن ، أيعدل الله تعالى عن هذا الحكم الى قطع يد السارق ، لأن العرب قوم أعجز من أن يقيموا سجنا ، ويجعل هذا القطع رخصة الى ان يخطوا فى حياة الانسانية خطوات يستطيعون معها اقامة السجون ، فيتحولون من حكم القطع الى السجن !

ونسأل مرة بعد مرة : واين كان يضع المسلمون في عهد النبوة من يقع ليدهم من الأسرى ؟ أكانوا يقطعون ايديهم ؟ أم كانوا يقتلونهم تخلصا منهم لأنهم لا يجدون الوسيلة التى يحتجزونهم بها ..

ويذكرني هذا بطريفة من طرائف العرب ، لا أرى بأسا من ايرادها فى هذا المقام ، للتسرية والترفيه ، لما تضيق به الصدور من العبث بالشريعة الاسلامية ، والتلهى بأحكامها ..

تقول هذه الطريفة : ان رجلا اسمه هبنقة ، كان يضرب به المثل في العى والبلادة ، وكان له جواد يركبه ، فترصده بعض العابثين به ، وقال له : ما اسم جوادك هذا ؟ فقال : ليس له اسم ! فقيل له : ان صاحب اى جواد يطلق اسما على جواده ، ولا يصح أن يكون جوادك من غير اسم ففكر طويلا في الاسم الذي يختاره لجواده ، ولما اعياه ذلك ، اخذ سهما من جعبته ، وغرسه فى عين الجواد ، فذهبت عينه ، وعندها صاح فرحا : سميته الأعور !!

ونعود الى هبنقة العصر ، الذى فقأ عين الشريعة الاسلامية ، بهذا السهم الطائش الذى رماها به ، ونقول له : ان التاريخ الاسلامي ، يسجل ان عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ حبس الشاعر الهجاء ، الحطيئة ، عقابا لهعلى هجائه مسلما من المسلمين ، هو الزبرقان بن بدر ،

بايعاز من أبناء عمومته الذين نفسوا عليه مكانته بين العرب .. فلما طال حبس الحطيئة بعث الى عمر بن الخطاب أبياتا يستعطفه فيها ، لصغاره الذين خلفهم وراءه ... يقول الحطيئة :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فرق عمر للصبية ، وأطلقه ، بعد أن أخذ العهد عليه بالا يهجو احدا ، واعطاه من بيت المال ما يغنيه عن اتخاذ الهجاء حرفة للكسب !!

فاذا كان عمر قد هيأ سجنا للعصاة والخارجين على حدود الله ، فهل ابطل عمر قطع اليد للسارق ، وجعل الحبس عقابا للسارق ، أم ان عمر — رضى الله عنه — لم يفهم النص القرآني كما فهمه عالم العصر ومفتيه ؟

ثم كيف تمضي الحال بالمسلمين ، فى أزهى عصورهم ، وللسجون مكانها فى كل مصر ، وفى كل ولاية ، وهناك ائمة الشريعة ومن بينهم الائمة الاربعة ، ولم يفكر أحد فى هذه القضية ، ولم يشر اليها من قريب أو من بعيد ؟ أكانت من القضايا التي لا تجد العقل الذي يفهمها ، ويقضي فيها ، حتى يجيء مفتى العصر وعالمه .. ؟

واعجب العجب من علم هذا العالم قوله : « واما والمجتمع الاسلامى اليوم قد تحضر ، واصبح قادرا على اقامة سجون (!!) اصبحت هذه الرخصة — رخصة قطع يد السارق — كرخصة : « وما ملكت أيمانكم » .

اى وربى ، هكذا نطق هذا العالم ، بتلك الحكمة العالية .. !! المجتمع الاسلامى اليوم قد تحضر ، واصبح قادرا على اقامة السجون .. !! فمقياس الحضارة للعالم الاسلامى اليوم انه اصبح قادرا على اقامة السجون .. !!

يا سبحان الله !! أهذا مقياس الحضارة ؟ اذن فان اكثر الامم تخلفا اليوم هي اكثرها حضارة ومدنية ، اذا كانت أكثرها سجونا ، واقدرها على الافتنان في صورها وأشكالها ، ووسائل الحراسة عليها .

وندع هذا الى قضية اخرى ، جعلها هذا المتعالم شاهدا يشهد لما يفتى به من نسخ حكم الله بقطع يد السارق ، وجعل السجن هو الحكم الذى اراده الله حين تتهيأ اسبابه ، ويدخل المسلمون فى عصر الحضارة ، ويصبح فى مقدورهم اقامة السجون .. !! يقول هذا المتعالم المتحضر : « اصبحت هذه الرخصة — رخصة قطع يد السارق — كرخصة : (وما ملكت أيمانكم) » .. !!

وهو يعني بهذا ، أنه وقد أفتى بنسخ قطع يد السارق ، وقد دخل المسلمون في عصر الحضارة ، واقاموا السجون ، فان الامر في هذا لا يعدو أن يكون كما نسخ حكم الرق ، بعد أن لم يعد للرق وجود فى هذا العصر !!

وتلك ضلالة من ضلالات هذا المتهجم على شريعة الله ، لا تقل شناعة فى العبث بكتاب الله عن سابقتها ..

ونسأل : اذا صح أن الرق قد الغى في هذا العصر — مع أن شواهد كثيرة لا تزال قائمة على أنه لا يزال موجودا بابشع صورة ترزح تحتها شعوب بأسرها — أهناك ضمان موثق بأن الحياة لا تلد يوما

مثل هذه الصورة من الرق التي كانت شائعة في شتى آفاق العالم كله ؟

ان الاسلام حريص على أن تختفى كل صور الرق والاستعباد الى الأبد ، ولكن اذا عاد الرق يوما ما .. ماذا يكون موقف الاسلام والمسلمين منه ؟ واذا دخل المسلمون في حرب مع أعدائهم ووقع منهم أسرى في أيدي أعدائهم ، ثم أجرى عليهم هؤلاء الأعداء حكم الرقيق ، فماذا يفعل المسلمون في الأسرى الذين وقعوا في أيديهم ؟ الا يكون من حق المسلمين أن يعاملوا العدو بمثل ما يعاملهم به ، ويحاربوه بالسلاح الذي يحاربهم به ؟ ذلك ما يقضى به الواقع اذا كان للمسلمين ان يحتفظوا بمكانهم ومكانتهم في دنيا الناس !

واذن فيعود المسلمون الى حكم الله فيما شرعه للرقيق الذى يقع ليدهم ، وأن تكون الآية : « وما ملكت ايمانكم » وغيرها من الآيات الواردة في احكام الرقيق ، دستورا قائما يلزمهم الأخذ به والاحتكام اليه .

واذن مرة أخرى ، فأحكام الرتيق في الاسلام قائمة بما نطق به القرآن الكريم ، تنفذ حين تقوم دواعيها .. حكمها في هذا حكم قطع يد السارق ، وجلد الزانى ، او رجمه .. فاذا لم يكن ثمة سارق ، فلا قطع ، واذا لم يكن ثمة زان فلا جلد ولا رجم ! كذلك حكم الرقيق ، قائم اذا جدت ظروف وعاد فيها الرق بأية صورة من صوره .. فاذا لم يكن ثمة رقيق فلا استعمال لأحكامه ، لأنها لا تستعمل لغير موجود !

ان القول في كتاب الله ، وفي شريعة الله بالرأى ، حتى نلبس بذلك ثوب المدنية والحضارة ، هو الداء الذى يخامر كثيرا من العقول التى فتنت بحضارة الغرب ومدنيته ، حيث يصور لها الوهم انه من اليسير علينا أن نجارى الحضارة الغربية ، اذا نحن حذفنا هذه الآية أو تلك من كتاب الله ، أو لوينا عنقها لتأخذ وجهتها مع تلك الحضارة ، تماما كما يقع في وهم اصحاب هذه العقول المريضة ، انهم اذا تزيوا بزى الأوروبيين ، وجلبوا الى دورهم كل مستحدثات الصناعة الغربية ، اصبحوا من اهل الحضارة ، واندمجوا في أهلها ، وليس في عقولهم شيء مما عند القوم من علوم ، ولا في قلوبهم شيء من دين الله .

واحدة من اثنتين في موقفنا اليوم من حضارة الغرب ومدنيته : اما أن نكون مؤمنين بالله ، واثقين بأن بين ايدينا كلمات الله ، معتقدين انها دستور الله الذى رسمه لنا لعز الدنيا ، وسعادة الآخرة .. واذن فلنتحرك على هدى هذا الدين ، ونبنى حياتنا على قواعد راسخة من الجد والعمل ، ونقيم حضارة زاهية من معطيات عقولنا وقلوبنا ، التى ارتوت من ينابيع هذا الدين ، واستضاءت بأنواره .. واما أن يدع من يشاء منا هذا الدين ليلحق بأى ركب يشاء ، فذلك أسلم لنا ــ في دنيانا وأخرانا ــ من أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وحتى لا نخدع انفسنا ، ولا نخدع لغيرنا بأننا مسلمون نحتكم الى دين الله ، ونقيم شريعته ، فقد يأذن الله لنا يوما أن نقيم حضارة غير مستعارة ، نلبس لها اثوابا من نسيج ديننا ، ومن صبغة شريعتنا .. (لله الأمر من قبل ومن بعد) الروم/٤ (والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يوسف/٢١ .

ابتهالات

للأستاذ يوسف العظم

في حمى البيت العتيق

رب هب لي من فيض نورك نورا — واهتك الله عن فؤادي الستورا
والن رب ما قسا من فؤادي — فلقاء الحبيب يشفي الصدورا
فى حمى بيتك العتيق تعالت — تلبيات تعانق التكبيرا
تنشد الحب والسلام وترجو — ان ينال الجميع عفوا كبيرا
والحمامات فى رحابك تاوى — آمنات فكيف ألقى نفورا ؟
يا الهي ويا مجير الحيارى — من ضلال اكرم بربي مجيرا !
فاذا اسودت الوجوه الهي — جئت ارجوك نضرة وسرورا
واذا صارت الجحيم مقاما — رحت ارجوك جنة وحرير
واذا غصت الحلوق بكاس — رب هب لي من الشراب طهورا

ضراعة عند زمزم ...

اذبت خطاياي في زمزم ... ولبيت بالقلب قبل الفم
وطفت وفي اضلعي حرقة ... تسبح لله عبر الدم
وقبلت ما قبل المصطفى ... سلام على ذلك المبسم
يحدث بالحق عف الحديث ... ويهتف بالمنطق الملهم
سلام عليك نبي الهدى ... طهور الثرى عاطر الاعظم
حملت الامانة لا تنثني ... ورويت بالنور قلب الظمي
وجاهدت فى الله حق الجهاد ... وقدت السرايا ولم تحجم
وايقظتنا من رقاد القرون ... وعلمتنا عزة المسلم
فكانت لنا الصافنات الجياد ... نصول على الظالم المجرم
وكانت لنا عزة المؤمنين ... نباهي بها هامة الأنجم
فماذا دهانا لنرضى الهوان ... اناخ على القدس في ماتم ؟
يلوث بالرجس ساحاتها ... ويختال في ليلها المظلم
رسول الهدى لو تبعنا خطاك ... وكنا مع الله لم نهزم !

في رحاب منى

رجمت ابليس في نفسي ووجداني ... ورحت اطرد بالتنزيل شيطاني

وعـدت اقطع عهدا لست اخلفه ... بان أكـون لاسلامـي وايمانـي

ارتـل الذكـر عل الذكر يحفظني ... من الخطايا ويحميني ويرعانـي

استرحـم الله فى افياء كعبتـه ... واسال الله فى سـرى واعلانـي

بـان يمـن علـى نفسي بهدأتها ... حتـى امـزق بالطاعات عصياني

يا مسجد الخيف في افيائك انطلقت ... ترتيلـة الحـق من آيات قـرآن

وفى حماك رسول الله هامتـه ... غراء كالصبح لا تعنـو لطغيـان

فى كـل حبـة رمـل منك ماثرة ... وكل نسمـة حب منك تلقانـي

كتيبة الله قد حطـت بساحتـه ... تسمـو بسلمان او تزهو بعثمان

يا مسجد الخيف فى الأقصى احبتنا ... وفى الخليـل وفي حيفـا وبيسان

تهفـو قلوبهم للزحـف منطلقـا ... يحرر القـدس من ظلـم وعدوان

وراية الحـق تعلو في مرابعنـا ... تطهـر القدس من رجس وأوثان

وتمسح العار من ساحاتمسجدها ... وتغرس المجد فيها بالدم القانـي

لقد اثـرت دموع الشوق والهفي ... يامسجد الخيف مذ حركت اشجاني

بريد الوعي الاسلامي

إعــداد : عبد الحميد رياض

البيت الحرام ..

البيت الحرام موجود قبل الاسلام .. فمن بناه وهل كان بناؤه للعبادة .. ؟
أحمد محمد السيد ــ بغداد

ان البيت الحرام أول بيت خصص للعبادة ، وكل الآثار تدل على ذلك ، فقد جعله الله مباركا وهدى للعالمين منذ القدم .
ولهذا البيت فضائل جمة ، فمن دخله كان آمنا ، ولم ينل هذا الفضل اى مكان آخر فى الأرض .

وقد كانت له هذه المنزلة فى جاهلية العرب مع انحرافهم وكفرهم وبعدهم عن التوحيد ، يقول الحسن البصرى رضي الله عنه : « كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج » يدل ذلك على تكريم الله لبيته وتكريم الناس له ، مع العلم أن المحيطين به كفار ويذكرهم الله بنعمته عليهم فيقول : **(أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم)** وقد حرم الله اصطياد طيره وحرم قطع شجره .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « ان هذا بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض وهــو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاها الا الأذخر » متفق عليه .

ومكة بلاد عزيزة على المسلمين بسببه والرسول يقول فيها : والله انك لأحب بلاد الله الي ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت ، وقد وردت آثار تدل على أن بناء الكعبة المشرفة تم عشر مرات فى أزمان مختلفـــة وظروف مختلفة ، بنته الملائكة أى قبل سيدنا آدم عليه السلام يفهم هـــذا من قول الله سبحانه وتعالى : **(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا)** . وسيدنا آدم من الناس ، والآية كذلك تشير الى أن البيت الحرام قد وضع للناس الذين تناسلوا من سيدنا آدم ، كذلك يدل على هذا المعنى قول الله سبحانه حكاية عن سيدنا ابراهيم :

(وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) . فقد فهم من الآية الكريمة أن البيت الحرام كان معروفا قبل سيدنا ابراهيم ، ومعروف كذلك أن سيدنا اسماعيل كان فى هذه الفترة طفلا ، ثم تأتى آيات أخرى من القرآن الكريم فى حكاية عن رفع سيدنا ابراهيم لقواعد البيت الحرام الذى كان موجودا قبله . يقول الله سبحانه : **(وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)** وذلك بعد أن أصبح سيدنا اسماعيل يستطيع معاونة أبيه فى البناء .

وبعد ان بنته الملائكة بناه سيدنا آدم ، ثم بناه أبناؤه ، ثم رفع قواعده الخليل كما قد وضح سابقا ، وبنته العمالقة ، وبنته جرهم ، وبناه قصي ابن كلاب ، وبنته قريش ، وذلك مشهور معروف ، فقد حدث بعد أن تم البناء أن اختلفت قريش فيمن ينال الفضل ، ويضع الحجر الأسود فى مكانه ، وكادت تكون فتنة ، ويحدث قتال بينهم ، وهداهم التفكير أن يحكموا أول داخل عليهم فى ذلك ، فكان الأمين صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أول داخل ، وقد تصرف فى هذا المقام تصرفا يدل على رجاحة عقل ، فقد وضع الحجر الأسود فى ردائه ، وأمر كل فريق أن يحمل من طرف ، ثم لما صاروا الى مكانه وضعه بيده الشريفة وانتهى بذلك الخلاف .

وبناه عبد الله بن الزبير ، وذلك بعد أن أخبرته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يشير الى أن بناء قريش قد أغفل حجر ابراهيم ، فبناه رضي الله عنه ، كما أشار الحديث الشريف : « لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنيانه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ولجعلت لها بابا يدخل الناس وبابا يخرج منه » رواه مسلم . وذلك مدة خلافته على بعض الأمصار الاسلامية ، وفيها مكة وبعد أن قتل ودخل مكة جيش الحجاج بن يوسف الثقفى عامل عبد الملك بن مروان اعيدت الى ما كانت عليه ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أراد المهدى من خلفاء العباسيين هدم الكعبة واعادة بنائها ، ولكن الامام مالك نصحه بعدم فعل ذلك خوفا من أن تصير العوبة لكل من يستطيع هدمها وبناءها فيذهب وقارها من النفوس ، وظلت على حالها بعد الحجاج .

وحقق الحافظ ابن كثير وغيره أن أول من أقام قواعد البيت الحرام هو سيدنا ابراهيم وابنه سيدنا اسماعيل عليهما السلام ، واستدل على ذلك بقول الله سبحانه : **(وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)** .

وقد روى عن الامام على كرم الله وجهه أن الله أرشد سيدنا ابراهيم الى مكانه بوحى من الله عز وجل .

والأمل أن يأخذ هذا البيت مكانه اللائق به فى نفوس المسلمين ، ويحفظوا قدره ، ويعوا منزلته ، ويحرصوا كل الحرص على الاتيان اليه متى كان ذلك فى استطاعتهم ، وأن يكون طوافهم حوله عامل تذكير بدينهم ، وحافزا قويا يدفعهم الى العمل الدائب على احياء أركان اسلامهم كلها ، مع ايمان صادق بحاجتهم لذلك ، ويقين لا يخالجه شك أن عزهم ، وقوتهم تستمد من تمسكهم بشعائر دينهم .

اقوال شائعة ليست من الوارد

(يوم صومكم يوم نحركم) .. يتناقل الناس هذا النص على أنه حديث .. ما مدى صحة ذلك وما الوسائل الى معرفة الحديث الصحيح .. ؟

صلاح مساهل ـ مدرسة ابن زيدون/الكويت

(يوم صومكم يوم نحركم) وفى لفظ (يوم رأس سنتكم) لا اصل له كما قال الامام احمد وغيره كالزركشي والسيوطى واغفله السخاوى . وجاء هذا النفى فى الجزء الثانى من كشف الخفاء ومزيل الالباس عما يدور من الأحاديث على السنة الناس للعجلونى .

ونقول ان هذا النص ومثله كثير يشكل نسبة من الأقاويل المسيئة الكاذبة المغرضة التى لا أصل لها ، ولا تعنى غير الصاق التهم وارادة التهجم على النصوص الثابتة من خلال نص متداع مثل هذا أو غيره فلو تمكن هذا من نفوس الناس أمكن أن يكون هناك فجوة عميقة لا يظهر فيها الا كل ردىء وفاحش من القول ، وقد تصدى لدحض هذه المفتريات علماء أجلاء تركوا اسسا سليمة تثبت سلامة السند والمتن ، ليظل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصونا من العبث ، ولتظل السنة محفوظة لا ينال منها العبث والعابثون مبتغاهم .

ونؤكد للأستاذ ، أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم دون بعناية فائقة ، وقد وفق الله لهذه الغاية النبيلة من كان اهلا لها ، فكشف الزيف ، وشدد على الصحيح بحرص شديد ، وتلق سليم ونقل دقيق ، قد اتسم بالاخلاص لسنة سيد الخلق من أقوال وأفعال وتقريرات ، حتى بدت بيضاء نقية ، وكان أمل هؤلاء العلماء الأجلاء المحافظة على المصدر الثانى للتشريع من الدس والدخيل حتى لا نضل ، وحتى تخرج الأعمال مرتكزة على سند صحيح من السنة بعد كتاب الله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « تركت فيكم ما ان اتبعتموه لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتي » .

من فقهاء الإسلام :

الإمام مالك

بين التعلم والتعليم

للأستاذ : عبد الغنى احمد ناجى

مما لا شك فيه ان الفقيه المجتهد رائد فى ميدان التفقه والاستنباط ، وهذه حقيقة يدعمها ما قدمه فقهاؤنا الاجلاء من آراء وأحكام فقهية ، لحل مشاكل الحياة فى ضوء تعاليم الدين الحنيف . وقد كتب الكثيرون من المؤلفين حول اجتهاد الفقهاء وحيواتهم ، ولكن أحدا من الكاتبين لم يخصص مقالا ، او كتابا فى تجلية النهج التربوى الذى سلكه الائمة الفضلاء فى أخذ العلم عن مشايخهم، واعطائه لتلاميذهم ، وقد دفعتنى رغبتى فى قراءة مثل هذا المقال او الكتاب — الى ان اقرأ عن امام دار الهجرة (مالك بن انس) رضي الله تعالى عنه لأقف وقفات طويلة او قصيرة عند الجانب التربوى فى تعلمه وتعليمه ، ذلك الجانب الذى لا يقل اهمية فى ضرورة الاقتداء ، والاحتذاء لنهج هذا الامام العظيم ، واذا كان فقه اى امام — وهو مجموع ما استنبطه وارتآه — ميدان اقتداء للخاصة والعامة ، فان نهجه التعليمى والتعلمى مجال احتذاء لطائفة من الخاصة ممثلة فى الاستاذ والتلميذ ، ولا أبعد اذا قررت اننى أخص بهذا المقال كل استاذ وتلميذ ، لافتا نظريهما الى النهج التربوى الأمثل الذى سار عليه الامام مالك فى تعلمه وتعليمه .

ولنبدأ — اتباعا للترتيب الزمنى — بالحديث عن تعلمه ، وفى هذا المجال يجدر الاستهلال بتبين أحوال اسرته ، وبخاصة فى نواحى الثقافة

والعـــــلم ، فلقد جاء فى شرح الزرقانى للموطأ : ان مالكا نشأ فى بيت اشتغل بعلم الحـــــديث ، واستطلاع الآثار ، واخبار الصحابة، وفتاويهم ، فجـده « مالك بن أبى عامر » كان من كبــــار التابعين وعلمائهم ، ولقد اقبل اخوه «النضر» على مجالس العلماء يأخذ عنهم حتى اصبح مالك لشهرة أخيه يعرف بأنه اخو النضر ، فلما ذاع أمر مالك فى مجال العـــلم والتلقى صار اخوه « النضر » يعرف بأنه أخو «مالك» ، رضي الله تعالى عنهما .

هذه البيئة الخاصة بما كان فيها من نزوع الـــى العلم وثقافة العصر دفعت بمالك منذ صغره الى هــذا الميدان الشريف ، ليعد نفسه لأجل ما خلق لهالبشر ، للتفقه والاجتهاد : « من يرد الله به خيرا يفقهه فــى الدين » رواه البخارى ومسلم وابن ماجه ، وقد تضافرت بيئته العـامة (المدينة) مع بيئته الخاصة (الأسرة) فى انجاحه وابلاغه ما صبا اليه ، وتحقيق ما خططه لنفسه ، فبيئتــه العامة هى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومهاجره الـذى هاجر اليه ، وهى موطن الشرع ، ومبعث النور ، وموئل الحـــكم الاسلامى الأول فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفـــائه الراشدين من بعده ، ولقد نشأ مالك بها وهى مهد الســـنن ، وموطن الفتاوى المأثورة لاجتماع الرعيل الأول من علماء الصحابة بها ، ثم تلاميذهم من بعدهم ، حتى لقد كان عمر بن عبد العزيز (رضي الله تعالى عنه) يكتب الى الأمصار يعلمهم الســنن والفقه ، ويكتب الى اهل المدينـــة يسألهم عما مضى ، ويعمل بمـــا عندهم . وكتب الى ابى بكر بن حزم ان يجمع له السنن ، ويكتب بهـــا اليه .

جاء مالك فوجد هذا الرصـــيد الضخم من العلم والحديث والفتاوى فنهل منه ، وجنى اطيب ثمـــراته ، واعاده لمن بعده رحيقا حلوا ، وزادا طيبا .

ولقد اتجه مالك — وهو يخطـو اولى خطواته العلمية — الى حفظ القرآن الكريم شأن غيره من تلاميذ عصره ، وبعد حفظه للقرآن هم بأن يجمع اليه حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكلم امه فــى ذلك . فأعجبت به ، ودعت له ، ثم عممته ، والبسته احسن الثياب ، وقالت له : **« اذهب فاكتب الآن »** ، وكانت تقول : **« اذهب الى ربيعــة فتعلم علمه قبل ادبه »** ، ومن هــذا القول الذى حرضته به امه ، ندرك بالغ حرصها على ان يتعلم ابنهـــا العلم النافع ، حتى انها طلبت منــه ان يكرس جهده لتعلم العلم ضـاربا صفحا عن الأدب ، وكأنى بها حينئذ تتعهد بتأديبه فى البيت ، اما العلم فلا يجدى فيه سوى الذهاب الـى حلق الدرس ، ولقد دفعها هـــذا الحرص ايضا الى ان تبيح له التردد على مجالس العلم وهو حـــدث

صغير ، فلقد قال بعض معاصريه : **((رأيت مالكا فى حلقة ربيعة وفى أذنه شنف** ـــ والشنف بوزن فلس : القرط الأعلى)) ، هذا دور أمه فى العناية به ، وتعهده بتهيئة سبل العلم وحثه على طلبه ، أما دوره هو فقد تجلى فى صورة فذة من افراغ أقصى الجهد والطاقة فى سبيل الدرس والتحصيل ، ومعالجة كل الأبواب المفضية الى درجات العلم مهما كلفه ذلك من مشقة وعنت ، فلقد كان منذ صغره حريصا على حفظ حديث رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ واستظهاره ، ولقد دفعه ذلك الحرص أو الشغف بطلب العلم ـــ أن يحرم نفسه الراحة بعد الدرس . ينصرف الشيخ والتلاميذ الى بيوتهم ، للاستجمام والراحة ، ومالك يذهب الى ظلال الأشجار ، يستعيد ما تلقى ، ولقد رأته أخته كذلك فذكرته لأبيها ، فقال لها : **((يا بنية ، انه يحفظ أحاديث رسول الله صلى اللهعليه وسلم))** ، ولقد حدث عن نفسه مصورا جانبا من تجشمه المتاعب المستعذبة فى سبيل تحصيل العلم ، يقول : ((كنت آتى نافعا نصف النهار وما تظلنى الشجرة من الشمس ، اتحين خروجه ، فاذا خرج أدعه ساعة ـــ كأنى لم أره ـــ ثم أتعرض له ، فأسلم عليه ، وأدعه ، حتى اذا دخل أقول له : **((كيف قال ابن عمر** فى كذا ، وكذا ، فيجيبنى، ثم أحبس **عنه ، وكان فيه حدة))** .

واني لأتخيل مالكا وهو بعد غض صغير من خلال هذا الخبر ، اتخيله نشطا طروبا لتلقى العلم ، يحتال لاقتناص مسائله ، ولكن فى أدب جم ، وتقدير كبير لمشايخه الفضلاء ، فهو يحمل ألواحه وقراطيسه ، ويتحين خروج الشيخ ، حتى اذا خرج لا يهجم عليه ، وانما يدعه ساعة حتى يستوى فى مجلسه ، ويعد نفسه للتدريس والالقاء ، وحينئذ يعرض له فيسلم عليه سلام التلميذ لأستاذه ، ثم يبدأ فى طرح أسئلته واستيضاحاته ، ولا يكثر ، اذ ينصرف قبل أن يثقل على شيخه .

وأقف هنا لأقول : ليت كل تلميذ من أبنائنا اليوم يطلع على نهج الامام العظيم في تقديره لأساتذته ، وطريقة تلقيه عنهم .

ولقد دفعه حرصه البالغ على تلقى العلم الى أن يتحين الأوقات التى تكون مظنة الهدوء من ضوضاء السائلين ، وصخب الدارسين ، فيذهب فيها الى شيوخه ، وان كان فى ذلك ارهاق له ، أو لاقى فى سبيله اللوم والحرج ، اذ الهدف من السمو بحيث يهون فى الوصول اليه آلام النفس والجسد معا ، يقول مالك : ((شهدت العيد ، فقلت هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب ، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه))، فسمعته يقوللجاريته : ((أنظرى من بالباب)) فنظرت فسمعتها تقول : **((مولاك الأشقر مالك ، قال : أدخليه ، فدخلت ، قال : هل أكلت شيئا ؟ قلت : لا ، قال : أطعم ، قلت : لا حاجة لى فيه ، قال : فما تريد ؟ قلت : تحدثنى ، قال لى : هات ، فأخرجت ألواحى ، فحدثنى بأربعين حديثا ، فقلت زدنى، قال : حسبك ..))** .

ومن هذه الأخبار التى حدث بها

مالك عن نفسه نستشف استعذابه هذه المشاق والآلام فى سبيل تحصيل العلم الذى ابتغاه ، وهو استعذاب يحسه كل من سار فى طرائق العلم تحدوه الرغبة الصادقة فى تحصيله، والأمل الكبير فى توصيله ، لبلوغ المنزلة التى أعدها الله لعباده العلماء ، ولا ينتهى الاعجاب بما تحمل الصبى مالك فى سبيل العلم من جهد مضن حرمه لذة الراحة ، ومنعه الهدوء ــ حتى يشفعه باعجاب بتضحيات مالك فى هذا المجال ، حتى أنه لم يدخر وسعا من مال فى سبيل العلم ، كما لم يدخر جهدا من قبل ، فلقد قال ابن القاسم « أفضى بمالك طلب العلم الى أن نقض سقف بيته فباع خشبه ، ثم مالت عليه الدنيا من بعد » !!

ولقد كان مالك يجمع الى حرصه البالغ على طلب العلم حبه المفرط لحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتقديره الزائد للشيخ المحدث ، ومكان الحديث وزمنه ، وذلك ما نسميه بلغة عصرنا الحديث (احترام الحصة) وهو الذى ننشده من طلبتنا ، ولكن البون شاسع يتبلور فى اختلاف الدافع والباعث الى طلب العلم ، روى أن مالكا لازم منذ صباه الاحترام التام لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يتلقاها الا وهو فى حال من الاستقرار والهدوء ، توقيرا لها ، وحرصا على ضبطها ، ولذلك ما كان يتلقاها واقفا ، ولا يتلقاها فى حال ضيق أو اضطراب حتى لا يفوته شيء منها ، فلقد سئل أسمع عن عمرو بن دينار ، فقال : **« رأيته يحدث والناس قيام يكتبون، فكرهت أن أكتب حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنا قائم »** .

ولقد جنح مالك الى ما يعرف فى عصرنا بالتخصص في الدراسة . فتخصص بعد حفظه للقرآن الكريم ــ فى حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكتبه ، ويحفظه، ويعيه فى احترام وتقدير لا يفوقهما سوى تقديسه لكتاب الله عز وجل ، ثم قام بما يشبه اعداد الرسائل الجامعية فى العصر الحديث ، فاذا كان اعداد الرسالة يتطلب مشرفا ينصرف الدارس له بالسؤال والاسترشاد فان مالكا انصرف الى شيخ بعينه فترة طويلة من الزمن بلغت الثمانى سنوات لا يتلقى الا منه ، وهو شيخه (هرمز) تلقى عنه الفقه والفتيا ، وطريقة الرد على اهل الأهواء ، ولقد تأثر مالك بمنهج هذا الشيخ فى الاجابة والفتيا ، فكان لا يتحرج من قول : « لا أدري » حينما يسأل عن أمر لا يعلمه ، ولقد قال : **« سمعت ابن هرمز يقول : ينبغى أن يورث العالم جلساءه قول : « لا أدرى » حتى يكون ذلك أصلا فى أيديهم يفزعون اليه ، فاذا سئل أحدهم عما لا يدرى قال : لا أدرى »** .

واذا كانت معاهد العلم فى العصر الحديث لا تبيح لدارس ان يلقى ما تلقاه الا بعد اختبار وامتحان للتأكد من صلاحيته ــ فان مالكا ــ رضي الله عنه ــ وقع تحت الاختبار من شيوخه حتى أجيز له التدريس ، فهو حينما ذهب الى ابن شهاب يوم العيد ، وسأله الحديث ، فحدثه بأربعين حديثا ، ثم استزاده مالك ،

فقال له الشيخ : حسبك، ثم أردف : **« .. ان كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ »** قال مالك : **« قد رويتها ــ أى حفظتها ــ فجبذ الألواح من يدى ، ثم قال : حدث »** ، وهنا يبدأ الامتحان ، يقول مالك : **« فحدثته بها ، فرد الألواح الي ، وقال : قم فأنت من أوعية العلم »** .

هذه العبارة الأخيرة لا تخرج عن الشهادات العلمية التى تعطى للطلبة حينما يؤدون الامتحان ، ويحرزون النجاح ، فمالك حينئذ أعطى شهادة علمية ، ولكنه لم يكتف بها ، اذ انه حصل عليها دون النضوج المنشود، ولما حصل له ذلك النضوج ، ونزعت نفسه الى الدرس والافتاء ، قدم المؤهل العلمى الكبير الذى حصل عليه ، وهو شهادة سبعين من مشايخه بصلاحيته للتدريس والافتاء ، يقول مالك ــ رضي الله عنه ــ فى هذا المجال : **« ليس كل من أحب أن يجلس للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل والجهة من المسجد ، فان رأوه أهلا لذلك جلس ، وما جلست حتى شهد لى سبعون شيخا من أهل العلم انى موضع لذلك »** .

أما سنه عند جلوسه للافتاء والتدريس فقد حدث فى تحديدها اختلاف يمكن حسمه بأنه لم يجلس الا بعد أن نضج ، وبلغ مبلغ الرجال ، وهذا هو المقبول ، وغير المقبول ان يكون قد جلس وهو فى السابعة عشرة من عمره ، وهو قول بعض من اتباعه المأخوذين بمواهبه وتفوقه ، والذين زعموا انه مكث فى بطن أمه ثلاث سنوات !! ، وربما يعد جلوسه للتدريس فى هذه السن شهادة سبعين من الثقات له بصلاحيته للجلوس مجالس العلماء للافتاء ، اذ لا يمكن أن يجمع سبعون على اجازة حدث فى السابعة عشرة من عمره لهذا المجلس الخطير .

لقد جلس مالك للتعليم بعد أن نضج فكره ، واستوت حجته ، وغزر ما حصل من مشايخه ، وانس من نفسه القدرة على الافتاء ، والتدريس ، ثم توج ذلك بشهادة سبعين من الثقات ، جلس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، فى المكان الذى كان يجلس فيه عمر بن الخطاب للشورى والحكم ، والقضاء ليجمع الى التأثر بعمر فى فتاويه واقضيته التى رواها ابن المسيب وغيره .. تأثره به فى مجلسه ، والحال الحسنة توحى بأمور معنوية لا تنكر ، واختياره أماكن الصحابة فى الدرس استيحاء لعلمهم وتقواهم ــ دفعه الى اختيار أماكنهم فى السكن ، ربما للغرض نفسه ، فلقد كان يسكن دار عبد الله بن مسعود ، جاء فى المدارك : **« كانت دار مالك بن انس التى ينزل بها بالمدينة هى دار عبد الله بن مسعود .. ولقد كان فى دروسه يلتزم الوقار والسكينة ، والابتعاد عن لغو القول ، وما لا يحسن بمثله ، وكان يقول : ينبغى لأهل العلم ان يخلوا انفسهم من المزاح ، وبخاصة اذا ذكروا العلم »** ، ويفهم من ذلك أنه كان يبيح المزاح خارج حلقات الدرس ، أما فى الدرس فلا تكون الا السكينة والوقار ، وهو بهذا يؤصل نظريات تربوية في التعليم ،

فلقد أثبت التجريب أن الاستعداد للدرس بالسكينة والوقار ، واستجماع كل الحواس — من اهم عوامل النجاح فى تحصيل العلم ،

واذا كان المزاح لازما للترويح والتنفيس مخافة الملل فهو قد أباحه خارج الدرس ، والموازنة بين درس تحفه السكينة والوقار ، وآخر صفر منهما تبين صدق الرجل وبعد نظره ، ولقد قال أحد تلاميذه فى هذا المجال : **« كان مالك اذا جلس معنا كأنه واحد منا ، يتبسط معنا فى الحديث ، وهو أشد تواضعا منا له ، فاذا أخذ فى الحديث (أى حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم) تهيبنا كلامه ، وكأنه ما عرفنا ، ولا عرفناه »** ، وقال الواقدى عن مجلس درسه : **« كان مجلسه مجلس وقار وعلم ، وكان رجلا مهيبا نبيلا ، ليس فى مجلسه شيء من المراء ، واللغط ، ولا رفع صوت .. »** .

وكان فى درسه يسلك ما يسمى فى التربية الحديثة بمراعاة الفروق الفردية ، فيروى عنه أنه كان فى مجلس تدريسه فى بيته يأذن لأصحابه الذين لازموه ، وفهموا فقهه ونهجه ، ثم يصرفهم ويأذن للعامة، ليحدثهم ويجيبهم بما يتناسب مع ادراكهم ومحصولهم العلمى ، وكان فى موسم الحج يأذن لأهل المدينة ، فاذا انتهى من التحديث اليهم أذن للناس كافة ، وربما أذن لبعض الأقاليم ثم لغيرهم ، وكان رضي الله تعالى عنه لا يجيب الا عما يمكن وقوعه ، اما الأمور الفرضية التى يستحيل وقوعها فكان لا يجيب السائل عنها ، سأله رجل عن مسألة فرضية فقال له : **« سل عما يكون ، ودع ما لا يكون »** ،واذا كرر السائل السؤال عن أمر فرضي فكان لا يجيبه تنبيها له الى أن السؤال ينبغى أن يكون عما ينتفع به ، والأمور الفرضية — فضلا عن كونها فى معظم الأحيان باعثة على الضحك — هى غير مجدية ، لتضييعها الجهد والوقت فيما لا طائل تحته . لقد سأله سائل في أمر فرضي ، فلم يجبه ، فقال له : **« لم لا تجيبنى ؟ ، فقال : لو سألت عما ينتفع به لأجبتك »** .

وكان يكثر من قول : (لا أدرى)، ويبتدىء اجابته بقوله : **« ما شاء الله ، لا قوة الا بالله »** ، ثم يعقب فتواه بقوله : **« ان نظن الا ظنا ، وما نحن بمستيقنين »** .

واذا كان التواضع ، وتحرى الحق، والاحتياط فى الاخبار والفتيا، والاعتراف بالعجز ، وعدم الدراية — أمورا لازمة ، وزائنة للعلماء ، فان مالكا بلغ فى ميدانها صميم الهدف بقوله : **« لا أحسن »** أى لا أحسن الاجابة — لمن قال له : **« يا أبا عبد الله ، تركت خلفى من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك »** .

وبعد ، فليت علماءنا الأجلاء بعامة ، ومن يتصدون منهم للتدريس بخاصة — ينهجون نهج امام دار الهجرة — رضي الله تعالى عنه — فى التعليم والافتاء ، وليت طلابنا الأعزاء يسلكون مسلك هذا الامام العظيم فى طلبه للعلم ، واحترامه للدرس ، وتقديره للأساتذة المعلمين، ليت هؤلاء وهؤلاء يجعلون الرجل مثلهم الأعلى ، حتى يحققوا الفوز المبتغى فى مجال العلم والتهذيب .

علم النفس وأثره في التربية الإسلامية

للاستاذ : محمد علم الديـن

هدف علم النفس فى الاسلام ، ان نحصل لأنفسنا خلقا ، تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة ، بحيث يكون ذلك سهلا علينا دون كلفة او مشقة .

والوسيلة لذلك ، فهم قوى النفس على النحو الذي مر ، ثم اتخاذ وسيلة صناعية وترتيب علمي للوصول الى ذلك .

والنفس اذا تركت بدون صناعة وتهذيب كان فيها بدائية ، يصحبها عدم اتزان ، كالذي يغضب من ادنى شيء ، والذي يفزع من صفير الطائر او يرتاع من خبر ، او يفرطفي الضحك من شيء يسير ، ولكن بالتدريب والاستمرار والتخلق ، تكتسب النفس أخلاقا جديدة . وكل انسان صالح لأن يروض ويتخلق بخلق جديد مع تفاوت بين الناس في سرعة الاستجابة وفي بطئها .

وبغض النظر عن قول من قال : ان الناس يولدون اخيارا ، ثم يأتيهم الشر من مخالطة الاشرار وتلبية شهوات الغريزة ، وعن قول من قال : ان الناس خلقوا من طين كدر ، فهم أشرار بالطبع ، ثم يصيرون أخياراً بالتربية والتعليم .. وعن قول من قال : ان الناس فيهم الخير بالطبع والشرير بالطبع والمتوسط بين هذا وذاك ... فان المسلم به أن الناس مطبوعون على قبول التخلق ، والانتقال من خلق الى خلق بالتأديب

والمواعظ ، بسرعة او ببطء ، وهذا هو المختار ، وهو المشاهد بالعيان وعليه قام التأديب ، وقامت التربية وبخاصة للأحداث .

واذا كان كثير من الحيوان يقبل الترويض ، فان الانسان أكثر قابلية للتأديب ، مهما طال الزمن وتنوعت الأساليب دون يأس من الاصلاح . وهذا ميدان فسيح تلعب فيه ابتكارات اساليب التربية دورا كبيرا .

ومن المسلم به ان الطباع اذا اهمل تهذيبها ، وتركت زمنا طويلا صعب ترويضها وان لم يكن محالا . ولذلك وجب التبكير بالتربية والتأديب ، حيث الغرائز غضة ، والميول متذبذبة لم تستقر بعد .

كما أن من المسلم به أن الناس منذ الصغر يتفاوتون في استعداداتهم لقبول التأديب والنفور منه ، تفاوتا يكاد يكون بعدد الأفراد . ونرى الكبار بين افضلهم وادونهم مراتب لا حد لها ، وبحق قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » (من حديث رواه البخاري ومسلم) .

كيف تترقى الأخلاق

ان جوهر الانسان من صنع الخالق اما تجويد هذا الجوهر فهو مفوض الى الانسان ومعلق بارادته .

ــ ولبلوغ الكمال على المرء ان يعلم أن الكمال كمالان : علمي وعملي .

والعلمي يتبع القوة العالمة ، والعملي يتبع القوة العاملة ، والقوة العالمة تشتاق الى العلوم والمعارف والنظريات والقوة العاملة تشتاق الى نظم الامور وترتيبها ، ــ واذا اكتمل للمرء كمال النظر وكمال العمل فقد ظفر بالسعادة التامة .

ــ ويكمل المرء علما اذا صار بالعلم صادق النظر ، نافذ البصيرة ناضج الراي ، مستقيم الرؤية ، لا يخطيء في اعتقاد ، ولا يشك في حقيقة ، ثم يترقى من العلم بالموجودات الى العلم بخالق الموجودات ، علما يجعله واثقا به ، مطمئنا اليه قد ذهبت حيرته وانجلى مطلوبه الأخير .

ويكمل المرء عملا اذا كانت قوته العاملة قد تسامت قوة وفعلا ، بحيث تصدر الأفعال من القوة المميزة ، منتظمة مرتبة كما ينبغي .

ــ هذا والكمالان ضروريان ومتلازمان ، لا يتم احدهما الا بالآخر والكمال العلمي مبدأ والعملي تمام ، والمبدأ بلا تمام ضائع ، والتمام بدون مبدأ محال ، وهذا الكمال غرض ينبغي ادراكه وابرازه .

وعلى المرء ان يبدأ بالعلم بالموجودات علما كليا ثم جزئيا ، قدر ما يستطيع ، حتى تكون صور الموجودات في ذات الانسان ممتزجة به ، فاذا تم له الجانب النظري أبرزه الى الوجود افعالا منتظمة بقوة التمييز .

وبهذا وذاك يصبح الفرد عالما صغيرا ، وخليفة لمولاه وخالقه ، ومنسجما مع كونه وقريبا منه ، ومستعدا لقبول فيوضاته ، ليس بينه وبين ربه حجاب وهذه هي مرتبة عليا وسعادة قصوى .

وكما سبق من أن الناس قابلة للترقي فمنطقي مع هذا أن كل انسان قابل لأن يصل الى درجة الكمالين ما دام يحاول الوصول اليهما ويتمم نقصه ولولا أنه مستعد لذلك ما كان انسانا ، بل كان حيوانا أو نباتا ، فمآلها جميعا الى الفناء أما الانسان فمآله الخلود حيث النعيم لمن زكى نفسه والجحيم لمن دساها والذي لا يتصور ذلك وامكانه ويشك فيه

ينتقص من تركيبه الرباني ويستحق أن يسمى ملحداً .

الكمال الانساني والسعادة :

يظن فريق من الناس أن كمال الانسان وسعادته وغايته في الحياة ، تكمن في ادراك لذاته الحسية ، وأن جميع قواه قد ركبت فيه من اجلها ، وان عقله موجود ليرتب له ما يوصله الى هذه اللذات ، وادعوا أن لذات المآكل والمشارب والمناكح مطلوبة للبدن وانه يتشوق اليها ، وأن عليهم أن يعينوه على نيلها ، ولذلك فهم للذة يعيشون ، ولها يعملون ، وهؤلاء هم الجهلة والرعاع وسقط الناس ، الذين لا يهمهم في الدنيا الا اللذات الخسيسة وهؤلاء وأمثالهم ينكرهم علماء النفس الاسلاميون ويرون :

١ — أن هذه اللذات الحسية يشارك الانسان فيها الخنافس والديدان والحشرات والهوام ...

٢ — أن هذه اللذات انما حدثت من آلام أصفادها : فلذة الطعام من ألم الجوع ولذعه ولذة الدفء ، والملبس من ألم البرد ، وهكذا تكون اللذات راحة من آلامه ، والمشتاق الى هذه اللذات يشتاق أولا الى الآلام ليجد اللذة ، ولو لم يجد الألم لم يجد اللذة .

٣ — من رضي أن تكون هذه اللذات غايته القصوى وهدفه الأسمى فقد جعل نفسه عبدا لأخس العبيد وجعل نفسه الملائكية عبدا لنفسه الشهوية ..

٤ — وهؤلاء عبيد اللذات اذا وجدوا من يزهد في هذه اللذة وفيما يميلون اليه ، فصام واكتفى بقليل من النبات .. عظموه واعتقدوا انه ولي لله ، وانه أرفع من طبقة البشر ، وكل هذا لعجزهم عن فهم أنفسهم وقواها ...

مراتب قوى النفس :

ان قوى النفس اذا رتبت تصاعديا كان أدناها النفس البهيمية ، وأوسطها النفس السبعية ، وأعلاها النفس الناطقة ، لأنها هي التي صيرته انسانا وشبهته بالملائكة ، وباعدته عن الحيوان ، وينبني على ذلك :

— أن أشرف الناس من كان حظه من النفس الناطقة أوفر ، وانصرافه اليها أتم وأن من غلبته احدى القوتين الأخريين : السبعية أو الشهوية ، فقد بعد عن هذا الشرف الرفيع بقدر ما بعد عن النفس الناطقة .

— وكل ذلك موكول الى الانسان : فمن شاء جعل نفسه مع الملائكة ، ومن شاء جعلها مع السباع ، ومن شاء جعلها مع البهائم ، والمرء حيث يضع نفسه ومن نام عقله ، واستيقظت شهواته ، فكان همه المأكول والمشروب والملبوس وسائر النزوات ، فهو والبهائم على حد سواء ، قويت فيه وفي مثله البهيمية فجذبتهم اليها وضعفت قواهم الناطقة فلم تردهم عنها وصدق عليهم قول الله تعالى : **(أم تحسب أن أكثرهم يسمعون** أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام بل هم **أضل سبيلا)** ٤٤ الفرقان .

— والذين يتبعون الشهوات قسمان : قسم به حياء ، لا يجاهر بحيوانيته ، اذا هم بتحصيل لذته ، وقسم شاذ خسيس الطبع وقح فاجر لأنه يجاهر بالحيوانية ، والأول فيه نوع خير ، لأنه يحترم الفاضل المحتشم ، ويود أن لو كان مثله أما الثاني فانه لا خير فيه لأنه ارتضى ما هو فيه ولم ينزع الى ما يرقيه بل

دعا الناس الى أن يكونوا مثله (ويمثل هؤلاء في عصرنا الوجوديون ...) .

أما العاقل فانه ازاء متطلبات البدن ، فانه يسد حاجته بالقدر الضروري ، ثم يجعل همه في نفسه الناطقة .

أ) ففى الغذاء ، يكتفى بما تقوم به حياته ، ويعتدل به مزاجه ، ولا تكون همته فى لذته ، بل فى صحته ، وما يحفظ مروءته ، ولا ينسبه الى البخل بحسب مرتبته .

ب) وفي الملبس ، يهتم بما يدفع اذى الحر والبرد ويستر بدنه بما لا ينسبه الى الشح او يسقطه بين اقرانه .

جـ) ومن حيث شهوة النساء فهو يعلم انها لبقاء النوع ، وطلب النسل ، وحق الأهل دون ترك ما يحل لما يحرم .

ـ والعاقل بعد متطلبات البدن ، وتلبيتها على النحو المار ، يجعل همه فى نفسه الناطقة ، فهى التى يصير بها انسانا ، له وزنه وقيمته بين الناس ، وفى المحافل ، وهى التى بها التفاضل بين الناس ، ويكون بها بعض الناس اكثر انسانية من غيرهم .

ـ والاهتمام بالنفس الناطقة يكون بجودة غذائها ، وغذاؤها العلم النافع والرأى الصادق ، والحق الواضح ، مع نفور من الكذب والكذابين والباطل والمبطلين . ومن ادبه والده ومعلموه على هذا النحو فهو السعيد ، ومن اهمل فى صباه وشب على غير ما ينبغى ، فعليه أن يفطم نفسه عن الشهوات ، ويتدرج فى تقويمها ومهما يكن فى هذه السبيل من مشقة فان الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .

ـ وكثير من الناس عبوا من اللذات ، وعلوا ونهلوا .. ثم تابوا فتاب الله عليهم وهم كبار ، استحكمت فيهم العادات ، ولكنهم جاهدوا انفسهم جهادا كبيرا ، فأنقذوا سفينتهم وقد كانت على وشك أن تغوص .

ـ والعاقل من جعل عقله بمثابة الفارس ، ونفسه الفضيلة والشهومة بمثابة الحرس يقودها ولا تقوده ، فانه اذا ترك لها القياد فربما رأت عشبا وراء اشواك ووهاد ، فجمحت به واوردته المهالك .

أما اذا كان له القياد ، فانه سيرتاد السبيل الموطأ ، وفى ذلك صلاحهما .

ـ ان انفلات قوتى الغضب والشهوة من سلطان العقل المتدين ، تنكيس فى الخلق ، واستعلاء للهوى ، واستعباد للعقل ، وهو تأليه للهوى والشيطان ، وعصيان للرحمن ، وارتكاس الى أسفل سافلين ، مصداق قول رب العالمين (**لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون**) التين ٤ : ٦ .

فما دام الانسان قد خلق فى احسن تقويم ، وهو يمشي سويا على صراط مستقيم ، اعلاه عقله ، واسفله هواه ، فانه لواجب أن يكون فى السلوك والعمل على هذا النحو ، المتمشي مع خلقه ، عقله يتحكم فى هواه ، وما علا فيهما سفل ، أما اذا أعلى هواه وحكمه فى عقله ، فانه يرد نفسه الى اسفل سافلين ، ولن

يستقيم له أمر حتى يعود الى الوضع السليم ، ويحكم العقل فى الهوى ، وهذا هو شأن المؤمنين العاملين الصالحات ، الذين لهم أجرهم غير ممنون .

ــ والذي يدنس نفسه الشريفة ، ويحكم فيها هواه المهلك ــ يشبه من معه جوهرة ثمينة لا تقدر بمال لنفاستها ، ولكنه بجهله وحمقه يلقى بها فى النار ، فيتلف جوهرها ، ويبطل منافعها ويجعلها لا تساوى شيئا .

ــ والنفس الناطقة اذا تأدبت بأدب الله ، وفهمت ما صدر عن الله ، ثم استولت على سائر القوى ، فاستنهضت قوة الغضب حيث يجب الغضب ، كانتهاك حرمات الله ، وحيث تجب النجدة والشهامة، وحيث يستعذب الاستشهاد ، وأسكنتها حيث تجب الرحمة للمؤمنين ، وفعلت مثل ذلك بالقوى الاخرى ــ اذا فعلت ذلك فقد بلغت الكمالين العلمى والعملى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ترتيب قوى النفس من حيث الظهور ، ثم استخدام ذلك فى التربية :

١ ــ ان أول قوة تظهر فى الانسان هى شهوة الطعام ، والطفل يشتاق الى الغذاء لانه سبب الحياة، والطفل يتحرك لرشف اللبن من ثدى أمه دون معلم ، واذا افتقده طلبه بالصوت ، وهو البكاء ، وهذا دليل احساسه بالجوع وألمه ثم الغذاء ولذته ، وكلما تغذى نما ، حتى اذا استطاع سعى بنفسه ليحصل على طعامه .

٢ ــ والقوة الثانية فى الظهور هى قوة الغضب ، والطفل يحتاج اليها ليدفع عنه ما يؤذيه ، وليقاوم من يمنعه من تحقيق رغباته ، وان استطاع الدفع بنفسه فعل ، فان عجز استصرخ أبويه بالنداء أو البكاء .

٣ ــ ثم تظهر قوة التمييز ، التى يميز بها الانسان الأفعال ومتى تمت له سمي عاقلا . وهذه القوى ضرورية للانسان ، يصل بها الى غاية الغايات ، وهى ادراك الخير المطلق الذى به يصير الانسان انسانا .

وأول صفة تبشر بالخير فى الانسان صفة **الحياء** ، وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه ، ومتى ظهر هذا الخلق فى صبى فقد دل ذلك على عقل يميز القبيح من الحسن ويصاحبه الاطراق بالطرف، لا وقاحة ولا تحديق ، وواجب المربين حينئذ أن يهتموا بهذه الصفة ، ولا يهملوها، ففى اهمالها وترك الطفل يعاشر الوقحين فساد كبير .

ــ وان أفضل ما يؤصل الجهاد وينميه **الشعور بالكرامة** التى لا تستمد من الغنى أو الحسب أوالنسب وانما من الدين والتزام آدابه ، والتزام معاشرة الأخيار ، ثم مدح الأخيار أمامه ، ومدحه هو اذا صنع جميلا أو ابدى خلقا حسنا ، ثم تخويفه من الذم والاتيان بالقبيح ، ويؤاخذ اذا اشتهى المآكل والمشارب والملابس الفاخرة .. ويحبب فى الترفع عن كل هذا ، ويحبب فى الايثار لغيره على نفسه، مع اقتصاره على الاعتدال ، فى هذه اللذائذ ونحوها .

ـ وينبغي أن يكره في الملابس الملونة وأن يعلم أنها خاصةبالنساء ، وكذلك المنقوشة وان الرجال لا يصلح لهم ما هو خاص بالنساء ، ويجب تكرار هذا الوعي حتى يصبح عادة له ، وذلك من كل المحيطين به العاملين على تربيته .

وكذلك يبغض في الكذب والالحاح ، والفضول ، ويسار به في مجال التأديب حالا بعد حال حتى يسير في خط الكمال .

ـ وينصح علماء النفس الاسلاميون بأن يستعان في طور التأديب على غرس الحياء والادب بمدح الطفل على كل جميل يعمله ، فان خالف لأول مرة يتغافل عنه ، ولا يكاشف ولا يوبخ ، فان عاد وبخ سرا وعظم ما أتاه من مخالفة وحذر من العود ، أما المكاشفة العلنية فانها تجعل الطفل وقحا ، واذا كثرت استهان بها .

ـ ولآداب الطعام وغرسها في الطفل أثر كبير في تربيته ، وأساس الغذاء انه للصحة وليس للذة والغذاء مادة للحياة ، والصحة البدنية وسد لألم الجوع ، وكما أن الدواء لا يؤخذ الا بمقدار فكذلك الطعام لأنه دواء الم الجوع ، فلا يؤخذ منه الا بمقدار ما يدفع الم الجوع ، وكما أن الدواء لا يستكثر منه تلذذا به فكذلك الطعام الذى لا يؤخذ منه الا بمقدار ما يمنع الجوع والضعف والمرض ، أما الشره فيه والرغبة في تعدد الوانه والتحديق فيه والتهامه بنهم والاسراع في ازدراده ، ومزاحمة الآكلين ، وتلطيخ اليدين والوجه والثوب .. فكل هذه نقائص يجب البعد عنها .

ويحبب الطفل في ضبط نفسه ، وايثار غيره، والتزام الجانب الصحى للطعام فقط ، وينصح الامام الغزالي بأن يتناول الطفل الخبز القفار أحيانا حتى لا يرى الأدم واجبا ، كما ينصح بالفراش الخشن حتى لا يسخف بدن الطفل .

وينصح العلماء بأن تكون الوجبة الرئيسية في العشاء أما في النهار فيحسن الطعام الخفيف حتى لا يتثاقل الانسان ويتكاسل ويتبلد فهمه ، ويجب أن يحرم عليه تناول الأنبذة والمسكرات والشرع لم يحرمها الا لضررها البليغ بالجسم والعقل ، وحمل صاحبها على سرعة الغضب والاجتراء على القبائح وسائر الخلال المذمومة ، كما يجب ان يبعد عن مجالس السكر مهما يكن فيها من مغريات شعر او أدب أو فكاهة ولا يغشى المجالس التي فيها هذا الا اذا خلت من المسكرات .

ـ وغير الطعام هناك آداب كثيرة يتخلق بها الطفل ، فلا يعود نوم النهار ولا النوم الكثير ولا وسائل الترف بل المشي والحركة وركوب الخيل وضروب الرياضة وعدم الفخر على الأقران بالحسب أو النسب أو المال ، ويمنع من الحلف بتاتا ، ويعود حسن الكلام وحسن الاستماع .

فعن جابر بن سمرة رضي اللهعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » (رواه الترمذى) وقال عليه الصلاة والسلام : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » (رواه ابن ماجه) .

ان تنصروا الله ينصركم

كان اول أمر نــزل الى رســول الله صلى الله عليه وسلم هو قــول الله تبارك وتعالى : **(يا ايها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر .)** (المدثر /١ — ٧)

وذلك بعد أن نزل عليه صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : **(اقــرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .)** العلق / ١ — ٥ .

والمعروف ان اول سورة العلــق كان أول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم . وكان ذلك هو أول عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحي ، وأول عهده كذلك بأمين الوحي « جبريل » عليــه السلام ، وكان فى هذا الأمر مــن الغرابة والرهبة ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يعود مرتجفا الــى السيدة خديجة رضي الله عنها يقول « زملوني زملوني ، دثروني دثروني » فزملوه ودثروه (أي جعلوا عليــه الغطاء) ونام في فراشه صلى الله عليه وسلم حتى ذهب ما به وسكن .

وواضح أن قول اللــه تعالــى للرسول صلى اللــه عليــه وسلــم **« يا أيها المدثر »** انما هو تذكيرله صلى الله عليه وسلم بموقفه من الوحــي في المــرة الأولــى ، فى أول عهــده بالوحي .

جاء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الموقــف الشديد الرهيب الذي فوجيء به عليه الصلاة والسلام في المكان المقفــر الموحش المخيف فى غار حراء .

ومع ذلك فان الوحي لم يجــيء ليقول للرسول عليه الصلاة والسلام : استمر فى راحتك ، ولا ليقول لــه : عليك وقت طويل فارقد ، ولا ليقــول له : كفى ما حدث لك ، ولا عليك بعد ذلك . لم يقــل الله تبارك وتعالــى للرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك كلــه .

بــل قـــال لــه قـــم .. فليس عملك النوم . قم .. فليست مهمتك الراحة . قم .. فليس شأنك الخمــول . قـــم ... فأنــت رســول اللــه الــى الدنيــا كلهــا قــم فــأنت البشـــير . قم .. قـــم .. فــأنت رحمة من الله الى العالمين .. قم فأنذر .

وان الرسول صلى الله عليه وسلم حين ينفذ أمر الله ، ويقوم بالانذار ، انما يقوم وحده لينذر قوما ليس منهم أحد يرى رأيه . ليس منهم أحــد يقر حكمه . ليس منهم أحد يصدق قوله . بل ليس منهم الا من يعادي ويخاصم ويعاند ويكيد ويحارب . لا يخــرج من ذلك الا من شرح اللــه صــدره للاسلام فهو على نور من ربه .

ان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا الأمل القوي ، الأمل العريض الواسع في الفوز والظهور . ويعطينا كذلك : الدافع القوي الحثيث في الاعتماد على الله في أمورنا ، والتوكل عليه في كل شئوننا والثقة فيه ، والاطمئنان اليه .

ان الأمر لو كان أمر أسباب اعتادها الناس وألفوها ، ما كان يمكن ـ فيما اعتاد الناس وألفوا ـ أن يكون انسان واحد يواجه الناس جميعا بما يخالف أقدس مقدساتهم ، وأقوى معتقداتهم ، ثم هو بعد ذلك ينجح ويفوز ويظهر ويعلو . ولكنه أمر الله الذي لايرد ، وقدره الذي لايغلب ومشيئته التي تفعل ما تشاء . وقدرته التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء . ان قدرة الله سبحانه وتعالى قد جعلت من الاستحالة العادية : أمرا ممكنا . واقعا ، وخالدا . جعلت من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وحده امة من خير ما أخرج الله للناس من امم **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ . وهذه الأمة هي : امة الاسلام . ونلاحظ أن الله تبارك وتعالى قد وصفها بهذا الوصف تحت ظلال ثلاثة : ايمان بالله ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر . وسيبقى لها هذا الوصف ما بقيت تحت تلك الظلال . فاذا ما خرجت هذه الأمة عن أمر ربها ، فلا بد أن يذيقها الله وبال أمرها : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)** الرعد /١١

ولا يخفى ما وصل اليه حال المسلمين اليوم . فاذا أرادوا أن يغير الله حالهم ، فلا بد لهم من أن يرجعوا الى أمر ربهم . ولن يصلح أمر هذه الأمة الا بما صلح به أولها . بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ان الأمة العربية كانت لا تساوي شيئا ، فما كانت ولا ظهرت ولا غلبت ، ولا علت ، الا يوم أن رضيت بالله تعالى ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

فيا أخي المسلم في كل مكان :

أنت مسلم : ربك الله ، اله واحد لا شريك له . رسولك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، لا نبي بعده . كتابك القرآن الكريم . **(وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد)** فصلت/٤١ و ٤٢ .

يا أخي المسلم : أنت تحيا في ظل الله ، وتهتدي بكتاب الله ، ويقودك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتقدم وأنت تحمل اللواء . تقدم فان بيدك قارورة الدواء . تقدم بالحق ، فما أكثر الذين تقدموا بالباطل . تقدم واعرف نفسك : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)** آل عمران / ١٣٩ ـ ١٤١ . **(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** محمد / ٧ .

للاستاذ : فؤاد الجبالي

قالت صحف العالم

كتبت مجلة الرائد الهندية تحت عنوان :

رجعــة الى الماضي

المبدأ الذى يقوم على اساسه مجتمع الاسلام المثالى انما ينبع من طبيعة الانسان الحقة وضميره الحى ولذلك فانه موجود فى كل زمان ومكان ، والعمل به ميسور فى كل حى وبلد ، وفى كل جيل وامة ، أما ما يقال من أن ذلك المجتمع انما كان يخص أمة الماضي والانسان السابق ، وقد انقضى دوره بانقضـــاء عهدهما ، وتم له ما اراد من نشر العدل والصلاح ولم تعد اليه حاجة الانســان الجديد بعد ما فقد كل صلاحية للقياة والتأثير ، فليس لمثل هذا القول او الشعور مبرر ، اذ أن تبرير هذا الكلام أو مثله معناه الاعتراف بتغير الطبيعة الانسانية وتغير الفطرة التى فطر عليها الانسان ، وكلتاهما لا تتغيران لأنهما شيئان كالروح وامران كالذات ، وهل تتغير الأرواح والذوات .. ؟

فالمبدأ الحقيقى للاجتماع والتعايش هو ما انزله الله تعالى على رسوله فى الكتاب ، وبينه فى آياته الكثيرة مما يستوعب الحياة كلها بأصولها وفروعها ، وقد كانت حياة السلف الصالح من المسلمين تفسيرا لهذا المبدأ ، وتقريراً لمـا جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل به أتباعه من المؤمنين الأولين من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين .

والحقيقة أن المفاهيم والمقاييس تتغير بتغير الأوضاع وتجدد الأحوال ، ولكن المبادىء والأسس لن تقبل اى تغير او تجديد رغم جميع ما حدث أو يحدث فى الناس من أمور وشؤون ، واحوال واحداث وذلــك مما لا يقبل الجـــدل والنقاش .

ومن هنا يتبين أن مدار الخطأ فى مثل هذه الأمور هو اطباق العيون عن مشاهدة الحقيقة وصرف النظر عما هو المبدأ الثابت والأساس القائم الذى يقوم عليه جوهر الحياة الانسانية ، والطبيعة البشرية ، وكلما بذلت محاولة لتطــوير ما يتعلق بالذوات والمعانى وكلمـــا قام أناس يهتفون بالدوران مع الأحداث والأوضاع حرمت الحياة منافع الأمن والدعة ، ومصالح الراحة والطمـأنينة ، ووقعت فريسة الاختلال والفساد وراحت ضحية الفرقة والفوضى ، والتفسخ والانحلال وعاد المجتمع الانسانى غابة كثيفة يعيش فيها البهائم والسباع ، من

غير ان يكون هناك مسكة من قانون أو حرمة للشريعة .
وما أكثر هذه الصورة انطباقا على مجتمع الناس اليوم .. !

تحت معنى :

« أهل الدعوة »

كتبت مجلة جوهر الاسلام التونسية :

كم هى الأسباب التى تجمعت بين ايدى المسلمين فى عصرنا الحاضر لتجعلهم يتسنمون الذرى ويختصرون الأبعاد ويلتحقون بالجحافل الزاحفة صوب السماء ، فهم وحدهم الذين يحتفظون بالخصب فى كل مجالات الحياة : فأرضهم تزخر بالخامات وتعج بالذهب الأسود ومواقعهم الجغرافية تمثل الثغور الحصينة فى كل مكان وتراثهم الروحى احتفظ وحده دون أى تراث آخر بالنصاعة والسلامة والاشراق ، لم تستطع اية يد آثمة ان تعبث به أو تبدل نصوصه الخالدة التى احتفظت ببريقها السماوى واعجازها الالهى ، بيد أن هذه الخامات وتلك المدخرات وهاتيك الحضارة لن تستطيع ان تحقق شيئا اذا لم تشحذ العزائم وتطهر النوايا وتنطلق الهمم الخابية الى مجال الابداع والخلق ومجالات العمل الانشائى فى كل الميادين ، ذلك ان الانسان الذى كان الهدف الاول لكل رسالة اصلاحية ولرسالتنا الاسلامية بوجه اخص مطالب بأن يتوجه الى نفسه بادىء ذى بدء فيصلح منها ما افسدته الايام ويجاهد ما فيها من غرائز الشر الوافدة من هنا وهناك لأن الله سبحانه وتعالى قد تأذن أن لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وان يهدى الذين جاهدوا فيه الى سبله الواضحة الآمنة ، ان الدعوة الاسلامية لم تفلح بالأمس ولن تفلح فى الحاضر وفى المستقبل الا اذا جمع اهلها بين أيديهم طاقة ايمانية لا تثنى وعزيمة فولاذية لا تقهر .

ان الاسلام فى سموه وتجرده وحبه للناس يفرض على من يدعو اليه أن يكون بعيدا عن الأنانية والطمع لا يرمى من وراء جهاده الشريف وعمله النظيف الا الى ارضاء الله تبارك وتعالى واسعاد الانسانية فهو الصفاء المطلق وهو الحب البرىء وهو الى جانب ذلك النظرة البعيدة المحيطة بأسرار التشريع الاسلامى وحكمه البالغة التى لا يحجبها عن الناس شيء سوى الجهل بها ولقد هيأت الكشوفات العلمية الاخيرة جميع الفرص لأهل الاسلام كى يقتنعوا به ، انها وايم الله فرص ذهبية تزيد الذين آمنوا ايمانا وتقطع ريب الذين فى قلوبهم مرض .

فاذا ما انتهزت هذه الفرص ودعمت بالاخلاص والتجرد فان الحل للمشاكل الانسانية المعقدة سيصبح بين أيدى الجميع وسيكتب الله لهذه الأمة فى آخر الزمان كما كتب لها فى أوله أن تكون الأمة المنقذة والوارثة ولقد صدق ربنا حين قال : **(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)**

أعلام الإسلام

عبد الله بن جعفر

كان رضي الله عنه سخيا كثير العطاء .. لم يكن فى عصره من هو أكثر سخاء وجودا منه .. كان يتزين رضي الله عنه بأشرف ملابس الدنيا ، وأسترها للعيب ، وأجلبها للحمد ذاك هو لباس الكرم .. والكرم صفة من صفات الله .. ومن كان كريما فقد تسمى بصفته تعالى سبحانه .. وقد مسح رسول الله على رأسه وقال : « اللهم اخلف جعفرا فى ولده » ذلكم هو عبد الله بن جعفر .

اسمه : عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشي .

أمه : أسماء بنت عميس الخثعمية ، أخت ميمونة بنت الحرث لأمها .

مكانته : صحابى جليل ، ولد بأرض الهجرة الأولى « الحبشة » ، وكان والده « جعفر » رضي الله عنه ، وأمه « أسماء » قد هاجرا اليها .. بل كان أبوه امام المهاجرين الى الحبشة .. وكان عبد الله أول من ولد بها للمسلمين .. وهو آخر من رأى النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم .

والده : من أوائل المسلمين .. وأوذى فى سبيل الله فصبر ، ولما اشتد اذى المشركين على المسلمين هاجر جعفر الى الحبشة .. وكان أمير المهاجرين .. شرح للنجاشي تعاليم الاسلام وموقف المشركين فى مكة ، ومقدار الأذى الذى ينزلونه بالمسلمين ، ولما بعثت قريش عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو ابن العاص الى النجاشي ليطلبا منه رد المسلمين الى مكة ، دعا النجاشي جعفرا وسأله عن دينه وما يقول فى عيسى بن مريم .. فقال جعفر عن عيسى عليه السلام : انه ليس الا عبدا انعم الله عليه .. فأبقاهم النجاشي فى بلاده آمنين . وكان « جعفر » قائدا فى غرفة « مؤته » حمل الراية ودافع عنها حتى استشهد فى سبيل الله بعد أن قاتل قتال الأبطال .. وكان يقول :

إعداد : فهمى الامام

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
علي ان لاقيتها ضرابها

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له : استشهد جعفر فى سبيل الله وعمره ثلاثة وثلاثون عاما .. وترك أولادا صغارا .. فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس عبد الله وقال : « اللهم اخلف جعفرا فى ولده » وفى رواية : « اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » .
وقال صلى الله عليه وسلم لأسماء والدة عبد الله : « العيلة تخافين عليهم ، وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة ؟ » .

روايته للحديث : حفظ عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن أبيه وعمه على بن ابى طالب ، وابى بكر ، وعثمان ، وعمار بن ياسر ، وروى عنه ابناه اسماعيل واسحاق ، وعروة والشعبى وغيرهم .

كرمه : اقام عبد الله بالمدينة وكان ينفق ماله فى سبيل الله دائما . فقيل له : انك أسرفت فى بذل المال .
قال : ان الله قد عودنى أن يتفضل علي ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن اقطع العادة فيقطع عنى .

ورعه : روى بسند حسن أن دهقانا من اهل السواد كلم عبد الله بن جعفر فى أن يكلم عليا كرم الله وجهه فى حاجة فكلمه فيها فقضاها ، فبعث اليه الدهقان اربعين الفا فردها عبد الله وقال : انا لا نبيع معروفا .

وفاته : مات بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة عن تسعين عاما ، وصلى عليه ابان بن عثمان وهو أمير المدينة يومئذ لعبد الملك بن مروان . فرحم الله عبد الله ورضي عنه .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : ف. ع. م

الكويت : عاد الى البلاد سمو الأمير المعظم يوم السبت الحادى عشر من أكتوبر . وقد جرى لسموه استقبال رسمى وشعبى حافل كان فى مقدمة المستقبلين سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء والوزراء وأعضاء مجلس الأمة وكبار الرسميين .

● زار البلاد الرئيس الأوغندى عيدى أمين على رأس وفد كبير .. وقد جرى لسيادته وللوفد المرافق استقبال رسمى كان فى مقدمة المستقبلين سمو أمير البلاد المعظم .. وعقدت اجتماعات رسمية بين الجانب الكويتى برئاسة سمو الأمير المعظم والجانب الأوغندى برئاسة الرئيس عيدى أمين .. ودار النقاش حول تدعيم العلاقات العربيةالافريقية بصورة عامة .. وبينأوغندا والكويت بصورة خاصة .

● دعت الكويت الى عقد مؤتمر طارىء لوزراء الخارجية العرب لتدارس الوضع المؤسف والمتدهور فى لبنان ، ولايقاف نزيف الدماء البريئة ، وصيانة وحدة لبنان واستقراره جاء ذلك فى بيان أصدرته الأمانة العامة لمجلس الوزراء .

● استقبل السيد وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية وفد جبهة تحرير مورو الاسلامية فى الفلبين وذلك لشرح أوضاع المسلمين ولطلب الدعم المالى والمعنوى .

● زار البلاد وفد من رابطة مسلمى جمهورية ألمانيا الاتحادية برئاسة السيد جمال الدين ناصر نائب رئيس الرابطة ، وأجرى الوفد مباحثات مع المسئولين فى وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية تناولت بحث امكانية مساهمة الكويت فى مشروع اقامة المسجد الاسلامى فى ميونيخ ، ودراسة أوضاع المسلمين هناك .

● واستقبل السيد وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية رئيس المجلس الاسلامى بجمهورية سيلوفونيا بيوغسلافيا وذلك للتباحث معه حول تعزيز الروابط الاسلامية بين البلدين . كما استقبل السيد الوزير مدير الجبهة المتحدة لتحرير الصومال الغربى ببغداد ، وذلك لشرح حالة المسلمين هناك وكيفية التعاون بين مسلمى البلدين ، كما استقبل الوزير أيضا رئيس جمعية الصداقة العربية الصومالية الاسلامية .

● صرح السيد عبد الرحمن الفارس الوكيل المساعد لوزارةالعدل والأوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة اتخذت كل الترتيبات والاستعدادات لموسم الحج هذا العام ، فجهزت استراحة الحجاج بكل ما يلزمها وتم تخصيص طبيب مناوب طوال ٢٤ ساعة ، وتأمين مضمدين ،

● عقدت لجنة صندوق المعونة الطبية اجتماعا برئاسة السيد عبد الله المفرج وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية وذلك للنظر فى الطلبات المقدمة اليها .. ووافقت اللجنة على ارسال أربعة مرضى للعلاج فى الخارج على نفقة الصندوق .

وصيدلية كاملة . وخدمات أخرى طيلة تواجد الحجاج فى الكويت . هذا ومن المنتظر أن يمر بالكويت فى طريقه الى الحج ٨٠ ألف حاج من العراق وايران وأفغانستان وباكستان وسوريا وتركيا .

السعودية : بعثت رابطة العالم الاسلامى بمجموعة كبيرة من الكتب الدينية ومصحف مكة المكرمة الى المدرسة النورية الاسلامية بجمهورية التوجو بأفريقيا .

● تحدث معالى الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف فى مقابلة تليفزيونية عن الاقبال الكبير من اليابانيين على اعتناق الدين الاسلامى الحنيف . وأشار الى أنه شهد لقاء فى المركز الاسلامى فى طوكيو مع ألف شخص من اليابانيين الذين أعلنوا اسلامهم أمامه مؤكدين أنهم وجدوا فى الاسلام من المثل والمبادىء الانسانية العليا ما لم يجدوه فى الأديان الاخرى .

● بحث معالى وزير المعارف مع السفير الفرنسي لدى المملكة موضوع انشاء معهد للدراسات العربية والتراث الاسلامى فى باريس ليكون حلقة وصل بين الحضارات العربية والاوروبية .

● تتم اضاءة المسجد الحرام فى مكة المكرمة بثريات كهربائية حسب أحدث وسائل الاضاءة وقد خصص لذلك مبلغ ١٣٠ مليون ريال .

مصر : عقد الاجتماع الطارىء لوزراء الخارجية العرب الذى دعت اليه الكويت بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية لبحث الأزمة اللبنانية .

● تقرر أن يشكل شيخ الأزهر مجلس ادارة لكل مستشفى جامعى أزهرى . وسينفذ المشروع مع بداية العام الجامعى الجديد .

● سيقدم لكل امام مسجد كفيف بوزارة الأوقاف جهاز تسجيل (كاست) هدية من الرئيس السادات بهدف تمكين الامام الكفيف من تسجيل الخطب والأحاديث للاستفادة بها فى نشر الدعوة وتأدية واجبه الدينى .

فلسطين : عثر البوليس الاسرائيلى على ٤١ مفجرا لشحنات متفجرة فى حقائب سيدة عربية عمرها ٩١ عاما .. كانت تهربها داخل الأرض المحتلة ..

لبنان : ما زال الاضطراب وأعمال العنف تسيطر على لبنان .. وقد أفادت الأنباء أن الجامع العمرى الواقع فى ساحة المعرض قد اشتعلت فيه النيران ، وهذه هى المرة الاولى التى يتعرض فيه صرح دينى لعمل تخريبى .. و « الوعى الاسلامى » ترجو الله أن ينقذ لبنان من شر الفتن ، وأن يثوب المتقاتلون الى رشدهم .

المغرب : دعا الملك الحسن ملك المغرب الى مسيرة سلمية يشترك فيها ٣٥٠ ألف شخص لتتوجه الى الصحراء المغربية التى تحتلها أسبانيا بعد الحكم الذى أصدرته محكمة العدل الدولية .

الأيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٥	نوفمبر ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
اربعاء	١	٥	٨٧	١١٤٢	٣ ١	٣٢ ٦	٣٨ ٩	١٩ ١	٤٣ ٤	٣ ٦	١١٣٢	٣٩ ٢	٠٠ ٥	١٩ ٦
خميس	٢	٦	٨٨	٤٣	٤	٣٢	٣٨	١٩	٤٣	٤	٣٢	٣٨	٠٠	١٩
جمعة	٣	٧	٨٩	٤٥	٥	٣٣	٣٨	١٩	٤٤	٤	٣٢	٣٨	٥٩ ٤	١٨
سبت	٤	٨	٩٠	٤٦	٧	٣٤	٣٨	١٩	٤٤	٥	٣٢	٣٧	٥٨	١٨
احد	٥	٩	٩١	٤٧	٨	٣٤	٣٩	٢٠	٤٥	٦	٣٢	٣٧	٥٨	١٧
اثنين	٦	١٠	٩٢	٤٨	١٠	٣٥	٣٩	٢٠	٤٥	٦	٣٢	٣٧	٥٧	١٧
ثلاثاء	٧	١١	٩٣	٤٩	١١	٣٦	٣٩	٢٠	٤٦	٧	٣٢	٣٦	٥٧	١٧
اربعاء	٨	١٢	٩٤	٥١	١٢	٣٦	٣٩	٢٠	٤٧	٨	٣٢	٣٦	٥٦	١٦
خميس	٩	١٣	٩٥	٥٢	١٤	٣٧	٣٩	٢٠	٤٨	٩	٣٢	٣٥	٥٦	١٦
جمعة	١٠	١٤	٩٦	٥٣	١٥	٣٨	٣٩	٢٠	٤٨	١٠	٣٢	٣٥	٥٥	١٥
سبت	١١	١٥	٩٧	٥٤	١٧	٣٩	٤٠	٢٠	٤٩	١١	٣٣	٣٥	٥٤	١٥
احد	١٢	١٦	٩٨	٥٥	١٨	٣٩	٤٠	٢٠	٤٩	١١	٣٣	٣٤	٥٤	١٥
اثنين	١٣	١٧	٩٩	٥٧	١٩	٤٠	٤٠	٢١	٥٠	١٢	٣٣	٣٤	٥٣	١٤
ثلاثاء	١٤	١٨	١٠٠	٥٨	٢٠	٤٠	٤٠	٢١	٥١	١٣	٣٣	٣٤	٥٣	١٤
اربعاء	١٥	١٩	١٠١	٥٩	٢٢	٤١	٤١	٢١	٥٢	١٤	٣٣	٣٣	٥٣	١٤
خميس	١٦	٢٠	١٠٢	١٢٠٠	٢٣	٤٢	٤١	٢١	٥٣	١٥	٣٤	٣٣	٥٢	١٤
جمعة	١٧	٢١	١٠٣	١	٢٤	٤٢	٤١	٢١	٥٣	١٦	٣٤	٣٣	٥٢	١٣
سبت	١٨	٢٢	١٠٤	٢	٢٥	٤٣	٤١	٢١	٥٤	١٦	٣٤	٣٣	٥٢	١٣
احد	١٩	٢٣	١٠٥	٣	٢٦	٤٣	٤١	٢١	٥٤	١٧	٣٤	٣٢	٥١	١٣
اثنين	٢٠	٢٤	١٠٦	٤	٢٧	٤٤	٤١	٢١	٥٥	١٨	٣٥	٣٢	٥١	١٣
ثلاثاء	٢١	٢٥	١٠٧	٤	٢٨	٤٤	٤١	٢٢	٥٥	١٩	٣٥	٣٢	٥١	١٣
اربعاء	٢٢	٢٦	١٠٨	٥	٢٩	٤٥	٤١	٢٢	٥٦	٢٠	٣٥	٣٢	٥١	١٢
خميس	٢٣	٢٧	١٠٩	٦	٣٠	٤٥	٤١	٢٢	٥٦	٢٠	٣٦	٣١	٥٠	١٢
جمعة	٢٤	٢٨	١١٠	٧	٣١	٤٦	٤١	٢٢	٥٧	٢١	٣٦	٣١	٥٠	١٢
سبت	٢٥	٢٩	١١١	٨	٣٢	٤٦	٤١	٢٢	٥٨	٢٢	٣٦	٣١	٥٠	١٢
احد	٢٦	٣٠	١١٢	٩	٣٣	٤٧	٤١	٢٢	٥٩	٢٣	٣٧	٣١	٥٠	١٢
اثنين	٢٧	ديسمبر	١١٣	١٠	٣٤	٤٧	٤١	٢٢	٠٠ ٥	٢٤	٣٧	٣١	٥٠	١٢
ثلاثاء	٢٨	٢	١١٤	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	١	٢٥	٣٧	٣١	٥٠	١٢
اربعاء	٢٩	٣	١١٥	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	١	٢٥	٣٨	٣١	٥٠	١٢

« الى راغبى الاشتــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلــى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت — لبنان — او بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهــدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبــار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخـــرطوم : دار التوزيـــــع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبـــة الخـــراز — ص.ب : (٢٨٠) .

المغــرب : الدار البيضاء — السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبـــة مكـــة — ص.ب : (٤٧٧) .
الريـــاض : مكتبـــة مكـــة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيــة — ص.ب : (٧٦) .
الطائـــف :
مكة المكرمة : برحـــة نصيف / مكتبة جـــدة .
المدينـــة المنـــورة : مكتبـــة ومطبعـــة ضيـــاء .

البحريــن : المكتبـــة الوطنيـــة : شـــارع بـــاب البحريـــن .

قطــر : الدوحـــة : مؤسســـة العـــروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مكتبـــة دار الحكمـــة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة . ص.ب : (٦٥٨٨) .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

— الثمـــن —

- الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
- ليبيـــا ١٠ قروش ● تونـــس ١٢٥ مليمـــا ● الجـــزائر دينـــار وربع
- المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعـــدن ٧٥ فلســـا
- لبنـــان وســـوريا ٥٠ قرشـــا ● مصـــر والســـودان ٤٠ مليمـــا

وأذان من الله ورسوله إلى الناس

يوم الحج الأكبر

أن الله بريء من المشركين ورسوله

مطابع
دار السياسة

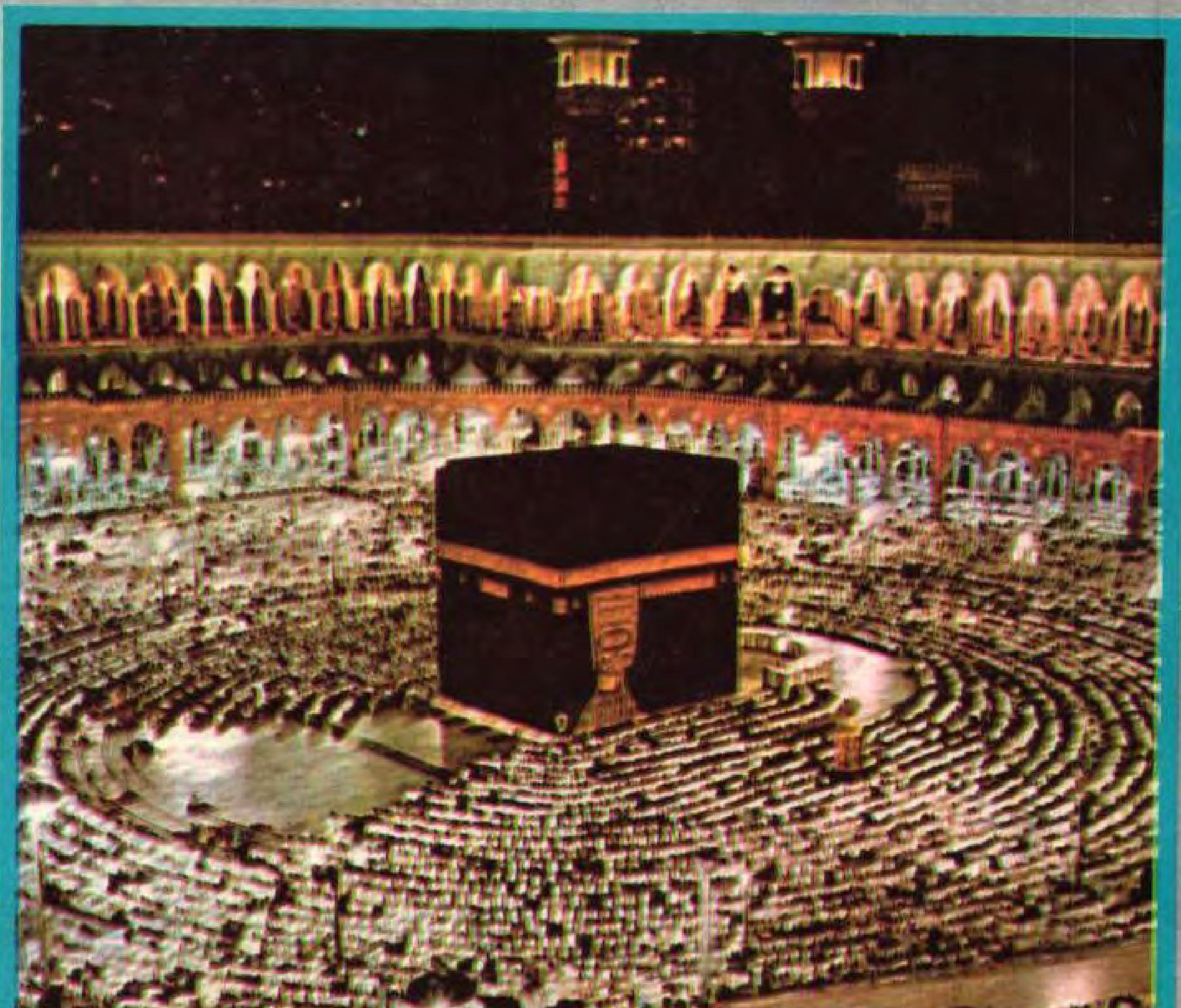
الكويت : وحجاج بيت الله

الوعي الإسلامي

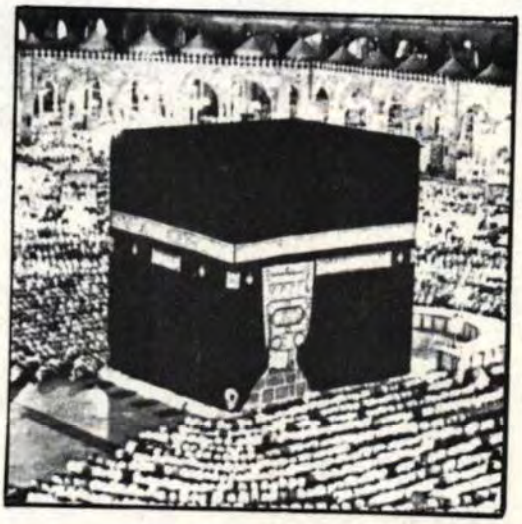
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الحادية عشرة ـ العدد ١٣٢ ـ غرة ذى الحجة ١٣٩٥ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٥ م

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا



اقرأ في هذا العدد



تعليق الغلاف
(واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) .

البقرة/١٢٥

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العدد : ١٣٢

غرة ذى الحجة ١٣٩٥ هـ — ديسمبر ١٩٧٥ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية
« الاوقاف والشئون الاسلامية »
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

عنوان المراسلات :
مجلة الوعى الاسلامى — وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية
« الاوقاف والشئون الاسلامية »
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ / كويت / هاتف : ٤٢٨٩٣٤ / ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الوعي

من أيام الله

نستقبل في مستهل هذا الشهر اياما مباركة ، كريمة على الله ، حبيبة اليه ، هي ايام العشر الاوائل من ذي الحجه . يعرف المسلمون قدرها وفضلها ، ويتنافسون فيها — بصدق واخلاص وتجرد — في العمل الصالح ، والتقرب الى الله ، والتزود بخير الزاد : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الألباب » .

انها ايام تلبية وتضحية وذكر ، يشعر فيها المسلمون بان افئدتهم تهوى الى البيت الحرام ، وابصارهم ترنو الى منازل الوحي ، واسماعهم تصغى الى نداء الحق جل جلاله : « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

ومن تفضيل الله لهذه الأيام ، وحبه اياها ، وتقديره لها ، ان جعل العمل الصالح فيها لا يعدله عمل ، ولا يفوقه شيء ، الا من صدقت نيته ، وصحت شهادته ، وضحى في سبيل الله بكل شيء بالنفس والمال معا . روى الامام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ايام العمل الصالح فيها احب الى الله من هذه الأيام — يعني ايام العشر — قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله .. ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، الا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع بشيء من ذلك .

من هذه الأيام يومان خالدان على مر الزمن ، يمتدان في أعماق التاريخ ، يتجددان كل عام بمشاهد لا تنسى ، ويتجردان من كل الأهواء والمطامع : يوم عرفة ويوم النحر .

يوم عرفة بما فيه من احداث وعبر وذكريات وصور ، ذكريات لا تفنى ، ولكنها تظل في قلب الزمان تتحرك ، فتجدد شبابه ، وتنضر اهابه ، وتمده بالحياة والعزم والأمل .

يوم عرفة ، والالاف واقفة عليه ، مجردة من كل زينة ، محرمة من كل مخيط ، متحررة من قيود الجسم ، خارجة على سلطان الهوى ، زاهدة في كل متاع ، منطلقة من جاذبية الأرض : برءوس ملبدة الشعر ، وعيون متنفخة من البكاء ، ووجوه شاحبة من الهم ، واصوات متهدجة من التأثر : لبيك اللهم لبيك ،

لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

يوم عرفة ، والأحداث التى شهدها هذا الجبل الأشم ورآها ، وحفظها ووعاها ، راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تمت شريعته ، واصبحت صالحة لكل زمان ومكان ، وضمنت لأهلها مستوى رفيعا فى جميع نواحى الحياة ، ما دامت الحياة : فى العقيدة والشريعة ، فى السلم والحرب ، فى العلم والخلق ، فى السياسة والاجتماع ، حتى تحطم الشرك ، وعز الاسلام ، ويئس الشيطان .

فى هذا الجو الرائع ، يتلقى الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه هذه الاشارة الخطيرة ، وهذه اللمسة الأخيرة ، ليعلنها على الملأ للناس والتاريخ والدنيا : ((اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)) .

هذا يوم عرفة ، ويوم آخر هو يوم النحر او عيد الأضحى : تهب فيه على المسلمين ذكريات تحيى فى نفوسهم روعة التضحية ، وعظمة الفداء ، وتذكرهم بخليل الله ابراهيم وصادق الوعد اسماعيل عليهما السلام ، وذلك فى اعظم مشاهد الابتلاء ، وفى اصعب امتحان يمتحن به الناس ، وفى اعقد مشكلة من المشكلات التى لا تخطر على البال .

واى شيء اشق على النفس من ان يطلب من العبد ان يتولى بنفسه ذبح ولده ، وقرة عينه ، وكبده التى تمشي على الأرض ، وبالنسبة للخليل عليه السلام الأمل الذى ظل يراود خياله عشرات السنين حتى تحقق .. ! ولكن الذين اختارهم الله لقيادة الناس ، وهداية البشر ، يتسابقون الى تنفيذ الأوامر برضا وايمان ، بيقين وثقة ، باستسلام وسرور ، يقول الله على لسان اسماعيل : ((يا ابت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين)) .

والاسلام يربط اعياده بالأعمال العظيمة . والبطولات الحقة ، ليبقى الدرس ، وتحيا القيم ، ويظل المعنى يعمل عمله فى القلوب ، معنى يعمق فينا روح التضحية بمعناها الواسع الرفيع :

ان نضحى بالأنانية ، لنستطيع ان نواجه ما يتهدد امتنا من اخطار ومصائب .

ان نضحى بخلافاتنا الشخصية ، لنوقف مطامع العدو الذى يريد ابادتنا .

ان نضحى بمطامعنا ، لنضع حدا للتحديات التى تقوى من حولنا .

ان نضحى بشيء من الراحة والترف ، لنسترد ماء وجوهنا ومقدساتنا .

ان نضحى بانفسنا ، لنورث الأجيال من بعدنا عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وتبقى الأعياد بعد ذلك ، معالم على طريق الحق ، تزيد من وضوحه ، وتبقى قبل ذلك وبعده : ايام ذكر وعمل ، وصلة وصدقة ، وبر ورحمة ، وحب وتزاور ، وصفاء واخلاص .

(التحرير)

من وحي النبوة

الخطبة الجامعة في حجة الوداع

للشيخ احمد البسيونى

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجـــة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة فقال :

« ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهـــد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ·

أوصيكم بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله وأستفتح بالذى هو خير (أما بعد) ،

ايها الناس : اسمعوا مني أبين لكم ، فانى لا أدرى لعلي لا القاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ··

ايها الناس : ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، وأنتم ستلقون ربكم فيسالكم عن أعمالكم ، الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ·· !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها · وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالـــكم قضى الله أنـــكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله انه لا ربا ، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضع ، دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دم الجاهلية · وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية · والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ·

أيها الناس : ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ،

ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ·

أيها الناس : انما النسيء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض · وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد · ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ·

أيها الناس : ان لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فاطعنكم ، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرا ·

أيها الناس : اسمعوا قولى فانى قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه ·

أيها الناس : اسمعوا قولى وا عقلوه : تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال : اللهم اشهد فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض ·

أيها الناس : ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى · ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد قالوا : نعم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب ·

أيها الناس : ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ،

ولا يجوز لوارث وصية ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منـــه صرفا ولا عدلا . والسلام عليكم ورحمة الله » .

أكثر هذه الخطبة فى الصحيح بتقديم بعض الالفاظ وتأخير بعض وفى ارشاد الناسك أنه خرجها مسلم وابو داود وابن ماجه عن جابر مرفوعا .

فى موقف تاريخى خالد ، وفى مشهد مهيب رائع ، وفى يوم من ايام الله المحرمة ، وفى ساحة عرفات المطهرة ، وفى حجة البلاغ أو حجـــة الوداع ، ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء ، وهتف فى الجموع الخاشعة التى تحيط به ، يبلغ الناس وحى الله ، ويلقى اليهم دستور الحياة ، فى آخر لقاء مع أضخم حشد من جموع المؤمنين ، فقد حرص ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على أن يوصيهم وصيته الجامعة ، فلعله لا يلقاهم بعد عامه هذا ! ولعله لا يقف بينهم بعد موقفه هذا ! فنادى فيهم آمرا بالبر والمعروف ، داعيا الى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، ناهيا عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظهم لعلهم يذكرون ، وكان الذين استمعوا لهذه الخطبة الجامعة نحو مائة الف مسلم تجمعوا على شكل مؤتمر موسع ليسمعوا من قائدهم ومعلمهم .

وفى الحق ان الرسول الكريم لم يكن يخطب يومها فوق ناقة ، أو على ظهر بعير ، ولم يكن يقف فى رقعة من الأرض محدودة ، أو بين جموع من الناس معدودة ، وانما كان يخطب من فوق أعلى وأعظم منبر ، تهتز أعواده بأبلغ وأجمع كلمات يلقنها الرسول الضمير الانسانى ، ويصبها فى سمع الزمن ، ويلقيها فى فم الدنيا ، لتطوف أرجاء الأرض هادية داعية الى الحق والى صراط مستقيم .

وكان صلوات الله وسلامه عليه حريصا على أن تصل كلماته الى كل سمع ، وتمس كل قلب ، فكان يستعين برجل من صحابته هو ربيعة ابن أمية بن خلف ، فكان يصرخ فى الناس بقول رسول الله ، حتى تذاع الخطبة فى أرجاء الوادى الفسيح فيقول الرسول له : قل لهم أيها الناس .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكم : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقولون : الشهر الحرام .. أى بلد هذا ؟ فيقولون : البلد الحرام .. أى يوم هذا ؟ فيقولون : يوم الحج الأكبر . فيقول مؤكدا حرمات الله : « ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هـــذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا » .

ولقد جمعت هذه الخطبة الجامعة ، أصول الدين ، وقواعد البر ، ومنهج السلوك ، ونظمت علاقة الانسان بربه ، ونفسه ، والمجتمع الذى يعيش فيه .. انها أعلنت حقوق الانسان قبل أن تعرف دساتير الأرض ما هى حقوق الانسان .. ؟ انها رسمت الطريق ، وأوضحت المعـــالم ،

وبينت حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ! ولم تكن تلــك القيم بعيدة عن أذهان الناس فقد جاء بها القرآن وطبقها الرســـول فى المجتمع المسلم ، ولكن ركز عليها الرسول قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى لتظل ساطعة متوهجة لا تهمل ولا تنسى .

ولنقترب الآن من هذا التراث الغالى ، لنقف مع مبادئه وقفات تكشف لنا من عظمة الاسلام ونبى الاسلام تلك المبادىء هى :

الحمد لله أقوى أسباب القوة ، وأعظم وسائل الاستعانة به والتوكل عليه ، والتوبة من الذنوب ، والتعوذ من شرور النفوس وسيئات العمل ، تخليص من معوقات الخير ، وازاحة للعقبات التى تعترض طريق السائر الى الله ..

الوصية بتقوى الله والحث على طاعته ، وهما عماد الحياة الكريمة ، واقوى العدة على العدو ، واعظم المكيده فى الحرب **(يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)** محمد/٧ ويقول صلى الله عليـــه وسلم : « ان الله عز وجل يغار ، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حـــرم الله عليه » رواه البخارى ومسلم .

حث الناس على ان يتدبروا ما يلقى اليهم ، وأن يعقلوه ، ويفتحوا له قلوبهم وعقولهم ، فقد أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم أنه قد لا يلقاهم بعد عامه هذا وفى موقفه هذا ، مما يجذب انتباههم ، ويوقظ وعيهم ، حتى يستوعبوا النصيحة ويحرصوا عليها اشد الحرص ، فلقد أحس صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله فاحب ألا يلقى ربه الا وقد أدى حق البلاغ لهذه الأمة الكريمة التى صنعها على عين الله حتى تمتد بها مسيرتها الحضارية على صراط الله العزيز الحميد .

حرمة الدماء والأموال ، فكل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ، ولقد نهى الاسلام أشد النهى عن قتل النفس بغير حق وجعــل جزاء القاتل الخلود فى النار قال تعالى : **(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)** النساء/٩٣ والقتل جريمة نكراء ، يهتز لها العرش ،وتضطرب منها الدنيا ففى الحديث الشريف : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مســـلم » رواه النسائى والترمذى والقاتل لا حظ له من رحمة الله ومغفرته : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » رواه البخــــارى وأبو داود « كل ذنب عسى الله أن يغفره الا من مات مشركا أو مؤمن قتل مؤمنا متعمدا » رواه أبو داود والنسائى . والدماء ، أول قضية يفصل فيها القضاء ، بين يدى رب الأرض والسماء يقول صلى الله عليه وسلم : « أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة فى الدماء » رواه الخمســـة الا أبو داود .

وكما حرم الاسلام قتل النفس بغير حق ، حرم أيضا اغتصـــاب الحقوق ، واكل أموال الناس بالباطل . قال تعالى :

(يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة

عن تراض منكم) النساء/٢٩ .

وفى الحديث الذى رواه الشيخان : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » ويقول عليه الصلاة والسلام : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال : وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ فقال : « وان كان قضيبا من أراك » رواه مسلم ! وبهذا اعلن الرسول الكريم قداسة الحقوق الانسـانية ، وارسى دعائم أروع حضارة عرفها التاريخ ..

لقاء الله والسؤال عن الأعمال يوم القيامة ، مما يدعو الى محاسبة النفس ، والاستعداد للعرض على الله ، والاقبال على الطاعة ، ومجانبة السـيئات **(يأيهـا الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد)** الحشر/١٨ .. **(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصـاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد)** المجادلة/٦ وفى الحـديث الشريف : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما انفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » رواه الترمذى .

تبليغ الرسالة والاشهاد على ذلك من الله ومن الحاضرين وفى احدى الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا قال : الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد كان يشير بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الـى الناس أى يردها اليهم ، ليؤكد هذه الشهادة وانه بلغ الرسالة وأدى الأمانة **(يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)** ٦٧ : المائدة .

وجوب اداء الأمانة وهى كل واجب على الانسان نحو ربه أو نفسه أو الناس ، وتشمل كل نعمة انعم الله بها على عبده ، فعليه أن يحسن استعمالها فى مرضاة الله .. انها الدين كله **(ان الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل)** النساء/٥٨ وعن أنس رضي الله عنه قال : « ما خطبنا رسول الله الا قال : لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » رواه أحمد .

اهدار الربا والثأر وهما من أسباب الدمار ، واضطراب الأمن ، وقد حرم الله الربا بجميع صوره **(واحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة/٢٧٥ **(يمحق الله الربا ويربى الصدقات)** البقرة/٢٧٦ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله » رواه مسلم . زاد الترمذى وغيره « وشاهديه وكاتبه » . والأخذ بالثأر يفضي الى الاخلال بالأمن ، ويؤدى الى الفوضى فى القصـاص ، حيث يترتب عليه قتل الأبرياء ، وقد قال تعالى : **(ولكم فى القصاص حيـاة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)** البقرة/١٧٩ .

وكل من حرض على الأخذ بالثأر ، أو اعان على القتل بالارشاد أو احضار آلة القتل ، أو التستر على القاتل ، فحكمه حكم القاتل فى القصاص فى الدنيا ، والعقاب فى الآخرة ، يقول صلى الله عليه وسلم : « لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن ، لأكبهم الله فى النار »

رواه الترمذى . وقد اهدر الرسول صلى الله عليه وسلم ربا عمه ودم ابن عمه لأن ذلك أدعى الى امتثال أمره حيث بدأ بنفسه وأهله فى تطبيق مبادىء الاسلام وهكذا كان الأنبياء جميعا ، يسبقون الناس الى امتثال ما يأمرون به ، واجتناب ما ينهون عنه يقول شعيب عليه الصلاة والسلام : **(وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)** هود/٨٨ .

وهكذا أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله أى مردود وباطل وكان العباس من أغنى التجار واوفرهم مالا واوسعهم تجارة ، كما أخبر أن كل دم فى الجاهلية موضوع ، وأن أول دم يضع ، دم ابن عمه عامر بن ربيعة فقد كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل وهو صغير يحبو أمام البيوت وهى فى حرب مع بنى سعد ، أصابه حجر فقتله ، أو أصابه سهم لا يعرف راميه فقتل .

القضاء على مآثر الجاهلية : أعلن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان مآثر الجاهلية موضوعة وهى المآثر الضارة فقد جاء فى رواية اخرى : « الا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع » أى لا قيمة له كالشيء الذى يداس عليه وذلك كالعدوى والطيرة والهامة وصفر .. الخ . اما المآثر النافعة ، فقد أقرها الاسلام وحافظ عليها ، وذلك مثل السدانة وهى خدمة الكعبة ، والسقاية والمراد بها سقاية الحاج .

حكم القتل العمد والخطأ : فالعمد ان يقصد من يعلمه آدميا معصوما فيقتله بما يغلب على الظن موته به وفيه القود وهو القصاص ويجوز لولى الجناية قبول الدية . والخطأ أن يفعل ما يجوز له فعله مثل أن يرمى ما يظنه صيدا أو يرمى غرضا فيصيب آدميا لم يقصده بالقتل وحكمه كما قال الله تعالى : **(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا)** النساء/٩٢ .

وشبه العمد أن يقصده بما لا يقتل غالبا كمن ضرب غيره بسوط او عصا أو حجر صغير أو لكزه فى غير مقتل . وفيه الدية وهى مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ، وتدفع الدية من نوع ما يملكه دافعها لحديث أبى داود عن جابر : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدية على أهل الابل مائة من الابل وعلى أهل البقر مائتى بقرة وعلى أهل الشاء الفى شاة » .

انتهاء عبادة الشيطان بأرض الوحى : فقد دالت دولة الوثنية بظهور الاسلام، وبطل عمل الشيطان فى دعوة الناس الى طاعته ، ولم يبق أمام الشيطان الا امور قد يستسهلها الناس وهى خطيرة ، وهى التحريض على الشقاق ، والقاء الفتنة لبث الخلاف فى صفوف الموحدين فعليهم أن يحذروه **(يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)** البقرة/٢٠٨ . وعليهم ان يعتصموا بالله وأن يستمسكوا

بالوحدة فهى قوة وعزة (**واعتصـــموا بحبل الله جميعـــا ولا تفرقوا)** آل عمران/١٠٣ . الا ما اكثر قوى الشر وعملاء الشيطان التى تتربص بالمسلمين الدوائر ، تريد أن تحطم دينهم وتقوض حضارتهم ، فعلينا أن نسد الطريق على مؤامرات الأعداء ولا نجعل للشيطان مكانا بيننا .

تحريم التلاعب بالأشهر الحرم : ووجوب احترام الزمن ، بأن يكون على هيئة يوم خلق الله السموات والأرض . وقد حرم الله النسيء وهو تأخير حرمة شهر الى شهر آخر وذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها ، وكانوا يعتبرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الاشهر المعلومة . والنسيء زيادة فى الكفر أى كفر آخر ضموه الى كفرهم ليواطئوا أى يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة .

حقوق النساء وواجباتهن ، وتأديبهن عند النشوز ، والوصية بهن لضعفهن : وفى تقرير هذه الحقوق والواجبات بين الزوجين حفظ لـــكيان الأسرة ، والأسرة لبنة فى بناء المجتمع ، يقوى بقوتها ، ويضعف بضعفها ، فعـــلى المرأة أن تطيع زوجها ، وتحافظ على ماله وعرضه ، فلا تدخل بيته أحدا الا باذنه ، وأن تلبس لباس العفة وتصون نفسها عن مواطن الشبهات فان خالفت هذا المنهج الاسلامى فقد أذن الله فى تأديبها وذلك بالهجر فى المضجع أو ضربها ضربا غير مبرح أى غير مؤثر ولا شاق ، وان أطاعت فلها حقها بتوفير ما تحتـــاجه من طعام وكسوة ونفقــــة بالمعروف .. واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عوان عندكم .. أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمه الله فاتقوا الله فى النساء ، وبذلك اكد الرسول الكريم حقوق المرأة ، ورد عليها كرامتها ، لأنها لقيت من قبله ضروبا من العنت وألوانا من المهانة .. !

ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ترك فينا كتـــاب الله وسنة نبيه ، محجة بيضاء ، وأمرا بينا ، وصراطا مستقيما لا يزيغ عنه الا هالك (**اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**) الفاتحة/٦ و ٧ .

المسلم أخو المسلم : فلا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، ولا يأخذ منه شيئا الا عن طيب نفس . يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيـــع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المســـلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره التقوى ههنا ــ ويشير الى صدره ثلاث مرات ــ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المســـلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم . وبهذا أعلن رسول الاســـلام الحقوق الانسانية المقدسة قبل أن تولد المنظمات الدولية .

خطر الانتكاس والعودة الى الكفر بالتناحر والتضارب : تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة واحدة ، ولكن مؤامرات الأعداء ، ودسائس الاستعمار تعمل على التفريق بيننا ، جريا على دستورهم « فرق تسد »

والرسول الكريم يحذرنا من أن نعود بعده متباعدين يضرب بعضنا رقاب بعض فاجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف هما الوسيلة لبقاء الأمة وحفظ كيانها ، والاختلاف طريق الضعف والانهيار يقول صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » رواه الترمذى . ويقول : « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية » رواه البخارى .

وحدانية الألوهية ، ووحدة الأصل لجميع الناس :

ان للناس ربا واحدا ، وهم مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأوطانهم يرجعون فى النهاية الى أصل واحد هو آدم أبو البشر وآدم من تراب وهذا يدعو الناس الى ان يعيشوا على هذه الأرض اخوة متعاونين لا متعادين ، لا تفاضل بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح **(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله عليم خبير)** الحجرات/١٣ .

تحديد المواريث وحكم الوصية :

بين الرسول الكريم أن الله تعالى قسم لكل وارث نصيبه من الميراث **(فريضة من الله أن الله كان عليما حكيما)** النساء/١١ ولقد بينت الآيات من أول سوره النساء نصيب كل مستحق فى الميراث ، وقد فرض الاسلام العمل بهذه الأنصباء المقرره فى كتاب الله وسنه الرسول يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله تعالى » رواه مسلم وأبو داود . وتفضيل بعض الأولاد على بعض ، واعطاء الذكور دون الاناث ، تفرقة ظالمة ، وتصرف حرام ، لأنه مدعاه للعداوة والحقد الدائمين وقد قال صلى الله عليه وسلم : « سووا بين أولادكم فى العطية ولو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء » رواه الطبرانى والبيهقى . وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : انطلق بى أبى يحملنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، اشهد أنى قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالى فقال : « أكل بنيك قد نحلت مثل هذا ؟ » قال : لا ، قال : « فاشهد على هذا غيرى » ! ثم قال : « أيسرك أن يكونوا اليك فى البر سواء » ؟ قال : بلى ، قال : « فلا اذا » وفى رواية ــ « اتقوا الله وأعدلوا فى أولادكم » رواه الخمسة .

وبين الرسول أيضا أنه لا وصية لوارث ، وهذا محمول على عدم اجازة الورثة ذلك ، أما اذا أجاز باقى الورثة العصبة فهى صحيحة ، لحديث الدارقطنى « لا وصية لوارث الا أن يجيز الورثة » والجمهور على هذا ، وقال بعضهم : لا تصح وان اجاز باقيهم ، لأن المنع فيها حق الشرع فلا يملكونه .. ولا تجوز وصية لغير وارث فى أكثر من الثلث لقول النبى

صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص : « الثلث والثلث كثير انك أن تدع ورثتك اغنياء ، خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » رواه مسلم وابو داود والنسائى . أى أن المشروع فى الوصية الثلث وهو كثير ، بل النقص عنه مطلوب ، فان ترك الورثة اغنياء ، خير من تركهم فقـــراء يسألون الناس ويمدون أكفهم اليهم يطلبون الصدقة .. !

حكم ولد الزنا ولمن ينسب .. ؟

الزنا جريمة بشعة ، وفاحشة من أكبر الكبائر : **(ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا)** الاسراء/٣١ . وحكم الزانى المحصن الرجم حتى الموت ، وغير المحصن جلد مائة وتغريب عام أى نفيه . والثمرة المحرمة الناتجة عن جريمة الزنا ، لا تنسب الى الزانى ، وانما ينسب الولد لأمه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » أى ولد الزنا لأمه وللعاهر أى الزانى الحجر أى الخيبة والحرمان فلا شيء له ، والعرب تقول فى ذلك : له الحجر ، وبفيه التراب أى لا شيء له !

الانتساب الى غير نسب صحيح أو الى موالى غير حقيقيين موجب للعنة الله تعالى :

الاسلام يحافظ على صحة الأنساب ويأمر بمراعاتها فعلى الأنساب تقوم القرابة ، وتترتب أحكام كثيرة ، فى النكاح والميراث وغير ذلك ، وضياع الأنساب أو اختلاطها يؤدى الى الفوضى ويفضي الى ضـــياع الحقوق . فان الشرع يفرض الحاق كل مولود بأبيه **(أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)** الأحزاب/٥ . أنه عدل للوالد الذى نشأ الولد منه وعدل للولد الذى يحمل اسم ابيه وخصائصه وخصائص آبائه وأجداده وعـــدل للحق فى ذاته الذى يضع كل شيء فى مكانه . ويفرض الشرع ايضـــا احترام الولاء ، ويوجب الحاق كل معتق بمولاه ، والولاء شرعا : عصوبة سببها نعمة المعتق على عتيقه ويرث به المعتق وعصبته المتعصبون بأنفسهم ففى الحديث الشريف : « الولاء لمن أعطى الورق وولى النعمة » رواه الخمسة . أى الولاء لمن دفع الورق وهى الدراهم المضروبة ، واشترى بها الرقيق وأولاه نعمة الاعتاق . فمن ادعى الى غير ابيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وبعد ،

ففى هذه المبادىء العشرين التى تضمنتها الخطبة الجامعة فى حجة الوداع ، ما يوضح الحقوق والواجبات ، وما يرسم منهاج الســلوك الصحيح ، ويضع أساس الحياة الكريمة ، مما لو عمل به المسلمون لكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

تفسير سورة الأنعام

للأستاذ مناع القطان

تقـديم :

سورة الأنعام سورة مكية ، ومع أنها من السـور الطوال فان الروايات ترجع أنها نزلت جملة واحدة ، وان ذكرت روايات أخـرى ان بعض آياتها مدنية .

والقرآن المكى يعالج قضية العقيدة ــ عقيدة التوحيد ــ التى بعث بها رسل الله جميعا ، وبعث بها رسولنا صلى الله عليه وسلم ، واستمر الوحى يتنزل عليه ثلاثة عشر عاما كاملة لعلاج هذه القضية ، لأنهـا الأساس الذى يقوم عليه الدين ، فى معاملاته وتشريعاته ونظمه واحكامه، وما لم تستقر العقيدة فى النفس فانها لا تقبل التشريع أما اذا استقرت هذه العقيدة ورسخت فان الحياة كلها بجوانبها المختلفة تنبثق منها ، فى العبادة والتشريع والخلق والسلوك ، فى حياة الفرد وحياة الجـماعة والدولة .

وسورة الأنعام تعالج هذه القضية فى كل جانب بأساليب شـتى وطرائق متعددة تقيم براهين الفطرة وبراهين العقل التى تدعم عقيـدة التوحيد توحيد الالوهية وتوحيد العبادة وآياتها الاولى تواجه الـكافرين ببراهين الخلق والايجاد **(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون . وهو الله فى السموات وفى الأرض)** الأنعام/١ ــ ٣ . وتنذرهم بمصير الغابرين ، وترد عليهم فى مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يثبت بشرية الرسل ويؤكد وحدانية الله القاهر فوق عباده . وهو الحكيم الخبير .

ثم تتناول الآيات مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، ويواجه فيـه المشركون الحق الذى انكروه فى الدنيا ، ويقفون على النار التى كذبوا بها ــ ويتمنون ان لو ردوا الى الحياة مرة اخرى حتى لا يكذبوا بآيات ربهم ، وهيهات لهم ذلك : **(ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنـا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين)** الأنعام/٢٧ .

وتتوالى مواقف محاجة المكذبين فيما أمر الله به نبيه أن يقـرع مسامعهم به لاقامة الحجة عليهم . وتبصيرهم بحقيقة أنفسهم ، والمقارنة بين مصيرهم ومصير المؤمنين وفى ثنايا ذلك تأتى آيات الله التى تثبت ما له جل شأنه من قدرة وقهر . وما يكون عليه شأنهم فى نهـاية الأمر : **(ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو أسرع الحاسـبين)** الأنعام/٦٢ .

ويذكر الله تعالى قصة ابراهيم عليه السلام . وكيف استدرج قومه فى منطق سليم لينتزعهم من براثن الشرك الى حمى التوحيد . ويتوالى موكب الهداية والنور فى تتابع الأنبياء من ذريته حتى جاء الكتاب المصدق لما سبقه : **(وهـــذا كتاب انزلناه مبارك مصــــــدق الذى بين يديه ..)** الأنعام/٩٢ .

ويعود الحديث الى آيات الابداع فيه بما يقطع بوحدانية الله الذى انشأ وابدع فهو فالق الحب والنوى وهو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى . وهو الذى انشأ البشرية من نفس واحدة وانزل من السماء ماء فأخرج به نبات كل شيء . وجعل من ذلك المتشابه وغير المتشابه **(ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل)** الأنعام/١٠٢ .

ولا تتحقق العبودية لله وحده الا اذا كان مرد كل شيء اليه ، فهو الخالق الرزاق المالك ، صاحب القدرة والسلطان فيجب أن تخضـــــع البشرية فى كل شئونها لشرعه . فعلام يجعل المشركون من الحــــرث والأنعام لشركائهم نصيبا ؟ ويجعلون لله نصيبا ؟ ويحلون بعضا ويحرمون آخر ؟ والتحليل والتحريم من خصائص الالوهية ولن يستقيم الناس على توحيد الله الا اذا اتبعوا صراطه المستقيم وتجردوا لله حنفاء فى كل أمر من أمور حيــــــاتهم ، وهذا هو أمر الله لنبيه : **(قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وانا أول المسلمين)** الأنعام/١٦١ ـــ ١٦٣ .

وهكذا تمثل سورة الأنعام وحدة متكاملة حيث تعالج قضية العقيدة وحقيقة الالوهية فى بيـــان واضح ومحاجة قوية وحجج مقنعة ، ولــذا استنبط العلماء منها قواعد التوحيد واعتبروها اصلا من اصوله . ومن هذا التصور العام لمجمل السورة ننتقل الى الحديث عن بعض آياتها يقول الحق تبارك وتعالى :

(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون . وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون.وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين . فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون.الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين.ولو نزلنا عليك كتــابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين.وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون.ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون.قل ســيروا فى

الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الآيات من ١ ـ ١١ .

اولا ـ نزول السورة :

اخرج ابو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال « أنزلت سورة الأنعام بمكة » .

واخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد » وقال الثعلبى : سورة الأنعام مكية الا ست آيات نزلت بالمدينة وهى : **(وما قدروا الله حق قدره)** الى آخر ثلاث آيات و : **(قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم)** الى آخر ثلاثآيات، واخرجالحاكم ـ وقال صحيحعلى شرط مسلم ـ والاسماعيلى فى معجمه والبيهقى عن جابر قال : لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق » .

واخرج ابن ابى حاتم عن على ان هذه الآية ، اعنى « الحمد لله » الى قوله **(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)** نزلت فى اهل الكتاب .

واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال « نزلت هذه الآية فى الزنادقة » .

واخرج ابن المنذر وابن ابى حاتم عن محمد بن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه الى الاسلام قال قوم : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث الناس فأنزل الله : **(وقالوا لولا انزل عليه ملك)** .

واخرج ابن المنذر وابن ابى حاتم عن محمد بن اسحاق قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى بالوليد بنالمغيرة وامية ابن خلف وابى جهل بن هشام فهمزوه واستهزءوا به فغاظه ذلك فأنزل الله :

(ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) .

ثانيا ـ المباحث اللغوية :

١ ـ « الحمد لله » الحمد قرين المدح وهو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها كالفضيلة الشخصية ، تقول حمدت الرجل على انفاقه وبذله وانعامه وحمدته على حسبه وشجاعته اما الشكر فانه يكون على النعمة خاصة ، وعلى هذا فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح والحمد يكون باللسان وحده والحمد مبتدأ ، والجار والمجرور بعده خبر ، وال فى الحمد لبيان الحقيقة اى ان حقيقة الحمد لا يستحقها الا الله الذى يستحق جميع المحامد . فانه المتصف بكل كمال المتفضل على خلقه بالآلاء والنعم .

(الذى خلق السموات والأرض) . اصل الخلق : التقدير المستقيم ، ويستعمل فى ابداع الشيء من غير اصل . كما فى قوله تعالى : **(خلق السموات والأرض)** اى أبدعهما وهذا بيان لايجاب حمده تعالى على كل موجود ، فان من أبدع ذلك هو الحقيق بافراده بالثناء وجمع السموات لتعدد طبقاتها ولم تأت الأرض فى القرآن الا مفردة . ولما أريد جمعها جمعت فى صورة من الروعة ليس لها مثال كقوله تعالى : **(الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن)** الطلاق/١٢ ولم يقل سبحانه وسبع أرضين لما فى ذلك من الخشونة واختلال النظم .

(وجعل الظلمات والنور) معطوف على **(خلق)** وجعلَ هنا بمعنى اوجد . فيتعدى الى مفعول واحد . واختلف العلماء فى المراد بالظلمات والنور . فقيل : الظلمات سواد الليل — والنور : ضياء النهار — وقيل : الظلمات : الكفر، والنور : الايمان والأولى حمل الآية على العموم ، فالظلمات تشمل كل ما يطلق عليه اسم الظلمة والنور يشمل كل ما يطلق عليه اسم النور ، فيدخل تحت ذلك ظلمة الكفر ونور الايمان — وافراد النور وجمع الظلمات لأن طريق الحق واحدة وطرق الباطل متشعبة متعددة .

(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) استبعاد لما صنعه الكفار من اتخاذهم شريكا لله بعد وضوح ما ذكر من افعاله وآياته التى تستوجب قصر الحمد والعبادة عليه وحده والعدل والعدالة والمعادلة : لفظ يقتضي معنى المساواة . وقوله تعالى : **(بربهم يعدلون)** اى يجعلون له عديلاً باتخاذهم شريكا له .

٢ — **(وهو الذى خلقكم من طين)** بيان لبطلان كفرهم بالبعث بعد بيان بطلان اشراكهم به تعالى . والمراد خلق آدم وتوجيه الخطاب الى الجميع لأنهم ولده ونسله ، فان آدم ابو البشر .

(ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده) القضاء : فصل الأمر ويعبر به عن الموت فيقال : فلان قضى نحبه ومنه قوله تعالى : **(ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده)** كأنه فصل أمره المختص به من دنياه . واختلفوا فى تفسير الأجلين بالآية ، فقيل : **(ثم قضى اجلا)** يعنى الموت **(واجل مسمى عنده)** يعنى القيامة وقريب منه من قال : ما بين أن يخلق الى أن يموت والثانى : ما بين أن يموت الى أن يبعث . وقيل الأول : مدة الدنيا والثانى : عمر الانسان الى حين موته والأجل : المدة المضروبة للشيء . ويقال للمدة المضروبة لحياة الانسان أجل وكون الأجل المسمى عنده تعالى اى انه مثبت معين عنده لا يعلمه الا هو تعالى : **(ثم انتم تمترون)** استبعاد واستنكار لشكهم فى البعث اى كيف تشكون فى البعث ؟ فان الذى خلقكم من طين وصيركم أحياء تدركون وتعقلون ثم سلب ذلك عنكم فصرتم أمواتا لا يعجزه أن يبعثكم ويعيد هذه الأجسام كما كانت ويرد اليها الأرواح التى فارقتها بقدرته تعالى واصل المرية : التردد فى الأمر والامتراء والمجاراة : المحاجة فيما فيه مرية .

٣ — **(وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم)** اى

يعبده ويوحده ويقر له بالالهية من فى السموات ومن فى الأرض كقوله تعالى : **(وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله)** وقوله **(يعلم سركم وجهركم)** خبر بعد خبر او حال . وقيل المعنى : وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض واختار ابن جرير أن يكون المعنى : هو الله فى السموات ويعلم سركم وجهركم فى الارض اى أن قوله : **(وهو الله فى السموات)** وقف تام ثم استأنف بقوله : **(وفى الأرض يعلم سركم وجهركم)** .

(ويعلم ما تكسبون) اى ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الأعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق . لاظهار الاعتناء بها ، لأنها التى يتعلق بها الجزاء ، ولذا اعيد لفظ (يعلم) .

٤ ــ **(وما تاتيهم من آية من آيات ربهم)** الآية العلامة القائمة على الشيء والآية كذلك الجملة من كلام الله المندرجة فى سورة من القرآن . وهذا الكلام مستأنف لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها والمراد بالآيات فى الآية : الآيات الكونية التى تشمل المعجزات وغيرها من شواهد وحدانيته تعالى فى خلقه او الآيات القرآنية واتيانها نزولهما (ومن) الاولى (من آية) لمزيدة للاستغراق و (من) الثانية (من آيات ربهم) تبعيضية اى وما تأتيهم آية من الآيات التى هى بعض آيات ربهم الكونية او القرآنية الا كانوا عنها معرضين . والعرض : الجانب واعرض عنه : معناه ولى مبديا عرضه .

٥ ــ **(فقد كذبوا بالحق لما جاءهم)** المراد بالحق هنا : القرآن الكريم وقيل محمد صلى الله عليه وسلم ، و (لما) حينية اى فى وقت مجيئه .

(فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون) الأنباء الأخبار جمع نبأ : وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة اى اخبار الشيء الذى كانوا به يستهزئون وهو القرآن او محمد صلى الله عليه وسلم اى سيعرفون أن الشيء الذى استهزءوا به ليس بموضع للاستهزاء وذلك عند ارسال عذاب الله عليهم .

٦ ــ **(ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن)** كلام مستأنف لبيان ما قبله فى اخبار الأمم السابقة المكذبة وما لحقها من عقوبة الله . و (كم) استفهامية او خبرية واصل القرن : الاقتران كالازدواج والقرن : القوم المقترنون فى زمن واحد، ويستعمل القرن فى المدة من الزمان وغلب ذلك على مائة سنة . ورأى هنا : بمعنى عرف اى الم يعرفوا بسماع الأخبار ومعاينة الآثار كم اهلكنا من قبلهم من الامم الموجودة فى عصر بعد عصر لتكذيبهم انبياءهم ؟ والاستفهام لتقرير معرفتكم يعنى أنهم يعرفون ذلك ولا يعتبرون .

(مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم) تمكين الشيء : جعله مستقرا فى مكان ويعبر بالتمكين فى الأرض عن الاستقرار فيها والسيطرة عليها والخطاب فى الآية لاهل مكة والمعنى . انا اعطينا الأمم السابقة من السيادة والسلطان ما لم نعطكم يا اهل مكة وقد اهلكناهم بتكذيبهم فأهلاككم وانتم دونهم اولى واقرب .

(وارسلنا السماء عليهم مدرارا) السماء فى اللغة كل ما علاك . والمراد هنا المطر لأنه ينزل من جهة السماء أو من السحاب . **والمدرار** : صيغة مبالغة تدل على الكثرة من در اللبن ، اذا اقبل على الحالب بكثرة . **ومدرارا** : منصوب على الحال .

(وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) الانهار : جمع نهر والنهر : مجرى الماء الفائض والنهر كذلك السعة تشبيها بنهر الماء وجريان الانهار من تحتهم . يعنى من تحت أشجارهم ومنازلهم . وذلك كناية عن السعة اى أن الله وسع عليهم النعم بعد التمكين لهم فى الأرض فكفروها ، فأهلكهم الله بذنوبهم : **(وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين)** اى يوجد بعد اهلاكهم امة أخرى فهلاك الأمم الكثيرة لا ينقص من ملكه تعالى شيئا فكلما أهلك امة انشأ بدلها اخرى .

٧ ــ **(ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس)** الكتاب : مصدر بمعنى الكتابة والقرطاس : مما يكتب فيه . (فلمسوه بايديهم) حتى يجتمع لهم ادراك الحاسيتين : حاسة البصر وحاسة اللمس بحيث لم يبق لهم فى شأنه اشتباه .

(لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) ان : نافية بمعنى ما اى ما هذا الا سحر مبين . وانما يقولون ذلك تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وفى هذا بيان لشدة صلابتهم فى الكفر فانه اذا كان هذا حالهم فى المرئى المحسوس فكيف فيما هو وحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة ملك لا يرونه ولا يحسونه .

٨ ــ **(وقالوا لولا انزل عليه ملك)** لولا : بمعنى هلا اى قالوا : هلا أنزل الله عليه ملكا نراه ويكلمنا أنه نبى كقولهم : **(لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا)** .

(لقضى الأمر) قضاء الامر يأتى للتنبيه على انه صار بحيث لا يمكن تلافيه والمراد به أمر هلاكهم اى لأهلكناهم اذا لم يؤمنوا عند نزوله . لأنهم بهذا يستحقون المعالجة بالعقوبة ــ وقيل المعنى : ان الله تعالى لو أنزل ملكا مشاهدا لم تطق قواهم البشرية أن يبقوا بعد مشاهدته احياء فلا يكون التكليف الشرعى للعباد .

(ثم لا ينظرون) من النظر بمعنى الانتظار يقال نظرته وانتظرته وانظرته أى أخرته فقوله (ثم لا ينظرون) اى لا يمهلون بعد نزوله ولا يؤخرون .

٩ ــ **(ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا)** اى لو جعلنا الرسول الى النبى ملكا لجعلنا ذلك الملك رجلا اى فى صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر الى الملك على صورته الحقيقية ولا يمكنهم مخاطبته والانتفاع به والأخذ عنه الا اذا كان على هيئة رجل . حتى يسكنوا اليه ويأنسوا به .

(وللبسنا عليهم ما يلبسون) اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم واصل اللبس التستر بالثوب ونحوه ثم استعمل فى الستر والخلط فى المعانى يقال لبست عليه امره وذلك لأنهم اذا رأوه فى صورة

انسان قالوا هذا انسان وليس بملك فان استدل لهم بأنه ملك كذبوه .

١٠ ــ **(ولقد استهزىء برسل من قبلك)** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه .

(فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) يقال حاق به : اذا نزل واحاط به ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والمكروه . والمراد بمن وقع عليهم السخرية : الرسل الذين استهزءوا بهم ، اى ان الله ينزل بأولئك المستهزئين بالرسل الساخرين منهم وبال استهزائهم .

١١ ــ **(قل سيروا فى الارض)** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، اى قل لهم يا محمد سيروا فى الأرض : **(ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** حيث استأصلهم الله وأهلكهم فتركوا ديارهم خربة تعبر عن آثار تكذيبهم . فأنتم بهم لاحقون .

ثالثا ــ ما يستفاد من الآيات :

١ ــ من براهين القرآن فى اثبات وحدانية الله تعالى برهان الخلق والابداع ، وذلك بمخاطبة العقل البشرى بما يقربه ويدركه . فان هذا الوجود الكونى وما فيه من ظواهر كالظلمات والنور على هذا النظام المحكم البديع يواجه الفطرة البشرية بالحق ويوقع فيها اليقين بوحدانية الله . ولقد كان مشركو العرب يقرون بوجود الله وبأنه الخالق الرزاق كما حكى القرآن الكريم عنهم ولكنهم لا يتوجهون اليه وحده بالطاعة فيعدلون به ويجعلون له نظيرا فى العبادة والقرآن الكريم يواجههم بهذا الاستدلال فى صورة التقرير لا فى صورة الجدل فان الذى خلق الكون وأبدعه هو الذى يتصف بالوحدانية ويتفرد بالعبادة .

وهذا البرهان كما يواجه به المشركون يواجه به الملحدون الذين يقولون أن الحياة مادة ولا شيء وراء ذلك . فانه لا يتصور هذا الوجود الكونى دون خالق مدبر له فكيف اذا كان هذا الوجود محكما دقيقا .. ؟ انه لا بد حينئذ من ارادة مدبرة مختارة هى التى تصنع ذلك ، وتلك هى ارادة الله تعالى : **(الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)** .

٢ ــ ومنهج القرآن فى اثبات حقيقة البعث وامكانه عقلا هو الاستدلال على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى فان الذى خلقهم ابتداء منذ النشأة الأولى فى خلق آدم يبعثهم بعد الموت للحساب والجزاء : **(هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون)** .

٣ ــ يدل قوله تعالى : **(وهو الله فى السموات وفى الارض)** الآية على أحد اوجه التفسير وهو الوجه الذى اختاره ابن جرير ــ يدل على اثبات صفة العلو لله وانه ــ جل شأنه ــ مستو على عرشه فوق جميع خلقه . مع أنه يعلم سر اهل الارض وجهرهم ، لا يخفى عليه شيء من امرهم، ويشهد لهذا قوله : **(ءأنتم من فى السماء)** وقوله تعالى : **(الرحمن**

على العرش استوى) وقوله : **(وهو معكم اينما كنتم)** .

وما يزعمه الجهمية من ان الله تعالى فى كل مكان مستدلين بهذه الآية على انه فى الارض فانه جهل بالله تعالى لان جميع الأمكنة الموجودة احقر واصغر من ان يحل فى شيء منها رب السموات والأرض الذى هو اعظم من كل شيء واعلى من كل شيء محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء فالسموات والأرض فى يده جل وعلا اصغر من حبة خردل فى يد احدنا وله المثل الأعلى فلو كانت حبة خردل فى يد رجل فهل يمكن ان يقال : انه حال فيها او فى كل جزء من اجزائها ؟ لا وكلا هى اصغر واحقر من ذلك .

٤ ــ يسوق الله تعالى فى القرآن الكريم احوال الأمم السابقة التى كذبت رسلها وما لحقها ونزل بها من هلاك ودمار ليأخذ الناس من ذلك العبرة فانه تعالى لا يعجزه ان يهلك اى امة ويستبدل بها امة اخرى : **(الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن ..)** فما اهون المكذبين على الله ، وكما كان هلاك الأمم بذنوبها واستخلاف غيرها بعقوبة عاجلة . فانه يكون بالانحلال البطىء والانهيار الأخلاقى الذى يضعف كيان الأمة ثم يذهب بها ثم يجعلها اثرا بعد عين .

٥ ــ يحول العناد واللجاج والمكابرة دون الانتفاع بآيات الايمان وبراهين الحق التى لا تختلف فيها العقول وهذا هو موقف الاصرار لدى الكافرين **(ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين)** .

٦ ــ من صفات الرسل انهم بشر فقد جرت حكمته تعالى ان يكون الرسول من نوع المرسل اليهم حتى يألفهم ويألفوه ويانس بهم ويانسوا به . وهذا هو الذى يحقق انتفاع الناس برسل الله وكلما كان الرسول ــ وكذلك الداعية ــ بصيرا بأحوال الناس قريبا منهم ، كان ذلك اجدى نفعا واكثر فائدة والا نفروا منه ، وحرموا الانتفاع به : **(وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)** ويقول تعالى فى الآية الاخرى : **(وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا . قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)** الاسراء/٩٤ و ٩٥ .

٧ ــ ليس الاعراض والتكذيب والاستهزاء بدعا فى حياة الرسل ولا فى تاريخ الدعوة الى الحق فكم من قوم كذبوا رسلهم واستهزءوا بهم . ولكن النتيجة التى ينتهى اليها امر هؤلاء واولئك ان يلقى المستهزءون مصارعهم فى الدنيا وعقوبتهم فى الآخرة . وان ينصر الله رسله ويجزل لهم الثواب وفى ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأتباعه الذين يقتدون به فى الدعوة : **(ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون)** الأنعام/١٠ .

الحج

تنفيذ ميثاق وطريق انضباط

للدكتور وهبة الزحيلي

ما احوجنا فى الواقع العملي لكثرة الكلام عن الحج انضباطا ، وتثقيفا وتحذيرا ، وتوعية وتذكيرا بخطورة هذا الموسم وأهميته البالغة ، لأنه موسم يترجم الصورة الصادقة ، والمرآة الصافية لحقيقة المسلم المؤمن الملتزم بقضايا دينه ، واحكام شريعته التى انزلت للتنفيذ والتطبيق لا للتقليد والتلفيق ، واقامة الهياكل الفارغة المحتوى ، الزائفة المضمون .

فالحج فى حقيقته : انسلاخ من مادية الدنيا ، وانعتاق من قيودها الصارمة ، وانقطاع كلي للعبادة الخالصة ، وتفرغ شامل لمرضاة الله ، وارتحال منهجى تدريبى قاس نحو عالم الآخرة ، له وسائله الدقيقة الواعية ، وغاياته العميقة البعيدة المدى ، لا يكفى المسلم أن يمر بها دون وعى وافادة منها ، ولا يليق بحاج يعبر مناسك الحج دون تأمل فيها وادراك مراميها ، وانما عليه شرعا تحقيق الغاية الكبرى التى شرع الحج من اجلها ، ومن اخصها ارتباط

الشرائع القديمة والأخيرة ببعضها ، والتقاء قادتها فى غاية واحدة ، جاهد من أجلها رسل الله الكرام ، وتعانق فى ميثاقها محمد رسول الله ، وابراهيم خليل الله ، لرسم طريق الهدى ، وتحديد معالم توحيد الاله الحق ، والاذعان لتعاليمه، واخلاص العبودية والعبادة له وحده ، وصدق التوجه اليه ، وتخطى أهواء البشرية الدنيا ، والقفزة الجبارة نحو ملكوت « الله » وحده . ثم الربط القوى بين ماضي الاسلام وحاضره ومستقبله ، لشد الأجيال المسلمة نحو أنضر عهد صنعه صحب النبى الكرام مثال الأسوة الحسنة الذين تمثلوا روح الاسلام ، وطافوا به فى كل مكان ، نافذ السلطان ، رفيع المقام ، عزيز الجانب ، يترجمون للملأ مزايا الدعوة الجديدة ــ رسالة الله الخالدة فى الأرض .

والحج بمعنى القصد الى مكان مقدس ليس بدعا فى الاسلام ، وانما هو قديم الزمان ، عرفه المصريون القدماء ، واليونان قبل المسيح عليه السلام الى معابد وهياكل مقدسة لديهم ، وعرفه اليابان والهنود والصينيون ايضا ، والتزمه شرعا اليهود والنصارى الى بيت المقدس . وكان العرب فى الجاهلية يحجون الى الكعبة المشرفة على الملة الحنيفية ــ ملة أبينا ابراهيم عليه السلام الذى أمره الله ببناء البيت ، فأقام قواعده مع ابنه اسماعيل ، وأمر الناس بحجه ، عملا بأمر الله تعالى : **(وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام)** . وتجدد نداء ابراهيم على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حينما أمر باحج والعمرة : **(وأتموا الحج والعمرة لله)** حيث صعد سيدنا ابراهيم على جبل أبى قبيس ، وقال : « يا أيها الناس ، حجوا بيت ربكم » فأسمعه الله تعالى أهل المشرق والمغرب فى أصلاب الرجال وأرحام النساء .

وتظل ناشئة الاسلام فى كل زمان معلنة التزامها بميثاق نبيها على أمته ، فتهرع الى الحج فى ديار تذكر باعلاء كلمة الحق ، وسكوت الباطل ، وقمع دعاة الشر والفساد ، واعلان حقوق الانسان ومن اهمها مبدأ المساواة .

ويستمتع المسلم من أقاصي الدنيا حينما يشد العزم الى رحاب البيت الطاهر ، ويشرع فى هاتيك الرحلة الروحية السامية المقصد ، مع ما فى الحج من مشاق ومتاعب كثيرة مادية ومعنوية وصحية ، بل لا أبالغ ان قلت : ان الحج هو أشق عبادة فى الاسلام ، اذ أن باقى العبادات والفرائض تتم فى حال الاقامة والامن وفى الوطن وبين الأهل ، أما الحج ففيه تعرض لمخاطر كثيرة ، سواء فى أثناء الأسفار أم حين ممارسة شعائره ، ففى كثير من الأحيان حيث يشتد الزحام المذكر بأهوال المحشر يكاد يتعرض المرء للموت الزؤام ، وتعتبر نجاته منها عودا الى الحياة . ومع كل هذا تهش النفوس المؤمنة لاقتحام أهواله ، وتبدو البشاشة والطمأنينة فى محيا الحجاج والعمار ، لأنهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله : ان سألوا أعطوا ، وان دعوا أجيبوا ، وان أنفقوا أخلف لهم » رواه البيهقى .

ويستشعر المسلم قوة ارتباطه بالله ، كلما كرر نشيد الحج : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

وتعلو نفس الحاج روح قوية مشبعة بالصفاء والعذوبة وقوة الايمان ،

وتذكره بمدى تعلقه بأخوة الاسلام التى اقامها الدين ، وجمع فيهـــا بين أهل الشمال والجنوب ، وسكان الشرق والغرب ، فى لغات متباينة ، ولهجــات متغايرة ، وطباع متباعدة ، وعادات وتقاليد متنافرة ، ولكنهم جميعـــا أبوهم الاسلام ، لا أب لهم روحيا سواه ، غذاهم بلبانه ، وضمهم تحت جناحيه ، فوحد غاياتهم ، ورعى مقاصدهم ، وحمى آمالهم ، وحشد طاقاتهم للوصول الى هدف واحد مجمله « رضـــوان الله » ، ويدفعهم الى بلـــوغه قول علي رضي الله عنـــه : « من ملك زادا وراحلـــة تبلغه الى بيت الله تعـــالى ، فلم يحج ، فلا عليه ان يموت يهوديا أونصرانيا » ، وذلك أن الله يقول : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** . ولا يمل المسلم من تكرار هذه الرحلة — مع أن الفريضة مرة فى العمر — امتثالا لأمر الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : ان عبدا صححت له بدنه ، واوسعت عليه فى الرزق لم نعد الى فى كل أربعة أعوام ، لمحروم » رواه الطبرانى وأبو يعلى اى محروم من الأجر ،ومطرود من « رضوان الله » .

وما اعظم تأثر الحاج حينما يتذكر الآثار التاريخية لصدر الاسلام وكيف تحطمت معاقل الشرك ، وتبددت معالم الوثنية ، وتهاوت الأصنام بجهاد النبى المصطفى ومؤازرة السلف الصالح ذوى الايمان الصادق . ويجدد الحاج العهد مع الله ومع نبيه على التزام حدود الله ، وشكر نعمته العظمى باكمال شرع الله فى موسم الحج : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لـــكم الاسلام دينا)** ، وبه يتذكر المسلم ميثاق النبى على أمته الذى أعلنه فى حجـــة الوداع معلنا مبدأ المساواة بين الناس ، ومبينا الحقوق والواجبات الاجتماعية والأسرية ، ومحددا دستور الأمة ومنهاجها الذى تلتزمه : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتـــاب الله وسنتى » ومفصـــلا طريق تحقيق الأمن والعدل الاجتماعى : « آن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا » .

وتبدو فى الحج وحدة المسلمين الكبرى ، وصلابة الاســـلام ، وتذوب الخلافات المذهبية بين اتباع المذاهب ، وتتجلى وحدة المسلمين فى العبـــادة الواحدة ، والفكرة القريبة والبعيدة ، والآمال والآلام ، والايمـــان والاخاء والتضامن . ويدرك الحاج بالذات دور المراة المسلمة فى مجالات الاســـلام المختلفة ، فهو دور بناء ، دور يمليه موقفها المشارك للرجال ، موقف هذه المراة الخاشعة الباكية المشحونة بالعواطف المؤثرة امام المشاهد المباركة ، والآثار التاريخية ، وأمام البيت المقدس ، وسائر شعائر الحج ، آن هذا الموقف للمراة يدل بحق على أن الاسلام سوى بينها وبين الرجل فيما تقتضيه المساواة فـــى فرص العمل والقرب من الله وفى المجالات الاجتماعية الكريمة التى تصـــان فيها كرامتها وسمعتها ، فلا يكاد المرء يفرق فى رحاب الحج بين امراة ورجل .

ويلحظ الحاج ظاهرة طيبة فى الحج : وهى سخاء الأيدى ، وســـماحة العطاء ، والبذل ، وكثرة الانفاق فى سبيل الله ، مما يحقق التضامن والتكافل الاجتماعى بين المسلمين ، ويهيىء وسيلة اغناء الفقراء ، ويلبى نداء ســـيدنا ابراهيم عليه السلام : **(ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصـــلاة فاجعل أفئدة من الناس تهـــوى اليهم وارزقهم**

من الثمرات لعلهم يشكرون) .

وتظهر فى الحج غالبا اخلاق اسلامية رفيعة من التعاون والتضامن ، والايثار والتضحية ، والصبر والتحمل ، ويترفع المؤمن عن تدنيس نفسه بأوزار المعاصي والذنوب ، وتتحلى النفوس بأفضل خصال المحبة والخير والمعروف ، مما يجعل الحج من اقوم السبل المؤدية الى تهذيب الأنفس وتقويم الطباع والشعور بالأمن والطمأنينة والسعادة ، فهو منهاج تربوى عملى ، وفرصة سانحة للتفاهم والتعاون ، والتجرد عن الأهواء .

وترشد مناسك الحج الى معان كثيرة ، لا يصح لحاج تخطيها دون ادراك وامعان ، لأن حكمة مشروعيتها تزيد النفس متعة ، وتبعث لأداء التكاليف والطاعات ، وتحقق مغزى الحج .

فالاحرام والتجرد من اللباس لدى الرجال يقمع شهوات النفس والأهواء ، ويبعد الناس عن التفكير فى الدنيا ، ويوجه البشر الى الاقبال على الله ، والسمو بالروح ، والتفكير بجلال الله وعظمته ، ويسوى بين الناس جميعا ، فلا فرق بين حاكم ومحكوم ، وغني وفقير ، وكبير وصغير .

ونشيد التلبية شاهد على التوجه نحو الله ، ومذكر بضرورة الترفع عن اوضار الدنيا ، وحافز على الطاعة وامتثال أوامر الله .

والطواف حول بيت الله مؤكد لوحدة المسلمين العامة ، وبه تشبه بملائكة الرحمن الحافين حول العرش ، وسمو للروح ، وعروج الى ملكوت الله ، وتذكير دائم بصاحب البيت وهو الله جل وعلا ، وتجديد للعهد مع الله ، بدءاً بالحجر الأسود ليكون علامة على وحدة العمل بين الناس ، وطريقا لانفاذ عهد الله على الحق والخير والفضيلة .

والسعى بين الصفا والمروة تردد فى معالم الرحمة ، والتماس للمغفرة والرضا ، وبحث عن فضل الله وخيراته وطلب معونته لتحمل مشاق الحياة ، كما فعلت السيدة هاجر زوج ابراهيم الخليل عليه السلام ، حينما أعوزها الماء ، فقامت تسعى ضارعة الى الله تعالى لارواء ظمئها ، وسد حاجة ابنها اسماعيل عليه السلام : ((ان الصفا والمروة من شعائر الله)) وقال صلى الله عليه وسلم : ((اسعوا فان الله كتب عليكم السعى)) رواه أحمد فى مسنده .

والوقوف بعرفة فى ساحة واحدة اقبال خالص على الله ، واتصال مباشر مع الله ، واحتماء بسلطان الله ، وطلب فضله ورحمته ، ويتيقن الحاج حينئذ باجابة دعائه .

وأما الرمى أو رجم ابليس : فهو رمز مادى لمقاومة الشيطان وأهواء النفس ، والتخلص من نزعات الشر ، ومحاربة الفساد ، اذ كما يقول المناطقة : ((المحسوس يدل على المعقول)) ورمى الجمرات ، واستلام الحجر الأسود ، والطواف حول الكعبة ، تمثيل للحقائق بصور محسوسة ، ورمز لمعانى عميقة بمثل مادية تذكر المؤمن بضرورة استيحائها ، وآدمان مقاومة شرور النفس ونزعاتها . هذا هو القصد من هذه الشعائر ، وليس كما يحلو لسخف بعض المستشرقين الذين يرون فى ذلك عبادة احجار ووثنية اصنام .

وقد تنتهى هذه الشعائر بالذبح ليكون الوداع الأخير للرذيلة والتزام فضيلة التضحية والفداء : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) .

وكل هذه الشعائر والمناسك فى الحج والعمرة تدل دلالة قوية على الثقة بالله، وطلب افضاله ، وتشعر شعورا قويا بعظمة وحلاوة عبادة الله ، فيكثر البكاء ، ويشتد النحيب ، وتصفو النفوس ، وتعلن التوبة النصوح والندم على الماضي .

واذا كانت هذه بعض ايجابيات ومنافع الحج ، فهناك سلبيات له بسبب شذوذ بعض الناس ورعونتهم . ومن اهم هذه السلبيات : الجهل باحكام ومقاصد الحج ، فيجدر تثقيف الحاج ، وتعلمه وتعليمه قبل القدوم الى اماكن النسك . كما ينبغى ادراك اخلاق الاسلام وضرورة ضبط النفس ، والبعد عن ساقط الكلام ولغوه ، وتجنب فعل بعضهم باظهار كلمات السب والشتم ، بل والخصام والمشاجرة فى اقدس الاماكن واحرج البقاع . وكان بعض الناس يغفل عن اهم شرائط الحج المنصوص عليها فى القرآن والسنة ، قال الله تعالى : **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب)** وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » .

ومن سلبيات الحج : التهاون فى تطبيق احكام الشرع الحنيف ، من كشف العورات لدى بعض النساء والرجال ، والقاء الاوساخ في الأماكن الطاهرة ، وعدم النظافة ، وتنجيس اماكن التجمع . واذا كانت السنة مرغبة فى التواضع فى الحج والتبذل ولبس الثياب العادية ، اقتداء بالانبياء عليهم السلام ، ووسيلة لاظهار المسكنة امام الله لاجابة الدعاء ، فليس معنى ذلك اهمال نظافة الثياب والبسة الاحرام . فقد جعل الحج طريق النظافة بما شرع فيه من اغسال كثيرة مسنونة ، وحلق او تقصير ، وتقليم اظافر ، ولبس البياض ، وعدم لبس المخيط عند الاحرام ، وضرورة المبيت بمنى ، والمزدلفة لاراحة النفس ، وعدم حصر الحجاج فى اماكن محصورة بمكة ونحوها ، وتعرضهم لفضاء صحراوى رحيب تعبث فيه الرياح والهواء ، وتطهرهم الشمس من كثير من الأمراض بسبب الازدحام والقاء الفضلات .

ومن سلبيات الحج : الحرص الشديد على تقبيل الحجر الأسود ، وتقبيل اسوار القبور ، وعدم التزام الأدب النبوى لدى زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وزيارة وزيريه : ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ومما يلاحظ ان الافادة من الحج على الصعيد السياسي وخدمة قضايا الاسلام الكبرى معدومة الاثر لا يلتفت اليها الآن .

والكلمة الاخيرة : هى ان الحج فى حقيقته طريق التزام احكام الشرع والتدرب على الأخلاق الاسلامية الكريمة . ويختلف الحج عندنا عن اى مفهوم له لدى الامم الأخرى ، فهو ليس وسيلة وقتية للتخلص من الخطايا وغسل الذنوب ، كالاعتراف على الكرسي امام راهب ، وانما هو تجديد عهد مع الله ، وطريق ضبط للنفس وتهذيب الخلق فيما بعد انتهاء الحج ، اذ ان علامة الحج المبرور الذى ليس له جزاء الا الجنة ان يكون الحاج احسن حالا مما كان عليه قبل الحج . فان لم يحصل ذلك خرق عهد الله ، واختلط العمل الصالح بعمل السوء ، والله ولي المتقين .

من توجيه القرآن الكريم

آثار المادية

ان وجود الاتجاه المادى فى أى مجتمع يعتبر أصلا من أصول الحياة الانسانية . على معنى : انه لا يخلو مجتمع بشرى من نواة هذا الاتجاه على الأقل . ثم قد يبقى فى أطار محدود ، وقد ينتشر فتبدو آثاره ونتائجه واضحة . ولكنه على اية حال موجود وقابل للتوسع والانتشار .

ويوم ينتشر تتجلى معالمه واماراته ، ثم يصير المجتمع الذى انتشر فيه حتما الى السقوط والزوال ، وهناك اذن ثلاث مراحل تتصل بهذا الاتجاه :

المرحلة الاولى : مرحلة وجوده وقابليته للتوسع .

المرحلة الثانية : انتشاره وتوسعه بالفعل ، وامارات ذلك .

المرحلة الثالثة : سقوط المجتمع الذى تمكن منه هذا الاتجاه فى حياة افراده .

والقرآن الكريم يكشف عن هذه المراحل الثلاث :

— ● —

● فعن المرحلة الاولى نقرأ قوله تعالى :

(وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) الأنعام/١٢٣ .

.. فالشق الأول من هذه الآية وهو : « وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها » يقرر : أنه فى كل مجتمع بشرى : — فى الماضي أو في الحاضر ، فى الغد القريب أو البعيد ، صغر أم كبر ، فى حالة بدائية أو تطورية — يوجد بعض العمد والأكابر من اصحاب الاتجاه المادى فى الحياة .

وهذا البعض هو الذى عبر عنه هنا : بـ « أكابر مجرميها » . وجعل هذا البعض من « المجرمين » للتدليل على طبيعة الاتجاه الذين يخضعون له فى حياتهم ، وليس ، الا الاتجاه المادى ، لأنه وحده هو الذى يدفع

في سقوط المجتمع

للدكتور محمد البهي

الى الجرائم . ويستحيل ان يكون الاتجاه المقابل ، وهو أتجاه الايمان بالله . أو هذا الاتجاه الاخير لا يجعل الدنيا ومتعها المادية بحال المنافسة بين الأفراد . انما يسعى لينقلهم الى مجالِ العمل الصالح ، بدلا من مجال تحصيل المتع الدنيوية . وهو العمل الانسانى الذى يرتفع فوق النزوات والجنوح ، وفوق الخصومات ، والانحرافات ، والجرائم .

واذن فى كل مجتمع بشرى شرذمة أو مجموع من أصحاب الاتجاه المادى فى الحياة تتزعمه ، وتحاول أن تنفث سمومه فى المجتمع . ومحاولة ذلك هى ما يعبر عنها بقوله : « ليمكروا فيها » . اذ محاولة « المكر » فى « القرية » — أو فى المجتمع — هى محاولة « الفتنة » و « الفساد » .. هى محاولة السير وراء الهوى والشهوة فى غير حد ، وفى غير اعتبار لأمر آخر سوى تحقيق المتعة الحسية .

وفي كل مجتمع بشرى أذن فى أى عهد وزمن ممثلون للاتجاه المادى فى الحياة ممن يعتمد عليهم فى التمثيل ، وتتوفر فيهم صفات الزعامة والرياسة للفكرة او الاتجاه . ثم فى الوقت نفسه لا يقتصر نشاطهم على تمثيل الاتجاه ، بل يدعون اليه بالقدوة فى اثارة الفتن ونشر الفساد ، وما يعترض كل قيمة من القيم المثالية ، التى يرتكز عليها الاتجاه الآخر وهو اتجاه الايمان بالله .

ومع وجود هذا الاتجاه المادى فى الحياة كحقيقة أكيدة ومقررة ، ومع فاعليته — وعدم جموده فى وجوده — واخذه المبادرة فى المكر والفتنة ، فانه لا يستطيع ازالة الاتجاه الآخر الذى يعارضه ، وهو اتجاه الايمان بالله ، من واقع المجتمع ، اى مجتمع ، فى أى وقت وفى أى مكان .

وهذا القصد هو الذى يعنيه الشق الثانى من الآية السابقة : « وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون » . اى أن مصير اثارتهم للفتن والفساد سيلحق بهم وحدهم فى النهاية . ولأنهم فى اتجاههم المادى يقعون تحت زينة الحياة الدنيا ومتعها وحدها ، فهم لا يرون فى سلوكهم وفى السعى لتحقيق

أنانيتهم وشهواتهم النهاية لهم ، ولا يتصورون : أن العاقبة تدور عليهم وحدهم .

ورد القرآن بذلك هو من الله الذى يتجه اليه المؤمن بايمانه وعبادته . ومعنى رده هنا اذن : أن الايمان بالله لا يضار من أصحاب الاتجاه المادى فى الحياة ، مهما أثاروها فتنة وفسادا ، وأن المؤمنين كذلك لا يبادون كلية من أى مجتمع بشرى قائم بفعل الزعماء والأكابر لذاك الاتجاه المادى .

والحقيقة التى لا مرية فيها هى : اختلاف المجتمع البشرى أى مجتمع فى أى مستوى وفى أى وقت — وانقسامه الى : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال .. الى المؤمنين بالله والكافرين به .. الى أصحاب الروحية فى الاتجاه وأصحاب المادية فيه :

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ،

« ولا يزالون مختلفين .

« الا من رحم ربك ،

« ولذلك خلقهم ،

« وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين »

هود/١١٩ .

.. وهاتان الآيتان تقرران معا : حقيقتين :

الحقيقة الاولى : أنه باستطاعة الله أن يجعل الناس جميعا أمة واحدة ، ومجتمعا واحدا صاحب اتجاه واحد ، ولو شاء لفعل ذلك .

والحقيقة الثانية : أن اختلاف الناس فى مجتمعاتهم الى أصحاب الايمان بالله أو أصحاب الروحية فى جانب ، وأصحاب الاتجاه المادى والشرك فى الحياة فى جانب آخر ، أمر ضرورى قضت به حكمة الخلق للناس أنفسهم : « ولذلك خلقهم » ، واقتضته أيضا ارادة الله فيما وعد به من ملء جهنم من أصحاب الاتجاه المادى فى الحياة والشرك بالله ، سواء من الجن ومن الانس معا : « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » .

فاقتضاء حكمة الله فى خلقه : أن لا يكون الناس سواء فى الاتجاه فى الحياة ،

وأنهم لا يزالون مختلفين فى هذا الاتجاه : « ولا يزالون مختلفين » الى أن تنتهى رسالة الانسان فى هذه الحياة الدنيا — وهى رسالة الابتلاء من جانب ، ورسالة الحق مع الباطل من جانب آخر — ويوجب اذن وجود الايمان بالله فى صورة ما ، ووجود الاتجاه المادى فى صورة ما ، فى كل مجتمع بشرى مضى أو آت .

وارادة الله التى تتمثل فى اختلاف الناس فى المجتمع البشرى فى اتجاههم فى الحياة بين مثالى ومادى ، أو بين مؤمن ومشرك وكافر ، هى قانون الطبيعة البشرية الذى يحكم طبائع الأفراد والمجتمعات معا . فتفاوت الأفراد فى مستوى الادراك ، وتفاوتهم فى التأثر بالبيئات وبالعادات

والأعراف ، وتفاوتهم فى درجة التطور والنضوج .. يجعل منهم أفرادا مختلفين ، ويجعل من مجتمعهم مجتمعا موزعا فى الاتجاه .

وطبقا لهذا القانون البشرى ليس هناك بأس فى المجتمع اذ اشتد ظلام المادية ، وأحكم اتجاهها ، وأغلقت نوافذ الهداية وحطم مصباحها .

وطبقا لهذا القانون أيضا لا تنبغى المبالغة فى التفاؤل والاطمئنان ، اذ اتسعت رقعة الايمان وزاد عدد المؤمنين فى الأرض أو أحرزوا النصر يوما ما . فبهذه المبالغة فى التفاؤل والاطمئنان قد يتسرب منها نشاط الاتجاه المادى ويفسد على الايمان ما تقاول به أصحابه ، ويسبب له فى لحظة اخرى خيبة أمل .

وهنا : النصر والهزيمة سنة الحياة . والاختلاف فى الاتجاه من طبيعة هذه الحياة . وعدم فناء أو زوال أى اتجاه من اتجاهى الحياة قانون الحياة الأرضية نفسها . وعدم اليأس عند شدة الظلام ، وعدم المبالغة فى التفاؤل عند وضوح النهار من مستلزمات الوجود الانسانى . والخروج فى الاحساس أو فى السلوك عما هو لطبيعة الحياة هنا هو اصطدام مع الطبيعة نفسها ، فيه القضاء على من يسعى الى الاصطدام .

— ● —

● وعن المرحلة الثانية — وهى مرحلة انتشار الاتجاه المادى فى حياة الأفراد — فان الأمر فيها ينتقل من وجود الاتجاه المادى فى الحياة وفاعليته الى نشاطه الواسع ، وغلبته أو سيطرته على حياة المجتمع .

وأمارة التوسع فى نشاط الاتجاه المادى تبدو مرة :

١ — فى سلوك الأفراد ، وبالأخص أولئكم الذين أترفوا فى الحياة . فهؤلاء لا يحول بينهم وبين الاستمتاع بما أترفوا فيه أى حائل . وبذلك يظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم .

.. يظلمون أنفسهم لأنهم يتبعون شهواتهم فى غير حدود ، ويحولون بذلك المتعة الى سوء يعود على صحتهم وعلى روابطهم فى الأسرة والمجتمع . ويظلمون غيرهم ، لأن مجاوزتهم كل حد فى الاستمتاع بما حصلوه من نعم وترف يسبب حرمانا للآخرين الذين أصبحت لهم حاجة ماسة الى بعض ما فى أيديهم .

وتصور الآية القرآنية الآتية هذه الامارة فيما تقوله :

« واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ،

« وكانوا مجرمين » هود/١١٦ .

.. فوصفت أصحاب الاتجاه المادى حينئذ :

أ) بأنهم اتبعوا ما اترفوا فيه فأصبحوا منطلقين فى التبعية ، ينجذبون نحو المتع الحسية وحدها ، وليست لهم فى أنفسهم أية ارادة تجعلهم لا ينجرفون وراء هذه التبعية .

ب) وبأنهم ارتكبوا الظلم بذلك ولأنفسهم قبل غيرهم ،

جـ) وبأن تبعيتهم لما أترفوا فيه وظلمهم لأنفسهم وبغيرهم دفعهم الى الجرائم الاجتماعية من ارتكاب الفحشاء والفسوق والعصيان ، وأصبحوا

بذلك مجرمين . وأصبح مجتمعهم مجتمع جرائم ، يقل فيه أصحاب الفضل الذين ينهون عن الفساد فى الأرض .

وفيما آل اليه أمر المجتمع عندئذ تقول الآية الأخرى :

« فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ،

« الا قليلا ممن أنجينا منهم » هود/١١٦ .

.. أى أن الفساد استشرى عندئذ لسبب سـلوك هؤلاء الماديين بحيث ، لا تقاومه تلك القلة القليلة التى أنجيت وأنقذت من طغيان الاتجاه المادى وموجته العارمة فى المجتمع . فقلتها تجعلها ضعيفة فى مواجهة الفساد والجرائم الاجتماعية ، وأصبح تغيير المجتمع أمراً لا مفر منه .

والأمر : عندما يتبع المترفون ترفهم يكون الظلم ، ويكون الاجـرام والفساد . وحينئذ يكثر أصحاب الاتجاه المادى ، ويقل المؤمنون الذين من شأنهم أن ينهوا عن الفساد فى الأرض . والمؤمنون القلة آنئذ حفظهم الله ورعاهم وأنقذهم . والمجتمع القائم الآن مجتمع صاحب اتجاه مادى ، أو مجتمع جرائم ، أو مجتمع ظلم ، أو مجتمع فساد وانطلاق فى الاستمتاع بالمتع الحسية الشهوية . وقد وصل الى النقطة التى لا بد أن ينحدر منها ويسقط .

٢ ــ وتبدو ــ امارة التوسع فى نشاط الاتجاه المادى ــ مرة أخرى فى رفض النصيحة ، والاستمرار فى اتباع الظلم والاجرام .

وفيما مضى ــ فى تاريخ البشرية ــ كانت الرسل عليهم الصـلاة والسلام تتوالى بالنصيحة للمترفين وزعماء الاتجاه المادى فى الحياة فى أن يوقفوا موجة الظلم والاجرام ، ويعودوا الى السلوك السوى المستقيم . وذلك عندما تبلغ موجة الظلم والاجرام والفساد حدتها ، ويبلغ الاتجـاه المادى فى الحياة مدى نشاطه وشدة طغيانه .

ولكن الغرور والافتنان بزينة الدنيا ومتعها ، تحت تأثير هذا الاتجاه المادى ، يسد الآذان عن السماع ، ويعمى الأبصار عن الرؤية ، ويغلق المنافذ الى القلب وأعماق النفوس، وتستجيب لنصيحة ناصح ــ ولو كان هو الرسول المؤيد من قبل الله ــ ولو كان هو من أهل الفضل والخيرة فى قومه ، ولو كان بعيدا عن الغرض الشخصى والزعامة والرياسة ، ولو كان فى سلوك المثل والقدوة للسلوك الانسانى الكريم ، الـذى لم يدنسه الانحراف فى تيار الشهوات والمتع المادية ، والفساد ، والفحشاء ، والمنكر . ولو كان ..

ومن هنا كانت قضية رفض النصح ، عند سيطرة الاتجاه المادى على حياة المجتمع ، لا تخص ناصحا بشخصه ، ولا تقف عند عهد بعينه أو عند مجتمع خاص من المجتمعات التى تنجرف فى اتجاه الظلم والاجرام ، تحت تأثير النزعة المادية والمتعة الحسية .

وقول الله تعالى :

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها :

« انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون .
« قال : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟
« قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون » الزخرف/٢٤ .

.. يصور هذه القضية فى رفض النصح من الماديين .

فالآية الاولى من هاتين الآيتين ـ والقرآن يتجه بها الى الرسول عليه الصلاة والسلام ـ توضح عموم القضية ، وأنها لا تتخلف أطلاقا ، وأن الرد على لسان المنذرين من المترفين كان ردا تقليديا ، لم يصحبه مرة ما تأمل موضوعى ولا مراجعة ، للآثار المدمرة والمهلكة للمترفين ولمجتمعهم ، عندما تطغى موجة الأنانية والاستهتار والفساد والاجرام . « **وكذلك** ما أرسلنا قبلك (قبل الرسول) من نذير الا قال مترفوها : **انا وجدنا** آباءنا على أمة (على طريق معين) وانا على آثارهم مقتدون » .

أما الآية الثانية منهما فلاقامة الحجة عليهم ، وتوضيح أنهم لا يتبعون الا ما أترفوا فيه ، ويرتكبون أنواع الظلم والجرائم لأنهم مقتدون بأسلافهم فقط ، وأنهم لم يحتكموا فى ذلك الى عقل ، ولا الى واقع تاريخى . اذ لو احتكموا الى منطق الانسان السليم لتجنبوا هذا الطريق المؤدى الى الدمار والهلاك، واتبعوا هدايةالرسول . ولو احتكموا الىالواقعالتاريخى، لأرشدهم : الى أن عاقبة هذا الاتجاه المادى فى الحياة واحدة ومحتمة ، وهى سقوط المجتمع ، وتوالى الويلات والمصائب على افراده . « **قال :** أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا انا بما **ارسلتم به** كافرون » .

والواقع التاريخى فى ماضيه يعيد نفسه فى يومه وفى غده . فالطبيعة الانسانية هى الطبيعة الانسانية ، لا تتبدل ولا تتغير فى خصائصها . والمجتمع البشرى هو المجتمع البشرى : فى احداثه ، وفى عوامل هذه الاحداث ، وفى نتائجها .

وطالما الاتجاه المادى فى الحياة كان فى الأمس البعيد والقريب فانه يظهر أيضا فى الغد القريب والغد البعيد . وطالما كانت نتائج الطغيان عن طريقه هى انهيار المجتمع وسقوطه ، فهذه النتائج ذاتها متوقعة عندما يظهر فى أى وقت فى كبريائه ، وعنجهيته ، وفساده ، ومنكراته ، وفحشائه .

— ● —

● أما المرحلة الثالثة ـ وهى المرحلة التى تلى طغيان الاتجاه المادى فى حياة المجتمع ـ فهى مرحلة سقوط المجتمع ذاته . وسقوطه آنئذ يعد ضرورة اجتماعية لا سبيل الى تفاديها .

وهنا القرآن الكريم يشكل هذا القانون الاجتماعى بنتائجه ومستلزماته ، وفى مقدماته ، فيما تنطق به هذه الآية الكريمة :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ،
« فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » الاسراء/١٦ .

.. فارادة الله هى ذلك القانون الاجتماعى الذى لا تنفك نتائجه عن

مقدماته بحال :

والمقدمات فى هذا القانون هى اتباع أصحاب الاتجاه المـــادى فى الحياة ما أترفوا فيه ، فالفسق والفجور والظلم والاجرام . فاذا تولى المترفون أمر المجتمع زاد فسقهم واجرامهم وظلمهم .

أما النتائج الضرورية فى ارتباطها بهذه المقدمات فهى تدمير المجتمع وسقوطه ، ولا راد لذلك بحال : « فحق عليها القول » .

وما جاء فى الآية الكريمة من « تأثير » المترفين وتوليهم الأمر فى المجتمع فهو لتعجيل النتيجة المترتبة فقط . ولذا كان التعبيـــير بـ « فاء » التعقيب : « .. أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » .

أما المبدأ .. أما القانون الحتمى فهو : سقوط المجتمع المادى عندما تشتد فيه موجة الفساد والاجرام والظلم ، باسترسال المترفين فى ملذات الحياة ومتعها الحسية والمادية .

وأما : « متى » تقع النتائج ؟ .. فان تولى المترفون مع فسقهم وطغيانهم شئون المجتمع فيرتقب بين لحظة واخرى سقوط المجتـــمع وتدميره . وان لم يتولوا شئونه فربما يحتاج الأمر فى ترتب النتـــائج ووقوعها الى شيء من الوقت ، حتى تبلغ الموجة العاتية أشـــدها ، وحتى يصل الظلم والاجرام الى نقطة لا مفر من التغيير والسقوط بعدها .

والمفهوم المخالف هذا القانون الاجتماعى هو : أن المجتمع اذا نأى بنفسه عن طغيان الاتجاه المادى ، واتبع هداية الله فى سلوك أفراده ، وأخضع العلاقات فيه الى « العدل » والتعاون والمحبة و « الاحسان » فانه باق لا يتغير .

وقد صاغ مفهوم المخالفة هذا فى قانون مقابل ، آية اخرى ، هى :

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ، وأهلها مصلحون » هود/١١٧ .

.. فالآية تنفى على وجه التأكيد أن يغير الله المجتمع ويدمره ، وأهله مصلحون معمرون . واصلاح اهل المجتمع هو فى سلوكهم المســلك السوى ، ابتغاء وجه الله .

واذن هناك قانونان يحتمان المجتمعات البشرية فى بقائها وسقوطها ، ونتائجهما ضرورية فى اللزوم والارتباط لوجود مقدماتهما . وتتمثل فـــى هذين القانونين ارادة الله جل شأنه .

وفيما تعبر عنه هذه الآية :

« ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، وما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزى القوم المجرمين » يونس/١٣ .

وكذلك تلك الآية :

« ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات ، فانتقمنا من الذين أجرموا ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين » الروم/٤٧ .

.. ما يؤكد مضمون القانون الأول ، وهو انهيار المجتمع الفاسد ، عندما يبلغ فيه الفساد أوجه ، ويتحول النشاط لأفراده نحـــــو الاجرام

والاستمتاع بالملذات :

فالآية الاولى تنص على ان المجتمعات فى ماضي التاريخ التى باشرت الظلم ورفضت هداية الرسل ، واستمرت فى عدوانها وفسادها وقع بهـا الهلاك والدمار . وعدوانها وفسادها بسبب طغيان الاتجاه المـادى فى حياته . والدمار والهلاك لمثل هذه المجتمعات أمر لا مفر منه : « وكذلك نجزى المجرمين » .

والآية الثانية تعيد نفس المضمون . الا انها تضيف الى الانتقام من المجرمين كأمر لا محيد عنه باسقاطهم وتدمير مجتمعهم : أن نصر المؤمنين أمر ضرورى كذلك تكفلت به ارادة الله فى بقاء مجتمعهم : « وكان حقـا علينا نصر المؤمنين » .

والمجتمع الانسانى — اى مجتمع انسانى — هو فى وجوده فى وضع اختبار ، وفى فترة ابتلاء ، فى حقيقة أمره : اما الى بقاء ، أو الى سقوط وفناء من جديد : « **ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم ، لننظر : كيف تعملون ؟** » يونس/١٤ . وفيه موجود على سبيل الحقيقة أيضا : ما يدفع به نحو البقاء ، وهو هداية الله ، وما يدفع به الى السقوط ، وهو الاتجاه المادى فى الحياة .

— ● —

● وليست هناك حاجة الى مزيد فى تأكيد هذا الشأن للمجتـمع البشرى . وعلى من يشك أو تكون عنده بقية من ريب فى تحديد مصير المجتمع نحو اى من النتيجتين عليه أن يراجع التاريخ ، ويعيش فى آثار الماضي قليلا فيبدو له الشأن واضحا لم يتخلف عنه مجتمع ما ، مهما كـان وضعه ومهما كانت ظروفه :

« **أولم يسيروا فى الأرض فينظروا : كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟** »

« **كانوا أشد منهم قوة ، وأثاروا الأرض ، وعمـروها أكثر مما عمروها ،** »

« **وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .** »

« **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى : أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون** » الروم/٦ و ١٠ .

.. فمجتمع الرومان فى الشرق الأوسط ، ومجتمع الفرس فيما وراء النهرين كانا من المجتمعات البشرية الشامخة فى قوتها وفى عمرانها ، وفى انتاجها ، وفى حضارتها على العموم . ومع ذلك لم تغن عنها . هذه القوة ولا هذه الحضارة فى السقوط والانهيار ، بعد أن استمر كل منهما فى طغيان الاتجاه المادى ، فكان الظلم ، وكان الفساد ، وكان الانهماك فى الملذات وكانت ولاية المترفين ورياستهم ، ولم يستمع أى مجتمع منهما لهداية الله ونداء رسالته : « كانوا أشد منهـم قوة ، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها .. ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى ، أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » .

وأي مجتمع قبل مجتمع الرومان والفرس لم يتخلف عن « ارادة الله » الحكيمة :

« وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ، وأنشأنا بعدها قوما آخرين » الأنبياء/١١ .

.. فهناك مجتمعات عديدة صغيرة وكبيرة .. عبر التاريخ لم تشذ اطلاقا عن ذلك القانون الالهى . وهو قانون الطبيعة البشرية والمجتمع البشرى ، وهو قانون نافذ آمن به البعض أم كفر .

والفرار للزعماء من النتيجة الحتمية التى تنتظر المجتمع الذى وقع تحت تأثير الاتجاه المادى فى الحياة : فظلم ، وافسد ، وعبث ، واستدبر المشورة والهداية ، واستكبر رؤساؤه وزعماؤه ، واستهزءوا بالمؤمنين ، وبرسالة الله .. الفرار من الانهيار والسقوط الحتمى لا ينجى أحدا ممن يفر من العابثين والمفسدين . بل ستلحقه أن عاجلا أو آجلا آثار سلوكه ، وهو سلوك الظالم المفسد ، الذى كفر بنعمة الله عليه ، وهى نعمة الرزق والجاه والمسئولية .

« فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون .
« لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ؟
« قالوا : يا ويلنا : انا كنا ظالمين .
« فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين » الأنبياء/١٢ — ١٤ .

.. فهذه الآيات تصور : أن محاولات الهرب من النتائج الحتمية ، او محاولات التراجع بعد أن يبلغ الظلم وفساد المترفين من أصحاب الشأن فى المجتمع قمته .. لا تجدى نفعا ولا تحول دون انزال العقوبة بالظالمين والمفسدين ، وفى مقدمتهم الزعماء والرؤساء .

فمحاولات الهرب من هذه النتائج يشير اليها قوله تعالى هنا : « فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون » . ويصور عدم نجاح هذه المحاولة قوله جل شأنه بعد ذلك : « لا تركضوا ، وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم ، لعلكم تسألون » . أى يستوى هربكم من النتيجة الحتمية وعودتكم بعد خروجكم الى وضعكم السابق فى مجتمعكم : فيما كنتم فيه من ترف ، وفيما أقمتم فيه من مساكن ، وفيما كنتم فيه من وضع المسئول ، وهو وضع الرؤساء والزعماء ، حتى يأتيكم العذاب .

ومحاولات التراجع بالاعتراف بالذنب تذكرها الآية الكريمة فيما تقول : « قالوا : يا ويلنا ! انا كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم ، حتى جعلناهم حصيدا خامدين » . فاعترافهم بأنهم كانوا ظالمين ، وترديدهم هذا الاعتراف عدة مرات ، حتى نالهم جزاؤهم لم يحل دون هذا الجزاء واللحاق بهم .

وما تحكيه الآيات هنا من محاولات الفرار والهرب ، أو محاولات التراجع والندم ، قد يقع ، وقد لا يقع أيضا . وعندئذ يكون القصد هنا هو الزيادة فى تأكيد نتائج الفساد وطغيان اتجاه المادية فى حياة المجتمع ،

على المجتمع نفسه وعلى أفراده ، ينفى ما قد يعلق ببعض خيالات النفوس وتصوراتها ، من أن الفرار من أسباب الموت قد ينجى منه ، أو أن الهرب من نتائج الجرائم قد يحول دون وقوع عقوباتها على من ارتكب الجريمة .

— ● —

● وتاريخ المجتمع البشرى فى ماضيه يعيد نفسه فى حاضره وفى غده .. وأحداثه المتشابهة تستتبع نتائج متشابهة كذلك . ولا دخل للتقدم العلمى أو التقدم التكنولوجى ــ وكذلك لا دخل للبدائية والتخلف ــ فى الترابط بين الاحداث والنتائج ، وتلازم الوقوع بين الاحداث ونتائجها فى أى وقت يمر بالانسان وبالمجتمع الانسانى .

ان الأحداث المتشابهة تستتبع نتائج متشابهة ، لانها احداث الطبيعة البشرية المحدودة الخصائص والوظائف . أما التقدم العلمى أو التخلف فيه فانه لا يغير خصائص الطبيعة البشرية ، وبالتالى لا يغير وظائفهـــــا الأساسية . وانما يغير الوسائل التى يستخدمها الانسان فى حياته : فى تحصيل الرزق ، وفى الاقامة ، وفى التنقل ، وفى الاستمتاع ودفع المشقة فى كل ما يسعى فيه الانسان .

كذلك تقدم العلم ــ أو التكنولوجيا ــ لا يستلزم تقدم الانســـانية فى سلوك الانسان . لأن التقدم فى السلوك الانسانى يرجع أولا واخيرا الى تقلص مجال الأنانية واتساع المجال الجماعى فى تفكير الانســـــان ، وفعله ، وسلوكه على السواء .

تقدم العلم قد يساعد على تحكم الأنانية . وتقدم التكنولوجيا قـــد يساعد على الانحراف فى استغلال الطاقات المهنية للانسان . واحداث العالم اليوم واحتكاك الشعوب بعضها ضد بعض هى احدى نتائج الأنانية فى المجتمعات ذات التقدم العلمى والصناعى .

واذن ليس هناك ما يحول اطلاقا دون استتباع الاحداث لنتائج معينة فى المجتمعات الانسانية الحاضرة والمســــــتقبلة ، على غرار الأحداث والنتائج التى وقعت فى أمس هذه المجتمعات .

والقوانين الاجتماعية ــ أو الترابط بين الأحداث والنتائج ــ هى اذن من الحقائق الضرورية . وربما يساعد تقدم العلم أو التقدم الصناعى فقط فى هول الأحداث ونتائجها ان وقعت اليوم ، زيادة عنها عند وقوعهـــــا فى الماضي .

فالاتجاه المادى فى الحياة ان كان من الممكن أن يتحرك الى « الطغيان المادى » اليوم فى أى مجتمع معاصر فان مستوى الطغيان وآثاره عندما تقع لا تقارن بالآثار وبالمستوى الذى وقع فى القرون والمجتمعات السابقة . بفضل التقدم العلمى والتقدم الصناعى فى الابداع والخلق لوسائل جديدة يستخدمها صاحب الاتجاه المادى المعاصر فى الظلم ، والفساد ، واتباع الترف ، والاستمتاع باللذات ، وكذلك فى الاستهزاء بآيات الله وبهدايته ، وفى السخرية من المؤمنين أو الضعفاء .

والطغيان كذلك بفعل الاتجاه المادى عندما يتحرك فى أى مجتمع

معاصر اليوم لا يسبب سقوطا عاديا للمجتمع الذى يطغى أو يظلم أو يباشر الفساد والعبث . وانما نوع السقوط والانهيار للمجتمع المعاصر فى وصوله الى قمة الطغيان سيكون شديد العنف ، بحيث لا يشبهه على الاطلاق ما تم فى مجتمع سابق بالأمس :

وسائل المتعة اليوم كثيرة وعديدة ،

ووسائل الظلم والفساد ، والاكراه ، والضغط ليست عديدة فقط وانما هى فظيعة فى آثارها وفى بعدها عن كل شائبة للانسانية ،

ووسائل التدمير والتخريب ، والدمار ، رهيبة لا توصف رهبتها وشناعة نتائجها .

.. كل ذلك بفضل تقدم العلم ، والتقدم الصناعى . واذن الذى يتغير اليوم فى المجتمعات الانسانية المعاصرة ليس هو تلازم الأحداث لنتائجها — أى تلازم الطغيان والظلم والفساد والعبث والمبالغة فى الترف لسقوط المجتمع — وانما « النوعية » و « المستوى » سواء أكانت نوعية الأحداث ومستوياتها ، أم نوعية النتائج ومستوياتها .

وكتاب الله عندما يبلور ارادة الله فيما يمكن أن يعبر عنه بقانون المجتمع ، لم يتعرض الى نوعية الأحداث والنتائج ولا الى مستواها . وانما فحسب ذكر « الترابط » بين :

الاتجاه المادى فى الحياة وآثاره ،

والاتجاه الانسانى أو الروحى أو الايمانى بالله وآثاره أيضا .

.. ذكر الترابط بين :

الشرك ، والطغيان ، والجرائم الاجتماعية ، والظلم وسوء استغلال نعمة الله من جهة ، وضرورة سقوط مجتمع المشركين الماديين الطغاة ، الظالمين ، والعابثين والمفسدين من جهة أخرى .

.. وذكر الترابط كذلك :

بين الايمان بوحدة الله فى ألوهيته ، واتباع هدايته ، وعدم المبالغة فى الاستمتاع بالمتعة الحسية ، وسلوك طريق العدل والاحسان من جهة ، والنصر أو البقاء للمجتمع ولأفراده المؤمنين من جهة أخرى .

وما وراء هذا الترابط فى مستوى الأحداث ونتائجها فهو متروك للظروف التى يعيش فيها المجتمع ، والامكانيات فى الوسائل ونوعها التى يستخدمها الانسان فى حياته .

والحقائق الثلاث التى لا ريب فيها اطلاقا ، والتى هى مرتبطة بطبيعة الانسان وطبيعة مجتمعه فى كل وقت ومكان ، هى :

١ — أن الاتجاه المادى فى الحياة يعيش داخل الفرد والمجتمع معا ،

٢ — أن هذا الاتجاه قابل للانتشار والتوسع والسيطرة على حياة المجتمع ،

٣ — وأنه اذا سيطر هذا الاتجاه على حياة المجتمع فأصبحت حياة طغيان وظلم وفساد ، وشرك ، فسقوط المجتمع ضرورة لا مفر منها .

أما ما يبقى على المجتمع ،
أما ما يحفظ على علاقات الافراد فيه الود والصفاء ، والتآلف ،
أما ما يقيه شرور اعدائه واعتداءاتهم ،
أما ما يجعله فى نصر دائما ، وفى قوة دائما ، وفى عزة دائما ،
.. فهذا الايمان بالله وحده .

« وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ،
« وكنا نحن الوارثين .
« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا ، يتلوا عليهم آياتنا ، وما كنا مهلك القرى الا واهلها ظالمون .
« وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون ؟
« افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه ،
« كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين »
القصص/٥٧ ــ ٦١ .

— ● —

ان المجتمعات المعاصرة ــ ان فى الشرق أو فى الغرب ــ هى مجتمعات مادية ، وجود الله فى حياتها وجود خداع أو وجود عدم . يسيطر الاتجاه المادى فى الحياة على كل جوانب هذه الحياة منها .

ولأنها مجتمعات مادية هى فى صراع غير منقطع . وفى صراع بعضها ضد بعض تعيش جميعها فى قلق ورهبة ، وإعداد ليوم « الفصل » على هذه الأرض وحدها . وما تعده ليوم الفصل هو لتدمير البشرية فى لحظات ، وفى الوقت نفسه على حساب حياة العشرات من ملايين الناس كل يوم .

وهذه المجتمعات المادية فى تقدمها العلمى والتكنولوجى تخدم غرضا واحدا ، هو غرض الصراع .. هو غرض الارهاب فالافناء . وفى الوقت نفسه موجات الظلم والفساد ، والانحلال ، والسخرية بدين الله ، والتنديد بالضعفاء ، والاعتزاز بالقوة المادية وحدها تعد من الظواهر الواضحة لاتجاه هذه المجتمعات .

فاذا انتهى أمرها الى السقوط والى التقييد فسيكون سقوطها غير متصور فى آثاره ونتائجه على البشرية كلها ، وليس على أفراد مجتمعات الشرق أو مجتمعات الغرب .

أليس الصراع بين هذه المجتمعات هو نذير سقوطها وتغيرها .. ؟
أليست الحرب الثالثة أمرا حتميا للتعبير عن تغييرها .. ؟
أليست المجتمعات القادمة هى مجتمعات ايمان بالله وبالمثل الانسانية ، وليست مجتمعات طغيان بالقوة ، والحاد بالله ، ان كانت للحياة الدنيوية بقية أخرى فى تقدير الله .. ؟
تلك هى طبيعة المجتمعات تنبثق عن ارادة الله وحده .

خصوصية

فى مطلع هذا القرن أثير فى وطننا العربى والاسلامى خصام بين الرجل والمرأة يشتد — حينا — ويهدأ — حينا — وهذا الخصام — ان صح أن يثار فى غير الوطن الاسلامى فلا ينبغى أن يثار فى ظل التشريع الاسلامى ، فليس — هناك — تشريع حفظ للمرأة حقوقها ، وراعى فى كل اصوله وفروعه كرامتها مثل الاسلام . فالمرأة — أولا — هى الأم ، وهل — هناك — تكريم للأم اعظم من تكريم القرآن لها : **(ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان أشكر لى ولوالديك الى المصير)** لقمان/١٤ . **(ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها ..)** الاحقاف/١٥ ، وهذا نبى الاسلام يجعل الجنة تحت اقدام الأمهات ويوصى من سأله عمن هو احق ببره ؟ بأن الأم — هى — الأحق — بالبر ويكرر ذلك ثلاثا ثم يجعل الأب فى المرتبة الرابعة : فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « ابوك » رواه الشيخان .

والمرأة — ثانيا — هى الأخت . وهى أقرب الأرحام الى الرجل بعد والديه ، والرحم قد اشتق الله لها اسما من اسمائه فهو الرحمن وهى الرحم فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله .

ثم انها — ثالثا — الزوجة ، والزوجية أقدس عقد عرفه الاسلام ، وشدد فيه ، ووضع له قيودا وشروطا لم يضعها فى أى عقد مهما كان خطره ، وجعل الله سبحانه ما بين الزوجين من الفة وسكينة آيات على قدرته وبديع حكمته ، ولم يعتبر ذلك آية واحدة بل آيات متعددات . استمع الى قول الله — تعالى : **(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم**

مفتعلة

للشيخ بدر المتولى عبد الباسط

ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم/٢١ .

واستمع الى تصوير الله تعالى لما بين الزوجين من صلة وثيقة : **(.. هن لباس لكم وانتم لباس لهن ..)** البقرة/١٨٧ .

ورسول الاسلام ما زال يوصي بالمرأة فى كل الأحايين فى حجة الوداع ، بل وهو صلى الله عليه وسلم فى النزع الأخير .

والمرأة — أخيرا — هى البنت التى جاء الاسلام فأنقذها من الوأد وقبح تلك العادة : **(واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون)** النحل/٥٨ و ٥٩ ، **(واذا الموءودة سئلت . باى ذنب قتلت)** التكوير/٨ و ٩ .

هذه هى المرأة وتلك هى منزلتها من الرجل — فى نظر الاسلام — فى كل طور من أطوار حياتها ، فكيف نتصور خصومة بين الرجل والمرأة . اللهم الا فى نظر أولئك الذين يفتعلون الخصومات بين الأفراد والجماعات بل بين من لا نتصور الخصومة بينهما . ليفرقوا الامة أحزابا ويصوروا الأب والأخ والزوج ظالمين وطغاة مستبدين، ويبلبلوا الأفكار . ويشيعوا التمرد فى الأسرة التى هى اللبنة الاولى فى بناء الأمة .

واذا كان بعض الأفراد لا يرعون حق المرأة فليس ذلك تصورا فى التشريع الاسلامى الذى نعيش فى ظله ، وانما — هو — تقصير فى التربية الاسلامية التى أهملنا العناية بها — منذ أمد ليس بالقصير .

نسمع — أحيانا — أصواتا تردد افكارا أملاها الحقد على الاسلام وعجزت أن تسمعها للمسلمين فجندوا أسماء اسلامية لتكون أبواقا لآرائهم، وخرجوا على الناس يلبسون مسوح الرحماء على المرأة ، ويصورونها أنها فى بلاد الاسلام أمة مسترقة

وذليلة مستعبدة لا حول لها ولا قوة ، ولا حقوق لها . لا فى نفسها ولا فى مالها ويتباكون بكاء التماسيح ، لا هم لهم الا أن يجعلوا من المرأة المسلمة مخلوقة ساخطة على والديها وعلى زوجها بل على ربها الذى شرع لها ما يصون كرامتها ، ويحفظ عرضها ويرفع قدرها ومكانتها ، فانها وعاء الولد وشرف الأسرة وشريكة الرجل فى حياته يتقاسمان الحقوق والواجبات : **(.. ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ..)** البقرة/٢٢٨ . **وليست** الدرجة التى للرجال على النساء درجة الاستبداد والغطرسة **بل هى** درجة القوامة والمسئولية ، **اذ لا بد** فى كل مجتمع كبير أو صغير من مسئول أخير يرجع اليه والا عمت الفوضى فى كل التصرفات .

ولمناسبة عام المرأة اثار بعض الحاقدين على الاسلام قضايا الارث وتعدد الزوجات والطلاق ظنا منهم أن ذلك مما يضعف روح التدين عند المرأة المسلمة ، ومتى ضعف الدين فى قلب المرأة سهل اضعافه فى نفس الرجل ، أليست — هى الأم والأخت والزوجة والبنت ؟! وقد نجح هؤلاء الدعاة فاجتذبوا الى صفهم بعض ربات الصالونات اللواتى لا حظ لهن فى الحياة الا الظهور فى المجتمعات والندوات ، وهؤلاء — والحمد لله — لا زلن فى مجتمعنا قليلات نادرات اذ لا زال أكثر النساء فى المجتمع الاسلامى قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله كما وصفهن الله تعالى بعد أن بين أن الرجال قوامون على النساء بقوله جل شأنه : **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ..)** النساء/٣٤ .

هذا : وسأعرض لبيان حكمة الله تعالى فى تشريع الارث وتعدد الزوجات وتشريع الطلاق — بصفة مجملة — حتى تطمئن النفوس الى أن الخير كل الخير فيما شرع الله وأن الشر كل الشر فيما يدعو اليه أدعياء الحفاظ على حقوق المرأة .

الارث : اذا كان الاسلام قد جعل للمرأة فى أكثر صور الميراث نصف ما للرجال فانه بجانب هذا أوجب على الرجل واجبات أعفى منها المرأة ، فنفقتها — كزوجة — على الزوج مهما كانت موسرة ومهما كان معسرا ونفقة الأولاد على الأب وليس على الوالدة شيء الا أن تتفضل وتتبرع . وان أوجبت الظروف عليها الاسهام فى النفقة فتكون دينا على الرجل ، فالاسلام لم يجعل للرجل حق تقييد المرأة فى تصرفاتها المالية كما هو الشأن فى قوانين بعض الدول التى تعد فى نظر هؤلاء الدعاة متقدمة ومتمدينة ، ولا تنسوا أن المرأة — قبل الاسلام — لم يكن لها حق فى الميراث ، بل كانت تورث كالمتاع ، فجاء الاسلام فأنصفها : **(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا)** النساء/٧ . **فليتأمل** المنصف الى تعقيب الحكم التشريعى : **(مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا)** .

ولعل فى هذا البيان المجمل غنية لمن أراد أن يعرف حكمة الله فى تشريع الميراث .

أما تعدد الزوجات — وقد كثر فيه

الجدل واثيرت حوله الشبهات فانا نقول لهؤلاء المشككين . ولهؤلاء المتشككات : ان الله لم يفرض التعدد فرضا . ولم يطلقه اطلاقا بل أباحه مقيدا بقيود ، فان الله الحكيم يعلم من عباده ما قد يجهلونه من أنفسهم وواقع الحياة يشهد لما نقول . فهذه الأمم التى حرمت تعدد الزوجات أباحت نظام الخليلات . فهل الأكرم للمرأة أن تكون نسبتها الى الرجل كنسبة امرأة اخرى مساوية لها فى الحقوق ولأبنائها من الحقوق ما لابناء الأخرى .. ؟ أم ترضى أن تكون علاقتها به علاقة جسدية بحتة .. ؟ ثم ان الشرائع السابقة كما تنطق كتب أصحابها التى بين ايدينا لم تضع قيودا ولا حدودا للتعدد كما فى سفر الملوك من العهد القديم ولاسيما ما ذكر عن داود وسليمان عليهما السلام .

هناك دواع وملابسات تحمل على التعدد منها الاعفاف وطلب الولد ودوافع أخرى ، ليس منها مجرد الاشباع والجرى وراء الملذات .

أما الطلاق فقد جعله الاسلام أقبح الحلال ، ولكن شرعه الله حينما تصبح الحياة الزوجية ضربا من البلاء والشقاء بدلا من أن تكون مودة ورحمة . ونظرة الى البلاد التى كانت تحرم الطلاق ثم أباحته تجعلنا نحمد الله على أن جنبنا هذه المزالق .

واذا كان بعض الناس يسيئون استعمال حقوقهم فليس ذلك نقصا فى التشريع وانما هو تقصير فى التأديب والتهذيب .

ان الاسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة فى التشريع الا بقدر ما يحفظ للمرأة كرامتها ، ويجنبها أطماع الطامعين فلا يرضى لها أن تتبذل ولا أن تستغل كدعاية للسلع ، ولا يرضى لها أن تكون أمينة سر لرجل اجنبى (سكرتيرة) ولا أن تكون عارضة أزياء الى غير ذلك مما يجعلها سلعة تستغل للاثراء ، ولكن يرضى أن تتعلم من العلوم ما ينفعها وينفع أسرتها وأمتها فلتكن معلمة لبنات جنسها وطبيبة ، ولتتول من الأعمال ما يتفق مع طبيعتها على أن لا تنسى أنها الأم والأخت والزوجة والبنت ، وانها العرض والشرف ولا تلقى بالا لهؤلاء المتباكين على حقوقها، فانهم لا يهدفون الا الى ابعادها عن دينها وعن المنهج الذى رسمه الله لها : **(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)** النساء/٢٦ ـ ٢٨ .

وبعد فليس هناك خصومة بين الرجل والمرأة فى ظل الاسلام وانما هى خصومات مفتعلة يراد ان يشغل بها الناس عما يجب أن يشغلوا به أنفسهم من بناء الأسرة الاسلامية على أسس متينة من التوجيه الالهى .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مائدة القارئ

دعوة ابراهيم (عليه السلام)

قال تعالى : ـ حكاية عن ابراهيم عليه السلام ـ :
« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

الملك والعدل

قال اردشير لابنه : يا بنى : ان الملك والعدل اخوان ، لا غنى باحدهما عن الآخر ، فالملك أس ، والعدل حارس ، و (البناء) ما لم يكن له اس فمهدوم ، والملك ما لم يكن له حارس فضائع .
يا بنى : اجعل حديثك مع اهل المراتب ، وعطيتك لاهل الجهاد ، وبشرك لأهل الدين ، وسرك لمن عناه ما عناك من ذوى العقول .

تحصين المدينة

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه يستاذنه فى تحصين مدينته .. فكتب اليه عمر ـ رضي الله عنه ـ : حصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم .

مراتب العلم

قال الاصمعى : اول العلم : الصمت . والثانى : الاستماع . والثالث : الحفظ . والرابع : العمل . والخامس : نشره .

اكرمكم عند الله

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطبته في حجة الوداع :
« يا ايها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي فضل على اعجمي الا بالتقوى » .

اربعة واربعة

اربعة لا تعرف الا عند أربعة : لا يعرف الشجاع الا عند الحرب ، ولا الحليم الا عند الغضب ، ولا الأمين الا عند الأخذ والعطاء ، ولا الاخوان الا عند النوائب .

السعيد

قال البحتري :

اذا ما كان عندي قوت يومي
طرحت الهم عني يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالي
لأن غدا له رزق جديد

بكاء المرأة

روى الشعبي قال : كنت جالسا عند شريح اذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب ، وتبكي بكاء شديداً . فقلت : اصلحك الله ، ما اراها الا مظلومة ، قال : وما علمك ؟ قلت : لبكائها . قال : لا تفعل ، فان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون .

التربية في الإسلام

للأستاذ : على القاضي

تمهيد :

لو اننا نظـرنا الى الأديان والى الفلسفات الانسانية فى تاريخهـا الطويل لوجدناها تفرق بين القـوى الروحية والقوى المادية تنكر احداها وتعترف بالأخرى أو تعترف بهمـا وبوجود تصادم وخصام بينهما .

فالمسيحية والبوذية والهندوكيـة ترى كل منها أن خلاص الروح مرهون بكبت الجسد أو بتعذيبه أو بافنائه او على الأقل باهمـاله والكف عن لذائذه .

والفلسفات المعاصرة كالشـيوعية والوجودية تعنى كل منها بالناحيـة المادية وحدها وتنكر الناحية الروحية انكارا تاما .

أما الاسلامفله ايديولوجيةاساسية خاصة فى مجال النظـرة الى الله والكون والحياة والانسان والمجتمع ، وله نهج فكرى كامل شامل للحيـاة وما فيها والانسان وصلته بالكونالذى يعيش فيه وبالله الأعلى الذى خلقه وخلق الكون .

فالله سبحانه وتعالى خلق الكون، وجعل الانسان خليفة له فى الأرض يؤدى رسالته فى هذه الحياة طبقـا للنظام الذى أراده الله ، ولا يصح للانسان أن يدعى الأصالة فيضـع لنفسه المنهج الذى يسير عليه ، أو يطلق العقل فيما لا مجال فيه للعقل — وهذا المنهج يحقق للانسـان الاستقرار والاطمئنان ، ولا يوجـد مجالا لخلاف بين الناس أو عـداوة تشقى بها الحياة . وهذا النظـام كفيل بأن يسعد هذا العالم الحائر لو أنه حاول أن يستفيد منه لـكن الفلسفات الحديثة لا تحاولالاستفادة من الاسلام بل هى تسعى جاهـدة يعاونها الاستعمار فى ذلك لاخـراج الاسلام عن مقوماتهالنفسية والروحية والاجتماعية ومحاولاتها مستمرة لغزو الفكر الاسلامى واخراجه عن قيمـه ومناهجه بل لتدمير مقوماته ، وادخال مفاهيم اخرى للقضاء على استقلاله وذاتيته .

الكون واسراره :

هذا الكون حافل بالأسرار ، عامر بالقوى المختلفة التى تتفاعل مع حياة الانسان ، والمسلم يعرف هذا ، وهذه المعرفة تجعله فاهما للكون الذى يعيش فيه ، عارفا لمكانته فيه بالنسبة لمن حوله — والله سبحانه وتعالى الذى خلق الانسان وفضله على كثير من مخلوقاته وجعله خليفة له فى الأرض اعانه على اداء رسالته فيها بتسخير اشياء كثيرة له فى الكون ، وببيان أشياء من الغيب هو فى حاجة اليها لأنها تعينه على أداء هذه الرسالة وهو وحده وبامكاناته المحدودة لا يستطيع ان يصل اليها ، لانها خارجة عن دائرة حواسه ، كمعرفة الملائكة والشياطين ، والمنشأ والمصير ، وما الى ذلك .

وقد عرف هذا الجانب عن طريق الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لهداية عباده .. وقد اكتفى المؤمنون بما جاء به الرسل فى هذا المجال واحسوا بعظمة الله سبحانه وتعالى ، وعرفوا موقف الانسان فى الأرض من هذه العوالم والأرواح ثم شغلوا طاقاتهم العقلية فيما يعود عليهم بالفائدة — فى الكشف فى حدود هذه الأرض وما حولها ، واستعملوا هذه المعلومات فى عمارة الأرض والقيام بخلافة الله فيها على هدى من الله .

والمسلم يرتبط دائما بربه فى كل اعماله ، ويرى انه مهما احرز من سبق فان ذلك كله بفضل الله ، وبهذا يتجه الى الحضارة وجهة ربانية ، ويعرف أن قيمتها الكبرى تكمن فى دعم الايمان بالله ، ويسعى جاهدا الى تقوية الصلة به سبحانه لان الارتباط والاستعانة به مصدر قوة عظمى تعين على المضي فى رحلة الحياة ، وتفيض على القلوب انسا وراحة وهو فى هذا المجال مطلوب منه الا يشغل نفسه بغير ذلك : **(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)** ٣٦/الاسراء . كما أنه فى مجال العبادات ، عليه أن يقيمها بالكيفية التى طلبها الله منه بلا جدال ولا مناقشة ، فالله الذى طلب اقامة هذه الشعائر هو الذى حدد نظامها وكيفيتها فلا مجال فيها للعقل .

ولكن مجال العقل فى النظر والتجربة يكمن فى الكون الذى يراه الانسان ويحس به ومطلوب منه أن يفكر وأن ينظر وأن يجرب والا فانه ملوم على تقصيره **(وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)** ١٠٥/يوسف .

صلة الانسان بالله :

الكون الذى نعيش فيه مكون من طاقات مادية وطاقات روحية متصلة ومن وراء ذلك قوة الله سبحانه وتعالى تسيطر على ذلك كله — والانسان خلق لا يعلم شيئا ، ثم جعل الله له الاحساس والشعور بالتدريج ثم اعطاه الله قوة أخرى ، هى قوة العقل فهو يتصرف بشعوره واحساسه تصرفا يكون له السلطان على الكائنات فيسخرها ويذللها بعد ذلك بوساطة العقل . والانسان بعقله يصبح ذا طاقة ضخمة فهو على ضعف أفراده يتصرف بمجموعه فى الكون تصرفا لا حد له ، فقد أعطاه الله مواهب ليظهر بها أسرار خليقته،

أعطاه الأرض وسخر له ما عليها كما أعطاه شرائع وحدد حدودا لأعماله واخلاقه ، وهذه الحدود تحول دون بغى افراده وطوائفه بعضهم على بعض ، والانسان المخلوق الضعيف يستطيع ان يتصل بالله الخالق القوى فى اى وقت يريد ، يتصل به فى الصلاة وفى الدعاء ، وفى كل عمل يستهدف به رضا الله سبحانه وتعالى ــ والله سبحانه وتعالى جعل الحياة بما فيها هى وحدها الطريق الى الآخرة ، والمسلم يحس بحقيقة الصلة بينه وبين ربه ويشعر بقدرته فى كل ما يحيط بالناس وكل ما يستمتع به مما سخره الله له وهو محض تفضل منه تعالى لأن الانسان لا يقدر على فعل شيء الا بارادة الله ــ وكل هذه المشاعر كفيلة باستبقاء القلب البشرى فى حالة يقظة حساسة لا تغفل عن مراقبة الله ، ولا تجمد ولا تتبلد بالركود والغفلة والنسيان ، فالايمان هو اتصال الانسان بالله وبالكون وبالنواميس وبالقوى الموجودة فيه ، وقد عرف وليام أوزلر الطبيب الكندى المشهور الايمان بالله بأنه « القوى الدافعة الكبرى التى لا تستطيع ان تزنها فى الميزان ، أو تختبرها فى الجفنة ولا يمكن ان يتم الاعتقاد فى وجود الله دون هذا الايمان » .

صلة الانسان بالكون :

المؤمن يحس بأن الكون صديق له، وهو يتعامل مع الوجود كله من فيه وما فيه على أساس من التعارف والتعاون ، والالفة والمودة ، وهو لذلك يحس بالأمن والاطمئنان ، كما يحس بأن للحياة طعما غير ما لها فى نفس من لا يؤمن بالله ، ذلك لأنه يعيش فى جو صديق ، فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ، والذى يقرأ سورة النحل يجد فى آياتها انواعا من المخلوقات التى سخرها الله للانسان ــ وبذلك يدرك أن الله سبحانه وتعالى تولى رعايته ، ويؤمن بأن الناس الذين يعيشون معه فى هذا الكون اخوته وهم جميعا مخلوقون : من ذكر وانثى، ومتساوون امام الله ، لا فرق بين انسان وآخر الا بالتقوى : **(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** من الآية ١٣/الحجرات . ومن شذ عن هذا الطريق بأسلوب او بآخر اعيد الى الجماعة بالصلح او بالقوة **(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله)** من الآية ٩/الحجرات . فان حاربوا الله ورسوله وسعوا فى الأرض فسادا فلا بد من موقف حازم معهم : **(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض)** من الآية ٣٣/المائدة وبذلك تكون الجماعة الاسلامية قوية متماسكة فتتفرغ لتحقيق رسالتها فى هذا الوجود .. واذا كان هذا التعامل مع جماعة المؤمنين فان الاسلام اظهر الحكمة فى التعامل مع غير المسلمين، لأن الهدف سام لا يقتصر على الجماعة الاسلامية وحدها بل يستهدف ايضا المحافظة على مقدسات الأديان الأخرى

(ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) من الآية ٤٠/الحج . وهذا السلوك ضرورى لصلاح الضمير واستقامته ، وتنسيق حركته مع حركة الكون العامة ، ووضوح الارتباطات بين الانسان وخالقه وبين الانسان وبين الكون وما فيه وما يتبع هذا من تأثيرات أخلاقية وسلوكية واجتماعية وانسانية عامة فى كل مجال من مجالات الحياة .

الفرق بين الانسان وغيره :

والشيء الواضح الذى يميز الانسان عن غيره من الحيوان وجود الهدف والغاية عند الانسان ، فهو يعرف الغاية من الوجود الانسانى ومن وجود المخلوقات كلها من حوله، وارتقاؤه فى سلم الانسانية ينبع من شعوره هذا ، ودقة تصوره لوجود الناموس وارتباط الأحداث ، والمسلم لذلك لا يعيش عمره لحظة لحظة بل يرتبط فى تصوره بالزمان كله وبالمكان كله وبالوجود كله وقوانينه ، ويرتبط بالتالى بارادة الله العليا المدبرة ، التى خلقت الناس لهدف واضح فهو يعمل لتحقيقه ، وبذلك يدرك القلب البشرى على قدر ما يطيق حقيقة الألوهية وعظمتها ، فيعيش فى حساسية وخوف ورجاء ، ثم يحس بالوجود كله متجها الى خالقه فيتجه معه اليه مسبحا بحمده ، معترفا بقدرته ، ويحس بالراحة والاستقرار، ويعمل على أداء رسالته فى هذه الحياة .. ومن هنا فقد طلب من المسلمين ان يؤمنوا بالله وبما أنزل اليهم على رسوله الأمين وبما أنزل الى الأنبياء جميعا بلا تفريق بين واحد وآخر : **(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)** ١٣٦/البقرة .

والانسان له الى جانب الحواس المعروفة ، قلب يدرك به أمورا لا تستطيع الحواس أن تدركها ، يدرك به الحقائق الباطنة فى هذا الكون : **(فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)** ٤٦/الحج والفيلسوف ديكارت يقرر أن للانسان حواس داخلية أو باطنية تدرك الحقائق الخفية فى الكون فى مقابلة الحواس الظاهرة التى تدرك بها الحقائق الظاهرة ، والانسان يستطيع أن يستخدم فى حياته الثروات المختلفة كالحديد والنحاس والبترول ، ذلك لأن الانسان له فطرة التحضر التى تتطلب احتياجات .. لا نجدها الا فى مكونات تلك الأرض من معادن وحجارة وغيرها ــ وقوانين الطبيعة فى ذهن الانسان ــ قد سويت على الوضع الذى يحقق التطابق بين بعضها وبعض : **(ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت)** ٣/الملك . ومن هذه النواميس عقل الانسان ــ وبهذا التطابق تعمل جميع النواميس فى تناسق وتكامل .

ثم ان الانسان يحس بأن عليه عمارة الأرض **(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)** ٦١/هود . أى طلب منكم عمارتها بالزرع والمصانع وغيرها فالله سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم ، علمه ما ينظم صلته بواقعه، وما تتحقق به مصلحته يقول انشتاين ــ أن الشعور الدينى

الذى يجده الباحث فى الكون ، هو اقوى حافز على البحث العلمى وصنع الحضارة وان هذا الايمان عندى يؤلف معنى الله ــ . وللحضارة الانسانية جانبان ، جانب مادى وجانب انسانى وهما متلازمان فى الحضارة الاسلامية اما فى غيرها فغير متلازمين والجانب المادى تقدم فكر وعلم وتجربة وصناعة ، والجانب الانسانى ، تقدم وجدان وخلق وسلوك ــ والجانب المادى يلفت النظر أكثر ، لأنه واضح ويملك التجريب والتدبير الا أن ضرره اذا سار وحده أكثر من نفعه ــ ودعوة الاسلام لذلك تقوم على العناية بالجانب المادى وبالجانب الروحى والتخلى عن الأنانية ، وقيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الاسلامية وحدها ــ والمجتمع الاسلامى ليس مجتمع عدد ولكنه مجتمع قيم انسانية عليا ــ ومن هنا فان المسلم يتجه دائما الى الله يطلب منه العون والآية الكريمة **(ففروا الى الله)** ٥٠/الذاريات توحى بالأثقال والقيود التى تشد النفس البشرية الى هذه الأرض ، ومن ذلك مطالب العيش والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة وما الى ذلك ، الأمر الذى جعل الآية الكريمة تطلب من المسلمين الفرار الى الله من هذه القيود الى الله وحده المنزه عن كل شريك .

وظيفة المسلم فى هذه الحياة :

وظيفة المسلم فى هذه الحياة ضخمة ، واثره كبير فى هذا الوجود الكبير ، فهو جزء من هذا الكون ، والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته ، يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه .. انه سيد الكون كله وليس عبدا الا لله الواحد القهار ــ ثم أن الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الانسان وهدوء مشاعره ، وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات البشر بقدر ما يرفع تصورهم للوجود الانسانى كله وبقدر ما يكشف لهم أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره ــ والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه فى أحسن تقويم ، وسواه ونفخ فيه من روحه، وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له فى الأرض .

والاسلام بهذا يرسي القواعد الأساسية التى لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ، ولا تعدد المذاهب ، ولا تنوع البيئات ، فمن أقام بها وأداها كاملة فقد ادى وظيفته وحقق غاية وجوده ــ ومن قصر فيها فقد أصبح بلا وظيفة فى هذه الحياة ــ واصبحت حياته خاوية من معناها الأصيل الذى تستمد منه قيمتها الأولى ، ثم اذا به يسير الى الضياع الذى يصيب كل كائن يتخلى عن وظيفته ويتفلت من ناموس الوجود الذى يربطه به ويحفظه ويكفل له البقاء .

ووظيفة الانسان فى هذه الحياة تربط الجن والانس بناموس الوجود وهى العبادة لله .. ومن هنا يتبين أن معنى العبادة أعم واشمل من اقامة الشعائر المعروفة اذ أن معناها يحقق خلافة الله فى الأرض وهى تقتضي الوانا من النشاط الحيوى فى عمارة الأرض والتعرف على قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ثم تستخدم استخداما يحقق رسالة

الانسان فى هذه الحياة : **(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة)** البقرة/٣٠ فمعنى العبادة يتحقق فى استقرار معنى العبودية لله فى النفس وفى استقرار الشعور على أن الله خلقه ليعبده وجعله خليفة له فى الأرض فهو يتوجه اليه بكل حركة في الضمير وفى الجوارح ، وفى الحياة ، وبهذا يتحقق معنى العبادة ويصبح كل عمل يعمله الانسان من اقامة الشعائر الى الجهاد في سبيل الله ، الى اقامة العدالة بين الناس ، هدفه عمارة الأرض والقيام بخلافة الله والنهوض بتكاليفها حسب النظام الذى وضعه الله — ثم تصبح قيمة الأعمال التى يقوم بها الانسان مستمدة من بواعثها ، لا من نتائجها ، فالانسان عليه أن يعمل فى الاطار الذى رسمه الخالق وجزاؤه عند الله يكون بالنية والعمل « انما الأعمال بالنيات وأنما لكل امرىء ما نوى » البخارى ومسلم . لا بالنتائج التى توصل اليها ولذلك يقول الله لنبيه : **(ان انت الا نذير)** فاطر/٢٣ . ويقول **(انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)** ١١٩/البقرة . والمسلم يضع علاقته بربه على هذا الأساس ويضع علاقته مع الناس فى موضعها الذى لا يتعداه فهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا ، وهم مخلوقون مثله والجميع عباد لله وبذلك لا تتوزع طاقاته ومشاعره بين آلهة مختلفة ، ولا بين متسلطين عليه من بنى البشر ، والمسلم يتلقى تشريعات الله تلقيا خاصا لينفذ مهمته فى هذا الكون ويؤثر قانون الله على ما عداه لأنه هو الذى ينسق بين حركة البشر وحركة الكون العام .

والمسلم يعرف أن الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت فى مواهب الأفراد وفيما يمكن أن يؤديه كل فرد ، والتفاوت فى مدى اتفاق هذا العمل وهذا التنوع ضرورى لتنوع الادوار المطلوبة للخلافة فى الأرض — فالتفاوت قاعدة ولكن نسبة التفاوت فى الرزق تختلف من مجتمع الى مجتمع **(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)** ٧١/النحل . أما مبدأ الرزق فقد تكفل الله به **(وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)** هود/٦ . ثم ان المسلم يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أنزل شريعة تفرق بين المسيئين والمصلحين فى جميع الأحوال وسيجازى الله كل نفس بما كسبت وفى ذلك تحقيق العدالة للناس أجمعين . يقول تعالى : **(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)** ٢١/الجاثية . والاسلام يريح المسلم من الأسئلة التى لا يستطيع أن يجيب عنها ولا يجد من اية فلسفة اجابة شافية عليها مثل من اين جئت .. ؟ ولماذا جئت .. ؟ والى أين أذهب .. ؟ وهذه الاجابة تجعله يحس بأن وقته كله مشغول بتحقيق وظيفته فى هذا الوجود .

والمسلم بعد هذا كله، له شخصية مستقلة وهو مسئول عن نفسه وعن عمله **(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)** ٤٦/فصلت .

الاسلام دين الوحدة :

الاسلام دين الوحدة بين القوى الكونية

جميعا وبين توحيـــد الله والأديان المنزلة من عند الله **(ان هذه امتــكم أمة واحدة)** الأنبياء/٩٢ . وعن تلك الوحدة تصدر تشريعاته وبذلك تتبين لنا اسس التربية الاســلامية التى تتناول الضمير والوجدان والسـلوك والقيم ومن هنا فان الحياة فى نظر الاسلام حياة تراحم وتواد وتعـارف وتكامل بين المسلمين وبين جميعأفراد الانسانية ــ وحين تطبق هذه الفكرة تطبيقا كاملا فانها تؤتى ثمارها وذلك حين توجد العقلية الواعية الفاهمــة التى تطبقها على الأســاس الذى أراده الله فتعمل على اقامة حضارة اسلامية عمادها نشر العدالة والأمن والطمأنينة وتســتخدم ما فى الأرض من خبرات وثروات وعلم وموهبــة ليكون لها دورها فى اقامة هـــذه الحضارة **(وأنزلنا الحديد فيــه بأس شديد ومنافع للناس)** الحديد/٢٥ . فالنفس الراضية المطمئنة الى الايمان الحقيقى ، لا تستريح آلا فى الداب لمعرفة أسرار الكون كيما تزداد بالله اتصالا ، وسبيلها الى هذه المعرفة ، البحث والنظر فى خلــق الله وفى أسرار الكون ، نظرا علميا دعا اليه القرآن ، والغاية فى الاسلام ترمى الى حسن العرفان بالله عرفانا كلما ازداد زدنا ايمانا به جل شـــأنه ، والتى ترمى الى حسن العــرفان من جانب الجماعة كلها لا من جانبالفرد وحده ، والمسلم دائما يلتمس العون من الله واتجاه الانسان اليه يعليــه درجة للاهتداء الى اسرار الــكون وسفر الحياة **(يأيهـــا الذين آمنوا استعينوا بالصـــبر والصـــلاة)** ١٥٣/البقرة . على حين ترمى فـــى الغرب الى الاستفادة المـــادية من الكون .

والوحدة الكونية التى يحس بهــا المسلم ، تفيد الســـلام الدائم بين الانسان ونفسه ، وبين الانســـان والكون ، وهذا السلام يطلق للروح نشاطها كما يطلق للجسد نشاطه ، ثميوحد هذا النشاط ويتجه بهالىالخير والصلاح ، يتجه به الى عمارة الكون والى تحقيق خلافة الله فى الأرض . وهذا السلام لا يعقد على حســـاب الروح ولا على حساب الجسد كمــا لا يعقد على حساب الفرد ولا علـــى حساب الجماعة وفى الوقت نفســـه لا يعقد على حساب طائفة من الناس او جيل من الأجيال وهكذا ينطـــلق نشاط الفرد كما ينطلق نشاط الجماعة لبناء الحياة وانمائها .. وكل هـــذا يتم حين يعيش الانســـان بوجدانه وذهنه فلا يكون فى هذا الكون الا التفـــكير المتمشي مع ما أراده الله ولا يجد فيه الا الطاقات الايجابية لله ولا يرى نفسه الا منفذا لمشيئة الله **(وما تشاءون الا أن يشـــاء الله)** ٣٠/آلانسان ويترتب على هـــذا أن صلة الانسان بالله هى صلة مباشرة بلا وساطة من انس أو جن أو غير ذلك **(واذا سالك عبـــادى عني فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان)** البقرة/١٨٦ حتى الذين اساءوا الى انفسهم واسرفوا فى الاســـاءة لا ينبغى أن يقنطوا من رحمة الله بل ان الباب مفتوح على مصراعيــه لمن اراد العودة الى الله **(قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفـــور الرحيم)** الزمر/٥٣ .

خاتمة :

حين ننظر الى الكون الذى نعيش فيه نجد أن مشاغل الحياة ظلت تظهر فى محيط الحس الى أن تغطى على الحاسة الباطنة فاذا بالانسان لا يرى الا الحس . والاسلام قد عالج هذه الناحية بأن جعل له منهجا تربويا يحرص فيه على ربط الانسان بخالقه وتذكيره دائما به وبالتدبر فى مخلوقات الله وفى انعامه عليه **(أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)** مريم/٦٧ كما عالجها بأن عمل على أن يقى الحاسة الباطنة من موجات هذه الأهواء والشهوات التى تهب كالأعاصير فأمر ان يقى الانسان حاسته الباطنة موجات هذه الشهوات ومن هنا كان معنى التقوى استمرار المدافعة ، وبالصبر والتقوى يستطيع الانسان أن يقى نفسه هذه الموجات المتوالية القاسية فتصبح حاسته سليمة **(انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين)** يوسف/٩٠ .

وتعلق الانسان بعقيدة راسخة معناه الاستقرار الفكرى ومنع الاضطراب والتقلب والتردد **(افمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم)** الملك/٢٢ .

واذا كانت الفلسفات الحديثة لم تصل الى هذا المستوى من الفهم والادراك والتعمق فى معرفة الله فان (هكسلى) وهو واحد من اكبر علمائها فى هذا المجال قال « ما علينا الا أن نكون متواضعين ونسلم بأن فكرتنا عن الله فكرة لا تزال الى حد كبير غير كاملة وأن هناك الها اكبر بكثير من فكرتنا » . كما أن (هارى ارسون) فى كتابه : كيف تكون رجلا يقول « انه ما من انسان يستطيع أن يكون غير مؤمن فقد ركب الانسان من الناحية النفسانية بحيث أصبح مضطرا الى الايمان بالله أو بغيره فمتى فات الايمان الايجابى فان السلبى يحل محله ويتعلق بالآراء التى تجعل منا عبيدا للحياة لا سادة لها » وقوة الفلسفات الحديثة التى تنكر وجود الله ، ليس فى ذاتها بل بتكرار الدعوة اليها ، وقوة القانون فى السلطة القائمة على تنفيذه ، والخصومة المذهبية طابع الفلسفات الحديثة، وسبب اختلاف القوانين كون الانسان محدودا ومحدودية الانسان تجعل عيوب القوانين كثيرة ، وطبيعة الانسان فى الفلسفة والقانون سبيل الى عدم العصمة، وهى بالتالى سبيل الى التراخى فى التنفيذ والطاعة .

لكن فلسفة التربية الاسلامية ، تجعل ضمير الانسان يقظا ، ولذلك فان ضمير المسلم بمثابة السلطة الذاتية على عكس القانون الوضعى، والانسان فى تربيته الاسلامية يحس بأنه ليس وحده فى هذا الكون الفسيح فان من حوله وفى كل اتجاه وحينما امتد به النظر أو طاف به الخيال اخوان له من خلق الله مختلفون فى الصور والأشكال ولكنهم يتجهون الى الله ويسبحون بحمده وان كان لا يفهم تسبيحهم وهو فى النهاية خليفة الله فى الأرض يحق الحق ويبطل الباطل ويشعر بأن الكون صديق له ومعينه على أداء رسالته فيعيش آمنا مطمئنا ، انه فى الأرض، ولكن قلبه معلق فى السماء .

لبيك ربي ..

للشاعر : على الفقى

واجيل طرفى فى الوجود فلا أرى فيه سواك
وبكل كائنه أرى سرا يبوح به سناك
واراك فى سمعى ، وفى بصرى ، وفى قلبى اراك
تهب العطاء الى الوجود وتمطر النعمى يداك
تعطى وتمنع كيف شئت وانت احكم فى علاك
ولك الوجود وما حوى من فوق ارضك او سماك
لبيك ان الحمد لك
لبيك ان الملك لك
لبيك .. انت الواحد الموجود والملك الأجل
وبكل شيء فى الوجود على وجودك استدل
لبيك يا ملك الملوك ومن سواك له البي ؟
لبيك جئتك باسطا كفى ومعترفا بذنبى
ولزمت بابك ارسل الزفرات تسبقها دموعى
ووقفت عندك خاشعا أطوى على ظمأ ضلوعى
لبيك ما لك من شريك
فى الملك يا نعم المليك
لبيك انت الواحد الموجود والملك الاجل
وبكل شيء فى الوجود على وجودك استدل
فلرب عاص سادر الخطوات فى ليل الذنوب
ما مل من طول الطريق ولا تلمس ان يؤوب
تدرى وتعلم ما يريد وانت علام الغيوب
ألهمته الدرب القويم وما كدربك فى الدروب
وسترته فى العالمين وانت ستار العيوب
آيات فضلك لا تعد
وبساط عفوك لا يحد
لبيك انت الواحد الموجود والملك الاجل
وبكل شيء فى الوجود على وجودك استدل

الحقائق وحدها

يجب احكام الرقابة على الطرائق التي نؤثر بها فكرة على فكرة ، واتجاها على اتجاه ، فان الغش في المقاييس العظيمة اكبر شيوعا من الغش في موازين التجار الخونة !

والغريب أن الانسان قد يضيق اذا بخس حقه في سلعة دفع ثمنها كاملا ، ويشعر بسوأة الختل وسوء المعاملة ، بيد أن هذا الانسان نفسه لا يشعر بكبير حرج عندما يصدر حكما خاطئا على أمر من الأمور . او عندما يقتنع بصدق اسطورة مبتوتة الصلة بالواقع .. وقد حرك القرآن الكريم جمهور المشركين كي يستبينوا طبيعة ما لديهم من عقائد ومذاهب وأهاب بهم أن يعيدوا النظر في تقويمها ! وأن يكشفوا الغش الذي زين لهم قبولها ! وساءلهم أين الدليل على ما ذهبوا اليه ؟

(أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) الأنبياء / ٢٤

(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) . النمل / ٦٤ .

والمطالبة بالبرهان فى كلتا الآيتين ليست أكثر من عرض لاعادة النظر في المواريث الفكرية السائدة حتى ينبذ منها ما لا دليل عليه ، وحتى يتخلص الانسان من قيود الوهم التي تشل قدرته وتضلل غايته .

ولسنا هنا فى مقام التنديد بقوم ألغوا عقولهم ، وتبعوا ما انتقل اليهم عن آبائهم ، فاذا بدا لهم خطلهم أصروا عليه ، لبلادة غلفت عقولهم بالتعصب ، وجعلتهم يردون هاديهم الى الحق بهذا الجمود **(قال أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون)** الزخرف / ٢٤ فان هذا الصنف من

مِن اجل الانسان

الشيخ محمد الغزالي

الدهماء مهدر الكرامة ، بين الرذيلة.

انما حديثنا هنا فى كثير من أولى العقل الذكى ، والفكر النير ممن يحترمون المنطق وينحنون للدليل ، ولكنهم لأمر ما سمحوا لأفكار شتى أن تتسرب الى نفوسهم ، وان تؤثر فى سلوكهم دون وعى كامل ونقد حصيف والزلل الفكرى لهؤلاء الكبار بعيد المدى .

وأشيع ما يكون هذا الزلل بين المبرزين في فن ما عندما يتكلمون في فن آخر .

ان الرجل قد يتبوأ القمة في علم الطب ، فاذا تحدث في التشريع او اللغة وقع فيما لا تقع فيه الناشئة، وبعض المخترعين تحدث فى الدين بكلمات تثير الضحك ، وأبدى آراء لا وزن لها .

واذا تركنا ميادين التخصص العلمي المختلفة وجدنا انفسنا امام عوائق اخرى دون الحقيقة المجردة .

ان العلماء فى ميدان واحد قد يبدؤون البحث من أساس هو موضع ثقتهم التامة ، مع ان هذا الأساس نفسه مدخول خادع .

وما أكثر الوراثات والاشاعات والافهام التي لا تثبت على التمحيص وهي عند أصحابها عقائد مكينة ، ومن ثم فنحن احوج ما نكون الى المنطق العلمي الصارم فى تقويم كل شيء ، وترتيبه حسب منزلته من اليقين . يقول (الكسيس كاريل) : في جميع الأزمان كانت الانسانية تتأمل نفسها من خلال منظار ملون بالمباديء والمعتقدات والأوهام ، فيجب أن تهمل هذه الأفكار الزائفة غير الصحيحة . ومنذ أمد بعيد أشار (**كلود برنار**) في كتاباته الداعية الى التحرر الفكري الى ضرورة التخلص من النظم الفلسفية والعلمية السائدة كما يفعل الانسان حينما يحطم سلاسل العبودية العقلية ، ولكن

بلوغ مثل هذه الحرية لم يتحقق بعد لأن البيولوجيين والمعلمين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع ، كانوا اذا ما واجهتهم مشكلات شديدة التعقيد غالبا ما يستجيبون للاغراء الذي يستحوذ عليهم لكي يبنوا نظريات ثم يقلبوها بعد ذلك الى معتقدات ، ومن ثم تبلورت علومهم على شكل تراكيب شأنهم فى ذلك شأن المتعصبين للديانات . اننا نلاقي كثيرا من دواعي التعب بسبب هذه الأخطاء فى جميع نواحي المعرفة .

ونحن نود لو عولجت الآراء والمقترحات والمذاهب بأقصى ما لدى البشر من ذكاء وتجرد وحرية ، فان الأوهام بين الناس أكثر من الحقائق، ولو كانت الظنون العلمية والاجتماعية والدينية تتساقط من أذهان أصحابها كما يتساقط ورق الشجر في فصل الخريف ، لعريت عقول كثيرة مما يتماسك بها ، وما يطلبه مؤلف (الانسان ذلك المجهول) هو ما سلكه كبار العلماء عندنا .

ان نشدان اليقين هوغاية المفكرين المسلمين في مزدحم الآراء التي تلقاهم ولا شك أن القرآن الكريم من وراء هذا السعي الحميد .

وتأمل في هذه الآيات التي تجمع الرذائل الفكرية والنفسية لأي رأي وتحذر من مفارقتها **(قتل الخراصون• الذين هم فى غمرة ساهون • يسألون أيان يوم الدين•)** الذاريات ١٠ — ١٢

التخرص ، والانغماس فى الغفلة، والسهو عن الواقع هذه آفات لاتنتج حقيقة أبدا ومثلها غفلة الحواس وذهولها **(ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** ق / ٣٧ فكم من حاضر الجسم غائب اللب ؟ أترى ذلك يعي ما أمامه ؟

(فذرهم في غمرتهم حتى حين • أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين• نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) . المؤمنون ٥٤ — ٥٦

المرء المغمور بصور مادية ومعنوية معينة قلما يخرج من محبسه ليدرك مشاهد أخرى للحياة أو جوانب من الحق لا يحسها .

الا أن تدركه أقدار حسنة فتتيح له أن يعرف ما كان يجهل .

والحضارة الاسلامية فى اعصار ازدهارها ، وقربها من منابعها كانت تلمع فيها هذه الصبغة الباهرة ، صبغة التجرد للحق ، والبحث عن اليقين .

ولنتناول طرفا من حياة الغزالى الكبير ، كنموذج اسلامى فى مجتمع شبيه بعصرنا هذا ، كانت الأفكار فيه والمذاهب تتصارع في كل قرية ومدينة ، اذ ان الثقافات الأجنبية العالمية تمت ترجمتها تقريبا الى العربية في الوقت الذي بلغت فيه علوم الدين واللغة مرتبة الاستقرار وشاع الجدل العلمى في كل ناحية وانتشرت مجالسه ومناظراته .

فكان طالب الحق يجد نفسه أمام الوان شتى من التفكير ، وبين دعوات تجتذبه من هنا ومن هناك . وانك لتلمح مدى الحرية العقلية التي تمتع الغزالى بها وهو يصف نفسه في كتابه « المنقذ من الضلال » اذ يقول :

« ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل العشرين الى الآن وقد اناف السن على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور ، وأتوغل

فى كل مظلمة ، واتهجم على كل مشكلة واتقحم كل ورقة ، واتفحص عن عقيدة كل فرقة ، واستكشف اسرار كل طائفة لأميز بين محقق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا اغادر باطنيا الا واحب ان اطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولاصوفيا الا واترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا الا واتحسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته .

وقد كان التعطش الى درك حقائق الأمور دأبي وديدنى من اول امرى وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي ، لا باختيارى وحيلتي ، حتى انحلت عنى رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على التهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام وسمعت الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (صحيح رواه الطبراني في الكبير) فتحرك باطني الى حقيقة الفطرة الأصيلة وحقيقة المعارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات واوائلها تلقينات وفى تمييز الحق منها عن الباطل .

فقلت في نفسى : أولا انما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم » .

والمنهج العلمي البحت . الصارم في ضبط المقدمات ووزن النتائج بموازين الذهب ، لا يلقى أشرف من هذه السيرة ولو وضعت هذه السطور المضيئة أمام المؤلف الفرنسي الكبير لامتلأ قلبه اجلالا لصاحبها . ونحن ـ حين نخط هذه السطور ـ نشفق من متاجرين بالحرية العقلية ، لا يؤيدونها الا بمقدار ما تعطى الشبهات حق الحياة ، والخطأ حق الانطلاق ، والفوضى حق التدمير .

فاذا أتاحت لهم الحرية ما يبتغون سدوا على خصومهم افواه الطرق ودفعوا بالمجتمع كله صوب ما يعتنقون .

وهذه ثمار مرة لا يرى عاقل أن يمهد لها ، والأمر يحتاج الى تفصيل ومحاذرة .

ففي ميدان العلم ، وفي مجامعه الكبرى ، وصفوفه العليا يمكن ان ندرس النقائض ، وتسمع شتى الآراء ، وتناقش جهرة دون حرج ومع تأمين مطلق لذويها .

أما أن يتمكن بعض المنحرفين من آذان العامة ويصبوا فيها الوان الاغراء ، ومنازع الشر ، فهذا هدم لا بناء ، وخطره على المجتمع شديد اذ هو سيزلزل القيم التي يتحرك بها ويوهى الأواصر التي تشد بعضه الى بعض .

ولقد رأيت بعد انعام النظر واستقراء الأحداث أن الباطل لا يسير فى الأرض بقواه الذاتية ، وانما تسيره عوامل الرغبة والرهبة وتسنده الرشا والسيوف ، وعندما تتخلى عنه

يتهاوى من تلقاء نفسه .
أما الحق فان تجاوبه مع فطرة الله في النفوس يجعله مقبولا مستحبا ويقدره على تخطي العقبات واجتياز السدود ، أي ان الحق لا يخشى الحرية ابدا .

ومن ثم فنحن مع توفير الحرية التامة في أرجاء المجتمع ، نعتقد ان هذه الحرية بما فيها من حرارة ستنضج السنابل النافعة وتقتل الحشرات الضارة . سيأخذ الحق منها جواز مروره الى الأعقاب على اختلاف الليل والنهار ، وسينكمش الباطل في جوها ، فاما صعق لفوره ، واما تحرك قليلا ريثما يلقى حتفه

وكم من عوج في الدنيا ما يمسك بقاءه الا استخفاء هذه الحرية العزيزة ولو هبت رياحها يوما لخلعت جذوره.

وبديهى أن الحرية التي نعشق هي تلك التي تحد من جهاتها الأربع بما لا يضر الآخرين . انها الجو الذي يعيش على تمحيص الحقيقة ويساعد على قبولها دون قسر او ختل .

والعلم بالانسان ورسالته ، وضمان حاضره ومستقبله ، والتسامى به مبنى ومعنى جهد رحيب الدائرة ، بل ان العلم بالانسان لا يصح الا مع خبرة محترمة بعلوم الكون والحياة واحاطة حسنة بجملة الحقائق المادية والتاريخية والاجتماعية .

ولا غرو فالانسان أثمن درة في هذا الوجود ، والقصور لا يجدى في فهم قضاياه . ولذلكيقول « الكسيس كاريل » : (ان علم الانسان يستخدم جميع العلوم الأخرى ، وهذا سبب من أسباب بطئه وصعوبته) ويقول « من الواضح طبعا انه لا يوجد عالم يستطيع ان يتحكم ويتفوق فى جميع الفنون التي لا غنى عنها لدراسة مشكلة واحدة من مشكلات الانسان » .

وليس هذا مثبطا للهمم أو معجزا للباحثين ، ولنبدأ السير من الآن « سيكون علم الانسان مهمة المستقبل فيجب أن تقنع الآن بالبداية سواء من الناحية التحليلية أو من الناحية التركيبية المتعلقة بالصفات الانسانية » .. وهنا نشرف على أنفس ما وصل اليه العالم الغربي الألمعي !

ما الانسان الذي نحيطه بتلك الهالة النيرة ؟ .

لقد كرم الله الانسان من قديم ؛ وفضله على صنوف البر والبحر .

وفى عصرنا هذا نجد الانسان بدل ان يصعد السلم بقدمين يحمله المصعد الى أعلى ، وبدل أن يقطع المسافات الشاسعة فى سفره تحمله الطائرات الى أعلى ما يبغي .

ان عناصر وفيرة في الأرض والسماء مسخرة لاراحة البشر وترفيههم ، وكلما ارتفعت الحضارة زادت أعداد العناصر المسخرة للانسان ، وزادت مقدرة الانسان على تطويعها لرغباته .

فهل كرامة الانسان وعظمته تعودان الى هذه المهارة ؟ كلا ، ان الانسان الذي يصعد السلم على قدميه وهو يلهث أشرف من ممتطى المصعد ، اذا كان الأول يحمل بين حناياه قلبا زكيا ، ونفسا نقية ، وكان الآخر لا يعرف الا ملء معدته واطفاء شهوته .

ليس شرف الانسان بمدى سطونه في الأرض ، بل بمدى تنمية مواهبه العليا وملكاته النبيلة .

وفي هذه الأيام نستقبل انباء غزاة الفضاء وهم يحاولون ببأس شديد أن يتعرفوا الكواكب الأخرى ويضعوا اقدامهم على سطحها .

ان هذا تقدم علمي رائع بيد أن قيمته الانسانية هابطة ما بقى الشر على ظهر الأرض يأكل أبيضهم أسودهم ، ويستذل قويهم ضعيفهم، ويصبحون ويمسون وهم لا يحسنون الا خدمة الاهاب الطيني الذي احتوى خصائصهم ووظائفهم المادية والمعنوية « فان كل انسان منصرف الآن — هكذا يقول كاريل — الى الاهتمام بالأشياء التي تزيد من ثروته وراحته في حين لا يوجد من يدرك ان الصفة البنائية والوظيفية والعقلية لكل فرد يجب أن يتناولها يد التحسين فان صحة العقل والحاسة الفعالةوالنظام الأدبي والتطور الروحى تتساوى في اهميتها مع صحة الأبدان ومنع الأمراض المعدية . ويستطرد (كاريل) فيقول :

اننا لن نصيب أية فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية وقد يكون من الأجدى ألا نضفى مثل هذا القدر الكبير من الأهمية على اكتشافات الطبيعة والفلك والكيمياء ومن ثم فان من الأفضل كثيرا أن نوجه اهتماما أكثر الى أنفسنا عن أن نبني بواخر أكثر سرعة وسيارات تتوافر فيها أسباب الراحة وأجهزة راديو اقل ثمنا أو تلسكوبات لفحص هيكل سديم على بعد سحيق ، ما هو مدى التقدم الحقيقى الذي نحققه حينما تنقلنا احدى الطائرات الى اوربا أو الى الصين فى ساعات قلائل؟ هل من الضروري أن نزيد الانتاج من غير توقف حتى يستطيع الانسان أن يستهلك كميات أكثر باطراد من أشياء لا جدوى منها ؟ ليس هناك أي ظل من الشك فى ان علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن اعطائنا الذكاء والنظام الخلقى والتوازن العصبى والأمن والسلام .

يجب أن نصرف حب استطلاعنا عن سبيله الحاضر ونوجهه في اتجاه آخر . .

يجب ان ننصرف عن الأبحاث الطبيعية والفسيولوجية لتتبع الأبحاث العقلية والروحية . »

● ■ ●

وقائل هذا الكلام رجل يستمد معرفته من المعمل والأرقام ، والوقائع ، وهو يبغى بمنطق العلم التجريبي المنزه عن الوهم والمجازفة أن يعرف الانسان نفسه ومصلحته العاجلة او الآجلة .

ولو وعى رجال الدين وظيفتهم لأسهموا بنصيب كريم في هذا الميدان . . أعنى أن يلتفتوا الى هذا العلم الجديد « علم الانسان » ليضيئوا متاهاته بمنارات الوحى ، فان كل علم للأنسان يجب ارساء قواعده على الايمان بالله واليوم الآخر . وعلى اعتداد مرحلة العمر فترة اختبار لها ما بعدها .

وعبيد الدنيا ينكرون هذا الكلام اشد الانكار ويتوهمون أن مستقبلهم هنا ، وحسب .

ما أشبههم برجل قرر أن يزرع صحارى القطبين ، واستصحب في رحلته اليها قناطير البذور انه لن يجنى من جليدها الا متاع الغرور .

الفتاوى

للشيخ عطية صقر

الحسد بالعين ..

السؤال :

ما هو الحسد بالعين وما موقف الاسلام منه .. ؟
أ. م. ع — ابو ظبى

الجواب :

الحسد بالعين حقيقة ملموسة لا ينكرها أحد ، وهى ظاهرة موجودة من قديم الزمان ، وان عجز بعض الناس عن تفسيرها تفسيرا علميا ، وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » رواه مسلم . وقد اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم لها اجراء وقائيا واجراء علاجيا ، فقد ورد عن ابى سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعود من الجان وعين الانسان . كما روى الترمذى وصححه أن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، أن بنى جعفر تصيبهم العين ، أفأسترقى لهم ؟ فقال : « نعم ، ولو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين » .

وجاء فى سند أبى داود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين ، وروى مالك أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل ، فقال : والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . قال : فلبط سهل ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرا فتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، الا بركت ، اغتسل له » فغسل له عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه داخلة ازاره فى قدح ، ثم صب عليه ، فراح مع الناس ..

وقد ذكر ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد ج ٣ ص ١١٦ » عدة أحاديث فى هذا الموضوع ، وعلق عليها بقوله : ابطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين ، وقالوا : انما ذلك أوهام لا حقيقة لها . وهؤلاء من اجهل الناس بالسمع والعقل ، ومن اغلظهم حجابا ، وأكثفهم طباعا ، وابعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها .

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع امر العين ولا تنكره وان اختلفوا فى سببه ووجهة تأثير العين . ثم ذكر ابن القيم وجهات نظر مختلفة وتفسيرات لكيفية الاصابة بالعين ، منها قوله : ان العائن اذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين ، فيتضرر . قالوا : ولا يستنكر هذا ، كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالانسان فيهلك . وهذا امر قد اشتهر عن نوع من الأفاعى انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك ، فكذلك العائن . ثم قال : وهو يلتقى مع قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الأبتر وذى الطفيتين من الحيات أنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل ، ويؤمن ابن القيم بذلك حتى قال : ان نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وان لم يره .

وذكر ابن القيم علاج الاصابة بالعين مستوحى من الأحاديث النبوية ، مع ادعية واردة تفيد فى هذا الموضوع ، وأفاض فى بيان تأثير العلاج النبوى بالاغتسال بالماء الذى اغتسل به العائن بما لا يدع مجالا للشك فى أهميته ، فارجع اليه ان شئت .

هذا ، والأبحاث النفسية الحديثة لا تنكر اثر العين ، بل اثر القوى الأخرى، وهى تثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله ، واثر الاستعاذة والتحصن فى تقوية الروح لتدفع خطر العين .

الوصول الى القمر

السؤال :

هل صحيح أن الناس وصلوا الى القمر ، أرجو الاستدلال بآية من القرآن على أن فى مقدور الانسان الوصول الى القمر . وان كانت الاجابة « لا » أرجو كذلك الاستدلال بآية من القرآن ، لأن القرآن به كل شيء موضح فيه .. ؟

صلاح الدين جباره ــ فاشر ــ السودان

الجواب :

أقول للسيد السائل : أن الوصول الى القمر تم بالفعل ولا مجال للشك فيه ، وعلى المسلم أن يكون على صلة بالأحداث التى تجرى حوله ، والا يعيش بعقله وفكره منزويا عن العالم باستكشافاته الحديثة وانجازاته العلمية الواسعة .

والوصول الى القمر أو الى اى كوكب آخر من الكواكب التى يحاولون اختبار ظروفها ليس فيه ما يعارض الدين أو يكذب القرآن ، فان الله سبحانه أمر بالبحث والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، قال تعالى : **(أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء)** الأعراف/١٨٥ .

والبحث العميق يوصل الى الايمان القوى بالله اذا كان بحثا منصفا بعيدا عن التعصب والأهواء . ولا توجد آية ولا حديث يمنع محاولة الوصول الى

القمر . وليس فى الوصول اليه خرق للسموات ، فهو وغيره من النجـــــوم والكواكب موجود فى السماء الأولى . قال تعالى : **(انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)** الصافات/٦ . ولو قرأت أقوال المختصين عن سنة الكون لعرفت أن القمر ، كما عبر بعض المحدثين ، ضاحية من ضواحى الأرض ليس بعيدا عنها كما يظن الناس .

وقد حاول بعض الناس أن يستدل بقوله تعالى : **(ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء)** الأعراف/٤٠ . على أنه لا يمـــكن اختراق السموات ، وقد علمت أن القمر وما سواه موجود فى السماء الدنيـــا ولا يحتاج الى اختراق ، على أن المراد بعدم فتح الأبواب عدم قبول الدعـــــاء والأعمال وعدم رفع أرواحهم الى عليين .

والقرآن يكتفى فى النواحى العلمية بتوسيع المجال للنظر والتشـــــجيع على البحث فى الكون كله أرضه وسمائه ، ولا حاجـــــة بعد ذلك للنص على جزئيات معينة ، فهى كثيرة ، والقرآن دستور فقط للباحثين والعاملين فـــــى مختلف المجالات .

شحم الخنزير

السؤال :

هل يجوز اكل ما طبخ بدهن الخنزير للضرورة ، كأن كان فى جيش أو فى طريق لا يوجد فيه اكل آخر .. ؟

محمد حسين ــ يوغسلافيا

الجواب :

شحم الخنزير كلحمه محرم لقوله تعالى : **(حرمت عليكم الميتة والـــــدم ولحم الخنزير ..)** المائدة/٣ .

فلا يجوز اكل اللحم أو الشحم أو ما طبخ به . وذلك بشرط الاختيار بأن يكون هناك طعام حلال آخر ، ولم يكرهه على تناوله أحد .

فان لم يوجد الا لحم الخنزير أو ما طبخ بشحمه ، أو اكرهه على تناوله من هو أقوى منه جاز اكله ، لأن هذه حالـــة ضرورة ، والضرورات تبيـــــح المحظورات ، بدليل قوله تعالى فى الآية نفسها **(فمن اضطر فى مخمصة غـــير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم)** . وحكم الاضطرار هذا راجع الى جميـــــع المحرمات المذكورة فى الآية . والمخمصة هى الجوع الشديد والتجانف هو تجاوز الحد الأدنى فى الأكل ، أو هو العصيان فى السفر على اختلاف للفقهاء فى ذلك .

فالآية تدل على تناول لحم الخنزير أو شحمه عند الضرورة بشرط الا يزيد

على ما يمسك الرمق ، فان الضرورة تقدر بقدرها .

والحالة الواردة فى السؤال وهى وجود الشخص فى الجيش ، ان كان فى الجيش طعام آخر ليس فيه لحم أو شحم الخنزير ، ويمكن الحصول عليه ولو بالشراء لا يجوز أكل الخنزير . فان لم يوجد الا هو ولا يمكن الحصول على غيره جاز له تناوله بقدر يسير .

وكذلك من كان فى طريق لا يوجد فيه غير لحم الخنزير أو ما طبخ بشحمه يجوز له أن يأكل منه بقدر الضرورة حتى يصل الى مكان فيه طعام حلال .

السؤال :

ومن السائل نفسه يقول :

رضع ابن وبنت من امرأة واحدة غير أن الابن رضع فى عام ، والبنت رضعت فى عام آخر ، والمدة بينهما ثمانية عشر شهرا ، هل يجوز له أن يتزوجها مع العلم بأن المرأة تقول : كانت الرضعات أكثر من خمس مرات .. ؟

الجواب :

ما دامت الرضعات خمسا معلومات صارت البنت أختا لهذا الولد ، وحرم عليه أن يتزوجها ، ولا عبرة بالمدة التى فصلت بين رضاعيهما . فان هذه المرأة أم لهما جميعا ولا خلاف بين الفقهاء فى هذا الحكم .

الرضاع ..

السؤال :

رضعت من خالتى مرة واحدة ، وبعد عامين من الرضاع ولدت خالتى ابنة .. فهل يحل لى زواجها .. وما هو السبب .. ؟

الجواب :

الرضعة الواحدة كافية فى تحريم بنت خالتك عليك ، على ما رآه الامامان أبو حنيفة ومالك ، وجاء فى رواية عن أحمد أيضا التحريم بالرضعة الواحدة .

والامام الشافعى وكذلك الامام أحمد فى ظاهر مذهبه يقولان : ان الرضاع المحرم لا يكون الا بخمس رضعات معلومات .. ولكل من القولين دليله من الأحاديث النبوية .

ولك أيها السائل أن تختار من القولين ما تشاء ، والفتوى العامة وان كانت على مذهب الامام الشافعى فى عدم حرمة بنت خالتك عليك ، الا أنى أرى أن تتزوج من غيرها ما دامت لا توجد ضرورة أو حاجة ملحة للزواج منها ، لأن فى ذلك طمأنينة للقلب وبعدا عن الشبهة .

الكويت وحجاج بيت الله

اعداد : فهمى عبد العليم الامام

استطلاعنا هذا العدد عن موضوع يفرض نفسه .. فمنذ شهور والمسلمون فى كل بقاع العالم يتهيئون ليشدوا الرحال الى المسجد الحرام .. الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا .. وليؤدوا فريضة من فرائض الاسلام .. أوجبها الله على المستطيع .. حيث قال تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

والحج فريضة ـ ولكى تأخذ طباعها ويمكن اداؤها فى يسر وسهولة .. لا بد أن تشترك فى انجاحها الدولة ممثلة فى اجهزتها والهيئات والأفراد والجماعات ـ فهى فريضة ذات طابع جماعى .. بل هى فريضة تبدو فى وحدة المسلمين الشاملة بلا فرق من جنس أو لون أو اقليم .

يتكبد الحاج المشاق .. فيترك الأهل والديار .. ويتعرض لمفاجآت الطريق .. ويبذل فى سخاء من ماله فى سبيل الله ومرضاته .. ويبذل من صحته وعافيته مهاجرا الى الله ليشهد اول بيت وضع للناس .. قال تعالى : (ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) .

وليعيش هناك ذكريات أبى الأنبياء وابنه اسماعيل عليهما السلام .. قال تعالى : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) .

ولما كان محمد عليه أفضل الصلاة والسلام خاتم الأنبياء فانه جدد دعوة أبى الأنبياء ابراهيم .. داعيا المسلمين فى شتى بقاع العالم الى أداء فريضة الحج .. قال تعالى : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) .

هذا .. وكل ركن من أركان الحج له دلالة .. وكل شعيرة من شعائره ترمز الى حكمة سامية .. ادركها الحجاج فأخذوا يتجمعون فى تجمعات مؤمنة .. هى وفود حجاج بيت الله .. وهم زواره ..

فمع زوار بيت الله ، مع الحجيج ، مع المسئولين عن توفير الراحة لهم فى الكويت .. كان هذا اللقاء وهذا الاستطلاع ..



الأمين العام لمجلس الوزراء
السيد عبد العزيز العتيبى

وفى مكتب الأمين العام لمجلس الوزراء السيد عبد العزيز العتيبى كان لقاؤنا الأول ودار حديثنا مع سيادته حول استعدادات الدولة ، وما تبذله خدمة لحجاج بيت الله الحرام.

قال سيادته : ان هناك لجنة دائمة بمجلس الوزراء لتطوير الخدمات من أجل الحجاج وهناك تصميم جديد للمدينة .. سيتم على أثره توسيعها واعادة بنائها لتشمل كل ما يلزم الحجاج فترة تواجدهم فى الكويت ولتستوعب جميع الحجاج مع تزايد عددهم عاما بعد عام . وسيتم افتتاح ٢٤ دكانا لتوفير كل ما يرغبون فى شرائه من السوق الكويتى .

ثم قال سيادته : وهناك لجنة الاشراف على استراحة الحجاج أثناء تواجدهم فى الكويت فى طريق ذهابهم الى السعودية وفى طريق عودتهم الى ديارهم ، ويرأس هذه اللجنة الاستاذ عبد الرحمن الفارس ــ الوكيل المساعد لوزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية ، وتضم مندوبين عن عدد من الوزارات المعنية بالأمر كوزارة الصحة ، والبلدية ، والداخلية ، والأشغال ، والمواصلات .

وعن التسهيلات التى تمنحها أجهزة الدولة للحجاج قال سيادته : هناك تسهيلات على الحدود حيث لا يشترط فى الحاج أن يكون حاصلا على اقامة أو زيارة حتى يدخل الكويت .. بل ما دام قادما للحج فيمكنه الدخول الى الكويت بلا قيد أو شرط ، وعند الضرورة ــ اذا لزم الأمر ــ يقيم الجيش خياما لايواء الحجاج الوافدين .

وأوضح أنه لا بد من وجود شهادة



السيد عبد العزيز العتيبى
الأمين العام لمجلس الوزراء
مع مندوب المجلة
فهمى الامام

صحية مع الحاج تثبت حصوله على أمصال ضد بعض الأمراض السارية، وهناك اجراءات صحية مشددة عند عودة الحجاج من الديار المقدسة .

كما تم اتخاذ الترتيبات اللازمة لتنظيم حركة المرور داخل وخارج استراحة الحجاج .

وهناك مشرف على الأمن يقوم بتوزيع دوريات الحراسة داخل مدينة الحجاج وخارجها لحفظ الأمن ، والعمل على تسجيل عدد حملات الحجيج القادمة والمغادرة .

ومن الخدمات فى المدينة وجود فرع لبنك الكويت الوطنى داخلها لتقديم كافة التسهيلات المصرفية .

● **قد يتعرض بعض الحجاج لحوادث معينة .. فما واجبات الدول تجاههم .. ؟**

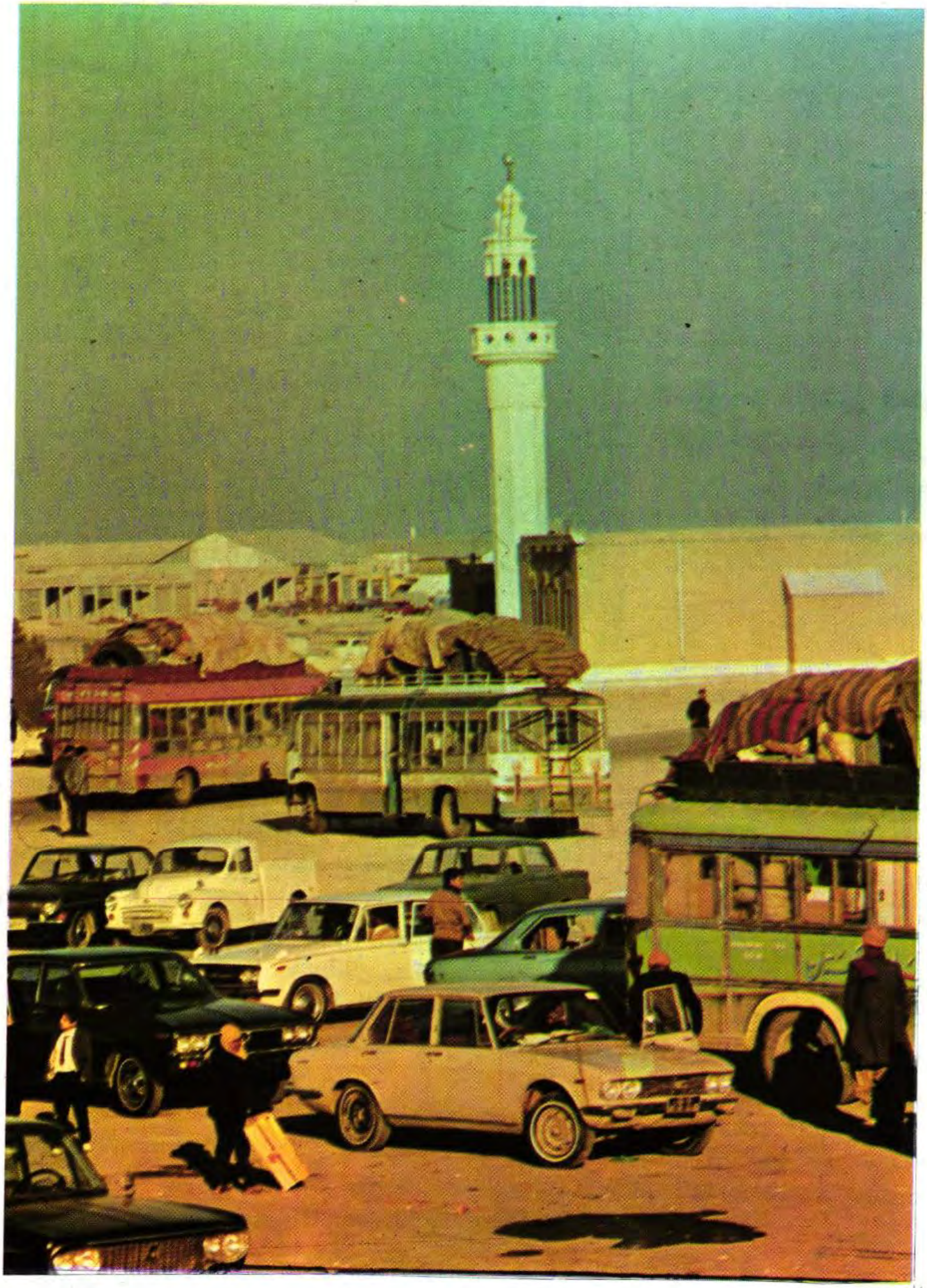
ــ اذا كانت حوادث غير متوقعة ، كالمرض أو حادث سيارة مثلا، فالدولة متكفلة برعاية الحاج الذى يتعرض لذلك .

أما اذا كانت الحوادث غير ذلك .. كفقد الجواز أو نفاد نقود ، فالدولة غير مسئولة .

وعن التسهيلات التى تمنحها السعودية للحجاج الكويتيين قال سيادته :

ــ الحاج الكويتى فى المملكة العربية السعودية يعتبر سعوديا .. ويعامل معاملة السعوديين أنفسهم ، ويكفى للدخول الى السعودية أن يكون مع الحاج الكويتى هويته فقط ، ونسبة الحجاج الكويتيين تعتبر نسبة عالية جداً اذا ما قيست بعدد المواطنين .

هذا .. واننا نأمل أن نتخذ خطوات أوسع على طريق توفير خدمات أفضل لحجاج بيت الله الحرام ومن الله التوفيق .



استراحة مدينة الحجاج يعمرها وفد الله .



السيد عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس الوكيل المساعد للوزارة .

ثم كان لقاؤنا الثانى مع الأستاذ عبد الرحمن الفـــــارس ــ الوكيل المســـــاعد لوزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلاميه - رئيس اللجنة المشرفة على مدينة الحجاج قلنـــا لسيادته :

● منذ عدة ســـنوات مضت تم اختيار قطعة أرض أقيمت عليهـــا (مدينة الحجاج) وذلك لايواء قوافل الحجاج التى تمر بالكويت سنويا فى طريقها الى الديار المقدسة لتـــأدية فريضة الحج .. فهل لسيادتك أن تحدثنا عن الاستعدادات والترتيبات التى تم اتخاذها لموسم الحج هـــذا العام .. ؟

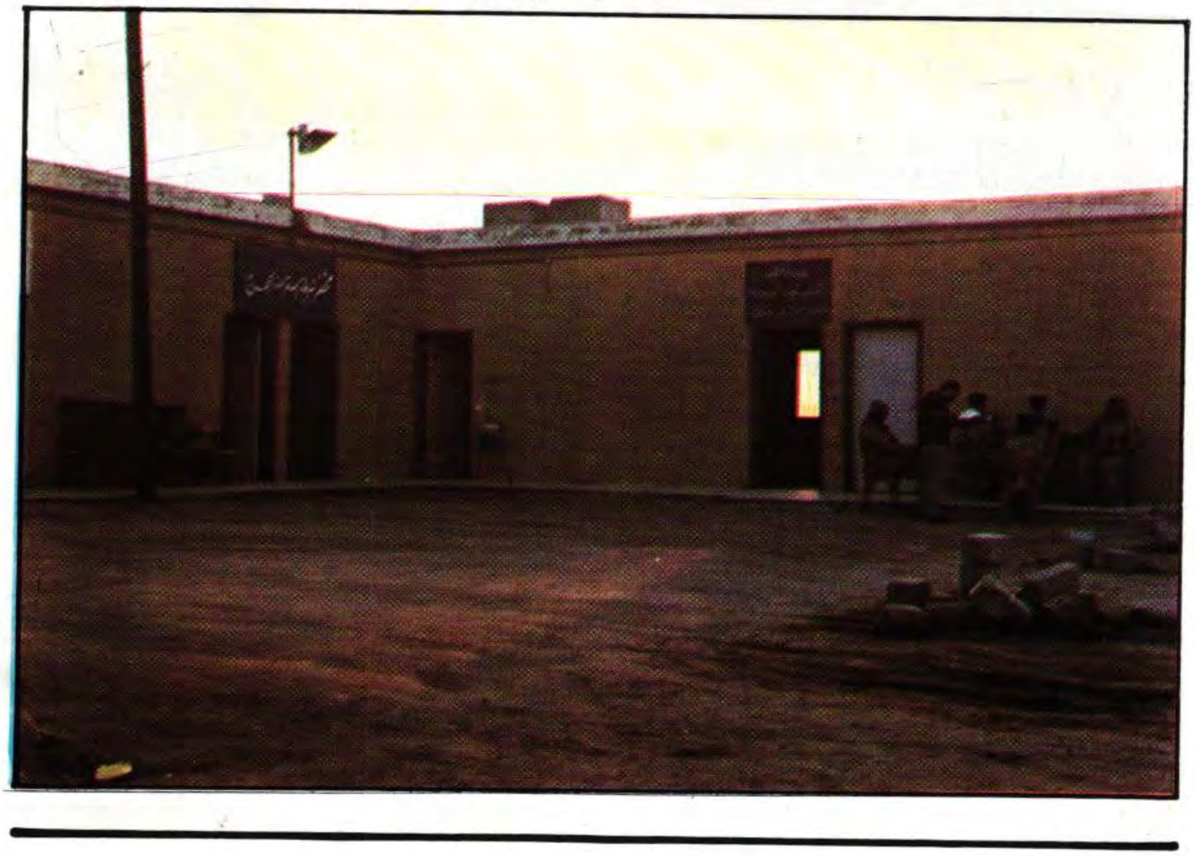
فقال سيادته :

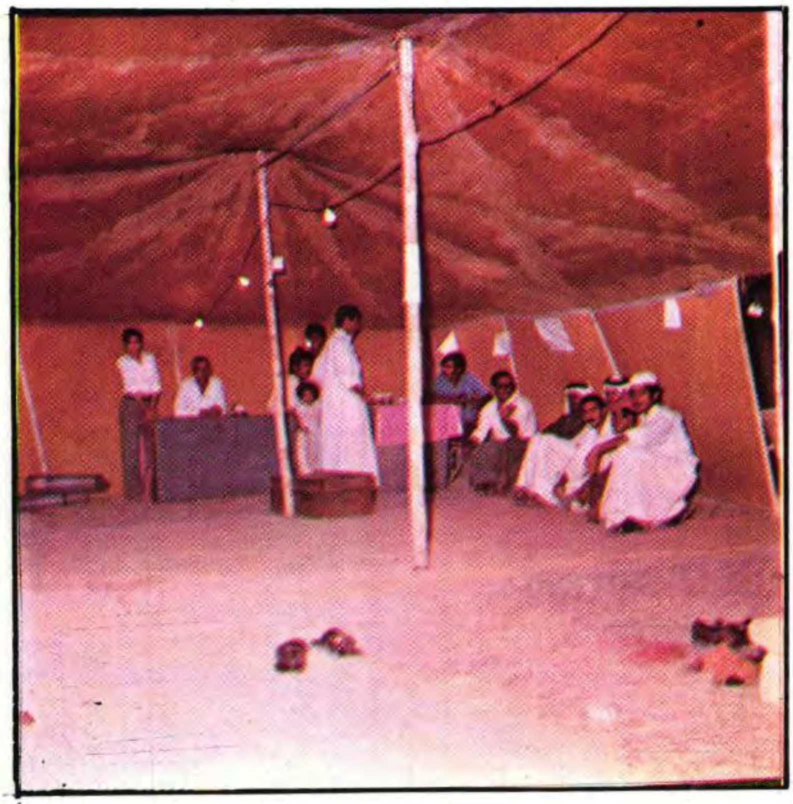
ــ ان الوزارة قد اتخذت كافـــة الترتيبات والاستعدادات لحج هـــذا العام ، فقد تم عقد اجتماع مشترك



فرع بنك الكويت الوطنى داخل استراحة الحجاج

مخفر شرطة خاص باستراحة الحجا ج





خيمة من خيام الحجيج
تستقبل الراغبين
فى الحج

ضم مندوبين عن وزارات الصحة ، والكهرباء والماء ، والداخلية والمواصلات ، وبلدية الكويت ، والهلال الاحمر الكويتى ، بحضور **الأمين العام لمجلس الوزراء السيد** عبد العزيز العتيبى تم فيه بحث أوضاع الحجاج المارين بالكويت والتسهيلات التى تم اتخاذها لتأمين راحتهم .

وعن نوعية **التسهيلات تلك قال** سيادته :

تم تخصيص طبيب مناوب طوال ٢٤ ساعة يوميا وطيلة فترة تواجد الحجاج فى الكويت ، وتأمين خدمات (البرق والبريد) .

واستقر الرأى على أن يتم تخصيص وسائط نقل وباصات لتأمين نقل الحجاج من الاستراحة الى ساحة الصفاة ، أو العودة بهم الى المدينة .

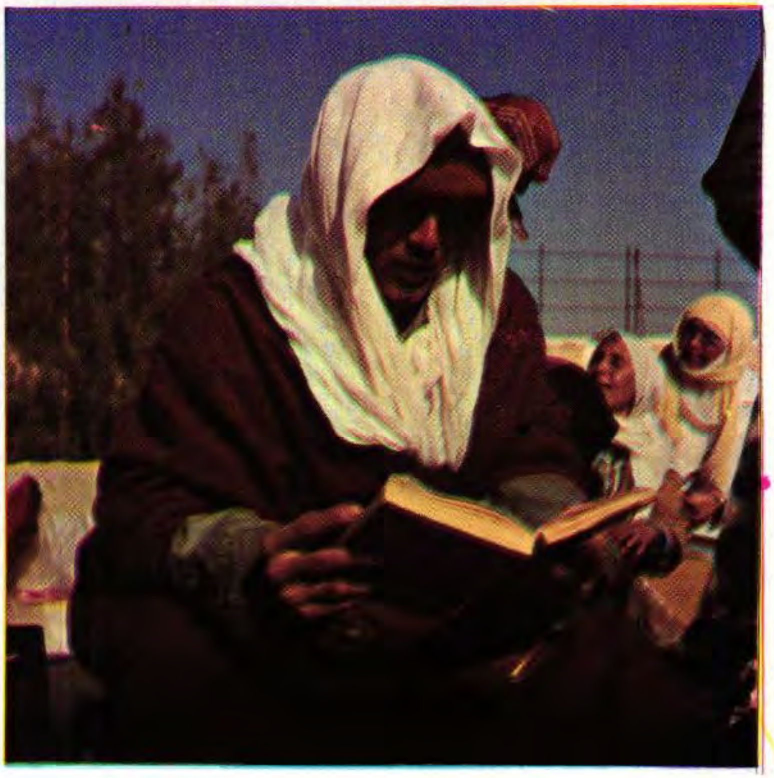
وعن دور الوزارة تجاه الحجاج قال سيادته :

ـ أصدرت الوزارة ملحقا بمجلة (الوعى الاسلامى) فيه **التفاصيل** الكاملة للحج ومناسكه وسيتم توزيعه على الحجاج مجانا ، وكذلك القيام بحملة اعلامية لتعريف الحجاج بمناسك الحج . وفى المدينة **مسجد** تشرف عليه الوزارة .

كما أشار سيادته الى أن الوزارة تقوم بالتنسيق مع وزارة الأوقاف فى المملكة العربية السعودية بتوفير الاجراءات الصحية اللازمة للحجاج .

● وما توقعات سيادتك لعدد الحجاج الذين سيمرون بالكويت هذا العام .. ؟

ـ من المتوقع ان يمر بالكويت حوالى (٨٠) الف حاج فى طريقهم الى السعودية لأداء الفريضة، وهؤلاء الحجاج قادمون من العراق وايران



جلس يتلو فى كتاب الله
متدبراً آياته ..
فهو مع الله دائما

وأفغانستان وباكستان وسوريا وتركيا .

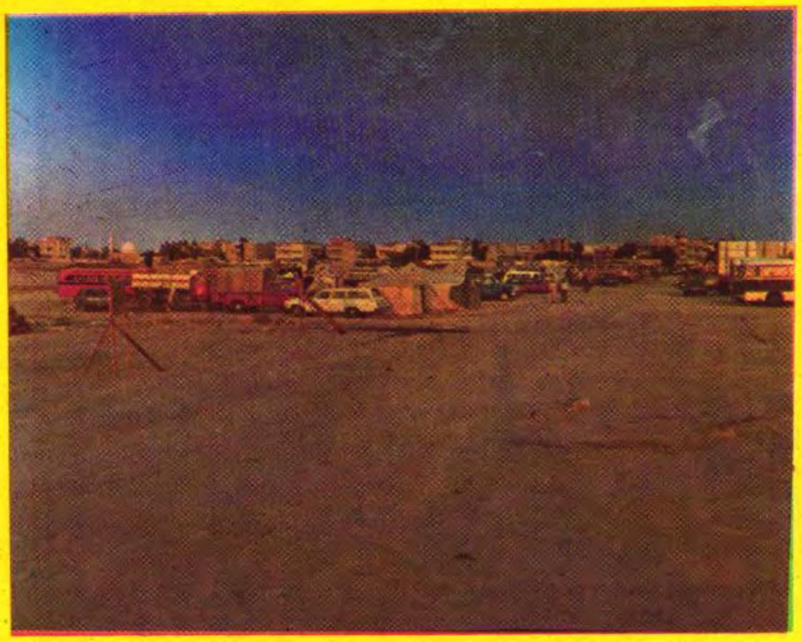
وقد بلغ عدد الذين مروا بمدينة الحجاج العام الماضي ٦٢ ألف حاج .

وقد ودعنا السيد الوكيل المساعد متمنين لسيادته المزيد من التوفيق .. وأن يحقق الله الخير على يديه للمسلمين .

ثم كانت لنا جولة وسط الخيام التى نصبت فى الصحراء .. وأمام كل مجموعة خيام وقفت مجموعات ضخمة من السيارات تحمل اسم صاحب الحملة .. وقد رفعت الاعلام عليها ووسط هذه التظاهرة الاسلامية الرائعة .. حيث يتوافد الراغبون فى أداء فريضة الحج لتسجيل أسمائهم ضمن هذه الحملة أو تلك .. كان لنا هذا اللقاء :

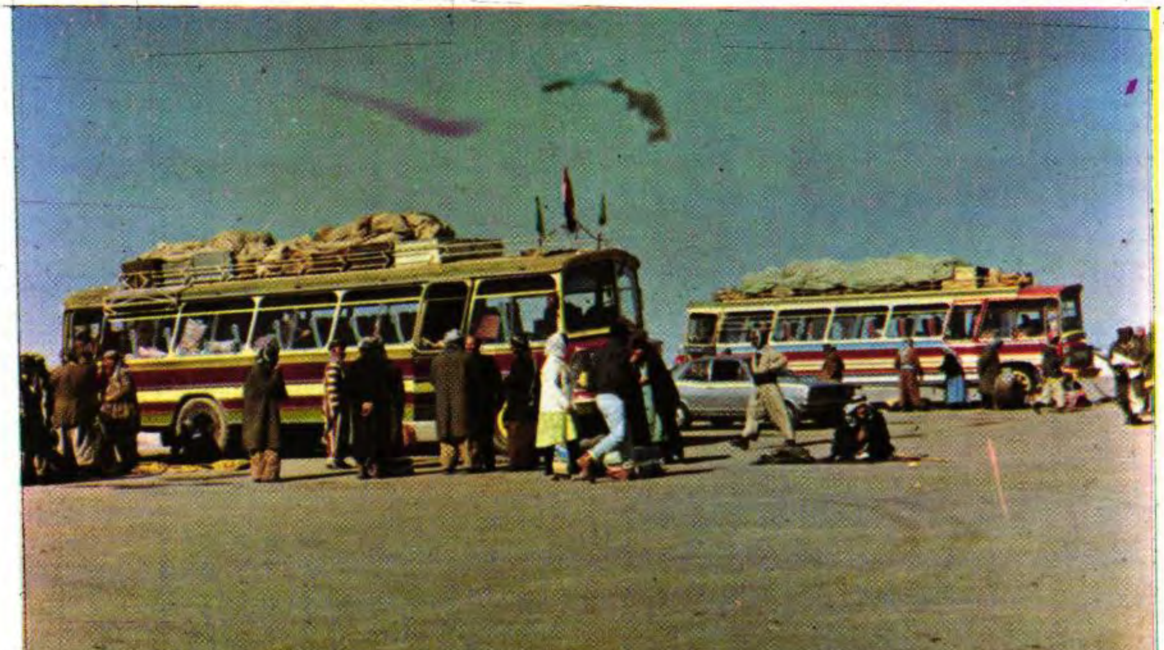
قال أحد أصحاب الحملات : ان تعب الحج جميل ، وهى أحسن تجارة ، ففيها خدمة الحاج وراحته ، ولذا فهى خدمة للدين ، وحتى لو خسرت الحملة ماديا فيكفى أن أزور المسجد وأن أحج .

وعن الخدمات التى تقدمها الحملة الى الحجاج قال : نأخذ جواز الحاج ونحصل له على تأشيرة الدخول الى الأراضي السعودية ونبلغ جميع الحجاج بموعد السفر لكى يستعدوا ، وتلحق بالحملة سيارات الاسعاف وجميع ما يلزمها ، ثم نبدأ المسير على بركة الله ، وعندما نصل الى النويصيب والزرقانى ننجز الاجراءات اللازمة لدخول الأراضي السعودية ، وبعد استراحة قصيرة تتحرك القافلة قاصدة المدينة المنورة . ويكون سيرنا نهارا والى الساعة العاشرة مساء ثم نتوقف للراحة ، وفى المدينة ننصب



قوافل الحجيج ممتدة في صحراء الكويت تنتظر موعد المسيرة المباركة

● قافلة الحجيج وقد توافد الحجاج اليها مبتدئين ــ على بركة الله ــ الرحلة الايمانية .





تقوم وزارة الصحة الكويتية بدور بارز ومجهود رائع من أجل رعـــاية الحجاج والسهر على راحتهم .. وتعد لذلك بعثاتها الطبية ، ويبدو فى الصورة عدد من سيارات البعثــة الطبية الكويتية المرافقة لحجاج بيت الله الحرام .

احدى سيارات البعثة وهى تستعد للسفر الميمون فى رحلة مباركة الـــى الأماكن المقدسة وقد امتلأت السيارة بلوازم الحجـــاج .. فعلى بركة الله ..





يجد الحجاج العناية التامة أثناء تواجدهم بالكويت ومن أجل ذلك أنشيء المحجر الصحى داخل استراحة الحجاج للاشراف عليهم ومراقبتهم صحيا .

خيامنا ، وخيامنا مجهزة بالمــــاء والكهرباء وجميع الوســائل .. ثم نؤدى جميع أركان الحج وشــعائره وفى ثالث أيام العيد نتحــرك بعد العصر عائدين الى الكويت .

وقال : ان الحملة بها مرشد يرشد الناس الى مناسك الحج ، وبها عالم دينى يعظ الناس ويعلمهم لكى يؤدوا الفريضة على صورتها الصــحيحة . ونرجو الله أن يتقبل منا وأن يجعل حجنا مبرورا وخالصا لوجهه الكريم .

وبعد أخى القارىء .. كان هــذا هو استطلاعنا عن نشاط أجهزة الدولة والهيئات والأفراد لانجاح ركن أساسي من أركان الاسلام .. هو الحج . وفى الحج طريق من طرق الخــلاص من براثن الشيطان الى معيــة الله .. ويجد المؤمن فى حمى الله صــفاء نفسه ونقاء سريرته ، ويتخلص من أوضار الحياة .. ويلجأ الى الله .. قائلا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيــك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

ثم يعود الحاج الى أهله وقد غفر الله له مصداقا لقول رســول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .



قصة

شعاع من الحق

للأستاذ : عبد السميع المصري

ام سليم بنت ملحان بن خالد زهرة من زهرات يثرب ونبتةكريمة مما انبت بنو النجار عرفت في التاريخ الاسلامي باسم الرميصاء .. ونفحة طيبة ملأ شذاها صفحات عبقة من صفحات هذا التاريخ وعطرت سماء المدينة المنورة بسيرتها الطاهرة وبما حدثت به من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان بيتها المنزل الوحيد الذي يدخله الرسول عليه الصلاة والسلام بعد بيوت ازواجه ويرضى ان يقيل فيه ويصلي وكان ابنها انس خادم رسول الله الذي ظل معه مخلصا في خدمته حتى وفاته عليه الصلاة والسلام .

ولقد عرفت أم سليم وهي فتاة يافعة زوجة لمالك بن عدى فملأ شغاف قلبها وملك عليها روحها ورأت فيه الخير كل الخير وسعت جاهدة تريد لكل اخ لها في الانسانية ان ينال نصيبه من هذا النور الذي ارسله الله هدى ورحمة .

فلما عاد ابو انس — وكان غائبا — وقد ترامى الى سمعه ما احدثت زوجته سالها في لهفة : أصبوت يا رميصاء ؟ ..

— ما صبوت ...

— احقا ما تقولين ؟ اذن فما هذا الذي يتقوله الناس ؟

— ما صبوت يا ابا انس لكني آمنت بهذا الرجل .

فاطرق مالك ساعة وقد غلبه هم كبير لما احسه من قهر ازاء تمرد زوجته على دينه ودين آبائه .. زوجته التي يحبها ولا يطيق فراقها..

ولكن ام سليم — وهي في هيامها بتعاليم دينها الجديد تمضي امام زوجها تلقن طفلها انسا وتشير اليه « قل لا اله الا الله قل اشهد أن محمدا رسول الله » والرضيع يردد الشهادتين وراءها في تعتعة فيثور الرجل ويصيح بها « لا تفسدي علي ابني» فتقول « اني لا افسده » فيخرج مالك من الدار مغضبا ليلقاه عدو فيقتله .

واذا بام سليم تنسى امام الفاجعة كل شيء الا انها زوجة مالك وان مالكا هو الزوج الحبيب الذي وفى لها واحبها واعزها فلا اقل من ان تبادله وفاء بوفاء وتخلفه في ابنه

وتخلص لذكراه واذا بها تقـول لمن حولها « لا أتزوج حتى يبلـغ أنـس ويجلس في المجالس فيقول جزى الله امى عنى خيرا ، لقد احسنـت ولايتي » .

لكن السيرة العطرة والخلق الكريم فتنا اهلها من رجال بني النجار وكان أشدهم تعلقا بها وحبـا لأخلاقهـا ابوطلحة زيد بن سهل ، فاخذ يتـردد عليها خاطبا فترده في رفق وتذكـره بعهدها الذي عاهدت وبان الله يقول: « ان العهد كان مسئـولا » الاسراء / ٣٤ .

الى ان جاءها يوما متهللا يبشرها بانها قد انجزت عهدها وأن انسا قد جلس وتكلم في المجالس فاذا بهـا تقـول له : يا ابا طلحة ان الهـك الذي تعبد انما هو شجرة تنبت من الأرض ؟

ـ نعم وما ذاك وما أسالك عنه ؟

ـ ألا تعلم ان هذه الشجرة انمـا نجرها حبشي بني فلان . ؟

ـ بلـى ...

ـ أما تستحي ان تسجد لخشبـة نبتت من الأرض نجرها حبشي بنـي فـلان ؟

فاطرق ابو طلحة ساعة وقد افحمه منطق الايمان وطمعت أم سليم فـي اسلامه فعادت تقول : هـل لك ان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمـدا رسول الله وازوجك نفسي لا اريـد صداقا غيره . ؟

ـ دعيني حتى أنظـر .

وخرج ابو طلحة بغير الوجه الذي دخل بـه وأحست أم سليـم بنـور بصيرتها أشعة الايمان تتسلل الـى قلبه وبرقة الاسلام تحيط به مـن أقطاره ولم تخب فراستها اذ عـاد اليها بعد أيام قلائل ليعلنها باسلامـه فتهلل فرحة وتنادى ولدها وتضمـه الى صدرها وهي تقول « يا انس قم فزوج ابا طلحة » وانها لسعيدة غاية السعادة ان هدى الله بها رجلا الى الاسلام ونور الحق راضية وقانعـة ان يكون صداقها اسلام ذلك الرجـل وقد ادخرت بذلك اجرا عظيما عنـد اللـه .

وتمضي هذه الاسـرة المسلمة في الحياة مجاهدة من اجل عقيدتهـا عاملة على نشر هذه العقيدة فـاذا كانت غزوة احد خرجت ام سليـم مع الرسول صلى الله عليه وسلـم تسقى العطشى وتداوى الجرحـى ولا تتخلف عن الجهاد في سبيل الله .

وترزق أم سليم طفلها من أبي طلحة ويسميانه أبا عمـير .

ويخرج أبو طلحة ذات يوم الـى بستان له خارج المدينة ليرعى شئون زراعته ويترك أبا عمير مريضا فيشتد عليه المرض ويتوفى الصبـي فقامت أم سليم فغسلته وكفنته وحنطتـه وسجت عليه ثوبا وقالت « لا تخبروا ابا طلحة بموت ابنه » فلما رجع مساء وقد يسرت له عشاءه كما كانت تفعل فقال « ما فعل الصبى ؟ » قالت «خير ما كان » وقربت له الطعام فتعشـى هو واصحابه الذين معه فلما تأخـر الليل وانصرف الضيف دخل اليها ابو طلحة وكانت قد زينت له فأصاب منها ما يصيب الرجل من اهله .

فلما اغتسل لصلاة الفجـر عاود السؤال عن ابنه فقالت له : يا ابـا طلحة الم تـر الـى آل فـلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلمـا طلبت منهم شق عليهم ؟

ـ ما أنصفـوا ...

ـ فان ابنـك ابا عمير كان عارية من الله فقبضـه اليه .

لقد فوجيء ابو طلحة بالنبا وذهل لقوة ايمان زوجته التي هدته الى الاسلام واستحقتبهذا الايمان القوى الراسخ فضل السبق والصحبة لرسول الله .

لكنه اطرق مليا ثم زفر زفرة حرى وهو يقول « انا لله وانا اليه راجعون وحمدالله على قضائه » .

ثم انصرف ليلحق برسول الله في مسجده فلما رآه الرسول بعد الصلاة قال له « بارك الله لكما فىليلتكما » .

فكان حملها بولدها عبد الله بنأبي طلحة في تلك الليلة وكان ذلك الحمل ايذانا بمكانة أعمق لأم سليم عند أبي طلحة حتى أنه أصبح شديد الغيرة عليها والشفقة على حملها فيحاول منعها من الجهاد لكنها تخرج الى غزوة حنين وهىحامل لتداوىالجرحى وتسقى العطشى وقد حزمت خنجرا على وسطها فيشكوها أبو طلحة الى رسول الله من شدة غيرته ويقول « يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر » ويدرك الرسول ما يعتمل فى صدر الزوج المحب فيحدثها في ذلك فتقول « يا رسول الله اني اتخذ الخنجر حتى اذا دنا مني احد من المشركين بقرت به بطنه » فيبتسم الرسول ويقول « يا أم سليم ان الله قد كفى وأحسن » .

وتعود ام سليم الى المدينة لتضع طفلها فاذا كان اليوم السابع قالت لأنس « اذهب بأخيك وهذا المكتل وفيه شيء من تمر الى رسول الله حتى يكون هو الذي يحنكه ويسميه».

ويقول أنس « فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فمد النبي رجليه وأضجعه واخذ تمرة فلاكها ثم مجها في فم الصبي فجعل الصبي يتلمظها فقال النبي « أبت الأنصار الا حب التمر » .

وتتصدر أم سليم مكانتها الكريمة بين صحابة رسول الله الذي يجلها ويحترمها ويقدر لها ما تعمل في سبيل دعوته ونشر العقيدة وما تحملت في سبيل الله من استشهاد أخيها وتضحياتها بالمال والنفس وصبرها على الأذى وسبقها الى مواقع الخير ولمكانة ابنها أنس الذي وهبته لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار من كبار تلاميذه وخاصة صحابته وأحد أعلام المحدثين عنه .

وأن انسا ليحدثنا عن ذلك فيقول « دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم سليم فأتته بتمر وسمن فقال : أعيدوا سمنكم في سقائكم وتمركم في وعائكم فأني صائم . ثم قام فى ناحية البيت فصلى صلاة غير مكتوبة فدعا لأم سليم ولأهل بيتها فقالت أم سليم: يا رسول الله ان لي خويصة ــ حاجة خاصة ــ قال : ما هي ؟ قالت : خادمك أنس . فما ترك خير آخرة ولا دنيا الا دعا لي به . ثم قال : « اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له » ــ رواه أحمد ــ فانه لمن أكثر الأنصار مالا وولدا .

ان ام سليم لم تستحق هذه المكانة الا بعمل شديد جاد وشاق وجهاد متواصل فى سبيل عقيدة ملكت عليها روحها وآمنت بها وضحت من اجلها بأغلى ما تملك وبكل ما تملك من مال وولد ونفس حتى استحقت أن تكون من المبشرين بالجنة فيما رواه ابنها أنس عن النبي أنه قال « دخلت الجنة فسمعت خشفة (أي صوت حركة) بين يدي فقلت ما هذا ؟ فقيل الرميصاء بنت ملحان » . رواه الشيخان واحمد .

الاسلام

كان المجتمع الانساني قبل الاسلام مجتمعا فاسدا في العقائد والعبادات والاخلاق . فالمذاهب متباينة والأوثان تعبد من دون الله ، والمعاملات تقوم على الاستغلال ، والاخلاق منحلة !! وقد انتهى به فساد العقيدة الى خلاف مستحكم في طبيعة المسيح عليه السلام ، وانتهى به فساد الاخلاق الى استغراق في شهوات الجسد ونزوات النفس !! وادى هذا وذاك الى قيام نظام من الحكم الفاسد ، ففسدت الحكومات بالمظالم والرشوة ، وتدنس المجتمع بالرذائل واستشعر الناس المذلة والهوان فألهوا الملوك والقياصرة .. !!

فلما نزل الاسلام كان نظاما قائما بذاته متضمنا المبادىء القويمة ، والاسس السليمة التى تصنع الانسان الكامل ، الذى يبنى الحياة ، ويقوم الاسلام على فكرتين ، فكرة الوحدة بين بنى الانسان فى الجنس والمنشأ والطبيعة **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)** النساء/١ . وفكرة شمول رسالة النبى صلى الله عليه وسلم فهو رسول الله الى الناس كافة **(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** سبأ/٢٨ **(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)** الانبياء /١٠٧ **(قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)** الاعراف /١٥٨ .

وهو نظام وسط بين المادية والروحية ، فكما يعنى بتهذيب وتربية الضمير يعني بمطالب الناس الدنيوية ومشكلاتهم المعيشية ، وبينما يقول الله تعالى : **(ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ..)** الشمس/٧ — ١٠ . يقول جل شأنه : **(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الأعراف/٣٢ .

والمجتمع

للشيخ محمد الأباصيري خليفة

وما شرع في الاسلام من عقائد وعبادات ومعاملات واخلاق تتماسك وتترابط وتتداخل في تكوين المجتمع الذي يشرق بكل معاني السعادة والتقدم والنهوض .

وقد بنى الاسلام المجتمع على اسس لا بد من تواجدها كلها في تكوينه وهي :

اولا : تحرير الوجدان من عبادة غير الله ، أو الخوف من أحد سواه ، فصاحب السلطان المطلق في الكون هو الله سبحانه وتعالى **(انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون)** يس/ ٨٢ . وقد شرع للناس ما يكفل لهم السعادة في اجلى معانيها ، ومن ثم يجب أن يتخلص شعور العبد من الخضوع لغيره لانه وحده مالك الضر والنفع ، وليس من أحد سواه يملك لنفسه أو لغيره شيئا **(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)** فاطر /٢ .

ويجب أن يتجه اليه بنو آدم منيبين عابدين **(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمه سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)** آل عمران /٦٤ .

والناس جميعا سواء في امكانية الاتصال بالله واستمداد القوة منه دون كهانة او وساطة **(واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)** البقرة/١٨٦ .

وقيم المال والجاه والحسب لا تحقق لأصحابها ميزة ولا تضفي عليهم فضلا الا اذا صاحبها ايمان بالله واستقامة على أمره ، فمن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، **(يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات /١٣ .

ثانيـــا : المساواة الانسانيــــة الكاملة أمام القانون ، وأمام الله في الدنيا والآخرة ، فأبو البشر خلــق من تراب ، وأبناؤه خلقوا من مـــاء مهين **(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمـــر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير)** فاطر /١١ .

والمساواة فى الاسلام تقوم على نظرة شاملة لكل بنيالانسان ، بعيدة حتى عن العصبية الدينية ، فالكافرون الذين بينهم وبين المســـلمين عهد وميثاق يمنحون فى الدماء حقــوقا مساوية لحقوق المؤمنين ، **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لـــكم وهو مؤمن فتحــــــرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينــكم وبينهم ميثــاق فدية مسلمة الىأهله وتحرير رقبة مؤمنة)** النســـــاء/٩٢ . وفى القتل العمد وقطــع الأطراف والتشـــــويه ، النفس بالنفس والعــين بالعـين ، والأنف بالأنــف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين سيـــد ومسود **(ولكم في القصاص حياة)** البقرة /١٧٩ . وقد قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « مـــن قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبـــده جدعناه » رواه أبو داود والترمذى . وطبق عليه الصلاة والسلام مبـــدأ المساواة في المراة المخزومية التـــى سرقت ، وعنف أسامة بن زيد على تشفعه لها قائلا له : « أتشفع فى حد من حدود الله ؟ انما اهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهـــم الشريف تركوه واذا سرق فيهـــم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وأيـــم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . متفق عليه .

والاسلام يتعقب مظان التفــاوت بين الناس .. ليقضي عليها ، فلما كان الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ مظنة أن يقصدهم الناس بالتقديس عنى الاسلام برد الناس الى الصواب الذى طالما ردده القرآن الكريم مـــن انهم بشر يوحى اليهم ، وقد خاطب الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قائلا : **(ليس لك من الأمر شيء)** آل عمران/١٢٨ . وأمره أن يجهر فى الناس بحقيقة أمره : **(قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انمـــا الهكم اله واحد)** الكهف/١١٠ ، **(قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا . قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا)** الجن/٢١ و ٢٢ . **(قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان اتبــــع الا ما يوحى الـــــي)** الأنعام/٥٠ ، ويصف القرآن الــكريم من الهوا عيسى بالكفر : **(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)** المائدة/٧٢ .

ولما راى رسول الله عليه الصلاة والسلام شدة حب صحابته له خشي أن يتطور هذا الحب الى تقـــديس فنادى فيهم : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فانما انا عبد الله فقولوا : عبد الله ورسوله » .

وبين لاهله انهم يستوون مع جميع الناس ، وأن قرابته لهم لا تغنى عنهم من الله شيئا ، فقال : « يا معشر قريش لا اغنى عنكم من الله شيئا ،

يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا » متفق عليه عن أبى هريرة .

وعاتب الله رسوله لانصرافه عن رجل فقير بقوله تعالى : **(عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنفعه الذكرى)** عبس : ١ ـــ ٤ . وكسر الله أنفة ذوى الثراء الذين يأنفون أن يزوجوا أو يتزوجوا من الفقراء بقوله تعالى : **(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)** النور/٣٢ .

وقد كفل الاسلام للمرأة المساواة التامة بالرجل من حيث الجنس ، ولم يشرع التفاوت بينهما الا فى بعض الملابسات المتعلقة بالاستعداد أو تحمل التبعة ، فمن الناحية الدينية يتساويان : **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)** النحل/٩٧ . وفى ناحية الملك والتصرف يتساويان : **(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا)** النساء/٧ .

أما التفاوت بين الرجل والمرأة فى الارث ، فقد اقتضاه التفاوت بينهما فى التبعات والمسئوليات فتبعات الرجل ومسئولياته فى الأسرة وفى المجتمع أكبر مدى من تبعات المرأة فى هذا السبيل ، والقوامة التى جعلها الله للرجل مردها الى الاستعداد ، والتزام الرجل بالانفاق على الأسرة، وتمويلها ، ورعايتها الأدبية فهى حق فى مقابل مسئولية : **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم)** النساء/٣٤ . وقد جعل الله للمرأة فى مقابل هذه القوامة حقا فى الرعاية أكبر من حق الرجل ، « أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم وقال : من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك » رواه البخارى ومسلم .

والمساواة التى قررها الاسلام أساسا من أسس بناء المجتمع هى المساواة فى الحقوق والواجبات ، وليست المساواة فى الواقع والحساب ، لأن المساواة فى الحقوق والواجبات هى التى تتفق مع الطبيعة البشرية ، فقد خلق الله الناس متفاوتين فى الخلقة و المواهب والقوى ، وتبعا لذلك تتفاوت أعمالهم ، فيجب أن ينال كل انسان من الحقوق ما يتناسب مع عمله قال تعالى : **(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما)** النساء/٩٥ و ٩٦ .

والمساواة على هذا الاساس هى التى تحفز على العمل ، وتستقيم بها الأمور وتتفق مع الفطرة السليمة ، ومن ثم فقد حرص الاسلام على تطبيقها فى كل زمان ومكان .

ثالثا : التكافل الاجتماعي بين افراد المجتمع ، فالمجتمع مصلحة عليا يجب أن تنتهي عندها حرية الأفراد ، والاسلام حين قرر الحرية الفردية قرر مقابلا لها التبعة الفردية والتبعة الجماعية ، وهذا هو معنى التكافل الاجتماعي .

والاسلام يمد الفرد بما يزكي نفسه ويطهرها ليكون أهلا للتعاون مع غيره من بني جنسه وفي الوقت ذاته يكلفه بأن يمتع نفسه بما لا يدنس فطرتها ، وأن يمنحها حقها من الراحة والاستجمام ، فلا ينهكها بالعمل « جاء رجل الى رسول الله في ثوب دون فقال له : ألك مال ؟ قال : نعم ، قال : من أي المال ؟ قال : قد آتاني الله من الابل والغنم والخيل ، قال رسول الله فاذا آتاك الله فلير أثر نعمته عليك » حديث صحيح . وقال عليه الصلاة والسلام : « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » رواه البزار وجابر .

والفرد يتكافل مع أسرته ، فيعمل على اسعادها ، وقد رسم الاسلام طريق هذا التكافل حين فرض على الوالد العناية بأمر أولاده ، وعلى الأولاد الاحسان لآبائهم ، وحين جعل أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض قال تعالى : **(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا)** النساء/٣٦ . وقال : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان أردتم ان تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير)** البقرة/٢٣٣ .

وهذا التكافل قوام الأسرة وسبب تماسكها وبه تتكون لبنات قوية في بناء المجتمع العام ، ومن مظاهر هذا التكافل الأسرى ما شرع الله من توارث المال بين الأقارب ، وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للتكافل بين الآباء والأبناء في قصة موسى مع عبد من عباد الله آتاه الله رحمة من عنده ، وعلمه علما من لدنه . قال تعالى : **(فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا)** الكهف/٧٧ و ٧٨ . وعند الحديث عن بناء الجدار حكى الله عن العبد الصالح قوله : **(واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك)** الكهف/٨٢ . وهكذا انتفع الولدان بصلاح ابيهما وورثا ما تركه لهما من مال .

وهناك التكافل بين الفرد والجماعة ومعناه ان يلتزم كل حده ، وأن يرعى مسئولياته قبل الآخر بأمانة واخلاص ، فالفرد مكلف أن يحسن عمله الخاص وأن يتقنه لأن ثمرة العمل الخاص عائدة على الجماعة في النهاية . وهو مكلف أن

يرعى صالح الجماعة ، **وان يحرس** مصلحتها العامة ، فالحياة **مثلها** كمثل السفينة بين الأمواج ، **جميع** ركابها مسئولون عن سلامتها ، **وليس** لأحدهم أن يخرق موضعه **فى السفينة** باسم الحرية الفردية قال **رسول الله** ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **مثل** القائم على حدود الله **والواقع فيها** كمثل قوم استهموا على **سفينة** فأصاب بعضهم أعلاها **وبعضهم** أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا مروا على من **فوقهم فقالوا** : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ **من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا** هلكوا وان أخذوا على **أيديهم نجوا** ونجوا جميعا » **رواه البخارى .**

فالمصالح **فى المجتمع متشابكة** متداخلة ، **وليس هناك فرد معفى من** رعاية **المصالح العامة . فكل فرد فى** المجتمع راع لغيره ، **عليه حقوق** الرعاية **. ورعية لغيره** ، على غيره **حقوق رعايته ، قال رسول الله صلى** الله عليه **وسلم** : « **كلكم** راع **وكلكم** مسئول عن رعيته » رواه البخارى ومسلم .

والجماعة مسئولة عن حماية الضعفاء ، تقاتل عند اللزوم لحمايتهم **(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)** النساء/٧٥ . وعليها أن تحفظ **أموال** السفهاء ولا تسلمها اليهم ، **وتنفق عليهم** منها ، وترعاهم رعاية ادبية حانية : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا)** النساء/٥ ، وعليها أن تحفظ لليتامى اموالهم حتى يرشدوا : **(وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا)** النساء/٦ .

وعلى الجماعة **ان تهيىء للفقراء رزقهم وتسد حاجتهم فقد قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :** « ايما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ **جائعا فقد برئت منهم ذمة الله** ورسوله » رواه أحمد فى مسنده . وقال : « من كان معه فضل ظهر **فليعد به على من لا ظهر له ، ومن** كان له **فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم .**

والمجتمع الاسلامى بدن واحد ، **كل عضو فيه يشد بقية الاعضاء « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »** « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا **اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر** » .

ولما كان التعاون بين افراد المجتمع على الخير لا يتأتى الا بأمن الجميع على دمائهم واموالهم واعراضهم حرم الاسلام تحريما **قاطعا العدوان على اى منها « كل المسلم على المسلم** حرام دمه وماله وعرضه **» رواه الترمذى وحسنه .**

ووضع الحدود وشرع التعزيرات لصيانة المجتمع من الخارجين على نظامه : **(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)** المائدة/٣٨ **(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد**

منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهمـــا رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور/٢ **(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلـدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هـم الفاسقون)** النور/٤ .

اما الـذين يتـآمرون على امن المجتمع العام فجـزاؤهم التقتيل او التصليب او تقطيع الأيدى والأرجل من خـلاف او النفى من الأرض : **(انمـا جزاء الذين يحـاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فـى الآخرة عذاب عظيم)** المائدة/٣٣ .

رابعا : عدالة الحكم ، فالحكومة جزء من النظام الاسلامى لأنها هى التى تنفذ التشريع وتتعهد المجتمع وتحقق التوازن فيه وتوزع المنافع بين أفراده .. وقد أقام الاسلام الحكم علـى اسس ثلاثة : عدل الحاكم ، طاعـة المحكومين ، الشورى بين الحـاكم ورعيته ، والمراد بالعدل العدل الذى لا يميل به الهوى ولا تنال منه المودة أو العداوة : **(واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعـدل)** النساء/٥٨ . **(يأيهـا الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين)** النساء/١٣٥ . **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شـنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى)** المائدة/٨ . والمراد بطاعة المحكومين الخضوع لما يصدره الحاكم من أوامر ما دامت فى غير معصية الله « اسمعوا واطيعـوا وان ولى عليـكم عبد حبشي كأن راسه زبيبة ما اقام فيكم كتـاب الله » رواه البخارى . والمراد بالمشـورة ان يشاور الحاكم رعيته بالطريقة المؤدية الى أقوم السبل وانجعها ، وهـذه الطريقة متروك امرها للظـروف والأحوال .. وليس للحاكم — فيما عدا طاعة أمره العادل والنصح لـه ومعاونته على اقامة العدل — شيء يمتاز به عن اى فرد لا فى الحدود ولا فى الاموال ، وليس له أن يعتدى على أرواح الناس واجسامهم وحرماتهم واموالهم .

هذه أسس بناء المجتمع الاسلامى وتحقيق هذه الأسس يكون بأمرين : التشريع الذى وضع الاسلام خطوطه العريضة وقواعده الكلية ، والضمير الذى يعمد الاسلام الى تربيته فى نفس الفرد ليكون حارسا يقظا ينفـذ التشريعات ويرعاها ، ولقد أقـام الاسلام على الضمير مراقبا من خشية الله : **(ألم تر أن الله يعلم ما فـى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينمـا كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)** المجادلة/٧ .

على هذا الضمير الـذى رباه الاسلام وعلى التشريع الذى وضعه الله لعباده يعتمد الاسلام فى بنـاء مجتمع انسانى متوازن متعاون على البر والتقوى ، ناهض بشئون حياته فى عمل متناسق ماديا وروحيا وخلق مكين .

حوار وحوار

للأستاذ : عمربهاء الأميري

شاب ، وأخته ، ورفيقة لها ، كنا نجلس متجاورين في ندوة ثقافية عن « وعي الرعيل الأول للأسلام » واستشهد احد المتحدثين قائلا :

« في القادسية ، كان حوار بين رستم قائد العدو ، وبين وفد يمثل المسلمين مكون من ربعى بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة سألهم رستم عن أمرهم وغايتهم ؟ فكان الجواب :

« ان الله ابتعثنا ، لنخرج من شاء ، من عبادة العباد ، الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلا م، فأرسل رسول الله بدينه الى خلقه ، فمن قبله منا ، قبلنا منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه . ومن أبى قاتلناه ، حتى نفضى الى الجنة او الظفر » ..

. .وانتهت النـــدوة .. وصفـــق الحفل ، ونهضنا ننصـــرف ، سلـــم الشاب، ودعانى الى سيارته ، وكنت قد عرفته في مناسبات سابقة .

قالت شقيقته : اراد المتحدث الأول في الندوة ، أن يمحو من الأذهـــان أن الاسلام دين حرب ، وانه انتشر بقوة السيف ، وهو على حسن عرضـــه لأفكاره ، لم يستطع أن يبلغ منـــــا ما يريـــد !

وعلقت رفيقتها : التاريخ ، جـــل التاريخ مجازر بشرية ، فى ظـــــلال الاباطرة ، والأديان والشعوب ... حروب وحروب **ترى** دنى ستهـــدأ فى الانسان نزعة التغلب ، والمكاثـــرة ، فيتـــرك الوغى ، ليعيش بسلام ؟

قال الشاب : هذه طبيعة الحياة .. تنازع البقاء !..

واردفت أخته : ويـــل للضعيف ، انه غير جدير بالحياة ، مهمـــا كـــان عبقريا موهوبا ، فالحـــق للقـــوة ، والقوة المادية هي التي تخلـــق كـــل شـــيء .!

قلت : بل تدمـــر كل شيء ، حتى انسانية الانسان ، اذا كانت ماديـــة محضة ، في ذاتها وانبعاثها وهدفها !

قالت رفيقتها تؤيدها : وماذا غير القوة المادية يا أستاذ ؟! فها نحـــن العرب ، مثلا ، قد انتزعت مقدساتنا وعدى على حقوقنا ، وتشرد ابناؤنا فهل نستطيع أن نستعيد أرضنـــــا ونستنقذ كرامتنا ، بالصلاة والدعاء او بقرارات الأمم المتحدة ومجلـــــس الأمن ، دون الأخذ بأسباب الغلبـــة المادية ..

وكنا قـــد بلغنا منزلنـــا ، فارادوا الانصراف ، قلت لا بد من اتمـــــام الحديث ، ففيه مجالات هامة للرأى ، لا يسوغ أن نتفرق دون جلائها .

تحلقنا حول مدفـــأة كهربائيـــة ، نرشف القهوة السوداء .

وعدت الى الكلام : سأحـــاول ــ اذا سمحتم ــ أن أعرض الموضوع ومن وجهة نظر الاسلام ، وسأعمـــد الى الاختصار الشديـــد ، لأننـــا اذا اردنا ايفاء البحث حقه ، لم تتسع لنا ليلتنا على طولها .

قال الشاب : أنا على ميعـــاد فى بيتنا بعد ربع ساعة فلنضرب لحديثنا موعـــدا رحبا .

قلـــت : بل نوجز القول في دقائق ثم نعود الى بسطه في مرة أخـــرى ، حتى لا نتفرق عن رأي مشوش .

تحدثت يا اخي ، عن طبيعة الحياة وتنازع البقاء ، وتحدثت الشقيقة عن الفكرة السائدة بأن الاسلام دين حرب انتشر بقوة السيف ، وقالت رفيقتها: أن تاريخ البشرية مجازر ، حتى فى ظل الأديان ، ولم تستثن الاسلام ، والذي أريد أن اقوله تعليقا على كل ذلك .

انه تنازع بقاء حقا ، ولكنه ليس من طبيعة الحياة ، كما يريدها اللـــه للبشر ! وفى الاسلام جهاد ، وليـــس حرب كالحروب المعروفة ، وقد شهر الاسلام السيف فعلا ، ولكنه لـــم ينتشر بقوة السيف . وليس تاريـــخ البشرية في ظل الاسلام مجزرة ، باي حال من الأحوال .

قالوا : زدنا بيانا

قلت : تذكروا معي ، مثلا جواب المسلمين لرستم كمـــا سمعناه فـــي الندوة : « ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء ، من عبادة العباد الـــى عبادة الله وحده .. » فالاسلام ــ وهـــو الوارث لهدى الرسالات السماوية من قبله ، المصدق لما بين يديه المستكمل للانسانية المتنامية المتسامية كل خيرها

ــ الأصل الأصيل فيه ، هو اخلاص الامر كله لله جل جلاله ، ونقل الانسان من ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الأديان الى عدله (الاسلام) ليتبوأ مقام الخلافة ، وينطلق في اعمار الكون مستفيدا من تسخير الله له كل ما فى السموات وما في الأرض ، فطبيعة الحياة في الاسلام ، هي « التواسع » وليس التنازع ! والذي يريد ان يجعل من الأرض ساحة حرب « يفسد فيها ، ويسفك الدماء » هو الذي يجاهده الاسلام ولا أقول يحاربه ، لينوره وليس ليقهره ، يرده الى الصواب ولا يسومه سوء العذاب .

قال الشاب : أو ليس الجهاد حربا ؟!

قلت : مهلا انه ليس حرب استعلاء فى الأرض ، أو اذلال للناس أو استلاب للمال ، فلا مكابرة ، ولا مكاثرة ، ولا مفاخرة ، انه جهد لصيانة الانسانية ووضع أمرها في نصابه ، انه بذل كريم لغرض عظيم هو اتاحة المنطلق السديد للانسان ، ليمارس ذاته ، ويرقى مدارجه ، حتى يبلغ مداه من خلافة الله في الأرض .

انظر الى ما اجابوا به رستم :

« ارسل رسوله بدينه الى خلقه ، فمن قبله منا ، قبلناه منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وارضه » .. أين تجدهنا معنى الحرب أو الحرص على المغنم العادي وقهر المحارب ؟ ! انه تبليغ رسالة حجزت عنها العقول بسلطان الحاكمين ، أو بجهل الجاهلين ، فالمطلوب ، ازالة العوائق بين النور والبصائر ، بين الله وخلقه ، فان امكنت سلما فهو المطلوب ، وهو جهاد بالحجة والاقناع والاستدراج الى الخير ، والا فلا بد من الجهاد بالقوة ، ولكن دون تنكيل وبالسلاح ، ولكن دون تمثيل ، حتى يتبين الرشد من الغي . وعند ذلك فلا اكراه في الدين ، وكل امريء بما كسب رهين !.

فالاسلام ، يشهر السيف ، عندما يحمل على ذلك حملا ، لقتال أعداء الله ، الصادين عباده ، عن سبيله ، ولكنه لا يقر عقيدته في العقول وينشرها بين الناس بقوة السيف أبدا . بل الدعوة ، والقدوة وتفتيح الفطرة على فاطرها حيث ترى الحق ، والله يهدى اليه من يشاء .

وهكذا قامت فى ظل الاسلام ، حضارة تعايش انساني سليم كريم ، مسالم بناء ، خال من المجازر التي تحدثت عنها الآنسة منذ قليل ، والتي لم يخل منها ، حقا ، تاريخ حضارة من الحضارات ، القديمة أو الحديثة ، الا حضارة الاسلام ، مما لا ينكره حتى اعداؤه .

قالت الفتاة : ولكن .. ما بالنا نعيش فى تخلف ويغلبنا شذاذ الآفاق ونحن مسلمون ولا ينصرنا الله ؟!

فتحت فمي لأجيب ، ولكنني لاحظت الشاب ، يرمق ساعة يده بطرفه ، فأدركت أن موعده في البيت قد حان ، فقلت ــ وأنا انهض لوداعهم ــ :

يا أختاه : لسنا بمسلمين حقا ، نحن لما نصرنا الله نصرنا ، فلماتغيرنا غار وغير ، ولا بد ان يكون للحديث صلة ، ففيه جوانب هامة لا بد من جلائها !

قالوا : فليكن ذلك قريبا ، فنحن فى شوق الى المزيد ، من هذا الحوار المفيد .

قلبت أوراق المفكرة ، وافترقنا على أمل اللقاء بعد أسبوع ان شاء الله .

كتاب الشهر

نبي الإنسانية

●● منذ وجد الانسان على الأرض وهو مشوق الى تعرف ما فى الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن فى المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل ، وظهر له ضعفه ، وتضاءل غروره .

●● **ونبى الاسلام** ، صلوات الله وسلامه عليه — كما يقول الامام المراغى — **شبيه بالوجود** ، فقد جد العلماء ، منذ أشرقت الأرض بنوره ، يتلمسون نواحى العظمة الانسانية فيه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وامامهم جهاد طويل ، وطريق لا نهاية له ..

●● وحينما ينطلق الانسان الى الفضاء الخارجى حيث الكون الفسيح الهائل ، فسوف يعود ليحس بعجزه امام هذا الملكوت ، وسيرى من اسراره ما ينخلع له قلبه ، وبعد أن يفرغ جهده فى الجراحة واستبدال القلوب والرئات والمعى ، سيكتشف انه لا يقل عجزا امام سلطان الموت عن الانسان البدائى ، فسيظل الموت

للاستاذ احمد حسين
عرض وتقديم الاستاذ على على عياد

يجيء من حيث لا يعلم الانســـــان ، وبالطريقة التى لم تكن تخطر له على بال ، فيعود الانسان للايمان بأن وراء هذا الكون سرا رهيبا ، وقوة مدبرة، ومصــــدر كل ما فيـــه من طاقة ومخلوقات : هو الله عز وجل .

●● **ولهذا العصر** ، عصر الفضاء والتقدم العظيم ، **يقدم الأستاذ احمد حسين** هذا الكتاب عن « **ســـيرة الرسول ورسالة الاسلام** » كما تنطق بهما كتب الســـيرة ، والأحاديث النبوية ، ونص القرآن الكريم .

●● **ويرى المؤلف** ــ بحق ــ **أن العقيدة الاسلامية تقوم** على « **الأمرين معا** » ولا يغنى أحدهما عن الآخر ، فالاسلام يطير بجناحين « **الايمان بالله وبرسالة محمد** » ومن هنا كان ركنه الأول الشهادتين « **لا اله الا الله ، محمد رسول الله** » .

●● **والشهادتان اشــبه بالروح والجسد** ، لا يمكن فصل احداهما عن الأخرى ، فلن نســـتطيع أن نحيط بسيرة سيدنا محمد الا من خـــلال عمق التعاليم الاسلامية ونصـــاعتها وخيريتها بالنسبة للانسانية وحـــل مشاكلها ، ولن نستطيع ان نحيـــط بهذه التعاليم الاسلامية الا من خلال استعراضنا لحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

●● واذا كانت المكتبة الاسلامية الحديثة قد خلت من كتاب يجمع بين الرسالة والرسول حيث يتلقى المطالع تعاليم الرسالة من خلال ســـــيرة الرسول ، ويتعرف على ملامح السيرة من خلال تفهم التعـــاليم .. فان الأستاذ احمد حسين قد وضع بهـــذا الكتاب اللبنة الاولى فى هذا العمل الشامخ الذى نرجو له ان يكتمـــل فتتحقق بذلك النية الصادقة للمؤلف الذى تمنى دائما أن يضع بين يدى بنى الانسان هذا النبى الذى جـــاء هاديا للانسانية ، وهذه التعاليم التى جاءت لخير البشرية فى مجموعهـــا ككل .

●● **واذا كان هذا الكتاب يعرض السيرة النبوية والتعاليم الاسلامية من زاويتها الانسانية وأثرها بالنسبة للبشرية فانه ينفرد بسمتين عن كل ما سبقه من كتب تنـــاولت حياة نبى الاسلام :**

● **السمة الاولى** ، هى « **التجربة الذاتية للمؤلف** » الذى امضى الجزء الأكبر من حياته فى كفاح معنـــوى وسياسي من أجل القضايا العربيـــة

والاسلامية ، مستهديا فى كل اقواله وافعاله بهـــدى القرآن وســـيرة الرسول ، وكان الاسلام وتعاليمه ، واستلهام الاسوة من سيدنا محمد هو الأساس والمنطلق الذى انطلقت منه افكاره ودعواته .

● أما **السمة الثانية** التى ينفـــرد بها الكتاب فهى **مسايرته العصر فى أسلوبه العلمى** ، ومخاطبة العقل ، وعدم اللجوء الى المســـلمات ، والاجتهاد قدر الطاقة بعرض القضايا مجردة عن كل تحيز ثم مناقشـــتها بموضوعية قبل القطع فيها بقرار .

●● **والذى يطالع هذا الـكتاب يلمس هذه السمة متحققة فى كل قضية تناولها ، ولذلك فان النتائج التى توصل اليها المؤلف ايجابيـــة وتتمشى مع المنطق والعقـــل ، ولا تصطدم فى الوقت ذاته بالمبـــادىء الثابتة فى الاسلام .**

●● واذا كان منهج الاســـلام وجوهر دعوته يتجه الى اعـــلاء سلطان العقل وتحريره من الاوهام ، وتقديم الدليل على كل قضـــية فان منهج المؤلف يسير فى نفس الاتجاه ، وكما يقول هو :

● « **سيكون من أعظم ما نرحب به فى علاجنا أحداث السيرة أن نقبل تحدى العلم الحديث ، ونرحب به ، لأنه السبيل الى تجديد ايماننا** » .

ومن المعتـــاد أن الذين يتناولون ســـيرة الرســـول عليه السلام ، يبدأون حديثهم دائما بالـــكلام عن العرب قبل الاسلام ، ونسبه صـــلى الله عليه وسلم ، ولكن المؤلف هنا يبدأ بداية جديدة ، فتحدث أولا عن الله عز وجل « فمن العبث — والكلام للاستاذ أحمد حسين — أن نتحـــدث عن سيرة نبى أو رسول مبعوث من الله عز وجل اذا كان قارىء الكتاب فى شك من وجود الله ذاته ، فضلا عن أن يكون منكرا جاحدا لوجـــود الله ، فلا مناص اذا من الاطمئنـــان لوجود الله قبل التحدث عن رســـول الله » .

●● فاذا انتهى المؤلف من تقرير ذلك ، انتقل الى التحدث عن سيدنا محمد بصفة عامة كما تبدو صورته للمؤرخ أيا كانت هويته ليصل من ذلك الى اثبات ضرورة الاهتمـــام بدراسة سيرته واستعراض تعاليمه من الوجهة الانسانية .

●● وعند هـــذه النقطة أجاب المؤلف عن هذا التساؤل : هل القرآن موحى به من لدن الله عز وجل ؟ أم هو من وضع سيدنا محمد وتأليفه ؟ ووصل فى اجابته الى نتيجة حاسمة هى ان **القرآن معجزة كبرى لا يمكن الا أن يكون الله سبحانه وتعالى هو صاحبها وباعثها والموحى بها .**

●● حتى اذا انتهى المؤلف من عرضه العام لملامح السيرة النبوية من وجهة النظر التاريخية البحتة ، فانه ينتقل بنا الى بحث مصادر هذه السيرة ومدى حجيتها وقيمتهـــا من الناحية العلمية ، ومدى اقرار غـــير المسلمين قبل المســـلمين بقدرها وخطرها من حيث هى مصدر يعـــول عليه .

●● واذا كان القرآن الكريم هو مصدر المصادر للسيرة النبوية ، فقد رأى المؤلف أن يبين هنا كيف وصل القرآن الينا ؟ وكيف نقل بالتواتر ؟ وكيف جمع ؟ ومدى الاطمئنان الى أن هذا الكتاب الذى يوجد بين أيدينـــا هو بعينه ونصه وحروفه القرآن الذى رواه محمد صلى الله عليه وســـلم

على أصحابه باعتباره الوحى المنزل عليه من السماء .

●● كذلك تحدث المؤلف عن السنة ، وكيف جمعت الاحاديث ، ومدى الدقة التى اتبعت فى اختيار الصحيح منها ، والتمييز بينه وبين الفاسد ، ومن هم العلماء الذين اضطلعوا بهذه المهمة ، ووزن ما قاموا به بموازين النقد الحديث .

●● فاذا ما فرغ المؤلف من ذلك ، مضى فى دراسة السيرة ممهدا لها باستعراض سريع لتاريخ العالم السابق عليها ، وتاريخ الجزيرة العربية الى ما قبل ميلاد سيدنا محمد ، ثم الظروف السائدة عام ميلاده حتى اذا تحقق الميلاد تتبع المؤلف الأحداث من ميلاده عليه السلام حتى بعثه .

●● ولعل من المفيد بعد هذا العرض العام للكتاب أن نقدم بين يدى القارىء تلخيصا لأحد فصوله ، وقد اخترنا الفصل الذى جعل المؤلف عنوانه «**محمد الانسان .. اين مكانه**» حيث ابان المؤلف فيه عظمة النبى عليه السلام ، ليس من خلال آراء اتباعه ، وانما من خلال آراء مشاهير المفكرين فى العالم الذين لا يدينون بالاسلام ، والذين راوا فى سيدنا محمد أعظم عظماء التاريخ .

●● كما قدم المؤلف فى هذا الفصل تلخيصا لسيرة سيدنا محمد، كما تحدث عن القرآن واعجازه ، ليصل منه الى الاجابة على هذا التساؤل : «**هل سيدنا محمد حكيم وفيلسوف ؟ أم هو أعظم المشرعين ؟**» وحين **يجيب** عن هذا التساؤل ويقرر أنه «**أعظم المشرعين**» فانه يتحدث عنه عليه السلام كأعظم مؤسس دولة ، ومنشىء حضارة ، وأعظم نبى ورسول ، ثم يورد اشادة المجمع المسكونى الكاثوليكى بالتعاليم الاسلامية ، ويتساءل فى نهاية الفصل : « أيكون محمد الها ؟ » واذا لم يكن كذلك ، فأى شيء هذا العظيم فوق العظماء ، العلم فوق الاعلام ، الذى لم تعرف البشرية له مثيلا أو قرينا من قبل أو من بعد .. ؟ ويقدم المؤلف الاجابة على ذلك من كلام النبى ذاته : «**انه رسول الله قد أوحى اليه**» .

●● وفى هذا الفصل أيضا قدم المؤلف اقتباسات من آراء المفكرين حول شخصية النبى يحسن بنا أن نورد بعضها هنا .

● تقول دائرة المعارف البريطانية :

●● «**قليلون هم الرجال الذين احدثوا فى البشرية الأثر العميق الدائم الذى أحدثه محمد ، لقد أحدث أثرا دينيا عميقا منذ دعا اليه حتى الآن هو الايمان الحى والشريعة المتبعة لأكثر من سبع سكان العالم ، على أن أثره التاريخى يبدو بالأكثر عندما نذكر أنه فى أقل من عشرين سنة مذ بدأ دعوته قوض دعائم امبراطوريتين عتيدتين – البيزنطية والفارسية – مؤسسا على أنقاضهما حضارة جديدة**» .

«**ولقد أرسى مذ جاء بدعوته التى هى عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الاجتماعية والسياسية ، وقد أعقب موته أن سجل خلفاؤه الأحاديث التى رويت عنه ، وأدق التصرفات والأفعال التى قام بها فاتخذ المؤمنون من هذه الأحاديث نبراسا ومثلا أعلى يحتذون به فى حياتهم اليومية جيلا بعد جيل**» .

● ويقول هـ. ج. . ويلز :

●● ((**كان يمكن لأى متنبىء تاريخى يستعرض حياة البشر فى مستهل القرن السابع الميلادى أن يتوقع بحق أنه لن تمضي بضعة قرون حتى تقع كل أوروبا وآسيا تحت سيادة المغول والتتار** ، فلم يكن فى أوروبا الغربية اى اشارة تدل على امكان قيام النظام فضلا عن الوحدة ، والامبراطوريتان البيزنطية والفارسية كانتا فى طريقهما نحو الانحلال والدمار ، **ولكن هذا المتنبىء كان سيخطىء فى تقديره ، فقد اشتعلت دنيا الصحراء والبدو بمائة عام من المجد عندما بسط العرب سلطانهم ، ومدوا حكمهم ولغتهم من اسبانيا الى حدود الصين مقدمين للعالم ثقافة جديدة ، ومنشئين دينا لا يزال حتى اليوم أحد القوى الحيوية فى العالم**)) .

● ويقول ول دورانت العالم الامريكى بعد أن يستعرض تاريخ سيدنا محمد :

●● ((**اذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من اثر فى الناس ، قلنا : ان محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والاخلاقى لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله ، وقل أن نجد انسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به ، واستطاع فى جيل واحد أن ينشيء دولة عظيمة ، وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى نصف العالم**)) .

●● وقبل أن نختم هذا العرض نترك للمؤلف الاجابة على **سؤال قد** يتردد فى ذهن القارىء عن **العبرة من دراسة سيرة الرسول عليه السلام** .

● يقول الاستاذ احمد حسين :

●● ((**ان أعظم عبرة نخرج بها من حياة الرسول ، أن نتعلم كيف نستخدم عقولنا فى كل أمر يعرض علينا من مشاكل الحياة ، وأن نتدبر ونخطط ونحذر ونقدم ونحجم ونخفى ونعلن تبعا للظروف والضرورات ومقتضيات الواقع وكل موقف من المواقف ، فسيدنا محمد لم يكن يخبط فى دعوته الى سبيل الله خبط عشواء استنادا على تأييد السماء له ، ولم يكن يسبح فى دنيا الخيال والغموض ، وانما كان يبدأ من الواقع والاستناد الى ما يحيط به من حقائق**)) .

((**واذا كانت رسالته تقوم على رفض هذا الواقع من حيث عبادة الأصنام والاشراك بالله فهذا هو الجزء الالهى من دعوته والذى قام به تأدية لتكليف الله اياه للقيام به فهو على استعداد أن يضحى بحياته فى سبيلها**)) .

((ولكنه بعد أن يقرر **هذا المبدأ** والأصل الالهى فلا مانع بعد **ذلك من** استعمال عقله وحكمته فى **سبيل نقله** الى الناس وتثبيته وتدعيمه ، **فهو** يدعو اليه سرا حيث يكون من الحكمة أن تبدأ الدعوة سرا ، حتى تجد لها أنصارا ، وتضرب جذورها فى الأرض ، فاذا زالت مقتضيات السرية بأن اشتد ساعدها فهنا يكون الجهر بها)) .

((وعندما يبدأ الأذى **ينصب على** اتباعه فليس لهم فى مثل هذه الحالة الا الصبر والاحتمال والحكمة والتسامح ، فليس هنا كما **يخفف من** ضراوة العدوان والتعذيب **الا الصبر**

والرد على الاساءة بالاحسان ، فاذا اشـتد الأذى وناء بحمله المؤمنون فالهجرة الى بلد يلتمس فيه الامان تكون خير حل للمشكلة ، ومن هنا كانت الهجرة الاولى الى الحبشة » .

« واذا كان من تقاليد قريش الا تتعرض لأبناء العائلات الكبيرة ذات القوة والمنعة فلا بأس ان يستظل سيدنا محمد بهذا التقليد فينشر الدعوة فى حماية عمه ابى طالب وان ظل مشركا ، فلما مات أبو طالب وفقد سيدنا محمد النصير ذهب الى الطائف باحثا عمن يحل محل عمه فى حمايته ورعايته » .

« وعندما ضاقت عليه مكة هاجر الى المدينة ، فلما توفرت له اسباب القوة والمنعة فى بيئته الجديدة باسلام الانصار تطور بأسلوبه فى الدفاع عن العقيدة فأصبحت القوة تدفع بالقوة والعدوان بالمقاومة ، **وهو فى جهاده وحربه وقتاله لا يعتمد اعتمادا أساسيا على المعجزات** والخوارق القدسية التى قد تنزل من السماء ، **وانما يخطط للمعركة** كأوفى ما يكون التخطيط الحربى ، **ويستمع الى مشورة الناصحين** فى اختيار أنسب المواقع لتدور فيه المعركة **ويعدل عن رأيه** ، ثم **يستعرض الجيش وينظم الصفوف ويزود المقاتل القوى بالسلاح القوى ويرسل الطلائع ويموه بالنسبة لغاياته وأهدافه ويقول قولته** الخالدة المأثورة التى تلخص كل قوانين الحرب من ان « **الحرب خدعة** » ، واذا شاءت الظروف أن يبرم مع خصومه معاهدة **فهو يقدر** الظروف والامكانيات ويقابل الطرف الآخر فى منتصف الطريق، **ولا يتمسك** بعبارة معينة او كلمة معينة ، **فهو** ما دام قد أراد صلحا او **هدنة او** ابرام معاهدة فهو يعرف **ان لا بد** لتحقيق ذلك من اجراءات .. **كما فى** صلح الحديبية مثلا » .

●● وهكذا فان المتصفح معنا لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الكتاب الذى عرضنا ، بايجاز شديد سوف يرى أننا بازاء حياة بشرية كاملة استخدم فيها الرسول عليه السلام خلاصة التجارب البشرية ، ومعطيات العقل ، وآخر مبتكرات العلم .

●● وقد نهج الخلفاء الراشدون نهج رسول الله وهم يواجهون سلسلة من الوقائع والاحداث التى لا عهد لهم ولا للعرب بمثلها ، فاستعملوا عقولهم لحل ألوف المشاكل التى لم يرد فيها قرآن أو سنة .

●● ونحن مطالبون اليوم بأن نسير على نفس النهج ، ليتحقق فينا وصف الله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » آل عمران/١١٠ .

● وبعد .. فقد وعد المؤلف بأن يتبع هذا الكتاب بثلاثة كتب اخرى يتم بها الحديث عن السيرة النبوية والتعاليم الاسلامية ، ونحن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتحقق هذا الأمل فيكتمل هذا العمل الرائد الذى يضع أمام الشباب سيرة الرسول وتعاليم الاسلام بأسلوب العصر وبما يجيب على ما يدور فى أذهانهم من تساؤلات هى وليدة العلم الحديث والثقافة الوافدة .

هذا .. وبالله التوفيق .

بريد الوعي الاسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

اللغة العربيـــة بـــين لغات العالـــم

ما هي اوسع اللغات انتشارا في العالم ؟ وما هي المكانة التي تحتلها اللغة العربية ؟ وهل يجوز استعمال غير العربية ؟

عبد الله محمد بو دريـــد ـــ الكويت

من المؤكد ان اللغة العربية ليست في مقدمة اللغات العالمية فى عصرنـــــا الحديث ، وأن اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية يحتل الناطقون بها رقعة واسعة ، ويشكلون نسبة كبيرة من سكان الدنيا .

وسبب ذلك هو الاستعمار العسكرى الذي صحبه الاستعمار الثقافي لعـــدد كبير من الأقطار ، وصبغها بصبغته لطول مكثه فيها ، وغلبته العسكرية عليها ، وقد تمثل بوضوح فى بعض البلاد الافريقية والآسيوية وأمريكا .

اما في البلاد العربية ، فقد ركز الغازي الأجنبي كل أجهزته النشطة فى مواجهة الثقافة الاسلامية العربية بعد كمال سيطرته العسكرية على معظم البلاد ، الا أن الثقافة الوافدة لم تجد أرضا صلبة تقف عليها بالمعنى الكامل ، كما فعلت في غالب مستعمراتها غير العربية ، حيثصارت الثقافة الغربية بكل الوانها هيطابع الدولة الرسمـــي والشعبـــي .

ومن الأشياء المسلم بها ان هذه الغلبة للثقافة الغربية فـــي البلاد العربية بدت بعيدة المنال ، فالقرآن باق بين ايدينا يتلى بالعربية ، والداعون الـــى تمكن اللغة العربية من وسائل الثقافة ينادون بصوت عال ، وما زالت الآذان تسمع وتعي ، والقلوب تخفق ، والمشاعر قوية متحفزة تقبل بلا ريب ، موقنة أن هذا هو الطـــريق ولا طريق ســـواه .

والجزائر المسلمة العربية شاهد حي على هذه الاستجابة ، فبعد احتلال فرنسي دام فترة طويلة يقـــوض دعائم قوة وتماسك هذه الأمة ، ويحرص بكل قوته على جعل لغته هي وسيلة التخاطب ، وهو وان نجح بعض الوقت فى تثقيف جيل نشأ في ظل وجوده ، لكـــن المشاهد للأمـــور يـــرى العودة علـــى كـــل المستويات الى العربية وكأن الفرنسية لم تكن ، وكأن الاستعمار لم يبذل كـــل

جهده في ترسيخ ثقافتـــه .

وذلك هو المفهوم من قول الله سبحانه وتعالى : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** والمعنى الذي لا يحتمل جدالا هو بقاء القرآن دون تبديل او تحريف بشكله العربي ، ولم يتحول الى شيء آخر ، ويدخله التغيير كما حدث للكتـــب السماوية الأخـــرى .

ولم يقبـــل الترجمة فان المعاني التي تستقى من بقاء الكلمة العربية لا تجد في اي لغة اخرى ما يقوم مقامها فتبدو الترجمة غير مفيدة .

ولا شك ان هذه الآية دعوة صريحة للمسلمين للعمل على نشر القرآن وعلومه فمعنى الحفظ هو بقاؤه عربيا وبقاء العربية لغته لغة التخاطب والثقافة والبحث .

وكذلك لم تجد العامية اذنا صاغية رغم تركيز اجهزة الاعلام على ذلك بكل الوسائل ، ولم ينل الداعون لها النجاح المطلوب .

ولكنه من الغريب حقا أن يشكل المسلمون نسبة كبيرة من سكان العالم ، ولا تحتل اللغة العربية مكانتها اللائقة بها بين لغات العالم .

وقد كان للباكستان دعوة قديمة للتعريب ، وقد نبعت من حرصهم على فهم دينهم ، ومعرفته من أقرب الطرق ، لأن الترجمة التي يقدم بها التفسير لا تستطيع ان تقـــدم المعاني السامية بكل قوتها المفهومة من القرآن الكريم ، وليس معنى هذا ان نوقف تقديم الثقافة الاسلامية باللغات العالمية ، فذلك معناه القصـــور الشديد في نشر الثقافة الاسلامية العربية ، ولكن المراد هو عدم تحول ابناء الأمة العربية عن العربية لغة القرآن ، وجذب المسلمين غير العرب الى العربية ، وقد بدا ذلك واضحا عند فتح العرب لبلاد غير عربية ، فقد أقبل أهل البلاد المفتوحة على الاسلام والعربية كفارس وغيرها ، وبرز من هؤلاء علماء اجلاء عباقرة ، فاقوا أقرانهم من ابناء العربية ، كالامام البخاري ، والامام ابي حنيفة . وعالم النحو سيبويه ، وغيرهم كثير لهم اثر واضح في كـــل فروع المعرفة الاسلامية ، وتركوا ثروة ضخمة تشهد على عظمة الاسلام اذا تمكن من النفوس .

ذلك هو الاسلام في كـــل وقت والعربية المدخل الطبيعي للاسلام ، وقد قويت صلة هؤلاء بالاسلام ، ولا يضير الصلة ان يكون هؤلاء قد تعربوا ، فالعربية ليست جنسا بقدر ما هي دين ، وليست لغة بقدر ما هي معرفة ووسيلة لتحصيل العلم والعرب اناء الاسلام ، وكم من عرب يسكنون بلاد العرب ويتكلمون العربية ، ولهم مستوى من الثقافة ، ولكنهم لا يرتبطون بالعربية في قليل أو كثير واعني بالعربية جوهرها وهـــو الاسلام .

والعربي هو الناطق باللسان العربي ، من أبناء العرب ، أو الساكنين فـــي أرض العرب ويسير مع هؤلاء جنبا الى جنب الذين انسلخوا عـــن عجمتهـــم ، واقبلوا مخلصين عـــن عقيدة ليفقهوا القرآن والحديث ، وخلص الاسلام الـــى نفوسهم فطهرها ، وجعل منها خير أوعية للعلم ، وقد صار عدد كبير منهم حجة فـــي العلم كمـــا قدمنا .

واللغة العربية لغة القرآن وبها نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقى العرب ذلك بالفهم والتدبر ، واختار الله رسولا عربيا ليبلغ عنه الكتـــاب والحكمـــة :

اقرأ قول الله تعالى : **(انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)** . وقولـــــه

سبحانه : **(قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون)** وقوله سبحانه : **(لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين)** وقوله سبحانه : **(كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)** .

من خلال هذه الآيات يتبين أن اللغة العربية عامل هام في بث الثقافة الاسلامية بين صفوف المسلمين ، وبشكل ميسور دون مشقة ، لأنها الموصل الطبيعي لمختلف الأبحاث الاسلامية الجيدة .

واذا ثبت أن اللغة العربية هي السبيل لفهم القرآن الكريم ، فمعنى ذلك انها من الزم الأشياء بالنسبة للمسلم ، فمعرفة العربية من الدين لأنها تؤكد صلة المسلم بالاسلام .

ومن المأثور أن الفقهاء كرهوا أن يتعود الرجل النطق بغير العربية ، وقالوا ان اللسان العربي شعار الاسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون ، وكره كثير منهم أن يدعى الله أو يذكر فى الصلاة بغير العربية .

ولا شك أن التعود على غير العربية له مضاره الكثيرة المتعددة ، فانه يقطع صلة المسلم بلغته وأهله ، ويتدرج فيتحول كلية الى لغة أخرى يفقد معها مقومات بقائه وارتقائه ، وقد رأينا بعض البلاد الاسلامية بعد أن تعربت عادت الى لغتها القديمة .

وبعد ، فان فقر الشباب المدقع فى هذه الأيام ، ونضوب معين العربية عنده أمر يستوجب الرثاء ، ويورث الألم ، فقد صارت أمته تخطب ود لغة غريبة التراكيب لا ترقى مهما كثر المتحدثون بها الى اللغة العربية ، ولا تفي بالحاجة التي يبتغيها المسلم من اللغة لأنها تظل قاصرة عن الايفاء بأي معنى من المعاني القرآنية .

ومن المؤسف حقا ان نجد البلاد العربية ـ مهبط الوحي المحمدى ورسالة الاسلام والقرآن بلغته العربية ـ تتعامل فيما بينها بلغة أجنبية في مخاطباتها وأوراقها الرسمية ، والأدهى من هذا اتخاذ لغة أجنبية للتعامل في داخل البلد العربي الواحد في بعض المصالح .

ونسوا أن الواجب الذي يحتمه عليهم شعورهم الوطني على الأقل هو أن يحرصوا على لغتهم التي تميزهم عن غيرهم من الأمم ، وليس من اللائق ، أن يضيعوا بين الأمم ، وتنمحي شخصيتهم ، وتضيع ملامحهم العربية الأصيلة التي هي سبب مباشر فى بقائهم وقوتهم، والله يقول ممتدحا الأمة المسلمة : **(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** فكيف عنّ لهم ترك كل هذا الفضل ؟

هذه هي لغة القرآن فلا تدعوها فى زاوية النسيان والاهمال فتفقدوا العنصر الهام فى الثقافة والمعرفة والبحث ، ولا يجوز أن نتخذ لغة أجنبية مهملين بذلك العربية ، بل يجب ان تكون العربية الأساس والمنطلق فى كل بحث ، وعندما يراد تثقيف جيل مسلم .

حول مقال (الشورى فى الاسلام) للشيخ محمد الأباصيرى

وقع عفوا خطـأ مطبعى فى صفحة ٥٢ من مقال ((الشورى فى الاسلام)) المنشور بالعدد (١٣١) ذى القعدة ١٣٩٥ هـ .

وتصويبا لما حدث نعيد نشر الصفحة المذكورة مع اعتذارنا للقارىء العزيز

جاء الاسلام بمبدأ الشورى أساسا للحكم ، وقاعدة للمجتمع ، فأمر الله رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام أن يشاور أصحابه ، وأن يأخذ رأيهم فيما يعرض من الأمور . ولم ينزل فيه وحى من الله فقال تعالى : **(وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)** آل عمران/١٥٩ .

وقد جعل الله الشورى من لوازم الايمان ، حين عدها من الصفات اللاصقة بالمؤمنين المميزة لهم عن غيرهم فى قوله تعالى : **(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)** الشورى/٣٨ .

أما ما نزل فيه وحى من الله فهو خارج من نطاق الشورى . اذ لا مجال للرأى فيه ، ويلتزم به المؤمنون، وتقبل الشورى فقط فى حدود التنظيم لما نص عليه القرآن وبينته السنة ، وذلك يقتضي أن يكون أهل الشورى ممن يلمون بالتشريع الاسلامى ، ويفهمون روحه واتجاهه ، وهم أهل الحل والعقد .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فى كل أمر يعرض وليس فيه وحي من الله، ففى غزوة بدر — حين تغير الموقف عن الوضع الذى خرج الرسول وأصحابه من أجله ، فبعد أن كان الأمر ملاقاة تجارة قريش، والاستيلاء عليها — وذلك أمر سهل المنال — أصبح ملاقاة جيش وفير العدد كامل العدة يتطلب جهادا مريرا ، وتضحية غالية — أخذ الرسول يستشير أصحابه، اعدادا لنفوسهم الى الوضع الجديد ، فقال : أشيروا علي أيها الناس ، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال وأحسن ، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك ما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن : اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لقاتلنا معك من دونه حتى تبلغه . فدعا له الرسول بخير ، ثم قال : أشيروا علي أيها الناس — وهو يريد رأى الأنصار — لأنهم يكونون الغالبية الكبرى فى جيشه ، وبيعة العقبة الزمتهم الدفاع عن رسول الله فى مدينتهم ، ورسول الله يتخوف أن يكون رأيهم الا ينصروه الا ممن دهمه فى المدينة ، فقام سعد بن معاذ ، وقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله . قال : أجل . فقال : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ،

((الى آخر المقال))

بأقلام القراء

وقفة أمام جبل واحد

للأستاذ عبد الله عبد الرحمن الجعيثن

فى ذرى هذا الجبل الأشم وقفت طويلا ، أتأمل الجبـــل الراسي التليد ، وأتأمل السهل المنبسط الفسيح ، يمتد تحت ذلك الجبل من غابر السنين ، وترى الجبل يلقى عليه ظلا طويلا كلما آذن النهار بارتحال ، وترى الشمس تزاور عن الجبل الشاهق حين تطلع وحين تغرب ، وتترك آثاره البليغة على الســـهل الفسيح .

هنا فى ذرى هذا الجبل الأشم يرقد فى رضا وحبور صفوة الصـــحابة يتوسدون ثراه من مئات السنين ، بعد يوم مشهود ، خلفهم فى ذرى هذا الجبل ، هنا فى هذا السهل بعد أن سجل أسماءهم بحروف من نور ..

هنا فى ذرى هذا الجبل الأشم الرفيع يرقد رجال بهم سار الاسلام مسير الشمس فى الضحى والسحب فى الفضاء ، هنا يرقد سيد الشـــهداء حمزة ، وهنا يرقد سيد الدعاة مصعب بن عمير وهنا يرقد عبد الله بن حرام ، وصفوة الرجال الذين حملوا على أكتافهم دعوة الاسلام ، حملوها وهى جمرة تتلظى ، وماتوا ولما تزهر وتثمر ويجنوا من خيرها فى دنيا الناس شيئا .

وحين يكون القتل والقبر ذكرى ليوم مرير ، وتكون أماكن الهزيمة صفحات اليمة نرى الأمر يتبدل ويتغير ، ونرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الجبل الذى شهد مرارة الهزيمة ، وفى الأرض التى شربت دماء الشـــهداء أماكن حلوة عزيزة ، أماكن للذكرى الحبيبة ، فيقول على سمع التاريخ : « أحد جبل يحبنا ونحبه » .

وأنظر الى هذا الجبل الأشم العظيم ، الذى يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبه المؤمنون ، وأرى فى صخوره العاتيات صمود الحق وأسمع من صخوره الصامتات صوت الحق يدحر سلاح الكافرين ويخترق ظلمات القـــرون ويبلغنى ويبلغك قويا نديا ، واضحا من غير لبس ، كاملا من غير نقص .

وانظر الى الجبل الأشم فأرى معركة احد حية لم تزل ، قد خلدها الله فى كتابه وخلدها فى صدور الناس فاذا هى ذكرى تنير على مدى الأيام واذا هى معلم للحق يهدى ويشير ويدل بثبات اشد من ثبات الجبل على أن العاقبة للحق وان طغى الباطل وازبد .

اللهم نعم . لقد كان الذين قاتلوا فى ذرى الجبل بشرا كالبشر ، يجرى فى دمائهم حب الحياة ، ويكرهون الموت ، ولكن قوة الايمان ارتهم المعنى الحق للحياة ، والمعنى الحق للموت .

تنتهى معركة أحد بعد أن يسقط الرجال على حد الحسام ، ويمثل المشركون بأجسادهم أبشع تمثيل .

ويعود أحياء المسلمين الى امواتهم بعد انقطاع الضجيج ، فاذا القتل والدم والمشهد الرهيب ، واذا هم على جهد أى جهد ، وفقر ناهيك به من فقر ، يبلغ بهم الفقر والجهد الا يستطيعوا حفر قبور توارى خير الرجال فيضعون الرجل بجوار الرجل فى القبر الواحد ، ويضعون على الرجل من الأكفان الثوب الرث القصير ، يستر ويظهر « أن ستر وجهه بدت رجلاه وان ستر رجليه بدا وجهه »، ثم ينظرون الى بعضهم كمـــا ينظر البشر الى البشر فى الأزمات واللحظــات الحاسمة ، ولكن لا . . ان هؤلاء على صلة بالسماء . . انظر اليهم . . بين احزان البشر على هذه الأرض . . ومشاعر البشر على هذه الأرض . . وآلام البشر على هذه الأرض . . يأتيهم الكلام الخالد من الرب الباقى :

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضـــل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) آل عمران/١٦٩ – ١٧١ . وبين أكفان تنشر وقبور تحفر واحباب تودع بارد الثرى ، ينظرون الى بعضهم كما ينظر البشر الى البشر حين يرحل الأحباب وتتمزق الأسباب وتبدو الحياة اسما طواه الزمان ، ولكن لا . . ان هؤلاء على صلة بالسماء . . انظر اليهم . . بين نظرات البشر للقتل ومشاعرهم نحو القتل ، ونحو الحياة والترف وما يجمعون يأتيهم الكلام الخالد من الرب العظيم الذى كون هذا الكون وخلق هذه الحياة واراد للبشر حياة على هذه الأرض وحياة فيما هو أسمى من هذه الأرض :

(ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون. ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون) آل عمران/١٥٧ و ١٥٨ .

هذا المؤتمر

حول المؤتمر الذى عقد فى دار العلوم لندوة العلماء كتبت مجلة الرائد الهندية تقول :

هذا المؤتمر يأتى فى أعقاب معركة تربوية فكرية طويلة بين الغرب اللادينى والشرق الاسلامى .. فهنا طبقةآمنت بعصمة الغربيين وتفوقهم على غيرهم فى كل شيء وهناك طبقة تجاهلت كل حقيقة وانكرت كل واقع ، وانزوت الى داخل نفسها وكانت النتيجة ان صار المجتمع فريسة لموجات التربية والفكر ، ومذاهب الاجتماع والآداب فى الغرب ولقمة سائغة لكل غاصب وناهب .

حتى قام اناس من أولى الخبرة والفراسة والتألم من واقع المسلمين وحاولوا وضع نظام جديد للتربية واسلوب جديد للفكر ، ومنهج جديد للدراسة والبحث ، وكان شعارهم ، التمسك بالكتاب والسنة ، واقتداء السلف الصالح ، والبعد عن التأويل والتحريف والانحراف كل البعد ، وقوام أمرهم ، (الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو احق بها) ونادوا بالجمع بين حسنات القديم والجديد وابتكار أساليب جـ دة والتسلح بأسلحة حديثة لمقاومة الغزو الفكرى المادى الكاسح ، فأسسوا مدرسة نموذجية سموها ندوة العلماء ، وها هى تحتفل بمرور ٨٥ عاما على قيامها .. لتستعرض جهودها ، وتستفيد من تجارب المربين ورجال الفكر والتعليم وآرائهم وتخطط للمستقبل تخطيطا جديداً ، فالزمن قد تغير ، وهو ليس على ما كان عليه قبل ٨٥ عاما ، وجدت مشكلات وتعقدت أمور ، وتغيرت أوضاع ، وانقلبت مقاييس الا أن المبدأ لا يزال على جدته وقوته لم يتغير ، وسوف لا يتغير ، لأنه مستمد من نور كتاب الله وسنة رسول الله .

ونرجو الله سبحانه أن يأتى هذا المؤتمر بنتائج سارة فى حقل الفكر الدينى والتوجيه الاسلامى ، وفى مجال التربية والتعليم ومناهج الدراسة ، وأن لا يقتصر نفعه فى هذه البلاد فحسب بل تعم العالم كله ، والله من وراء القصد ، وهو يهدى السبيل .

مسؤولية المسلم مزدوجة

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) السعودية ــ تقول :

يواجه المسلم وهو يدعو الى الله تعالى ، وينصح اخوانه المؤمنين ويرشدهم الى ما فيه خيرهم ، وصلاحهم فى الدنيا والآخرة ، يواجه حججا واعتذارات يحتج بها المقصر فى أمر الله تعالى ويعتذر عن القيام به لأسباب لا ترجع اليه ، وانما تعود الى سواه من الناس ، ومن ذلك الاعتذار الذى يقدمه لك المسلم الذى تنصحه بأداء عبادة ، أو ترشده لأمر من أوامر الله عز وجل التى ذكرها فى كتابه ، فيحتج لك معتذرا عن القيام بما تدله اليه ، وتشير به عليه بأن (فلانا) من الناس ــ وهو من هو فى مكانته ودينه ومركزه الاسلامى ــ يقوم بما يقوم هو به من المخالفة ، أو يشاركه فى تقصيره عن القيام بأمر الله ، وبهذه الحجة البينة ، والدليل القاطع يسقط عن المسلم القيام بالواجب الذى فرضه الله سبحانه على كل مسلم .

وهذا المسلم الذى احتج بهذا العذر قد اخطأ من جهتين :

● أخطأ لأنه ظن أن هناك أناسا هم حجة على الدين لكون أحدهم فى منصب كذا أو كذا اخطأ بهذا اذ ليس احد حجة على دين الله فى شيء من عمله ، بل الدين هو حجة الله على خلقه ، فمن اتبعه كان محقا ، ومن خالفه كان خارجا عن الدين مخالفا تعاليمه ، وكل الناس يؤخذ من قوله ويرد ، وينصح فى دين الله ويرشد الى ما هو خير له ، ولهذا قال أعرابى لعمر بن الخطاب وهو يحمل سيفه قال : (لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا) .. فالحق معروف لا سبيل الى انكاره ، قد بينه الرب ــ عز وجل ــ فى كتابه ، واوضحه المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سنته ، فمن سار وفق هذين الأصلين كان مسلما حقا ، ومن خالفهما فى شيء كان مخالفا للحق الذى جاء به الاسلام .

● وقد أخطأ ثانية لكونه ظن فى زعمه أن العالم اذا أخطأ لا يوجه ، ولا يقوم ، ولا يبين له الحق ليقلع عن خطئه ، ويتبع الذى هو خير ، بل على المسلم أن ينصح كل مقصر فى واجب ، وتارك لأمر من أوامر الله تعالى ، عليه ذلك ولو كان هو مقصرا فى الأمر الذى ينصح فيه ، وذلك لأن مسئولية المسلم من جهتين :

الجهة الاولى : أن لا يرتكب أى ذنب من الذنوب والآثام .

الجهة الثانية : أن ينصح من يراه يرتكب أى ذنب ، ويبين له الأمر الواجب عليه اتباعه والذى أمر به الاسلام ، ولهذا قال العلماء : (على مدير الكأس أن ينهى الجلاس) فأحد الواجبين لا يسقط بالتقصير عن أداء الواجب الآخر ، فكما أن أداء الواجب لا يسقط عنا ان قصرنا عن الأمر بالواجب بتقصيرنا عن أدائه ، ولا يجوز لنا أن نترك النهى عن المنكر لارتكابنا اياه .

أعلام الإسلام

عبد الله ابن عبد نهم

رجل باع الدنيا كلها من أجل دينه .. ونذر نفسه فداء لايمانه .. وجاهد فى الله حق الجهاد .. كان رضي الله عنه من الأواهين .. اجتمع فيه صدق الايمان وحبه للجهاد فى سبيل رفع راية الاسلام . فكان شديد الاجتهاد فى العبادة كما كان فارسا فى ميدان الجهاد .
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له النبى : **ما اسمك .. ؟** قال : **عبد العزى ..** فقال : بل : **عبد الله ذو البجادين .**

اسمه : عبد الله بن عبد نهم بن عفيف بن سحيم بن عدى بن ثعلبة ابن سعد المزنى .
وكان اسمه فى الجاهلية عبد العزى .. فسماه النبى صلى الله عليه وسلم — فى الاسلام — عبد الله .

اسلامه : كان عبد الله يتيما ، تكفل برعايته عم له ، وزوجه احدى بناته ، فلما قام النبى ينشر دين الاسلام بأمر ربه قال عبد الله لعمه : يا عماه انه تذف فى قلبى محبة هذا الرجل وانى لا ارانى الا خارجا اليه .
فقال له عمه : لئن فعلت لأسلبنك كل ما اصبته ، ثم نزع عنه كل شيء وتركه عريانا الا ما يوارى عورته .. ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما .

ذو البجادين : لما نزع عنه عمه كل شيء حتى ملابسه ، وتركه شبه عريان .. جاء أمه شاكيا اليها ما لقيه من عمه فأعطته بجادها — والبجاد : كساء مخطط من اكسية الاعراب — فأخذه وقطعه قطعتين فاتزر نصفا وارتدى النصف الآخر .. وهاجر الى

اعداد : فهمى الامام

النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة .. فلما رآه النبى عليه افضل الصلاة والسلام قال له : ما اسمك .. ؟ قال عبد العزى . فقال : بل عبد الله ذو البجادين .

احد الأواهين : كان رضي الله عنه لا يفتر عن ذكر الله .. فلا يرى الا رافعا صوته بالثناء على الله وحمده ، تاليا قرآنه ، داعيا اياه ، وكان ملازما باب النبى عليه الصلاة والسلام .. ورآه عمر — رضي الله عنه — على حاله تلك فقال : أمراء هو ؟ فقال له النبى : بل هو احد الاواهين .

دليل النبى : كان رضي الله عنه دليل النبى فى بعض غزواته ، وكان يحدو بناقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك .. فيقول مرتجزا :

تعرضي مدارجا وسومى
تعرض الجوزاء للنجوم

وفاته : مات — رحمه الله — فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى غزوة تبوك ..
ونزل رسول الله فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه وهو يقول : « ادليا الي اخاكما » فدلياه اليه فلما هياه لشقه قال صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى قد امسيت عنه راضيا فارض عنه » .. فانعم يا عبد الله برضا الله ورضا رسوله .. فليس بعد ذلك من فضل .

اخبار العالم الاسلامي

إعداد : ف٠ع٠م



الكويت : أناب سمو أمير البلاد المعظم سعادة الشيخ جابر العلى السالم فى افتتاح دور الانعقاد العادى الثانى للفصل التشريعى الرابع لمجلس الأمة .. وفى الصورة يرى سعادة الشيخ جابر العلى يلقى خطاب الافتتاح ..



● عاد الى الكويت السيد عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس الوكيل المساعد للوزارة بعد أن مثل الكويت فى مؤتمر ندوة العلماء الذى عقد فى (لكهنو) بالهند يوم ٢٨ شوال ١٣٩٥ هـ .



● أشهر خمسة من مرافقى رئيس جمهورية الغابون الحاج عمر بونغو اسلامهم أثناء زيارتهم للكويت ، ويبدو الأشخاص الخمسة فى الصورة المرافقة وهم جالسون أمام مندوبين من المحكمة الكلية ووزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية .

● أصدر السيد عبد الله المفرج وزير العدل والاوقاف والشئون الاسلامية قرارا وزاريا بشأن اللائحة التنظيمية للعاملين فى المساجد ، وقد تضمن القرار تحديد اختصاصاتهم وواجباتهم للنهوض برسالة المسجد ، ولتحقيق النفع والخير للمسلمين .

● عقدت اللجنة الدائمة الاسلامية الخارجية اجتماعا برئاسة السيد عبد الله المفرج وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية ، وبحضور مندوبين يمثلون الخارجية ، والشئون

الاجتماعية والعمل ، ودار البحث حول المساعدات التى تقدمها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية لعدة هيئات ومراكز اسلامية فى افريقيا ، وأوروبا ، وأمريكا .

ومما هو جدير بالذكر أن المساعدات التى قدمتها الكويت خلال عام ١٩٧٤ الى الهيئات والمراكز الاسلامية قد بلغت (١٠٣) آلاف دينار .

السعودية : قررت اللجنة العليا للحج بالملكة العربية السعودية تمديد فترة منح تأشيرات الدخول لحجاج بيت الله الحرام .

● صرح مسئول سعودى بأن كل أجهزة الدولة متفرغة لموسم الحج . وتعمل على استقبال الحجاج وتهيئة وسائل الراحة لهم ، وأن معظم الزيارات الرسمية ستؤجل الى الانتهاء من موسم الحج .

● قامت السلطات السعودية بتركيب دورات مياه جاهزة الى جانب المسجد النبوى — على صاحبه أفضل الصلاة والسلام — وقد تم تجهيز هذه الدورات فى ألمانيا الغربية ، وستعمل أتوماتيكيا .

● ستستخدم السعودية أجهزة اتصال حديثة لمساعدة الحجاج التائهين لتوصيلهم الى أماكنهم عن طريق الاتصال بالمطوفين .

● يتوقع المسئولون السعوديون أن يصل عدد حجاج هذا العام الى أكثر من مليون والسبب انه من المتوقع أن توافق وقفة عرفات يوم جمعة

مصر : تم اعتماد مبلغ (٨٠) مليون ريال سعودى — أى ما يعادل (٢٤) مليون دولار لموسم حج هذا العام .

● حجاج البواخر المصريون سينزلون هذا العام فى ميناء «ينبع» ليتجهوا مباشرة الى المدينة المنورة .

قطر : تبرعت قطر بمبلغ مليون ونصف المليون دولار للجامع الأزهر بمصر ، مساهمة منها فى طباعة نسخة فاخرة من المصحف الشريف بغية توفير كمية جديدة تسد حاجة المسلمين المتصاعدة للقرآن الكريم .

الأردن : ذكرت صحيفة (الدستور) أن أكثر من ٢٥ ألف شخص نزحوا من لبنان الى الأردن بسبب الأوضاع الراهنة التى يعانى منها الشعب اللبنانى .

تونس : قامت تونس بالكشف الطبى على جميع حجاجها للتأكد من قدرتهم الصحية لأداء فريضة (الحج) ولهذا الغرض شكلت لجان صحية فى أنحاء تونس لتقوم بهذه المهمة .

فلسطين والصهيونية : أقرت اللجنة الاجتماعية للجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا يعلن أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى .

ومن ناحية أخرى صعد الفدائيون أعمالهم البطولية وهجماتهم الشجاعة ضد الكيان الاسرائيلى فى فلسطين المحتلة .

البرازيل : صدرت ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة البرتغالية فى ٥٢٠ صفحة من القطع المتوسط وقد قضى السيد سمير الحايك عشر سنوات فى اعداد هذه الترجمة .

كندا : قامت الجمعية الاسلامية فى هاملتون بكندا بشراء قطعة أرض قيمتها ٧٥ ألف دولار بهدف اقامة مركز اسلامى ومسجد عليها .

الفلبين : المذابح مستمرة ضد المسلمين ..

تحاول سلطات الفلبين امتصاص النقمة الداخلية والخارجية عليها بسبب اضطهادها للمسلمين .. باللجوء الى اجراءات لمحاولة تغطية اعمالها التعسفية المرفوضة ضد مسلمى جنوب الفلبين البالغ عددهم نحو اربعة ملايين نسمة يتركزون فى جزيرتى مندانا وسولو فى الجنوب .

ومن محاولات التغطية من حكومة الفلبين ما اعلنته مرارا عن اجراء مصالحة مع المسلمين .. ونفى المسلمين لذلك .. وعن تفاوض مندوب عنهم مع الحكومة .. وهم لا يعلمون .. !

وكذلك ما اعلن اخيرا من عفو عمن يلقى السلاح فى محاولة لاجهاض ثورة المسلمين .. ليسهل للحكومة القضاء على الباقين ..

كما كانت الحكومة الفلبينية قد اعلنت عما اسمته تضمين قوانين الشريعة الاسلامية فى القانون الفلبينى .. واحاطت ذلك بهالة من الدعاية لتستر وجهها الصليبى المتعصب .. ولكن هذا الأمر زاد عن كشف مساوىء الحكم الفلبينى واظهر ان الظلم ضد المسلمين هناك عميق وعريق .. فما قيل من تضمين القوانين هو تعديلات اعادت بعض الحقوق للمسلمين حيث بدا انهم كانوا محرومين من ممارسة علاقاتهم الاسرية واحوالهم الشخصية حسب الشريعة الاسلامية ذلك الحق البديهى لكل انسان فى كل مكان .. فكانوا يجبرون على مخالفة الشريعة فى مسائل التعدد والطلاق ومتابعة القوانين الكاثوليكية .

ولكن كل تلك الحيل لم تنطل على المسلمين بجنوب الفلبين .. واستمروا فى ثورتهم المتصاعدة لتحصيل حقوقهم المشروعة حيث تحاول حكومة الفلبين سلب اراضيهم وتشتيتهم واسكان آخرين محلهم على غرار ما حصل فى فلسطين ويساعد الحكومة فى اعمالها القمعية منظمة ارهابية تسمى « الايلاجا » أى « الفئران » وجل اعضائها من خريجى السجون ومعتادى الاجرام والهاربين من القانون .. !

ولذا فان العدوان على المسلمين كذلك مستمر .. والمذابح تقام لهم دائما .. وفى مذبحة سابقة فى تلفاقه فى جزيرة مندناوا قتل نحو اثنين وسبعين مسلما من أهل **ساجيران** على يد عصابة الايلاجا وقوات البوليس الرسمى الفلبينى .

كما سبق أن اغرق نحو أربعمائة مسلم كانوا فى باخرة لاجئين من أهل كوتاباتو هربا من عمليات الابادة الحكومية المستمرة ..

ان على المسلمين شعوبا وحكومات أن يقفوا موقفا واضحا وقويا بجانب اخوانهم مسلمى الفلبين ليحولوا دون القضاء عليهم ومحو وجودهم حيث يشن عليهم ما يشبه حرب الابادة .. ويجب الا ينخدع المسلمون بمناورات الظالمين المعتدين والذين تؤيدهم بعض الشخصيات اليهودية المتنفذة فى الفلبين . وقدمت لهم مساعدات من اليهود المحتلين لفلسطين .

لبنان : مؤامرات « صهيونية صليبية » لا بد من التغلب عليها ..

محزن جدا ذلك الوضع الذى وصلت اليه لبنان .. والذى كلما لاحت تباشير نهايته .. تلبدت غيوم عودته .. !

كان الله للبنان .. ما أقسى الظروف التى مر بها .. والتى قد تكون رحمة وسلاما لما يليها اذا لم يتدارك العقلاء الأمر .. ويوقفوا سيول الدماء .. قبل أن تتحول الى انهار فبحار .. ففناء ودمار .. !

لا نظن ان ما جرى ويجرى فى لبنان يسر صديقا عربيا أو مسلما .. أو غير عربى ومسلم ما دام يحب الخير للبنان وللعرب والمسلمين ..

والمعروف أن اكبر شرارتين أوقدتا نار الفتنة كانتا بذبح سيارتى ركاب كبيرتين أولاهما فى عين الرمانة ذبح فيها فلسطينيون والثانية فى زغرتا شمالى لبنان ذبح فيها طرابلسيون مسلمون لايقاد الفتن الطائفية التى ربما أراد لها موقدوها الحقيقيون أن تصل الى مداها فتسحق المقاومة بلبنان .. وتتدخل القوى الأجنبية فى المنطقة .. وغير ذلك من الأهداف الظاهرة والخفية لمثل هذه المؤامرات « الصهيونية الصليبية » .

واذا عرفنا أن المستفيد الحقيقى من مثل ذلك هى دولة اليهود لم يصعب علينا استنتاج دورها الأساسي والحقيقى مستعملة أدوات صليبية متعصبة أو أجنبية مدسوسة كمخلب قط .. فصح أن نصف المؤامرة بحق بأنها « صهيونية صليبية » واخطر ما فى الأمر محاولة تدويل الصراع واستنفار أوروبا .. واجتلاب المرتزقة الأوروبيين الذين بدأوا فعلا ممارسة أعمالهم البشعة فى لبنان .

الايام الاسبوع	ذو الحجة ١٣٩٥	ديسمبر ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
خميس	١	٤	١١٦	١٢١٢	١ ٣٦	٦ ٤٨	٩ ٤١	١ ٢٢	٥ ٢	٦ ٢٦	١١٣٨	٢ ٣١	٤ ٥٠	٦ ١٢
جمعة	٢	٥	١١٧	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٣	٢٧	٣٩	٣١	٥٠	١٢
سبت	٣	٦	١١٨	١٣	٣٧	٤٩	٤٢	٢٣	٣	٢٨	٣٩	٣٢	٥٠	١٣
احد	٤	٧	١١٩	١٤	٣٨	٤٩	٤٢	٢٣	٤	٢٨	٣٩	٣٢	٥٠	١٣
اثنين	٥	٨	١٢٠	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٣	٤	٢٩	٤٠	٣٢	٥٠	١٣
ثلاثاء	٦	٩	١٢١	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	٥	٣٠	٤٠	٣٢	٥٠	١٣
اربعاء	٧	١٠	١٢٢	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	٦	٣١	٤١	٣٣	٥١	١٤
خميس	٨	١١	١٢٣	١٥	٤١	٥١	٤٢	٢٣	٦	٣١	٤١	٣٣	٥١	١٤
جمعة	٩	١٢	١٢٤	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٣	٧	٣٢	٤٢	٣٣	٥١	١٤
سبت	١٠	١٣	١٢٥	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	٨	٣٣	٤٢	٣٣	٥١	١٤
احد	١١	١٤	١٢٦	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	٨	٣٣	٤٣	٣٤	٥٢	١٥
اثنين	١٢	١٥	١٢٧	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	٩	٣٤	٤٣	٣٤	٥٢	١٥
ثلاثاء	١٣	١٦	١٢٨	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	٩	٣٥	٤٤	٣٤	٥٢	١٥
اربعاء	١٤	١٧	١٢٩	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	٩	٣٥	٤٤	٣٥	٥٣	١٦
خميس	١٥	١٨	١٣٠	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٠	٣٦	٤٥	٣٥	٥٣	١٦
جمعة	١٦	١٩	١٣١	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٠	٣٦	٤٥	٣٥	٥٣	١٦
سبت	١٧	٢٠	١٣٢	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٧	٤٦	٣٦	٥٤	١٧
احد	١٨	٢١	١٣٣	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٧	٤٦	٣٦	٥٤	١٧
اثنين	١٩	٢٢	١٣٤	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٨	٤٧	٣٧	٥٥	١٨
ثلاثاء	٢٠	٢٣	١٣٥	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٨	٤٧	٣٧	٥٥	١٨
اربعاء	٢١	٢٤	١٣٦	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٣	٣٩	٤٨	٣٨	٥٦	١٩
خميس	٢٢	٢٥	١٣٧	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٣	٣٩	٤٨	٣٨	٥٦	١٩
جمعة	٢٣	٢٦	١٣٨	١٧	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٤	٤٠	٤٩	٣٩	٥٧	٢٠
سبت	٢٤	٢٧	١٣٩	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٤	٤٠	٤٩	٤٠	٥٨	٢١
احد	٢٥	٢٨	١٤٠	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٥	٤١	٥٠	٤٠	٥٨	٢١
اثنين	٢٦	٢٩	١٤١	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٥	٤١	٥٠	٤١	٥٩	٢٢
ثلاثاء	٢٧	٣٠	١٤٢	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٥	٤١	٥١	٤١	٥٩	٢٢
اربعاء	٢٨	٣١	١٤٣	١٥	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٥ ٠٠	٢٣
خميس	٢٩	يناير	١٤٤	١٥	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٦	٤٢	٥٢	٤٣	١	٢٤
جمعة	٣٠	٢	١٤٥	١٤	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	١٦	٤٢	٥٢	٤٤	٢	٢٥

فهرس عام المجلة

في عامها الحادي عشر

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

يشتمل على الموضوعات والكتاب

كلمات وأحاديث

دراسات قرآنية

سنة

فقه وتشريع واقتصاد

عقيدة وفلسفة

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
استراتيجية الصراع	للدكتور عماد الدين خليل	٢٤/١٢٩
التفكير الفلسفى	للدكتور محمد البهي	٥٦/١٢٣
الربانية (١)	للدكتور يوسف القرضاوى	٢٠/١٢٥
« (٢)	« « «	١٩/١٢٦
العقل وميزاته	للدكتور عبد الكريم الخطيب	٦٠/١٢٢
مع الله	للشيخ عبد اللطيف مشتهرى	٤٦/١٣٠
معادلة صعبة	للشيخ بدر المتولى عبد الباسط	١١/١٢٨

مناسبات اسلامية

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
آيات وعلامات على طريق الاسراء	للدكتور محمد ابراهيم الجيوشي	٥٢/١٢٧
دروس الاسراء	للاستاذ محمد المجذوب	٢٠/١٢٧
الذكرى العملية لميلاد الرسول	للاستاذ أحمد محمد جمال	١٢/١٢٣
رمضان شهر القرآن	للاستاذ محمد نعيم عكاشة	٩٩/١٢٩
من دروس الهجرة	للاستاذ عبد الله كنون	٢٦/١٢١
الهجرة بطولة وعزم	للاستاذ عبد الله الكبي	٥٢/١٢١

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
آيتان لا خرافتان	الدكتور نور الدين عتر	٣٢/١٢٦
التدخين فى الطب والدين	الدكتور أحمد شوقى الفنجرى	٨٦/١٢٣
الخمر فى العلم والدين	« « « «	٦٠/١٢١
المخدرات فى الطب والدين	« « « «	٨٠/١٢٢
مصابيح السماء	الاستاذ محمود محمد صدقى	٥٦/١٢٩
وفى أنفسكم أفلا تبصرون	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٥٦/١٢٦

قصائد

عنوان القصيدة	الكاتب	العدد/الصفحه
ابتهـــالات	الاستاذ يوسف العظم	٨٨/١٢١
بأسمائك الحسنى	« العوضي الوكيل	٦٧/١٢٨
روح مباح	« عمر بهاء الدين الاميرى	٩٠/١٣٠
على هامش الاسراء	« محمد التاجى	٩٦/١٢٧
لبيك ربى	« على الفقى	٥٧/١٢٢
هجرة المصطفى	« محمود محمد الماحى	٦٨/١٢١

موضوعات عامة

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاسلام دين المستقبل	للاستاذ عزت محمد ابراهيم	٣٠/١٢٩
الى رحاب الرضوان	للشيخ عبد الله النورى	١٠٤/١٢٩
بلى نذكر أمجادنا	للاستاذ عزت محمد ابراهيم	٥٨/١٣١
جهل وافتراء	للاستاذ سعد صادق محمد	٧٤/١٢٢
حرية الرأى فى الاسلام	للاستاذ توفيق على وهبة	٢٤/١٣٠
الحقائق وحدها من أجل الانسان	للشيخ محمد الغزالى	٥٨/١٢٢
حوار واحوار	للاستاذ عمر بهاء الدين الاميرى	٩١/١٢٢
خصومة مفتعلة	للشيخ بدر المتولى عبد الباسط	٤٢/١٢٢
الداعية الاسلامى	للاستاذ حلمى محمد القاعود	١١٣/١٢٩
الدعاء سلاح المؤمن	للاستاذ صالح أحمد الراشد	٨٦/١٢٦
سباق الخيل فى الاسلام	للدكتور نجاشي على ابراهيم	٧٠/١٢١
عالمية الاسلام	للاستاذ محمد الدسوقى	٩٤/١٣٠
العمل فى الاسلام	للدكتور محمد عبد الرحمن بيصار	٣٠/١٣٠
فلسفة الحرب فى الاسلام	للدكتور يوسف حسن نوفل	٧٨/١٢٤
المخلفون	للدكتور محمد محمد الشرقاوى	٨٠/١٢٩
مشكلات المسلم	للاستاذ محمد المجذوب	٦٢/١٢٦
مفاهيم خاطئة عن الاسلام	للدكتور عبد الكريم الخطيب	٨٠/١٣١
مهمة الاسلام	للشيخ محمد متولى شعراوى	٥٢/١٢٥
وما ينطق عن الهوى	للاستاذ أحمد التاجى	٥٦/١٢٧

استطلاعات وتحقيقات

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الكويت .. وحجاج بيت الله	الاستاذ فهمى عبد العليم الامام	٦٨/١٣٢
تركيا بين الامس واليوم	الاستاذ عبد الحميد رياض	٦٨/١٢٨
التوعية الدينية فى الجيش الكويتى	الاستاذ عبد الستار فيض وفهمى الامام	٣٦/١٢٥
جولة داخل مكتبة الوزارة	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٣٦/١٢٣
حول مؤتمر رسالة المسجد	الاستاذ بدر سليمان القصار	٦٨/١٢١
دار القرآن الكريم	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٣٦/١٢١
الدراسات الاسلامية الصيفية	التحـــرير	٨٤/١٢٩
القدس عبر التاريخ	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٦٨/١٢٧
لقاء مع السيد الوزير	الاستاذ بدر سليمان القصار	٣٦/١٢٩
المساجد والآثار الاسلامية فى الجزائر	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٣٦/١٢٢
المسلمون فى قبرص	الاستاذ فهمى عبد العليم الامام	٨٢/١٢٧
مع الكتاب الاسلامى فى الكويت	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٣٦/١٢٤
المعهد الدينى بالكويت	الاستاذ عبد الحميد رياض	٦٩/١٣٠

تربية واجتماع

أدب

الفتــاوى

للشيخ عطية محمد صقر

مائدة القارىء

اعداد : الاستاذ فهمى الامام

كتاب الشهر

اسم الكتاب	المؤلف/الناقد	العدد/الصفحة
اجتهاد الرسول عليه الصلاة والسلام	تأليف : الشيخ عبد الجليل عيسى عرض : الاستاذ علي علي عياد	١٣٠/٩٩
الاسلام يتحدى	تأليف : وحيد الدين خان عرض : عبد الرحمن أحمد شادى	١٢٦/٩٢
التسعير فى الاسلام	تأليف : الاستاذ البشرى الشوربجى عرض : الاستاذ محمد الصفطاوى	١٢٤/١٠١
دراسات فى القرآن الكريم	تأليف : الاستاذ : السيد أحمد خليل عرض الاستاذ : محمد رياض العشيرى	١٢٥/٩٧
عقيدة المسلم	تأليف : الشيخ محمد الغزالى عرض الاستاذ : عبد الله الجعيثن	١٢٣/٩٦
الفاروق القائد عمر بن الخطاب	تأليف : اللواء محمود شيت خطاب عرض الاستاذ : سعيد زايد	١٢٢/٩٦
منهج القرآن فى تطوير المجتمع	تأليف : الدكتور محمد البهي عرض الاستاذ : محمد عبدالله السمان	١٢٢/٩٤
نظام الحكم فى الاسلام	تأليف الدكتور : فاروق النبهان عرض الاستاذ : عبد الله سالم	١٢٨/٩٤

بريد (الوعى الاسلامى)

اعداد : عبد الحميد رياض

الموضوع	العدد/الصفحة	الموضوع	العدد/الصفحة
اثر أداء العبادة فى سلوك الفرد	١٢٥/٨٢	تعقيب على مقال التسامح الدينى	١٢٨/٩٣
أحداث لها شأنها فى الاسلام	١٢٩/١٢٤	حول معنى كلمة امة	١٢٧/٦٧
ارتيريا أرض الهجرة الاولى	١٢٣/٨٤	سعر المجلة	١٢٥/٨٣
افتراء اليهود	١٣٠/١٠٥	صفات الانبياء فطرية	١٢١/٨٨
أقوال شائعة ليست من الوارد	١٣١/٩٣	اللغة العربية بين لغات العالم	١٢٢/١٠٠
الالفاظ الاعجمية فى القرآن الكريم	١٢٢/٨٨	المرأة فى ظل الاسلام	١٢٨/٩٢
أم سلمة رضي الله عنها	١٢٦/٨٤	ملحق للمجلة عن الصلاة والطهارة	١٢٢/٨٩
البيت الحرام	١٣١/٩١	النهي عن المنكر	١٢٦/٨٤
بين الامام النووى والظاهر بيبرس	١٢٧/٦٧	الهجرة والانتصار	١٢١/٨٩
تعقيب على استطلاع المكتبة	١٢٤/٩٠	يقولون ما لا يفعلون	١٣٠/١٠٤

قالت صحف العالم

اشراف الاستاذ فهمى الامام

الموضوع	اسم الصحيفة	العدد/الصفحة
أحداث الصـــومال	مجلة رابطة العالم الاسلامى	١٠٨/١٢٤
الاســـــلام	مجلة الشهاب اللبنانية	١١٩/١٢٩
الاسلام والمراة	مجلة الرسالة الاسلامية	١٠٦/١٢٧
أهل الدعوة	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١٠٩/١٣١
براعم الايمان	مجلة المجتمع الكويتية	١١٨/١٢٩
تصحيح المفاهيم وتقويم الموازين	مجلة البعث الاسلامى	١٠٨/١٢٣
التهجم على الافتاء	مجلة رابطة العالم الاسلامى	١٠٣/١٢٢
رجعة الى الماضي	مجلة الرائد الهندية	١٠٨/١٣١
الجهاد وحرية العقيدة	مجلة الرسالة الاسلامية	١٠٤/١٢١
شيخ الازهر	جريدة الاهرام القاهرية	١٠٩/١٢٤
طبيعة هذا الدين	مجلة الرائد الهندية	١٠٥/١٢١
العلم فى مفهوم الاسلام	مجلة الاعتصام	١٠٤/١٢٨
فمن أجدر به يا ترى	مجلة الرائد الهندية	١٠٧/١٢٧
فى تكريم الامومة	مجلة منبر الاسلام	١٠٥/١٢٨
فيصل بن عبد العزيز	مجلة الشهاب اللبنانية	١٠٧/١٢٥
الكارثة الخلقية	مجلة الغرباء الامريكية	١٠٨/١٣٠
المهام الصحية فى الحكومة النبوية	مجلة حضارة الاسلام	١٠٤/١٢٦

باقلام القراء

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ألسنة الخلق أقلام الحق	الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى	١٠٦/١٢٣
ان تنصروا الله ينصركم	الاستاذ فؤاد الجبالى	١٠٦/١٣١
ان كنت تؤمن (قصيدة)	الاستاذ ضياء الدين محمد سعيد	١٠٧/١٢٤
حقوق الابناء على الآباء	الاستاذ عبد الرحمن عبد اللطيف	١٠٤/١٢٧
الدين والصحة	الشيخ عبد الرحمن السند	١٠١/١٢٢
صلاحية الشريعة الاسلامية	الاستاذ عبد الكريم حسن العيلى	١٠٨/١٢٨
القرآن وسكينة النفس	الاستاذ مصطفى محمد الفار	١٠٦/١٢٦
قيمة العقل	الاستاذ عمر مصطفى أبو سيف	١٠٦/١٣٠
من نفحات القرآن الكريم	الاستاذ أحمد ابراهيم البشبيشي	١٢٦/١٢٩
مواقف فى حياة الرسول	الاستاذ فكرى حسن اسماعيل	١٠٥/١٢٥
النظرة الفعالة	الاستاذ جمال احمد عفيفى	١٠٦/١٢٤
الهجرة والعام الجديد	الاستاذ عبد الله عبد القادر	١٠٧/١٢١
وقفة أمام جبل أحد	الاستاذ عبد الله عبد الرحمن الجعيثن	١٠٤/١٣٣

قصص

عنوان القصة	الكاتب	العدد/الصفحة
بهيسة فتاة طي	الاستاذ محمد على الزيات	١٠٠/١٢٥
بين الامام النووى والظاهر بيبرس	« احمد حسن القضاة	٩٢/١٢٤
الراعى الاسود	« حسين الطوخى	٩٦/١٢٦
الشرطى الجديد	« عبد اللطيف فايد	٨٠/١٣٠
شرف الرجال	« احمد العنانى	١٠٢/١٢٣
عودة المهاجر (١)	« عبد اللطيف فايد	٩٨/١٢١
عودة المهاجر (٢)	« » » »	١٠٥/١٢٢
		٥٧/١٢٣
القتل احسن	« محمد الخضرى عبد الحميد	٩٨/١٢٧
كلمة الشهيد	« » » » »	٥٠/١٢٩
المعذبون فى سبيل الله	« يوسف صالح يوسف	١٠٠/١٢٨

اغلفة

رقم العدد	الغلاف الامامى	الغلاف الخلفى
١٢١	المسجد النبوى بالمدينة المنورة	فاصبر ان وعد الله حق (آية)
١٢٢	جامع تلمسان بالجزائر	قل هو الله أحد (السورة)
١٢٣	مكتبة مسجد العثمان بالكويت	الراحمون يرحمهم الرحمن (حديث)
١٢٤	قاعة معرض الكتاب الاسلامى فى الكويت	ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (آية)
١٢٥	الجيش الكويتى فى الميدان	ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا (آية)
١٢٦	مسجد الشهداء ببغداد	فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون (آية)
١٢٧	قبة الصخرة والمسجد الاقصى	لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد (حديث)
١٢٨	مسجد فى تركيا	محمد رسول الله (آية)
١٢٩	درس داخل مسجد فى الكويت	انا أنزلناه فى ليلة القدر (السورة)
١٣٠	فصل من فصول المعهد الدينى فى الكويت	لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء (آية)
١٣١	مسجد مدينة الفيوم بمصر	واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر (آية)
١٣٢	الصلاة فى الحرم المكي	ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (آية)

الكتاب

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت – لبنان – أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع – ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى – ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز – ص.ب : (٢٨٠) .

المغرب : الدار البيضاء – السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز – ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة – ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة – ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية – ص.ب : (٧٦) .
الطائف : / مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة – ص.ب : (٥٢) .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مكتبة دار الحكمة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة . ص.ب : (٦٥٨٨) .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمن

- الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
- ليبيا ١٠ قروش ● تونس ١٢٥ مليما ● الجزائر دينار وربع
- المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعدن ٧٥ فلسا
- لبنان وسوريا ٥٠ قرشا ● مصر والسودان ٤٠ مليما

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله على الناس حج البيت

من استطاع إليه سبيلا

آل عمران - آية ٩٧

مطابع دار السياسة